

الموسوعة القرآنية الكبرى

المعجم

في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته

تأليف وتحقيق

قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية

بإشراف

مدير القسم

الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



المجلّد الخامس



تأليف وتحقيق

قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية

بإرشاد وإشراف

مدير القسم

الأستاذ محمّد واعظ زاده الخراساني

المعجم في فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته / تأليف و تحقيق قسم القرآن في مجمع البحوث الإسلاميّة؛ بإرشاد و إشراف محمّد واعظزاده الخراساني. ـــ مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٤٢٩ق. = ١٣٨٧ش.
ج.
ISBN set 978-964-444-179-0
ISBN 978-964-444-478-4 (ج٥)
فهرست‌نويسي بر اساس اطلاعات فيپا.
عربي.
١. قرآن ـــ واژه‌نامه. ٢. قرآن ـــ دايرة‌المعارف. الف. واعظزاده خراساني، محمّد، ١٣٠٤ ـــ . ب. بنياد پژوهشهاي اسلامي.
٢٩٧/١٣ BP ٦٦ / ٤ / م٥٧
كتابخانة ملى ايران م٨٦٩٧-٢٨



المعجم في فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته

المجلّد الخامس

تأليف و تحقيق: قسم القرآن في مجمع البحوث الإسلاميّة
إشراف: الأستاذ محمّد واعظزاده الخراساني

الطبعة الثانية ١٤٢٩ق / ١٣٨٧ش
٢٠٠٠ نسخة / قيمة الدورة (١٣ جزءاً): ١٤٣٠٠٠٠ ريال
الطباعة: غوهرنگ

مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب ٣٦٦-٩١٧٣٥
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ٢٢٣٠٨٠٣
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلاميّة، (مشهد) ٢٢٣٣٩٢٣، (قم) ٧٧٣٣٠٢٩
شركة به‌نشر، (مشهد) الهاتف ٧-٨٥١١١٣٦، الفاكس ٨٥١٥٥٦٠
Web Site:www.islamic-rf.ir E-mail: info@islamic-rf.ir

اين كتاب با تسهيلات حمايتي معاونت امور فرهنگي وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي چاپ شده است.

المؤلفون

الأُستاذ محمّد واعظ زاده الخراسانيّ

ناصر النّجفيّ

قاسم النّوريّ

محمّد حسن مؤمن زاده

حسين خاكشور

السيّد عبدالحميد عظيمي

السيّد جواد سيّدي

السيّد حسين رضويان

علي رضا غفراني

وقد فُوّض عرض الآيات وضبطها إلى أبي الحسن الملكيّ و محمّد الملكوتي و مقابلة النصوص إلى محمّد جواد الحويزيّ و عبدالكريم الرّحيميّ و تنضيد الحروف إلى الأُستاذ حسين الطّائيّ في قسم الكمبيوتر.

بسم الله الرحمن الرحیم

کتاب سال جمهوری اسلامی ایران

حضرت آیة الله استاد محمد واعظ زاده خراسانی و همکاران

محققان محترم کتاب مُعجَم لُغَةِ القرآن و سِرّ بلاغَتِه

خرد ورزان اهل معرفت، صاحبان اصلی دولت ماندگار در ساحت فرهنگ و گشایندگان راه اندیشمندی و آزادگی اند و آنچه امروز در آسمان پیشینهٔ اسلامی و ایرانی ما می درخشد از انوار این اختران جاویدان است. جمهوری اسلامی ایران در موقعیت مستحکم و با ثبات خویش بیش از پیش به شما عزیزان که سلاحتان قلم و ابزار رابطه تان دلیل و منطق است چشم دوخته است. در این نظام که بارزترین وجه هویت آن فرهنگ است، همت ورزیدن در امر کتابت و تألیف و تحقیق انسانی ترین و فاخرترین نحوه حضور در عرصهٔ مشارکت جمعی است.

من به نام ملت ایران سپاس خویش را به شما که آفرینندهٔ اثری ارزنده اید اعلام می دارم و آرزومندم با تلاش ارجمند اصحاب فکر و فرهنگ آفتاب درخشان خرد و اندیشه در آسمان این سرزمین همچنان پرتو بیفشاند.

سید محمد خاتمی

رئیس جمهوری اسلامی ایران

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله الأُستاذ محمّد واعظ زاده الخراسانيّ وزملائه محقّقي كتاب «المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته» المحترمين

إنّ المفكّرين من ذوي العلم والمعرفة هم الأصحاب الحقيقيّون للدّولة الخالدة في مضمار الثّقافة، وهم روّاد الفكر والحرّيّة. ومايتألّق اليوم في سماء تاريخنا الإسلاميّ والإيرانيّ يشرق من هذه الكواكب الخالدة.

أيّها الأعزّاء، يامن سلاحكم القلم، وآصرتكم الدّليل و المنطق، إنّ الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في موقعها الوطيد و صرحها الشّديد لتنظر إليكم نظرة أمل ورجاء أكثر من ذي قبل.

وإنّ هذا النّظام الّذي تعدّ فيه الثّقافة أبرز صورة لكيانه، يعتبر الجدّ في مجال الكتابة والتّأليف والتّحقيق أجلى مثال للإنسانيّة و أسمى أمد للمفاخرة عند التّواجد في ميدان المساهمة الجماعيّة.

وأنا بدوري أعرب عن شكركم باسم شعب إيران، أنتم الّذين أبدعتم أثرًا نفيسًا، وأرجو بجهدكم الجاهد يا أرباب الفكر والثّقافة أن تبزغ شمس الفكر والثّقافة السّاطعة في سماء هذه الأرض دائمًا وأبدًا.

السّيّد محمّد الخاتميّ

رئيس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المحتويات


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المُقدِّمة

نحمد الله تعالى على نعمائه كلّها، ونصلّي و نسلّم على رسوله المصطفى نبيّنا محمّد وعلى آله الطّيّبين الطّاهرين و صحبه المنتجبين.

ثمّ نشكره تعالى على أن وفّقنا لتأليف المجلّد الخامس من موسوعتنا القرآنيّة: **«المعجم في فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته»**، وتقديمه إلى روّاد العلوم القرآنيّة، والمختصّين بمعرفة لغاته، و أسرار بلاغته، و رموز إعجازه، وطرائف تفسيره.

وقد اشتمل هذا الجزء على شرح (٣٠) مفردة قرآنيّة من حرف الباء، ابتداء من (ب د ن) و انتهاء بـ(ب ط ل)، و أوسع الكلمات فيه بحثًا و تنقيبًا هي (ب ص ر).

نسأله تعالى، و نبتهل إليه أن يتمّ علينا نعمته و يكمل لنا رحمته و يساعدنا على استمرار العمل إلى آخر المطاف، إنّه خير ظهير، وبالإجابة جديرٌ.

محمّد واعظ زاده الخراسانيّ
مدير قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلاميّة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب د ن

لفظان، مرّتان: ١ مكّيّة، ١ مدنيّة

في سورتين: ١ مكّيّة، ١ مدنيّة

بِبَدَنِك ١: ١ البُدْن ١: ١ ـ ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: البَدَنُ من الجسد: ماسوى الشّوى والرّأس.

والبَدَنُ: شِبْه دِرْعٍ إلّا أنّه قصير قدر مايكون على الجسد، قصير الكُمَّين. ويجمع على أبدان، وقال الله جلّ وعزّ: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ يونس: ٩٢.

وبدُنَ الرّجل: صار بَدِينًا فهو مُبدِن، ورجل بادِن ومُبَدَّن وامرأة مُبَدَّنة، أي سمينان جسيان. وبَدّن تبدينًا، أي أسَنّ.

والبَدَنة: ناقة أو بقرة، الذّكر والأُنثى فيه سواء، يُهدى إلى مكّة، والجميع: البُدْن. (٨: ٥١)

اللّيث: رجل بادنٌ ومُبَدَّن وامرأة مُبدَّنة، وهما السّمينان. والمُبدَّن: المُسنّ.

وفي حديث النّبيّ ﷺ: «أنّه أُتي ببَدَناتٍ خمس فطفِقْن يزدلِفن [إليه] بأيّتهنّ يَبدأ».

البَدَنة بالهاء: تقع على النّاقة والبقرة والبعير الذّكر، ممّا يجوز في الهَدْي والأضاحيّ، ولاتقع على الشّاة. سمّيت بدنةً لِعِظَمها، وجمع البَدَنة: البُدْن.

(الأزهَريّ ١٤: ١٤٤)

الأُمَويّ: في حديث النّبيّ ﷺ: «لاتبادروني بالرّكوع والسّجود، فإنّه مهما أسبقكم به إذا ركعت تدركوني به إذا رفعت، ومهما أسبقكم إذا سجدت تدركوني به إذا رفعت، إنّي قد بَدّنْتُ».

قد بدّنت: يعني كبِرتُ، أسنَنْتُ. يقال: بدّن الرّجل تبدينًا، إذا أسنّ. [ثمّ استشهد بشعر] (أبوعُبَيْد ١: ٩٥)

أبوعُبَيْد: [وبعد نقل قول الأُمويّ قال:]

وممّا يحقّق هذا المعنى الحديث الآخر: «أنّه كان يصلّي بعض صلاته باللّيل جالسًا، وذلك بعد ماحَطَمَتْه

السّنّ» وفي حديث آخر: «بعدما حطّمتموه».

وأمّا قوله: «إنّي قد بَدُنْتُ» فليس هذا معنى إلّا كثرة اللّحم، وليست صفته فيما يُروى عنه هكذا، إنّما يقال في نعته: رجل بين الرّجلين جسمه ولحمه. هكذا روي عن ابن عبّاس. والأوّل أشبه بالصّواب في بَدُنْتُ ـ والله أعلم. (١: ٩٦)

عن أبي زَيْد: بدَنَت المرأة وبَدُنَت بدْنًا.

قلت: وغيره يقول: بُدْنًا وبَدانة، على «فَعالة»، أي سَمِنَت. (الأزهَريّ ١٤: ١٤٤)

ابن السِّكِّيت: بَدَن الرّجل يَبْدُن بَدْنًا وبَدانة فهو بادن، إذا ضخُم. وهو رجل بَدَنٌ، إذا كان كبيرًا. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٤: ١٤٤)

كُراعُ النّمل: [البَدَن] هو العُضو.

(ابن سيدة ٩: ٣٥٤)

ابن دُرَيْد: البَدَن: بَدَن الإنسان، وهو جسمه.

والبَدَن: الدِّرْع القصيرة. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَدَن: الوَعِل المُسنّ. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَدُن الرّجل، إذا سَمِن، وبَدَّن، إذا ثَقُل عن سِنّ.

وفي حديث النّبيّ ﷺ: «فإنّي قد بَدُنْتُ»، أي ثَقُلتُ. [ثمّ استشهد بشعر]

وأصحاب الحديث يقولون: «فإنّي قد بَدُنْتُ» وليس ذلك بشيء، لأنّه ليس من صفته عليه السّلام أنّه كان سمينًا.

والبَدَنة من الإبل مثل الأُضحيّة من الغنم، والجمع: البُدْن ـ وقد قُرئ بهما جميعًا ـ وامرأة بادِنٌ، أي سمينة. (١: ٢٤٨)

أبوحاتِم: بَدَنَ الرّجل يَبْدُن بَدْنًا، إذا عَظُم وسَمِن، وإذا قيل: بَدَّن تَبْدينًا، فالمعنى أنّه أسَنّ وضَعُفَ واسترخى لحمُه. (الأضداد: ١٥٠)

الصّاحِب: البَدَن من الجسد: ماسوى الشَّوى والرّأس. وشبْه الدِّرْع قدر مايكون على الجسد.

والوَعِل المُسنّ. وكذلك الرّجل المسنّ.

والبَدين والبادن والمُبَدَّن: السّمين.

وبَدَّن الرّجل: كبر واسترخى لحمه.

وبَدُن: ضَخُمَ. وأبدَنه غيره إبدانًا: أسمَنَه.

وامرأة حسنة الأبدان والأجساد.

والبَدَنة: ناقة أو بقرة تُهدى إلى مكّة، والجميع: البُدْن.

والتّبدين: أن تُلبس إنسانًا بدَنًا، أي دِرْعًا. (٩: ٣٢٦)

الجَوهَريّ: بَدَنُ الإنسان: جسَده. ورجل بَدَنٌ، أي مُسِنٌّ. [ثمّ استشهد بشعر]

ووَعِلٌ بَدَنٌ مثله. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَدَن: الدِّرْع القصيرة.

والبَدَنة: ناقة أو بقرة تُنحَر بمكّة، سمّيت بذلك لأنّهم كانوا يُسَمّنونها، والجمع: بُدْنٌ بالضّمّ، مثل ثَمَرةٍ وثُمْرٍ.

والبُدْن أيضًا: السِّمَنُ والاكتناز، وكذلك البُدُن، مثل عُسْر وعُسُر. [ثمّ استشهد بشعر]

تقول منه: بَدَنَ الرّجل ـ بالفتح ـ يَبْدُنُ بُدْنًا، إذا ضخُم. وكذلك بَدُنَ بالضّمّ، يَبْدُنُ بَدانة، فهو بادِن ـ وامرأة بادِنٌ أيضًا ـ وبدينٌ.

وبَدَّنَ، أي أسَنّ. [ثمّ استشهد بشعر]

وفي الحديث: «إنّي قد بَدُنتُ، فلاتبادروني بالرّكوع والسّجود» أي كبرتُ وأسننتُ. (٥: ٢٠٧٧)

نحوه الرّازيّ. (٥٦)

ابن فارِس: الباء والدّال والنّون أصل واحد، وهو شخص الشّيء دون شَواه، وشَواه أطرافه.

يقال: هذا بدَن الإنسان، والجمع: الأبدان. وسمّي الوَعِل المُسِنّ بَدَنًا من هذا.

وإنّما سمّي بذلك، لأنّهم إذا بالغُوا في نعت الشّيء سمّوه باسم الجنس، كما يقولون للرّجل المبالَغ في نعته: هو رجل، فكذلك الوَعِل الشّخيص، سمّي بدنًا، وكذلك البدَنة الّتي تُهدى للبيت، قالوا: سمّيت بذلك لأنّهم كانوا يستسمنونها.

ورجل بَدَنٌ، أي مُسِنٌّ. [ثمّ استشهد بشعر]

ورجل بادِنٌ وبَدينٌ، أي عظيم الشّخص والجسم، يقال منه: بَدُن. وفي الحديث: «إنّي قد بَدُنتُ». والنّاس قد يروُونه: «بَدَّنْتُ». ويقولون: بَدَّنَ، إذا أسَنّ. [ثمّ استشهد بشعر]

وتسمّى الدِّرْع البَدَن، لأنّها تضمّ البَدَن.

(١: ٢١١)

أبوهِلال: الفرق بين الجسَد والبدن: أنّ البدن هو ماعلا من جسد الإنسان، ولهذا يقال للدِّرْع القصير الّذي يُلبس الصّدر إلى السُّرّة: بدَن، لأنّها تقع على البَدَن؛ وجسم الإنسان كلّه جسد.

والشّاهد أنّه يقال لمن قطع بعض أطرافه: إنّه قطع شيء من جسده، ولايقال: شيء من بدَنه، وإن قيل فعلى بُعد. وقد يتداخل الاسمان إذا تقاربا في المعنى. ولمّا كان البدَن هو أعلى الجسد وأغلظه قيل لمن غلظ من السّمن: قد بَدَن، وهو بدين.

والبَدَن: الإبل المُسمّنة للنّحر، ثمّ كثر ذلك حتّى سمّي مايتّخذ للنّحر: بَدَنَة، سمينة كانت أو مهزولة. (١٣٢)

ابن سِيدَة: البَدَنُ من الجسد: ماسوى الرّأس والشّوى، وقيل: هو العُضو، عن كُراع، وخَصّ مَرّةً به أعضاء الجَزُور، والجمع: أَبْدانٌ. وحكى اللّحيانيّ: إنّها لحَسَنَة الأبدان. قال أبوالحسَن: كأنّهم جعَلُوا كُلّ جُزْء منها بَدَنًا، ثمّ جمَعُوه على هذا. [ثمّ استشهد بشعر]

ورجل بادن: سمينٌ جسيمٌ، والأُنثى بادنٌ، وبادنةٌ، والجمع: بُدْنٌ وبُدَّن. [ثمّ استشهد بشعر]

وقد بَدُنَتْ وبَدَنَتْ تَبْدُن بَدْنًا، وبُدْنًا وبَدانًا، وبَدانَةً، وقوله:

وانضمّ بُدْنُ الشّيخ واسْمَألّا

إنّما عنى بالبُدْن هاهنا الجَوْهر الّذي هو الشّحم، لايكون إلّا على هذا؛ لأنّك إن جعلتَ البُدْن عرَضًا جعلته محلًّا للعرَض، والعَرَض لايكون محلًّا للعَرَض.

والمُبدِّن، والمُبَدَّنة: كالبادن والبادنة، إلّا أنّ البادنة صيغة مفعول.

والمِبدان: الشّكور السّريع السِّمن. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَدَّنَ الرّجل: أسنّ وضعُفَ. وفي الحديث: «إنّي قَدْ بَدُنْت، فلاتُبادروني بالرّكوع والسّجود». [ثمّ استشهد بشعر]

ورجل بَدَنٌ مُسِنٌّ. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَدَن: الوَعِل المُسِنّ، [ثمّ استشهد بشعر]

والجمع أبدان، وبُدُون نادر عن ابن الأعرابيّ.

والبَدَنَة من الإبل والبقر، كالأُضحيّة من الغنم، تُهدى إلى مكّة، الذّكر والأُنثى في ذلك سواء، والجمع: بُدْن وبُدُن، ولايقال في الجمع: بَدَن، وإن كانوا قد قالوا: خَشَب، وأجَم، ورَخَم، وأكَم، استثناه اللّحيانيّ من هذه.

والبَدَن: الدِّرْع القصيرة على قدر الجسد، وقيل: هي الدِّرع عامّة، وبه فسّر ثَعْلَب قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ يونس: ٩٢، قال: بدرعك، والجمع: أبدان.

وبدَن الرّجل: نسبه وحسبه. [ثمّ استشهد بشعر]

(٩: ٣٥٤)

البَدَنة: الثّوب يُشقّ، فتلبسه المرأة من غير جيب ولاكُمَّين، الجمع: بُدْن وبُدُن. (الإفصاح ١: ٣٧٣)

البَدَنة: بَقيرَة يلبسها الصّبيان. (الإفصاح ١: ٣٧٦)

البَدَن: الوَعِل المُسِنّ، الجمع: أبْدُن.

(الإفصاح ٢: ٨٣٦)

الطُّوسيّ: البُدْن: جمع بَدَنة، وهي الإبل المبدَنة بالسّمن.

قال الزّجّاج: يقولون: بدَّنت النّاقة، إذا سمّنتها، ويقال لها: بَدَنة من هذه الجهة.

وقيل: أصل البَدَن: الضّخم، وكلّ ضخم بَدَن، وبَدَن بُدْنًا، إذا ضخم، وبَدّن تبدينًا، فهو بَدِينٌ: ثقُل لحمه [illegible]سترخاء، كما يثقل الضّخم.

والبَدَنة: النّاقة، وتجمع على بُدْن وبُدُن، وتقع على الواحد والجمع. [ثمّ استشهد بشعر] (٧: ٣١٧)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٤: ٨٥)

الرّاغِب: البَدَن: الجسد، لكنّ البدَن يقال اعتبارًا بعِظَم الجُثّة، والجسد يقال اعتبارًا باللّون، ومنه قيل: ثوبٌ مُجَسَّد، ومنه قيل: امرأة بادِنٌ وبدينٌ: عظيمة البَدَن.

وسمّيت البَدَنة بذلك لسِمَنها، يقال: بَدُن، إذا سَمِن، وبَدّن كذلك. وقيل: بل بَدَّن، إذا أسنّ. [ثمّ استشهد بشعر]

وعلى ذلك ماروي عن النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: «لاتُبادروني بالرّكوع والسّجود، فإنّي قد بَدَّنتُ» أي كبرتُ وأسنَنْتُ. وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ يونس: ٩٢، أي بجسدك.

وقيل: يعني بدِرْعك، فقد يسمّى الدِّرْع بدَنةً، لكونها على البَدَن، كما يسمّى موضع اليد من القميص يدًا، وموضع الظّهر والبطن ظهرًا وبطنًا. وقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ الحجّ: ٣٦، هو جمع البَدَنة الّتي تُهدى. (٣٩)

الزَّمَخْشَريّ: بَدُنتَ لما بَدَّنتَ، أي سَمِنتَ لما أسنَنْتَ، يقال: بَدُنَ الرّجل وبَدَنَ بُدْنًا وبَدانةً فهو بَدين وبادِنٌ.

وبادَنني فلان فبدَنْتُه، أي كنت أبْدَنَ منه.

ورجل مِبْدان: مِبْطانٌ سَمينٌ، ضَخْم البطن.

وتقول: أراك أضعَفَ السّدَنة، وأنت في قدّ البَدَنة.

وخرجَتْ وعليها بَدَنة، أي بقيرَة.

(أساس البلاغة: ١٧)

لمّا خطَب [عليّ] فاطمة عليها السلام قيل له: ماعندك؟

قال: فرَسي وبَدني.

هي الدّرع القصيرة، سمّيت بذلك لأنّها تحول للبدَن، ليست بسابغة تعمّ الأطراف. (الفائق ١: ٨٧)

ابن الأثير: بَدَن: فيه: «لاتُبادِروني بالرّكوع والسّجود، إنّي قد بَدُنْتُ».

قال أبوعُبَيْد: هكذا روي في الحديث «بَدُنْتُ» يعني بالتّخفيف، وإنّما هو «بَدَّنْتُ» بالتّشديد، أي كبِرتُ وأسننت، والتّخفيف من البَدانة، وهي كثرة اللّحم، ولم يكن ﷺ سميناً.

قلت: قد جاء في صفته ﷺ في حديث ابن أبي هالة: «بادِنٌ مُتماسِك». والبادن: الضّخم، فلمّا قال: بادِن، أردَفَه بمُتماسِك، وهو الّذي يُمسك بعض أعضائه بعضًا، فهو مُعتدل الخَلْق.

ومنه الحديث: «أتُحبّ أنّ رجلًا بادنًا في يوم حارّ غسل ماتحت إزاره، ثمّ أعطاكه فشربْتَه».

وفي حديث عليّ: «لمّا خطَب فاطمة رضي الله عنها، قيل: ماعندك؟ قال: فرَسي وبَدَني». البَدَن: الدِّرْع من الزَّرَد. وقيل: هي القصيرة منها.

ومنه حديث سَطيح:

أبيَضُ فَضْفاضُ الرِّداء والبَدَن

أي واسع الدّرع، يريد به كثرة العطاء.

ومنه حديث مَسح الخُفَّين: «فأخرج يدَه من تحت بَدَنه»، استعار البَدَن هاهنا للجبّة الصّغيرة، تشبيهًا بالدِّرْع.

ويحتمل أن يريد به من أسفل بَدَن الجُبّة، ويشهد له ماجاء في الرّواية الأُخرى: «فأخرج يدَه من تحت البدَن».

وفيه: «أُتي رسول الله ﷺ بخمس بَدَنات».

البَدَنة تقع على الجمَل والنّاقة والبقرة، وهي بالإبل أشبه. وسمّيت بَدَنة لِعِظَمها وسِمَنها، وقد تكرّرت في الحديث.

ومنه حديث الشّعبيّ: «قيل له: إنّ أهل العراق يقولون: إذا أعتق الرّجل أمَتَه ثمّ تزوّجها كان كمن يَركَب بدَنَتَه»، أي إنّ من أعتق أمتَه فقد جعلها محرّرة لله، فهي بمنزلة البَدَنة الّتي تُهدى إلى بيت الله تعالى في الحجّ، فلاتُركب إلّا عن ضرورة، فإذا تزوّج أمَتَه المُعتَقة كان كمن قد ركب بدَنَتَه المُهداة. (١: ١٠٧)

الفَيُّوميّ: وشركة الأبدان: أصلها: شِركة بالأبدان، لكن حُذفت الباء ثمّ أُضيفت، لأنّهم بذلوا أبدانهم في الأعمال لتحصيل المكاسب.

وبَدَن القميص مستعار منه، وهو مايقع على الظّهر والبطن دون الكُمّين والدّخاريص، والجمع: أبدان.

والبَدَنة قالوا: هي ناقة أو بقرة. وزاد الأزهَريّ: أو بعيرٌ ذكرٌ. قال: ولاتقع البَدَنة على الشّاة.

وقال بعض الأئمّة: البَدَنة هي الإبل خاصّة، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ الحجّ: ٣٦، سمّيت بذلك لِعِظَم بدنها.

وإنّما أُلحقت البقرة بالإبل بالسّنّة، وهو قوله عليه الصّلاة والسّلام: «تُجزئ البَدَنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة» ففرّق الحديث بينهما بالعطف؛ إذ لو كانت «البَدَنة» في الوضع تُطلق على «البقرة» لما ساغ عطفها، لأنّ المعطوف غير المعطوف عليه.

وفي الحديث مايدلّ عليه قال: «اشتركنا مع رسول الله ﷺ في الحجّ والعمرة، سبعة منّا في بَدَنة، فقال رجل لجابر: أنشترك في البقرة ما نشترك في الجزور؟ فقال: ماهي إلّا من البُدْن»، والمعنى في الحكم؛ إذ لو كانت البقرة من جنس البُدْن لما جهلها أهل اللّسان، ولفُهمت عند الإطلاق أيضًا.

والجمع: بَدَنات، مثل قصَبة وقصباتٍ. وبُدْنٌ أيضًا بضمّتين وإسكان الدّال تخفيف، وكأنّ البُدُن: جمع بدين تقديرًا، مثل نذيرٍ ونُذُر.

قالوا: وإذا أُطلقت «البَدَنة» في الفروع فالمراد البعير، ذكرًا كان أو أُنثى.

وبَدَنَ بُدُونًا، من باب «قعَد»: عظُم بدَنه بكثرة لحمه، فهو بادِن، يشترك فيه المذكّر والمؤنّث. والجمع: بُدَّنٌ، مثل راكع ورُكّع.

وبَدُنَ بَدانَةً: مثل ضَخُم ضَخامَةً كذلك، فهو بدين، والجمع: بُدُن.

وبَدّن تبدينًا: كَبِر وأسَنّ. (١: ٣٩)

الفيروزاباديّ: البَدَن محرّكة من الجسد ماسوى الرّأس والشّوى، أو العضو، أو خاصّ بأعضاء الجزور. والرّجل المُسنّ، والدّرْع القصيرة، جمعه: أبدان. والوَعِل المسنّ، جمعه: أبْدُن. ونسَب الرّجل وحسَبه.

والبادِن والبَدين والمُبَدَّن كمُعَظَّم: الجسيم، وهي بادِنٌ وبادِنَةٌ وبَدينٌ، جمعه: ككُتُب ورُكّع.

وقد بَدُنَت ككَرُم ونَصَر بَدْنًا، وبضمّ، وبَدانًا وبَدانَةً، بفتحها.

وبَدّن تبدينًا: أسنّ وضعُف، وفلانًا ألبسه دِرْعًا.

والمِبْدان: الشَّكور، السّريع السِّمَن.

والبَدَنة محرّكة: من الإبل والبقر، كالأُضحيّة من الغنم، تُهدى إلى مكّة، للذّكر والأُنثى، جمعه: ككُتُب. (٤: ٢٠٢)

الجَزائريّ: «البَدَن والجسَد» قال في «البارع»: لايقال الجسد إلّا للحيوان العاقل، وهو الإنسان والملائكة والجنّ، ولايقال لغيره: جسد.

وقيل: البَدَن: الجسد، ماسوى الرّأس، ويظهر من كلام الجوهَريّ التّرادف. (٥٦)

الطُّرَيحيّ: البَدَن: ماسوى الرّأس والأطراف، وبَدَنُ القميص مستعار منه، وهو مايقع على الظّهر، والبَدَنُ دون الكُمّين والدّخارس، والجمع: أبدان.

والبَدَن أيضًا: الدّرْع القصيرة. وفي حديث عليّ عليه السلام: «إنّما كنت جارًا لكم، جاوركم بَدَني أيّامًا».

قيل: إنّما قال ذلك، لأنّ مجاورته إيّاهم إنّما كان بجسده لابنفسه، المجاورة للملائكة المقبلة على العالم العلويّ بكلّيّتها، المُعرِضة عن العالم السُّفليّ.

وفي حديث الباقر عليه السلام: «إنّه كان بادِنًا» البادن والبَدين: الجسيم.

ورجل بادِنٌ، أي سمين ضخم.

والبُدْن بالضّمّ: جمع بَدَنة كقصبة، وتُجمع على بَدَنات كقصبات. سمّيت بذلك لعظم بدنها وسمنها. وتقع على الجمَل والنّاقة والبقرة عند جمهور أهل اللّغة وبعض الفقهاء، وخصّها جماعة بالإبل.

وعن بعض الأفاضل قال: إطلاقها على البقرة منافٍ لما ذكره أئمّة اللّغة من أنّها من الإبل خاصّة، ولقوله عليه السلام:

«تُجزي البَدَنة عن سبعين، والبقرة عن سبعة». وهي في السّنّ على مانقل عن بعض المحقّقين: ماله خمس سنين ودخل في السّادسة. (٦: ٢١٢)

محمود شيت: ١ـ أ ـ بَدَنَ بَدْنًا، وبُدْنًا، وبُدُونًا: سَمِن وضخُم، فهو بادِن وهي بادِنةٌ، جمعه: بُدْن، وبُدَّن. وهي أيضًا بادِنٌ، جمعه: بُدَّن، وبَوادِن.

ب ـ بَدُنَ بَدانةً، وبَدانًا: بَدَن، فهو وهي بَدينٌ، جمعه: بُدُن.

ج ـ بَدَّنَ: بَدَن، وأَسَنّ وضعُف. وبَدَّنَ الحيوان: سمّنه، وضخّمه. وبدّن فلانًا: ألبسه دِرْعًا.

د ـ البَدَن: ماسوى الرّأس والأطراف من الجسم، والدِّرع، أو القصيرة من الدّروع، جمعه: أبدان.

هـ ـ البَدَنة: ناقة أو بقرة تُنحر بمكّة قربانًا، وكانوا يُسمّونها لذلك. جمعه: بُدُنٌ، وبُدْنٌ.

٢ـ بَدَن السّلاح: السّبطانة وماحولها من الأقسام الرّئيسة الّتي لاتُفكّك، والعَجلة أو الدّبّابة أو الطّائرة: قسمها الأكبر ماعدا الدّواليب في العجلات، والأجنحة في الطّائرات. (١: ٧٥)

المُصْطَفَويّ: والظّاهر أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة هو الضّخامة والسّمن، ثمّ استعملت في بَدَن الإنسان غير اليدين والرّجلين والرّأس لضخامته، وهكذا أُطلقت على الإبل باعتبار مايتراءى من ضخامة بدنه، فصارت حقيقة ثانويّة فيها.

البَدَن: في بَدَن الإنسان، والبَدَنة: في الإبل المُهداة للبيت الحرام، والتّبدين: جعله ضخمًا وبدينًا.

وقراءة «فإنّي قد بدّنْتُ» بالتّشديد، غير صحيح، والصّحيح كما في مقاييس اللّغة «بَدُنْتُ» أي كبِرت وأسنَنْتُ أو سَمِنت.

واستعمالها في الكبير، والمُسِنّ، والوَعِل، والدِّرْع: مجاز بمناسبة السّمن.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ الحجّ: ٣٦، جمع «بَدَنة»، ولايبعد شمولها على البقر أيضًا.

والبَدَنة في أصل اللّغة: مفرد البَدَن كالخشبة والخشب، إلّا أنّ كلمة «البَدَنة» بخصوصها قد استعملت في الجَمَل والبقر المُهداة في الحجّ، ولايجوز التّجاوز عنها. (١: ٢١٨)

النُّصوص التّفسيريّة

بِبَدَنِكَ

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً...﴾ يونس: ٩٢

ابن عَبّاس: لمّا جاوز موسى البحر بجميع من معه، التقى البحر عليهم، يعني على فرعون وقومه، فأغرقهم، فقال أصحاب موسى: إنّا نخاف أن لايكون فرعون غَرِق، ولانُؤمن بهلاكه. فدعا ربّه فأخرجه، فنبذه البحر حتّى استيقنوا بهلاكه. (الطّبَريّ ١١: ١٦٥)

نحوه قَتادَة (الطّبَريّ ١١: ١٦٥)، وابن جُرَيْج (الطّبَريّ ١١: ١٦٦).

كانت عليه درع من ذهب يُعرف بها. (الطّبْرِسيّ ٣: ١٣٢)

نحوه أبوصخر. (ابن كثير ٣: ٥٢٦)

مُجاهِد : بجسدك. (الطَّبَريّ ١١: ١٦٥)

مثله ابن قُتَيْبَة. (١٩٩)

الحسَن : بجسم لاروح فيه. (ابن كثير ٣: ٥٢٦)

أبوعُبَيْدَة : أي نُلقيك بنجوة من الأرض، وعليك بَدَنُك، أي دِرْعُك، لتُعرَف بها. (ابن دُرَيْد ١: ٢٤٨)

ابن الأعرابيّ : نُنجّيك بِدرْعك، وذلك أنّهم شكّوا في غرقه، فأمر الله البحر أن يقذفه على دكّة في البحر ببَدنه، أي بدِرْعه، فاستيقنوا حينئذ أنّه قد غرِق. (الأزهَريّ ١٤: ١٤٣)

الطَّبَريّ : يقول تعالى ذكره لفرعون: فاليوم نجعلك على نَجْوة من الأرض ببدَنك، ينظر إليك هالكًا من كذّب بهلاكك. (١١: ١٦٤)

فإن قال قائل: وماوجه قوله: (بِبَدَنِكَ) وهل يجوز أن يُنجّيه بغير بدنه، فيحتاج الكلام إلى أن يقال فيه: (بِبَدَنِكَ)؟

قيل: كان جائزًا أن يُنجّيه بهيئته حيًّا، كما دخل البحر، فلمّا كان جائزًا ذلك، قيل: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ ليعلم أنّه يُنجّيه بالبدن، بغير روح، ولكن ميّتًا. (١١: ١٦٦)

الزّجّاج : نُلقيك عريانًا، وقيل: نُلقيك على نَجْوة من الأرض، وإنّما كان ذلك آيةً، لأنّه كان يدّعي أنّه إله، وكان يعبده قومه، فبيّن الله أمره وأنّه عَبْدٌ. (٣: ٣٢)

الماوَرْديّ : فيه وجهان:

أحدهما: يعني بجسدك من غير روح، قاله مُجاهِد.

الثّاني: بدِرْعك، وكان له درع من حديد يُعرَف بها، قاله أبوصخر. وكان من تخلّف من قوم فرعون ينكر غرقه. (٢: ٤٤٩)

الطُّوسيّ : معنى قوله: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ نُلقيك على نَجْوة من الأرض ببدنك عريانًا دون روحك. [ثمّ استشهد بشعر]

البدن: مسكن روح الحيوان على صورته، وكلّ حيوان فله روح وبدن، والحيّ في الحقيقة: الرّوح دون البدن عند قوم، وفيه خلاف. (٥: ٤٩١)

الزّمَخْشَريّ : (بِبَدَنِك) في موضع الحال، أي في الحال الّتي لاروح فيك، وإنّما أنت بدن، أو ببدنك كاملًا سويًّا، لم ينقص منه شيء ولم يتغيّر، أو عريانًا لست إلّا بَدنًا، من غير لباس، أو بدِرْعك. [ثمّ استشهد بشعر]

وكانت له درع من ذهب يُعرف بها.

وقرأ أبوحنيفة رضي الله عنه (بِأَبْدَانِكَ) وهو على وجهين: إمّا أن يكون مثل قولهم: هوى بأجرامه، يعني ببدنك كلّه وافيًا بأجزائه، أو يريد بدروعك، كأنّه كان مُظاهرًا بينها. (٢: ٢٥٢)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٤٥٧)، والنّسَفيّ (٢: ١٧٥)، والشّربينيّ (٢: ٣٦)، وشُبَّر (٣: ١٨٥).

ابن عَطيّة : قالت فرقة: معنى (بِبَدَنِك) بدِرْعك، وقالت فرقة: معناه بشخصك.

وقرأت فرقة (بِنِدَائِكَ) أي بقولك. (٣: ١٤٢)

الطَّبْرِسيّ : اختلف في معناه، فقال أكثر المفسّرين: معناه لمّا أغرق الله فرعون وقومه، أنكر بعض بني إسرائيل غرق فرعون، وقالوا: هو أعظم شأنًا من أن يُغرق، فأخرجه الله حتّى رأوه، فذلك قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي نُلقيك على نَجْوة من

الأرض، وهي المكان المرتفع (بِبَدَنِكَ) أي بجسدك من غير روح، وذلك أنّه طفا عريانًا.

وقيل: معناه نخلّصك من البحر وأنت ميّت، والبدن: الدّرْع. قال ابن عبّاس: كانت عليه دِرْع من ذهب يُعرف بها.

فالمعنى نرفعك فوق الماء بدِرْعك المشهورة، ليعرفوك بها. (٣: ١٣١)

نحوه الخازن. (٣: ١٧١)

الفَخْر الرّازيّ: فيه وجوه:

الأوّل: أنّه في موضع الحال، أي في الحال الّتي كنت بدنًا محضًا من غير روح.

الثّاني: المراد ننجّيك ببدنك كاملًا سويًّا لم تتغيّر.

الثّالث: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي نخرجك من البحر عريانًا من غير لباس.

الرّابع: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي بدِرْعك.

(١٧: ١٥٧)

نحوه النّيسابوريّ. (١١: ١١٣)

القُرطُبيّ: أي نُلقيك على نَجْوة من الأرض. وذلك أنّ بني إسرائيل لم يُصدّقوا أنّ فرعون غَرِق، وقالوا: هو أعظم شأنًا من ذلك. فألقاه الله على نَجْوة من الأرض، أي مكان مرتفع من البحر حتّى شاهدوه. [ثمّ استشهد بشعر]

وقرأ اليزيديّ وابن السَّمَيْقَع: (نُنَحِّيك) بالحاء من التّنحية، وحكاها علقمة عن ابن مسعود، أي تكون على ناحية من البحر.

قال ابن جُرَيْج: فرمَى به على ساحل البحر حتّى رآه بنو إسرائيل، وكان قصيرًا أحْمَر، كأنّه ثور.

وحكى علقمة عن عبدالله: أنّه قرأ (بِندَائِكَ) من النّداء.

قال أبوبكر الأنباريّ: وليس بمخالف لهجاء مُصحفنا، إذ سبيله أن يكتب بياء وكاف بعد الدّال، لأنّ الألف تسقط من «ندائك» في ترتيب خطّ المُصحف، كما سقط من الظّلمات والسّماوات، فإذا وقع بها الحذف استوى هجاء بدنك وندائك.

على أنّ هذه القراءة مرغوب عنها لشذوذها، وخلافها ماعليه عامّة المسلمين، والقراءة سنّة يأخذها آخر عن أوّل، وفي معناه نقص عن تأويل قراءتنا؛ إذ ليس فيها للدّرع ذكر، الّذي تتابعت الآثار بأنّ بني إسرائيل اختلفوا في غرق فرعون، وسألوا الله تعالى أن يريهم إيّاه غريقًا، فألقوه على نَجْوة من الأرض ببدنه، وهو درعه الّتي يلبسها في الحروب. [إلى أن قال:]

قال الأخْفَش: وأمّا قول من قال: بدِرْعك، فليس بشيء.

قال أبوبكر: لأنّهم لمّا ضرعوا إلى الله يسألونه مشاهدة فرعون غريقًا أبرزه لهم، فرأوا جسدًا لاروح فيه، فلمّا رأته بنو إسرائيل قالوا: نعم ياموسى، هذا فرعون وقد غرق، فخرج الشّكّ من قلوبهم، وابتلع البحر فرعون كما كان.

فعلى هذا ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ احتمل معنيين: أحدهما: نُلقيك على نَجْوة من الأرض، والثّاني: نظهر جسدك الّذي لاروح فيه.

والقراءة الشّاذّة (بِندائِكَ) يرجع معناها إلى معنى

قراءة الجماعة، لأنّ «النّداء» يُفسّر تفسيرين:

أحدهما: نلقيك بصياحك بكلمة التّوبة ـ وقولك بعد أن أغلق بابها ومضى وقت قبولها: ﴿آمَنْتُ اَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو اِسْرَائِيلَ وَاَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يونس: ٩٠ ـ على موضع رفيع.

والآخر: فاليوم نعزلك عن غامض البحر بندائك، لمّا قلت: ﴿اَنَا رَبُّكُمُ الْاَعْلٰى﴾ النّازعات: ٢٤، فكانت تنجيته بالبدن معاقبة من ربّ العالمين له، على مافرّط من كفره الّذي منه نداؤه الّذي افترى فيه وبهت، وادّعى القدرة والأمر الّذي يعلم أنّه كاذب فيه وعاجز عنه وغير مستحقّ له.

قال أبوبكر الأنباريّ: فقراءتنا تتضمّن مافي القراءة الشّاذّة من المعاني، وتزيد عليها. (٨: ٣٧٩)

أبوحيّان: قيل: معنى (بِبَدَنِكَ): بصورتك الّتي تُعرف بها، وكان قصيرًا أشقر أزرق، قريب اللّحية من القامة، ولم يكن في بني إسرائيل شبيه له، يعرفونه بصورته.

و(بِبَدَنِكَ) إذا عني به الجثّة تأكيد، كما تقول: قال فلان بلسانه وجاء بنفسه. [إلى أن قال:]

قرأ ابن مسعود وابن السّميقع (بندائك) مكان (بِبَدَنِكَ)، أي بدعائك، أي بقولك: آمنت إلى آخره، لنجعلك آية مع ندائك الّذي لاينفع، أو بما ناديت به في قومك.

ونادى فرعون في قومه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادٰى * فَقَالَ اَنَا رَبُّكُمُ الْاَعْلٰى﴾ النّازعات: ٢٣، ٢٤، و﴿يَا اَيُّهَا الْمَلَاُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرِي﴾ القصص: ٣٨.

ولمّا كذّبت بنو إسرائيل بغرق فرعون رمى به البحر على ساحله، حتّى رأوه قصيرًا أحمر كأنّه ثور.

(لِمَنْ خَلْفَكَ) لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل، وكان في أنفسهم أنّ فرعون أعظم شأنًا من أن يُغرق، وكان مطرحه على ممرّ بني إسرائيل، حتّى قيل لمن خلفك: آية. (٥: ١٨٩)

السّيوطيّ: ومن بدائع القرآن ماتسمّى مرشّحة، ومنها: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ على تفسيره بالدّرع، فإنّ «البدن» يُطلق عليه وعلى الجسد، والمراد: البعيد، وهو الجسد. (٣: ٢٨٦)

أبوالسّعود: (بِبَدَنِكَ) في موضع الحال من ضمير المخاطب، أي ننجّيك ملابسًا ببدنك فقط، لامع روحك، كما هو مطلوبك. فهو تخييب له وتهكّم لأطماعه بالمرّة، أو عاريًا عن اللّباس، أو كاملًا سويًّا، أو بدرعك. وكانت له درع من الذّهب يُعرف بها.

وقُرئ (بِأَبْدَانِكَ) أي بأجزاء بدنك كلّها، كقولهم: هوى بأجرامه. أو بدروعك، كأنّه كان مظاهرًا بينها.

(٣: ٢٧٢)

نحوه البُرُوسَويّ. (٤: ٧٧)

رَشيد رضا: إنّ الحكمة بذكر «البَدَن» أنّه يخرج جسده سالمًا ليُعرَف.

وقيل: إنّ المراد بالبدَن: الدّرع، فهو من أسمائها في اللّغة.

وإنّما محلّ العبرة أن يلفظه البحر ببدَنه ليُعرف، فيعتبر بنو إسرائيل الّذين قيل: إنّهم شكّوا في غرقه، ويعتبر القبط الّذين عبدوه، ولذلك قيل: إنّ درعه كانت

معروفة وإنّها من الذّهب، أو كان له فوق درع الزّرد درع أُخرى من الذّهب. ولكنّ الدّروع تقتضي رسوب الغريق في البحر، إلّا أن يجرفه الموج. (١١: ٤٧٧)

النّهاونديّ: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ ونتقذك من البحر ﴿بِبَدَنِكَ﴾ وجثّتك بعد موتك، ونُلقي جيفتك الخبيثة على نجوة من الأرض ليتيقّن بنو إسرائيل بعد رؤيتك هالكًا، بإنجاز الله وعده إيّاهم بهلاكك. (٢: ٢٠٢)

الطَّباطَبائيّ: تنجيته ببدنه تدلّ على أنّ له أمرًا آخر وراء البدن، فقده بدنه بغشيان العذاب، وهو النّفس الّتي تسمّى أيضًا روحًا.

وهذه النّفس المأخوذة هي الّتي يتوفّاها الله، ويأخذها حين موتها، كما قال تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الزّمر: ٤٢، وقال: ﴿قُلْ يَتَوَفّيكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ السّجدة: ١١.

وهي الّتي يخبر عنها الإنسان بقوله: «أنا»، وهي الّتي بها تتحقّق للإنسان إنسانيّته، وهي الّتي تُدرك وتُريد وتفعل الأفعال الإنسانيّة بواسطة البدن، بماله من القوى والأعضاء المادّيّة. وليس للبدن إلّا أنّه آلة وأداة، تعمل بها النّفس أعمالها المادّيّة.

ولمكان الاتّحاد الّذي بينها وبين البدن يسمّى باسمها البدن، وإلّا فأسماء الأشخاص في الحقيقة لنفوسهم لا لأبدانهم، وناهيك في ذلك التّغيّر المستمرّ الّذي يعرض البدن مدّة الحياة، والتّبدّل الطّبيعي الّذي يطرأ عليه حينًا بعد حين، حتّى ربّما تبدّل البدن بجميع أجزائه إلى أجزاء أُخر تتركّب بدنًا آخر.

فلو كان زيد هو البدن الّذي ولدته أُمّه يوم ولدته، والاسم له، لكان غيره وهو ذوسبعين وثمانين، قطعًا، والاسم لغيره حتمًا. ولم يُثب ولم يعاقب الإنسان، وهو شائب على ماعمله وهو شابّ، لأنّ الطّاعة والمعصية لغيره.

فهذه وأمثالها شواهد قطعيّة على أنّ إنسانيّة الإنسان بنفسه دون بدنه، والأسماء للنّفوس لا للأبدان، يُدركها الإنسان ويعرفها إجمالًا وإن كان ربّما أنكرها في مقام التّفصيل.

وبالجملة فالآية ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ كالصّريح، أو هو صريح في أنّ النّفوس وراء الأبدان، وأنّ الأسماء للنّفوس دون الأبدان، إلّا مايطلق على الأبدان بعناية الاتّحاد.

فمعنى ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ نخرج بدنك من اليمّ وننجّيه، وهو نوع من تنجيتك ـ لما بين النّفس والبدن من الاتّحاد القاضي بكون العمل الواقع على أحدهما واقعًا بنحو على الآخر ـ لتكون لمن خلفك آية.

وهذا بوجه نظير قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ طٰهٰ: ٥٥، فإنّ الّذي يعاد إلى الأرض هو جسد الإنسان دون الإنسان التّامّ، فليست نسبة الإعادة إلى الإنسان إلّا لما بين نفسه وبدنه من الاتّحاد.

وقد ذكر المفسّرون أنّ الإنجاء والتّنجية لمّا كان دالًّا بلفظه على سلامة الّذي أُنجي إنجاء، كان مفاد قوله: (نُنَجّيكَ) أن يكون فرعون خارجًا من اليمّ حيًّا، وقد أخرجه الله ميّتًا، فالمتعيّن أخذ قوله: (نُنَجّيكَ) من النّجوة ـ وهي الأرض المرتفعة الّتي لايعلوها السّيل ـ والمعنى اليوم نخرج بدنك إلى نجوة من الأرض.

وربّما قال بعضهم: إنّ المراد بـالبَدن: الدّرع، وقـد كان لفرعون درع من ذهب يُعرف به، فأخرجه الله فوق الماء بدرعه، ليكون لمن خلفه آية وعبرة.

وربّما قال بعضهم: إنّ التّعبير بالتّنجية تهكّم به.

والحقّ أنّ هذا كلّه تكلّف لاحاجه إليه، ولم يـقل: (نُـنجّيك)، وإنّما قيل: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾، ومعناه: ننجّي بَدنك، والباء للآليّـة أو السّببيّة، والعناية هي الاتّحـاد الّذي بين النّفس والبدن.

على أنّ جعل ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ بمعنى: نجعلك على نَجْوة من الأرض، لايفي بدفع الإشكال من أصله، فإنّ الّذي جُعل على نَجْوة هو بدن فرعون على قولهم، وهو غير فرعون قطعًا، وإلّا كان حيًّا سالمًا، ولامناص إلّا أن يقال: إنّ ذلك بعناية الاتّحاد الّذي بين الإنسان وبَدَنه، ولو صُحّحت هذه العناية: إطلاق اسم الإنسان على بَدَنه من غير نفس، لكان لها أن تصحّح نسبة التّنجية إلى الإنسان من جهة وقوع التّنجية بـبدنه، وخـاصّة مـع وجود القرينة الدّالّة على أنّ المراد بالتّنجية: هـي الّـتي للبَدن، دون الّتي للإنسان المستتبع لحفظ حياته وسلامته نفسًا وبدنًا، والقرينة هي قوله: (بِبَدَنِكَ). (١٠: ١١٨)

المُصْطَفَويّ: هذه الجملة في مقام العقوبة والأخذ بعد الخطاب بقوله: ﴿آلْـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْـمُـفْسِدِينَ﴾ يونس: ٩١، فلاينفع التّوجّه والتّوبة في حال الاضطرار وبعد شمول العذاب، ففي هذا اليوم نخلّص ونُخرج بدنك مـن ورطـة العـذاب، ونجـعله في مـرأى النّاس، آية من الله تعالى، وعبرةً للـنّاظرين. فكـلمة (بِبَدَنِكَ) بدل عن الضّمير، بدل الجزء عن الكلّ، وحرف الباء للتّأكيد. (١: ٢١٩)

البُدْنَ

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ...﴾ الحجّ: ٣٦

ابن عمر: البَدَنة: ذات البَدَن من الإبل والبقر.

البَدَنة: ذات الخُفّ. (الدّرّ المنثور ٤: ٣٦٠)

ابن المُسَيّب: البعير والبقرة.

(الدّرّ المنثور ٤: ٣٦١)

مثله عَطاء (الطَّبَريّ ١٧: ١٦٣)، والحسَن (ابن كثير ٤: ٦٤٢).

مُجاهِد: ليس البُدْن إلّا من الإبل.

(الدّرّ المنثور ٤: ٣٦٠)

إنّما سمّيت البُدْن من قبل السّمانة.

(الدّرّ المنثور ٤: ٣٦١)

الحسَن: البُدْن من البقر. (الدّرّ المنثور ٤: ٣٦١)

عَطاء: النّاقة والبقر ممّا يجوز في الهَدي والأضاحيّ.

(الطَّبْرِسيّ ٤: ٨٦)

الطَّبَريّ: هي جمع بَدَنة، وقد يقال لواحدها: بَدَن. وإذا قيل: بَدَن، احتمل أن يكون جمعًا وواحدًا، يـدلّ على أنّه قد يقال ذلك للواحد قول الرّاجز. [ثمّ استشهد بشعره]

(وَالْبُدْنَ): هو الضّخم من كلّ شيء، ولذلك قـيل لامرئ‌القَيْس بن النّعمان، صاحب الخورنق والسّـدير: البُدْن: لضخمه واسترخاء لحمه، فإنّه يقال: قـد بَـدّنَ تبدينًا.

فمعنى الكلام: والإبل العـظام الأجسـام الضّخام،

جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله؛ يقول: من أعلام أمر الله الّذي أمركم به في مناسك حجّكم، إذا قلّدتموها وجلّلتموها وأشعرتموها علم بذلك، وشعر أنّكم فعلتم ذلك من الإبل والبقر. (١٧: ١٦٢)

الزّجّاج: النّصب أحسن، لأنّ قبله فعلًا، المعنى: وجعلنا البُدْنَ، فنُصب بفعل مضمر، الّذي ظهر يُفسّره، وإن شئت رفعت على الاستئناف. (وَالْبُدْنَ) ـ بتسكين الدّال وضمّها ـ بَدَنَةٌ وبُدْنٌ، وبُدُنٌ، مثل قوله: ثَمَرَةٌ وثُمْرٌ وثُمُرٌ. وإنّما سمّيت «بَدَنة» لأنّها تَبْدن، أي تَسْمَن. [إلى أن قال:]

(وَالْبُدْنَ) قيل: إنّها الإبل خاصّة، وقيل: إنّها الإبل والبقر، ولاأعلم أحدًا قال: إنّ الشّاء داخلة فيها.

فأمّا من قال: إنّها الإبل والبقر فهم أكبر فقهاء الأمصار، ولكنّ الاستعمال في السّياقة إلى البيت: الإبل، فلذلك قال من قال: إنّها الإبل. (٣: ٤٢٧ ـ ٤٢٩)

السّجستانيّ: بُدْن: جمع بَدَنة، وهي ما جُعل في الأضحى للنّحر والنّذر وأشباه ذلك، فإذا كانت للنّحر على كلّ حال فهي جَزُور. (١٢٨)

القَيْسيّ: هو جمع بَدَن، مثل وَثَن ووُثْن، يقال للواحدة: بَدَنة، وبَدَن.

وقيل: هو جمع بَدَنة، مثل: خشَبة وخُشْب. ويجوز ضمّ الثّاني على هذا القول، وبه قرأ ابن أبي إسحاق (وَالْبُدُنَ).

والإسكان أحسن، لأنّه في الأصل نعت، إذ هو مشتقّ من فعل وهو البدانة، وليس مثل خشبة وخُشُب، لأنّ خشَبة اسم، والضّمّ في خُشُب أحسن. (٢: ٩٩)

الطّوسيّ: نصب (الْبُدْنَ) بفعل مضمر، يدلّ عليه (جَعَلْنَاهَا) ومثله ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ...﴾ يس: ٣٩، فيمن نصب القمر. [إلى أن قال:]

وقيل: البَدَنة إذا نُحرت عُلّقت يدٌ واحدة، فكانت على ثلاث، وكذلك تنحر، وعند أصحابنا تُشدّ يداها إلى إبطيها، وتُطلق رجلاها. والبقر تُشدّ يداها ورجلاها، ويُطلق ذنبها، والغنم تُشدّ يداها ورِجْل واحدة، وتُطلق الرّجل الأُخرى. (٧: ٣١٧)

البَغَويّ: (الْبُدْنَ): جمع بَدَنة، سمّيت بَدَنة لعظمها وضخامتها، يريد الإبل العظام الصّحاح الأجسام. (٣: ٣٤٠)

المَيْبُديّ: جمع بَدنة كخشَبة وخُشْب، وأصله الضّمّ ثمّ خفّف، وقيل: بادِن وبُدْن، كفارِه وفُرْه. وأصلها من الضّخامة، يقال: بَدُن بَدانة، إذا ضخم ضخامة. (وَالْبُدْنَ): الإبل. (٦: ٣٦٨)

الزّمَخْشَريّ: جمع بَدَنة، سمّيت لعظم بدنها، وهي الإبل خاصّة، ولأنّ رسول الله ﷺ ألحق البقر بالإبل، حين قال: «البَدَنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة»، فجعل البقر في حكم الإبل.

صارت البَدَنة في الشّريعة متناولة للجنسين، عند أبي حَنيفة وأصحابه، وإلّا فالبُدْن هي الإبل، وعليه تدلّ الآية.

وقرأ الحسن (وَالْبُدُن) بضمّتين، كثُمُر في جمع ثَمَرة، وابن أبي إسحاق بالضّمّتين وتشديد النّون على لفظ الوقف. وقُرئ بالنّصب والرّفع كقوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ...﴾. (٣: ١٤)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٩٢)، وابن كثير (٤: ٦٤٢)، وأبوالسُّعود (٤: ٣٨٠).

الطَّبْرِسيّ: (وَالْبُدْنَ) وهي الإبل العظام. (٤: ٨٦)

الفَخْر الرّازيّ: [قال مثل الزَّمَخْشَريّ وأضاف:]

إذا قال: لله عليّ بَدَنة، هل يجوز له نحرها في غير مكّة؟

قال أبوحنيفة ومحمّد رحمهما الله: يجوز، وقال أبويوسف ﷺ: لايجوز إلّا بمكّة. واتّفقوا فيمن نذر هَدْيًا أنّ عليه ذبحه بمكّة.

ولو قال: لله عليّ جَزُور، أنّه يذبحه حيث شاء.

وقال أبوحنيفة ﷺ: البَدَنة بمنزلة الجزور، فوجب أن يجوز له نحرها حيث يشاء، بخلاف الهَدْي فإنّه تعالى قال: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ المائدة: ٩٥، فجعل بلوغ الكعبة من صفة الهَدْي.

واحتجّ أبويوسف ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ فكان اسم البَدَنة يفيد كونها قربة، فكان كاسم الهَدْي.

أجاب أبوحنيفة ﷺ بأنّه ليس كلّ ماكان ذبحه قربة، اختصّ بالحرم، فإنّ الأُضحيّة قربة، وهي جائزة في سائر الأماكن. (٢٣: ٣٥)

نحوه النَّيسابوريّ. (١٧: ٩٩)

القُرطُبيّ: (والبُدْنَ) وقرأ ابن أبي إسحاق: (وَالْبُدُنَ) لغتان: واحدتها بَدَنة. كما يقال: ثَمَرة وثُمُرة وثُمْر، وخشَبة وخُشُب وخُشْب. وفي التّنزيل: ﴿وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ﴾[1] الكهف: ٣٤، وقرئ (ثُمْرٌ) لغتان. وسمّيت بَدَنة لأنّها تَبْدُن، والبَدانة السِّمن. وقيل: إنّ هذا الاسم خاصّ بالإبل. وقيل: البُدْن: جمع بَدَن بفتح الباء والدّال.

ويقال: بَدُن الرّجل بضمّ الدّال، إذا سمِن، وبدّن بتشديدها، إذا كبِر وأسنّ. وفي الحديث: «إنّي قد بَدّنتُ» أي كبِرت وأسننتُ. «وروي «بَدُنتُ» وليس له معنى، لأنّه خلاف صفته ﷺ، ومعناه كثرة اللّحم. يقال: بَدُنَ الرّجل يَبْدُنُ بُدْنًا وبَدانة فهو بادن، أي ضخم.

اختلف العلماء في (البُدْن) هل تُطلق على غير الإبل من البقر أم لا؟

فقال ابن مَسعود وعَطاء والشّافعيّ: لا، وقال مالك وأبو حنيفة: نعم.

وفائدة الخلاف فيمن نذَر بَدَنةً فلم يجد البَدَنة، أو لم يقدر عليها، وقدر على البقرة، فهل تُجزئه أم لا؟

فعلى مذهب الشّافعيّ وعَطاء لاتُجزئه، وعلى مذهب مالك تُجزئه.

والصّحيح ماذهب إليه الشّافعيّ وعَطاء، لقوله ﷺ في الحديث الصّحيح، في يوم الجمعة: «من راح في السّاعة الأُولى فكأنّما قرّب بَدَنة، ومن راح في السّاعة الثّانية فكأنّما قرّب بقرة» الحديث.

فتفريقه ﷺ بين البقرة والبَدَنة يدلّ على أنّ البقرة لايقال عليها: بَدَنة، والله أعلم. وأيضًا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ الحجّ: ٣٦، يدلّ على ذلك، فإنّ الوصف خاصّ بالإبل. والبقر يضجع ويُذبح كالغنم، على مايأتي.

ودليلنا أنّ البَدَنة مأخوذة من «البدانة» وهو الضّخامة، والضّخامة توجد فيهما جميعًا. وأيضًا فإنّ

---

(١) والقراءة المشهورة: ثَمَرٌ.

البقرة في التّقرّب إلى الله تعالى بإراقة الدّم بمنزلة الإبل، حتّى تجوز البقرة في الضّحايا عن سبعة كالإبل.

وهذا حجّة لأبي حنيفة حيث وافقه الشّافعيّ على ذلك، وليس ذلك في مذهبنا.

حكى ابن شجرة أنّه يقال في الغنم: بَدَنة، وهو قول شاذّ. والبُدْن هي الإبل الّتي تُهدى إلى الكعبة، والهَدْي عامّ في الإبل والبقر والغنم. (١٢: ٦٠)

البُرُوسَويّ: منصوب بمضمر يُفسّره مابعده، كقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ﴾ يس: ٣٩، جمع بَدَنة، وهي الإبل والبقر، ممّا يجوز في الهَدْي والأضاحيّ، سمّيت بها لعظم بَدَنها. (٦: ٣٥)

الآلوسيّ: أي من أعلام دينه الّتي شرّعها الله تعالى. (والبُدْن) جمع بدنة، وهي كما قال الجوهريّ: ناقة أو بقرة تُنحر بمكّة.

وسمّيت بذلك لعظم بَدَنها، لأنّهم كانوا يُسمّنونها، ثمّ يهدونها. وكونها من النّوعين قول معظم أئمّة اللّغة، وهو مذهب الحنفيّة. فلو نذر نحر بَدَنة، يجزئه نَحْر بقرة عندهم، وهو قول عَطاء وسَعيد بن المُسيّب.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: لاتَعلم البُدْن إلّا من الإبل والبقر.

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه: كنّا ننحر البَدَنة عن سبعة، فقيل: والبقرة؟ فقال: وهل هي إلّا من البُدْن.

وقال صاحب «البارع» من اللّغويّين: إنّها لاتُطلق على مايكون من البقر، وروي ذلك عن مُجاهِد، والحسَن، وهو مذهب الشّافعيّة.

فلايجزئ عندهم مَن نذَر نَحْر بدنةٍ نَحْر بقرةٍ، وأُيّد بما رواه أبوداود عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «البَدَنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة» فإنّ العطف يقتضي المغايرة، وفيما يأتي آخرًا تأييد لذلك أيضًا.

والظّاهر أنّ استعمال «البَدَنة» فيما يكون من الإبل أكثر، وإن كان أمر الإجزاء متّحدًا.

ولعلّ مراد جابر بقوله في البقرة: «وهل هي إلّا من البُدْن» أنّ حكمها حكمها، وإلّا فيبعد جهل السّائل بالمدلول اللّغويّ ليردّ عليه بذلك.

ويمكن أن يقال فيما روي عن ابن عمر: أنّ مراده بـ «البُدْن» فيه البُدْن الشّرعيّة، ولعلّه إذا قيل باشتراكها بين مايكون من النّوعين، يحكم العُرف أو نحوه في التّعيين فيما إذا نذَر الشّخص بَدَنة.

ويُشير إلى ذلك ماأخرجه ابن أبي شَيْبة، وعبد بن حميد عن يعقوب الرّياحيّ عن أبيه قال: أوصى إليّ رجل، وأوصى ببَدَنة، فأتيت ابن عبّاس فقلت له: إنّ رجلًا أوصى إليّ وأوصى ببَدَنة، فهل تجزئ عنّي بقرة؟ قال: نعم.

ثمّ قال: ممّن صاحبكم؟ فقلت: من رياح.

قال: ومتى اقتنى بنو رياح البقر إلى الإبل وهم صاحبكم؟ إنّما البقر لأسد، وعبد القَيْس. فتدبّر.

وقرأ الحسَن وابن أبي إسحاق وشَيْبة وعيسى (البُدُن) بضمّ الباء والدّال. قيل: وهو الأصل كخُشُب وخشْبة، وإسكان الدّال تخفيف منه، ورويت هذه القراءة عن نافع وأبي جعفر.

وقرأ ابن أبي إسحاق أيضًا بضمّ الباء والدّال وتشديد النّون، فاحتمل أن يكون اسمًا مفردًا بُني على

«فُعُلّ» كعُتُلّ، واحتمل أن يكون التّشديد من التّضعيف الجائز في الوقف، وأُجري الوصل مجرى الوقف.

والجمهور على نصب (البُدْن) على الاشتغال، أي وجعلنا البُدْنَ جعلناها، وقرئ بالرّفع على الابتداء. (١٧: ١٥٥)

نحوه عزّة دَرْوَزَة (٧: ١٠٠)، وعبد الكريم الخَطيب (٨: ١٠٣٩)

سيّد قطب: ويخصّ (البُدْن) بالذّكر، لأنّها أعظم الهَدْي، فيقرّر أنّ الله أراد بها الخير لهم، فجعل فيها خيرًا، وهي حيّة تُركب وتُحلب، وهي ذبيحة تُهدى وتُطعم، فجزاء ماجعلها الله خيرًا لهم أن يذكروا اسم الله عليها، ويتوجّهوا بها إليه، وهي تُهيّأ للنّحر. (٤: ٢٤٢٣)

الطَّباطَبائيّ: (البُدْن) بالضّمّ فالسّكون: جمع بَدَنَة بفتحتين، وهي السّمينة الضّخمة من الإبل. والسّياق أنّها من الشّعائر باعتبار جعلها هديًا. (١٤: ٣٧٥)

المُصْطَفَويّ: (البُدْن): جمع بَدَنة، ولايبعد شمولها على البقر أيضًا. والبَدَنة في أصل اللُّغة: مفرد البَدَن، كخشَبة والخشَب، إلّا أنّ كلمة البَدَنة ـ بخصوصها ـ قد استعملت في الجَمَل والبَقر المُهداة في الحجّ، ولايجوز التّجاوز عنها. (١: ٢١٩)

الوُجوه والنّظائر

الدّامغانيّ: البُدْن على وجهين: الجسَد، والبدَن.

فوجه منها: البُدْن هو الجسَد، قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ يونس: ٩٢، أي بجسدك.

والوجه الثّاني: البُدْن يعني البَدَنة، قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ الحجّ: ٣٦. (١٦٧)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة البَدَن، وهو جسم الإنسان دون الرّأس والأطراف، ثمّ قيل لعضو الجزور: بَدَن، والجمع: أبدان، يقال: إنّها لحسنة الأبدان. وأُطلق على مايُنحر في مكّة من ناقة أو بعير أو بقرة: بَدَنَة، والجمع: بُدْن وبُدُن، لعظم أبدانها

ومنه: بَدَنَ الرّجل يَبْدُنُ بُدْنًا، وبَدُنَ يَبْدُنُ بَدانةً: سَمِن، فهو بادِن وبَدِين، والجمع: بُدْن، وبُدَّن.

ومن المجاز: بَدَّنَ الرّجل تبدينًا: أسنّ، فهو مُبَدِّن، ورجل بَدَنٌ: مُسنّ.

والبَدَن: الوَعِل المُسنّ، والدّرع القصيرة.

٢ـ لم يرد من تقاليب حروف هذه المادّة في العربيّة سوى «ن د ب»، أمّا ماجاء من «ب ن د» ـ وهو البند ـ فدخيل، كما قال الخليل. وهذا يعكس ضيق استعمال هذا التّركيب، وقلّة معانيه كماترى، ولم يرد شيء من مادّة «ب د ن» في سائر اللّغات السّاميّة، أخوات اللّغة العربيّة.

الاستعمال القرآنيّ

جاء لفظان من هذه المادّة في الآيتين:

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ اٰيَةً﴾ يونس: ٩٢

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ الحجّ: ٣٦

يلاحظ أوّلًا: أنّ لفظ (بِبَدَنِكَ) في الآية الأُولى يصلح أن يكون حالًا من (نُنَجِّيكَ)، فمعنى الآية ـ كما ذهب إلى ذلك أكثر المفسّرين ـ اليوم يافرعون نُنجّيك ملابسًا بدنك دون روحك، لتكون عبرةً للأجيال بعدك.

أمّا من فسّر «البَدَن» بالدّرع ـ كما ذهب إليه بعض المفسّرين ـ فلايستقيم له هذا المعنى.

ثانيًا: يرى الشّيخ الطّنطاويّ صاحب «الجواهر» أنّ التّنجية بالبدن في الآية، هو التّحنيط الّذي كان معروفًا عند قدماء المصريّين، إذ عُثر على موميا فرعون موسى المسمّى «مَنْفطَه» منذ سنين في جهات الوجه البحريّ، في مديريّة الشّرقيّة من مصر[1]. ولازال محفوظًا إلى يومنا هذا في القاعة العليا من المتحف القوميّ في القاهرة، ولمّا مررت عليه هناك تلا الدّليل هذه الآية المباركة ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾، ولاشكّ أنّه إخبار غيبيّ عن المستقبل.

وقيل: إنّ فرعون موسى هو «سيتي» الثّاني ابن «مَنْفطَه» وقد عُثر على جثّته منذ سنين أيضًا بطيبة[2].

ثالثًا: عدّ الله تعالى (البُدْن) في الآية الثّانية من شعائره، وبذا ساواها بالصّفا والمروة، لقوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ البقرة: ١٥٨، فناحر البُدْن كالسّاعي بين الصّفا والمروة، وكلاهما ذو تقوى، قال تعالى: ﴿ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الحجّ: ٣٢.

رابعًا: لمّا أتى القرآن على ذكر الشّعائر لم يتعرّض لمردودها على الإنسان، إلّا عند ذكر البُدْن والأنعام، وبيّن ذلك بلفظ (لَكُمْ فِيهَا) أو (لهم فيها)، ثمّ أردفها بلفظ (مَنَافِعُ) أو (دِفْءٌ) أو (خير)، كما في هذه الآية. وهذا يدلّ على منافع الأنعام وخيرها دُنيا وآخرة، وانحصار أثر سائر الشّعائر في الآخرة فقط.

(١) الجواهر (٦: ٨٣).

(٢) دائرة معارف القرن العشرين (٩: ٣٠).


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب د و

١٧ لفظًا، ٣١ مرّة: ١٢ مكّيّة، ١٩ مدنيّة

في ١٦ سورة: ٨ مكّيّة، ٨ مدنيّة

بَدَا ٩: ٥ ـ ١
بَدَتْ ٣: ٢ ـ ١
بادي ١: ١
الباد ١: ـ ١
بادُون ١: ـ ١
البَدْو ١: ١
لِيُبدِي ١: ١
يُبدِها ١: ١
مُبدِيه ١: ـ ١
يُبدون ١: ـ ١
لَتُبدِي ١: ١
يُبدِين ٢: ـ ٢
تُبدون ٣: ـ ٣
تُبدونها ١: ـ ١
تُبدوا ٤: ـ ٤
تُبدوه ١: ـ ١
تُبْدَ ٢: ـ ٢

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: بَدَا الشّيء يَبْدُو بَدْوًا وبُدُوًّا، أي ظهر، وبدأني فلان بكذا، وبدا له في هذا الأمر بَداءً وبَدْوًا.

والبادية: اسم للأرض الّتي لاحضَر فيها، أي لامحلّة فيها دائمة. فإذا خرجوا من الحضَر إلى المراعي والصّحارى قيل: بَدَوْا بَدْوًا.

ويقال: أهل البَدْو وأهل الحضَر.

والبَدَاء: يُكنّى عنه الفعل: أبدَى يُبدي. (٨: ٨٣)

الفَرّاء: يقال: أفعَل هذا بادِيَ بَديٍّ، كقولك: أوّل شيء، وكذلك بَدْأة ذي بَديٍّ. ومن كلام العرب: بادي بَديٍّ، بهذا المعنى إلّا أنّه لم يُهمز. (ابن منظور ١٤: ٦٧)

أبوزَيْد: البَداوة والحِضارة، بفتح الباء وكسر الحاء. (الأزهَريّ ١٤: ٢٠٣)

الأصمَعيّ: هي [البادية]، البِداوة والحَضارة، بكسر الباء وفتح الحاء. (الأزهَريّ ١٤: ٢٠٣)

اللِّحيانيّ: وبُداوة الأمر: أوّل مايبدو منه. (ابن منظور ١٤: ٦٥)

الدِّينَوريّ: بَدْوَتا الوادي: جانباه. (ابن منظور ١٤: ٦٨)

المُبَرِّد: تقول العرب: فلان بادٍ وفلان حاضر،

وفي الحديث: «ولا يبيعنّ حاضر لبادٍ»، وتأويل ذلك أنّ البادي يقْدُم، وقد عرف أسعار ما معه وما مقدار ربحه، فإذا جاءه الحاضر عرّفه سنّة البلد، فأغلى على النّاس. (١: ٣٩)

وقوله: أباديهم، يعني أُظهر لهم، غير مهموز، يقال: بَدا يَبْدو غير مهموز، إذا ظهر، وبَدأت بهذا مهموز، إذا أردت به معنى الأوّل. (١: ٣٨٧)

ابن دُرَيْد: البَدْو: خلاف الحضر. وبَدَوت أبْدو، إذا ظهرت. وبَدا لي الشّيء بَدْوًا وبُدُوًّا، إذا ظهر لك. وكلّ شيء ظهر لك فقد بَدا لك. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَـدا لي في الأمـر، إذا أضربت عنه، بَدْوًا وبَداءً. (١: ٢٤٩)

وبَديت بالشّيء وبَدوت به، إذا قدّمته، بالفتح والكسر في «بَديت» وهي لغة الأنصار. [ثمّ استشهد بشعر]

وبدا الرّجل يبدو، إذا نزل البادية.

وبَدَت بواد من فلان، أي ظهرت لنا ظواهر، والبَدِيَّة: موضع. (٣: ٢٠٢)

ابن الأنباريّ: في قولهم: أبو البَدَوات، معناه أبو الآراء الّتي تظهر له، وواحدة البَدَوات: بَداة، يقال: بَداة وبَدَوات، كما يقال: قَطاة وقَطَوات.

وكانت العرب تمدح بهذه اللّفظة، فيقولون للرّجل الحازم: ذو بَدَوات، أي ذو آراء تظهر له، فيختار بعضًا ويُسقط بعضًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَدا لي بَداءٌ، أي تغيّر رأيي على ما كان عليه.

ويقال: بَدا لي من أمرك بَداءٌ، أي ظهر لي.

(ابن منظور ١٤: ٦٦)

الأزهَريّ: ومن هذا [بَدا الشّيء يَبدُو بُدُوًّا، إذا ظهر] أُخذ ما يكتبه الكتّاب في أعقاب الكتب: وبَداءات عوارضتك على فَعالات، واحدتها: بَداءة، بوزن فَعالة تأنيث بَداء، أي ما يبدُو بُدُوًّا من عوارضك، وهذا مثل السّماء لما سما وعلاك من سقف أو غيره.

وبعضهم يقول: سَماوَة، ولو قيل: «بَدَوات» في بَداءات الحوائج كان جائزًا.

البادية: خلاف الحاضرة، والحاضرة: القوم الّذين يحضرون المياه، وينزلون عليها في حمراء القيظ، فإذا برد الزّمان ظعنوا عن أعداد المياه، وبدَوا طلبًا للقرب من الكلأ، فالقوم حينئذ بادية بعد ما كانوا حاضرة، وبادون بعد ما كانوا حاضرين، وهي مَباديهم: جمع مبدًى، وهي المناجع ضدّ المحاضر.

ويقال لهذه المواضع الّتي يتبدّى إليها البادون: بادية أيضًا، وهي البوادي والقوم أيضًا بواد، جمع بادية.

ويقال للرّجل إذا تغوّط وأحدث: قد أبدَى فهو مُبْدٍ. وقيل له: مُبدٍ، لأنّه إذا أحدث برز من البيوت، وهو متبرّز أيضًا.

قيل للبرّيّة: بادية، لأنّها ظاهرة بارزة، وقد بَدَوْتُ أنا وأبديت غيري، وكلّ شيء أظهرتَه فقد أبديته. (١٤: ٢٠٢)

الصّاحب: بَدَا الشّيء يَبْدُو بُدُوًّا: إذا ظهر. وباديتُه: جاهرتُه. ورَكيٌّ مُبدٍ: بارزٌ ماؤه، وبئر مُبْدِيَةٌ.

وبَدَّيْت فلانًا أُبَدِّيهِ برحيل أو جَرْيٍ، إذا قدَّمته.

وأبدَيْتَ في منطقك، إذا جُرْتَ.

والبَداء: اسم من بَدا يَبْدُو على وزن «العَلاء» وهو ذوبَدَوات، لأنّه يأمر ثمّ ينهى، وبَدا له في الأمر: انصرف عنه.

والبادية: اسم للأرض الّتي لاحضَر فيها، واسمه البَدْو. والبِداوة: هم أهل البَدْو.

وبَدا الرّجل يَبْدُو: نزل البادية، فهو بادٍ، وفي الحديث: «من بَدا جفا».

ورجل بداويّ، أي بَدَويّ.

والأبْداء: المفاصل، واحدها: بَدًا مقصور، وهو أيضًا: بَدْوٌ، وجمعه: بُدُوٌّ.

وماهو لك بِعِدٍّ ولابِدْوٍ، أي بنظير، وذلك إذا كان يُباديه.

وبادِ بين الحَيْطَين، أي قايِسْ بينهما.

والبَدا: البَطَل من الرّجال.

وبَدْوُ الرّجل: سلْحُه، بَدا الرّجل بَدْوًا.

وبَدا مقصور: اسم موضع، أو قرية على ساحل البحر.

ودارةُ بَدْوَتين: لربيعة بن عقيل.

وبَدْوَتان: هضبتان في أجوافها ماء. (٩: ٣٧٣)

ابن خالَوَيْه: ليس أحد يقول: بديت بمعنى بدأت إلّا الأنصار، والنّاس كلّهم: بديت وبدأت، لمّا خفّفت الهمزة كسرت الدّال فانقلبت الهمزة ياءً، وليس هو من بنات الياء. (ابن منظور ١٤: ٦٧)

الجَوهَريّ: بَدَا الأمر بُدُوًّا مثل قعَد قعودًا، أي ظهر. وأبديته: أظهرته. وقُرِئَ قوله تعالى: ﴿هُمْ اَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ هود: ٢٧، أي في ظاهر الرّأي. ومن همزه جعله من «بدأتُ» ومعناه أوّل الرّأي.

وبَدَا القوم بَدْوًا، أي خرجوا إلى باديتهم، مثال قتَل قتْلًا.

وبَدا له في هذا الأمر بَداءٌ ممدود، أي نشأ له فيه رأي، وهو ذوبَدَواتٍ.

والبَدْوُ: البادية، والنّسبة إليه بَدَويّ. وفي الحديث: «من بَدا جَفا» أي من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب.

والبِداوَة: الإقامة بالبادية ـ يفتح ويكسر ـ وهو خلاف الحِضارة. قال ثعلب: لاأعرف البَداوة بالفتح، إلّا عن أبي زَيْد وحده، والنّسبة إليها بَداويّ.

والمَبْدَى: خلاف المَحْضر.

وبادَى فلان بالعداوة، أي جاهَر بها. وتبادَوا بالعداوة، أي تجاهروا بها.

وتبدَّى الرّجل: أقام بالبادية، وتبادَى: تشبّه بأهل البادية.

ويقال: أبديتَ في منطقك، أي جُرتَ، مثل أعديتَ، ومنه قولهم: السّلطان ذوعَدَوان وذو بَدَوان، بالتّحريك فيهما.

وأهل المدينة يقولون: بَدِينا، بمعنى بدَأْنا. [ثمّ استشهد بشعر]

وتقول: أفعَل ذاك بادِيَ بَدْءٍ وباديَ بَديٍّ، أي أوّلًا. وأصله الهمز، وإنّما تُرك لكثرة الاستعمال، وربّما جعلوه اسمًا للدّاهية. [ثمّ استشهد بشعر]

وهما اسمان جُعلا اسمًا واحدًا، مثل معديكرب، وقالي قَلا. (٦: ٢٢٧٨)

ابن فارِس: الباء والدّال والواو أصل واحد، وهو ظهور الشّيء، يقال: بَدا الشّيء يبدو، إذا ظهر فهو بادٍ.

وسمّي خلاف الحضَر بَدْوًا، من هذا، لأنّهم في بَرازٍ من الأرض، وليسوا في قُرًى تسترهم أبنيتها. والبادية: خلاف الحاضرة. [ثمّ استشهد بشعر]

وتقول: بَدا لي في هذا الأمر بَداءٌ، أي تغيّر رأيي عمّا كان عليه. (١: ٢١٢)

أبوهِلال: الفرق بين البَدْو والظّهور: أنّ الظّهور يكون بقصد وبغير قصد، تقول: استتر فلان ثمّ ظهر، ويدلّ هذا على قصده للظّهور. ويقال: ظهر أمر فلان، وان لم يقصد لذلك.

فأمّا قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الرّوم: ٤١، فمعنى ذلك: الحدوث، وكذلك قولك: ظهرت في وجهه حُمرة، أي حدثت، ولم يُعنِ أنّها كانت فيه فظهرت.

والبَدْو: مايكون بغير قصد، تقول: بَدا البرق، وبَدا الصّبح، وبَدت الشّمس، وبَدا لي في الشّيء، لأنّك لم تقصد للبدو.

وقيل: في هذا بَدْوٌ، وفي الأوّل: بَدْءٌ، وبين المعنيين فرق، والأصل واحد. (٢٣٧)

الهَرَويّ: يقال: بدا لي، ولايُذكر الفاعل، لأنّ في أوّل الكلام دليلًا عليه، ويقال: فلان ذوبَدَوات، وهو مدح وذمّ.

فأمّا المدح فمعناه: أنّه ينزل به الأمر المشكل، فيبدو له فيه رأيٌ بعد رأي، إلى أن يستقيم رأيه فيعزم عليه. [ثمّ استشهد بشعر]

واحدها: بَداة، كما تقول: قَطاة وقَطَوات، ونَواة ونَوَيات. وتقول: أعلِمني بَداآت عوارضك بوزن «فعالات» الواحدة: بداءة على «فعالة» أي مايبدو من حاجتك، والأصل فيهما واحد، غير أنّ الأوّل فَعَلَة والآخر فَعالة.

وأمّا الذّمّ فإنّه يعني به أنّه لايستقيم له رأي، كلّما عَنّ له رأي اعترضه رأي آخر فلاصريمة له.

وفي الحديث: «كان إذا اهتمّ لشيء بَدا» أي خرج إلى البَدْو.

وفي الحديث: «أنّه أراد البَداوة مرّة» يعني الخروج إلى البادية، وفيها لغتان: بَداوة وبِداوة. (١: ١٤٥)

ابن سيدة: بَدَا الشّيء بَدْوًا، وبُدُوًّا، وبَداءً وبَدًا، الأخيرة عن سِيبَويه: ظهَر.

وأبديته أنا.

وبَداوة الأمر: أوّل مايبدو منه. هذه عن اللّحيانيّ، وقد تقدّم ذلك في الهمز.

وبادِي الرّأي: ظاهره عن ثَعْلَب، وقد تقدّم في الهمزة.

وأنتَ بادِي الرّأي تفعل كذا، حكاه اللّحيانيّ بغير همز. ومعناه: أنتَ فيما بَدا من الرّأي وظهَر.

وبَدا له في الأمر، بَدْوًا وبَدًا وبَداءً، قال الشّمّاخ:

لعلّك والموعود حقّ وفاؤه

بَدا لك في تلك القلوص بَداء

وقال سِيبَويه ـ في قوله عزّوجلّ: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ

بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ﴾ يوسف: ٣٥، أراد: بَدا لهم بداء. وقالوا: ليسجننّه ذهب إلى أنّ موضع (لَيَسْجُنُنّه) لايكون فاعل (بَدَا) لأنّه جملةٌ، والفاعل لايكون جملةً.

وبَدَاني بكذا يبدوني، كبدأني.

وافعَلْ ذلك بادي بدٍ. وبادي بَدِي، قال:

وقدْ عَلَتْني ذُرْأَةٌ بادِي بَدِي

وقد تقدّم في الهمز.

وحكاه سيبَويه: بادي بَدَا، وقال: لاتُنوّن ولايمنع القياس تنوينَه.

والبَدْو والبادية، والباداة، والبِداوة: خلاف الحضر، والنّسب إليه بَدَويّ نادرٌ. وبَداويّ وبِداويّ وهو على القياس؛ لأنّه حينئذ منسوبٌ إلى البَداوة والبِداوة، وإنّما ذكرته لأنّ العامّة لايعرفون غير بَدَويّ.

فإن قلت: إنّ البَداويّ قد يكون منسوبًا إلى البَدْو والبادية، فيكون نادرًا. قيل: إنّه إذا أمكن في الشّيء المنسوب أن يكون قياسًا وشاذًّا كان حمله على القياس أولى؛ لأنّ القياس أشيع وأوسع.

وبَدا القوم بَداءً: خرجوا إلى البادية. وفي التّنزيل: ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ الأحزاب: ٢٠، أي إذا جاءت الجنود والأحزاب ودّوا أنّهم في البادية، وقال ابن الأعرابيّ: إنّما يكون ذلك في ربيعهم، وإلّا فهم حضّار على مياههم.

وقوم بُدًا، وبُدّاءٌ: بادُون. [ثمّ استشهد بشعر]

فأمّا قول ابن أحْمَر:

جزَى الله قومي بالأُبُلّة نُصْرَةً
وبَدْوًا لهُمْ حَوْلَ الفِراض وحُضَّرا

فقد يكون اسمًا لجمع بادٍ، كراكِب ورَكْبٍ، وقد يجوز أن يعني به البَداوة الّتي هي خلاف الحَضارة، كأنّه قال: وأهل بَدْو.

وقال أبوحنيفة: بَدْوَتَا الوادي: جانباه.

والبَدا، مقصورٌ: مايخرج من دُبُر الرّجل.

وبَدَا الرّجل: أنجى فظهر ذلك منه.

والبَدَا: مفصل الإنسان، وجمعه: أبداءٌ، وقد تقدّم في الهمز.

والبَدَا: السّيّد، وقد تقدّم هنالك أيضًا.

والبَديّ، ووادي البَدِيّ: موضعان.

وإنّما قضينا على مالم تظهر واوه من هذا الباب أنّها واوٌ لسعة «ب د و» وضيق «ب د ي». (٩: ٤٤١)

البَدا: السّلح، بَدا الرّجل يبدو. وأبدَى: أنجى، فظهر نجوه من دُبُره. (الإفصاح ١: ٤٧٨)

الطُّوسيّ: الإبداء والإعلان والإظهار بمعنى واحد، يقال: بَدا وعلَن وظَهر. يقال: بَدا يَبْدُو من الظّهور، وبَدأ يَبدأ بَدْءًا بالهمز، بمعنى استأنف.

قال صاحب «العين»: بدا الشّيء يبدُو بَدْوًا، إذا ظهر. وبدا له في الأمر، بَدْءٌ وبداءٌ بالهمز، بمعنى استأنف.

والبادية: اسم الأرض الّتي لاحضر فيها، وإذا خرج النّاس من الحضر إلى الصّحراء والمرعى، يقال: بَدَوْا بَدًا، واسمه البَدْو. ويقال: أهل البَدْو وأهل الحضَر. وأصل الباب الظّهور، والخفاء نقيض الظّهور. (١: ١٤٥)

يقال: بَدا يبدُو بُدُوًّا وأبداه إبداءً، إذا أظهره. وبدا له

في الأمر بَدْوًا وبَدًا وبَداءً، إذا تغيّر رأيه، لأنّه ظهر له.

والبادية: خلاف الحاضرة. والبَدْو: خلاف الحضر من الظّهور. (٤: ٣٩)

الرّاغِب: بَدا الشّيء بَدْوًا وبَداءً، أي ظهر ظهورًا بيّنًا، قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ الزّمر: ٤٧، ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ الزّمر: ٤٨، ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ طٰه: ١٢١.

والبَدْو: خلاف الحَضَر، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ يوسف: ١٠٠، أي البادية، وهي كلّ مكان يبدو مايعنّ فيه، أي يعرض.

ويقال للمقيم بالبادية: بادٍ، كقوله: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ الحجّ: ٢٥، ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ الأحزاب: ٢٠. (٤٠)

الزّمَخْشَريّ: لقد بَدَوْتَ يافلان، أي نزلت البادية وصرت بَدَويًّا، ومالك والبَداوَة، وتبدّى الحضَريّ.

ويقال: أين النّاس؟ فتقول: قد بَدَوا، أي خرجوا إلى البَدْو، وكانت لهم غُنَيات يبدون إليها.

وفعل كذا ثمّ بدا له، وبدا له في هذا الأمر بَداءٌ، وهو ذوبَدَواتٍ، وكلّفني من بَدَواتك، أي من حوائجك الّتي تبدو لك.

وركيّ مُبدٍ: بارز ماؤه، ونقيضه: ركيّ غامد. (أساس البلاغة: ١٨)

المَدينيّ: في الحديث: «كان أبرص وأقرع وأعمى بَدا لله عزّوجلّ أن يبتليهم»، أي قضى الله تبارك وتعالى ذلك، وهو معنى «البَداء» هاهنا، لأنّ القضاء سابق.

والبداء: استصواب شيء عُلم ذلك فيه بعد أن لم يُعلَم، وذلك على الله عزّوجلّ غير جائز، لأنّه قد عَلم جميع مايكون.

في الحديث: «أمر أن يُبادي النّاس بأمره»، أي يُظهر أمره لهم. (١: ١٣٨)

ابن الأثير: فيه: «كان إذا اهتمّ لشيء بَدا» أي خرج إلى البَدْو، يشبه أن يكون يفعل ذلك ليبعد عن النّاس ويخلو بنفسه. ومنه الحديث: «أنّه كان يَبْدو إلى هذه التّلاع».

وحديث الدّعاء: «فإنّ جار البادي يتحوّل» هو الّذي يكون في البادية ومسكنه المَضارب والخِيام، وهو غير مقيم في موضعه، بخلاف جار المُقام في المُدُن ـ ويُروى النّادي بالنّون ـ ومنه الحديث: «لايَبع حاضر لبادٍ».

ومنه الحديث: «السّلطان ذوعَدْوان وذوبَدْوان» أي لايزال يبدو له رأي جديد.

وفي حديث سلمة بن الأكوع: «خرجت أنا ورباح مولى رسول الله ﷺ، ومعي فرس طلحة أُبديه مع الإبل» أي أُبرزه معها إلى مواضع الكَلأ. وكلّ شيء أظهرته، فقد أبديته وبَدّيته.

ومنه الحديث: «من يُبدِلَنا صفحته نقم عليه كتاب الله» أي من يُظهر لنا فعله الّذي كان يُخفيه أقمنا عليه الحدّ.

وفيه:

باسم الإله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا

يقال: بديت بالشّيء بكسر الدّال، أي بدأت به، فلمّا خفّف الهمزة كسر الدّال فانقلبت الهمزة، ياءً، وليس هو

من بنات الياء. وفي حديث سعد بن أبي وقّاص، قال يوم الشّورى: «الحمد لله بديًّا» البَديّ، بالتّشديد: الأوّل، ومنه قولهم: افعل هذا باديَ بديٍّ، أي أوّل كلّ شيء.

وفيه: «لاتجوز شهادة بَدويّ على صاحب قرية» إنّما كره شهادة البدويّ لما فيه من الجفاء في الدّين والجهالة بأحكام الشّرع، ولأنّهم في الغالب لايضبطون الشّهادة على وجهها، وإليه ذهب مالك، والنّاس على خلافه. (١: ١٠٨)

الفَيُّوميّ: بَدا يَبْدو بُدُوًّا: ظهر، فهو باد. ويتعدّى بالهمزة، فيقال: أبديتُه.

وبدا إلى البادية بِدَاوَة، بالفتح والكسر: خرج إليها، فهو بادٍ أيضًا.

والبَدْو مثال فَلْس: خلاف الحَضَر، والنّسبة إلى البادية: بَدَويّ على غير قياس، والبوادي: جمع البادية.

وبداله في الأمر: ظهرله مالم يظهر أوّلًا، والاسم البَداء، مثل سَلام. (١: ٤٠)

الجُرجانيّ: البَداء: ظهور الرّأي بعد أن لم يكن.

البَدائيّة: هم الّذي جوّزوا البَداء على الله تعالى. (١٩)

الفيروزاباديّ: بَدا بَدْوًا وبُدُوًّا وبَداءً وبَداءة وبُدُوًّا: ظهر، وأبدَيته وبَداوة الشّيء: أوّل مايبدو منه.

وبادي الرّأي: ظاهره.

وبدا له في الأمر بَدْوًا وبَداءً وبَداةً: نشأ له فيه رأي. وهو ذوبَدَوات.

وفَعَلَه باديَ بديٍّ، وبادي بَدٍّ، وبادي بَدًا، أصلها الهمزة، وذكرت بلغتها.

والبَدْو والبادية والباداة والبَداوة: خلاف الحضَر. وتَبَدّى: أقام بها، وتبادى: تشبّه بأهلها، والنّسبة بداويّ كسخاويّ، وبِداويّ بالكسر، وبَدَويّ محرّكةً نادرة.

وبَدَا القوم بَدًا: خرجوا إلى البادية، وقوم بُدّى وبُدًّا: بادون، وبَدْوَتا الوادي: جانباه.

والبَدا، مقصورًا: السَّلح، وبدا: أنجى فظهر نَجْوه من دُبُره كأبدا، وبَدا الإنسان: مَفْصِله، جمعه: أبداء.

بادَى بالعداوة: جاهَر كتبادَى، والبَداة: الكمأة، وبَدأت وقد بَدِيَت الأرض فيها كَرَضيت. (٤: ٣٠٤)

الطُّرَيحيّ: أبدَى الشّيء: أظهره، ومنه سمّيت البادية لظهورها.

والبُدُوُّ، على «فعُول»: الظّهور، ومنه الحديث: «نهى عن بيع الثّمرة قبل بُدُوّ صلاحها» أي قبل ظهوره، وهو أن يَحمرّ البُسْر أو يصفرّ.

والبَدْو كفَلْس: خلاف الحضر، وفي الحديث: «أتى أهل البادية رسول الله» أي جماعة من الأعراب سكّان البادية.

والبَدَويّ: نسبة إلى البادية، على غير القياس، وفي الخبر: «كُرِه شهادة البَدَويّ على صاحب قرية».

قيل: لما فيه من الجفاء في الدّين، والجهالة بأحكام الشّرع، ولأنّهم في الغالب لايضبطون الشّهادة على وجهها.

وفلان ذوبَداوة، أي لايزال يَبْدو له رأي جديد. ومنه بَدا له في الأمر، إذا ظهر له استصواب شيء غير الأوّل.

والاسم منه: البَداء كسلام، وهو بهذا المعنى

مستحيل على الله تعالى، كما جاءت به الرّواية عنهم عليهم السلام: «بأنّ الله لم يَبْدُ له من جهل»، وقوله عليه السلام: «مابدا لله في شيء إلّا كان في علمه قبل أن يَبْدوَ له».

وقد تكثّرت الأحاديث من الفريقين في «البَداء» مثل: «ماعُظّم الله بمثل البَداء».

وقوله: «مابعث الله نبيًّا حتّى يُقرّ له بالبَداء» أي يُقرّ له بقضاء مجدّد في كلّ يوم بحسب مصالح العباد، لم يكن ظاهرًا عندهم. وكأنّ الإقرار عليهم بذلك، للرّدّ على من زعم أنّه تعالى فرغ من الأمر، وهم اليهود، لأنّهم يقولون: «إنّ الله عالم في الأزل بمقتضيات الأشياء، فقدّر كلّ شيء على وفق علمه».

وفي الخبر: «الأقرع والأبرص والأعمى بدا لله عزّوجلّ أن يبتليهم» أي قضى بذلك، وهو معنى «البَداء» هاهنا، لأنّ القضاء سابق.

ومثله في اليهود: «بدا لله أن يبتليهم» أي ظهر له إرادة وقضاء مجدّد بذلك عند المخلوقين.

وفي حديث الصّادق عليه السلام: «مابدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل ابني» يعني ماظهر له سبحانه أمرٌ في شيء كما ظهر له في إسماعيل ابني، إذ اخترمه قبلي، ليُعلم أنّه ليس بإمام بعدي.

وفي حديث العالِم عليه السلام: «المُبْرَم من المفعولات: ذوات الأجسام المدركات بالحواسّ، من ذوي لون وريح ووزن وكيل، ومادبّ ودرج من إنسٍ وجنٍّ وطير وسباع، وغير ذلك ممّا يُدرك بالحواسّ، فلله تبارك وتعالى فيه البَداء، ممّا لاعين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلابَداء، والله يفعل مايشاء». وفيه من توضيح معنى «البَداء» مالايخفى.

وقال الشّيخ في «العُدّة»: وأمّا البَداء فحقيقته في اللُّغة: الظّهور، ولذلك يقال: بَدا لنا سُور المدينة، وبَدا لنا وجه الرّأي، قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا﴾ الجاثية: ٣٣، ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا﴾ الزّمر: ٤٨، ويراد بذلك كلّه: ظهر.

وقد يستعمل ذلك في العلم بالشّيء بعد أن لم يكن حاصلًا، وكذلك في الظّنّ.

فأمّا إذا أُضيفت هذه اللّفظة إلى الله تعالى فنه مايجوز إطلاقه عليه، ومنه مالايجوز.

فأمّا مايجوز من ذلك، فهو ماأفاد «النّسخ» بعينه، ويكون إطلاق ذلك عليه على ضرب من التّوسّع.

وعلى هذا الوجه يُحمل جميع ماورد عن الصّادقين عليهما السلام من الأخبار المتضمّنة لإضافة «البَداء» إلى الله تعالى، دون مالايجوز عليه، من حصول العلم بعد أن لم يكن.

ويكون وجه إطلاق ذلك عليه والتّشبيه، هو أنّه إذا كان مايدلّ على «النّسخ» يظهر به للمكلّفين مالم يكن ظاهرًا، ويحصل لهم العلم به بعد أن لم يكن حاصلًا، وأُطلق على ذلك لفظ «البَداء».

قال: وذكر سيّدنا المرتضى قُدّس روحه وجهًا آخر في ذلك، وهو أن قال: يمكن حمل ذلك على حقيقته، بأن يقال: «بَدا لله» بمعنى أنّه ظهر له من الأمر مالم يكن ظاهرًا له، وبَدا له من النّهي مالم يكن ظاهرًا له، لأنّ قبل وجود الأمر والنّهي لايكونان ظاهرين مدركين، وإنّما يعلم أنّه يأمر أو ينهى في المستقبل.

فأمّا كونه آمرًا وناهيًا فلا يصحّ أن يعلمه إلّا إذا وجد الأمر والنّهي، وجرى ذلك مجرى أحد الوجهين المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ محمّد: ٣١، بأن تحمله على أنّ المراد به: حتّى نعلم جهادكم موجودًا، لأنّ قبل وجود الجهاد لايعلم الجهاد موجودًا، وإنّما يعلم كذلك بعد حصوله، فكذلك القول في «البَداء».

ثمّ قال: وهذا وجه حسن جدًّا. (١: ٤٥)

مَجْمَعُ اللُّغة: بَدا، وردت في القرآن كما يأتي:

١ـ بَدا:

أـ بَدا يَبْدُو بَدْوًا وبُدُوًّا: ظهر.

ب ـ بَدا له في الأمر كذا: ظهر له فيه رأي جديد، يقال: فعَل كذا ثمّ بدا له كذا.

ج ـ بَدا: خرج إلى البادية، أو أقام بالبادية. وجاء من هذا المعنى الأخير اسم الفاعل بادٍ، وجمعه: بادون.

٢ـ بادي الرّأي: ظاهره الّذي لاروِيّة فيه.

٣ـ أبْدَى الشّيء وبالشّيء: أظهره، واسم الفاعل منه مُبْدٍ.

٤ـ البَدْو: البادية، وهو خلاف الحضر. (١: ٨٦)

العَدْنانيّ: «تبدّى: أقام بالبادية، ظهر».

ويخطّئون من يستعمل الفعل «تبدّى» بمعنى: ظهر، ويقولون: إنّ معنى الفعل «تبدّى» هو أقام بالبادية، اعتمادًا على الصّحاح، والأساس الّذي قال: «تبدّى الحَضَريّ» والمختار، والقاموس. لكن: يقول: إنّ معنى «تبدّى» هو:

أـ أقام بالبادية.

ب ـ ظهر.

كلّ من: قيس بن الخطيم القائل:

تبدّت لنا كالشّمس تحت غمامة

واللّسان الّذي ذكر في مادّة «جيش» أنّ ابن الأعرابيّ أنشد:

قامت تبدّى لك في جَيْشانها

ويرى ابن سيدة أنّ الشّاعر أراد: «في جَيَشانها» أي قوّتها وشبابها، فسكّن الياء للضّرورة.

والتّاج الّذي ذكر ماجاء في اللّسان في مادّة «جَيَش» والمدّ، ومحيط المحيط، وذيل أقرب الموارد، والمتن الّذي استشهد بـ:

وبَدَت لميسُ كأنّها قمر السّماء إذا تبدّى

وبصدر البيت الّذي استشهد به ابن الأعرابيّ، والمعجم الوسيط.

وجاء في متن اللّغة: تبدّى في منطقه: جارَ. (٥٠)

المُصْطَفَويّ: إنّ الأصل الواحد فيها هو الظّهور البيّن قهرًا ومن دون اختيار وقصد، وأمّا إطلاق «البَدْو» على الحضور في البادية، فهو في قبال الحضور بين النّاس والتّستّر بالعمارات، والسّكون تحت الأبنية وفي محيط التّمدّن، فكأنّه يتبرّز ويبدو في واسع الأرض، وفي فسحةٍ لاظلّ فيها لشيء، ويتخلّص من قيود المدنيّة.

ولابدّ أن يكون البَدو في البادية من حيث الظّهور، من حيث هو من دون توجّه إلى القصد واختيار البادي، إذا كان الفرق المذكور صحيحًا.

وأمّا الإبداء فهو باعتبار معناه الأصليّ، أي نسبة أصل المادّة إلى الفاعل في صيغة المجرّد لازمًا.

﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَاكَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ الأنعام: ٢٨، أي ظهر ظهورًا بيّنًا قهريًّا.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَاكَسَبُوا﴾ الزّمر: ٤٨، تذكير الفعل من جهة الفصل بينه وبين فاعله السّيّئات، أي تظهر سيّئات ماعملوا ظهورًا بيّنًا لهم.

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ النّساء: ١٤٩، ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ الأحزاب: ٥٤، ﴿وَأَعْلَمُ مَاتُبْدُونَ وَمَاكُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ البقرة: ٣٣، فيظهر من هذه التّعبيرات أنّ الإبداء في مقابل الإخفاء والكتمان، بخلاف الإظهار، فإنّه في مقابل البطون، كما قال تعالى: ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ الحديد: ٣، ﴿مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَابَطَنَ﴾ الأنعام: ١٥١.

وهذا المعنى هو الفارق الحقيقيّ بين مادّة الظّهور والبُدُوّ. (١: ٢٢٠)

النّصوص التّفسيريّة

بَدَا

١ـ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَاكَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ...

الأنعام: ٢٨

ابن عبّاس: هم اليهود والنّصارى، وذلك أنّهم لو سئلوا في الدّنيا هل تعاقبون على ماأنتم عليه؟ قالوا: لا، ثمّ ظهر لهم عقوبة شركهم في الآخرة، فذلك قوله: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ﴾. (أبوحيّان ٤: ١٠٣)

الحسَن: بَدا ماكان يُخفيه بعضهم عن بعض.

(ابن الجوزيّ ٣: ٢٣)

قَتادَة: يظهر ماكانوا يخفون من شركهم.

(أبوحيّان ٤: ١٠٣)

من أعمالهم. (الطّبَريّ ٧: ١٧٧)

السُّدّيّ: بدت لهم أعمالهم في الآخرة الّتي أخفوها في الدّنيا. (الطّبَريّ ٧: ١٧٧)

مُقاتِل: بَدا بنطق الجوارح ماكانوا يخفون من قبل بألسنتهم. (ابن الجوزيّ ٣: ٢٣)

نحوه أبوروق. (الطّبْرِسيّ ٢: ٢٨٩)

المُبَرِّد: إنّ المراد: بل بَدا لهم وبال ماكانوا يخفونه من الكفر. (الطّبْرِسيّ ٢: ٢٨٩)

الجُبّائيّ: الآية مخصوصة بالمنافقين، وظهر لهم ماكانوا يخفونه من كفرهم الّذي كانوا يضمرونه. والآية الأُولى[1] وإن كان ظاهرها يقتضي جميع الكفّار، والمنافقون داخلون فيهم، فيجوز أن يخبر عنهم بهذا الحكم.

ويحتمل أن يكون أراد بها الكافرين الّذين كان النّبيّ يخوّفهم بالعذاب على كفرهم، فلم يؤمنوا بذلك، لكن دخلهم الشّكّ والخوف، وأخفوه عن ضُعفائهم وعوامّهم. فإذا كان يوم القيامة ظهر ذلك، وإن أخفوه في الدّنيا، فيتمنّون حينئذ الرّدّ إلى حال الدّنيا. (الطّوسيّ ٤: ١١٩)

الطّبَريّ: ماقصد هؤلاء العادلين بربّهم، الجاحدين نبوّتك يامحمّد في قيلهم، إذا وقفوا على النّار: ﴿يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَانُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنعام: ٢٧، الأسى والنّدم على ترك الإيمان بالله والتّصديق بك، لكن بهم الإشفاق ممّا هو نازل بهم من

[1] الأنعام: ٢٧.

عقاب الله وأليم عذابه، على معاصيهم الّتي كانوا يُخفونها عن أعين النّاس ويسترونها منهم، فأبداها الله منهم يوم القيامة، وأظهرها على رؤوس الأشهاد، ففضحهم بها، ثمّ جازاهم بها جزاءهم. ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَاكَانُوا يُخْفُونَ﴾ من أعمالهم السّيّئة الّتي كانوا يخفونها. (٧: ١٧٦)

الزّجّاج: أي بل ظهر للّذين اتّبعوا الغُواة، ماكان الغُواة يخفون عنهم من أمر البعث والنّشور، لأنّ المتّصل بهذا قوله عزّوجلّ: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَانَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ الأنعام: ٢٩. (٢: ٢٤٠)

الطُّوسيّ: معناه من عقاب الله فعرفوه معرفة من كانوا يسترونه عنه.

وقال قوم: بدا لبعضهم من بعض ماكان علماؤهم يخفونه عن جهّالهم وضعفائهم ممّا في كتبهم، فبدا للضّعفاء عنادهم. (٤: ١١٨)

الزّمَخْشَريّ: من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم، وبشهادة جوارحهم عليهم، فلذلك تمنّوا ماتمنّوا ضَجَرًا، لاأنّهم عازمون على أنّهم لو رُدّوا لآمنوا.

قيل: هو في أهل الكتاب، وأنّه يظهر لهم ماكانوا يخفونه من صحّة نبوّة رسول الله ﷺ. (٢: ١٣)

الطَّبْرِسيّ: [وبعد نقل بعض الأقوال المذكورة قال:]

كلّ هذه الأقوال بمعنى ظهرت فضيحتهم في الآخرة، وتهتّكت أستارهم. (٢: ٢٨٩)

نحوه الفَخْرالرّازيّ (١٢: ١٩٤)، والنّيسابوريّ (٧: ٩٢).

أبوحَيّان: (بَلْ) هنا للإضراب والانتقال من شيء إلى شيء، من غير إبطال لما سبق، وهكذا يجيء في كتاب الله تعالى، إذا كان مابعدها من إخبار الله تعالى، لاعلى سبيل الحكاية عن قوم تكون (بَلْ) فيه للإضراب، كقوله: ﴿بَلِ افْتَرَيهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ الأنبياء: ٥، ومعنى (بَدَا): ظهر.

وقال الزّجّاج: (بَلْ) هنا استدراك وإيجاب نفي، كقولهم: ماقام زيد بل قام عمرو، انتهى. ولاأدري ماالنّفي الّذي سبق حتّى توجبه (بَلْ).

وقال غيره: (بَلْ) ردٌّ لما تمنّوه، أي ليس الأمر على ماقالوه، لأنّهم لم يقولوا ذلك رغبة في الإيمان، بل قالوه إشفاقًا من العذاب وطمعًا في الرّحمة، انتهى. ولاأدري ماهذا الكلام. [وبعد نقل قول أبي روق وقَتادَة وابن عبّاس والجُبّائيّ قال:]

وهذه الأقوال على أنّ الضّمير في (لَهُمْ) و(يُخْفُونَ) عائد على جنس واحد.

وقيل: الضّمير مختلف، أي بَدا للأتباع ماكان الرّؤساء يخفونه عنهم من الفساد، وروي عن الحسَن نحو هذا.

وقيل: بَدا لمشركي العرب ماكان أهل الكتاب يخفونه عنهم من البعث وأمر النّار، لأنّه سبق ذكر أهل الكتاب في قوله: ﴿أَلَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ الأنعام: ٢٠.

وقيل: بل بَدا لهم، أي لبعضهم ماكان يُخفيه عنه بعضهم، فأطلق كلًّا على بعض مجازًا.

وقال الزّهراويّ: ويصحّ أن يكون مقصود الآية الإخبار عن هول يوم القيامة، فعبّر عن ذلك بأنّهم

ظهرت لهم مستوراتهم في الدّنيا من معاص وغيرها، فكيف الظّنّ على هذا بما كانوا يعلنون به من كفر ونحوه. وينظر إلى هذا التّأويل قوله تعالى في تعظيم شأن يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ الطّارق: ٩. (٤: ١٠٣)

رشيد رضا : فيه أقوال:

١ـ إنّه أعمالهم السّيّئة وقبائحهم الشّائنة ظهرت لهم في صحائفهم، وشهدت بها عليهم جوارحهم.

٢ـ إنّه أعمالهم الّتي كانوا يغترّون بها ويظنّون أنّ سعادتهم فيها، إذ يجعلها الله تعالى هباءً منثورًا.

٣ـ إنّه كفرهم وتكذيبهم الّذي أخفوه في الآخرة من قبل أن يوقفوا على النّار، كما تقدّم حكايته عنهم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ اِلَّا اَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ الأنعام: ٢٣.

٤ـ إنّه الحقّ أو الإيمان الّذي كانوا يسرّونه ويخفونه بإظهار الكفر والتّكذيب عنادًا للرّسول، واستكبارًا عن الحقّ، وهذا إنّما ينطبق على أشدّ النّاس كفرًا من المعاندين المتكبّرين، الّذين قال في بعضهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا اَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ النّمل: ١٤.

٥ ـ إنّه ماكان يخفيه الرّؤساء عن أتباعهم من الحقّ الّذي جاءت به الرّسل بَدا للأتباع الّذين كانوا مقلّدين لهم، ومنه كتمان بعض علماء أهل الكتاب لرسالة نبيّنا ﷺ وصفاته وبشارة أنبيائهم به.

٦ـ إنّه ماكان يخفيه المنافقون في الدّنيا من إسرار الكفر، والتّظاهر بالإيمان والإسلام.

٧ـ إنّه البعث والجزاء ومنه عذاب جهنّم، وإنّ إخفاءهم له عبارة عن تكذيبهم به، وهو المعنى الأصليّ لمادّة كفر.

٨ ـ إنّ في الكلام مضافًا محذوفًا، أي بدا لهم وبال ماكانوا يخفونه من الكفر والسّيّئات، ونزل بهم عقابه، فتبرّموا وتضجّروا وتمنّوا التّفصّي منه بالرّدّ إلى الدّنيا، وترك ماأفضى إليه من التّكذيب بالآيات وعدم الإيمان، كما يتمنّى الموت مَن أمضّه الدّاء العُضال، لأنّه ينقذه من الآلام، لا لأنّه محبوب في نفسه.

ونحن لانرى رجحان قول من هذه الأقوال، بل الصّواب عندنا قول آخر.

٩ـ وهو أنّه يظهر يومئذ لكلّ من أُولئك الّذين ورد الكلام فيهم ولأشباههم من الكفّار ماكان يُخفيه في الدّنيا ممّا هو قبيح في نظره أو نظر من يُخفيه عنهم، فالّذين كفروا عنادًا واستكبارًا كالرّؤساء الّذين ظهر لهم الحقّ كانوا يُخفون ذلك الحقّ، ومنهم بعض علماء أهل الكتاب والمنافقون الّذين أظهروا الإيمان جبنًا وضعفًا أو مكرًا وكيدًا، كانوا يُخفون الكفر عن المؤمنين.

وأصحاب الأعمال القبيحة من الفواحش والمنكرات يُخفونها عمّن لايقترفها معهم، والّذين يعتذرون عن ترك الواجبات بالأعذار الكاذبة يُخفون حقيقة حالهم عمّن يعتذرون إليهم، والمقلّدون يُخفون في أنفسهم مايلوح فيها أحيانًا من برق الدّليل المُظهر لما كمَن في أعماق الفطرة من الحقّ، سواء أومَض ذلك البرق من آيات الله في الآفاق، وألسنة حملة الحجّة والبرهان، أو من آيات الله في أنفسهم، قبل أن تحيط بهم خطيئتهم ويختم على قلوبهم.

وهؤلاء المقلّدون والعميان هم الّذين بيّنت الآيات

حالهم في الدّنيا، وإنّما جعلنا ماتلا ذلك من بيان حالهم في الآخرة عامًّا لكلّ من مات على الكفر، لتساويهم فيه وعدم استفادة أحد منهم من استعداده للإيمان، لعدم استعمالهم لذلك الاستعداد. (٧: ٣٥٣)

الطّباطبائيّ: ظاهر الكلام أنّ مرجع الضّمائر، أعني ضمائر (لَهُمْ) و (كَانُوا) و(يُخْفُونَ) واحد، وهو المشركون السّابق ذكرهم، وأنّ المراد بـ«القبل» هو الدّنيا، فالمعنى أنّه ظهر لهؤلاء المشركين حين وقفوا على النّار، ماكانوا هم أنفسهم يخفونه في الدّنيا، فبعثهم ظهور ذلك على أن تمنّوا الرّدّ إلى الدّنيا والإيمان بآيات الله، والدّخول في جماعة المؤمنين.

ولم يبد لهم إلّا النّار الّتي وقفوا عليها يوم القيامة، فقد كانوا أخفوها في الدّنيا بالكفر والسّتر للحقّ، والتّغطية عليه بعد ظهوره لهم، كما يشير إليه، نحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ق: ٢٢.

وأمّا نفس الحقّ الّذي كفروا به في الدّنيا مع ظهوره لهم فهو كان بادئًا لهم من قبل، والسّياق يأبى أن يكون مجرّد ظهور الحقّ لهم مع الغضّ عن ظهور النّار، وهو يوم القيامة، باعثًا لهم على هذا التّمنّي.

ويشعر بذلك بعض مافي نظير المقام من كلامه تعالى، كقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَارَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَانَدْرِي مَاالسَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَانَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَاعَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَاكَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الجاثية: ٣٢، ٣٣.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَالَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَاكَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَاكَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الزّمر: ٤٧، ٤٨. [ثمّ نقل الوجوه الّتي جاء ذكرها في «المنار» وقال:]

وبالرّجوع إلى ماقدّمناه من الوجه والتّأمّل فيه، يظهر مافي كلّ واحد من هذه الأقوال من وجوه الخلل، فلانطيل. (٧: ٥٢)

٢ـ ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَارَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتّٰى حِينٍ﴾. يوسف: ٣٥

الطّبريّ: يقول تعالى ذكره: ثمّ بدا للعزيز زوج المرأة الّتي راودت يوسف عن نفسه.

وقيل: (بَدَا لَهُمْ) وهو واحد، لأنّه لم يذكر باسمه، ويقصد بعينه، وذلك نظير قوله: ﴿اَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ آل عمران: ١٧٣.

وقيل: إنّ قائل ذلك كان واحدًا.

وقيل معنى قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ﴾ في الرّأي الّذي كانوا رأوه من ترك يوسف مطلقًا، ورأوا أن يسجنوه. (١٢: ٢١٢)

الرّمّانيّ: فاعل (بَدَا) مضمر، وتقديره: ثمّ بدا لهم بَداءٌ، ودلّ عليه قوله: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ﴾. (الطّوسيّ ٦: ١٣٧)

الطّوسيّ: أخبر الله تعالى أنّه ظهر لهم من بعد مارأوا الآيات، يقال: بَدا يبدُو بدُوًّا، وبَدًا.

والبَداء في الرّأي: التّلوّن فيه، لأنّه كلّما ظهر رأي مال إليه، وإنّما قال: (لَهُمْ) ولم يقل: «لهنّ» مع تقدّم

ذكر النّسوة لأمرين:

أحدهما: قال الحسن: أنّه أراد بذلك الملك.

والثّاني: أنّه أراد ذكر الذّكور معهنّ من أعوانها فغلب المذكّر، فقال: (لَهُمْ). (٦: ١٣٧)

المَيْبُديّ: أي وقع في عزمهم، ونجم في رأيهم، وجدر لهم، يقال: فلان ذوبَدَوات، إذا كان متفنّن الآراء، وأكثر مايقال ذلك في الشّرّ. (٥: ٦٥)

الزَّمَخْشَريّ: (بَدَا لَهُمْ) فاعله مضمر، لدلالة مايفسّره عليه وهو (لَيَسْجُنُنَّهُ)، والمعنى بَدا لهم بَداءٌ، أي ظهر لهم رأي (لَيَسْجُنُنَّهُ). (٢: ٣١٩)

الفَخْرالرّازيّ: اعلم أنّ زوج المرأة لمّا ظهر له براءة ساحة يوسف عليه السّلام فلاجرم لم يتعرّض له، فاحتالت المرأة بعد ذلك بجميع الحيل حتّى تحمل يوسف‌عليه‌السلام على موافقتها على مرادها، فلم يلتفت يوسف إليها.

فلمّا أيست منه احتالت في طريق آخر، وقالت لزوجها: إنّ هذا العبد العبرانيّ فضحني في النّاس، يقول لهم: إنّي راودته عن نفسه، وأنا لاأقدر على إظهار عذري، فإمّا أن تأذن لي فأخرج وأعتذر، وإمّا أن تحبسه كما حبستني.

فعند ذلك وقع في قلب العزيز أنّ الأصلح حبسه، حتّى يسقط عن ألسنة النّاس ذكر هذا الحديث، وحتّى تقلّ الفضيحة، فهذا هو المراد من قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَارَاَوُا الْاٰيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتّٰى حِينٍ﴾، لأنّ البداء عبارة عن تغيّر الرّأي عمّا كان في الأوّل. (١٨: ١٣٢)

أبوحَيّان: أي ظهر لهم، والفاعل لـ(بَدا) ضمير يفسّره مايدلّ عليه المعنى، أي بَدا لهم هو، أي رأى، أو بَدا كما قال:

بدا لك من تلك القلوص بداء

هكذا قاله النّحاة والمفسّرون، إلّا من أجاز أن تكون الجملة فاعلة، فإنّه زعم أن قوله: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ﴾ في موضع الفاعل لـ(بَدا)، أي سجنه حتّى حين. والرّدّ على هذا المذهب مذكور في علم النّحو.

والّذي أذهب إليه أنّ الفاعل ضمير يعود على السّجن المفهوم من قوله: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ﴾، أو من قوله: «السّجن» على قراءة الجمهور أو على «السّجن» على قراءة من فتح السّين والضّمير في(لَهُمْ) للعزيز وأهله. (٥: ٣٠٧)

الطَّباطَبائيّ: البَداء: هو ظهور رأي بعد مالم يكن، يقال: بدا لي في أمر كذا، أي ظهر لي فيه رأي جديد. (١١: ١٦٩)

٣ـ ...وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَالَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ. الزّمر: ٤٧

مُجاهِد: عملوا أعمالًا توهّموا أنّها حسنات فإذا هي سيّئات.

مثله السُّدّيّ. (القُرطُبيّ ١٥: ٢٦٥)

الزَّمَخْشَريّ: وعيد لهم لكنّه لفظاعته وشدّته، وهو نظير قوله تعالى في الوعد: ﴿فَلَاتَعْلَمُ نَفْسٌ مَااُخْفِيَ لَهُمْ﴾ السّجدة: ١٧.

والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه مالم يكن قطّ في حسابهم، ولم يحدّثوا به نفوسهم. (٣: ٤٠١)

نحوه الآلوسيّ. (٢٤: ١١)

الطَّبْرِسيّ: أي ظهر لهم يوم القيامة من صنوف العذاب، مالم يكونوا ينتظرونه، ولا يظنّونه واصلًا إليهم، ولم يكن في حسابهم. (٤: ٥٠٢)

نحوه الفَخْرالرّازيّ. (٢٦: ٢٨٧)

ابن الجَوْزيّ: قيل: عملوا أعمالًا ظنّوا أنّها تنفعهم، فلم تنفع مع شركهم.

قال مُقاتِل: ظهر لهم حين بُعثوا مالم يحتسبوا أنّه نازل بهم. فهذا القول يحتمل وجهين:

أحدهما: أنّهم كانوا يرجون القرب من الله بعبادة الأصنام، فلمّا عوقبوا عليها بَدا لهم مالم يكونوا يحتسبون.

والثّاني: أنّ البعث والجزاء لم يكن في حسابهم. (٧: ١٨٨)

القُرطُبيّ: قيل: عملوا أعمالًا توهّموا أنّهم يتوبون منها قبل الموت، فأدركهم الموت قبل أن يتوبوا، وقد كانوا ظنّوا أنّهم ينجون بالتّوبة.

ويجوز أن يكونوا توهّموا أنّه يغفر لهم من غير توبة، فـ﴿بَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَالَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ من دخول النّار. (١٥: ٢٦٥)

أبوحَيّان: أي كانت ظنونهم في الدّنيا متفرّقة حسب ضلالاتهم وتخيّلاتهم فيما يعتقدونه، فإذا عاينوا العذاب يوم القيامة ظهر لهم خلاف ماكانوا يظنّون، وماكان في حسابهم. (٧: ٤٣٢)

بَدَت

١ـ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ وَمَاتُخْفِي صُدُورُهُمْ اَكْبَرُ... آل‌عمران: ١١٨

فيها مباحث راجع «بغض».

٢ـ فَدَلّٰيهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْاٰتُهُمَا... الأعراف: ٢٢

ابن عَبّاس: قبل أن ازدردا أخذتهما العقوبة، والعقوبة أن (بَدَتْ): ظهرت (لَهُمَا سَوْاٰتُهُمَا): عوراتهما، وتهافت عنهما لباسهما حتّى أبصر كلّ واحد منهما ماوُوري عنه من عورة صاحبه. وكانا لايريان لباسًا. فلمّا وقعا في الذّنب، بدت لهما سوآتهما، فاستحييا.

(البغويّ ٢: ١٨٤)

نحوه الكَلْبيّ. (الطَّبْرِسيّ ٣: ٤٠٧)

كان عليهما ظفر كاس، فلمّا أكلا تبلّس عنهما فبدت سوآتهما، وبقي منه على الأصابع قدر مايتذكّران به المخالفة، فيُجدّدان النّدم.

مثله سعيد بن جُبَيْر، وقَتادَة. (أبو حَيّان ٤: ٢٨٠)

وَهْب بن مُنَبِّه: كان عليهما نور يستر عورة كلّ واحد منهما، فانقشع بالمعصية ذلك النّور.

(ابن عَطيّة ٢: ٣٨٦)

قَتادَة: كانا لايريان سوآتهما. (الطَّبَريّ ٨: ١٤٣)

الطَّبَريّ: انكشفت لهما سوآتهما، لأنّ الله أعراهما من الكسوة الّتي كان كساهما قبل الذّنب والخطيئة، فسلبهما ذلك بالخطيئة الّتي أخطآ، أو المعصية الّتي ركبا. (٨: ١٤٢)

الماوَرْديّ: فإن قيل: فلِمَ بَدَت لهما سوآتهما ولم

تكن بادية لهما من قبل؟

في ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنّهما كانا مستورين بالطّاعة، فانكشف السّتر عنهما بالمعصية.

والثّاني: أنّهما كانا مستورين بنور الكرامة، فزال عنهما بذلّ المهانة.

والثّالث: أنّهما خرجا بالمعصية من أن يكونا من ساكني الجنّة، فزال منهما ماكانا فيه من الصّيانة.

(٢: ٢١١)

ابن عَطيّة: قيل: تخرّقت عنهما ثياب الجنّة وملابسها، وتطايرت تبرّيًا منهما. (٢: ٣٨٦)

أبوحَيّان: قيل: كان عليهما نور فنقص، وتجسّد منه شيء في أظفار اليدين والرّجلين تذكرةً لهما، ليستغفروا في كلّ وقت، وأبناؤهما بعدهما، كما جرى لأُويس القرنيّ حين أذهب الله عنه البَرص، إلّا لمعةً أبقاها ليتذكّر نعمه فيشكر.

وقال قوم: لم يقصد بالسّوأة العورة. والمعنى انكشف لهما معايشهما ومايسوؤهما. وهذا القول ينبو عنه دلالة اللّفظ، ويخالف قول الجمهور.

وقيل: أكلت حوّاء أوّل فلم يصبها شيء ثمّ آدم، فكان البَدْو. (٤: ٢٨٠)

رشيد رضا: ظهرت لكلّ منهما سوأته وسوأة صاحبه، وكانت مواراة عنهما.

قيل: بلباس من الظّفر كان يسترهما، فسقط عنهما، وبقيت له بقيّة في رؤوس أصابعهما.

وقيل: بلباس مجهول كان الله تعالى ألبسهما إيّاه. وقيل: بنور كان يحجبهما. ولادليل على شيء من ذلك، ولم يصحّ به أثر عن المعصوم ﷺ

والأقرب عندي أنّ معنى ظهورها لهما: أنّ شهوة التّناسل دبّت فيهما بتأثير الأكل من الشّجرة، فنبّهتهما إلى ماكان خفيًّا عنهما من أمرها، فخجلا من ظهورها، وشعرا بالحاجة إلى سترها. (٨: ٣٤٩)

جاء نحو هذه المباحث في سورة طٰه: ١٢١.

٣ـ ﴿فَاَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْاٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصٰى اٰدَمُ رَبَّهُ فَغَوٰى﴾. طٰه: ١٢١

ابن عَبّاس: عريا عن النّور الّذي كان الله تعالى ألبسهما، حتّى بدت فروجهما. (الآلوسيّ ١٦: ٢٧٤)

أنّه كان لباسهما الظّفر، فلمّا أصابا الخطيئة نزع عنهما، وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع.

(الآلوسيّ ١٦: ٢٧٤)

الطَّبَريّ: فانكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورة عن أعينهما. (١٦: ٢٢٤)

الطُّوسيّ: أي ظهرت لهما عوراتهما، لأنّ ماكان عليهما من اللّباس نُزع عنهما، ولم يكن ذلك على وجه العقوبة، بل لتغيير المصلحة في نزعها، وإخراجهما من الجنّة، وإهباطهما الأرض، وتكليفهما فيها. (٧: ٢١٧)

القُشيريّ: يقال: لمّا تجرّدا عن لباس التّقوى، تناثر عنهما لباسهما الظّاهر. (٤: ١٥٦)

المَيْبُديّ: انكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورة عن أعينهما.

وقيل: عوقبا بإزالة السّتر عنهما، وكشف ما كانا يستران به من اللّباس في الجنّة. (٦: ١٨٤)

الفَخرالرّازيّ: فإن قيل: هل كان ظهور سوآتهما كالجزاء على معصيتهما؟

قلنا: لاشكّ أنّ ذلك كالمعلّق على ذلك الأكل، لكن يحتمل أن لايكون عقابًا عليه، بل إنّما ترتّب عليه لمصلحة أُخرى. (٢٢: ١٢٧)

بَادِيَ

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ اَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ... هود: ٢٧

أبوعمروابن العَلاء: بادِئَ الرّأي مهموز، لأنّه من «بدأت». (أبوعُبَيْدَة ١: ٢٨٧)

الفَرّاء: لاتهمز (بَادِيَ)، لأنّ المعنى فيما يظهر لنا ويبدو، ولو قرأت (بَادِئَ الرَّأْيِ) فهمزت تريد أوّل الرّأي، لكان صوابًا. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١١)

أبوعُبَيْدَة: معناه أوّل الرّأي، ومن لم يهمز جعله ظاهر الرّأي، من بَدا يَبْدُو. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٨٧)

الأخفَش: أي في ظاهر الرّأي وليس بمهموز، لأنّه من بَدا يَبْدُو، أي ظهر.

وقال بعضهم: (بَادِئَ الرَّأْيِ) أي فيما يبدأ به من الرّأي. (٢: ٥٧٦)

ابن قُتَيْبَة: أي ظاهر الرّأي بغير همز، من قولك: بَدا لي ماكان خفيًّا، أي ظهر. ومَن همزه جعله أوّل الرّأي، من بدأت في الأمر فأنا أبدأ. (٢٠٣)

الطَّبَريّ: اختلف القرّاء في قراءته، فقرأته عامّة قرّاء المدينة والعراق (بَادِيَ الرَّأْيِ) بغير همز «البادِي» وبهمز «الرّأي» بمعنى ظاهر الرّأي، من قولهم: «بدا الشّيء يبدو، إذا ظهر. [ثمّ استشهد بشعر]

وقرأ ذلك بعض أهل البصرة (بَادِئَ الرَّأْيِ) مهموز أيضًا بمعنى مبتدأ الرّأي، من قولهم: بدأت بهذا الأمر، إذا ابتدأت به قبل غيره.

وأولى القراءتين بالصّواب في ذلك عندنا قراءة من قرأ (بَادِيَ) بغير همز «البادي» وبهمز «الرّأي»، لأنّ معنى ذلك الكلام إلّا الّذين هم أراذلنا في ظاهر الرّأي، وفيما يظهر لنا. (١٢: ٢٧)

الزّجّاج: بغير همز في (بَادِيَ) وأبوعمرو يهمز (بَادِئَ الرَّأْيِ) أي اتّبعوا اتّباعًا في ظاهر مايُرى، هذا فيمن لم يهمز.

ويكون التّفسير على نوعين في هذا:

أحدهما: أن يكون اتّبعوك في الظّاهر، وباطنهم على خلاف ذلك.

ويجوز أن يكون اتّبعوك في ظاهر الرّأي، ولم يتدبّروا ماقلت، ولم يفكّروا فيه؛ وقراءة أبي‌عمرو على هذا التّفسير.

الثّاني: أي اتّبعوك ابتداء الرّأي، أي حين ابتدأوا ينظرون، وإذا فكّروا لم يتّبعوك.

فأمّا نصب (بَادِيَ الرَّأْيِ) فعلى: اتّبعوك في ظاهر الرّأي، وعلى ظاهر الرّأي، كأنّه قال: الاتّباع الّذي لم يفكّروا فيه. ومن قال: (بَادِئَ الرَّأْيِ) فعلى ذلك

نصبه . (٣: ٤٧)

نحوه القُرطُبيّ. (٩: ٢٤)

ابن الأنباريّ : (بادِئ) من بَدَأ، إذا ابتدأ.

وانتصاب من همز ومن لم يهمز بالاتّباع على مذهب المصدر، أي اتّبعوك اتّباعًا ظاهرًا واتّباعًا مبتدأ.

ويجوز أن يكون المعنى : مانراك اتّبعك إلّاالّذين هم أراذلنا في ظاهر مانرى منهم، وطويّاتهم على خلافك وعلى موافقتنا، وهو من بَدا يَبْدُو، إذا ظهر.

(الأزهَريّ ١٤: ٢٠٤)

المَاوَرْديّ : أي ظاهر الرّأي، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنّك تعمل بأوّل الرّأي من غير فكر، قاله الزّجّاج.

الثّاني: أنّ ماني نفسك من الرّأي ظاهر تعجيزًا له، قاله ابن شجرة.

الثّالث: يعني أنّ أراذلنا اتّبعوك بأقلّ الرّأي، وهم إذا فكّروا رجعوا عن اتّباعك، حكاه ابن الأنباريّ.

(٢: ٤٦٥)

الطُّوسيّ : [بعد نقل القراءتين كما في كلام الزّجّاج قال:]

والقراءتان متقاربتان، لأنّ الهمز في اللّام منها ابتداء الشّيء وأوّله، وابتداء الشّيء يكون ظهورًا وإن كان الشّيء الظّاهر قد يكون مبتدأ وغير مبتدإ، فلذلك يستعمل كلّ واحد منها مكان الآخر. يقولون: أنا بادي بَدا، وبادئ بَدْء، فإنّي أحمد الله. (٥: ٥٣٩)

الطَّبْرِسيّ : أي في ظاهر الأمر والرّأي، لم يتدبّروا ماقلت ولم يتفكّروا فيه.

ومن قرأ بالهمز فالمعنى إنّهم اتّبعوك ابتداء الرّأي، أي حين ابتدأوا ينظرون، ولو فكّروا لم يتّبعوك.

وقيل: معناه إنّ مبتدأ وقوع الرّؤية عليهم يُعلم أنّهم أراذلنا وأسافلنا. (٣: ١٥٥)

الزّمَخْشَريّ : قُرئ (بَادِئَ الرَّأْيِ) بالهمز وغير الهمز، بمعنى اتّبعوك أوّل الرّأي أو ظاهر الرّأي، وانتصابه على الظّرف أصله وقت حدوث أوّل رأيهم، أو وقت حدوث ظاهر رأيهم، فحذف ذلك وأُقيم المضاف إليه مقامه، أرادوا أنّ اتّباعهم لك إنّما هو شيء عنّ لهم، بديهة من غير روية ونظر. وإنّما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخّرهم في الأسباب الدّنيويّة، لأنّهم كانوا جُهّالًا، ماكانوا يعلمون إلّا ظاهرًا من الحياة الدّنيا. (٢: ٢٦٥)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٤٦٦)، والنّيسابوريّ (١٢: ٢٢)، والبُرُوسَويّ (٤: ١١٧).

ابن عَطيّة : قرأ الجمهور (بَادِيَ الرَّأْيِ) بياء دون همز من بدا يبدو. ويحتمل أن يكون من بَدأ مسهّلًا. وقرأ أبوعمرو وعيسى الثّقفيّ (بَادِئَ الرَّأْيِ) بالهمز من بَدأ يَبْدأ.

وبين القراءتين اختلاف في المعنى يعطيه التّدبّر، فتركت التّطويل ببسطه. والعرب تقول: أمّا باديّ بدْء فإنّي أحمد الله، وأمّا بادي بدي بغير همز فيها. [ثمّ استشهد بشعر]

وقرأ الجمهور بهمز (الرّأي)، وقرأ أبوعمرو بترك همزه، و(بَادِيَ) نصب على الظّرف، وصحّ أن يكون اسم الفاعل ظرفًا، كما يصحّ في قريب ونحوه، وفعيل وفاعل متعاقبان أبدًا على معنى واحد، وفي المصدر كقولك: جهد

نفسي أُحبّ كذا وكذا.

وتعلّق قوله: (بَادِيَ الرَّأْيِ) يحتمل ستّة أوجه:

أحدها: أن يتعلّق بـ(نَرٰيكَ) بأوّل نظر وأقلّ فكرة، وذلك هو (بَادِيَ الرَّأْيِ)، أي إلّا ومتّبعوك أراذلنا.

والثّاني: أن يتعلّق بقوله: (اتَّبَعَكَ)، أي وماتراك اتّبعك بادي الرّأي إلّا الأراذل، ثمّ يحتمل على هذا قوله: (بَادِيَ الرَّأْيِ) معنيين:

أحدهما: أن يريد اتّبعك في ظاهر أمرهم، وعسى أنّ بواطنهم ليست معك.

والثّاني: أن يريد اتّبعوك بأوّل نظر، وبالرّأي البادي دون تعقّب، ولو تثبّتوك لم يتّبعوك، وفي هذا الوجه ذمّ الرّأي غير المرويّ.

والوجه الثّالث من تعلّق قوله: (بَادِيَ الرَّأْيِ) أن يتعلّق بقوله: (اَرَاذِلُنَا)، أي الّذين هم أراذلنا بأوّل نظر فيهم، وببادي الرّأي يعلم ذلك منهم.

ويحتمل أن يكون قولهم: (بَادِيَ الرَّأْيِ) وصفًا منهم لنوح، أي تدّعي عظيمًا وأنت مكشوف الرّأي لاحصافة لك، ونصبه على الحال وعلى الصّفة.

ويحتمل أن يكون اعتراضًا في الكلام مخاطبة لمحمّد ﷺ. ويجيء جميع هذا ستّة معان، ويجوز التّعلّق في هذا الوجه بـ(قَالَ). (٣: ١٦٣)

أبوحَيّان: كونه [بَادِيَ] منصوبًا على الظّرف، هو قول أبي عليّ في «الحجّة» وإنّما حمله على الظّرف وليس بزمان ولامكان، لأنّ «في» مقدّرة فيه، أي في ظاهر الأمر أو في أوّل الأمر. وعلى هذين التّقديرين أعني: أن يكون العامل فيه (نَرٰيكَ) أو (اتَّبَعَكَ) يقتضي أن لايجوز ذلك، لأنّ مابعد إلّا لايكون معمولًا لما قبلها، إلّا إن كان مستثنى منه، نحو: قام إلّا زيدًا القوم، أو مستثنى، نحو: جاء القوم إلّا زيدًا، أو تابعًا للمستثنى منه نحو: ماجاءني أحد إلّا زيد.

أخبرني عمرو: و(بَادِيَ الرَّأْيِ) ليس واحدًا من هذه الثّلاثة.

وأُجيب بأنّه ظرف أو كالظّرف، مثل: جَهْد رأي أنّك ذاهب، أي أنّك ذاهب في جَهْد رأي، والظّروف يتّسع فيها. وإذا كان العامل (اَرَاذِلُنَا) فمعناه الّذين هم أراذلنا، بأدلّ نظر فيهم، وببادئ الرّأي يعلم ذلك منهم.

وقيل: (بَادِيَ الرَّأْيِ) نعت لقوله: (بَشَرًا).

وقيل: انتصب حالًا من ضمير نوح في (اتَّبَعَكَ) أي وأنت مكشوف الرّأي لاحصافة لك.

وقيل: انتصب على النّداء لنوح، أي يابادي الرّأي، أي مافي نفسك من الرّأي ظاهر لكلّ أحد، قالوا ذلك تعجيزًا له.

وقيل: انتصب على المصدر، وجاء الظّرف والمصدر على فاعل، وليس بالقياس؛ فالرّأي هنا إمّا من رؤية العين، وإمّا من الفكر. (٥: ٢١٥)

نحوه الآلوسيّ. (١١: ٣٧)

الطَّبَاطَبَائيّ: يحتمل أن يكون قيدًا لقوله: (هُمْ اَرَاذِلُنَا) أي كونهم أراذل وسفلة فينا، معلوم في ظاهر الرّأي والنّظر، أو في أوّل نظرة.

ويحتمل كونه قيدًا لقوله: (اتَّبَعَكَ) أي اتّبعوك في ظاهر الرّأي أو في أوّله، من غير تعمّق وتفكّر، ولو تفكّروا قليلًا وقلّبوا أمرك ظهرًا لبطن مااتّبعوك.

وهذا الاحتمال لايستغني عن تكرار الفعل ثانيًا، والتّقدير: اتّبعوك بادي الأمر، وإلّا اختلّ المعنى لو لم يتكرّر.

وقيل: مانراك اتّبعك في بادي الرّأي إلّا الّذين هم أراذلنا.

وبالجملة معنى الآية: أنّا نشاهد أنّ متّبعيك هم الأراذل والأخسّاء من القوم، ولو تبعناك ساويناهم ودخلنا في زمرتهم، وهذا ينافي شرافتنا، ويحطّ قدرنا في المجتمع.

وفي الكلام إيماء إلى بُطلان رسالته عليه السلام بدلالة الالتزام، فإنّ من معتقدات العامّة أنّ القول لو كان حقًّا نافعًا لتبعه الشّرفاء والعظماء وأُولو القوّة والطَّول، فلو استنكفوا عنه أو اتّبعه الأخسّاء والضّعفاء ـ كالعبيد والمساكين والفقراء، ممّن لاحظّ له من مالٍ أو جاه، ولامكانة له عند العامّة ـ فلاخير فيه. (١٠: ٢٠٣)

البَاد

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ... الحجّ: ٢٥

ابن عبّاس: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ ينزل أهل مكّة وغيرهم في المسجد الحرام.

نحوه قَتادَة ومُجاهِد. (الطّبَريّ ١٧: ١٣٧)

(العَاكِفُ): المقيم فيه، (وَالْبَادِ) الطّارئ.

مثله قَتادَة. (الطّوسيّ ٧: ٣٠٥)

ومثله أبوالشّعود. (٤: ٣٧٧)

مُجاهِد: (العَاكِفُ): السّاكن، (وَالْبَاد): الجانب، سواء حقّ الله عليهما فيه. (الطّبَريّ ١٧: ١٣٧)

ابن زَيْد: (العَاكِفُ فِيهِ): المقيم بمكّة، (وَالْبَادِ): الّذي يأتيه، هم فيه سواء في البيوت.

(الطّبَريّ ١٧: ١٣٧)

الفَرّاء: (العَاكِفُ): من كان من أهل مكّة، (وَالْبَادِ): من نزع إليه بحجّ أو عمرة. (٢: ٢٢١)

الطّبَريّ: واختلف أهل التّأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه (سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ): وهو المقيم فيه، (وَالْبَادِ) في أنّه ليس أحدهما بأحقّ بالمنزل فيه من الآخر...

وإنّما اخترنا القول الّذي اخترنا في ذلك، لأنّ الله تعالى ذكرُه ذكر في أوّل الآية صدّ من كفر به، من أراد من المؤمنين قضاء نسكه في الحرم، عن المسجد الحرام، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، ثمّ ذكر جلّ ثناؤه صفة المسجد الحرام، فقال: ﴿الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾، فأخبر جلّ ثناؤه أنّه جعله للنّاس كلّهم، فالكافرون به يمنعون من أراده من المؤمنين به عنه، ثمّ قال: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾.

فكان معلومًا أنّ خبره عن استواء العاكف فيه والباد، إنّما هو في المعنى الّذي ابتدأ الله الخبر عن الكفّار أنّهم صدّوا عنه المؤمنين به، وذلك لاشكّ طوافهم، وقضاء مناسكهم به والمقام، لاالخبر عن ملكهم إيّاه وغير ملكهم. (١٧: ١٣٧)

الزّجّاج: أنّه يستوي في سكنى مكّة المقيم بها

والنّازع إليها من أيّ بلد كان.

وقيل: سواء في تفصيله وإقامة المناسك العاكف المقيم بالحرم، والنّازع إليه. (٣: ٤٢١)

الماوَرْديّ: (العَاكِفُ فِيهِ): وهو المقيم، (وَالْبَادِ): هو الطّارئ إليه، وهذا قول ابن عبّاس.

والقول الثّاني: أنّ المراد بـ(الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ): جميع الحرم، وعلى هذا في قوله: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ وجهان:

أحدهما: أنّهم سواء في دوره ومنازله، وليس العاكف المقيم أولى بها من البادي المسافر، وهذا قول مُجاهِد، ومن منع بيع دور مكّة كأبي حنيفة.

والثّاني: أنّها سواء في أنّ من دخله كان آمنًا، وأنّه لايقتل بها صيدًا، ولايعضد بها شجرًا. (٤: ١٦)

القُشيريّ: وإنّما يُعتبر فيه السّبق والتّقدّم، ومشهد الكرام يستوي فيه الأقدام، فن وصل إلى تلك العقوة فلاترتيب ولاردّ، وبعد الوصول فلازجر ولاصدّ.

أمّا في الطّريق فربّما يُعتبر التّقدّم والتّأخّر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ الحجر: ٢٤، ولكن في الوصول فلاتفاوت ولاتباين، ثمّ إذا اجتمعت النّفوس فالموضع الواحد يجمعهم، ولكن لكلٍّ حالٌ ينفرد بها. (٤: ٢٠٩)

المَيْبُديّ: (العَاكِفُ): المقيم ومن كان من أهل مكّة، (وَالْبَادي): كان من غير أهلها. البادي من البادية، فلايسلك إلى مكّة إلّا في البوادي من الوجوه كلّها، يقال: بدأ الرّجل، إذا خرج إلى الصّحراء، ومنه قوله: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ يوسف: ١٠٠. (٦: ٣٥٢)

الزَّمَخْشَريّ: من غير فرق بين حاضر وباد، وتانئ وطارئ، ومكّيّ وآفاقيّ. (٣: ١٠)

ابن عَطيّة: (العَاكِفُ): المقيم في البلد، (والبادي): القادم عليه من غيره.

وقرأ ابن كثير في الوصل والوقف (البَادِي) بالياء، ووقف أبوعمرو بغير ياء ووصل بالياء.

وقرأ نافع (البَادِ) بغير ياء في الوصل والوقف في رواية المسيّبيّ، وأبي بكر وإسماعيل ابني أبي‌أُويس، وروى وَرْش الوصل بالياء.

وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكِسائيّ بغير ياء وصلًا ووقفًا، وهي في الإمام بغير ياء. (٤: ١١٥)

الطَّبْرِسيّ: أي (العَاكِفُ) المقيم فيه، (وَالْبَادِ) الّذي ينتابه من غير أهله، مستويان في سكناه والنّزول به، فليس أحدهما أحقّ بالمنزل يكون فيه من الآخر، غير أنّه لايخرج أحد من بيته. (٤: ٨٠)

الفَخْرالرّازيّ: (العَاكِفُ): المقيم به الحاضر، (والبَادِي): الطّارئ، من البدو، وهو النّازع إليه من غربته.

وقال بعضهم: يدخل في (العَاكِف) القريب، إذا جاور ولزمه للتّعبّد، وإن لم يكن من أهله. (٢٣: ٢٤)

القُرطُبيّ: (العَاكِف): المقيم الملازم، (والبادِي): أهل البادية، ومن يقدم عليهم. (١٢: ٣٢)

النّسَفيّ: ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ وغير المقيم، بالياء مكّيّ، وافقه أبوعمرو في الوصل، وغيره بالرّفع على أنّه خبر والمبتدأ مؤخّر، أي العاكف فيه والباد سواء. (٣: ٩٨)

أبوحَيّان : قرئ (وَالبَادي) وصلًا ووقفًا، وبتركها فيها، وبإثباتها وصلًا، وحذفها وقفًا. و(العَاكِفُ): المقيم فيه، (وَالبَادي): الطّارئ عليه. (٦: ٣٦٣)

البُرُوسَويّ : يقال للمقيم بالبادية : باد. والبادية : كلّ مكان يبدو مايعنّ فيه، وبالعكس في شيء من ساعات اللّيل والنّهار. (٦: ٢٢)

الطَّباطَبائيّ : (البَادِي) من البدو وهو الظّهور، والمراد به كما قيل : الطّارئ، أي الّذي يقصده من خارج فيدخله. [إلى أن قال:]

أي المقيم فيه والخارج منه مساويان في أنّ لهما حقّ العبادة فيه لله. والمراد بالإقامة فيه وفي الخارج منه : إمّا الإقامة بمكّة، وفي الخارج منها على طريق المجاز العقليّ، أو ملازمة المسجد للعبادة والطّروّ عليه لها. (١٤: ٣٦٧)

بَادُونَ

يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ... الأحزاب : ٢٠

الطَّبَريّ : يتمنّوا من الخوف والجُبْن أنّهم غُيّب عنكم في البادية مع الأعراب، خوفًا من القتل، وذلك أنّ قوله : ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ تقول : قد بدا فلان، إذا صار في البَدْو فهو يَبْدو، وهو باد.

وأمّا الأعراب فإنّهم جمع أعرابيّ، وواحد العرب عربيّ، وإنّما قيل : أعرابيّ لأهل البَدْو، فرقًا بين أهل البوادي والأمصار، فجعل الأعراب لأهل البادية، والعرب لأهل المصر. (٢١: ١٤٢)

الطُّوسيّ : أي وإن جاءوا الأحزاب تمنّوا أن يكونوا في البوادي مع الأعراب. [إلى أن قال:]

وقرأ طلحة بن مصرّف : (يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بُدًّى فِي الْأَعْرَابِ) جمع بادٍ، مثل غازٍ وغُزًّى، وهي شاذّة لايُقرأ بها. (٨: ٣٢٦)

نحوه ابن عَطيّة (٤: ٣٧٦)، والقُرطُبيّ (١٤: ١٥٤).

الماوَرْديّ : أي يودّ المنافقون لو أنّهم في البادية مع الأعراب، حذرًا من القتل، وتربّصًا للدّوائر. (٤: ٣٨٧)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٤: ٣٤٨)، وابن الجَوزيّ (٦: ٣٦٧)، والفَخرالرّازيّ (٢٥: ٢٠٢)، والقاسميّ (١٣: ٤٨٣٦).

المَيْبُديّ : يودّ هؤلاء المنافقون من شدّة خوفهم وجُبنهم، أنّهم يتركون المنازل وينجون بأنفسهم، فيكونون بادين، أي في البادية مع الأعراب، يقال : بَدا يَبْدو، فهو بادٍ، إذا خرج إلى البادية، ولم يختاروا البادية لأمنها ولكن ليتّسع لهم مسالك الفرار.

وقيل : هم في بُعد النّيّة عن نصرتكم؛ بحيث لو عاودكم الكفّار لكانت منيّتهم أن يكونوا عنكم بعيدًا في بعض البوادي. (٨: ٢٧)

نحوه البَغَويّ (٣: ٦٢٣)، والخازن (٥: ٢٠٣).

الزَّمَخْشَريّ : تمنّوا لخوفهم ممّا مُنوا به هذه الكرّة، أنّهم خارجون إلى «البَدْو» حاصلون بين الأعراب.

وقرئ (بُدًّى) على «فُعَّل»، جمع : بادٍ، كغازٍ وغُزًّى. وفي رواية صاحب «الإقليد» (بَدِيًّ) بوزن عَدِيّ. (٣: ٢٥٦)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٢٤٢)، وأبوالسُّعود (٥: ٢١٧).

أبوحَيّان: وإن يأت الأحزاب كرّة ثانية، تمنّوا لخوفهم بما مُنُوا به عند الكرّة، أنّهم مقيمون في البدو مع الأعراب، وهم أهل العمود يرحلون من قُطرٍ إلى قُطرٍ، يسألون مَن قدم من المدينة، عمّا جرى عليكم من قتال الأحزاب، يتعرّفون أحوالكم بالاستخبار لابالمشاهدة، فَرَقًا وجُبنًا. وغرضهم من البداوة أن يكونوا سالمين من القتال.

وقرأ الجمهور (بَادُونَ) جمع سلامة لـ«بادٍ»، وقرأ عبدالله وابن عبّاس وابن يعمر وطلحة (بُدًّى) على وزن «فُعَّل» كغازٍ وغُزًّى. وليس بقياس في معتلّ اللّام بل شُبّه بضارب، وقياسه «فُعَلَة» كقاضٍ وقُضاة.

وعن ابن عبّاس «بَدا» فعلًا ماضيًا، وفي رواية صاحب «الإقليد» (بَدِيّ) بوزن عَدِيّ. (٧: ٢٢١)

مثله الآلوسيّ. (٢١: ١٦٦)

البُرُوسَويّ: تمنّوا أنّهم خارجون من المدينة إلى البدو، وحاصلون بين الأعراب لئلّا يقاتلوا، والودّ: محبّة الشّيء وتمنّي كونه. وبَدا يَبدو بَداوة، إذا خرج إلى البادية، وهي مكان يبدو مايعنّ فيه، أي يعرض، ويقال للمقيم بالبادية: بادٍ، فالبادون: خلاف الحاضرين، والبَدْو: خلاف الحضَر. (٧: ١٥٦)

البَدْو

...وَقَدْ اَحْسَنَ بِي اِذْ اَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ اَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ اِخْوَتِي... .

يوسف: ١٠٠

ابن عبّاس: إنّه كان قد نزل «بَدا»، وبنى تحت جبلها مسجدًا، ومنها قصد. (الماوَرْديّ ٣: ٨٤)

قَتادَة: كان يعقوب وبنوه بأرض كنعان، أهل مواش وبرّيّة. (الطّبَريّ ١٣: ٧١)

ابن جُرَيْج: كانوا أهل بادية وماشية. (الطّبَريّ ١٣: ٧٢)

ابن إسحاق: كان منزل يعقوب وولده ـ فيما ذكر لي بعض أهل العلم ـ بالعرَبات، من أرض فلسطين ثغور الشّام، وبعض يقول: بالأولاج من ناحية الشّعب، وكان صاحب بادية، له إبل وشاء. (الطّبَريّ ١٣: ٧١)

الطّبَريّ: يقول جلّ ثناؤه مخبرًا عن قيل يوسف: وقد أحسن الله بي، في إخراجه إيّاي من السّجن الّذي كنت فيه محبوسًا، وفي مجيئه بكم من البَدْو، وذلك أنّ مسكن يعقوب وولده فيما ذكر، كان ببادية فلسطين كذلك. (١٣: ٧١)

الماوَرْديّ: وفي قوله: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: [قول قَتادَة المتقدّم]

الثّاني: [قول ابن عبّاس المتقدّم، وبعد نقل قول ابن عبّاس قال:]

يقال: بَدا يَبْدُو، إذا نزل «بَدا» فلذلك قال: وجاء بكم من البَدْو، وإن كانوا سكّان المُدُن.

الثّالث: لأنّهم جاءوا في البادية، وكانوا سكّان مُدُن، ويكون بمعنى «في». (٣: ٨٤)

الطُّوسيّ: أي أتى بكم من أرض فلسطين، لأنّ مسكن يعقوب وولده فيما ذكر كان هناك. والبَدْو: البرّيّة العظيمة، مأخوذ من بَدا يَبْدُو بُدُوًّا، ويقال: بَدْو

وحضر. (٦: ١٩٨)

المَيْبُديّ: لأنّهم كانوا أهل بادية وأصحاب مواشٍ. (٥: ١٣٨)

الزَّمَخْشَريّ: من البادية، لأنّهم كانوا أهل عَمَد وأصحاب مواش، يتنقلون في المياه والمناجع. (٢: ٣٤٤)

الطَّبْرِسيّ: أي من البادية، فإنّهم كانوا يسكنون البادية، ويرعون أغنامهم فيها، فكانت مواشيهم قد هلكت في تلك السّنين بالقحط، فأغناهم الله تعالى بمصيرهم إلى يوسف. (٣: ٢٦٥)

الفَخْرالرّازيّ: في الآية قولان:

القول الأوّل: ﴿جَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾، أي من البادية.

وقال الواحديّ: البَدْو: بسيط من الأرض يظهر فيه الشّخص من بعيد، وأصله من بَدا يَبْدُو بَدْوًا، ثمّ سمّي المكان باسم المصدر، فيقال: بَدْو وحَضَر. وكان يعقوب وولده بأرض كنعان، أهل مواش وبرّيّة.

والقول الثّاني: قال ابن عبّاس رضي الله عنهما كان يعقوب قدتحوّل إلى «بَدا» وسكنها، ومنها قدم على يوسف، وله بها مسجد تحت جبلها.

قال ابن الأنباريّ: بدا: اسم موضع معروف، يقال: هو بين شعب وبَدا، وهما موضعان ذكرهما جميع كثير. [ثمّ استشهد بشعر]

فالبَدْو على هذا القول معناه قصد هذا الموضع الّذي يقال له: «بَدا». يقال: بَدا القوم يبدون بَدْوًا، إذا أتوا بَدا، كما يقال: غار القوم غورًا، إذا أتوا الغور، فكان معنى الآية: وجاء بكم من قصد «بَدا».

وعلى هذا القول كان يعقوب وولده حضريّين، لأنّ البَدو لم يُرد به البادية، لكن عنى به قصد «بَدا»، إلى هاهنا كلام قاله الواحديّ في «البسيط». (١٨: ٢١٥)

نحوه النّيسابوريّ. (١٣: ٤٩)

القُرطُبيّ: يُروى أنّ مسكن يعقوب كان بأرض كنعان، وكانوا أهل مواشٍ وبرّيّة.

وقيل: كان يعقوب تحوّل إلى بادية وسكنها، وأنّ الله لم يبعث نبيًّا من أهل البادية.

وقيل: إنّه كان خرج إلى «بَدا» وهو موضع. [ثمّ استشهد بشعر] (٩: ٢٦٧)

أبوحَيّان: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ من البادية، وكان ينزل يعقوب عليه السلام بأطراف الشّام ببادية فلسطين، وكان ربّ إبل وغنم وبادية. (٥: ٣٤٩)

الآلوسيّ: أي البادية، وأصله: البسيط من الأرض، وإنّما سمّي بذلك لأنّ مافيه يبدو للنّاظر لعدم مايواريه، ثمّ أُطلق على البرّيّة مطلقًا، وكان منزلهم على ماقيل: بأطراف الشّام ببادية فلسطين، وكانوا أصحاب إبلٍ وغنمٍ.

وزعم بعضهم أنّ يعقوب عليه السلام إنّما تحوّل إلى البادية بعد النّبوّة، لأنّ الله تعالى لم يبعث نبيًّا من البادية. [إلى أن قال:]

فالمعنى أتى بكم من قصد «بَدا» فهم حينئذ حضريّون، كذا قاله الواحديّ في «البسيط»، وذكره القُشيريّ، وهو خلاف الظّاهر جدًّا. (١٣: ٦٠)

لِيُبْدِيَ

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَانَهَيكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾.

الأعراف: ٢٠

البغويّ: أي ليظهر لهما ماغطّي وسُتر عنهما من عوراتهما.

قيل: اللّام فيه لام العاقبة، لأنّ إبليس لم يوسوس لهذا، ولكن كان عاقبة أمرهم ذلك، وهو ظهور عوراتهما، كقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ القصص: ٨. (٢: ١٨٤)

نحوه الخازن (٢: ١٧٩)، وابن الجوزيّ (٣: ١٧٩).

الزّمخشريّ: جعل ذلك غرضًا له ليسوءهما، إذا رأيا مايؤثران ستره، وأن لايطّلع عليه مكشوفًا. (٢: ٧٢)

ابن عطيّة: واللّام في قوله: (لِيُبْدِيَ) ـ هي على قول كثير من المؤلّفين ـ لام الصّيرورة والعاقبة، وهذا بحسب آدم وحوّاء، وبحسب إبليس في هذه العقوبة المخصوصة، لأنّه لم يكن له علم بها فيقصدها.

ويمكن أن تكون لام «كي» على بابها، بحسب قصد إبليس إلى حطّ مرتبتهما، وإلقائهما في العقوبة غير مخصّصة. (٢: ٣٨٤)

نحوه القرطبيّ (٧: ١٧٨)، والبيضاويّ (١: ٣٤٤)، وأبوالسّعود (٢: ٤٨٤).

الطّبرسيّ: أي ليظهر لهما. (٢: ٤٠٦)

الفخرالرّازيّ: في هذا اللّام قولان:

أحدهما: أنّه لام العاقبة، كما في قوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ القصص: ٨، وذلك لأنّ الشّيطان لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما، ولم يعلم أنّهما إن أكلا بدت عوراتهما، وإنّما كان قصده أن يحملهما على المعصية فقط.

الثّاني: لايبعد أيضًا أن يقال: إنّه لام الغرض، ثمّ فيه وجهان:

أحدهما: أن يجعل بدو العورة كناية عن سقوط الحُرمة وزوال الجاه، والمعنى أنّ غرضه من إلقاء تلك الوسوسة إلى آدم، زوال حرمته، وذهاب منصبه.

والثّاني: لعلّه رأى في اللّوح المحفوظ، أو سمع من بعض الملائكة أنّه إذا أكل من الشّجرة بدت عورته، وذلك يدلّ على نهاية الضّرر وسقوط الحرمة، فكان يوسوس إليه لحصول هذا الغرض. (١٤: ٤٦)

نحوه النّيسابوريّ (٨: ٨٩)، وأبوحيّان (٤: ٢٧٨)، والآلوسيّ (٨: ٩٩)، والقاسميّ (٧: ٢٦٣٩).

يُبْدِهَا

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ...﴾ يوسف: ٧٧

الطّوسيّ: أي لم يُظهرها لهم. (٦: ١٧٦)

أبوالسّعود: لاقولًا ولافعلًا، صفحًا عنهم وحلمًا، وهو تأكيد لما سبق. (٣: ٤١٩)

مثله البُرُوسَويّ (٤: ٣٠١)، والآلوسيّ (١٣: ٣٣).

عبد الكريم الخطيب: أي تلقّى يوسف منهم هذه التّهمة، فأسرّها في نفسه، ولم يسألهم عنها، ولم يكشف

لهم عن وجه يوسف الّذي ألقوا إليه بهذه التّهمة.

(٧: ٢٨)

تُبْدي

﴿وَاَصْبَحَ فُؤَادُ اُمِّ مُوسٰى فَارِغًا اِنْ كَادَتْ لَتُبْدِى بِهٖ لَوْلَا اَنْ رَبَطْنَا عَلٰى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

القصص: ١٠

النّبيّ ﷺ: كادت أمّ موسى أن تقول وابناه، وتخرج صائحة على وجهها. (ابن عطيّة ٤: ٢٧٨)

ابن مسعود: كادت تقول: أنا أمّه.

(القُرطُبيّ ١٣: ٢٥٦)

ابن عبّاس: أن تقول: ياابناه. (الطّبَريّ ٢٠: ٣٧)

أي تصيح عند إلقائه: واابناه.

(القُرطُبيّ ١٣: ٢٥٦)

عِكْرِمَة: كادت تقول: واابناه من شدّة وجدها به، وذلك حين رأت الموج يرفع ويضع.

(النّيسابوريّ ٢٠: ٢٨)

الضّحّاك: لتُشعر به. (الطّبَريّ ٢٠: ٣٨)

قَتادَة: أي لَتُبْدي به أنّه ابنها، من شدّة وجدها.

(الطّبَريّ ٢٠: ٣٧)

السُّدّيّ: لمّا جاءت أُمّه أخذ منها ـ يعني الرّضاع ـ فكادت أن تقول: هو ابني، فعصمها الله، فذلك قول الله: ﴿اِنْ كَادَتْ لَتُبْدِى بِهٖ لَوْلَا اَنْ رَبَطْنَا عَلٰى قَلْبِهَا﴾. (الطّبَريّ ٢٠: ٣٧)

الكَلْبيّ: ذلك حين سمعت النّاس يقولون: إنّه ابن فرعون. (النّيسابوريّ ٢٠: ٢٨)

مُقاتِل: معناه كادت تصيح على ابنها، شفقة عليه من الغرق. (الطَّبْرِسيّ ٤: ٢٤٢)

ابن زَيْد: لتُعلن بأمره. (الطّبَريّ ٢٠: ٣٨)

الفَرّاء: يعني باسم موسى أنّه ابنها، وذلك أنّ صدرها ضاق بقول آل فرعون: هو ابن فرعون، فكادت تُبدي به أي تظهره. وفي قراءة عبدالله (إن كادَتْ لَتُشْعِرُ بِهِ). (٢: ٣٠٣)

الطّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في المعنى الّذي عادت عليه «الهاء» في قوله: (بِهِ)، فقال بعضهم: هي من ذكر موسى، وعليه عادت. [وبعد ذكر أقوال المفسّرين قال:]

والصّواب من القول في ذلك، ماقاله الّذين ذكرنا قولهم، أنّهم قالوا: إن كادت لتقول: ياابْنَاه، لإجماع الحجّة من أهل التّأويل على ذلك، وأنّه عقيب قوله: ﴿وَاَصْبَحَ فُؤَادُ اُمِّ مُوسٰى فَارِغًا﴾ فلأن يكون لو لم يكن ممّن ذكرنا في ذلك إجماع على ذلك، من ذكر موسى، لقربه منه، أشبه من أن يكون من ذكر الوحي.

وقال بعضهم: بل معنى ذلك إن كادت لَتُبدي بوسى فتقول: هو ابني، قال: وذلك أنّ صدرها ضاق، إذ نُسب إلى فرعون، وقيل: ابن فرعون. وعنى بقوله: ﴿لَتُبْدِى بِهٖ﴾ لَتُظهره وتُخبر به. (٢٠: ٣٧)

الماوَرْديّ: فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن تصيح عند إلقائه: واابناه، قاله ابن عبّاس.

الثّاني: أن تقول لمّا حُملت لإرضاعه وحضانته: هو ابني، قاله السُّدّيّ، لأنّه ضاق صدرها لمّا قيل: هو ابن

فرعون.

الثّالث: أن تُبدي بالوحي، حكاه ابن عيسى. (٤: ٢٢٨)

المَيْبُديّ: في الباء قولان: أحدهما: زيادة، والتّقدير: تبديه. والثّاني: أنّ المفعول مقدّر، أي تُبدي القول به بسبب موسى. (٧: ٢٧٧)

الزّمَخْشَريّ: لتصحر به، والضّمير لموسى، والمراد بأمره وقصّته، وأنّه ولدها. (٣: ١٦٧)

الطَّبْرِسيّ: معناه همّت بأن تقول: إنّها أُمّه، لمّا رأته عند دعاء فرعون إيّاها للإرضاع، لشدّة سرورها به، عن جعفر بن حرب. (٤: ٢٤٢)

القُرطُبيّ: أي لتظهر أمره، من بَدا يَبْدُو، إذا ظهر...

وقال: (لَتُبْدى بِهِ) ولم يقل: لَتُبْديه، لأنّ حروف الصّفات قد تزاد في الكلام، تقول: أخذت الحبل وبالحبل.

وقيل: أي لَتُبْدي القول به. (١٣: ٢٥٦)

أبوحَيّان: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدى بِهِ﴾ هي (إن) المخفّفة من الثّقيلة، واللّام هي الفارقة.

وقيل: (إنْ) نافية، واللّام بمعنى «إلّا»، وهذا قول كوفيّ. والإبداء: إظهار الشّيء. والظّاهر أنّ الضّمير في (بِهِ) عائد على موسىعليه السلام، فقيل: الباء زائدة، أي لتظهره.

وقيل: مفعول تُبْدي محذوف، أي لَتُبْدي القول به، أي بسببه وأنّه ولدها، وقيل: الضّمير في (بِهِ) للوحي، أي لَتُبْدي بالوحي. (٧: ١٠٧)

أبوالسُّعود: أي إنّها كادت لتظهر بموسى، أي بأمره وقصّته من فرط الحيرة والدّهشة، أو الفرح بتبنّيه. (٥: ١١٥)

البُرُوسَويّ: لتظهر بموسى وأنّه ابنها، وتفشي سرّها، وأنّها ألقته في النّيل. يقال: بَدا الشّيء بَدْوًا وبُدُوًّا: ظهر ظهورًا بيّنًا، وأبداه: أظهره إظهارًا بيّنًا. (٦: ٣٨٥)

الآلوسيّ: أي أنّها كادت إلخ، على أنّ (إنْ) هي المخفّفة من الثّقيلة، واللّام هي الفارقة، أو ما كادت إلّا تُبدي به، على أنّ (إنْ) نافية، واللّام بمعنى «إلّا» وهو قول كوفيّ. والإبداء: إظهار الشّيء، وتعديته بالباء لتضمينه معنى التّصريح.

وقيل: المفعول محذوف والباء سببيّة، أي تُبدي حقيقة الحال بسببه، أي بسبب ما عراها من فراقه، وقيل: هي صلة، أي تُبْديه. وكلا القولين كما ترى، والظّاهر أنّ الضّمير المجرور لموسىعليه السلام.

والمعنى: أنّها كادت تصرّح بهعليه السلام، وتقول: واابناه من شدّة الغمّ والوجد، رواه الجماعة عن ابن عبّاس، وروي ذلك أيضًا عن قَتادَة، والسُّدّيّ.

وعن مُقاتِل: أنّها كادت تصيح: واابناه، عند رُؤيتها تلاطم الأمواج به، شفقة عليه من الغرق.

وقيل: المعنى أنّها كادت تظهر أمره من شدّة الفرح بنجاته، وتبنّي فرعون إيّاه.

وقيل: الضّمير للوحي إنّها كادت تظهر الوحي، وهو الوحي الّذي كان في شأنهعليه السلام، المذكور في قوله تعالى: ﴿وَاَوْحَيْنَا اِلىٰ اُمِّ مُوسٰى اَنْ اَرْضِعِيهِ﴾ القصص: ٧، وهو خلاف الظّاهر، ولا تساعد عليه

الرّوايات. (٢٠ : ٤٩)

الطّباطبائيّ: (إن) مخفّفة من الثّقيلة، أي إنّها قربت من أن تظهر الأمر، وتفشي السّرّ لولا أن ثبّتنا قلبها بالرّبط عليه، وقوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي الواثقين بالله في حفظه، فتصبر ولاتجزع عليه فلايبدو أمره. (١٦ : ١٢)

عبد الكريم الخطيب: أي أنّها وقد فرغ قلبها من هذا المهد الّذي كان لوليدها في سويداء القلب، أوشكت أن تصرخ وتندب هذا الوليد، وتنادي في النّاس: إنّ هذا الطّفل الّذي وُجد ملقىً في اليمّ، والّذي التقطه آل فرعون هو وليدها، وإنّها لتودّ أن تُلقي عليه ولو نظرة واحدة، قبل أن يصير إلى هذا المصير المجهول. (١٠ : ٣١٦)

يُبْدِينَ

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ اَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ اِلَّا مَاظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلٰى جُيُوبِهِنَّ وَلَايُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ... النّور: ٣١

راجع «ز ي ن»

تُبْدُونَ

١ـ ...قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَكُمْ اِنِّيٓ اَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاَعْلَمُ مَاتُبْدُونَ وَمَاكُنْتُمْ تَكْتُمُونَ.

البقرة: ٣٣

ابن مسعود: قولهم: ﴿اَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ البقرة: ٣٠، فهذا الّذي أبدوا، و﴿وَمَاكُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يعني ماأسرّ إبليس في نفسه من الكِبْر. (الطّبَريّ ١ : ٢٢٢)

مثله الرّبيع (الطّبَريّ ١ : ٢٢٣)، والماوَرْديّ (١ : ١٠١)، والميبديّ (١ : ١٣٨).

ابن عبّاس: ماتظهرون. (الطّبَريّ ١ : ٢٢٢)

الحسن: ماأبدوه هو قولهم: (اَتَجْعَلُ فِيهَا). وماكتموه قولهم: لن يخلق الله أكرم عليه منّا.

مثله قَتادَة. (أبوحَيّان ١ : ١٥٠)

الطّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في تأويل ذلك. [ثمّ ذكر الأقوال في المراد بـ(مَاتُبْدُونَ و مَاتَكْتُمُونَ) إلى أن قال:]

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ماقاله ابن عبّاس: وهو أنّ معنى قوله: ﴿وَاَعْلَمُ مَاتُبْدُونَ﴾ وأعلم مع علمي غيب السّماوات والأرض، ماتظهرون بألسنتكم. ﴿وَمَاكُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ وماكنتم تخفونه في أنفسكم، فلايخفى عليّ شيء، سواء عندي سرائركم وعلانيتكم، والّذي أظهروه بألسنتهم ماأخبر الله جلّ ثناؤه عنهم أنّهم قالوه، وهو قولهم: ﴿اَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ البقرة: ٣٠. (١ : ٢٢٢)

المهدويّ: (مَاتُبْدُونَ) قولهم ليخلق ربّنا ماشاء، فلن يخلق أعلم منّا ولاأكرم عليه، فجعل هذا ممّا أبدوه لما قالوه. (ابن عَطيّة ١ : ١٢٣)

القُشَيريّ: (مَاتُبْدُونَ) من الطّاعات، وتكتمون من اعتقاد الخيريّة على آدم عليه الصّلاة والسّلام (١ : ٩٠)

ابن عَطيّة: اختلف المفسّرون في قوله تعالى:

﴿مَاتُبْدُونَ وَمَاكُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، فقالت طائفة: ذلك على معنى العموم في معرفة أسرارهم وظواهرهم وبواطنهم أجمع.

وحكى مكّيّ أنّ المراد بقول (مَاتُبْدُونَ) قولهم: (أَتَجْعَلُ فِيهَا) الآية.

وقال الزّهراويّ: ماأبدوه هو بدارهم بالسّجود لآدم. (١: ١٢٣)

ابن عربيّ: ﴿وَأَعْلَمُ مَاتُبْدُونَ﴾ من علمكم بمفاسد الإنسان، ﴿وَمَاكُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من ترجيحكم ذواتكم عليه، لنزاهتها وتقدّسها. (١: ٣٨)

الطّبْرِسيّ: قيل: فيه أقوال:

أحدها: أنّه أراد أعلم سرّكم وعلانيتكم، وذكر ذلك تنبيهًا لهم على مايحيلهم عليه من الاستدلال، لأنّ الأُصول الأُوَل الّتي يستدلّ بها إنّما تذكر على وجه التّنبيه، ليستخرج بها غيرها، فيستدلّ بعلمه الغيب على أنّه خلق عباده على ماخلقهم عليه، للاستصلاح في التّكليف وماتوجبه الحكمة.

وثانيها: أنّه أراد وَأَعْلَمُ ﴿مَاتُبْدُونَ﴾ من قولكم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾، ﴿وَمَاكُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، من إضمار إبليس المعصية والمخالفة.

قال عليّ بن عيسى: وهذا ليس بالوجه، لأنّ الخطاب للملائكة وليس إبليس منهم، ولأنّه عامّ فلايخصّ إلّا بدليل.

وجوابه أنّ إبليس لمّا دخل معهم في الأمر بالسّجود، جاز أن يُذكر في جملتهم. وقد رويت روايات تؤيّد هذا القول، واختاره الطّبَريّ.

وثالثها: أنّ الله تعالى لمّا خلق آدم مرّت به الملائكة، قبل أن ينفخ فيه الرّوح، ولم تكن رأت مثله، فقالوا: لن يخلق الله خلقًا إلّا كنّا أكرم منه وأفضل عنده، فهذا ماأخفوه وكتموه. وأمّا ماأبدوه فقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾، روي ذلك عن الحسن.

والأوّل أقوى لأنّه أعمّ. (١: ٧٩)

البَيْضاويّ: استحضار لقوله: ﴿أَعْلَمُ مَالَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٣٠، لكنّه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجّة عليه، فإنّه تعالى لمّا علم ماخفي عليهم من أُمور السّماوات والأرض، وماظهر لهم من أحوالهم الظّاهرة والباطنة، علم مالايعلمون.

وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الأَولى، وهو أن يتوقّفوا مترصّدين لأن يبين لهم. وقيل: (مَاتُبْدُونَ) قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾، (وَمَاتَكْتُمُونَ)، استبطانهم أنّهم أحِقّاء بالخلافة، وأنّه تعالى لايخلق خلقًا أفضل منهم.

وقيل: ماأظهروا من الطّاعة، وأسرّ إبليس منهم من المعصية. (١: ٤٧)

نحوه البُرُوسَويّ. (١: ١٠٢)

أبوحَيّان: قال عليّ وابن مسعود وابن عبّاس رضوان الله عليهم أجمعين: (مَاتُبْدُونَ) الضّمير للملائكة، ﴿وَمَاكُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يعني إبليس، فيكون من خطاب الجمع، ويراد به الواحد، نحو ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ الحجرات: ٤.

وروي أنّ إبليس مرّ على جسد آدم بين مكّة والطّائف، قبل أن ينفخ فيه الرّوح، فقال: لأمر مّاخُلق

هذا؟ ثمّ دخل من فيه وخرج من دُبُره، وقال: إنّه خَلْق لايتمالك لأنّه أجوف، ثمّ قال للملائكة الّذين معه: أرأيتم إن فُضّل هذا عليكم وأُمرتم بطاعته ماتصنعون؟ قالوا: نُطيع الله، فقال إبليس في نفسه: والله لئن سُلّطتُ عليه لأهلكنّه، ولئن سُلّط عليّ لأعصينّه، فهذا قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَاتُبْدُونَ﴾ الآية، يعني من قول الملائكة وكتم إبليس.

وقيل: ماأبدوه هو الإقرار بالعجز، وماكتموه الكراهيّة لاستخلاف آدم عليه السلام.

وقيل: هو عامّ فيما أبدوه وماكتموه من كلّ أمورهم، وهذا هو الظّاهر. (١: ١٥٠)

رشيد رضا: والّذي يبدونه هو مايظهر أثره في نفوسهم، وأمّا مايكتمون فهو مايوجد في غرائزهم وتنطوي عليه طبائعهم. (١: ٢٦٤)

القاسميّ: أي ماتظهرونه بألسنتكم، وماكنتم تخفون في أنفسكم. (٢: ١٠٠)

الطّباطبائيّ: كان هذان القسمان من الغيب النّسبيّ الّذي هو بعض السّماوات والأرض، ولذلك قوبل به قوله: ﴿أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ليشمل قسمي الغيب: أعني الخارج عن العالم الأرضيّ والسّماويّ، وغير الخارج عنهما. (١: ١١٨)

٢ـ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَاتُبْدُونَ وَمَاتَكْتُمُونَ. النّور: ٢٩

الطّبريّ: والله يعلم ماتظهرون أيّها النّاس بألسنتكم من الاستئذان، إذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة. (١٨: ١١٦)

الطّوسيّ: أي لايخفى عليه ماتظهرونه ولا ما تكتمونه، لأنّه عالم بجميع ذلك. (٧: ٤٢٧)

المَيْبُديّ: أي إذا دخلتم بيوت غيركم فاتّقوا الله، فإنّه يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصّدور. (٦: ٥١١)

الزّمَخْشَريّ: وعيد للّذين يدخلون الخربات والدّور الخالية من أهل الرّيبة. (٣: ٦٠)

مثله الفَخْرالرّازيّ. (٢٣: ٢٠٠)

البَيْضاويّ: وعيد لمن دخل مدخلًا لفساد، أو تطّلع على عورات. (٢: ١٢٤)

مثله أبو السُّعود (٤: ٤٥٣)، والبُرُوسَويّ (٦: ١٣٩)، والآلوسيّ (١٨: ١٣٨).

تُبْدُوا

١ـ لِلّٰهِ مَافِي السَّمٰوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَافِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ... البقرة: ٢٨٤

القُشَيْريّ: من المعاني والدّعاوي، ويقال: من القصود والرّغائب، وفنون الحوائج والمطالب.

ويقال: ماتُبْديه العبادة، وماتُخفيه الإرادة.

ويقال: ماتُخفيه الخطرات وماتُبديه العبارات.

ويقال: ماتُخفيه السّكنات، وتُبديه الحركات.

ويقال: الإشارة إلى استدامة المراقبة، واستصحاب المحاسبة، فلاتغفل خطرة، ولاتهمل وقتك نفسًا. (١: ٢٢٧)

وفيها مباحث أُخرى راجع «ح س ب ـ ن ف س»

٢ـ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ... البقرة: ٢٧١

راجع «ص د ق».

٣ـ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا. النساء: ١٤٩

راجع «خ ي ر»

تُبْدَ

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَسْئَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْئَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ... المائدة: ١٠١

راجع «س ء ل ـ ش ي ء»

تُبْدُونَهَا

...تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا... الأنعام: ٩١

راجع «خ ف ي»

مُبْدِيهِ

...وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَااللّٰهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَـٰهُ... الأحزاب: ٣٧

ابن عبّاس: حبّها. (ابن الجوزيّ ٦: ٣٨٧)

عائشة: لو كتم رسول الله ﷺ شيئًا، ممّا أُوحي إليه من كتاب الله، لكتم ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَااللّٰهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَـٰهُ﴾.

(الطّبَريّ ٢٢: ١٣)

الإمام زين العابدين ﷺ: الّذي أخفاه في نفسه: هو أنّ الله سبحانه أعلمه أنّها ستكون من أزواجه، وأنّ زيدًا سيطلّقها، فلمّا جاء زيد وقال له: أُريد أن أُطلّق زينب، قال له: أمسك عليك زوجك، فقال سبحانه: لِمَ قلت: أمسك عليك زوجك، وقد أعلمتك أنّها ستكون من أزواجك.

(الطّبْرِسيّ ٤: ٣٦٠)

نحوه الحسَن (الماوَرْديّ ٤: ٤٠٦)، والبُرُوسَويّ (٧: ١٧٩).

الحسَن: ماأُنزلت عليه آية كانت أشدّ عليه منها، قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَااللّٰهُ مُبْدِيهِ﴾، ولو كان نبيّ الله ﷺ كاتمًا شيئًا من الوحي لكتمها.

(الطّبَريّ ٢٢: ١٣)

قَتادَة: وكان يُخفي في نفسه وَدَّ أنّه طلّقها.

(الطّبَريّ ٢٢: ١٣)

نحوه ابن جُرَيْج، ومُقاتِل. (ابن الجَوزيّ ٦: ٣٨٧)

ابن زَيْد: كان النّبيّ ﷺ قد زوّج زيد بن حارثة زينب بنت جَحْش ابنة عمّته، فخرج رسول الله ﷺ يومًا يريده وعلى الباب ستر من شَعر، فرفعت الرّيح السّتر، فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النّبيّ ﷺ، فلمّا وقع ذلك كرهت إلى الآخر، فجاء فقال: يارسول الله إنّي أُريد أن أُفارق صاحبتي، قال: مالكَ، أرابك منها شيء؟ قال: لا، والله مارابني منها شيء يارسول الله، ولارأيت إلّا خيرًا. فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللّٰهَ﴾، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ

أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ﴾ ، تخفي في نفسك إن فارقها تزوّجتها.
(الطَّبَريّ ٢٢: ١٣)

الإمام الرّضاعليه السلام : وأمّا محمّدصلى الله عليه وآله وقول الله عزّوجلّ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشٰيهُ﴾ فإنّ الله تعالى عرّف نبيّه صلى الله عليه وآله أسماء أزواجه في دار الدّنيا، وأسماء أزواجه في الآخرة، وأنّهنّ أُمّهات المؤمنين، وأحدهنّ سمّي له زينب بنت جحش، وهي يومئذٍ تحت زيد بن حارثة، فأخفى صلى الله عليه وآله اسمها في نفسه ولم يُبده، لكيلا يقول أحد من المنافقين: إنّه قال في امرأة في بيت رَجُل: إنّها أحد أزواجه من أُمّهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشٰيهُ﴾ يعني في نفسك... (العَروسيّ ٤: ٢٨١)

إنّ رسول الله قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكَلْبيّ في أمر أراده، فرأى امرأته تغتسل، فقال لها: «سبحان الله الّذي خلقكِ» وإنّما أراد بذلك تنزيه الله تعالى عن قول من زعم: أنّ الملائكة بنات الله، فقال الله عزّوجلّ: ﴿أَفَأَصْفٰيكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ الإسراء: ٤٠، فقال النّبيّصلى الله عليه وآله لمّا رآها تغتسل: سبحان الّذي خلقكِ، أن يتّخذ ولدًا يحتاج إلى هذا التّطهير والاغتسال، فلمّا عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجيء الرّسولصلى الله عليه وآله، وقوله لها: «سبحان الّذي خلقكِ» فلم يعلم زيد ما أراد بذلك، فظنّ أنّه قال ذلك لما أعجبه من حسنها، فجاء إلى النّبيّصلى الله عليه وآله فقال: يارسول الله إنّ امرأتي في خُلقها سوء وإنّي أُريد طلاقها. فقال له النّبيّصلى الله عليه وآله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ﴾.

وقد كان الله عزّوجلّ عرّفه عدد أزواجه، وإنّ تلك المرأة منهنّ، فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد، وخشي النّاس أن يقولوا: إنّ محمّدًا يقول لمولاه: إنّ امرأتك ستكون لي زوجة، فيعيبونه بذلك، فأنزل الله ﴿وَإِذْ تَقُولُ...﴾. (العَروسيّ: ٤: ٢٨١)

الجُبّائيّ: أضمر أن يتزوّجها إن طلّقها زيد، من حيث إنّها ابنة عمّته، فأراد ضمّها إلى نفسه لئلّا يصيبها ضيعة، كما يفعل الرّجل بأقاربه، فأخبر الله سبحانه النّاس بما كان يُضمره، من إيثار ضمّها إلى نفسه، ليكون ظاهره مطابقًا لباطنه. (الطَّبْرِسيّ ٤: ٣٦٠)

الطَّبَريّ: وتخفي في نفسك محبّة فراقه إيّاها، لتتزوّجها إن هو فارقها، والله مُبدٍ ما تخفي في نفسك من ذلك. (٢٢: ١٢)

نحوه البَغَويّ (٣: ٦٤٢)، والخازن (٥: ٢١٥).

الماوَرْديّ: فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنّ الّذي أخفاه في نفسه ميله إليها.

الثّاني: إشارة لطلاقها، قاله ابن جُرَيْج.

الثّالث: أخفى في نفسه إن طلّقها زيد تزوّجها.

الرّابع: أنّ الّذي أخفاه في نفسه: أنّ الله أعلمه أنّها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوّجها، قاله الحسن.
(٤: ٤٠٦)

الطُّوسيّ: الّذي أخفى في نفسه: أنّه إن طلّقها زيد تزوّجها، وخشي من إظهار هذا للنّاس، وكان الله تعالى أمره بتزوّجها إذا طلّقها زيد، فقال الله تعالى له: إن

تركت هذا خشية النّاس فترك إضماره خشية الله أحقّ وأولى ...

وقيل: إنّ زيدًا لمّا جاء مخاصمًا زوجته، فرآها النّبيّ ﷺ، استحسنها وتمنّى أن يفارقها زيد حتّى يتزوّجها فكتم.

قال البلخيّ: وهذا جائز، لأنّ هذا التّمنّي هو ماطبع الله عليه البشر، فلاشيء على أحدٍ إذا تمنّى شيئًا استحسنه. (٨: ٣٤٤)

القُشيريّ: أي لم تُظهر لهم أنّ الله عرّفك مايكون من الأمر في المستأنف، وتُخفي في نفسك من ميلك ومحبّتك لها، لاعلى وجه لايحلّ. (٥: ١٦٣)

ابن عَطيّة: واختلف النّاس في تأويل هذه الآية، فذهب قَتادَة وابن زَيْد وجماعة من المفسّرين منهم الطّبَريّ وغيره إلى أنّ النّبيّ ﷺ وقع منه استحسان لزينب وهي في عصمة زَيْد، وكان حريصًا على أن يطلّقها زيد فيتزوّجها هو، ثمّ إنّ زيدًا لمّا أخبره بأنّه يريد فراقها، ويشكو منها غلظة قول وعصيان أمر وأذى باللّسان وتعظّمًا بالشّرف، قال له: اتّق الله فيما تقول عنها و﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وهو يُخفي الحرص على طلاق زيد إيّاها.

وهذا هو الّذي كان يُخفي في نفسه، ولكنّه لزم مايجب من الأمر بالمعروف، وقالوا: خشي رسول الله ﷺ قالة النّاس في ذلك، فعاتبه الله تعالى على جميع هذا. وقرأ ابن أبي عبلة: (مَا اللهُ مُظْهِرُهُ).

وقال الحسن: ما نزل على رسول الله ﷺ شيء أشدّ عليه من هذه الآية.

وقال هو وعائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية لشدّتها عليه.

وروى ابن زَيْد في نحو هذا القول: أنّ النّبيّ ﷺ طلب زيدًا في داره فلم يجده، ورأى زينب حاسرة فأعجبته، فقال: سبحان الله مقلّب القلوب.

وروي في هذه القصّة أشياء يطول ذكرها، وهذا الّذي ذكرناه مستوف لمعانيها، وذهب قوم من المتأوّلين إلى أنّ الآية لاكبير عتب فيها.

ورووا عن عليّ بن الحسين: أنّ النّبيّ ﷺ كان قد أوحى الله إليه أنّ زيدًا يُطلّق زينب، وأنّه يتزوّجها بتزويج الله إيّاها له، فلمّا تشكّى زيد للنّبيّ ﷺ خُلُق زينب، وأنّها لاتطيعه، وأعلمه بأنّه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصيّة: (اتّقِ الله)، أي في أقوالك، و﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، وهو يعلم أنّه سيفارقها.

وهذا هو الّذي أخفى في نفسه، ولم يُرد أن يأمره بالطّلاق، لما علم من أنّه سيتزوّجها، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من النّاس، في أن يتزوّج زينب بعد زَيْد وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر، من أن خشي النّاس في أمر قد أباحه الله تعالى له، وإن قال: (أمْسِكْ) مع علمه أنّه يطلّق، وأعلمه أنّ الله أحقّ بالخشية، أي في كلّ حال. (٤: ٣٨٦)

نحوه القُرطُبيّ. (١٤: ١٨٩)

الطَّبْرِسيّ: [وبعد نقل كلام الإمام زين العابدين عليه السلام قال:]

وهذا التّأويل مطابق لتلاوة الآية، وذلك أنّه

سبحانه أعلم أنّه يُبدي ماأخفاه، ولم يُظهر غير التّزويج، فقال: (زَوَّجْنَاكَهَا) فلو كان الّذي أضمره محبّتها أو إرادة طلاقها لأظهر الله تعالى ذلك، مع وعده بأنّه يُبديه، فدلّ ذلك على أنّه إنّما عوتب على قوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ مع علمه بأنّها ستكون زوجته، وكتمانه ماأعلمه الله به؛ حيث استحيا أن يقول لزيد: إنّ الّتي تحتك ستكون امرأتي. (٤: ٣٦٠)

نحوه أبوحيّان. (٧: ٢٣٤)

الفَخْرالرّازيّ: من أنك تريد التّزوّج بزينب. (٢٥: ٢١٢)

أبوالسُّعود: هو نكاحها إن طلّقها، أو إرادة طلاقها. (٥: ٢٢٨)

الآلوسيّ: والمراد بالموصول على ماأخرج الحكيم التّرمذيّ وغيره عن عليّ بن الحسين رضي الله تعالى عنهما: ماأوحى الله تعالى به إليه، أنّ زينب سيطلّقها زيد ويتزوّجها بعدهُ عليه الصّلاة والسّلام، وإلى هذا ذهب أهل التّحقيق من المفسّرين: الزّهريّ وبكر بن العلاء والقُشيريّ والقاضي أبي بكر ابن العربيّ وغيرهم. [إلى أن قال:]

وأخرج جماعة عن قَتادة أنّه ﷺ كان يُخفي إرادة طلاقها، ويخشى قالةَ النّاس إن أمره بطلاقها، وأنّه عليه الصّلاة والسّلام قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ﴾ وهو يحبّ طلاقها. والعتاب عليه على إظهار ماينافي الإضمار.

وقد ردّ ذلك القاضي عياض في «الشّفاء» وقال: لاتسترب في تنزيه النّبيّ ﷺ عن هذا الظّاهر، وأنّه يأمر زيدًا بإمساكها، وهو يحبّ تطليقه إيّاها، كما ذكره جماعة من المفسّرين، إلى آخر ماقال.

وذكر بعضهم أنّ إرادته ﷺ طلاقها، وحبّه إيّاه كان مجرّد خطوره بباله الشّريف، بعد العلم بأنّه يريد مفارقتها، وليس هناك حسد منه عليه الصّلاة والسّلام، وحاشاه له عليها، فلامحذور. والأسلم ماذكرناه عن زين العابدين رضي الله تعالى عنه، والجمهور.

وحاصل العتاب: لِمَ قُلت: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وقد أعلمتك أنّها ستكون من أزواجك، وهو مطابق للتّلاوة، لأنّ الله تعالى أعلم أنّه مُبْدي ماأخفاه عليه الصّلاة والسّلام، ولم يُظهر غير تزويجها منه، فقال سبحانه: (زَوَّجْنَاكَهَا)، فلو كان المضمر محبّتها وإرادة طلاقها ونحو ذلك، لأظهره جلّ وعلا.

وللقُصّاص في هذه القصّة كلام لاينبغي أن يُجعل في حيّز القبول. (٢٢: ٢٤)

عبد الكريم الخطيب: إشارة إلى ماكان يُخفيه النّبيّ من أمر الله في هذا الزّواج، وأنّه مُنتهٍ إلى الفراق، فقد أخفى النّبيّ هذا الّذي علمه من ربّه، ولكنّ الله سبحانه وتعالى سيُبديه في حينه، وذلك حين يقع القدر المقدور، ويتمّ الطّلاق. (١١: ٧٢٢)

وسيأتي ردّ بعض الأقوال المذكورة في مادّة «زوج» فراجع.

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة في رأينا ـ وهو خلاف كلّ اللّغويّين ـ «البادية» وهي الأرض الّتي لاحضر فيها،

يقال: بَدا الرّجل يَبْدو بَدْوًا، وتبدّى أيضًا، إذا نزل البادية، فهو بادٍ ومتبدٍّ، مثل: أنجَد الرّجل وأعرقَ، أي أتى نجدًا والعراق. وتبادى: تشبّه بأهل البادية، كقولهم: تكوّف الرّجل، أي تشبّه بأهل الكوفة، وتعرّب: تشبّه بالعرب.

ثمّ سمّي كلّ بروز من بناء بَدْوًا، فيقال لمن يتغوّط ويحدث: قد بَدا يَبدو، وأبدى يُبدي فهو مبدٍ، لأنّه إذا فعل ذلك يخرج إلى العراء، وهو محلّ تغوّطهم آنذاك.

ثمّ أطلق على مطلق الظّهور، يقال: بَدا الشّيء يَبْدو بَدْوًا وبُدُوًّا وبَداءً وبَدًا: ظهرَ، وأبديتُه أنا وبدّيته: أظهرته. وبادى فلان بالعداوة: جاهر بها، وتبادى القوم بالعداوة: تجاهروا بها. وبَدَتْ بوادٍ من فلان: ظهرت منه ظواهر، وفلان ذوبَدَوات، أي ذوآراء تظهر له، وهو مدح للرّجل الحازم، وكذا قولهم: أبوالبَدَوات.

ومنه أيضًا: البَداءُ، وهو بالنّسبة إلى المخلوق استصواب شيء علمه لاحقًا، بعد أن لم يعلمه سابقًا، وذلك على الله غير جائز، يقال: بَدا لي في هذا الأمر بَداءً وبَدْوًا، أي نشأ وظهر لي فيه رأي آخر. وأمّا بالنّسبة إلى الله تعالى فهو ظهور إرادته وقضائه مجدّدًا، والكلام فيه طويل، وقد تقدّم شيء منه في النّصوص.

٢ـ والبَدْوُ: مصدر بَدا يَبْدو بَدْوًا، وهو ممّا سمّي به من المصادر، فقد سمّي به سكّان البادية ومكانهم أيضًا، أي البادية، والنّسبة إليه بَدَويّ ـ محرّكة ـ على غير قياس، لأنّ القياس بَدْويّ، بسكون الدّال.

والبَداوةُ والبِداوةُ: خلاف الحضارة، والنّسبة إليها بَداويّ وبِداويّ، على القياس. وقيل: إنّ البَداويّ منسوب إلى البَدْو والبادية، وهو شاذّ ونادر.

٣ـ هناك خلط بين مادّتي (ب د أ) و(ب د و) في المصدر وفي اسم الفاعل، فقد قُرئ ﴿هُمْ اَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ هود: ٢٧، بالهمزة والياء جميعًا، بل تعدّى الخلط في اللّفظ إلى المعنى أيضًا، حيث قيل: إنّ البدو أوّل الظّهور، فما ظهر فقد بَدأ، وما بدأ فقد ظهر، لاحظ «ب د أ».

الاستعمال القرآنيّ

ورد استعمال هذه المادّة في القرآن على النّحو التّالي:

١ـ الأفعال:

الماضي: ١ـ ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ الأنعام: ٢٨

٢ـ ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَارَاَوُا الْاٰيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتّٰى حِينٍ﴾ يوسف: ٣٥

٣ـ ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَالَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ الزّمر: ٤٧

٤ـ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَاكَسَبُوا﴾ الزّمر: ٤٨

٥ـ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَاعَمِلُوا﴾ الجاثية: ٣٣

٦ـ ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ اَبَدًا﴾ الممتحنة: ٤

٧ـ ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ اَكْبَرُ﴾ آل‌عمران: ١١٨

٨ـ ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْاٰتُهُمَا﴾ الأعراف: ٢٢

٩ـ ﴿فَاَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْاٰتُهُمَا﴾ طٰه: ١٢١

المضارع: ١٠ـ ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ...﴾ البقرة: ٢٧١

١١ـ ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾ البقرة: ٢٨٤

١٢ـ ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ النساء: ١٤٩

١٣ـ ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ الأحزاب: ٥٤

١٤ـ ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾

البقرة: ٣٣

١٥و١٦ـ ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾

المائدة: ٩٩ والنور: ٢٩

١٧ـ ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾

الأنعام: ٩١

١٨ـ ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾ آل‌عمران: ٢٩

١٩ـ ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ القصص: ١٠

٢٠ـ ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾

يوسف: ٧٧

٢١ـ ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾

آل‌عمران: ١٥٤

٢٢ـ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ الأعراف: ٢٠

٢٣ـ ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾

النور: ٣١

٢٤ـ ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ﴾

النور: ٣١

٢٥ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ المائدة: ١٠١

٢٦ـ ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ المائدة: ١٠١

٢ـ الصّفات:

٢٧ـ ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ الحجّ: ٢٥

٢٨ـ ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ هود: ٢٧

٢٩ـ ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ الأحزاب: ٢٠

٣٠ـ ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ﴾

الأحزاب: ٣٧

٣ـ الاسم:

٣١ـ ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ يوسف: ١٠٠

يلاحظ أوّلًا: أـ أنّ الأفعال في الآيات (١) إلى (٩) مجرّدة ولازمة، وكلّها فعل ماضٍ، وهي تتناول أحوال الكافرين والمشركين وأهل الكتاب أو بني إسرائيل (١)، وسلوك عزيز مصر وأعوانه مع يوسف (٢)، وتبرّؤ أتباع إبراهيم من قومهم (٦)، وانكشاف سوآت آدم وحوّاء بعد أكلهما من الشّجرة (٩).

ب ـ ويرمز تجرّد هذه الأفعال إلى تجرّد ما بدا لهؤلاء ممّا يشوبه من اللّبس والغموض، بل رأوا يومئذٍ بوضوح

ما آلت إليه حالهم، كما يرمز لزومها وقصورها إلى لزوم أثر ذلك لأنفسهم في الدّنيا والآخرة، ويحكي كذلك قصور تفكيرهم.

ج ـ وأمّا صيغة الماضي فيها فهي رمز الحكاية وتحقّق الوقوع، وإن كان معناها فيا يرجع إلى وصف الآخرة مستقبلًا، كما في (١) و(٣) و(٤) و(٥).

ثانيًا: أـ أنّ الأفعال في سائر الآيات ـ وهي من (١٠) إلى (٢٦) ـ مزيدة من باب الإفعال، ومضارعة فقط، وهي ضعف الماضي تقريبًا. وتتناول غالبًا أحوال المسلمين في الآيات (١٠) و(١١) و(١٢) و(١٣) و(١٥) و(١٦) و(١٨) و(٢٣) و(٢٤) و(٢٥) و(٢٦). وغير المسلمين، وهم: الملائكة في (١٤)، واليهود في (١٧)، وأمّ موسى في (١٩)، ويوسف في (٢٠)، والمنافقون في (٢١)، والشّيطان في (٢٢).

ب ـ وأدّت زيادة الفعل هنا إلى زيادة معناه بالمفعول به، سواء كان ظاهرًا أم مقدّرًا، كما في (١٤) و(١٥) و(١٦).

ج ـ وترمز مضارعته وحاليّته ـ كما في الفعل المجرّد أيضًا ـ إلى استمرار معناه، ودوام فحواه على مرّ الأحقاب والدّهور.

د ـ بيد أنّ فيها فعلين يعنيان المضيّ دون الاستقبال؛ أحدهما مثبت والآخر منفيّ. فالأوّل (١٩): ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ القصص: ١٠، أي أبدت به تقريبًا، والثّاني (٢٠): ﴿وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ يوسف: ٧٧، أي ما أبداها لهم.

هـ ـ وكلّها بمعنى ظهور أمر مادّيّ، كما في (٨) و(٩)، أو معنويّ كما في غيرها، سوى الآية (٢) وحدها، فهي بمعنى تجدّد وظهور الرّأي والبداء.

و ـ وقد جاء (بدا) في السّتّ الأُولى مذكّرًا، وفي الثّلاث الأخيرة مؤنّثًا، أي أنّ المذكّر ضعف المؤنّث.

وهذا رغم كون الفاعل في غير الثّلاث الأُولى مؤنّثًا لفظًا، وأنّ الفاعل في كلّ من (٦) و(٧) العداوة والبغضاء بفارق واحد، وهو فصل (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) بين الفعل والفاعل في (٦)، فجاء الفعل مذكّرًا، وجاء في (٧) مؤنّثًا لعدم الفصل بينهما.

ز ـ هناك فرق بين الماضي والمضارع، فالماضي في الجميع مثبت، وليس فيها منفيّ، والمضارع في جميعها مثبت إلّا أربعًا، فاثنتان منها نفي (٢٠) و(٢١)، واثنتان نهي (٢٣) و(٢٤).

ح ـ هناك فرق آخر بين الماضي والمضارع، وهو أنّ الماضي كلّه جزميّ، والمضارع ستّ منه مشروط، وهي: (١٠) و(١١) و(١٢) و(١٣) و(١٨) و(٢٥) و(٢٦)، وعشر جزميّ، وهي سائر الأرقام. فالجزميّ منه ضعف المشروط بنقص واحدة، وهو مثل الماضي بزيادة واحدة، كما أنّ المشروط منه ثلثا الماضي الجزميّ. هذا لو كان (إنْ) في ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ القصص: ١٠، مخفّف الثّقيلة بقرينة اللّام، وعليه الأكثر، أمّا إذا كانت شرطيّة ـ وهو بعيد ـ فيزيد المشروط وينقص الجزميّ بواحدة، فيصير المشروط سبعة والجزميّ تسعة.

ط ـ والمضارع كلّه متعدّ بنفسه إلّا واحدة (١٩): ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ القصص: ١٠، وقد اختلفت الأقوال في توجيه ذلك على النّحو الآتي:

١ـ الباء زائدة، لأنّ حروف الصّفات قد تزاد في الكلام، تقول: أخذت الحبل وبالحبل.

٢ـ لَتُبْدي: لتقول به، أي بسبب موسى.

٣ـ تضمين (لَتُبْدي) معنى تعلن به، أو تصرّح به، أو تصيح به، أو تُشعر به، أو تُخبر به، ونحوها. والمناسب للسّياق نظرًا إلى موقف الأمّ هنا هو أن تصيح به. هذا كلّه على أنّ الضّمير في (بِهِ) راجع إلى موسى، وقيل: إنّه راجع إلى الوحي، وهو بعيد.

ي ـ كما جاء مبنيًّا للمعلوم دائمًا، إلّا آيتين: (٢٥) و(٢٦).

ك ـ جاء الإبداء طباقًا للإخفاء، في عشرة موارد: (١) و(٧) و(١٠) و(١١) و(١٢) و(١٣) و(١٧) و(١٨) و(٢١) و(٣٠)، وللكتمان في موردين: (١٤) و(١٥)، وللإسرار في مورد واحد: (٢٠)، وللوريّ في مورد واحد أيضًا: (٢٢): ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَاوُرِيَ عَنْهُمَا﴾ الأعراف: ٢٠.

ولابدّ من بيان الفرق بينها ـ كما سيأتي في «خ ف ي» ـ إذ يحتاج إلى بحث طويل. كما جاء مع الظّهور مرّة واحدة (٢٣): ﴿وَلَايُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَاظَهَرَ مِنْهَا﴾ النّور: ٣١، أي إلّا مابَدى بنفسه، فوَضْع (ظهَر) موضع (بَدى) تفنّن لطيف.

و ثالثًا: من الصفات: أ ـ البادي: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ الحجّ: ٢٥.

البادي في الأصل هو البدويّ، من قولهم: بَدا الرّجل يَبْدُو بَدْوًا، أي نزل البادية، والمراد به هنا بقرينة السّياق غير المقيم، ممّن جاء من خارج الحرم، أي جعلنا المسجد الحرام لأهل الحرم وخارجه على السّواء، وهذا كقولهم: القريب والبعيد، والقاصيّ والدّانيّ.

ولكن ألا يكفي قوله: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ فيشمل العاكف والباديّ أيضًا، والعربيّ والأعجميّ، والأبيض والأسود؟

لعلّ العبرة في ذلك ـ والله أعلم ـ أنّه تخصيص بعد تعميم، أو تبيين بعد إجمال، وحكمها واحد، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثٰى﴾ النّساء: ١٢٤، ولاسيّما أنّ شعيرة الحجّ تمتاز عن سائر شعائر الدّين بوقت واحد ومكان واحد، فيجتمع عند أدائها عامّة المسلمين على اختلاف أجناسهم، وتباين ألسنتهم، وتمايز ألوانهم، وتفاوت طبقاتهم وأعمارهم، وتباين مسافة بلدانهم، فاقتضى ذكر لفظ (النّاس) هنا أوّلًا، ثمّ تبيينه ثانيًا بالمقيم وغيره، استنكارًا لما ارتكبه المشركون بمكّة من منع المسلمين عن الحجّ ودخول الحرم.

ومن الجدير بالذّكر أنّ هذا اللّفظ ـ أي النّاس ـ جاء في سورة الحجّ (١٥) مرّة، وهي أعلى نسبة نظرًا إلى قصرها، وقد ابتدأت بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ الحجّ: ١، وانتهت بذكر النّاس في آخر آية منها، وهو قوله: ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ الحجّ: ٧٨، فحريّ أن تسمّى «سورة النّاس».

هذا رغم أنّ لفظ (النّاس) جاء في سورة البقرة (٣٩) مرّة، وفي آل عمران (١٩) مرّة، وفي النّساء (١٧) مرّة، وفي يونس (١٥) مرّة كسورة الحجّ، لاحظ «ن و س».

ب ـ بادي الرّأي: ﴿وَمَانَرَيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ هود: ٢٧.

وفيه وجهان:

١ـ جمع البادي، وأصله بادين، حذفت النّون للإضافة، ثمّ فتحت الياء وأُلحق بمثل قولهم: غلاميَ زيد.

والبادون: هم أهل البادية، أي هم أراذلنا ذوي الآراء السّخيفة، والبصائر السّاذجة، فهم كأهل البادية في ركاكة أفكارهم، فلايليق بنا أن نتّبعك ونحن ذوو بصائر نافذة، وعزائم سديدة، ولذا قال لاحقًا: ﴿وَمَاأَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هود: ٢٩.

وهذا الوجه لم يسبقنا إليه أحد فيما نعلم، وهو مبنيّ على قراءة (بَادي) بدون همز، من البَدْو بمعنى الظّهور، وكونه جمعًا لامفردًا، وكونه مرفوعًا وصفًا لـ(أَرَاذِلُنَا)، أو منصوبًا حالًا منه، وهذا لايوافق قراءة (بَادِيَ) بفتح الياء، فإنّه لو كان جمعًا لقُرئ بسكون الياء بعد حذف نون الجمع.

٢ـ إنّه مفرد، وعليه إجماع المفسّرين، وفيه قراءتان: (بادئ) مهموز من: بَدَأ، و(بادي) بالياء من: بَدا، ولكلّ منهما وجوه من المعاني تختلف بحسب إعرابه من كونه ظرفًا أو حالًا أو وصفًا، وبحسب متعلّقه من كونه (نَرَيكَ) أو (اتَّبَعَكَ) أو (أَرَاذِلُنَا) أو (قَالَ)، أو معترضًا في الكلام، أو نعتًا لـ(بَشَرًا)، أو غير ذلك، لاحظ النّصوص، ولاسيّما قول ابن عطيّة.

ج ـ بادون: ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا (أي المنافقون) لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ الأحزاب: ٢٠.

البادون: جمع البادي، وهم هنا من خرج إلى البادية. وقالوا: (في) بمعنى «مع»، أي يكونون مع الأعراب في البادية أو بمعناها، أي أن يدخلوا فيهم ويختلطوا بهم. والأعراب: جمع أعرابيّ، وهم البدو سكّان البادية، والعرب جمع «عربيّ»، وهم سكّان الأمصار.

ولعلّ قائلًا يقول: لِمَ لَمْ يقل: بادون في البَدْو مادامًا بمعنى واحد؟

نقول: إنّ البدويّ من يسكن البادية ويُنسب إليها، ويُنعت بالجهل والجفاء، وهو خلاف الحضريّ الّذي يسكن الحاضرة. والأعرابيّ: من يسكن البادية أيضًا، ويُنسب إلى الأعراب، ويُنعت بالجهل والجفاء كالبدويّ، وهو خلاف العربيّ الّذي يسكن الحاضرة أيضًا.

بيد أنّ مَن يروم مدح أهل البادية يأتي على ذكر البدويّ دون الأعرابيّ، نسبة إلى البادية، لصفاء العيش فيها، وبساطة أهلها، وقد جاء في الحديث: «كان إذا اهتمّ لشيء بَدا»، أي خرج الى البدو. ومن توخّى ذمّهم يذكر الأعراب دون البدو، وله شواهد كثيرة في الكتاب والأثر، فممّا روي عن الإمام الصّادق عليه السلام قوله: «من لم يتفقّه منكم في الدّين فهو أعرابيّ».

وهكذا هاهنا، إذ أراد الله أن يزري بالمنافقين ويوصمهم بالجهل، فقرنهم بالأعراب، استهانة بهم، وإمعانًا في انحطاط قدرهم.

د ـ مُبديه: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَااللهُ مُبْدِيهِ﴾ الأحزاب: ٣٧.

يقول: وتُخفي يامحمّد في فكرك أو قلبك ماالله

مُظهره، فالإبداء: الإظهار كما تقدّم، إلّا أنّ الإبداء أخصّ؛ إذ يستعمل في مضمار الفكر والرّأي غالبًا. يقال للرّجل الحازم: ذوبَدَوات، أي ذوآراء تظهر له، فيختار بعضًا ويسقط بعضًا، ويقال له أيضًا: أبوالبَدَوات.

وهكذا جاء في القرآن، ومنه هذه الآية، إلّا أنّه عبّر عن الفكر بالنّفس أو القلب أو الصّدر، كما في الآيات (١١) و(١٨) و(٢٠) و(٢١) و(٣٠). فيلحظ أنّ الإبداء جاء طباقًا للإخفاء فيها، سوى الآية (٢٠)، فقد جاء طباقًا للإسرار، وهو بمعنى، لأنّ الإسرار أتى في القرآن طباقًا للإعلان، مثل: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَاتُسِرُّونَ وَمَاتُعْلِنُونَ﴾ النّحل: ١٩، وأتى الإعلان طباقًا للإخفاء أيضًا، مثل: ﴿وَاَنَا اَعْلَمُ بِمَا اَخْفَيْتُمْ وَمَا اَعْلَنْتُمْ﴾ الممتحنة: ١، فالإسرار بمثابة الإخفاء، لاحظ «س ر ر» و«ع ل ن».

أمّا الظّهور فقد جاء في القرآن طباقًا للبطون فقط، كالظّهر والبطن: ﴿وَلَاتَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَابَطَنَ﴾ الأنعام: ١٥١، والظّاهر والباطن: ﴿هُوَ الْاَوَّلُ وَالْاٰخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ الحديد: ٣، لاحظ «ظ هـ ر» و«ب ط ن».

رابعًا: الإسم: البَدْو: ﴿وَقَدْ اَحْسَنَ بِي اِذْ اَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ يوسف: ١٠٠.

اختلف فيه، فقيل: هو موضع في أرض يعقوب يُسمّى بَدًا، وقيل: البادية. وأمّا بَدًا فقيل: هو وادٍ، وقيل: قرية. ثمّ اختلف في موضعه، فقيل: بأرض الشّام، وقيل: بوادي القرى، وقيل: بوادي عذرة. غير أنّ هناك قرائن تشير إلى أنّه موضع في شمال الجزيرة العربيّة، منها قول كثيّر عزّة:

وأنتِ الّتي حبّبتِ شَغْبًا إلى بَدًا
إليّ وأوطاني بلادٌ سِواهما

حللتِ بهذا حلّة ثمّ حلّة
بهذا فطاب الواديان كلاهما

والمشهور أنّ «كثيّرًا» وحبيبته «عزّة» كانا يقطنان أرض الحجاز من شمال الجزيرة العربيّة، وكذا «جميل العذريّ» وحبيبته «بثينة»، فقال فيها:

ألا قد أرى إلّا بثينة تُرتجى
بوادي بَدًا فلابحسمى ولاشَغْبِ

ويبدو أنّ القول الثّاني هو الأقرب، لأنّ يعقوب كان ينزل مع أولاده بادية في أرض كنعان، يرعون الغنم والبقر، وحينما قدموا مصر قال يوسف: لقد أسدى إليّ الله خيرًا، حين أخرجني من السّجن وجاء بكم من البادية، فقابل إخراجه من السّجن بمجيئهم من البادية، وهذا تعريض بالبادية، وإطراء للحضر، وإن لم يرد له ذكر، وتقدير الكلام: وجعلني عزيزًا، وجعلكم حضريّين.

ب ذ ر

٣ ألفاظ، ٣ مرّات، في سورة واحدة مكّيّة

تُبَذِّر ١ : ١ المُبَذِّرين ١ : ١

تبذيرًا ١ : ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: بَذَرْتُ الشّيء والحَبّ بَذْرًا، بمعنى نثرتُ.

ويقال للنّسل: البَذْر، يقال: هؤلاء بَذْر سُوءٍ.

والبَذْر: اسم جامع لما بذرتَ من الحَبّ.

والبَذير: مَن لا يستطيع أن يمسك سرّ نفسه.

ورجل بذيرٌ وبَذُور: مِذياع، وقوم بُذُر: مَذاييع، والفعل والمصدر في القياس: بَذُرَ بَذارَةً.

وفي الحديث: «ليسوا بالمَساييح البُذُر»، ويقال: بذَر بَذْرًا.

والتَّبذير: إفساد المال وإنفاقه في السَّرَف، قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَلَاتُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ الإسراء: ٢٦.

وقيل: التَّبذير: إنفاق المال في المعاصي، وقيل: هو أن يَبْسُط يده في إنفاقه حتّى لايبقى منه مايقتاته، واعتباره بقوله عزّوجلّ: ﴿وَلَاتَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ الإسراء: ٢٩.

ويقال: طعام كثير البَذارة، أي كثير النَّزَل، وهو طعام بَذِر، أي نَزَلٌ. [ثمّ استشهد بشعر] (٨: ١٨٢)

اللّيث: البَذْر: ماعُزِل للزّرع وللزّراعة من الحبوب كلّها، والجميع: البُذُور. (الأزهَريّ ١٤: ٤٢٧)

أبوعمروالشّيبانيّ: البَيْذَرة والتّبذيرُ والتَّبْذَرةُ، بالنّون والباء: تفريق المال في غير حقّه.

(الأزهَريّ ١٤: ٤٢٨)

الفَرّاء: كثير بذير، مثل بثير، لُغةٌ أو لُغَيّة.

(الجَوهَريّ ٢: ٥٨٧)

أبوزَيْد: قال الهلاليّ: هو البَذْر لبَذْر الزّرع، وقال سائرهم: هو البَذْر. (٢٥٧)

يقال عند بذر الأرض إذا بَذِرَت: ماأحسَنَ بِراقها إذا اخضرّت وخرج بذارها. (٢١٨)

يقال: رجل تِبذارة، للّذي يُبَذّر ماله

ويفسده. (الجوهريّ ٢: ٥٨٧)

الأصمعيّ: تَبذّر الماء، إذا تغيّر واصفرّ. [ثمّ استشهد بشعر]

المتبذّر: المتغيّر الأصفر. وبَذُرُ: اسم ماء بعينه، ومثله: خَضَّمُ وعَثَّرُ، وبَقَّمُ، شجرة، وليس لها نظائر. (الأزهريّ ١٤: ٤٢٨)

اللِّحيانيّ: وفيه بَذّارَة، مشدّدة الرّاء وبَذارة، مخفّفة الرّاء، أي تبذير.

بُذارة الطّعام: نَزَله ورَيْعُه. (ابن سيدة ١٠: ٦٧)

ابن السِّكّيت: بِذَرُ وبَذَر: إذا تفرّقت. (إصلاح المنطق: ١٢٢)

الدّينوريّ: ولو بَذّرتَ فلانًا لوجدته رجلًا، أي لو جرّبته. (ابن سيدة ١٠: ٦٧)

ابن دُرَيْد: البَذْر: بذر النّبات. وبذّر الرّجل ماله تبذيرًا، إذا فرّقه، وبذّر الله الخلق: فرّقهم في الأرض.

وبَذَّرُ: موضع معروف. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٥٠)

السّيرافيّ: البُذُرّى: الباطل. (ابن منظور ٤: ٥٠)

الصّاحِب: البَذْرُ: ماعُزِل للزّرع من الحبوب كلّها، والجميع: البُذُور. ومصدر بَذَرْتُ، أي نَثَرْتُ.

والبَذْرُ: النّسل.

وأوّل مايَخرُجُ البَقْل والعُشبُ فهو: البَذْرُ.

وبَذّر الله الخَلْق: أي بَثّهم وفرّقهم.

وذهبتْ غَنَمُك بَذَرَ وبَذَرَ: أي تفرّقَتْ. وتبذّر من يدي.

والتّبذير: التّجرِبة.

والبَذيرُ من النّاس: الّذي لايستطيع إمساك سرٍّ، وكذلك البَذُورُ، وقومٌ بُذُرٌ: مَذاييعُ، وبَذُرَ بَذارَةً.

والتّبذير والتّبذِرةُ: إفساد المال وإنفاقه في السّرَف.

ورجُل بَذِرٌ: مبذِّرٌ، وبَيْذارةٌ وتِبْذارَةٌ.

ومِبْذارٌ ومِهْذارٌ: بمعنًى.

والبَذَارَة: النُّزْلُ والرَّيْعُ، وهو بَذِر: نَزِلٌ، ومالٌ مبذورٌ: أي كثير مبارَكٌ فيه، وكثيرٌ بذيرٌ: إتْباعٌ.

والمُتَبذّر من المياه: المتغيّرُ الأصْفَر.

وبَذّرُ: اسْمُ موضع معروف. (١٠: ٧٤)

الجَوهَريّ: بذَرتُ البذر: زرعته.

وتفرّقت إبله شِذَرَ بِذَرَ، إذا تفرّقت في كلّ وجه؛ وبِذَر إتباع له. وتبذير المال: تفريقه إسرافًا.

ورجل بَذُورٌ: يُذيع الأسرار، وقوم بُذُر، مثل صَبُور وصُبُر.

وبَذَّرُ: اسم ماء. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٥٨٧)

ابن فارِس: الباء والذّال والرّاء أصل واحد، وهو نَثْر الشّيء وتفريقه، يقال: بذرتُ البَذْر أَبذُرُه بَذْرًا، وبذّرت المال أُبَذّره تبذيرًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ الإسراء: ٢٦، ٢٧.

والبُذُر: القوم لايكتمون حديثًا ولايحفظون ألسنتهم، قال عليّ عليه السلام: «أُولئك[1] مصابيح الدُّجى، ليسوا بالمسابيح ولاالمذاييع البُذُر».

فالمذاييع: الّذين يذيعون، والبُذُر: الّذين ذكرناهم.

وبَذَّرُ: مكان، ولعلّه أن يكون مشتقًّا من الأصل

---

(١) أولئك، يعني «الأولياء» كما ذكره الطّريحيّ في «مجمع البحرين» ٣: ٢١٧.

الّذي تقدّم، قال الشّاعر:

سقى اللهُ أمواهًا عَرفتُ مكانَها

جُرابًا ومَلكومًا وبَذّرَ والغَمْرا

(١: ٢١٦)

الهَرَويّ: وفي حديث علىّ: «ليسوا بالمذاييع البُذُر».

البُذُر والمذاييع: شيء واحد، وهم الّذين يُفشُون مايسمعون من السّرّ، يقال: بذرتُ الكلام بين النّاس، كما تُبذَر الحبوب، الواحد: بَذُورٌ. (١: ١٤٨)

ابن سيدة: البَذْر والبِذْر: أوّل مايخرج من الزّرع، والبقل، والنّبات، لايزال ذلك اسمه مادام على ورقتين.

وقيل: هو ماعزل من الحبوب للزّراعة.

وقيل: هو أن يتلوّن بلون أو تُعرف وُجُوهه.

والجمع: بُذُور، وبِذار.

وبَذَرت الأرض تبذُر: خرج بذرُها.

وقال الأصمَعيّ: هو أن يَظهَر نبتُها متفرّقًا.

وبذَرَها بَذْرًا: وبَذّرها كلاهما: زرَعها.

والبَذْر: والبَذارة: النّسل.

وبَذَرَ الشّيء بَذْرًا: فرّقه.

وبَذَر الله الخلق بَذْرًا: بثّهم وفرّقهم.

وتفرّق القوم شَذَرَ بَذَرَ، وشِذَرَ بِذَرَ: أي في كلّ وجه.

وبُذُرّى، فُعُلّى من ذلك. وقيل: من البَذْر الّذي هو الزّرع، وهو راجع إلى التّفريق.

والبُذُرّى: الباطل، عن السّيرافيّ.

وبذّر ماله: أفسَده، وأنفقه في السّرف.

وكلّ مافرّقته، وأفسدته فقد بَذّرته.

وقول المُتَنَخّل يصف سحابًا:

مُستبذرًا يزعب قيدامه

يرمي بعُمّ السَّمُر الأطول

فسّره السُّكّريّ فقال: مُستبذرًا: يُفرّق الماء.

ورجل تِبْذارَة: يُبذّر ماله.

ورجل بَذُور، وبَذير: لايكتُم سِرًّا. والجمع: بُذُر.

وكثير بَثير، وبذيرٌ: إتباع.

ورجل هُذَرَةٌ بُذَرَةٌ، وهَيْذارَةٌ بَيْذارَةٌ: كثير الكلام.

وبَذِرَ بَذَارًا، فهو بَذِرٌ: كثُر كلامه.

وبَيْذَرُ: اسم. قال ابن دُرَيْد: أحسبه من كثرة الكلام.

وبَذّر: موضع. وقيل: ماء معروف. قال:

سقى الله أمواهًا عَرَفْتُ مكانَها

جُرابًا ومَلْكُومًا، وبَذّرَ، والغَمْرا

(١٠: ٦٦)

البَذْر: بذَرَ الحَبّ يَبذُره بَذرًا: ألقاه في الأرض للزّراعة، وبَذَر الأرض وبَذّرها: زرعها. والبَذْر: كلّ حَبّ يُزرع في الأرض، واحدته: بَذْرة.

(الإفصاح ٢: ١٠٧١)

البَذْر: ماعُزل من الحبوب للزّراعة، وقيل: هو الحَبّ مادام في التّراب، الجمع: بُذُور وبِذار. وقيل: البُذور للحنطة والشّعير. (الإفصاح ٢: ١٠٨٦)

الطُّوسيّ : التّبذير: التّفريق بالإسراف. (٦: ٤٦٩)

الرّاغِب : التّبذير: التّفريق، وأصله: إلقاء البَذْر وطرحه، فاستعير لكلّ مُضيّع لماله، فتبذير البَذْر تضييع في الظّاهر لمن لم يعرف مآل مايُلقيه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ الإسراء: ٢٧، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ الإسراء: ٢٦. (٤٠)

الزَّمَخْشَريّ : بَذَر الحبّ في الأرض، وبَذَر الله الخلق في الأرض: فرّقهم، وتبذّر من يدي كذا: تفرّق.

ورجل بَذِر: يُبذّر ماله، ووصَفَتْ زوجها فقالت: لاسَمْحٌ بَذِرٌ، ولابخيل حَكِرٌ.

وفلان هيذارةٌ بيذارةٌ، أي مِهْذارٌ مُبذِّر.

ومن المجاز: إنّ هؤلاء لَبَذْر سوء، أي نَسْل سوء.

ومال مبذور: كثير مبارك فيه.

وبَذَرتِ الأرض: أخرجَتْ نباتها متفرّقًا، وأرض أنيقةٌ مِبذار النّبات: لذات الرَّيْع.

ولو بَذَّرتَ فلانًا لوجدته رجلًا، أي لو جرّبته وقسّمت أحواله.

وفلان من المذاييع البُذُر: جمع بَذُور، وهو الّذي يُفشي الأسرار. وقد بَذُرَ بَذارةً. (أساس البلاغة: ١٨)

الطَّبْرِسيّ : التّبذير: التّفريق بالإسراف، وأصله أن يفرّق كما يفرّق البذر، إلّا أنّه يختصّ بما يكون على سبيل الإفساد. وماكان على وجه الإصلاح لايسمّى تبذيرًا وإن كثُر. (٣: ٤١٠)

الفَخْر الرّازيّ : التّبذير في اللّغة: إفساد المال، وإنفاقه في السّرف. (٢٠: ١٩٣)

ابن الأثير : في حديث فاطمة رضي الله عنها عند وفاة النّبيّ ﷺ، قالت لعائشة رضي الله عنها: «إنّي إذَن لَبَذِرَة» البَذِر: الّذي يُفشي السّرّ، ويُظهر مايَسْمعه.

وفي حديث وقف عمر: «ولوليّه أن يأكل منه غير مباذِر» المباذِر والمبذِّر: المسرف في النّفقة، باذَر وبذّر مباذَرَةً وتبذيرًا. (١: ١١٠)

الفَيُّوميّ : بذَرتُ الحبّ، من باب «قتل» إذا ألقيته في الأرض للزّراعة.

والبَذْر: المبذور إمّا تسمية بالمصدر، وإمّا «فَعْل» بمعنى «مفعول» مثل ضَرْب الأمير ونَسْج اليمن.

قال بعضهم: البَذر في الحبوب كالحنطة والشّعير، والبِزْر في الرّياحين والبُقول، وهذا هو المشهور في الاستعمال.

ونُقل عن الخليل: كلّ حَبّ يُبذَر فهو بَذْر وبِزْر.

وبذَرتُ الكلام: فرّقته، وبذّرته بالتّثقيل مبالغةٌ وتكثيرٌ، فتبذّر هو، ومنه اشتقّ التّبذير في المال، لأنّه تفريق في غير القصد. (١: ٤٠)

الجُرجانيّ : التّبذير: هو تفريق المال على وجه الإسراف. (٢٣)

الفيروز اباديّ : البَذْر: ماعُزل للزّراعة من الحبوب، وأوّل مايخرج من النّبات، أو هو أن يتلوّن بلون، الجمع: بُذور وبِذار.

وخروج بَذْر الأرض، وظهور نَبْتها، وزرع الأرض كالتّبذير، والنّسل كالبَذارة بالضّمّ، والتّفريق والبثّ كالتّبذير.

وكثير بَذيرٌ: إتباع.

وتفرّقوا شَذَر بَذَر ويُكسر أوّلها، أي في كلّ وجه.

والمبذور: الكثير.

والبَذُور والبذير: النّمام، ومن لايستطيع كتْم سرّه.

ورجل بَذِرٌ ككَتِف، وبيذارٌ وبيذارة، وتِبذار كتِبيان، وبيذاريّ: كثير الكلام، وتبذارة: يُبذّر ماله.

والبَذَرَّى، بضمّتين ككُفُرَّى: الباطل.

وطعام بَذِر ككَتِف: فيه بُذارة، أي نزَل.

وبذّره تبذيرًا: خرّبه وفرّقه إسرافًا.

والبَذارّة وقد تُخفّف الرّاء، والنُّبذَرة بالنّون: التّبذير.

وبَذّر كبقَّم: بئر بمكّة.

وتبذّر الماء: تغيّر واصفرّ.

والمُستبذِر: المُسرع الماضي. (١: ٣٨٣)

الطُّرَيحيّ: يقال: بذَرتُ الكلام بين النّاس كما تُبذَر الحبوب، أي أفشيته وفرّقته.

والبَذِر بكسر الذّال: الّذي يفشي السّرّ ويُظهر ماسمعه. ومنه «رجلٌ بَذُور»: للّذي يذيع الأسرار، وقوم بُذُرٌ مثله.

ومن كلام الفقهاء: «الثُّفل في البِذْر عيب» هو بفتح الباء وكسرها، مُفسَّر بدُهن الكتّان، وأصله محذوف المضاف، أي دهن البَذْر.

والبَذْرُ بالفتح والسّكون: مايُبذَر ويُزرَع من الحبوب كلّها.

وبذرتُ البَذْر من باب «قتَل» إذا نثرتَ الحَبّ في الأرض للزّراعة.

وقال بعضهم: البَذْر في الحبوب كالحنطة، والبَزْر بالزّاي المعجمة للرّياحين والبُقول.

والبَذْر: النّسل والولد.

والباذُورَج بجيم في آخره: نوع من الرّياحين الجبليّة. ومنه: «كان يُعجب رسول الله ﷺ من البُقول الباذورج». (٣: ٢١٧)

مَجْمَعُ اللُّغة: بَذَر الشّيء كنَصَر، يَبذُره بَذْرًا: فرّقه. وبَذّر المال تبذيرًا: فرّقه إسرافًا، ووضعه فيما لاينبغي، فهو مبذّر، وهم مبذّرون. (١: ٨٧)

محمّد إسماعيل إبراهيم: بَذَر الحُبوب: ألقاها مفرّقة في الأرض، وبذّر المال تبذيرًا: فرّقه إسرافًا فيما لاينبغي، والمبذّرون: جمع مبذّر، ومعناها مسرفون. (١: ٦٢)

المُصْطَفَويّ: ظهر أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة، هو التّفريق. واستعملت كثيرًا في نثر الحَبّ وتفريق المال خارجًا عن الميزان.

والفرق بين التّبذير والإسراف: أنّ التّبذير ـ كما قلنا ـ هو التّفريق بلانظم وبلا فائدة صحيحة. والإسراف هو التّجاوز عن الحدّ، والخروج عن العدل. (١: ٢٢٣)

النُّصوص التّفسيريّة

تُبَذِّر ـ تَبْذِيرًا

وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَاتُبَذِّرْ تَبْذِيرًا. الإسراء: ٢٦

ابن مَسعود: التّبذير في غير الحقّ، وهو الإسراف. (الطّبَريّ ١٥: ٧٣)

إنفاق المال في غير حقّه. (الطّبَريّ ١٥: ٧٣)

ابن عَبّاس: المبذّر: المنفق في غير حقّه.

(الطّبَريّ ١٥: ٧٣)

مُجاهِد: لو أنفق إنسان ماله كلّه في الحقّ، ماكان تبذيرًا، ولو أنفق مُدًّا في باطل، كان تبذيرًا.

(الطّبَريّ ١٥: ٧٤)

نحوه الشّافعيّ. (القُرطُبيّ ١٠: ٢٤٧)

قَتادَة: التّبذير: النّفقة في معصية الله، وفي غير الحقّ، وفي الفساد. (الطّبَريّ ١٥: ٧٤)

الإمام الصّادق عليه السلام: جاء رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال له: اتّق الله ولاتُسرف ولاتَقْتِر ولكن بين ذلك قِوامًا، إنّ التّبذير من الإسراف، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَلَاتُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾. (العَروسيّ ٣: ١٥٦)

من أنفق شيئًا في غير طاعة الله فهو مبذّر، ومن أنفق في سبيل الله فهو مقتصد. (العَروسيّ ٣: ١٥٦)

سُئل عليه السلام: أفيكون تبذير في حلال؟ قال: نعم.

(الكاشانيّ ٣: ١٨٨)

مالك: التّبذير: هو أخذ المال من حقّه ووضعه في غير حقّه، وهو الإسراف، وهو حرام.

(القُرطُبيّ ١٠: ٢٤٧)

ابن زَيْد: لاتُعط في معاصي الله.

(الطّبَريّ ١٥: ٧٤)

الطّبَريّ: ولاتفرّق يامحمّد ماأعطاك الله من مال، في معصيته تفريقًا. وأصل التّبذير: التّفريق في السّرف.

(١٥: ٧٢)

الماوَرْديّ: [التّبذير] إنّه الإسراف المتلف للمال.

(أبوحَيّان ٦: ٣٠)

[والفرق] بينه وبين الإسراف: أنّ الإسراف تجاوز في الكمّيّة، وهو جهل بمقادير الحقوق. والتّبذير تجاوز في موقع الحقّ، وهو جهل بالكيفيّة وبمواقعها. وكلاهما مذموم، والثّاني أدخل في الذّمّ. (الآلوسيّ ١٥: ٦٣)

المَيْبُديّ: أي لاتنفقها في معصية الله، ولافي الرّياء والسُّمعة.

وكانت الجاهليّة تنحر الإبل، وتبذّر الأموال تطلب بذلك الفخر والسُّمعة، وتذكر ذلك في أشعارها. فأمر الله جلّ وعزّ بالنّفقة في وجهها، فيما يقرب منه، ويزلُف لديه. (٥: ٥٤٤)

الزَّمَخْشَريّ: التّبذير: تفريق المال فيما لاينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف. [ثمّ قال مثل كلام المَيْبُديّ] (٢: ٤٤٦)

نحوه البَيضاويّ (١: ٥٨٢)، والنّيسابوريّ (١٥: ٢٩).

القُرطُبيّ: أي لاتسرف في الإنفاق في غير حقّ.

(١٠: ٢٤٧)

أبوالسُّعود: نهي عن صرف المال إلى مَن سواهم ممّن لايستحقّه.

فإنّ التّبذير: تفريق في غير موضعه، مأخوذ من تفريق حبّات وإلقائها كيفما كان، من غير تعهّد لمواقعه، لاعن الإكثار في صرفه إليهم، وإلّا لناسبه الإسراف: الّذي هو تجاوز الحدّ في صرفه، وقد نهى عنه بقوله: ﴿وَلَاتَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ الإسراء: ٢٩. وكلاهما مذموم. (٤: ١٢٥)

مثله البُرُوسَوِيّ. (٥: ١٥٠)

الطُّرَيحيّ: قد فُرّق بين التّبذير والإسراف، في أنّ التّبذير: الإنفاق فيما لاينبغي، والإسراف: الصّرف زيادة على ماينبغي. (٣: ٢١٧)

الآلوسيّ: [بعد نقل كلام الماوَرْديّ قال:]

وفسّر الزّمخشريّ «التّبذير» هنا: بتفريق المال فيما لاينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف. وذكر أنّ فيه إشارة إلى أنّ التّبذير شامل للإسراف في عرف اللّغة، ويراد منه حقيقة وإن فُرّق بينهما بما فُرّق.

وفي «الكشف» بعد نقل الفرق والنّصّ على أنّ الثّاني أدخل في الذّمّ: أنّ الزّمخشريّ لم يَعِب ذلك عليه، لأنّ الاشتقاق يرشد إليه. وإنّما أراد أنّه في الآية يتناول الإسراف أيضًا بطريق الدّلالة، إذ لايفترقان في الأحكام، لاسيّما وقد عقّبه سبحانه بالحثّ على الاقتصاد المناسب لاعتبار الكمّيّة المرشد إلى إرادته من النّصّ.

وتعقّب بأنّه إذا كان «التّبذير» أدخل في الذّمّ من «الإسراف» كيف يتناوله بطريق الدّلالة. والنّهي عن الإسراف فيما بعد يُبعد إرادته هاهنا، فتأمّل. (١٥: ٦٣)

ابن باديس: التّبذير: هو التّفريق للمال في غير وجه شرعيّ، أو في وجه شرعيّ دون تقدير، فيضرّ بوجهٍ آخر. فالإنفاق في المنهيّات تبذير وإن كان قليلًا، والإنفاق في المطلوبات ليس بتبذير ولو كان كثيرًا، إلّا إذا أنفق في مطلوب دون تقدير فأضرّ بمطلوب آخر، كمن أعطى قريبًا وأضاع قريبًا آخر، أو أنفق في وجوه البرّ وترك أهله يتضوّرون بالجوع. وقد نبّه النّبيّ ﷺ على هذا بقوله: «وابْدَأْ بمن تعول».

والإنفاق في المباحات إذا لم يُضيّع مطلوبًا، ولم يؤدّ إلى ضياع رأس المال ـ بحيث كان ينفق في المباح من فائدته ـ ليس بتبذير. فإذا توسّع في المباحات وقعد عن المطلوبات، أو أدّاه إلى إفناء ماله، فهو تبذير مذموم.

وأفادت النّكرة ـ وهي قوله: (تَبْذِيرًا) بوقوعه بعد النّهي ـ العموم، فهو نهيٌ عن كلّ نوع من أنواع التّبذير: القليل منه والكثير، حتّى لايُستخفّ بالقليل، لأنّ من تساهل في القليل وصلت به العادة إلى الكثير. (١٢٠)

عبد الكريم الخطيب: في قوله تعالى: ﴿وَلَاتُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ مايشير إلى أمرين:

أوّلهما: الإغراء بالبذل والإنفاق، وهذا على خلاف منطوق النّظم ﴿وَلَاتُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ فإنّ النّهي عن التّبذير هنا يشير إلى أنّ الدّعوة إلى الإنفاق قد وجدت، أو من شأنها أن تجد قلوبًا رحيمةً، وأيديًا سخيّة تُنفِقُ حتّى تُجاوِزَ حدّ الاعتدال إلى الإسراف والتّبذير، فجاء قوله تعالى: ﴿وَلَاتُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ليمسك المسرفين في البذل والعطاء على طريق الاعتدال.

وهذا الإغراء إنّما هو لِمَا يغلب على النّفوس من شُحٍّ وبُخلٍ.

وثانيهما: النّهي عن التّبذير حقيقة، وذلك أنّ بعضًا من النّاس قد يشتدّ بهم الحرص على مرضاة الله، والمبالغة في تنفيذ أمره، فيجاوزون حدّ الاعتدال، ويجورون على أنفسهم، سواء في العبادة أم في غير العبادة، من القربات والطّاعات، فإلى هؤلاء يكون النّهي عن التّبذير، طلبًا موجّهًا إليهم حتّى يلتزموا الطّريق الوسط، كما يقول سبحانه في مدح المنفقين:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان: ٦٧. (٨: ٤٧٥)

المُصْطَفَوِيّ: أي ولاتفرّق مالَك ولاتصرفه خارجًا عن الاعتدال، وبلا مورد صحيح، سواء كان الصّرف والتّفريق في هؤلاء الطّوائف أو في غيرهم. فإنّ في التّبذير تضييع لمال الله ولحقوق النّاس، وتجاوز عن العدالة، وإخلال في النّظم.

والفرق بين التّبذير والإسراف: أنّ التّبذير ـ كما قلنا ـ هو التّفريق بلانظم وبلا فائدة صحيحة.

والإسراف هو التّجاوز عن الحدّ والخروج عن العدل.

وقد عبّر تعالى في هذا المورد بكلمة «التّبذير» إشارة إلى أنّ صرف المال فيهم في الأكثر لايكون إسرافًا، ولايخرج عن حدّ العدل. نعم تفريق المال فيهم بلانظم صحيح، وبلابرنامج خارج عن التّدبير والعدل.

ولايخفى أنّ تفريق المال ينشأ في الغالب عن داعية نفسانيّة واستكبار وغرور، والاستكبار أعظم صفة للشّيطان، فالمبذّر يكون شبيهًا وأخًا للشّيطان.

(١: ٢٢٣)

المُبَذِّرِينَ

إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا. الإسراء: ٢٧

ابن زَيْد: إنّ المنفقين في معاصي الله ﴿كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾. (الطَّبَريّ ١٥: ٧٤)

الطَّبَريّ: يعني أنّ المفرّقين أموالهم في معاصي الله لمنفقيها في غير طاعته، أولياء الشّياطين. (١٥: ٧٤)

الطَّبْرِسيّ: معناه إنّ المسرفين أتباع الشّياطين. (٣: ٤١١)

الطَّباطَبائيّ: تعليل للنّهي عن التّبذير، والمعنى لاتبذّر، إنّك إن تُبذّر كنت من المبذّرين، والمبذّرون إخوان الشّياطين. (١٣: ٨٢)

عبد الكريم الخطيب: هو تنفير من التّبذير والإسراف في أيّ وجه من الوجوه، حتّى في مجال الخير والإحسان. وكفى بالتّبذير نُكرًا أن يكون وجهه دائمًا مصروفًا في وجوه الشّرّ، وقلّ أن يظهر له وجه في باب الإحسان. ومن هنا كان مكروهًا على أيّ حال؛ إذ كان الغالب عليه هذا المتّجه المنكر. (٨: ٤٧٦)

الأُصول اللُّغويّة

١ ـ يبدو أنّ الأصل في هذه المادّة: البَذْر، وهو ماعُزل من الحبوب للزّرع، وهو البُذْرُ أيضًا؛ يقال: بَذَرتُ الحَبّ أبذُرُهُ بَذْرًا: نثرتُه وزرعته، وبَذَرَ الأرض وبذّرها: زرعها.

أو هو أوّل مايخرج من الزّرع والبقل والنّبات؛ يقال: بَذَرَتِ الأرض تَبْذُر بَذْرًا: خرج بذرُها.

ثمّ توسّعوا فشبّهوا النّسل بالزّرع، فجعلوا البَذْر والبُذارة بمعنى النّسل؛ يقال: إنّ هذا لبذر سوء، أي نسل سوء.

وتجوّزوا فيه؛ إذ جعلوه بمعنى التّفريق والإسراف في النّفقة، فقالوا: بَذَر الشّيء بَذْرًا: فرّقه، وبَذَرَ الله الخلق بَذْرًا: بثّهم وفرّقهم، وبذّر مالَه: أفسده وأنفقه، ورجل

بَذارةٌ وبَيْذارةٌ: يبذّر ماله، وكذا المُباذِرُ والمُبَذِّرُ، وفيه بَذّارةٌ وبَذارةٌ، أي تبذير.

ومنه: تفرّق القوم شَذَرَ بَذَرَ، وشِذَرَ بِذَرَ، أي تفرّقوا في كلّ وجه، وكذا: تفرّقت إبله شَذَرَ بَذَرَ.

ومن المجاز والتوسّع أيضًا: بَذَرتُ الكلام بين النّاس كما تُبذَرُ الحُبوب، أي أفشيته وفرّقته. ورجل بَذُورٌ وبَذيرٌ: يذيع الأسرار ولايستطيع أن يكتم سرّه، وكذا البَذِرُ، يقال منه: بَذُرَ بَذارةً. ورجل هُذَرَةٌ بُذَرَةٌ، وهَيْذارةٌ بَيْذارةٌ: كثير الكلام. هكذا ينبغي أن يكون تناقل المعاني وتكثّرها في هذه المادّة.

٢ـ والبَزْرُ: لغة في البَذْر، وهو إمّا إبدال، مثل: ذَرَق وزَرَق، أي سلح الطّائر.

وإمّا قلب من «بَرْز»، وهو لفظ فارسيّ بمعنى الحَبّ والزّراعة أيضًا، ومثاله في العربيّة بِئار وآبار، جمع بئر.

وإمّا لحن شائع بين العامّة، تأثّرًا بمن يبدل الذّال زايًا من غير العرب كالفُرس، مثل: ذَفِر وزَفِر، أي ماخبثت رائحته كالصّنان.

وإمّا دخيل أخذه العرب من العبريّة، وهو فيها بهذا المعنى أيضًا.

وقد جاء في عديد من النّصوص أنّ «البَذْر» في الحنطة والشّعير، أو في الحبوب إطلاقًا. والبَزْر في الرّياحين والبقول خاصّة. ولعلّه يختلف بحسب القبائل والأمكنة والأعصار، كما هو الحال في لغة العامّة.

وقد ذكر هذه اللّغة جمٌّ غفير من متقدّمي اللّغويّين ومتأخّرهم، كالخليل والجوهريّ والأزهريّ وابن فارس وابن سيدة والفيّوميّ وغيرهم. ولكن ابن دُرَيْد خطّأها، واعتبرها من قول العامّة.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت ثلاثة ألفاظ من هذه المادّة بالمعنى المجازيّ الموسّع، وهو تفريق المال وإفساده؛ فعلًا ومصدرًا واسم فاعل، وكلّها من «بذّر»، في آيتين متتاليتين من سورة مكّيّة: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبٰى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَاتُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ الإسراء: ٢٦، ٢٧.

يلاحظ أوّلًا: أنّ الآية الأُولى ابتدأت بأمر وانتهت بنهي، وأنّ الثّانية ابتدأت بتأكيد وانتهت بذمّ.

ثانيًا: وقد جاءتا في سياق آيات متتالية تتضمّن النّهي، ابتداءً بقوله تعالى: ﴿لَاتَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ الإسراء: ٢٢، وانتهاءً بقوله: ﴿وَلَاتَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ فَتُلْقٰى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ الإسراء: ٣٩.

ثالثًا: وفيها أسرار: ١ـ البدء والختم، كلاهما نهيٌ عن الشّرك بالله تعالى، وعدا ذلك يتخلّل بينها.

٢ـ وهذا يرمز إلى أنّ النّواهي كلّها تتمحور حول الشّرك، كما أنّ الأوامر تدور حول التّوحيد.

٣ـ ويخطر بالبال أنّ هذه الآيات بمثابة الأوامر العشرة في التّوراة، وكثير منها نفس تلك الأوامر، فلاحظ.

٤ـ ويدور سياق أغلب هذه الآيات ـ بما فيها من الأمر والنّهي ـ حول تهذيب النّفس، ثمّ أُمور الحياة المعاشيّة، ثمّ نمط العبادة في إحدى عشرة آية دائرة حول

التوحيد والشرك.

٥ ـ ونسبة الأمر إلى النهي فيها كنسبة ٩ : ١٥، وهذا مشعر بأنّ الانسان يحتاج إلى النهي أكثر من الأمر، لأنّ خطأه يفوق رشده، والتفصيل كما يلي:

النهي:

أ ـ ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾

ب ـ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾

ج ـ ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾

د ـ ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾

هـ ـ ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾

و ـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾

ز ـ ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾

ح ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾

ط ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾

ي ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾

ك ـ ﴿فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾

ل ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾

م ـ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾

ن ـ ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾

س ـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾

الأمر:

أ ـ ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

ب ـ ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾

ج ـ ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾

د ـ ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

هـ ـ ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾

و ـ ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾

ز ـ ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾

ح ـ ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾

ط ـ ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾

٦ ـ وقد اشتبكت الأوامر والنواهي فيها، وهذا ـ أي الجمع بين الأمر والنهي ـ أوقع في النفوس، وفيه تأكيد شديد كتأكيد الوحدة في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل‌عمران: ١٠٣.

٧ ـ وقد أُضيف إلى كلّ من الأوامر والنواهي تعليل، كما هو دأب القرآن، لاستمالة القلوب وإقناعها، واطمئنان النفوس وتوثيقها.

رابعًا: وتعتبر نسبة النهي في سورة الإسراء عالية إذا ماقيست بالنهي الوارد في سائر السور، فإنّ هذه السورة تتبوأ المرتبة الرابعة في هذا المضمار بالنسبة إلى سائر سور القرآن قاطبة؛ إذ أنّ «لا» الناهية أكثر ورودًا في سورة البقرة، ثمّ النساء، ثمّ آل‌عمران والمائدة معًا، ثمّ الإسراء.

خامسًا: وتعتبر نسبة الأمر فيها عالية أيضًا إذا قورنت بغيرها من السور.

سادسًا: ينبغي تسمية هذه السورة سورة التشريع، أو سورة الأمر والنهي، أو سورة الحكمة، ونحو ذلك، رغم اقتصار التشريع والحكم والأمر والنهي على السور المدنيّة، وهذه السورة مكيّة.

سابعًا: يظهر من أقوال المفسّرين أنّ التبذير ـ وهو تفريق المال لغةً ـ يكون في غير الحقّ أو في المعصية، فالمراد به في الآية الإجحاف بحقّ ذي القربى والمسكين

وابن السّبيل، فجملة (وَلَاتُبَذِّرْ) عطف على (آتِ)، وهي بمنزلة الاستثناء منه، مثل: ﴿وَلَاتَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الأنعام: ١٥٢، ﴿وَلَاتَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الأنعام: ١٥١، ونحوهما.

وقد حاول الزَّمَخْشَريّ التّوفيق بين القولين، أي كون التّبذير في غير الحقّ أو في المعصية، فقال: «التّبذير: تفريق المال فيما لاينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف»، وجملة ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ﴾ في الآية الثّانية تعليل.

ثامنًا: قرن الله تعالى إيتاء الحقّ في الآية الأُولى بالنّهي عن التّبذير، كما قرن إيتاء الصّدقة بالنّهي عن الإسراف، في قوله: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَاتُسْرِفُوا﴾ الأنعام: ١٤١، وهذا يعني أنّ التّبذير والإسراف سيّان، وبه جاء الحديث عن الإمام الصّادق عليه السلام، حيث قال: «إنّ التّبذير من الإسراف»، وفيه إشعار بأنّ الإسراف أعمّ من التّبذير، كما سيأتي.

تاسعًا: وقد افترق التّبذير عن الإسراف في القرآن من وجوه:

١ـ أنّ «التّبذير» فعلًا ومصدرًا وصفة جاء ـ كما سبق ـ ثلاث مرّات في آيتين من سورة مكّيّة، والحال أنّ «الإسراف» بصيغة العَشْر فعلًا ومصدرًا وصفة جاء (٢٦) مرّة في (١٦) سورة مكّيّة، و(٣) سور مدنيّة، فالتّأكيد عليه أشدّ وأدوم؛ حيث كان قبل الهجرة، واستمرّ بعدها.

٢ـ أنّ التّبذير في سياق الآيتين خاصّ بالإنفاق على ذوي الحاجة، كالمسكين وابن السّبيل وذي القربى، وليس فيه تصريح بشموله لغير الإنفاق، والحال أنّ الإسراف بصريح الآيات يشمل الإنفاق والعقيدة والمعصية والأكل والشّرب والقتل وأكل المال والظّلم. وفيه مايعمّ غير ذلك، مثل: ﴿وَلَاتُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الشّعراء: ١٥١.

٣ـ كما أنّ ظاهر القرآن يخصّ التّبذير بالإفراط والزّيادة على ماينبغي دون التّفريط والنّقص، أمّا الإسراف فهو الإفراط بصريح القرآن؛ حيث جعله مقابلًا للتّقتير، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ الفرقان: ٦٧.

٤ـ أمّا من ناحية الجذر، فقد علمت أنّ أصل التّبذير هو البذر، حسب مااخترناه، وأصل الإسراف السُّرفَة، وهي دودة تنسج على بعض الشّجر، وتأكل ورقه، وتهلك مابقي منه بذلك النّسج، ثمّ أطلق السّرف والإسراف على كلّ عمل جاوز القصد، لاحظ «س ر ف».


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب ر أ

١٩ لفظًا، ٣١ مرّة: ١١ مكّيّة، ٢٠ مدنيّة

في ٢٠ سورة: ٨ مكّيّة، ١٢ مدنيّة

نبرأها ١ : ـ ١
البارئ ١ : ـ ١
بارئكم ٢ : ـ ٢
بريّ ٩ : ٦ ـ ٣
بريئًا ١ : ـ ١
بريئون ١ : ١
بَرَاءٌ ١ : ١
بُرَءآءُ ١ : ـ ١
بَرَاءَة ٢ : ١ ـ ١
البَرِيّة ٢ : ـ ٢

تُبرئ ١ : ـ ١
أُبرئ ١ : ـ ١
برّأه ١ : ـ ١
أُبرّئ ١ : ١
مُبرّؤن ١ : ـ ١
تبرّأ ٢ : ـ ٢
تبرّؤا ١ : ـ ١
تبرّأنا ١ : ١
نتبرّأ ١ : ـ ١

النّصوص اللّغويّة

الخليل: البَرْءُ، مهموز: الخَلْقُ. بَرأ الله الخَلْق يبرؤهم بَرْءً، فهو بارئ.

والبُرْءُ: السّلامة من السّقم، تقول: بَرأ يَبْرأُ وبَبْرُؤ بُرْءً وبُرُوءً، وبَرِئ يَبْرَأ، بمعناه.

والبراءةُ من العيب والمكروه، ولا يقال إلّا: بَرِئَ يَبْرأ، وفاعله بريءٌ، كما ترى، وبَرَاءٌ. وامرأة بَرَاءٌ ونسوة بَرَاءٌ، في كلّ ذلك سواء.

وبُرَءاء على قياس «فُعَلاء»: جمع البريء، ومن ترك الهمز قال: بُرَاء.

ويقال: بارأْتُ الرّجل، أي بَرِئَ إليّ، وبرئت إليه، مثل بارأْتُ المرأة، أي صالحتها على المفارقة. وتقول: أبرأْتُ الرّجل من الدّين والضّمان، وبرّأته.

والاستبراء: أن يشتري الرّجل الجارية فلا يطؤها حتّى تحيض.

والاستبراء: إنقاء الذّكر بعد البَوْل. (٨: ٢٨٩)

أبو عمرو الشّيبانيّ: البَرَاء: أوّل يوم من الشّهر. أبرأ، إذا دخل في البَرَاء وهو أوّل الشّهر.

وأبــــرأ، إذا صـــادف بَــريًّا، وهــو قــصب

السّكّر. (الأزهَريّ ١٥: ٢٧٢)

الفَرّاء: العرب تقول: نحن منك البَراء والخلاء، والواحد والاثنان، والجميع من المؤنّث والمذكّر يقال فيه: بَراء، لأنّه مصدر. ولو قال: بريء لقيل في الاثنين: بريئان، وفي القوم: بريؤون وبُرَءاء. (٣: ٣٠)

أبوزَيْد: بَرأْتُ من المرض، لغة أهل الحجاز. وسائر العرب يقولون: برِئت من المرض.

وأمّا قولهم: بَرِئتُ من الدَّين أبرأ براءة، وكذلك: بَرِئتُ إليك من فلان أبرأ بَراءةً، فليس فيها غير هذه اللُّغة. (الأزهَريّ ١٥: ٢٦٩)

الأصمَعيّ: برَأتُ من المرض بُروءً، لغة تميم. وأهل الحجاز يقولون: برَأتُ من المرض بَرْءً. وأبرأه الله من مرضه إبراءً. (الأزهَريّ ١٥: ٢٦٩)

مطر ذوبُراية: يبري الأرض ويقشرها.

والبُراية: القوّة. ودابّة ذات بُراية، أي ذات قوّة على السّير. وقيل: هي قويّة عند بَرْي السّير إيّاها.

ويقال: بارأتُ المرأة والكريَّ أُبارئها مُبارأةً، إذا صالحتها على الفراق. (الأزهَريّ ١٥: ٢٧١)

اللِّحيانيّ: أهل الحجاز يقولون: بَرأْتُ من المرَض أبْرُؤُ بُرْءً، وبُرءً، وأهل العالية يقولون: بَرَأْتُ أبْرَأُ بَرْءً، وبُرُوءً، وتميم تقول: بَرِئْتُ بُرْءً، وبُرْأً.

أهل الحجاز يقولون: أنا منك بَراءٌ. وفي التّنزيل: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ الزّخرف: ٢٦، ولغة تميم وغيرهم من العرب: أنا بَريءٌ، وفي غير موضع من القرآن: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ﴾ الأنعام: ٧٨.

(ابن سيدة ١٠: ٢٦٨)

بريئات وبرايا كخطايا، وأنا البَراء منه، وكذلك الاثنان والجمع والمؤنّث. (ابن منظور ١: ٣٢)

ابن الأعرابيّ: بريء، إذا تخلّص، وبريء، إذا تنزّه وتباعد، وبريء، إذا اعذر وأنذر.

(الأزهَريّ ١٥: ٢٦٩)

يقال لآخر يوم من الشّهر: البَراء، لأنّه قد بَرئ من هذا الشّهر. وابن البَراء: أوّل يوم من الشّهر.

البَراء من الأيّام: يوم سَعْد يُتَبَرّك بكلّ مايحدث فيه. [ثمّ استشهد بشعر]

البَريء: المتفصّي القبائح، المتنحّي عن الباطل والكذب، البعيد من التُّهَم، النّقيّ القلب من الشّرك.

والبريء: الصّحيح الجسم والعقل.

(الأزهَريّ ١٥: ٢٧٢)

ابن السِّكّيت: يقال: بِفيه البَرَى، أي التُّراب. (٥٧٦)

مثله الأُمَويّ. (الأزهَريّ ١٥: ٢٧١)

البَرِيّة: الخَلْق، وأصلها من: بَرَأ الله الخَلْق، أي خلقهم، فتُرِك همزُها كما تُرِك الهمز من النّبيّ ﷺ.

(إصلاح المنطق: ٣٥٧)

قد بَرأْتُ من المرض أبرأ وأبْرُؤُ بُرْءً وبُرُوءً، وبَرِئْت أبرأ، وأصبح فلانٌ بارئًا من مرض.

وقد بريت القلم.

وقد بارأْتُ شريكي، إذا فارقته، وقد بارأ الرّجل امرأته.

وقد باريت فلانًا، إذا كنت تفعل مثل مايفعلُه.

وتقول: فلان يباري الرّيح سخاءً.

(إصلاح المنطق: ١٥٢)

قد تبرَّأت منه تبرُّؤًا، وقد تَبَرَّيْت لمعروفه تبرّيًا، إذا تعرّضت له. [ثمّ استشهد بشعر]

وقد أبْرَأْته ممّا عليه من الدَّين.

(إصلاح المنطق: ١٥٤)

بَرَأْتُ من المرض أبرأ بَرْءً وبرِئت أبرأ بُرْءً.

(الأزهَريّ ١٥: ٢٦٩)

أبو الهَيْثَم: الورَى والبرَى: معناهما واحد، يقال: هو خير الورَى والبرَى، أي خير الخَلْق. والبريّة: الخلق.

والواو تبدل من الباء، فيقال: باللّه لأفعل، ثمّ قالوا: واللّه لأفعل. (الأزهَريّ ١٥: ٢٧١)

ابن قُتَيْبَة: آخر ليلة من الشّهر تُسمّى: بَراء، يبرأ فيها القمر من الشّمس. (الأزهَريّ ١٥: ٢٧٠)

ابن أبي اليمان: «البراءة» يقال: برِئت إليك من فلان فأنا أبرأُ إليك منه براءة، ويقال: أنا بريء من ذلك، ونحن بريؤون، ونحن بُراءٌ منكم، ويقال: أنا بَرْء منكم، وكذلك الجميع نحن بَراءٌ منكم، وبُرَءاءُ جميعًا. (٨٨)

المُبَرِّد: [قال عبد الرّحمان بن عوف لأبي بكر:] «أراك بارئًا ياخليفة رسول اللّه ﷺ». يكون من برِئت من المرض وبَرَأت، كلاهما يقال.

فمن قال: برِئت، قال: أبرأُ يافتى لاغير، ومن قال: بَرَأت، قال في المضارع: أبرَأُ وأبْرُؤُ يافتى، مثل فرغ يَفْرَغُ ويَفْرُغ. والمصدر فيهما البُرْء يافتى. (١: ٧)

قوله: [الأعشى]

فتى لو يباري الشّمس

يقول: يعارض، يقال: انبرى لي فلان، أي اعترض لي في هذا المعنى. وفلان يباري الرّيح، من هذا، أي يعارض الرّيح بجوده، فهذا غير مهموز.

فأمّا بارَأْت الكريّ، فهو مهموز، لأنّه من: أبرَأني وأبرَأْته.

ويقال: بَرَأ فلان من مَرَضه وبَرِيَ يافتى، والمصدر منهما البُرْء فاعلم. وبَرَيْتُ القلم، غير مهموز، واللّه البارئ المُصوِّر، ويقال: مابرأ اللّه مثل فلان، مهموز.

وقولك: البريّة، أصله من الهمز، ويختار فيه تخفيف الهمز، ولفظ التّخفيف والبدل واحد. (٢: ٣٣)

الطَّبَريّ: البَرِيّة: الخَلْق، وهي «فعيلة» بمعنى «مفعولة» غير أنّها لاتُهمز كما لايهمز «مَلَك» وهو من «لأك» لكنّه جرى بترك الهمزة، كذلك قال نابغة بني ذبيان:

إلّا سليمان إذ قال المليك له

قُم في البريّة فاحدُدْها عن الفَنَد

وقد قيل: إنّ «البريّة» إنّما لم تُهمز، لأنّها «فعيلة» من البَرَى، والبرى: التُّراب.

وقال بعضهم: إنّما أُخذت «البريّة» من قولك: بريت العود، فلذلك لم يُهمز. (١: ٢٨٨)

أبرأ اللّه المريض، إذا شفاه منه، فهو يُبرئه إبراءً، وبَرَأ المريض فهو يَبْرَأ بُرْءً. وقد يقال أيضًا: بَرِئ المريض فهو يبرأ، لغتان معروفتان. (٣: ٢٧٦)

الزَّجّاج: برِئتُ من الرَّجُل والدَّين براءةً، وبَرِئتُ من المرض، وبَرَأْتُ أيضًا بُرْءً. وقد روَوا: بَرأْتُ أبْرُؤ بُرُوءً، ولم نجد فيما لامه همزة: فَعَلْتُ أفعُل، نحو قرأتُ

أقرؤ، وهنأت البعير أهنؤه.

وقد استقصى العلماء باللّغة هذا، فلم يجدوه إلّا في هذا الحرف.

ويقال: بَريت القلم ـ وكلّ شيء نَحَتُّه ـ أبريه بَرْيًا، غير مهموز، وكذلك بَراة السّير غير مهموز.

والبُرَة: حَلَقَة من حديد في أنف النّاقة، فإذا كانت من شَعر فهي خِزامة.

والّذي في أنف البعير من خشب، يقال له: بالخِشاش، يقال: أبريتُ النّاقة أُبْريها إبراءً، إذا جعلْت لها بُرَةً.

ولايقال إلّا بالألف أبرَيتُ، ومن الخزامة خزَمتُ ـ بغير ألف ـ وكذلك من الخِشاش خَشَشْتُ.

والبُرَة: الخلخال من هذا، وتجمع البُرَة: بُرِين والبُرِيّ. (٢: ٤٢٨)

ابن دُرَيْد: برَأتُ من المرض أبرأ بُرْءً، وبرئت بُرْءً، وبرئت من الدَّين بَراءةً، وبارَأْتُ الكَريّ مباراةً، وباريت الرّجل، إذا فعلت مثل فعله، غير مهموز.

وأصبح فلان بارئًا، يُهمز ولايهمز، والله عزّ اسمه يَبْرأ الخَلْقَ، وهو البارئ المصوِّر.

وجمل ذوبُراية، إذا كان قويًّا على السّفر.

والبُرْأة: النّاموس[1]، ناموس الصّائد. [ثمّ استشهد بشعر]

وبُراية كلّ شيء: مابَرَيْتَه منه.

وأجمعت العرب على أنّ «البَرِيّة» لاتُهمز، وأصلها من الهمز، وكذلك ذُرّيّة وخابية لاتُهمزان، وهما من الهمز. (٣: ٢٠٢)

بَرأْتُ من المرض أبرَأُ بُرْءً. وهذه لغة أهل الحجاز، وسائر العرب يقولون: بَرِئت من المرض أبْرَأُ، والمصدر فيهما البُرْء.

وبرِئت من الدَّين أبرَأ بَراءةً وبارأْتُ الكريَّ، إذا فاصلته بَراءةً.

وبارأ الرّجل امرأته، إذا بباينها. وبارأت الرّجلَ مباراةً، إذا ذكَر محاسنَه فعارضْتَه بذكر محاسنك.

فأمّا: باري الرّيح جودًا، فغير مهموز.

وبرَأ الله الخَلْقَ يبرؤهم. (٣: ٢٧٧)

وبارأْتُ الكريّ مباراةً، إذا فاصلته، وكأنّك تدفع إليه الكِراء ثمّ تسترجعه منه. وأُبْرَيتُ البعيرَ أبريه إبراءً، إذا جعلت له بُرَة.

والبَرِيّة أصلها الهمز، وتركت العرب همزها لكثرة استعمالهم إيّاها. (٣: ٤٤٣)

الهَمَذانيّ: يقال: بَرأ الله الخَلْق يَبْرَؤُهم، وفَطَرهُم يَفْطُرهم، وذَرَأهُم يَذْرَؤُهم. يقال: ثلاثة أشياء أصلها الهَمز ولاتُهمز: الذُّرّيّة من ذرأتُ، والنّبيّ من نبّأتُ، والبَرِيّة من بَرأْتُ. (٩٤)

الأزهَريّ: البُرْأَةُ: قُتْرة الصّائد الّتي يَكمُن فيها، والجمع: بُرَأ. [ثمّ استشهد بشعر]

والاستبراء: أن يشتري الرّجل جاريةً فلايطؤها حتّى تحيضَ عنده حَيضَةً ثمّ تَطْهُر. وكذلك إذا سباها لم يَطَأْها حتّى يَستبرئها بحيضة، ومعناه طلب براءتها من الحَمْل.

واستبرأ الذَّكَر: طلب براءته من بقيّة بول فيه؛

(١) قُتَرُ الصّائد يكمنُ فيه للصّيد.

بتحريكه ونَتْرِه، وماأشبه ذلك، حتّى يعلم أنّه لم يبق فيه شيء. (١٥: ٢٧١)

[وبعد نقل قول أبي عمرو الشّيبانيّ قال:]

قلت: قوله: «أبْرَأ، إذا صادف بَرِيًّا، وهو قصب السُّكَّر» أحسبه غير صحيح. والّذي أعرفه: أبْرَتُ، إذا صادفت بَرِيًّا، وهو سُكَّر الطَّبَرْزَد. (١٥: ٢٧٢)

الفارسيّ: البُرَاء جمع بَرِيء، وهو من باب رَخْل ورُخَال. (ابن سيدة ١٠: ٢٦٨)

الصّاحِب: البَرْءُ ـ مهموز ـ الخَلق، بَرَأ الله الخلق يَبْرَؤهم بَرْءً، وهو البارئُ.

والبَرِيّة: الخلق ـ يُهمَز ويُليَّن ـ.

والبُرْء: السّلامة من السُّقم، يَبْرَأُ ويَبْرُؤُ، وبَرِئْتُ وبَرَأتُ وبَرُؤْتُ بُرْءً.

والبُرْأة: ماهَنَأت به البعير بكفّك ليَبْرَأ من الجرب.

والبَرَاءة: من العَيْب والمكْرُوه، بَرِئَ يَبْرَأ فهو بَرِيءٌ، وامرأة بَرِيّة، ونسوة بَرَاءٌ، وبُرَءاءُ وبُراءٌ. وبارَأتُ الرّجل: بَرِئْتُ إليه وبَرِئَ إليّ.

وبارَأتُ المرأة: صالحتها على المُفارقة. وكذلك الكَرِيَ إذا فاصلتَه.

ويقولون: أنا الخَلاءُ البَرَاء من هذا الأمر: أي أنا بَرِيءٌ، والذّكر والأنثى والجميع فيه سواءٌ.

وأبْرَأتُ الرّجل من الدّين والضّمان، وبَرّأتُه منه.

وبَرّأتُ الرّجل: صَحّحتُ عليه البَرَاءة من ذنب.

وأبْرَأتُه: تولّيتُ ذلك منه حتّى صار بَرِيئًا.

واستَبْرأتُ الشّيء: طلبت آخِرَه لأقطع فيه الشّبهة عن نفسي.

واستَبْرَأتُ بَراءة ذلك الأمر.

والاستِبْراءُ: أن يَسْتَبْرِي الرّجل جاريته لايَقْرَبُها حتّى تحيض، وأن يُنَقّي الرّجل ذَكَرَه عند البول.

والبُرْأة: قُتْرة الصّائد، وجَمْعُها بُرًأ.

والبَرَاء: أوّل يوم من الشّهر، وقيل: آخرُ ليلة منه. ويقال له: ابن البَرَاء.

والإبْرِيّة: حَزَازُ الرّأس. (١٠: ٢٧٤)

ابن جِنّيّ: يجمع «بريء» على أربعة من الجموع: بَرِيء وبِراءٌ مثل ظريف وظِراف، وبريء وبُرَءاءُ مثل شريف وشُرفاء، وبَريء وأبرياء، مثل صديق وأصدِقاء، وبَرِيء وبُراء، مثل ماجاء من الجموع على «فُعال» نحو: تُؤام ورُباء، في جمع تَوأم ورُبّي.

(ابن منظور ١: ٣٢)

الجَوهَريّ: تقول: بَرِئْتُ منك، ومن الدُّيون والعيوب براءةً. وبَرِئْتُ من المرض بُرْءً بالضّمّ.

وأهل الحجاز يقولون: بَرَأتَ من المرض بَرْءً بالفتح، وأصبح فلان بارئًا من مرضه، وأبْرَأه الله من المرض.

وبَرَأ الله الخَلْق بَرْءً، وأيضًا هو البارِئ.

والبَرِيّة: الخَلْق، وقد تركت العرب همزَه.

وأبرأتُه ممّا لي عليه، وبَرّأتُه تَبرِئة.

والبُرْأة بالضّمّ: قُتْرة الصّائد، والجمع: بُرًأ، مثل صُبْرَة وصُبَر. [ثمّ استشهد بشعر]

وتبرّأتُ من كذا، وأنا بَرَاءٌ منه، وخَلاء منه. لايُثنّى ولايُجمع، لأنّه مصدر في الأصل، مثل سَمِع سَماعًا.

فإذا قلتَ: أنا بريء منه، وخليٌّ منه، ثنّيت، وجَمَعْت، وأنّثت، وقلتَ في الجمع: نحن منه بُرَءاء مثل

فقيه وفُقَهاء، وبِراءٌ أيضًا مثل كريم وكِرام، وأبراء مثل: شريف وأشراف، وأبرياء أيضًا مثل نصيب وأنصباء، وبريؤون. وامرأة بريئة، وهما بريئتان، وهنّ بريئات برايا. ورجل بريء وبُرَاء، مثل عجيب وعُجاب.

والبَرَاء بالفتح: أوّل ليلة من الشّهر، سمّيت بذلك لتبرُّؤ القمر من الشّمس، وأمّا آخر يوم من الشّهر فهو النّحيرة.

وبارأتُ شريكي، إذا فارقته، وبارأ الرّجل امرأته. واستبْرأتُ الجارية، واستبْرأتُ ماعندك. (١: ٣٦)

ابن فارِس: فأمّا الباء والرّاء والهمزة فأصلان، إليهما ترجع فروع الباب:

أحدهما: الخَلْق، يقال: برأ الله الخَلْق يَبْرَؤُهم بَرْءً، والبارئ: الله جلّ ثناؤه، قال الله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ البقرة: ٥٤.

والأصل الآخر: التّباعد من الشّيء ومزايَلته، من ذلك البُرْء وهو السّلامة من السّقم، يقال: بَرِئْتُ وبَرَأْتُ. وأهل العالية يقولون: بَرَأْتُ أبْرأ بَرْءً، ومن ذلك قولهم: برئت إليك من حقّك.

وأهل الحجاز يقولون: أنا بَراءٌ منك، وغيرهم يقول: أنا بريءٌ منك. قال الله تعالى في لغة أهل الحجاز: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ الزّخرف: ٢٦، وفي غير موضع من القرآن ﴿إِنِّي بَرِيءٌ﴾ الأنعام: ٧٨.

فمن قال: أنا بَراءٌ، لم يُثَنِّ ولم يؤنّث، ويقولون: نحن البَرَاء والخَلاء من هذا.

ومن قال: بريء، قال: بريئان وبريئون، وبُرَءاء على وزن «بُرَعاء» وبُرَاء بلاأجر نحو بُرَاع، وبِراء مثل بِرَاع. ومن ذلك البَرَاءة من العَيب والمكروه، ولايقال منه: إلّا بَرِئَ يبرأ.

وبارأتُ الرّجل، أي برئت إليه، وبرئ إليّ.

وبارَأتِ المرأةُ صاحبَها على المفارقة، وكذلك بارأتُ شريكي، وأبرأتُ من الدَّين والضّمان.

قال الخَليل: «الاستبراء أن يشتري الرّجل جارية فلايطأها حتّى تحيض». وهذا من الباب، لأنّها قد بَرَّئَتْ من الرِّيبة الّتي تمنع المشتري من مباشرتها.

وبُرْأة الصّائد: ناموسه، وهي قُتْرته، والجمع: بُرًأ. وهو من الباب، لأنّه قد زايَل إليها كلّ أحد. [ثمّ استشهد بشعر]. (١: ٢٣٦)

أبوهِلال: الفرق بين البَرْء والخَلْق: أنّ البَرْء هو تمييز الصّورة، وقولهم: برأ الله الخَلْق، أي ميّز صورهم. وأصله: القطع، ومنه البراءة، وهي قطع العُلْقة. وبرئت من المرض، كأنّه انقطعت أسبابه عنك، وبرئت من الدَّين، وبرأ اللّحمَ من العظم: قطعه، وتبرّأ من الرّجل، إذا انقطعت عصمتُه منه.[1] (١١٣)

الفرق بين النّاس والبريّة: أنّ قولنا: بريّة، يقتضي تميّز الصّورة، وقولنا: النّاس، لايقتضي ذلك، لأنّ البَريّة «فعيلة» من بَرأ اللهُ الخَلْق، أي ميّز صورهم، وتُرِك همزه لكثرة الاستعمال، كما تقول: هم الخابية والذُّرِّيّة، وهي من ذرأ الخَلْق.

وقيل: أصل البريّة: البَرْيُ، وهو القطع، وسمّي بريّة، لأنّ الله عزّوجلّ قطعهم من جملة الحيوان،

(١) ذكر أبوهلال معنى الخلق في «الفروق اللّغويّة» في ص: ١١١ وسيأتي إنشاء الله في مادّة «خلق» فراجع.

فأفردهم بصفات ليست لغيرهم. وذُكر أنّ أصلها من: البَرَى، وهو التّراب.

وقال بعض المتكلّمين: «البَرِيّة: اسم إسلاميّ، لم يُعرف في الجاهليّة»، وليس كما قال، لأنّه جاء في شعر النّابغة وهو قوله:

قم في البَرِيّة فاحْدُدْها عن الفند

والنّابغة جاهليّ الأبيات. (٢٢٨)

أبوسَهْل الهَرَويّ: بارَأَ الرّجلُ شريكه وامرأته مهموز، إذا فارقها، وقد بارَى الرّيح جودًا بغير همز، فهو يباريها، إذا عارضها وفاخرها، أي أنّه يُعطي كلّما هبّت، وكذلك هو يباري جيرانه، غير مهموز أيضًا، إذا عارضهم بفعله، أي يفعل كما يفعلون. (٢٨)

ابن سِيدة: بَرَأ الله الخلق يَبْرَؤُهم بَرْءًا، وبُرُوءًا: خلقهم، يكون ذلك في الجواهر، والأعراض. وفي التّنزيل: ﴿مَاأَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ الحديد: ٢٢.

والبارئُ: من أسماء الله عزّوجلّ، وفي التّنزيل: ﴿الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ الحشر: ٢٤. وفيه: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ البقرة: ٥٤.

والبَرِيّة: الخلق، وأصلُها الهمز، ونظيره النّبيّ، والذُّرّيّة.

وأهل مكّة يخالفون غيرهم من العَرب، يهمزون البريئة، والنّبيء، والذُّرّيئة، وذلك قليل.

وقال اللّحيانيّ: اجتمعت العرب على ترك همز هذه الثّلاثة، ولم يستثن أهل مكّة.

وبَرَأ المريض يَبْرُؤُ، ويَبرأ، وبَرِئ، وبَرُؤ بُرْءًا، وبُرُوءًا، كلاهما: نَقِه.

وأصبح بارئًا من مرضه، وبريئًا من قوم بِراءٍ، كقولك: صَحيح وصِحاح فدلّ ذلك أنّه إنّما ذهَبَ في بِراءٍ إلى أنّه جمع بَرِيءٍ.

وقد يجوز أن يكون «بِراء» أيضًا جمع بارِئٍ كجائع وجِياع، وصاحِب وصِحاب.

وقد أبرَأهُ الله.

والبَراء - في المَديد - الجزء السّالم من زِحاف المُعاقَبَة. وكلّ جزء يمكن أن يدخله الزّحاف - كالمُعاقَبَة - فيَسْلم منه، فهو بَريءٌ.

وبَرِئ من الأمر يَبْرَأُ، ويَبْرُؤُ - الأخيرُ نادرٌ - بَراءَةً، وبَراءً، الأخيرة عن اللّحيانيّ. قال: وكذلك في العُيوب والدَّين: بَرِئَ إليك من حقّك بَراءةً، وبَراءً، وزاد وبُرُوءًا وتبرّأ.

وأبْرَأك منه، وبَرّأك. وفي التّنزيل: ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ الأحزاب: ٦٩.

وأنا بَريءٌ من ذلك، وبَراء، والجمع: بِراء، وبُرَءاء، وأبْراء.

وحكى الفَرّاء في جمعه: بُراء، غير مصروف، على حذف إحدى الهَمْزتين.

والأُنثى: بَريئة، ولايقال: بَراءَة، والجمع بَريئات. وحكى اللّحيانيّ بَريّات وبَرايا كخطايا.

وأنا البَراء منه، وكذلك الاثنان والجميع، والمؤنّث. وفي التّنزيل: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

وليلة البَراء: ليلة يتبرّأ القَمَر من الشّمس، وهي أوّل ليلة من الشّهر، قال:

ياعينُ بَكّي مالكًا وعَبْسَا   يومًا إذا كان البَراءُ نَحْسَا

وجمعه أبرِئَة. حكي ذلك عن ثعلب.

وبارَأْتُ الرّجل: بَرِئتُ إليه، وبَرِئَ إليّ.

وبارَأَ المرأة، والكَرِيَ، مُبارَأةً، وبِراءً: صالحَها على الفراق.

واستَبرأ المرأة، إذا لم يطَأْها حتّى تحيض. وكذلك استَبْرَأ الرّحِم.

والاستِبراء: استِنْقاءُ الذّكَر عند البَوْل.

والبُراءةُ: قُتْرَة الصّائد. [ثمّ استشهد بشعر]

(١٠: ٢٨٦)

البَراءة: السّلامة. بَرِئَ من الأمر يبرَأ ويبرُؤ بَراءةً وبراءةً وبُروءً.

وتبرّأ: سَلِم. وأبرأه الله وأبرَأهُ منه فهو بريء، والجمع: بريؤون وبُرَءاء وبِرَاء وأبْراء وأبرِياء، وهي بريئة، والجمع: بَرِيّات وبريّات وبَرايا.

وأنا بَراء منه، لايُثنّى ولايجمع ولايؤنّث، أي بريء.

(الإفصاح ١: ٢٤١)

البُرْء: بَرأ المريضُ يبرأ ويبرُؤ بُرْءً وبُرُوءً، وبرِيء يبرَأ بُرْءً وبَرْءً: نَقِه وصحّ، فهو بارئ وبَرِيء، والجمع: بِراء. وأبْرَأه الله تعالى.   (الإفصاح ١: ٥٥٠)

البَراءة: بَرِئَ من الدَّين يبرَأ براءةً: سقط عنه طلبه، فهو بريء وبارِئ وبَراء. وأبرأته منه وبَرّأته: جعلته بريئًا.   (الإفصاح ٢: ١٢٠٨)

الطُّوسيّ: فالبارئ هو الخالق الصّانع، يقال: برأه واستبرأ استبراء، وتبرّأ تبرّيًا، وباراه مباراةً، وبرأه براءة، وتَبْرِئة.

والبُرْء: السّلامة من السّقم، تقول بَرأ بُروءًا، وبرِئت وبَرأت وبَرُؤت براءةً. وتبرّأ تبرّيًا لغة في هذا.

والبراءة من العيب والمكروه لايقال منه إلّا: بَرِئ بَراء، كقوله: إنّي بَراء، وامرأة بَراء، ونسوة بَراء، وبُرَءاء على وزن «فُعَلاء». ومنه قوله: ﴿إِنَّا بُرَءٰؤُا مِنْكُمْ﴾ الممتحنة: ٤، جمع بريء. ومن ترك الهمزة قال: بُراء على وزن «فُعال».

وتقول: بارأت الرّجل، أي برئت إليه، وبرئ إليّ مثل ذلك.

وبارأت المرأة، أي صالحتها على المفارقة، وأبرأت الرّجل من الضّمان والدّين، وبرّأه تبرئةً.

ويقال: أبرأ الله فلانًا من المرض إبراءً حسنًا.

والاستبراء: استبراء الجارية والمرأة بأن لايَطأها حتّى تحيض.

والاستبراء: نقاء الفرج من القذر. وأصل الباب: تبرّي الشّيء من الشّيء، وهو انفصاله منه. وبَرأ الله الخَلْق، أي فطرهم، فإنّهم انفصلوا من العدم إلى الوجود.

والبَرِيّة: الخَلْق «فعيلة» بمعنى «مفعول» لايهمز كما لايهمز «مَلَك» وإن كان أصله من الألوكة.

وقيل: البريّة: مشتقّة من البراوة وهو التُّراب، فلذلك لم تُهمز. وقيل: إنّه مأخوذ من: بريت العود، فلذلك لم يهمز.

والبراءة من الشّيء: المفارقة، والمباعدة عنه، وبرئ الله من الكافر: باعده عن رحمته.

وأنواع الفعل كثيرة، منها: الخَلْق، والإنشاء والارتجاع.

والبَرء: الفَطر، فأمّا الإحداث، والإيجاد والتّكوين فكالفعل، والجعل أعمّ من الفعل، لأنّه لما وُجد بعد أن لم يكن، كقولك: جعلت الطّين خزفًا، فلم يحدث الخزف في الحقيقة، وإنّما أحدث ماصار خزفًا. (١: ٢٤٤)

معنى البراءة: انقطاع العصمة، برئ براءة وأبرأه إبراءً وتبرّأ تبرُّؤًا، وبرَأت من المرض وبرِئت أبرأ وأبرُؤ، وبرّأ تبريئًا.

وروى أهل اللُّغة: برأت أبرَأ بَرْءً ولم يجئ من المهموز (فعلت أفعل) إلّا في هذا الحرف الواحد. (٥: ١٩٦)

البراءة: قطع العُلقة الّتي توجب رفع المطالبة، وذلك كالبراءة من الدَّين، والبراءة من العيب في البيع. (٥: ٤٣٧)

الرّاغِب: أصل البُرْء والبَراء والتّبرّي: التّفصّي ممّا يُكره مجاورته، ولذلك قيل: بَرَأت من المرض وبَرِأتُ من فلان، وتبرّأتُ وأبْرَأته من كذا وبرّأتُهُ. ورجلٌ بريء وقوم بُرَءاء وبريؤون، قال عزّوجلّ: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ التّوبة: ١، وقال: ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ التّوبة: ٣.

وقال: ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يونس: ٤١.

﴿إِنَّا بُرَءٰؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ الممتحنة: ٤.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ الزّخرف: ٢٦.

﴿لَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ اٰذَوْا مُوسٰى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا﴾ الأحزاب: ٦٩.

وقال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ البقرة: ١٦٦.

والباري: خُصّ بوصف الله تعالى، نحو قوله: ﴿الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ الحشر: ٢٤، وقوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ البقرة: ٥٤.

والبَريّة: الخَلْق، قيل: أصله الهمز، فتُرك، وقيل ذلك من قولهم: بَرَيْتُ العود.

وسمّيت بَريّة لكونها مَبْرِيّة عن البَرى، أي التُّراب، بدلالة قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ المؤمن: ٦٧، وقوله تعالى: ﴿أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ البيّنة: ٧، وقال: ﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ البيّنة: ٦. (٤٥)

الزّمَخْشَريّ: اللّهمّ أبرأ إليك من الحَول والقُوّة، وهو بريء السّاحة ممّا قُذف به، وأنا الخلاء والبَراء منه، وقد بارأت شريكي: فاصلتُه، وتبارأنا.

وتقول: أسعد النّاس البَراء، كما أنّ أسعد اللّيالي البَراء، وهي آخر ليلة من الشّهر. [ثمّ استشهد بشعر]

وأبرأتُ الرّجل: جعلتُه بريئًا من حقٍّ لي عليه، وبَرَّأته: صحّحت براءته ﴿فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا﴾ الأحزاب: ٦٩.

واستبرأت الشّيء: طلبت آخره، لأقطع الشّبهة عنّي. واستبرأت أرض بني فلان فما وجدت فيها ضالّتي. واستبرأ من بوله، إذا استنزهه.

وفلان باريٌ من علّته، وتقول: حقّ على البارئ من اعتلاله، أن يؤدّي شكرَ الباري على إبلاله.

(أساس البلاغة: ١٨)

ابن الأثير: في أسماء الله تعالى: البارئ، هو الّذي

خَلق الخَلْق لاعن مثال.

وهذه اللّفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ماليس لها بغيره من المخلوقات. وقلّما تُستعمل في غير الحيوان، فيقال بَرَأ الله النّسمة، وخَلَق السّماوات والأرض. وقد تكرّر ذكر «البَرء» في الحديث.

وفي حديث مرض النّبيّ ﷺ «قال العبّاس لعليّ رضي الله عنه: كيف أصبح رسول الله ﷺ فقال: أصبح بحمد الله بارئًا»، أي معافًا. يقال: بَرأت من المرض أبْرأ بَرْءً بالفتح، فأنا بارئ، وأبْرَأني الله من المرض.

وغير أهل الحجاز يقولون: بَرِئْت بالكسر، بُرْءً بالضّمّ. ومنه قول عبد الرّحمان بن عوف لأبي‌بكر رضي الله عنها: «أراك بارئًا».

ومنه الحديث في استبراء الجارية: «لايمسّها حتّى يبرأ رحمُها» ويتبيّن حالها هل هي حامل أم لا؟ وكذلك الاستبراء الّذي يذكر مع الاستنجاء في الطّهارة، وهو أن يُستفرغ بقيّة البول ويُنَقّ موضعه ومجراه حتّى يُبرئهما منه، أي يبينه عنهما كما يَبرأ من المرض والدّين، وهو في الحديث كثير.

وفي حديث أبي‌هُريرة رضي الله عنه: «لمّا دعاه عمر إلى العمل فأبَى، فقال عمر: إنّ يوسف قد سأل العمل، فقال: إنّ يوسف منّي بريء وأنا منه بَراء» أي بريء عن مساواته في الحكم، وأن أُقاسَ به. ولم يُرِد براءة الولاية والمحبّة، لأنّه مأمورٌ بالإيمان به، والبراء والبريء سواء. (١: ١١١)

الفَيّوميّ: بَرِئَ زيد من دَينه يَبْرَأ مهموز، من باب «تعِبَ» براءة: سقط عنه طلبه، فهو بريءٌ وبارئٌ وبَرَاءٌ، بالفتح والمدّ.

وأبرأته منه وبَرّأته من العيب بالتّشديد: جعلتُه بريئًا منه. وبرئ منه مثل سَلِم، وزنًا ومعنًى، فهو بريء أيضًا.

وبرأ الله تعالى الخليقة يَبْرَؤها بفتحتين: خَلَقَها، فهو البارئ. والبَرِيّة «فعيلة» بمعنى «مفعولة».

وبرأ من المرض يبرَأ، من بابي: نَفَع وتَعِب، وبَرُؤَ بُرْءً، من باب «قرُب» لغة.

واستبرأتُ المرأة: طلبتُ بَراءتها من الحبَل.

قال الزّمَخْشَريّ: استبرأتُ الشّيء: طلبتُ آخره لقطع الشّبهة.

واستبرأ من البول، الأصل: استبرأ ذكَرَه من بقيّة بوله بالنّتْر والتّحريك حتّى يعلم أنّه لم يبق فيه شيء.

واستبرأت من البَوْل: تنزّهت عنه.

والبَرَى مثل العَصَا: التّراب.

وباريته: عارضتَه، فأتيتَ بمثل فعله. (١: ٤٧)

الفيروزاباديّ: برَأ الله الخَلْق، كجعَل بَرْءً وبُروءً: خلقهم.

والمريض يَبْرَأُ ويَبْرُؤُ بُرْءً بالضّمّ وبُروءً.

وبَرُؤَ ككَرُم وفَرِحَ بَرْءً وبُرْءً وبُرُوءً: نقِهَ. وأبْرَأه الله فهو بارئ وبريءٌ، الجمع: ككِرام.

وبرئ من الأمر يَبْرَأُ ويَبْرُؤ، نادر بَرَاءً وبَرَاءَةً وبُرُوءً.

تَبَرّأ وأبْرَأكَ منه وبَرّأك وأنت بريءٌ، الجمع: بريؤون وكفقهاء وكِرَام وأشْراف وأنْصِباءٍ ورُخَالٍ، وهي بهاء، الجمع: بريآت وبرِيّات، وبَرايا كخطايا.

وأنا بَرَاءٌ منه، لايُثنّى ولايُجمع ولايؤنّث، أي بريء.

والبَراء: أوّل ليلة أو يوم من الشّهر، أو آخرها أو آخره كابن البَراء. وأبرَأ: دخل فيه.

وبارَأه: فارقه، والمرأة صالحها على الفِراق.

واستبرأها: لم يَطأها حتّى تحيض، والذَّكَر استنقاه من البول.

وكالجُرعة قُنْزَة الصّائد. (١ : ٨)

العامليّ: البَرْء: ومايشتمل على البَرْء كبرأ ونحوه أصل، معنى ذلك الخلاص.

وأبراه، أي خلّصه، وبرّأه، أي خلقه وأوجده، كأنّه خلّصه من العدم، وبرأ منه، أي خلّص روحه منه وبَعُدَ عنه. ومنه التّبرّي من الأعادي، يقال: فلان برأ من فلان وتبرّأ، إذا جانبه وعاداه، ولم يواله. (٩٠)

الزَّبيديّ: تبرّأنا: تفارقنا، وأبرأته: جعلته بريئًا من حقّي، وبرّأته: صحّحت براءته.

«والمتباريان لايجابان» ذكره بعض أهل الغريب في المهموز، والصّواب ذِكره في المعتلّ، كما في «النّهاية».

وأبرأته مالي عليه، وبرّأته تَبرئة، وتبرّأت من كذا.

والبَرِيّة: الخَلْق، وقد تركت العرب همزها.

وقال الفرّاء: إن أُخذت البَرِيّة من «البَرى» وهو التُّراب، فأصلها غير الهمز. وقد أغفلها المصنّف هنا، وأحال في المعتلّ على مالم يُذكر، وهو عجيب.

واستبرأتُ ماعندك واستبرأ أرض كذا فما وجد ضالّته، واستبرأتُ الأمر: طلبتُ آخره، لأقطع الشّبهة عنّي. (١ : ٤٥)

المُصْطَفَويّ: الّذي يظهر من كلمات القوم ومن موارد الاستعمال أنّ مادّة «بَرأ وبَرَي» متقاربان، ومشتقّان أحدهما من الآخر، والأصل الواحد فيهما هو التّباعد من النّقص والعيب.

ومن هذا المعنى يتفرّع مفهوم التّسوية والنّحت لشيء، فإنّه باعتبار رفع النّقص وتكميله بالنّسبة إلى مايُقصد منه. فإنّ النّقص والكمال في كلّ شيء بحسبه، وهكذا الخَلْق، أي التّكوين والإيجاد. فإنّ التّكوين بعد التّقدير، والفعل بعد القوّة، تكميل للشّيء، ورفع جهات النّقص والضّعف منه.

فحقيقة البَرْء والتّبرئة ترجع إلى التّكميل، ورفع شوائب الضّعف.

﴿اِنّى بَرِىٓءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ٧٨، أي نزيه ومتباعد من هذه العقيدة.

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ التّوبة: ١، أي تباعد من معاهدتهم.

﴿وَاُبْرِئُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ﴾ آل عمران: ٤٩، أي أُزيل هذا العيب والمرض.

﴿وَمَآ اُبَرِّئُ نَفْسى﴾ يوسف: ٥٣، أي لاأدّعي براءة نفسي من العيوب والنّواقص. والإبراء لقيام الحدث بالفاعل، والتّبرأة للوقوع والنّسبة إلى المفعول. ﴿اِذْ تَبَرَّاَ الَّذينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذينَ اتَّبَعُوا﴾ البقرة: ١٦٦، أي قبلوا وأخذوا البراءة.

﴿مَآ اَصَابَ مِنْ مُصيبَةٍ فِى الْاَرْضِ وَلَا فى اَنْفُسِكُمْ اِلّا فى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ اَنْ نَبْرَاَهَا﴾ الحديد: ٢٢، أي قبل أن نوجد ونكوّن المصيبة، فقد كُتبت وثُبّتت عند الله المتعال وفي علمه، وقُدّرت قبل تحقّقها. (١ : ٢٢٤)

النّصوص التّفسيريّة

نَبْرَاَهَا

مَاۤاَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْاَرْضِ وَلَا فِيۤ اَنْفُسِكُمْ اِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ اَنْ نَبْرَاَهَا... الحديد: ٢٢

ابن‌عبّاس: هو شيء قد فرغ منها من قبل أن نبرأ النّفس.

مثله الضّحّاك وابن زيد. (الطّبريّ ٢٧: ٢٣٣)

يقول: في الدّين والدّنيا، إلّا في كتاب من قبل أن نخلقها.

مثله قتادة. (الطّبريّ ٢٧: ٢٣٤)

من قبل أن يخلق المصيبة. (القرطبيّ ١٧: ٢٥٧)

سعيد بن جُبَيْر: من قبل أن يخلق الأرض والنّفس. (القرطبيّ ١٧: ٢٥٧)

مثله المَيْبُديّ. (٩: ٤٩٨)

الطّبَريّ: من قبل أن نبرأ الأنفس، يعني من قبل أن نخلقها. يقال: قد برأ الله هذا الشّيء، بمعنى خلقه فهو بارئه. (٢٧: ٢٣٣)

الطّوسيّ: الضّمير راجع إلى «النّفس» كأنّه قال: من قبل أن نبرأ النّفس.

ويحتمل أن يكون راجعًا إلى المصائب من الأمراض والفقر والجدب والغمّ بالثّكل. (٩: ٥٣٣)

الطّبْرِسيّ: أي من قبل أن نخلق الأنفس، المعنى أنّه تعالى أثبتها في اللّوح المحفوظ قبل أن يخلق الأنفس، ليستدلّ ملائكته به، على أنّه عالم لذاته، يعلم الأشياء بحقائقها. (٥: ٢٤٠)

الفَخْر الرّازيّ: قد اختلفوا فيه، فقال بعضهم: من قبل أن نخلق هذه المصائب، وقال بعضهم: بل المراد الأنفس، وقال آخرون: بل المراد نفس الأرض.

والكلّ محتمل، لأنّ ذكر الكلّ قد تقدّم، وإن كان الأقرب نفس المصيبة، لأنّها هي المقصود.

وقال آخرون: المراد من قبل أن نبرأ المخلوقات، والمخلوقات وإن لم يتقدّم ذكرها، إلّا أنّها لظهورها يجوز عود الضّمير إليها، كما في قوله: ﴿اِنَّاۤ اَنْزَلْنَاهُ﴾. (٢٩: ٢٣٧)

القُرطُبيّ: الضّمير في (نَبْرَاَهَا) عائد على النّفوس، أو الأرض، أو المصائب، أو الجميع. (١٧: ٢٥٧)

البُرُوسَويّ: نخلق الأنفس أو المصائب أو الأرض، فإنّ البرء في اللّغة هو الخلق، والبارئ: الخالق. (٩: ٣٧٥)

الطّباطَبائيّ: ضمير (نَبْرَاَهَا) للمصيبة. وقيل: للأنفس، وقيل: للأرض، وقيل: للجميع من الأرض والأنفس والمصيبة.

ويؤيّد الأوّل أنّ المقام مقام بيان ما في الدّنيا من المصائب الموجبة لنقص الأموال والأنفس الّتي تدعوهم إلى الإمساك عن الإنفاق، والتّخلّف عن الجهاد. (١٩: ١٦٧)

عبد الكريم الخطيب: أي نخرجها من عالم الخفاء إلى عالم الظّهور. ومن أسمائه سبحانه «البارئ» الّذي برأ الوجود، أي أوجده. (١٤: ٧٨٢)

البَارِئُ

هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْاَسْمَاۤءُ

المُنشئ... الحشر: ٢٤

الطَّبَريّ: هو المعبود الخالق، الّذي لامعبود تصلح له العبادة غيره، ولاخالق سواه، (اَلْبَارِئُ) الّذي برأ الخَلق، فأوجدَهم بقدرته. (٢٨: ٥٦)

الطُّوسيّ: المُحدِث المُنشئ لجميع ذلك. (٩: ٥٧٤)

المَيْبُديّ: كلّ مايخرج من العدم إلى الوجود يفتقر إلى التّقدير أوّلًا، وإلى الإيجاد على وفق التّقدير ثانيًا، وإلى التّصوير بعد الإيجاد ثالثًا. والله تعالى خالق من حيث إنّه مُقدِّر، وبارئ من حيث إنّه مرتِّب صور المخترعات أحسن ترتيبًا. (١٠: ٥٧)

الزَّمَخْشَريّ: المميِّز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة. (٤: ٨٧)

الفَخْر الرّازيّ: هو بمنزلة قولنا: صانع وموجد، إلّا أنّه يفيد اختراع الأجسام، ولذلك يقال في الخَلق: بريّة، ولايقال في الأعراض الّتي هي كاللّون والطّعم. (٢٩: ٢٩٤)

القُرطُبيّ: المُنشئ المُخترِع. (١٨: ٤٨)

الآلوسيّ: المُوجد لها بريئة من تفاوت ماتقتضيه، بحسب الحكمة والجبلّة. (٢٨: ٦٤)

الطَّباطَبائيّ: المنشئ للأشياء ممتازًا بعضها من بعض. (١٩: ٢٢٢)

عبد الكريم الخطيب: (اَلْبَارِئُ) أي الّذي خلق ماخلق ابتداءً، على غير مثال سبق. (١٤: ٨٨٤)

بَارِئِكُمْ

١ـ وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا اِلٰى بَارِئِكُمْ... البقرة: ٥٤

أبوالعالية: أي إلى خالقكم. (الطَّبَريّ ١: ٢٨٨)

الطَّبَريّ: هو من برأ الله الخَلق يبرؤه فهو بارئ. والبَريّة: الخَلق، وهي «فعيلة» بمعنى «مفعولة» غير أنّها لاتُهمز كما لايهمز «مَلك» وهو من «لأك» لكنّه جرى بترك الهمزة.

وقد قيل: إنّ «البَريّة» إنّما لم تُهمز، لأنّها «فعيلة» من البَرَى، والبَرَى: التّراب، فكان تأويله على قول مَن تأوّله: كذلك أنّه مخلوق من التّراب.

وقال بعضهم: إنّما أُخذت «البريّة» من قولك: بريت العود، فلذلك لم تُهمز.

وترك الهمز من «بَارِئِكُمْ» جائز، والإبدال منها جائز، فإذا كان ذلك جائزًا في «باريكم» فغير مستنكر أن تكون «البريّة» من برى الله الخَلق، بترك الهمزة. (١: ٢٨٨)

الزَّمَخْشَريّ: إن قلت: من أين اختصّ هذا الموضع بذكر البارئ؟

قلت: البارئ هو الّذي خلق الخَلق بريئًا من التّفاوت ﴿مَاتَرٰى فِى خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ الملك: ٣، ومتميّزًا بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصّوَر المتباينة، فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم، الّذي برأهم بلطف حكمته، على الأشكال المختلفة، أبرياء من التّفاوت، والتّنافر إلى عبادة البقر الّتي هي مثَل في الغباوة والبلادة.

في أمثال العرب: «أبْلَدُ من ثَورٍ» حتّى عرضوا

أنفسهم لسخط الله ونزول أمره، بأن يفكّ ماركّبه من خَلْقهم، وينثر مانظّم من صورهم وأشكالهم، حين لم يشكروا النّعم في ذلك، وغمطوها بعبادة من لايقدر على شيء منها. (١: ٢٨١)

مثله الفَخْر الرّازيّ. (٣: ٨٠)

ابن عَطيّة: قرأ الجمهور (بَارِئِكُمْ) بإظهار الهمزة وكسرها.

وقرأ أبو عمرو (بَارِئْكُمْ) بإسكان الهمزة. وروي عن سِيبَوَيْه: اختلاس الحركة وهو أحسن، وهذا التّسكين يحسن في توالي الحركات.

وقال المُبرِّد: لايجوز التّسكين مع توالي الحركات في حرف الإعراب، وقراءة أبي عمرو (بَارِئْكُمْ) لحنٌ. وقد روي عن العرب التّسكين في حرف الإعراب. [ثمّ استشهد بأشعار]

ومن أنكر التّسكين في حرف الإعراب فحجّته أنّ ذلك لايجوز من حيث كان علمًا للإعراب.

قال أبوعليّ: وأمّا حركة البناء فلم يختلف النّحاة في جواز تسكينها مع توالي الحركات.

قرأ الزُّهْريّ (بَارِيكُمْ) بكسر الياء من غير همز، ورويت عن نافع. (١: ١٤٥)

البَيْضاويّ: ذكر البارئ وترتيب الأمر عليه إشعار بأنّهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة، حتّى تركوا عبادة خالقهم الحكيم، إلى عبادة البقر الّتي هي مثل في الغباوة، وإنّ من لم يعرف حقّ منعمه؛ حقيقٌ بأن يُستردّ منه، ولذلك أُمروا بالقتل وفكّ التّركيب. (١: ٥٧)

أبوحَيّان: [قال مثل ابن عَطيّة وأضاف:]

وقرأ الزُّهريّ (بَارِيكُمْ) بكسر الياء من غير همز، وروي ذلك عن نافع. ولهذه القراءة تخريجان:

أحدهما: أنّ الأصل الهمز، وأنّه من «برأ» فخُفّفت الهمزة بالإبدال المحض على غير قياس؛ إذ قياس هذا التّخفيف جعلها بين بين.

والثّاني: أن يكون الأصل (بَارِيكُمْ) بالياء من غير همز، ويكون مأخوذًا من قولهم: بريتُ القلم، إذا أصلحته، أو من «البَرَى» وهو التّراب، ثمّ حرّك حرف العلّة وإن كان قياسه تقدير الحركة في مثل هذا رفعًا وجرًّا. [ثمّ استشهد بشعر]

وهذا كلّه تعليل وشذوذ. [ثمّ ذكر كلام الزّمَخْشَريّ المتقدّم] (١: ٢٠٦)

صدر المتألّهين: أي ارجعوا وأنيبوا إلى خالقكم بالطّاعة والتّوحيد.

والفرق بين البارئ والخالق: أنّ «البارئ» هو المُبدع المُحدِث، و«الخالق» هو المقدّر النّاقل من صورة إلى صورة، ومن حال إلى حال.

وأصل التّركيب في اللّغة لخلوص الشّيء عن غيره إمّا على سبيل التّفصّي، كقولكم: برئ المريض من مرضه، والمديون من دَينه، أو على سبيل الإنشاء، كقوله: برأ الله آدم من الطّين.

[ثمّ قال مثل ماتقدّم عن الزّمَخْشَريّ]

نحوه الآلوسيّ. (١: ٢٥٩)

الطَّباطَبائيّ: (الْبَارِئُ) من الأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللّٰهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ الحشر: ٢٤، وقع في ثلاث مواضع من كلامه

تعالى: اثنان منها في هذه الآية، ولعلّه خصّ بالذّكر هاهنا من بين الأسماء الملائمة معناه للمورد، لأنّه قريب المعنى من الخالق والموجد، مِن بَرأ يبرأ بَراء، إذا فصل، لأنّه يفصل الخلق من العدم، أو الإنسان من الأرض، فكأنّه تعالى يقول: هذه التّوبة وقتلكم أنفسكم وإن كان أشقّ مايكون من الأوامر، لكنّ الله الّذي أمركم بهذا الفناء والزّوال بالقتل، هو الّذى برأكم، فالّذي أحبّ وجودكم وهو خير لكم، هو يُحبّ الآن حلول القتل عليكم فهو خير لكم، وكيف لايُحبّ خيركم وقد برأكم!

فاختيار لفظ (البَارِئ) بإضافته إليهم، في قوله: (إلى بَارِئِكُمْ) وقوله: ﴿عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ للإشعار بالاختصاص، لإثارة المحبّة. (١: ١٨٩)

بنت الشّاطئ: الكلمة جاءت مرّتين في آية البقرة: ٥٤

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا اِلٰى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

وجاء (البَارِئ) اسمًا من أسماء الله تعالى الحسنى في آية الحشر: ٢٤ ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنٰى﴾.

كما جاء منه الفعل المضارع في آية الحديد: ٢٢.

﴿مَااَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْاَرْضِ وَلَا فِي اَنْفُسِكُمْ اِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ اَنْ نَبْرَاَهَا اِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾

ومن غير المهموز، جاءت «البريّة» مرّتين في آيتي البيّنة: ٦، ٧.

﴿اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا اُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

وفي غير معنى الخلق جاءت المادّة في البراءة، والتّبرّؤ، والتّبرئة.

وتفسير البارئ بالخالق يبدو قريبًا، لولا أنّ آية الحشر جمعت بين ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ ثمّ إنّ فعل «الخلق» يجيء في القرآن مُسندًا إلى الله تعالى في أكثر من مائة وستّين موضعًا، ومنها ﴿خَلَقَ اللهُ﴾ العنكبوت: ٤٤، و﴿خَلْقِ الرَّحْمٰنِ﴾ الملك: ٣، سبحانه ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الرّعد: ١٦ والزّمر: ٦٢ والأنعام: ١٠٢، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾ فاطر: ٣، ﴿اِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ الحجر: ٨٦، فهل من فرق دلالة بين الخالق والبارئ؟

ذكر الرّاغب: أنّ «البارئ» خُصّ بوصفه تعالى، ولم يبيّن وجه اختصاص الله سبحانه بصفة البارئ.

وفي «القاموس»: برأ الله الخلق: خلقهم.

وفيه كذلك: البَرَاء: أوّل ليلة، أو يوم من الشّهر، أو آخرها وآخره.

ولو قد اقتصر في «البَرَاء» على أوّل الشّهر لفهمنا البارئ بكونه تعالى يبدأ الخلق ثمّ يعيده كما بدأه أوّل مرّة.

والزّمخشريّ فسّر ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ﴾ في آية الحشر، فقال: (الْخَالِقُ): المقدّر لما يوجده، (الْبَارِئُ): المميّز بعضه عن بعض بالأشكال المختلفة. ومثله في «البحر المحيط» لأبي حيّان.

وذهب ابن الأثير إلى وجه آخر في الفرق بين

«الخالق والبارئ» قال: في أسماء الله تعالى «البارئ» وهو الّذي خلق الخلق لاعن مثال، وهذه اللّفظة من الاختصاص بخلق الحيوان، ماليس لها بغيره من المخلوقات. وقلّما تستعمل في غير الحيوان، فيقال: برأ الله النّسمة، وخلق السّموات والأرض.

وهذا الوجه الدّقيق من التّمييز بين «الخالق والبارئ» هو مايؤنس إليه استقراء مافي القرآن من آياتها، وتدبّر سياقها؛ فالخلق شامل لكلّ شيء، سبحانه خلق السّماوات والأرض ومابينهما. وكلمة (بَارِئِكُمْ) الخطاب فيها لقوم موسى، و(الْبَرِيَّة) في آيتيها بسورة البيّنة، متعلّقة بالكفّار والمؤمنين: (شَرُّ الْبَرِيَّة) و (خَيْرُ الْبَرِيَّة).

لكن آية الحديد، يتعلّق فيها الفعل (نَبْرَأَهَا) بما أصابكم من مصيبة في الأرض ولاأنفسكم أعني أنّها في غير الحيوان.

ولعلّ ابن الأثير نظر إليها فاحترز من التّعميم والإطلاق في «بَرَأ» بقوله: وقلّما تُستعمل في غير الحيوان. (الإعجاز البيانيّ: ٤٩٣)

٢ـ ...فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. البقرة: ٥٤

الطَّبْرِسيّ: كرّر ذكر (بَارِئِكُمْ) تعظيمًا لما أتوا به مع كونه خالقًا لهم. (١: ١١٤)

أبوحَيّان: كرّر «البارئ» باللّفظ الظّاهر توكيدًا، ولأنّها جملة مستقلّة، فناسب الإظهار، وللتّنبيه على أنّ هذا الفعل هو راجع عندي الّذي أنشأكم، فكما رأى أنّ إنشاءكم راجح رأى أنّ إعدامكم بهذا الطّريق من القتل راجح، فينبغي التّسليم له في كلّ حال، وتلقّي مايرد من قبله بالقبول والامتثال. (١: ٢٠٩)

نحوه الآلوسيّ. (١: ٢٦١)

بَرِئ

١ـ ...قُلْ اِنَّمَا هُوَ اِلٰهٌ وَاحِدٌ وَاِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. الأنعام: ١٩

الفَخْر الرّازيّ: فيه تصريح بالبراءة عن إثبات الشّركاء، فثبت دلالة هذه الآية على إيجاب التّوحيد بأعظم طُرُق البيان وأبلغ وجوه التّأكيد. قال العلماء: المستحبّ لمن أسلم ابتداءً أن يأتي بالشّهادتين، ويتبرّأ من كلّ دين سوى دين الإسلام. (١٢: ١٧٩)

أبوحَيّان: أمره تعالى: أن يُخبرهم أنّه لايشهد شهادتهم، وأمره ثانيًا: أن يُفرد الله تعالى بالإلهيّة، وأن يتبرّأ من إشراكهم.

وماأبدع هذا التّرتيب أمر أوّلًا بأن يُخبرهم بأنّه لايوافقهم في الشّهادة، ولايلزم من ذلك إفراد الله بالأُلوهيّة، فأمر به ثانيًا ليجتمع مع انتفاء موافقتهم إثبات الوحدانيّة لله تعالى، ثمّ أخبر ثالثًا بالتّبرّؤ من إشراكهم، وهو كالتّوحيد لما قبله.

ويحتمل أن لايكون ذلك داخلًا تحت القول، ويحتمل ـ وهو الظّاهر ـ أن يكون داخلًا تحته، فأمر بأن يقول الجملتين، فظاهر الآية يقتضي أنّها في عبدة الأصنام. (٤: ٩٢)

٢ـ أَنْتُمْ بَرِيـؤُنَ مِمَّـا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ .

يونس: ٤١

الطَّبَريّ: لاتؤاخَذون بجريرته ولاأُؤاخَذ بجريرة عملكم. وهذا كما قال جلّ ثناؤه: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ* لَاأَعْبُدُ مَاتَعْبُدُونَ* وَلَاأَنْتُمْ عَابِدُونَ مَاأَعْبُدُ﴾ الكافرون: ١ ـ ٣. (١١: ١١٩)

الطُّوسيّ: أي إن كنتم غير محقّين فيما تردّونه عليّ وتكذّبوني فلكم جزاء عملكم، فأنتم تبرؤون ممّا أعمل، وأنا أبرأ من أعمالكم.

وفائدة ذلك الإخبار بأنّه لايجازى أحد إلّا على عمله، ولايؤاخَذ أحد بجرم غيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَاتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام: ١٦٤.

(٥: ٤٣٧)

الفَخْر الرّازيّ: قيل: معنى الآية الزّجر والرّدع، وقيل: بل معناه استمالة قلوبهم.

قال مُقاتِل والكَلْبيّ: هذه الآية منسوخة بآية السّيف. وهذا بعيد، لأنّ شرط النّاسخ أن يكون رافعًا لحكم المنسوخ، ومدلول هذه الآية اختصاص كلّ واحد بأفعاله وبثمرات أفعاله، من الثّواب والعقاب؛ وذلك لايقتضي حرمة القتال. فآية القتال مارفعت شيئًا من مدلولات هذه الآية، فكان القول بالنّسخ باطلًا.

(١٧: ١٠٠)

٣ـ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ.

هود: ٥٤

المَيْبُديّ: من آلهتكم الّتي يخوّفوني بها، فسمُّوني ماشئتم. (٤: ٤٠٢)

نحوه القُرطُبيّ. (٩: ٥٢)

أبوحَيّان: (أَنِّي بَرِيءٌ) تنازع فيه (أُشْهِدُ و(اشْهَدُوا) وقد يتنازع المختلفان في التّعدّي الاسم الّذي يكون صالحًا لأن يعملا فيه، تقول: أعطيت زيدًا ووهبت لعمر دينارًا، كما يتنازع اللّازم والمتعدّي، نحو: قام وضربت زيدًا. و(مَا) في (مَاتُشْرِكُونَ) موصولة، إمّا مصدريّة وإمّا بمعنى الّذي، أي بريء من إشراككم آلهة من دونه، أو من الّذين تُشركون. (٥: ٢٣٣)

الطَّباطَبائيّ: أجاب هودﷺ عن قولهم بإظهار البراءة من شركائهم من دون الله، ثمّ التّحدّي عليهم بأن يكيدوا به جميعًا ولاينظروه.

فقوله: ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ* مِنْ دُونِهِ﴾ هود: ٥٤، ٥٥، إنشاء وليس بإخبار، كما هو المناسب لمقام التّبرّي، ولاينافي ذلك كونه بريئًا من أوّل أمره، فإنّ التّبرّز بالبراءة لاينافي تحقّقها من قبل. (١٠: ٣٠١)

بَرِيئًا

وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا. النّساء: ١١٢

الحَسَن: البريء هو اليهوديّ الّذي طُرح عليه الدّرع. (الطَّبْرِسيّ ٢: ١٠٨)

ابن سيرين: يهوديًّا. (الطَّبَريّ ٥: ٢٧٤)

الطَّبَريّ: واختلف أهل التّأويل فيمن عنى الله بقوله: (بَرِيئًا)، فقال بعضهم: عنى الله عزّوجلّ بالبريء رجلًا من المسلمين، يقال له: لبيد بن سهل.

وقال آخرون: بل عنى رجلًا من اليهود، يقال له: زيد بن السّمين.

وقيل: ﴿يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ بمعنى ثمّ يَرْم بالإثم، الّذي أتى هذا الخائن مَن هو بريء ممّا رماه به.

فالهاء في قوله: (بِهِ) عائدة على «الإثم» ولو جُعلت كناية من ذكر الإثم والخطيئة كان جائزًا، لأنّ الأفعال وإن اختلفت العبارات عنها، فراجعة إلى معنى واحد، بأنّها فعل. (٥: ٢٧٤)

نحوه الطّوسيّ. (٣: ٣٢٣)

الزّمَخْشَريّ: كما رمَى طعمةُ زيدًا. (١: ٥٦٣)

أبوحَيّان: البريء: المتّهم بالذّنب، ولم يذنب. (٣: ٣٤٦)

الكاشانيّ: كما رمَى بشير لبيدًا، أو اليهوديّ. (١: ٤٦١)

البُرُوسَويّ: أي ممّا رماه به ليحمّله عقوبة العاجلة، كما فعل طعمةُ بزيد اليهوديّ. (٢: ٢٨١)

الآلوسيّ: ممّا رماه به ليحمّله عقوبة العاجلة، كما فعل من عنده الدّرع بلبيد بن سهل، أو بأبي مليك. (٥: ١٤٢)

بَـرَاءٌ

وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ.

الزّخرف: ٢٦

الفَرّاء: هي في قراءة عبدالله (إنّني بَرِئٌ ممّا تَعْبُدُونَ) ولو قرأها قارئ كان صوابًا موافقًا لقراءتنا، لأنّ العرب تكتب: يستهزئ يستهزأ، فيجعلون الهمزة مكتوبة بالألف في كلّ حالاتها، يكتبون: شيء شيئًا، ومثله كثير في مصاحف عبد الله، وفي مصحفنا. (٣: ٣٠)

الزّمَخْشَريّ: قُرئ (بَرَاءٌ) بفتح الباء وضمّها و(بَرِئٌ) فبريءٌ وبِراء، نحو كريم وكِرام و(بَراء) مصدر كظماء، ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة، والمذكّر والمؤنّث، يقال: نحن البَراء منك والخَلاء منك. (٣: ٤٨٤)

أبوحَيّان: قرأ الجمهور (بَرَاء) مصدر يستوي فيه المفرد والمذكّر ومقابلها، يقال: نحن البَراء منك، وهي لغة العالية. وقرأ الزّعفرانيّ والقورصيّ عن أبي جعفر وابن المنافريّ عن نافع بضمّ الباء. والأعمش (بَرِئٌ) وهي لغة نجد وشَيْخَيْه، ويجمع ويؤنّث، وهذا نحو طويل وطوال، وكريم وكِرام. (٨: ١١)

نحوه الآلوسيّ. (٢٥: ٧٦)

الطَّباطَبائيّ: البَراء: مصدر من برئ يبرأ، فهو بريء. فمعنى ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ إنّني ذوبَراء أو بريء، على سبيل المبالغة، مثل زيد عَدْل.

وفي الآية إشارة إلى تبرّي إبراهيم عليه السلام ممّا كان يعبده أبوه وقومه من الأصنام والكواكب، بعد ماحاجّهم فيها، فاستندوا فيها إلى سيرة آبائهم، على ماذكر في سور الأنعام والأنبياء والشّعراء، وغيرها.

والمعنى: اذكر لهم إذ تبرّأ إبراهيم عن آلهة أبيه وقومه؛ إذ كانوا يعبدونها تقليدًا لآبائهم من غير حجّة، وقام بالنّظر وحده. (١٨: ٩٥)

بُرَءٰؤُا

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرٰهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ

قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ... الممتحنة: ٤

الطُّوسيّ: (بُرَءَٰؤُا) على وزن «فُعَلاء» ومثله ظريف وظُرفاء، وكريم وكُرماء وفقير وفقراء. الهمزة الأُولى لام الفعل، والثّانية المنقلبة من ألف التّأنيث، والألف الّتي قبله الهمزة زيادة مع علامة التّأنيث، وهو جمع بريء. (٩: ٥٧٩)

نحوه المَيْبُديّ. (١٠: ٦٩)

الزَّمَخْشَريّ: قرئ (بُرَءَٰؤُا) كشُركاء و(بِراء) كظِراف، و(بُراء) على إبدال الضّمّ من الكسر كرُخال ورُباب، و(بَراء) على الوصف بالمصدر. والبَراء والبَراءة كالظّماء والظّماءة. (٤: ٩١)

القُرطُبيّ: و(بُرَءَٰؤُا) جمع بريء، مثل شريك وشركاء، وظريف وظرفاء، وقراءة العامّة على وزن «فُعَلاء».

وقرأ عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق (بِرَاء) بكسر الباء على وزن «فِعال» مثل قصير وقِصار، وطويل وطِوال وظريف وظِراف.

ويجوز ترك الهمزة حتّى تقول: بُرًا، وتنوّن. وقرئ (بَراء) على الوصف بالمصدر. وقرئ (بُراء) على إبدال الضّمّ من الكسر، كرُخال ورُباب. (١٨: ٥٦)

أبوحَيّان: قرأ الجمهور (بُرَءَٰؤُا) جمع بريء، كظريف وظُرفاء، وعيسى (بِراء) جمع بريء أيضًا كظريف وظِراف، وأبو جعفر: بضمّ الباء كتُؤام وظُؤار، وهو اسم جمع، الواحد: بريء وتوأم وظئر، ورويت عن عيسى.

قال أبوحاتم: زعموا أنّ عيسى الهمدانيّ رووا عنه (بَراء) على «فَعال» كالّذي في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ الزّخرف: ٢٦، وهو مصدر على «فَعال» يوصف به المفرد والجمع. وقال الزّمَخْشَريّ: و(بُراء) على إبدال الضّمّ من الكسر كرُخال ورُباب، انتهى.

فالضّمّة في ذلك ليست بدلًا من كسرة بل هي ضمّة أصليّة، وهو قريب من أوزان أسماء الجُموع، وليس جمع تكسير، فتكون الضّمّة بدلًا من الكسرة. (٨: ٢٥٤)

نحوه الآلوسيّ. (٢٨: ٧٠)

الطَّباطَبائيّ: [له بحث راجع «غفر» «لأستغفرنّ»]

بَرَاءَةٌ

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ. التّوبة: ١

الطَّبَريّ: هذه براءة من الله ورسوله، فـ(بَرَاءَةٌ) مرفوعة بمحذوف، وهو «هذه»، كما في قوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ النّور: ١، مرفوعة بمحذوف هو «هذه».

ولو قال قائل: (بَرَاءَةٌ) مرفوعة بالعائد من ذكرها، في قوله: ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم﴾ وجعلها كالمعرفة ترفع مابعدها، إذ كانت قد صارت بصلتها، وهي قوله: ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ كالمعرفة، وصار معنى الكلام: براءة من الله ورسوله إلى الّذين عاهدتم من المشركين، كان مذهبًا غير مدفوعة صحّته، وإن كان القول الأوّل أعجب إليّ.

لأنّ من شأن العرب أن يُضمروا لكلّ معاين ـ نكرة كان أو معرفة ـ ذلك المعاين: هذا وهذه، فيقولون عند

معاينتهم الشّيء الحسن: حسن والله، والقبيح: قبيح والله، يريدون: هذا حسن والله، وهذا قبيح والله، فلذلك اخترت القول الأوّل. (١٠: ٥٨)

الطُّوسيّ: قيل في علّة ترك افتتاح هذه السّورة بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قولان:

أحدهما: ماروي عن أُبيّ بن كعب: أنّه ضمّت هذه السّورة إلى الأنفال بالمقاربة، فكانت كسورة واحدة، لأنّ الأُولى في ذكر العهود، والأُخرى في رفع العهود.

وقال عثمان: لاشتباه قصّتها، لأنّ الأُولى في ذكر العهود، والأُخرى في رفع العهود.

وقال المُبرّد: لأنّ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أمان، وبراءة، نزلت برفع الأمان.

ويحتمل رفع (بَرَاءَةٌ) وجهين:

أحدهما: أن يكون خبرًا لمبتدإ محذوف، وتقديره: هذه الآيات براءة.

والثّاني: أن يكون مبتدأ وخبره الظّرف، في قوله: (إلَى الّذِينَ).

والأوّل أجود، لأنّه يدلّ على حصول المُدرك، كما تقول لما تراه حاضرًا: حسن والله، أي هذا حسن.

(٥: ١٩٥)

نحوه المَيْبُديّ. (٤: ٨٩)

الزّمخشريّ: (سورة التّوبة) لها عدّة أسماء: براءة، التّوبة، المُقَشْقِشَة، المُبَعْثِرَة، المُشرِّدة، المُخزِية، الفاضِحة، المُثيرة، الحافرة، المُنكلة، المُدَمْدِمَة، سورة العذاب، لأنّ فيها التّوبة على المؤمنين، وهي تُقَشْقِش من النّفاق، أي تُبرئ منه، وتُبعثر عن أسرار المنافقين، تَبحثُ عنها وتثيرها، وتحفر عنها وتفضحهم، وتنكلهم وتشرّد بهم وتُخزيهم وتُدَمْدِم عليهم. وعن حذيفة رضي الله عنه: إنّكم تسمّونها سورة التّوبة وإنّما هي سورة العذاب، والله ماتركت أحدًا إلّا نالت منه.

فإن قلت: هلّا صُدّرت بآية التّسمية كما في سائر السّور؟

قلت: سأل عن ذلك ابن عبّاس عثمان رضي الله عنهما فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه السّورة أو الآية قال: اجعلوها في الموضع الّذي يُذكَر فيه كذا وكذا، وتوفّي رسول الله ﷺ ولم يبيّن لنا أين نضعها، وكانت قصّتها شبيهة بقصّتها، فلذلك قرنت بينهما، وكانتا تدعيان القرينتين.

وعن أُبيّ بن كعب: إنّما توهّموا ذلك، لأنّ في الأنفال ذِكر العهود وفي براءة نبذ العهود.

وسُئل ابن عُيَيْنَة رضي الله عنه، فقال: اسم الله سلام وأمان، فلايُكتب في النّبذ والمحاربة، قال الله تعالى: ﴿وَلَاتَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ النّساء: ٩٤.

قيل: فإنّ النّبيّ ﷺ قد كتب إلى أهل الحرب ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

قال: إنّما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ إليهم، ألا تراه يقول: «سلام على من اتّبع الهدى». فمن دُعي إلى الله عزّوجلّ فأجاب، ودُعي إلى الجزية فأجاب، فقد اتّبع الهُدى، وأمّا «النّبذ» فإنّما هو البراءة واللّعنة. وأهل الحرب لايسلم عليهم، ولايقال: لاتَفرق ولاتخَف

ومترس[1]، ولابأس هذا أمان كلّه.

وقيل: سورة الأنفال والتّوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال، تُعدّان السّابعة من الطُّوَل وهي سبع، ومابعدها المثون. وهذا قول ظاهر، لأنّهما معًا مئتان وستّ، فهما بمنزلة إحدى الطُّوَل.

وقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: الأنفال وبراءة سورة واحدة، وقال بعضهم: هما سورتان، فتركت بينهما فرجة لقول من قال: هما سورتان، وتُركت ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ لقول من قال هما سورة واحدة.

(بَرَاءَةٌ) خبر مبتدإ محذوف، أي هذه براءة، و(مِنْ) لابتداء الغاية متعلّق بمحذوف وليس بصلة، كما في قولك: برئت من الدَّين. والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ كما يقال: كتاب من فلان إلى فلان.

ويجوز أن يكون (بَرَاءَةٌ) مبتدأ لتخصيصها بصفتها، والخبر ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾، كما تقول: رجل من بني تميم في الدّار.

وقرئ (بَرَاءَةً) بالنّصب على: اسمعوا براءةً.

فإن قلت: لم علّقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين؟

قلت: قد أذن الله في معاهدة المشركين أوّلًا، فاتّفق المسلمون مع رسول الله ﷺ وعاهدوهم؛ فلمّا نقضوا العهد أوجب الله تعالى النّبذ إليهم، فخوطب المسلمون بما تجدّد من ذلك، فقيل لهم: اعلموا أنّ الله ورسوله قد برئا ممّا عاهدتم به المشركين. (٢: ١٧١)

ابن عَطيّة: تفسير سورة براءة: وتسمّى سورة التّوبة، قاله حذيفة وغيره، وتسمّى الفاضحة، قاله ابن عبّاس، وتسمّى الحافرة، لأنّها حفرت عن قلوب المنافقين.

قال ابن عبّاس: مازال ينزل: ومنهم ومنهم حتّى ظنّ أنّه لايبقى أحد.

وقال حذيفة: هي سورة العذاب، قال ابن عمر: كنّا ندعوها المُقَشْقِشَة، قال الحارث بن يزيد: كانت تُدعى المُبَعْثِرَة، ويقال لها: المثيرة، ويقال لها: البحوث، وقال أبومالك الغفاريّ: أوّل آية نزلت من براءة: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ التّوبة: ٤١، وقال سعيد بن جُبَيْر: كانت براءة مثل سورة البقرة في الطّول.

واختُلف لِمَ سقط سطر ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ من أوّلها، فقال عثمان بن عفّان: أُشبهت معانيها معاني الأنفال، وكانت تُدعى القرينتين في زمن رسول الله ﷺ، فلذلك قَرنتُ بينهما، ولم أكتُبْ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ووضعتُها في السّبع الطُّوَل، وقال عليّ بن أبي طالب لابن عبّاس رضي الله عنهما: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أمان وبشارة، و(بَرَاءَةٌ) نزلت بالسّيف ونَبْذ العهود، فلذلك لم تبدأ بالأمان.

ويُعزى هذا القول للمُبَرّد وهو لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا كما يبدأ الخاطب الغاضب: «أمّا بعد» دون تقريظ ولااستفتاح بتبجيل.

وروي أنّ كتبة المصحف في مدّة عثمان اختلفوا في

---

(١) كذا في المتن، وهو فارسيّ أي لاتخف، والزّمخشريّ تكلّم هنا بلغته.

الأنفال وبراءة، هل هي سورة واحدة أو هما سورتان؟ فتركوا فصلًا بينهما، مراعاةً لقول من قال: هما سورتان، ولم يكتبوا، ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ مراعاةً لقول من قال منهم: هما واحدة، فرضي جميعهم بذلك.

وهذا القول يضعّفه النّظر أن يُختلف في كتاب الله هكذا.

وروي عن أُبيّ بن كعب أنّه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بوضع ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ في أوّل كلّ سورة، ولم يأمرنا في هذا بشيء، فلذلك لم نضعه نحن.

وروي عن مالك أنّه قال: بلغنا أنّها كانت نحو سورة البقرة، ثمّ نُسخ ورُفع كثير منها وفيه البسملة، فلم يروا بعدُ أن يضعوه في غير موضعه، وسورة براءة من آخر ما نزل على النّبيّ ﷺ.

وحكى عمران بن جدير: أنّ أعرابيًّا سمع سورة براءة، فقال: أظنّ هذه من آخر ما أنزل الله على رسوله، فقيل له: لِمَ تقول ذلك؟ فقال: أرى أشياء تُنقض وعهودًا تُنبَذ. (٣: ٣)

الطَّبْرِسيّ: أسماؤها عشرة:

سورة براءة: سمّيت بذلك لأنّها مفتتحة بها، ونزلت بإظهار البراءة من الكفّار.

التّوبة: سمّيت بذلك لكثرة ما فيها من التّوبة، كقوله: ﴿وَيَتُوبُ اللهُ عَلٰى مَنْ يَشَاءُ﴾ التّوبة: ١٥، ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ التّوبة: ٧٤، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ التّوبة: ١١٨.

الفاضحة: عن سعيد بن جُبَيْر قال: قلت لابن عبّاس: سورة التّوبة، فقال: تلك الفاضحة، ما زال ينزل حتّى خشينا أن لا يبقى منهم أحد إلّا ذُكر، وسمّيت بذلك، لأنّها فضحت المنافقين بإظهار نفاقهم.

المُبعثِرة: عن ابن عبّاس أيضًا، سمّاها بذلك لأنّها تُبعثر عن أسرار المنافقين، أي تبحث عنها.

المُقَشقِشة: عن ابن عبّاس، سمّاها بذلك لأنّها تُبرّئ من آمن بها من النّفاق والشّرك، لما فيها من الدّعاء إلى الإخلاص. وفي الحديث كان يقال لسورتي قل يا أيّها الكافرون وقل هو الله أحد: المُقَشقِشتان. سمّيتا بذلك لأنّهما تُبرّئان من الشّرك والنّفاق، يقال: قَشقَشه، إذا برّأه. وتقشقش المريض من علّته، إذا أفاق وبَرِئ منها.

البحوث: عن أبي أيّوب الأنصاريّ، سمّاها بذلك، لأنّها تتضمّن ذِكر المنافقين، والبحث عن سرائرهم.

المُدَمدِمة: عن سفيان بن عُيَيْنَة، أي المُهلِكة، ومنه قوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ الشّمس: ١٤.

الحافرة: عن الحسن، لأنّها حفرت عن قلوب المنافقين ما كانوا يسترونه.

المُثيرة: عن قَتادَة، لأنّها أثارت مخازيهم ومقابحهم.

سورة العذاب: عن حذيفة بن اليمان، لأنّها نزلت بعذاب الكفّار. وروى عاصم عن زِرّ بن حُبَيْش عن حذيفة، قال: يسمّونها سورة التّوبة وهي سورة العذاب، فهذه عشرة أسماء. (٣: ١)

الفَخْر الرّازيّ: إن قيل: ما السّبب في إسقاط التّسمية من أوّلها؟

قلنا: ذكروا فيه وجوهًا:

الوجه الأوّل: روي عن ابن عبّاس قال: قلت

لعثمان ابن عفّان: ماحملكم على أن عمدتم إلى سورة براءة وهي من المئين، وإلى سورة الأنفال وهي من المثاني، فقرنتم بينهما، وما فصلتم بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

فقال: كان النّبيّ ﷺ كلّما نزلت عليه سورة يقول: «ضعوها في موضع كذا» وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً. فتوفّي ﷺ ولم يبيّن موضعها، وكانت قصّتها شبيهة بقصّتها فقُرن بينهما.

قال القاضي: يبعد أن يقال: إنّه ﷺ لم يبيّن كون هذه السّورة تالية لسورة الأنفال، لأنّ القرآن مرتّب من قبل الله تعالى ومن قبل رسوله، على الوجه الّذي نُقل. ولو جوّزنا في بعض السّور أن لايكون ترتيبها من الله على سبيل الوحي، لجوّزنا مثله في سائر السّور، وفي آيات السّورة الواحدة، وتجويزه يطرق مايقوله الإماميّة: من تجويز الزّيادة والنّقصان في القرآن[1]، وذلك يخرجه من كونه حجّة.

بل الصّحيح أنّه ﷺ أمر بوضع هذه السّورة بعد سورة الأنفال وحيًا، وأنّه ﷺ حذف ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ من أوّل هذه السّورة وحيًا.

الوجه الثّاني: في هذا الباب مايُروى عن أُبيّ بن كعب أنّه قال: إنّما توهّموا ذلك، لأنّ في الأنفال ذِكر العهود، وفي براءة نَبْذ العهود، فوضعت إحداهما بجنب الأُخرى. والسّؤال المذكور عائد هاهنا، لأنّ هذا الوجه إنّما يتمّ إذا قلنا: إنّهم إنّما وضعوا هذه السّورة بعد الأنفال من قبل أنفسهم، لهذه العلّة.

الوجه الثّالث: أنّ الصّحابة اختلفوا في أنّ سورة الأنفال وسورة التّوبة سورة واحدة أم سورتان؟

فقال بعضهم: هما سورة واحدة، لأنّ كلتيهما نزلت في القتال، ومجموعهما هذه السّورة السّابعة من الطّوال وهي سبع، ومابعدها المئون. وهذا قول ظاهر، لأنّهما معًا مئتان وستّ آيات، فهما بمنزلة سورة واحدة.

ومنهم من قال: هما سورتان، فلمّا ظهر الاختلاف بين الصّحابة في هذا الباب، تركوا بينهما فرجة، تنبيهًا على قول من يقول: هما سورتان، وماكتبوا ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ بينهما، تنبيهًا على قول من يقول: هما سورة واحدة.

وعلى هذا القول لايلزمنا تجويز مذهب الإماميّة؛ وذلك لأنّه لمّا وقع الاشتباه في هذا المعنى بين الصّحابة، لم يقطعوا بأحد القولين، وعملوا عملاً يدلّ على أنّ هذا الاشتباه كان حاصلاً، فلمّا لم يتسامحوا بهذا القدر من الشّبهة، دلّ على أنّهم كانوا مشدّدين في ضبط القرآن عن التّحريف والتّغيير، وذلك يبطل قول الإماميّة[2].

الوجه الرّابع في هذا الباب: أنّه تعالى ختم سورة الأنفال بإيجاب أن يوالي المؤمنون بعضهم بعضًا، وأن يكونوا منقطعين عن الكفّار بالكلّيّة، ثمّ إنّه تعالى صرّح بهذا المعنى في قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ فلمّا كان هذا عين ذلك الكلام وتأكيدًا له وتقريرًا له، لزم وقوع الفاصل بينهما، فكان إيقاع الفصل بينهما تنبيهًا على كونهما سورتين متغايرتين، وترك كَتْب ﴿بِسْمِ اللهِ

---

(١) و (٢) نسبة التّحريف إلى جميع الإماميّة افتراء عليهم، إنّما ذهب إليه شاذّة من الأخباريّة انقرضت، وخالفها جمهور الإماميّة قديمًا وحديثًا، لاحظ المدخل.

﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ بينهما، تنبيهًا على أنّ هذا المعنى هو عين ذلك المعنى.

الوجه الخامس: مانُقل عن عليّ عليه السلام. [وقد تقدّم في قولي الزّمخشريّ وابن عطيّة]

الوجه السّادس: قال أصحابنا: لعلّ الله تعالى لمّا علم من بعض النّاس أنّهم يتنازعون في كون ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ من القرآن، أمر بأن لاتُكتب هاهنا، تنبيهًا على كونها آية من أوّل كلّ سورة، وأنّها لمّا لم تكن آية من هذه السّورة لاجرم لم تُكتب، وذلك يدلّ أنّها لمّا كتبت في أوّل سائر السّور، وجب كونه آية من كلّ سورة.

فإن قالوا: ماالسّبب في أنّ نسب «البراءة» إلى الله ورسوله، ونسب «المعاهدة» إلى المشركين؟

قلنا: قد أذن الله في معاهدة المشركين، فاتّفق المسلمون مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، وعاهدهم. ثمّ إنّ المشركين نقضوا العهد، فأوجب الله النّبذ إليهم، فخوطب المسلمون بما يُحذّرهم من ذلك، وقيل: اعلموا أنّ الله ورسوله قد برئا ممّا عاهدتم من المشركين.

(١٥: ٢١٥-٢١٧)

القُرطُبيّ: (بَرَاءَةٌ) تقول: برئتُ من الشّيء أبرأ براءة فأنا منه بريء، إذا أزلته عن نفسك، وقطعت سبب مابينك وبينه. و(بَرَاءَةٌ) رُفع على خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذه براءة. ويصحّ أن ترفع بالابتداء، والخبر في قوله: (إِلَى الَّذِينَ). وجاز الابتداء بالنّكرة، لأنّها موصوفة، فتعرّفت تعريفًا، وجاز الإخبار عنها.

وقرأ عيسى بن عمر (بَرَاءَةً) بالنّصب، على تقدير: الزموا براءةً، ففيها معنى الإغراء. وهي مصدر على «فَعالَة» كالشّناءة والدّناءة. (٨: ٦٣)

الآلوسيّ: عن قتادة وغيره: أنّها مع الأنفال سورة واحدة، ولهذا لم تُكتب بينهما «البسملة»، وقيل في وجه عدم كتابتها: إنّ الصّحابة رضي الله تعالى عنهم اختلفوا في كونها سورة أو بعض سورة، ففصلوا بينها وبين الأنفال رعايةً لمن يقول: هما سورتان، ولم يكتبوا «البسملة» رعايةً لمن يقول: هما سورة واحدة.

والحقّ أنّهما سورتان إلّا أنّهم لم يكتبوا «البسملة» بينهما، لما رواه أبوالشّيخ وابن مَرْدَوَيْه، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، عن عليّ كرّم الله تعالى وجهه: من أنّ البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسّيف. ومثله عن محمّد بن الحنفيّة وسفيان بن عُيَيْنَة، ومرجع ذلك إلى أنّها لم تنزل في هذه السّورة كأخواتها لما ذُكر، ويؤيّد القول بالاستقلال تسميتها بما مرّ.

واختار الشّيخ الأكبر قدّس سرّه في «فتوحاته»: أنّهما سورة واحدة، وأنّ التّرك لذلك. قال في الباب الحادي والثّلثمائة بعد كلام:

وأمّا سورة التّوبة فاختلف النّاس فيها، هل هي سورة مستقلّة كسائر السّور؟ أو هل هي وسورة الأنفال سورة واحدة؟ فإنّه لايُعرف كمال السّورة إلّا بالفصل بالبسملة، ولم تجئ هنا، فدلّ على أنّها من سورة الأنفال، وهو الأوجه. وإن كان لتركها وجه، وهو عدم المناسبة بين الرّحمة والتّبرّي، ولكن ماله تلك القوّة، بل هو وجه ضعيف.

وسبب ضعفه أنّه في الاسم «الله» من البسملة

ما يطلبه، والبراءة إنّما هي من الشّريك لامن المُشرك. فإنّ الخالق كيف يتبرّأ من المخلوق، ولو تبرّأ منه مَن كان يحفظ وجوده عليه. والشّريك معدوم، فتصحّ البَراءة منه، فهي صفة تنزيه، وتنزيه الله تعالى من الشّريك والرّسول ﷺ من اعتقاد الجهل.

ووجه آخر من ضعف هذا التّأويل الّذي ذكرناه، وهو أنّ «البسملة» موجودة في أوّل سورة ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ الهمزة: ١، و﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ المطفّفين: ١، وأين «الرّحمة» من «الويل» انتهى.

وقد يقال: كون البراءة من الشّريك غير ظاهر من آيتها أصلًا، وستعلم إن شاء الله تعالى المراد منها.

وماذكره قدّس سرّه في الوجه الآخر من الضّعف قد يجاب عنه: بأنّ هذه السّورة لاتشبهها سورة، فإنّها ماتركت أحدًا ـ كما قال حذيفة ـ إلّا نالت منه ووضعته وبالغت في شأنه. أمّا المنافقون والكافرون فظاهر، وأمّا المؤمنون ففي قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ﴾ إلى ﴿وَاللهُ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ التّوبة: ٢٣، ٢٤، وهو من أشدّ مايخاطب به المخالف فكيف بالموافق، وليس في سورة «ويل» ولافي سورة «تبّت» ولا ولا. ولو سلم اشتمال سورة على نوع مااشتملت عليه، لكنّ الامتياز بالكمّيّة والكيفيّة ممّا لاسبيل لإنكاره، ولذلك تُركت فيها «البسملة» على ماأقول.

والاسم الجليل وإن تضمّن القهر الّذي يناسب ماتضمّنه السّورة، لكنّه متضمّن غير ذلك أيضًا، مع اقترانه صريحًا بما لم يتضمّنا سوى الرّحمة، وليس المقصود هنا إلّا إظهار صفة القهر. ولايتأتّى ذلك مع الافتتاح بالبسملة، ولو سلم خلوص الاسم الجليل له.

نعم إنّه سبحانه لم يترك عادته في افتتاح السّور هنا بالكلّيّة؛ حيث افتتح هذه السّورة بالباء، كما افتتح غيرها بها في ضمن البسملة، وإن كانت «باء» البسملة كلمة و«باء» هذه السّورة جزء كلمة، وذلك لسرّ دقيق يعرفه أهله، هذا.

ونُقل عن السّخاويّ أنّه قال في «جمال القرّاء»: اشتهر ترك التّسمية في أوّل براءة، وروي عن عاصم: التّسمية أوّلها. وهوالقياس، لأنّ إسقاطها إمّا لأنّها نزلت بالسّيف، أو لأنّهم لم يقطعوا بأنّها سورة مستقلّة بل من الأنفال. ولايتمّ الأوّل لأنّه مخصوص بمن نزلت فيه، ونحن إنّما نسمّي للتّبرّك. ألاترى أنّه يجوز بالاتّفاق: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ الآية ونحوها، وإن كان التّرك [أولى] لأنّها ليست مستقلّة؛ فالتّسمية في أوّل الأجزاء جائزة، وروي ثبوتها في مصحف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

وذهب ابن منادر إلى قراءتها. وفي «الإقناع» جوازها. والحقّ استحباب تركها؛ حيث إنّها لم تُكتب في الإمام، ولايُقتدى بغيره.

وأمّا القول بحرمتها ووجوب تركها ـ كما قاله بعض المشايخ الشّافعيّة ـ فالظّاهر خلافه. ولاأرى في الإتيان بها بأسًا لمن شرع في القراءة، من أثناء السّورة، والله تعالى أعلم. (١٠: ٤١)

القاسميّ: [عدّ لهذه السّورة عشرة أسماء، مثل ماتقدّم عن الطَّبْرِسيّ، وأضاف أربعة أسماء أُخرى.]

المُنقِرة: أخرجه أبوالشّيخ عن عُبيد بن عُمير، لأنّها نقّرت عمّا في قلوب المشركين، أي بحثت.

المُخزية.

المُنكلة: أي المعاقبة لهم.

المُشرِّدة: أي الطّاردة لهم، والمفرّقة جمعهم.

وليس في السّور أسماء أكثر منها ومن الفاتحة. (٨: ٦١-٣٠)

مَجْمَعُ اللُّغة: أي قَطْعٌ للعصمة، ورَفْع للأمان، وخروج من العهود؛ بسبب ماوقع من الكفّار من نقض للعهد. (١: ٨٨)

عبد الكريم الخطيب: والبراءة من الشّيء والتّبرّؤ منه، هو مجافاته وقطع الصّلة به، والله سبحانه وتعالى إنّما يبرأ من المشركين، لأنّهم برئوا منه. ومعنى براءته سبحانه وتعالى منهم، طردهم من رحمته، وتركهم للأهواء والضّلالات المتسلّطة عليهم.

أمّا براءة رسول الله منهم، فهي قطع العلاقة الّتي كانت قائمة بينه وبينهم، بحكم العهود الّتي كانت معقودة بين النّبيّ وبين المشركين؛ فإذ قد برئ الله منهم، وطردهم من مواقع رحمته، فقد وجب على النّبيّ أن يقطع كلّ صلة بهم؛ إذ كانوا حربًا على الله، وعلى دين الله، وعلى رسول الله، وعلى المؤمنين. (٥: ٦٩٥)

بَرَّأَهُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا.

الأحزاب: ٦٩

الإمام عليّ عليه السلام: إنّ الله تعالى أحيا هارون فأخبرهم أنّه لم يقتله[1]، ثمّ مات. (القُرطُبيّ ١٤: ٢٥١)

الطَّبَريّ: [تقدّم الكلام والأقوال في «أذي» فراجع]

البُرُوسَويّ: أصل البراءة: التّفصّي ممّا تكره مجاورته، أي فأظهر براءة موسى عليه السلام ممّا قالوا في حقّه، أي من مضمونه ومؤدّاه الّذي هو الأمر المعيب، فإنّ البراءة تكون من العيب لامن القول، وإنّما الكائن من القول التّخلّص. (٧: ٢٤٦)

الآلوسيّ: أي من قولهم، أو الّذي قالوه. وأيًّامّا كان فالقول هنا بمعنى المقول، والمراد به مدلوله الواقع في الخارج.

وتبرئة الله تعالى إيّاه من ذلك إظهار براءته عليه السلام منه، وكذبهم فيما أسندوا إليه، لأنّ المرتّب على أذاهم ظهور براءته لابراءته، لأنّها مقدّمة عليه، واستعمال الفعل مجازًا عن إظهاره، والمقول بمعنى «المضمون» كثير شائع.

فالمعنى فأظهر الله تعالى براءته من الأمر المعيب الّذي نسبوه إليه عليه السلام.

وقيل: لاحاجة إلى ماذكر، فإنّه تعالى لمّا أظهر براءته عمّا افتروه عليه، انقطعت كلماتهم فيه، فبرئ من قولهم.

على أنّ (بَرَّأَهُ) بمعنى خلّصه من قولهم، لقطعه عنه، وتعقّب بأنّه مع تكلّفه، لأنّ قطع قولهم ليس مقصودًا

(١) أي لم يقتله موسى عليه السلام.

بالذّات بل المراد انقطاعه لظهور خلافه، لابدّ من ملاحظة ماذكر. (٢٢: ٩٤)

الطّباطبائيّ: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾ أي ذاجاه ومنزلة، والجملة مضافًا إلى اشتمالها على التّبرئة إجمالًا، تُعلّل تبرءته تعالى له.

وللآية ومابعدها نوع اتّصال بالآيات النّاهية عن إيذاء النّبيّ ﷺ. (١٦: ٣٤٧)

أُبَرِّئُ

وَمَاأُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَارَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ. يوسف: ٥٣

ابن عبّاس: ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّي لَمْ اَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ يوسف: ٥٢، فقال له جبرئيل: ولايوم هممت بما هممت؟

فقال: ﴿وَمَاأُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾. (الطّبريّ ١٣: ١)

نحوه سعيد بن جُبَيْر، والحسن، وأبوصالح، وقَتادَة، وعِكْرِمَة. (الطّبريّ ١٣: ٢)

الحسن: لمّا قال يوسف: ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّي لَمْ اَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ يوسف: ٥٢، كره نبيّ الله أن يكون قد زكّى نفسه، فقال: ﴿وَمَاأُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ لأنّ تزكية النّفس مذمومة، قال الله تعالى: ﴿فَلَاتُزَكُّوا اَنْفُسَكُمْ﴾ النّجم: ٣٢. (القُرطُبيّ ٩: ٢١٠)

ابن جُرَيْج: [بعد الاستدلال بأنّه من كلام يوسف ﷺ قال:]

في الكلام تقديم وتأخير، وهذا الكلام متّصل بقول يوسف: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ يوسف: ٥٠.

(أبوحيّان ٥: ٣١٧)

الجُبّائيّ: هو من كلام امرأة العزيز، أي مـاأُبرّئ نفسي عن السّوء والخيانة في أمر يوسف.

(الطّبرسيّ ٣: ٢٤١)

الطّبريّ: يقول يوسف صلوات الله عليه: ﴿وَمَاأُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ من الخطأ والزّلل فأزكّيها.

(١٣: ٣)

الطّوسيّ: هذا إخبار عمّا قال يوسف على وجه التّواضع لله: لست أُبرّئ نفسي من السّوء ـ والتّبرئة: إزالة الشّيء عمّا كان لازمًا له ـ لأنّ النّفس أمّارة بالسّوء، أي تنازع إلى السّوء، فلست أُبرّئ نفسي من ذلك، وإن كنت لاأُطاوعها فيما نازعت إليه. [إلى أن قال:]

وأكثر المفسّرين على أنّ هذا من قول يوسف. وقال أبوعليّ الجُبّائيّ هو من كلام المرأة. (٦: ١٥٥)

المَيْبُديّ: أي ماأُزكّي نفسي عن الهمّ. (٥: ٨٤)

الزّمَخْشَريّ: ﴿وَمَاأُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ من الزّلل، وماأشهد لها بالبراءة الكلّيّة ولاأُزكّيها. ولايخلو إمّا أن يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهمّ الّذي هو ميل النّفس، عن طريق الشّهوة البشريّة، لاعن طريق القصد والعزم، وإمّا أن يريد عموم الأحوال.

وقيل: هو من كلام امرأة العزيز، أي ذلك الّذي قلت ليعلم يوسف أنّي لم أخنه، ولم أكذب عليه في حال الغيبة، وجئت بالصّحيح والصّدق فيما سُئلت عنه. وما أُبرّئ نفسي مع ذلك من الخيانة، فإنّي قد خُنْتُه حين قرفته، وقلت: ﴿مَاجَزَاءُ مَنْ اَرَادَ بِاَهْلِكَ سُوْءًا إِلَّا اَنْ

يُسْجَنَ﴾ يوسف: ٢٥، وأودعته السّجن: تريد الاعتذار ممّا كان منها، إنّ كلّ نفس لأمّارة بالسّوء إلّا مارحم ربّي.

فإن قلت: كيف صحّ أن يجعل من كلام يوسف ولادليل على ذلك؟

قلت: كفى بالمعنى دليلًا قائدًا إلى أن يجعل من كلامه، ونحوه قوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ الأعراف: ١٠٩، ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ الشّعراء: ٣٥، وهو من كلام فرعون يُخاطبهم ويستشيرهم.

وعن ابن جُرَيْج: هذا من تقديم القرآن وتأخيره، ذهب إلى أنّ ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ يوسف: ٥٢، متّصل بقوله: ﴿فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ يوسف: ٥٠.

ولقد لفّقت المبطلة روايات مصنوعة، فزعموا أنّ يوسف حين قال: ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ يوسف: ٥٢، قال له جبرئيل: ولاحين همَمْتَ بها، وقالت له امرأة العزيز: ولاحين حللت تِكّة سراويلك يايوسف؟ وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله. (٢: ٣٢٧، ٣٢٨)

الطَّبْرِسيّ: هذا من كلام يوسف عند أكثر المفسّرين. (٣: ٢٤١)

الفَخْر الرّازيّ: اعلم أنّ تفسير هذه الآية يختلف بحسب اختلاف ماقبلها، لأنّا إن قلنا: إنّ قوله: ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ يوسف: ٥٢، كلام يوسف، كان هذا أيضًا من كلام يوسف، وإن قلنا: إنّ ذلك من تمام كلام المرأة، كان هذا أيضًا كذلك، ونحن نفسّر هذه الآية على كلا التّقديرين.

أمّا إذا قلنا: إنّ هذا كلام يوسف عليه السلام، فالحشويّة تمسّكوا به، وقالوا: إنّه عليه السلام لمّا قال: ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، قال جبرئيل عليه السلام: ولاحين همَمْتَ بفكّ سراويلك، فعند ذلك قال يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ أي بالزّنى.

واعلم أنّ هذا الكلام ضعيف، فإنّا بيّنّا أنّ الآية المتقدّمة برهان قاطع على براءته عن الذّنب.

بقي أن يقال: فماجوابكم عن هذه الآية؟ فنقول: فيه وجهان:

الوجه الأوّل: أنّه عليه السلام لمّا قال: ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ كان ذلك جاريًا مجرى مدح النّفس وتزكيتها، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ النّجم: ٣٢، فاستدرك ذلك على نفسه بقوله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ والمعنى ومأزكّي نفسي إنّ النّفس لأمّارة بالسّوء، ميّالة إلى القبائح، راغبةٌ في المعصية.

والوجه الثّاني في الجواب: أنّ الآية لاتدلّ ألبتّة على شيء ممّا ذكروه، وذلك لأنّ يوسف عليه السلام لمّا قال: ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ بيّن أنّ ترك الخيانة ماكان لعدم الرّغبة ولعدم ميل النّفس والطّبيعة، لأنّ النّفس أمّارة بالسّوء، والطّبيعة توّاقة إلى اللّذّات، فبيّن بهذا الكلام أنّ التّرك ماكان لعدم الرّغبة، بل لقيام الخوف من الله تعالى.

أمّا إذا قلنا: إنّ هذا الكلام من بقيّة كلام المرأة، ففيه وجهان:

الأوّل: وماأُبرّئُ نفسي عن مراودته، ومقصودها تصديق يوسف عليه السلام، في قوله: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾.

الثّاني: أنّها لمّا قالت: ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنّي لَمْ اَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قالت: وماأُبَرّئُ نفسي عن الخيانة مطلقًا، فإنّي قد خُنته حين قد أحلَلتُ الذّنب عليه، وقلتُ: ﴿مَاجَزَاءُ مَنْ اَرَادَ بِاَهْلِكَ سُوءًا اِلَّا اَنْ يُسْجَنَ اَوْ عَذَابٌ اَلِيمٌ﴾ يوسف: ٢٥، وأودعته السّجن، كأنّها أرادت الاعتذار ممّا كان.

فإن قيل: جعل هذا الكلام كلامًا ليوسف أوْلى أم جعله كلامًا للمرأة؟

قلنا: جعله كلامًا ليوسف مشكل، لأنّ قوله: ﴿قَالَتِ امْرَاَتُ الْعَزِيزِ الْئٰنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ يوسف: ٥١، كلام موصول بعضه ببعض إلى آخره، فالقول بأنّ بعضه كلام المرأة والبعض كلام يوسف مع تخلّل الفواصل الكثيرة بين القولين وبين المجلسين بعيد.

وأيضًا جعله كلامًا للمرأة مشكل أيضًا، لأنّ قوله: ﴿وَمَااُبَرِّئُ نَفْسي اِنَّ النَّفْسَ لَاَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ اِلَّا مَارَحِمَ رَبّي﴾ كلام لايحسن صدوره إلّا ممّن احترز عن المعاصي، ثمّ يذكر هذا الكلام على سبيل كسر النّفس، وذلك لايليق بالمرأة الّتي استفرغت جهدها في المعصية. (١٨: ١٥٦)

القُرطُبيّ: قوله تعالى: ﴿وَمَااُبَرِّئُ نَفْسي﴾ قيل: هو من قول المرأة. وقال القُشيريّ: فالظّاهر أنّ قوله: ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ وقوله: ﴿وَمَااُبَرِّئُ نَفْسي﴾ من قول يوسف.

قلت: إذا احتمل أن يكون من قول المرأة، فالقول به أوْلى، حتّى نُبرّئ يوسف من حلّ الإزار والسّراويل. وإذا قدّرناه من قول يوسف، فيكون ممّا خطر بقلبه، على ماقدّمناه من القول المختار في قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾.

قال أبوبكر الأنباريّ: من النّاس من يقول: ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنّي لَمْ اَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ إلى قوله: ﴿اِنَّ رَبّي غَفُورٌ رَحيمٌ﴾ يوسف: ٥١، ٥٣، من كلام امرأة العزيز، لأنّه متّصل بقولها: ﴿اَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَاِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقينَ﴾ يوسف: ٥١، وهذا مذهب الّذين ينفون الهمّ عن يوسف عليه السلام.

فمن بنى على قولهم قال: من قوله: ﴿قَالَتِ امْرَاَتُ الْعَزِيزِ﴾ إلى قوله: ﴿اِنَّ رَبّي غَفُورٌ رَحيمٌ﴾ يوسف: ٥٢، ٥٣، كلام متّصل بعضه ببعض، ولايكون فيه وقف تامّ على حقيقة. ولسنا نختار هذا القول، ولانذهب إليه.

[وبعد نقل قول الحسن قال:]

وقيل: هو من قول العزيز، أي وماأُبَرّئُ نفسي من سوء الظّنّ بيوسف. (٩: ٢٠٩)

البَيْضاويّ: أي لاأُنزّهها، تنبيهًا على أنّه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعُجب بحاله، بل إظهار ماأنعم الله عليه من العصمة والتّوفيق. (١: ٤٩٩)

أبوحَيّان: الظّاهر أنّ هذا من كلام امرأة العزيز، وهو داخل تحت قوله: (قَالَتْ). والمعنى ذلك الإقرار والاعتراف بالحقّ ليعلم يوسف أنّي لم أخُنه في غيبته والذّبّ عنه، وأرميه بذنب هو منه بريء. ثمّ اعتذرت عمّا وقعت فيه ممّا يقع فيه البشر من الشّهوات، بقولها: ﴿وَمَااُبَرِّئُ نَفْسي﴾ والنّفوس مائلة إلى الشّهوات أمّارة بالسّوء.

ومن ذهب إلى أنّ قوله: ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ إلى آخره من كلام يوسف، يحتاج إلى تكلّف ربط بينه وبين

ماقبله، ولادليل يدلّ على أنّه من كلام يوسف. [وذكر قول ابن جُرَيْج ثمّ قال:]

وعلى هذا فالإشارة بقوله: (ذٰلِكَ) إلى إلقائه في السّجن والتماسه البراءة، أي هذا ليعلم سيّدي أنّي لم أخنه.

وقال بعضهم: إنّما قال يوسف هذه المقالة حين قالت امرأة العزيز كلامها إلى قولها: ﴿وَاِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يوسف: ٥١. فالإشارة على هذا إلى قولها، وصنع الله فيه.

وهذا يضعف، لأنّه يقتضي حضوره مع النّسوة عند المَلِك، فكيف يقول المَلِك بعد ذلك ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾ يوسف: ٥٠. (٥: ٢١٧)

البُرُوسَويّ: من كلام يوسف‌عليه السلام، أي لاأُنزّهها عن السّوء ولاأشهد لها بالبراءة الكلّيّة، قاله تواضعًا لله تعالى وهضمًا لنفسه الكريمة، لاتزكية لها وعجبًا بحاله في الأمانة. ومن هذا القبيل قوله‌صلى الله عليه وآله: «أنا سيّد ولد آدم ولافخر لي»، أو تحديثًا بنعمة الله تعالى عليه في توفيقه وعصمته، أي لاأُنزّهها عن السّوء من حيث هي هي، ولاأُسند هذه الفضيلة إليها بمقتضى طبعها، من غير توفيق من الله تعالى. (٤: ٢٧٤)

الآلوسيّ: [قال نحو البُرُوسَويّ وأضاف:]

وقيل: إنّه أشار بذلك إلى أنّ عدم التّعرّض لم يكن لعدم الميل الطّبيعيّ بل لخوف الله تعالى. [ثمّ ذكر أقوال المفسّرين الّذين يقولون: إنّه من كلام يوسف إلى أن قال:]

والزّمخشريّ جعل ذلك وماأشبهه من تلفيق المُبطلة وبهتهم على الله تعالى ورسوله، وارتضاه، وهو الحريّ بذلك. (١٣: ٢)

الطّباطبائيّ: تتمّة كلام يوسف‌عليه السلام، وذلك أنّ قوله: ﴿اَنِّي لَمْ اَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ كان لايخلو من شائبة دعوى الحول والقوّة، وهو‌عليه السلام من المخلصين المتوغّلين في التّوحيد، الّذين لايرون لغيره تعالى حولًا ولاقوّة، فبادر‌عليه السلام إلى نفي الحول والقوّة عن نفسه، ونسبة ماظهر منه من عمل صالح أو صفة جميلة إلى رحمة ربّه، وتسوية نفسه بسائر النّفوس الّتي هي بحسب الطّبع مائلة إلى الأهواء أمّارة بالسّوء، فقال: ﴿وَمَا اُبَرِّئُ نَفْسِي اِنَّ النَّفْسَ لَاَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ اِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾، فقوله هذا كقول شعيب‌عليه السلام: ﴿اِنْ اُرِيدُ اِلَّا الْاِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي اِلَّا بِاللهِ﴾ هود: ٨٨

فقوله: ﴿وَمَا اُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ إشارة إلى قوله: ﴿اَنِّي لَمْ اَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ يوسف: ٥٢، وأنّه لم يقل هذا القول بداعي تنزيه نفسه وتزكيتها بل بداعي حكاية رحمة من ربّه، وعلّل ذلك بقوله: ﴿اِنَّ النَّفْسَ لَاَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ أي إنّ النّفس بطبعها تدعو إلى مشتهياتها من السّيّئات على كثرتها ووفورها، فمن الجهل أن تبرّأ من الميل إلى السّوء، وإنّما تكفّ عن أمرها بالسّوء ودعوتها إلى الشّرّ، برحمة من الله سبحانه تصرفها عن السّوء، وتوفّقها لصالح العمل. (١١: ١٩٧)

المَراغيّ: هذه الآية الكريمة من تتمّة إقرار امرأة العزيز، كما اختاره أبوحيّان في «البحر» ويؤيّده عطفه على ماقبله، وقد جُعلت أوّل الجزء الثّالث عشر، لأنّ تقسيم القرآن إلى الأجزاء الثّلاثين قد لوحظ فيه مقادير

الكلم العددي[1] دون المعاني.

﴿وَمَاأُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ أي وماأُبرّئ نفسي من دعوى عدم خيانتي إيّاه بالغيب، بعد أن وجّهت إليه اقتراف الذّنب، وقلت: ﴿مَاجَزَاءُ مَنْ اَرَادَ بِاَهْلِكَ سُوْۤءًا اِلَّاۤ اَنْ يُسْجَنَ اَوْ عَذَابٌ اَلِيمٌ﴾ يوسف: ٢٥، وأودعته السّجن، وعرف النّاس خاصّتهم وعامّتهم ذلك، وكأنّها بذلك تريد التّنصّل ممّا كان. (١٣: ٣)

عبد الكريم الخطيب: يجوز أن يكون هذا قد جرى على لسان امرأة العزيز، في موقفها من يوسف، بعد أن أعلنت على الملإ أنّها كانت كاذبة فيما تقوّلته عليه، وأنّه كان صادقًا فيما قاله عنها، وأنّها هي الّتي راودته عن نفسه، ولم يراودها هو عن نفسها.

وهي هنا تؤكّد القول بأنّها متّهمة، وأنّها لاتجد ماتُبرّئ به نفسها من هذا الذّنب الّذي ارتكبته في حقّ يوسف، إنّها قد ضعفت أمام نفسها الّتي سوّلت لها هذا المنكر، وإنّها ليست إلّا بشرًا، من شأنها أن تُخطئ وتأثم، وإنّها ليست في عصمة من الخطأ. [إلى أن قال:]

ويجوز أن يكون هذا من كلام يوسف، على اعتبار أنّ من قوله كذلك: ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّي لَمْ اَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَاَنَّ اللّٰهَ لَايَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ يوسف: ٥٢، كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وأنّ هذا معطوف على ذاك ليقرّر به أنّه لايُبرّئ نفسه براءة مطلقة من هذا الأمر، وأنّه قد كان منه رغبة وهمّ، ولكنّ الله عصمه وسلّمه.

وهذا الحديث إذا كان من يوسف، فإنّه يكون بينه وبين نفسه، معلّقًا به على مجرى الأحداث من حوله. (٧: ٣)

مُبَرَّؤُنَ

اَلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ اُولٰئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ... النّور: ٢٦

مُجاهِد: أي الطّيّبون مُبرّؤن، أي منزّهون من الكلام الخبيث. (الطّبْرِسيّ ٤: ١٣٥)

الطُّوسيّ: وإنّما قال: (مُبَرَّؤُنَ) لأنّه ذكر صفة الجمع. والمبرّأ: المنزّه عن صفة الذّمّ، المنفيّ عنه صفة العيب، يقال: برّأه الله من كذا، إذا نفاه عنه. والله تعالى يُبرّئ المؤمنين من العيوب الّتي يضيفها إليهم أعداؤهم، ويفضح من يكذب عليهم. (٧: ٤٢٤)

تَبَرَّاَ

١ـ اِذْ تَبَرَّاَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَاَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْاَسْبَابُ. البقرة: ١٦٦

الطُّوسيّ: التّبرّؤ: التّباعد للعداوة، فإذا قيل: تبرّأ الله من المشركين، معناه باعدهم من رحمته، وكذلك إذا تبرّأ الرّسول منهم، معناه باعدهم ـ للعداوة ـ عن منازل من لايجب له الكراهة.

والتّبرّؤ ـ في أصل اللّغة ـ والتّزيّل، والتّقصّي نظائر. وضدّ التّبرّؤ: التّولّي. (٢: ٦٥)

نحوه الطّبْرِسيّ. (١: ٢٥٠)

الزّمَخْشَريّ: (اِذْ تَبَرَّاَ) بدل من ﴿اِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ البقرة: ١٦٥، أي تبرّأ المتبوعون، وهم

---

(١) هذا الكلام محل تأمّل.

الرّؤساء من الأتباع. (١: ٣٢٦)

الفَخْر الرّازيّ: في قوله: (إذْ تَبَرَّأ) قولان:

الأوّل: أنّه بدل من ﴿إذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾.

الثّاني: أنّ عامل الإعراب في (إذْ) معنى (شَديد)، كأنّه قال: هو شديد العذاب، إذ تبرّأ، يعني في وقت التّبرّؤ.

ذكروا في تفسير «التّبرّؤ» وجوهًا:

أحدها: أن يقع منهم ذلك بالقول.

ثانيها: أن يكون نزول العذاب بهم، وعجزهم عن دفعهم عن أنفسهم، فكيف عن غيرهم فتبرّؤوا.

ثالثها: أنّه ظهر فيهم النّدم على ماكان منهم من الكفر بالله، والإعراض عن أنبيائه ورسله، فسمّي ذلك النّدم تبرّؤًا. والأقرب هو الأوّل، لأنّه هو الحقيقة في اللّفظ. (٤: ٢٣٧)

البُرُوسَويّ: بدل من (إذْ يَرَوْنَ).

وأصل التّبرّي: التّخلّص، ويستعمل للتّفصّي والتّنصّل ممّا تكره مجاورته، والمعنى إذ تبرّأ الرّؤساء المتبوعون. (١: ٢٧٠)

٢ـ ...فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرٰهِيمَ لَأَوّٰاهٌ حَلِيمٌ. التّوبة: ١١٤

الزَّمَخْشَريّ: إن قلت: فما معنى قوله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾؟

قلت: معناه فلمّا تبيّن له من جهة الوحي أنّه لن يؤمن وأنّه يموت كافرًا وانقطع رجاؤه عنه، قطع استغفاره، فهو كقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ التّوبة: ١١٣. (٢: ٢١٧)

الطَّبْرِسيّ: ترك الدّعاء له، وهو المرويّ عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة. إلّا أنّهم قالوا: إنّما تبيّن عداوته لمّا مات على كفره. (٣: ٧٧)

البُرُوسَويّ: أي تنزّه عن الاستغفار له، وتجانب كلّ التّجانب. (٣: ٥٢٢)

الآلوسيّ: أي قطع الوصلة بينه وبينه، والمراد: تنزّه عن الاستغفار له وتجانب كلّ التّجانب، وفيه من المبالغة ماليس في تركه ونظائره. (١١: ٣٥)

البَرِيَّة

١ـ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ.

٢ـ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ. البيّنة: ٦، ٧

النّبيّ ﷺ: ﴿أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ أنت ياعليّ وشيعتك. (الطَّبَريّ ٣٠: ٢٦٥)

يزيد بن شراحيل الأنصاريّ كاتب عليّ عليه السلام قال: سمعت عليًّا عليه السلام يقول: «قُبض رسول الله ﷺ وأنا مُسنِده إلى صدري، فقال: ياعليّ ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾؟ هم شيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، إذا اجتمعت الأُمم للحساب يدعون غُرًّا مُحجّلين». (العَرُوسيّ ٥: ٦٤٤)

قال الباقر عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ لعليّ مبتدئًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ

الْبَرِيَّةِ﴾ هُم أنت وشيعتك وميعادكم الحوض، إذا حُشر النّاس جئت أنت وشيعتك شباعًا مَرْويّين غُرًّا محجّلين».

(العَرُوسيّ ٥: ٦٤٥)

ابن عَبّاس: نزلت في عليّ عليه السّلام، وأهل بيته.

(الطَّبْرِسيّ ٥: ٥٢٤)

الإمام الباقر عليه السّلام: ﴿خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ هُم شيعتنا أهل البيت. (البَحرانيّ ٤: ٤٩٢)

عليّ بن الحكم عن طاهر، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السّلام فأقبل جعفر عليه السّلام، فقال: هذا خير البريّة أو أخير. (العَرُوسيّ ٥: ٦٤٥)

الفَرّاء: (الْبَرِيَّة) غير مهموز، إلّا أنّ بعض أهل الحجاز همزها، كأنّه أخذها من قول الله جلّ وعزّ: برأكم، وبرأ الخلق.

ومن لم يهمزها فقد تكون من هذا المعنى، ثمّ اجتمعوا على ترك همزها، كما اجتمعوا على: يرى وترى ونرى.

وإن أُخذت من «البَرَى» كانت غير مهموزة، والبَرَى: التُّراب، سمعت العرب تقول: بفيه البَرَى، وحُمّى خَيْبَرا، وشرّ مايُرى فإنّه خَيْسَرى. (٣: ٢٨٢)

الطَّبَريّ: ﴿أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: هؤلاء الّذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، هم شرّ من برأه الله وخلقه. والعرب لاتهمز (الْبَرِيَّة) وبترك الهمز فيها قرأتها قُرّاء الأمصار، غير شيء يُذكر عن نافع بن أبي نعيم، فإنّه حكى بعضهم عنه: أنّه كان يهمزها، وذهب بها إلى قول الله: ﴿مِنْ قَبْلِ اَنْ نَبْرَاَهَا﴾ الحديد: ٢٢، وأنّها «فعيلة» من ذلك.

وأمّا الّذين لم يهمزوها، فإنّ لتركهم الهمز في ذلك وجهين:

أحدهما: أن يكونوا تركوا الهمز فيها، كما تركوه من «المَلَك» وهو «مَفْعَل» من: ألَكَ أو لَأَكَ، ومن: يرى، وترى، ونرى، وهو «يَفْعَل» من: رأيت.

والآخر: أن يكونوا وجّهوها إلى أنّها «فعيلة» من «البَرَى» وهو التُّراب. حُكي عن العرب سماعًا: «بفيك البَرَى» يعني به التُّراب. (٣٠: ٢٦٤)

الزَّجّاج: ﴿أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ القراءة (الْبَرِيَّة) بترك الهمزة، وقد قرأ نافع (البَرِيئة) بالهمز. والقُرّاء غيره مجمعون على ترك الهمز، كما أجمعوا في «النّبيّ».

والأصل: البريئة، إلّا أنّ الهمزة خُفّفت لكثرة الاستعمال. يقولون: هذا خير البَرِيّة وشرّ البَرِيّة، ومافي البَرِيّة مثله. واشتقاقه من بَرَأ الله الخَلْق.

وقال بعضهم: جائز أن يكون اشتقاقها من «البَرَى» وهو التُّراب. ولو كان كذلك لما قرأوا (البَرِيئة) بالهمز، والكلام: بَرَأ الله الخَلْق يَبْرَؤُهم، ولم يحكِ أحد: بَراهم يبريهم، فيكون اشتقاقه من «البَرَى» وهو التُّراب.

(٥: ٣٥٠)

نحوه المَيْبُديّ. (١٠: ٥٧٠)

أبوزُرْعَة: قرأ نافع وابن عامر: (خَيْرُ الْبَرِيئَةِ) و(شَرُّ الْبَرِيئَةِ) بالهمز. وحجّتها أنّه من: بَرَأ الله الخَلْق يبرؤهم بَرْءً، والله البارئ، والخلق يُبْرَؤون. والبريئة «فَعيلَة» بمعنى «مفعولة» كقولك: قَتيل بمعنى مقتول.

وقرأ الباقون: ﴿خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ بغير همز، وهو من: بَرَأ الله الخَلْق، إلّا أنّهم خففوا الهمزة لكثرة الاستعمال، يقولون: هذا خير البريّة وشرّ البريّة، وإن كان

الأصل الهمز. (٧٦٩)

الطُّوسيّ: أي هم أحسنهم حالة. وإنّما أطلق بأنّهم خير البريّة، لأنّ (الْبَرِيَّة) هم الخَلْق. ولايخلو أن لايكونوا مكلّفين، فالمؤمن خير منهم لامحالة وإن كانوا مكلّفين. فأمّا أن يكونوا مؤمنين أو كافرين أو مستضعفين، فالمؤمن خيرُهم أيضًا، لامحالة، بما معه من الثّواب. (١٠: ٣٩١)

ابن عَطيّة: و(الْبَرِيَّة): جميع الخلق، لأنّ الله تعالى برأهم، أو أوجدهم بعد العدم.

وقرأ نافع وابن عامر والأعرج (البَرِيئة) بالهمز من «بَرأ» وقرأ الباقون والجمهور (الْبَرِيَّة) بشدّ الياء، بغير همز على التّسهيل، والقياس الهمز، إلّا أنّ هذا ممّا تُرك همزه كالنّبيّ والذُّرّيّة.

وقرأ بعض النّحويّين (الْبَرِيَّة) مأخوذ من «البَرَى» وهو التّراب، وهذا الاشتقاق يجعل الهمزة خطأً وغلطًا، وهو اشتقاق غير مرضيّ. (٥: ٥٠٨)

الفَخْر الرّازيّ: ما الفائدة في قوله: ﴿هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾؟

الجواب: أنّه يفيد النّفي والإثبات، أي هم دون غيرهم.

واعلم أنّ ﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ جملة يطول تفصيلها؛ شرّ من السُّرّاق، لأنّهم سرقوا من كتاب الله صفة محمّد ﷺ وشرّ من قُطّاع الطّريق، لأنّهم قطعوا طريق الحقّ على الخَلْق؛ وشرّ من الجهّال الأجلاف، لأنّ الكِبر مع العلم يكون كفر عناد، فيكون أقبح.

احتجّ بعضهم بهذه الآية في تفضيل «البشر» على «المَلَك» قالوا: روى أبوهريرة أنّه ﷺ قال: «أتعجبون من منزلة الملائكة من الله تعالى؟! والّذي نفسي بيده لمنزلةُ العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من ذلك، واقرأُوا إن شئتم ﴿إِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

واعلم أنّ هذا الاستدلال ضعيف لوجوه:

أحدها: ماروي عن يزيد النّحويّ أنّ (الْبَرِيَّة) بنو آدم من «البَرَى» وهو التّراب، فلايدخل المَلَك فيه ألبتّة.

وثانيها: أنّ قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ غير مختصّ بالبشر، بل يدخل فيه المَلَك.

ثالثها: أنّ المَلَك خرج عن النّصّ بسائر الدّلائل، قالوا: وذلك لأنّ الفضيلة إمّا مكتسبة أو موهوبة، فإن نظرت إلى الموهوبة فأصلهم من «نور» وأصلك من «حمأٍ مسنون». ومسكنهم دار لم يترك فيها أبوك مع الزّلّة، ومسكنكم أرض هي مسكن الشّياطين، وأيضًا فصالحنا منتظمة بهم ورزقنا في يد البعض، وروحنا في يد البعض.

ثمّ هم العلماء ونحن المتعلّمون، ثمّ انظر إلى عظيم همّتهم لايميلون إلى محقّرات الذّنوب، ومن ذلك فإنّ الله تعالى لم يحكِ عنهم سوى دعوى الإلهيّة، حين قال: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ اِنّي اِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ الأنبياء: ٢٩، أي لو أقدموا على ذنب فهمّتهم بلغت غاية لايليق بها إلّا دعوى الرّبوبيّة، وأنت أبدًا عبد البطن والفَرْج.

وأمّا العبادة فهم أكثر عبادة من النّبيّ، لأنّه تعالى مدح النّبيّ بإحياء ثلثي اللّيل، وقال فيهم: ﴿يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَايَفْتُرُونَ﴾ الأنبياء: ٢٠، ومرّة

﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ فصّلت: ٣٨، وتمام القول في هذه المسألة قد تقدّم في سورة البقرة. (٣٢: ٥٠)

القُرطُبيّ: قال القُشيريّ: ومن قال: (البَرِيَّة) من البَرَى، وهو التّراب، قال: لاتدخل الملائكة تحت هذه اللّفظة. وقيل: (البَرِيَّة) من: بريتُ القلمَ، أي قدّرته، فتدخل فيه الملائكة. ولكنّه قول ضعيف، لأنّه يجب منه تخطئة من همز.

وقوله: ﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أي شرّ الخليقة، فقيل: يحتمل أن يكون على التّعميم. وقال قوم: أي هم شرّ البريّة الّذين كانوا في عصر النّبيّ ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة: ٤٧، أي على عالمي زمانكم.

ولايبعد أن يكون في كفّار الأمم قبل هذا من هو شرّ منهم، مثل فرعون وعاقر ناقة صالح، وكذا ﴿خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ إمّا على التّعميم، أو خير بريّة عصرهم.

وقد استدلّ بقراءة الهمز من فضّل بني آدم على الملائكة، وقد مضى في سورة البقرة القول فيه. (٢٠: ١٤٥)

أبوحَيّان: قال ابن عَطيّة: «وهذ الاشتقاق يجعل الهمز خطأ، وهو اشتقاق غير مرضيّ». ويعني اشتقاق (البَرِيَّة) بلاهمز من «البَرَى» وهو التُّراب، فلايجعله خطأ، بل قراءة الهمز مشتقّة من «برأ» وغير الهمز من «البَرَى» والقراءتان قد تختلفان في الاشتقاق، نحو (أَوْ نَنْسَاهَا) (أَوْ نُنْسِهَا) البقرة: ١٠٦، فهو اشتقاق مرضيّ.

وحكم على الكفّار من الفريقين بالخلود في النّار، وبكونهم شرّ البريّة. وبدأ بأهل الكتاب، لأنّهم كانوا يطعنون في نبوّته، وجنايتهم أعظم، لأنّهم أنكروه مع العلم به. و﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ ظاهره العموم. (٨: ٤٩٩)

البُرُوسَويّ: ﴿هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ المعنى شرّ الخليقة، أي أعمالًا، وهو الموافق لما سيأتي في حقّ المؤمنين، فيكون في حيّز التّعليل لخلودهم في النّار. أو شرّهم مقامًا ومصيرًا، فيكون تأكيدًا لفظاعة حالهم. وتوسيط ضمير الفصل لإفادة الحصر، أي هم شرّ البريّة دون غيرهم.

كيف لا، وهم شرّ من السُّرّاق لأنّهم سرقوا من كتاب الله نعوتَ محمّد ﷺ، وشرّ من قُطّاع الطّريق لأنّهم قطعوا الدّين الحقّ على الخَلْق، وشرّ من الجهّال الأجلاف لأنّ الكفر مع العلم يكون كفر عناد، فيكون أقبح من كفر الجهّال.

وظهر منه أنّ وعيد العلماء السّوء أعظم من وعيد كلّ أحد. ومن تاب منهم وأسلم خرج من الوعيد.

وقيل: لايجوز أن يدخل في الآية مامضى من الكفّار، لأنّ فرعون كان شرًّا منهم.

وأمّا الآية الثّانية الدّالّة على ثواب المؤمنين فعامّة فيمن تقدّم وتأخّر، لأنّهم أفضل الأُمم. (١٠: ٤٩٠)

الآلوسيّ: ﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أي الخليقة، وقيل: أي البشر. والمراد، قيل: هم شرّ البريّة أعمالًا، فتكون الجملة في حيّز التّعليل، لخلودهم في النّار. وقيل: شرّها مقامًا ومصيرًا، فتكون تأكيدًا لفظاعة حالهم. ورُجّح الأوّل بأنّه الموافق لما سيأتي إن شاء الله تعالى، في حقّ المؤمنين.

وأيًّا مّا كان فالعموم ـ على ماقيل ـ مشكل، فإنّ إبليس وجنوده شرّ منهم أعمالًا ومقامًا، وكذا المشركون المنافقون؛ حيث ضمّوا إلى الشّرك النّفاق، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ النّساء: ١٤٥.

وقال بعض: لايبعد أن يكون في كفّار الأُمم مَن هو شرّ منهم، كفرعون وعاقر النّاقة.

وأجاب بأنّ المراد بـ(الْبَرِيَّة) المعاصرون لهم.

ولايخفى أنّه يبقى معه الإشكال بإبليس ونحوه.

وأُجيب بأنّ ذلك إذا كان الحصر حقيقيًّا، وأمّا إذا كان إضافيًّا بالنّسبة إلى المؤمنين بحسب زعمهم، فلاإشكال؛ إذ يكون المعنى أُولئك هم شرّ البريّة لاغيرهم من المؤمنين، كما يزعمون قالًا أو حالًا.

وقيل: يراد بـ(الْبَرِيَّة) البشر، ويراد بشرّيّتهم: شرّيّتهم بحسب الأعمال.

ولايبعد أن يكونوا بحسب ذلك هم شرّ جميع البريّة، لما أنّ كفرهم مع العلم بصحّة رسالته عليه الصّلاة والسّلام، ومشاهدة معجزاته الذّاتيّة والخارجيّة، ووعد الإيمان به عليه الصّلاة والسّلام، ومع إدخالهم به الشّبهة في قلوب من يأتي بعدهم، وتسبّبهم به ضلال كثير من النّاس، إلى غير ذلك ممّا تضمّنه واستلزمه من القبائح شرّ كفر وأقبحه، لايتسنّى مثله لأحد من البشر إلى يوم القيامة.

وكذا سائر أعمالهم من تحريف الكلم عن مواضعه، وصدّ النّاس عنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ومحاربتهم إيّاه عليه الصّلاة والسّلام، وكون كفر فرعون وعاقر النّاقة وفعلهما بتلك المثابة غير مسلّم، ويلتزم دخول المنافقين في عموم الّذين كفروا، أو كون كفرهم وأعمالهم دون كفر وأعمال المذكورين، وفيه شيء لايخفى فتأمّل.

وقيل: ليس المراد بأُولئك الّذين كفروا أقوامًا مخصوصين، وهم المحدّث عنهم أوّلًا بل الأعمّ، الشّامل لهم ولغيرهم من سالف الدّهر إلى آخره، وهو على مافيه لايتمّ بدون حمل (الْبَرِيَّة) على «البشر» فلاتغفل.

وقرأ الأعرج وابن عامر ونافع (الْبَرِيئة) هنا، وفيما بعد بالهمزة.

فقيل: هو الأصل من: برأهم الله تعالى، بمعنى ابتدأهم واخترع خلقهم، فهي «فعيلة» بمعنى «مفعولة» لكن عامّة العرب ـ إلّا أهل مكّة ـ التزموا تسهيل الهمزة بالإبدال والإدغام، فقالوا: البريّة كما قالوا: الذُّرّيّة والخابية.

وقيل: ليس بالأصل، وإنّما (الْبَرِيَّة) بغير همز من البَرَى المقصور، يعني التُّراب، فهو أصل برأسه.

والقراءتان مختلفتان أصلًا ومادّةً، ومتّفقتان معنًى في رأي، وهو أن يكون المراد عليهما «البشر»، ومختلفان فيه أيضًا في رأي آخر، وهو أن يكون المراد بالمهموز: الخليقة الشّاملة للملائكة والجنّ كالبشر، وبغير المهموز البشر المخلوقون من التُّراب فقط.

وأيًّا مّا كان فليست القراءة بالهمز خطأً، كيف وقد نقلت عمّن ثبتت عصمته، مع أنّ الهمز لغة قوم مَن أُنزِل عليه الكتاب صلّى الله تعالى عليه وسلّم. (٣٠: ٢٠٥)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة «البُرْءة» وهو بيت يمتاز فيه الصيّاد وينفصل عمّن سواه، ليقتنص الصّيد، وهو أصل ترجع إليه جميع مشتقّات هذا الباب. ومنه: الباري، اسم الله الأحسن؛ حيث إنّه تعالى مازّ الأشياء بعد خلقها، وفصل بعضها عن بعض، يقال: بَرَأ الله الخلق يَبرَؤُهم بَرءًا وبُروءًا. وكذا البارئ بمعنى المعافي من المرض، يقال منه: بَرَأ يَبرأ ويَبرُؤ بَرْءًا وبُروءًا، وبَرِئ يَبرأ، وأبرأه الله من مرضه إبراءً.

ومنه أيضًا: البَرِيءُ والبَرَاءُ، وهو المنزّه عن العيب والمكروه، يقال: بَرِئَ يَبرأُ بَراءةً، وكذلك بَرِئَ من الدّين يَبرأُ بَراءةً، وأبرأه فلانٌ ممّا له عليه، وبرّأه تبرئةً، وبَرِئ إليه من فلان يَبرأُ بَراءةً، وتبرّأ منه تبرُّؤًا.

ومنه قولهم: بارأ الرّجل المرأةَ مباراةً، أي صالحها على الفراق، وبارأ الرّجل شريكَه: فارقَه، وبارأ الكريَّ: صالحه على الفراق.

ومن هذا الباب: البَراء، وهو أوّل يوم من الشّهر، أو آخر يوم منه، أو أوّل ليلة منه، أو آخر ليلة منه، يقال منه: أبرأ الرّجل، أي دخل في البَراء.

ومنه أيضًا: الاستبراء، وهو عدم وطء الجارية حتّى تحيض، وكذا إنقاء الذّكر بعد البول.

٢ـ واختلف في «البريّة»، فقيل: هي «فعيلة» بمعنى «مفعولة»، من: بَرَأ الله الخلق، أي خلقهم، فالبريّة على هذا بمعنى المخلوق. وقيل: من «البَرَى» أي التّراب، أو من قولهم: بَرى العودَ، أي سوّاه، فهي على هذا القول من «ب ر و» وليس من «ب ر أ».

بيد أنّ القول الأوّل هو الصّواب، لأنّ بعض أهل الحجاز كان يهمزها، كما أفاد بذلك الفرّاء، ثمّ إنّ بعض القرّاء قد همزها أيضًا كنافع وابن عامر والأعرج، وهذا يجعل القول الثّاني غير ذي بال.

وقد خُفّفت الهمزة لكثرة الاستعمال كما خففت همزة النّبيّ والذّرّيّة، أو انتقل التّسهيل إلى العربيّة من بعض اللّغات السّاميّة، كالعبريّة والسّريانيّة في هذا الحرف، وفي «باريُ وبرأ» كذلك.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت مشتقّات هذه المادّة في القرآن ضمن ثلاثة معانٍ تدور حول قطب: الميز، والفصل، والبعد، وهي:

الأوّل: الخلق:

أـ الباري: ١ـ ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ الحشر: ٢٤

٢ـ ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ البقرة: ٥٤

ب ـ البريّة: ٣ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ البيّنة: ٦، ٧

ج ـ البَرء: ٤ـ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ الحديد: ٢٢

الثاني : التزكية:

أ ـ التبرئة: ٥ ـ ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ الأحزاب: ٦٩

٦ ـ ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ يوسف: ٥٣

ب ـ التبرّؤ: ٧ ـ ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ البقرة: ١٦٦

٨ ـ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ التوبة: ١١٤

٩ ـ ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ القصص: ٦٣

١٠ ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ البقرة: ١٦٧

ج ـ البريء: ١١ ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ١٩

١٢ ـ ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ٧٨

١٣ ـ ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ الأنفال: ٤٨

١٤ ـ ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ التوبة: ٣

١٥ ـ ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يونس: ٤١

١٦ ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ هود: ٣٥

١٧ ـ ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هود: ٥٤

١٨ ـ ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الشعراء: ٢١٦

١٩ ـ ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ الحشر: ١٦

٢٠ ـ ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ النساء: ١١٢

د ـ البراء: ٢١ ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ الزخرف: ٢٦

هـ ـ البرآء: ٢٢ ـ ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الممتحنة: ٤

و ـ البراءة: ٢٣ ـ ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ التوبة: ١

٢٤ ـ ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ القمر: ٤٣

ز ـ المبرّأ: ٢٥ ـ ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ النور: ٢٦

الثالث : الشفاء:

٢٦ ـ ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ آل عمران: ٤٩

٢٧ ـ ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ المائدة: ١١٠

يلاحظ أوّلاً: أنّ المعنى الأوّل ـ أي البروء ـ مختصّ بالله تعالى، والثاني ـ أي التزكية ـ عامّ يُسند إلى الله، كما في الآية (٥) و(١٤)، وإلى رسله كيوسف في (٦)،

وإبراهيم في (٨) و(١٢) و(٢١)، والنّبيّ محمّد في (١١) و(١٥) و(١٨)، ونوح في (١٦)، وهود في (١٧)، وإلى التّابعين والمتبوعين من الكافرين في (٧) و(٩) و(١٠)، وإلى إبليس في (١٣) و(١٩)، وإلى إبراهيم وقومه في (٢٢)، كما أُسند هذا المعنى إلى غير من ذكرناهم أيضًا.

أمّا المعنى الثّالث فقد اختصّ بعيسى دون غيره.

ثانيًا: أنّ نسبة المعنى الأوّل إلى الله فقط، تشعر بأنّ «البرء» يختلف عن «الخَلْق»؛ إذ نُسب المعنى الأخير في القرآن إلى غير الله أيضًا، كالأصنام والأنداد، مثل: ﴿هٰذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ لقمان: ١١، وعيسى عليه السلام، مثل: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ المائدة: ١١٠.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب ر ج

٦ ألفاظ، ٧ مرّات: ٣ مكّيّة، ٤ مدنيّة

في ٦ سور: ٣ مكّيّة، ٣ مدنيّة

بروج ١: ـ ١	تَبَرَّجْنَ ١: ـ ١
البروج ١: ١	متبرّجات ١: ـ ١
بُروجًا ٢: ٢	تَبَرُّجَ ١: ـ ١

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: البُرْجُ: واحد من بُروج الفَلَك، وهو اثنا عشَر بُرْجًا.

وبُرْج سور المدينة، والحِصْن: بيوت تُبْنَى على السّور، وتسمّى البيوت، تُبْنَى على أركان القَصْر بُرْجًا.

وثَوبٌ مُبَرَّج: صُوِّرت فيه تصاويرُ كبروج السُّور.

[ثمّ استشهد بشعر]

والبَرَج: سَعَة بياض العين، مع حُسن الحَدَقَة.

وإذا أبْدَت المرأة محاسن جيدها ووجهها، قيل: قد تَبرَّجَتْ، ومع ذلك تُرِي من عَيْنَيها حُسْنَ نَظَرٍ.

وحساب البُرجان، وهو قولك: ماجُذاء كذا في كذا، وماجَذْر كذا وكذا، فجُذاؤه: مَبْلغه، وجَذْره: أصله الّذي يُضرب بعضه في بعض، وجملته البُرجان.

يقال: ماجَذْر مائةٍ؟ فيقال: عشرة. ويقال: ماجُذاء عشرةٍ في عشرةٍ؟ فيقال: مائة.

والبارجة: سفينة من سُفُن البحر تُتّخذ للقتال.

(٦: ١١٤)

مثله الصّاحِب. (٧: ٩٦)

اللَّيث: البُرْج: واحدٌ من بُروج الفَلَك، وهي اثنا عشَر بُرْجًا، كلّ بُرجٍ منها منزلان، وثُلُثٌ: مَنْزِلٌ للقمر، وثلاثون درجة للشّمس، إذا غاب منها ستّة طلعت ستّة.

ولكلّ بُرج اسم على حدة، فأوّلها الحَمَل، وأوّل الحَمَل الشَّرَطان، وهما قَرْنَا الحَمَل: كوكبان أبيضان إلى جنْب السّمكة. وخَلْفَ الشَّرَطَين البُطَين، وهي ثلاثة كواكب، فهذان منزلان، وثُلثُ الثّريّا: من بُرج الحَمَل.

(الأزهَريّ ١١: ٥٥)

أبوعمرو الشّيبانيّ: البَرَج، أن يكون بياض العين مُحدِقًا بالسّواد كلّه، لايغيب من سوادها شيء.

(الأزهَريّ ١١: ٥٦)

أبوزَيْد: البَرَج: نَجَل العين، وهو سَعَتها.

(الأزهَريّ ١١: ٥٦)

ابن الأعرابيّ: بَرِجَ الرّجل، إذا اتّسع أمره في الأكل والشّرب.

أَبْرَج الرّجل، إذا جاء ببنين مِلاح.

والبارجُ: الملّاح الفاره. (الأزهَريّ ١١: ٥٦، ٥٧)

الأصمَعيّ: البَوارج: السُّفن الكبار، واحدتها: بارجة، وهي القَوادس والخلايا. (الأزهَريّ ١١: ٥٧)

شَمِر: بُرْجان: جنسٌ من الرُّوم، ويُسمَّون كذلك.

(الأزهَريّ ١١: ٥٧)

الزّجّاج: البُروج: الكواكب العِظام. والبَرَج: تباعُد مابين الحاجبين، وكلّ ظاهر مرتفع فقد بَرَج. وإنّما قيل لها: البُروج، لظهورها وبيانها وارتفاعها.

(الأزهَريّ ١١: ٥٦)

ابن دُرَيْد: البُرْج: من بروج الحِصْن أو القَصر، عربيّ معروف.

والبُرْج: من بروج السّماء لم تعرفه العرب، إنّما كانت تعرف منازل القمر، وقد جاء في كلامهم.

والبَرَج: نقاء بياض العين وصفاء سوادها. وقال قوم: بل البَرَج والنَّجَل متقاربان في الصّفة، رجل أبرَج وامرأة بَرجاء.

وتبرّجت المرأة، إذا أظهرت محاسنها. (١: ٢٠٨)

الأزهَريّ: البَرَج: سَعَة العين في شدّة بياض بياضها. (١١: ٥٧)

الجَوهَريّ: بُرْج الحِصْن: رُكنه، والجمع: بُروج وأبراج، وربّما سمّي الحِصن به، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النّساء: ٧٨.

والبُرج: واحد بروج السّماء.

وبُرجان: اسم لصٍّ؛ يقال: «أَسْرَقُ من بُرجان».

والبَرَج، بالتّحريك: أن يكون بياض العين مُحدِقًا بالسّواد كلّه، لايغيب من سوادها شيء.

وامرأةٌ بَرجاءُ بيّنة البَرَج، ومنه قيل: ثوبٌ مُبرَّج، للمعيّن من الحُلَل.

والتّبرّج: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرّجال.

والإبريج: المِمْخضة. [ثمّ استشهد بشعر].

(١: ٢٩٩)

ابن فارِس: الباء والرّاء والجيم أصلان: أحدهما: البروز والظّهور، والآخر: الوَزَرُ والمَلْجأ.

فمن الأوّل: البَرَج، وهو سَعَة العين في شدّة سوادِ سوادها، وشدّة بياض بياضِها. ومنه التّبرّج، وهو إظهار المرأة محاسنها.

والأصل الثّاني: البُرج: واحد بروج السّماء. وأصل البُروج: الحُصون والقصور، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النّساء: ٧٨.

ويقال: ثوبٌ مُبرَّجٌ، إذا كان عليه صوَر البُروج.

(١: ٢٣٨)

ابن سِيدة: والبَرَج: تَباعُد مابين الحاجِبين.

والبَرَج: سَعَة العين.

وقيل: سَعَة بياض العين وعِظَم المُقْلَة وحُسْن

الحَدَقَة.

وقيل: هو نقاء بياضها وصفاء سوادها.

وقيل: هو أن يكون بياض العين محدِقًا بالسّواد كلّه، لايغيب من سوادها شيء.

بَرِجَ بَرَجًا، وهو أبرَج، وعين بَرْجاء.

وتبرّجت المرأةُ: أظهرت وجهها.

وتباريج النّبات: أزاهيره.

والبُرْج: منزلتان وثُلُث من منازل القَمَر.

والجمع: أبراج، وبُرُوج.

وكذلك: بُروج المدينة والقصر، والواحد، كالواحد.

وثوبٌ مُبرَّج: فيه صُوَر البُرُوج. [ثمّ استشهد بشعر]

والبُرجان من الحساب: أن يقال: مامبلغ كذا، أو ماجَذْر كذا وكذا.

والبارِجة: سَفينة من سُفُن البحر تُتّخذ للقتال.

ومافلان إلّا بارجة: قد جُمع فيه الشّرّ.

وبُرْجان: اسم أعجميّ.

والبُرْج: اسم شاعر.

وبُرْجَة: فرس سنان بن أبي سنان. (٧: ٤١٢)

البُرْج: هو للحَمام: مأواه، الجمع: بُروج، وأبراج. (الإفصاح ٢: ٨٨٨)

البُرْج في السّماء: منزلة القمر، وقيل: الكوكب العظيم، وقيل: باب السّماء، الجمع: بُروج، وأبراج.

والأبراج اثنا عشر بُرْجًا، وهي: الحَمَل وهو الكَبْش، والثّور، والجَوزاء، والسّرطان، والأسد، والسُّنبلة وهي العذراء، والميزان، والعَقرَب، والقَوْس، والجَدْي، والدَّلْو، والحُوت وهو السّمكة.

والجَدْي جَدْيان: أحدهما: من البُروج. والثّاني: الّذي يدور مع بنات نَعْش. (الإفصاح ٢: ٩١٠)

البُرْجان: حساب البُرْجان، قولك: ماجُداء كذا في كذا؟ وماجَذْر كذا وكذا؟ فجُداؤه: مَبلَغُه، وجَذْره: أصله الّذي يُضرب بعضه في بعض، وجُملتُه: البُرْجان. (الإفصاح ٢: ١٢٥٧)

البَرَج: سَعَة العين، وقيل: سَعَة بياض العين وعِظَمُ المُقْلَة وحُسْن الحَدَقة. (ابن منظور ٢: ٢١١)

الطُّوسيّ: أصل البُروج: الظّهور، يقال: تبرّجت المرأة، إذا أظهرت محاسنها. والبَرَج في العين: اتّساعها لظهورها بالاتّساع. (٣: ٢٦٣)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٣: ٧٨)

الرّاغِب: البُروج: القصور، الواحد: بُرْجٌ، وبه سمّي بُروج النّجوم، لمنازلها المختصّة بها، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ البروج: ١، وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ الفرقان: ٦١، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النّساء: ٧٨.

يصحّ أن يراد بها بُروج في الأرض، وأن يراد بها بُروج النّجم، ويكون استعمال لفظ «المشيّدة» فيها على سبيل الاستعارة. [ثمّ استشهد بشعر]

وأن يكون البُروج في الأرض، وتكون الإشارة إلى ماقال الآخر. [ثمّ استشهد بشعر]

وثوبٌ مُبرَّج: صُوِّرت عليه بروج، فاعتبر حسنُه، فقيل: تبرّجت المرأة، أي تشبّهت به في إظهار المحاسن.

وقيل: ظهرت من بُرجها، أي قصرها.

ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَاتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ الأحزاب: ٣٣، وقوله: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾ النور: ٦٠.

والبَرَج: سَعَة العين وحسنُها، تشبيهًا بالبُرج في الأمرين. (٤١)

الزَّمَخْشَريّ: امرأة زَجّاءُ بَرْجاءُ. ورأيتُ بُرْجًا في بُرْج، أي نِسْوَةً في عيونهنّ بَرَجٌ في قصر.

وتقول: لها وجه مُسَرَّج عليها ثوب مُبَرَّج، وهو الّذي عليه تصاوير كبُروج السُّور. وخرَجْنَ متبرّجات، متفرّجات. (أساس البلاغة: ١٨)

المَدينيّ: وفيه: «كان يَكره للنّساء عَشْرَ خلال، منها التّبرُّج بالزّينة لغير محلّها»، التّبرُّج: إظهار الزّينة للنّاس الأجانب، وهو المذموم. فأمّا للزّوج فلا، وهو معنى قول: لغير محلّها.

وفي صفة بعضهم: «طُوالٌ أدلَمُ أبرَج»، أي واسع العين المُحدِق بياض مُقلَته بسوادها كلّه، لايخفى منه شيء، ومنه التّبرّج. (١: ١٤٢)

ابن منظور: البَرَجُ: تباعد مابين الحاجبين، وكلّ ظاهر مرتفع فقد بَرَجَ. وإنّما قيل للبُروج: بروج، لظهورها وبيانها وارتفاعها.

[ثمّ نقل كلام اللّيث المتقدّم وأضاف:]

وقوله أيضًا: «وأوّل الحَمَل الشَّرَطان وهما قَرْنا الحَمَل، إلى ونُلث للثّريّا من برج الحَمَل» قد انتقض عليه الآن، فإنّ أوّل دقيقة في بُرج الحَمَل: اليوم، بعض الرّشاء والشَّرَطَيْن، وبعض البُطَيْن، والله أعلم.

والجمع: أبراج وبُروج، وكذلك بُروج المدينة والقصر، والواحد كالواحد.

وبُرجان: جنس من الرّوم، يسمّون كذلك. [ثمّ استشهد بشعر]

وبُرْجان: اسم أعجميّ. (٢: ٢١١ ـ ٢١٣)

الفَيُّوميّ: بُرج الحَمام: مأواه. والبُرج في السّماء قيل: منزلة القمر، وقيل: الكوكب العظيم، وقيل: باب السّماء، والجمع فيهما: بُروج، وأبراج.

وتبرّجت المرأة: أظهرت زينتها ومحاسنها للأجانب. (٤٢)

الفيروزاباديّ: البُرج بالضّمّ: الرّكن والحِصْن، وواحد بُروج السّماء.

والبَرَج محرّكةً: أن يكون بياض العين مُحدِقًا بالسّواد كلّه، والجميل الحسَن الوجه، أو المُضيءُ البيّن المعلوم، جمعه: أبراج.

وبُرْجان كعثمان: جنس من الرّوم، ولِصّ معروف.

وحساب البُرْجان قولك: ماجُداء كذا في كذا، وماجَذْر كذا في كذا؛ فجُداؤه: مَبْلَغُه، وجَذْره: أصله الّذي يُضرب بعضه في بعض؛ وجملته: البُرْجان.

وأبرَجَ: بَنَى بُرْجًا، كبَرّج تبريجًا.

وبَرِج كفَرِح: اتّسع أمرُه في الأكل والشّرب.

والبارج: المَلّاح الفاره. والبارجة: سفينة كبيرة للقتال، والشّرّير.

وتبرّجت: أظهرت زينتها للرّجال.

والإبريج: المِمْخَضَة. (١: ١٨٥)

الطُّرَيحيّ: البُروج في الأصل: بيوت على أطراف القصر، من برجت المرأة، إذا ظهرت.

وبُروج السّماء: منازل الشّمس والقمر. والبُروج أيضًا: الكواكب العظام، سمّيت بها لظهورها، وفي الحديث: «للشّمس ثلاثمائة وستّون بُرْجًا».

والبُروج الّتي للرّبيع والصّيف: الحَمَل، والثّور، والجوزاء، والسّرطان، والأسد، والسُّنبلة.

وبُروج الخريف والشّتاء: الميزان، والعقرب، والقوس والجدي، والدّلو، والسّمكة. (٢: ٢٧٦)

مَجْمَعُ اللُّغة: ١ـ بَرَج الشّيءُ: ظهر وارتفع.

وأصل التّبرّج: التّكلّف في إظهار مايخفى، ثمّ خصّ بتكشّف المرأة، يقال: تبرّجت المرأة تبرّجًا: أظهرت محاسنها وزينتها للرّجال، فهي متبرّجة، وهنّ متبرّجات.

٢ـ البُرْج: الحِصْن، وجمعه: بُروج، وأبراج.

٣ـ وسمّيت منازل الشّمس والقمر والنّجوم بُروجًا. (١: ٩٠)

نحوه محمّد إسماعيل إبراهيم. (٦٤)

محمود شيت: ١ـ أ ـ بَرَجَ بُرُوجًا: ارتفع وظهر.

ب ـ أبرَجَ: بنى بُرْجًا. وأبرَج الله السّماء: جعلها ذات بُروج، وزيّنها بالكواكب.

ج ـ تبرّجت السّماء: تزيّنت بالكواكب، وتبرّجت المرأة: أظهرت زينتها ومحاسنها لغير زوجها.

د ـ البارجة: الشّرّير، وسفينة من سُفن الأُسطول الحربيّ.

هـ ـ البُرْج: الحِصْن، والبيت يُبنى على سُور المدينة، وعلى سُور الحِصْن. والبُرج من المدينة والحِصْن: الرّكن.

٢ـ أ ـ البارجة: سفينة من سفن الأُسطول الحربيّ، مسلّحة بالمدافع الضّخمة.

ب ـ البُرْج: الحِصْن في المدن وفي الخطوط الدّفاعيّة.

وبُرْج المراقبة: الحِصْن المشرف الّذي يُراقب العدوّ منه.

وبُرْج الدّبّابة: القسم المرتفع منها، الّذي يُراقب الرّاصد من فتحاته العدوّ. (١: ٧٦)

المُصْطَفَويّ: الظّاهر أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الظّهور والجالبيّة، فكلّ شيء ظاهر جالب متفوّق فهو بُرْج.

وبهذا الاعتبار يُطلق على القصر المرتفع، والبناء العالي، والحِصْن، والبناء على الحِصْن، والعين المتّسعة، الجالبة، إذا حسنت وجلبت وكانت نافذة، والمرأة المتزيّنة الحسناء الّتي أظهرت محاسنها للأجانب ونفذت فيهم، والكوكب الفائق، إذا توقّد وظهر في السّماء. (١: ٢٢٧)

النُّصوص التّفسيريّة

بُروج

﴿اَيْنَ مَا تَكُوْنُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾. النّساء: ٧٨

ابن عبّاس: الحُصون والقِلاع. (الطَّبْرِسيّ ٢: ٧٨)

مُجاهِد: القصور. (الطَّبْرِسيّ ٢: ٧٨)

مثله قَتادَة (الطَّبَريّ ٥: ١٧٢)، وابن جُرَيْج (الطَّبَريّ ٥: ١٧٣).

الرّبيع: ولو كنتم في قصور السّماء. (الطَّبَريّ ٥: ١٧٣)

السُّدّيّ: هي قصور بيض، في سماء الدّنيا مبنيّة.
(الطَّبَريّ ٥: ١٧٣)

نحوه مالك. (القُرطُبيّ ٥: ٢٨٢)

أبوعُبَيْدة: البُرْج: الحِصْن، والبُروج: القصور.
(١: ١٣٢)

ابن قُتَيْبَة: البُروج: الحُصون. (١٣٠)

مثله الزَّمَخْشَريّ. (١: ٥٤٥)

الجُبّائيّ: هي البيوت الّتي تكون فوق الحُصون.
(الطُّوسيّ ٣: ٢٦٣)

الطَّبَريّ: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ ولو تحصّنتم منه بالحُصون المنيعة. (٥: ١٧٢)

نِفْطَوَيْه: البُرْج: البناء العالي. (أبوعُبَيْد ١: ١٤٩)

السِّجِستانيّ: حصون مطوّلة، واحدها: بُرج. وبُروج السّماء: منازل الشّمس والقمر، وهي اثنا عشر بُرجًا. (٤٤)

نحوه المَيْبُديّ. (٢: ٥٩١)

الفَخْر الرّازيّ: البُروج في كلام العرب هي القصور والحُصون. وأصلها في اللّغة من الظّهور، يقال: تبرّجت المرأة، إذا أظهرت محاسنها. (١٠: ١٨٧)

نحوه النَّيسابوريّ. (٥: ٨٦)

القُرطُبيّ: واحد البُروج: بُرْج، وهو البناء المرتفع والقصر العظيم. [ثمّ استشهد بشعر]

واختلف العلماء وأهل التّأويل في المراد بهذه البُروج، فقال الأكثر وهو الأصحّ: إنّه أراد البُروج في الحُصون الّتي في الأرض المبنيّة، لأنّها غاية البشر في التّحصّن والمنعة، فمثّل الله لهم بها. [إلى أن قال بعد نقل قول السُّدّيّ ومالك:]

وإذا نزّلنا على قول مالك والسُّدّيّ في أنّها بُروج السّماء، فبروج الفلك اثنا عشر بُرْجًا مشيّدة من الرّفع، وهي الكواكب العظام. وقيل للكواكب: بُروج لظهورها، من بَرِج يبرَج، إذا ظهر وارتفع، ومنه قوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ الأحزاب: ٣٣.

وخلقها الله تعالى منازل للشّمس والقمر وقدّره فيها، ورتّب الأزمنة عليها، وجعلها جنوبيّة وشماليّة، دليلًا على المصالح، وعَلَمًا على القبلة، وطريقًا إلى تحصيل آناء اللّيل وآناء النّهار، لمعرفة أوقات التّهجّد، وغير ذلك من أحوال المعاش. (٥: ٢٨٢ ـ ٢٨٤)

البَيْضاويّ: في قصور أو حُصون مرتفعة. والبُروج في الأصل: بيوت على أطراف القصر، من تبرّجت المرأة، إذا ظهرت. (١: ٢٣١)

نحوه الطُّرَيحيّ. (٢: ٢٧٦)

النَّسَفيّ: حُصون أو قصور. (١: ٢٣٨)

أبوحَيّان: البُرج: الحِصْن، وقيل: القصر. والبُروج: منازل القمر، وكلّها من بَرَج، إذا ظهر، ومنه التّبرّج، وهو إظهار المرأة محاسنَها. والبَرَج في العين: اتّساعها. (٣: ٢٩٥)

الشِّربينيّ: أي حُصون، بُرج داخل بُرج، أو كلّ واحد منكم داخل بُرج. (١: ٣١٧)

البُرُوسَويّ: أي وإن كنتم في قصور عالية إلى السّماء، محكمة بالشّيد وهو الجَصّ، لايصعد إليها بنو آدم. (٢: ٢٤١)

شُبَّر: في قصور أو حُصون مرتفعة أو مجصّصة.

فلايُنجيكم منه ترك القتال. (٢: ٧١)

رَشيد رضا: هي القصور العالية الّتي يسكنها الملوك والأُمراء، فيعزّ الارتقاء إليها بدون إذنهم، أو الحُصون المنيعة الّتي تعتصم فيها حامية الجُند.

(٥: ٢٦٦)

المَراغيّ: القصور العالية المطليّة بالشّيد وهو الجصّ، أو الحصون والقلاع المتينة الّتي تعتصم فيها حامية الجُند. (٥: ٩٤)

الطَّباطَبائيّ: البُروج: جمع بُرج، وهو البناء المعمول على الحُصون، ويستحكم بنيانه ماقدر عليه، لدفع العدوّ به وعنه. وأصل معناه الظّهور، ومنه التّبرّج بالزّينة ونحوها.

فالبُروج المُشيّدة: الأبنية المحكمة المرتفعة الّتي على الحُصون، يأوي إليها الإنسان من كلّ عدوّ قادم.

(٥: ٧)

المُصْطَفَويّ: أي أبنية عالية جالبة قد شُيّدت أركانها. (١: ٢٢٧)

البُرُوج

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ. البروج: ١

النّبيّ ﷺ: [في حديث عن جابر] سئل عن ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾؟ فقال: الكواكب. وسئل عن الّذي جعل في السّماء بروجًا؟ فقال: الكواكب. قيل: فـ﴿بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النّساء: ٧٨، فقال: قصور.

(الدّرّ المنثور ٦: ٣٣١)

[في حديث قال مخاطبًا ابن عبّاس:]

أتقدّر يابن عبّاس أنّ الله يُقسم بالسّماء ذات البُروج، ويعني به بالسّماء وبروجها؟ قلت: يارسول الله فما ذاك؟ قال: فأمّا السّماء فأنا. وأمّا البُروج: فالأئمّة بعدي، أوّلهم عليّ وآخرهم المهديّ عليهم السلام. [هذا ومابعده تأويل] (البحرانيّ ١٠: ٢٣٠)

الإمام عليّ عليه السلام: [في حديث طويل يقول فيه:] ولقد سُئل رسول الله ﷺ وأنا عنده، عن الأئمّة بعده، فقال للسّائل: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أنّ عددهم بعدد البُروج، وربّ اللّيالي والأيّام والشّهور، أنّ عدّتهم كعدّة الشّهور. (العَروسيّ ٥: ٥٤٠)

ابن عبّاس: يقول: أقسم الله بالسّماء ذات البُروج، ويقال: ذات القصور، اثنا عشر قصرًا بين السّماء والأرض، يعلم الله ذلك. (٥٠٦)

قصور في السّماء. (الطَّبَريّ ٣٠: ١٢٧)

مثله مُجاهِد، وعِكْرِمَة. (القُرطُبيّ ١٩: ٢٨٣)

النّجوم. (ابن عَطيّة ٥: ٤٦٠)

مثله ابن أبي نَجيح، وقَتادَة (الطَّبَريّ ٣٠: ١٢٧)، ومُجاهِد، والضّحّاك (القُرطُبيّ ١٩: ٢٨٣).

هي المنازل الّتي عرفتها العرب، وهي اثنا عشر على ماقسّمته العرب، وهي الّتي تقطعها الشّمس في سنة، والقمر في ثمانية وعشرين يومًا. (ابن عَطيّة ٥: ٤٦٠)

مُجاهِد: البُروج فيها الحرس.

(القُرطُبيّ ١٩: ٢٨٣)

الضّحّاك: يزعمون أنّها قصور في السّماء، ويقال: هي الكواكب. (الطَّبَريّ ٣٠: ١٢٧)

قَتادَة: ذات الرّمل. (ابن عَطيّة ٥: ٤٦٠)

سفيان بن حسين : ذات الرّمل والماء.
(الطّبَريّ ٣٠: ١٢٧)

الفَرّاء : اختلفوا في البُروج، فقالوا: هي النّجوم، وقالوا: هي البُروج الّتي تجري فيها الشّمس والكواكب المعروفة : اثنا عشر بُرجًا، وقالوا: هي قصور في السّماء، والله أعلم بصواب ذلك. (٣: ٢٥٢)

أبوعُبَيْدَة : كلّ برج يومين[1] وثُلث، وهو للشّمس شهرٌ، وهي اثنا عشر بُرجًا، يسير القمر، في كلّ برج يومين وثلث، فذلك ثمانية وعشرون منزلة، ثمّ يستَسِرُّ[2] ليلتين، ومجرى الشّمس في كلّ بُرج منها شهر. (٢: ٢٩٣)

ذات المنازل. (القُرطُبيّ ١٩: ٢٨٣)

ابن قُتَيْبَة : بُروج النّجوم، وهي اثنا عشر بُرجًا. (٥٢٢)

الطّبَريّ : اختلف أهل التّأويل في معنى (البُرُوج) في هذا الموضع، فقال بعضهم: عُني بذلك: والسّماء ذات القصور، قالوا: والبُروج: القصور.

وقال آخرون: عُني بذلك: والسّماء ذات النّجوم، وقالوا: نجومها: بروجها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: والسّماء ذات الرّمل والماء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصّواب أن يقال: معنى ذلك والسّماء ذات منازل الشّمس والقمر؛ وذلك أنّ البُروج: جمع بُرج، وهي منازل تتّخذ عالية عن الأرض مرتفعة، ومن ذلك قول الله: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النّساء: ٧٨. [ثمّ ذكر مثل أبي عُبَيْدَة]

(٣٠: ١٢٧)

الزّجّاج : ذات الكواكب، وقيل: ذات القصور لقُصور في السّماء. (٥: ٣٠٧)

الطّوسيّ : وصف السّماء بأنّها ذات البُروج، فالبُروج: المنازل العالية. والمراد هاهنا منازل الشّمس والقمر ـ في قول المفسّرين ـ ومثل ذلك قوله: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النّساء: ٧٨، أي في منازل عالية. (١٠: ٣١٦)

الزّمَخْشَريّ : هي البروج الاثنا عشر، وهي قصور السّماء على التّشبيه.

وقيل: البروج: النّجوم الّتي هي منازل القمر. وقيل: عظام الكواكب، سمّيت بروجًا لظهورها. وقيل: أبواب السّماء. (٤: ٢٣٧)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٥٥٠)، والنّسَفيّ (٤: ٣٤٤)، والشّربينيّ (٤: ٥٠٩)، وأبوالسّعود (٦: ٤٠٤).

ابن عَطيّة : اختلف النّاس في (البُرُوج)، فقال الضّحّاك وقَتادَة: هي القصور. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال ابن عبّاس: (البُرُوج): النّجوم، لأنّها تتبرّج بنورها. والتّبرُّج: التّظاهر والتّبدّي.

وقال الجمهور وابن عبّاس أيضًا: (البُرُوج) هي المنازل الّتي عرفتها العرب، وهي اثنا عشر على ماقسّمته العرب، وهي الّتي تقطعها الشّمس في سنة، والقمر في ثمانية وعشرين يومًا.

وقال قَتادَة: معناه ذات الرّمل. (وَالسَّمَاء) يريد

---

(١) كذا و الصحيح: يومان.

(٢) أي يستتر. ولعلّه الصحيح.

أنّها مبنيّة في السّماء، وهذا قول ضعيف. (٥: ٤٦٠)

الطَّبْرِسيّ: البُروج: المنازل العالية، والمراد هنا: منازل الشّمس والقمر والكواكب، وهي اثنا عشر برجًا، يسير القمر في كلّ برج منها يومين وثُلْث، وتسير الشّمس في كلّ بُرج شهرًا. (٩: ٤٦٦)

الفَخْر الرّازيّ: اعلم أنّ في البُروج ثلاثة أقوال:

أحدها: إنّها هي البُروج الاثنا عشر، وهي مشهورة...

وثانيها: أنّ البُروج هي منازل القمر.

وثالثها: أنّ البُروج هي عظام الكواكب، سمّيت بروجًا لظهورها. (٣١: ١١٤)

نحوه النّيسابوريّ (٣٠: ٦٢)، والخازن (٧: ١٨٨).

القُرطُبيّ: قيل: ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ذات الخَلْق الحسن، قاله المنهال بن عمرو.

وقيل: ذات المنازل، قاله أبوعُبَيْدَة، يحيى بن سلّام؛ وهي اثنا عشر بُرجًا، وهي منازل الكواكب والشّمس والقمر. يسير القمر في كلّ برج منها يومين وثُلْث يوم، فذلك ثمانية وعشرون يومًا، ثمّ يستسرّ ليلتين، وتسير الشّمس في كلّ بُرج منها شهرًا، وهي: الحَمَل، والثّور، والجَوْزاء، والسَّرطان، والأسَد، والسُّنبلة، والميزان، والعَقرب، والقَوس، والجَدْي، والدَّلو، والحُوت.

والبُروج في كلام العرب: القصور، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النّساء: ٧٨، وقد تقدّم. (١٩: ٢٨٣)

البُرُوسَويّ: (البُرُوج) جمع بُرج، بمعنى القصر. والمراد: البروج الاثنا عشر الّتي في الفَلَك الأعلى.

فالمراد بـ(السّماء): فلَك الأفلاك.

قال سعدي المفتي: لكنّ المعهود في لسان الشّرع إطلاق العرش عليه دون السّماء، ويجوز أن يراد الفلك الأقرب إلينا، فالآية كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ المُلك: ٥، انتهى.

وجوابه: ماأشرنا إليه في عنوان السّماء.

ثمّ إنّها شبّهت بروج السّماء بالقصور الّتي تنزل فيها الأكابر والأشراف، لأنّها منازل السّيّارات ومقرّ الثّوابت. [إلى أن قال:]

ويقال: المراد بـ(البُرُوج) هي النّجوم الّتي منزل القمر، وهي ثمانية وعشرون نجمًا، ينزل القمر كلّ ليلة في واحد منها، لايتخطّاها ولايتقصّر عنها. وإذا صار القمر إلى آخر منازله دقّ واستقوس، ويستتر ليلتين إن كان الشّهر ثلاثين يومًا. وإن كان تسعة وعشرين فليلة واحدة.

وإطلاق البُروج على هذه النّجوم مبنيّ على تشبيهها بالقصور، من حيث إنّ القمر ينزل فيها، ولظهورها أيضًا بالنّسبة إلى بعض النّاس كالعرب، لأنّ البُرج يُنبئ عن الظّهور مع الاشتمال على المحاسن، يقال: تبرّجت المرأة، أي تشبّهت بالبُرج في إظهار المحاسن.

وأمّا البُروج الاثنا عشر فليس لها ظهور؛ حيث لاتُدرك حسًّا، والبُروج الاثنا عشر منقسمة إلى هذه المنازل الثّمانية والعشرين، والشّمس تسير في تمام هذه البُروج الاثني عشر في كلّ سنة، والقمر في كلّ شهر. وقد تعلّقت بها منافع ومصالح للعباد، فأقسم الله تعالى بها إظهارًا لقدرها وشرفها، وفيه إشارة إلى الرّوح

الإنسانيّ ذات المقامات في التّرقّي والدّرجات.

(١٠: ٣٨٣ و ٣٨٥)

شُبَّر: هي الاثني عشر المعروفة، شبّهت بالقصور العالية. (٦: ٣٨٨)

الآلوسيّ: أي القصور، كما قال ابن عبّاس وغيره، والمراد بها عند جمع: البروج الاثنا عشر المعروفة.

وأصل البُرج: الأمر الظّاهر، ثمّ صار حقيقة للقصر العالي، لأنّه ظاهر للنّاظرين، ويقال لما ارتفع من سُور المدينة: بُرج أيضًا.

وبروج السّماء بالمعنى المعروف وإن التحقت بالحقيقة فهي في الأصل استعارة، فإنّها شُبّهت بالقصور لعلوّها، ولأنّ النّجوم نازلة فيها كسكّانها، فهناك استعارة مصرّحة تتبعها مكنيّة.

وقيل: شبّهت السّماء بسور المدينة، فأثبت لها البُروج. وقيل: هي منازل القمر، وهذا راجع إلى القول الأوّل، لأنّ البُروج منقسمة إلى ثمانية وعشرين منزلًا، وقد تقدّم الكلام فيها...

وأخرج ابن مَرْدَوَيه عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه، فيه حديثًا مرفوعًا بلفظ «الكواكب» بدل النّجوم، والله تعالى أعلم بصحّته.

وأخرج ابن المنذر وعبد بن حُمَيْد عن أبي صالح أنّه قال: هي النّجوم العظام، وعليه إنّما سمّيت بروجًا لظهورها، وكذا على ماقبله، وإن اختلف الظّهور ولم يظهر شموله جميع النّجوم.

وقيل: هي أبواب السّماء، وسمّيت بذلك لأنّ النّوازل تخرج الملائكة عليهم السلام منها، فجُعلت مشبّهة بقصور العظماء النّازلة أوامرهم منها، أو لأنّها لكونها مبدأ للظّهور، وصفت به مجازًا في الطّرف.

وقيل في النّسبة: والبُروج الاثنا عشر في الحقيقة على ماذكره محقّقو أهل الهيئة معتبرة في الفلك الأعلى، المسمّى بفَلَك الأفلاك، والفلك الأطلس. وزعموا أنّه العرش بلسان الشّرع، لكنّها لمّا لم تكن ظاهرة حسًّا، دلّوا عليها بما سامتّها وقت تقسيم الفَلَك الأعلى، من الصّور المعروفة كالحَمَل والثّور وغيرهما الّتي هي في الفلك الثّامن، المسمّى عندهم بفلك الثّوابت، وبالكرسيّ في لسان الشّرع، على مازعموا.

فبُرج الحَمَل مثلًا ليس إلّا جزءً من اثني عشر جزءً من الفَلَك الأعلى، سامَتَتْه صورة الحَمَل من الثّوابت وقت التّقسيم. وبرج الثّور ليس إلّا جزءً من ذلك، سامَتَتْه صورة الثّور منها ذلك الوقت أيضًا، وهكذا.

وإنّما قيل: وقت التّقسيم، لأنّ كلّ صورة قد خرجت لحركتها، وإن كانت بطيئة عمّا كانت مسامتة له من تلك البروج، حتّى كاد يُسامت الحَمَل اليوم برج الثّور، والثّور برج الجوزاء، وهكذا.

فعلى هذا وكون المراد بالبُروج البُروج الاثني عشر أو المنازل، قيل: المراد بـ(السّماء): الفَلك الأعلى، وقيل: الفَلك الثّامن؛ لظهور الصّور الدّالّة على البروج فيه، ولذا يسمّى فلَك البُروج. وقيل: السّماء الدّنيا، لأنّها تُرى فيها بظاهر الحسّ، نظير ماقيل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ الملك: ٥.

وقيل: الجنس الشّامل لكلّ سماء، لأنّ السّماوات

شفّافة فيُشارك العليا فيا فيها السُّفلى، لأنّه يُرى فيها ظاهرًا.

وإذا أُريد بالبُروج النّجوم، فقيل: المراد بـ(السَّمَاء): الفلك الثّامن، لأنّها فيه حقيقة. وقيل: السّماء الدّنيا، وقيل: الجنس، على نحو مامرّ. ولايراد على ماقيل: الفلك الأطلس، أعني الفلك الأعلى، لأنّه كاسمه غير مكوكب.

وإذا أُريد بها الأبواب، فقيل: المراد بـ(السَّمَاء): ماعدا فلك الأفلاك المسمّى بلسان الشّرع بالعرش، فإنّه لم يرد أنّ له أبوابًا.

هذا وأنت تعلم أنّ أكثر ماذُكر مبنيّ على كلام أهل الهيئة المتقدّمين، وهو لايصحّ له مستندٌ شرعًا، ولايكاد تسمع فيها إطلاق السّماء على العرش أو الكرسيّ، لكن لمّا سمع بعض الإسلاميّين من الفلاسفة أفلاكًا تسعة، وأراد تطبيق ذلك على ماروي في الشّرع، زعم أنّ سبعة منها هي السّماوات السّبع، والاثنين الباقين هما الكرسيّ والعرش، ولم يدر أنّ في الأخبار مايأبىٰ ذلك، وكون الدّليل العقليّ يقتضيه محلّ بحث كما لايخفى.

ومن رجع إلى كلام أهل الهيئة المحدثين، ونظر في أدلّتهم على ماقالوه في أمر الأجرام العلويّة، وكيفيّة ترتيبها، قوي عنده وَهْنُ ماذهب إليه المتقدّمون في ذلك.

فالّذي ينبغي أن يقال: (البُرُوج) هي المنازل للكواكب مطلقًا، الّتي يشاهدها الخواصّ والعوامّ، وماعلينا في أيّ سماء كانت، أو الكواكب أنفسها أينما كانت، أو أبواب السّماء الواردة في لسان الشّرع والأحاديث الصّحيحة، وهي لكلّ سماء، ولم يثبت للعرش ولاللكرسيّ منها شيء.

ويراد بـ(السَّمَاء): جنسها، أو السّماء الدّنيا، في غير القول الأخير، على ماسمعت فيا تقدّم، فلاتغفل.

(۳۰: ۸۵)

القاسميّ: أي الكواكب والنّجوم، شُبّهت بالبُروج، وهي القصور لعلوّها. أو البُروج: منازل عالية في السّماء.

وأصل معنى البروج كما قال الشّهاب: الأمر الظّاهر من التّبرّج، ثمّ صار حقيقة في العرف للقصور العالية، لأنّها ظاهرة للنّاظرين، ويقال لما ارتفع من سور المدينة: بُرج أيضًا. فشبّه على هذا الفلك بسور المدينة، وأثبت له البروج. (۱۷: ٦۱۱۳)

المَراغيّ: البُروج: واحدها بُرج، ويطلق على الحِصن والقصر العالي، وعلى أحد بُروج السّماء الاثني عشر، وهي منازل الكواكب والشّمس والقمر. فيسير القمر في كلّ برج منها يومين وثلث يوم، فذلك ثمانية وعشرون يومًا، ثمّ يستتر ليلتين.

وتسير الشّمس في كلّ برج منها شهرًا، ستّة منها في شمال خطّ الاستواء، وستّة في جنوبه، فالّتي في شماله هي: الحَمَل والثّور والجَوزاء والسّرطان والأسَد والسُّنبلة، والّتي في جنوبه هي: الميزان والعقرب والقوس والجَدْي والدّلو والحُوت.

وتقطع الثّلاثة الأُولى في ثلاثة أشهر، أوّلها اليوم العشرون من شهر مارس، وهذه المدّة هي فصل الرّبيع. وتقطع الثّلاثة الثّانية في ثلاثة أشهر أيضًا، أوّلها اليوم الحادي والعشرون من شهر يونية، وهذه المدّة هي

فصل الصّيف.

وتقطع الثّلاثة الأُولى من الجنوبيّة في ثلاثة أشهر أيضًا، أوّلها اليوم الثّاني والعشرون من شهر سبتمبر، وهذه المدّة هي فصل الخريف. وتقطع الثّلاثة الثّانية من الجنوبيّة في ثلاثة أشهر أيضًا، أوّلها اليوم الثّاني والعشرون من شهر ديسمبر، وهذه المدّة هي فصل الشّتاء. (٣٠: ٩٧)

نحوه عبد الكريم الخطيب (١٥: ١٥١٢)، والحجازيّ (٣٠: ٣٤).

عِزّة دَرْوَزَة: البُرج: من البُروج وهو الارتفاع والبروز، ثمّ صار يطلق على القصر العالي وعلى القلاع والحُصون. وتطلق على المدارات السّماويّة الّتي يدور فيها القمر أو الشّمس أو الكواكب السّيّارة، على ما كان معروفًا في وقت نزول القرآن. (١: ٢٥١)

الطّباطَبائيّ: البُروج: جمع بُرج، وهو الأمر الظّاهر، ويغلب استعماله في القصر العالي لظهوره على النّاظرين. ويسمّى البناء المعمول على سور البلد للدّفاع: بُرجًا، وهو المراد في الآية، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ الحجر: ١٦، ١٧.

فالمراد بالبُروج: مواضع الكواكب من السّماء؛ وبذلك يظهر أنّ تفسير البُروج بالبُروج الاثني عشر، المصطلح عليها في علم النّجوم، غير سديد.

وفي الآية إقسام بالسّماء المحفوظة بالبُروج، ولايخفى مناسبته لما سيشار إليه من القصّة، ثمّ الوعيد والوعد، وستُشير إليه. (٢٠: ٢٤٩)

المُصْطَفَويّ: أي ذات أبنية عالية، متجلّية مُشرقة جالبة، وهي الكواكب.

ومعلوم أنّ الأبنية والبُروج في كلّ محلّ بحسبه، وبروج السّماء بهذه العظمة والسّعة الّتي لم تُدرك إلى الآن منتهاها، لابدّ أن تكون ملايين من الكواكب العظيمة البناء الّتي توصف في الكتب المربوطة. (١: ٢٢٧)

بُرُوجًا

١ـ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾. الحجر: ١٦

ابن عبّاس: قصورًا، ويقال: نجومًا، وهي النّجوم الّتي يُهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر.

(تنوير المقباس: ٢١٧)

البُروج: النّجوم.

مثله الحسَن وقَتادَة. (الطَّبْرِسيّ ٣: ٣٢١)

أنّها بروج الشّمس والقمر، أي منازلها.

(ابن الجَوزيّ ٤: ٣٨٧)

مُجاهِد: الكواكب. (الطَّبَريّ ١٤: ١٤)

مثله قَتادَة ومُقاتِل. (ابن الجَوزيّ ٤: ٣٨٧)

العَوْفيّ: هي قصور في السّماء فيها الحرس.

(ابن الجَوزيّ ٤: ٣٨٧)

أبوصالح: هي النّجوم العظام.

(ابن الجَوزيّ ٤: ٣٨٧)

الكواكب السّيّارة. (أبوحَيّان ٥: ٤٤٩)

قَتادَة: الكواكب من غير قيد. (الآلوسيّ ١٤: ٢٢)

النّجوم العظام، سمّيت بُروجًا لظهورها.

(ابن الجَوزيّ ٤: ٣٨٧)

الإمام الصّادقعليه السلام **:** هي اثناعشر بُرجًا.

(الطَّبْرِسيّ ٣: ٣٣١)

ابن قُتَيْبَة: يقال: اثنا عشر بُرجًا، وأصل البُرج: القصر والحِصْن. (٢٣٦)

الطَّبَريّ: ولقد جعلنا في السّماء الدّنيا منازل للشّمس والقمر، وهي كواكب ينزلها الشّمس والقمر. (١٤: ١٤)

الزّجّاج: جاء في التّفسير: نجومًا وكواكب، وقيل: منازل الشّمس والقمر.

وهذه البُروج الّتي يُسمّيها الحُسّاب: الحَمَل والثّور، وماأشبهها، هي كواكب أيضًا، صُوَرها على صُور أسماء أصحابها.

فالبروج: نجوم، كما جاء في التّفسير. (٣: ١٧٥)

الطُّوسيّ: البُرج: ظهور منزل ممتنع بارتفاعه، فمن ذلك بُرج الحِصْن، وبُرج من بُروج السّماء الاثني عشر، وهي منازل الشّمس والقمر.

وأصله: الظّهور، يقال: تبرّجت المرأة، إذا أظهرت زينتها. (٦: ٣٢٤)

نحوه ابن عَطيّة. (٣: ٣٥٤)

البغَويّ: البُروج: هي النّجوم الكبار، مأخوذة من الظّهور. يقال: تبرّجت المرأة، أي ظهرت، وأراد بها المنازل الّتي تنزلها الشّمس والقمر والكواكب السّيّارة، وهي اثنا عشر برجًا: الحَمَل، والثّور، والجَوزاء، والسّرطان، والأسَد، والسُّنبلة، والميزان، والعقرب، والقَوس، والجَدْي، والدّلو، والحوت. (٣: ٥٢)

نحوه القُرطُبيّ. (١٠: ٩)

شُبّر: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر دالّة باختلاف طباعها وخواصّها، مع تساويها في الجسميّة على صانع حكيم. (٣: ٣٧٧)

الآلوسيّ: روي عن ابن عبّاس تفسير ذلك: بالبُروج الاثني عشر المشهورة، وهي ستّة شماليّة: ثلاثة ربيعيّة وثلاثة صيفيّة، وأوّلها الحَمَل. وستّة جنوبيّة: ثلاثة خريفيّة وثلاثة شتائيّة، وأوّلها الميزان.

وطول كلّ بُرج عندهم «ل[1]» درجة، وعرضه «قف[2]» درجة، «ص[3]» منها في جهة الشّمال، ومثلها في جهة الجنوب، وكأنّها إنّما سمّيت بذلك لأنّها كالحصن، أو القصر للكوكب الحالّ فيها. وهي في الحقيقة أجزاء الفلك الأعظم، وهو المحدّد المسمّى بلسانهم الفلك الأطلس وفلك الأفلاك، وبلسان الشّرع بعكسه.

ولهذا يسمّي الشّيخ الأكبر قدّس سرّه الفلك الأطلس بفلك البُروج، والمشهور تسمية الفلك الثّامن، وهو فلك الثّوابت به، لاعتبارهم الانقسام فيه، وكأنّ ذلك لظهور ماتعيّن به الأجزاء من الصّور فيه، وإن كان كلّ منها منتقلًا عمّا عيّنه إلى آخر منها، لثبوت الحركة الذّاتيّة للثّوابت على خلاف التّوالي، وإن لم يثبتها لها، لعدم الإحساس بها قدماء الفلاسفة، كما لم يُثبت الأكثرون حركتها على نفسها.

وأثبتها الشّيخ أبوعليّ ومن تبعه من المحقّقين، وقد صرّحوا بأنّ هذه الصّور المسمّاة بالأسماء المعلومة

---

(١) ل: ٣٠.

(٢) قف: ١٨٠.

(٣) ص: ٩٠.

تُوهّمت على المنطقة، ومايقرب منها من الجانبين من كواكب ثابتة، تُنظّمها خطوط موهومة وقعت وقت القسمة في تلك الأقسام. ونقل ذلك في «الكفاية» عن عامّة المنجّمين، وإنّهم إنّما توهّموا لكلّ قسم صورة، ليحصل التّفهيم والتّعليم بأن يقال: الدّبران مثلًا عين الأسد.

وتعقّب ذلك بقوله: وهذا ليس بسديد عندي، لأنّ تلك الصّور لو كانت وهميّة لم يكن لها أثر في أمثالها من العالم السّفلي، مع أنّ الأمر ليس كذلك، فقد قال بطليموس في الثّمرة: الصّور الّتي في عالم التّركيب مطيعة للصّور الفلكيّة؛ إذ هي في ذواتها على تلك الصّور، فأدركتها الأوهام على ماهي عليه، وفيه بحث.

ثمّ هذه البُروج مختلفة الآثار والخواصّ، بل لكلّ جزء من كلّ منها، وإن كان أقلّ من عاشرة، بل أقلّ الأقلّ آثار تخالف آثار الجزء الآخر، وكلّ ذلك آثار حكمة الله تعالى وقدرته عزّوجلّ.

وقد ذكر الشّيخ الأكبر قدّس سرّه في بعض كتبه: أنّ آثار النّجوم وأحكامها مفاضة عليها من تلك البُروج المعتبرة في الحدّد.

وفي الفصل الثّالث من الباب الحادي والسّبعين والثّلثمائة من «فتوحاته» مامنه: أنّ الله تعالى قسّم الفَلَك الأطلس اثني عشر قسمًا سمّاها بروجًا، وأسكن كلّ بُرج منها ملكًا، وهؤلاء الملائكة أئمّة العالم. وجعل لكلّ منهم ثلاثين خزانة، تحتوي كلّ منها على علوم شتّى، يهبون منها للنّازل بهم قدر ماتعطيه رتبته، وهي الخزائن الّتي قال الله تعالى فيها: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ الحجر: ٢١، وتسمّى عند أهل التّعاليم بدرجات الفلك، والنّازلون بها هم الجواري، والمنازل وعيوقاتها من الثّوابت، والعلوم الحاصلة من تلك الخزائن الإلهيّة هي مايظهر في عالم الأركان من التّأثيرات بل مايظهر في مقعّر فلَك الثّوابت إلى الأرض، إلى آخر ماقال.

وقد أطال قدّس سرّه الكلام في هذا الباب، وهو بمعزل عن اعتقاد المحدّثين نقلة الدّين عليهم الرّحمة.

ثمّ إنّ في اختلاف خواصّ البُروج حسبما تشهد به التّجربة، مع مااتّفق عليه الجمهور من بساطة السّماء، أدلّ دليل على وجود الصّانع المختار جلّ جلاله.

(١٤: ٢٢)

القاسميّ: جمع: بُرج، يطلق على القصر والحِصْن، وعلى المنازل الاثني عشر الّتي تنتقل فيها الشّمس، في ظاهر الرّؤية.

وقد فُسّرت (البُرُوج) في الآية بالنّجوم وبالمنازل المذكورة وبالقصور، على التّشبيه بحُصون الأرض وقصورها. (١٠: ٣٧٥١)

نحوه الحجازيّ. (١٤: ٧)

المَراغيّ: البُروج: واحدها بُرج، وهي النّجوم العظام، ومنها نجوم البروج الاثني عشر، المعروفة في علم الفلَك. (١٤: ١٢)

الطّباطَبائيّ: البُروج: جمع بُرج، وهو القصر. سمّيت بها منازل الشّمس والقمر من السّماء بحسب الحسّ، تشبيهًا لها بالقصور الّتي ينزلها الملوك.

(١٢: ١٣٨)

طه الدُّرّة: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر، مختلفة الهيئات والخواصّ، على ما دلّ عليه الرّصد، والتّجربة مع بساطة السّماء، وأسماؤها. [وقد مرّ ذكرها]

والعرب تعدّ المعرفة لمواقع النّجوم وأبوابها من أجلّ العلوم، ويستدلّون بها على الطّرقات، والأوقات، والخصب والجدب.

وقالوا: الفلك اثنا عشر بُرجًا، كلّ برج ميلان ونصف، وأصل البروج: الظّهور، ومنه تبرُّج المرأة بإظهار زينتها، وهذه البُروج تنزلها الشّمس في مسيرها. وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلًا، لكلّ بُرج منزلان وثلث منزل. وهذه البروج مقسومة على ثلاثمائة وستّين درجة، لكلّ بُرج منها ثلاثون درجة، تقطعها الشّمس في كلّ سنة مرّة، وبها تتمّ دورة الفلك، ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يومًا.

(٧: ٢٩٥)

عبد المُنعم الجمّال: بُروجًا: مدارات المجرّات، والمجموعات الشّمسيّة، أو طرق سيرها. (٢: ١٦١٤)

المُصطَفَويّ: المراد بها البُروج الّتي يتراءى للنّاظرين، ولاشكّ في انحصارها في الكواكب.

وأمّا البُروج المصطلحة في كتب النّجوم فهي: منازل اعتباريّة لمسير الشّمس في السّنة الواحدة، وكذلك فلك البُروج المصطلح عندهم.

وأمّا التّعبير في الموارد المذكورة بالبُروج دون الكواكب والنّجوم، فإنّ مقام التّنبيه على الجلال والعظمة يقتضي ذلك، فإنّ البُروج ـ كما قلنا ـ تدلّ على البنيان الرّفيع العالي المتجلّي المتظاهر. (١: ٢٢٧)

٢ـ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا. الفرقان: ٦١

ابن عبّاس: نجومًا. (تنوير المقباس: ٣٠٥)

هي البُروج الاثنا عشر، الّتي هي منازل الكواكب السّبعة السّيّارة. (البغويّ ٣: ٤٥٤)

النّخعيّ: البُروج: القصور العالية، واحدها: بُرج. (الطُّوسيّ ٧: ٥٠٣)

العَوْفيّ: قصورًا في السّماء، فيها الحرس.

مثله أبوصالح، ونحوه يحيى بن رافع، والنّخعيّ. (الطّبَريّ ١٩: ٢٩)

أبوصالح: النّجوم الكبار. (الطّبَريّ ١٩: ٢٩)

نحوه الحسَن (البغويّ ٣: ٤٥٤) وقتادة (الطّبَريّ ١٩: ٢٩).

الإمام الباقر عليه السلام: البُروج: الكواكب. والبُروج الّتي للرّبيع والصّيف: الحمَل، والثّور، والجوزاء، والسّرطان، والأسد، والسّنبلة، وبروج الخريف والشّتاء: الميزان، والعقرب، والقوس، والجدْي، والدّلو، والحوت، وهي اثنا عشر برجًا.

(القُمّيّ ٢: ١١٦)

الأعمَش: كان أصحاب عبدالله يقرؤونها (في السَّمَاءِ قُصُورًا). (ابن عَطيّة ٤: ٢١٧)

الطّبَريّ: يعني بالبُروج: القصور في قول بعضهم، وقال آخرون: هي النّجوم الكبار. وأولى القولين في ذلك بالصّواب، قول من قال: هي قصور في السّماء، لأنّ

ذلك في كلام العرب ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النّساء: ٧٨. [ثمّ استشهد بشعر] (١٩: ٣٠)

الزّجّاج: البُروج قيل: هي الكواكب العظام. والبَرَجُ: تباعد بين الحاجبين، وكلّ ظاهر مرتفع فقد بَرَجَ، وإنّما قيل لها: بُروج لظهورها وتباينها وارتفاعها. (٤: ٧٣)

الماوَرْديّ: فيها أربعة أوجه:

أحدها: أنّها النّجوم العظام، وهو قول أبي صالح.

الثّاني: أنّها قصور في السّماء فيها الحرس، وهو قول عَطيّة العَوْفيّ.

الثّالث: أنّها مواضع الكواكب.

والرّابع: أنّها منازل الشّمس.

وقرئ (بُرْجًا) قرأ بذلك قَتادَة، وتأوّله: النّجم. (٤: ١٥٣)

الطّوسيّ: البُروج: منازل النّجوم الظّاهرة، وهي اثنا عشر بُرجًا معروفة، أوّلها الحَمَل وآخرها الحوت.

وقيل البُروج: منازل الشّمس والقمر. (٧: ٥٠٣)

القُشَيريّ: كما أثبت في السّماء بُروجًا، أثبت في سماء قلوب أوليائه وأصفيائه بُروجًا، فبروج السّماء معدودة، وبروج القلب مشهودة.

وبُروج السّماء: بيوت شمسها وقمرها ونجومها، وبُروج القلوب: مطالع أنوارها ومشارق شموسها ونجومها. وتلك النّجوم الّتي هي نجوم القلوب، كالعقل والفهم والبصيرة والعلم، وقمر القلوب: المعرفة.

قمر السّماء له نقصان ومحاق، وفي بعض الأحايين هو بَدْرٌ بوصف الكمال. وقمر المعرفة أبدًا له إشراق، وليس له نقصان أو محاق، ولذا قال قائلهم:

دع الأقمار تخبو أو تنير
لها بَدْرٌ تذلّ له البدور

فأمّا شمس القلوب فهي التّوحيد، وشمس السّماء تغرب، ولكنّ شمس القلوب لاتغيب ولاتغرب، وفي معناه قالوا:

إنّ شمسَ النّهار تغرب باللّيل
وشمسُ القلوب ليست تغيب

ويصحّ أن يقال: إنّ شمس النّهار تغرب باللّيل، وشمس القلوب سلطانها في الضّوء، والطّلوع باللّيل أتمّ. (٤: ٣١٩)

البغَويّ: عن ابن عبّاس هي البروج الاثنا عشر الّتي هي منازل الكواكب السّبعة السّيّارة. [وذكر أسماءها وأضاف:]

فالحَمَل والعقرب بيتا المرّيخ، والثّور والميزان بيتا الزّهرة، والجوزاء والسُّنبلة بيتا عطارد، والسّرطان بيت القمر، والأسد بيت الشّمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجَدْي والدّلو بيتا زُحَل.

وهذه البُروج مقسومة على الطّباع الأربع، فيكون نصيب كلّ واحد منها ثلاثة بُروج تسمّى المثلّثات، فالحَمَل والأسد والقوس مثلّثة ناريّة، والثّور والسُّنبلة والجَدْي مثلّثة أرضيّة، والجوزاء والميزان والدّلو مثلّثة هوائيّة، والسّرطان والعقرب والحوت مثلّثة مائيّة. (٣: ٤٥٤)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٤: ١٧٨)، ومثله النّسَفيّ (٣: ١٧٣).

الزَّمَخْشَريّ: البروج: منازل الكواكب السّبعة السّيّارة. [وذكر أسماءها ثمّ قال:]

سمّيت بالبُروج الّتي هي القصور العالية، لأنّها لهذه الكواكب كالمنازل لسكّانها، واشتقاق البُرج من التّبرّج لظهوره. (٣: ٩٨)

نحوه النّيسابوريّ (١٩: ٣١)، وأبوحيّان (٦: ٥١١)، وأبوالسّعود (٥: ٢٣).

ابن عَطيّة: البروج: هي الّتي علِمَتْها العرب بالتّجربة، وكلّ أمّة مُصْحِرة، وهي المشهورة عند اللّغويّين وأهل تعديل الأوقات. وكلّ بُرج منها على منزلتين وثلث من منازل القمر، الّتي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ يس: ٣٩.

والعرب تسمّي البناء المرتفع المستغني بنفسه: بُرجًا، تشبيهًا ببُروج السّماء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النّساء: ٧٨. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال بعض النّاس: في هذه الآية الّتي نحن فيها البُروج: القصور في الجنّة، وقال الأعمش: كان أصحاب عبدالله يقرؤونها (فِي السَّمَاءِ قُصُورًا). وقيل البُروج: الكواكب العظام، حكاه الثّعلبيّ عن أبي صالح، وهذا نحو مابيّنّاه إلّا أنّه غير ملخّص.

وأمّا القول بأنّها قصور في الجنّة، فقول يحطّ غرض الآية في التّنبيه على أشياء مدركات، تقوم بها الحجّة على كلّ منكر لله أو جاهل به. (ابن عَطيّة ٤: ٢١٧)

الفَخْر الرّازيّ: [ذكر مثل الزّمَخْشَريّ وأضاف:]

وفيه قول آخر عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّ البُروج هي الكواكب العظام. والأوّل أولى لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أي في البُروج.

فإن قيل: لِمَ لايجوز أن يكون قوله فيها راجعًا إلى السّماء دون البُروج؟

قلنا: لأنّ البُروج أقرب، فعود الضّمير إليها أولى. (٢٤: ١٠٦)

نحوه البَيْضاويّ. (٢: ١٤٩)

ابن كثير: هي الكواكب العظام، في قول مُجاهِد وسعيد بن جُبَيْر وأبي صالح والحسن وقَتادَة.

وقيل: هي قصور في السّماء للحرس، يُروى هذا عن عليّ وابن عبّاس ومحمّد بن كعب وإبراهيم النّخَعيّ وسليمان بن مهران الأعمش؛ وهو رواية عن أبي صالح أيضًا.

والقول الأوّل أظهر، اللّهمّ إلّا أن يكون الكواكب العظام هي قصور للحرس، فيجتمع القولان، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ الملك: ٥، ولهذا قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ (٥: ١٦١)

البُرُوسَويّ: [قال نحو البَغَويّ وأضاف:]

واعلم أنّ الله تعالى جعل في سماء نفسك بُروج حواسّك، وجعل فيها سراج روحك وقمر قلبك، منيرًا بأنوار الرّوحانيّة، فعليك بالاجتهاد في تنوير وجودك، وتخليص قلبك من الظّلمات النّفسانيّة، لتستعدّ لأنوار التّجلّيات، وتتخلّص من ظلمة السّوَى، فتصل إلى المطلب الأعلى، فيحصل لك البقاء بعد الفناء، فتجد بعد الفقر كمال الغنى، فتشاهد كمال قدرة الملك القادر هنا.

وفي «عرائس القرآن» بروج السّماء: مجاري

الشّمس والقمر، وهي: الحمَل والثّور إلخ. وفي القلب بُروج وهي: برج الإيمان، وبرج المعرفة، وبرج العقل، وبرج اليقين، وبرج الإسلام، وبرج الإحسان، وبرج التّوكّل، وبرج الخوف، وبرج الرّجاء، وبرج المحبّة، وبرج الشّوق، وبرج الوله. فهذه اثنا عشر برجًا، بها دوام صلاح القلب، كما أنّ الاثنى عشر برجًا من الحمَل إلخ بها صلاح الدّار الفانية وأهلها.

وفي السّماء سراج الشّمس ونور القمر، وفي القلب سراج الإيمان والإقرار، وقمر المعرفة يتلألأ نور إيمانه ومعرفته على لسانه بالذّكر، وعلى عينيه بالعبرة، وعلى جوارحه بالطّاعة والخدمة.

وفي «التّأويلات النّجميّة» يشير إلى سماء القلوب وبروج المنازل والمقامات، وهي اثنا عشر منزلًا: التّوبة، والزّهد، والخوف، والرّجاء، والتّوكّل، والصّبر، والشّكر، واليقين، والإخلاص، والتّسليم، والتّفويض، والرّضى. وهي منازل سيّارات الأحوال، فيها: شمس التّجلّي، وقمر المشاهدة، وزهرة الشّوق، ومشتري المحبّة، وعطارد الكشوف، ومرّيخ الفناء، وزحل البقاء، انتهى. (٦: ٢٣٧)

الآلوسيّ: الظّاهر أنّها البُروج الاثنا عشر المعروفة. وأخرج ذلك الخطيب في كتاب «النّجوم» عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما، وهي في الأصل: القصور العالية، وأُطلقت عليها على طريق التّشبيه، لكونها للكواكب كالمنازل الرّفيعة لساكنيها، ثمّ شاع فصار حقيقة فيها.

وعن الزّجّاج: أنّ البُرج كلّ مرتفع، فلاحاجة إلى التّشبيه أو النّقل، واشتقاقه من التّبرّج بمعنى الظّهور.

والّذي يقتضيه مشرب أهل الحديث أنّها في السّماء الدّنيا، ولامانع منه عقلًا، لاسيّما إذا قلنا: بعظم ثخنها بحيث يسع الكواكب، وماتقتضيه على ماذكره أهل الهيئة، وهي عندهم أقسام الفلك الأعظم، المسمّى على ماقيل: بالعرش، ولم يرد فيما أعلم إطلاق السّماء عليه، وإن كان صحيحًا لغة.

سمّيت بأسماء صور من الثّوابت في الفلك الثّامن، وقعت في محاذاتها وقت اعتبار القسمة، وتلك الصّور متحرّكة بالحركة البطيئة كسائر الثّوابت، وقد قارب في هذه الأزمان أن تخرج كلّ صورة عمّا حاذته أوّلًا، وابتداؤها عندهم من نقطة الاعتدال الرّبيعيّ، وهي نقطة معيّنة من معدّل النّهار، لاتتحرّك بحركة الفلك الثّامن، ملاقية لنقطة أُخرى من منطقة البُروج تتحرّك بحركته. وإذا لم يتحرّك مبدأ البُروج بتلك الحركة، لم يتحرّك ماعداها.

وقد جعل الله تعالى ثلاثة منها ربيعيّة، وهي: الحمَل، والثّور، والجوزاء، وتُسمّى التّوأمين أيضًا. وثلاثة صيفيّة، وهي: السّرطان، والأسد، والسُّنبلة، وتسمّى العذراء أيضًا، وهذه السّتّة شماليّة.

وثلاثة خريفيّة، وهي: الميزان، والعقرب، والقوس، ويسمّى الرّامي أيضًا، وثلاثة شتويّة، وهي: الجدْي، والدّلو ويسمّى الدّالي وساكب الماء أيضًا، والحوت وتُسمّى السّمكتين، وهذه السّتّة جنوبيّة.

ولحلول الشّمس في كلّ من الاثني عشر يختلف الزّمان حرارةً وبرودةً، واللّيل والنّهار طولًا وقصرًا،

وبذلك يظهر بحكم جري العادة في عالم الكون والفساد آثار جليلة من نضج الثّمار وإدراك الزّروع، ونحو ذلك ممّا لايخفى، ولعلّ ذلك هو وجه البركة في جعلها.

وأمّا مايزعمه أهل الأحكام من الآثار: إذا كان شيء منها طالعًا وقت الولادة، أو شروع في عمل من الأعمال، أو وقت حلول الشّمس نقطة الحَمَل الّذي هو مبدأ السّنة الشّمسيّة في المشهور، فهو محض ظنّ ورجم بالغيب، وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام في ذلك مفصّلاً.

ولهم في تقسيمها إلى مذكّر ومؤنّث، وليليّ ونهاريّ، وحارّ وبارد، وسعد ونحس، إلى غير ذلك، كلام طويل، ولعلّنا نذكر شيئًا منه بعدُ إن شاء الله تعالى، ومن أراده مستوفى فليرجع إلى كتبهم.

ثمّ الظّاهر أنّ البُروج المجعولة ممّا لادخل للاعتبار فيها، والمذكور في كلام أهل الهيئة أنّها حاصلة من اعتبار فرض ستّ دوائر معلومة قاطعة للعالم، فيكون للاعتبار دخل فيها، وإن لم تكن في ذلك كأنياب الأغوال، لوجود مبدأ الانتزاع فيها. فإن كان الأمر على هذا الطّرز عند أهل الشّرع، بأن يعتبر تقسيم ماهي فيه إلى اثنتي عشرة قطعة، وتسمّى كلّ قطعة بُرجًا، فالظّاهر أنّ المراد بجعله تعالى إيّاها جعل مايتمّ به ذلك الاعتبار، ويتحقّق به أمر التّفاوت والاختلاف بين تلك البُروج، وفيه من الخير الكثير مافيه.

وقيل: إنّ في الآية إيماء إلى أنّ اعتبار التّقسيم كان عن وحي، والمشهور أنّ من اعتبر ذلك أوّلاً هرمس، وهو على ماقيل: إدريس عليه السلام، فتأمّل.

وأخرج عبد بن حميد عن قَتادَة أنّ البُروج: قصور على أبواب السّماء فيها الحرس، وقيل: هي القصور في الجنّة.

قال الأعمش: وكان أصحاب عبد الله يقرؤون (فِي السَّمَاءِ قُصُورًا) وتعقّب بأنّه يأباه السّياق، لأنّ الآية قد سيقت للتّنبيه على مايقوم به الحجّة على الكفرة الّذين لايسجدون للرّحمان جلّ شأنه، وبيان أنّه المستحقّ للسّجود ببيان آثار قدرته سبحانه، وكماله جلّ جلاله. والظّاهر أن يكون ذلك بذكر أُمور مدركة معلومة لهم، وتلك القصور ليست كذلك.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن مُجاهِد: أنّها النّجوم، وروي ذلك عن قَتادَة أيضًا، وعن أبي صالح تقييدها بالكبار، وأطلق عليها ذلك لظمها وظهورها، لاسيّما الّتي من أوّل المراتب الثّلاثة، للقدر الأوّل من الأقدار السّتّة.

وأنت تعلم أنّه لم يُعهَد إطلاق البُروج على النّجوم، فالأولى أن يراد بها المعنى الأوّل المرويّ عن ابن عبّاس، الّذي هو أظهر من الشّمس. (١٩: ٤٠)

القاسميّ: أي نجومًا، أو هي البُروج الاثنا عشر، الّتي تُرى صورها في الأشكال الحاصلة من اجتماع بعض الكواكب على نسب خاصّة، وتنتقل فيها الشّمس في ظاهر الرّؤية. (١٢: ٤٥٨٨)

المَراغيّ: البُروج: منازل السّيّارات الاثني عشر المعروفة، الّتي جمعها بعضهم في قوله:

حمل الثّور جوزةَ السّرطان

ودعَى اللّيث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس لجدي

نزح الدّلو بركة الحيتان

[ثمّ ذكر أسماءها وقال:]

وهي منازل الكواكب السّيّارة السّبعة، وهي: المرّيخ وله الحَمَل والعقرب، والزّهرة ولها الثّور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسّنبلة، والقمر وله السّرطان، والشّمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجَدْي والدّلو.

وهي في الأصل القصور العالية، فأطلقت عليها على طريق التّشبيه. (١٩: ٢٧)

سيّد قُطْب: البُروج، على الأرجح: منازل الكواكب السّيّارة، ومداراتها الفلكيّة الهائلة. والفخامة هنا تقابل في الحسّ ذلك الاستخفاف في قول المشركين: «وماالرّحمٰن»؟ فهذا شيء من خلقه ضخم هائل، عظيم في الحسّ وفي الحقيقة، وفي هذه البُروج تنزل الشّمس. (٥: ٢٥٧٦)

نحوه عبد الكريم الخطيب. (١٠: ٥٤)

الطَّباطَبائيّ: الظّاهر أنّ المراد بالبُروج: منازل الشّمس والقمر من السّماء أو الكواكب الّتي عليها، كما تقدّم في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ الحجر: ١٦، ١٧، وإنّما خصّت بالذّكر في الآية للإشارة إلى الحفظ والرّجم المذكورين. (١٥: ٢٣٥)

طه الدُّرّة: أي منازل للكواكب السّبعة السّيّارة. وأصل البُروج: القصور العالية، قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النّساء: ٧٨.

سمّيت هذه المنازل بُروجًا، لأنّها للكواكب السّيّارة كالمنازل الرّفيعة الّتي هي القصور لسكّانها، وهي اثنا عشر. [فذكرها ثمّ قال:]

والكواكب السّيّارة هي: المرّيخ وله الحَمَل والعقرب، والزّهرة ولها الثّور والميزان، وعطارد ـ ويمنع من الصّرف لصيغة منتهى الجمع ـ وله الجوزاء والسّنبلة، والقمر وله السّرطان، والشّمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل ـ ويمنع من الصّرف للعلميّة والعدل ـ وله الجَدْي والدّلو، وانظر الآية (١٦) من سورة الحجر، وسورة ياسين (٣٩)، لمعرفة منازل القمر. (١٠: ٥٧)

تَبَرَّجْنَ ـ تَبَرُّجَ

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَاتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ. الأحزاب: ٣٣

ابن عبّاس: ولاتتزيّنّ بزينة الكفّار في الثّياب الرّقاق الملوّنة. (تنوير المقباس: ٣٥٣)

كان فيما بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة، وإنّ بطنين من وُلد آدم، كان أحدهما يسكن السّهل، والآخر يسكن الجبل. وكان رجال الجبل صِباحًا، وفي النّساء دَمامة، وكان نساء السّهل صِباحًا، وفي الرّجال دَمامة، وإنّ إبليس أتى رجلًا من أهل السّهل في صورة غلام، فأجرَ نفسه منه، وكان يخدمه، واتّخذ إبليس شيئًا مثل ذلك الّذي يَزْمُر فيه الرّعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله، فبلغ ذلك من حولهم، فانتابوهم يسمعون إليه، واتّخذوا عيدًا يجتمعون إليه في السّنة، فتتبرّج الرّجال

للنّساء. ويتزيّن النّساء للرّجال، وإنّ رجلًا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك، فرأى النّساء، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك، فتحوّلوا إليهنّ فنزلوا معهنّ، فظهرت الفاحشة فيهنّ، فهو قول الله ﴿وَلَاتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾. (الطّبريّ ٢٢: ٤)

مُجاهِد: التّبرّج: التّبختر والتّكبّر في المشي.

مثله قَتادَة. (الطّبْرِسيّ ٤: ٣٥٦)

أنّ المرأة كانت تخرج فتمشي بين الرّجال، فهو التّبرّج. (ابن الجَوزيّ ٦: ٣٨٠)

قَتادَة: أي إذا خرجتنّ من بيوتكنّ. كانت لهنّ مشية وتكسّر وتغنّج، يعني بذلك الجاهليّة الأُولى، فنهاهنّ الله عن ذلك. (الطّبَريّ ٢٢: ٤)

ابن أبي نَجيح: التّبختر. (الطّبَريّ ٢٢: ٤)

الطّبَريّ: إنّ التّبرّج في هذا الموضع: التّبختر والتّكسّر.

وقيل: إنّ التّبرّج هو إظهار الزّينة، وإبراز المرأة محاسنها للرّجال. (٢٢: ٤)

مُقاتِل: التّبرّج: أنّها كانت تُلقي الخمار عن رأسها ولاتشدّه، فيُرى قُرطها وقلائدها.

(ابن الجَوزيّ ٦: ٣٨١)

الكَلْبيّ: إنّ المرأة منهنّ كانت تتّخذ الدّرع من اللّؤلؤ فتلبسه، ثمّ تمشي وسط الطّريق ليس عليها غيره، وذلك في زمن إبراهيم عليه السلام. (ابن الجَوزيّ ٦: ٣٨٠)

نحوه الفرّاء. (٢: ٣٤٢)

الفَرّاء: كانت المرأة إذ ذاك تلبس الدّرع من اللّؤلؤ غير مَخيط الجانبين، ويقال: كانت تلبس الثّياب تبلغ المال[1] لاتواري جسدها، فأُمرن ألّا يفعلن مثل ذلك. (٢: ٣٤٢)

أبوعُبَيْدَة: هو من التّبرّج، وهو أن يُبْرِزن محاسنهنّ فيظهرنها. (٢: ١٣٨)

الزّجّاج: التّبرّج: إظهار الزّينة، ومايُستدعى به شهوة الرّجل، وقيل: إنّهنّ كنّ يتكسّرن في مشيتهنّ، ويتبختَرْنَ. (٤: ٢٢٥)

الطُّوسيّ: نُصب (تَبَرُّج) على المصدر، والمعنى مثل تبرّج الجاهليّة الأُولى، وهو ماكان قبل الإسلام.

وقيل: ماكان بين آدم ونوح، وقيل: ماكان بين موسى وعيسى، وقيل: ماكان بين عيسى ومحمّد.

وقيل: ماكان يفعله أهل الجاهليّة، لأنّهم كانوا يجوّزون لامرأة واحدة رجلًا وخِلًّا، فللزّوج النّصف السّفلانيّ، وللخِلّ الفوقانيّ من التّقبيل والمعانقة، فنهى الله تعالى عن ذلك أزواج النّبيّ صلى الله عليه وآله.

واشتقاق التّبرّج، من البَرَج، وهو السّعة في العين. وطعنة برجاء، أي واسعة. وفي أسنانه بَرَجٌ، إذا تفرّق مابينها.

وأمّا الجاهليّة الأُخرى، فهو مايعمل بعد الإسلام بعمل أُولئك. (٨: ٣٣٩)

ابن عَطيّة: التّبرّج: إظهار الزّينة والتّصنّع بها، ومنه البُروج لظهورها وانكشافها للعيون. (٤: ٣٨٣)

الطّبْرِسيّ: أي لاتخرجن على عادة النّساء اللّاتي في الجاهليّة، ولاتُظهرن زينتكنّ كما كنّ يُظهرن

---

(١) كذا في الأصل، والصّواب «المآكم»: جمع مأكم، وهو العجزة.

ذلك. (٧: ٣٥٦)

الفَخْر الرّازيّ: قيل: معناه لاتتكسّرن ولاتتغنّجن، ويحتمل أن يكون المراد لاتظهرن زينتكنّ. (٢٥: ٢٠٩)

البَيْضاويّ: ولاتبخترن في مشيكنّ. (٢: ٢٤٥)

النّسفيّ: التّبرّج: التّبختر في المشي، وإظهار الزّينة. والتّقدير: ولاتبرّجن تبرّجًا مثل تبرّج النّساء في الجاهليّة الأُولى. (٣: ٣٠٢)

شُبَّر: لاتظهرن زينتكنّ للرّجال. (٥: ١٤٥)

الآلوسيّ: معنى تبرّجت المرأة: ظهرت من بُرجها، أي قصرها. وجعل الرّاغب إطلاق البرّج على سعة العين وحسنها للتّشبيه بالبرج في الأمرين.

ولايخفى أنّه لو فسّر التّبرّج هنا بالظّهور من البُرج تكون هذه الجملة كالتّأكيد لما قبلها. فالأولى أن لايفسّر به.

وتبرّج مصدر تشبيهيّ، مثل له صوت صوت حمار، أي لاتبرّجن مثل تبرّج الجاهليّة الأُولى.

وقيل: في الكلام إضمار مضافين، أي تبرّج نساء أيّام الجاهليّة، وإضافة نساء على معنى «في». (٢٢: ٨)

القاسميّ: التّبرّج، فسّر بالتّبختر والتّكسّر في المشي، وبإظهار الزّينة ومايُستدعى به شهوة الرّجل، وبلبس رقيق الثّياب الّتي لاتُواري جسدها. وبإبداء محاسن الجيد والقلائد والقُرْط. وكلّ ذلك ممّا يشمله النّهي، لما فيه من المفسدة والتّعرّض لكبيرة. (١٣: ٤٨٤٩)

المَراغيّ: أي ولاتبدين زينتكنّ ومحاسنكنّ للرّجال، كما كان النّساء يفعلن ذلك في الجاهليّة قبل الإسلام. (٢٢: ٦)

الطّباطَبائيّ: التّبرّج: الظّهور للنّاس كظهور البُروج لناظريها. (١٦: ٣٠٩)

الحجازيّ: التّبرّج: الظّهور مع إظهار مايجب ستره.

والتّبرّج المنهيّ عنه: ظهور المرأة على وجه لايرضاه الشّرع، تكريمًا لها وصونًا لعفافها، ومحافظة على مكانتها في مجتمعها. (٢٢: ٣، ٥)

عبد الكريم الخَطيب: التّبرّج: التّهتّك، وإظهار الزّينة. (١١: ٧٠٦)

المُصْطَفَويّ: أي لايتظاهرن ولايُردن الاستعلاء والتّجلّي وجلب النّفوس، ومعلوم أنّ التّظاهر والاستعلاء في كلّ نوع بحسبه، ففي المرأة بالتّزيّن في مقابل الأجانب، قولًا وعملًا وسلوكًا ومشيًا ولمزًا ونظرًا.

فكلّ حركة أو سكون من المرأة يجلب نظر الأجنبيّ، ويقتضي نفوذها فيه ويوجب التّظاهر والتّجلّي والاستعلاء في قباله، فهو تبرّجٌ منهيٌّ في القرآن الكريم، وصاحبه مخالف أمر الله المتعال، ومن أهل الجاهليّة. (١: ٢٢٨)

مُتَبَرِّجاتٍ

...فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ اَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ... النّور: ٦٠

النّبيّ ﷺ: للزّوج ماتحت الدّرع، وللابن والأخ

مافوق الدّرع، ولغير ذي محرم أربعة أثواب: درع وخمار وجلباب وإزار. (الطَّبْرِسيّ ٧: ١٥٥)

ابن مَسعود: أن يضعن المِلْحَفَة والرّداء.

(الزّجّاج ٤: ٥٣)

ابن عَبّاس: من غير أن يتزيّنّ، أن يظهرن ماعليهنّ من الزّينة عند الغريب.

(تنوير المقباس: ٢٩٩)

عَطاء: هذا في بيوتهنّ، فإذا خرجت فلايحلّ لها وضع الجلباب. (القُرطُبيّ ١٢: ٣١٠)

أبوعمروابن العَلاء: متزيّنات.

(السِّجستانيّ: ١٣٥)

الإمام الرّضاعليه السلام: غير مظهرات زينة ممّا أُمرن بإخفائه، في قوله تعالى: ﴿وَلَايُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ اِلَّا مَاظَهَرَ مِنْهَا﴾ النّور: ٣١. (الكاشانيّ ٣: ٤٤٧)

نحوه شُبَّر. (٤: ٣٢٥)

أبوعُبَيْدَة: التّبرّج: أن يُظهرن محاسنهنّ، ممّا لاينبغي لهنّ أن يظهرنها. (٢: ٦٩)

الزّجّاج: التّبرّج: إظهار الزّينة، ومايُستَدعَى به شهوة الرّجل. (الأزهَريّ ١١: ٥٦)

الطَّبَريّ: ليس عليهنّ جناح في وضع أرديتهنّ، إذا لم يُردن بوضع ذلك عنهنّ، أن يبدين ماعليهنّ من الزّينة للرّجال.

والتّبرّج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ماينبغي لها أن تستره. (١٨: ١٦٧)

السِّجِستانيّ: أي مظهرات محاسنهنّ، ممّا لاينبغي أن يُظهرنه. قيل: (مُتَبَرِّجَاتٍ) أي منكشفات الشّعور. (١٣٥)

الطُّوسيّ: أي لاتقصد بوضع الجلباب إظهار محاسنها، وماينبغي لها أن تستره. والتّبرّج: إظهار المرأة من محاسنها مايجب عليها ستره. (٧: ٤٦١)

البَغَويّ: أي من غير أن يُردن بوضع الجلباب والرّداء إظهار زينتهنّ. والتّبرّج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ماينبغي لها أن تستره. (٣: ٤٢٩)

المَيْبُديّ: أي غير مبديات بزينة. والتّبرّج: إظهار محاسنها الّتي ينبغي أن تسترها، كالشّعر والذّراع والنّحر والسّاق، أي لايقصدن بوضعها أن يُظهرن زينتهنّ.

وقيل: التّبرّج هاهنا وفي قوله: ﴿وَلَاتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْاُولٰى﴾ الأحزاب: ٣٣، الخروج من البيت ظاهرةَ الزّينة. (٦: ٥٦٥)

الزَّمَخْشَريّ: غير مظهرات زينةً، يريد الزّينة الخفيّة الّتي أرادها في قوله: ﴿وَلَايُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ اِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ النّور: ٣١، أو غير قاصدات بالوضع التّبرّج، ولكن التّخفّف إذا احتجن إليه، والاستعفاف من الوضع خيرٌ لهنّ.

لمّا ذكر الجائز عقّبه بالمستحبّ، بعثًا منه على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها، كقوله: ﴿وَاَنْ تَعْفُوا اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى﴾ البقرة: ٢٣٧، ﴿وَاَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ البقرة: ٢٨٠.

فإن قلت: ماحقيقة التّبرّج؟ قلت: تكلّف إظهار مايجب إخفاؤه، من قولهم: سفينة بارج: لاغطاءَ عليها.

والبَرَج: سَعَة العين، يُرى بياضها محيطًا بسوادها كلّه، لايغيب منه شيء، إلّا أنّه اختصّ بأن تتكشّف

المرأة للرّجال، بإبداء زينتها وإظهار محاسنها. وبَدا وبرز، بمعنى ظهر، من أخوات تبرّج وتبلّج كذلك. (٣: ٧٦)

نحوه البَيضاويّ (٢: ١٣٥)، والنّسَفيّ (٣: ١٥٤)، والنّيسابوريّ (٨: ١٢٨)، وأبوحيّان (٦: ٤٧٢)، والشّربينيّ (٢: ٦٤)، وأبوالسّعود (٤: ٤٨٤).

الطَّبْرِسيّ: أي غير قاصدات بوضع ثيابهنّ إظهار زينتهنّ، بل يقصدْنَ به التّخفيف عن أنفسهنّ، فإظهار الزّينة في القواعد وغيرهنّ محظور.

وأمّا الشّابّات فإنّهنّ يُمنعن من وضع الجلباب أو الخمار، ويُؤمَرن بلبس أكثف الجلاليب لئلّا تصفهنّ ثيابهنّ. [ثمّ ذكر قول النّبيّ ﷺ] (٧: ١٥٥)

القُرطُبيّ: أي غير مظهرات ولامتعرّضات بالزّينة ليُنظر إليهنّ، فإنّ ذلك من أقبح الأشياء وأبعده عن الحقّ.

والتّبرّج: التّكشّف والظّهور للعيون، ومنه بُروج مشيّدة، وبروج السّماء والأسوار، أي لاحائل دونها يسترها.

وقيل لعائشة رضي الله عنها: ياأمّ المؤمنين، ماتقولين في الخِضاب والصّباغ والتّمائم والقُرطين والخلخال وخاتم الذّهب ورقاق الثّياب؟

فقالت: يامعشر النّساء، قصّتكنّ قصّة امرأة واحدة، أحلّ الله لكنّ الزّينة، غير متبرّجات لمن لايحلّ لكنّ أن يَروا منكنّ محرّمًا.

وقال عَطاء: هذا في بيوتهنّ، فإذا خرجت فلايحلّ لها وضع الجلباب.

وعلى هذا ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾ غير خارجات من بيوتهنّ، وعلى هذا يلزم أن يقال: إذا كانت في بيتها فلابدّ لها من جلباب فوق الدّرع. وهذا بعيد، إلّا إذا دخل عليها أجنبيّ.

ثمّ ذكر تعالى أنّ تحفّظ الجميع منهنّ، واستعفافهنّ عن وضع الثّياب، والتزامهنّ مايلزم الشّباب أفضل لهنّ وخير.

ثمّ قيل: من التّبرّج أن تلبس المرأة ثوبين رقيقين يصفانها.

روى «الصّحيح» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنفان من أهل النّار لم أرهما: قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها النّاس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مُميلاتٌ مائلات، رؤوسهنّ كأسنمة البُخت المائلة، لايدخلن الجنّة ولايجدن ريحها، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

قال ابن العَرَبيّ: وإنّما جعلهنّ كاسيات، لأنّ الثّياب عليهنّ، وإنّما وصفهنّ بأنّهنّ عاريات، لأنّ الثّوب إذا رقّ يصفهنّ، ويبدي محاسنهنّ، وذلك حرام.

قلت: هذا أحد التّأويلين للعلماء في هذا المعنى. والثّاني: أنّهنّ كاسياتٌ من الثّياب، عارياتٌ من لباس التّقوى الّذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ الأعراف: ٢٦. [إلى أن قال:]

وهذا التّأويل أصحّ التّأويلين، وهو اللّائق بهنّ في هذه الأزمان، وخاصّة الشّباب، فإنّهنّ يتزيّنّ ويخرجن متبرّجات، فهنّ كاسيات بالثّياب، عاريات من التّقوى حقيقةً، ظاهرًا وباطنًا، حيث تُبدي زينتها ولاتُبالي بمن ينظر إليها، بل ذلك مقصودهنّ، وذلك مشاهد في الوجود منهنّ. فلو كان عندهنّ شيء من التّقوى لما فعلن

ذلك، ولم يعلم أحد ما هنالك.

وممّا يقوّي هذا التّأويل ماذكر من وصفهنّ في بقيّة الحديث، في قوله: «رؤوسهنّ كأسنمة البُخت».

والبُخت ضرب من الإبل عظام الأجسام، عظام الأسنمة، شُبّه رؤوسهنّ بها لما رفعن من ضفائر شعورهنّ على أوساط رؤوسهنّ.

وهذا مشاهد معلوم، والنّاظر إليهنّ ملوم. قال ﷺ: «ماتركت بعدي فتنةً أضرّ على الرّجال من النّساء». (١٢: ٣٠٩ـ ٣١١)

البُرُوسَويّ: أصل التّبرّج: التّكلّف في إظهار مايُخفى، خصّ بكشف عورة زينتها ومحاسنها للرّجال. والمعنى حال كونهنّ غير مظهرات لزينة خفيّة كالسّوار والخلخال والقلادة، لكن لطلب التّخفيف جاز الوضع لهنّ. (٦: ١٧٨)

القاسميّ: أي مظهرات لزينة خفيّة، يعني الحليّ في مواضعه المذكورة، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ النّور: ٣١.

أو المعنى غير قاصدات بالوضع التّبرّج، ولكن التّخفّف إذا احتجن إليه. (١٢: ٤٥٥٠)

عِزّة دَرْوَزَة: عدم إظهار الزّينة وأماكنها لغير المحارم، فجاءت هذه الآية تستدرك بشأن النّساء اللّاتي لايخاف من فتنتهنّ استدراك إجازة وتيسير، مع التّنبيه على وجوب الاحتشام وعدم التّظاهر بالزّينة على كلّ حال.

والمقطع الأخير الّذي انتهت به الآية، يلهم أنّ هذا التّنبيه لتفادي مايمكن أن يجلبه التّخفّف من الثّياب أكثر من المعقول، على هؤلاء أيضًا من النّقد والتّثريب. (١٠: ٧٧)

الوُجوه والنّظائر

الدّامغانيّ: البُرج على ثلاثة أوجه: النّجم، القصر، الوُسع.

فوجه منها: البُرج يعني النّجم، قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ البروج: ١، أي ذات النّجوم، كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ الفرقان: ٦١، يعني النّجوم.

والوجه الثّاني: البُروج يعني القصور، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النّساء: ٧٨، يعني القصور في السّماء.

والوجه الثّالث: البُرج: الوسع، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ الأحزاب: ٣٣، أي تتوسّعن في المشي. (١٣٩)

الفيروز اباديّ: وهو القصر، وجمعه: بُروج. وقد جاء في القرآن على وجوه ثلاثة:

الأوّل: بمعنى مدار الكواكب ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ البروج: ١، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ الفرقان: ٦١، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ الحجر: ١٦.

والثّاني: بمعنى القصور ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النّساء: ٧٨، أي قصور محكمة مطوّلة.

قيل: يجوز أن يراد بها بُروج في الأرض، وأن يراد بُروج النّجوم، ويكون استعمال لفظ المشيّدة فيها على سبيل الاستعارة. [ثمّ استشهد بشعر]

وأن يكون البُروج في الأرض. [ثمّ استشهد بشعر]

وثوب مبرّج: صُوّر عليه بُروج.

الثّالث: بمعنى التّزيُّن والتّوسّع ﴿وَلَاتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الأحزاب: ٣٣، ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾ النّور: ٦٠.

وهذا كلّه مأخوذ من «المُبرّج» في اعتبار حسنه، فقولهم: تبرّجت المرأة: تشبّهت بالمُبرّج في إظهار المحاسن.

وقيل: ظهرت من بُرجها، أي قصرها. والبَرَج: سَعَة العين، وحسنها، تشبيهًا بالبُرج في الأمرين. [ثمّ استشهد بشعر] (بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٣٤)

الأُصول اللّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة «البُرج» وهو ركن أو بناء شاهق، كبُرج الحصن والقصر، وسمّيت بروج الفلك بهذا الاسم نظرًا إلى نسبة فواصل بعض نجومها عن بعض، كأنّه يتصوّر فيه من النّجوم بناء مرتفعًا يُشبه برجًا، فيدخل القمر في سيره كلّ شهر بُرجًا من هذه البروج، ثمّ يجتازه.

وقد استعمل البُرج بعد ذلك في الظّهور والبروز والاتّساع، فأطلقوا على اتّساع العين وظهور بياضها البَرَج.

٢ـ وقد قطع من تكلّم فيه من المعاصرين بأنّه معرّب اللّفظ اليونانيّ «پرگس»، أي الحافّات البارزة فوق جدران المدينة، ثمّ انتقل هذا المعنى إلى الألمانيّة بلفظ «برگ»، وإلى الفرنسيّة بلفظ «بورجو»، ومنه اشتقّ لفظ «بورجوس» و«بورجوسي»، أي البرجوازيّة، وهي تعني بالفرنسيّة السّكن في البروج، إشارة إلى رغد العيش والرّفاه.

٣ـ ولكنّ هذا الرّأي لو صحّ يستند إلى لفظ «بروج» جمعًا دون مفرده المستعمل في العربيّة بلفظ «بُرج» وفي السّريانيّة بلفظ «بُرجا».

الاستعمال القرآنيّ

جاءت خمسة ألفاظ من هذه المادّة في ستّ آيات:

١ـ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَاتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ الأحزاب: ٣٣

٢ـ ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ النّور: ٦٠

٣ـ ﴿أَيْنَ مَاتَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النّساء: ٧٨

٤ـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ البروج: ١

٥ـ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ الحجر: ١٦

٦ـ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ الفرقان: ٦١

يلاحظ أوّلًا: أنّه لم يرد من هذه المادّة أفعال، سوى فعل واحد ثلاثيّ مزيد فيه، وهو (تَبَرَّجْنَ)، مسبوق بـ(لا) النّاهية، وهو خطاب للنّساء، نهاهنّ الله فيه عن السّفور وإظهار محاسنهنّ لغير محارمهنّ، وعدّ سبحانه ذلك تقليدًا من تقاليد الجاهليّة الأُولى. وقد أُكّد الفعل في الآية الأُولى بمصدر نوعيّ هو (تَبَرُّجَ)، وورد مثل هذا

التّحذير في استعمال اسم من هذا الفعل في الآية الثّانية.

ثانيًا: جاء في الآيات (٣) إلى (٦) لفظ «البروج» وقد استعمل في (٣) استعمالًا يستأنس به النّاس، بما رأوا من البروج في أرجاء المعمورة. أمّا في سائر الآيات فقد استعمل هذا اللّفظ في وصف ما في السّماء من البروج، تشبيهًا لها بما تعرفه النّاس في الأرض من البروج المشيّدة، لاستعلائها وشموخها.

ثالثًا: نرى أنّ «البروج» في هذه الموارد اصطلاح فلكيّ، استعمله القرآن لشيوعه عند العرب حينذاك، ونظيره المشرق والمغرب ونحوهما. ولم يأخذه من الفلكيّين، وهو باب من المعارف القرآنيّة؛ إذ أنّه لم يُستعمل إلّا ماشاع عند النّاس، دون ما تعارف في العلوم.

رابعًا: جاء من هذه المادّة في القرآن فعل ومصدر واسم وصفة، وقد جاء الاسم جمعًا أربع مرّات بمعنيين كما سبق: البروج الأرضيّة مرّة واحدة، والبروج السّماويّة ثلاث مرّات، بنسبة ٤: ١، وذلك لخفائها رغم عِظَمها، فاقتضى الأمر تكرارها، بخلاف ما في الأرض لوضوحها. كما أنّ النّسبة بين المشتقّ والاسم الجامد كنسبة ٣: ٤، بزيادة الجامد درجة واحدة.

خامسًا: أنّ الإتيان بصيغة الجمع في الموارد الأربعة يزيد في عَظَمتها وأُبّهتها اتّساعًا بين اللّفظ والمعنى.

سادسًا: لم يأت المشتقّ منها إلّا من باب التّفعّل، وفيه إشعار بالتّكلّف المعمول به عند النّساء، في إبراز جمالهنّ بكلّ وسيلة، وقد ورد لها ـ كما سبق في النّصوص ـ معنيان: التّزيّن والتّبرّز، ولعلّها أُخذا معًا من الآيات، وأنّ المراد بها التّكلّف في الأمرين: التّزيّن بكلّ وسيلة، والبروز في كلّ مناسبة، وهذا تعبير وافٍ عن شيمة النّساء وديدهنّ في إبراز محاسنهنّ.

سابعًا: التّقييد بـ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ ليس للتّخصيص، بل للإدانة والتّقبيح، فيشمل كلّ تبرّج خارج عن حدّ العفّة والشّريعة، وقد حدّدها القرآن في آيات أُخرى.

ثامنًا: منع القرآن النّساء من إبداء الزّينة كما منعهنّ من التّبرّج؛ حيث قال مرّتين في آية واحدة: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ اٰبَائِهِنَّ...﴾ النّور: ٣١. ومنعهنّ أيضًا من ضربهنّ بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من زينتهنّ، تأكيدًا لعدم إبداء الزّينة.

والمطلوب في الآية مطلق إبداء الزّينة، إلّا ما استثني في موردين، أحدهما: إبداء ما ظهر منها طبعًا. وثانيهما: إبداؤها لأشخاص معدودين. ويبدو أنّ إبداء الزّينة جزء من التّبرّج وليس عينه، أو هو أوّل مرحلة منه، لاحظ «ب د و».


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب ر ح

لفظان ، ٣ مرّات مكّيّة ، في ٣ سور مكّيّة

أَبْرَح ٢ : ٢ نَبْرَح ١ : ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: بَرِحَ الرّجل يَـبرَحُ بَـراحًـا ، إذا رام من موضعه . وأبرَحته : رِمتُه . وقول الأعشى:

أبرَحْتَ رَبًّا وأبرَحْتَ جارًا

أي أعظَمتَ ، واتّخذته عظيمًـا.

ومابَرِحتُ أفعل كذا ، أي مازِلتُ.

وقولهم : بَرِحَ الخفاء ، أي ذهب ، قال :

بَرِحَ الخفاء ومالدىَّ تَجلُّدُ

وأرضٌ بَراحٌ : لابناء فيها ولاعُمران.

والبُرَحاء : الحُمّى الشّديدة.

وتقول : بَرّح بـنا فُـلانٌ تـبريحًا ، إذا آذاك بـإلحاح المشقّة ، قال ذوالرُّمّة:

لنا والهوَى بَرْحٌ على من يغالبه

والتّباريح : كُلَفُ المعيشة في مشقّة ، والاسم : التبرُّح.

وتقول : ضربته ضَرْبًا مُبرِحًا ، ولاتقول : مُـبرِّحًا.

وهذا الأمر أبرَحُ عليّ من ذاك ، أي أشـقّ وأشـدّ . [ثمّ استشهد بشعر]

والبَراح : البيان ، تقول : جاء الكفر بَراحًـا : وعـلى هذا المعنى يجوز : بَرِح الخفاء ، أي ظهر ماكُنت أُخفي.

والبُروح : مصدر البارح ، وهو خلاف السّانح من الظِّباء والطَّير ، ومايُتيمّن به أو يُتشاءم به . [ثمّ استشهد بشعر]

والبـارح من الرّيـاح : ماتحمِل التّراب في شـدّة الهُبوب . [ثمّ استشهد بشعر] (٣ : ٢١٥)

اللَّيث : يقال للمحموم الشّـديد الحُمّى : أصـابَته البُرَحاء ، ويقال : بَرّحَ بنا فلانٌ تَبريحًا فهو مُبرِّحٌ ، وأنا مُـبرَّح ، إذ آذاك بـإلحاح المشـقّة ، والاسم : التّـبريح والبَرْح . [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ٥ : ٢٨)

الكِسائيّ : لقيت منه البِرَحين والبُرَحين .

مثله أبوعُبَيد. (الأزهَريّ ٥ : ٢٩)

أبوعمروالشّيبانيّ: وبَرْحَى له ومَرحى، إذا تَعجّب منه. [ثمّ استشهد بشعر]

بُرْحَة كلّ شيء: خياره، ويقال للبعير: هو بُرْحَة من البُرَح، يريد أنّه من خيار الإبل.

وأبرَحَ فلانٌ، رجلًا، إذا فضّله. (الأزهَريّ ٥: ٢٩)

ويقال: أبرَحْتَ لُؤمًا وأبرَحْتَ كَرَمًا.

(ابن فارِس ١: ٢٤٠)

الفَرّاء: بعيرٌ بُرْحَة من البُرَح: وهو الخيار، أعطني بُرَح إبلك، وهو من قوله: أبرَحْتَ ربًّا وأبرَحْتَ جارًا، أي أعظَمْتَ. (الصّاحِب ٣: ٨٨)

لقيتُ منه بنات بَرْح وبني بَرْح، كلّ ذلك معناه الدّاهية والشّدّة. (الأزهَريّ ٥: ٢٩)

قلنا للحسَن: ماقوله: ضَرْبًا غير مُبرِّح» قال: غير مؤثّر. (الأزهَريّ ٥: ٣٠)

وبَرِح بالفتح أيضًا، أي مضى، ومنه سمّيت البارحة.

(ابن فارِس ١: ٢٣٨)

بِراح بكسر الباء، وهي باء الجرّ، وهو جمع راحة، وهي الكفّ، أي استُرِيح منها. (ابن منظور ٢: ٤٠٩)

ابوعُبَيْدَة: في المثَل: «ماأشبه اللّيلة بالبارحة» للشّيء ينتظره خيرًا من شيء، فيجيء مثله.

(ابن فارِس ١: ٢٣٩)

أبوزَيْد: البَرْح: العذاب والشّدّة، ومن ذلك قولهم: بَرَحْتُ بفلان. (٥٥)

يقال: دَلَكَتْ بَراحِ وبَراحُ تكسَر وتضمّ، وهو اسمٌ للشّمس معروف. [ثمّ استشهد بشعر] (٨٨)

البَوارح: الشّمالُ، في الصّيف خاصّة.

(الأزهَريّ ٥: ٢٨)

دَلَكَتْ بَراحِ مجرور منوّنٌ ودَلَكَتْ بَراحُ مضموم غير منوّن. (الأزهَريّ ٥: ٣٠)

تقول ـ مُذْ غُدْوَة، إلى أن تزول الشّمس ـ رأيت اللّيلة في منامي، فإذا زالت الشّمس قلتَ: رأيتُ البارحة. (ابن سيدة ٣: ٣٢٥)

الأصمَعيّ: إذا تمدّد المحموم للحُمّى فذلك المُطَوَاء، فإذا تثاءب عليها فهي الثُّؤباء، فإذا عرق عليها فهي الرُّحَضاء، فإن اشتدّت الحُمّى فهي البُرَحاء.والبُرَحاء: الشّدّة والمشقّة.

أبرَحْتَ: بالَغتَ لُؤمًا، وأبرَحْتَ كرَمًا، أي جئت بأمر مُفرِط. (الأزهَريّ ٥: ٢٩)

يقال: بَرِح الخفاء، وذلك إذا ظهر. وأصله من البَراح، والبَراح: المُتّسع من الأرض المُستوي، تقول: صار في بَراح، أي في أمر مُنكشِف. (الحَرْبيّ ٢: ٨٤٤)

أبوعُبَيْد: في حديث أبي وائل في قول الله عزّوجلّ: ﴿أَقِمِ الصَّلٰوةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ الإسراء: ٧٨، دلوكها: غروبها، وهو في كلام العرب: دَلَكَتْ بِراح.

قوله: دَلَكَتْ بِراح، يقول: غابت، وهو ينظر إليها، وقد وضع كفّه على حاجبه، ومنه قول العجّاج:

أدفعها بالرّاح كي تَزَحْلَفا

وفيه لغة أُخرى، يقال: دَلَكَت بَراحِ، مثل قَطامِ ونَزالِ، غير منوّنة. (٢: ٣٨٧)

البِراح: المكاشفة، يقال: بارَح بِراحًا: كاشف. وأحسب أنّ البارح الّذي هو خلاف السّانح من هذا، لأنّه شيء يبرز ويظهر.

يقال: ماأبرَح هذا الأمر، أي أعجبه. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن فارس ١: ٢٣٩)

ابن الأعرابيّ: دَلَكَتْ بِراحِ، أي استُرِيح منها. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ٥: ٣٠)

يقال: أبرَحْتُ بفلان، أي حمّلته على مالايُطيق، فَتَبَرَّح به وغمّه، وأنشد:

أبرَحْتَ مُغْروسًا وأنعَمْتَ غارسًا

البَرِيح: التّعَب. (ابن فارس ١: ٢٤٠)

والبَراح: الظّهور والبيان. وبَرِح الخفاء، وبَرَح ـ الأخيرة عن ابن الأعرابيّ ـ: ظهر. [ثمّ استشهد بشعر]

لقيتُ منه ابن بَرِيحٍ كذلك، والبَرِيح: التّعب أيضًا. (ابن سيدة ٣: ٢٤٣)

يقال: لقيته صَرْحَةً بَرْحَةً، أي لقيته ظاهرًا باديًا. (الخطّابيّ ١: ٦٩٠)

أبوحاتِم: بِرَاحِ، أي بَراحَةٍ، وبَراحُ بالضّمّ. (أبوزَيد: ٨٨)

ابن السِّكّيت: يقال: لها بَراح وبِراح ومَهاة. (٣٩٠)

والبِرَحين والبُرَحين، ولقيت منه بَرْحًا بارحًا، وبَنات بَرْحٍ وبني بَرْحٍ. (٤٣١)

الحَرْبيّ: وله بارح ليله، أي ماكان من ريح، فنسوبٌ إليه. (٢: ٥٧١)

شَمِر: في حديث عِكْرِمَة: أنّ النّبيّ ﷺ «نهى عن التّوليه والتّبريح».

والتّبريح: قَتْل السّوء. (الأزهَريّ ٥: ٣١)

نحوه الزَّمَخْشَريّ. (الفائق ٤: ٧٩)

والبَوارح: الأنواء. (ابن سيدة ٣: ٣٢٥)

المُبَرِّد: والعرب تزجر على السّانح وتتبرّك به، وتكره البارح وتتشاءم به. والسّانح: ماأراك ميايره فأمكن الصّائد، والبارح: ماأراك مَيامِنه فلم يمكن الصّائد إلّا أن ينحرف له. (١: ١٨٩)

والتّباريح: الشّدائد، يقال: بَرَّح به. وفي الحديث: «فأين أصحاب النّهر؟ قال: لقوا بَرْحًا» والعرب لاتعرفه إلّا ساكن الرّاء. [ثمّ استشهد بشعر]

قال أبوالحسَن: وقد سمعنا من غير أبي العبّاس يقال: لقيتُ منك بَرَحًا بالفتح، ويقال: لقي منه البُرَحين، أي الدّواهي الشّداد الّتي تُبَرِّح. (٢: ١٥)

ابن دُرَيْد: والبَرْح من قولهم: جاء فلانٌ بالبَرْح، إذا جاء بالأمر العظيم. وبنات بَرْحٍ: الدّواهي ومَثَلٌ للعرب إذا استعظموا الشّيء قالوا: إحدى بنات بَرْح شَرَكٍ على رأسك.

وبَرَّح بي هذا الأمر، إذا غلظ عليّ واشتدّ. والتّبريح والتّباريح مأخوذٌ من البَرْح أيضًا.

والبُرَحاء من قولهم: جاء بالبُرَحاء، إذا جاء بالدّاهية، وجاء بالبِرَحين والبُرَحين والبَرَحين.

قال الشّيخ أبوبكر: والبِرحين لاأعرفها في معنى البُرَحاء، وقد سمّت العرب «يبرحا» وهو من البَرْح، الياء زائدة.

والبارح: الرّيح الشّديدة الّتي تُهيّج الغبار، وهي أنواء معروفة. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَراح: الأرض المنكشفة الظّاهرة، ومن ذلك قولهم: بَرِحَ الخفاء، أي ظهر، وأوّل من قاله شِقّ

الكاهن، وله حديثٌ.

فمن قال: بَرَحَ الخفاء بفتح الرّاء، فإنّه أراد الانكشاف. ومن قال: بَرِحَ بكسر الرّاء، فإنّه أراد زال الخفاء، من قولك: مابَرِحْت من مكاني، أي مازلت عنه.

وأكثر مايستعمل في النّفي، مابَرِحْتُ ولاأبْرَح، ولايقولون: بَرِحْتُ أمس وبَرِحْتُ اليوم، إلّا أنّهم يقولون: بَرِحَ كذا وكذا، أي زال.

وتسمّى الشّمس بَراحِ، معدولٌ عن البَرَح. [ثمّ استشهد بشعر]

ويروى للشّمس «حتّى دَلَكَت بِراحِ» يريد أنّها تدلّت في المغرب، فهو يحجُبها عن عينه بَراحته.

ومن قال: بَراحِ، أراد الشّمس بعينها إذا دَلَكَت فمالت، والدّلوك عندهم: الميل من المشرق إلى المغرب.

ومن قال: بِرَاحِ، أراد أنّه ردّها براحته. [ثمّ استشهد بشعر]

ويسمّى الأسد حَبيل بَراحٍ، وكذلك الرّجل الشّجاع أيضًا، أي كأنّه قد شدّ بالحبال فلايَبْرَح.

والبارحة: اللّيلة الماضية. [ثمّ استشهد بشعر]

وتقول: «مابَرِحْتُ من المكان بَراحًا وبُروحًا، أي مازُلْتُ، وبَرِحْتُ فعل كذا وكذا، أي زُلتُ. [ثمّ استشهد بشعر]

وللعرب كلمتان عند الرّمي، إذا أصاب قالوا: مَرْحى، وإذا أخطأ قالوا: بَرْحَى، في وزن «فَعْلى».

(١: ٢١٧)

ابن الأنباريّ: والبَراح: مابرز من الأرض.

(١١١)

القاليّ: وأبْرَح: أشدّ. (١: ١٤٧)

يقال: بَرِح الخفاء، أي ظهر الأمر، وصار كأنّه في بَراحٍ، وهو المكان المستوي المتّسع. وقال اللّحيانيّ: قال بعضهم: بَرِح الخفاء، أي ذهب السّرّ وظهر. وقال بعضهم: الخفاء: المتطأطئ من الأرض. والبَرَاح: المرتفع الظّاهر، فيقول: ارتفع المتطأطئ حتّى صار كالمرتفع الظّاهر. (١: ٢١٥)

سأل يونس رُؤْبة: وأنا شاهدٌ عن السّانح والبارح، فقال: السّانح: ماولّاك مَيامِنه، والبارح: ماولّاك مَياسِره. وقال غيره: السّانح: مامرّ على يمينك، والبارح: مامرّ على يسارك.

وأكثر العرب تتبرّك بالسّانح، وتتشاءم بالبارح، وفيهم قوم يتبرّكون بالبارح، ويتشاءمون بالسّانح.

(٢: ٢٤٤)

الأزهَريّ: وقول العرب: بَرِح الخفاء، قال بعضهم: معناه زال الخفاء، وقيل: معنى بَرِح الخفاء، أي ظهر ماكان خافيًا وانكشف، مأخوذ من بَراح الأرض، وهو الظّاهر البارز.

والبارِح من الظّباء والطّير خلاف السّانح.

وقال ابن كُناسة: كلّ ريح تكون في نجوم القيظ فهي عند العرب بَوارح، قال: وأكثر ماتهُبّ بنجوم الميزان، وهي السّمائم. [ثمّ استشهد بشعر]

يقال: لقيت منه بَرْحًا بارحًا.

وقال ابن بُزُرْج: قالوا للمرأة: أبرَحْتِ عائذًا، وأبرَحْتِ العائذ، إذا تَعجّب من جمالها، وهي والدٌ ذات صبيّ.

قال المُنذريّ: بَرَّح الله عنه، أي فَرَّجَ الله عنه، وإذا غضب الإنسان على صاحبه قيل: ماأشدّ مابَرِح عليه.

والعرب تقول: فعلنا البارحة كذا وكذا، لِلَّيلة الّتي مَضَتْ، يقال ذاك بعد زوال الشّمس، ويقولون قبل الزّوال: فعلنا اللّيلة كذا وكذا، وقول ذي الرّمّة:

تَبَلَّغ بارِحيّ كَرَاهُ فيه

قال بعضهم: أراد النّوم الّذي شقّ عليه أمره لامتناعه منه؛ ويقال: أراد نوم اللّيلة البارحة.

والعرب تقول: ماأشبه اللّيلة بالبارحة، أي ماأشبه اللّيلة الّتي نحن فيها باللّيلة الأُولى الّتي قد بَرِحَتْ أو زالَتْ ومضَتْ.

ويقال للشّمس إذا غرَبت: دَلَكَت بَراحِ ياهذا، على «فَعَالِ» المعنى أنّها زالت وبَرِحَت حين غربت. وبَراحِ بمعنى بارِحة، كما قالوا لكلب الصّيد: كَسابِ بمعنى كاسِبَة، وكذلك حَذامِ بمعنى حاذِمة.

ومن قال: دَلَكَت الشّمس بِراحٍ، فالمعنى أنّها كادَتْ تغرُب، وقد وضع يده على حاجبه ينظر زوالها أو غروبها. (٥: ٢٨)

الصّاحِب: بَرِح الرّجل بَراحًا، إذا رام من موضعه، وأبرَحْته أنا. ومابَرِحْتُ أفعل كذا، أي مازِلْتُ.

ويقولون: لم يتَبَرَّح، أي لم يَبْرَح.

وقولهم: بَرِح الخفاء، أي ظهر وانكشف.

والبَراح: البيان، جاء بالكفر بَراحًا. والأرض البَراح: الّتي لابناء فيها.

ويقال للمحموم الشّديد الحُمّى: أصابته البُرَحاء.

والتّباريح: كُلَفُ المعيشة في مشقّة. وبَرَّحَ بنا فلانٌ تبريحًا فهو مُبرِّحٌ، إذا آذاك بالإلحاح.

وأبرَحَ به إبراحًا، أي مَدَحه وكَرَّمَه، وبَرَح به، مُخفَّفٌ. وضرَبته ضَرْبًا مُبرِّحًا بالكسر لاغير.

وهذا الأمر أبرَحُ من ذاك، أي أشقّ. وبَرَحَ فلانٌ عليّ يَبْرَح، أي غَضِب. والبَراح: الرّأي المُنكَر.

والبُرُوح: مصدر البارح، وهو خلاف السّانح، من الظِّباء والطَّير.

وفي المَثَل: «إنّك لكَبارح الأروى قليلًا ماتُرى» يقال ذلك للرّجل إذا أبطأ الزّيارة. وقيل: يُضرَب مثلًا للشُّوم، لأنّ «الأروى» يُتشاءم بها.

والبارح من الرّياح: الّتي تحمل التّراب في شدّة الهُبوب.

و«لقيتُ منه البِرَحِين والبُرَحِين» أي الدّاهية، وقد يُفتَح الباء. وبنات بَرْحٍ، مثله. والبَرْح: العَجَب.

وأبرَحَ فلان فلانًا: أي فضّله. وبَرّح الله عنه: أي فرّج وكشف.

وبَرَحَ: مضى، ومنه قيل للّيلة الماضية: البارحة، لأنّها بَرِحَتْ فَمَضَتْ.

وبَراحِ: اسمٌ للشّمس، على حَذامِ، يقولون: دَلَكَتْ بَارِحِ وبَراحٌ، يُضمّ بتنوين.

وبَرْحَى على «فَعْلَى» يقال: للرّامي إذا أخطأ.

ويقال للغُراب: ابن بَرِيحٍ، وهو من السّنيح والبَرِيح.

وبُرَحايا: اسمُ وادٍ. (٣: ٨٧)

الخَطّابيّ: والبَراح، مثل البَواح أو قريبٌ منه، وأصل البَراح: الأرض القَفْر الّتي لاأنيس بها ولابناء فيها. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٦٩٠)

الجَوهَريّ: لقيت منه بَرْحًا بارحًا، أي شدّةً وأذًى. [ثمّ استشهد بشعر]

ولقيت منه بنات بَرْحٍ، وبني بَرْحٍ، ولقيت منه البِرَحِين والبُرَحين، بكسر الباء وضمّها، أي الشّدائد والدّواهي.

ويقال: هذه بُرحَةٌ من البُرَح بالضّمّ للنّاقة، إذا كانت من خيار الإبل.

والبارح: الرّيح الحارّة.

والبارحة: أقرب ليلة مَضَتْ، تقول: لقيته البارحة، ولقيته البارحة الأُولى، وهو من بَرِح، أي زال.

وبُرَحاء الحُمّى وغيرها: شدّة الأذى، تقول منه: بَرّح به الأمر تبريحًا، أي جهده، وضربه ضَرْبًا مُبرِّحًا.

وتباريح الشّوق: توهّجُه.

وهذا الأمر أبرَح من هذا، أي أشدّ.

وقتلوهم أبرَح قتل، وأبرَحَه، أي أعجبه، يقال: ماأبرَحَ هذا الأمر. [ثمّ استشهد بشعر]

وأبرَحَه أيضًا: بمعنى أكرمه وعظّمه.

والبَراح، بالفتح: المتّسع من الأرض، لازرع فيه ولاشجر.

وجاءنا بالأمر بَراحًا، أي بيّنًا. والبَراح: مصدر قولك: بَرِحَ مكانه، أي زال عنه وصار في البَراح.

وقولهم: لابَراحَ، منصوبٌ كما نُصب قولهم: لاريبَ. ويجوز رفعه، فتكون «لا» بمنزلة ليس». [ثمّ استشهد بشعر]

وبَرِح الخفاء، أي وضح الأمر، كأنّه ذهب السّرّ وزال.

ولاأبرَح أفعل ذاك، أي لاأزال أفعله.

وبَراحِ مثل قَطامِ: اسمٌ للشّمس. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَرَحَ الظّبيُ بالفتح بُروحًا، إذا أولاك مَياسره، يمُرّ من مَيامنك إلى مَياسرك. والعرب تتطيّر بالبارح وتتفاءل بالسّانح، لأنّه لايمكنك أن ترميه حتّى تنحرف.

وفي المثَل: «إنّما هو كبارح الأروَى»، لأنّ مساكنها في الجبال في قِنانها، لايكاد النّاس يرونها سانحةً ولابارحة، إلّا في الدّهور مرّةً.

وأُمّ بَريحٍ: اسمٌ للغراب.

وبَرْحى على «فَعْلى»: كلمة تقال عند الخطإ في الرّمي، ومَرْحى عند الإصابة. (١: ٣٥٥)

ابن فارِس: الباء والرّاء والحاء أصلان، يتفرّع عنهما فروعٌ كثيرةٌ. فالأوّل: الزّوال والبروز والانكشاف، والثّاني: الشّدّة والعِظَم وماأشبههما.

أمّا الأوّل، فقال الخَليل: بَرِحَ يَبرَح بَراحًا، إذا رام من موضعه، وأبرحته أنا.

قال العامريّ: يقول الرّجل لراحلته إذا كان بطيئةً: لاتَبرَحُ بَراحًا يُنتفع به. ويقال: مابرحت أفعل ذلك، في معنى مازِلْتُ.

ويقول العرب: بَرِح الخفاء أي انكشف الأمر. [ثمّ استشهد بشعر]

قالوا: البارحة: اللّيلة الّتي قبل ليلتك، صفة غالبةٌ لها، حتّى صار كالاسم، وأصلها من بَرِح، أي زال عن موضعه.

يقول العرب في أمثالها: «هو كبارح الأروَى قليلًا

مايُرى» يُضرب لمن لايكاد يُرى، أو لايكون الشيء منه إلّا في الزّمان مرّةً.

وأصله: أنّ الأروَى مساكنها الجبال وقنانها، فلايكاد النّاس يَرونها سانحةً ولابارحةً إلّا في الدّهر مرّةً. وقد ذكرنا اختلاف النّاس في ذلك في كتاب السّين، عند ذكرنا للسّانح.

ويقال في قولهم: «هو كبارح الأروَى» إنّه مشؤومٌ من وجهين، وذلك أنّ الأروَى يُتشاءم بها حيث أتتْ، فإذابرَحتْ كان أعظم لشُؤمها.

والأصل الآخر قال أبوعُبَيْد: يقال: ماأبرَح هذا الأمر، أي أعجبه. ويقال: بَرْحَى له، إذا تعجّبت له.

ويقال: البعير بُرْحَةٌ من البُرَح، أي خيار، وأعطني من بُرَح إبلك، أي من خيارها.

فأمّا قول القائل عند الرّامي إذا أخطأ: بَرْحَى، على وزن «فَعْلَى» فقال ابن دُرَيْد وغيره: إنّه من الباب كأنّه قال: خُطّة بَرْحَى، أي شديدة. (١: ٢٣٨)

أبوهلال: الفرق بين قولنا: لم ينفكّ، ولم يبرح، ولم يزل:

أنّ قولنا: لم ينفكّ، يقتضي غيرًا لم ينفكّ منه، وهويُستعمل فيا كان الموصوف به لازمًا لشيءٍ أو مقارنًا له أو مُشبهًا بذلك.

ولم يبرح: يقتضي مكانًا لم يبرح منه، وليس كذلك لم يزل، فيا قال عليّ بن عيسى: إنّما يُستعمل فيا يوجب التّفرقة به، كقولك: لم يزل موجودًا وحده، ولايقال: لم ينفكّ زيد وحده.

وقال النّحويّون: «لم» حرف نفي، و«زال» فعل نفي، ومعناه ضدّ «دام» فلمّا دخلت عليه صار معناه «دام». فقولك: لم يزل موجودًا، بمعنى قولك: دام موجودًا، لأنّ نفي النّفي إيجاب، و«ما» في قولك: مازال، حرف نفي، وفي قولك: مادام، اسم مبهم ناقص، ودام صلتها. (١٢٥)

الثّعالبيّ: البَوارح: الشّمال المارّة في الصّيف. (٢٧٤)

ابن سِيدة: بَرِحَ بَرَحًا وبُروحًا وبَراحًا: زال. [ثمّ استشهد بشعر]

وتَبرّح: كبَرِحَ. [ثمّ استشهد بشعر]

وأبرَحَه هو، ومابَرِح يفعل كذا، أي مازال. وبَرِح الأرض: فارقها، وفي التّنزيل: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ يوسف: ٨٠

وحَبيل بَراحٍ: الأسد، كأنّه شُدّ بالحِبال فلايَبرَح، وكذلك الشّجاع.

وأرضٌ بَراحٌ: واسعةٌ ظاهرةٌ. وقيل: لانبات فيها ولاعُمران.

وبَراحِ وبَراحُ: اسمٌ للشّمس، معرفة، سمّيت بذلك لانتشارها وبيانها. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَرّح بنا وأبرَحَ: آذانا بالإلحاح، والاسم: البَرْح، ويوصف به فيقال: أمرٌ بَرْحٌ. [ثمّ استشهد بشعر]

وقالوا: بَرْحٌ بارِحٌ، وبَرْحٌ مُبْرِحٌ، على المبالغة. فإن دعوت به فالمختار النّصب، وقد يُرفع. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرْح: الشّرّ والعذاب الشّديد، وبَرّحَ به: عذّبه، والتّباريح: الشّدائد. وقيل: هي كُلَفُ المعيشة في مشقّة.

وضَرَبه ضَرْبًا مُبرِّحًا: شديدًا، وهذا أبرَحُ عليّ، أي

أشقّ وأشدّ. [ثمّ استشهد بشعر]

والبُرَحاء: الشّدّة، وخصّ بعضهم به شدّة الحُمّى، وبُرَحايا، في هذا المعنى.

ولقيتُ منه البِرَحين والبُرَحين والبَرَحين، أي الشّدّة، كأنّ واحد البِرَحين: بِرَح.

ولم يُنطَقْ به إلّا أنّه مقدّر، كأنّ سبيله أن يكون الواحد بِرَحَةً بالتّأنيث، كما قالوا: داهية ومُنكرة، فلمّا لم تظهر الهاء في الواحد جعلوا جمعه بالواو والنّون عوضًا من الهاء المُقدّرة، وجرى ذلك مجرى أرض وأرضين.

وإنّما لم يستعملوا في هذا الإفراد، فيقولون: بَرَحٌ، واقتصروا فيه على الجمع دون الإفراد، من حيث كانوا يصفون الدّواهي بالكثرة والعموم والاشتمال والغلبة.

والقول في الفِتَكْرِين والأُقْوَرِين كالقول في هذه.

ولقيتُ منه بني بَرْح وبناتِ بَرْح، أي الشّدّة كالبِرَحين.

والبَوارح: شدّة الرّياح من الشّمال في الصّيف دون الشّتاء، كأنّه جمع بارحة. وقيل: البوارح: الرّياح الشّدائد الّتي تحمل التّراب، واحدها بارح. وقيل: هي الشّمال في الصّيف حارّة.

والبارح: خلاف السّانح، وقد بَرَحَتْ تَبرَح بُروحًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وفي المثل: «من لي بالسّانح بعد البارح» يُضرب هذا للرّجل يُسيء إليه الرّجل، فيقال له: إنّه سوف يُحسِن إليك، فيَضرِب هذا المثل.

وأصل ذلك أنّ رجلًا مرّت به ظِباءٌ بارِحة، فقيل له: إنّها سوف تَسْنَح لك، فقال: من لي بالسّانح بعد البارح.

ويقال: «إنّك لكبارح الأرْوى قليلًا ما يُرى» يُضرَب ذلك للرّجل إذا أبطأ عن الزّيارة، وذلك أنّ «الأرْوى» تكون في الجبال، فلايقدر أحد عليها أن تَسْنَح له، وقد تقدّم تفسير السّانح والبارح، واختلاف العرب في التّيمّن بها والتّشاؤم.

ومأبْرَحَ هذا الأمر، أي ماأعجبه. [ثمّ استشهد بشعر]

والبارحة: اللّيلة الخالية، ولاتُحقّر.

وللعرب كلمتان عند الرّمي، إذا أصاب قالوا: مَرْحَى، وإذا أخطأ قالوا: بَرْحى.

وقول بَريحٌ: مُصَوَّت به. [ثمّ استشهد بشعر]

وابن بَريح: الغراب، معرفة، سمّي بذلك لصوته، وهنّ بناتُ بَريح.

وبَيْرَح: اسم رجل. (٢: ٣٢٢)

الرّاغِب: البَراح: المكان المُتّسع الظّاهر الّذي لابناء فيه ولاشجر، فيعتبر تارةً ظهوره، فيقال: فعل كذا بَراحًا، أي صَراحًا لايستره شيءٌ.

وبَرِح الخفاء: ظهر، كأنّه حصل في بَراح يُرى، ومنه بَراح الدّار. وبَرِحَ: ذهب في البَراح، ومنه البارح: للرّيح الشّديدة، والبارح: من الظّباء والطّير.

لكن خُصّ «البارح» بما ينحرف عن الرّامي إلى جهة لايمكنه فيها الرّمي، فيتشاءم به، وجمعه: بوارح. وخُصّ السّانح: بالمُقبل من جهة يمكن رميه، ويُتيمّن به.

والبارحة: اللّيلة الماضية. وبَرِح: ثبت في البَراح، ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿لَاأَبْرَحُ﴾.

وخُصّ بالإثبات، كقولهم: لاأزال، لأنّ بَرِحَ وزال

اقتضيا معنى النّفي، و«لا» للنّفي، والنّفيان يحصل من اجتماعهما إثبات، وعلى ذلك قوله عزّوجلّ: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ طه: ٩١، وقال تعالى: ﴿لَاأَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ الكهف: ٦٠.

ولمّا تُصوِّر من «البارح» معنى التّشاؤم اشتقّ منه: التّبريح والتّباريح، فقيل: بَرّحَ بي الأمر، وبَرّحَ بي فلانٌ في التّقاضي، وضرَبه ضَرْبًا مبرّحًا، وجاء فلانٌ بالبَرْح، وأبرَحْتُ رَبًّا وأبرَحْتُ جارًا، أي أكرمت.

وقيل للرّامي إذا أخطأ: بَرْحى، دعاءٌ عليه، وإذا أصاب: مَرْحَى، دعاء له، ولقيت منه البُرَحين والبُرَحاء، أي الشّدائد، وبُرَحاء الحُمّى: شدّتها. (٤١)

نحوه الفيروزاباديّ. (بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٣٦)

الزّمَخْشَريّ: لايَبرَح يفعل كذا، وبَرِح مكانه وأبرَحته أنا.

وبرّح بي فلانٌ: ألَحّ عليّ بالأذى والمشقّة، وأنا مُبرَّحٌ بي من قِبَله، وبه تباريح الشّوق وبُرَحاء الحُمّى، وبرّح به الهمّ، وضرَبه ضَرْبًا مُبرّحًا.

وأبرَحَ فلانٌ رجلًا، وأبرَح فارسًا، إذا فضّلته وتعجّبتَ منه. [ثمّ استشهد بشعر]

وأبرَحْتَ كرَمًا، وأبرَحْتَ لُؤمًا، وهذا الأمر أبرَحُ من ذاك. [ثمّ استشهد بشعر]

وريحٌ بارحٌ: شديدة. ولقيت منه بَرْحًا بارحًا، ولقيت منه بنات بَرْح.

وبَرّحَ الله عنك، أي كشف البَرْح ونفّس عنك.

وجرَى له البارح، أي الطّائر الأشأم.

ويقال للرّامي: بَرْحَى أم مَرْحى، وهي كلمة تقال عند الخطإ، ومَرْحَى عند الإصابة.

ونزلوا بالبَراح، وهي الأرض الواسعة.

وجاء بالكفر بَراحًا، وبالشّرّ صُراحًا.

ودَلَكَتْ بَراحِ: غابت الشّمس.

ومن المجاز: هذه قَتْلَةٌ بارحة: لم تقع على قصد وصواب، وقِتْلَةٌ بارحة: شَزْرٌ، أُخذت من الطّائر البارح.

وفي المثل: «بَرِحَ الخفاء» أي وَضَحَ الأمر وزالت خفيّته. (أساس البلاغة: ١٨)

إنّ أباطلحة قال له: «إنّ أحبّ أموالي إليّ بَيْرَحَى، وإنّها صدقة لله أرجو برّها وذُخرها عند الله. فقال رسول الله ﷺ: بَخٍ[1]. ذلك مالٌ رابحٌ، أو قال: رائحٌ».

بَيْرَحى: اسم أرض كانت له، وكأنّها «فَيْعَلى» من البَراح، وهي الأرض المنكشفة الظّاهرة.

(الفائق ١: ٩٣)

وفيها: «إنّ رسول الله ﷺ أخذه ماكان يأخذه من البُرَحاء عند الوحي». البُرَحاء: شدّة الكَرْب.

(الفائق ٤: ٧٣)

المَدينيّ: في حديث الإفك: «فأخذه البُرَحاء» أي شدّة الكَرْب؛ من قولهم: بَرّحتُ بالرّجل، إذا بلغتَ به غاية الأذى والمشقّة. وبَرّحَ الله عنه: فَرّج وكشف، ولقيتُ منه البَرْح، أي شدّة الأذى.

وهو في رؤيا أبي مَيْسَرة في أهل النّهروان «لقُوا بَرْحًا».

والتّباريح: كُلَفُ المعيشة في مشقّة.

---

(١) كلمة يقولها المتعجّب بالشّيء.

ومنه الحديث في النّساء: «اضربوهنّ ضربًا غير مُبرّح»: أي غير مؤثّرٍ ولاشاقٍّ، ولعلّه من «بَرِح الخفاء» أي ظهر، يعني ضربًا لايظهر أثره.

وفي حديث آخر: «بَرَّحَتْ بِيَ الحُمّى» أي أصابني منها البُرَحاء، وهي شدّتها.

وفي الحديث: «جاء بالكُفر بَراحًا» أي جِهارًا، وهو من «بَرِح الخفاء» أيضًا.

وفي الحديث: «حتّى دَلَكَتْ بَراحِ».

ذكره صاحب «الغريبين» في كتاب الرّاء، على أن تكون الباء مكسورة زائدةً، وقال: يعني أنّ الشّمس إذا مالت فالنّاظر إليها يضع راحته على عينيه يتوقّى شعاعها.

قيل: وهو مثل قولهم: أفغر النّجم، إذا استوى على رؤوسهم، لأنّ النّاظر إليه يُفغرفاه.

وهذا قولٌ بعيدٌ، لأنّ صاحب «العين والجمل» ذكرا أنّ «بَراحِ» بفتح الباء وكسر الحاء على وزن فَعالِ وحَذامِ وقطامِ: اسم للشّمس، والباء على هذا أصليّة غير ملصقة، قال الشّاعر:

هذا مقامُ قَدَمَيْ رَباحِ

غُدْوَةً حتّى دَلَكَتْ بَراحِ

وهذا القول أولى، لأنّ الشّمس لم يجر لها ذكرٌ يرجع الضّمير إليه.

وقيل: سمّيت به لأنّها لاتستقرّ، من قولهم: مابَرِح أي مازال، وغُدْوَةً غير منوّن، أي غُدْوةَ هذا اليوم، معرفة مؤنّث.

وقيل: بَراحِ: اسمٌ للشّمس معدول عن بارحة، سمّيت به لظهورها وانكشافها، من البَراح، وهو البِراز. وعلّة بنائها شبهُها بـ«فَعَالِ» في الأمر كنَزالِ.

في الحديث: «أحبُّ مالي إليّ بَيْرَحى».

قال الزّمخشريّ: هو «فَيْعَلى» من البَراح، وهو الأرض الظّاهرة، وقد يروى على غير هذا.

في الحديث: «رأيتُ البارحة كذا» أي اللّيلة الّتي مَضَتْ، يقال: بَرِح، أي مضى، ومابَرِح، أي لم يَزَل.

تقول العرب: فعلت اللّيلة كذا، إذا أخبرتَ به في أوّل النّهار إلى نصفه، فإن أخبرتَ بعد الظّهر قالت: فعلتُ البارحة، هذا أصل كلامهم غير أنّ في الحديث رُوي: أنّ النّبيّ ﷺ قال ذلك بعد صلاة الغَداة.

(١: ١٤٣)

ابن الأثير: فيه: «أنّه نهى عن التّوليه والتّبريح» جاء في متن الحديث: أنّه قَتْل السّوء للحيوان، مثل أن يُلقي السّمكَ على النّار حيًّا.

وأصل التّبريح: المشقّة والشّدّة، يقال: بَرّح به، إذا شقّ عليه.

والحديث الآخر: «لقينا منه البَرْحَ» أي الشّدّة.

وحديث قتل أبي رافع اليهوديّ: «بَرَّحَتْ بنا امرأته بالصّياح».

وفيه «حين دَلَكَتْ بَراحِ» بَراحِ بوزن قَطامِ: من أسماء الشّمس. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل: إنّ الباء في «براح» مكسورة، وهي باء الجرّ، والرّاح: جمع راحة، وهي الكفّ، يعني أنّ الشّمس قد غرَبت أو زالت، فهم يضعون راحاتهم على عيونهم، ينظرون هل غرَبت أو زالت.

وهـذان القولان ذكرهما أبوعُبَيْد والأزهَريّ والهَرَويّ والزّمَخْشَريّ، وغيرهم من مفسّري اللّغة والغريب.

وقد أخذ بعض المتأخّرين القول الثّاني على الهَرَويّ، فظنّ أنّه قد انفرد به وخطّأه في ذلك، ولم يعلم أنّ غيره من الأئمّة قبله وبعده ذهب إليه.

وفي حديث أبي طلحة: «أحبّ أموالي إليّ بَيْرَحَى»، هذه اللّفظة كثيرًا ما تختلف ألفاظ المحدّثين فيها، فيقولون: بَيْرَحاء بفتح الباء وكسرها، وبفتح الرّاء وضمّها، والمدّ فيهما، وبفتحهما والقصر، وهي اسم مالٍ وموضع بالمدينة.

وفي الحديث «بَرِحَ ظَبْيٌ» هو من البارح ضدّ السّانح، فالسّانح: مامرّ من الطّير، والوحش بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك، والعرب تتيمّن به، لأنّه أمكن للرّمي والصّيد.

والبارح: مامرّ من يمينك إلى يسارك، والعرب تتطيّر به، لأنّه لايمكنك أن ترميه حتّى تنحرف. (١: ١١٣)

الصّغانيّ: يقال للأسد والشّجاع: حَبيل بَراح، أي كأنّ كلّ واحدٍ منهما قد شُدّ بالحبال فلايَبرَح.

وقال الأطبّاء: هو اسم لأصل غيره أيضًا. وهو شبيهٌ بصورة إنسان، فلهذا سمّي بَيْروحًا فإنّه اسم صنم، وهي لفظة سريانيّة، ومعناها: يَحُوزها الرّوح.

وقد سمّت العرب: بَيْرَحًا، على «فَيْعَل» وبَيْرَحى «فَيْعَلى»: أرضٌ بالمدينة، ومنه حديث أبي طلحة: قال يارسول الله، إنّ أحبّ أموالي إليّ بَيْرَحى، وإنّها صدقة لله أرجو بِرّها وذُخْرها عند الله. فقال رسول الله ﷺ: بَخٍ. ذلك مالٌ رابحٌ بَخٍ، ذلك مالٌ رابحٌ أو رائحٌ.

وقد صحّفها أصحاب الحديث فقالوا: بِئْرُحاء، وليست بِبئرٍ مضافة إلى حاءٍ كبئر رُومة، وبئر أريس، وبئر جَمَل وبئر بُضاعة، وبئر ذي أروانَ.

وأمْرٌ بَرِحٌ مثال عِنَبٍ، أي مُبَرِّحٌ.

والبَرُوح والبَرِيح: البارح من الصّيد. [ثمّ استشهد بشعر]

بَرِحَ عليّ، أي: غَضِبَ.

والبَرَاح: الرّأي المنكر.

وبعيرٌ بَرِحَةٌ من البُرَح، أي خيارٌ.

وبَرَّحَ الله عنه، أي فَرّجَ وكشف. (٢: ٧)

بَرِحَ: إذا ظهر، وإذا استتر.

(ثلاثة كتب في الأضداد: ٢٢٤)

أبوحَيّان: بَرِح: زال، مضارعه يزول، ويزال، فتكون من أخوات «كان» النّاقصة. (٦: ١٤١)

الفَيُّوميّ: بَرِح الشّيء يَبْرَح من باب «تَعِب» بَراحًا: زال من مكانه، ومنه قيل للّيلة الماضية: البارحة.

والعرب تقول قبل الزّوال: فعلنا اللّيلة كذا، لقربها من وقت الكلام، وتقول بعد الزّوال: فعلنا البارحة.

وبَرِحَت الرّيح بالتّراب: حَمَلَتْه، وَسَفَتْ به فهي بارحٌ. ومابَرِح مكانه: لم يفارقه، ومابَرِح يفعل كذا: بمعنى المواظبة والملازمة.

وبَرِح الخفاء، إذا وضح الأمر.

وبَرّح به الضّرب تبريحًا: اشتدّ وعَظُم. وهذا أبرَحُ من ذاك، أي أشدّ.

والبَرَاح مثل سلام: المكان الّذي لاسُتْرة فيه من

شجَر وغيره. (١: ٤٢)

الفيروز اباديّ:البَرْح: الشّدّة والشّرّ، وموضعٌ باليمن.

ولقِيَ منه بَرْحًا بارحًا: مبالغةٌ. ولقِيَ منه البُرَحين وتُثلّث الباء، أي الدّواهي والشّدائد.

وبُرَحَة من البُرَح، أي ناقةٌ من خيار الإبل.

والبارح: الرّيح الحارّة في الصّيف، جمعه: بَوارح، ومن الصّيد: مامرّ من ميامنك إلى مياسرك كالبُرُوح والبَريح.

والبارحة: أقرب ليلةٍ مَضَتْ.

وبُرَحاء الحُمّى وغيرها: شدّة الأذى، ومنه بَرّحَ به الأمر تبريحًا. وتباريح الشّوق: توهُّجه.

وكسَحابٍ: المُتّسع من الأرض لازَرْع بها ولاشجَر، والرّأي المُنكَر، ومن الأمر البيّن، وأُمّ عُنْوارة بن عامر بن ليث، ومصدر بَرِح مكانه كسَمِع: زال عنه وصار في البَراح.

وقولهم: لابَراح، كقولهم: لاريبَ. ويجوز رفعه فتكون «لا» بمنزلة ليس.

وبَرِح الخفاء كسَمِع: وضح الأمر، وكنَصَرَ: غَضِبَ.

والظّبْي بُرُوحًا: ولّاك مَياسره ومَرّ.

وأبرَحَه: أعجبه وأكرمه وعظّمه.

ويقال للأسد وللشّجاع: حَبيل بَراح، كأنّ كلًّا منهما شُدّ بالحبال فلايَبْرَح.

وإنّما هو «كبارح الأروى» مثَلٌ للنّادر، لأنّها تَسكُنُ قُنَن الجبال، فلاتكاد تُرى بارحةً ولاسانحةً إلّا في الدّهور مرّةً.

والبَيْرُوح: أصل اللّفّاح البرّيّ، شبيهٌ بصورة إنسان ويُنْبِتُ، وإذا طُبِخ به العاج ستّ ساعات لَيّنَه، ويُدْلَكُ بوَرَقه البَرَشُ أُسبوعًا فيُذهِبُه بلاتقريح.

وبَيْرَحُ بن أسدٍ: تابعيّ.

وبَيْرَحَى كـ«فَيْعَلَى»: أرضٌ بالمدينة، ويصحّفها المحدّثون: بِئْرحاء.

وأمرٌ بِرَحٌ كعِنَبٍ: مُبَرِّحٌ.

وابن بَريحٍ كأميرٍ، الغُراب والدّاهية، كبنت بارحٍ وكزُبَيْرٍ أبوبَطْنٍ.

وبَرْحَى: كلمةٌ تقال عند الخطإ في الرّمي، ومَرْحَى: عند الإصابة.

وصَرْحَةٌ بَرْحَةٌ في «الصّاد» بَرْبَحُ كبَرْبَطٍ: موضعٌ به قبر عمرو بن أُمامة عمّ النّعمان. (١: ٢٢٣)

الطُّريحيّ: وبَراح بالفتح مثل قَطامِ: اسمٌ للشّمس. [ثمّ استشهد بشعر]

من روى بفتح الباء جعله اسمًا مبنيًّا على «فَعال» كقَطامِ وحَذامِ، ومن يروي بِراح بكسر الباء أراد باء الجرّ.

والرّاحُ: جمع رَاح، وهي الكفّ، لأنّهم كانوا يضعون راحاتهم على عيونهم، ينظرون هل غربت الشّمس أو زالت.

والبارح: الرّيح الحارّة. والبارحة: أقرب ليلة مضت.

والبَرْح، بالفتح فالسّكون: الشّدّة، تقول منه: بَرْحًا.

والتّبريح: المشقّة والشّدّة. وضَرْبٌ مُبَرِّحٌ بكسر الرّاء: أي شاقّ.

والبَراح بالفتح: المتّسع من الأرض، لازرع فيه ولاشجَر.

والبَراح: مصدر قولك: بَرِح الشّيء من مكانه من باب «تَعِب» بَراحًا، أي زال عنه، وصار في البَراح. (٢: ٣٤٢)

رشيد رضا: والتّبريح: الإيذاء الشّديد. (٥: ٧٣)

محمّد إسماعيل إبراهيم: بَرِحَ: زال. وبَرِح المكان: فارقه وزال عنه. ومابَرِحَ يفعل كذا، أي مازال مستمرًّا في عمله. (١: ٦٤)

العَدْنانيّ: «زُرْنا وسيمًا البارحة لاالبارحَ».

ويقولون: زُرْنا وسيمًا البارحَ، والصّواب: زُرْنا وسيمًا البارحة، أي أقرب ليلة مَضَتْ، ومنه المثل المعروف: «ماأشبه اللّيلة بالبارحة».

وممّن ذكر البارحة: يونس بن حبيب، وأبوزيدالأنصاريّ، والتّهذيب، والصّحاح، ومعجم مقاييس اللّغة، وابن مكّيّ الصّقلّيّ في «تثقيف اللّسان»، والمُغرِب، والمختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

أمّا البارح فمن معانيه:

أ ـ الّذي يَبرَحُ، يُغادر مكانه.

ب ـ الرّيح الحارّة في الصّيف. (٥١)

المُصْطَفَويّ: [بعد ذكر كلام فيها قال:]

والظّاهر أنّ المستفاد من هذه الكلمات وأمثالها بقرينة موارد الاستعمال، أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الزّوال في مورد الابتلاء والمضيقة ومالايلائم، وبهذا اللّحاظ تختلف خصوصيّات معناه باختلاف الموارد:

فإذا كان الابتلاء من جهة الظّلمة، يقال: بَرِحت اللّيلة والبارحة.

وإذا كان من جهة خفاء الأمر وإبهامه، يقال: بَرِحَ الخفاء، أي اتّضح الأمر ورُفع الإبهام.

وإذا كان من التّستّر بالظّلّ وذي الظّلّ يقال: إنّه بَرِح مكانه والبَراح.

وإذا كان من جهة اجتماع التّراب، يقال: بَرِحَت الرّيح التّرابَ فهي بارح.

فالأصل في جميع هذه الموارد محفوظ، وهو زوال ماانكدر وكُره من ابتلاء وظلمة، وإبهام وخفاء وتستّر وتقيّد وغيرها.

وظهر أنّ معنى الظّهور والبروز والانكشاف والتّبيّن والوضوح والمضيّ كلّها من لوازم ذلك الأصل الواحد.

وأمّا الشّدّة والعِظم والتّعب والأذى والجهد وأمثالها، فلايخفى أنّ هذه المعاني من متعلّقات «الزّوال» ومن قيوده، أي من مصاديق ماكره وانكدر. وإطلاق المادّة عليها باعتبار كونها في معرض الزّوال، فيكون «الزّوال» من قيود المعاني، فترجع إلى الأصل الواحد. (١: ٢٢٩)

النُّصوص التّفسيريّة

اَبْرَحَ

...فَلَنْ اَبْرَحَ الْاَرْضَ حَتّٰى يَاْذَنَ لِي اَبِي اَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. يوسف: ٨٠

الطَّبَريّ: وقوله: ﴿فَلَنْ اَبْرَحَ الْاَرْضَ﴾ الّتي أنا بها، وهي مصر، فأُفارقها. (١٣: ٣٥)

الطُّوسيّ : لستُ أقوم من موضعي. (٦: ١٧٩)

المَيْبُديّ : لاأُفارق أرض مصر. (٥: ١١٦)

مثله الزّمَخْشَريّ (٢: ٣٣٧)، والبَيْضاويّ (١: ٥٠٥)، والنَّسَفيّ (٢: ٢٣٣)، والنَّيسابوريّ (١٣: ٣٤)، وابن كثير (٤: ٤٢)، والشِّربينيّ (٢: ١٢٩)، وأبوالسُّعود (٣: ٤٢٢)، و شُبّر (٣: ٣٠٠)، والقاسميّ (٩: ٣٥٧٩)، والمَراغيّ (١٣: ٢٦).

الطَّبْرِسيّ : أي لاأزال بهذه الأرض ولاأزول عنها، وهي أرض مصر. (٣: ٢٥٥)

القُرطُبيّ : أي ألزمها، ولاأبرح مقيمًا فيها، يقال: بَرِحَ بَراحًا وبُروحًا، أي زال؛ فإذا دخل النّفي صار مثبتًا. (٩: ٢٤٢)

الخازن : يعني الأرض الّتي أنا فيها، وهي أرض مصر. والمعنى فلن أخرج من أرض مصر، ولاأُفارقها على هذه الصّورة. (٣: ٢٤٩)

أبوحَيّان : و«بَرِح» التّامّة تكون بمعنى ذهب وبمعنى ظهر، ومنه بَرِح الخفاء، أي ظهر وذهب، لاينتصب الظّرف المكانيّ المختصّ بها، إنّما يصل إليه بوساطة «في» فأُحتيج إلى اعتقاد تضمين «بَرِحَ» بمعنى فارق، فانتصب الأرض على أنّه مفعولٌ به.

ولايجوز أن تكون ناقصة، لأنّه لاينعقد من اسمها، و(الْأَرْضَ) المنصوب على الظّرف مبتدأ أو خبرٌ، لأنّه لايصل إلّا بحرف «في» لو قلت: زيد الأرض، لم يجز. (٥: ٣٣٦)

نحوه البُرُوسَويّ. (٤: ٣٠٢)

الآلوسيّ : و«بَرِح» تامّة وتستعمل إذاكانت كذلك بمعنى ذهب، وبمعنى ظهر، كما في قولهم: بَرِح الخفاء. وقد ضُمّنت هنا معنى فارق فنصبت (الْأَرْضَ) على المفعوليّة.

ولايجوز أن تكون ناقصة، لأنّ الأرض لايصحّ أن تكون خبرًا عن المتكلّم هنا، وليست منصوبة على الظّرفيّة، ولابنزع الخافض. وعُني بها أرض مصر، أي فلن أُفارق أرض مصر جريًا على قضيّة الميثاق. (١٣: ٣٦)

الطَّباطَبائيّ : أي فإذا كان الشّأن هذا الشّأن لن أتنحّى، ولن أُفارق أرض مصر. (١١: ٢٢٨)

الحجازيّ : (اَبْرَحَ) أترك. وإذا كان الأمر كذلك فلن أُفارق أرض مصر أبدًا، وأترك بنيامين فيها، حتّى يأذن لي أبي في ذلك، أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين. (١٣: ١٣)

اَبْرَحُ

وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِفَتٰيهُ لَآاَبْرَحُ حَتّٰٓى اَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ اَوْ اَمْضِيَ حُقُبًا. الكهف: ٦٠

ابن عَبّاس : لاأزال أمضي. (اللّغات: ٢٤٩)

ابن زَيْد : لاأنتهي. (الطَّبَريّ ١٥: ٢٧١)

الفَرّاء : يريد: لاأزال حتّى أبلغ، لم يرد: لاأبرح مكاني.

وقوله: ﴿فَلَنْ اَبْرَحَ الْاَرْضَ﴾ غير معنى «أزال»، هذه إقامة.

وقوله: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِيْنَ﴾ طٰه: ٩١، لن نزال عليه عاكفين. ومثلها مافتِئت ومافتأت ـ لغة ـ ولاأفتأ أذكرك، وقوله: ﴿تَاللهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾

يوسف: ٨٥، معناه: لاتزال تذكر يوسف.

ولايكون: تزال وأفتأ وأبرح، إذا كانت في معناها إلّا بجحد ظاهرٍ أو مضمر.

فأمّا الظّاهر فقد تراه في القرآن ﴿وَلَايَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ هود: ١١٨، ﴿وَلَايَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الرّعد: ٣١، ﴿فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْوٰيهُمْ﴾ الأنبياء: ١٥، وكذلك (لَاأَبْرَحُ).

والمضمر فيه الجحد قول الله (تَفْتَؤُا)، ومعناه لاتفتأ، لاتزال تذكر يوسف. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١٥٣)

الطَّبَريّ: يقول [موسى]: لاأزال أسير.

وكان بعض أهل العربيّة يوجّه تأويل قوله: (لَاأَبْرَحُ)، أي لاأزول، ويستشهد لقوله ذلك ببيت الفرزدق:

فما بَرِحُوا حتّى تهادَت نساؤُهُم
بِبَطحاء ذي قارٍ عِيابَ اللّطائم

يقول: مازالوا. (١٥: ٢٧١)

نحوه ابن عَطيّة. (٣: ٥٢٧)

الزّجّاج: معنى (لَاأَبْرَحُ) لاأزال، ولو كان لاأزول كان محالًا، لأنّه إذا لم يزل من مكانه لم يقطع أرضًا، ومعنى (لَاأَبْرَحُ) في معنى لاأزال، موجود في كلام العرب. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ٢٩٨)

الهَرَويّ: ولم يُرد بقوله: (لَاأَبْرَحُ) لاأُفارق مكاني، وإنّما هذا معنى قوله: ﴿فَلَنْ اَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ يوسف: ٨٠، هذا إقامةٌ، وذاك ذَهابٌ.

وقال غيره: (لَاأَبْرَحُ) أي لاأُفارق سيري. (١: ١٥٠)

الماوَرْديّ: في قوله: (لَاأَبْرَحُ) تأويلان:

أحدهما: لاأُفارقك. [ثمّ استشهد بشعر]

الثّاني: لاأزال، قاله الفرّاء. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ٣٢٢)

مثله القُرطُبيّ (١١: ١١)، ونحوه البَيْضاويّ (٢: ١٨).

الطُّوسيّ: أي لاأزال، ولايجوز أن يكون بمعنى لاأزول، لأنّ التّقدير: لاأزال أمشي حتّى أبلغ. ومعنى لايزال يفعل كذا، أي هو دائبٌ فيه.

وقيل: إنّه كان وعد بلقاء الخضر عند مجمع البحرين. (٧: ٦٥)

الزّمَخْشَريّ: (لَاأَبْرَحُ) إن كان بمعنى لاأزول، من: برح المكان، فقد دلّ على الإقامة لاعلى السّفر. وإن كان بمعنى: لاأزال، فلابدّ من الخبر.

قلت: هو بمعنى لاأزال، وقد حُذف الخبر، لأنّ الحال والكلام معًا يدلّان عليه.

أمّا الحال فلأنّها كانت حال سفرٍ، وأمّا الكلام فلأنّ قوله: ﴿حَتّٰى اَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ غاية مضروبة تستدعي ماهي غاية له، فلابدّ أن يكون المعنى لاأبرح أسير حتّى أبلغ مجمع البحرين.

ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى لايبرح مسيري حتّى أبلغ، على أنّ (حَتّٰى اَبْلُغَ) هو الخبر، فلمّا حُذف المضاف أُقيم المضاف إليه مقامه، وهو ضمير المتكلّم، فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلّم، وهو وجهٌ لطيفٌ.

ويجوز أن يكون المعنى لاأبرح ماأنا عليه، بمعنى ألزم

المسير والطّلب، ولاأتركه ولاأُفارقه حتّى أبلغ، كما تقول: لاأبرح المكان. (٢: ٤٩٠)

نحوه النّيسابوريّ (١٦: ٧) والنّسفيّ (٣: ١٨)، وأبو السّعود (٤: ٢٠٠)، والبُرُوسَويّ (٥: ٢٦٣)، والقاسميّ (١١: ٤٠٧٦).

الطَّبْرِسيّ: معناه لاأزال أمضي وأمشي، ولاأسلك طريقًا آخر حتّى أبلغ ملتقى البحرين. (٣: ٤٨٠)

نحوه الخازن (٤: ١٧٩)، وابن كثير (٤: ٤٠٢)، والشّربينيّ (٢: ٣٨٩).

ابن الجَوزيّ: لاأزال، وليس المراد به: لاأزول، لأنّه إذا لم يَزُلْ لم يقطع أرضًا، فهو مثل قولك: مابرحت أُناظر عبد الله، أي: مازلت. [ثمّ استشهد بشعر]

والمعنى: لاأزال أسير حتّى أبلغ مجمع البحرين. (٥: ١٦٤)

الفَخْر الرّازيّ: أمّا قوله تعالى: ﴿لَاۤ أَبۡرَحُ﴾ قال الزّجّاج: قوله: ﴿لَاۤ أَبۡرَحُ﴾ ليس معناه لاأزول، لأنّه لو كان كذلك لم يقطع أرضًا.

أقول: يمكن أن يجاب عنه بأنّ الزّوال عن الشّيء عبارة عن تركه والإعراض عنه، يقال: زال فلانٌ عن طريقته في الجود، أي تركها، فقوله: ﴿لَاۤ أَبۡرَحُ﴾ بمعنى لاأزول عن السّير والذّهاب، بمعنى لاأترك هذا العمل وهذا الفعل.

وأقول: المشهور عند الجمهور أنّ قوله: ﴿لَاۤ أَبۡرَحُ﴾ معناه لاأزول. والعرب تقول: لاأبرح ولاأزال ولاأنفكّ ولاأفتأ، بمعنى واحد.

قال القفّال: وقالوا: أصل قولهم: لاأبرح، من البراح، كما أنّ أصل لاأزال من الزّوال، يقال: زال يزال ويزول، كما يقال: دام يدام ويدوم، ومات يمات ويموت، إلّا أنّ المستعمل في هذه اللّفظة «يزال» فقوله: ﴿لَاۤ أَبۡرَحُ﴾، أي أُقيم، لأنّ البَراح هو العدم، فقوله: لاأبرح يكون عدمًا للعدم فيكون ثبوتًا، فقوله: لاأزال ولاأبرح يفيد الدّوام والثّبات على العمل. [ثمّ قال نحو ماتقدّم عن الزّمَخْشَريّ] (٢١: ١٤٥)

أبو البَقاء: ﴿لَاۤ أَبۡرَحُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هي النّاقصة، وفي اسمها وخبرها وجهان:

أحدهما: خبرها محذوفٌ. أي لاأبرح أسير.

والثّاني: الخبر ﴿حَتَّىٰۤ أَبۡلُغَ﴾، والتّقدير: لاأبرح سَيْري، ثمّ حذف الاسم، وجعل ضمير المتكلّم عوضًا منه، فأُسند الفعل إلى المتكلّم.

والوجه الآخر: هي التّامّة، والمفعول محذوفٌ، أي لاأفارق السّير حتّى أبلغ، كقولك: لاأبرح المكان، أي لاأُفارقه. (٢: ٨٥٤)

أبوحَيّان: لاأبرح أسير، أي لاأزال. قال ابن عَطيّة: وإنّما قال هذه المقالة وهو سائر. [ثمّ استشهد بشعر]

وهذا الّذي ذكره فيه حذف خبر ﴿لَاۤ أَبۡرَحُ﴾ وهي من أخوات كان. ونصّ أصحابنا على أنّ حذف خبر كان وأخواتها لايجوز وإن دلّ الدّليل على حذفه، إلّا ماجاء في الشّعر. [ثمّ استشهد بشعر، وذكر كلام الزّمَخْشَريّ وأضاف:]

وهما وجهان، خلطهما الزّمَخْشَريّ:

أمّا الأوّل: فجعل الفعل مسندًا إلى المتكلّم لفظًا

وتقديرًا، وجعل الخبر محذوفًا كما قدّره ابن عطيّة، و(حَتّٰى اَبْلُغَ) فضلة، متعلّقة بالخبر المحذوف، وغاية له.

والوجه الثّاني: جعل (لَاۤ اَبْرَحُ) مُسندًا من حيث اللّفظ إلى المتكلّم، ومن حيث المعنى إلى ذلك المقدّر المحذوف، وجعله لاأبرح هو حتّى أبلغ فهو عمدة؛ إذ أصله خبرٌ للمبتدإ، لأنّه خبر (اَبْرَحُ).

وقال الزّمخشريّ أيضًا: ويجوز أن يكون المعنى: لاأبرح ماأنا عليه، بمعنى ألزم المسير والطّلب، ولاأتركه ولاأُفارقه حتّى أبلغ، كما تقول: لاأبرح المكان، انتهى.

يعني أنّ «برح» يكون بمعنى «فارق»، فيتعدّى إذ ذاك إلى مفعول، ويحتاج هذا إلى صحّة نقل. (٦: ١٤٣)

الآلوسيّ: (لَاۤ اَبْرَحُ) من برح النّاقص كزال يزال، أي لاأزال أسير، فحذف الخبر اعتمادًا على قرينة الحال، إذ كان ذلك عند التّوجّه إلى السّفر، واتّكالًا على مايعقبه من قوله: (حَتّٰى اَبْلُغَ)؛ إذ الغاية لابدّ لها من مُغيًّا، والمناسب لها هنا السّير، وفيما بعد أيضًا مايدلّ على ذلك، وحذف الخبر فيها قليل، كما ذكره الرّضيّ. [ثمّ استشهد بشعر، وأشار إلى كلام الزّمخشريّ وأبي حيّان ثمّ أضاف:]

قيل: وكذا الفعل الواقع في الخبر وهو (اَبْلُغَ) كأنّ أصله: يبلغ، ليحصل الرّبط. والإسناد مجازيّ وإلّا يخلو الخبر من الرّابط، إلّا أن يُقدّر: حتّى أبلغ به، أو يقال: إنّ الضّمير المستتر في كائن يكفي للرّبط، أو أنّ وجود الرّبط بعد التّغيير صورة يكفي فيه، وإن كان المقدّر في قوّة المذكور.

وعندي لالطف في هذا الوجه وإن استلطفه الزّمخشريّ.

وجوّز أيضًا أن يكون (اَبْرَحُ) من برح التّامّ كزال يزول، فلايحتاج إلى خبرٍ. نعم قيل: لابدّ من تقدير مفعول ليتمّ المعنى، أي لاأفارق ماأنا بصدده حتّى أبلغ. (١٥: ٣١٢)

الطّباطبائيّ: وقوله: (لَاۤ اَبْرَحُ) بمعنى لاأزال، وهو من الأفعال النّاقصة، حذف خبره إيجازًا لدلالة قوله: (حَتّٰى اَبْلُغَ) عليه، والتّقدير: لاأبرح أمشي أو أسير.

والمعنى، والله أعلم: واذكر إذ قال موسى لفتاه: لاأزال أسير حتّى أبلغ مجمع البحرين، أو أمضي دهرًا طويلًا. (١٣: ٣٣٩)

نَبْرَح

قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتّٰى يَرْجِعَ اِلَيْنَا مُوسٰى. طٰهٰ: ٩١

ابن عبّاس: لن نزال على عبادة العجل. (اللّغات: ٢٦٥)

الطّبريّ: قال عبدة العجل من قوم موسى: لن نزال على العجل مقيمين نعبده، حتّى يرجع إلينا موسى. (١٦: ٢٠٢)

الطّوسيّ: أي لن نزال لازمين لهذا العجل إلى أن يعود إلينا موسى. [ثمّ استشهد بشعر] (٧: ٢٠٠)

مثله البغويّ (٣: ٢٧٢)، والخازن (٤: ٢٢٥)، والقرطبيّ (١١: ٢٣٧).

الطّبرسيّ: معناه لانزال مقيمين على عبادته. (٤: ٢٦)

الوُجوه والنَّظائر

الدّامغانيّ: البَراح على وجهين: الزّوال، الانتقال.

فوجه منها: لاأبرح: لاأزال، قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَيٰهُ لَآ أَبْرَحُ﴾ الكهف: ٦٠، يعني لاأزال أطلبه ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ﴾ كقوله: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ طٰهٰ: ٩١، يعنون لانزال عاكفين على عبادته.

والوجه الثّاني: البَراح: الانتقال، قوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾ يوسف: ٨٠، يعني لاأرجع من مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾. (١٧٤)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة «البَراح» وهو المتّسع من الأرض، لابناء فيها ولاعُمران، ثمّ استُعمل في مايعني الظّهور والبيان، يقال: صار الرّجل في بَراح، أي في أمر منكشف، وجاء الكفر بَراحًا، أي بيّنًا، وبَرِحَ الخفاء، أي ظهر وصار كأنّه في بَراح. ومنه أيضًا: لقيته صَرْحةً بَرْحةً، أي لقيته ظاهرًا باديًا.

والبِراح: المكاشفة، يقال: بارحَ بِراحًا. والبَراح: الشّمس، وهي بهذا المعنى أيضًا، لأنّها تكشف الظّلام وتزيله، وتظهر الأشياء واضحة.وبَرِحَ مكانه، أي زال عنه وصار في البَراح، كذا تبرّح أيضًا.

والبارح: خلاف السّانح من الظّباء والطّير، وهو ماتبدو منه مياسره، فلايمكن الصّائد إلّا أن ينحرف له. والعرب يتطيّرون منه، يقال: بَرِح الظّبي بُروحًا.

والبارحة: اللّيلة الماضية، وهي من بَرِحَ، أي زال، وفي المثل: «ماأشبه اللّيلة بالبارحة»! للشّيء ينتظره خيرًا من شيء، فيجيء مثله.

٢ـ واشتقّ من «البَراح» الشّدّة ومايضارعها أيضًا، لما في «البَراح» من شظف وضنك، كما أُسند ذلك إلى اليَهماء أي الفلاة، فيقال: سنة يَهماء، أي شديدة لافرج فيها، وسنون يُهْم: لاكلأ فيها ولاماء ولاشجر.

ولذا قيل: بَرّح بنا فلان تبريحًا، أي آذانا بالحاح المشقّة، وبرّح بي هذا الأمر، إذاغلظ واشتدّ. وأبرَحْتُ بفلان، أي حملته على مالايطيق، فتبرّح به وغمّه، وضربه ضربًا مُبرِّحًا: شديدًا، ولقيت منه بنات بَرْح وبني بَرح، أي داهية وشدّة، ولقيت منه ابن بَرِيح، أي تعب، وجاء بالبَرَحين، أي بالدّاهية.

والبُرَحاء: الحمّى الشّديدة، والشّدّة والمشقّة، يقال: جاء بالبُرَحاء، أي جاء بالدّاهية. والتّباريح: كُلَفُ المعيشة في مشقّة، والبارح: الرّيح الشّديدة الّتي تهيج الغبار. ويقال في التّفضيل: هذا الأمر أبرح عليّ من ذاك، أي أشقّ وأشدّ.

٣ـ وأمّا قولهم: ماأبرحه، أي ماأعجبه! فنحسبه مبدلًا من: أبرة الرّجل، إذا غلب النّاس وأتى بالعجائب؛ إذ قلب الهاء حاءً شائع في اللّغة، مثل: هَبَشَ وحَبَشَ، أي جمع، ويتفيهق ويتفيحق، أي يتوسّع في كلامه.

الاستعمال القرآنيّ

جاء من «البَراح» فعلان في القرآن ثلاث مرّات:

١ـ ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ﴾ يوسف: ٨٠

٢ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ الكهف: ٦٠

٣ـ ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ طٰه: ٩١

يلاحظ أوّلًا: أنّ بين الآيات الثّلاث شبهًا لفظيًّا ومعنويًّا، فكلّها مقول قول، وفعل البَراح فيها جاء مضارعًا منفيًّا، ويليه لفظ «حَتّى»، وهي كلّها مكّيّة تحكي أحوال موسى وقومه في الأخيرتين، وحال أخي يوسف في الأُولى.

ثانيًا: أجمع المفسّرون قاطبة على أنّ (أَبْرَحَ) في الآية الأُولى فعل تامّ مثل: زالَ يزول، أي ذهب وتنحّى، بدليل لفظيّ وهو التّعدّي، ومعنويّ وهو السّياق.

بيد أنّ الآلوسيّ علّل نصب (الْأَرْضَ) بالمفعوليّة دون نزع الخافض، ولكنّ كليهما جائز، يقال: بَرِحَ مكانَه، وبَرِحَ من مكانه، أي زال عنه، كما تقدّم في النّصوص اللّغويّة. وإذا ثبت ذلك، فيمكن أن يكون أصل ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ فلن أبرح من الأرض، على غرار قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾ الأعراف: ١٥٥، فأصله: واختار موسى من قومه، ولمّا نزع الخافض منه، وهو «من»، نصب بهذا السّبب.

ثالثًا: اختلف المفسّرون في (لَآ أَبْرَحُ) في الآية الثّانية، أهو تامّ مثل: زالَ يزول، كما في الأُولى، أم ناقص، مثل: زالَ يزال، أي استمرّ ودام؟

فمن قال بتمامه ضمّنه معنى المفارقة والتّرك، وقدّر مفعولًا به، وتقدير الكلام على هذا: لاأُفارق سيري. ومن قال بنقصه قدّر خبرًا، وتقديره: لاأزال أمضي أو أسير.

ولكنّ أباحيّان لم يرتضِ هذا التّقدير على القول الثّاني، محتجًّا برأي أصحابه من نحاة المغرب الّذين لايجوّزون حذف خبر كان وأخواتها، وإن دلّ الدّليل على حذفه. ويبدو أنّ نحاة المشرق يسوّغون ذلك، كما أنّ ابن مالك الأندلسيّ لم يتعرّض لذلك في ألفيّته.

رابعًا: جاء (نَّبْرَح) في الثّالثة ناقصًا، وقد ذكر خبره، وهو (عَاكِفِينَ)، وتقدّم معموله ـ(عَلَيْهِ)ـ لحصر لزومهم العجل، والإصرار على عبادته، إمعانًا منهم في الغيّ والضّلالة، وتماديًا في الإثم والجهالة.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب ر د

٣ ألفاظ ، ٥ مرّات: ٤ مكّيّة ، ١ مدنيّة

في ٥ سور: ٤ مكّيّة ، ١ مدنيّة

بَارِدٌ ٢ : ٢	بردًا ٢ : ٢
بَـرَدٍ ١ : ـ ١	

النّصوص اللّغويّة

القُرَظيّ: الإبراد: أن تَزيغ الشّمس، والرّكب في السّفر يقولون: إذا زاغت الشّمس: قد أبْرَدتُم، فَرَوِّحوا.

[ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٤ : ١٠٦)

الخَليل: البَرَد: مَطَرٌ كالجَمَد. وسَحابٌ بَرِدٌ: ذوقُرٍّ وبَرَدٍ، وقد بُرِد القوم، إذا أصابهم البَرَد.

والأبْرَدان: الغداةُ والعشيّ، وبَرَدَ يبرُد بُرودةً.

وبَرَدتُ الخُبزَ بالماء: صَبَبْتُه عليه فَبَلَلْتُه، واسم ذلك الخبز المَبْلول: البَرِيد والمَبْرود، تَطعَمُه النّساءُ للسُّمْنة.

وتقول: اسقني شربةً أبْرُد بها كبدي.

وبَرَدَ القُرُّ، وأبْرَدُوا: صاروا في وقت القُرّ، آخر النّهار. وبرّدتُ الماء تبريدًا.

وبَرَدَ عليه حقّ كذا وكذا درهمًا، أي لزمَه ذلك.

والبَرود: كُحْل تُبَرَّد به العين من الحرّ.

وفي الحديث: «أبْرِدُوا بالظُّهر فإنّ شدّة الحرّ من فَيْح جهنّم».

ويقال: جئناك مُبرِدين، إذا جاءوا وقد باخ الحرّ.

والبَرادة: الكَوّازة.

والبَريد: ستّة أميال، يتمّ بها فَرسخان.

والبَريد: الرّسول المُبَرَّد على دوابّ البريد.

وإبرادُه: إرساله، وقال الرّاجز:

رأيت للموت رسولًا مُبرَدًا

ويُروى عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «إذا أبردتم إليّ بَريدًا فاجعلوه حسَن الوجه حسَن الاسم».

وقال بعض العرب: الحُمّى بَريد الموت، أراد أنّها رسول الموت تُنذر به.

وسِكَكُ البَريد: كلّ سِكّة منها اثنا عشر ميلًا،

والسّفر الّذي يجوز فيه قصر الصّلاة: أربعة بُرُدٍ، وهي ثمانية وأربعون ميلًا، بالأميال الهاشميّة الّتي في طريق مكّة.

وقيل لدابّة البريد: بَريدٌ لسيره في البَريد. [ثمّ استشهد بشعر]

والبُرْد: سَحْكُك الحديد بالمِبْرَد، أي السّوهان «بالفارسيّة».

والبُرْد: ثوب من بُرود العَصْب والوَشْي.

والبُرْدُد[1]: كِساء مُربّع أسود، فيه صِغَر ونحو ذلك، تلتحِف به العرب.

وقوله تعالى: ﴿لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَاشَرَابًا﴾ النّبأ: ٢٤، يقال: نومًا.

وضرَبَه حتّى بَرَد، أي مات.

وبَرَدَ فلانٌ في أيديهم، أي صار في أيديهم، لايُفدى ولايُطلَب.

وبُرْدَا الجَراد: جناحاه، قال ذوالرّمّة:

إذا تَجاوَبَ من بُرْدَيْهِ ترنيمُ

(٨: ٢٧)

الكِسائيّ: قال النّبيّ ﷺ: «الصّوم في الشّتاء الغنيمة الباردة».

قوله: «الغنيمة الباردة» إنّما وصفها بالبَرْد، لأنّ الغنيمة إنّما أصلها من أرض العدوّ، ولاتنال ذلك إلّا بمباشرة الحرب والاصطلاء بحرّها، يقول: فهذه غنيمة ليس فيها لقاء حرب ولاقتال.

وقد يكون أن يسمّى «باردة» لأنّ صوم الشّتاء ليس كصوم الصّيف الّذي يُقاسى فيه العطش والجهد.

وقد قيل في مثَل: «وَلِّ حارَّها مَن تَولّى قارَّها» يضرب للرّجل يكون في سعة وخِصْبٍ ولايُنيلك منه شيئًا، ثمّ يصير منه إلى أذًى ومكروه، فيقال: دعه حتّى يلق شرّه كما لقي خيره، فالقارّ هو المحمود، وهو مثل الغنيمة الباردة، والحارُّ هو المذموم المكروه.

(أبوعُبَيْد ١: ٣٠٧)

ابن شُمَيْل: إذا قال: وابَرْده على الفؤاد، إذا أصاب شيئًا هيّنًا، وكذلك: وابَرْداه على الفؤاد.

(الأزهَريّ ١٤: ١٠٧)

ثوب بَرود، ليس له زِئبِرٌ. (الصَّغانيّ ٢: ١٩٧)

الفَرّاء: هي لك بَرْدةٌ نفسِها، أي خالصًا، وهو لي بَرْدةُ يميني، إذا كان لك معلومًا. (الأزهَريّ ١٤: ١٠٧)

قالت الدُّبَيْريّة: البَرْدَة: التُّخمة، وكذلك الطَّنَى والرّان.

(الفَرّاء ١٤: ١٠٤)

أبوزَيْد: يقال: أصابه بُراد وبُرود، إذا ضعُف من هُزال ومَرض، فوجد فَتْرةً في عظامه ولحمه، وضعُفت مُنّته، وهي القوّة. وجماعُها: المُنَن.

وقد بَرَدَ الرّجل يَبْرُد بُرادًا وبُرودًا، وهو رجل بارد، إذا أصابه البُراد والبُرُود. (٢١٩)

الأصمَعيّ: ضُرِب حتّى بَرَد: معناه حتّى مات، والبَرْد: النّوم. (الأزهَريّ ١٤: ١٠٥)

قلت لأعرابيّ: مايحملكم على نومة الضّحى؟

قال: إنّها مَبْرَدة في الصّيف مَسْخَنَة في الشّتاء.

(الجَوهَريّ ٢: ٤٤٦)

---

(١) الظّاهر أنّه البُرْدَة.

أبو عُبَيْد: يقال: بَرَدتُ عينه بالكُحْل أبرُدها بَرْدًا، وسقَيْتُه شربةً بَرَدْتُ بها فؤاده، وكلاهما من البَرُود.

وسحابة بَرِدَة، إذا كانت ذات بَرَد. (الأزهَريّ ١٤: ١٠٧)

سقيته فأبْرَدتُ له إبرادًا، أي سقيتُه باردًا. (الجَوهَريّ ٢: ٤٤٨)

ابن الأعرابيّ: البَرِدة: الثِّقْلة على المعدة. (الأزهَريّ ١٤: ١٠٤)

البَرْد: النَّحت، يقال: بَرَدْتُ الخشبة بالمِبْرَد أبرُدها بَرْدًا، إذا نَحتُّها.

والبَرُودُ: تَبْريدُ العين، والبَرُود: كُحْل يُبَرِّد العين، والبَرُود من الشَّراب: مايُبَرِّد الغُلّة، وأنشد:

ولايُبَرِّد الغَليل الماءُ

(الأزهَريّ ١٤: ١٠٥)

ويقال: أبْرِدَ طعامه وبَرِّده وبَرْده.

والأبارِد: النُّمور، واحدها: أبْرَد، يقال للنَّمِر الأُنثى: أبْرَدُ والخَنْثَمة. والبَرْديّ: ضرب من تَمر الحجاز، جيّد معروف. (الأزهَريّ ١٤: ١٠٨)

البارِدة: الرَّباحة في التِّجارة ساعة يشتريها، والبارِدة: الغنيمة الحاصلة بغير تعب، ومنه قول النّبيّ ﷺ: «الصَّوم في الشِّتاء الغنيمة الباردة» لتحصيله الأجر بلا ظَمأ في الهَواجر. (الأزهَريّ ١٤: ١٠٨)

ابن السِّكّيت: عَيش بارِدٌ، أي طيّب. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٤: ١٠٧)

البَرْدان والأبْرَدان: الغداة والعَشيّ، وهما الرِّدقان، والصَّرعان، والقَرْنان. (الأزهَريّ ١٤: ١٠٨)

نحوه ابن الشَّجريّ. (الأمالي ١: ٢٤٠)

شَمِر: رأيت أعرابيًّا بخُزَيْميّة، وعليه شِبْهُ مِنديل من صوف قد اتَّزر به، فقلت: ماتسمّيه؟ فقال: بُرْدة. (الأزهَريّ ١٤: ١٠٧)

ثوب بَرود، إذا لم يكن دفيئًا ولالَيِّنًا من الثِّياب، ورجل به بُرْدة، وهو تقطير البول ولاينبَسِط إلى النِّساء. (الأزهَريّ ١٤: ١٠٨)

أبو طالب: قولهم: لم يَبْرُد بيدي منه شيء، فالمعنى لم يستقرّ ولم يثبت، وأنشد:

اليومُ يومٌ بارِدٌ سَمُومُه

وأصله من النَّوم والقرار، يقال: بَرَد، أي نام. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٤: ١٠٥)

أبو الهَيْثَم: بَرَد الموت على مصطلاه، أي ثبت عليه، وبَرَدَ لي عليه من الحقّ كذا، أي ثبت.

ومصطلاه: يداه ورِجلاه ووجهه وكلّ مابرز منه، فبَرَد عند موته وصار حَرّ الرّوح منه باردًا، فاصطلى النّار ليُسخِنَه. (ابن منظور ٣: ٨٥)

الدِّينَوَريّ: البُرْديّ بالضّمّ: من جيّد التّمر، يُشبه البَرْنيّ. (ابن سيدة ١٩: ٣٢٣)

شجرة مبرودة: طرح البَرْد ورقها. (ابن سيدة ١٩: ٣٢١)

ابن أبي اليمان: البَرْد: النّوم والهُدوء، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ النّبأ: ٢٤، ويكون «البَرْد» هاهنا: النّسيم.

ورُوي عن بعض الأعراب أنّه قال ومعه شيخ: أيّها النّاس إنّ شيخي هذا قد منعه البَرْد. وكلّ ماقرّ وثبت

فقد بَرَدَ، ومن ذلك قول الشّاعر:

اليوم يومٌ باردٌ سَمُومه

أراد أنّه ثابت دائم، ومنه قول الرّجل: مابَرَدَ بيدي من فلان شيء، ومنه قول النّاس: قد بَرَدَ جِلدُ فلان على كذا، إذا عرض عليه شيء فلم يجد غيره، فصبر عليه. (٣٠٢)

المُبَرِّد: من أمثال العرب: «منع البَرْدُ البَرْدَ»، أي أصابني من البَرْد مامنعني من النوم. (الفخر الرّازيّ ٣١: ١٤)

ثَعْلَب: بَرَدْتُ عيني أبرُدها بالضّمّ، أي كحلتُها بالبَرود بفتح الباء، وهو كحل يبرُد حرارةَ ألمها، وكذلك: بَرَدَ الماءُ حرارة جوفي يَبرُدها. (١٣)

نحوه الزّجّاج. (فعلت وأفعلت: ٥٤)

«وإن شئت لم أطعم نُقاخًا ولابَردًا» البَرْد هنا: الرّيق، والنُّقاخ: الماء العَذْب. (الزّبيديّ ٢: ٢٩٧)

الزّجّاج: أرضٌ مُبرَدةٌ: أصابها البَرْد، لغة في مَبْرُودة. (الصّاغانيّ ٢: ١٩٦)

ابن دُرَيْد: يقال: بَرَدْتُ الماء وأبرَدْتُه، وليس أبرَدْتُه بقويّ. (١: ٢٤)

البَرْد: ضدّ الحرّ، ولي على فلان ألفٌ باردٌ، أي ثابت لايزول. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَرَدَ الشّيء والحيّ، إذا مات كأنّه قد عدم حرارة الرّوح.

والبَرُودُ: كلّ مابَرَدْتَ به شيئًا، مثل بَرُود العين، ونحوه.

وبَرَدْتُ الشّيء أبرُدُه بَرْدًا وبرّدتُه تبريدًا، إذا صيّرته باردًا، ولايقال: أبرَدْتُه. [ثمّ استشهد بشعر]

والإبْرِدَةُ في وزن «إفْعِلَة»: بَرْدٌ يجده الرّجل في جوفه، أو في بعض أعضائه.

والبُرْدُ: الواحد من البُرُود.

وبَرَدْتُ الحديد أبرُدُه بَرْدًا، إذا حككتَه بالمِبْرَد، وما يسقط منه: البُرادة.

والبَرْديّ: نبت يُشبه القصَب، عربيّ معروف.

والبريد، عربيّ معروف. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرَدُ: مايسقط من السّماء. وسحاب بَرِدٌ وأبرد. [ثمّ استشهد بشعر]

والبُرَدُ: جمع بُرْدَة: ضرب من الثّياب فيه خطوط. [ثمّ استشهد بشعر]

وتبريدٌ: اسم، وقد سمّت العرب: أَبْرَد، وبَرْدًا، وبريدة، وبُرَيدًا. واحسب «بُريدًا» بطنًا من العرب. (١: ٢٤٠ـ ٢٤٢)

نِفْطَوَيه: العرب تقول: أنا أتبرّد وأبْتَرِد بذاك، أي أستريح. (الهَرَويّ ١: ١٥١)

الأزهَريّ: في الحديث: «أصل كلّ داءٍ البَرَدَةُ» سمّيت التُّخَمَةُ بَرَدَة، لأنّ التُّخَمَة تُبرِد المعدة، فلاتستمرئ الطّعام، ولاتُنضِجُه.

بَرَدَ لي عليه كذا كذا درهمًا، أي ثبت.

بَرَدْتُ الخشبة بالمِبْرَد أبرُدُها بردًا، إذا نحتُّها. [ثمّ ذكر قول محمّد بن كعب القُرَظيّ المتقدّم وقال:]

قلت: لاأعرف محمّد بن كعب هذا، غير أنّ الّذي قاله صحيح من كلام العرب، وذلك أنّهم ينزلون للتّغوير في شدّة الحرّ، ويقيلون، فإذا زالت الشّمس

ثاروا إلى ركابهم، فغيّروا عليها أقتابها ورِحالَها، ونادَى مناديهم: ألا قد أبردتُم فاركبوا.

ويقال: لاتُبرِّد عن فلان بقولٍ، أي إن ظلمك فلاتشتُمه فتَنْقص من إثمه، ويقال: إنّ أصحابك لايبالون مابَرّدوا عليك، أي أثبتوا عليك.

وقال اللّيث: البَرّادة: كوّارة يُبَرَّد عليها الماء.

قلت: ولاأدري أهي من كلام العرب أو من كلام المولّدين. (١٤: ١٠٤ ـ ١٠٨)

الصّاحِب: البَرَد: مطر كالجَمَد، وسحاب بَرِد: ذوقُرٍّ.

والأبْردان: الغداة والعَشيّ، وقيل: الثّرى والظّلّ. وهما البَرْدان.

وبَرَدْتُ الخُبْز بالماء: صَبَبْته عليه، واسم الخبز: المبرُود، تطعَمه المرأة للسُّمْنَة.

وقوله عزّوجلّ: ﴿لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ أي نومًا.

وقوله ﷺ: «الصّوم في الشّتاء الغنيمة البادرة» أي الّتي تبرُد الغليل.

والبَرْد: ضدّ الحرّ، وجمعه: أبْردة.

وبَرَّدْت الماء تبريدًا، والبرّادة: معروفة.

وأبرد القوم: صاروا في وقت القُرّ من آخر النّهار، والإنسان يبترد ويتبرّد في الماء.

وجئناك مُبْرِدين، إذا جاؤوا وقد باخ الحرّ.

والبَرْداء: الحُمّى بالقِرّة على «فَعْلاء».

وسقيته فأبْرَدت له، أي سقيته باردًا.

وثوب بَرُود: بارد.

وبَرَد على فلان حقٌّ، أي لزمه وثبت عليه، يَبْرُد.

وضربه حتّى بَرَد، أي مات. وبرَد الموتُ عليه: استبان أثرُه.

والسّموم البارد: الثّابت وهي لك بَرْدَة نفسِها، أي خالصة. وهي لِبَرْدَة عيني، إذكان معلومة لك.

وبَرَدةُ العين: وسطُها. والبَرُود: كُحْل تُبرَّد به العين.

والإبْرِدة: نقيض الحرارة في البَدَن.

وأبْرِدَة المطَر: بَرْدُه، ويقال: أبْرِدَة مَطَر، وهي جمع بريد، أي هي أوائل المطَر.

وترك سيفه مُبرَّدًا، أي بارزًا خارجًا.

واستبردت عليه بلساني: أرسلته عليه.

وابْرُدْ ظَهر دابّتك، أي حُلّ عنها رحلَها وأرِحْها.

وفي الحديث: «لاتُبَرِّدُوا عن الظّالم» أي لاتشتموه فتُخفّفوا من عقوبة ذنبه.

والبَريد: ضرب من الأميال، والرّسول المُبرَّد على دوابّ البَريد، واللّبن المُبرَّد، والخبز المبلول.

والبَرْد: سَحْل الحديد بالمِبْرَد.

والبُرْد: من برود العَصْب والوَشْي. والبُرْدَة: كِساء، كانت العرب تلتحف به، ويقولون: «ليتنا في بُرْدَة أخماس» أي ليتنا تقاربنا.

ووقع بينهما قَدُّ بُرودٍ يمنيّة، أي بلغا أمرًا كبيرًا، لأنّ البُردَ غالي الثّمن، فهو لايُقَدّ إلّا لأمرٍ كبير.

وبُرْدا الجرادة: جناحاها الباطنان.

وأصابَه بُرادٌ وبُرودٌ، أي هُزال وضَعْف من داء، وقد بَرَد يَبْرُدُ بُرودًا، ورجل بارِدٌ: أصابه البُراد، وهو أيضًا ضعف القوائم من جوع أو إعياء.

والبارد من الإبل: المهزول، يقال: هو بارد العظام،

وفيه بَرْدَة، أي استرخاء وبَهْت.

والأَبْرَد: من صفات الوَعِل والثّور الّذي في طَرَف ذَنَبه بياض، وكلّ تَوْليع كذلك.

والبُرْدَة: اللّون.

والأَبْرَد: من أسماء النَّمِر وصفاته.

وضرب من اللّبن يقال له: بُرْدَةالضّأن.

والبُرْديّ: ضرب من أجود التّمر.

والبَرَد: التُّخَمَة.

وتسمّى النّعجة: بَرْدَة، وهي اسم لها علَم، وتُدعى فيقال لها: بَرْدَه بَرْدَه. (٩: ٢٩٥)

الخَطّابيّ: قوله [في الحديث]: «بَرَد أمرُنا» فيه قولان:

أحدهما: أن يكون معناه سَهُل أمرنا، ومنه قوله صلّى الله عليه: «الصّوم في الشّتاء الغنيمة الباردة» ويقال: عيش باردٌ، أي ناعم سَهْل، ومن هذا قولهم في الدّعاء للميّت: «اللّهمّ برِّد عليه مضجعه». [ثمّ استشهد بشعر]

والوجه الآخر: أن يكون معناه ثبت أمرُنا واستقام، من قولهم: بَرَد لي على فلان حقٌّ، أي وجَب وثبَت.

قال الأصمعيّ: مابَرَد لك على فلان شيءٌ، وكذلك: ماذاب لك عليه شيءٌ، ويقال: إنّ أصحابك لايُبالون مابَرَدوا عليك، أي ماثبتوا عليك. [ثمّ استشهد بشعر]

وفيه وجه آخر: وهو أن يكون «بَرَد» بمعنى ضَعُف وفَتَر، يريدبه أمر قريش والخارجين في أثره من الطّلب. يقال: جدّ فلان في الأمر ثمّ بَرَد، أي فَتَر واسترخى. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: ضرَبه بالسّيف حتّى بَرَدَ، أي مات وسكن.

وفي حديث عمر بن الخطّاب: «أنّه شرب النّبيذ بعد مابَرَد غَلْيُه» أي سكن.

وقد يجوز أن يكون النّوم إنّما سمّي بَرْداً لهذا المعنى، ذلك لأنّه يُرخي المفاصل ويسكّنها.

وزعم بعضهم أنّه إنّما سمّي بَرْدًا لأنّه يُبرِّد حرارة العطش ويسكّنها. (١: ١٨١)

والبُرْدَة: شملة من صُوف مخطّطة، وجمعها: بُرَد. (١: ٦١٧)

وفي حديث عبدالله بن مسعود: «أصل كلّ داء البَرَدَة» البَرَدَة مفتوحة الرّاء: التُّخَمَة. وأصحاب الحديث يقولون: البَرْدُ، وهو غلط. (٣: ٢٦٣)

الجَوْهَريّ: البَرْد: نقيض الحرّ، والبُرُودة: نقيض الحرارة.

وقد بَرُد الشّيء بالضّمّ، وبَرَدْته أنا، فهو مبرودٌ.

وبَرَّدْتُه تبريدًا، ولايقال: أبرَدْتُه إلّا في لغة رديئة. [ثمّ استشهد بشعر]

وقولهم: لاتُبَرِّد عن فلان، أي إن ظلمك فلاتشتُمه؛ فتنتقِص من إثمه.

وابْتَرَدْتُ، أي اغتسلت بالماء البارد، وكذلك إذا شربته لتَبْرُدَ به كبدك. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: مابَرَد لك على فلان؟ وكذلك: ماذاب لك عليه، أي ماثبَت ووجَب. وبَرَد لي عليه كذا من المال، ولي عليه ألف باردٌ.

وسَمُوم بارِدٌ، أي ثابت لايزول. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرْدان: العَصْران، وكذلك الأَبْرَدان، وهما الغداة

والعَشيّ، ويقال: ظلّاها. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرَدة، بالتّحريك: التُّخَمَة. وفي الحديث: «أصل كلّ داءٍ البَرَدة».

والإبْرِدة، بالكسر: علّة معروفة من غلبة البَرْد والرّطوبة، تفتّر عن الجماع.

ويقول الرّجل من العرب: إنّها لباردة اليوم، فيقول له الآخر: ليست بباردة، إنّما هي إبْرِدةُ الثّرى.

والبَرَد: حَبُّ الغَمام، تقول منه: بُرِدَت الأرض بالضّمّ، وبُرِدَ بنو فلان.

وسحاب بَرِدٌ وأبْرَد، أي ذوبَرَد، وسحابة بَرِدةٌ. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرُود: البارِدُ.

والبَرُود أيضًا: كلّ مابَرَدْتَ به شيئًا، نحو بَرُود العين، وهو كُحْل.

وتقول: هو لي بَرْدَة عيني، إذا كان لك معلومًا.

وذكر أبوعُبَيْد في باب نوادر الفعل: هي لك بَرْدةٌ نفسها، أي خالصًا.

والبُرْد: من الثّياب، والجمع: بُرُود وأبراد. [ثمّ استشهد بشعر]

وبُرْدَا الجُنْدَب: جناحاه.

والبُرْدَة: كِساءٌ أسود مربّع فيه صُوَرٌ، تلبسه الأعراب. وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه: «بُرْدةٌ فَلُوتٌ» والجمع: بُرَد.

والثّور الأبْرَد: فيه لُمَعُ بياض وسوادٍ.

والبُرْديّ بالضّمّ: ضرب من أجود التّمر.

والبَرْديّ بالفتح: نبات معروف. [ثمّ استشهد بشعر]

والبريد: المرتّب. يقال: حُمِل فلانٌ على البريد.

وصاحب البَريد قد أبْرَد إلى الأمير، فهو مُبْرِد، والرّسول: بَريد. ويقال للفُرانِق، لأنّه يُنذر قُدّام الأسد.

ويقال: جئتاك مُبْرِدين، إذا جاؤوا وقد باخ الحرّ. (۲: ٤٤٥)

ابن فارِس: الباء والرّاء والدّال أُصول أربعة:

أحدها: خلاف الحرّ، والآخر: السّكون والثّبوت، والثّالث: الملبوس، والرّابع: الاضطراب والحركة؛ وإليها ترجع الفروع.

فأمّا الأوّل: فالبَرْد خلاف الحرّ، يقال: بَرَد فهو بارد، وبَرَد الماء حرارة جوفي يَبْرُدها. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال للسّيوف: البوارد. قال قوم: هي القواتل، وقال آخرون: مَسّ الحديد باردٌ. [ثمّ استشهد بشعر]

وأمّا الأصل الآخر: فالبَرْد النّوم، قال الله تعالى: ﴿لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَاشَرَابًا﴾ النّبأ: ٢٤. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: بَرَد الشّيء، إذا دام. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَرَد لي على فلان من المال كذا، أي ثبت، وبَرَد في يدي كذا، أي حصل.

ويقولون: بَرَد الرّجل، إذا مات. فيحتمل أن يكون من هذا، وأن يكون من الّذي قبله.

وأمّا الثّالث: فالبُرْد، معروف. [ثمّ استشهد بشعر]

والأصل الرّابع: بريد العساكر، لأنّه يجيء ويذهب. [ثمّ استشهد بشعر]

ويحتمل أن يكون المِبْرَد من هذا، لأنّ اليد تَضطرب

به إذا أُعمِل. (١: ٢٤١)

الهَرَويّ: يقال: إنّما سمّي بَرَدًا، لأنّه يَبرُد وجه الأرض، أي يَقْشِر، وقد بُرِد القوم، وغيثٌ بَرِدٌ.

وابْرَدَت السّحابة: جاءت بِبَرَدٍ.

وفي الحديث: «أصل كلّ داءٍ البَرَدَة» يعني الطَّسْناة والتُّخَمَة والثِّقْلَة على المَعِدة، سمّيت «بَرَدَة» لأنّها تُبرِد المعدة، فلاتستمرئ الطّعام.

وفي الحديث: «إذا أبرَدتُم إليّ بَريدًا...» يقول: إذا أرسلتم إليّ رسولًا، والبَريد: الرّسول. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: الحُمّى بريد الموت. وسِكَك البريد: كلّ سكّة منها بريدٌ. وقيل لدابّة البَريد: بَريدٌ، لسَيْره في البَريد.

ومنه الحديث: «إنّي لاأحبِسُ البُرُدَ» يقول: إنّي لاأحبِس الرّسل الواردين عليّ من الملوك والأطراف.

وفي الحديث: «أنّه لمّا تلقّاهُ بُرَيدةُ الأسلَميّ في طريق المدينة، قال له: مَن أنت؟ قال: أنا بُرَيدَة. فقال لأبي بكر: بَرَدَ أمرُنا وصَلَح».

قوله: «بَرَدَ أمرُنا» أي سهُل، ومنه قوله: «الصّوم في الشّتاء الغنيمة الباردة» أي لاتَعَبَ فيه ولامشقّة. وكلّ محبوب عندهم باردٌ، ومنه قولهم: اللّهمّ بَرِّد عليه مَضْجَعه.

ويحتمل أن يكون معناه ثبت أمرنا واستقام، يقال: بَرَدَ عليّ حقّ فلان: أي ثبت.

وفي الحديث: «لاتُبَرِّدُوا عن الظّالم» أي لاتشتُموه فتخفّفوا عنه، وتُسهّلوا عليه من عقوبة ذنبه.

وهذا كما قال لعائشة رضي الله عنها، وسمعها تدعو على سارق، فقال: «لاتُسَبّخي عنه بدعائك عليه» يقول: لاتُخفّفي.

وفي حديث عمر رضي الله عنه: «شرب النّبيذ بعدما بَرَد» أي سَكَنَ وفَتَر، يقال: جَدّ في الأمر ثمّ بَرَدَ، أي فَتَر.

ويقال: سمّي النّوم بَرْدًا، لأنّه يُرخي المفاصل ويسكّن الحركات.

وفي الحديث: «من صلّى البَرْدَيْن دخل الجنّة» البَرْدان والأبرَدان: الغداة والعَشيّ.

وأمّا حديثه: «أبْرِدُوا بالظُّهر». فالإبرادُ: انكسار الوَهَج. وقال بعض أهل اللّغة: أراد: صلّوها في أوّل وقتها، وبَرْدُ النّهار: أوّله.

وفي الحديث: «وعلى ابن عمر يوم الفتح بُرْدَةٌ فَلُوتٌ». قال شَمِرٌ: البُرْدَةُ: هي الشّملة المخطّطة، وجمعها: بُرَدٌ، وهي النَّمِرة.

وفي حديث عمر: «قال: فَهَبَره بالسّيف حتّى بَرَدَ» يعني مات. (١: ١٥١ـ ١٥٣)

أبوسهل الهَرَويّ: البَرُود: اسم لكلّ مابَرَدْتَ به شيئًا، ومنه قيل للكُحْل الّذي تُكحَل به العين لتَبْرُد من وجعها: بَرُودٌ. (٤٨)

وأجدُ إبْرِدة، أي بَرْدًا ورطوبة تفتّر عن الجماع.

(٥٢)

ابن سِيدة: البَرْدُ: ضدُّ الحَرّ.

بَرَدَ الشّيء يَبْرُد بُرُودةً.

وماءٌ بَرْدٌ، وبارِدٌ، وبَرُودٌ، وبُرادٌ.

وقد بَرَدَه يَبْرُده بَرْدًا، وبَرَّدَهُ: جعلَه باردًا.

فأمّا من قال بَرَّدْتُه: سَخَّنْتُه، لقوله:

عافَت الماءَ في الشّتاء فقُلْنا
بَرِّدِيه تُصادِفِيه سخينًا

فغالطٌ، إنّما هو «بَلْ رِدِيه» فأدغَم، على أنّ قُطْرُبًا قد قاله.

وبَرَدَه يَبْرُده: خَلَطَه بالثّلج وغيره، وقد جاء في الشّعر أَبْرَدَهُ وليس بمأخوذ به.

وأَبرَدَه: جاء به باردًا.

وأَبرَدَ له: سقاه باردًا.

وسقاه شَرْبَةً بَرَدَتْ فُؤادَه: أي بَرَّدَته. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرادَة: إناءٌ يُبَرِّدُ الماء، بُنِي على بَرَّدَ.

وإِبْرِدَة الثّرى والمطَر: بَرْدُهُما.

والإِبْرِدَة: بَرْدٌ في الجوف.

والبَرَدَة والبُرَدَة: التُّخَمَة، وفي حديث ابن مسعود: «كلّ داء أصله البَرَدَة» وكلّه من البَرْدِ.

وابْتَرَدَ الماءَ: صبّه على رأسه باردًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وتبرَّدَ فيه: استنقَع.

والبَرُود: ماابتُرِدَ به.

والبَرْدان، والأَبْرَدان: الغَداة والعَشيّ.

والأَبْرَدان أيضًا: الظِّلّ والفَيْء، قال الشّمّاخ:

إذا الأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْه
خُدُودُ جوازِئٍ بالرَّمْل عِينِ

وقول أبي صَخْر الهُذَليّ:

فما رَوْضَةٌ بالحَزْمِ طاهِرَةُ الثَّرى
وَلَتْها نَجاءُ الدَّلْو بعدَ الأَبارِدِ

يجوز أن يكون جمع الأَبْرَدَيْن اللّذَيْن هما الفَيْء والظِّلّ، أو اللّذَيْن هما الغَداة والعَشي.

وأَبْرَد القوم: دخلوا في آخر النّهار.

«وأَبرِدُوا عنكم من الظَّهيرة»: أي لاتَسيرُوا حتّى ينكسر حرّها ويبُوخ.

وبَرَدَنا اللّيل يَبْرُدنا بَرْدًا، وبَرَدَ علينا: أصابنا بَرْدُه.

وليلةٌ باردةُ العَيْش، وبَرْدَتُه: هَنيئتُه، قال نُصَيْبٌ:

فيا لك ذاوُدٌ ويا لَكِ لَيْلَةً
مُحِلَّتْ وكانت بَرْدَةَ العَيْش ناعِمه

وعَيْشٌ باردٌ: هنيءٌ، قال:

قليلَةُ لَحْم النّاظِرَيْن يَزِينُها
شَبابٌ ومَخْفُوضٌ من العيش باردُ

والمَبْرُود: خُبزٌ يُبْرَد في الماء تُطْعَمُه النّساء للسُّمْنَة.

والبَرَد: سحابٌ كالجَمَد، سُمّي بذلك لشدّة بَرْدِه.

وسحابٌ بَرِدٌ، وأَبْرَدُ: ذو قُرٍّ وبَرَدٍ، قال:

ياهندُ هندٌ بين خِلْبٍ وكَبِد
أسقاكِ عنّي هَزِمُ الرَّعْد بَرِدْ

وقال:

كأنّهم المَعْزاءُ في وَقْع أَبْرَدا

شبّهم في اختلاط أصواتهم بوَقْع البَرَد على المَعْزاء، وهي حجارةٌ صُلْبَةٌ.

وسحابةٌ بَرِدَةٌ، على النّسب: ذاتُ بَرَدٍ ولم يقولوا: بَرْداء.

وبُرِدَ القوم: أصابهم البَرَد.

وأرضٌ مَبْرُودَة كذلك.

والبَرْدُ: النَوم؛ لأنّه يُبرِّد العَيْن بأن يُقرّها. وفي التَنْزيل: ﴿لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَاشَرَابًا﴾ النّبأ: ٢٤، قال:

فإن شئتِ حَرّمتُ النّساءَ سِواكُمُ
وإن شئتِ لم أَطْعَمْ نُقاخًا ولا بَرْدَا

وقال ثَعْلَب: البَرْدُ هنا: الرِّيق.

وبَرَدَ الرّجل يَبْرُد بَرْدًا: مات، وهو صحيح في الاشتقاق؛ لأنّه عَدِمَ حرارةَ الرُّوح.

وبَرَدَ السّيف: نَبَا.

وبَرَدَ يَبْرُد بُرادًا وبُرُودًا: ضَعُف وفَتَرَ عن هُزال أو مَرَض.

وأَبْرَدَه الشّيءُ: فَتَّرَهُ وأضعفه، وأنشد ابن الأعرابيّ:

والأسْودان أَبْرَدا عظامي
الماءُ والفَثُّ ذَوا أَسْقامي

وبَرَدَ عينَه بالكُحْل يَبْرُدها بَرْدًا: كَحَلَها، وسَكّنَ أَلَمَها.

واسم الكُحْل: البَرُود.

وكلّ ماأُبْرِدَ به شيءٌ: بَرُود.

وبَرَدَ عليه حقٌّ: وَجَبَ ولَزِمَ.

ولي عليهم ألفٌ باردٌ: أي ثابت. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَرَدَ في أيديهم سَلَمًا: لايُفدَى ولا يُطلَق ولا يُطلَب.

وإنّ أصحابَك لا يُبالُون مابَرَدُوا عليك: أي أثبتُوا.

وفي حديث عائشة: «لاتُبَرِّدي عنه»: أي: لاتُخفّفي.

والبَرِيد: فرسخان. وقيل: مابين كلّ منزلين بريدٌ.

والبَرِيد: الرّسل على دوابّ البَرِيد، والجمع: بُرُدٌ.

وبَرَدَ بَرِيدًا: أرسَله.

والبُرْد: ثَوْبٌ فيه خطوط، وخَصّ بعضهم به الوَشْي، والجمع: أبْرادٌ، وأَبْرُدٌ، وبُرُودٌ.

والبُرْدَة: كساءٌ يُلتحَف به. وقيل: إذا جُعل الصّوف شُقّةً وله هُدْبٌ فهي بُرْدَةٌ.

وقولهم: هما في بُرْدَة أخماس، فسّره ابن الأعرابيّ فقال: معناه أنّهما يَفْعلان فِعْلًا واحدًا فيشتبهان، كأنّهما في بُرْدَة واحدة، والجمع: بُرَدٌ، لايُكسّر على غير ذلك، قال أبوذؤيب:

فسَمِعتُ نَبأةً منه فآسَدَها
كأنّهنّ لَدى أنسائه البُرَد

يريد أنّ الكلاب انبسطْن خلف الثّور مثل البُرَد.

وقول يزيد بن مُفَرّغ:

معاذَ الله ربّنا أن تَرانا
طوالَ الدّهر نَشْتَمِل البِرادا

يحتمل أن يكون جمع بُرْدَة، كبُرْمَة وبِرام، وأن يكون جمع بُرْد، كقُرْط وقِراط.

وثَورٌ أبْرَدُ: فيه لُمَعُ سواد وبَياض، يمانيّة.

وهي لك بَرْدَةُ نَفْسها: أي خالصةً. وقال أبوعُبَيْد: هي لك بَرْدَةُ نفسها: أي خالصًا، فلم يُؤنّث خالصًا.

وهي لبَرْدَة يميني. وقال أبوعُبَيْدَة: هو لي بَرْدَة يميني: إذا كان لك معلومًا.

وبَرَدَ الحديد ونحوه، من الجواهر، يَبْرُدُه بَرْدًا: سَحَلَه.

والبُرادَة: السُّحالة.

والمِبْرَد: مابُرِدَ به، وهو السُّوهان بالفارسيّة.

والبَرْديّ: نَبْتٌ، واحدتُه بَرْديّة، قال الأعشى:

كبَرْديّة الغيل وَسْط الغَريـ
ـفِ قد خالَطَ الماءُ منها السّريرا

السّرير: ساق البَرْديّ، وقيل: قُطْنُه.

وبَرَدَى: نَهْرٌ بدِمَشْق، قال حسّان:

يَسْقُونَ مَن وَرَدَ البَرِيص عليهم
بَرَدَى يُصَفَّق بالرّحيق السَّلْسَل

أراد ماء بَرَدَى.

والبَرَدان: موضع، قال ابن ميّادة:

ظَلَّتْ بِنِهْي البَرَدان تَغْتَسِل
تَشْرَبُ منه نَهلاتٍ وتَعُلّ

وبَرَدَيا: موضعٌ أيضًا، وقيل: نَهْرٌ، وقيل: هو نَهْرُ دِمَشْق، والأعْرف أنّه بَرَدَى، كما تقدّم. (٩: ٣١٩)

البَرْديّ: نبات يُعمل منه الحُصُر، ونباته كنبات النّخلة إلّا أنّها لاتطول. ولها شحمة بيضاء تستمصّ فتؤكل، وهي من الأغلاث.

وماكان منه في الماء فهو أبيض، ومافوق ذلك فهو أخضر، الواحدة: بَرْديّة. (الإفصاح ٢: ١١٢٠)

الرّاغِب: أصل البَرْد خلاف الحرّ، فتارة يُعتبر ذاته، فيقال: بَرَدَ كذا، أي اكتسب بَرْدًا، وبَرَدَ الماء كذا، أي كسبه بَرْدًا، نحو:

ستَبْرُد أكبادًا وتبكي بَواكيًا

ويقال: بَرَّدَهُ أيضًا ـ وقيل: قد جاء «أبْرَدَهُ»، وليس بصحيح ـ ومنه البَرّادَة لما يُبَرِّد الماء.

ويقال: بَرَدَ كذا، إذا ثبت ثبوت البرد. واختصاص الثّبوت بالبرد كاختصاص الحركة بالحرّ، فيقال: بَرَد كذا، أي ثبت، كما يقال: بَرَد عليه دَيْن. [ثمّ استشهد بشعر]

يقال: لم يَبْرُد بيدي شيء، أي لم يثبت.

وبَرَدَ الإنسان: مات، وبَرَدَهُ: قتله، ومنه: السُّيوف البوارد، وذلك لما يعرِضُ للميّت من عدم الحرارة بفقدان الرّوح، أو لما يعرض له من السّكون.

وقولهم للنّوم: بَرْدٌ، إمّا لما يعرض من البرد في ظاهر جلده، أو لما يعرض له من السّكون. وقد عُلم أنّ النّوم من جنس الموت، لقوله عزّوجلّ: ﴿اَللّٰهُ يَتَوَفَّى الْاَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ الزّمر: ٤٢، وقال: ﴿لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَاشَرَابًا﴾ النّبأ: ٢٤، أي نومًا.

وعيشٌ باردٌ، أي طيّب اعتبارًا بما يجد الإنسان من اللّذّة في الحرّ من البَرْد، أو بما يجد فيه من السّكون.

والأبْرَدان: الغداةُ والعَشيّ، لكونهما أبْرَدَ الأوقات في النّهار.

والبَرَد: مايَبْرُد من المطر في الهواء، فيصلُب. وبَرَدَ السّحاب اختصّ بالبَرَد، وسحابٌ أبْرَدُ وبَرِدٌ: ذوبَرَدٍ، قال الله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ النّور: ٤٣.

والبَرْديّ: نَبْتٌ يُنسب إلى البَرْد لكونه نابتًا به.

وقيل: أصل كلّ داءٍ البَرْدَة، أي التُّخَمَة؛ وسمّيت بذلك لكونها عارضةً من البُرُودة الطّبيعيّة الّتي تعجز عن الهَضْم.

والبَرُود يقال: لِما يَبْرُد به ولِما يَبْرُد، فتارةً يكون فَعُولًا في معنى فاعل، وتارةً في معنى مفعول، نحو ماءٌ

بَرُود وثغرٌ بَرُود، وكقولهم: للكُحْل بَرُود.

وبَرَدْتُ الحديد: سَحَلْتُه، من قولهم: بَـرَدْتُه، أي قتلته. والبُرادَة: مايسقط، والمِبْرَد: الآلة الّتي يُبْرَد بها.

والبُرُد في الطّرق: جمع البريد، وهم الّذين يلزم كلّ واحد منهم موضعًا منه معلومًا، ثمّ اعتُبِر فعله في تصرّفه في المكان المخصوص به، فقيل لكلّ سريع: هو يَبْرُد.

وقيل لجَـنَاحَي الطّائر: بَريداهُ، اعتبارًا بأنّ ذلك منه يجري مجرى البريد من النّـاس، في كـونه مـتصرّفًا في طريقه، وذلك فرعٌ على فرع، على حسب مـايُبيَّنُ في أُصول الاشتقاق. (٤٢)

الزَّمَخْشَريّ: [في قول النّبيّ ﷺ:] «بَرَد أمرنا»، أي سهُل، من العيش البارد، وهو النّاعم السّهل. وقيل: ثبت، من: بَرَد لي عليه حقّ.

«مَن صلّى البَرْدَين دخل الجنّة» هما الغداة والعَشيّ لطيب الهواء وبَرْده فيهما.

«إذا اشتدّ الحرّ فأبْرِدوا بالصّلاة»، أي صـلّوها إذا انكسر وَهَج الشّمس بعد الزّوال، وإذا كـانوا في سـفر فزالت الشّمس وهبّت الأرواح تنادَوا: أبْرَدْتُم بالرّواح.

وحقيقة الإبراد: الدّخول في البَرْد، كقولك: أظهرنا وأفجرنا. والباء للـتّعدية، فـالمعنى ادخـلوا الصّـلاة في البَرْد.

«الصّوم في الشّتاء الغنيمة الباردة» هي الّتي تجيء عفوًا من غير أن يُصطَلَى دونها بنار الحرب، ويباشر حرّ القتال.

وقيل: الثّابتة الحاصلة، من: بَـرَد لي عـليه حـقّ. وقيل: الهنيّة الطّيّبة من العيش البارد.

والأصل في وقـوع «البَرْد» عـبارة عـن الطّـيب والهناءة، أنّ الهواء والماء لمّـا كـان طـيبهما بـبردهما ـ خصوصًا في بلاد تهامة والحجاز ـ قيل: هواء بارد، وماء بارد، على سبيل الاستطابة، ثمّ كثر حتّى قيل: عـيش بارد، وغنيمة باردة، وبَرَد أمرنا.

وكان يكـتب إلى أُمـرائـه: «إذا أبْـرَدتُم إليّ بَـريدًا فاجعلوه حسَـن الوجه، حسَـن الاسم» أي إذا أُرسلتم إليّ رسولًا.

والبَريد، في الأصل: البَغْل، وهي كـلمة فـارسيّة أصلها «بُريده دُم»، أي محذوف الذّنَب، لأنّ بغال البَريد كانت محذوفة الأذناب، فعرّبت الكلمة وخفّفت. ثمّ سمّي الرّسول الّذي يركبه بريدًا، والمسافة الّتي بين السّكّتين بريدًا. (الفائق ١: ٩١)

في الحديث: «لاتُبَرِّدوا عن الظّـالم» أي لاتُخـفّفوا عنه، ولاتسهّلوا عليه من عقوبة ذَنْبه، بشتمه ولَعْنه.

(الفائق ١: ١٠٤)

البُرْد: جمع بَريد، وهو الرّسول، مخفّف عن «بُرُد» كرُسْل في رُسُل. (الفائق ١: ٤٠٥)

منع البَرْدُ البَرْدَ، وهو النّوم. وبَرَّدْتُ فؤادكَ بشَرْبَة. واسقني ماأبْرُدُ به كَبِدي. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَرَدَ عيني بالبَرُود، وهو الدّواء الّذي يَبْرُد العين.

وخُبزٌ مَبْرُودٌ: مبلول بالماء البارد، واسمه «البَريد» تُطعمُه المرأة للسُّمْنَة؛ تقول: نفخ فيها الثَّريد والبَريـد، حتّى آضت كما تريد.

وباتت كيزانهم على البَرّادة، وهم يتبرّدون بالماء ويَتَبَرَّدون. [ثمّ استشهد بشعر]

وأصل كلّ داء البَرْدة، وهي التُّخَمَة، لأنّها تبرُدُ الطّبيعة فلاتُنضج الطّعام بحرارتها.

وأبْردوا بالظّهر، وجاؤوا مُبْردين، وسحاب بَرِد، وبُرِد بنو فُلان، وأرض مبرودة كمثلوجة.

ولاأفعل ذلك مااتّسم البَرْدان والأبْردان، وهما الغداة والعشيّ.

ولها ساق كأنّها بَرْديّة.

وأبردت إليه بريداً، وهو الرّسول المستعجل. وأعوذ بالله من قعقعة البريد. وسارت بينهم البُرُد. وهذا بريد مُنْصِبٌ، وهو مابين المَنْزِلَين.

وفلان يَسْحب البُرُود، وكان يشتمل بالبُرْدَة.

ومن المجاز: بَرَد لي على فلان حقّ ومابَرَد لك على فلان.

وإنّ أصحابك لايُبالُون ما بَرَدوا عليك، أي ماأوجبوا وأثبتوا.

وبَرَد فلان أسيرًا في أيديهم، إذا بقي سَلَمًا لايُفدى. وضربتُه حتّى بَرَد، وحتّى جَمَد.

وبَرِّد ظهر فرسك ساعة: رَفِّهْهُ عن الرّكوب. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَرَد مضجعُه، إذا سافر.

ولاتُبَرِّد عن ظالمك: لاتخفّف عنه بدعائك عليه، لقوله ﷺ: «لاتُسبّخي عنه».

وبَرَد مُخّه وبَرَدَتْ عظامه، إذا هُزِل وضَعُف، قد جاءنا فلانًا باردًا مُخّهُ. [ثمّ استشهد بشعر]

وفلان بارد العظام وصاحبه حارّ العظام: للهزيل والسّمين.

ورُعِبَ فبَرَد مكانَه، إذا دُهِش.

وبَرَد الموت عليه: بانَ أثره. [ثمّ استشهد بشعر]

وعيش بارد: ناعم. [ثمّ استشهد بشعر]

وسلب الصّهباء بُرْدَتَها، أي جِرْيالَها. [ثمّ استشهد بشعر]

شبّه مايعلوها من لونها بالبُرْدة الّتي يُشتمل بها.

وجعل لسانه عليه مِبْرَدًا، إذا آذاه وأخذه بلسانه. [ثمّ استشهد بشعر]

واستَبْرَدْتُ عليه لساني: أرسلتُه عليه كالمِبْرَد.

ووقع بينهما قَدُّ بُرُودٍ يمنيّةٍ، إذا تخاصما حتّى تشاقّا ثيابهما الغالية، وهو مثَل في شدّة الخصومة.

(أساس البلاغة: ١٩)

المَدينيّ: في حديث الأسود: «أنّه كان يكتحل بالبَرُود وهو مُحرِم» البَرُود: كُحْل فيه أشياء باردة، وبَرَدْتُ عيني بالتّخفيف: كَحَلْتُها به.

في الحديث: «التقطْنا بُرْدة» قال الجُبّان: البُرْدة: كِساءٌ تلتحف به العرب.

في حديث أُمّ زرع: «بَرُودُ الظّلّ» أي طيّب العشرة، وإنّما لم يؤنّث، لأنّها أرادت شخصًا أو غيره. (١٤٦:١)

ابن الأثير: «من صلّى البَرْدَيْن دخل الجنّة» البَرْدانِ والأبْرَدان: الغَداة والعَشيُّ، وقيل: ظلّاهما.

ومنه حديث ابن الزّبير: «كان يسير بنا الأبْرَدَيْن»، وحديثه الآخر مع فضالة بن شَريك: «وسِرْ بها البَرْدَين»، ومنه حديث عمر رضي الله عنه: «وَدِدْتُ أنّه بَرَدَ لنا عملُنا».

وفيه: «إذا أبصَر أحدكم امرأةً فليأت زوجته، فإنّ

ذلك بَرْدُ ما في نفسه».

هكذا جاء في كتاب مسلم بالباء الموحّدة من «البَرْد» فإن صحّت الرّواية فمعناه أنّ إتيانه زوجته يُبرّد ماتحرّكت له نفسه من حرّ شهوة الجماع، أي يسكّنه ويجعله باردًا.

والمشهور في غيره «فإنّ ذلك يَرُدُّ ما في نفسه» بالياء، من الرّدّ، أي يعكسه.

وفيه «أنّه أمر أن يؤخذ البُرْديّ في الصّدقة» هو بالضّمّ، نوع من جيّد التّمر. (١: ١١٤ ـ ١١٦)

الصّغانيّ: يقال: بَرَدْتُ الخبز بالماء، إذا صببت عليه الماء فبللته، واسم ذلك الخبز المبلول: البَرُود، والمبرُود.

وبَرَدَ مُخّ فلان، إذا هُزِل.

وقوله ﷺ: «الصّوم في الشّتاء الغنيمة الباردة» هي الّتي تجيء عفوًا من غير أن يُصْطَلَى دونها بنار الحرب، ويُباشر حرّ القتال.

وقيل: الثّابتة، وقيل: الطّيّبة، وكلّ مستطاب محبوب عندهم: بارد.

والأبارد: النّمور، واحدها: أَبْرَد، ويقال للنّمِر الأنثى: أبْرَدَة.

والبرّادة: كوّازة يُبرِّد الماء عليها.

ويقال: وقع بينها قَدُّ بُرُودٍ يُمْنَةٍ، أي بلغنا أمرًا عظيمًا، لأنّ «اليُمن» وهي برود اليمن، غالية الثّمن، فهي لاتُقَدّ إلّا لأمر عظيم.

وبَرَدى، على «فَعَلى» بالتّحريك: اسم نهر بدمشق.

[ثمّ استشهد بشعر]

وبَرَدَيَّا، على «فَعَلَيّا»: موضع بالشّام، وقيل: نهر.

ويقال: أصابه بُراد، بالضّمّ، وهو ضعف القوائم، من جوع أو إعياء، ومنه قيل: بُرِد فلانٌ، إذا ضعفت قوائمه.

وبُرْدَة، بالضّمّ، وبُرَيدة تصغيرها، وبَرّاد، على «فعّال» بالتّشديد: من الأعلام.

وبَرْدُ الخيار بالفتح، مضافًا إلى الخيار.

البُرَداء: الحُمّى بالقِرّة.

وترك سيفه مُبَرَّدًا، أي بارزًا.

وبَرْدَة العين: وسَطُها. وضرب من اللّبن، يقال له: بُرْدَة الضّأن.

وتسمّى النّعجة، بَرْدَة، وهي اسم لها علَم، وتُدعى فيقال: بَرْدَة بَرْدَة.

وبِرَنْد السّيف، وبِرِنْده، بفتح الرّاء وكسرها، مثل فرنده، بكسرها، عن الفرّاء. (٢: ١٩٦)

بَرَّدَ: إذا بَرَّد وإذا أسخن. (الأضداد: ٢٢٤)

ابن منظور: وفي الحديث: «إنّ البطّيخ يقطع الإبردة».

والإبرِدة بكسر الهمزة والرّاء: علّة معروفة من غلبة البَرْد والرّطوبة تفتّر عن الجماع، وهمزتها زائدة.

ورجل به إبْرِدَة، وهو تقطير البول ولاينبسط إلى النّساء.

وابتَرَدْتُ، أي اغتسلت بالماء البارد، وكذلك إذا شربته لتَبرُد به كبدك. [ثمّ استشهد بشعر]

وابتردَ الماء: صبّه على رأسه باردًا. (٣: ٨٣)

وبَرَد الرّجل يبرُد بَرْدًا: مات، وهو صحيح في الاشتقاق، لأنّه عدم حرارة الرّوح. (٣: ٨٥)

الفَيُّوميّ: البَرْد: خلاف الحرّ، وأبْرَدْنا: دخلنا في البَرْد، مثل أصبَحْنا: دخلنا في الصّباح.

وأمّا أبرِدوا بالظّهر، فالباء للتّعدية، والمعنى أدْخِلوا صلاة الظّهر في البَرْد، وهو سكون شدّة الحرّ.

وبَرُدَ الشّيءُ بُرُودة، مثل سهُل سُهُولةً، إذا سكنت حرارته.

وأمّا بَرَد بَرْدًا من بـاب «قـتل» فيُستعمل لازمًا ومتعدّيًا، يقال: بَرَد الماء وبَرَدْتُه، فهو بـارد مـبرود، وهذه العبارة تكون من كلّ ثلاثيّ يكون لازمًا ومتعدّيًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَرَّدْته بالتّثقيل مبالغةً.

وبَرَدْتُ الحديدة بـالمِبْرَد بكـسر المـيم، والجـمع: المبارِد.

والبَرْدي: نبات يُـعمل مـنه الحُـصُر، عـلى لفـظ المنسوب إلى البَرْد.

والبَرَد بفتحتين: شيء ينزل من السّحاب يُشـبه الحصَى، ويسمّى حبّ الغَمام وحبّ المُزْن.

والبَرَدة: التُّخَمَة، سمّيت بذلك لأنّها تَبْرُد المَعِدَة، أي تجعلها باردةً لاتَنْضج الطّعام.

والبَرُود، وزان رسول: دواء يسكّن حرارة العين، يقال منه: بَرَد عينه بالبَرود.

والبَريد: الرّسول، ومنه قول بعض العرب: «الحمّى بَريد الموت» أي رسوله، ثمّ استُعمل في المسافة الّتي يقطعها، وهي اثنا عشر ميلًا.

ويقال لدابّة البَريد: بَريد أيضًا، لسيره في البَريد، فهو مستعار من المستعار، والجمع: بُرُد بضمّتين.

والبُرْد: معروف، وجمعه: أبراد وبُرُود، ويضاف للتّخصيص، فيقال: بُرْدُ عَصْبٍ، وبُرْدُ وَشْيٍ.

والبُرْدة: كساء صغير مربّع، ويقال: كساء أسود صغير.

والبُرْديّ بالضّمّ: من أجود التّمر. (١: ٤٢)

الفيروزاباديّ: البَرْد معروف، بَرَدَ كنصَر وكرُمَ بُرودةً.

وماءٌ بَرْد وبارد وبَرُود وبُراد ومَبْرود، وقد بَرَدَهُ بَرْدًا وبَرَّده: جعله باردًا، أو خَلَطه بالثّلج، وأبْرَده: جاء به باردًا، وله سقاه باردًا.

والبَرْد: النّوم، ومنه: ﴿لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ النّبأ: ٢٤، والرّيق، وبالتّحريك: حَبُّ الغَمام، وموضع. وسحابٌ بَرِدٌ وأبْرَدُ، وقد بُرِدَ القوم كعُنِي، والأرض مُبْرَدَة ومَبْرُودة.

والبُرْدُ بالضّمّ: ثوبٌ مُخطّط، جمعه: أبْراد وأبْرُد وبُرُود، وأكْسِية يلتحف بها، الواحدة بهاءٍ.

والبَرّادةُ كجبّانة: إناءٌ يُبَرِّد الماء، وكوّارةٌ يُبرَّدُ عليها.

والإبْرِدةُ بالكسر: بَرْدٌ في الجوف.

والبَرَدَةُ، ويحرّك: التُّخَمَة.

وابْتَرَدَ الماء: صبّه عليه باردًا، أو شربه ليُبَرِّد كبِدَه.

وتَبَرَّدَ فيه: استَنْقَعَ.

والأبْرَدان: الغداة والعشيّ كالبَرْدَيْن، والظّلّ والفيء.

وأبْرَدَ: دخل في آخر النّهار.

وبَرَدْنا باللّيل وعلينا: أصابنا بَرْدُه.

وعيشٌ باردٌ: هنيءٌ.

وبَرَد: مات، وحقّ: وجَبَ ولزم، وبُخْه: هُزِل، والحديدَ: سَحَلَه، والعينَ: كحلَها، والخُبْزَ: صبَّ عليه الماء، فهو بَرُود ومَبْرود، والسّيف: نَبا، وزيدٌ: ضَعُفَ كبُرِد كعُنِي، وفتَر بُرادًا وبُرُودًا.

وبَرّدَهُ وأبرَدَهُ: أضعَفَه.

والبُرادَة: السُّحالة، والمِبْرَد كمِنْبَر: السُّوهان.

والبَرْديّ: نبات معروف، وبالضّمّ تمرٌ جيّد.

والبَريد: المُرتّب، والرّسول، وفرسخان أو اثنا عشر ميلًا، أو مابين المنزلَين، والفُرانِق لأنّه يُنذِر قُدّام الأسَد، والرّسل على دوابّ البَريد.

وبَرّدَهُ وأبرَدَهُ: أرسله بريدًا، وهما في بُرْدَة أخماس، أي يفعلان فعلًا واحدًا.

وبَرْدَة: علَم للنّعجة، وبالتّحريك من العين: وسطُها.

وبُرْدَة الضّأن بالضّمّ: ضرب من اللّبن.

والبُرَداءُ ككرماء: الحُمّى بالقِرّة.

والأبْرَدُ: النّمِر، جمعه: أبارد، وهي بهاءٍ.

وبَرْدُ الخيار: لقب، ووقع بينهما قِدْبُرُودٍ يَمْنَةٍ: بلغا أمرًا عظيمًا، لأنّ اليُمْن وهي بُرُود اليمن لاتُقَدُّ إلّا لعظيمة.

(١: ٢٨٦)

الطُّرَيحيّ: والبَرَد: شيء ينزل من السّحاب يُشبه الحصَى، ويسمّى حبَّ الغمام وحبَّ المُزْن. وقيل: وإنّما سمّي بَرَدًا، لأنّه يبرد وجه الأرض.

والبَرْد: خلاف الحرّ، كما أنّ البُرُودَة: خلاف الحرارة.

وبَرُدَ الماءُ كنصَر وكرُم بُرُودةً: سكنت حرارته.

وعيشٌ باردٌ، أي هنيء.

وفي الحديث: «أبْرِدوا بالصّلاة فإنّ شدّة الحرّ من فوح جهنّم».

قيل: هو من الإبراد الّذي هو انكسار الوَهَج والحرّ، أعني الدّخول في البَرْد، والمعنى صلّوها في أوّل وقتها ـ من بَرْد النّهار: أوّله ـ وهو الأقرب، لأنّ الصّلاة ممّا أُمر الإنسان بتعجيلها والمحافظة عليها.

ومثله الحديث: «إنّ المؤذّن يأتي النّبيّ ﷺ في الحرّ في صلاة الظّهر، فيقول له رسول الله ﷺ: أبْرِد أبْرِد» يعني عجّل عجّل.

قال الصّدوق ﵀: وأخذ ذلك من التّبريد، يعني الدّخول في البَرْد، لأنّ من عجّل بصلاته في أوّل وقتها فقد سَلِم من الوَهَج والحرّ.

قيل: وهذا أولى من حمل «أبْرِد أبْرِد» على التّأخير، لمنافاته المحافظة على الصّلاة وتعجيلها أوّل الوقت.

وفيه: «أفضل الصّدقة إبراد كَبِدٍ حرّى» أي تبريد وهجها وحرارتها.

وفيه: «الصّوم في الشّتاء الغنيمة الباردة» أي الّتي لاتعب فيها ولانصب. والعرب تصف سائر مايستلذّ بالبُرودة.

ويشهد لذلك قوله ﵇: «من وجد بَرْدَ حبّنا على قلبه فلْيحمَد الله» أراد لذاذة حبّنا، والمعنى أنّ الصّائم في الشّتاء يحوز الأجر من غير أن يمسّه العطش، أو تصيبه لَذْعَة الجوع.

وفيه: «إذا نظر أحدكم امرأةً فليأت زوجته فإنّ في ذلك بَرْد مافي نفسه» رُوي بالباء الموحّدة من البَرْد أي

إنّه يُبْرِد له ماتحرّكت به نفسه من حدّ شهوة الجماع، أي يُسكّنه ويجعله باردًا.

وفيه «لاتُبْرِد للوارث على ظهرك» قيل: معناه لاتشق ويسعدُ غيرك، يُفسّره قوله عليه السلام: «إنّما أنت جامع لأحد رجلين: إمّا رجل عمل بطاعة الله فيُسعد بما شقيت، وإمّا رجل يعمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له، وليس من هذين أحد بأن تُؤثره على نفسك ولاتُبْرِد له على ظهرك.

وفي الدّعاء: «اللّهمّ اجمع بيننا وبين محمّد صلّى الله عليه وآله في بَرْد العيش» أي في طيب العيش.

وبرّدتُ الشّيء تبريدًا، ولايقال: أبرَدته، إلّا في لغة رديئة، قاله الجوهريّ.

والبُرْد: بالضمّ فالسّكون: ثوب مخطّط، وقد يقال لغير المخطّط أيضًا، وجمعه: بُرودٌ وأبرادٌ، ومنه الحديث: «الكفن يكون بُرْدًا، فإن لم يكن بُرْدًا فاجعله كلّه قُطنًا».

والبُرْدة: كساءٌ أسود مربّع، فيه صغر يكتسيه الأعراب.

والبَريد، بالفتح على «فَعيل»: أربعة فراسخ اثنا عشر ميلًا، وروي فرسخين ستّة أميال، والمشهور الّذي عليه العمل خلافه.

وفي الحديث عن الصّادق عليه السلام: «البَريد: مابين ظلّ عَيْر إلى فَيْء وَعِير، ذرَعَتْه بنوأُميّة ثمّ جزّؤوهُ اثني عشر ميلًا، فكان كلّ ميل ألفًا وخمسمائة ذراع، وهو أربعة فراسخ».

وفي الحديث: «حرم رسول الله صلّى الله عليه وآله من المدينة بَريد في بَريد».

ومثله: «الحرم بَريد في بَريد» وحينئذ فيكون طول الحرم أربعة فراسخ وعرضه كذلك، وهو من جانب مكّة الشّرقيّ أكثر من الغربيّ، لأنّ إشراق نور الحجر كان أكثر إلى جانب المشرق.

وفي الحديث: «آخر العقيق بَريد أوطاس» لعلّه اسم موضع.

والبَرْديّ، بالفتح فالسّكون: نبات معروف في العراق، وبالضمّ ضرب من أجود التّمر.

والبَرّادة، بالتّشديد: السّقاية، وسمّي المُبرّد النّحويّ بذلك، لأنّه كان يُدرّس بها، وكنية المُبرّد أبوالعبّاس، وكان في زمن المتوكّل. (۳: ۱۱)

مَجْمَعُ اللُّغة: ١ـ البَرْد: ضدّ الحرّ، يقال: بَرَد الشّيء كنصر وكرُم بَرْدًا وبُرودةً، واسم الفاعل، بارد.

٢ـ البَرَد: مايبرد من المطر في الهواء فيصلُب. (١: ٩٠)

العَدْنانيّ: «البُرْد جمعه: أبْراد، وأبْرُد، وبُرود، وبِراد، لابُرْد».

البُرْد: ثوبٌ مخطّط، يُزيّن بالقصَب والوَشي أحيانًا، يجمعونه على «بُرْدٍ»، والصّواب: أبْراد، وأبْرُد، وبُرود «اللّسان، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، والمتن، والوسيط».

واكتفى بالجمعين أبْرادٍ وبُرودٍ كلّ من الصّحاح، والمختار، والمصباح.

ويُجيز التّاج، والمدّ، والمتْن جمع البُرْد على بِراد.

أمّا البُرْد فهي جمع بَريدٍ «الأساس، واللّسان، والمُغرب، والمصباح، والتّاج، والمدّ، والمتْن الّذي ذكر

جمعًا آخر هو البُرْد ، والوسيط».

وجمع محيط المحيط البريد على «بُرودٍ» فأخطأ في زيادة الواو. وأُرجّح أنّ متن اللّغة جمع البريد على بُرْدٍ، نقلًا عن الحديث المذكور في مادّة «أبرد».

أمّا البُرْدة فكِساءٌ يُلتحف به، وجمعه: بُرَد. وذكر ابن سيدة أيضًا جمعًا آخر هو «بِراد». قال يزيد بن المُفَرّغ الحِميَريّ:

معاذ الله ربًّا أن ترانا

طوال الدّهر نشتمل البِرادا

وأطلق مجْمَعُ اللّغة العربيّة بالقاهرة اسم «بَرّادة» على الجهاز الّذي يُبرّد الطّعام والشّراب. ولاأدري لماذا لم يختاروا كلمة «برّاد» الّتي أطلقها عليه جميع سكّان البلاد العربيّة الّتي أعرفُها.

وربّما كان اختيارهم كلمة البرّادة عائدًا إلى قول «الأساس والقاموس»: البَرّادة: إناءٌ يُبرِّد فيه الماء. وهذا لايمنعنا من إطلاق اسم «البرّاد» على الثّلاجة. (٥٢)

محمود شيت: ١ـ أ. بَرَدَ بَرْدًا، وبُرُودًا: هبطت حرارته فهو بارد، وبَرود. وفلانٌ: فتَر. ومات. والأمر: سهُل. والسّيف: نبا. وبَريدًا: أرسله.

ب ـ بَرُدَ بُرُودَةً: صار باردًا. والأرض: أصابها البَرَد.

ج ـ أبْرَدَ: دخل في البَرْد. وبرسالة: أرسلها بطريق البَريد.

د ـ البُرادَة: مايُتساقط من الحديد أو نحوه في أثناء بَرْده.

هـ ـ البِرادَة: حرفة البَرّاد.

و ـ البُرْد: كِساء مخطّط يُلتحف به، جمعه: أبْراد، وأبْرُد، وبُرُود.

ز ـ البَرَدُ: الماء الجامد ينزل من السّحاب قطعًا صغارًا.

ح ـ البُرْدَة: كِساء مخطّط يُلتحف به، جمعه: بُرْد، وبُرَد.

ط ـ البَرّاد: من يبرد الحديد بالمِبْرَد.

ي ـ البَريد: أصله الدّابّة الّتي تحمل الرّسائل، والرّسول، والمسافة بين كلّ منزِلَين من منازل الطّريق، والرّسائل، جمعه: بُرُد.

ك ـ المِبْرَد: أداة تُبرّد بها المعادن، ونحوها.

٢ـ أ. البُرادَة: مايُتساقط من الحديد أو نحوه في أثناء بَرده.

ب ـ البِرادَة: حرفة البَرّاد.

جـ ـ البَرّادَة: جهاز التّبريد في العجلات ونحوها.

د ـ البَرّاد: من يبرد الحديد أو نحوه بالمِبْرَد. ومن أرباب الحِرَف في الجيش.

هـ ـ البَريد: الرّسائل. وحدة استلام البَريد وإيراده إلى أصحابه، ووحدة تسلّم الرّسائل وتسليمها إلى أصحابها.

ووحدة البريد من تشكيلات الجيش الإداريّة الّتي لها أثر على معنويّاته. (١: ٧٧)

المُصْطَفَويّ: والظّاهر أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو البُرودة خلاف الحرارة، وهذا المعنى يختلف باختلاف الموضوعات.

فالبُرودة في الماء أن يبرد إلى أن يصل حدّ الانجماد،

فيقال له: البَرَد.

والبُرودة في الحيوان أن تضعف حرارته البدنيّة إلى أن تصل حدّ السّكون، وتوقّف النّبض والموت.

والبُرودة في النّسب أن تصل إلى حدّ تخرج عن التّرديد والاضطراب، وتثبت النّسبة إلى الموضوع، كقولهم: بَرَد عليه دَين، وفي الموضوعات أن تصل إلى حدّ اللّزوم والثّبوت كقولهم: بَرَد الشّيء، أي دام وثبت.

والبَرْديّ: نبات كالقصَب، ينبت في الأراضي المرطوبة، وطبيعتها باردة.

والبَريد: هو الرّسول الّذي يبلّغ عن الغير ولايُظهر حرارة، وليست له مسؤوليّة في قوله، ولايعاقب، فهو في كمال الثّبوت والبُرودة. وأمّا البُرْد فلعلّه يُنسج من البَرديّ أو من نظائره.

فالبُرودة في جميع هذه الموارد محفوظة، وليس مطلق هذه المعاني مقصودًا، بل من هذه الحيثيّة.

والبارد كفاعل، والبَرْد كحسَن: صفة مشبّهة تدلّ على الثّبوت.

والفرق بين البريد والرّسول: أنّ الرّسول له جهة نيابة وعنوان نازلة من طرف مرسله، ويترتّب عليه ماللمُرسل. وهذا بخلاف «البريد» فإنّ له جهة إيصال الخبر قولًا أو كتابةً فقط، وليس له عنوان آخر أصلًا. (١: ٢٣٢)

النّصوص التّفسيريّة

بَارِدٌ

وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَابَارِدٍ وَلَاكَرِيمٍ. الواقعة: ٤٣، ٤٤

الضّحّاك: كلّ شراب ليس بعَذْب، فليس بكريم. (الطّبَريّ ٢٧: ١٩٣)

قَتادَة: لابارد المنزل، ولاكريم المنظر. (الطّبَريّ ٢٧: ١٩٣)

ابن جُرَيْج: لابارد المدخل، ولاكريم المخرج. (الماوَرْديّ ٥: ٤٥٦)

الفَرّاء: العرب تجعل «الكريم» تابعًا لكلّ شيء نَفَيتَ عنه وصفًا تنوي به الذّمّ، تقول: ماهو بسمين ولاكريم، وماهذه الدّار بواسعة ولاكريمة. (الطّبْرِسيّ ٥: ٢٢١)

الطّبَريّ: ليس ذلك الظّلّ ببارد، كبرد ظلال سائر الأشياء، ولكنّه حارّ، لأنّه دخان من سعير جهنّم، وليس بكريم، لأنّه مؤلم مَن استظلّ به. [ثمّ ذكر مثل قول الفَرّاء] (٢٧: ١٩٣)

الماوَرْديّ: فيه وجهان:

أحدهما: [قول ابن جُرَيْج المتقدّم]

الثّاني: لاكرامة فيه لأهله.

ويحتمل ثالثًا: أن يريد لاطيّبٌ ولانافعٌ. (٥: ٤٥٦، ٤٥٧)

الطّوسيّ: معناه لابارد كبرد ظلال الشّمس، لأنّه دخان جهنّم، ولاكريم، لأنّ كلّ ماانتفى عنه الخير، فليس بكريم. (٩: ٤٩٩)

نحوه الطّبْرِسيّ. (٥: ٢٢١)

القُشيريّ: أي لاراحة فيه. (٦: ٨٩)

المَيْبُديّ: أي لابارد المدخل ولاكريم المنظر.

وقيل: لاماؤهم بارد، ولامقيلهم كريم. (٩: ٤٥١)

الزّمَخْشَريّ: نفى لصفتي الظّلّ عنه، يريد أنّه ظلّ ولكن لاكسائر الظّلال، سمّاه ظلًّا ثمّ نفى عنه برد الظّلّ وروْحَه ونفعه لمن يأوي إليه من أذى الحرّ، وذلك كرمه ليمحق مافي مدلول الظّلّ من الاسترواح إليه.

والمعنى أنّه ظلّ حارّ ضارّ إلّا أنّ للنّفي في نحو هذا شأنًا ليس للإثبات، وفيه تهكّم بأصحاب المشأمة، وأنّهم لايستأهلون الظّلّ البارد الكريم الّذي هو لأضدادهم في الجنّة.

وقرئ (لَابَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ) بالرّفع، أي لاهو كذلك.

(٤: ٥٥)

نحوه النّسفيّ. (٤: ٢١٧)

الفخر الرّازيّ: قال الزّمخشريّ: كرم الظّلّ: نفعه الملهوف، ودفعه أذى الحرّ عنه، ولو كان كذلك لكان البارد والكريم بمعنى واحد، والأقرب أن يقال: فائدة الظّلّ أمران:

أحدهما: دفع الحرّ.

والآخر: كون الإنسان فيه مُكرَمًا، وذلك لأنّ الإنسان في البرد يقصد عين الشّمس ليتدفّأ بحرّها إذا كان قليل الثّياب، فإذا كان من المكرّمين يكون أبدًا في مكان يدفع الحرّ والبرد عن نفسه في الظّلّ، أمّا الحرّ فظاهر.

وأمّا البرد فيدفعه بإدفاء الموضع بإيقاد مايدفئه، فيكون الظّلّ في الحرّ مطلوبًا للبرد، فيُطلب كونه باردًا، وفي البرد يُطلب لكونه ذاكرامة، لالبرد يكون في الظّلّ، فقال: (لَابَارِدٍ) يطلب لبرده، ولاذي كرامة قد أعدّ للجلوس فيه.

وذلك لأنّ المواضع الّتي يقع عليها ظلّ ـ كالمواضع الّتي تحت أشجار وأمام الجدار ـ يُتّخذ منها مقاعد، فتصير تلك المقاعد محفوظة عن القاذورات، وباقي المواضع تصير مزابل، ثمّ إذا وقعت الشّمس في بعض الأوقات عليها تُطلب لنظافتها، وكونها معدّة للجلوس، فتكون مطلوبة في مثل هذا الوقت، لأجل كرامتها لالبردها، فقوله تعالى: ﴿لَابَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ يحتمل هذا.

ويحتمل أن يقال: إنّ الظّلّ يُطلب لأمر يرجع إلى الحسّ، أو يرجع إلى العقل، فالّذي يرجع إلى الحسّ هو برده، والّذي يرجع إلى العقل أن يكون الرّجوع إليه كرامة، وهذا لابرد له ولاكرامة فيه، وهذا هو المراد بما نقله الواحديّ عن الفرّاء: أنّ العرب تتبع كلّ منفيّ بكريم إذا كان المنفيّ أكرم، فيقال: هذه الدّار ليست بواسعة ولاكريمة.

والتّحقيق فيه ماذكرنا أنّ وصف الكمال، إمّا حسّيّ، وإمّا عقليّ، والحسّيّ يُصرّح بلفظه، وأمّا العقليّ فلخفائه عن الحسّ يشار إليه بلفظ جامع، لأنّ الكرامة عند العرب من أشهر أوصاف المدح، وتفيها نفي وصف الكمال العقليّ، فيصير قوله تعالى: ﴿لَابَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ معناه لامدح فيه أصلًا لاحسًّا ولاعقلًا. (٢٩: ١٦٩)

القُرطُبيّ: بل حارّ لأنّه من دخان شفير جهنّم.

(١٧: ٢١٣)

أبوحَيّان: [قال نحو الزّمخشريّ إلّا أنّه أضاف:]

وقد يجوز أن يكون ﴿لَابَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ صفة لـ(يَحْمُوم) ويلزم منه أن يكون «الظّلّ» موصوفًا بذلك.

وقرأ الجمهور ﴿لَابَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ بجرّهما، وابن أبي

عبلة برفعها، أي لاهو بارد ولاكريم، على حدّ قوله:
فأبيت لاحرج ولامحروم، أي لاأنا حرج. (۸: ۲۰۹)

الآلوسيّ: صفتان له، وتقديم الصّفة الجارّ والمجرور على الصّفة المفردة جائز، كما صرّح به الرّضيّ وغيره، أي لابارد كسائر الظّلال، ولانافع لمن يأوي إليه من أذى الحرّ، وذلك كرمه، فهناك استعارة، ونفي ذلك ليمحق توهّم مافي الظّلّ من الاسترواح إليه وإن وصف أوّلًا بقوله تعالى: ﴿مِنْ يَحْمُومٍ﴾ والمعنى أنّه ظلّ حارّ ضارّ.

إلّا أنّ للنّفي شأنًا ليس للإثبات، ومن ذلك جاء التّهكّم والتّعريض بأنّ الّذي يستأهل الظّلّ الّذي فيه برد وإكرام غير هؤلاء، فيكون أشجى لحلوقهم وأشدّ لتحسّرهم.

وقيل: الكرم باعتبار أنّه مرضيّ في بابه، فالظّلّ الكريم هو المرضيّ في برده وروْحه، وفيه أنّه لايلائم ماهنا، لقوله تعالى: ﴿لَابَارِدٍ﴾.

وجوّز أن يكون ذلك نفيًا لكرامة مَن يستروح إليه، ونُسب إلى الظّلّ مجازًا، والمراد أنّهم يستظلّون به وهم مهانون، وقد يحتمل الجلس الرّدي، لنيل الكرامة.

وفي «البحر»: يجوز أن يكونا صفتين لـ(يَحْمُوم) ويلزم منه وصف «الظّلّ» بهما، وتعقّب بأنّ وصف «اليحموم» وهو الدّخان بذلك، ليس فيه كبير فائدة.
(۲۷: ۱۴۳)

القاسميّ: أي ليس له صفتا الظّلّ الّذي يأوي إليه النّاس من الرّوْح، ونفع من يأوي إليه بالرّاحة، بل له إيذاء وإيلام وضرّ، بإيصال التّعب واللّهب والكرب.
(۱۶: ۵۶۵۳)

الطّباطبائيّ: الظّاهر أنّهما صفتان «للظّلّ» لا لـ(يَحْمُوم)، وذلك أنّ الظّلّ هو الّذي يتوقّع منه أن يتبرّد بالاستظلال به، ويستراح فيه دون الدّخان.
(۱۹: ۱۲۴)

بَرْدًا

۱ـ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرٰهِيمَ.
الأنبياء: ۶۹

النّبيّ ﷺ: إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا أُلقي في النّار قال: «اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أنجيتني منها» فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا. (الكاشانيّ ۳: ۳۴۴)

الإمام عليّ عليه السلام: بردت عليه حتّى كادت تقتله، حتّى قيل: (وَسَلَامًا): لاتضرّيه. (الطّبريّ ۱۷: ۴۴)

نحوه ابن جُرَيْج. (الطّبريّ ۱۷: ۴۵)

ابن عبّاس: لو لم يتْبع بردها سلامًا لمات إبراهيم من شدّة بردها. (الطّبريّ ۱۷: ۴۴)

أبوالعالية: لو لم يقل سبحانه (وَسَلَامًا) لكانت تؤذيه من شدّة بردها، ولكان بردها أشدّ عليه من حرّها، فصارت سلامًا عليه. ولو لم يقل: على إبراهيم، لكان بردها باقيًا على الأبد. (الطّبرِسيّ ۴: ۵۵)

الكلبيّ: بردت نيران الأرض جميعًا فما أنضجت كراعًا. (القُرطُبيّ ۱۱: ۳۰۴)

الإمام الصّادق عليه السلام: لمّا أُجلس إبراهيم في المنجنيق وأرادوا أن يرموا به في النّار أتاه جبرائيل عليه السلام، فقال: السّلام عليك ياإبراهيم ورحمة الله وبركاته ألك

حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا. فلمّا طرحوه دعا الله، فقال: ياالله، ياواحد، ياأحد، ياصمد، يامن لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحدًا، فحسَرت النّار عنه وأنّه لَمُحتبٍ، ومعه جبرائيل عليه السلام، وهما يتحدّثان في روضة خضراء. (الطّبرسيّ ٤: ٥٥)

الطّبَريّ: في الكلام متروك اجتُزئ بدلالة ماذُكر عليه منه، وهو: فأوقدوا له نارًا ليحرّقوه، ثمّ ألقوه فيها، فقلنا للنّار: ﴿يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ﴾. (١٧: ٤٣)

الماوَرْديّ: جعل الله فيها بردًا يدفع حرّها، وحرًّا يدفع بردها، فصارت سلامًا عليه. (٣: ٤٥٤)

الطّوسيّ: قيل في وجه كون النّار بردًا وسلامًا قولان:

أحدهما: أنّه تعالى أحدث فيها بردًا بدلًا من شدّة الحرارة الّتي فيها، فلم تؤذه.

والثّاني: أنّه تعالى حالَ بينها وبين جسمه، فلم تصل إليه، ولو لم يقل: (سَلَامًا) لأهلكه بردها، ولم يكن هناك أمر على الحقيقة، والمعنى أنّه فعل ذلك، كما قال: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ البقرة: ٦٥، أي صيّرهم كذلك من غير أن أمرهم بذلك. (٧: ٢٦٢)

القُشَيريّ: لو عصمه من نار نمرود ولم يمكنه من رميه في النّار من المنجنيق لكان ـ في الظّاهر ـ أقرب من النّصر، ولكنّ حفظه في النّار من غير أن يمسّه ألَمٌ، أتمّ في باب النّصرة والمعجزة والكرامة.

ويقال: إنّ إبراهيم عليه السلام كان كثيرًا مايقول: أوّاه من النّار، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ التّوبة: ١١٤.

فلمّا رُمِي في النّار، وجعل الله عليه النّار بردًا، قيل له: لاتقل بعد هذا: أوّاه من النّار، فالاستعاذة بالله من الله لامن غيره.

قوله: (وَسَلَامًا) أي وسلامة عليه وله، فإنّه إذا كان للعبد السّلامة فالنّار والبَرْد عنده سيّان.

ويقال: إنّ الّذي يُحرق في النّار مَن في النّار يقدر على حفظه في النّار.

ولمّا سلِم قلبه من غير الله بكلّ وجهٍ في الاستنصار والاستعانة، وسلِم من طلب شيء بكلّ وجهٍ، تعرّض له جبرئيل عليه السلام في الهواء وقد رُمِي من المنجنيق، وقال له: هل من حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا.

فجعل الله النّار عليه بردًا وسلامًا؛ إذ لمّا كان سليم القلب من الأغيار، وجد سلامة النّفس من البلايا والأعلال. (٤: ١٨١)

الزّمَخْشَريّ: جُعلت النّار ـ لمطاوعتها فعل الله وإرادته ـ كمأمور أُمر بشيء فامتثله، والمعنى ذات برد وسلام، فبولغ في ذلك كأنّ في ذاتها بردٌ وسلامٌ، والمراد: ابْرِدي فيَسْلَمُ منك إبراهيم، أو ابْرِدي بردًا غير ضارّ.

فإن قلت: كيف بَرَدت النّار، وهي نار؟

قلت: نزع الله عنها طَبْعها الّذي طبَعَها عليه من الحرّ والإحراق، وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال كما كانت، والله على كلّ شيء قدير.

ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم إبراهيم عليه السلام أذى حرّها، ويذيقه فيها عكس ذلك، كما يفعل بخزنة جهنّم، ويدلّ عليه قوله: ﴿عَلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ﴾، وأرادوا أن يكيدوه ويمكروا به فما كانوا إلّا مغلوبين مقهورين، غالبوه

بالجدال فغلّبه الله ولقّنه بالمبكت، وفزعوا إلى القوّة والجبروت فنصره وقوّاه نجيًّا من العراق إلى الشّام. (٢: ٥٧٨)

الطَّبْرِسيّ: معناه فلمّا جمعوا الحطب وألقوه في النّار قلنا للنّار ذلك، وهذا مثل، فإنّ النّار جماد لايصحّ خطابه. والمراد: إنّا جعلنا النّار بردًا عليه وسلامة لايصيبه من أذاها شيء، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ البقرة: ٦٥، والمعنى أنّه صيّرهم كذلك لاأنّه خاطبهم وأمرهم بذلك.

وقيل: يجوز أن يتكلّم الله سبحانه بذلك، ويكون ذلك صلاحًا للملائكة ولطفًا لهم. وذكر في كون النّار بردًا على إبراهيم وجوه:

[الأوّل والثّاني تقدّم عن الطّوسيّ]

وثالثها: أنّ الإحراق إنّما يحصل بالاعتمادات الّتي في النّار صعدا، فيجوز أن يُذهب سبحانه تلك الاعتمادات. وعلى الجملة فقد علمنا أنّ الله سبحانه منَع النّار من إحراقه، وهو أعلم بتفاصيله. (٤: ٥٤)

الفَخْر الرّازيّ: فيه مسائل:

المسألة الأُولى: قال أبومسلم الأصفهانيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ المعنى أنّه سبحانه جعل النّار بردًا وسلامًا، لاأنّ هناك كلامًا، كقوله: ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس: ٨٢، أي يكونه.

وقد احتجّ عليه بأنّ النّار جماد فلايجوز خطابه، والأكثرون على أنّه وجد ذلك القول، ثمّ هؤلاء لهم قولان:

أحدهما: وهو قول السُّدّيّ: أنّ القائل هو جبرئيل عليه السلام.

والثّاني: وهو قول الأكثرين: أنّ القائل هو الله تعالى، وهذا هو الأليق الأقرب بالظّاهر، وقوله: النّار جماد، فلايكون في خطابها فائدة، قلنا: لِمَ لايجوز أن يكون المقصود من ذلك الأمر مصلحة عائدة إلى الملائكة.

المسألة الثّانية: اختلفوا في أنّ النّار كيف بردت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ الله تعالى أزال عنها مافيها من الحرّ والإحراق، وأبقى مافيها من الإضاءة والإشراق، والله على كلّ شيء قدير.

وثانيها: أنّ الله تعالى خلق في جسم إبراهيم كيفيّة مانعة من وُصول أذى النّار إليه، كما يفعل بخزنة جهنّم في الآخرة، وكما أنّه ركّب بنية النّعامة بحيث لايضرّها ابتلاع الحديدة المُحْماة، وبدن السّمندل بحيث لايضرّه المكث في النّار.

وثالثها: أنّه سبحانه خلَق بينه وبين النّار حائلًا يمنع من وصول أثر النّار إليه، قال المحقّقون: والأوّل أولى، لأنّ ظاهر قوله: ﴿يَانَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ أنّ نفس النّار صارت باردة حتّى سَلِم إبراهيم من تأثيرها، لاأنّ النّار بقيت كما كانت.

فإن قيل: النّار جسم موصوف بالحرارة واللّطافة، فإذا كانت الحرارة جزء من مسمّى النّار امتنع كون النّار باردة، فإذًا وجب أن يقال: المراد من النّار الجسم الّذي هو أحد أجزاء مسمّى النّار، وذلك مجاز، فلِمَ كان مجازكم أولى من المجازين الآخرين؟

قلنا: المجاز الّذي ذكرناه يبقى معه حصول البرد، وفي المجازين اللّذين ذكرتموهما لايبقى ذلك، فكان مجازنا أولى.

أمّا قوله تعالى: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرٰهِيمَ﴾ فالمعنى أنّ البرد إذا أفرط أهلك كالحرّ بل لابدّ من الاعتدال، ثمّ في حصول الاعتدال ثلاثة أوجه:

أحدها: أنّه يُقدّر الله تعالى بردها بالمقدار الّذي لايؤثّر.

وثانيها: أنّ بعض النّار صار بردًا وبقي بعضها على حرارته، فتعادل الحرّ والبرد.

وثالثها: أنّه تعالى جعل في جسمه مزيد حرّ فسَلِم من ذلك البرد، بل قد انتفع به والتذّ. (٢٢: ١٨٨)

القُرطُبيّ: قال بعض العلماء: جعل الله فيها بردًا يرفع حرّها، وحرًّا يرفع بردها، فصارت سلامًا عليه. (١١: ٣٠٤)

أبوحَيّان: [بعد نقل أقوال مختلفة في كيفيّة كون إبراهيم في النّار ومدّته قال:]

قد أكثر النّاس في حكاية ماجرى لإبراهيم، والّذي صحّ هو ماذكره تعالى من أنّه أُلقي في النّار، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، وخرج منها سالمًا، فكانت أعظم آية. (٦: ٣٢٨)

نحوه الآلوسيّ. (١٧: ٦٨)

البُرُوسَويّ: البرد: خلاف الحرّ، والسّلام: التّعرّي من الآفات، أي كوني ذات برد من حرّك، وسلامة من بردك، فزال مافيها من الحرارة والإحراق وبقي مافيها من الإضاءة والإشراق، واختاره المحقّقون لدلالة الظّاهر عليه.

وهذا كما ترى من أبدع المعجزات، فإنّ إنقلاب النّار هواء طيّبًا وإن لم يكن بدعًا من قدرة الله، لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة ممّا يخرق العادات.

وقيل: كانت النّار بحالها إلّا أنّه تعالى خلق في جسم إبراهيم كيفيّة مانعة من وصول أذى النّار إليه، كخزنة جهنّم في الآخرة، وكما أنّه ركّب بُنية النّعامة بحيث لايضرّها ابتلاع الحديدة المُحماة، وبدن السّمندل بحيث لايضرّه المكث في النّار، كما يشعر به ظاهر قوله: (عَلَىٰ إِبْرٰهِيمَ).

قيل: فبردت نار الدّنيا يومئذٍ ولم ينتفع بها أحد من أهلها، ولو لم يقل: ﴿عَلَىٰ إِبْرٰهِيمَ﴾ لبقيت ذات برد أبدًا على كافّة الخلق بل على جميع الأنبياء، ولو لم يقل: (سَلَامًا) بعد قوله: (بَرْدًا) لمات إبراهيم من بردها. [إلى أن قال:]

قيل: لمّا أُلقي في النّار، كان فيها أربعين يومًا أو خمسين، وقال: ماكنت أطيب عيشًا زمانًا من الأيّام الّتي كنت فيها في النّار.

فإن قلت: هل وجد القول من الله تعالى؛ حيث قال: ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أو هو تمثيل؟

قلت: جعل الله النّار باردة من غير أن يكون هناك قول وخطاب، لقوله تعالى: ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس: ٨٢

وذهب بعضهم إلى أنّ ذلك القول قد وُجد، والقائل هو الله أو جبريل قال بأوامر الله.

قال ابن عطاء: سلام إبراهيم من النّار بسلامة صدره

لما حكى الله عنه: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الصّافّات: ٨٤، أي خالٍ من جميع الأسباب والعوارض، وبردت عليه النّار لصحّة توكّله ويقينه، مع أنّ نار العشق غالبة على كلّ شيء. (٥: ٤٩٨)

الطَّباطَبائيّ: خطاب تكوينيّ للنّار تبدّلت به خاصّة حرارتها وإحراقها وإفنائها بردًا وسلامًا، بالنّسبة إلى إبراهيم عليه السلام، على طريق خرق العادة، وبذلك يظهر أن لاسبيل لنا إلى الوقوف على حقيقة الأمر فيه تفصيلًا؛ إذ الأبحاث العقليّة عن الحوادث الكونيّة إنّما تجري فيما لنا علم بروابط العلّيّة والمعلوليّة فيه من العاديّات المتكرّرة، وأمّا الخوارق الّتي نجهل الرّوابط فيها فلامجرى لها فيها. نعم نعلم إجمالًا أنّ لهِمَم النّفوس دخلًا فيها. وقد تكلّمنا في ذلك في مباحث الإعجاز، في الجزء الأوّل من الكتاب. (١٤: ٣٠٢)

٢ـ لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَاشَرَابًا. النّبأ: ٢٤

ابن عبّاس: يريد النّوم والماء.

(الطَّبْرِسيّ ٥: ٤٢٤)

البَرْد: الشّراب البارد المستلذّ. (أبوحيّان ٨: ٤١٤)

النّوم، بلغة هُذَيل. (اللّغات: ٥٠)

البَرْد: النّوم. (القُرطُبيّ ١٩: ١٨٠)

مثله مُجاهِد، والسُّدّيّ، والكِسائيّ، وفضل بن خالد، وأبومعاذ النّحويّ (القُرطُبيّ ١٩: ١٨٠)، والأخفش، والفرّاء، وقُطرُب، والعُتبيّ (الفخر الرّازيّ ٣١: ١٤)، وأبوعُبَيدة (الطَّبْرِسيّ ٥: ٤٢٤)، والقُمّيّ (٢: ٤٠٢).

الحسن: أي رَوْحًا وراحة.

مثله عطاء، وابن زَيْد. (القُرطُبيّ ١٩: ١٨٠)

قَتادَة: كنّى بالبَرْد عن الرَّوْح، لما بالعرب من الحرّ حتّى قالوا: برد الله عيشك، أي طيّبهُ اعتبارًا بما يجد الإنسان من اللّذّة في الحرّ من البَرْد.

(البُرُوسَويّ ١٠: ٣٠٣)

أنّه الرّاحة. (الماوَرْديّ ٦: ١٨٧)

مُقاتِل: لايذوقون في جهنّم بردًا ينفعهم من حرّها، ولاشرابًا ينفعهم من عطشها. (الطَّبْرِسيّ ٥: ٤٢٤)

الفَرّاء: إنّ النّوم ليبرد صاحبه، وإنّ العطشان لينام، فيبرد بالنّوم. (٣: ٢٢٨)

ابن أبي اليمان: يكون البرد هاهنا النّسيم.

(٣٠٢)

الطَّبَريّ: يقول: لايطعمون فيها بردًا يُبرّد حرّ السّعير عنهم، إلّا الغسّاق، ولاشرابًا يُرْويهم من شدّة العطش الّذي بهم، إلّا الحميم.

وقد زعم بعض أهل العلم بكلام العرب: أنّ البَرْد في هذا الموضع النّوم، وأنّ معنى الكلام: لايذوقون فيها نومًا ولاشرابًا، واستشهد لقيله ذلك بقول الكِنْديّ:

بَرَدَتْ مَراشِفها عَلَيّ فصدّني

عنها وعن قُبُلاتها البَرْد

يعني بالبَرْد: النّعاس، والنّوم إن كان يُبرد غليل العطش، فقيل له من أجل ذلك البَرْد، فليس هو باسمه المعروف، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب، دون غيره. (٣٠: ١٢)

الزّجّاج: قيل: نومًا، وجائز أن يكون لايذوقون

فيها بَرْدَ ريحٍ ولاظلٌّ ولانوم. (٥: ٢٧٣)

نِفْطَوَيه:العرب تقول: أنا أتبرّد وابْتَرِد بذاك، أي استريح، فالمعنى لايذوقون فيها راحةً.

(الهَرَويّ ١: ١٥١)

السِّجستانيّ: بَرْدًا، أي نومًا. ويقال في المثل: «منع البَرْد البَرْدَ» أي أصابني من البرد مامنعني النّوم.

(٢٠٨)

الماوَرْديّ: أنّه برد الماء وبرد الهواء، وهو قول كثير من المفسّرين. (٦: ١٨٧)

الزّمَخْشَريّ: يعني لايذوقون فيها بردًا وروْحًا ينفّس عنهم حرّ النّار، ولاشرابًا يسكن من عطشهم، ولكن يذوقون فيها حميًا وغسّاقًا، وقيل: البرد: النّوم. [ثمّ استشهد بشعر]

وعن بعض العرب: «منع البَرْد البَرْدَ». (٤: ٢٠٩)

نحوه البُرُوسَويّ. (١٠: ٣٠٣)

ابن عَطيّة: البَرْد في هذه الآية: النّوم، والعرب تسمّه بذلك لأنّه يَبْرد سوْر العطش، ومن كلامهم: منع البَرْدُ البَرْدَ، وقال جمهور النّاس: البَرْد في الآية مَسّ الهواء البارد وهو القُرّ، أي لايمسّهم منه مايستلذّ، ويكسر غرب الحرّ. (٥: ٤٢٧)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٥٣٤)، والمَراغيّ (٣٠: ١٢)، وأبوالسّعود (٦: ٣٦٠)، والآلوسيّ (٣٠: ١٥)، وأبوحيّان (٨: ٤١٤).

الفَخْر الرّازيّ: في قوله: (بَرْدًا) وجهان:

الأوّل: أنّه البَرْد المعروف، والمراد أنّهم لايذوقون مع شدّة الحرّ مايكون فيه راحة من ريح باردة، أو ظلّ يمنع من نار، ولايجدون شرابًا يُسكّن عطشهم، ويُزيل الحرقة عن بواطنهم، والحاصل أنّهم لايجدون هواءً باردًا، ولاماءً باردًا.

والثّاني: البَرْد هاهنا النّوم، وهو قول الأخفش، والكِسائيّ، والفَرّاء، وقُطْرُب، والعُتْبيّ، قال الفرّاء: وإنّما سمّي النّوم بردًا، لأنّه يبرد صاحبه، فإنّ العطشان ينام فيبرد بالنّوم، وأنشد أبوعُبَيْدَة والمُبرّد في بيان أنّ المراد من البَرْد: النّوم. [ثمّ استشهد بشعر]

قال المُبرّد: ومن أمثال العرب: «منع البَرْدُ البَرْدَ»، أي أصابني من البرد مامنعني من النّوم.

واعلم أنّ القول الأوّل أولى، لأنّه إذا أمكن حمل اللّفظ على الحقيقة المشهورة، فلامعنى لحمله على المجاز النّادر الغريب.

والقائلون بالقول الثّاني تمسّكوا في إثباته بوجهين:

الأوّل: أنّه لايقال: ذقت البَرْدَ، ويقال: ذُقت النّوم.

الثّاني: أنّهم يذوقون برد الزّمهرير، فلايصحّ أن يقال: إنّهم ماذاقوا بَرْدًا، وهَبْ أنّ ذلك البَرْد بَرْدٌ تأذّوا به، ولكن كيف كان، فقد ذاقوا البَرْد.

والجواب عن الأوّل: كما أنّ ذوق البرد مجاز، فكذا ذوق النّوم أيضًا مجاز، ولأنّ المراد من قوله: ﴿لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ أي لايستنشقون فيها نفسًا باردًا، ولاهواءً باردًا؛ والهواء المستنشق ممرّه الفمّ والأنف، فمجاز إطلاق لفظ الذّوق عليه.

والجواب عن الثّاني: أنّه لم يقل: لايذوقون فيها البَرْد بل قال: لايذوقون فيها بَرْدًا واحدًا، وهو البَرْد الّذي ينتفعون به ويستريحون إليه. (٣١: ١٤)

نحوه النّيسابوريّ. (٣٠: ٩)

القُرطُبيّ: [بعد نقل قول الزّجّاج قال:]

فجعل البَرْد بَرْدَ كلّ شيء له راحة، وهذا بَرْد ينفعهم. فأمّا الزّمهرير فهو بَرْد يتأذّون به، فلاينفعهم، فلهم منه من العذاب، ماالله أعلم به. (١٩: ١٨٠)

الطّباطَبائيّ: ظاهر المقابلة بين البَرْد والشّراب: أنّ المراد بالبَرْد مطلق مايتبرّد به غير الشّراب، كالظّلّ الّذي يُستراح إليه بالاستظلال، فالمراد بالذّوق مطلق النّيل والمسّ. (٢٠: ١٦٨)

بَرَدٍ

...وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ. النّور: ٤٣

النّبيّ ﷺ: إنّ الله عزّوجلّ جعل السّحاب غرابيل للمطر، هي تذيب البَرَد حتّى يصير ماءً، لكي لايضرّ شيئًا يصيبه، والّذي ترون فيه من البَرَد والصّواعق نقمة من الله عزّوجلّ، يُصيب بها من يشاء من عباده. (العَروسيّ ٣: ٦١٤)

ابن عَبّاس: البَرَد: الثّلج. (المَيْبُديّ ٦: ٥٥٥)

الحسَن: في السّماء جبالُ بَرَدٍ. (الطُّوسيّ ٧: ٤٤٧)

الإمام الصّادق عليه السلام: البَرَد لايؤكل، لأنّ الله تعالى يُصيب بها من يشاء. (الكاشانيّ ٣: ٤٤٠)

الفَرّاء: والمعنى ـ والله أعلم ـ أنّ الجبال في السّماء من بَرَدٍ خلقةٌ مخلوقةٌ، كما تقول في الكلام: الآدميّ من لحمٍ ودمٍ فـ(مِن) هاهنا تسقط، فتقول: الآدميّ لحمٌ ودمٌ، والجبال بَرَد، كذا سمعت تفسيره.

وقد يكون في العربيّة أمثال الجبال ومقاديرها من البَرَد، كما تقول: عندي بيتان تبنًا، والبيتان ليسا من التّبن، إنّما تريد: عندي قدر بيتين من التّبن، فـ«مِنْ» في هذا الموضع إذا أُسقطت، نُصبت مابعدها، كما قال: ﴿أَوْ عَدْلُ ذٰلِكَ صِيَامًا﴾ المائدة: ٩٥، وكما قال: ﴿مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ آل‌عمران: ٩١. (٢: ٢٥٦)

الطَّبَريّ: قيل في ذلك قولان: أحدهما: أنّ معناه وأنّ الله يُنزّل من السّماء من جبالٍ في السّماء من بَرَدٍ مخلوقة هنالك خِلقةً، كأنّ الجبال على هذا القول هي من بَرَد، كما يقال: جبال من طين.

والقول الآخر: أنّ الله يُنزّل من السّماء قدر جبال، وأمثال جبال من بَرَد إلى الأرض، كما يقال: عندي بيتان تبنًا، والمعنى قدر بيتين من التّبن، والبيتان ليسا من التّبن. (١٨: ١٥٤)

نحوه الزّجّاج (٤: ٤٩)، والطُّوسيّ (٧: ٤٤٧)، والطَّبْرِسيّ (٤: ١٤٨).

المَيْبُديّ: قيل: البَرَد ماءٌ جامد خلقه الله في السّحاب ثمّ ينزل، وقيل: يصير في الهواء بَرَدًا. (٦: ٥٥٥)

الزّمَخشَريّ: فإن قلت: ماالفرق بين (مِن) الأُولى والثّانية والثّالثة في قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾؟

قلت: الأُولى لابتداء الغاية، والثّانية للتّبعيض، والثّالثة للبيان، أو الأُوليان للابتداء، والآخرة للتّبعيض، ومعناه أنّه يُنزّل البَرَد من السّماء من جبال

فيها، وعلى الأوّل مفعول (يُنَزِّل) (مِنْ جِبَالٍ). [ثمّ أدام البحث نحو مانقلناه عن الطّبَرِيّ] (٣: ٧١)

نحـوه البَيْضاويّ (٢: ١٣٠)، والبُرُوسَويّ (٦: ١٦٥).

الآلوسيّ: هو معروف، وسمّي بَرَدًا لأنّه يبرد وجه الأرض، أي يُقشّره من: بردت الشّيء بالمِبْرَد، مفعول (يُنَزِّل) على أنّ (مِنْ) تبعيضيّة، وقيل: زائدة على رأي الأخفش، والأُوليان لابتداء الغاية، والجارّ والمجرور الثّاني بدل من الأوّل: بدل اشتمالٍ أو بعضٍ، أي يُنزّل مبتدئًا من السّماء من جبال كائنةٍ فيها بعض بَرَدٍ أو بَرَدًا.

وزعم الحَوْفيّ: أنّ (مِنْ) الثّانية للتّبعيض كالثّالث مع قوله بالبدليّة، وهو خطأ ظاهر.

وقيل: (مِنْ) الأُولى ابتدائيّة، والثّانية للتّبعيض واقعة موقع المفعول.

وقيل: زائدة، على رأي الأخفش أيضًا، والثّالثة للبيان، أي يُنزّل مبتدئًا من السّماء بعض جبال أو جبالًا كائنة فيها الّتي هي بَرَد، فالمنزّل بَرَد.

وعن الأخفش أنّ (مِنْ) الثّانية و(مِنْ) الثّالثة زائدتان وكلّ من المجرورين في محلّ نصب؛ أمّا الأوّل فعلى المفعوليّة لـ(يُنَزِّل) وأمّا الثّاني فعلى البدليّة منه، أي يُنزّل من السّماء جبالًا بَرَدًا، ومآله ينزّل من السّماء بَرَدًا. (١٨: ١٩٠)

الأُصول اللّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة «البَرَد» وهو ماء السّحاب الجامد، يقال: سحاب بَرِد وأبرد، أي ذوقُرّ وبَرَد، وكذا سحابة بَرِدَة، وشجرة مبرودة، أي طرح البَرَد ورقها، وأرض مبردة، إذا أصابها البَرَد، وأبرِدَة المطر: بَرْده، وقد بُرِدَ القوم، أي أصابهم البَرَد.

٢ـ ونقلت صفة البَرَد ـ وهي البُرودة ـ إلى الماء توسّعًا، يقال: بَرَدتُ الماءَ وبرّدتُهُ، أي صيّرته باردًا، وسقيته فأبردتُ له إبرادًا، أي سقيته باردًا، وابتردتُ وتبرّدتُ بالماء، والبَرّادة: إناء يُبرّد الماء.

وشُبّه بالبَرَد سحالة الحديد والخشب ونحوهما، يقال: برَدتُ الخشبة بالمِبْرَد أبرُدها بَرْدًا، إذا نحتّها.

٣ـ ثمّ استعمل هذا المعنى في مايدلّ على هُدوء الأعضاء وراحتها وسكونها، فيقال لكلّ مايُبرّد الغُلّة: بَرود، كقولهم: اسقني شربةً أُبرّدُ بها كبدي، ووابْتَرَداه على الفؤاد، إذا أصاب شيئًا هنيئًا، وأنا أتبرّد وأبترد بذاك، أي أستريح، وبَرَدتُ عينَه، بالكُحْل أبرُدها بردًا، وابْرُدْ ظهر دابّتك، أي حلّ عنها رَحْلَها وأرِحها.

ومنه أيضًا: البَرْد: النّوم، لأنّه يسكّن الأعضاء، يقال: منع البَرْدُ البَرْدَ، والعيشُ البارد: الطّيّب، وفي الحديث: «الصّوم في الشّتاء الغنيمة الباردة»، أي تبرُد الغليل.

والبارد من الرّجال: من ضعف من هُزال ومرض، فوجد فترة في عظامه ولحمه، وضعفت قوّته، يقال: أصابه بُراد وبُرود. والبارد من الإبل: المهزول، يقال: هو بارد العظام، وفيه بَرْدَة، أي استرخاء، والبَرْدَة: التُّخَمَة، لأنّها تبرد المعدة، فلاتنضج الطّعام. والإبْرِدَة: برد يجده الرّجل في جوفه أو في بعض أعضائه.

ومنه: البَرْديّ، وهو نبت يُشبه القصب، قال

الرّاغِب: «ينسب إلى البَرْد، لكونه نابتًا فيه». والبَرْدِيّ: ضرب من أجود التّمر، سمّي بذلك إمّا لكونه يبرد المعدة بطبعه، وإمّا يسخّنها، من: بَرَدَ الشّيء، إذا أسخنه.

والبُرْدَة: كساء كانت العرب تلتحف به، جمعها: بُرَد، ويقال له: البُرْد أيضًا، وهو من هذا المعنى، وقد شُبّه به بُرْدا الجرادة، أي جناحاها، كما شُبّهت الشّملة المخطّطة بلون النّمر، فقيل لها: نَمِرَة.

٤ـ وتُجوِّز فيه وتُوسّع، فقيل: لاتبرّد عن فلان بقول، أي إن ظلمك فلاتشتمه فتنقص من إثمه، وإنّ أصحابك لايبالون مابرّدوا عليك، أي ماأثبتوا عليك، ولي عليه ألفٌ باردٌ، أي ثابت، وسَمُوم بارد: ثابت لايزول، ولم يَبْرُد بيدي منه شيء، أي لم يستقرّ ولم يثبت، وبَرَدَ الموتُ على مصطلاه، أي ثبت عليه.

٥ـ وأمّا البريد فهو ليس عربيًّا، بل فارسيّ الأصل، وأصله في الفارسيّة «بُريده دُم»، أي محذوف الذّنب، لأنّ بغال البريد كانت محذوفة الأذناب، كما قال الزّمخشريّ.

وكانت العرب تطلق البريد على مسافة معيّنة، وهي ستّة أميال، وعلى الرّسول، ومنه الحديث النّبويّ: «إذا أبردتم إليّ بريدًا فاجعلوه حسَن الوجه حسَن الاسم»، ومنه قول بعض العرب: الحُمّى بريد الموت. كما كان يطلق أيضًا على دابّة البريد، لسيرها في البريد.

ويُطلق هذا اللّفظ اليوم على الخطابات والطّرود المرسلة من مكان إلى آخر برًّا أو جوًّا أو بحرًا، بواسطة مؤسّسة خاصّة تسمّى «دائرة البريد»، تسخّر سعاة يقومون بتوزيع الطّرود والرّسائل على أصحابها، لقاء رسم يدفعه المُرسِل سلفًا، بعنوان طابع بريديّ يُلصق على ظرف الرّسالة أو الطّرد.

الاستعمال القرآنيّ

جاء «البرد» في القرآن بالمعنى الحقيقيّ فقط في الآيات الخمس:

١ـ ﴿اُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾
ص: ٤٢

٢ـ ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَابَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾
الواقعة: ٤٣، ٤٤

٣ـ ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلٰى اِبْرٰهِيمَ﴾
الأنبياء: ٦٩

٤ـ ﴿لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَاشَرَابًا﴾ النّبأ: ٢٤

٥ـ ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾
النّور: ٤٣

يلاحظ أوّلًا: أنّ البُرودة في هذه الآيات ـ عدا الأخيرة ـ جاءت طباقًا للحرارة، وإن لم يتقدّم لها ذكر، وإنّما يظهر معناها من السّياق، ففي (١) حرارة جسم أيّوب إثر وطأة المرض، وفي (٢) حرارة جهنّم الشّديدة، وفي (٣) حرارة نار النّمرود، وفي (٤) حرارة جهنّم.

ثانيًا: استعمل القرآن البرودة نقيضًا لحرارة جهنّم في (٢) و(٤)، وهو إيماء إلى أثر البرودة في ذلك الموقف العسير، لأنّ العرب يُدركون أكثر من غيرهم مدى أهمّيّتها لهم في بيئتهم القاسية، كالظّلّ في يوم قائظ، والماء البارد في أوار الحرّ. وقد استعمل القرآن الحرارة في وصف حرّ نار جهنّم وشدّة الحرّ معًا، وهو قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾

التّوبة: ٨١، لاحظ «ح ر ر».

ثالثًا: جاء «البَرَد» في الآية الأخيرة ضمن سورة مدنيّة، لأنّ أهل المدينة أعرف بالبَرَد من غيرهم من سكّان الجزيرة، لقربهم من مناطق الشّمال الّتي يسقط فيها البَرَد شتاءً، كتيماء ودومة الجندل.



ب ر ر

٧ ألفاظ، ٣٢ مرّة: ١٩ مكّيّة، ١٣ مدنيّة

في ١٨ سورة: ١٢ مكّيّة، ٦ مدنيّة

تبرّوا ١: ـ ١	الأبرار ٦: ٤ ـ ٢
تبرّوهم ١: ـ ١	البِرّ ٨: ـ ٨
برًّا ٢: ٢	بررة ١: ١
البرّ ١٣: ١٢ ـ ١	

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: البَرّ: خلاف البحر، ونقيض الكِنّ، تقول: خَرَجْتُ بَرًّا وجَلَستُ بَرًّا على النّكرة، تستعمله العرب.

والبَرّيّة: الصّحراء.

والبَرّ: البارّ بذوي قرابته، وقومٌ بَرَرَةٌ وأبرارٌ.

وتقول: ليس ببَرّ وهو بارٌّ غدًا.

والمصدر والاسم: البِرّ، مستويان.

وبَرّتْ يمينه، أي صَدَقَتْ، وأبَرّها الله، أي أمضاها على الصّدق، وأبرَرْتُ يميني إبرارًا.

وبَرّ الله حَجّك فهو مبرورٌ.

وفلانٌ يَبَرُّك، أي يُطيعك، قال:

يَبَرُّك النّاس ويَفْجُرونكا

والبَرير: حَمل الأراك.

وقد أبَرّ عليهم، أي غلبهم.

وابترّ فلانٌ، أي انتصب منفردًا من أصحابه.

والبَرْبَرَة: كثرة الكلام، والجَلَبَة باللّسان.

قال:

كلّ غَدورٍ بَرْبارْ

وبَرْبَر: جيلٌ من النّاس سَيِّئ الخُلق، ويقال: إنّهم من وَلد برّ بن قيس بن عيلان.

والبُرّ: الحِنطة. والبُرْبُور: الجَشيش من البُرّ. (٨: ٢٥٩)

الأخفَش: يقال: هَرْهَرَ بها، إذا دعاها إلى الماء، وبَرْبَرَ بها، إذا دعاها إلى العلَف. (أبوزَيْد: ٢٥١)

«لايعرف الهِرّ من البِرّ» لايعرف من يهرّ عليه ممّن

يبرّه. (الطَّبْرِسيّ ١: ٩٨)

سِيبَوَيه: ولايقال لصاحبه [البُرّ]: بَرّار، على مايغلب في هذا النّحو، لأنّ هذا الضّرب إنّما هو سماعيّ لااطّراديّ. (الزّبيديّ ٣: ٣٨)

الضّبّيّ: [بعد نقل قول الأخفش قال:]

من هذا قولهم: «لايعرف هِرًّا من بِرٍّ» أي لايعرف الهَرْهَرَة من البَرْبَرَة. (أبوزَيْد: ٢٥١)

الهِرّ: سَوْق الغنم، والبِرّ: دعاء الغنم.

(الأزهَريّ ١٥: ١٨٨)

الأحمَر: بَرَرْتُ قسَمي، وبَرَرْتُ والدي.

(الأزهَريّ ١٥: ١٨٦)

ابن عُيَيْنَة: قال رسول الله ﷺ: «الحجّ المبرور ليس له جزاءٌ إلّا الجنّة» تفسير «المبرور»: طيب الكلام، وإطعام الطّعام. (الأزهَريّ ١٥: ١٨٦)

أبوعمروالشّيبانيّ: «هو أقصر من بُرّة» يعني واحدة البُرّ، أي إنّ البُرّة غاية في القِصَر.

(ابن فارِس ١: ١٧٩)

الفَرّاء: بَرّ حجُّه. فإذا قالوا: أَبَرّ الله حَجّه، قالوا بالألف.

والبِرّ في اليمين مثله. (الأزهَريّ ١٥: ١٨٧)

البَرْبَريّ: الكثير الكلام بلامنفعة.

(الأزهَريّ ١٥: ١٨٩)

أبوعُبَيْدَة: وبَرَّةُ: اسمٌ للبِرّ معرفةٌ، لاتنصرف. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن فارِس ١: ١٧٨)

أبوزَيْد: وإذا اختلط البُرّ بالشّعير فهو غَليثٌ، وقد غَلَثْته وأغْلَثْته غَلْثًا. (٢١٨)

الهِرّ: السِّنّور، والبِرّ: الفأرة. (٢٥١)

ويقال إذا كثر ولد الرّجل أو كثر القوم: قد أبرّ إبرارًا وأعرّ إعرارًا وأبرّوا وأعرّوا. فالعُرّ: الحرب، والبِرّ: الخير، ومعناه هو يضرّ وينفع إذا كثر وُلده. (٢٥٦)

بَرَرْتُ في قسَمي، وأبرّ الله قسَمي. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٥: ١٨٧)

الأصمَعيّ: البَرِيرُ: ثمرُ الأراك، والمَرْدُ: غضُّه، والكباثُ: نَضيجُه.

البَرْبَرة: الصّوت.

والبُرْبُور: الجَشيش من البُرّ.

(الأزهَريّ ١٥: ١٨٨)

بَرّتْ سِلْعته، إذا نَفَقَت.

والأصل في ذلك: أن تكافئه السّلعة بما حفظها وقام عليها، تكافئه بالغلاء في الثّمن. [ثمّ استشهد بشعر]

ومن كلام سلمان: «من أصلح جوّانيّه أصلح الله برّانيّه»، المعنى من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، أُخذ من الجوّ والبرّ.

والجوّ كلّ بَطْنٍ غامض، والبَرّ: المتن الظّاهر. فجاءت هاتان الكلمتان على النّسبة إليهما بالألف والنّون. (الأزهَريّ ١٥: ١٨٧)

أَبَرّت الأرض، إذا كثر بُرّها، كما يقال: أَبْهَمَت، إذا كثر بُهْماها.

والبُرْبُور: الجَشيش من البُرّ. يقال للخبز: ابن بُرّة، وابن حَبّة، غير مصروفَين.

البَرير: اسم لما أدرك من ثمر العِضاه. فإذا انتهى يَنْعُه اشتدّ سواده. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن فارِس ١: ١٧٨)

أبوعُبَيْد: في حديث النّبيّ ﷺ: «تمسّحوا بالأرض فإنّها بكم برّة».

يعني أنّه منها خَلْقهم وفيها معاشهم وهي بعد الموت كِفاتهم، فهذا وأشباه له كثيرٌ من بَرّ الأرض بالنّاس.

وقد تأوّل بعضهم قوله: «تمسّحوا بالأرض» على التيمّم، وهو وجه حسَن. وقد روي عن عبدالله بن مسعود أنّه كره أن يسجد الرّجل على شيءٍ دون الأرض، ولكنّ الرّخصة في هذا أكثر من الكراهة.

(١: ٢٢٠)

ابن عليّة عن خالد الحذّاء، قال: قَدمت من مكّة فلقيني أبوقلابة، فقال لي: بَرَّ العَمَل.

قوله: «بَرَّ العَمَلُ» إنّما دعا له بالبِرّ، يقول: بَرّ الله عملك، أي جعل حَجّك مبرورًا. والمبرور إنّما هو مأخوذٌ من «البِرّ» يعني ألّا يخالطه غيره من الأعمال الّتي فيها المآثم.

وكذلك غير الحجّ أيضًا، ومنه الحديث المرفوع، قال: حدّثناه أبومعاوية ومروان بن معاوية، كلاهما عن وائل بن داود، عن سعيد بن عمير، قال: سئل النّبيّ ﷺ: أيّ الكسب أفضل؟ فقال: «عمل الرّجل بيده، وكلّ بيع مبرور» فجعل النّبيّ ﷺ «البِرّ» في البيع ألّا يخالطه كذب، ولاشيء من الإثم. (٢: ٤٤٣)

ومن كلام العرب: «فلانٌ لايعرف هِرًّا من بِرٍّ»، معناه لايَعْرف الهَرْهَرة من البَرْبَرة.

فالهَرْهَرة: صوت الضّأن، والبَرْبَرة: صوت المعزَى.

(الأزهَريّ ١٥: ١٨٨)

ابن الأعرابيّ: ومن كلام العرب: «فلانٌ لايَعْرف هِرًّا من برٍّ»، البِرّ هاهنا: الفأر.

والبِرّ: فعل كلّ خيرٍ من أيّ ضَرْب كان، والبِرّ: دعاء الغنَم إلى العلَف، والبِرّ: الإكرام. والهِرّ: الخصومة.

والبِرّ: الفُؤاد، ويقال: هو مطمئنّ البِرّ. [ثمّ استشهد بشعر]

البَرابير: أن يأتي الرّاعي إذا جاع إلى السُّنبل فيَفْرُك منه ما أحبّ، وينْزِعه من قُنْبُعه، وهو قِشْره، ثمّ يَصُبّ عليه اللّبن الحليب ويُغْليه حتّى يَنْضَج، ثمّ يجعله في إناء واسع، ثمّ يُسَمّنه، أي يُبرّده، فيكون أطيب من السّميذ.

وهي الغَديرة، وقد اغْتَدَرْنا.

(الأزهَريّ ١٥: ١٨٧، ١٨٨)

سُئل رجل من بني أسد: أتعرف الفرس الكريم؟ [قال:] أعرف الجواد المُبِرّ من البطيء المُقْرِف.

والجواد المُبِرّ: الّذي إذا أُنِّف يأتنف السّير، ولَهَز لهز العَيْر، الّذي إذا عدا اسلَهَبّ، وإذا قيد اجلَعَبّ، وإذا انتصب اتلأبّ.

ويقال: أبَرّه يُبِرّه، إذا قَهَره بفعال أو غيره.

وبَرّ يَبَرّ، إذا صلَح. وبَرّ في يمينه يَبَرّ، إذا صدَقه، ولم يحنث. وبَرّ رحِمَه يَبَرّ، إذا وصله. وبَرّ يَبَرّ، إذا هُدي.

(الأزهَريّ ١٥: ١٨٩)

الهِرّ: دعاء الغنم، والبِرّ: سَوقها.

(الجَوهَريّ ٢: ٥٨٨)

ابن السِّكّيت: أبَرّ فلانٌ، إذا ركب البَرّ.

(الجَوهَريّ ٢: ٥٨٨)

المازنيّ: الهِرّ: السِّنّور، والبِرّ: الفأرة، أو دويبّة تشبهها. (الطَّبْرِسيّ ١: ٩٨)

شَمِر: البَرِّيّة: الأرض المنسوبة إلى البَرّ. وهي بَرِّيّة، إذا كانت إلى البَرّ أقرب منها إلى الماء.

في تفسير قوله ﷺ: «عليكم بالصّدق فإنّه يهدي إلى البِرّ».

اختلف العلماء في تفسير «البِرّ»، فقال بعضهم: البِرّ: الصّلاح، وقال بعضهم: البِرّ: الخير.

ولاأعلم تفسيرًا أجمع منه، لأنّه يُحيط بجميع ماقالوا.

وجعل لَبيدٌ البِرَّ التُّقى، حيث يقول:

ومالبِرّ إلّا مُضمَراتٌ من التُّقى

قال: وأمّا قول الشّاعر:

تَحُزّ رؤوسهم في غير بِرّ

فمعناه في غير طاعة وخير.

الحجّ المبرور: الّذي لايخالطه شيء من المآثم. والبيع المَبرور: الّذي لاشبهة فيه، ولاكَذِب، ولاخيانة.

ويقال: بَرّ فلانٌ ذاقَرابته، يَبَرّ بِرًّا. وقد بَرَرْتُه أبَرُّه. وبَرّ حجُّك يَبَرّ بُرُورًا. وبَرّ الحجّ يَبِرّ بِرًّا. وبَرّ الله حَجَّه، وأبَرّه.

وبَرّت يمينه تَبَرّ، وأبْرَرتها.

وبَرّ الله حجّه، وبُرّ حَجُّه. (الأزهَريّ ١٥: ١٨٥)

الدِّينَوريّ: البَرير: أعظم حَبًّا من الكَباث، وأصغر عنقودًا منه، وله عُجْمَة مدوّرة صغيرة صُلبة أكبر من الحِمّص قليلًا وعنقوده يملأ الكفّ، الواحدة من جميع ذلك: بَريرة.

وفي حديث طِهفة: «ونستصعد البرير، أي نَجْتنيه للأكل. وفي آخر: «مالنا طعامٌ إلّا البرير».

(الزَّبيديّ ٣: ٣٨)

ابن أبي اليمان: والبِرّ: العابد. (٣٦١)

المُبَرِّد: بَرّةُ: اسم علم لجميع البِرّ، وفَجار لجميع الفُجور، لابن جنّيّ تخصيصه بَرّة بفَعلتُ وفَجارِ بافتعَلْتَ، مثل قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ البقرة: ٢٨٦، فـ«كَسَبَ» للخير، و«اكْتَسَبَ» للشّرّ. (١: ٢٨٠)

يقال: صَدَقْت وبَرِرْت، وكذلك: بَرَرتُ والدي أبَرُّه. (الأزهَريّ ١٥: ١٨٧)

ثَعْلَب: بَرِرتُ والدي أبَرُّه، أي أطعته وأحسنت إليه، وهو رجل بارٌّ بوالده وبَرٌّ به أيضًا، أي مطيع غير عاقّ. (٩)

الزّجّاج: بارّ الرّجل الشّيء، إذا اختبره. وأباره، إذا أهلكه. (فعلت وأفعلت: ٥)

ابن دُرَيْد: البَرّ: خلاف البحر. والبِرّ: ضدّ العقوق، ورجل بَرٌّ وبارٌّ.

وبَرّتْ يمينه بِرًّا، إذا لم يَحنَث، وبُرّ حَجّه وبَرّ حَجّه لغتان. والبُرّ: المعروف أفصح من قولهم: القَمح والحِنطة. [ثمّ استشهد بشعر]

ومَثَل من أمثالهم «لايعرف الهِرّ من البِرّ».

وقد كثر الكلام في هذا المثل، فذكر أبوعثمان الأشنانداني أنّ الهِرّ: السِّنّور، والبِرّ: الفأرة، في بعض اللّغات أو دُوَيبّة تشبهها. وقال آخرون: لايعرف من يَهِرّ عليه ممّن يَبَرُّه. (١: ٢٧)

و«البِرّ» على وجوه: فمنه الصّلة، كقولهم: بَرّك الله،

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ الممتحنة: ٨.

والبِرّ: الصّدق، من قولهم: صدق وبرّ. (٣: ٤٧٢)

الأَزهَريّ: ويقال: أفصح العرب أبَرُّهُم، معناه أبعدهم في البرّ والبَدْو دارًا.

والبَرّ، من صفات الله: العَطوف، الرّحيم، اللّطيف، الكريم.

ويقال: قد تَبَرَّرْتَ في أمرنا، أي تحرَّجتَ. [ثمّ استشهد بشعر]

«أبرّ فلانٌ قسَم فلان وأحنثه». فأمّا أبرّه فمعناه أنّه أجابه إلى ماأقسم عليه. وأحنثه، إذا لم يجبه.

ومن كلام العرب: «فلان لايعرف هِرًّا من بِرٍّ».

قال خالد: الهِرّ: السِّنّور، والبِرّ: الجُرَذ. قال الفَزاريّ: البِرّ: اللّطف، والهِرّ: العُقوق.

قال الفَرّاء: البَرْبَريّ: الكثير الكلام بلا منفعة.

وقال غيره: رجلٌ بَرْبارٌ بهذا المعنى. وقد بَرْبَرَ في كلامه بَرْبَرَة، إذا أكثر.

ويقال: فلانٌ يَبَرُّ ربّه، أي يُطيعه، ومنه قوله:

يَبَرُّكَ النّاس ويَفْجُرونكا

ورجل بَرٌّ بذي قرابته، وبارٌّ: من قوم بَرَرة، وأبرار. والمصدر: البِرّ.

ويقال: أبَرّ على صاحبه في كذا، أي زاد عليه.

وسمّيت البَرّيّة، لاتّساعها.

والبِرّ: اسمٌ جامعٌ للخيرات كلّها، والبِرّ: الصّلة.

وفي بعض الحديث: «وهم تَغذْمُرٌ وبَرْبَرةٌ». البَرْبَرَة: الصّوت، والتَّغَذْمُر: أن يتكلّم بكلام فيه كِبْر. (١٥: ١٨٥)

الصّاحِب: البَرّ: خلاف البَحر، وإنّه لَمُبْحِرٌ مُبِرٌّ.

وأبَرَّ وأبحَر: ركبَ البَرّ والبَحْر.

والبَرّيّة: الصّحراء، وخَرَجْتُ بَرًّا: وهو ضدّ الكِنّ.

ويقولون: «من أصلح جَوّانيّه أصلح الله بَرّانيّه» أي من أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

والبَرّ: البارُّ بذوي قرابته، وقومٌ بَرَرَة وأبرارٌ، والمصدر: البِرّ.

وصَدَقْتَ وبَرَرْتَ، وبَرَّتْ يمينه، وأبَرّها الله، أي أمضاها على الصّدق. وبُرَّ حَجُّك، فهو مَبرورٌ. وهو يَبَرُّ ربَّه، أي يُطيعه.

والبِرُّ: الحجّ في قوله:

عليهنّ شُعْثٌ عامدون لبِرّهم

وبَرّة: اسم للبِرّ معرفة.

والبُرّ: الحِنطة، الواحدة: بُرّة، ويقال للخُبز: ابن بُرّة.

ويقولون: هو «أقصر من بُرّة».

والبَرير: ثمر الأراك، الواحدة: بَريرة.

والإبْرار: الغَلَبة، أبَرّ عليهم، والأُبَـرُّ: بمعنى الأَبَلّ.

وابتَرّ الرّجل: انتَصَب منفردًا من أصحابه.

والمُبَرِّر من الضّأن: كالمُرَمِّد، وهو أن يكون في ضرعها لُمَعٌ عند الإقراب والنّتاج.

والبَرْبَرَة: كثرة الكلام والجلَبة باللّسان، وصوت المَعْز.

والبُرْبُور: الجَشيش من البُرّ.

والبَرابر: الجِداء، واحدها: بَرْبَرٌ.

وقوله: «مايعرف هِرًّا من بِرٍّ» أي مايعرف الهَرْهَرة من البَرْبَرة. وقيل: البِرّ: سَوْق الغنم، وقيل: ضدّ العقوق. والبِرّ: الفأرة، والفُؤاد أيضًا، يقال: هو مطمئنّ البِرّ.

وبَرْبَر: جيلٌ من النّاس.

والبُرَيْراء: من أسماء جبال بني سُلَيْم.

ورجلٌ بَرْبارٌ: للمأفون الّذي إذا مشى حرّك كلّ شيء منه، وقيل: صيّاحٌ. (١٠: ٢١٤)

الخَطّابيّ: «إنّ لكلّ امرئٍ جَوّانيًّا وبَرّانيًّا، فمن يُصلح جَوّانيّه يُصلح الله بَرّانيّه، ومن يُفسد جَوّانيّه يُفسد الله بَرّانيّه».

والبَرّانيّ: منسوب إلى البَرّ، يقول: من أصلح باطن أمره فيما بينه وبين الله أصلح الله له ظاهره وحسّن في أعين النّاس أمره، ومن أفسد سِرّه ونيّته أفسد الله أمره وقبّح في عيون النّاس علانيته. (٢: ٣٥٤)

أبرّ فلانٌ، إذا صار إلى البَرّ. (٣: ٧٧)

الجَوْهَريّ: البِرّ: خلاف العُقوق، والمَبَرّة مثله.

تقول: بَرِرْتُ والدي بالكسر، أبَرُّه بِرًّا، فأنا بَرٌّ به وبارٌّ. وجمع البَرّ: أبرارٌ، وجمع البارّ: البَرَرَة.

وفلانٌ يَبَرّ خالقه ويَتَبَرّره، أي يُطيعه. والأُمّ بَرّةٌ بولدها.

وبَرَّ فلانٌ في يمينه، أي صدق. وبَرّ حَجّه، وبُرّ حَجّه، وبَرّ الله حَجّه بِرًّا بالكسر، في هذا كلّه.

وتبارُّوا: تفاعلوا من البِرّ.

وفي المَثَل: «لايعرف هِرًّا من بِرٍّ» أي لايعرف من يكرهه ممّن يبرّه.

والبَرّ بالفتح: خلاف البحر. والبَرّيّة بالفتح: الصّحراء، والجمع: البَراري.

والبَرّيت بوزن «فَعْلِيت»: البَرّيّة، فلمّا سُكّنت الياء صارت الهاء تاءً، مثل عفريتٍ وعِفْرِيَةٍ، والجمع: البَراريت.

وبَرّة: اسم البِرّ، وهو معرفة. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرْبَرة: الصّوت، وكلامٌ في غضب، تقول: بَربَر فهو بَربارٌ، مثل ثَرثَر فهو ثرثارٌ.

وبَرْبَرٌ: جيلٌ من النّاس، وهم البَرابرة والهاء للعُجْمة والنّسب، وإن شئت حذفتها.

والبَرير: ثمر الأراك، واحدتها: بَريرةٌ. وبَريرةُ: اسم امرأة.

والبُرّ: جمع بُرّة من القمح، ومنع سيبويه أن يجمع البُرّ على أبرار، وجوّزه المُبَرّد قياسًا.

والبُرْبُور: الجَشيش من البُرّ.

وأبَـرّ الله حَجّك، لغةٌ في بَرّ الله حَجّك، أي قَبِله.

وأبَرّ فلان على أصحابه، أي علاهم. (٢: ٥٨٨)

ابن فارِس: الباء والرّاء في المضاعف أربعة أُصول: الصّدق، وحكاية صَوت، وخلاف البحر، ونَبْت.

فأمّا الصّدق فقولهم: صدق فلان وبَرّ، وبَرّت يمينه: صدقت، وأبَرّها: أمضاها على الصّدق.

وتقول: بَرّ الله حَجّك وأبَرّه، وحِجّةٌ مَبْرُورة، أي قُبِلت قبول العمل الصّادق. ومن ذلك قولهم: يَبَرُّ ربَّه، أي يُطيعه، وهو من الصّدق. [ثمّ استشهد بشعر]

ومنه قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ

قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ البقرة: ١٧٧، وأمّا قول النّابغة:

عليهنّ شُعْثٌ عامدون لبِرّهم

فقالوا: أراد الطّاعة، وقيل: أراد الحجّ.

وقولهم للسّابق الجواد: المُبِرّ، هو من هذا، لأنّه إذا جرى صدق، وإذا حمل صدق.

وأصل «الإبرار» ماذكرناه في القهر والغلبة، ومرجعه إلى الصّدق.

ومن هذا الباب قولهم: هو يَبَرُّ ذاقرابته، وأصله الصّدق في المحبّة، يقال: رجل بَرٌّ وبَارٌّ. وبَرِرْتُ والدي وبَرَرْتُ في يميني.

وأبرّ الرّجل: ولَدَ أولادًا أبرارًا.

وأمّا حكاية الصّوت فالعرب تقول: «لايعرف هِرًّا من بِرٍّ» فالهِرّ: دعاء الغنم، والبِرّ: الصّوت بها، إذا سِيقَتْ. ويقال: لايعرف من يكرهه ممّن يَبِرّه.

والبَرْبَرة: كثرة الكلام والجلَبة باللّسان، قال:

بالعَضر كلّ عَذَوَّرٍ بَرْبَارِ

ورجل بَرْبارٌ وبَرْبارةٌ. ولعلّ اشتقاق «البَرْبَر» من هذا. فأمّا قول طَرَفة:

ولكن دعا من قيس عَيلان عصبةٌ

يسوقون في أعلى الحجاز البَرابِرا

فيقال: إنّه جمع بُرْبُر، وهي صغار أولاد الغنم. قالوا: وذلك من الصّوت أيضًا، وذلك أنّ البَرْبَرة صوت المعز.

والأصل الثّالث: خلاف البحر. وأبَرّ الرّجل: صار في البرّ، وأبحر: صار في البحر. والبَرّيّة: الصّحراء، والبَرّ: نقيض الكِنّ.

والعرب تستعمل ذلك نكرةً، يقولون: خرجت برًّا وخرجتُ بحرًا، قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الرّوم: ٤١.

وأمّا النّبت فمنه البُرّ، وهي الحِنْطة، الواحدة: بُرّة.

(١: ١٧٧)

أبوهِلال: الفرق بين البِرّ والصّلة: أنّ البِرّ: سعة الفضل المقصود إليه، والبِرّ أيضًا يكون بلين الكلام. وبَرّ والده، إذا لقيه بجميل القول والفعل. [ثمّ استشهد بشعر]

والصّلة: البِرّ المتأصّل، وأصل الصّلة: وصلة على «فِعلة» وهي للنّوع والهيئة، يقال: بارٌّ وَصُول، أي يَصل برّه فلايقطعه، وتواصل القوم: تعاملوا بوصول بِرّ كلّ واحد منهم إلى صاحبه، وواصله: عامله بوصول البِرّ، وفي القرآن: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ القصص: ٥١، أي كثّرنا وصول بعضه ببعض بالحكم الدّالّة على الرّشد.

الفرق بين البِرّ والصّدقة: أنّك تُصدّق على الفقير لسدّ خلّته، وتَبرّ ذاالحقّ لاجتلاب مودّته، ومن ثمّ قيل: بِرّ الوالدين.

ويجوز أن يقال: البِرّ هو النّفع الجليل، ومنه قيل: البِرّ محلًّا له نفعة.

ويجوز أن يقال: البِرّ سعة النّفع، ومنه فيه البِرّ: الشّفقة.

الفرق بين البِرّ والخير: أنّ البِرّ مضمنٌ بجعل عاجل قد قصد وجه النّفع به. فأمّا الخير فطلق، حتّى لو وقع عن سهوٍ لم يخرج عن استحقاق الصّفة به، ونقيض الخير: الشّرّ، ونقيض البِرّ: العقوق. (١٣٩)

الفرق بين البِرّ والقُربان: أنّ القربان البرّ الّذي

يتقرّب به إلى الله. وأصله المصدر، مثل الكفران والشّكران. (١٦٢)

الهَرَويّ: يقال: أبرّ على صاحبه في كذا، أي زاد عليه. وسمّيت البرّيّة، لاتّساعها.

والبِرّ: الصّلة. وقد بَرِرْتُ والدي أبَرُّه، قال الله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ مريم: ١٤، وبَرِرتُ في يميني.

وواحد الأبرار: برّ، ويجوز: بارّ، مثل: صاحب وأصحاب.

والبيع المَبْرور: الّذي لاشبهة فيه، ولاخيانة.

وقال أبوالعبّاس: هو الّذي لايُدالِس فيه ولايوالِس.

قلت: معنى يُدالس: يَظلم ويَختِل، ويُوالس: يَخون ويُوارِب. والدّلَس: السّواد. (١: ١٥٣)

ابن سِيدَة: البِرّ: الصّدق، والطّاعة، وفي التّنزيل: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللهِ﴾ البقرة: ١٧٧، أراد ولكنّ البِرّ بِرّ من آمن بالله، وهو قول سِيبَوَيه. وقال بعضهم: ولكنّ ذاالبِرّ من آمن بالله.

قال ابنُ جنّيّ: والأوّل أجود؛ لأنّ حذف المضاف ضَرْبٌ من الاتّساع، والخبَرَ أولى بذلك من المبتدإ؛ لأنّ الاتّساع بالأعجاز أولى منه بالصّدور.

وأمّا ماروي من أنّ النَّمِر بنَ تَوْلَب، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ليسَ مِنَ امْبِرِّ امْصِيامُ في امْسَفَر». يريد «ليسَ مِنَ البِرِّ الصِّيامُ في السَّفَر» فإنّه أبدل لام المعرفة ميمًا، وهو شاذّ لايسوغ، حكاه ابن جنّي عنه، قال: ويقال: إنّ النَّمِر بنَ تَوْلَب لم يَرْوِ عن النّبيّ ﷺ غير هذا الحديث.

ونظيره في الشّذوذ ما قَرَأْتُه على أبي عليّ بإسناده إلى الأصمعيّ، قال: يقال: بَنات مَخْرٍ، وبَنَاتُ بَخْرٍ: وهُنّ سحائبُ يأتين قُبُلَ الصّيف، بيضٌ مُنتصبات في السّماء.

وبَرّةُ: اسم علَم لمعنى البِرّ. فلذلك لم يُصرَف؛ لأنّه اجتمع فيه التّعريف، والتّأنيث. وقد تقدّم في «فَجار» قال النّابغة:

إنّا احتَمَلْنا خُطّتَيْنا بيْنَنا
فحَمَلْتُ بَرّةَ واحتَمَلْتَ فَجارِ

وقد بَرّ رَبّه.

وبَرّتْ يمينه تَبَرُّ، وتَبِرُّ، بَرًّا، وبِرًّا، وبُرُورًا: صَدَقَت.

وأبَرّها: أمضاها على الصّدق.

والبَرّ: الصّادق، وفي التّنزيل: ﴿اِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ الطّور: ٢٨.

وبُرّ عَمَلُه، وبَرّ، بَرًّا، وبُرُورًا. وأبَرّ، وأبَرّه الله.

وقالوا في الدّعاء: مَبْرُور مأجُور، ومَبرُورًا مأجورًا، تميم ترفع على إضمار أنت، وأهل الحجاز ينصبون على تقدير اذهَبْ مَبْرُورًا.

ورجل بَرٌّ، من قوم أبرار.

وبارّ من قوم بَرَرَة.

والبِرّ: ضدّ العُقُوق.

وقد بَرّ والده يَبَرّه، ويَبِرّه، بِرًّا، فيَبَرّ على بَرِرْتُ، ويَبِرّ على بَرَرْتُ، على حدّ ماتقدّم في اليمين.

وهو بَرٌّ به، وبارٌّ عن كُراع. وأنكر بعضهم بارّ. وفي الحديث: «تمسّحوا بالأرض فإنّها بكم بَرّةٌ» أي: تكون

بيوتكم عليها، وتُدفَنون فيها.

وامرأةٌ بارَّةٌ، وبَرَّةٌ، عن اللّحيانيّ.

والله يَبَرّ عباده: يرحمُهم، وهو البَرّ.

وبَرَرتُه بِرًّا: وصَلتُه. وفي التّنزيل: ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ الممتحنة: ٨

وقولهم: «مايَعرِفُ هِرًّا من بِرٍّ». معناه: مايعرف من يَهُرّه، أي يكرهه، ممّن يَبَرّه.

وقيل: الهِرُّ: السِّنَّور، والبِرُّ: الفأرة، في بعض اللُّغات، أو دُوَيبّة تُشبهها. وقد أنعمنا شرح هذا فيما تقدّم.

وأبَرّ الرّجل: كثُر ولَدُه.

وأبَرّ القوم: كثُروا.

وكذلك: «أعرُّوا فأبَرُّوا». أبَرُّوا في الخير، وأعَرُّوا في الشّرّ.

وقد تقدّم أعَرُّوا في موضعه.

والبَرّ: خلاف البحر.

والبَرّيّة من الأرضين، بفتح الباء: خلاف الرِّيفيّة.

والبَرّيّة: الصّحراء، نُسِبَت إلى البَرّ، كذلك رواه ابن الأعرابيّ بالفتح، كالّذي قبله.

وإنّه لَمُبِرّ بذلك: أي ضابط له.

وأبَرّ عليهم: غلَبَهم.

وأبَرّ عليهم شرًّا، حكاه ابن الأعرابيّ، وأنشد:

إذا كنتُ من حِمّان في قَعْر دارهم
فلَسْتُ أُبالي مَن أبَرّ ومَنْ فَجَر

ثمّ قال: أبَرّ، من قولهم: أبَرّ عليهم شرًّا، وأبَرّ، وفجَر، واحدٌ، فجمع بينهما.

وابتَرّ الرّجل انتَصَبَ مُنفردًا من أصحابه.

والبَرير: ثمَرُ الأراك عامّةً: فالمَرْدُ: غَضّه، والكَباث: نضيجه.

وقيل: البَرير: أوّل مايظهر من ثَمَر الأراك، وهو حُلو.

والبُرّ: الحِنْطَة، قال المُتنخّل الهُذَليّ:

لا دَرَّ دَرّيَ إن أطعَمْتُ نازِلكُم
قِرْفَ الحَتِيّ وعندي البُرُّ مَكنُوزُ

ورواه ابن دُرَيد «رائدَهُم».

والبُرْبُور: الجشيش من البُرّ.

والبَربَرة: كثرةُ الكلام.

والجَلَبَة باللّسان.

وقيل: الصّياح.

رجل بَرْبارٌ: وقد بَربَرَ.

وبَربَرٌ: جيل، يقال: إنّهم من ولَد بَرّ بن قَيْس بن عَيْلان، ولا أدري كيف هذا؟

والبَرابِرَة: الجماعة منهم، زادوا الهاء فيه إمّا للعُجمة، وإمّا للنّسب، وهو الصّحيح.

وبَربَرَ التَّيس للهياج: نَبَّ.

ودَلْوٌ بَرْبارٌ: لها في الماء بَربَرَةٌ، أي: صَوْتٌ. قال رُؤبة:

أروي ببَرْبارَيْنِ في الغِطاط

والبُرَيْراء ـ على لفظ التّصغير ـ: موضع. [ثمّ استشهد بشعر]

ومَبَرّة: أكَمَةٌ دون الجار إلى المدينة. [ثمّ استشهد بشعر]

(١٠: ٢٤٠)

البِرّ: الفأرة والجُرَذ، ومنه قولهم: «مايعرف هِرًّا من بِرّ» أي لايميّز من يكرهه ممّن يحبّه، أو مايُهرّه ممّا يُبِرّه، أو القطّ من الفأر. (الإفصاح ٢: ٨٤٥)

البُرّ: حَبّ القَمْح، الواحدة: بُرّة، الجمع: أبرار. (الإفصاح ٢: ١٠٨٦)

بَرّت اليمين تَبِرُّ بِرًّا وبُرورًا: صدقت، وأبَرّ الحالف يمينه. أمضاها على الصّدق، وبَرّ فيها: صدق، وأبَرّ الله قسمه: أجابه إلى ماأقسم عليه. (الإفصاح ٢: ١٢٨٧)

الطُّوسيّ: والأبرار: جمع بَرّ، وهم الّذين بَرّوا الله بطاعتهم إيّاه حتّى أرضوه، فرضي عنهم. وقال الحسن: هم الّذين لايؤذون الذّرّ.

وأصل البِرّ: الاتّساع، فالبَرّ: الواسع من الأرض خلاف البحر، والبِرّ: صلة الرّحم. والبِرّ: العمل الصّالح، والبُرّ: الحِنطة. والأبرار على الخصم: الزّيادة عليه. وابترّ من أصحابه، إذا انفرد منهم. (٣: ٨٥)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (١: ٥٥٦)

والبَرَرَة: جمع بارّ، تقول: بَرّ فلان فلانًا يَبِرّه فهو بارّ، إذا أحسن إليه ونفعه. والبِرّ: فعل النّفع اجتلابًا للمودّة. والبارّ: فاعل البِرّ، وجمعه: بَرَرَة، مثل كاتب وكتبة. وأصله: اتّساع النّفع منه، ومنه البِرّ، سمّي به تفاؤلًا باتّساع النّفع به، ومنه البَرّ لاتّساع النّفع به. ورجلٌ بَرّ، وامرأةٌ بَرّة، والجمع: بَرَرة، ولايجمع إلّا على هذا استغناءً به. (١٠: ٢٧٢)

الرّاغِب: البَرّ: خلاف البَحْر، وتُصوّر منه التّوسّع، فاشتقّ منه البِرّ، أي التّوسّع في فعل الخير، ويُنسب ذلك إلى الله تعالى تارةً، نحو: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ الطّور: ٢٨، وإلى العبد تارةً، فيقال: بَرّ العبد ربّه، أي توسّع في طاعته، فمن الله تعالى الثّواب ومن العبد الطّاعة.

وذلك ضربان: ضَرْب في الاعتقاد، وضَرْب في الأعمال، وقد اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ البقرة: ١٧٧، وعلى هذا ماروي أنّه سُئل عليه الصّلاة والسّلام عن البِرّ فتلا هذه الآية، فإنّ الآية متضمّنة للاعتقاد، الأعمال الفرائض والنّوافل.

وبِرّ الوالدين: التّوسّع في الإحسان إليهما، وضدّه العقوق، قال تعالى: ﴿لَايَنْهٰيكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ اَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ الممتحنة: ٨.

ويستعمل «البِرّ» في الصّدق لكونه بعض الخير المتوسّع فيه، يقال: بَرّ في قوله: وبَرّ في يمينه، وقول الشّاعر:

أكون مكان البِرّ منه

قيل: أراد به الفؤاد، وليس كذلك بل أراد ماتقدّم، أي يُحبّني محبّة البِرّ، ويقال: بَرّ أباه فهو بارٌّ وبَرٌّ، مثل صائفٌ وصَيْفٍ، وطائفٌ وطَيْفٍ، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ مريم: ١٤، ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ مريم: ٣٢.

وبَرّ في يمينه فهو بارٌّ، وأبرَرْتُه، وبَرّتْ يميني، وحَجٌّ مبرورٌ، أي مقبول، وجمع البارّ: أبرارٌ وبَرَرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْاَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ الانفطار: ١٣، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْاَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ المطفّفين: ١٨.

وقال في صفة الملائكة: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ عبس: ١٦، فبَرَرَة خصّ بها الملائكة في القرآن، من حيث إنّه أبلغ

من أبرار، فإنّه جمع بَرّ، وأبْرار جمع بارٍّ، وبَرٌّ أبلغ من بَارٍّ، كما أنّ عَدْلًا أبلغ من عادلٍ.

والبَرّ معروف، وتسميته بذلك لكونه أوسع مايحتاج إليه في الغذاء، والبَرير خصّ بثمر الأراك ونحوه. وقولهم: «لايعرف الهِرّ من البِرّ»، من هذا، وقيل: هما حكايتا الصّوت. والصّحيح أنّ معناه لايعرف من يَبرّه ومن يسيء إليه.

والبَرْبَرَة: كثرة الكلام، وذلك حكاية صوته. (٤٠)

نحوه الفيروز ابادي.

(بصائر ذوي التمييز ٢: ٢١٣)

الزّمَخشَريّ: هو بَرٌّ بوالديه، وبارٌّ بهما. ويقال: صَدقْتَ وبَرِرْتَ. «ولايعرف هِرًّا من بِرٍّ».

وحجٌّ مبرور، وبُرّ حَجّك، وبَرّ الله حَجّك، وبَرّتْ يمينه، وأبرّها صاحبها: أمضاها على الصّدق، ولو أقسم على الله لأبَرّه.

ونزلوا بالبرّيّة. وجَلَسْتُ بَرًّا وخَرَجْتُ بَرًّا، إذا جلس خارج الدّار أو خرج إلى ظاهر البلد. وافتح الباب البَرّانيّ، و«من أصلح جَوّانيّه، أصلح الله بَرّانيّه» ويقال: أُريد جوًّا، ويريد بَرًّا، أي أُريد خُفْية وهو يريد علانيةً.

وقد أبَرّ فلان وأبحَر، أي هو مِسفارٌ قد ركب البَرّ والبحر.

وأبَرّ على خصمه، وجوادٌ مُبِرّ، وهو أقصر من بُرّة، وأطعمنا ابن بُرّة، وهو الخُبز.

ومن المجاز: فلانٌ يَبَرّ ربّه، أي يُطيعه. [ثمّ استشهد بشعر]

وبرّتْ بي السِّلْعَة، إذا نفقَتْ ورَبِحْتَ فيها. قال الأعشى:

ورَجّى بِرّها عامًا فعاما

(أساس البلاغة: ٢٠)

سلمان رضي الله تعالى عنه: «إنّ لكلّ امرئٍ جَوّانيًّا وبَرّانيًّا، فمن يُصلح جَوّانيّه يُصلح الله بَرّانيّه، ومن يُفسد جوّانيّه يفسد الله برّانيّه».

والبَرّانيّ: إلى البَرّ، وهو الظّاهر، من قولهم للصّحراء البارزة: بَرٌّ وبَرّيّة، وللباب الخارج: بَرّانيّ، وزيادة الألف والنّون للتّأكيد.

والمعنى أنّ لكلّ امرئٍ سِرًّا وشأنًا باطنًا وعلنًا، وشأنًا ظاهرًا. (الفائق ١: ٢٤٧)

كتب بين قريش والأنصار كتابًا، وفي الكتاب...«وأنّ البِرّ دون الإثم...»

البِرّ دون الإثم، أي الوفاء بالعهد الّذي معه السّكون والطّمأنينة أهْوَن من النّكث المؤدّي إلى الحروب والمتاعب الجمّة. (الفائق ٢: ٢٥)

النّبيّ ﷺ: «تمسّحوا بالأرض فإنّها بكم بَرّة» هو أن تباشرها بنفسك في الصّلاة من غير أن يكون بينك وبينها شيءٌ تُصلّي عليه. وقيل: هو التّيمّم.

بَرّة: يعني منها خُلِقتُم، وفيها معاشكم، وهي بعد الموت كِفاتكم (الفائق ٣: ٣٦٦)

قال أبوبكر [لو فداليمامة بعدما نقلو كلام صاحبهم مسيلمة]: وَيْحَكُم! «إنّ هذا الكلام لم يخرج من إلٍّ ولابِرٍّ»

قالوا: الإلّ: الرّبوبيّة.

والبِرّ: الصّدق، من قولهم: صَدَقْتَ وبَرِرْتَ. وبَرّ

الحالف في يمينه، وهو من العامّ الّذي أدركه تخصيص.

والمعنى إنّ هذا كلام غير صادر عن مناسبة الحقّ ومقاربته، والإدلاء بسبب بينه وبين الصّدق.

(الفائق ٤: ١٨، ١٩)

الطَّبْرِسيّ: البِرّ في اللّغة والإحسان والصّلة نظائر، يقال: فلان بارٌّ: وَصولٌ مُحسنٌ. وضدّ البِرّ: العقوق، ورجل برٌّ وبارٌّ، وبَرّت يمينه: صدقت، وبَرّ حَجّه وبُرّ، لغتان.

والفرق بين البِرّ والخير: أنّ البِرّ يدلّ على قصدٍ، والخير قد يقع على وجه السّهو والنّسيان. (١: ٩٧)

المَدينيّ: في الحديث: مالنا طعامٌ إلّا البَرير».

قال ابن الأعرابيّ: «الأسود من ثمر الأراك بَرير، ومالم يَسودّ: كَباثٌ، وجماعه المَرْد.

وقال الأصمعيّ: الكَباث: ثمر الأراك، والبَرير: الغضّ، ويانِعه المَرْد، وقيل: البَرير: اسمٌ للجميع.

في حديث سلمان: «من أصلح جَوّانيّه أصلح الله بَرّانيّه».

يريد بالبَرّانيّ: العَلانية، والألف والنون للتّأكيد، من قولهم: خرج فلانٌ بَرًّا، أي خرج من الكِنّ إلى الصّحراء، وليس من كلامهم القديم. يقال رجلٌ برٌّ، أي خارجٌ، وتبابَر: رَكبَ البَرّ، كما يقال: أبحَرَ: ركبَ البَحْر، وأبَرّ أيضًا: رَكب البَرّ، على قياس أبحَر.

في الحديث: «أبَرّ الله تعالى قسَمَه» يقال: بَرّ قسَمَه وأبَرّها: صدّقها.

وفي الحديث: «الحجّ المَبْرور» أي المقبول، المقابَل بالبِرّ.

في الحديث: «أبَرّ ناضِحُهم»، أي غَلَبَ واستَصْعَبَ.

في حديث أبي‌بكر: «لم يخرج من إلٍّ ولابِرٍّ» أي صَدَق، من قولهم: بَرّ في يمينه. (١: ١٤)

ابن الأثير: في أسماء الله تعالى «البَرّ» هو العطوف على عباده ببِرّه ولطفه. والبَرّ والبارّ بمعنى، وإنّما جاء في أسماء الله تعالى «البَرّ» دون «البارّ».

والبِرّ بالكسر: الإحسان، ومنه الحديث في «بِرّ الوالدين» وهو في حقّهما وحقّ الأقربين من الأهل ضدّ العقوق، وهو الإساءة إليهم والتّضييع لحقّهم. يقال: بَرّ يَبَرُّ فهو بارٌّ، وجمعه: بَرَرَة، وجمع البَرّ: أبرار. وهو كثيرًا مايُخَصّ بالأولياء والزّهّاد والعبّاد.

ومنه الحديث: «تمسّحوا بالأرض فإنّها بكم بَرّة» أي مُشفقة عليكم كالوالدة البَرّة بأولادها، يعني أنّ منها خلقكم، وفيها معاشكم، وإليها بعد الموت كِفاتكم.

ومنه الحديث: «الأئمّة من قريش، أبرارُها أُمراءُ أبرارها، وفُجّارها أُمراءُ فُجّارها».

هذا على جهة الإخبار عنهم لاعلى طريق الحكم فيهم، أي إذا صَلح النّاس وبَرّوا وَليَهم الأخيار، وإذا فسدوا وفجروا وَليَهم الأشرار، وهو كحديثه الآخر: «كما تكونون يُولّى عليكم».

وفي حديث حكيم بن حزام: «أرأيت أُمورًا كنتُ أتبرّرُ بها» أي أطلب بها البِرّ والإحسان إلى النّاس، والتّقرّب إلى الله تعالى.

وفي حديث الاعتكاف: «البِرّ يُرِدْنَ» أي الطّاعة والعبادة.

ومنه الحديث: «ليس من البِرّ الصّيام في السّفر».

وفي كتاب قريش والأنصار «وأنّ البرّ دون الإثم» أي أنّ الوفاء بما جعل على نفسه دون الغَدْر والنّكث.

وفيه: «الماهر بالقرآن مع السّفَرة الكرام البرَرَة» أي مع الملائكة.

وفيه: «الحجّ المبرور ليس له ثوابٌ إلّا الجنّة» هو الّذي لايخالطه شيء من المآثم.

وقيل: هو المقبول، المقابَل بالبرّ وهو الثّواب. يقال: بَرّ حجّه، وبُرّ حجّه، وبَرّ الله حجّه، وأبرّه برًّا بالكسر وإبرارًا.

ومنه الحديث: «برّ الله قسَمَه وأبرّه» أي صدّقه.

ومنه حديث أبي‌بكرٍ: «لم يخرج من إلٍّ ولابرٍّ» أي صِدْق.

ومنه الحديث: «أُمِرنا بسبع، منها إبرار المُقْسِم».

وفيه: «أنّ رجلًا أتى النّبيّ ﷺ، فقال: إنّ ناضح آل فلان قد أبَرّ عليهم» أي استصْعَب وغلَبهم، من قولهم: أبرّ فلان على أصحابه، أي علاهم.

وفي حديث زمزم: «أتاه آتٍ فقال احفِرْ بَرّة» سمّاها برّة لكثرة منافعها، وسَعة مائها.

وفيه: «أنّه غيّر اسم امرأة كانت تسمّى بَرّة فسمّاها زينب» وقال: تُزكّي نفسها، كأنّه كرِه لها ذلك.

وفي حديث سلمان: «من أصلح جوّانيّه أصلح الله برّانيّه» أراد بالبرّانيّ العلانية، والألف والنّون من زيادات النّسب كما قالوا: في صَنْعاء صَنعانيّ. وأصله من قولهم: خرج فلان برًّا، أي خرج إلى البرّ والصّحراء، وليس من قديم الكلام وفصيحه.

وفي حديث طَهْفَة: «ونَسْتَعْضد البَرير» أي نجْنيه للأكل. والبَرير: ثمر الأراك إذا اسودّ وبلغ، وقيل: هو اسمٌ له في كلّ حال.

ومنه الحديث الآخر: «مالنا طعامٌ إلّا البَرير».

(١: ١١٦)

الصّغانيّ: بَرَرْتُ والديّ، وبَرَرْتُ قسَمي بالفتح، لغة في «بَرِرْت» بالكسر.

والبِرّ بالكسر: ولد الثّعلب. والبِرّ أيضًا: الفأرة، وقيل: الجُرَذ. والبِرّ أيضًا: دعاءُ الغنَم إلى العلَف. والبِرّ: الفُؤاد. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرْبَرة: صوت المِعْزى. والبَرْبَريّ: الكثير الكلام بلامنفعة. والبَرْبار، والمُبَرْبِر: الأسد.

وبَرْبَرّ المُغَنّي، مثال «فَدَفَدٍ» من الحدّثين. [ثمّ استشهد بشعر]

وقد سمّوا: برًّا، وبَرَّة، بالفتح فيهما، وبُرَيْرًا مُصغّرًا.

وبُرّة، بالضّمّ، هو بُرّة بن رِئاب، الّذي يقال له: جَحْش بن رِئاب، وجَحْش لقبه.

البِرّ: الحجّ.

وابتَرّ الرّجل: انتَصب منفردًا من أصحابه.

والمُبِرّ، من الضّأن، كالمُرمِّد، وهي الّتي في ضرعها لُمَعٌ عند الأقراب. والبَرابِر: الجِداء.

والبَرْبَراء: من أسماء جبال بني سُلَيْم.

والبَرّة: الموضع الّذي قتل فيه قابيل هابيل. وبَرّة العليا، وبَرّة السُّفلى: قريتان باليمامة. وبَرّة، من أسماء زَمزَم.

وبَرّ يَبَرّ، إذا قهَر بفَعالٍ أو مَقالٍ. والبُرّى: الكلمة الطّيّبة.

وَمَبَرَّة: أكمَةٌ دون الجار إلى المدينة. (٢: ٤١٦)

الرّازيّ: [قال مثل الجوهَريّ ثمّ أضاف:]

فلان يَبَرُّ خالقَه ويَتَبَرَّرُه، أي يُطيعه.

قلت: لاأعلم أحدًا ذكر التّبرّر بمعنى الطّاعة غيره. (٦٠)

الفَيّوميّ: البَرّ بالفتح: خلاف البحر، والبَرّيّة نسبةٌ إليه، هي الصّحراء. والبُرّ بالضّمّ: القَمح، الواحدة: بُرّةٌ، والبِرّ بالكسر: الخير والفضل.

وبَرّ الرّجل يَبَرّ بِرًّا وِزان عَلِمَ يَعلَم عِلمًا، فهو بَرٌّ بالفتح وبارٌّ أيضًا، أي صادق أو تقيّ، وهو خلاف الفاجر، وجمع الأوّل: أبرارٌ، وجمع الثّاني: بَرَرَةٌ، مثل كافر وكَفَرة.

ومنه قوله للمؤذّن: «صدقتَ وبَرِرْتَ» أي صدقت في دعواك إلى الطّاعات وصِرْتَ بارًّا، دعاءٌ له بذلك، ودعاءٌ له بالقبول، والأصل: بَرّ عملُك.

وبَرِرْتُ والدي أَبَرُّهُ بِرًّا وبُرورًا: أحسنتُ الطّاعة إليه، ورفقتُ به، وتحرّيتُ مَحابّه، وتوقّيتُ مكارهه.

وبَرّ الحجّ واليمين والقول بِرًّا أيضًا، فهو بَرٌّ وبارٌّ أيضًا، ويُستعمل مُتعدّيًا أيضًا بنفسه في الحجّ، وبالحرف في اليمين والقول، فيقال: بَرّ الله تعالى الحجّ يَبَرُّه بُرورًا، أي قَبِلَه، وبَرِرْتُ في القول واليمين أَبَرُّ فيهما بُرورًا أيضًا، إذا صدقتُ فيهما فأنا بَرٌّ وبارٌّ.

وفي لغة يتعدّى بالهمزة، فيقال: أَبَرّ الله تعالى الحجّ، وأبررْتُ القول واليمين.

والمَبَرّة مثل البِرّ، والبَرير، مثال كريم: ثمر الأراك، إذا اشتدّ وصلُب، الواحدة: بَريرةٌ، وبها سُمّيَت المرأة.

وأمّا البَرْبَر: بباءين مُوحّدتين وراءين، وزان «جَعْفَر» فهم قوم من أهل المغرب كالأعراب في القسوة والغِلظة، والجمع: البَرابِرَة، وهو مُعرّب. (١: ٤٣)

الفيروز اباديّ: البِرّ: الصّلة، والجنّة، والخير، والاتّساع في الإحسان، والحجّ، ويقال: بَرّ حجّك وبُرّ بفتح الباء وضمّها، فهو مبرورٌ، والصّدق، والطّاعة كالتّبرّر، واسمه: بَرّة معرفةً، وضدّ العقوق كالمَبَرّة، بَرِرْتُه أَبَرُّه كعلِمتُه وضَرَبْتُه، وسَوق الغنم، والفؤاد، وولد الثّعلب، والفأرة، والجُرَذ.

وبالفتح: من الأسماء الحُسنى، والصّادق، والكثير البِرّ، كالبارّ، جمعه: أبرارٌ وبَرَرَةٌ، والصّدق في اليمين، ويُكسَر: وقد بَرِرْتَ وبَرَرْتَ وبَرّت اليمين تَبَرّ كيَمَلّ ويَحِلّ بِرًّا وبَرًّا وبُرورًا، وأبرّها: أمضاها على الصّدق، وضدّ البحر.

وبالضّمّ: الحِنطة، جمعه: أبرارٌ.

وأبَرّ: رَكِب البَرّ، وكثر وُلده، والقوم: كثروا، وعليهم: غلبهم، والشّاء: أصدرها.

والبَرير كأمير: الأوّل من ثمر الأراك، وبَريرة: صحابيّة، والبَرّيّة: الصّحراء كالبَرّيت وضدّ الرّيفيّة، والبُرْبُور بالضّمّ: الجَشيش من البُرّ.

والبَرْبَرة: صوت المَعز، وكثرة الكلام، والجَلَبة، والصّياح، بَرْبَر فهو بَرْبارٌ، ودَلوٌ بَرْبار: لها صوت.

وبَرْبَر: جيل، جمعه: البَرابِرة، وهم بالمغرب، وأُمّة أُخرى بين الحُبوش والزّنج، يقطعون مذاكير الرّجال ويجعلونها مُهور نسائهم، وكلّهم من ولد قَيْس عَيْلان، أو هم بَطْنان من حِمْيَر صِنهاجة وكُتامة، صاروا إلى البربر

أيّام فتح أفريقش الملِك أفريقيّة.

والمُبِرّ: الضّابط.

والبُرَيراء كحُمَيْراء: جبال بني سُلَيم. والبِرَة: موضع قتَل فيه قابيلُ هابيلَ، وبلا لام: اسم زَمْزَم، وعمّة النّبيّ ﷺ، وقريتان باليمامة عُليا وسُفلى.

ومَبَرّة: أكَمَةٌ قُرْبَ المدينة الشّريفة.

والبَرّى كقُرّى: الكلمة الطّيّبة. والبَرْبار والمُبَرْبِر: الأسد. وابترّ: انتصَبَ مُنفرداً عن أصحابه. والمُبِرّ من الضّأن: الّتي في ضرعها لُمَعٌ.

وسمّوا بَرًّا وبَرّة وبُرّة وبَريرًا.

وأصلح العرب أبَرُّهم، أي أبْعَدهم في البَرّ.

و«من أصلح جَوّانيّه أصلح الله بَرّانيّه» نسبةٌ على غير قياس. والبَرّانيّة: قريةٌ ببُخاري.

والبَرابير: طعامٌ يُتّخذ من فَريك السّنبل والحليب.

وبَرّهُ كمدّه: قهَره بفعال أو مَقال.

و«لايعرف هِرًّا من بِرّ» أي مايَهُرّه ممّا يَبَرّه، أو القِطّ من الفأر، أو دعاء الغنَم من سَوقها، أو دعاءها إلى الماء من دعائها إلى العلَف، أو العُقوق من اللّطف، أو الكراهيّة من الإكرام، أو الهَرْهَرة من البَرْبَرة.

والبُرْبُر بالضّمّ: الكثير الأصوات، وبالكسر: دعاءُ الغنَم. (١: ٣٨٤)

الطُّرَيحيّ: والبِرّ: الصّلة، ومنه «بَرَرْتُ والدي أي أحسنت الطّاعة إليه ورفقت به، وتحرّيتُ محارمه وتوقّيت مكارمه.

والبِرّ بالكسر: الاتّساع في الإحسان والزّيادة، ومنه سمّيت البَرّيّة، بالفتح والتّشديد، لاتّساعها، والجمع: البَرارِيّ.

ومنه الحديث: «فوق كلّ بِرٍّ بِرٌّ حتّى يُقتل في سبيل الله».

ومنه حديث المصلّي: «يتناثر عليه البِرّ من مفرق رأسه إلى أعنان السّماء».

والبُرّ بالضّمّ: القمح، ومنه حديث الفطرة: «فرض رسول الله الفِطرة صاعًا من بُرٍّ أو صاعًا من قمح» وهو نوع من البُرّ.

وأبرّ الله حَجّك: لغة في بَرّ الله حجّك، أي قَبِله.

والحجّ المبرور: الّذي لايخالطه شيءٌ من المآثم، وقيل: المقبول المقابَل بالبِرّ وهو الثّواب، ومنه الدّعاء: «اللّهمّ اجعله حجًّا مبرورًا».

ومنه: «بُرّ حَجّك يا آدم» على البناء للمجهول، أي كان حَجّك مقبولاً أو خالصًا نقيًّا ممّا يشوبه من الشّوائب والمآثم.

وفلانٌ يَبَرّ خالقه، أي يُطيعه. وتبارّوا: «تفاعَلوا» من البِرّ.

والبَرّ بالفتح: خلاف البحر.

والبَرّ: من أسمائه تعالى، وهو العطوف على عباده الّذي عمّ بِرّه جميع خلقه، يحسن إلى المحسن بتضعيف الثّواب، وإلى المُسيء بالصّفح والعفو وقبول التّوبة.

وبَرّ الله قسَمَه وأبرّه، أي صدّقه، ومنه: «لو أقسم على الله لأبَرّ قسمه».

أي لو حلف على وقوع شيء لأبرّه، أي صدّقه وصدّق يمينه، ومعناه أنّه لو حلف يمينًا على أنّه يفعل الشّيء أو لايفعله جاء الأمر فيه على مايوافق يمينه،

لعظم منزلته وإن أُحقر عند النّاس، وقيل: لو دعاه لأجابه.

وفي حديث زَمْزَم: «احفر بَرَّة» بفتح الموحّدة وتشديد المهملة، سمّاها بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها.

وبَرّة، بالباء الموحّدة التّحتانيّة والرّاء المهملة المشدّدة على ماصحّ من النّسخ: أحد أوصياء الأنبياء المتأخّرين عن نوح عليه السلام.

وفي الدّعاء: «أعوذ بكلمات الله التّامّات الّتي لايجاوزهنّ بَرٌّ ولافاجرٌ» قرئت بالوجهين الفتح والكسر.

وفيه: «اجعل قلبي بارًّا» أي مطيعًا محسنًا، واجعله خالصًا في البرّ لايخالطه إثمٌ.

والبَرّانيّة: الظّاهر، والجوّانيّة: الباطن، ومنه: «خالطوهم ـ يعني أعداء الدّين ـ بالبرّانيّة ولاتخالطوهم بالجوّانيّة».

والبَرْبَر: جيل من النّاس، يقال: أوّل من سمّاهم بهذا الاسم أفريقيس الملك لمّا مَلِك بلادهم.

وقد جاء في الحديث: «الباءُ في أهل بَرْبَر». ونُقل أنّ في الجزائر كثيرٌ منهم.

والبَرير: ثمر الأراك، ومنه: «مالنا طعامٌ إلّا البَرير».

والبَريرة، بالباء الموحّدة والياء المثنّاة من تحت، المتوسّطة بين الرّائين المهملتين، وفي الآخر هاء: مملوكة كانت عند زوج لها يسمّى «مُغيث» بضمّ الميم والغين المعجمة وبعدها ياءٌ مثنّاة ثمّ ثاء مثلّثة، فاشترتها عائشة واعتقتها، فخيّرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن شاءت بقيت عنده وإن شاءت فارقته. (٣: ٢١٨)

مَجْمَعُ اللُّغة: بَرّ رحِمَه كضرَب ونصَر بَرًّا ومَبَرّةً: وصله وأحسن معاملته.

وبرّ الوالدين: التّوسّع في الإحسان إليهما.

البَرّ: من أسماء الله تعالى، ومعناه العطوف على عباده بلطفه، وبالإحسان إليهم.

والبَرّ: ضدّ البحر.

والبَرّ: الكثير الطّاعة، وجمعه: أبرار.

والبارّ: مَن يصدر عنه البِرّ والطّاعة، وجمعه: بَرَرة.

والبِرّ: كلمة جامعة لكلّ صفات الخير. (١: ٩١)

محمّد إسماعيل إبراهيم: بَرّ والديه: وصلهما وأحسن معاملتهما، فهو بَرّ، وجمعه: أبرار، وبارّ، جمعه: بَرَرة، وهم المتوسّعون في الإحسان والبِرّ.

وبَرّ قولُه: صدَق، وبَرّ خالقَه: أطاعه، وبَرّتِ اليمين: صدقت، وبَرّ الله الصّلاة: قبِلَها، فهي مبرورة.

وأبَرّ القسَم: أمضاه على الصّدق، وأبَرّ: سافر في البَرّ، وأبَرّ القوم: كثروا، وأبَرّ على القوم: غلبهم.

والبَرّ: ضدّ البحر، والبِرّ: اسمٌ جامعٌ لكلّ معاني الخير والرّحمة، والبَرّ: من أسماء الله الحُسنى، ومعناه الكثير الإحسان، الّذي يزيد فضله وخيره فوق مايتصوّر الطّائعون والمحسنون. (١: ٦٤)

العَدْنانيّ: «التّبرير والتّسويغ».

ويخطّئون من يقول: الغاية تُبرّر الواسطة، ويقولون: إنّ الصّواب هو: الغاية تُسوّغ الواسطة، لأنّ المعجمات لاتذكر أنّ الفعل برّر، يعني سوّغ، ماعدا الوسيط الّذي قال: برّر عملَه: زكّاه، وذكر من الأسباب مايُبيحه،

«محدثة».

ولكن: جاء في الجزء الحادي عشر من البحوث والمحاضرات للدورة الرابعة والثلاثين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، عام ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨:

اجتمعت لجنة الأصول خلال سنة (١٩٦٧) ورأت مايأتي:

في المعجم: بَرّ حَجّه: قُبِل، وتضعيفه: بَرّرَه: جعله مقبولاً. ومن ثَمّ ترى اللّجنة إجازة ماشاع من استعمال التّبرير في معنى التّسويغ، استنادًا إلى قرار المجمع في قياسيّة تضعيف الفعل للتّكثير والمبالغة. (٥٢)

المُصْطَفَوِيّ: والتّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه الكلمة هو حسن العمل في مقابل الغير، وهذا المعنى يختلف باختلاف الأشخاص والموضوعات والموارد.

فالبِرّ من الله المتعال بالنّسبة إلى عبيده هو الإحسان إليهم واللّطف، والتّجاوز عن خطيئاتهم.

ومن العبد في مقابل الخالق المتعال هو الطّاعة وامتثال الأمر، والعمل بوظائف العبوديّة.

ومن الوالد بالنّسبة إلى أولاده هو التّربية والتّأمين والقيام بأمورهم وحوائجهم.

ومن الولد إلى الوالد هو الخدمة والخضوع والرّحمة.

والبِرّ في الكلام هو الصّدق وقول الحقّ.

وفي العبادة أن يأتي بها مقرونة بالشّرائط، وعلى مايريده الله تعالى ويطلبه.

ومن هذا الباب: البَرّ في قطعات الأرض، فكلّ قطعة فيها اقتضاء للزّراعة والسّكنى والمعاش وتأمين الحياة، فهو بَرّ، فإنّه يَبرّ على ساكنه ويُسهّل معاشه ويقضي وطره، في مقابل البحر العميق المُمتلئ ماءً، المضطرب بالأمواج الهائلة ﴿فَلَمَّا نَجّٰيكُمْ اِلَى الْبَرِّ اَعْرَضْتُمْ﴾ الإسراء: ٦٧، ﴿اَوْ كَظُلُمَاتٍ فِى بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشٰيهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ النّور: ٤٠.

فالبَرّ في الأصل: صفة مشبّهة على وزان «صَعْبٌ» ثمّ جعل بكثرة الاستعمال اسمًا.

ومن هذا الباب أيضًا: البُرّ، بمعنى الحنطة، فإنّها من بين الحبوبات مايصلح للاغتذاء بأحسن مايكن، ويتغذّى منها السّالم والمريض والصّغير والكبير والأبيض والأسود والشّريف والوضيع، فهي مطبوعةٌ في كلّ ذائقةٍ دائمًا، فهي تَبِرّ على المتغذّي الآكل الجائع بأحسن كيفيّة مطلوبة.

ولايبعد أن يكون أصل هذه الكلمة أيضًا صفة مشبّهة كصُلب، ثمّ جُعل اسمًا.

وأمّا جملة «لايعرف البِرّ من الهِرّ» فالهِرّ بمعنى الكراهة، وهو في مقابل حُسن العمل والإحسان، والجملة كنايةٌ عن فقدان قوّة التّمييز. (١: ٢٣٤)

النُّصوص التّفسيريّة

تَبَرُّوا

١ـ وَلَاتَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِاَيْمَانِكُمْ اَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. البقرة: ٢٢٤

ابن عبّاس: أن لاتبرّوا. (تنوير المقباس: ٣١)

هو أن يحلف الرّجل أن لايكلّم قرابته ولايتصدّق، أو يكون بينه وبين إنسان مغاضبة، فيحلف لايصلح

بينهما، ويقول: قد حلفت، يُكفّر عن يمينه.

(الطَّبَريّ ۲: ٤٠٠)

نحوه النَّخَعيّ والرّبيع. (الطَّبَريّ ۲: ٤٠١)

قَتادَة: يقول: لاتعتلّوا بالله أن يقول أحدكم: إنّه تألّى أن لايصل رحمًا، ولايسعى في صلاح، ولايتصدّق من ماله. مهلًا مهلًا، بارك الله فيكم، فإنّ هذا القرآن إنّما جاء بترك أمر الشّيطان، فلاتُطيعوه، ولاتتّخذوا له أمرًا في شيء من نذوركم ولاأيمانكم. (الطَّبَريّ ۲: ٤٠٠)

السُّدّيّ: وأمّا (تَبَرُّوا) فالرّجل يحلف لايَبرُّ ذارحمه، فيقول: قد حلفت، فأمر الله أن لايعرض بيمينه بينه وبين ذي رحمه، وليَبرّه، ولايبالي بيمينه.

(الطَّبَريّ ۲: ٤٠١)

الطَّبَريّ: اختلف في تأويل «البِرّ» الّذي عناه الله تعالى ذكره، فقال بعضهم: هو فعل الخير كلّه. وقال آخرون: هو البِرّ بذي رحمه، وقد ذكرتُ قائلي ذلك فيما مضى.

وأولى ذلك بالصّواب قول من قال: عنى به فعل الخير كلّه، وذلك أنّ أفعال الخير كلّها من البِرّ، ولم يخصّص الله في قوله: (اَنْ تَبَرُّوا) معنى دون معنى من معاني البِرّ، فهو على عمومه، والبِرّ بذوي القرابة أحد معاني البِرّ. (۲: ٤٠٣)

الزّجّاج: موضع (اَنْ) نصبٌ بمعنى «عُرضة» المعنى لاتعرضوا باليمين بالله في أن تبرّوا، فلمّا سقطت «في» أفضى لمعنى الاعتراض، فنصب (اَنْ).

وقال غير واحد من النّحويّين: إنّ موضعها جائز أن يكون خفضًا وإن سقطت «في» لأنّ (اَنْ) الحذف معها مستعمل، تقول: جئت لأن تضرب زيدًا، وجئت أن تضرب زيدًا، فحذفت اللّام مع «أنْ». ولو قلت: جئت ضرب زيد، تريد لضرب زيد، لم يجز، كما جاز مع «أن» لأنّ «أن» إذا وصلت دلّ مابعدها على الاستقبال.

والمعنى كما تقول: جئتك أن ضربت زيدًا، وجئتك أن تضرب زيدًا، فلذلك جاز حذف اللّام. وإذا قلت: جئتك ضرب زيد، لم يدلّ الضّرب على معنى الاستقبال.

والنّصب في (اَنْ) في هذا الموضع هو الاختيار عند جميع النّحويّين.

ومعنى الآية أنّهم كانوا يعتلّون في البِرّ بأنّهم حلفوا، فأعلم الله أنّ الإثم إنّما هو في الإقامة على ترك البِرّ والتّقوى، وأنّ اليمين إذا كفّرت فالذّنب فيها مغفورٌ.

(۱: ۲۹۸)

الماوَرْديّ: وفي قوله: (اَنْ تَبَرُّوا) قولان: أحدهما: أن تَبرّوا في أيمانكم، والثّاني: أن تَبرّوا في أرحامكم. (۱: ۲۸٦)

الطُّوسيّ: وقوله: (اَنْ تَبَرُّوا) قيل: في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: (اَنْ تَبَرُّوا) لأن تَبرّوا، على معنى الإثبات.

الثّاني: أن يكون على معنى لدفع (اَنْ تَبَرُّوا) أو لترك (اَنْ تَبَرُّوا) في قول أبي العبّاس.

الثّالث: على تقدير: ألّا تَبَرُّوا، وحذفت «لا» لأنّه في معنى القسم. [ثمّ استشهد بشعر]

وأنكر أبوالعبّاس هذا، لأنّه لمّا كان معه (اَنْ)، بطل أن يكون جوابًا للقسم، وإنّما يجوز: والله أقم في القسم،

بمعنى لأقوم، لأنّه لو كان إثباتًا، لقال: لأقومَنّ، باللّام والنّون، والمعنى في قول أبي‌العبّاس، وأبي عُبَيْد واحدٌ، والتّقدير مختلفٌ، فحمله أبوالعبّاس على ماله نظير من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وأنكر قياسه على مايُشبهه.

وفي موضع (أَنْ تَبَرُّوا) ثلاثة أقوال:

قال الخليل والكِسائيّ: موضعه الخفض بحذف اللّام مع «أن» خاصّة.

الثّاني: قال سِيبوَيه، وأكثر النّحويّين: إنّ موضعه النّصب، لأنّه لمّا حذف المضاف وصل الفعل، وهو القياس.

الثّالث: قال قوم: موضعه الرّفع على ﴿أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أولى، وحذف، لأنّه معلوم المعنى، أجاز ذلك الزّجّاج.

وإنّما حَذْف اللّام جاز مع «أن» ولم يجز مع المصدر، لأنّ «أن» يصلح معها الماضي والمستقبل، نحو قولك: جئتك أن ضربت زيدًا، وجئتك أن تضرب زيدًا، والمصدر ليس كذلك، كقولك: جئتك لضرب زيدٍ.

فعنى ذلك: أنّه لمّا وصل بالفعل، احتمل الحذف كما يحتمل «الّذي» وإذا وصل بالفعل من حذف ضمير المفعول مالايحتمله الألف واللّام إذا وصل بالاسم نحو الّذي ضربت زيد، يريد ضربته. فأمّا الضّاربه أنا زيدٌ، فلايحسن إلّا بالهاء، وذلك لأنّ الفعل أثقل، فهو بالحذف أولى.

ويجوز أن يكون لمّا صلح للأمرين ـ كثيرٌ في الاستعمال ـ فكان بالحذف أولى ممّا قلّ منه.

وقال الزّجّاج: إنّما جاز حذف اللّام مع «أن» ولم يجز مع المصدر، لأنّ «أن» إذا وصلت، دلّ لما بعدها على الاستقبال، والمعنى تقول: جئتك أن ضربت زيدًا، وجئتك أن تضرب زيدًا، فلذلك جاز حذف اللّام، فإذا قلت: جئتك ضرب زيد، لم يدلّ الضّرب على معنى الاستقبال. (٢: ٢٢٦)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (١: ٣٢١)

الزَّمَخْشَريّ: ﴿أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا﴾ عطف بيان (لِأَيْمَانِكُمْ) أي للأمور المحلوف عليها الّتي هي البرّ والتّقوى والإصلاح بين النّاس.

فإن قلت: بِمَ تعلّقت اللّام في (لِأَيْمَانِكُمْ)؟

قلت: بالفعل، أي ولاتجعلوا الله لأيمانكم برزخًا وحجازًا.

ويجوز أن يتعلّق بـ(عُرضَةً) لما فيها من معنى الاعتراض، بمعنى لاتجعلوا شيئًا يعترض البرّ، من: اعترضني كذا.

ويجوز أن يكون اللّام للتّعليل، ويتعلّق (أَنْ تَبَرُّوا) بالفعل أو بالعُرضة، أي ولاتجعلوا الله لأجل أيمانكم به عُرضة (أَنْ تَبَرُّوا) ومعناها على الأُخرى، ولاتجعلوا الله معرضًا لأيمانكم، فتبتذلوه بكثرة الحلف به، ولذلك ذمّ من أُنزل فيه ﴿وَلَاتُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ القلم: ١٠، بأشنع المذامّ، وجعل الحلّاف مقدّمتها، و(أَنْ تَبَرُّوا) علّة للنّهي، أي إرادة أن تبرّوا وتتّقوا وتصلحوا، لأنّ الحلّاف مجترئ على الله غير مُعظّم له، فلايكون برًّا متّقيًا، ولايثق به النّاس، فلايدخلونه في وساطتهم، وإصلاح ذات بينهم. (١: ٣٦٢)

نحوه البَيْضاويّ. (١: ١١٨)

ابن عَطيّة: و(أَنْ تَبَرُّوا) مفعول من أجله، والبرّ: جميع وجوه الخير. برّ الرّجل، إذا تعلّق به حكمها ونسبها كالحاجّ والجاهد والعالم وغير ذلك. وهو مضادّ للاثم، إذ هو الحكم اللّاحق عن المعاصي. (١: ٣٠٠)

الطَّبْرِسيّ: وقوله: (أَنْ تَبَرُّوا) قيل: في معناه أقوال:

الأوّل: لـ(أَنْ تَبَرُّوا) على معنى الإثبات، أي لأن تكونوا بَرَرة أتقياء، فإنّ مَن قلّت يمينه كان أقرب إلى البرّ ممّن كثرت يمينه. وقيل: لـ(أَنْ تَبَرُّوا) في اليمين.

والثّاني: أنّ المعنى لدفع (أَنْ تَبَرُّوا) أو لترك (أَنْ تَبَرُّوا) فحُذف المضاف، عن المُبرّد.

والثّالث: أنّ معناه «أن لاتَبَرُّوا» فحُذف «لا» عن أبي عُبَيْدَة. قال: وقد حُذف «لا» لأنّه في معنى القسم، كقول أمرئ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدًا

أي لاأبرح. (١: ٣٢٢)

الفَخْر الرّازيّ: وأمّا قوله تعالى بعد ذلك: (أَنْ تَبَرُّوا) فهو علّة لهذا النّهي، فقوله: (أَنْ تَبَرُّوا) أي إرادة أن تَبَرُّوا، والمعنى إنّما نهيتكم عن هذا لما أن توقّي ذلك من البرّ والتّقوى والإصلاح، فتكونون يامعاشر المؤمنين بَرَرةً أتقياء، مصلحين في الأرض غير مفسدين.

فإن قيل: وكيف يلزم مَن ترك الحلف حصول البرّ والتّقوى والإصلاح بين النّاس؟

قلنا: لأنّ من ترك الحلف لاعتقاده أنّ الله تعالى أجلّ وأعظم أن يُستشهَد باسمه العظيم في مطالب الدّنيا، وخسائس مطالب الحلف، فلاشكّ أنّ هذا من أعظم أبواب البرّ. (٦: ٨٠)

نحوه الصّابونيّ. (١: ٢٠٩)

القُرْطُبيّ: معناه أقِلّوا الأيمان لما فيه من البرّ والتّقوى، فإنّ الإكثار يكون معه الحِنْث وقلّة رَعْيٍ لحقّ الله تعالى، وهذا تأويل حسن. (٣: ٩٧)

أبوحَيّان: قال الزّجّاج وتبعه التّبريزيّ: (أَنْ تَبَرُّوا) في موضع رفع بالابتداء، قال الزّجّاج: والمعنى برّكم وتقواكم وإصلاحكم أمثل وأولى، وجعَل الكلام منتهيًا عند قوله: (لِأَيْمَانِكُمْ).

ومعنى الجملة الّتي فيها النّهي عنده أنّها في الرّجل إذا طُلب منه فعل خيرٍ ونحوه اعتلّ بالله، فقال: على يمين، وهو لم يحلف. وقدّر التّبريزيّ خبر المبتدإ المحذوف بأنّ المعنى: أن تَبَرّوا وتتّقوا وتصلحوا بين النّاس خيرٌ لكم من أن تجعلوا الله عُرضةً لأيمانكم.

وهذا الّذي ذهب إليه الزّجّاج والتّبريزيّ ضعيف، لأنّ فيه اقتطاع (أَنْ تَبَرُّوا) ممّا قبله، والظّلم هو اتّصاله به، ولأنّ فيه حذفًا لادليل عليه.

وقال الزّمَخْشَريّ: ﴿أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا﴾ عطف بيان (لِأَيْمَانِكُمْ) أي للأُمور المحلوف عليها الّتي هي البرّ والتّقوى والإصلاح بين النّاس، انتهى كلامه.

وهو ضعيف لأنّ فيه مخالفة للظّاهر، لأنّ الظّاهر من الأيمان هي الأقسام، والبرّ والتّقوى والإصلاح هي المُقسَم عليها، فهما متباينان، فلايجوز أن يكون عطف بيان على «الأيمان» لكنّه لمّا تأوّل «الأيمان» على أنّها المحلوف عليها ساغ له ذلك.

وقد بيّنّا أنّه لاحاجة تدعونا إلى تأويل «الأيمان» بالأشياء المحلوف عليها، وعلى مذهبه تكون (أَنْ تَبَرُّوا) في موضع جرّ، ولو ادّعى أن يكون (أَنْ تَبَرُّوا) ومابعده بدلًا من (أَيْمَانِكُمْ) لكان أولى، لأنّ عطف البيان أكثر مايكون في الأعلام.

وذهب الجمهور إلى أنّ قوله: (أَنْ تَبَرُّوا) مفعولٌ من أجله، ثمّ اختلفوا في التّقدير، فقيل: كراهة أن تبرّوا، قاله المهدويّ، أو لترك أن تبرّوا، قاله المُبرِّد. وقيل: لأن لاتَبرّوا ولاتتّقوا ولاتصلحوا.

قال أبوعُبَيْدَة والطَّبَريّ كقوله:

فحالف فلا والله تهبط تلعة

أي لاتهبط. وقيل: ارادة أن تبرّوا، والتّقادير الأُول متلاقية من حيث المعنى. وروي هذا المعنى عن ابن عَبّاس، ومُجاهِد، وعطاء، وابن جُرَيْج، وإبراهيم، وقَتادَة، والضّحّاك، والسُّدّيّ، ومُقاتِل، والفرّاء، وابن قُتَيْبة، والزّجّاج في آخر مَن روي عنهم أنّ المعنى: لاتحلفوا بالله أن لاتَبَرُّوا، فيتعلّق بقوله: (وَلَاتَجْعَلُوا). ولايظهر هذا المعنى لما فيه من تعليل امتناع الحلف بانتفاء البرّ بل وقوع الحلف معلّل بانتفاء البرّ، ولاينعقد منه شرطٌ وجزاءٌ لو قلت: في معنى هذا النّهي.

وعلّته إن حلفت بالله بَرَرت، لم يصحّ، وذلك كما تقول: لاتضرب زيدًا لئلّا يؤذيك، فانتفت الأذاية للامتناع من الضّرب، والمعنى إن لم تضربه لم يؤذك وإن ضربته آذاك. فلايترتّب على الامتناع من الحلف انتفاء البرّ ولاعلى وجوده، بل يترتّب على الامتناع من الحلف وجود البرّ، وعلى وقوع الحلف انتفاء البرّ.

وهذا الّذي ذكرناه يؤيّد القول بأنّ التّقدير: إرادة أن تَبَرُّوا، لأنّه يعلّل الامتناع من الحلف بإرادة وجود البرّ، ويتعلّق منه الشّرط والجزاء، تقول: إن حلفت لم تبرّ وإن لم تحلف بَرَرت.

وأمّا معنى التّقوى فظاهر، لأنّه اتّقى أن يصدر منه مايخلّ بتعظيم الله تعالى.

وأمّا الإصلاح بين النّاس فلأنّ النّاس متى اعتقدوا فيه كونه مُعظِّمًا لله تعالى إلى هذا الحدّ، محترزًا عن الإخلال بواجب حقّه اعتقدوا فيه كونه مُعظِّمًا لله وكونه صادقًا، بعيدًا من الأغراض الفاسدة، فيتقبّلون قوله؛ فيحصل الصّلح بتوسّطه، انتهى هذا الكلام.

وفي «المنتخب» وهو بسط ماقاله الزّمخشريّ، قال: ومعناها على الأُخرى يزيد على أن يكون (عُرْضَةً) بمعنى معرضًا للأمر. قال: لاتجعلوا الله معرضًا لأيمانكم فتتبذّلوه بكثرة الحلف به، ولذلك ذمّ من أُنزل فيه ﴿وَلَاتُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ القلم: ١٠، بأشنع المذامّ، وجعل الحلّاف مقدّمتها، و(أَنْ تَبَرُّوا) علّة للنّهي، أي إرادة أن تَبَرُّوا وتتّقوا وتصلحوا، لأنّ الحلّاف مجترئ على الله غير مُعظِّم له، فلايكون برًّا متّقيًا، ولايثق به النّاس، فلايدخلونه في وساطتهم وإصلاح ذات بينهم.

وقيل: المعنى ولاتحلفوا بالله كاذبين لتَبَرُّوا المحلوف لهم، وتتّقوهم وتصلحوا بينهم بالكذب، روي هذا المعنى عن ابن عبّاس، فقيّد المعلول بالكذب، وقيّد الصلّة بالنّاس، والإصلاح بالكذب، وهو خلاف الظّاهر.

وقال الزّمخشريّ: ويتعلّق (أَنْ تَبَرُّوا) بالفعل وبالعُرضة، أي ولاتجعلوا الله لأجل أيمانكم به عُرضة،

لأن تَبَرُّوا، انتهى.

ولايصحّ هذا التّقدير، لأنّ فيه فصلًا بين العامل والمعمول بأجنبيّ، لأنّه علّق (لِأَيْمَانِكُمْ) بـ(تَجْعَلُوا) وعلّق لـ(أَنْ تَبَرُّوا) بـ(عُرْضَةً) فقد فصل بين (عُرْضَةً) وبين لـ(أَنْ تَبَرُّوا) بقوله: (لِأَيْمَانِكُمْ) وهو أجنبيّ منهما، لأنّه معمول عنده لـ(تَجْعَلُوا) وذلك لايجوز.

ونظير ماأجازه أن تقول: امرر واضرب بزيدٍ هندًا، فهذا لايجوز، ونصّوا على أنّه لايجوز: جاءني رجل ذوفرس راكب أبلق، لما فيه من الفصل بالأجنبيّ.

والّذي يظهر لي أنّ (أَنْ تَبَرُّوا) في موضع نصب على إسقاط الخافض، والعمل فيه قوله: (لِأَيْمَانِكُمْ) التّقدير: لأقسامكم على (أَنْ تَبَرُّوا) فنهوا عن ابتذال اسم الله تعالى، وجعله مَعرضًا لأقسامهم على البِرّ والتّقوى والإصلاح اللّاتي هنّ أوصاف جميلة، لما يخاف في ذلك من الحِنْث، فكيف إذا كانت أقسامًا على ماتُنافي البِرّ والتّقوى والإصلاح؛ وعلى هذا يكون الكلام منتظمًا واقعًا كلّ لفظ منه مكانه الّذي يليق به.

فصار في موضع (أَنْ تَبَرُّوا) ثلاثة أقوال: الرّفع على الابتداء، والخلاف في تقدير الجرّ، والجرّ على وجهين: عطف البيان والبدل، والنّصب على وجهين: إمّا على المفعول من أجله على الاختلاف في تقديره، وإمّا على أن يكون معمولًا (لِأَيْمَانِكُمْ) على إسقاط الخافض.

(٢: ١٧٧)

شُبَّر: علّة للنّهي، أي أنهاكم عنه إرادة بِرّكم وتقواكم وإصلاحكم. (١: ٢٢٥)

الآلوسيّ: قوله تعالى: ﴿أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ عطف بيان (لِأَيْمَانِكُمْ) وهو في غير الأعلام كثير وفيها أكثر. وقيل: بدل، وضُعّف بأنّ المُبدَل منه لايكون مقصودًا بالنّسبة بل تمهيدٌ وتوطئةٌ للبدل، وهاهنا ليس كذلك، و«اللّام» صلة (عُرْضَةً) وفيها معنى الاعتراض، أو بـ(تَجْعَلُوا) والأوّل أولى وإن كان المآل واحدًا.

وجوّز أن تكون الأيمان على حقيقتها و«اللّام» للتّعليل و(أَنْ تَبَرُّوا) في تقدير «لأن» ويكون صلة للفعل أو لـ(عُرْضَةً)، والمعنى: لاتجعلوا الله تعالى حاجزًا لأجل حلفكم به عن البِرّ والتّقوى والإصلاح.

وعلى الثّاني: ولاتجعلوا الله نصبًا لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به في كلّ حقٍّ وباطل، لأنّ في ذلك نوع جرأة على الله تعالى، وهو التّفسير المأثور عن عائشة، وبه قال الجُبّائيّ وأبو مسلم، وروته الإماميّة عن الأئمّة الطّاهرين.

ويكون (أَنْ تَبَرُّوا) علّة للنّهي على معنى أنهاكم عنه طلب بِرّكم وتقواكم وإصلاحكم؛ إذ الحلّاف مجترئ على الله تعالى، والمجترئ عليه بمعزل عن الاتّصاف بتلك الصّفات، ويؤوّل إلى: لاتكثروا الحلف بالله تعالى لتكونوا بارّين متّقين، ويعتمد عليكم النّاس فتصلحوا بينهم.

وتقدير الطّلب ونحوه لازمٌ إن كان (أَنْ تَبَرُّوا) في موضع النّصب، ليتحقّق شرط حذف اللّام وهو المقارنة، لأنّ المقارنة للنّهي ليس هو البِرّ والتّقوى والإصلاح بل طلبها.

وإن كان في موضع الجرّ، بناءً على أن حذف حرف

الجرّ من «أن» و«إن» قياسيّ فليس بلازمٍ، وإنّما قدّروه لتوضيح المعنى، والمراد به طلب الله تعالى لاطلب العبد، وإن أُريد ذلك كان علّة للكفّ المستفاد من النّهي، كأنّه قيل: كفّوا أنفسكم من جعله سبحانه عُرضةً، وطلب العبد صالح للكفّ. (٢: ١٢٧)

رشيد رضا: قوله تعالى: ﴿أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ على الوجه الأوّل: بيان للأيمان، لأنّها بمعنى المحلوف عليه، أي لاتجعلوه مانعًا لما حلفتم على تركه من البرّ والتّقوى والإصلاح بين النّاس، بل إذا حلف أحدكم على ترك البرّ أو التّقوى أو الإصلاح، فليكفّر عن يمينه، وليفعل البرّ والتّقوى والإصلاح، فلاعذر لأحد في ترك ذلك، ولايرضى الله تعالى أن يكون اسمه مانعًا منه.

وأمّا على الوجه الثّاني: فهو لتعليل النّهي، أي لاتجعلوه تعالى مَعرضًا لأيمانكم، لأجل البرّ والتّقوى والإصلاح، فإنّ كثير الحلف لايكون أهلًا لذلك، لما تقدّم من كونه يكون مهينًا، غير معظّم لله تعالى، وعُرضةً للكذب والحِنْث، وغير موثوق بقوله، فأنّى يرضاه النّاس مصلحًا بينهم؟ والمصلح مُربٍّ ومؤدّبٌ، وحاكمٌ مطاع بالاختيار. (٢: ٣٦٦)

الطَّباطَبائيّ: (أَنْ تَبَرُّوا) بتقدير «لا» أي أن لاتبرّوا، وهو شائعٌ مع «أن» المصدريّة، كقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ اَنْ تَضِلُّوا﴾ النّساء: ١٧٦، أي أن لاتضلّوا، أو كراهة أن تضلّوا.

ويمكن أن لايكون بتقدير «لا» وقوله تعالى: (اَنْ تَبَرُّوا) متعلّقًا بما يدلّ عليه قوله تعالى: (وَلَاتَجْعَلُوا) من النّهي، أي ينهاكم الله عن الحلف الكذائيّ، أو يبيّن لكم حكمه الكذائيّ أن تبرّوا وتتّقوا وتصلحوا بين النّاس.

ويمكن أن يكون «العُرضة» بمعنى مايكثر عليه التّعرّض، فيكون نهيًا عن الإكثار من الحلف بالله سبحانه. والمعنى لاتكثروا من الحلف بالله فإنّكم إن فعلتم ذلك أدّاكم إلى أن لاتبرّوا ولاتتّقوا، ولاتصلحوا بين النّاس فإنّ الحلّاف المُكثِر من اليمين لايستعظِم ماحلف به، ويُصغّر أمر ماأقسم به لكثرة تناوله، فلايبالي الكذب، فيكثر منه هذا عند نفسه، وكذا يهون خَطبُه وينزل قدرُه عند النّاس، لاستشعارهم أنّه لايرى لنفسه عند النّاس قَدَم صِدْقٍ، ويعتقد أنّهم لايُصدّقونه فيما يقول، ولأنّه يوقّر نفسه بالاعتماد عليها، فيكون على حدّ قوله تعالى: ﴿وَلَاتُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ القلم: ١٠.

والأنسب على هذا المعنى أيضًا عدم تقدير «لا» في الكلام، بل قوله تعالى: (اَنْ تَبَرُّوا) منصوبٌ بنزع الخافض، أو مفعول له لما يدلّ عليه النّهي في قوله: (وَلَاتَجْعَلُوا) كما مرّ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ نوع تهديد على جميع المعاني، غير أنّ المعنى الأوّل أظهرها، كما لايخفى. (٢: ٢٢٢)

اَنْ تَبَرُّوهُمْ

لَايَنْهٰيكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ اَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا اِلَيْهِمْ اِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. المُمتحنة: ٨

الزّجّاج: (اَنْ) في موضع جرّ بدل من (الَّذِينَ) المعنى

لاينهاكم أن تبرّوا الّذين لم يقاتلوكم في الدّين، وهذا يدلّ على أنّ المعنى: لاينهاكم الله عن برّ الّذين بينكم وبينهم عَهْدٌ ودليل. (٥: ١٥٧)

نحوه الطّوسيّ (٩: ٥٨٢)، وابن عَطيّة (٥: ٢٩٧)، والطّبْرِسيّ (٥: ٢٧٢)، والفخر الرّازيّ (٢٩: ٣٠٤)، والقُرطُبيّ (١٨: ٥٩)، والبَيضاويّ (٢: ٤٧١)، والنّيسابوريّ (٢٨: ٤٠)، وأبوحَيّان (٨: ٢٥٥)، وأبوالسُّعود (٦: ٢٣٧)، والآلوسيّ (٢٨: ٧٤)، والطّباطَبائيّ (١٩: ٢٣٤).

الواحديّ: أي لاينهاكم الله عن برّ الّذين لم يقاتلوكم، وهذا يدلّ على جواز البرّ بين المسلمين والمشركين وإن كانت الموالاة منقطعة. (٤: ٢٨٥)

الزّمَخْشَريّ: بدلٌ من ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ وكذلك أن تولّوهم من الّذين قاتلوكم، والمعنى: لاينهاكم عن مَبرّة هؤلاء، وإنّما ينهاكم عن تولّي هؤلاء، وهذا أيضًا رحمة لهم لتشدّدهم وجدّهم في العداوة، متقدّمة لرحمته بتيسير إسلام قومهم؛ حيث رخّص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين، وإخراجهم من ديارهم. (٤: ٩١)

الشّربينيّ: بنوعٍ من أنواع البرّ الظّاهرة، فإنّ ذلك غير صريحٍ في قصد المودّة. (٤: ٢٦٥)

البُرُوسَويّ: بدلٌ من الموصول بدل الاشتمال، لأنّ بينهم وبين البرّ ملابسة بغير الكلّيّة والجزئيّة، فكان المنهيّ عنه برّهم بالقول وحُسن المعاشرة والصّلة بالمال لأنفسهم. (٩: ٤٨٠)

المَراغيّ: أي تفعلوا البرّ والخير لهم. (٢٨: ٦٨)

البَـرّ

إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ.

الطّور: ٢٨

ابن عبّاس: الصّادق في قوله فيما وعد لنا. (تنوير المقباس: ٤٤٤)

مثله الضّحّاك. (البَغَويّ ٤: ٢٩٤)

يقول: اللّطيف. (الطّبَريّ ٢٧: ٣٠)

ابن جُرَيْج: أنّ (البرّ) الصّادق. (الماوَرْديّ ٥: ٣٨٣)

ابن بَحْر: أنّه فاعل البرّ المعروف به. (الماوَرْديّ ٥: ٣٨٣)

الطُّوسيّ: أصل الباب: اللُّطف مع عظم الشّأن، ومنه البرّ للُطفها مع عظم النّفع بها، ومنه البرّ لأنّه لُطف النّفع به مع عظم الشّأن، ومنه البرّيّة للُطف مسالكها مع عظم شأنها.

والبِرّ بالكسر: الفأرة، والبِرّ: برّ الوالدين. (٩: ٤١١)

نحوه الطّبْرِسيّ. (٥: ١٦٥)

الخازِن: قيل: (البرّ) العطوف على عباده، المحسن إليهم، الّذي عمّ برّه جميع خلقه. (٦: ٢٠٩)

أبوحَيّان: أنّه هو البرّ المُحسن الرّحيم الكثير الرّحمة، إذا عُبد أثاب، وإذا سُئل أجاب، أو ندعوه من الدّعاء. (٨: ١٥٠)

الشّربينيّ: أي الواسع الجود، الّذي عطاؤه حكمة ومنعه رحمة، لأنّه لاينقصه إعطاء ولايزيده منع، فهو يَبرّ عبده المؤمن بما يوافق نفسه، فربّما برّه بالنّعمة وربّما

برّه بالبؤس، فهو يختار له من الأحوال ماهو خير له، ليوسع له البرّ في العُقبي، فعلى المؤمن أن لايتّهم ربّه في شيءٍ من قضائه. (٤: ١١٦)

البُرُوسَويّ: [نقل كلام أبي‌حَيّان والرّاغِب وأضاف:]

في شرح الأسماء: من عرف أنّه هو البرّ الرّحيم رجع إليه بالرّغبة في كلّ حقير وعظيم، فكفاه ماأهمّه ببرّه ورحمته.

وقد قال في حكم ابن عطاء: متى أعطاك أشهدك برّه وإحسانه وفضله، ومتى منَعك أشهدك قهره وجلاله وعظمته، فهو في كلّ ذلك متعرّف إليك تارةً بجماله وأُخرى بجلاله، ومقبلٌ بوجود لطفه عليك؛ إذ وجّه لك مايوجب توجّهك إليه.

ولكن إنّما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه؛ إذ لو فهمت عنه كنت تشكره على ماواجهك منه.

فقد قال أبوعثمان المغربيّ: الخلق كلّهم مع الله في مقام الشّكر، وهم يظنّون أنّهم في مقام الصّبر. وقال إبراهيم الخواصّ: لايصحّ الفقر للفقير حتّى يكون فيه خصلتان: إحداهما الثّقة بالله، والثّانية الشّكر له فيما زُوي عنه من الدّنيا ممّا ابتلي به غيره و لايكمل الفقير حتّى يكون نظر الله له في المنع أفضل من نظره له في العطاء، وعلامة صدقه في ذلك أن يجد للمنع من الحلاوة مالايجد للعطاء، والتّقرّب باسم البرّ تعلّقًا وجود محبّته لإحسانه وترك التّدبير معه لما توجّه من إكرامه وكثرة الدّعاء، كما قال: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ وتخلّقًا بالنّفع لعباد الله والشّفقة عليهم، فإنّ البرّ هو الّذي لايؤذي الذّرّ.

وفي «التّأويلات النّجميّة»: وأقبل بعضهم ـ يعني القلب والرّوح ـ على بعض ـ يعني النّفس ـ يتساءلون، قالوا: إنّا كنّا قبل ـ أي قبل السّير والسّلوك ـ في أهلنا ـ أي في عالم الإنسانيّة ـ مشفقين، أي خائفين من سموم الصّفات البهيميّة والسّبُعيّة والشّيطانيّة والشّهوات الدّنيويّة، فإنّها مهبّ سموم قهر الحقّ، فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السّموم، أي سموم قهره.

ولولا فضله ماتخلّصنا منه بجهدنا وسعينا، بل إنّا كنّا من قبل ندعوه ونتضرّع إليه بتوفيقه في طلب النّجاة، وتحصيل الدّرجات، إنّه هو (البرّ) بمن يدعوه (الرّحيم) بمن يُنيب إليه. (٩: ١٩٧)

الآلوسيّ: (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ) أي المحسن، كما يدلّ عليه اشتقاقه من «البِرّ» بسائر موادّه، لأنّها ترجع إلى الإحسان: كبرَّ في يمينه، أي صدق، لأنّ الصّدق إحسان في ذاته، ويلزمه الإحسان للغير. وأبرّ الله تعالى حجّه، أي قبله، لأنّ القبول إحسان وزيادة. وأبرّ فلانٌ على أصحابه، أي علاهم، لأنّه غالبًا ينشأ عن الإحسان لهم، فتفسيره باللّطيف ـ كما روي عن ابن عبّاس ـ أو العالي في صفاته، أو خالق البرّ، أو الصّادق فيما وعد أولياءه ـ كما روي عن ابن جُرَيْج ـ بعيدٌ. إلّا أن يراد بعض ماصدقات، أو غايات ذلك البرّ؟ (٢٧: ٣٥)

المَراغيّ: أي إنّا كنّا نعبده ونسأله أن يمنّ علينا بالمغفرة والرّحمة، فاستجاب دُعاءنا وأعطانا سؤلنا، لأنّه هو المحسن الواسع الرّحمة والفضل.

وكلّ من المؤمن والكافر لاينسى ماكان له في الدّنيا،

وتزداد لذّة المؤمن إذا رأى نفسه قد انتقلت من سجن الدّنيا إلى نعيم الجنّة، ومن الضّيق إلى السّعة، وتزداد آلام الكافر إذا رأى نفسه انتقل من التّرف إلى التّلف، ومن النّعيم إلى الجحيم. (٢٧: ٢٨)

الطّباطبائيّ: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ...﴾ تعليل لقوله: ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا﴾ الطّور: ٢٧، كما أنّ قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ تعليل له.

وتفيد هذه الآية مع الآيتين قبلها أنّ هؤلاء كانوا في الدّنيا يدعون الله بتوحيده للعبادة والتّسليم لأمره، وكانوا مشفقين في أهلهم يقرّبونهم من الحقّ ويجنّبونهم الباطل، فكان ذلك سببًا لمنّ الله عليهم بالجنّة، ووقايتهم من عذاب السّموم. وإنّما كان ذلك سببًا لذلك، لأنّه تعالى برٌّ رحيم، فيُحسن لمن دعاه ويرحمه.

فالآيات الثّلاث في معنى قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر: ٢، ٣.

و(البرّ) من أسماء الله تعالى الحسنى وهو من (البِرّ) بمعنى الإحسان، وفسّره بعضهم باللّطيف. (١٩: ١٥)

بَرًّا

١ـ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا. مريم: ١٤

ابن عبّاس: لطيفًا بوالديه.

(تنوير المقباس: ٢٥٤)

الطّبريّ: يقول تعالى ذكره: وكان برًّا بوالديه، مسارعًا في طاعتهما ومحبّتهما، غير عاقٍّ بهما.

(١٦: ٥٨)

الزّجّاج: أي وجعلناه برًّا بوالديه. (٣: ٣٢٢)

الطّوسيّ: أي كان بارًّا محسنًا إلى والديه.

(٧: ١١٢)

المَيْبُديّ: والبِرّ: الحبّ، وقيل: الإسراع إلى الطّاعة، والمبالغة في الخدمة. (٦: ١٤)

ابن عَطيّة: البَرّ: الكثير البِرّ. (٤: ٨)

أبوالفُتوح: كان بارًّا إلى والديه، والبَرّ والبارّ واحدٌ. (١٣: ٦٣)

الطّبْرِسيّ: أي بارًّا بوالديه، محسنًا إليهما، مطيعًا لهما، لطيفًا بهما، طالبًا مرضاتهما. (٣: ٥٠٦)

الفَخر الرّازيّ: قوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ وذلك لأنّه لاعبادة بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيم الوالدين، ولهذا السّبب قال: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الإسراء: ٢٣. (٢١: ١٩٣)

القُرطُبيّ: البَرّ بمعنى البارّ، وهو الكثير البِرّ. (١١: ٨٨)

البُرُوسَويّ: عطفٌ على (تَقِيًّا) أي بارًّا بهما، لطيفًا بهما، محسنًا إليهما. (٥: ٣١٩)

الآلوسيّ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ كثير البِرّ بهما، والإحسان إليهما. والظّاهر أنّه عطف على خبر «كان». وقيل: هو من باب علّفتها تبنًا وماءً باردًا، والمراد وجعلناه برًّا، وهو يناسب نظيره حكاية عن عيسى عليه السلام.

وقرأ الحسن وأبو جعفر في رواية، وابن نهيك وأبومجلز (وبِرًّا) في الموضعين بكسر الباء، أي ذابِرّ. (١٦: ٧٣)

المَراغيّ: أي كثير البِرّ بهما، والإحسان إليهما،

والحدب عليهما، بعيدًا عن عقوقهما قولاً وفعلاً.

وقد جعل الله طاعة الوالدين في المرتبة الّتي تلي مرتبة طاعته، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الإسراء: ٢٣. (١٦: ٣٩)

الطَّباطَبائيّ: والبَرّ بفتح الباء: صفة مشبّهة من البِرّ بكسر الباء، وهو الإحسان. (١٤: ٢٠)

محمّد جواد مَغْنِيّة: والبَرّ بالوالدين: ضدّ العقوق. (٥: ١٧٢)

عبد المنعم الجمّال: جبّله الله تعالى ببِرّ والديه والإحسان إليهما، ولم يكن عاقًّا قاسيًا متعاليًا، مخالفًا لأمر ربّه، بل كان متواضعًا بارًّا مطيعًا. (٣: ١٨٣٦)

٢ـ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ مريم: ٣٢

الإمام الصّادق عليه السلام: [في حديث تعداد الكبائر] ومنها: عقوق الوالدين، لأنّ الله عزّوجلّ جعل العاقّ جبّارًا شقيًّا، في قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

(العَرُوسيّ ٣: ٣٣٥)

وبِرّ الوالدين: وضدّه العقوق. (العَرُوسيّ ٣: ٣٣٥)

مايمنع الرّجل أن يَبِرّ والدَيه حيّين أو ميّتين، يُصلّي عنهما، ويتصدّق عنهما، ويحجّ عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الّذي صنع لهما وله مثل ذلك، فيزيده الله جلّ وعزّ بِرّه وصلته كثيرًا. (العَرُوسيّ ٣: ٣٣٥)

برّوا آباءكم يَبرّكم أبناؤكم، وعفّوا عن نساء النّاس تُعفّ نساؤكم. (العَرُوسيّ ٣: ٣٣٥)

الفَرّاء: وقوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ نصبته على: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ وجعلني بَرًّا، مُتْبَعٌ للنّبيّ، كقوله: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ الدّهر: ١٢، ثمّ قال: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ الدّهر: ١٤، (دانِيةً) مردودةٌ على ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ الدّهر: ١٣، كما أنّ «البَرّ» مردودةٌ على قوله: (نَبِيًّا) مريم: ٣٠. (٢: ١٦٧)

الطَّبَريّ: يقول تعالى ذكره، مُخبرًا عن قيل عيسى للقوم: وجعلني مباركًا وبَرًّا، أي جعلني بَرًّا بوالدتي. والبَرّ هو البارّ، يقال: هو بَرّ بوالده، وبارٌّ به، وبفتح الباء قرأت هذا الحرف قرّاءُ الأمصار.

وعن أبي نَهيك أنّه قرأ (وَبِرًّا[1] بِوَالِدَتِي) من قول عيسى عليه السلام، قال أبونَهيك: أوصاني بالصّلاة والزّكاة والبِرّ بالوالدين، كما أوصاني بذلك.

فكأنّ أبانَهيك وجّه تأويل الكلام إلى قوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ هو من خبر عيسى عن وصيّة الله إيّاه به، كما أنّ قوله: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ مريم: ٣١، من خبره عن وصيّة الله إيّاه بذلك.

فعلى هذا القول يجب أن يكون نصب «البِرّ» بمعنى عمل الوصيّة فيه، لأنّ الصّلاة والزّكاة وإن كانتا مخفوضتين في اللّفظ فإنّهما بمعنى النّصب، من أجل أنّه مفعول بهما. (١٦: ٨١)

الزّجّاج: (بَرًّا) عطفٌ على (مُبَارَكًا)، المعنى وجعلني مباركًا وبَرًّا بوالدتي. (٣: ٣٢٩)

---

(١) الظّاهر (وَبِرًّا بوالدتي) بكسر الباء، كما ذكره ابن عطيّة (٤: ١٥)، والآلوسيّ (١٦: ٧٣).

الماوَرْديّ: يحتمل وجهين:

أحدهما: بما برّأها به من الفاحشة.

الثّاني: بما تكفّل لها من الخدمة. (٣: ٣٧١)

المَيْبُديّ: معنى (البِرّ) الطّاعة في هذه الآية، أي جعلني مطيعًا لأُمّي، كما قال يحيى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ مريم: ١٤، أي مطيعًا لوالديه.

وقال في موضع آخر: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوٰى﴾ المائدة: ٢، أي على الطّاعة والتّقوى.

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ عبس: ١٦، أي مطيعين.

﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ المطفّفين: ١٨، أي كتاب المطيعين ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ المطفّفين: ٢٢، أي إنّ المطيعين لله لفي نعيم.

أمّا قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا﴾ البقرة: ٢٢٤، فيريد به صلة الرّحم، كما قال في سورة الامتحان: ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ الممتحنة: ٨، أي تصلوهم. (٦: ٣٧)

ابن عَطيّة: وقرأ الجمهور (وَبَرًّا) بفتح الباء، وهو الكثير البِرّ، ونصبه على قوله: (مُبارَكًا).

وقرأ أبونهيك وأبومِجْلَز وجماعة (بِرًّا) بكسر الباء، فقال بعضها: نصبه على العطف على قوله: ﴿مُبَارَكًا﴾ فكأنّه قال: وذابِرّ، فاتّصف بالمصدر كعدل ونحوه، وقال بعضها: نصبه بقوله: (وَأَوْصَانِي) أي وأوصاني بِرًّا بوالدتي، حذف الجارّ، كأنّه يريد وأوصاني ببرّ والدتي.

وحكى الزّهراويّ هذه القراءة (وبِرٍّ) بالخفض عطفًا على (الزَّكٰوة)، وقوله: (بِوَالِدَتِي) بيان لأنّه لاوالد له، وبهذا القول برّأها قومها. (٤: ١٥)

الفَخْر الرّازيّ: الصّفة السّادسة[1]: قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ أي جعلني برًّا بوالدتي. وهذا يدلّ على قولنا: إنّ فعل العبد مخلوق لله تعالى، لأنّ الآية تدلّ على أنّ كونه برًّا إنّما حصل بجعل الله وخلقه، وحمله على الألطاف عدولٌ عن الظّاهر، ثمّ قوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ إشارة إلى تنزيه أُمّه عن الزّنى؛ إذ لو كانت زانية لما كان الرّسول المعصوم مأمورًا بتعظيمها.

قال صاحب «الكشّاف»: جعل ذاته برًّا لفرط برّه، ونصبه بفعل في معنى أوصاني وهو كلّفني، لأنّ أوصاني بالصّلاة وكلّفني بها واحدٌ.

الصّفة السّابعة: قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ وهذا أيضًا يدلّ على قولنا، لأنّه لمّا بيّن أنّه جعله (برًّا) وماجعله (جبّارًا) فهذا إنّما يحسن لو أنّ الله تعالى جعل غيره جبّارًا وغير بارّ بأُمّه، فإنّ الله تعالى لو فعل ذلك بكلّ أحد، لم يكن لعيسى عليه السلام مزيد تخصيص بذلك.

ومعلوم أنّه عليه السلام إنّما ذكر ذلك في معرض التّخصيص، وقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ أي ماجعلني متكبّرًا بل أنا خاضعٌ لأنّي متواضعٌ لها، ولو كنت جبّارًا لكنت عاصيًا شقيًّا.

وروي أنّ عيسى عليه السلام قال: قلبي ليّن وأنا صغيرٌ في نفسي. وعن بعض العلماء لاتجد العاقّ إلّا جبّارًا شقيًّا، وتلا: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ ولاتجد سيّء الملكة إلّا مختالًا فخورًا. (٢١: ٢١٥)

البَيْضاويّ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ وبارًّا بها، عطفٌ

---

(١) أي من صفات عيسى الّتي وصف بها نفسه.

على (مُبارَكًا). وقرئ بالكسر على أنّه مصدرٌ وُصف به، أو منصوبٌ بفعلٍ دلّ عليه (أوْصَانِي) أي وكلّفني بَرًّا، ويؤيّده القراءة بالكسر، والجرّ عطفًا على الصّلاة.

(٢: ٣٣)

المَراغيّ: أي وجعلني بَرًّا بوالدتي، مطيعًا لها محسنًا. وفي هذا رمزٌ إلى نفي الرّيبة عنها؛ إذ لو لم تكن كذلك لما أمر الرّسول المعصوم بتعظيمها. (١٦: ٤٨)

الطَّباطَبائيّ: أي جعلني حنيًّا رؤوفًا بالنّاس، ومن ذلك أنّي برّ بوالدتي ولستُ جبّارًا شقيًّا بالنّسبة إلى سائر النّاس. (١٤: ٤٧)

الأبْرَار

١ـ ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾. آل عمران: ١٩٣

ابن عبّاس: اقبض أرواحنا على الإيمان، واجمعنا مع أرواح النّبيّين والصّالحين. (٦٣)

الحسَن: هم الّذين لايؤذون الذّرّ، وأصل البرّ: الاتّساع. (الطّوسيّ ٣: ٨٥)

الطَّبَريّ: يعني بذلك واقبضنا إليك إذا قبضتنا إليك في عداد الأبرار، واحشرنا محشرهم ومعهم. والأبرار: جمع برّ، وهم الّذين برّوا الله تبارك وتعالى بطاعتهم إيّاه، وخدمتهم له، حتّى أرضوه، فرضي عنهم. (٤: ٢١٣)

الزّمَخْشَريّ: مخصوصين بصحبتهم، معدودين في جملتهم. والأبرار: جمع بَرٍّ أو بارٍّ، كربٍّ وأرباب، وصاحبٍ وأصحاب. (١: ٤٨٩)

ابن عَطيّة: الأبرار: جمع برّ، أصله: بَررٌ، على وزن «فَعَل» أُدغمت الرّاء في الرّاء، وقيل: هو جمع: بارّ، كصاحب وأصحاب، والمعنى توفّنا معهم في كلّ أحكامهم وأفعالهم. (١: ٥٥٦)

الفَخْر الرّازيّ: ذكر القفّال في تفسير هذه المعيّة وجوهًا:

الأوّل: أنّ وفاتهم معهم، هي أن يموتوا على مثل أعمالهم حتّى يكونوا في درجاتهم يوم القيامة، قد يقول الرّجل: أنا مع الشّافعيّ في هذه المسألة، ويريد به كونًا مساويًا له في ذلك الاعتقاد.

والثّاني: يقال: فلان في العطاء مع أصحاب الأُلوف، أي هو مشارك لهم في أنّه يُعطى ألفًا.

والثّالث: أن يكون المراد منه كونهم في جملة أتباع الأبرار وأشياعهم، ومنه قوله: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ النّساء: ٦٩.

(٩: ١٤٦)

أبوالبَرَكات: أي أبرارًا مع الأبرار. [ثمّ استشهد بشعر]

والأبرار: جمع بارّ، ويجوز أن يكون جمع: بَرّ، وأصله: بَرِرٌ على وزن كَتِفٍ، فحذفت الكسرة من الرّاء الأُولى وأُدغمت في الثّانية. (١: ٢٣٦)

القُرطُبيّ: أي أبرارًا مع الأنبياء، أي في جملتهم، واحدهم: بَرٌّ وبارٌّ، وأصله من الاتّساع، فكأنّ البرّ متّسع في طاعة الله، ومتّسعة له رحمة الله. (٤: ٣١٧)

البَيْضاويّ: مخصوصين بصحبتهم، معدودين في زمرتهم، وفيه تنبيهٌ على أنّهم يحبّون لقاء الله، ومَن أحبّ

لقاء الله أحبّ الله لقاءه. والأبرار: جمع بَرٍّ أو بارٍّ، كأرباب وأصحاب. (١: ١٩٩)

نحوه أبو السّعود. (٢: ٨٦)

النّسفيّ: و(الأبرار): المتمسّكون بالسّنّة. (١: ٢٠٢)

النّيسابوريّ: أي معدودين منهم ومن أتباعهم، أو مشاركين لهم في الثّواب، أو على مثل أعمالهم ودرجاتهم، كقول الرّجل: أنا مع الشّافعيّ في هذه المسألة، أي مساوٍ له في ذلك الاعتقاد. (٤: ١٥٣)

الخازن: يعني في جملتهم وزمرتهم. و(الأبرار): هم الأنبياء والصّالحون، والمعنى توفّنا على مثل أعمالهم حتّى نكون في درجتهم يوم القيامة. وقيل: توفّنا في جملة أتباعهم وأشياعهم. (١: ٣٩٢)

البُرُوسَويّ: أي مخصوصين بصحبتهم مختنين بجوارهم معدودين من زمرتهم، فالمراد من المعيّة ليس المعيّة الزّمانيّة، لأنّ ذلك محالٌ ضرورة أنّ توفّيهم إنّما هو على سبيل التّعاقب، بل المراد المعيّة في الاتّصاف بصفة الأبرار حال التّوفّي. (٢: ١٤٨)

الآلوسيّ: أي مخصوصين بالانخراط في سلكهم والعدّ من زمرتهم، ولا مجال لكون المعيّة زمانيّة؛ إذ منهم من مات قبل، ومن يموت بعد. وفي طلبهم التّوفّي وإسنادهم له إلى الله تعالى إشعارٌ بأنّهم يحبّون لقاء الله تعالى ومَنْ أحبّ لقاء الله تعالى أحبّ الله تعالى لقاءه، ونكتة قولهم: ﴿مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ دون أبرارًا التّذلّل، وأنّ المراد لسنا بأبرار فاسلكنا معهم واجعلنا من أتباعهم، وفي «الكشف» إنّ في ذلك هضمًا للنّفس وحسن أدب مع إدماج مبالغة، لأنّه من باب هو من العلماء بدل عالم. (٤: ١٦٥)

القاسميّ: أي معدودين في جملتهم، حتّى نكون في درجتهم يوم القيامة.

والأبرار: جمع بارٍّ أو بَرٍّ، وهو الكثير البِرّ بالكسر، أي الطّاعة. (٤: ١٠٧)

رشيد رضا: و(الأبرار) هم المحسنون في أعمالهم. (٤: ٣٠٣)

المَراغيّ: ﴿مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ بأن يموتوا على مثل أعمالهم حتّى يكونوا في درجاتهم يوم القيامة، كما يقال: فلانٌ في العطاء مع أصحاب الألوف، أي هو مشارك لهم في أنّه يُعطى ألفًا، قال تعالى: ﴿فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ النّساء: ٦٩. (٤: ١٦٥)

عبد الكريم الخطيب: وأن يُحشروا مع الأبرار والأتقياء، فهم على وعدٍ من الله وُعدوا به على لسان رسُله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النّحل: ٩٧. (٢: ٦٧٤)

حسنين مخلوف: أي في زمرتهم، وعلى مثل أعمالهم. و(الأبرار): الأنبياء والصّالحون. جمع: بَرّ، كربٍّ وأرباب، أو جمع: بارّ، كصاحب وأصحاب، وهو الكثير الخير والاتّساع في الإحسان. (١٣٦)

٢ـ ﴿لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ

لِلْأَبْرَارِ. آل‌عمران: ١٩٨

النّبيّ ﷺ: لعليّ ؑ: «أنت الثّواب وأصحابك الأبرار». (العَرُوسيّ ١: ٤٢٥)

ابن عبّاس: للموحّدين ممّا أُعطي الكفّار في الدّنيا. (تنوير المقباس: ٦٤)

ابن زَيْد: لمن يُطيع الله. (الطَّبَريّ ٤: ٢١٨)

الطَّبَريّ: وهم أهل طاعته. (٤: ٢١٨)

أبوحَيّان: و(الأبرار): هم المتّقون الّذين أخبر عنهم بأنّ (لَهُمْ جَنَّاتٌ).

وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي الّذي عند الله للأبرار خيرٌ لهم. وهذا ذهول عن قاعدة العربيّة: من أنّ المجرور إذ ذاك يتعلّق بما تعلّق به الظّرف الواقع صلة للموصول، فيكون المجرور داخلًا في حيّز الصّلة، ولايخبر عن الموصول إلّا بعد استيفائه صلته ومتعلّقاتها. (٣: ١٤٨)

أبوالسُّعود: والتّعبير عنهم بـ(الأبرار) للإشعار بأنّ الصّفات المعدودة من أعمال البرّ كما أنّها من قبيل التّقوى، والجملة تذييل لما قبلها. (٢: ٩٨)

الآلوسيّ: [قال نحو أبي السّعود وأضاف:]

وزعم بعضهم أنّ هذا ممّا يحتمل أن يكون إشارة إلى الرّؤية، لأنّ فيه إيذانًا بمقام العنديّة، والقرب الّذي لايوازيه شيء من نعيم الجنّة. والموصول مبتدأ، والظّرف صلته، و(خَيْرٌ) خبره، و(لِلْأَبْرَارِ) صفة (خير).

وجوّز أن يكون (لِلْأَبْرَارِ) خبرًا، والنّيّة به التّقديم، أي والّذي عند الله مستقرٌّ للأبرار، و(خَيْرٌ) على هذا خبر ثان.

وقيل: (لِلْأَبْرَارِ) حالٌ من الضّمير في الظّرف، و(خَيْرٌ) خبر المبتدإ. وتعقّبه أبوالبقاء بأنّه بعيدٌ، لأنّ فيه الفصل بين المبتدإ والخبر بحال لغيره، والفصل بين الحال وصاحب الحال غير المبتدإ وذلك لايجوز في الاختيار. (٤: ١٧٣)

نحوه القاسميّ. (٤: ١٠٧٤)

رشيد رضا: ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ من الكرامة الزّائدة على هذا النّزل الّذي هو بعض ماعنده وأوّل مايقدّمه لعباده المتّقين ﴿خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ وأفضل ممّا يتقلّب فيه الّذين كفروا من متاع فانٍ، بل وممّا يحظى به المتّقون من نزل الجنان وهذا الّذي قلناه أولى من القول، بأنّ ماعند الله للأبرار هو عين ذلك النّزل الّذي قال إنّه من عنده، لأنّ نكتة وضع المظهر وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ موضع المضمر الّذي كان ينبغي أن يُعبّر به لو كان هذا عين ذاك تظهر على هذا ظهورًا لاتكلّف فيه.

وبه ينجلي الفرق بين (الَّذِينَ اتَّقَوْا) وبين (الْأَبْرَارِ) فإنّ الأبرار: جمع بارّ أو برّ، وهو المتّصف بالبرّ الّذي بيّنه الله تعالى في سورة البقرة، بقوله: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ البقرة: ١٧٧، وقد أشرنا إليه في آيات الدّعاء القريبة.

فشرح (البرّ) بما ذكر في تلك الآية يؤيّد ماذكره الرّاغب من أنّه مشتقّ من «البَرّ» بالفتح، المقابل للبحر، وأنّه يفيد التّوسّع في فعل الخير، فهو إذًا أدلّ على الكمال من التّقوى الّتي هي عبارة عن ترك أسباب السّخط والعقوبة، وتحصل بترك المحرّمات وفعل الفرائض، من غير توسّع في نوافل الخيرات.

وذكر جزاء المؤمنين بقسميهم (الَّذِينَ اتَّقَوْا)

و(الأبرار) بلفظ الاستدراك، للتنصيص على ماذكرنا من المقابلة بينهم وبين الّذين كفروا، كما قلنا. (٤: ٣١٤)

٣ـ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا. الدّهر: ٥

الإمام الحسن عليه السلام: كلّ ما في كتاب الله عزّوجلّ من قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ فوالله ما أراد به إلّا عليّ بن أبي طالب وفاطمة وأنا والحسين، لأنّا نحن أبرار بآبائنا وأُمّهاتنا، وقلوبنا علت بالطّاعات والبرّ، ومبرّأة من الدّنيا وحبّها، وأطعنا الله في جميع فرائضه وآمنّا بوحدانيّته، وصدّقنا برسوله. [تأويل بأبرز المصاديق]

(العَروسيّ ٥: ٤٧٤)

ابن عبّاس: المصدّقين في إيمانهم، المطيعين لله.

(تنوير المقباس: ٤٩٥)

ابن عمر: سمّوا بذلك لأنّهم برّوا الآباء والأبناء.

(الماوَرْديّ ٦: ١٦٥)

الحسن: سمّوا بذلك لأنّهم كفّوا الأذى.

(الماوَرْديّ ٦: ١٦٥)

البرّ: الّذي لايؤذي الذّرّ. (الشّربينيّ ٤: ٤٥٠)

قَتادَة: سمّوا بذلك لأنّهم يؤدّون حقّ الله ويوفون بالنّذر. (الماوَرْديّ ٦: ١٦٥)

الكَلْبيّ: أنّهم الصّادقون. (الماوَرْديّ ٦: ١٦٤)

مُقاتِل: المطيعون. (الماوَرْديّ ٦: ١٦٤)

الطُّوسيّ: وهو جمع البرّ، وهو المطيع لله، المحسن في أفعاله. (١٠: ٢٠٨)

البَغَويّ: يعني المؤمنين الصّادقين في إيمانهم، المطيعين لربّهم. واحدهم: بارّ، مثل شاهد وأشهاد وناصر وأنصار، وبرّ أيضًا مثل نهر وأنهار. (٥: ١٨٩)

مثله الخازن (٧: ١٥٨)، ونحوه النّسَفيّ (٤: ٣١٧).

الطَّبْرِسيّ: قد روى الخاصّ والعامّ أنّ الآيات من هذه السّورة، وهي قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وجارية لهم تسمّى فضّة، وهو المرويّ عن ابن عبّاس ومُجاهِد وأبي صالح.

والقصّة طويلة جملتها أنّهم قالوا: مرض الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما جدّهما صلى الله عليه وآله ووجوه العرب، وقالوا: ياأباالحسن لو نذرت على ولديك نذرًا، فنذر صوم ثلاثة أيّام، إن شفاهما الله سبحانه، ونذرت فاطمة عليها السلام كذلك، وكذلك فضّة، فبرءا وليس عندهم شيء.

فاستقرض عليّ عليه السلام ثلاثة أصوع من شعير من يهوديّ ـ وروي أنّه أخذها ليغزل له صوفًا ـ وجاء به إلى فاطمة عليها السلام فطحنت صاعًا منها فاختبزته، وصلّى عليّ المغرب وقرّبته إليهم، فأتاهم مسكين يدعولهم وسألهم، فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء، فلمّا كان اليوم الثّاني أخذت صاعًا فطحنته وخبزته وقدّمته إلى عليّ عليه السلام، فإذا يتيم في الباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء، فلمّا كان اليوم الثّالث عمدت إلى الباقي فطحنته واختبزته وقدّمته إلى عليّ عليه السلام فإذا أسير بالباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء، فلمّا كان اليوم الرّابع وقد قضوا نذورهم أتى عليّ عليه السلام ومعه الحسن والحسين عليهما السلام إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وبهما ضعف، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله، ونزل جبرئيل عليه السلام

بسورة «هل أتى».

وفي رواية عطاء عن ابن عبّاس: أنّ عليّ ابن أبي طالب عليه السلام أجر نفسه ليستقي نخلاً بشيء من شعير ليلة حتّى أصبح، فلمّا أصبح وقبض الشّعير طحن ثُلثه فجعلوا منه شيئًا ليأكلوه، يقال له: الحريرة. فلمّا تمّ إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطّعام، ثمّ عمل الثُّلث الثّاني فلمّا تمّ إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثمّ عمل الثُّلث الثّالث فلمّا تمّ إنضاجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه، وطووا يومهم ذلك. ذكره الواحديّ في تفسيره.

وذكر عليّ بن إبراهيم أنّ أباه حدّثه عن عبد الله بن ميمون عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عند فاطمة شعير فجعلوه «عصيدةً» فلمّا أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين، فقال المسكين: رحمكم الله، فقام عليّ فأعطاه ثُلثها، فلم يلبث أن جاء يتيم، فقال اليتيم: رحمكم الله، فقام عليّ عليه السلام فأعطاه الثُّلث، ثمّ جاء أسير، فقال الأسير: رحمكم الله، فأعطاه عليّ عليه السلام الثُّلث الباقي وماذاقوها، فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم. وهي جارية في كلّ مؤمن فعل ذلك لله عزّوجلّ. وفي هذا دلالة على أنّ السّورة مدنيّة. [ثمّ نقل روايةً في ترتيب السّور وأضاف:]

أقول: قد اتّسع نطاق الكلام في هذا الباب حتّى كاد يخرج عن أُسلوب الكتاب، وربّما نسبنا به إلى الإطناب. ولكنّ الغرض فيه أنّ بعض أهل العصبيّة قد طعن في هذه القصّة، بأن قال: هذه السّورة مكّيّة فكيف يتعلّق بها ماكان بالمدينة، واستدلّ بذلك على أنّها مخترعة، جرأة على الله سبحانه، وعداوة لأهل بيت رسوله.

فأحببت إيضاح الحقّ في ذلك، وإيراد البرهان في معناه، وكشف القناع عن عناد هذا المعاند في دعواه، على أنّه كما ترى يحتوي على السّرّ المخزون والدّرّ المكنون من هذا العلم الّذي يُستضاء بنوره ويتلألأ بزهوره، وهو معرفة ترتيب السّور في التّنزيل وحصر عددها على الجملة والتّفصيل. اللّهمّ أمْدِدنا بتأييدك وأيّدنا بتوفيقك، فأنت الرّجاء والأمل، وعلى فضلك المُعوّل والمُتّكل. (٥: ٤٠٤)

﴿إِنَّ الْاَبْرَارَ﴾ وهو جمع البَرّ: المطيع لله، المُحسن في أفعاله. وقال الحسن: هم الّذين لايؤذون الذّرّ ولايرضون الشّرّ. وقيل: هم الّذين يقضون الحقوق اللّازمة والنّافلة.

وقد أجمع أهل البيت عليهم السلام وموافقيهم وكثير من مخالفيهم: أنّ المراد بذلك عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، والآية مع مابعدها متعيّنة فيهم، وأيضًا فقد انعقد الإجماع على أنّهم كانوا أبرارًا، وفي غيرهم خلاف. (٥: ٤٠٧)

القُرطُبيّ: (الأبْرار): أهل الصّدق واحدهم بَرّ، وهو من امتثل أمر الله تعالى. وقيل: البرّ الموحّد، والأبرار: جمع بارّ مثل شاهد وأشهاد. وقيل: هو جمع بَرّ مثل نهر وأنهار.

وفي «الصّحاح»: وجمع البَرّ الأبرار، وجمع البارّ البررة، وفلان يَبَرّ خالقه ويتبرّره أي يطيعه، والأُمّ بَرّة بولدها.

وروى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنّما

سمّاهم الله جلّ ثناؤه الأبرار لأنّهم برّوا الآباء والأبناء، كما أنّ لوالدك عليك حقًّا كذلك لولدك عليك حقًّا. [ثمّ ذكر قول الحسن وقتادة وأضاف:]

وفي الحديث: الأبرار الّذين لايؤذون أحدًا. (١٩: ١٢٥)

الشّربينيّ: وهم الصّادقون في إيمانهم، المطيعون لربّهم الّذين سمت همّتهم عن المستحقرات، فظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة. وفي الحديث: «الأبرار: الّذين لايؤذون أحدًا». (٤: ٤٥٠)

أبوالسّعود: شروعٌ في بيان حسن حال الشّاكرين إثر بيان سوء حال الكافرين، وإيرادهم بعنوان البرّ للإشعار بما استحقّوا به مانالوه من الكرامة السّنيّة. والأبرار: جمع برّ أو بارٍّ كربّ وأرباب وشاهد وأشهاد. قيل: هو مَن يَبرّ خالقه، أي يُطيعه. وقيل: من يمتثل بأمره تعالى، وقيل: من يُؤدّي حقّ الله تعالى ويُوفي بالنّذر. (٦: ٣٤١)

البُرُوسَويّ: [ذكر قول أبي السّعود وأضاف:]

قال سهل ﵁: الأبرار: الّذين فيهم خُلق من أخلاق العشرة، الّذين وعد لهم النّبيّ ﷺ بالجنّة. (١٠: ٢٦٢)

الطّباطَبائيّ: و(الأبرار): جمع برّ بفتح الباء صفة مشبّهة من البرّ، وهو الإحسان. ويتحصّل معناه في أن يحسن الإنسان في عمله، من غير أن يريد به نفعًا يرجع إليه من جزاءٍ أو شكورٍ، فهو يريد الخير، لأنّه خيرٌ، لا لأنّ فيه نفعًا يرجع إلى نفسه وإن كرهت نفسه ذلك، فيصبر على مُرّ مخالفة نفسه فيما يريده، ويعمل العمل لأنّه خير في نفسه كالوفاء بالنّذر، أو لأنّ فيه خيرًا لغيره كإطعام الطّعام للمستحقّين من عباد الله.

وإذ لاخير في عمل ولاصلاح إلّا بالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، كما قال تعالى: ﴿أُولٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللّٰهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الأحزاب: ١٩، إلى غير ذلك من الآيات، فـ(الأبرار) مؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر، وإذ كان إيمانهم إيمان رشد وبصيرة فهم يرون أنفسهم عبيدًا مملوكين لربّهم، له خلقهم وأمرهم، لايملكون لأنفسهم نفعًا ولاضرًّا، عليهم أن لايريدوا إلّا ماأراده ربّهم، ولايفعلوا إلّا مايرتضيه، فقدّموا إرادته على إرادة أنفسهم، وعملوا له، فصبروا على مخالفة أنفسهم فيما تهواه وتُحبّه وكلفة الطّاعة، وعملوا ماعملوه لوجه الله، فأخلصوا العبوديّة في مرحلة العمل لله سبحانه.

وهذه الصّفات هي الّتي عرّف سبحانه الأبرار بها، كما يستفاد من قوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّٰهِ﴾ الدّهر: ٦، وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّٰهِ﴾ الدّهر: ٩، وقوله: ﴿وَجَزٰيهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ الدّهر: ١٢، وهي المستفادة من قوله في صفتهم: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ﴾ البقرة: ١٧٧.

وقد مرّ بعض الكلام في معنى «البرّ» في تفسير الآية، وسيأتي بعضه في قوله: ﴿كَلَّا اِنَّ كِتَابَ الْاَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ المطفّفين: ١٨.

والآية، أعني قوله: ﴿اِنَّ الْاَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ إلخ، بما يتبادر من معناها، من حيث مقابلتها لقوله: ﴿اِنَّا اَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ الدّهر: ٤، المبيّن لحال الكافرين في الآخرة،

تبيّن حال الأبرار في الآخرة في الجنّة، وإنّهم يشربون من شراب ممزوج بالكافور بارداً طيّب الرّائحة. (٢٠: ١٢٤)

الحجازيّ: (الأبْرار) جمع برّ، وهو من جمع بين الصّدق والتّقوى والإخلاص. (٢٩: ٧٦)

٤ ـ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ الانفطار: ١٣

الطّبَريّ: إنّ الّذين برّوا بأداء فرائض الله واجتناب معاصيه لفي نعيم الجنان، ينعمون فيها. (٣٠: ٨٨)

نحوه الطّنطاويّ. (٢٥: ٨٨)

الشّربينيّ: أي المؤمنين الصّادقين في إيمانهم بأداء فرائض الله تعالى واجتناب معاصيه. (٤: ٤٩٨)

البُرُوسَويّ: الّذين برّوا وصدّقوا في إيمانهم، بأداء الفرائض واجتناب المعاصي.

(الأبْرار): جمع بَرّ بالفتح، وهو بمعنى الصّادق والمطيع والمحسن. وأحسن الحسنات: لاإله إلّا الله، ثمّ برّ الوالدين، وبرّ التّلامذة للأساتذة، وبرّ أهل الإرادة للشّيوخ، كما قال في «فتح الرّحمان»: هو الّذي قد اطّرد برّه عموماً فبرّ ربّه في طاعته إيّاه وبرّ النّاس في جلب مااستطاع من الخير لهم وغير ذلك.

وفي الحديث: «برّوا آباءهم كما برّوا أبناءهم». (١٠: ٣٦١)

القاسميّ: و(الأبْرار): جمع برّ بفتح الباء، وهو المتّصف بالبِرّ بكسرها، أي الطّاعة. قال الأصفهانيّ: وقد اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ... الآية﴾ البقرة: ١٧٧. (١٧: ٦٠٨٩)

الطّباطبائيّ: و(الأبْرار) هم المحسنون عملاً، والفجّار هم المنخرقون بالذّنوب. (٢٠: ٢٢٧)

٥ ـ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ المطفّفين: ١٨.

ابن عبّاس: أعمال الصّادقين في إيمانهم. (تنوير المقباس: ٥٠٥)

الحسن: هم الّذين لايؤذون شيئاً حتّى الذّرّ. (الطّبَريّ ٣٠: ١٠١)

الطّبَريّ: (الأبْرار): جمع برّ، وهم الّذين برّوا الله بأداء فرائضه، واجتناب محارمه. (٣٠: ١٠١)

الطّوسيّ: لمّا ذكر الله تعالى الفجّار وماأعدّه لهم من أنواع العقاب وأليم العذاب، ذكر الأبرار، وهو جمع: برّ، مثل جبل وأجبال. و(الأبْرار): الّذين فعلوا الطّاعات واجتنبوا المعاصي. (١٠: ٣٠١)

الواحديّ: يعني المطيعين لله. (٤: ٤٤٧)

مثله الطّبْرِسيّ. (٥: ٤٥٥)

ابن عطيّة: (الأبْرار): جمع برّ، وقرأ ابن عامر (الأبْرار) بكسر الرّاء، وقرأ نافع وابن كثير بفتحها، وقرأ أبوعمرو وحمزة والكسائيّ: بإمالتها. (٥: ٤٥٢)

النّسفيّ: ماكُتب من أعمالهم. و(الأبْرار): المطيعون الّذين لايطفّفون ويؤمنون بالبعث، لأنّه ذكر في مقابلة الفجّار، وبيّن الفجّار بأنّهم المكذّبون بيوم الدّين. (٤: ٣٤١)

٦ـ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. المطفّفين: ٢٢

ابن عبّاس: الصّادقين في إيمانهم وهم الّذين لايؤذون الذّرّ. (تنوير المقباس: ٥٠٥)

الطّبريّ: يقول تعالى ذكره: إنّ الأبرار الّذين برّوا باتّقاء الله، وأداء فرائضه، لفي نعيم دائم، لايزول يوم القيامة، وذلك نعيمهم في الجنان. (٣٠: ١٠٤)

الطّوسيّ: (إِنَّ الْأَبْرَارَ) وهم أهل البرّ الّذين فعلوه لوجهه خالصًا من وجوه القبح، فالبرّ: النّفع الّذي يُستحق به الشّكر والحمد، يقال: برّ فلانٌ بوالده، فهو بارّ به وبَرّ به، وجمعه: أبرار. (١٠: ٣٠٢)

ابن عطيّة: ذهب قوم إلى أنّ الأبرار والمقرّبين في هذه الآية لمعنى واحد، يقال: لكلّ من نَعِم في الجنّة. وذهب الجمهور من المتأوّلين إلى أنّ منزلة الأبرار دون المقرّبين، وأنّ الأبرار هم أصحاب اليمين، وأنّ المقرّبين هم السّابقون. (٥: ٤٥٤)

القرطبيّ: أهل الصّدق والطّاعة. (١٩: ٢٦٤)

البُرُوسَويّ: أي السّعداء الأتقياء، عن درن صفات النّفوس. (١٠: ٣٧٠)

المَراغيّ: أي إنّ البَرَرة المطيعين لربّهم الّذين يؤمنون بالبعث والحساب، ويُصدّقون بما جاء على لسان رسوله لفي لذّة، وخفض عيش، وراحة بال، واطمئنان نفس. (٣٠: ٨١)

بَرَرَة

كِرَامٍ بَرَرَةٍ. عبس: ١٦

ابن عبّاس: صدقة، وهم الحفظة، أهل السّماء الدّنيا. (تنوير المقباس: ٥٠١)

السُّدّيّ: مطيعين. (الماوَرْديّ ٦: ٢٠٤)

الفَرّاء: والبَرَرة: الواحد منهم في قياس العربيّة بارّ، لأنّ العرب لاتقول: فِعلةٌ يَنوُون به الجمع إلّا والواحد منه فاعل، مثل كافر وكفَرة، وفاجر فجَرَة، فهذا الحكم على واحده بارّ.

والّذي تقول العرب: رجل بَرّ، وامرأة برّة، ثمّ جمع على تأويل فاعل، كما قالوا: قوم خَيَرَة بَرَرَة، سمعتها من بعض العرب، وواحد الخَيَرة: خيِّر، والبَرَرة: بَرّ.

ومثله قوم سَراة، واحدهم: سِريّ، كان ينبغي أن يكون ساريًا. والعرب إذا جمعت: ساريًا جمعوه بضمّ أوّله فقالوا: سُراة وغُزاة، فكأنّهم إذ قالوا: سُراة، كرهوا أن يضمّوا أوّله، فيكون الواحد كأنّه سارٍ، فأرادوا أن يفرّقوا بفتحة أوّل سَراةٍ بين السَّريّ والسّاري. (٣: ٢٣٧)

الطّبَريّ: والبَرَرة: جمع بارّ، كما الكفرة جمع كافر، والسّحَرة جمع ساحر، غير أنّ المعروف من كلام العرب إذا نطقوا بواحدة أن يقولوا: رجلٌ بَرّ، وامرأة بَرّة، وإذا جمعوا ردّوه إلى جمع فاعل، كما قالوا: رجل سَريّ، ثمّ قالوا في جمعه: قوم سَراة، وكان القياس في واحده أن يكون ساريًا. وقد حكي سماعًا من بعض العرب: قوم خِيَرَة بَرَرة، وواحد الخيَرة: خيِّر، والبَرَرة: بَرّ. (٣٠: ٥٤)

الماوَرْديّ: وفي (بَرَرة) ثلاثة أوجه:

أحدها: مطيعين، قاله السُّدّيّ.

الثّاني: صادقين واصلين، قاله الطَّبَريّ[1].

الثّالث: متّقين مطهّرين. قاله ابن شجرة.

ويحتمل قولًا رابعًا: أنّ البَرَرة: من تعدّى خيرهم إلى غيرهم، والخيَرة: من كان خيرهم مقصورًا عليهم. (٦: ٢٠٤)

الطُّوسيّ: و(البَرَرَة) جمع بارّ، تقول: برّ فلان فلانًا يَبِرّه فهو بارّ، إذا أحسن إليه ونفعه. والبِرّ: فعل النّفع اجتلابًا للمودّة.

والبارّ فاعل البِرّ، وجمعه: بَرَرَة، مثل كاتب وكتَبة. وأصله: اتّساع النّفع منه، ومنه البِرّ سُمّي به تفاؤلًا باتّساع النّفع به، ومنه البَرّ لاتّساع النّفع به، ورجلٌ بَرّ، وامرأة بَرّة، والجمع: بَرَرة، ولايجمع إلّا على هذا استغناءً به. (١٠: ٢٧٢)

البَغَويّ: أي بَرَرة مطيعين، جمع بارّ. (٥: ٢١١)

مثله الخازن. (٧: ١٧٥)

الطَّبْرِسيّ: مطيعين، أي صالحين متّقين. (٥: ٤٣٨)

القُرطُبيّ: فمعنى (بَرَرَةٍ) مطيعون لله، صادقون لله في أعمالهم. (١٩: ٢١٧)

البَيْضاويّ: (بَرَرة): أتقياء. (٢: ٥٤٠)

أبوالسُّعود: أتقياء، وقيل: مطيعين لله تعالى، من قولهم: فلان يَبَرّ خالقه، أي يطيعه، وقيل: صادقين من: بَرّ في يمينه. (٦: ٣٧٨)

البُرُوسَويّ: أتقياء لتقدّسها عن الموادّ ونزاهة جواهرها عن التّعلّقات، أو مطيعين الله، من قولهم: فلان يَبَرّ خالقه، أي يطيعه، أو صادقين من: بَرّ في يمينه، جمع: بارّ، مثل فجرة: جمع فاجر. (١٠: ٣٣٤)

الآلوسيّ: أي أتقياء، وقيل: مطيعين لله تعالى، من قولهم: فلان يَبَرّ خالقه، أي يطيعه.

وقيل: صادقين من: بَرّ في يمينه، وهو جمع بَرّ لاغير.

وأمّا أبرار فيكون جمع بَرّ كرَبّ وأرباب وجمع بارّ كصاحب وأصحاب، وإن منعه بعض النّحاة لعدم اطّراده.

واختصّ على ماقيل: الجمع الأوّل بالملائكة والثّاني بالآدميّين في القرآن ولسان الشّارع صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وكان ذلك، لأنّ «الأبرار» من صيغ القلّة دون «البَرَرة» ومتّقو الملائكة أكثر من متّقي الآدميّين، فناسب استعمال صيغة القلّة وإن لم تَرِدْ حقيقتها في الآدميّين دونهم.

وقال الرّاغِب: خصّ «البَرَرة» بهم من حيث إنّه أبلغ من أبرار، فإنّه جمع بَرّ، وأبرار جمع بارّ، وبَرّ أبلغ من بارّ، كما أنّ عدلًا أبلغ من عادل، وكأنّه عنى أنّ الوصف ببَرّ أبلغ ـ لكونه من قبيل الوصف بالمصدر ـ من الوصف ببارّ.

لكن قد سمعت أنّ «أبرارًا» يكون جمع بَرّ كما يكون جمع بارّ، وأيضًا في كون الملائكة أحقّ بالوصف بالأبلغ بالنّسبة إلى الآدميّين مطلقًا، بحث.

وقيل: إنّ الأبرار أبلغ من البَرَرة؛ إذ هو جمع بارّ، والبَرَرَة جمع بَرّ، وبارّ أبلغ منه لزيادة بنيته، ولمّا كانت صفات الكمال في بني آدم تكون كاملة وناقصة وصفوا بالأبرار إشارة إلى مدحهم بأكمل الأوصاف.

(١) لم نجده في تفسيره.

وأمّا الملائكة فصفات الكمال فيهم لاتكون ناقصة فوُصفوا بـ(البَرَرَة) لأنّه يدلّ على أصل الوصف بقطع النّظر عن المبالغة فيه، لعدم احتياجهم لذلك، وإشارة لفضيلة البشر لما في كونهم أبرارًا من المجاهدة وعُصيان داعي الجِبِلّة، وفيه مالايخفى.

ومن استعمال (البَرَرة) في الملائكة ماأخرجه أحمد والبخاريّ ومسلم وأبوداود والتّرمذيّ والنّسائيّ وابن ماجة، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «الّذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السّفرة الكرام البَرَرَة، والّذي يقرأه وهو عليه شاقّ له أجران». (٣٠: ٤٣)

الطَّباطَبائيّ: (بَرَرَة) صفة لهم باعتبار عملهم، وهو الإحسان في الفعل. (٢٠: ٢٠٢)

البِرّ

١ـ ﴿اَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ اَنْفُسَكُمْ وَاَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ اَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. البقرة: ٤٤

ابن عَبّاس: بالتّوحيد واتّباع محمّد ﷺ. (تنوير المقباس: ٨)

أتأمرون النّاس بالدّخول في دين محمّد ﷺ، وغير ذلك ممّا أُمرتم به من إقام الصّلاة. (الطَّبَريّ ١: ٢٥٨)

أنّ المراد أنّهم كانوا يأمرون اتباعهم بالتّمسّك بالتّوراة، وتركوا هم التّمسّك به، لأنّ جَحْدَهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وصفَتَه فيه، تركٌ للتّمسّك به. (الطَّبْرِسيّ ١: ٩٨)

قَتادَة: كان بنوإسرائيل يأمرون النّاس بطاعة الله ويتقواه وبالبِرّ، ويخالفون، فعيّرهم الله.

نحوه السُّدّيّ. (الطَّبَريّ ١: ٢٥٨)

ابن جُرَيْج: أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون النّاس بالصّوم والصّلاة، ويَدَعُون العمل بما يأمرون به النّاس، فعيّرهم الله بذلك. فمن أمر بخير فليكن أشدّ النّاس فيه مسارعة. (الطَّبَريّ ١: ٢٥٨)

ابن زَيْد: هؤلاء اليهود كان إذا جاء الرّجل يسألهم ماليس فيه حقّ ولارشوة ولاشيء، أمروه بالحقّ. فقال الله لهم: ﴿اَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ اَنْفُسَكُمْ وَاَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ اَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ٤٤. (الطَّبَريّ ١: ٢٥٨)

الطَّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في معنى (البِرّ) الّذي كان المخاطَبون بهذه الآية يأمرون النّاس به، وينسون أنفسهم، بعد إجماع جميعهم على أنّ كلّ طاعة لله فهي تسمّى بِرًّا.

وجميع الّذي قال في تأويل هذه الآية مَن ذكرنا قوله متقارب المعنى، لأنّهم وإن اختلفوا في صفة (البِرّ) الّذي كان القوم يأمرون به غيرهم الّذين وصفهم الله بما وصفهم به، فهم متّفقون في أنّهم كانوا يأمرون النّاس بما لله فيه رضًا من القول أو العمل، ويخالفون ماأمروهم به من ذلك إلى غيره بأفعالهم.

فالتّأويل الّذي يدلّ على صحّته ظاهر التّلاوة إذًا: أتأمرون النّاس بطاعة الله، وتتركون أنفسكم تعصيه، فهلّا تأمرونها بما تأمرون به النّاس من طاعة ربّكم، معيّرهم بذلك، ومقبّحًا إليهم ماأتوا به. (١: ٢٥٨)

الزّجّاج: إنّهم كانوا يأمرون أتباعهم بالتّمسّك

بكتابهم ويتركون هم التمسّك به، لأنّ جحدهم النّبيّ ﷺ هو تركهم التّمسّك به.

ويجوز ـ والله أعلم ـ أنّهم كانوا يأمرون ببذل الصّدقة، وكانوا يضنّون بها، لأنّهم وُصفوا بأنّهم قست قلوبهم، وأكلوا الرّبا والسّحت، وكانوا قد نُهوا عن الرّبا؛ فمَنْع الصّدقة داخل في هذا الباب. (۱: ۱۲۵)

أبومسلم الأصفهانيّ: كانوا يأمرون العرب بالإيمان بمحمّد ﷺ إذا بُعث، فلمّا بُعث كفروا به. (الطّبْرسيّ ۱: ۹۸)

السُّلَميّ: أتطالبون النّاس بحقائق المعاني وأنتم قلوبكم خالية عن ظواهر رسومها. (أبوحيّان ۱: ۱۸۳)

القُشَيْريّ: أتحرّضون النّاس على البِدار وترضون بالتّخلّف؟

ويقال: أتدعون الخلق إلينا وتقعدون عنّا؟ أتسرحون الوفود، وتقصرون في الورود؟

أتنافسون الخلق وتنافرونهم بدقائق الأحوال، وترضون بإفلاسكم عن ظواهرها.

ويقال: أتبصرون من الحقّ مثقال الذّرّ ومقياس الحبّ، وتساهون لأنفسكم أمثال الرّمال والجبال؟

ويقال: أتسقّونَ بالنُّجب ولاتشربون بالنُّوَب. (۱: ۹۸)

المَيْبُديّ: أتطلبون من النّاس أن يقولوا الصّدق وأنتم تكذبون؟ وتحثّونهم على الوفاء بالعهد وأنتم له تنكثون؟ وتأمرونهم بالإبرام وأنتم تنقضون؟ وتحضّونهم على إعلان الشّهادة وأنتم تكتمون؟ وتوصونهم بالصّلاة والزّكاة وأنتم لاتفعلون؟

روي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «مررتُ ليلة أُسري بي على قوم تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: مَن هؤلاء ياجبرئيل؟ قال: هؤلاء الخطباء من أُمّتك، يأمرون النّاس بالبرّ وينْسَون أنفسهم».

وقال النّبيّ ﷺ: «يطّلع قومٌ من أهل الجنّة إلى قوم من أهل النّار، فيقولون لهم: ماأدخلكم النّار، وإنّما أدخلنا الله في الجنّة بفضل تأديبكم وتعليمكم؟

وقالوا: إنّا كنّا نأمر بالخير ولانفعله».[1]

عن ابن عبّاس أنّه جاءه رجل، فقال: ياابن عبّاس، إنّي أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، قال: فإن لم تخش أن تفتضح بثلاثة أحرف في كتاب الله فافعل، الأوّل: قوله عزّوجلّ: ﴿اَتَاْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ اَنْفُسَكُمْ﴾، والثّاني. قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَالَاتَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ اَنْ تَقُولُوا مَالَاتَفْعَلُونَ﴾ الصّفّ: ۲، ۳. والثّالث: قال: ﴿وَمَااُرِيدُ اَنْ اُخَالِفَكُمْ اِلَى مَااَنْهيكُمْ عَنْهُ﴾ هود: ۸۸.

وقيل في معنى الآية: أتبصرون من الخلق مثقال الذّرّ، ومقياس الحبّ، وتساهون لأنفسكم أمثال الرّمال والجبال؟

وبه قال النّبيّ ﷺ: «يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، ويدع الجذع في عينه». [ثمّ استشهد بشعر] (۱: ۱۷۱)

الزّمَخْشَريّ: (البرّ): سعة الخير والمعروف، ومنه البَرّ لسعته، ويتناول كلّ خير، ومنه قولهم: صدَقتَ

(۱) قد جاء الحديث في «بحار الأنوار» ۷۷: ۷٦، مع تفاوت يسير.

وبَرَرت. (١: ٢٧٧)

ابن عَطيّة: (البِرّ) يجمع وجوه الخير والطّاعات، ويقع على كلّ واحد منها اسم بِرّ. (١: ١٣٦)

الطَّبْرِسيّ: والمراد بـ(البِرّ) الإيمان بمحمّد ﷺ، ويُخهم الله تعالى على ماكانوا يفعلون من أمر النّاس بالإيمان، بمحمّد ﷺ، وترك أنفسهم عن ذلك. [وبعد نقل قول أبي‌مسلم وابن‌عبّاس وقَتادة قال:]

وقال بعضهم: أتأمرون النّاس بالصّدقة وتتركونها أنتم، وإذا أتتكم الضّعفاء بالصّدقة لتفرّقوها على المساكين خنتم فيها. [إلى أن قال:]

فإن قيل: إذا كان فعل البِرّ واجبًا والأمر به واجبًا فلماذا وبّخهم الله تعالى على الأمر بالبِرّ؟

قلنا: لم يوبّخهم الله على الأمر بالبِرّ وإنّما وبّخهم على ترك فعل البِرّ المضموم إلى الأمر بالبِرّ، لأنّ ترك [البِرّ] ممّن يأمر به أقبح من تركه ممّن لايأمر به. [ثمّ استشهد بشعر]

(١: ٩٨)

الفَخْر الرّازيّ: وأمّا (البِرّ) فهو اسمٌ جامعٌ لأعمال الخير، ومنه بِرّ الوالدين وهو طاعتهما ومنه عمل مبرورٌ، أي قد رضيه الله تعالى. وقد يكون بمعنى «الصّدق» كما يقال: بَرّ في يمينه، أي صدق ولم يَحْنث، ويقال: صدَقت وبَرَرت، وقال تعالى: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقٰى﴾ البقرة: ١٨٩، فأخبر أنّ (البِرّ) جامعٌ للتّقوى.

واعلم أنّه سبحانه وتعالى لمّا أمر بالإيمان والشّرائع بناءً على ماخصّهم به من النّعم، ورغّبهم في ذلك بناء على مأخذ آخر، وهو أنّ التّغافل عن أعمال البِرّ مع حثّ النّاس عليها مستقبحٌ في العقول؛ إذ المقصود من أمر النّاس بذلك إمّا النّصيحة أو الشّفقة، وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو أن ينصح غيره، ويهمل نفسه، فحذّرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم بهذا الكلام.

واختلفوا في المراد بـ(البِرّ) في هذا الموضع على وجوه:

أحدها: [وهو قول السُّدّيّ وقد تقدّم]

وثانيها: [قول ابن جُرَيْج وقد تقدّم]

وثالثها: أنّه إذا جاءهم أحدٌ في الخفية لاستعلام أمر محمّد ﷺ قالوا: هو صادق فيما يقول، وأمرُه حقّ فاتّبعوه، وهم كانوا لايتّبعونه لطمعهم في الهدايا والصّلات الّتي كانت تصل إليهم من أتباعهم.

ورابعها: [قول أبي مسلم وقد تقدّم]

وخامسها: [وهو قول الزّجّاج وقد تقدّم]

وسادسها: لعلّ المنافقين من اليهود كانوا يأمرون باتّباع محمّد ﷺ في الظّاهر، ثمّ إنّهم كانوا في قلوبهم منكرين له فوبّخهم الله تعالى عليه.

وسابعها: أنّ اليهود كانوا يأمرون غيرهم باتّباع التّوراة ثمّ إنّهم خالفوه، لأنّهم وجدوا فيها مايدلّ على صدق محمّد ﷺ، ثمّ إنّهم ماآمنوا به. (٣: ٤٥)

نحوه أبوالسّعود (١: ١٢٩)، والخازن (١: ٤٦).

القُرطُبيّ: قوله تعالى: (بِالْبِرّ) البِرّ هنا الطّاعة والعمل الصّالح. والبِرّ: الصّدق. (١: ٣٦٨)

البَيْضاويّ: و(الْبِرّ): التّوسّع في الخير من «البَرّ» وهو الفضاء الواسع، يتناول كلّ خير، ولذلك قيل: البِرّ

ثلاثة: برّ في عبادة الله تعالى، وبرّ في مراعاة الأقارب، وبرّ في معاملة الأجانب. (١: ٥٣)

نحوه أبوالسّعود (١: ١٢٩)، والشّربينيّ (١: ٥٥).

أبوحَيّان: وفي تفسير (البرّ) هنا أقوال: الثّبات على دين رسول الله ﷺ وهم لايتّبعونه، أو اتّباع التّوراة وهم يخالفونها في جحدهم صفته. وروي عن قتادة وابن جُرَيْج والسُّدّيّ، أو على الصّدقة ويبخلون، أو على الصّدق وهم لايصدقون، أو حضّ أصحابهم على الصّلاة والزّكاة ولايأتونها. (١: ١٨٢)

صدر المتألّهين: [قال نحو الطّبْرِسيّ وأضاف:]

ولك أن تقول: إذا كان فعل البرّ واجبًا، والأمر به واجبًا، فلماذا وبّخهم الله تعالى على الأمر بالبرّ؟

والجواب: لم يُوبّخهم على الأمر بالبرّ، وإنّما وبّخهم على ترك فعل البرّ المضموم إلى الأمر به، لأنّ ترك البرّ ممّن يأمر به أقبح من تركه ممّن لايأمر به. [ثمّ استشهد بشعر]

ومعلومٌ أنّه لم يرد به منعه عن النّهي عن الخُلُق المذموم، وإنّما نهاه عن إتيان مثله. فالمراد بالآية حثّ الواعظ على تزكية النّفس والإقبال عليها بالتّكميل، ليقوم فيُقيم، ويكمل فيُكمل. لامنع الفاسق عن الوعظ كما تُوهّم، فإنّ الإخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لايوجب الإخلال بالآخر.

وقال بعضهم: ليس للعاصي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، بل يجب أن لايكون الآمر والنّاهي مرتكبًا للمحرّمات، واشترط العدالة محتجًّا بالنّقل والعقل:

أمّا النّقل: فهذه الآية، وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَالَاتَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ اَنْ تَقُولُوا مَالَاتَفْعَلُونَ﴾ الصّفّ: ٢، ٣، وماروي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «مررتُ ليلة أُسري بي بقومٍ تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من أنتم؟ فقالوا: كنّا نأمر بالخير ولانأتيه، وننهى عن الشّرّ ونأتيه».

وأمّا المعقول: فهو إنّه لو جاز ذلك لجاز لمن يزني بامرأة أن ينكر عليها على كشف وجهها في أثناء الزّنى، ومعلومٌ أنّ ذلك مستنكر عقلًا، وإنّ هداية الغير فرع الاهتداء، والإقامة بعد الاستقامة، ولهذا قيل: «إنّ الإصلاح زكاة نصاب الصّلاح».

والجواب: إنّ المكلّف كما هو مأمورٌ بفعل المعروف، مأمور بالأمر به للغير، وكما هو مأمور بترك المعصية، مأمورٌ بمنع الغير عن فعلها مطلقًا. ثمّ المنع عن الجمع بين فعل المعصية ومنع الغير عنها أو أمرهم بالطّاعة يُتصوّر على وجهين، لكونه ذاجزئين. وفساد المركّب من الجزئين إمّا أن يكون لفساد أحد جزئيه بخصوصه، أو لفساد انضمام أحدهما بالآخر.

فهاهنا ثلاثة احتمالات، لكن أحدها وهو كون المنع متعلّقًا بفعل الطّاعة ظاهر البطلان بالاتّفاق، فبقي احتمالان آخران: أحدهما أن يكون المنع متوجّهًا إلى فعل المعصية، كنسيان النّفس فيما نحن فيه. والثّاني: أن يكون متوجّهًا إلى الأمر بالمعروف أو النّهي عن المنكر مع فعل المعصية؛ فيكون المنع هاهنا عن ترغيب النّاس بالبرّ مع نسيان النّفس.

والحقّ في معنى الآية عندنا هو الأوّل، لاالثّاني،

فسقط احتجاج الخصم بالآيتين وبما تضمّنه حديث الإسراء.

وأمّا احتجاجه العقليّ بما ذكره من المثال فلانُسلّم أنّ مجرّد إنكاره عليها على كشف وجهها مستقبح عقلًا، بل الاستقباح والاستنكار على مجموع الزّنى، والإنكار عند التّحليل يرجع إلى فعل الزّنى، لا إلى ذلك الإنكار.

وأمّا حديث الفرعيّة، فكلام شعريّ كما لايخفى.

وأيضًا: فالصّغائر النّادرة لاتخلّ بالعدالة، ولفاعلها أن ينهى عن المنكر، بالاتّفاق مع اندراجه في الآيتين والحديث، وماهو جوابكم فهو جوابنا.

وأيضًا: لو تمّت دلالتكم لاقتضت عدم وجوب الأمر والنّهي إلّا على المعصوم فينسدّ باب الحسبة.

بقي في هذا المقام شيء، وهو أنّ من أمر بالخير ولايعمل به، أو نهى عن الشّرّ وأتى به، قد علم من حاله أنّه متساهل في دينه، ذووهنٍ في اعتقاده، وإلّا فما كان يفرغ من توبيخ نفسه إلى نصيحة غيره. (٣: ٢٦٠)

البُرُوسَويّ: أي الاعتراف بالنّبيّ واتّباع الأدلّة، وهو المتوسّع في الخير من «البَرّ» الّذي هو الفضاء الواسع، والهمزة تقرير مع توبيخ وتعجيب. (١: ١٢٢)

الآلوسيّ: و(البرّ): سعة المعروف والخير، ومنه البَرّ، والبرّيّة للسّعة، ويتناول كلّ خير. [إلى أن قال:]

فإنّ المقصود من الأمر بالبرّ الإحسان والامتثال، والزّجر عن المعصية. ونسيانهم أنفسهم ينافي كلّ هذه الأغراض، ولانزاع في كون قبح الجمع بين ذلك عقلًا بمعنى كونه باطلًا.

فعلى هذا لاحجّة للمعتزلة في الآية على القبح العقليّ الّذي يزعمونه. بل قد ادّعى بعض المحقّقين أنّها دليلٌ على خلاف ماذهبوا إليه، لأنّه سبحانه رتّب التّوبيخ على ماصدر منهم بعد تلاوة الكتاب.

وكذا لاحجّة فيها لمن زعم أنّه ليس للعاصي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لأنّ التّوبيخ على جمع الأمرين بالنّظر للثّاني فقط، لامنع الفاسق عن الوعظ، فإنّ النّهي عن المنكر لازمٌ ولو لمرتكبه، فإنّ ترك النّهي ذنبٌ وارتكابه ذنبٌ آخر، وإخلاله بأحدهما لايلزم منه الإخلال بالآخر.

ثمّ إنّ هذا التّوبيخ والتّقريع وإن كان خطابًا لبني إسرائيل إلّا أنّه عامّ من حيث المعنى، لكلّ واعظ يأمر ولايأتمر، ويزجر ولاينزجر، ينادي النّاس: البدار البدار، ويرضى لنفسه التّخلّف والبوار، ويدعو الخلق إلى الحقّ، وينفر عنه، ويطالب العوامّ بالحقائق ولايشمّ ريحها منه، وهذا هو الّذي يبدأ بعذابه قبل عبدة الأوثان، ويظلم مايلقى لوفور تقصيره يوم لاحاكم إلّا المَلِك الدّيّان.

وعن محمّد بن واسع قال: بلغني أنّ أُناسًا من أهل الجنّة اطّلعوا على ناس من أهل النّار، فقالوا لهم: قد كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنّة، قالوا: كنّا نأمركم بها ونخالف إلى غيرها.

هذا ومن النّاس من جعل هذا الخطاب للمؤمنين، وحمل الكتاب على القرآن، فيكون ذلك من تلوين الخطاب، كما في ﴿يُوسُفُ اَعْرِضْ عَنْ هٰذَا وَاسْتَغْفِرِى﴾ يوسف: ٢٩، والظّاهر يبعده. (١: ٢٤٨)

القاسميّ: أي بما فيه لله رضًا من القول أو الفعل.

وجماع البِرّ: كلّ مافيه طاعة لله تعالى. (٢: ١١٨)

٢ـ لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَالْمَلٰئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيّنَ... البقرة: ١٧٧

ابن عبّاس: (لَيْسَ الْبِرَّ): كلّ البِرّ، ويقال: (ليس البِرّ): ليس الإيمان...

(وَلٰكِنَّ الْبِرَّ): الإيمان هو إقرار (مَنْ اٰمَنَ بِاللهِ).

(تنوير المقباس: ٢٤)

يعني الصّلاة، يقول: ليس البِرّ أن تُصلّوا ولاتعملوا، فهذا منذ تحوّل من مكّة إلى المدينة، ونزلت الفرائض، وحدّ الحدود، فأمر الله بالفرائض والعمل بها.

نحوه الضّحّاك. (الطّبَريّ ٢: ٩٤)

أنّه (لَيْسَ الْبِرَّ) كلّه في التّوجّه إلى الصّلاة بل حتّى يضاف إلى ذلك غيره من الطّاعات الّتي أمر الله تعالى بها.

مثله مُجاهِد. (الطُّوسيّ ٢: ٩٥)

مُجاهِد: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، يعني السّجود، ولكنّ البِرّ ماثبت في القلوب من طاعة الله. (الطّبَريّ ٢: ٩٤)

قَتادَة: كانت اليهود تصلّي قِبَل المغرب، والنّصارى تصلّي قِبَل المشرق، فنزلت ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾

(الطّبَريّ ٢: ٩٤)

مثله الرّبيع. (الطّبَريّ ٢: ٩٥)

ذُكر لنا أنّ رجلًا سأل نبيّ الله ﷺ عن البِرّ فأنزل الله هذه الآية، وذكر لنا أنّ نبيّ الله ﷺ دعا الرّجل فتلاها عليه.

وقد كان الرّجل قبل الفرائض إذا شهد أن لاإله إلّا الله وأنّ محمّدًا عبده ورسوله، ثمّ مات على ذلك، يُرجى له ويطمع له في خير، فأنزل الله ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ وكانت اليهود توجّهت قِبَل المغرب، والنّصارى قِبَل المشرق ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ﴾ (الطّبَريّ ٢: ٩٤)

إنّه (لَيْسَ الْبِرَّ) ماعليه النّصارى من التّوجّه إلى المشرق، أو ماعليه اليهود من التّوجّه إلى المغرب (وَلٰكِنَّ الْبِرَّ) ماذكره الله تعالى في الآية، وبيّنه.

مثله الرّبيع والجُبّائيّ. (الطُّوسيّ ٢: ٩٥)

الفَرّاء: إن شئت رفعت (البِرّ) وجعلت (اَنْ تُوَلُّوا) في موضع نصب، وإن شئت نصبته وجعلت (اَنْ تُوَلُّوا) في موضع رفع، كما قال: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا اَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾ الحشر: ١٧، في كثير من القرآن.

وفي إحدى القراءتين (لَيْسَ الْبِرُّ بِاَنْ) فلذلك اخترنا الرّفع في (البِرّ). والمعنى في قوله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، أي ليس البِرّ كلّه في توجّهكم إلى الصّلاة واختلاف القبلتين ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللهِ﴾. ثمّ وصف ماوصف إلى آخر الآية، وهي من صفات الأنبياء لا لغيرهم.

وأمّا قوله: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللهِ﴾ فإنّه من كلام العرب أن يقولوا: إنّما البِرّ الصّادق الّذي يصل رحمه، ويُخفي صدقته، فيجعل الاسم خبرًا للفعل والفعل خبرًا للاسم، لأنّه أمر معروف المعنى. (١: ١٠٤)

أبوعُبَيْدَة: العرب تجعل المصادر صفات، فجاز

(البِرّ) هاهنا: مجاز صفة لـ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ وفي الكلام: ولكنّ البارّ من آمن بالله. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٦٥)

المُبَرِّد: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ فجائز أن يكون: برّ من آمن بالله، وجائز أن يكون: لكنّ ذاالبِرّ من آمن بالله. (١: ١٦٨)

الطَّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في تأويل قوله ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك ليس البِرّ الصّلاة وحدها، ولكنّ البرّ الخصال الّتي أُبيّنها لكم.

وقال آخرون: عنى الله بذلك اليهود والنّصارى، وذلك أنّ اليهود تصلّي فتوجّه قِبَل المغرب، والنّصارى تصلّي فتوجّه قِبَل المشرق، فأنزل الله فيهم هذه الآية، يخبرهم فيها أنّ (البِرّ) غير العمل الّذي يعملونه، ولكنّه مابيّنّاه في هذه الآية.

وأولى هذين القولين بتأويل الآية: القول الّذي قاله قَتادَة، والرّبيع بن أنس، أن يكون عنى بقوله ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ اليهود والنّصارى، لأنّ الآيات قبلها مضت بتوبيخهم ولومهم، والخبر عنهم وعمّا أُعدّ لهم من أليم العذاب، وهذا في سياق ماقبلها؛ إذ كان الأمر كذلك؛ ليس البرّ أيّها اليهود والنّصارى أن يُولّي بعضكم وجهه قِبَل المشرق، وبعضكم قِبَل المغرب، ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَالْمَلٰئِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ الآية.

فإن قال قائل: فكيف قيل: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ وقد علمت أنّ (البِرّ) فعل، و(مَنْ) اسم، فكيف يكون الفعل هو الإنسان؟ قيل: إنّ معنى ذلك غير ماتوهّمته، وإنّما معناه ولكن البِرّ كمن آمن بالله واليوم الآخر، فوضع (مَنْ) موضع الفعل اكتفاء بدلالته ودلالة صلته الّتي هي له صفة من الفعل المحذوف، كما تفعله العرب فتضع الأسماء مواضع أفعالها الّتي هي بها مشهورة، فتقول: الجود حاتم، والشّجاعة عنترة، وإنّما الجود حاتمٌ، والشّجاعة عنترة.

ومعناها: الجود جود حاتم، فتستغني بذكر حاتم إذ كان معروفًا بالجود، من إعادة ذكر الجود بعد الّذي قد ذكرته، فتضعه موضع جوده، لدلالة الكلام على ماحذفته، استغناءً بما ذكرته عمّا لم تذكره، كما قيل: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يوسف: ٨٢، والمعنى: أهل القرية، وكما قال الشّاعر، وهو ذوالخِرَق الطُّهَوِيّ:

حَسِبتُ بُغامَ راحلتي عَناقا
وماهي وَيْبَ غيرك بالعَناق

يريد بُغام عَناق أو صوت، كما يقال: حسبت صياحي أخاك، يعني به حسبت صياحي صياح أخيك.

وقد يجوز أن يكون معنى الكلام: ولكنّ البارّ من آمن بالله، فيكون (البِرّ) مصدرًا وضع موضع الاسم. (٢: ٩٤)

الزّجّاج: المعنى ليس البِرّ كلّه في الصّلاة ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ...وَاَقَامَ الصَّلٰوةَ﴾ إلى آخر الآية، فقيل: إنّ هذا خصوص في الأنبياء وحدهم، لأنّ هذه الأشياء الّتي وصفت لايؤدّيها بكلّيّتها على حقّ الواجب إلّا الأنبياء عليهم السلام. وجائز أن يكون لسائر النّاس، لأنّ الله عزّوجلّ قد أمر الخلق بجميع مافي هذه الآية.

ولك في (البِرّ) وجهان: لك أن تقرأ ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ

تُوَلُّوا﴾ و(لَيْسَ الْبِرُّ أنْ تُوَلُّوا)، فن نصب جعل (أَنْ) مع صلتها الاسم، فيكون المعنى ليس توليتكم وجوهكم البِرّ كلّه، ومن رفع (البِرّ) فالمعنى ليس البِرّ كلّه توليتكم، فيكون (البِرّ) اسم (لَيْسَ) وتكون (أَنْ تُوَلُّوا) الخبر.

وقوله عزّوجلّ: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إذا شدّدت (لٰكِنَّ) نصبت (البِرّ) وإذا خفّفت رفعت (البِرّ) فقلت: ولكنِ البِرُّ من آمن بالله، وكسرت النّون من التّخفيف لالتقاء السّاكنين، والمعنى ولكن ذاالبِرّ من آمن بالله، ويجوز أن تكون ولكنّ البِرّ بِرُّ من آمن بالله. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٤٦)

الشّريف المرتضى: إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ البقرة: ١٧٧.

فقال: كيف ينفي كون تولية الوجوه إلى الجهات من البِرّ، وإنّما يفعل ذلك في الصّلاة وهي بِرّ لامحالة؟ وكيف خبّر عن (البِرّ) بـ(مَنْ) والبِرّ كالمصدر، و(مَنْ) اسم محض. [إلى أن قال:]

يقال له: فيما ذكرته أوّلًا جوابان:

أحدهما: أنّه أراد تعالى: ليس الصّلاة هي البِرّ كلّه، لكنّه ماعُدّد في الآية من ضروب الطّاعات وصنوف الواجبات، فلاتظنّوا أنّكم إذا توجّهتم إلى الجهات بصلاتكم، فقد أحرزتم البِرّ بأسره، وحُزتموه بكماله، بل يبقى عليكم بعد ذلك مُعظمه وأكثره.

والجواب الثّاني: أنّ النّصارى لمّا توجّهوا إلى المشرق، واليهود إلى بيت المقدس، واتّخذوا هاتين الجهتين قبلتين، واعتقدوا في الصّلاة إليهما أنّهما بِرّ وطاعة خلافًا على الرّسول ﷺ أكذبهم الله تعالى في ذلك، وبيّن أنّ ذلك ليس من البِرّ، إذ كان منسوخًا بشريعة النّبيّ ﷺ، الّتي تلزم الأسود والأبيض، والعربيّ والعجميّ، وأنّ البِرّ هو ماتضمّنته الآية.

فأمّا إخباره بـ(مَنْ) ففيه وجوه ثلاثة:

أوّلها: أن يكون معنى (البِرّ) هاهنا البارّ وذاالبِرّ، وجعل أحدهما في مكان الآخر، والتّقدير: ولكنّ البارّ من آمن بالله. ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿قُلْ أرَأَيْتُمْ إنْ أصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ الملك: ٣٠، يريد غائرًا. [ثمّ استشهد بشعر]

والوجه الثّاني: أنّ العرب قد تُخبر عن الاسم بالمصدر والفعل، وعن المصدر بالاسم، فأمّا إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾، وقول العرب: إنّما البِرّ الّذي يصل الرّحم ويفعل كذا وكذا، وأمّا إخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل فمثل قول الشّاعر:

لَعَمْرُكَ ماالفتيان أن تَنْبُتَ اللِّحى
ولكنّما الفِتْيانُ كلّ فتًى نَدِ

فجعل «أن تَنْبُت» وهو مصدر خبرًا عن الفتيان.

والوجه الثّالث: أن يكون المعنى ولكن البِرّ بِرُّ من آمن، فحذف البِرّ الثّاني، وأقام (مَنْ) مقامه، كقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ البقرة: ٩٣، أراد: حبّ العِجْل. [ثمّ استشهد بشعر]

وتقول العرب: بنو فلانٍ يطؤهم الطّريق، أي أهل

الطّريق. وحكي عن بعضهم: أطيب النّاس الزُّبْد، أي أطيب ما يأكل النّاس الزُّبْد. وكذلك قولهم: حَسِبْتُ صباحي زيدًا، أي صباح زيد، وروي عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ النّور: ٦١، أي ليس على من أكل مع الأعمى حرج، وفي قوله تعالى: ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف: ٢٢، وذكروا أنّه كان راعيًا تبعهم. [إلى أن قال:]

وقد اختلفت قراءة القرّاء السّبعة في رفع الرّاء ونصبها من قوله تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ)، فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص (لَيْسَ الْبِرَّ) بنصب الرّاء، وروى هُبَيْرة عن حفص عن عاصم أنّه كان يقرأ بالنّصب والرّفع، وقرأ الباقون بالرّفع.

والوجهان جميعًا حسنان، لأنّ كلّ واحد من الاسمين اسم (لَيْسَ) وخبرها معرفة، فإذا اجتمعا في التّعريف تكافآ في جواز كون أحدهما اسمًا والآخر خبرًا، كما تتكافأ النّكرات.

وحجّة من رفع (البِرّ) أنّه لأن يكون (البِرّ) الفاعل أولى، لأنّه ليس يُشبه الفعل، وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده.

ألا ترى أنّك إذا قلت: قام زيد، فإنّ الاسم يلي الفعل. وتقول: ضرب غلامه زيدٌ، فيكون التّقدير في الغلام التّأخير. فلولا أنّ الفاعل أخصّ بهذا الموضع لم يجز هذا، كما لم يجز في الفاعل: ضرب غلامه زيدًا، حيث لم يجز في الفاعل تقدير التّأخير كما جاز في المفعول به، لوقوع الفاعل موقعه المختصّ به.

وحجّة من نصب (البِرّ) أن يقول: كون الاسم «أن وصلتها» أولى لشبهها بالمضمر، في أنّها لاتوصف، كما لايوصف المضمر، فكأنّه اجتمع مضمرٌ ومظهر، والأولى إذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر. (١: ٢٠٠)

القيسيّ: (البِرّ) اسم (ليس) و(أَنْ تُوَلُّوا) الخبر، ومن نَصَب (البِرّ) جعل (أَنْ تُوَلُّوا) اسم (ليس).

قوله تعالى: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ﴾، فـ(البِرّ) بمعنى البارّ، أو بمعنى البَرّ، فهو (مَنْ) في المعنى.

وقيل: التّقدير: ولكن البِرّ بِرّ من آمن بالله، ثمّ حذف المضاف، فالبِرّ الأوّل هو الثّاني.

وقيل: التّقدير: ولكن ذاالبِرّ من آمن بالله، ثمّ حذف المضاف أيضًا.

ومن شدّد النّون نصب (البِرّ) والتّقديرات على حالها، وإنّما احتيج إلى هذه التّقديرات ليصحّ أن يكون الابتداء هو الخبر، إذ الجُثث لاتكون خبرًا عن المصادر، ولاالمصادر خبرًا عنها، لأنّ المصادر أفعال ليست بأجسام جُثث. (١: ٨١)

نحوه أبوالبركات. (١: ١٣٨)

الطّوسيّ: قرأ حفص إلّا هُبَيْرة، وحمزة (لَيْسَ البِرَّ) بنصب الرّاء، الباقون برفعها. وقرأ نافع، وابن عامر (وَلٰكِنِ الْبِرُّ) بتخفيف النّون، ورفع الرّاء.

قيل: إنّ هذه الآية نزلت لمّا حُوّلت القبلة، وكثر الخوض في نسخ تلك الفريضة، صار كأنّه لايُراعى بطاعة الله إلّا التّوجّه للصّلاة، فأنزل الله تعالى الآية، وبيّن فيها أنّ البِرّ ماذكره فيها، ودلّ على أنّ الصّلاة إنّما يحتاج إليها لما فيها من المصلحة الدّينيّة، وإنّه إنّما يأمر

بها، لما في علمه أنّها تدعو إلى الصّلاح، وتصرف عن الفساد، وإنّ ذلك يختلف بحسب الأزمان والأوقات.

[إلى أن قال:]

وقوله: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال:

أوّلها: وَلٰكِنَّ الْبِرَّ بِرّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، واختاره المُبَرِّد، لقوله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا﴾. [ثمّ استشهد بشعر]

الوجه الثّاني: ولكن ذاالبِرّ (من آمن بالله).

الثّالث: ولكنّ البارّ من آمن بالله، فجعل المصدر في موضع اسم الفاعل. (٢: ٩٤)

نحوه ابن شهر آشوب. (٢: ٢٥٢)

المَيْبُديّ: [ذكر اختلاف القرّاء في «البرّ» وأضاف:]

قال ابن عبّاس والضّحّاك وعطاء وسفيان: نزلت هذه الآية بشأن المؤمنين، فقد كان المسلمون في بداية الإسلام وقبل الهجرة وسنّ الفرائض، يقولون عند موت من ينطق بالشّهادة والتّوحيد، ويصلّي إلى أي جهة يشاء: وجبت له الجنّة، لأنّه أتى بالبِرّ والتّقوى جملة.

وحينما هاجر المصطفى ﷺ ونزلت آيات الفرائض، وحُوّلت القبلة إلى الكعبة، أنزل ربّ العالمين هذه الآية، كي لايظنّ أحدٌ أنّ الدّين والبرّ كلّه هو ذا، أي إقامة الصّلاة، بل الصّلاة خصلة من خصال البِرّ وباب من أبوابه.

وقال فريق آخر من المفسّرين: سبب نزول هذه الآية أنّ اليهود كانوا يصلّون نحو المغرب والنّصارى نحو المشرق، فردّ الله تعالى عليهم وكذّبهم بقوله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...﴾

﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾: قراءة المدنيّ والشّاميّ (وَلٰكِنِ الْبِرُّ) بالتّخفيف والرّفع، والباقي (وَلٰكِنَّ الْبِرَّ) بالتّشديد والنّصب، وكذا قوله عزّوجلّ: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقىٰ﴾، إذ قُرِئ بكلا الوجهين.

والمعنى ولكن البِرّ بِرّ من آمن بالله، فاستغنى بالأوّل عن الثّاني، كقولهم: الجود حاتم، والشّجاعة عنترة.

وقيل: تقديره: ولكنّ البارّ من آمن بالله، كقوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوىٰ﴾ طٰه: ١٣٢، أي للمتّقي.

ومعنى (البِرّ) الشّفقة والإحسان والصّداقة وحسن الخلق، قال النّبيّ ﷺ: «البِرّ شيءٌ هيّنٌ، ووجهٌ طَلِيقٌ، وكلامٌ ليّن».

وقيل: (البِرّ) هنا: الإيمان والتّقوى، وهذه الآية نفسها دليلٌ بحدّ ذاته؛ إذ كلّ مافيها إشارة إلى الإيمان والتّقوى. [إلى أن قال:]

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ البِرّ إجمالاً ضربان: اعتقاد وعمل. فالاعتقاد: تحقيق الأُصول، والعمل: تحصيل الفروع. ومن رسخ الأُصول بحقيقتها، وأتى بالفروع بشروطها، فهو لامحالة من الأبرار، ومنزل الأبرار دار القرار، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ الانفطار: ١٣. (١: ٤٦٣)

الزّمخشريّ: (البِرّ): اسمٌ للخير ولكلّ فعل مرضيّ ﴿أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ الخطاب لأهل الكتاب، لأنّ اليهود تُصلّي قبل المغرب إلى بيت المَقْدِس، والنّصارى قبل المشرق،

وذلك أنّهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوّل رسول الله ﷺ إلى الكعبة، وزعم كلّ واحد من الفريقين أنّ (البرّ) التوجّه إلى قبلته، فردّ عليهم.

وقيل: ليس البرّ فيما أنتم عليه فإنّه منسوخٌ خارجٌ من البرّ، ولكنّ (البرّ) مانبيّنه.

وقيل: كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة، فقيل: ليس البرّ العظيم الّذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البرّ أمرالقبلة، ولكن البرّ الّذي يجب الاهتمام به وصرف الهمّة برّ من آمن وقام بهذه الأعمال.

وقرئ و(لَيْسَ البِرَّ) بالنّصب على أنّه خبرٌ مقدّمٌ. وقرأ عبدالله (بِأَنْ تُوَلُّوا) على إدخال الباء على الخبر للتّأكيد، كقولك: ليس المنطلق بزيد ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ﴾ على تأويل حذف المضاف، أي برّ من آمن، أو بتأوّل البرّ بمعنى ذي‌البرّ، أو كما قالت [الخنساء]:

فإنّما هي إقبال وإدبار

وعن المبرّد: لو كنت ممّن يقرأ القرآن لقرأت (وَلٰكِنَّ البَرَّ) بفتح الباء، وقرئ (ولكنّ البارّ)، وقرأ ابن عامر ونافع (وَلٰكِنِ الْبِرُّ) بالتّخفيف. (١: ٣٣٠)

نحوه القُرطُبيّ (٢: ٢٣٩)، والبَيْضاويّ (١: ٩٧).

ابن عَطيّة: وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ قرأ أكثر السّبعة برفع الرّاء، و(البرّ) اسم (لَيْسَ).

قال أبوعليّ: (لَيْسَ) بمنزلة الفعل، فالوجه أن يليها الفاعل ثمّ المفعول.

مذهب أبي عليّ أنّ (لَيْسَ) حرف، والصّواب الّذي عليه الجمهور أنّها فعل.

وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص (لَيْسَ الْبِرَّ) بنصب الرّاء، جعل (أَنْ تُوَلُّوا) بمنزلة المضمر إذ لايوصف كما لايوصف المضمر، والمضمر أولى أن يكون اسمًا يخبر عنه.

وفي مصحف أُبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود (لَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ تُوَلُّوا)، وقال الأعمش: إنّ في مصحف عبد الله (لاتحسبنّ البرّ).

وقال ابن عبّاس ومُجاهِد وغيرهما: الخطاب بهذه الآية للمؤمنين، فالمعنى ليس البرّ الصّلاة وحدها، وقال قَتادَة والرّبيع: الخطاب لليهود والنّصارى لأنّهم اختلفوا في التّوجّه والتّولّي، فاليهود إلى بيت المقدس والنّصارى إلى مطلع الشّمس. وتكلّموا في تحويل القبلة وفضّلت كلّ فرقة تولّيها، فقيل لهم: ليس البرّ ماأنتم فيه ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ﴾.

قرأ قوم (وَلكنّ البِرّ) بشدّ النّون ونصب (البِرّ)، وقرأ الجمهور (وَلكنِ البِرّ). والتّقدير: ولكن البِرّ بِرّ مَن، وقيل: التّقدير: ولكن ذوالبِرّ مَن.

وقيل: (البِرّ) بمنزلة اسم الفاعل، تقديره: ولكن البارّ مَن، والمصدر إذا أُنزل منزلة اسم الفاعل فهو ولابدّ محمولٌ على حذف مضاف، كقولك: رجلٌ عدلٌ ورضيٌ. (١: ٢٤٣)

الطَّبْرِسيّ: قرأ حفص عن عاصم غير هُبَيْرَة وحمزة (لَيْسَ البِرَّ) بنصب الرّاء، والباقون بالرّفع. وروي في الشّواذّ عن ابن مسعود وأُبيّ (لَيْسَ البِرَّ) بالنّصب بـ(أَنْ يُوَلُّوا) بالياء. وقرأ نافع وابن عامر (وَلكنِ البِرُّ) بالتّخفيف والرّفع، والباقون (وَلكنّ البِرّ) بالتّشديد

والنّصب.

قال أبوعليّ: حجّة من رفع (البرّ) أن ليس يُشبه الفعل، وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده، وحجّة من نصب (البرّ) أنّه قد حُكي عن بعض شيوخنا أنّه قال في هذا النّحو: أن يكون الاسم «أنّ» وصلتها أولى بشبهها بالمضمر، في أنّها لاتوصف كما لايوصف المضمر، وكأنّه اجتمع مضمر ومظهر.

والأولى إذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر. قال ابن جنّيّ: يجوز أن يكون إنّما نصب (البرّ) مع الباء، بأن جعل الباء زائدة، كقولهم: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ النّساء: ١٧١.

من نصب (البرّ) جعل (أن) مع صلتها اسم (ليس) أي ليس توليتكم وجوهكم البرّ كلّه، ومن رفع (البرّ) فالمعنى ليس البرّ كلّه توليتكم. وكلا المذهبين حسن، لأنّ كلّ واحد من اسم ليس وخبرها معرفة، فإذا اجتمعا في التّعريف تكافآ في كون أحدهما اسمًا والآخر خبرًا، كما تتكافأ النّكرتان، وقد ذكرنا الوجه في ترجيح أحد المذهبين على الآخر.

(وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ) إذا شدّدت (لكنّ) نصبت (البرّ) وإذا خفّفت رفعت (البرّ) وكسرت النّون مع التّخفيف لالتقاء السّاكنين.

وأمّا الإخبار عن (البرّ) بـ(مَنْ آمَنَ) ففيه وجوه ثلاثة:

أحدها: أن يكون (البرّ) بمعنى البارّ، فجعل المصدر في موضع اسم الفاعل، كما يقال: ماء غَوْر، أي غائر، ورجل صوم، أي صائم. [ثمّ استشهد بشعر]

وثانيها: أنّ المعنى ولكن ذاالبرّ من آمن بالله، فحذف المضاف من الاسم.

وثالثها: أن يكون التّقدير: ولكن البرّ برّ من آمن بالله، فحذف المضاف من الخبر، وأقام المضاف إليه مقامه. [ثمّ استشهد بشعر إلى أن قال:]

لمّا حُوّلت القبلة وكثر الخوض في نسخها، وصار كأنّه لايُراعى بطاعة الله إلّا التّوجّه للصّلاة، وأكثر اليهود والنّصارى ذِكرها؛ أنزل الله سبحانه هذه الآية. عن أبي القاسم البلخيّ وعن قَتادة: أنّها نزلت في اليهود.

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ البقرة: ١٧٧، بيّن سبحانه أنّ البرّ كلّه ليس في الصّلاة، فإنّ الصّلاة إنّما أمر بها لكونها مصلحة في الإيمان وصارفة عن الفساد، وكذلك العبادات الشّرعيّة إنّما أمر بها لما فيها من الألطاف والمصالح الدّينيّة، وذلك يختلف بالأزمان والأوقات، فقال: ليس البرّ كلّه في التّوجّه إلى الصّلاة. حتّى يضاف إلى ذلك غيره من الطّاعات الّتي أمر بها، عن ابن عبّاس ومُجاهِد واختاره أبومسلم.

وقيل: معناه ليس البرّ ماعليه النّصارى من التّوجّه إلى المشرق، ولاماعليه اليهود من التّوجّه إلى المغرب، عن قَتادة والرّبيع واختاره الجُبّائيّ والبلخيّ ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ أي لكن البرّ برّ من آمن بالله، كقولهم: السّخاء حاتِم والشّعر زهيرٌ، أي السّخاء سخاء حاتِم والشّعر شعر زهير، عن قُطْرُب والزّجّاج والفرّاء واختاره الجُبّائيّ.

وقيل: ولكن البارّ أو ذاالبرّ من آمن بالله، أي صدّق

بالله، ويدخل فيه جميع مالايتمّ معرفة الله سبحانه إلّا به، كمعرفة حدوث العالم وإثبات المُحدث وصفاته الواجبة والجائزة، ومايستحيل عليه سبحانه، ومعرفة عدله وحكمته. (١: ٢٦١)

الفَخر الرّازيّ: المسألة الثّالثة: قرأ حمزة وحفص عن عاصم (لَيْسَ البِرَّ) بنصب الرّاء، والباقون بالرّفع.

قال الواحديّ: وكلا القراءتين حسن، لأنّ اسم (لَيْسَ) وخبرها اجتمعا في التّعريف، فاستويا في كون كلّ واحد منها اسمًا، والآخر خبرًا.

وحجّة من رفع (البِرّ) أنّ اسم (لَيْسَ) مُشبّه بالفاعل، وخبرها بالمفعول، والفاعل بأن يلي الفعل أولى من المفعول.

ومن نصب (البِرّ) ذهب إلى أنّ بعض النّحويّين قال: (أنّ) مع صلتها أولى أن تكون اسم (لَيْسَ) لشبهها بالمضمر، في أنّها لاتوصف كما لايوصف المضمر، فكأنّ هاهنا اجتمع مضمر ومظهر.

والأولى إذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر، وعلى هذا قرئ في التّنزيل قوله: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾ الحشر: ١٧، وقوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ العنكبوت: ٢٤، ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ الجاثية: ٢٥.

والاختيار رفع (البِرّ) لأنّه روي عن ابن مسعود أنّه قرأ (لَيْسَ البِرّ بأن) والباء تدخل في خبر (لَيْسَ).

المسألة الرّابعة: البِرّ اسم جامع للطّاعات، وأعمال الخير المقرّبة إلى الله تعالى، ومن هذا برّ الوالدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ الانفطار: ١٣، ١٤، فجعل البِرّ: ضدّ الفجور، وقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: ٢، فجعل البِرّ: ضدّ الإثم، فدلّ على أنّه اسم عامّ لجميع مايؤجر عليه الإنسان. وأصله من الاتّساع، ومنه البَرّ الّذي هو خلاف البحر، لاتّساعه.

المسألة الخامسة: قال القفّال: قد قيل في نزول هذه الآية أقوال: والّذي عندنا: أنّه أشار إلى السّفهاء الّذين طعنوا في المسلمين، وقالوا: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ البقرة: ١٤٢، مع أنّ اليهود كانوا يستقبلون المغرب، والنّصارى كانوا يستقبلون المشرق، فقال الله تعالى: إنّ صفة البِرّ لاتحصل بمجرّد استقبال المشرق والمغرب، بل البِرّ لايحصل إلّا عند مجموع أُمور:

أحدها: الإيمان بالله، وأهل الكتاب أخلّوا بذلك، أمّا اليهود فلقولهم: بالتّجسيم، ولقولهم: بأنّ عزيرًا ابن الله. وأمّا النّصارى فلقولهم: المسيح ابن الله، ولأنّ اليهود وصفوا الله بالبخل، على ماحكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله: ﴿قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ آل عمران: ١٨١.

وثانيها: الإيمان باليوم الآخر، واليهود أخلّوا بهذا الإيمان، حيث قالوا: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ البقرة: ١١١، وقالوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ البقرة: ٨٠، والنّصارى أنكروا المعاد الجسمانيّ، وكلّ ذلك تكذيب باليوم الآخر.

وثالثها: الإيمان بالملائكة، واليهود أخلّوا بذلك، حيث أظهروا عداوة جبريل عليه السلام.

ورابعها: الإيمان بكتب الله، واليهود والنّصارى قد أخلّوا بذلك، لأنّ مع قيام الدّلالة على أنّ القرآن كتاب الله ردّوه ولم يقبلوه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ البقرة: ٨٥.

وخامسها: الإيمان بالنّبيّين، واليهود أخلّوا بذلك؛ حيث قتلوا الأنبياء، على ماقال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ البقرة: ٦١، وحيث طعنوا في نبوّة محمّد ﷺ.

وسادسها: بذل الأموال على وَفق أمر الله سبحانه واليهود أخلّوا بذلك، لأنّهم يلقون الشّبهات لطلب المال القليل، كما قال: ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ آل‌عمران: ١٨٧.

وسابعها: إقامة الصّلوات والزّكوات، واليهود كانوا يمنعون النّاس منها.

وثامنها: الوفاء بالعهد، واليهود نقضوا العهد؛ حيث قال: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ البقرة: ٤٠.

وهاهنا سؤال: وهو أنّه تعالى نفى أن يكون التّوجّه إلى القبلة برًّا، ثمّ حكم بأنّ (البرّ) مجموع أُمور، أحدها: الصّلاة، ولابدّ فيها من الاستقبال، فيلزم التّناقض، ولأجل هذا السّؤال اختلف المفسّرون على أقوال:

الأوّل: أنّ قوله: (لَيْسَ الْبِرَّ) نفي لكمال البرّ، وليس نفيًا لأصله، كأنّه قال: ليس البرّ كلّه هو هذا، فإنّ (البرّ) اسم لمجموع الخصال الحميدة، واستقبال القبلة واحد منها، فلايكون ذلك تمام البرّ.

الثّاني: أن يكون هذا نفيًا لأصل كونه برًّا، لأنّ استقبالهم للمشرق والمغرب، كان خطأً في وقت النّفي، حين مانسخ الله تعالى ذلك، بل كان ذلك إثمًا وفجورًا، لأنّه عمل بمنسوخ قد نهى الله عنه، ومايكون كذلك فإنّه لايعدّ في البرّ.

الثّالث: أنّ استقبال القبلة لايكون برًّا إذا لم يقارنه معرفة الله، وإنّما يكون برًّا إذا أتى به مع الإيمان وسائر الشّرائط، كما أنّ السّجدة لاتكون من أفعال البرّ، إلّا إذا أتى بها مع الإيمان بالله ورسوله، فأمّا إذا أتى بها بدون هذا الشّرط، فإنّها لاتكون من أفعال البرّ.

روي أنّه لما حُوّلت القبلة، كثر الخوض في نسخها، وصار كأنّه لايُراعى بطاعة الله إلّا الاستقبال، فأنزل الله تعالى هذه الآية، كأنّه تعالى قال: ماهذا الخوض الشّديد في أمر القبلة، مع الإعراض عن كلّ أركان الدّين.

المسألة السّادسة: قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ فيه حذف، وفي كيفيّته وجوه:

أحدها: ولكن البرّ برّ مَن آمن بالله، فحذف المضاف، وهو كثير في الكلام، كقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ البقرة: ٩٣، أي حبّ العجل، ويقولون: الجواد حاتم، والشّعر زهير، والشّجاعة عنترة، وهذا اختيار الفرّاء، والزّجّاج، وقُطْرُب. قال أبوعليّ: ومثل هذه الآية قوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ التّوبة: ١٩، ثمّ قال: (كَمَنْ آمَنَ) وتقديره: أجعلتم أهل سقاية الحاجّ كمن آمن، أو أجعلتم سقاية الحاجّ كإيمان من آمن. ليقع التّمثيل بين مصدرين أو بين فاعلين؛ إذ لايقع التّمثيل بين مصدر وفاعل.

وثانيها: قال أبوعُبَيْدَة: (البرّ) هاهنا بمعنى البارّ،

كقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ طٰهٰ: ١٣٢، أي للمتّقين، ومنه قوله: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ الملك: ٣٠، أي غائرًا، وقالت الخنساء:

فإنّما هي إقبال وإدبار

أي مُقبلة ومُدبرة معًا.

وثالثها: أنّ معناه ولكن ذا البرّ، فحذف، كقولهم: هم درجات عند الله، أي ذَوُوا درجات، عن الزّجّاج.

ورابعها: التّقدير: ولكن البرّ يحصل بالإيمان وكذا وكذا، عن المفضّل.

واعلم أنّ الوجه الأوّل أقرب إلى مقصود الكلام، فيكون معناه ولكن البرّ الّذي هو كلّ البرّ الّذي يؤدّي إلى الثّواب العظيم، برّ من آمن بالله، وعن المبرّد: لوكنتُ ممّن يقرأ القرآن بقراءته لقرأت (وَلٰكِنَّ البَرَّ) بفتح الباء.

وقرأ نافع وابن عامر (وَلٰكِنِ) مخفّفة (البِرُّ) بالرّفع. والباقون (لٰكِنَّ) مشدّدة (البِرَّ) بالنّصب.

المسألة السّابعة: اعلم أنّ الله تعالى اعتبر في تحقّق ماهيّة (البِرّ) أُمورًا:

الأوّل: الإيمان بأُمور خمسة:

أوّلها: الإيمان بالله، ولن يحصل العلم بالله إلّا عند العلم بذاته المخصوصة، والعلم بما يجب ويجوز ويستحيل عليه. ولن يحصل العلم بهذه الأُمور إلّا عند العلم بالدّلائل الدّالّة عليها. فيدخل فيه العلم بحدوث العالم، والعلم بالأُصول الّتي عليها يتفرّع حدوث العالم، ويدخل في العلم بما يجب له من الصّفات: العلم بوجوده وقِدَمه وبقائه، وكونه عالمًا بكلّ المعلومات، قادرًا على كلّ الممكنات، حيًّا مريدًا سميعًا بصيرًا متكلّمًا، ويدخل في العلم بما يستحيل عليه العلم، بكونه منزّهًا عن الحاليّة والمحلّيّة والتّحيّز والمرضيّة، ويدخل في العلم بما يجوز عليه اقتداره على الخلق والإيجاد وبعثة الرّسل.

وثانيها: الإيمان باليوم الآخر. وهذا الإيمان مفرّع على الأوّل، لأنّا مالم تعلم كونه تعالى عالمًا بجميع المعلومات، ولم نعلم قدرته على جميع الممكنات، لايمكننا أن نعلم صحّة الحشر والنّشر.

وثالثها: الإيمان بالملائكة.

ورابعها: الإيمان بالكتب.

وخامسها: الإيمان بالرّسل.

وهاهنا سؤالات. [إلى أن قال:]

وذكر الواحديّ في آخر هذه الآية مسألةً وهي أنّه قال: هذه الواوات في الأوصاف في هذه الآية للجمع، فمن شرائط البِرّ وتمام شرط البارّ أن تجتمع فيه هذه الأوصاف، ومن قام بواحد منها لم يستحقّ الوصف بالبِرّ، فلاينبغي أن يظنّ الإنسان أنّ الموفي بعهده من جملة من قام بالبِرّ، وكذا الصّابر في البأساء، بل لايكون قائمًا بالبِرّ إلّا عند استجماع هذه الخصال، ولذلك قال بعضهم: هذه الصّفة خاصّة للأنبياء عليهم السّلام لأنّ غيرهم لاتجتمع فيه هذه الأوصاف كلّها، وقال آخرون: هذه عامّة في جميع المؤمنين. (٥: ٤٠)

نحوه النّيسابوريّ. (٢: ٧٨)

أبوحَيّان: قال قَتادَة والرّبيع ومُقاتِل وعوف الأعرابيّ: نزلت في اليهود والنّصارى، كانت اليهود تصلّي للمغرب والنّصارى للمشرق، ويزعم كلّ فريق أنّ (البِرّ) ذلك.

وقال ابن عبّاس وعطاء ومُجاهِد والضحّاك وسفيان: نزلت في المؤمنين، سأل رجل النبيّ ﷺ فنزلت فدعاه وتلاها عليه.

قال بعض المفسّرين: كان الرّجل إذا نطق بالشّهادتين وصلّى إلى أيّ ناحية ثمّ مات وجبت له الجنّة، فلمّا هاجر رسول الله ﷺ ونزلت الفرائض وحدّت الحدود، وصُرِفت القبلة إلى الكعبة أنزلها الله. وقيل: سبب نزولها إنكار الكفّار على المؤمنين تحويلهم عن بيت المَقْدِس إلى الكعبة.

ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، لأنّها إن كانت في أهل الكتاب فقد جرى ذكرهم بأقبح الذّكر، من كتمانهم ماأنزل الله، واشترائهم به ثمنًا قليلًا، وذكر ماأُعدّ لهم، ولم يبق لهم ممّا يظهرون به شعار دينهم إلّا صلاتهم، وزعمهم أنّ ذلك (البرّ). فردّ عليهم بهذه الآية.

وإن كانت في المؤمنين فهو نهي لهم أن يتعلّقوا من شريعتهم بأيسر شيء كما تعلّق أهل الكتابين. ولكن عليهم العمل بجميع ما في طاقتهم من تكاليف الشّريعة على مابيّنها الله تعالى.

وقرأ حمزة وحفص (لَيْسَ البِرَّ) بنصب الرّاء، وقرأ باقي السّبعة برفع الرّاء. وقال الأعمش في مصحف عبدالله (لاتحسبنّ البرَّ) وفي مصحف أُبيّ وعبدالله أيضًا (ليس البرّ بأن تولّوا).

فمن قرأ بنصب (البرّ) جعله خبر (لَيْسَ) و(أَنْ تُوَلّوا) في موضع الاسم، والوجه أن يلي المرفوع، لأنّها بمنزلة الفعل المتعدّي، وهذه القراءة من وجه أولى، وهو إن جُعل فيها اسم ليس (أنْ تُولّوا) وجعل الخبر (البرّ) و(أنْ) وصلتها أقوى في التّعريف من المعرّف بالألف واللّام. وقراءة الجمهور أولى من وجه، وهو أنّ توسّط خبر ليس بينها وبين اسمها قليل.

وقد ذهب إلى المنع من ذلك ابن دَرَسْتويه تشبيهًا لها بـ«ما». أراد الحكم عليها بأنّها حرف، كما لايجوز توسيط خبر «ما» وهو محجوج بهذه القراءة المتواترة، وبورود ذلك في كلام العرب، قال الشّاعر:

سَلِي إن جَهلتِ النّاس عنّا وعنهم
وليس سواءً عالم وجهول

وقال الآخر:

أليس عظيمًا أن تلمّ ملمّةٌ
وليس علينا في الخطوب معوّل

وقراءة (بأنْ تُوَلّوا) على زيادة الباء في الخبر كما زادوها في اسمها إذا كان (أنْ) وصلتها، قال الشّاعر:

أليس عجيبًا بأنّ الفتى
يُصاب ببعض الّذي في يديه

أدخل الباء على اسم ليس وإنّما موضعها الخبر.

و(البرّ) اسم جامع للخير، وتقدّم الكلام فيه، وانتصاب (قِبَل) على الظّرف وناصبه (تُوَلّوا) والمعنى أنّهم لمّا أكثروا الخوض في أمر القبلة حتّى وقع التّحويل إلى الكعبة، وزعم كلّ عن الفريقين أنّ البرّ هو التّوجّه إلى قبلته، فردّ الله عليهم. وقيل: ليس البرّ فيما أنتم عليه، فإنّه منسوخ خارج من البرّ. وقيل: ليس البرّ العظيم الّذي يجب أن يذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البرّ أمر القبلة.

وقال قَتادَة: قبلة النّصارى مشرق بيت المَقْدِس،

لأنّه ميلاد عيسى على نبيّنا وعليه السّلام، لقوله تعالى: ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ واليهود مغربه، والآية ردّ على الفريقين.

﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ البقرة: ١٧٧، البرّ معنى من المعاني فلايكون خبره الذّوات إلّا مجازًا، فإمّا أن يُجعل (البرّ) هو نفس (مَنْ آمَنَ) على طريق المبالغة قاله أبوعُبَيْدَة، والمعنى: ولكنّ البارّ، وإمّا أن يكون على حذف من الأوّل، أي ولكنّ ذاالبرّ، قاله الزّجّاج، أو من الثّاني، أي برُّ من آمن، قاله قُطْرُب، وعلى هذا خرّجه سِيبَوَيْه، قال في كتابه: وقال جلّ وعزّ: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ﴾ وإنّما هو: ولكن البرّ برُّ من آمن بالله، انتهى.

وإنّما اختار هذا سِيبَوَيه لأنّ السّابق إنّما هو نفي كون البرّ هو تولية الوجه قِبَل المشرق والمغرب، فالّذي يُستدرك إنّما هو من جنس ماينفى، ونظير ذلك: ليس الكرم أن تبذل درهمًا ولكنّ الكرم بذل الآلاف، فلايناسب: ولكنّ الكريم من يبذل الآلاف إلّا إن كان قبله: ليس الكريم بباذل درهم.

وقال المُبَرِّد: لو كنت ممّن يقرأ القرآن [لقرأتُ[1]] (ولكنّ البَرّ) بفتح الباء، وإنّما قال ذلك لأنّه يكون اسم فاعل، تقول: بررت أبرّ فأنا برٌّ وبارٌّ. قيل: فبُني تارةً على «فَعْل» نحو كَهْل وصَعْب، وتارةً على «فاعل». والأولى ادّعاء حذف الألف من البرّ، ومثله سَرٌّ وقَرٌّ ورَبٌّ، أي سارّ وقارّ وبارّ ورابٌّ.

وقال الفرّاء: (مَنْ آمَنَ) معناه الإيمان لما وقع من موقع المصدر جُعل خبرًا للأوّل، كأنّه قال: ولكنّ البرّ الإيمان بالله. والعرب تجعل الاسم خبرًا للفعل، وأنشد الفرّاء:

لعمرك ماالفتيان أنْ تنبت اللّحى
ولكنّما الفتيان كلّ فتى ندب

جعل نبات اللّحية خبرًا للفتى، والمعنى لعمرك ماالفتوّة أن تنبت اللّحى.

وقرأ نافع وابن عامر (ولكنْ) بسكون النّون خفيفة، ورفع (البرُّ) وقرأ الباقون بفتح النّون مشدّدة ونصب (البرّ) والإعراب واضح، وقد تقدّم نظير القراءتين في ﴿وَلٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ البقرة: ١٠٢، ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلٰئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ البقرة: ١٧٧، ذكر في هذه الآية إن كان الإيمان مصرّحًا بها، كما جاء في حديث جبريل حين سأله عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه، ولم يصرّح في الآية بالإيمان بالقدر، لأنّ الإيمان بالكتاب يتضمّنه، ومضمون الآية أنّ البرّ لايحصل باستقبال المشرق والمغرب بل بمجموع أُمور:

أحدها: الإيمان بالله، وأهل الكتاب أخلّوا بذلك، أمّا اليهود فللتّجسّم ولقولهم: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾ التوبة: ٣٠، وأمّا النّصارى فلقولهم: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾.

الثّاني: الإيمان بالله واليوم الآخر، واليهود أخلّوا به حيث قالوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا﴾ البقرة: ٨٠، والنّصارى أنكروا المعاد الجسمانيّ.

والثّالث: الإيمان بالملائكة، واليهود عادوا جبريل.

والرّابع: الإيمان بكتب الله، والنّصارى واليهود أنكروا القرآن.

والخامس: الإيمان بالنّبيّين، واليهود قتلوهم، وكلا

(١) كما أوردها الزّمخشريّ (١: ٣٣٠).

الفريقين من أهل الكتاب طعنا في نبوّة محمّد ﷺ

والسّادس: بذل الأموال على وفق أمر الله، واليهود ألقوا الشّبه لأخذ الأموال.

والسّابع: إقامة الصّلاة والزّكاة، واليهود يمتنعون منها.

والثّامن: الوفاء بالعهد، واليهود نقضوه، وهذا النّفي السّابق والاستدراك لايحمل على ظاهرهما لأنّه نفى أن يكون التّوجّه إلى القبلة برًّا، ثمّ حكم بأنّ البرّ أمور: أحدها الصّلاة، ولابدّ فيها من استقبال القبلة، فيحمل النّفي للبرّ على نفي مجموع البرّ، لاعلى نفي أصله، أي ليس البرّ كلّه هو هذا، ولكنّ البرّ هو ماذكر، ويحمل على نفي أصل البرّ لأنّ استقبالهم المشرق والمغرب بعد النّسخ كان إثمًا وفجورًا فلايعدّ في البرّ، ولأنّ استقبال القبلة لايكون برًّا، إذا لم تقارنه معرفة الله تعالى، وإنّما يكون برًّا مع الإيمان وتلك الشّرائط. وقدّم الملائكة والكتب على الرّسل وإن كان الإيمان بوجود الملائكة وصدق الكتب لايحصل إلّا بواسطة الرّسل، لأنّ ذلك اعتبر فيه التّرتيب الوجوديّ، لأنّ الملك يوجد أوّلًا ثمّ يحصل بوساطة تبليغه نزول الكتب، ثمّ يصل ذلك الكتاب إلى الرّسول، فروعي التّرتيب الوجوديّ الخارجيّ لاالتّرتيب الذّهنيّ. (٢: ٢)

الفاضل المقداد: [ذكر اختلاف القراءات وأضاف:]

والبِرّ: كلّ فعل مرضيّ قلبيًّا كان أو لسانيًّا أو جوارحيًّا أو ماليًّا.

والخطاب لأهل الكتاب، فإنّهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوّلت، وادّعى كلّ فريق أنّ (البِرّ) التّوجّه إلى قبلته، فردّ عليهم بأنّه ﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ التّوجّه إلى المشرق قبلة النّصارى أو المغرب قبلة اليهود.

وقيل: هو عامّ للمسلمين وغيرهم، أي ليس البرّ مقصورًا على أمر القبلة.

﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ﴾ إمّا بمعنى البارّ فإنّ المصدر يقام مقام الفاعل كزيدٍ عدل، أي عادل، أو بحذف المضاف من الخبر، أي برّ من آمن. (١: ٢٢٠)

أبوالسُّعود: (البِرّ) اسم جامع لمراضي الخصال. والخطاب لأهل الكتابين فإنّهم كانوا أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوّلت إلى الكعبة، وكان كلّ فريق يدّعي خيريّة التّوجّه إلى قبلته من القطرين المذكورين.

وتقديم (الْمَشْرِقِ) على (الْمَغْرِبِ) مع تأخّر زمان الملّة النّصرانيّة، إمّا لرعاية مابينهما من التّرتيب المتفرّع على ترتيب الشّروق والغروب، وإمّا لأنّ توجّه اليهود إلى المغرب ليس لكونه مغربًا بل لكون بيت المَقْدِس من المدينة المنوّرة واقعًا في جانب الغرب، فقيل لهم: ليس البِرّ ماذكرتم من التّوجّه إلى تينك الجهتين، على أنّ (البِرّ) خبر ليس مقدّمًا على اسمها. [ثمّ استشهد بشعر]

وإنّما أخّر ذلك لما أنّ المصدر المؤوّل أعرف من المحلّى باللّام، لأنّه يشبه الضّمير من حيث إنّه لايوصف ولايوصف به، والأعرف أحقّ بالاسميّة، ولأنّ في الاسم طولًا، فلو روعي التّرتيب المعهود لفات تجاوب أطراف النّظم الكريم.

وقرئ برفع (البِرّ) على أنّه اسمها، وهو أقوى بحسب

المعنى، لأنّ كلّ فريقٍ يدّعي أنّ (البرّ) هذا، فيجب أن يكون الرّدّ موافقًا لدعواهم، وماذلك إلّا بكون (البرّ) اسمًا كما يفصح عنه جعله مخبرًا عنه في الاستدراك، بقوله عزّوجلّ: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ﴾.

وهو تحقيق للحقّ بعد بيان بطلان الباطل، وتفصيل لخصال (البرّ) ممّا لايختلف باختلاف الشّرائع، ومايختلف باختلافها، أي ولكن البرّ المعهود الّذي يحقّ أن يهتمّ بشأنه ويجدّ في تحصيله برّ من آمن بالله وحده إيمانًا بريئًا من شائبة الإشراك، لاكإيمان اليهود والنّصارى المشركين بقولهم: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ﴾ وقولهم: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللّٰهِ﴾. (١: ٢٢٤)

نحوه البُرُوسَويّ (١: ٢٨١)، والآلوسيّ (٢: ٤٥).

رَشيد رضا: ادّعى «الجلال» أنّ هذه الآية نزلت للرّدّ على النّصارى الّذي يُولّون وجوههم في صلاتهم قِبَل المشرق، واليهود الّذي يُولّونها قبل بيت المَقدِس. وهذا ادّعاء لم يثبت، والصّحيح قريب منه وهو: أنّ أهل الكتاب أكبروا أمر تحويل القبلة عن بيت المَقدِس إلى الكعبة كما تقدّم في آيات التّحويل وحكمه، وطال خوضهم فيها حتّى شغلوا المسلمين بها، وغلا كلّ فريق في التّمسّك بما هو عليه وتنقيص مقابله، كما هو شأن البشر في كلّ خلاف يثير الجدل والنّزاع.

فكان أهل الكتاب يرون أنّ الصّلاة إلى غير قبلتهم لاتقبل عند الله تعالى، ولايكون صاحبها على دين الأنبياء، والمسلمون يرون أنّ الصّلاة إلى المسجد الحرام هو كلّ شيء، لأنّه قبلة إبراهيم وأوّل بيت وضع لعبادة الله تعالى وحده.

فأراد الله تعالى أن يبيّن للنّاس كافّة أنّ مجرّد تولية الوجه قبلة مخصوصة ليس هو البرّ المقصود من الدّين، ذلك أنّ استقبال الجهة المعيّنة إنّما شرّع لأجل تذكير المصلّي بالإعراض عن كلّ ماسوى الله تعالى في صلاته، والإقبال على مناجاته ودعائه وحده، وليكون شعارًا لاجتماع الأُمّة. فتولية الوجه وسيلة للتّذكير بتولية القلب، وليس ركنًا من العبادة بنفسه، وأن يُبيّن لهم أُصول البرّ ومقاصد الدّين فقال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾.

قرأ حمزة وحفص بنصب (البرّ) والباقون برفعه، وكلاهما ظاهر.

والبِرّ، بكسر الباء لغة: التّوسّع في الخير، مشتقّ من «البَرّ» بالفتح، وهو مقابل البحر في تصوّر سعته، كما قال الرّاغب. وشرعًا: مايتقرّب به إلى الله تعالى من الإيمان والأخلاق والأعمال الصّالحة.

وتوجيه الوجوه إلى المشرق أو المغرب ليس هو البرّ ولامنه، بل ليس في نفسه عملًا صالحًا، كما تقدّم شرحه في آيات تحويل القبلة، وأحلنا فيه على هذه الآية الّتي بيّن الله فيها بجامع البرّ ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَالْمَلٰئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيّٖنَ﴾.

قرأ الجمهور (لٰكِنَّ) بالتّشديد ونافع وابن عامر بالتّخفيف، أي ولكن جملة البرّ هو من آمن بالله إلخ.

وفيه الإخبار عن المعنى بالذّات، وهو معهود في الكلام العربيّ الفصيح، والقرآن جار على الأساليب العربيّة الفصحى، لاعلى فلسفة النّحاة وقوانينهم الصّناعيّة، وبلاغة هذه الأساليب إنّما هي في إيصال

المعاني المقصودة إلى الذّهن على أجلى وجه يريده المتكلّم، وأحسن تأثير يقصده. ومثل هذا التّعبير لايزال مألوفًا عند أهل العربيّة على فساد ألسنتهم في اللّغة، يقولون: ليس الكرم أن تدعو الأغنياء والأصدقاء إلى طعامك ولكنّ الكرم من يعطي الفقراء العاجزين عن الكسب.

فالكلام مفهوم بدون أن نقول: إنّ معناه: ولكن ذا الكرم من يعطي، أو لكنّ الكرم عطاء من يُعطي.

وإنّما نحن في حاجة إلى بيان النّكتة في اختيار ذلك على قول: ولكنّ البرّ هو الإيمان بالله إلخ. وهذه النّكتة مفهومة من العبارة فإنّها تمثّل لك المعنى في نفس الموصوف به، فتفيدك أنّ (البرّ) هو الإيمان ومايتبعه من الأعمال باعتبار اتّحادهما، وتلبّس المؤمن البارّ بهما معًا، من حيث إنّ الإيمان باعث على الأعمال، وهي منبعثة عنه وأثر له تستمدّ منه وتمدّه وتغذّيه، أي إنّها تمثّل لك المعنى في الشّخص، أو الشّخص عاملًا بالبرّ، وهذا أبلغ في النّفس هنا من إسناد المعنى إلى المعنى، ومن إسناد الذّات إلى الذّات، كما هو مذوق ومفهوم.

ابتدأ بذكر الإيمان بالله واليوم الآخر، لأنّه أساس كلّ برّ، ومبدأ كلّ خير، ولايكون الإيمان أصلًا للبرّ إلّا إذا كان متمكّنًا من النّفس بالبرهان، مصحوبًا بالخضوع والإذعان. (٢: ١٠٩)

الطّباطبائيّ: البِرّ بالكسر: التّوسّع من الخير والإحسان، والبَرّ بالفتح: صفة مشبّهة منه.

قوله تعالى: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللهِ﴾ عدل عن تعريف البِرّ بالكسر إلى تعريف البَرّ بالفتح، ليكون بيانًا وتعريفًا للرّجال مع تضمّنه لشرح وصفهم، وإيماء إلى أنّه لاأثر للمفهوم الخالي عن المصداق ولافضل فيه. وهذا دأب القرآن في جميع بياناته، فإنّه يبيّن المقامات ويشرح الأحوال بتعريف رجالها، من غير أن يقنع ببيان المفهوم فحسب.

وبالجملة قوله: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللهِ﴾ تعريف للأبرار وبيان لحقيقة حالهم، وقد عرّفهم أوّلًا في جميع المراتب الثّلاث من الاعتقاد والأعمال والأخلاق، بقوله: ﴿مَنْ اٰمَنَ بِاللهِ﴾ وثانيًا بقوله: ﴿اُولٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ وثالثًا بقوله: ﴿وَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾. [إلى أن قال:]

والّذي بيّنه تعالى في هذه الآية من أوصاف الأبرار هي الّتي ذكرها في غيرها، قال تعالى: ﴿اِنَّ الْاَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَاْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا* يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا* وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلٰى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَاَسِيرًا* اِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ـ إلى أن قال ـ وَجَزٰيهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ الدّهر: ٥ ـ ١٢، فقد ذكر فيها الإيمان بالله واليوم الآخر والإنفاق لوجه الله والوفاء بالعهد والصّبر.

وقال تعالى أيضًا: ﴿كَلَّا اِنَّ كِتَابَ الْاَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ* وَمَا اَدْرٰيكَ مَا عِلِّيُّونَ* كِتَابٌ مَرْقُومٌ* يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ* اِنَّ الْاَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ـ إلى أن قال ـ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ـ إلى أن قال ـ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ المطفّفين: ١٨ ـ ٢٨.

بالتّطبيق بين هذه الآيات والآيات السّابقة عليها يظهر حقيقة وصفهم ومآل أمرهم إذا تدبّرت فيها، وقد

وصفتهم الآيات بأنّهم عباد الله وأنّهم المقرّبون، وقد وصف الله سبحانه عباده فيا وصف بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ الحجر: ٤٢، ووصف المقرّبين بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ الواقعة: ١٠ ـ ١٢، فهؤلاء هم السّابقون في الدّنيا إلى ربّهم السّابقون في الآخرة إلى نعيمه، ولو أدمت البحث عن حالهم فيا تحطيه الآيات لوجدت عجبًا.

وقد بان ممّا مرّ أنّ (الأبْرار) أهل المرتبة العالية من الإيمان، وهي المرتبة الرّابعة على مامرّ بيانه سابقًا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨٢. (١: ٤٢٨)

حَسنَين مخلوف: (البِرّ): اسمٌ جامعٌ لكلّ خير، ولكلّ طاعة وقربة إلى الله تعالى، أي ولكنّ البرّ برّ من آمن؛ وحذف المضاف على حدّ: الجود حاتم، أي الجود جود حاتم، أو ولكنّ البرّ، أي البارّ من آمن، على أنّه اسم فاعل من برّ يَبرّ فهو بَرّ، وأصله: بَرِر، فلمّا أريد الإدغام نقلت كسرة الرّاء إلى ماقبلها بعد سلب حركتها.

وقد اشتملت الآية على خمسة عشر نوعًا من أنواع البِرّ، وهي ردٌّ لما زعمته اليهود من أنّ (البرّ) هو مجرّد التّوجّه إلى جهة المغرب، ومازعمته النّصارى من أنّه مجرّد التّوجّه إلى جهة المشرق، أي ليس البرّ كلّه فيا زعموا وإنّما فيا بيّنته الآية. (٥٨)

مكارم الشّيرازيّ: ذكرنا في تفسير آيات تغيير القبلة، أنّ النّصارى كانوا يتّجهون في عباداتهم نحو الشّرق واليهود نحو الغرب، وقرّر الله الكعبة قبلة للمسلمين، وكانت في اتّجاه الجنوب وسطًا بين الاتّجاهين. ومرّ بنا الحديث عن الضّجّة الّتي أثيرت بين أعداء الإسلام والمسلمين الجدد بشأن تغيير القبلة.

الآية أعلاه تخاطب هؤلاء، وتقول: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾.

البِرّ، في الأصل: التّوسّع، ثمّ أُطلق على أنواع الإحسان، لأنّ الإنسان بالإحسان يخرج من إطار، ذاته ليتّسع ويصل عطاؤه إلى الآخرين.

والبَرّ، بفتح الباء: فاعل البِرّ، وهي في الأصل الصّحراء والمكان الفسيح، وأُطلقت على المحسن بنفس اللّحاظ السّابق.

ثمّ يبيّن القرآن أهمّ أُصول البرّ والإحسان، وهي ستّة، فيقول: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾.

هذا هو الأساس الأوّل: الإيمان بالمبدإ والمعاد، والملائكة المأمورين من قبل الله، والمنهج الإلهيّ، والنّبيّين الدّعاة إلى هذا المنهج. والإيمان بهذه الأُمور يضيء وجود الإنسان، وتخلق فيه الدّافع القويّ للحركة على طريق البناء، والأعمال الصّالحة.

جدير بالذّكر أنّ الآية تقول: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ...﴾ ولم تقل ولكنّ البَرّ بفتح الباء، أو البارّ بصيغة اسم الفاعل، أي إنّ الآية استعملت المصدر بدل الوصف، وهذا يفيد بيان أعلى درجات التّأكيد في اللّغة العربيّة، فحين يقول أحدٌ: عليٌّ عدلٌ، فهو يقصد أنّه عادل للغاية، وحين يقول: بني أُميّة ذلّ الإسلام، فيعني أنّ كلّ وجودهم ذلّ للإسلام.

ثمّ تذكر الآية الإنفاق بعد الايمان وتقول: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ البقرة: ١٧٧.

إنفاق المال ليس بالعمل اليسير على الجميع خاصّة إذا بلغ الإنفاق درجة الإيثار، لأنّ حبّ المال موجودٌ بدرجات متفاوتة في كلّ القلوب، وعبارة (عَلَىٰ حُبِّهِ) إشارة إلى هذه الحقيقة. هؤلاء يندفعون للإنفاق رغم هذا الحبّ للمال، من أجل رضاالله سبحانه. [ثمّ ذكر بقيّة صفات الأبرار فراجع] (١: ٤٣٤)

٢ـ...وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ... البقرة: ١٨٩

ابن عبّاس: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ الطّاعة والتّقوى ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ﴾ الطّاعة في الإحرام. (٢٦)

وإنّ رجالًا من أهل المدينة كانوا إذا خاف أحدهم من عدوّه شيئًا أحرم فأمن، فإذا أحرم لم يلج من باب بيته، واتّخذ نَقْبًا من ظهر بيته، فلمّا قام رسول الله ﷺ المدينة، كان بها رجل مُحرم كذلك، وإنّ أهل المدينة كانوا يسمّون البستان: الحُشّ، وإنّ رسول الله ﷺ دخل بستانًا، فدخله من بابه، ودخل معه ذلك المُحرم فناداه رجلٌ من ورائه: يافلان إنّك مُحرم وقد دخلت، فقال: أنا أحمَس، فقال: يارسول الله إن كنت محرمًا فأنا محرم، وإن كنت أحمَس فأنا أحمَس، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ البقرة: ١٨٩، فأحلّ الله للمؤمنين أن يدخلوا من أبوابها.

نحوه براء وقيس بن جُبَيْر والزّهريّ والسُّدّيّ والرّبيع. (الطّبَريّ ٢: ١٨٨).

مُجاهِد: يقول: ليس البرّ بأن تأتوا البيوت من كوّات في ظهور البيوت، وأبواب في جنوبها تجعلها أهل الجاهليّة، فنهوا أن يدخلوا منها وأُمروا أن يدخلوا من أبوابها.

نحوه النّخعيّ. (الطّبَريّ ٢: ١٨٧)

الإمام الباقر ؑ: أنّ معناه ليس البرّ أن تأتوا الأُمور من غير جهاتها، وينبغي أن تأتوا الأُمور من جهاتها، أيّ الأُمور كان. (العَروسيّ ١: ١٧٨)

عَطاء: كان أهل الجاهليّة يأتون البيوت من ظهورها ويرونه برًّا، فقال: (البرّ) ثمّ نعت (البرّ) وأمر بأن يأتوا البيوت من أبوابها. (الطّبَريّ ٢: ١٨٨)

قَتادَة: كان هذا الحيّ من الأنصار في الجاهليّة إذا أهَلّ أحدهم بحجّ أو عمرة لايدخل دارًا من بابها إلّا أن يتسوّر حائطًا تسوّرًا، وأسلموا وهم كذلك، فأنزل الله تعالى ذكره في ذلك ماتسمعون، ونهاهم عن صنيعهم ذلك، وأخبرهم أنّه ليس من البرّ صنيعهم ذلك، وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها. (الطّبَريّ ٢: ١٨٧)

الطّبَريّ: فتأويل الآية إذًا: وليس البرّ أيّها النّاس بأن تأتوا البيوت في حال إحرامكم من ظهورها، ولكنّ البرّ من اتّقى الله فخافه وتجنّب محارمه، وأطاعه بأداء فرائضه الّتي أمره بها. فأمّا إتيان البيوت من ظهورها فلابرّ لله فيه، فأتوها من حيث شئتم من أبوابها وغير أبوابها، مالم تعتقدوا تحريم إتيانها من أبوابها في حال من الأحوال، فإنّ ذلك غير جائز لكم اعتقاده، لأنّه ممّا

لم أُحرّمه عليكم. (٢: ١٨٩)

الزّجّاج: قيل: إنّه كان قوم من قريش وجماعة معهم من العرب إذا خرج الرّجل منهم في حاجة فلم يقضها ولم تتيسّر له رجع فلم يدخل من باب بيته سنة، يفعل ذلك تطيّرًا، فأعلمهم الله عزّوجلّ أنّ ذلك غير برّ، أي الإقامة على الوفاء بهذه السُّنّة ليس ببرّ.

وقال الأكثر من أهل التّفسير: إنّهم الحُمْس، وهم قومٌ من قريش وبنو عامر بن صَعْصَعة وثقيف وخُزاعة، كانوا إذا أحرموا لايأقطون الأقط ولايَنفُون الوَبَر ولايسلون السَّمْنَ، وإذا خرج أحدهم من الإحرام لم يدخل من باب بيته.

وإنّما سمّوا الحُمْسَ لأنّهم تحمّسوا في دينهم، أي تشدّدوا. وقال أهل اللّغة: الحماسة الشّدّة في الغضب، والشّدّة في القتال، والحماسة على الحقيقة: الشّدّة في كلّ شيء. [ثمّ استشهد بشعر]

فأعلمهم الله عزّوجلّ أنّ تشدّدهم في هذا الإحرام ليس ببرّ، وأعلمهم أنّ البرّ التّقيّ، فقال: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقٰى﴾.

المعنى ولكن البرّ برّ من اتّقى مخالفة أمر الله عزّوجلّ.

(١: ٢٦٢)

الطُّوسيّ: قيل في معناه وجهان:

أحدهما: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقٰى﴾ كما قلنا في قوله: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ﴾.

والثّاني: على وقوع المصدر موقع الصّفة، كأنّه قال: ولكنّ البارّ ﴿مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ﴾.

وقيل في معنى الآية قولان:

أحدهما: أنّه كان قومٌ من الجاهليّة إذا أحرموا، نقبوا في ظهر بيوتهم نقبًا، يدخلون منه ويخرجون، فنهوا عن التّديّن بذلك، وأُمروا أن يأتوا البيوت من أبوابها، في قول ابن عَبّاس والبراء وقَتادَة وعطاء.

والثّاني: قال قومٌ واختاره الجُبّائيّ: إنّه مَثَل ضربه الله لهم ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ اَبْوَابِهَا﴾ البقرة: ١٨٩، أي آتوا البرّ من وجهه الّذي أمر الله به ورغب فيه، وهذا الوجه حسَن. (٢: ١٤١)

الزّمَخْشَريّ: وليس البرّ بتحرّجكم من دخول الباب، ولكن البرّ برّ من اتّقى ماحرّم الله.

فإن قلت: ماوجه اتّصاله بما قبله؟

قلت: كأنّه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلّة وعن الحكمة في نقصانها ـ وتمامها معلوم ـ أنّ كلّ مايفعله الله عزّوجلّ لايكون إلّا حكمة بالغة ومصلحة لعباده، فدعوا السّؤال عنه، وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم ممّا ليس من البرّ في شيء، وأنتم تحسبونها برًّا.

ويجوز أن يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنّها مواقيت للحجّ، لأنّه كان من أفعالهم في الحجّ، ويحتمل أن يكون هذا تمثيلًا لتعكيسهم في سؤالهم، وأنّ مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت، ويدخله من ظهره.

والمعنى: ليس البرّ وماينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم، ولكن البرّ برّ من اتّقى ذلك وتجنّبه، ولم يجسر على مثله. (١: ٣٤٠)

الطَّبْرِسيّ: أنّ معناه ليس البرّ طلب المعروف من غير أهله، وإنّما البرّ طلب المعروف من أهله ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ

﴿مَنِ اتَّقَىٰ﴾ قد مرّ معناه. (١: ٢٨٤)

الفَخْر الرّازيّ: أمّا قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ ففيه مسائل:

المسألة الأُولى: ذكروا في سبب نزول هذه الآية وجوهًا:

أحدها: قال الحسن والأصمّ: كان الرّجل في الجاهليّة إذا همّ بشيء فتعسّر عليه مطلوبه لم يدخل بيته من بابه بل يأتيه من خلفه، ويبق على هذه الحالة حولًا كاملًا، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، لأنّهم كانوا يفعلونه تطيّرًا، وعلى هذا تأويل الآية ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ على وجه التّطيّر، لكن البرّ من يتّقي الله ولم يتّقِ غيره، ولم يخف شيئًا كان يتطيّر به، بل توكّل على الله تعالى واتّقاه وحده، ثمّ قال: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي لتفوزوا بالخير في الدّين والدّنيا، كقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ...وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ الطّلاق: ٢ ـ ٤.

وتمام التّحقيق في الآية: أنّ من رجع خائبًا يقال: ماأفلح وماأنجح، فيجوز أن يكون الفلاح المذكور في الآية هو أنّ الواجب عليكم أن تتّقوا الله حتّى تصيروا مفلحين منجحين. وقد وردت الأخبار عن النّبيّ ﷺ بالنّهي عن التّطيّر، وقال: «لاعدوى ولاطيرة» وقال: «من ردّه عن سفره تطيّر فقد أشرك» أو كما قال: وأنّه كان يكره الطّيرة ويحبّ الفأل الحسن، وقد عاب الله تعالى قومًا تطيّروا بموسى ومن معه ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ﴾ النّمل: ٤٧.

الوجه الثّاني في سبب نزول هذه الآية: روي أنّ في أوّل الإسلام كان إذا أحرم الرّجل منهم، فإن كان من أهل المدن نَقَب نقبًا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج، أو يتّخذ سُلّمًا يصعد منه سطح داره ثمّ ينحدر، وإن كان من أهل الوبَر خرج من خلف الخباء، فقيل لهم: ليس البرّ بتحرّجكم عن دخول الباب، ولكن البرّ من اتّقى.

الوجه الثّالث: إنّ أهل الجاهليّة إذا أحرم أحدهم نقّب خلف بيته أو خيمته نَقبًا، منه يدخل ويخرج إلّا الحُمس ـ وهم قريش، وكنانة، وخزاعة، وثقيف، وخيثم، وبنو عامر بن صعصعة، وبنو نصر بن معاوية، وهؤلاء سمّوا حُمْسًا لتشدّدهم في دينهم، والحماسة: الشّدّة، وهؤلاء متى أحرموا لم يدخلوا بيوتهم ألبتّة، ولايستظلّون الوبَر، ولايأكلون السّمن والأقط ـ ثمّ إنّ رسول الله ﷺ كان مُحرمًا ورجل آخر كان مُحرمًا، فدخل رسول الله ﷺ حال كونه محرمًا من باب بستان قد خرب، فأبصره ذلك الرّجل الّذي كان محرمًا فأتبعه، فقال له ﷺ: تنحّ عنّي. قال: ولِمَ يارسول الله؟ قال: دخلت الباب وأنت مُحرم. فوقف ذلك الرّجل فقال: إنّي رضيت بسنّتك وهديك، وقد رأيتك دخلت فدخلت، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأعلمهم أنّ تشديدهم في أمر الإحرام ليس ببرّ، ولكن البرّ من اتّقى مخالفة الله، وأمرهم بترك سنّة الجاهليّة، فقال: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ فهذا ماقيل في سبب نزول هذه الآية.

المسألة الثّانية: ذكروا في تفسير الآية ثلاثة أوجه:

الأوّل: وهو قول أكثر المفسّرين حمل الآية على هذه الأحوال الّتي رويناها في سبب النّزول، إلّا أنّ على

هذا التّقدير صعب الكلام في نظم الآية، فإنّ القوم سألوا رسول الله ﷺ عن الحكمة في تغيّر نور القمر، فذكر الله تعالى الحكمة في ذلك، وهي قوله: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ البقرة: ١٨٩، فأيّ تعلّق بين بيان الحكمة في اختلاف نور القمر، وبين هذه القصّة، ثمّ القائلون بهذا القول أجابوا عن هذا السّؤال من وجوه:

أحدها: أنّ الله تعالى لمّا ذكر أنّ الحكمة في اختلاف أحوال الأهلّة جعلها مواقيت للنّاس والحجّ، وكان هذا الأمر من الأشياء الّتي اعتبروها في الحجّ، لاجرم تكلّم الله تعالى فيه.

وثانيها: أنّه تعالى إنّما وصل قوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ بقوله: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ لأنّه اتّفق وقوع القصّتين في وقت واحد، فنزلت الآية فيهما معًا في وقت واحد، ووصل أحد الأمرين بالآخر.

وثالثها: كأنّهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال الأهلّة، فقيل لهم: اتركوا السّؤال عن هذا الأمر الّذي لايعنيكم وارجعوا إلى ماالبحث عنه أهمّ لكم، فإنّكم تظنّون أنّ إتيان البيوت من ظهورها برّ، وليس الأمر كذلك.

القول الثّاني في تفسير الآية: أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ مثل ضربه الله تعالى لهم، وليس المراد ظاهره. وتفسيره: أنّ الطّريق المستقيم المعلوم، هو أنّ يستدلّ بالمعلوم على المظنون، فأمّا أن يستدلّ بالمظنون على المعلوم فذاك عكس الواجب، وضدّ الحقّ.

وإذا عرفت هذا فنقول: إنّه قد ثبت بالدّلائل أنّ للعالم صانعًا مختارًا حكيمًا، وثبت أنّ الحكيم لايفعل إلّا الصّواب البريء عن العبث والسّفه، ومتى عرفنا ذلك، وعرفنا أنّ اختلاف أحوال القمر في النّور من فعله، علمنا أنّ فيه حكمة ومصلحة، وذلك لأنّ علمنا بهذا الحكيم الّذي لايفعل إلّا للحكمة، يفيدنا القطع بأنّ فيه حكمة، لأنّه استدلال بالمعلوم على المجهول، فأمّا أن يستدلّ بعدم علمنا بما فيه من الحكمة على أنّ فاعله ليس بحكيم، فهذا الاستدلال باطل، لأنّه استدلال بالمجهول على القدح في المعلوم.

إذا عرفت هذا فالمراد من قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ يعني أنّكم لمّا لم تعلموا حكمته في اختلاف نور القمر، صرتم شاكّين في حكمة الخالق، فقد أتيتم الشّيء لامن البرّ ولامن كمال العقل، إنّما البرّ بأن تأتوا البيوت من أبوابها، فتستدلّوا بالمعلوم المتيقّن وهو حكمة خالقها، على هذا المجهول، فتقطعوا بأنّ فيه حكمة بالغة، وإن كنتم لاتعلمونها. فجعل إتيان البيوت من ظهورها كناية عن العدول عن الطّريق الصّحيح، وإتيانها من أبوابها كناية عن التّمسّك بالطّريق المستقيم.

وهذا طريق مشهور في الكناية، فإنّ من أرشد غيره إلى الوجه الصّواب يقول له: ينبغي أن تأتي الأمر من بابه، وفي ضدّه يقال: إنّه ذهب إلى الشّيء من غير بابه، قال تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ آل‌عمران: ١٨٧، وقال: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ هود: ٩٢، فلمّا كان هذا طريقًا مشهورًا معتادًا في الكنايات، ذكره

الله تعالى هاهنا وهذا تأويل المتكلّمين، ولا يصحّ تفسير هذه الآية فإنّ تفسيرها بالوجه الأوّل يطرق إلى الآية سوءَ التّرتيب، وكلام الله منزّه عنه.

القول الثّالث في تفسير الآية: ماذكره أبومسلم: أنّ المراد من هذه الآية ماكانوا يعملونه من النّسيء، فإنّهم كانوا يُخرجون الحجّ عن وقته الّذي عيّنه الله له، فيُحرّمون الحلال ويُحلّون الحرام، فذكر إتيان البيوت من ظهورها مثَل لمخالفة الواجب في الحجّ وشهوره.

المسألة الثّالثة: قوله تعالى: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقٰى﴾ تقديره: ولكن البرّ برّ من اتّقى، فهو كقوله: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ﴾. (٥: ١٣٦)

البَيضاويّ: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِاَنْ تَاْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ وقرأ أبوعمرو وورش وحفص بضمّ الباء والباقون بالكسر ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقٰى﴾ وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف (وَلٰكِن) ورفع (البرّ).

كانت الأنصار إذا أحرموا لم يدخلوا دارًا ولافُسطاطًا من بابه، وإنّما يدخلون ويخرجون من نَقْب أو فُرجة وراءه، ويعدّون ذلك برًّا، فبيّن لهم أنّه ليس ببرّ، وإنّما البرّ برّ من اتّقى المحارم والشّهوات.

ووجه اتّصاله بما قبله[1] أنّهم سألوا عن الأمرين، أو أنّه لمّا ذكر أنّها مواقيت الحجّ وهذا أيضًا من أفعالهم في الحجّ ذكره للاستطراد.

أو أنّهم لمّا سألوا عمّا لايَعنيهم ولايتعلّق بعلم النّبوّة وتركوا السّؤال عمّا يَعنيهم ويختصّ بعلم النّبوّة، عقّب بذكره جواب ماسألوه، تنبيهًا على أنّ اللّائق بهم أن يسألوا أمثال ذلك ويهتمّوا بالعلم بها.

أو أنّ المراد به التّنبيه على تعكيسهم السّؤال بتمثيل حالهم بحال مَن ترك باب البيت ودخل من ورائه. والمعنى وليس البرّ أن تعكسوا مسائلكم ولكن البرّ برّ مَن اتّقى، ولم يجسر على مثله. (١: ١٠٤)

النّسَفيّ: أي ليس البرّ بتحرّجكم من دخول الباب. ولاخلاف في رفع (البرّ) هنا لأنّ الآية ثَمّة تحتمل الوجهين ـ كما بيّنّا ـ فجاز الرّفع والنّصب ثَمّة، وهذه لاتحتمل إلّا وجهًا واحدًا وهو الرّفع؛ إذ الباء لاتدخل إلّا على خبر (لَيْسَ): ولكن البرّ برّ من اتّقى ماحرّم الله. (١: ٩٧)

أبوحَيّان: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقٰى﴾، التّأويلات الّتي في قوله: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ﴾ سائغة هنا، من أنّه أطلق (البرّ) وهو المصدر على من وقع منه على سبيل المبالغة، أو فيه حذف من الأوّل، أي ذاالبرّ، ومن الثّاني، أي برّ من آمن، وتقدّم التّرجيح في ذلك.

وهذه الآية كأنّها مختصرة من تلك، لأنّ هناك عدّ أوصافًا كثيرة من الإيمان بالله إلى سائر تلك الأوصاف، وقال في آخرها: ﴿اُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ وقال هنا: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقٰى﴾.

والتّقوى لاتحصل إلّا بحصول تلك الأوصاف، فأحال هنا على تلك الأوصاف ضمنًا إذ جاء معها هو المتّقي.

وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف (وَلٰكِنْ) ورفع (البرّ) والباقون بالتّشديد والنّصب. (٢: ٦٤)

رشيد رضا: أي إنّ البرّ هو تقوى الله تعالى

(١) أي سؤالهم عن الأهلّة.

بالتّخلّي عن المعاصي والرّذائل، وعمل الخير، والتّحلّي بالفضائل، واتّباع الحقّ، واجتناب الباطل. (٢: ٢٠٧)

الطَّباطَبائيّ: إنّ قوله: (وَلَيْسَ الْبِرُّ) إلى آخره، كناية عن النّهي عن امتثال الأوامر الإلهيّة، والعمل بالأحكام المشرّعة في الدّين إلّا على الوجه الّذي شرّعت عليه، فلا يجوز الحجّ في غير أشهره، ولا الصّيام في غير شهر رمضان وهكذا، وكانت الجملة على هذا متمّمًا لأوّل الآية.

وكأنّ المعنى أنّ هذه الشّهور أوقات مضروبة لأعمال شُرّعت فيها، ولا يجوز التّعدّي بها عنها إلى غيرها، كالحجّ في غير أشهره، والصّوم في غير شهر رمضان وهكذا، فكانت الآية مشتملة على بيان حكم واحد.

وعلى التّقدير الأوّل الّذي يؤيّده النّقل فنفي البرّ عن إتيان البيوت من ظهورها يدلّ على أنّ العمل المذكور لم يكن ممّا أمضاه الدّين، وإلّا لم يكن معنًى لنفي كونه برًّا، فإنّما كان ذلك عادة سيّئة جاهليّة، فنفى الله تعالى كونه من البرّ، وأثبت أنّ البرّ هو التّقوى.

وكان الظّاهر أن يقال: ولكن البرّ هو التّقوى، وإنّما عدل إلى قوله: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقٰى﴾ إشعارًا بأنّ الكمال إنّما هو في الاتّصاف بالتّقوى، وهو المقصود دون المفهوم الخالي، كما مرّ نظيره في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ﴾. (٢: ٥٦)

٤ ـ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَاِنَّ اللّٰهَ بِهِ عَلِيمٌ. آل‌عمران: ٩٢

أبوذرّ: إنّ (البرّ) هو الخير. (الفخر الرّازيّ ٨: ١٤٣)

ابن عبّاس: يعني ما عند الله من الثّواب والكرامة والجنّة حتّى تنفقوا ممّا تحبّون من المال، ويقال: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ لن تبلغوا إلى التّوكّل والتّقوى. (تنوير المقباس: ٥٢)

أنّه الجنّة. (ابن الجوزيّ ١: ٤٢٠)

مثله مُجاهِد والسُّدّيّ (ابن الجوزيّ ١: ٤٢٠)، وابن مَسعود وعطاء وعمرو بن ميمون (القُرطُبيّ ٤: ١٣٣).

العَوفيّ: الطّاعة. (ابن الجوزيّ ١: ٤٢٠)

عطاء: التّقوى.

مثله مُقاتِل. (ابن الجوزيّ ١: ٤٢٠)

قَتادَة: يقول: لن تنالوا برّ ربّكم حتّى تنفقوا ممّا يعجبكم، وممّا تهوون من أموالكم. (الطَّبَريّ ٣: ٣٤٧)

الإمام الصّادق عليه السّلام: قال مفضّل بن عمر: دخلت على أبي عبد الله عليه السّلام يومًا ومعي شيء فوضعته بين يديه، فقال: ما هذا؟ فقلت: هذه صلة مواليك وعبيدك، قال:

فقال لي: يا مفضّل، إنّي لا أقبل ذلك وما أقبل من حاجة بي إليه وما أقبله إلّا ليزكّوا به، ثمّ قال: سمعت أبي يقول: من مضت له سنة لم يصلنا من ماله قلّ أو كثُر لم ينظر الله إليه يوم القيامة إلّا أن يعفو الله عنه.

ثمّ قال: يا مفضّل إنّها فريضة فرضها الله على شيعتنا في كتابه، إذ يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فنحن البرّ والتّقوى وسبيل الهُدى وباب

التّقوى، ولايحجب دعاؤنا عن الله، اقتصروا على حلالكم، وحرامكم فاسألوا عنه، وإيّاكم أن تسألوا أحدًا من الفقهاء عمّا لايغنيكم وعمّا ستر الله عنكم. (البحرانيّ ١: ٢٩٧)

الطَّبَريّ: يعني بذلك جلّ ثناؤه: لن تدركوا أيّها المؤمنون (البرّ) وهو البرّ من الله الّذي يطلبونه منه بطاعتهم إيّاه، وعبادتهم له، ويرجونه منه، وذلك تفضّله عليهم بإدخالهم جنّته، وصرف عذابه عنهم، ولذلك قال كثير من أهل التّأويل: (البرّ): الجنّة، لأنّ برّ الرّبّ بعبده في الآخرة، وإكرامه إيّاه، بإدخاله الجنّة.

فتأويل الكلام: لن تنالوا أيّها المؤمنون جنّة ربّكم، حتّى تُنفقوا ممّا تُحبّون، يقول: حتّى تتصدّقوا ممّا تُحبّون وتهوون أن يكون لكم من نفيس أموالكم. (٣: ٣٤٧)

الماوَرْديّ: في (البرّ) ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنّ (البرّ) ثواب الله تعالى.

والثّاني: أنّه فعل الخير الّذي يُستحقّ به الثّواب.

والثّالث: [قول السُّدّيّ وقد تقدّم] (١: ٤٠٨)

مثله الطُّوسيّ. (٢: ٥٣٠)

الزَّمَخْشَريّ: لن تبلغوا حقيقة البرّ ولن تكونوا أبرارًا، وقيل: لن تنالوا برّ الله، وهو ثوابه ﴿حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ﴾. (١: ٤٤٤)

نحوه البَيْضاويّ. (١: ١٧١)

الفَخر الرّازيّ: للمفسّرين في تفسير (البرّ) قولان:

أحدهما: مابه يصيرون أبرارًا حتّى يدخلوا في قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ المطفّفين: ٢٢، فيكون المراد بـ(البرّ) مايحصل منهم من الأعمال المقبولة.

والثّاني: الثّواب والجنّة، فكأنّه قال: لن تنالوا هذه المنزلة، إلّا بالإنفاق على هذا الوجه.

أمّا القائلون بالقول الأوّل، فمنهم من قال: (البرّ) هو التّقوى، واحتجّ بقوله: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ إلى قوله: ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

وقال أبوذرّ: إنّ (البرّ) هو الخير، وهو قريب ممّا تقدّم.

وأمّا الّذين قالوا: (البرّ) هو الجنّة، فمنهم من قال: (لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ) أي لن تنالوا ثواب البرّ. ومنهم من قال: المراد برّ الله أولياءه وإكرامه إيّاهم وتفضّله عليهم، وهو من قول النّاس: برّني فلانٌ بكذا، وبرُّ فلان لاينقطع عنّي، وقال تعالى: ﴿لايَنْهٰيكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ الممتحنة: ٨. (٨: ١٤٣)

نحوه النّيسابوريّ. (٥: ٤)

القُرطُبيّ: وقيل: (البرّ) العمل الصّالح. وفي الحديث الصّحيح: «عليكم بالصّدق فإنّه يهدي إلى البرّ وأنّ البرّ يهدي إلى الجنّة». (٤: ١٣٣)

الخازِن: [وبعد نقل أقوال المتقدّمين قال:]

وأصل البرّ: التّوسّع في فعل الخير، يقال: برّ العبدُ ربّه، أي توسّع في طاعته. فالبرّ من الله: الثّواب، ومن العبد: الطّاعة. وقد يستعمل في الصّدق وحُسن الخلق، لأنّهما من الخير المتوسّع فيه. (١: ٣١٧)

أبوالسّعود: لن تبلغوا حقيقة البرّ الّذي يتنافس فيه المتنافسون، ولن تدركوا شأوه، ولن تلحقوا بزُمرة الأبرار، أو لن تنالوا برّ الله تعالى، وهو ثوابه ورحمته

ورضاه وجنّته. (١: ٣٨٩)

مثله البُرُوسَويّ. (٢: ٦٢)

الآلوسيّ: (البرّ): الإحسان وكمال الخير. وبعضهم يفرّق بينه وبين «الخير» بأنّ البرّ هو النّفع الواصل إلى الغير مع القصد إلى ذلك، والخير هو النّفع مطلقًا وإن وقع سهوًا. وضدّ البرّ: العقوق، وضدّ الخير: الشّرّ.

و«أل» فيه إمّا للجنس والحقيقة، والمراد: لن تكونوا أبرارًا حتّى تنفقوا، وهو المرويّ عن الحسن.

وإمّا لتعريف العهد، والمراد: لن تصيبوا برّ الله تعالى بأهل طاعته حتّى تنفقوا، وإلى ذلك ذهب مُقاتِل، وعطاء.

وذهب بعضهم إلى أنّ الكلام على حذف مضاف، أي لن تنالوا ثواب البرّ. (٣: ٢٢٢)

رشيد رضا: واختلفوا في (البرّ) المراد هنا، الّذي لاينالهُ المرء، أي يصيبه ويدركه إلّا إذا أنفق ممّا يحبّ، فقيل: هو برّ الله تعالى وإحسانه مطلقًا، وقيل: الجنّة، وقيل: هو مايكون به الإنسان بارًّا، وهو ماتقدّم تفصيله في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ﴾ البقرة: ١٧٧، وفيها ﴿وَاٰتَى الْمَالَ عَلٰى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبٰى وَالْيَتَامٰى﴾.

وأنت ترى أنّه في هذه الآية جعل إيتاء المال على حبّه شعبة من شعب (البرّ) كما جعل في سورة الإنسان إطعام الطّعام على حبّه صفة من صفات الأبرار. ولكنّه في الآية الّتي نفسّرها جعل الإنفاق ممّا يُحبّ غاية لاينال البرّ إلّا بالانتهاء إليها.

وقد فهم منه بعضهم أنّ من أنفق ممّا يحبّ كان برًّا وإن لم يأت بسائر شعب البرّ، من الإيمان بجميع أركانه، وإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة، والوفاء بالعهد، والصّبر في البأساء والضّرّاء، وحين البأس.

وليس مافهم بصواب إنّما الصّواب أنّ الإنسان لايكون برًّا بالقيام بهذه الخصال حتّى ينتهي إلى هذه الخصلة: الإنفاق ممّا يحبّ، وماجعلها غاية إلّا وهي أشقّ على النّفوس وأبعد عن الحصول، إلّا من وفّقه الله تعالى، ووهبه الكمال. (٣: ٣٧٢)

الطَّباطَبائيّ: ومراده من فعل الخير أعمّ ممّا هو فعل القلب كالاعتقاد الحقّ والنّيّة الطّاهرة، أو فعل الجوارح كالعبادة لله والإنفاق في سبيل الله تعالى. وقد اشتمل على القسمين جميعًا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾...الآية، البقرة: ١٧٧.

ومن انضمام الآية إلى قوله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ يتبيّن أنّ المراد بها أنّ إنفاق المال على حبّه أحد أركان (البرّ) الّتي لايتمّ إلّا باجتماعها. نعم جعل الإنفاق غاية لنيل (البرّ) لايخلو عن العناية والاهتمام بأمر هذا الجزء بخصوصه، لما في غريزة الإنسان من التّعلّق القلبيّ بما جمعه من المال، وعدّه كأنّه جزء من نفسه إذا فقده، فكأنّه فقد جزءً من حياة نفسه، بخلاف سائر العبادات والأعمال الّتي لايظهر معها فوت ولازوال منه.

ومن هنا يظهر مافي قول بعضهم: إنّ (البرّ) هو الإنفاق ممّا تحبّون، وكأنّ هذا القائل جعلها من قبيل قول القائل: لاتنجو من ألم الجوع حتّى تأكل، ونحو ذلك،

لكنّه محجوج بما مرّ من الآية.

ويتبيّن من آية البقرة المذكورة أيضًا أنّ المراد بـ(البرّ) هو ظاهر معناه اللّغويّ، أعني التّوسّع في الخير، فإنّها بيّنته، بجامع الخيرات الاعتقاديّة والعمليّة. ومنه يظهر مافي قول بعضهم: إنّ المراد بـ(البرّ) هو إحسان الله وإنعامه، ومافي قول آخرين: إنّ المراد به الجنّة. (٣: ٣٤٤)

نحوه مكارم الشّيرازيّ. (٢: ٤٤٧)

٥ ـ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَاتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

المائدة: ٢

ابن عبّاس: على الطّاعة. (تنوير المقباس: ٨٨)

(البرّ): ماأُمرت به. (الطّبريّ ٦: ٦٧)

(البرّ): متابعة السّنّة. (الخازن ٢: ٦)

الماوَرْديّ: ندب الله سبحانه إلى التّعاون بالبرّ وقرنه بالتّقوى له، لأنّ في التّقوى رضا الله تعالى، وفي البرّ رضا النّاس. ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا النّاس فقد تمّت سعادته وعمّت نعمته.

(القُرطُبيّ ٦: ٤٧)

الزّمَخْشَريّ: على العفو والإغضاء. (١: ٥٩٢)

ابن عطيّة: ﴿عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ قال قوم: هما لفظان بمعنًى، وكرّر باختلاف اللّفظ تأكيدًا ومبالغة، إذ كلّ برّ تقوى وكلّ تقوى برّ.

وفي هذا تسامح مّا، والعرف في دلالة هذين اللّفظين أنّ البرّ: يتناول الواجب والمندوب إليه، والتّقوى: رعاية الواجب، فإن جعل أحدهما بدل الآخر فبتجوّز.

ثمّ نهى تعالى عن التّعاون على الإثم وهو الحكم اللّاحق عن الجرائم، وعن العدوان وهو ظلم النّاس، ثمّ أمر بالتّقوى وتوعّد توعّدًا مجملًا بشدّة العقاب.

وروي أنّ هذه الآية نزلت نهيًا عن الطّلب بذحول الجاهليّة، إذ أراد قوم من المؤمنين ذلك، قاله مُجاهد. وقد قتل بذلك حليف لأبي سفيان من هُذَيل.

(٢: ١٥٠)

القُرطُبيّ: وقال ابن خويز منداد في «أحكامه»: والتّعاون على البرّ والتّقوى يكون بوجوه، فواجب على العالم أن يعين النّاس بعلمه فيعلّمهم، ويعينهم الغنيّ بماله، والشّجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة «المؤمنون تتكافؤ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم» ويجب الإعراض عن المتعدّي وترك النّصرة له، وردّه عمّا هو عليه. (٦: ٤٧)

البَيْضاويّ: على العفو والإغضاء، ومتابعة الأمر، ومجانبة الهوى. (١: ٢٦١)

الآلوسيّ: واختار غير واحد أنّ المراد بـ(البرّ) متابعة الأمر مطلقًا، وبـ(التّقوى) اجتناب الهوى، لتصير الآية من جوامع الكلم، وتكون تذييلًا للكلام، فيدخل في البرّ والتّقوى جميع مناسك الحجّ، فقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الحجّ: ٣٢، ويدخل العفو والإغضاء أيضًا دخولًا أوّليًّا. (٦: ٥٦)

رشيد رضا: وفي الحديث «البرّ: حسن الخلق، والإثم: ماحاك في النّفس وكرهت أن يطّلع عليه النّاس»

رواه مسلم وأصحاب السّنن عن النّواس بن سمعان، وروى أحمد والدّارميّ، وحسّنه النّوويّ في «الأربعين» عن وابصة بن معبد الجهنيّ رضي الله عنه أنّه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: «جئت تسأل عن البرّ» وفي رواية: «جئت تسأل عن البرّ والإثم»؟ قلت: نعم ـ وكان قد جاء لأجل ذلك، فأخبره النّبيّ ﷺ بما في نفسه وأجابه عنه ـ فقال: «استفتِ قلبك؛ البرّ: ما اطمأنّت إليه النّفس واطمأنّ إليه القلب، والإثم: ما حاك في النّفس وتردّد في الصّدر، وإن أفتاك النّاس وأفتوك».

وليس هذا تفسيرًا للبرّ والإثم بالمعنى الشّرعيّ ولا اللّغويّ، وإنّما هو بيان لما يطلبه السّائل من الفرقان بين ما يُشتبه من البرّ والإثم، فيشكّ الإنسان هل هو منها أم لا. فأحاله ﷺ في ذلك على ضميره ووجدانه، وأرشده إلى الأخذ بالاحتياط الّذي تسكن إليه النّفس، ويطمئنّ به القلب، وإن خالف فتوى المفتين الّذين يراعون الظّواهر دون دقائق الاحتياط الخفيّة، وكان ﷺ يجيب كلّ سائل بحسب حالته.

كان الصّحابة وسائر العرب يفهمون معنى «البرّ» وإنّما كان القرآن والنّبيّ يُبيّنان لهم خصال البرّ وأعماله وآياته، وما قد يغلطون في عدّه منه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِاَنْ تَاْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقٰى﴾ البقرة: ١٨٩، وكانوا في الجاهليّة يأتون البيوت من ظهورها إذا كانوا محرمين بالحجّ ويعدّون هذا من النّسك والبرّ.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾... الآية، البقرة: ١٧٧، فهذا بيان لأهمّ أركان البرّ في الدّين من الإيمان والعبادات البدنيّة والماليّة والأخلاق. وقال تعالى: ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوٰى﴾ المجادلة: ٩.

فمجموع ما ورد في البرّ مصداق لما فسّره به الرّاغب: من أنّه التّوسّع في فعل الخير، إذا أُريد به ما يشمل الأفعال النّفسيّة والأخلاق الحسنة، باعتبار ما ينشأ عنها من الأعمال. وقد قال: إنّه مشتقّ من البرّ بالفتح ـ الّذي هو مقابل البحر ـ بتصوّر سعته. وإلّا قلنا: إنّ البرّ: اسم لمجموع ما يتقرّب به إلى الله تعالى من الإيمان والأخلاق والآداب والأعمال، وكلّ واحد منها يعدّ خصلةً أو شعبةً من البرّ. (٦: ١٢٩)

نحوه المَراغيّ. (٦: ٤٦)

الطَّباطَبائيّ: المعنى واضح، وهذا أساس السّنّة الإسلاميّة. وقد فسّر الله سبحانه (البرّ) في كلامه: بالإيمان والإحسان في العبادات والمعاملات، كما مرّ في قوله تعالى: ﴿وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ﴾ البقرة: ١٧٧، وقد تقدّم الكلام فيه. و(التّقوى): مراقبة أمر الله ونهيه. (٥: ١٦٣)

عبد المنعم الجمّال: ما اطمأنّ إليه القلب. (١: ٦٧٢)

٦ـ يَاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. المجادلة: ٩

الطَّبَريّ: يعني طاعة الله وما يقرّبكم منه. (٢٨: ١٥)

نحوه الواحديّ (٤: ٢٦٤)، والشّربينيّ (٤: ٢٢٧).

الطُّوسيّ: أي بأفعال الخير. (٩: ٥٤٩)

النّسفيّ: بأداء الفرائض والطّاعات. (٤: ٢٣٤)

أبوالسُّعود: أي بما يتضمّن خير المؤمنين.

(٦: ٢١٧)

مثله البُرُوسَويّ (٩: ٤٠١)، والآلوسيّ (٢٨: ٢٧).

الطَّباطَبائيّ: (البِرّ) وهو التّوسّع في فعل الخير يقابل العدوان. (١٩: ١٨٧)

البَرّ

١ـ ...وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. الأنعام: ٥٩

ابن عَبّاس: من الخلق والعجائب.

(تنوير المقباس: ١١٦)

مُجاهِد: (البَرّ): المفاوز والقفار (وَالْبَحْر) القُرى والأمصار، لايحدث فيها شيء إلّا يعلمه.

(البغويّ ٢: ١٢٩)

نحوه الآلوسيّ. (٧: ١٧١)

الماوَرْديّ: فيه وجهان:

أحدهما: أنّ (مَا فِي الْبَرّ) ماعلى الأرض، وما في (الْبَحْرِ) ماعلى الماء، وهو الظّاهر، وبه قال الجمهور.

والثّاني: أنّ (البَرّ) القفر، (وَالْبَحْر) القُرى، لوجود الماء فيها، فلذلك سمّيت بحرًا. (٢: ١٢١)

الطُّوسيّ: يعلم مافي البَرّ والبحر من الحيوان والجماد. (٤: ١٦٧)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٢: ٣١١)، وشُبّر (٢: ٢٦٧).

البَغَويّ: قيل: هو البَرّ والبحر المعروف.

(٢: ١٣٠)

الفَخْر الرّازيّ: وفيه دقيقة أُخرى، وهي أنّه تعالى قدّم ذكر (البَرّ) لأنّ الإنسان قد شاهد أحوال البَرّ وكثرة مافيه من المُدن والقُرى والمفاوز والجبال والتّلال، وكثرة مافيها من الحيوان والنّبات والمعادن. وأمّا (الْبَحْر) فإحاطة العقل بأحواله أقلّ، إلّا أنّ الحسّ يدلّ على أنّ عجائب البحار في الجملة أكثر وطولها وعرضها أعظم، ومافيها من الحيوانات وأجناس المخلوقات أعجب. (١٣: ١٠)

نحوه النّيسابوريّ (٧: ١٢١)، والشّربينيّ (١: ٤٢٤).

القُرطُبيّ: خصّهما بالذّكر، لأنّهما أعظم المخلوقات المجاورة للبشر، أي يعلم مايهلك في البَرّ والبحر.

ويقال: يعلم مافي البَرّ من النّبات والحبّ والنّوى، ومافي البحر من الدّوابّ، ورزق مافيها. (٧: ٤)

النّسفيّ: ﴿مَا فِي الْبَرِّ﴾ من النّبات والدّوابّ (وَالْبَحْرِ) من الحيوان والجواهر وغيرهما. (٢: ١٥)

الخازِن: قال جمهور المفسّرين: هو البَرّ والبحر المعروفان، لأنّ جميع الأرض إمّا بَرّ وإمّا بحر، وفي كلّ واحدٍ منهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته مايدلّ على عظيم قدرته وسعة علمه. (٢: ١١٦)

أبوحَيّان: وقدّم (البَرّ) لكثرة مشاهدتنا لما اشتمل عليه من المدن والقرى والمفاوز والجبال والحيوان والنّبات والمعادن، أو على سبيل التّرقّي إلى ماهو أعجب

في الجملة، لأنّ مافيه من أجناس الحيوانات أعجب، وطوله وعرضه أعظم، والبرّ: مقابل البحر.

وقيل: (البرّ) القفار و(البحر) المعروف، فالمعنى ويعلم مافي البرّ من نبات ودوابّ وأحجار وأمدار وغير ذلك، ومافي البحر من حيوان وجواهر وغير ذلك.

وقيل: لم يرد ظاهر البرّ والبحر، وإنّما أراد أنّ علمه تعالى محيط بنا وبما أعدّ لمصالحنا من منافعها، وخصّا بالذّكر، لأنّهما أعظم مخلوق يجاورنا. (٤: ١٤٥)

أبوالسّعود: أي يعلم مافيها من الموجودات مفصّلة على اختلاف أجناسها وأنواعها وتكثّر أفرادها. (٢: ٣٩٣)

البُرُوسَويّ: هو عالم الشّهادة والصّورة، والبحر وهو عالم الغيب والملكوت، يدلّ على هذا المعنى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الأنعام: ٧٣. (٣: ٤٣)

رشيد رضا: وذلك لأنّ أحد أقسام معلومات الله هو جميع دوابّ البرّ والبحر، والحسّ والخيال قد وقف على عظمة أحوال البرّ والبحر، فذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظمة ذلك المعقول، وفيه دقيقة أخرى، وهي أنّه تعالى قدّم ذكر البرّ. [ثمّ نقل كلام الفخر الرّازيّ] (٧: ٤٦٠)

الطّباطَبائيّ: تعميم لعلمه بما يمكن أن يتعلّق به علم غيره، ممّا ربّما يحضر بعضه عند بعض وربّما يغيب بعضه عن بعض، وإنّما قدّم (مَا فِي الْبَرّ)، لأنّه أعرف عند المخاطبين من النّاس. (٧: ١٢٩)

طه الدُّرّة: البرّ بفتح الباء، وهو الأرض القفر الّتي لاماء فيها ولانبات، والبحر: القرى والأمصار، ولايحدث فيها شيء إلّا والله يعلمه، قاله مُجاهِد.

وقال جمهور المفسّرين: هو البرّ والبحر المعروفان، لأنّ جميع الأرض إمّا برّ وإمّا بحر، وفي كلّ واحدٍ منها من عجائب مصنوعاته، وغرائب مبتدعاته مايدلّ على عظيم قدرته، وسعة علمه، وهذا هو المعتمد.

هذا والبِرّ بكسر الباء: كلمة جامعة لجميع خصال الخير الدّنيويّة والأُخرويّة، والبُرّ بضمّ الباء: القمح الحِنطة الّتي نأكلها خبزًا. (٤: ١٥٤)

٢ـ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾. الإسراء: ٧٠

ابن عبّاس: (فِي الْبَرِّ) على الدّوابّ (وَالْبَحْرِ) في البحر على السُّفن. (تنوير المقباس: ٢٣٩)

نحوه الطَّبَريّ. (١٥: ١٢٥)

الطُّوسيّ: ثمّ بيّن تعالى الوجوه الّتي كرّم بها بني آدم بأنّه حملهم في البرّ والبحر على مايحملهم من الإبل وغيرها، كما قال: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ النّحل: ٨، والبحر والسّفن الّتي خلقها لهم وأجراها بالرّياح فوق الماء ليبلغوا بذلك حوائجهم. (٦: ٥٠٣)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٣: ٤٢٩)

الفَخْر الرّازيّ: من المدائح المذكورة في هذه الآية قوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ قال ابن عبّاس: (فِي الْبَرّ) على الخيل والبغال والحمير والإبل، وفي (الْبَحْر) على السُّفن.

وهذا أيضًا من مؤكّدات التكريم المذكور أوّلًا، لأنّه تعالى سخّر هذه الدّوابّ له حتّى يركبها، ويحمل عليها، ويغزو ويقاتل، ويذبّ عن نفسه، وكذلك تسخير الله تعالى المياه والسّفن وغيرها ليركبها وينقل عليها، ويتكسّب بها ممّا يختصّ به ابن آدم، كلّ ذلك ممّا يدلّ على أنّ الإنسان في هذا العالم كالرّئيس المتبوع والملك المطاع، وكلّ ماسواه فهو رعيّته وتبع له. (۲۱: ۱۵)

الآلوسيّ: على أكباد رطبة وأعواد يابسة من الدّوابّ والسّفن، فهو من حملته على كذا، إذا أعطيته مايركبه ويحمله، فالمحمول عليه مقدّر بقرينة المقام. (۱۵: ۱۱۸)

الطّباطبائيّ: أي حملناهم على السّفن والدّوابّ وغير ذلك يركبونها إلى مقاصدهم، وابتغاء فضل ربّهم ورزقه، وهذا أحد مظاهر تكريمهم. (۱۳: ۱۵۷)

٣ـ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَادُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. المائدة: ٩٦

راجع «ص ي د»

٤ـ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. الأنعام: ٦٣

راجع «ظ ل م»

٥ ـ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. الأنعام: ٩٧

راجع «ظ ل م»

٦ـ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ... يونس: ٢٢

راجع «س ي ر»

٧ـ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَاتَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا. الإسراء: ٦٨

راجع «ح ص ب»

٨ ـ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ءَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. النّمل: ٦٣

راجع «ظ ل م»

٩ـ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. الرّوم: ٤١

راجع «ب ح ر»

١٠ـ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيٰهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ. لقمان: ٣٢

راجع «ن ج و»

الوُجوه والنّظائر

مُقاتِل: تفسير (البِرّ) على ثلاثة وجوه:

فوجه منها: (البِرّ) يعني الصّلة، فذلك قوله: ﴿وَلَاتَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا﴾ البقرة: ٢٢٤، يعني لئلّا تصلوا القرابة، وقال: ﴿لَايَنْهَيكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ الممتحنة: ٨

والوجه الثّاني: (البِرّ) يعني الطّاعة، فذلك قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ المائدة: ٢، يعني ترك المعصية، نظيرها فيها، وقال في سورة مريم عن يحيى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ مريم: ١٤، يعني ترك المعصية، نظيرها فيها، يعني مطيعًا لوالديه، وقال في عيسى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ مريم: ٣٢، يعني مطيعًا لأُمّي مريم، وقال: ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ المجادلة: ٩، يعني مطيعين، وقال: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ يعني كتاب المطيعين ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ المطفّفين: ١٨.

والوجه الثّالث: (البِرّ) يعني التّقوى فذلك قوله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا﴾ آل‌عمران: ٩٢، يعني لن تبلغوا التّقى كلّه حتّى تنفقوا في الصّدقة ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وقال في البقرة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ يقول: ليس التّقوى ﴿أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، ولا أن تفعلوا غير ذلك ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ يعني التّقوى ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ إلى آخر الآية. وقال أيضًا: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ يعني بطاعة الله باتّباع محمّد النّبي ﷺ ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ البقرة: ٤٤. (٣١٠)

نحوه هارون الأعور (٣٤٨)، والدّامغانيّ (١٦٣)، والتّفليسيّ (٤٤).

الفيروز اباديّ: وقد ورد في القرآن على أربعة عشر وجهًا:

الأوّل: أعني (البَرّ) بالفتح خمسة:

الأوّل: بمعنى الحقّ جلّ اسمه وعلا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ الطور: ٢٨.

الثّاني: بمعنى الصّحراء ضدّ البحر ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الرّوم: ٤١، ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ الإسراء: ٧٠، ﴿فَلَمَّا نَجَّيهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ العنكبوت: ٦٥.

الثّالث: في مدح يحيى بن زكريّا ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ مريم: ١٤.

الرّابع: في المسيح عيسى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ مريم: ٣٢.

الخامس: في ساكني ملكوت السّماء: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ عبس: ١٥، ١٦.

وأمّا (البِرّ) بالكسر فأربعة:

الأوّل: بمعنى البارّ: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ البقرة: ١٧٧، أي البارّ.

الثّاني: بمعنى الخير: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل‌عمران: ٩٢.

الثّالث: بمعنى الطّاعة: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ البقرة: ٤٤.

الرّابع: بمعنى تصديق اليمين: ﴿وَلَاتَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ البقرة: ٢٢٤.

وقد جاء بمعنى صلة الرّحم ﴿لَايَنْهَيكُمُ اللهُ عَنِ

الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ الممتحنة: ۸، أي تصلوا أرحامكم.

و(الأبرار) مذكور في خمسة مواضع:

الأوّل: في صفة الأخيار، في جوار الغفّار ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ المطفّفين: ۱۸.

الثّاني: في صفة نظارتهم على غُرف دار القرار ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ المطفّفين: ۲۲، ۲۳.

الثّالث: في مجلس أُنسهم، ومجاورة المصطفى، وصحابته الأخيار ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ الدّهر: ۵.

الرّابع: في تقريرهم في قُبّة القربة من الله الكريم السّتّار: ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ آل‌عمران: ۱۹۸.

الخامس: في مرافقة بعضهم بعضًا يوم الرّحيل إلى دار القرار ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ آل‌عمران: ۱۹۳.

(بصائر ذوي التّمييز: ۲: ۲۱۱)

الأُصول اللُّغويّة

۱ـ الأصل في هذه المادّة هو «البرّ» خلاف البحر، والبرّيّة: نسبة إلى البرّ، وهي الصّحراء، سمّيت بذلك لاتّساعها. يقال: أبرّ فلانٌ، أي ركب البرّ، وأفصح العرب أبرُّهم، أي أبعدهم في البرّ والبدو دارًا.

والبرّيّ: نسبة إلى البرّ، خلاف البحريّ، واستُعمل بعد ذلك في كلّ ماينسب إلى البرّ بمعنى الصّحراء دون الآدميّين، فيقال مثلًا: نبات برّيّ: مقابل الأليف، وحيوان برّيّ: نقيض الأليف، وطير برّيّ: خلاف الدّاجن. كما صيغ وزن «فعْلانيّ» نسبة إلى البرّ بمعنى العلانية، كالصّنعانيّ نسبة إلى صنعاء، فقالوا: من أصلح جوّانيّه أصلح الله برّانيّه، أي من أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

۲ـ واشتقّ معنى الكثرة والزّيادة من البرّ، لوسعته وكثرة خيره، فأطلقوا البُرّ على الحنطة، وابن بُرّة على الخبز. وقالوا: أبرّت الأرض، أي كثر بُرّها، وبَرّت سلعته: نفقت، وأبرّ الرّجل إبرارًا: كثر وُلده، وأبرّ القوم: كثروا، وأبرّ على صاحبه في كذا، أي أكثر، وأبرّ عليه: غلبه، وأبرّه أيضًا: قهره بفعال أو غيره، وفي الحديث: «أبرّ ناضحهم»، أي غلب.

ومنه: البَرْبَرة، أي كثرة الكلام والجلَبة باللّسان، يقال: قد بَرْبَر الرّجل في كلامه، ورجل بربار: كثير الكلام بلافائدة، وكذا البَرْبَريّ.

والبَرْبَر: قوم يقطنون المغرب الأقصى، وهم طائفتان: الشّلوح والأمازغ، ولعلّ وجه تسميتهم بهذا الاسم لكثرة كلامهم وثرثرتهم، أو لانتسابهم إلى البرّ والبدو وبُعدهم عن الحضارة، وقد يُطلق البَرْبَريّ على كلّ من كان كذلك.

۳ـ وكما استعمل البَرّ ـ بالفتح ـ في الوسعة، والبُرّ ـ بالضّمّ ـ في الكثرة، فقد استعمل البِرّ ـ بالكسر ـ في الخير الكثير والصّدق والصّلاح وهذا أوسع معانيه، يقال: بَرِرتُ قريبي أبَرُّهُ وأبَرُّه برًّا، أي وصلته، وبَرّ حجّه يَبَرُّ برورًا، ويَبِرُّ برًّا: قُبِل، وكذا بَرّ الله حجّه وأبرّه، فهو مبرور، أي لايخالطه شيء من المآثم.

وبَرّتْ يمينُه تَبَرُّ وتَبِرُّ برًّا وبِرًّا وبُرورًا، أي صدقت،

وأبرّ قسم فلان: أمضاه على الصّدق، وكذا برّ في قسمه، أي صدقه ولم يحنث.

وفلان يَبَرُّ خالقه ويتبرّره، أي يطيعه، وبرّ والدَهُ يَبرُّهُ، وبِرَهُ ويَبَرُّهُ بِرًّا: أطاعه أيضًا، فهو بارّ من قوم بَرَرَة، وبَرٌّ من قوم أبرار. والأبرار هم الّذين كثر خيرهم، وبهذا المعنى جاء في القرآن كما يأتي.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت مشتقّات هذه المادّة في القرآن بالمعاني التّالية ـ وكلّها من مصاديق الخير سوى الأخير، أي «البَرّ» عديل البحر، فقد جاء حسب المعنى الأصليّ لهذه المادّة:

١ـ الصّدق في اليمين والعهد

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ البقرة: ٢٢٤

﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ المتحنة: ٨

٢ـ الإحسان:

أـ الله ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ الطّور: ٢٨

ب ـ يحيى ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ مريم: ١٤

ج ـ عيسى ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ مريم: ٣٢

د ـ عليّ وفاطمة والحسنان ـ حسب الرّوايات كما سنبحثها ـ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ الدّهر: ٥

٣ـ الطّاعة:

﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ آل‌عمران: ١٩٣

﴿نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ آل‌عمران: ١٩٨

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ الانفطار: ١٣، والمطفّفين: ٢٢

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ المطفّفين: ١٨

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ البقرة: ١٨٩

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: ٢

﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ المجادلة: ٩

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ عبس: ١٥، ١٦

٤ـ الإيمان بالنّبيّ:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ البقرة: ٤٤

٥ ـ الصّلاة:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ البقرة: ١٧٧

٦ـ الإيمان بالله وإطاعته:

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ البقرة: ١٧٧

٧ـ الثّواب:

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾
آل‌عمران : ٩٢

٨ ـ خلاف البحر:

هناك سبع آيات جاء فيها البرّ والبحر معًا، وقد تقدّمت في «ب ح ر»، وتمّ بحثها، فلاحظ، وأمّا عدا تلكم الآيات فكالآتي:

١ـ ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَادُمْتُمْ حُرُمًا﴾
المائدة : ٩٦

٢ـ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ الإسراء : ٦٧

٣ـ ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ الإسراء : ٦٨

٤ـ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ العنكبوت : ٦٥

٥ ـ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾
لقمان : ٣٢

ويلاحظ: أنّ أربعًا من هذه الآيات الخمس فيها مقارنة بين البرّ والبحر أيضًا بنحو آخر، والفرق بينها وبين تلك السّبع واضح، فإنّ المراد بها هناك الأرض جميعها، برًّا وبحرًا، أي العالم الأرضيّ بأجمعه، أمّا هنا فأُريد بها الأرض مقابل البحر، فلاحظ.

كلمات من هذه المادّة في القرآن:

أـ البِرّ، بكسر الباء: جاء ثماني مرّات في ستّ آيات:

١ـ ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ البقرة : ٤٤

٢ـ ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ البقرة : ١٧٧

٣ـ ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾
البقرة : ١٨٩

٤ـ ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾
آل‌عمران : ٩٢

٥ ـ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة : ٢

٦ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، المجادلة : ٩

يلاحظ أوّلًا: أنّ هذه الآيات كلّها مدنيّة، فيخطر بالبال أنّ الدّعوة إلى (البرّ) كانت شعارًا قرآنيًّا في مسرح المدينة، ولاسيّما في بَدْء الهجرة، فإنّ الآيات الأربع الأُولى جاءت في سورة البقرة، وهي أوّل ما نزل في المدينة على المشهور، وإن لانرتضيه بإطلاقه في جميع آياتها؛ إذ لم تنزل دفعة واحدة[1]. وتلتها آل‌عمران، وهكذا استمرّ هذا الشّعار إلى آخر السّور المدنيّة، وهي المائدة على الأشهر.

ثانيًا: أنّ (البرّ) فيها مقرون بنفي: (٢)، و(٣)، و(٤)، أو نهي: (٥)، و(٦)، أو توبيخ: (١)، وهذا يُنبئ عن حقيقة، وهي أنّ الوصول إلى البرّ صعب جدًّا، والطّريق إليه وَعِرٌ متفرّق السّبل، ولايستطيع العبد أن يكون على نهج الطّريق وجَدَده إلّا بتحمّل الصّعاب

---

(١) لاحظ المدخل، بحث المكّيّ والمدنيّ.

ومكابدة المشاقّ.

ثالثًا: لقد تكرّر (البرّ) في (٢) و(٣) ابتداءً بـالنّفي واستثناءً بـ(لكنّ) إثباتًا في سياق واحد، وهذا التّكرار والنّفي والإثبات من أساليب التّأكيد، وهو هنا مشعر بالاهتمام بتعريف (البرّ) والتّعرّف عليه، والتّمييز بين ماهو برّ حقًّا وماليس كذلك.

وجاء (البرّ) كذلك في (٥) و(٦) دون تكرار في سياق الجمع بين الأمر والنّهي، ابتداءً بالنّهي عن التّعاون على الإثم والعدوان ثمّ الأمر بالتّعاون على البرّ والتّقوى في (٥)، وعن التّناجي بالإثم والعدوان، والأمر بالتّناجي بالبرّ والتّقوى في (٦). وهذا الجمع بين النّهي عن شيء والأمر بضدّه من أساليب التّأكيد أيضًا، وقد نبّهنا عليه مرارًا.

رابعًا: قد جاء ﴿الْبِرِّ وَالتَّقْوٰى﴾ فيها قبال ﴿الْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ فضلًا عن زيادة معصية الرّسول في (٦)، فالبرّ مقابل للإثم، والعدوان مقابل للتّقوى، أو مافي كلّ منها مقابل الآخر، والأوّل أقرب، لأنّ الإثم فيه الضّيق والعُسر، والبِرّ من البَرّ، ففيه السّعة والسّهولة. كما أنّ العدوان ينبئ عن إطلاق عنان الهوى بمجانبة الحقّ، والتّقوى هو كبح جماح الهوى وملازمة الحقّ. وقد تناولنا هاتين الآيتين في «أث م» بحثًا وتفصيلًا[1].

خامسًا: نفى في الآية (٢) البرّ بتولّي الوجوه قبل المشرق والمغرب، وأثبته بقوله: ﴿مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ﴾، قاصدًا نفي كون التّولّي بنفسه من دون الإيمان والعمل الصّالح برًّا، بل إنّما يكون برًّا إذا كان حاويًا لما ذكر.

وقد جاء (مَن)، أي الفاعل، بدل الفعل، وهو من باب إعطاء الحكم بالعامل به، وفيه طرافة وحسن دقيق؛ إذ كأنّه قال: إذا تريدون أن تعرفوا البرّ، فانظروا إلى من يؤمن بالله...وهذه الآية جديرة بالبحث والتّفصيل، وقد جعلها الشّيخ شلتوت في تفسيره فاصلة بين ماقبلها ومابعدها من الآيات في سورة البقرة، لاحظ «أم ن» وغيرها.

سادسًا: أكّد القرآن في (١) أنّ أمر النّاس بالبرّ لايستحسن، بل غير ذي جَدوى، إلّا أن يتلبّس الآمر به، وإلّا فيُصبح هواء في شبك.

سابعًا: كذلك أكّد في (٢) أنّ الإنفاق ممّا يُحبّه الإنسان هو الطّريق الوحيد لنيل البرّ، فهناك ملازمة بين التّخلّي عمّا يُحبّه الإنسان بإنفاقه وبين البرّ، وهذا من أحرج الأمور، لأنّ حبّ الشّيء يدعو إلى الضّنّ به، فإنفاقه لايتيسّر إلّا بالتّخلّي عن هذا الحبّ والميل النّفسانيّ، وهو من الجهاد الأكبر.

ب ـ البَرّ، بفتح الباء: جاء في ثلاث آيات:

١ـ ﴿اِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ اِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ الطّور: ٢٨

٢ـ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ مريم: ١٤

٣ـ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ مريم: ٣٢

يلاحظ أوّلًا: أنّ (البَرّ) اختصّ بالسّور المكّيّة، كما اختصّ (البِرّ) بالسّور المدنيّة، فكأنّ الله تعالى وزّع «البرّ» اسمًا ووصفًا بين المدينة ومكّة، فوهب مكّة

(١) راجع المعجم (١: ٣٢٣).

الوصف ثلاث مرّات، ووهب المدينة الاسم ثماني مرّات، وكأنّ المؤمنين في مكّة حريّ بهم أن يعرفوا هذا الوصف وموصوفه، ليوطّنوا أنفسهم على الاتّصاف به رغم مافيه من الصّعوبات. ثمّ دعاهم في المدينة إلى (البِرّ) في سياق يُنبئ عن صعوبته ـ كما سبق ـ تطلّعًا إلى ماوصف لهم من ذي قبل، ليتّصفوا به ويُصبحوا أبرارًا بأنفسهم.

ثانيًا: جاء (البَرّ) في (١) وصفًا لله تعالى، وهذا هو الموضع الوحيد الّذي وُصفَ فيه الله بهذا الوصف مقرونًا بوصف الرّحيم الّذي هو الآخر خاصّ بالله، لكنّه موزّع ومكرّر في جميع السُّور في البسملة، وفي غيرها (٩٥) مرّة[1]، مشفوعًا بأوصاف كثيرة، مثل: الرّحمن، وهو أكثرها، والغفور، ثمّ العزيز، وغيرها على التّرتيب، وتجد في كلّ موضع مناسبة بين الرّحيم وماقترن به من الأوصاف، لاحظ «ر ح م».

وأمّا المناسبة هنا بين البَرّ والرّحيم، فإنّ (البَرّ) صفة فعل له، و(الرّحيم) صفة ذات، والأوّل ناشئ من الثّاني، أي أنّه بَرّ لأنّه رحيم، أو بالعكس البَرّ صفة ذات، والرّحيم صفة فعل، أو هما معًا صفتا فعل، إلّا أنّ الأوّل نشأ من الثّاني، وهذا أقرب، لأنّ كلًّا من البَرّ والرّحيم جاءا متعدّيين، مثل ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ مريم: ١٤، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ التّوبة: ١٢٨.

ولعلّ الاكتفاء بوصفه مرّة واحدة بـ(البَرّ) أنّ (البَرّ) هو تجلي فيضه المنبسط عند العرفاء، وهو واحد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ القمر: ٥٠، وعبّر عنه بـ(البَرّ) لأنّ فيضه المنبسط لاحدّ له، وهو رحمته الّتي وسعت كلّ شيء، وقد سبق أنّ مادّة «البرّ» تدلّ على السّعة والكثرة، فسبحان الله مُنزل الآيات. ولعلّ «أل» التّعريف في (البَرّ) وصفًا لله، إشارة إلى ذلك الفيض المعروف المتجلّي في كلّ شيء.

ثالثًا: وجاء (بَرًّا) وصفًا ليحيى وعيسى في سورة مريم، وكان أحدهما عقيب الآخر، وكذلك جاءت القصّتان معًا في سورة آل‌عمران (٣٥ ـ ٤٧) والأنبياء (٨٩ ـ ٩٢)، إلّا أنّ قصّة ولادة مريم في آل‌عمران متقدّمة على قصّة زكريّا، فسورة مريم بدأت بقصّة زكريّا؛ حيث اشتكى إلى الله من حرمانه الولد، وسأله أن يهب له ولدًا. فاستجاب دعاءه، ووهب له يحيى، رغم شيخوخة أبيه وعقم أُمّه. ووصفَه بأوصاف منها ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾، ثمّ عقّبه بقصّة مريم وحَمْلها بعيسى ووضعها إيّاه، ثمّ وصف عيسى بأوصاف منها ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾.

فكأنّ الله تعالى قدمّ قصّة زكريّا وولادة يحيى على النّحو غير المعتاد، لتكون أرضيّة مناسبة لذكر عيسى من غير أب، دفعًا لاستبعادها، وإشارة إلى تشابه الوليدين يحيى وعيسى في أنّ ولادتهما خارقة للعادة، ومسبّبة لإرادة الله الحيّ القيّوم، ووصفهما بأوصاف متقاربة منها (بَرًّا)، مع فوارق اقتضاها المقام:

١ـ وصف يحيى بـ﴿بَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾، وعيسى بـ﴿بَرًّا بِوَالِدَتِي﴾، إذ لم يكن له أب.

٢ـ وصف يحيى بـ﴿أَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَوةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ مريم: ١٢ ـ ١٤، ووصف عيسى حكاية عنه بـ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ أَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي

---

(١) أُنظر «المعجم المفهرس».

﴿مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ مريم: ٣٠-٣٢.

٣- وختم قصّتها بالسّلام عليها بقوله في يحيى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ مريم: ١٥، وفي عيسى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ مريم: ٣٣.

٤- وهناك تشابه وفرق بين تلك الأوصاف في أمور:

أمّا وجوه التّشابه فكونهما بارّين بالوالد والوالدة، ولم يكونا جبّارين، وكونهما نبيّين صبيّين، إضافة إلى اشتراك زكريّا والد يحيى، ومريم والدة عيسى في أنّهما لم يكلّما النّاس إلّا رمزًا.

وأمّا الفوارق فيحيى برّ بوالديه، وعيسى برّ بوالدته؛ إذ لم يكن له أب. وإيتاء الحكم ليحيى دون عيسى، وإيتاء يحيى الحنان والزّكاة وكونه تقيًّا، وإيتاء عيسى الكتاب وجعله مباركًا أينما كان، وإيصاؤه بالصّلاة والزّكاة مادام حيًّا.

وهذه الأوصاف الخمسة فيها دفع لشبهة الأُلوهيّة عنه، فهو عبدالله، ولو كان إلهًا لما احتاج إلى كتاب، وأنّ بركته كانت من عند الله لامن نفسه، فلاتدلّ على أُلوهيّته، وأنّ إقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة والموت من صفات العبد دون الرّبّ، وأنّ هذه الأوصاف هي قول الله في يحيى وقول عيسى في وصف نفسه، وفيه مزيّة لعيسى دون يحيى، وتصديق من الله لما اعترف به عيسى في نفسه من صفات العبوديّة ونفي الرّبوبيّة.

رابعًا: عقّب (برًّا) في وصف يحيى بأنّه لم يجعله جبّارًا عصيًّا، وفي عيسى بأنّه لم يجعله جبّارًا شقيًّا، فهل جاء هذان الوصفان تبيانًا لـ(برًّا)، وأنّ البرّ لايكاد يكون جبّارًا عصيًّا أو جبّارًا شقيًّا، أو فيه نكتة أُخرى؟ ثمّ ماالفرق بين (عَصِيًّا وَشَقِيًّا) ولم خصّ يحيى بوصف (عصيًّا) وعيسى بوصف (شَقِيًّا)؟

لاحظ «ج ب ر» و«ش ق ي» و«ع ص ي»، وهناك فوارق أُخرى بين القصّتين فلاحظ.

خامسًا: لقد خصّ (البرّ) وهو الخير الواسع، بالله وبالوالدين، إشعارًا بأنّ حقّهما مثل حقّ الله تعالى، فيحقّ للإنسان أن يبرّهما كما يبرّ الله عباده، وهذا يشبه الجمع بين توحيد الله والإحسان إلى الوالدين، كما جاء في آيات، مثل: ﴿لَاتَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ البقرة: ٨٣، إعلامًا بعظمة حقّهما.

ج - الأبرار: جاء ستّ مرّات:

١- ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ آل‌عمران: ١٩٣

٢- ﴿نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ آل‌عمران: ١٩٨

٣- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ الدّهر: ٥

٤- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ الانفطار: ١٣، ١٤

٥- ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ المطفّفين: ١٨

٦- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ المطفّفين: ٢٢، ٢٣

يلاحظ أوّلًا: أنّ الثلاث الأُولى مدنيّة والثلاث الأخيرة مكّيّة، بناء على كون سورة الدّهر مدنيّة، فكأنّ الله تعالى وزّع (الأبْرار) بين المكّيّ والمدنيّ بالسّويّة، مع أنّه خصّ (البَرّ) بالمكّيّ، و(البِرّ) بالمدنيّ، كما سبق. فـ(الأبْرار) كانوا نماذج للعباد الصّالحين وأُسوة لهم أمام المؤمنين طيلة نزول الوحي، سواء في مكّة أم في المدينة، ليلحقوا بركبهم ويصبحوا أبرارًا بإيمانهم وأعمالهم.

ثانيًا: لقد راعى الله تعالى ـ فضلًا عن ذلك ـ القسط في العدد، فأتى بـ(الأبْرار) في سورة مدنيّة ـ آل‌عمران ـ مرّتين وفي سورة مكّيّة ـ المطفّفين ـ مرّتين أيضًا، وخصّ كلًّا من سورتي الإنسان المدنيّة والانفطار المكّيّة بمرّة واحدة.

ثالثًا: جاء (الأبْرار) في آيتي آل‌عمران في سياق بيان عاقبة المؤمنين القدوة، والّذين آمنوا والّذين اتّقوا في الآخرة ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْاَبْرَارِ﴾ ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْاَبْرَارِ﴾ دون وصف للأبرار ولامقارنة فيما بينهم وبين الفجّار، بخلاف سائر الآيات، ففيها وصف لهم، ومقابلة لهم بمن كانوا على خلافهم.

رابعًا: وصف الأبرار في سورة الدّهر (٥ ـ ٢٢) بأنّهم ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَاْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَسَقٰيهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ ﴿اِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ فخصّ (١٧) آية من هذه السّورة ـ الّتي تضمّ (٣٠) آية ـ بأوصافهم وعاقبتهم السّعيدة في الدّار الآخرة.

وقد جعل الأبرار صنفًا مقابلًا لصنف الكافرين، فقال قبل هذه الآيات: ﴿اِنَّا اَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَاَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ الدّهر: ٤، ثمّ عقّبها بذكر الأبرار ووصفهم بتلك الأوصاف السّامية، فكأنّ الله أنزل هذه السّورة في شأن الأبرار، وأتى بذكر الكافرين استطرادًا، كما هو دَيْدَن القرآن عند المقابلة بين السّعداء والأشقياء، وبين التّحذير والتّبشير، لئلّا تخلو السّورة من ذلك.

ومن هنا جاء في الرّوايات أنّها نزلت في شأن عليّ وفاطمة وابنيهما عليهم السّلام، وقال العلّامة الطّباطبائيّ: إنّ سياقها يحكي أنّها نزلت بشأن حادثة خاصّة، فلاحظ.

خامسًا: أمّا في سورة الانفطار فقد عكس الوصف، فجاء بالأبرار إزاء الفجّار: ﴿اِنَّ الْاَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿وَاِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ الانفطار: ١٣، ١٤، واكتفى في الأبرار بأنّهم في نعيم، دون أن يصف هذا النّعيم كما وصفه في سورة الدّهر. أمّا الفجّار الّذين هم في الجحيم فوصفهم بأنّهم ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ الانفطار: ١٥، ١٦، ثمّ وصف يوم الدّين بقوله: ﴿وَمَا اَدْرٰيكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿ثُمَّ مَا اَدْرٰيكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْاَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ﴾ الانفطار: ١٧ ـ ١٩.

فنستشفّ من سورة الدّهر أنّ الرّحمة فيها غُلّبت على العذاب، وأنّ العذاب في سورة الانفطار غُلّب على الرّحمة.

سادسًا: وأمّا سورة المطفّفين ففيها ذكر للأبرار مرّتين: مرّة ذكر كتاب الأبرار قبال كتاب الفجّار، بدء كلّ منهما بـ(كَلّا) الرّادعة لمن توهّم خلاف ماذكره في

شأنها. ومرّة ذكر الأبرار قبال الّذين أجرموا، ووصف كلّ منهما.

أمّا كتاب الفجّار فبدأ بوصفه قبل كتاب الأبرار، لأنّه ذكر قبله: عذاب المطفّفين، ووصف يوم الدّين ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾، ثمّ وصف سجّين ويوم الدّين في تسع آيات إلى قوله: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ المطفّفين: ٧ ـ ١٧.

ثمّ بدأ بكتاب الأبرار: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾، فوصف «العلّيّين» بقوله: ﴿وَمَا أَدْرٰيكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ المطفّفين: ١٩ ـ ٢١.

ثمّ بدأ بذكر الأبرار في سبع آيات ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ المطفّفين: ٢٢ ـ ٢٨.

وذكر بعد ذلك الّذين أجرموا في ثماني آيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ اٰمَنُوا يَضْحَكُونَ...﴾ المطفّفين: ٢٩ ـ إلى آخر السّورة.

من ذلك نستشفّ أنّ هذه السّورة مثل سورة الانفطار، غلّبت فيها مسحة العذاب ـ أوّلًا وآخِرًا ـ على الرّحمة، وإنّما جاء ذكر (الأبرار) في الوسط بناء على دأب القرآن في ضمّ الإنذار إلى التّبشير، كما أنّ فيهما ذكر الأبرار مع الفجّار، مع تفاوت السّورتين فيما يلي:

الأوّل: أنّ في الانفطار ذكر الأبرار والفجّار مع أوصاف الفريقين، وفي المطفّفين ذكر كتاب الأبرار وكتاب الفجّار مع وصف الكتابين.

الثّاني: أنّ الأبرار في المطفّفين جاء قبال الّذين أجرموا دون الفجّار.

الثّالث: أنّ في الانفطار اكتفى بذكر ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ دون وصفهم، وفي المطفّفين وصفهم في سبع آيات.

سابعًا: جاء وصف الأبرار في المطفّفين والدّهر بأوصاف مشتركة ومتفاوتة، فالاشتراك هو شربهم ﴿مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ﴾ في الدّهر، وشربهم من رحيق مختوم ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ في المطفّفين، على اختلاف في الألفاظ.

وأمّا التّفاوت، ففي غيرها من الأوصاف المذكورة، فلاحظ. ولاشكّ أنّ المقارنة بين آيات الأبرار تحتاج إلى تفسير السّور بكاملها.

د ـ البَرَرة: جاءت مرّة واحدة:

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ عبس: ١١ ـ ١٦.

يلاحظ أوّلًا: أنّها جاءت وصفًا لحاملي الآيات من الملائكة الكرام بعد وصف الآيات بأنّها في صحف موصوفة بأربع صفات: مكرّمة ومرفوعة ومطهّرة ومحمولة بأيدي سفرة، دفعًا لأيّ شبهة حول حاملي القرآن قبل وصوله إلى النّبيّ ﷺ.

ب ر ز

٥ ألفاظ، ٩ مرّات: ٧ مكّيّة، ٢ مدنيّة

في ٨ سور: ٥ مكّيّة، ٣ مدنيّة

بَـرَزَ ١: ١	بَـرَزُوا ٤: ٢ ـ ٢	
بارِزة ١: ١	بُـرِّزَت ٢: ٢	
بارزون ١: ١		

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: رجل بَـرْز، أي طـاهر الخُـلُق عـفيف، وامرأة بَرْزَة: موثوق برأيها وفضلها وعفافها. والفـعل: بَـرُزَ يَبْرُز بَرازة. قال العجّاج في الرّجل البَرْز:

بَرْزٌ وذوالعَفافة البَرْزيُّ

والبَراز: المكان الفضاء من الأرض، البعيد الواسع.

وتبرّز فلان: خرج إلى البَراز. وقيل: تبرّز في التّغوّط، كناية عنه، أي خرج إلى بَراز من الأرض.

وبَرَزَ فلان يَبْرُز بالتّخفيف، أي ظهر بعد الخـفاء، وإذا تسابقت الخيل قيل لسابقها: قد برّز عليها.

وأبرَزْتُ الكتاب والشّيء، أي أظـهرته. وكـتاب مَبروز، مُبرَزٌ، أي منشور. [ثمّ استشهد بشعر]

والبِراز: المبارزة من القِرْنين في الحـرب، وتـبارزا تَبارُزًا، وبارَزَ القِرْن مُبارزةً وبِرازًا. (٧: ٣٦٤)

أبوعمروالشّيبانيّ: المـبروز مـن أبـرَزْت. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٣: ٢٠١)

الفَرّاء: إنّما أجازوا المَبْروز وهو من أبـرَزت، لأنّ يَبْرُز لفظه واحدٌ من الفعلين. (الأزهَريّ ١٣: ٢٠١)

البَراز: هو الموضع الّذي ليس به خَمَرٌ مـن شَـجَرٍ ولاغيره. (الجَوهَريّ ٣: ٨٦٤)

أبوعُبَيْدَ: في حديث أمّ معبد الخُزاعيـة: أنّها كانت امرأة بَرْزَة تَحْتَبي بفناء قُـبّتها.

البَرْزَة من النّسـاء: الجـليلة الّـتي تـظهر للـنّاس، ويجلس إليها القوم. (الأزهَريّ ١٣: ٢٠٠)

ابن الأعرابيّ: قال الزُّبَيْريّ: البَرْزَة من النّساء: الّتي ليست بالمُتَزايلة ولاالمُتَزَمّتة.

والمتزايلة: الّتي تُزايلك بوجهها، تستره عنك وتنكبّ إلى الأرض. والمُخزَمّقة: الّتي لاتتكلّم إذا كُلّمت. (الأزهَريّ ١٣: ٢٠٠)

أبرز الرّجل، إذا عزم على السّفر.

وبرَز، إذا ظهر بعد خموله. وبرَز، إذا خرج إلى البِراز، وهو الغائط.

الإبريز: الحَلْيُ الصّافي من الذّهب. وأبرَز، إذا اتّخذ الإبريز. (الأزهَريّ ١٣: ٢٠١)

ابن هانئ: أبرزتُ الكتاب: أخرجته، فهو مبروزٌ وقد أعطَوه كتابًا مبروزًا، وهو المنشور، وقد برزته بَرْزًا. (الأزهَريّ ١٣: ٢٠١)

أبوحاتِم: في قول لَبيد:

النّاطق المبروز والمختوم

إنّما هو: النّاطق المُبْرَز والمَختوم، مزاحف، فغيّره الرّواة فرارًا من الزّحاف...

ولعلّه المزبور وهو المكتوب. وقال لَبيد أيضًا في كلمةٍ له أُخرى:

كما لاحَ عُنوانُ مَبْرُوزة

يَلُوح مع الكفّ عُنوانها

فهذا يدلّ على أنّه لغته، والرّواة كلّهم على هذا، فلامعنى لإنكار من أنكره. (ابن منظور ٥: ٣٠٩)

شَمِر: الإبريز من الذّهب: الخالص، وهو الإبريزيّ والعِقْيان والعَسْجَد. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٣: ٢٠٢)

ابن دُرَيْد: بَرَز يَبْرُز بُروزًا، إذا ظهر. والبَراز: الفضاء من الأرض.

ورجل بَرْزٌ وامرأة بَرْزَةٌ، يوصفان بالجَهارة والعقل.

وتبارز القِرْنان، إذا ظهر بعضهما لبعض. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٥٤)

الأزهَريّ: يقال: بَرْزٌ، أي هو منكشف الشّأن ظاهره. والمبارزة: الحرب، والبِراز أُخذ من هذا، تبارز القِرْنان. (١٣: ٢٠١)

الصّاحِب: رجل بَرْزٌ: ظاهرُ الخُلُق عفيفٌ، وامرأةٌ بَرْزَة، ومَصْدرُه البَرازة، وقد بَرُزَ يَبْرُز.

وامرأةٌ بَرْزَة: يتحدّث إليها النّساء.

ورجل بَرْزٌ بَيِّنُ البَرازة ـ من قوم بَرْزِيْن ـ الّذي لايجلس في منزله.

والبَراز: المكان الفضاء من الأرض بَعيدٌ. وبَرَزَ الرّجل: من ذلك، وتبرّز.

والبَرْزُ: المكان البارز.

والبَرْزَة: العقبة.

والتّبريز: السّبْق، بَرّز عليه وبَرَز ـ بالتّخفيف ـ.

وأبرَزْتُ الشّيء: أظهرتُه. وكتاب مَبْروزٌ ومَنشُورٌ.

والمُبارزة في الحرب: من ذلك، ومَصْدره: البِراز.

ولقيتُ فلانًا بَرْزَيْن: أي فَرْدَيْن.

والإبريزُ والإبرِيزيُّ: الذّهَب الخالص. (٩: ٤٧)

الخَطّابيّ: وفي الحديث: «كان إذا أراد البَراز أبعَد».

المحدّثون يروونه بالكسر، وهو خطأ، لأنّه بالكسر مصدر من المبارزة في الحرب. (ابن الأثير ١: ١١٨)

ابن جِنّيّ: إبريز هو «إفعيل» من بَرَزَ. وفي الحديث: «ومنه مايخرج كالذّهب الإبريز» أي الخالص،

وهو الإبرِزيّ أيضًا، والهمزة والياء زائدتان.

(ابن منظور ٥: ٣١١)

الجَوهَريّ: بَرَزَ الرّجل يَبْرُزُ بُروزًا: خرج، وأبرَزَه غيره.

والبِراز: المبارزة في الحرب. والبِراز أيضًا: كناية عن ثُفْل الغِذاء، وهو الغائط. والمَبْرَز: المُتوضَّأ. والبَراز بالفتح: الفَضاء الواسع.

وتبرّز الرّجل، أي خرج إلى البَراز للحاجة.

وبرّزتُ الشّيء تَبْريزًا، أي أظهرته وبيّنته.

وبرّز الرّجل أيضًا: فاق على أصحابه، وكذلك الفرس، إذا سبق.

وامرأة بَرْزَة، أي جليلة تَبْرُز وتجلس للنّاس. وقال بعضهم: رجلٌ بَرْزٌ وامرأة بَرْزَة يوصفان بالجَهارة والعقل. [ثمّ استشهد بشعر]

وكتاب مَبْرُوزٌ، أي منشور، على غير قياس. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ٨٦٤)

نحوه الرّازيّ. (٦٠)

ابن فارِس: الباء والرّاء والزّاء أصل واحد، وهو ظهور الشّيء وبُدُوّه، قياس لايُخلف. يقال: بَرَزَ الشّيء فهو بارز. وكذلك انفراد الشّيء من أمثاله، نحو تبارُز الفارِسَيْن، وذلك أنّ كلّ واحد منهما ينفرد عن جماعته إلى صاحبه.

والبَراز: المتّسع من الأرض، لأنّه بادٍ ليس بغائط ولادَحْلٍ ولاهُوّةٍ.

ويقال: امرأة بَرْزَة، أي جليلة تبرُز وتجلس بفناء بيتها. قال بعضهم: رجلٌ بَرْزٌ وامرأةٌ بَرْزَة، يوصفان بالجَهارة والعقل.

وهذا هو قياس سائر الباب، لأنّ المُريب يدُسّ نفسه ويُخْفيها.

ويقال: برّز الرّجل والفرس، إذا سبقا، وهو من الباب. ويقال: أبرزتُ الشّيء أُبرِزُه إبرازًا، وقد جاء المَبْرُوز. قال لَبيد:

أو مُذْهَبٌ جُدَدٌ على ألواحه
النّاطقُ المَبْرُوز والمختوم

المَبْرُوز: الظّاهر. والمختوم: غير الظّاهر.

وقال قوم: المبروز: المنشور، وهو وجه حسَن. (١: ٢١٨)

الهَرَويّ: وفي حديث أُمّ مَعْبَد: «وكانت بَرْزَة تحتبي بفناء القُبّة» يقال: امرأة بَرْزَة، إذا كانت كَهْلَةً لاتحتجب احتجاب الشّوابّ، وهي مع ذلك عفيفة. ورجل بَرْزٌ، إذا كان منكشف الشّأن. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ١٥٥)

ابن سيدة: البَرازُ: الفَضاء.

وبَرَزَ يَبْرُز بُروزًا: خرج إلى البَراز، وبَرَزَه إليه، وأبرَزَه.

وأبرَزَ الكتاب: نَشَره، فهو مُبرَزٌ، ومبرُوزٌ شاذٌّ، جاء على حذف الزّائد. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال ابن جنّيّ: أراد المبرُوز به، ثمّ حذَف حرف الجرّ، فارتفع الضّمير، واستتَر في اسم المفعول، وعليه قول الآخر:

إلى غير مَوثُوق من الأرض يَذْهَب

أراد: «مَوثُوق به» وقد تقدّم. وأنشده بعضهم: «المُبرَز» على احتمال الخَزْل في مُتفاعِلُن».

وكلّ ما ظهر بعد خفاءٍ فقد بَرَزَ.

وبارَزَ القِرْن مُبارَزَةً، وبِرازًا: بَرَزَ إليه.

وهما يتبارزان.

وامرأةٌ بَرْزَةٌ: بارِزَةُ المحاسن. قال ابن الأعرابيّ: قال الزُّبَيْريّ: البَرْزَة من النّساء: الّتي ليسَت بالمُتَزايلة الّتي تُزايلُك بوَجْهِها تَسْتُره عنك، والمُخَرْمِقَة: الّتي لاتتكلّم إن كلّمت.

وقيل: امرأةٌ بَرْزَةٌ: مُتجالّةٌ تَبرُز للقوم، يجلسون إليها، ويتحدّثون عندها.

ورجل بَرْزٌ وبَرْزِيٌّ: مَوثُوقٌ بفضله ورأيه، وقد بَرُزَ بَرازَةً.

وبَرَزَ الفَرَس على الخيل: سبقَها، وقيل: كلّ سابقٍ مُبرِّزٌ.

وبَرَّزَه فَرَسُهُ: نجّاه، قال رُؤْبَة:

لو لم يُبَرِّزْهُ جوادٌ بِرْآس

وذَهَبٌ إبْريزٌ: خالصٌ، عربيٌّ، قال ابن جنّيّ: هو إفعيلٌ من بَرَزَ. (٩: ٣٧)

رجلٌ بَرْز وبَرْزِيٌّ: عفيف موثوق بعقله وفضله، وقد بَرُزَ بَرازة، وهي بَرْزَة.

وبَرَّزَ: فاق أصحابه فضلًا وشجاعةً.

(الإفصاح ١: ١٤٠)

البَرْزَة: الموثوق برأيها وفضلها، وقيل: هي البارزة المحاسن.

وقيل: المتجاهرة الكَهْلَة الجليلة تَبرُز للقوم، يجلسون إليها ويتحدّثون، وهي عفيفة، بَرُزت تَبرُز بَرازة: تمّ عقلُها ورأيُها. (الإفصاح ١: ٣٣٤)

الرّاغِب: البَراز: الفضاء، وبَرَزَ: حصَل في بَراز، وذلك إمّا أن يظهر بذاته، نحو: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ الكهف: ٤٧، تنبيهًا أنّه تبطل فيها الأبنية وسُكّانها. ومنه المبارزة للقتال، وهي الظّهور من الصّفّ، قال تعالى: ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ آل‌عمران: ١٥٤، وقال عزّوجلّ: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ البقرة: ٢٥٠.

وإمّا أن يظهر بفضله، وهو أن يسبق في فعل محمود. وإمّا أن ينكشف عنه ما كان مستورًا منه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ إبراهيم: ٤٨، ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ إبراهيم: ٢١، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ المؤمن: ١٦، و قوله عزّوجلّ: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ الشّعراء: ٩١، تنبيهًا أنّهم يُعرَضون عليها.

ويقال: تبرّز فلانٌ: كناية عن التّغوّط، وامرأة بَرْزَة: عفيفة، لأنّ رِفعتَها بالعفّة لاأنّ اللّفظة اقتضَتْ ذلك. (٤٣)

الزَّمَخْشَريّ: أبرزَ الكتاب وغيره وبرّزه ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ الشّعراء: ٩١، كُشف الغِطاء عنها.

وبارَزَه في الحرب بِرازًا، ومُبارَزَةً، وقد تبارزوا، وبرز على الغاية وعلى الأقران.

ورجل بَرْزٌ: عفيف، وامرأة بَرْزَة، ونساءٌ بَرْزاتٌ، وقد بَرُزَت بَرازة. [ثمّ استشهد بشعر]

وذَهَبٌ إبريز: خالص، وتقول: مَيِّز الخَبَثَ من الإبريز، والنّاكصين من أُولي التّبريز.

ومن الكناية: خرج إلى البَراز، وتبرّز.

(أساس البلاغة: ٢٠)

المَدِينيّ: في الحديث: «كان إذا أراد البَراز أبعد».

البَراز، بفتح الباء: اسم للفضاء الواسع، كنَوْا به عن حاجة الإنسان، كما كَنَوْا بالخَلاء عنه. يقال: تبرّز، إذا تغوّط. وكسر الباء فيه غلط، لأنّ «البِراز» مصدر بارَزْته في الحرب مبارزةً وبِرازًا. (١: ١٤٨)

ابن الأثير: [وبعد نقل كلام المَدينيّ قال:]

ومن المفتوح حديث يعلى «أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأى رجلًا يغتسل بالبَراز» يريد الموضع المنكشف بغير سُترة. (١: ١١٨)

ابن منظور: وأبرَزَه: نشَره، فهو مُبرَزٌ ومَبروزٌ شاذّ على غير قياس، جاء على حذف الزّائد. [ثمّ استشهد بشعر] (٥: ٣٠٩)

الفَيُّوميّ: بَرَزَ الشّيء بُروزًا من باب «قَعَدَ»: ظهر، ويتعدّى بالهمزة، فيقال: أبرَزْتُه فهو مبروز. وهذا من النّوادر الّتي جاءت على «مفعول» من «أفْعَل».

والبَراز بالفتح، والكسر لغة قليلة: الفضاء الواسع الخالي من الشّجر. وقيل: البَراز: الصّحراء البارزة، ثمّ كُني به عن النَّجْو، كما كُني بالغائط فقيل: تبرّز، كما قيل: تغوّط.

وبارَزَ في الحرب مبارزة وبِرازًا، فهو مُبارِزٌ.

وبَرُزَ الشّخص بَرازة، فهو بَرْزٌ، والأنثى بَرْزَة ـ مثل ضَخُمَ ضَخامة فهو ضَخْمٌ وضَخْمَة ـ والمعنى عفيف جليل.

وقيل: امرأة بَرْزَة: عفيفة تَبْرُز للرّجال وتتحدّث معهم، وهي المرأة الّتي أسَنَّتْ وخرجت عن حدّ المحجوبات.

وبرّز الرّجل في العلم تبريزًا: بَرَعَ وفاق نُظراءه، مأخوذ من برّز الفرس تبريزًا، إذا سبق الخيل في الحَلْبَة.

والإبريز: الذّهب الخالص، مُعرَّبٌ. (١: ٤٤)

الفيروزاباديّ: بَرَزَ بُروزًا: خَرَجَ إلى البَراز، أي الفضاء كتبرّز، وظهر بعد الخفاء، كبَرِز بالكسر.

وبارَزَ القِرْنَ مُبارزةً وبِرازًا: بَرَزَ إليه، وهما يتبارزان.

وأبرَزَ الكتاب: نَشَرَه، فهو مُبرَز ومَبْرُوز.

وامرأة بَرْزَة: بارزة المحاسن، أو مُتجاهرة، كَهْلَة جليلة، تَبْرُز للقوم يجلسون إليها ويتحدّثون، وهي عفيفة.

والبَرْزَة: العقَبة من الجبل، وقرية بِبَيْهَق، والنّسبة: بَرْزَهيّ.

ورجل بَرْزٌ وبَرْزِيّ: عفيف موثوق بعقله ورأيه، وقد بَرُز ككرُم.

وبرّز تبريزًا: فاق أصحابه فضلًا أو شجاعةً، والفرس على الخيل: سبقها، وراكبهُ: نجّاه.

وذَهَبٌ إبريز وإبريزيّ بكسرهما: خالصٌ، وبَراز الرُّوز بالفتح: طَسُّوجٌ ببغداد.

والبارز: فرسُ بَيْهَسٍ الجَرْميّ، وبارِزٌ: بَلْدَة، وبُرْزٌ بالضّمّ: قرية بمَرْوَ، منها سليمان بن عامر الكِنْديّ المُحدِّث.

وبهاءٍ شُعْبَة تُدفَع في بئر الرُّوَيْثَة، أو هما شُعْبَتان يقال لكلّ منهما: بُرْزَة، ويوم بُرْزَة من أيّامهم.

وأبرَزَ: أخذ الإبريز، وعزَم على السّفر، والشّيء أخرجه كاسْتَبرزه. وتبريز وقد تُكسر: قاعدة

أذْرَبيجان.

وتبارَزا: انفرد كلّ منهما عن جماعته إلى صاحبه.

وبرّزه تبريزًا: أظهره وبيّنه، وكتابٌ مَبْرُوز: منشورٌ، وكسَحاب: اسمٌ، وككِتاب: الغائط.

(٢: ١٧١)

الطُّرَيحيّ: وفي الحديث: «من عاد لي وليًّا» يعني محبًّا «فقد بارَزَني بالمحاربة» المبارزة بالمحاربة: إظهارها والتّصدّي لها. (٤: ٧)

العَدْنانيّ: «البِراز والبَراز» ويخطّئون من يُطلِق اسم «البَراز» على الموادّ المطرودة من الأمعاء عند التّبرُّز، ويقولون: إنّ الصّواب هو «البِراز» والحقيقة هي أنّ الكلمتين صحيحتان ولكنّ الثّانية أعلى، والأُولى «البَراز» يكتنفها المجاز.

فممّن ذكر البِراز: الصّحاح، والنّهاية، والمُغرب، والمختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن بمجاز، ومحمّد عليّ النّجّار في كتابه «محاضرات عن الأخطاء اللّغويّة الشّائعة» والوسيط.

وممّن ذكر البَراز: الأزهريّ، ومحمّد الزُّبَيديّ في كتابه «لحن العوامّ» وحمد الخطّابيّ في كتابه «معالم السّنن»، والنّهاية، والمُغرب واللّسان كناية، والمصباح، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد كناية، والمتن بمجاز، والوسيط.

أمّا قاموس حِتّي الطّبّيّ فقد ذكر «البراز» دون أن يضبط حركة الباء. (٥٣)

محمود شيت: ١ـ أ ـ بَرَزَ بُرُوزًا: ظهر بعد خَفاء، ويقال برَز له: انفرد عن جماعته لينازله، وبَرَزَ فلان: نَبُه بعد خمول، وبرَزَ: خرَج إلى البَراز.

ب ـ بَرُزَ بَرازة: تمّ عقله ورأيه، وبَرُزَ: كان طاهر الخُلُق عفيفًا، فهو بَرْزٌ وبَرْزَويّ. وبَرُزَت المرأة: تركت الحجاب وجالست النّاس، فهي بَرْزَة.

ج ـ أبرَزَ: عزَم على السّفر، وأبرَزَ الشّيء: أظهره وبيّنه، وأبرَزَ الكتاب: نشره، فهو مُبْرَز ومَبْرُوز، الأخير على غير قياس.

د ـ بارَزَه مبارَزَة وبِرازًا: بَرَزَ إليه ونازله.

هـ ـ برّز: خرَج إلى البَراز، وبرّز الفرس على الخيل: سبَقها، وبرّز الرّجل: فاق أصحابه فضلًا.

و ـ تبارزا: بارز كلّ منهما صاحبه.

ز ـ تبرّز: خرَج إلى البَراز وتغوّط.

ح ـ الإبراز، في علم الحيوان: فصل موادّ خاصّة في داخل الجسم الحيوانيّ ثمّ إخراجها كما هي، من غير أن يحصل بينها وبين أجزاء الجسم ومحتوياته تفاعل، كإخراج البول أو العرق أو الدّمع. وفي علم النّبات: خاصيّة تشبه الإبراز في الحيوان.

ط ـ البَراز: الفضاء الواسع الخالي من الشّجر ونحوه، والبَراز: الموادّ المطرودة من الأمعاء عند التّبرّز.

ي ـ البَرْزَة: العقَبة من الجبل.

٢ـ أ ـ بارِزٌ، يقال: ضابط بارز: الممتاز على أصحابه، في علمه أو في شجاعته.

ب ـ المبارزة بالحِراب: نوع من التّدريب العسكريّ على القتال بالحِراب. (١: ٧٨)

المُصْطَفَويّ: والّذي يظهر من التّصفّح في

مشتقّات هذه المادّة وفي موارد استعمالها: أنّ الأصل الواحد فيها هو الظّهور بحالة مخصوصة وكيفيّة غير مسبوقة، وهذا القيد هو الفارق بينها وبين مادّة «الظّهور» ومادّة «البُدُوّ» السّابق، فإنّ الظّهور مطلق في مقابل البطون، وأكثر استعماله في مورد مطلق الظّهور، سواء كان بقيد القصد أم لا، وسواء كان في حالة مخصوصة أو لم يكن.

وأمّا «البُدُوّ» فقد سبق أنّه يُستعمل غالبًا فيما كان بيّنًا وبغير قصد.

فالبروز ليس في مقابل مطلق البطون ولابمعنى الظّهور البيّن وبغير قصدٍ، بل بمعنى الظّهور على كيفيّة خاصّة، غير مسبوقةٍ بها. (۱: ۲۳۷)

النّصوص التّفسيريّة

لَبَرَزَ

...قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ... آل عمران: ١٥٤

ابن عبّاس: لخرج. (٥٨)

مثله الشّربينيّ (١: ٢٥٧)، والآلوسيّ (٤: ٩٦)، والمراغيّ (٤: ١٠٥).

الطّبريّ: يقول: لظهر للموضع الّذي كُتب عليه مصرعُه فيه، مَن قد كُتب عليه القتل منهم، ويخرج من بيته إليه، حتّى يُصرَع في الموضع الّذي كُتب عليه أن يُصرع فيه. (٤: ١٤٣)

القرطبيّ: أي لخرج. وقرأ أبوحَيْوَة (لَبُرِّزَ) بضمّ الباء وشدّ الرّاء، بمعنى يُجعل يخرج.

وقيل: لو تخلّفتم أيّها المنافقون لبرزتم إلى موطن آخر غيره تُصرعون فيه حتّى يبتلي الله مافي الصّدور ويُظهره للمؤمنين. (٤: ٢٤٣)

أبوحَيّان: وقرأ الجمهور (لَبَرَزَ) ثلاثيًّا مبنيًّا للفاعل، أي لصاروا في البَراز من الأرض. وقرأ أبوحَيْوَة (لَبُرِّزَ) مبنيًّا للمفعول مشدّد الرّاء، عدّي (برز) بالتّضعيف. (٣: ٩٠)

بَرَزُوا

١- وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. البقرة: ٢٥٠

ابن عبّاس: تصافّوا. (٣٥)

الطّبريّ: صاروا بالبَراز من الأرض، وهو ماظهر منها واستوى، ولذلك قيل للرّجل القاضي حاجته: تبرّز، لأنّ النّاس قديمًا في الجاهليّة إنّما كانوا يقضون حاجتهم في البراز من الأرض، فقيل: قد تبرّز فلان، إذا خرج إلى البَراز من الأرض لذلك، كما قيل: تغوّط، لأنّهم كانوا يقضون حاجتهم في الغائط من الأرض وهو المطمئنّ منها، فقيل للرّجل: تغوّط، أي صار إلى الغائط من الأرض. (٢: ٦٢٤)

الهَرَويّ: أي ظهروا، ومنه يقال للمكان الواسع الظّاهر: بَراز. (١: ١٥٥)

ابن عَطيّة: معناه صاروا في البَراز وهو الأفيَح من الأرض المتّسع. (١: ٣٣٦)

مثله القُرطُبيّ. (٣: ٢٥٦)

الفَخْرالرّازيّ: المبارزة في الحروب هي أن يبرز كلّ واحد منهم لصاحبه وقت القتال.

والأصل فيها أنّ الأرض الفضاء الّتي لاحجاب فيها يقال لها: البَراز. فكان البُروز عبارة عن حصول كلّ واحد منها في الأرض المسمّاة بالبَراز، وهو أن يكون كلّ واحد منها بحيث يرى صاحبه. (٦: ١٩٨)

نحوه أبوحَيّان. (٢: ٢٦٨)

النَّسَفيّ: خرجوا لقتالهم. (١: ١٢٦)

أبوالسُّعود: أي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين، وصاروا إلى بَراز من الأرض، في موطن الحرب. (١: ٢٩٠)

مثله البُرُوسَويّ (١: ٣٩٠)، ونحوه الخازن (١: ٢١٨)، والآلوسيّ (٢: ١٧٢)، ورشيد رضا (٢: ٤٩٠).

٢ـ **وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِى تَقُولُ.** النّساء: ٨١

ابن عَبّاس: خرجوا. (٧٥)

مثله الطَّبَريّ (٥: ١٧٧)، والطُّوسيّ (٣: ٢٦٩)، والطَّبْرِسيّ (٢: ٨٠)، والقُرطُبيّ (٥: ٢٨٨)، والبَيْضاويّ (١: ٢٣٢)، والنَّسَفيّ (١: ٢٣٨)، والخازن (١: ٤٦٩)، وأبوحَيّان (٣: ٣٠٤)، والشِّربينيّ (١: ٣١٨)، والبُرُوسَويّ (٢: ٢٤٤)، والقاسميّ (٥: ١٤٠٧)، ورشيد رضا (٥: ٢٨٥).

ابن كثير: أي خرجوا وتواروا عنك. (٢: ٣٤٥)

نحوه الآلوسيّ. (٥: ٩١)

٣ـ **وَبَرَزُوا لِلّٰهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفٰؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ اَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ.** إبراهيم: ٢١

ابن عَبّاس: خرجوا من التّصوّر بأمر الله. (٢١٢)

الطَّبَريّ: وظهر هؤلاء الّذين كفروا به يوم القيامة من قبورهم، فصاروا بالبَراز من الأرض جميعًا، يعني كلّهم. (١٣: ١٩٩)

الزّجّاج: أي جمعهم الله في حشرهم فاجتمع التّابع والمتبوع. (٣: ١٥٨)

الطُّوسيّ: أخبر الله تعالى أنّ الخَلْق يبرزون يوم القيامة لله، أي يظهرون من قبورهم.

والبروز: خروج الشّيء عمّا كان ملتبسًا به، إلى حيث يقع عليه الحشر في نفسه، يقال: برز للقتال، إذا ظهر له. (٦: ٢٨٧)

نحوه البَغَويّ. (٣: ٣٥)

الزَّمَخْشَريّ: ويبرزون يوم القيامة. وإنّما جيء به بلفظ الماضي، لأنّ ما أخبر به عزّوعلا لصدقه كأنّه قد كان ووجد، ونحوه ﴿وَنَادٰى اَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ الأعراف: ٤٤، و﴿وَنَادٰى اَصْحَابُ النَّارِ﴾ الأعراف: ٥٠، ونظائر له.

ومعنى بروزهم لله ـ والله تعالى لايتوارى عنه شيء ـ حتّى يبرز له أنّهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش، ويظنّون أنّ ذلك خافٍ على الله، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم، وعلموا أنّ الله لايخفى عليه خافية، أو خرجوا من قبورهم

فبرزوا لحساب الله وحُكمه. (٢: ٣٧٢)

نحوه البَيضاويّ (١: ٥٢٨)، والنَّسَفيّ (٢: ٢٥١).

ابن عَطيّة: معناه: صاروا بالبَراز، وهي الأرض المتّسعة كالبراح والقواء والخبار، فاستعير ذلك لجمع يوم القيامة. (٣: ٣٣٢)

الطَّبْرِسيّ: أخبر سبحانه أنّ الخلق يبرزون يوم القيامة لله، أي يظهرون من قبورهم ويخرجون منها لحكم الله. فاللّفظ للماضي والمراد به الاستقبال، للتّحقيق وصحّة الوقوع. (٣: ٣١)

نحوه الخازن. (٤: ٣٢)

الفَخْر الرّازيّ: برَزَ معناه في اللّغة: ظهر بعد الخفاء، ومنه يقال للمكان الواسع: البَراز لظهوره، وقيل في قوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ الكهف: ٤٧، أي ظاهرة لايسترها شيء، وامرأة بَرْزَة، إذا كانت تظهر للنّاس.

ويقال: بَرَزَ فلان على أقرانه، إذا فاقهم وسبقهم. وأصله في الخيل، إذا سبق أحدها، قيل: بَرَزَ عليها، كأنّه خرج من غبارها فظهر.

إذا عرفت هذا فنقول: هاهنا أبحاث:

البحث الأوّل: قوله: (وَبَرَزُوا) ورد بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال، لأنّ كلّ ماأخبر الله تعالى عنه فهو صدق وحقّ، فصار كأنّه قد حصل ودخل في الوجود، ونظيره قوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ الأعراف: ٥٠.

البحث الثّاني: قد ذكرنا أنّ البُروز في اللّغة عبارة عن الظّهور بعد الاستتار، وهذا في حقّ الله تعالى محال، فلابدّ فيه من التّأويل، وهو من وجوه:

الأوّل: أنّهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش، ويظنّون أنّ ذلك خافٍ على الله تعالى، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند أنفسهم وعلموا أنّ الله لايخفى عليه خافية.

الثّاني: أنّهم خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحُكمه.

الثّالث: وهو تأويل الحكماء: أنّ النّفس إذا فارقت الجسد فكأنّه زال الغطاء والوطاء، وبقيت متجرّدة بذاتها عارية عن كلّ ماسواها، وذلك هو البروز لله.

البحث الثّالث: قال أبوبكرالأصمّ: قوله: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾ هو المراد من قوله في الآية السّابقة: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ إبراهيم: ١٧.

واعلم أنّ قوله: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾ قريب من قوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ الطّارق: ٩، ١٠، وذلك لأنّ البواطن تظهر في ذلك اليوم والأحوال الكامنة تنكشف.

فإن كانوا من السّعداء برزوا للحاكم الحكيم بصفاتهم القدسيّة، وأحوالهم العِلويّة، ووجوههم المشرقة، وأرواحهم الصّافية المستنيرة، فيتجلّى لها نور الجلال، ويعظم فيها إشراق عالم القدس، فما أجلّ تلك الأحوال.

وإن كانوا من الأشقياء برزوا لموقف العظمة، ومنازل الكبرياء، ذليلين مهينين خاضعين خاشعين، واقعين في خزي الخجالة ومذلّة الفضيحة، وموقف المهانة والفزع، نعوذ بالله منها. (١٩: ١٠٧)

مثله النّيسابوريّ (١٣: ١٢٠)، ونحوه الشّربينيّ (٢: ١٧٦).

أبوحَيّان: وقرأ زيد بن عليّ (وَبُرِّزُوا) مبنيًّا للمفعول، وبتشديد الرّاء. (٥: ٤١٦)

ابن كثير: أي برزت الخلائق كلّها بَرّها وفاجرها للّه الواحد القهّار، أي اجتمعوا له في بَراز من الأرض، وهو المكان الّذي ليس فيه شيء يستر أحدًا.

(٤: ١١٨)

نحوه القاسميّ (١٠: ٣٧٢٢)، والمَراغيّ (١٣: ١٤٣).

البُرُوسَويّ: أي برز الموتى من قبورهم يوم القيامة إلى أرض المحشر، أي يظهرون ويخرجون عند النّفخة الثّانية، حين تنتهي مدّة لبثهم في بطن الأرض.

(٤: ٤١٠)

الآلوسيّ: أي يبرزون يوم القيامة. وإيثار الماضي لتحقّق الوقوع، أو لأنّه لامضيّ ولااستقبال بالنّسبة إليه سبحانه، والمراد ببروزهم للّه: ظهورهم من قبورهم للرّائين، لأجل حساب اللّه تعالى. فاللّام للتّعليل، وفي الكلام حذف مضاف.

وجوّز أن تكون اللّام صلة البروز وليس هناك حذف مضاف، ويراد أنّهم ظهروا له عزّ شأنه عند أنفسهم، وعلى زعمهم فإنّهم كانوا يظنّون عند ارتكابهم الفواحش سرًّا أنّها تخفى على اللّه تعالى، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا له تعالى عند أنفسهم، وعلموا أنّه لاتخفى عليه جلّ شأنه خافية. (١٣: ٢٠٥)

٤ـ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْاَرْضُ غَيْرَ الْاَرْضِ وَالسَّمٰوٰاتُ وَبَرَزُوا لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. إبراهيم: ٤٨

ابن عَبّاس: خرجوا وظهروا للّه. (٢١٥)

الزّجّاج: أي خرجوا من قبورهم بارزين.

(٣: ١٦٩)

نحوه الطّبَريّ (١٣: ٢٥٤)، والبغَويّ (٣: ٤٨)، والبَيضاويّ (١: ٥٣٥)، والخازن (٤: ٤٥)، وابن كثير (٤: ١٤٨)، والبُرُوسَويّ (٤: ٤٣٦).

عبد الجبّار: قالوا: ثمّ ذكر بعده مايدلّ على أنّه جسم يصحّ أن يُبرز إليه، فقال: ﴿وَبَرَزُوا لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ إبراهيم: ٤٨.

والجواب عن ذلك: أنّ ظاهره لايدلّ على ماتوهّموه، لأنّه لم يقل: برزوا إليه، فيقرب أن يكون له ظاهر، وإنّما قال: برزوا له، وهذا قد يذكر ويراد به الغرض، كما يقول القائل: صلّيت للّه، وحججت له، وطُفت. والمراد بذلك أنّه فعل ذلك لأجله على جهة التّقرّب، فمن أين أنّ ظاهر ذلك أنّهم ظهروا له في مكان واحد؟

والمراد بذلك: أنّهم برزوا للمحاسبة والجزاء، وفي آخر الآية دلالة عليه، لأنّه تعالى قال: ﴿لِيَجْزِيَ اللّٰهُ كُلَّ نَفْسٍ مَاكَسَبَتْ﴾ إبراهيم: ٥١، فبيّن بذلك أنّ بروزهم لهذا المعنى، ولو كان بروزهم للّه تعالى من جهة الانكشاف في المكان لم يكن لهذا القول فائدة، وإنّما تقع به الفائدة إذا أراد ماذكرنا.

أو يريد به: أنّهم برزوا إلى حيث لايجري فيه إلّا حُكمه تعالى، فيكون كقولنا: إنّ فلانًا ارتفع إلى الأمير، والمراد بذلك أنّه الّذي يقوم بفصل أمره دون غيره.

(متشابه القرآن ٢: ٤٢١)

المَيْبُديّ: أي ظهروا من قبورهم فصاروا إلى البَراز من الأرض، والبَراز: الصّحراء لظهورها، هذا كقوله عزّوجلّ: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ المؤمن: ١٦.

ذكر البروز بلفظ الماضي ومعناه الاستقبال، فهو سيحدث بعد فناء الدّنيا، عند يوم القيامة. (٥: ٢٤١)

ابن عَطيّة: مأخوذ من البَراز، أي ظهروا بين يديه لايواريهم بناء ولاحصن. (٣: ٣٤٧)

الطَّبْرِسيّ: أي يظهرون من أرض قبورهم للمحاسبة لايسترهم شيء. وجعل ذلك بروزًا لله لأنّ حسابهم معه، وإن كانت الأشياء كلّها بارزة له لايسترها عنه شيء. (٣: ٣٢٥)

أبوالبقاء: يجوز أن يكون مستأنفًا، أي ويبرزون. ويجوز أن يكون حالًا من (الْأَرْض) و«قد» معه مرادة. (٢: ٧٧٤)

أبوالسّعود: أي الخلائق أو الظّالمون المدلول عليهم بمعونة السّياق، والمراد بروزهم من أجداثهم الّتي في بطون الأرض، أو ظهورهم بأعمالهم الّتي كانوا يعملونها سرًّا، ويزعمون أنّها لاتظهر، أو يعملون عمل من يزعم ذلك.

ولعلّ إسناد البروز إليهم مع أنّه لأعمالهم للإيذان بتشكّلهم بأشكال تناسبها، وهو معطوف على (تُبَدَّلُ) والعدول إلى صيغة الماضي للدّلالة على تحقّق وقوعه، أو حال من الأرض بتقدير «قد» والرّابط بينها وبين صاحبها الواو. (٣: ٥٠٢)

الآلوسيّ: [قال مثل أبوالسّعود وأضاف:]

وقرأ زيد بن عليّ رضي الله عنهما (وَبُرِّزُوا) بضمّ الباء وكسر الرّاء مشدّدة، جعله مبنيًّا للمفعول على سبيل التّكثير، باعتبار المفعول لكثرة المخرجين. (١٣: ٢٥٥)

الطَّباطَبائيّ: معنى بروزهم وظهورهم لله يومئذ ـ مع كون الأشياء بارزة غير خفيّة عليه دائمًا ـ سقوط جميع العلل والأسباب الّتي كانت تحجبهم عنه تعالى ماداموا في الدّنيا، فلايبق يومئذ على مايشاهدون شيء من الأسباب يملكهم ويتولّى أمرهم ويستقلّ بالتّأثير فيهم إلّا الله سبحانه، كما يدلّ عليه آيات كثيرة.

فهم لايلتفتون إلى جانب ولايتوجّهون إلى جهة في ظاهرهم وباطنهم وحاضرهم والماضي الغائب من أحوالهم وأعمالهم إلّا وجدوه سبحانه شاهدًا مهيمنًا عليه محيطًا به.

والدّليل على هذا الّذي ذكرناه توصيفه تعالى بالواحد القهّار المشعر بنوع من الغلبة، فبروزهم لله يومئذ إنّما هو ناشئ عن كونه تعالى هو الواحد الّذي يقوم به وجود كلّ شيء ويقهر كلّ من دونه من مؤثّر، فلايحول بينهم وبينه حائل، فهم بارزون له بروزًا مطلقًا. (١٢: ٨٩)

مكارم الشّيرازيّ: و«البروز» من مادّة «البراز» على وزن «فراز» بمعنى الفضاء والمحلّ الواسع، وغالبًا ماتأتي بمعنى الظّهور، لأنّ وجود الشّيء في الفضاء الواسع بمعنى ظهوره، وهناك آراء مختلفة للمفسّرين في معنى بروز النّاس لله تعالى، وأكثرهم يعتقد أنّها تعني الخروج من القبر.

ويحتمل أن يكون المعنى انكشاف بواطن وظواهر جميع النّاس في يوم الحشر، كما نقرأ في الآية: ١٦ من سورة المؤمن: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَايَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ وكذلك الآية: ٩ من سورة الطّارق: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ وعلى أيّ حال فوصفُه بالقهّار دليل على تسلّطه على كلّ الأشياء وسيطرته على ظاهرها وباطنها.

وهنا يأتي هذا السّؤال، وهو: هل أنّ شيئًا قد خفي على الله في هذه الدّنيا لكي يظهر في الآخرة؟ أم أنّ الله لايعلم بما في القبور، ولايعلم بأسرار النّاس؟

ويتّضح الجواب من الإلتفات إلى هذه النّقطة، وهي أنّ لنا ظاهرًا وباطنًا في هذه الدّنيا، وقد يشتبه على البعض ـ بسبب علمنا المحدود ـ أنّ الله لايرى باطننا، ولكن سوف يظهر كلّ شيء في الآخرة، ولا وجود للظّاهر والباطن هناك، وبعبارة أُخرى فالظّهور بالقياس إلى علمنا وليس إلى علم الله المطلق. (٧: ٤٧٢)

بَارِزُونَ

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَايَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. المؤمن: ١٦

ابن عبّاس: خارجون من القبور. (٣٩٤)

الطّبَريّ: يعني المنذرين الّذين أرسل الله إليهم رسله، لينذروهم وهم ظاهرون، يعني للنّاظرين، لايحول بينهم وبينهم جبل ولاشجر، ولايستر بعضهم عن بعض ساتر، ولكنّهم بقاع صَفْصَف، لاأمت فيه ولاعِوَج. (٢٤: ٥٠)

الطّوسيّ: أي يظهرون من قبورهم ويبرعون إلى أرض المحشر، وهو يوم التّلاق ويوم الجمع ويوم المحشر. (٩: ٦٣)

البغويّ: خارجون من قبورهم ظاهرون، لايسترهم شيء. (٤: ١٠٨)

مثله القُرطُبيّ (١٥: ٣٠٠)، والنّسَفيّ (٤: ٧٣)، والخازن (٦: ٧٧)، والكاشانيّ (٤: ٣٣٧)، وشُبّر (٥: ٣٣٧)، والقاسميّ (١٤: ٥١٦٠).

الزّمَخْشَريّ: ظاهرون لايسترهم شيء من جبل أو أكَمَة أو بناء، لأنّ الأرض بارزة قاع صفصف، ولاعليهم ثياب إنّما هم عُراة مكشوفون، كما جاء في الحديث: «يحشرون عُراةً حُفاةً غُرلًا». (٣: ٤١٩)

نحوه أبوالسُّعود. (٥: ٤١٣)

ابن عَطيّة: معناه في براز من الأرض، ينفذهم البصر ويسمعهم الدّاعي. (٤: ٥٥١)

الطّبْرِسيّ: من قبورهم، وقيل: يبرز بعضهم لبعض فلايخفى على أحد حال غيره، لأنّه ينكشف مايكون مستورًا. (٤: ٥١٧)

الفَخْرالرّازيّ: في تفسير هذا البروز وجوه:

الأوّل: أنّهم برزوا عن بواطن القبور.

الثّاني: [كلام الزّمَخشَريّ وقد تقدّم]

الثّالث: أن يجعل كونهم بارزين كناية عن ظهور أعمالهم وانكشاف أسرارهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.

الرّابع: أنّ هذه النّفوس النّاطقة البشريّة كأنّها في الدّنيا انغمست في ظلمات أعمال الأبدان، فإذا جاء يوم القيامة أعرضت عن الاشتغال بتدبير الجسمانيّات،

وتوجّهت بالكلّيه إلى عالم القيامة ومجمع الرّوحانيّات، فكأنّها برزت بعد أن كانت كامنة في الجسمانيّات مستترة بها. (٢٧: ٤٥)

نحوه الآلوسيّ. (٢٤: ٥٦)

البَيْضاويّ: خارجون من قبورهم، أو ظاهرون لايسترهم شيء، أو ظاهرة نفوسهم لاتحجبهم غواشي الأبدان، أو أعمالهم وسرائرهم. (٢: ٣٢٣)

نحوه الشّربينيّ. (٣: ٤٧٤)

البُرُوسَويّ: بدل من ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾، المؤمن: ١٥، يقال: برز بروزًا: خرج إلى البَراز، أي الفضاء كتبرّز، وظهر بعد الخفاء كبرز بالكسر، أي خارجون من قبورهم أو ظاهرون لايسترهم شيء من جبل أو أكَمَة أو بناء، لكون الأرض يومئذ مستوية. (٨: ١٦٧)

المَراغيّ: أي لينذر بالعذاب يوم يلتقي العابدون والمعبودون، يوم هم ظاهرون لايكنّهم شيء، ولايسترهم شيء. (٢٤: ٥٤)

الطَّباطَبائيّ: معنى بروزهم لله: ظهور ذلك لهم، وارتفاع الأسباب الوهميّة الّتي كانت تجذبهم إلى نفسها، وتحجبهم عن ربّهم، وتغفلهم عن إحاطة ملكه وتفرّده في الحكم، وتوحّده في الرّبوبيّة والأُلوهيّة.

فقوله: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ إشارة إلى ارتفاع كلّ سبب حاجب، وقوله: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ المؤمن: ١٦، تفسير لمعنى بروزهم لله وتوضيح، فقلوبهم وأعمالهم بعين الله، وظاهرهم وباطنهم وماذكروه ومانسوه مكشوفة غير مستورة. (١٧: ٣١٨)

عبد الكريم الخطيب: هو بيان لـ(يَوْمَ التَّلَاقِ)، وهو يوم القيامة يوم هم بارزون، أي ظاهرون ظاهرًا وباطنًا، قد انكشفت سرائرهم، وظهر مستورهم ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ كما يقول سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ الحاقّة: ١٨.

والمراد ببروز النّاس، وظهور خفاياهم في هذا اليوم، هو مايشهدون بأنفسهم، ممّا انطوت عليه سرائرهم، وماأخفاه بعضهم عن بعض، ففي هذا اليوم ينكشف كلّ مستور منهم، لهم، ولغيرهم، كما يقول سبحانه: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ الطّارق: ٩. (١٢: ١٢١٥)

بَارِزَةً

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ الكهف: ٤٧.

ابن عَبّاس: خارجةٌ من تحت الجبال، ويقال: ظاهرة. (٢٤٨)

مُجاهِد: لاخَمَر فيها ولاغَيابة، ولابناء، ولاحَجَر فيها. (الطّبَريّ ١٥: ٢٥٧)

قَتادَة: ليس عليها بناء ولاشجر. (الطّبَريّ ١٥: ٢٥٧)

الفَرّاء: يقول: أبرزنا أهلها من بطنها، ويقال: سُيّرت عنها الجبال فصارت كلّها بارزة، لايستر بعضها بعضًا. (٢: ١٤٦)

الطّبَريّ: ظاهرةٌ، وظهورها لرأي أعين النّاظرين، من غير شيء يسترها من جبل ولاشجر، هو بروزها.

وقيل: معنى ذلك: وترى الأرض بارزًا أهلها الّذين

كانوا في بطنها، فصاروا على ظهرها.
(الطَّبَريّ ١٥: ٢٥٧)

نحوه البغويّ (٣: ١٩٥)، والخازن (٤: ١٧٤)، والمَراغيّ (١٥: ١٥٦)

الزّجّاج: معناه ظاهرة، وقد سُيِّرت جبالها واجتُثّت أشجارها، وذهبت أبنيتُها فبقيت ظاهرة، وقد ألقت مافيها وتخلّت. (٣: ٢٩٢)

نحوه الحجازيّ. (١٥: ٦١)

الطُّوسيّ: أي ظاهرة، فلايتستّر منها شيء، لأنّ الجبال إذا سيّرت عنها وصارت دكًّا ملساء ظهرت وبرزت.

وقيل: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي يبرز ما فيها من الكنوز والأموات، فهو مثل قول النّبيّ ﷺ: «ترمي الأرض بأفلاذ كبدها». (٧: ٥٣)

مثله الطَّبْرِسيّ (٣: ٤٧٤)، ونحوه ابن عطيّة (٣: ٥٢٠)، وابن الجَوزيّ (٥: ١٥١).

الزّمَخْشَريّ: ليس عليها مايسترها ممّا كان عليها. (٢: ٤٨٧)

مثله البَيْضاويّ (٢: ١٥)، والنّسَفيّ (٣: ١٥)، والبُرُوسَويّ (٥: ٢٥٢).

الفَخْر الرّازيّ: وفي تفسيره وجوه:

أحدها: أنّه لم يبق على وجهها شيء من العمارات، ولاشيء من الجبال، ولاشيء من الأشجار، فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها مايسترها، وهو المراد من قوله: ﴿لَاتَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَاأَمْتًا﴾ طٰه: ١٠٧.

وثانيها: أنّ المراد من كونها بارزة أنّها أبرزت مافي بطنها وقذفت الموتى المقبورين فيها، فهي بارزة الجوف والبطن، فحذف ذكر الجوف، ودليله قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَافِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ الانشقاق: ٤، وقوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ الزّلزال: ٢، وقوله: ﴿وَبَرَزُوا لِلّٰهِ جَمِيعًا﴾ إبراهيم: ٢١.

وثالثها: أنّ وجوه الأرض كانت مستورةً بالجبال والبحار، فلمّا أفنى الله تعالى الجبال والبحار فقد برزت وجوه تلك البقاع بعد أن كانت مستورة. (٢١: ١٣٣)

نحوه القُرطُبيّ (١٠: ٤١٦)، والنّيسابوريّ (١٥: ١٣٩)، وأبوحَيّان (٦: ١٣٤)، والشّربينيّ (٢: ٣٨٢).

ابن كثير: أي بادية ظاهرة ليس فيها مَعلم لأحد، ولامكان يواري أحدًا بل الخلق كلّهم ضاحون لربّهم، لاتخفى عليه منهم خافية. (٤: ٣٩٤)

أبو السُّعود: أمّا بروز ماتحت الجبال فظاهر، وأمّا ماعداه فكانت الجبال تحول بينه وبين النّاظر قبل ذلك، فالآن أضحى قاعًا صفصفًا لاترى فيها عوجًا ولاأمتًا. (٤: ١٩٤)

نحوه القاسميّ. (١١: ٦٨-٤٠)

الكاشانيّ: باديةً، برزت من تحت الجبال، ليس عليها مايسترها. (٣: ٢٤٥)

الآلوسيّ: باديةً ظاهرةً، أمّا ظهور ماكان منها تحت الجبال فظاهر، وأمّا ماعداه فكانت الجبال تحول بينه وبين النّاظر قبل ذلك، أو تراها بارزة لذهاب جميع ماعليها من الجبال والبحار والعمران والأشجار، وإنّما اقتصر على زوال الجبال، لأنّه يعلم منه زوال ذلك بطريق الأولى.

وقيل: إسناد البروز إلى الأرض مجاز، والمراد ترى أهل الأرض بارزين من بطنها، وهو خلاف الظّاهر. (١٥: ٢٨٨)

الطَّباطَبائيّ: والمستفاد من السّياق أنّ بروز الأرض مترتّبٌ على تسيير الجبال، فإذا زالت الجبال والتّلال ترى الأرض بارزة لاتغيب ناحية منها عن أُخرى بحائل حاجز، ولايستتر صُقْع منها عن صُقْع بساتر. وربّما احتمل أن تشير إلى ما في قوله: ﴿وَاَشْرَقَتِ الْاَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ الزّمر: ٦٩. (١٣: ٣٢١)

عبد الكريم الخطيب: أي عارية، لايخفى منها شيء، وإذا النّاس جميعًا قد حُشروا بعد أن خرجوا من قبورهم، ولم يُترك منهم أحدٌ. (٨: ٦٢٨)

بُرِّزَت

١ـ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ. الشّعراء: ٩١

ابن عبّاس: أُظهرت، ويقال: لاحت الجحيم. (٣١٠)

نحوه الطّبريّ (١٩: ٨٧)، والزّجّاج (٤: ٩٤)، والبغويّ (٣: ٤٧١)، والقُرطُبيّ (١٣: ١١٥)، والخازن (٥: ١٠٠).

الطَّبْرِسيّ: أي أُظهرت، وكشف الغطاء عنها للضّالّين، عن طريق الحقّ والصّواب. (٤: ١٩٤)

النّسَفيّ: أي أُظهرت حتّى يكاد يأخذهم لهبها. (٣: ١٨٨)

أبوحَيّان: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ أُظهرت وكُشفت بحيث كانت بمرءى منهم، كقوله: ﴿فَلَمَّا رَاَوْهُ زُلْفَةً سِيْـَٔتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الملك: ٢٧.

وقرأ الأعمش (فبُرِّزَت) بالفاء جعل تبريز الجحيم بعد تقريب الجنّة يعقبه، وذلك لأنّ الواو للجمع فيمكن أن يكون كلّ واحد منها ظهوره قبل الآخر، وهو من تقديم الرّحمة على العذاب، وهو حسن لولا أنّ رسم المصحف بالواو.

وقرأ مالك بن دينار (وَبَرَزَت) بالفتح والتّخفيف، (الجَحيمُ): بالرّفع بإسناد الفعل اتّساعًا. ولمّا وبّخهم وقرعهم أخبر عن حال يوم القيامة، وجيء في ذلك كلّه بلفظ الماضي في: أتى، وأُزلفت، وبرّزت.

وقيل: فكبكبوا، لتحقّق وقوع الماضي وإن لم يقع. (٧: ٢٧)

شُبَّر: كُشِفت. (٤: ٣٩١)

القاسميّ: وإيثار صيغة الماضي للدّلالة على تحقّق الوقوع وتقرّره. (١٣: ٤٦٢٧)

المَراغيّ: (بُرِّزَت) أي جُعلت بارزة لهم، بحيث يرون أهوالها، أي وتكون النّار بارزة مكشوفة للأشقياء، بحيث تكون بمرءى منهم، يسمعون زفراتها الّتي تبلغ منها القلوب الحناجر، ويوقنون بأنّهم مواقعوها، لايجدون عنها مصرفًا.

وفي هذا تعجيلٌ للغمّ والحسرة؛ إذ نسوا في دنياهم هذا اليوم، كما جاء في قوله: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسيكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا وَمَاْوٰيكُمُ النَّارُ وَمَالَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ الجاثية: ٣٤. (١٩: ٧٧)

الطَّباطَبائيّ: التّبريز: الإظهار. (١٥: ٢٩٠)

٢ـ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرٰى. النّازعات: ٣٦

ابن عبّاس : أظهرت. (٥٠١)

مثله الطّبَريّ (٣٠: ٤٨)، والبَيْضاويّ (٢: ٥٣٨)، وابن كثير (٧: ٢١٠)، والشّربينيّ (٤: ٤٨١).

القُمّيّ : أحضرت. (٢: ٤٠٣)

مثله شُبّر. (٦: ٣٦٠)

الطُّوسيّ : أي لمن يراها ويبصرها شاهدًا فالتّبريز: إظهار الشّيء بمثل التّكشيف الّذي يقضي إليه بالإحساس، ويقال: فلان مبرّز في الفضل، إذا ظهر به أتمّ الظّهور، وبارز قِرْنه، أي ظهر إليه من بين الجماعة. (١٠: ٢٦٣)

الزّمَخْشَريّ : أُظهرت، وقرأ أبو نَهيك: وبرزت[1]. (٤: ٢١٥)

ابن عَطيّة : وقرأ جمهور النّاس: (وبُرِّزَت) بضمّ الباء وشدّ الرّاء المكسورة، وقرأ عِكْرِمَة ومالك بن دينار وعائشة: و(بَرَزَت) بفتح الباء والرّاء. (٥: ٤٣٤)

أبوالسُّعود : عطف على (جاءَتْ) أي أُظهرت إظهارًا بيّنًا لايخفى على أحدٍ. (٦: ٣٧٣)

مثله البُرُوسَويّ. (١٠: ٣٢٧)

المَراغيّ : أي كانت في مكان بارزٍ يراها كلّ من له عينان. (٣٠: ٣٣)

محمّد جواد مَغْنيّة : لايحجبه عن رؤيتها حاجب، ولايحرسها منه حارس. (٧: ٥١٢)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة هو «البَراز» وهو المكان الّذي لاخمر فيه كالبادية، يقال: بَرَزَ الرّجل يَبرُز بُروزًا، أي خرج إلى البَراز. ثمّ سمّي كلّ ظهور من بناء بَرازًا، فيقال لمن يتغوّط ويحدث: بَرَزَ وتبرّز، لأنّه إذا فعل ذلك يخرج إلى العراء، وهو محلّ تغوّطهم آنذاك، ومنه الحديث: «كان إذا أراد البَراز أبعَد»، كناية عن التّغوّط. ومنه: أبرزَ الرّجل: عزم على السّفر، لخروجه إلى البَراز، ثمّ استعمل في مطلق الخروج، ومنه: ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ النّساء: ٨١

كما استعمل في الظّهور مطلقًا أو الظّهور بعد الخفاء، يقال: بَرَزَ الشّيء فهو بارز، وبَرَزَ فلانٌ يَبْرُز بُروزًا، أي ظهر بعد الخفاء، وأبرزتُ الشّيء وبرّزتُه: أظهرته. ولعلّ من البروز في الميدان عند الغلبة استُعمل أيضًا في الغلبة والتّفوّق، فإذا تسابقت الخيل قيل لسابقها: قد برّز عليها، أي فاق، وبرّز الرّجل أيضًا، إذا فاق على أصحابه، ومنه المبارزة لمواجهة الأقران في الحرب.

٢ـ ثمّ توسّعوا فيه واستعملوه في غير المحسوس، فقد وُصف الرّجل الطّاهر الخُلق العفيف بالبَرْز، والمرأة العفيفة بالبَرْزة، لارتفاعها خُلقًا عن سائر النّاس، يقال: بَرُزَ الرّجل بَرازةً، أي تمّ عقله ورأيه.

٣ـ والإبريز: الذّهب الخالص، وهو لفظ أعجميّ معرّب اللّفظ اليونانيّ «أوبريزون»، وقد انتقل إلى العربيّة من السّريانيّة، ويُطلق عليه فيها «أوبريزا».

٤ـ وهذه المادّة قريبة من (ب ر ج)، بل هما من أصل واحد كما قيل، فلاحظ.

٥ ـ وهناك تجانس لفظيّ وتشاكل معنويّ بين العربيّة والفارسيّة في لفظ «برز» إذ أنّه في الفارسيّة بمعنى

---

(١) الظّاهر بالتّخفيف، وفتح الباء والرّاء.

اعتدال القامة وساق الشّجرة والرّفعة مطلقًا. وفي لغة الأبستاق (أوستا) جاء بمعنى الموضع المرتفع كالتّلّ والجبل.

وله مشتقّات كثيرة منها «البُرْز»، وهو جبل مشهور شاهق في شمال إيران. كما جاء لفظ «برز» في الفارسيّة بمعنى الجلال والعظمة والجمال. ومنها «برازيدن» و«برازنده» بمعنى الظّهور والظّاهر.

الاستعمال القرآنيّ

ورد منه سبع آيات في القرآن:

١ـ ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ آل‌عمران: ١٥٤

٢ـ ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ البقرة: ٢٥٠

٣ـ ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ النّساء: ٨١

٤ـ ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ إبراهيم: ٢١

٥ـ ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ إبراهيم: ٤٨

٦ـ ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ المؤمن: ١٦

٧ـ ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ الشّعراء: ٩١

يلاحظ أوّلًا: أنّ الثّلاث الأول جاءت في البروز المحسوس في الدّنيا بمعنيين، أحدهما: البروز في ساحة القتال في (١) و(٢)، وثانيهما: الخروج والظّهور في (٣).

ثانيًا: أنّ البروز في (١) و(٢) للقتل أو ما يناظره، ومن عند رسول الله في (٣)، ولله وعذابه في (٤) و(٥) و(٦)، وتبريز الجحيم للغاوين في (٧).

ثالثًا: تخاطب الآية الأولى طائفة من المنافقين فرّوا من القتال خوفًا من الموت، فأخبرهم الله بأنّ من كتب عليه القتل سيموت لامحالة حتّى لو كان ﴿فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ النّساء: ٧٨. وأمّا البروز لجالوت وجنوده في (٢) فهو نظير بروزهم لمضاجعهم لقلّة عددهم، كما قال: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ البقرة: ٢٤٩، وهم عدّة عديدة من بني إسرائيل.

وقد بيّن الله تلكّؤ هؤلاء وكشف دافعهم الدّنيويّ في القتال، إذ ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ البقرة: ٢٤٦، ولذلك ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٢٤٦، وتهاوى كثير منهم لمّا ابتلاهم الله بنهر ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ البقرة: ٢٤٩.

رابعًا: يبدو أنّ التّبريز للجحيم للتّهويل والشّقّ على المجرمين؛ إذ تعذيب المجرمين في النّار ضرب من التّهويل، وتبريز الجحيم لهم ضرب آخر من التّهويل أيضًا، كما عبّر عن هذا التّبريز بالمجيء به في قوله: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ الفجر: ٢٣، ٢٤.

وهذا التّذكّر والقول قبل اقتحام النّار، ويتمّان بمجرّد رؤيتها وتهيّبها دون التّأثّر بحرّها، كما عقّب ذلك بقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ الفجر: ٢٥، ٢٦. وتبريز الجحيم للغاوين هو لإنبائهم بما كانوا فيه، كما قال: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ

بِالْكَافِرِينَ﴾ التّوبة: ٤٩.

خامسًا: وقد وردت وجوه في معنى بروزهم لله كما سبق في النّصوص، فلاحظها.

سادسًا: يخطر في البال أنّ بروز النّاس لله في الآيات: (٤) و(٥) و(٦) يُشبه بروز المقاتلين في (١) و(٢)، فكأنّ النّاس برزوا من قبورهم إلى ساحة المحشر ليدفعوا عن أنفسهم محاسبة الله إيّاهم، ولكنّه سوف يخسرون في هذه المعركة، وهو قاهرهم لامحالة، وكذلك الجحيم تبرز لهم لتذهب بهم، وتكون هي النّاجحة في المعركة، وهم المغلوبون.

سابعًا: ومن هنا يتولّد للمادّة في الآية بمناسبة السّياق معنى البراز للقتال والدّفاع عن النّفس، أو الهجوم على الخصم.



ب ر ز خ

لفظان، ٣ مرّات: في ٣ سور: ٢ مكّيّة، ١ مدنيّة

بَرْزَخ ٢: ١ ـ ١ بَرْزَخًا ١: ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: البَرْزَخ: مابين كلّ شيئين، والميّت في البَرْزَخ، لأنّه بين الدّنيا والآخرة.

وبَرازخ الإيمان: مابين الشّكّ واليقين.

والبَرْزَخ: أمَدٌ مابين الدّنيا والآخرة، بعد فناء الخَلْق، ومابين الظّلّ والشّمس بَرْزَخ. ويقال: البَرْزَخ فسحة مابين الجنّة والنّار. (٤: ٣٣٨)

نحوه الصّاحِب (٤: ٤٦٥)، وابن سيدة (٥: ٣٣٧).

الكِسائيّ: في حديث عليّ كرّم الله وجهه: «أنّه صلّى بقوم فأسوى بَرْزَخًا» أسوى: أغفَل وأسقَط.

والبَرْزَخ: مابين كلّ شيئين. ومنه قيل للميّت: هو في البَرْزَخ، لأنّه بين الدّنيا والآخرة.

(الأزهَريّ ٧: ٦٧١)

أبـو عُبَيْد: بَـرازخ الإيمان: مـابين أوّله وآخره. (الأزهَريّ ٧: ٦٧١)

ابن دُرَيْد: والبَرْزَخ: الحائل بين الشّيئين، وكذلك فُسّر في التّنزيل: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَايَبْغِيَانِ﴾ الرّحمن: ٢٠، أي حائل، والله أعلم.

ويقال: فلانٌ في البَرْزَخ، إذا مات، كأنّه بين الدّنيا والآخرة. (٣: ٣٠٢)

الأزهَريّ: [بعد نقل كلام الكِسائيّ قال:]

فأراد بالبَرْزَخ: مابين الموضع الّذي أسقط عليّ كرّم الله وجهه منه ذلك الحرف إلى الموضع الّذي كان انتهى إليه من القرآن. (٧: ٦٧١)

الجَوهَريّ: البَرْزَخ: الحاجز بين الشّيئين. والبَرْزَخ: مابين الدّنيا والآخرة، من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البَرْزَخ. (١: ٤١٩)

مثله الرّازيّ (٦١)، ومحمّد إسماعيل إبراهيم (١: ٦٥).

ابن فارِس: وممّا فيه حرفٌ زائدٌ البَرْزَخ: الحائل

بين الشّيئين، كأنّ بينهما بَرازًا، أي متّسعًا من الأرض. ثمّ صار كلّ حائل بَرْزَخًا، فالخاء زائدةٌ لما قد ذكرنا.

(١: ٣٢٣)

الرّاغِب: البَرْزَخ: الحاجز والحدّ بين الشّيئين. وقيل: أصله بَرْزَهْ، فعُرّب، وقوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ الرّحمن: ٢٠.

والبَرْزَخ في القيامة: الحائل بين الإنسان وبين بلوغ المنازل الرّفيعة في الآخرة، وذلك إشارة إلى (العقبة) المذكورة في قوله عزّوجلّ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ البلد: ١١، قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون: ١٠٠، وتلك (العَقَبَة) موانع من أحوال لايصل إليها إلّا الصّالحون.

وقيل: البَرْزَخ: مابين الموت إلى القيامة. (٤٣)

نحوه الفيروز اباديّ.

(بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٣٨)

ابن الأثير: في حديث المبعث عن أبي سعيد: «في بَرْزَخ مابين الدّنيا والآخرة». البَرْزَخ: مابين كلّ شيئين من حاجز.

ومنه حديث عبدالله: «وسئل عن الرّجل يجد الوسوسة، فقال: تلك برازخ الإيمان» يريد مابين أوّله وآخره، فأوّله الإيمان بالله ورسوله، وأدناه إماطة الأذى عن الطّريق. وقيل: أراد مابين اليقين والشّكّ.

والبَرازخ: جمع بَرْزَخ. (١: ١١٨)

الفيروز اباديّ: البَرْزَخ: الحاجز بين الشّيئين، ومن وقت المَوْت إلى القيامة، ومن مات دخله. وبَرازخ الإيمان: مابين أوّله وآخره، أو مابين الشّكّ واليقين. (١: ٢٦٦)

الطُّرَيحيّ: والبَرْزَخ في قولهعليه السلام: «نخاف عليكم هول البَرْزَخ» هو مابين الدّنيا والآخرة، من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البَرْزَخ.

ومنه الحديث: «كلّكم في الجنّة، ولكنّي والله أتخوّف عليكم في البَرْزَخ. قلت: وماالبَرْزَخ؟ قال: القبر، منذ حين موته إلى يوم القيامة».

وفي حديث الصّادقعليه السلام: «البَرْزَخ: القبر» وهو الثّواب والعقاب، بين الدّنيا والآخرة. (٢: ٤٣٠)

المُصْطَفَويّ: والظّاهر أنّ هذه الكلمة من مادّة «بَرَز» وحرف الخاء في آخرها زائدةٌ تدلّ على المبالغة، كما يقال: بَرْزَق من البرز، وبَذْرق من البذر.

فالبَرْزَخ معناه الأصليّ هو الحالة الجديدة الثّانويّة العارضة، الفاصلة للسّابقة والمربوطة بها. (١: ٢٣٧)

النُّصوص التّفسيريّة

بَرْزَخ

١ـ لَعَلّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

المؤمنون: ١٠٠

الإمام عليّعليه السلام: [في حديث] سلكوا في بطون البَرْزَخ سبيلًا، سُلّطت الأرض عليهم فيه، فأكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم؛ فأصبحوا في فجوات قبورهم جمادًا لاينمون، وضمارًا لايوجدون، لايفزعهم ورود الأهوال، ولايحزنهم تنكّر الأحوال، ولايحفلون

بالرّواجف ولايأذنون للقواصف، غُيَّبًا لايُنتظرون وشُهودًا لايحضرون، وإنّما كانوا جميعًا فتشتّتوا، وآلافًا فافترقوا، وماعن طول عهدهم، ولابُعد محلّهم، عميت أخبارهم وصمّت ديارهم.

ولكنّهم سُقوا كأسًا بدّلتْهم بالنّطق خرسًا، وبالسّمع صممًا، وبالحركات سكونًا، فكأنّهم في ارتجال الصّفة صَرْعى سُباتٍ، جيرانٌ لايتأنّسون، وأحبّاء لايتزاورون، بَلِيَتْ بينهم عُرى التّعارف وانقطعت منهم أسباب الإخاء، فكلّهم وحيدٌ وهم جميع، وبجانب الهَجر وهم أخلّاء، لايتعارفون للّيل صباحًا ولالنهار مساءً.

(نهج البلاغة: خ: ٢٢١)

ابن عَبّاس: يعني القبر. (تنوير المقباس: ٢٩٠)

أجَل إلى حين. (الطَّبَريّ ١٨: ٥٣)

حجابٌ. (القُرطُبيّ ١٢: ١٥٠)

سَعيد بن جُبَيْر: مابعد الموت.

(الطَّبَريّ ١٨: ٥٣)

مُجاهِد: حجاب بين الميّت والرّجوع إلى الدّنيا.

(الطَّبَريّ ١٨: ٥٣)

مابين الموت إلى البعث.

مثله ابن زَيْد. (الطَّبَريّ ١٨: ٥٣)

الضَّحّاك: يقول: البَرْزَخ: مابين الدّنيا والآخرة.

(الطَّبَريّ ١٨: ٥٣)

ابن كَعْب القُرَظيّ: البَرْزَخ: مابين الدّنيا والآخرة، ليسوا مع أهل الدّنيا يأكلون ويشربون ولامع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم. (ابن كثير ٥: ٣٩)

قَتادَة: بَرْزَخ: بقيّة الدّنيا. (الطَّبَريّ ١٨: ٥٣)

السُّدّيّ: أجَلٌ. (القُرطُبيّ ١٢: ١٥٠)

الكَلْبيّ: هو الأجل مابين النّفختين، وبينهما أربعون سنة. (القُرطُبيّ ١٢: ١٥٠)

الإمام الصّادق عليه السلام: والله ماأخاف عليكم إلّا البَرْزَخ، وأمّا إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم. (القُمّيّ ٢: ٩٤)

البَرْزَخ: القبر، وهو الثّواب والعقاب بين الدّنيا والآخرة. (العَرُوسيّ ٣: ٥٥٣)

القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة.

(العَرُوسيّ ٣: ٥٥٤)

الفَرّاء: البَرْزَخ: من يوم يموت إلى يوم يُبعث، وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ الفرقان: ٥٣، يقول: حاجزًا.

والحاجز والمُهْلة متقاربان في المعنى، وذلك أنّك تقول: بينهما حاجز أن يتزاورا، فتنوي بالحاجز المسافة البعيدة، وتنوي الأمر المانع، مثل اليمين والعداوة. فصار المانع في المسافة كالمانع في الحوادث، فوقع عليهما البَرْزَخ. (٢: ٢٤٢)

الطَّبَريّ: يقول: ومن أمامهم حاجزٌ يحجز بينهم وبين الرّجوع، يعني إلى يوم يبعثون من قبورهم، وذلك يوم القيامة. والبَرْزَخ والحاجز والمُهْلة متقاربات في المعنى. (١٨: ٥٣)

القُمّيّ: البَرْزَخ هو أمر بين أمرين، وهو الثّواب والعقاب، بين الدّنيا والآخرة. (٢: ٩٤)

الرُّمّانيّ: الإمهال إلى يوم القيامة.

(القُرطُبيّ ١٢: ١٥٠)

الطُّوسيّ: وقيل: البَرْزَخ: الإمهال. وقيل: كلّ فصل بين شيئين بَرْزَخ. (٧: ٣٩٤)

الزَّمَخْشَريّ: أي أمامهم حائلٌ بينهم وبين الرّجعة إلى يوم البعث، وليس المعنى أنّهم يرجعون يوم البعث، وإنّما هو إقناطٌ كلّيّ لما علم أنّه لارجعة يوم البعث، إلّا إلى الآخرة. (٣: ٤٢)

مثله الفَخْرالرّازيّ (٢٣: ١٢١)، ونحوه الطَّبْرِسيّ (٤: ١١٨).

القُرطُبيّ: وقيل: من خلفهم، أي حاجزٌ بين الموت والبعث. [إلى أن قال:]

والبَرْزَخ: مابين الدّنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل في البرزخ.

وقال رجل بحضرة الشّعبيّ: رحم الله فلانًا فقد صار من أهل الآخرة! فقال: لم يصر من أهل الآخرة، ولكنّه صار من أهل البَرْزَخ، وليس من الدّنيا ولامن الآخرة. (١٢: ١٥٠)

البَيْضاويّ: (بَرْزَخٌ): حائل بينهم وبين الرّجعة. (٢: ١١٤)

النَّيسابوريّ: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ) الضّمير لكلّ المكلّفين، أي أمامهم (بَرْزَخٌ) حائل بينهم وبين الجنّة أو النّار وبين الجزاء التّامّ: ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وذلك البرزخ هو مدّة مابين الموت إلى البعث، ولعلّ بعض الحُجب من الأخلاق الذّميمة يندفع في هذه المدّة. (١٨: ٣٩)

أبوحَيّان: [بعد نقل كلام الزَّمَخْشَريّ قال:]

استُعير البرزخ للمدّة الّتي بين موت الإنسان وبعثه. (٦: ٤٢١)

ابن كثير: قال أبوصخر: البَرْزَخ: المقابر، لاهم في الدّنيا ولاهم في الآخرة، فهم مقيمون إلى يوم يُبعثون. (٥: ٣٩)

البُرُوسَويّ: وهو مابين الموت إلى البعث، أي بين الدّنيا والآخرة، وهو غير البَرْزَخ الّذي بين عالم الأرواح المثالي وبين هذه النّشأة العنصريّة. (٦: ١٠٦)

الآلوسيّ: حاجز بينهم وبين الرّجعة ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ من قبورهم، وهو يوم القيامة. وهذا تعليق لرجعتهم إلى الدّنيا بالمحال، كتعليق دخولهم الجنّة بقوله سبحانه: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ الأعراف: ٤٠. (١٨: ٦٤)

الطَّباطَبائيّ: البَرْزَخ: هو الحاجز بين الشّيئين، كما في قوله: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَايَبْغِيَانِ﴾ الرّحمن: ٢٠.

والمراد بكونه (وَرَائِهِمْ): كونه أمامهم محيطًا بهم. وسمّي وراءهم بعناية أنّه يطلبهم، كما أنّ مستقبل الزّمان أمام الإنسان، ويقال: وراءك يوم كذا، بعناية أنّ الزّمان يطلب الإنسان ليمرّ عليه. وهذا معنى قول بعضهم: إنّ في (وراء) معنى الإحاطة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ الكهف: ٧٩.

والمراد بهذا البَرْزَخ: عالم القبر، وهو عالم المثال الّذي يعيش فيه الإنسان بعد موته إلى قيام السّاعة، على مايُعطيه السّياق وتدلّ عليه آيات أُخر، وتكاثرت فيه الرّوايات من طرق الشّيعة، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وأئمّة أهل البيت عليهم السّلام، وكذا من طرق أهل السّنّة.

وقيل: المراد بالآية: أنّ بينهم وبين الدّنيا حاجزًا

يمنعهم من الرجوع إليها إلى يوم القيامة، ومعلومٌ أن لارجوعَ بعد القيامة. ففيه تأكيد لعدم رجوعهم، وإياس لهم من الرجوع إليها من أصله.

وفيه أنّ ظاهر السّياق الدّلالة على استقرار الحاجز بين الدّنيا وبين يوم يُبعثون لابينهم وبين الرّجوع إلى الدّنيا.

ولو كان المراد أنّ الموت حاجزٌ بينهم وبين الرّجوع إلى الدّنيا لغى التّقييد بقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ لدلالته من طريق المفهوم على رجوعهم بعد البعث إلى الدّنيا ـ ولارجوع بعد البعث ـ بل للغويّة أصل التّقييد، وإن فُرض أنّهم كانوا يعلمون من الخارج أو من آياتٍ سابقةٍ أن لارجوع بعد القيامة.

على أنّ قولهم: إنّه تأكيد لعدم الرّجوع بإياسهم من الرّجوع مطلقًا، مع قولهم: بأنّ عدم الرّجوع بعد القيامة معلومٌ من خارج، كالمتهافتين، بل يرجع المعنى إلى تأكيد نفي الرّجوع مطلقًا، المفهوم من (كَلّا) بنفي الرّجوع الموقّت المحدود بقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فافهمه. (١٥: ٦٨)

المُصْطَفَوِيّ: أي حالة جديدة، وعالم يظهر على كيفيّةٍ مخصوصةٍ متكوّنة من السّابق، ويمتدّ هذا العالم إلى البعث. ولاحاجة لنا إلى تفسيره بالحاجز والحائل بين الشّيئين.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ الرّحمن: ٢٠، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ الفرقان: ٥٣.

في التّعبير بكلمة (بَيْنَهُمَا) إشارة إلى أنّ هذه الحالة الجديدة والصّورة الظّاهرة إنّما هي واقعة بالنّسبة إلى الطّرفين، فتصحّ نسبته إلى كلٍّ من البحرين الواقعين في حدّيه.

وكلمتا (لَا يَبْغِيَانِ)، و﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ تدلّان على قيدٍ جديدٍ، وهو يلائم المعنى المذكور، وأمّا إذا كان بمعنى الحاجز. فالقيدان زائدان للتّوضيح.

وهكذا القول في الآية الأُولى ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ المؤمنون: ١٠٠، فإنّ تفسيره بالحاجز بين الأمرين فيها ركيك من جهات.

فالبَرْزَخ في الآية الشّريفة قريبٌ من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ المؤمن: ١٦، فالنّاس بعد موتهم يبرزون على حالة خاصّة، منقطعين عن الدّنيا وعن علائقها، متوجّهين إلى عالم الحقيقة، منخلعين عن لباس الجسد، متلبّسين بلباس لطيف، يترآى في سيماهم ماعملوا من خير أو شرّ، ويرون ماعملوا مُحضَرًا عندهم ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزّلزال: ٧، ٨.

فهذا البَرْزَخ شبيه جدًّا بالبراز؛ فإنّ من تبرّز وخرج إلى براز قِرْنه في الحرب، فقد انقطع عن جميع متعلّقاته، ولايرى إلّا قدرة نفسه في مقابل طرفه وقِرْنه، ولاينفعه ماكان له من عنوان أو مال أو قريب حميم. (١: ٢٣٨)

٢ـ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾. الرّحمن: ٢٠

ابن عَبّاس: يقول: حاجز. (الطّبَريّ ٢٧: ١٢٩)

مُجاهِد: بينهما حاجز من الله، لايبغي أحدهما على الآخر. (الطّبَريّ ٢٧: ١٢٩)

قَتادَة: والبَرْزَخ: هذه الجزيرة، هذا اليَبَس.

البَرْزَخ الّذي بينهما: الأرض الّتي بينهما.

حُجِز المالح عن العذب، والعذب عن المالح، والماء عن اليَبَس، واليبس عن الماء، فلايبغي بعضه على بعض، بقوّته ولطفه وقدرته. (الطَّبَريّ ٢٧: ١٢٩)

ابن زَيْد: منعها أن يلتقيا بالبَرْزَخ الّذي جعل بينهما من الأرض. والبَرْزَخ: بُعد الأرض الّذي جُعل بينهما. (الطَّبَريّ ٢٧: ١٢٩)

ابن قُتَيْبَة: أي حاجز، لئلّا يحمل أحدهما على الآخر، فيختلطان. (٤٣٨)

الطَّبَريّ: يقول تعالى ذكره: بينهما حاجز وبُعْدٌ، لايفسد أحدهما صاحبه، فيبغي بذلك عليه، وكلّ شيء كان بين شيئين فهو بَرْزَخ عند العرب، ومابين الدّنيا والآخرة بَرْزَخ. (٢٧: ١٢٩)

الزّجّاج: البَرْزَخ: الحاجز، وهو حاجز من قدرة الله، (لَايَبْغِيَانِ) لايبغي الملح على العذب، فيختلط به، ولاالعذب على المالح فيختلط به. (٥: ١٠٠)

ابن عَطيّة: البَرْزَخ: المدّة الّتي بين الدّنيا والآخرة للموتى، فهي حاجز. وقد قال بعض النّاس: إنّ ماء الأنهار لايختلط بالماء الملح بل هو بذاته باقٍ فيه، وهذا يحتاج إلى دليل أو حديث صحيح، وإلّا فالعيان لايقتضيه. (٥: ٢٢٧)

شَوْقي ضَيْف: والبَرْزَخ: الحاجز بين الشّيئين، ومثله «الحِجْر» في آية الفرقان، أو لعلّ معنى ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ الفرقان: ٥٣، سترًا مستورًا.

وهذا البَرْزَخ والحِجْر إمّا حقيقيّان، بمعنى أنّ بين البحرين بَرْزَخًا من اليابسة، وكأنّ الآية عن مطلق البحر العذب والبحر الملح، ووجودهما على ظهر المعمورة، وإمّا مجازيّان بمعنى قدرة الله.

ويجري مع ذلك فهمان متقابلان، فَهْم يمثّله التقاء الأنهار بالبحار والمحيطات وأنّ كلًّا من الماءين العذب والملح لايتجاوز حدّه، وهو معنى (لَايَبْغِيَانِ) فكلّ منهما لايبغي على صاحبه ولايطغى عليه بالممازجة والاختلاط.

وفَهْم ثانٍ أعمّ، وهو قدرة الله على أن خلق البحار ملحةً والأنهار عذبةً، والتقاؤهما ليس التقاءً حقيقيًّا وإنّما هو التقاؤهما في مَرْءى العين، بمعنى أنّ الإنسان يراهما، وإذا رأى أحدهما تذكّر صاحبه.

(سورة الرّحمن: ٦٩)

بَرْزَخًا

وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا.

الفرقان: ٥٣

ابن عَبّاس: البَرْزَخ: الأرض بينهما. (الطَّبَريّ ١٩: ٢٤)

مُجاهِد: مَحْبِسًا. (الطَّبَريّ ١٩: ٢٤)

حاجزًا لايراه أحد، لايختلط العذب في البحر.

البَرْزَخ: أنّهما يلتقيان فلايختلطان. (الطَّبَريّ ١٩: ٢٥)

الضَّحّاك: هو الأجل مابين الدّنيا والآخرة. (الطَّبَريّ ١٩: ٢٥)

الحسَن: هذا اليَبَس. (الطَّبَريّ ١٩: ٢٥)

الفَرّاء: البَرْزَخ: الحاجز، جعل بينهما حاجزًا لئلّا تغلب الملوحة العذوبة. (٢: ٢٧٠)

ابن قُتَيْبَة: أي حاجزًا، وكذلك الحَجْز والحجاز، لئلّا يختلطا. (٣١٤)

الطَّبَريّ: يعني حاجزًا يمنع كلّ واحدٍ منهما من إفساد الآخر. [إلى أن قال:]

وإنّما اخترنا القول الّذي اخترناه في معنى قوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ دون القول الّذي قاله مَن قال معناه: إنّه جعل بينهما حاجزًا من الأرض أو من اليبس، لأنّ الله تعالى ذكره أخبر في أوّل الآية أنّه مرَج البحرين، والمَرْج: هو الخلط في كلام العرب، على مابيّنت قبل، فلو كان البَرْزَخ ـ الّذي بين العذب الفرات من البحرين، والملح الأُجاج ـ أرضًا أو يبسًا، لم يكن هناك مرجٌ للبحرين.

وقد أخبر جلّ ثناؤه أنّه مرَجَهما، وإنّما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأُجاج عن إفساد هذا العذب الفرات، مع اختلاط كلّ واحد منهما بصاحبه.

فأمّا إذا كان كلّ واحد منهما في حيّز عن حيّز صاحبه، فليس هناك مرجٌ، ولاهناك من الأُعجوبة مايُنبّه عليه أهل الجهل به من النّاس، ويذكرون به، وإن كان كلّ مابتدعه ربّنا عجيبًا، وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ. (١٩: ٢٤)

الزَّجّاج: البَرْزَخ: الحاجز، فهما في مَرْءى العين مختلطان، وفي قدرة الله عزّوجلّ منفصلان، لايختلط أحدهما بالآخر. (٤: ٧٢)

البغَويّ: أي حاجزًا بقدرته لئلّا يختلط العذب بالملح ولاالملح بالعذب (٣: ٤٥٢)

مثله الخازن. (٥: ٨٧)

الزَّمَخْشَريّ: حائلًا من قدرته، كقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ الرّعد: ٢، يريد بغير عمَد مرئيّة، وهو قدرته. (٣: ٩٦)

الطَّبْرِسيّ: أي حجابًا وحاجزًا من قدرة الله تعالى يمنعهما من الاختلاط. (٤: ١٧٥)

القُرطُبيّ: أي حاجزًا من قدرته لايغلب أحدهما على صاحبه. (١٣: ٥٩)

النَّسَفيّ: حائلًا من قدرته يفصل بينهما ويمنعها التّمازج، فهما في الظّاهر مختلطان وفي الحقيقة منفصلان. (٣: ١٧١)

ابن كثير: أي حاجزًا، وهو اليبس من الأرض. (٥: ١٥٨)

الآلوسيّ: أي حاجزًا، وهو لفظ عربيّ، وقيل: أصله: بَرْزَه، فعُرّب.

والظّاهر أنّ تنوين (بَرْزَخًا) للتّعظيم، أي وجعل بينهما بَرْزَخًا عظيمًا، حيث إنّه على كثرة مرور الدّهور لايتخلّله ماء أحد البحرين حتّى يصل إلى الآخر، فيغيّر طعمه. (١٩: ٣٤)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة «البَرْزَخ» وهو الحاجز بين الشّيئين، كالحاجز بين الظّلّ والشّمس، والحاجز بين البحر العذب والملح، وهو قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَايَبْغِيَانِ﴾ الرّحمن: ٢٠.

وقد أُطلق على القبر بَرْزَخًا مجازًا، لأنّه بين الدّنيا والآخرة، ثمّ أُطلق على المدّة بينهما توسّعًا، يقال للرّجل إذا مات: فلان في البَرْزَخ، أي بين الدّنيا والآخرة. ومن المجاز أيضًا قولهم لما بين الشّكّ واليقين: برازخ الإيمان، أو هو مابين أوّل الإيمان وآخره.

٢ـ وقال الرّاغب: «قيل: أصله: بَرزه، فعُرّب»، ولم يفصح عن أيّ لغة نقل إلى العربيّة، وعن معناه في تلك اللّغة. إلّا أنّه يحتمل أن يريد به فارسيّ المنشأ، لكون الرّاغب فارسيًّا ملمًّا بلغة قومه. ولكنّ معنى هذا اللّفظ في الفارسيّة ـ وهو زراعة البذر ـ يجعل المسافة بين هذين اللّفظين شاسعة جدًّا، وكذلك اللّفظ، رغم تقاربهما فيه؛ إذ من عادة العرب أن يُبدّلوا الحرف الأخير من اللّفظ الأعجميّ إذا كان هاء بالجيم، مثل: فيروزج وفالوذج، وأصلهما في الفارسيّة «فيروزه» و«فالوده».

٣ـ وممّن قال بأعجميّته من المعاصرين المستشرق آرثرجفري، فقطع بذلك معلّلًا رأيه بعدم اشتقاق فعل منه، وعدم استعماله في الشّعر القديم، ولكنّه لم يذكر أصله ومنشأه.

ثمّ عرض رأي بعض المعاصرين فيه، واستبعد رأي من قال بأنّه معرّب «برزك»، أي الباكي أو المتأوّه بالفارسيّة، لعدم المناسبة بينهما. ووافق بتحفّظ رأي من ذهب إلى أنّه معرّب «پرسنگ»، ويعني في الفارسية القديمة وحدة قياس المسافة، ويُطلق عليه في الفارسيّة الحديثة «فرسنگ»، ومعرّبه «فرسخ».

ولكنّنا نرى ذلك بعيدًا أيضًا، لعدم تناسبهما معنًى ولفظًا أوّلًا، ثمّ وجود اللّفظ المعرّب ـ وهو فرسخ ـ ثانيًا؛ إذ العرب لايعرّبون اللّفظ الأعجميّ بأكثر من لفظ واحد غالبًا.

٤ـ ولاشكّ أنّ هذا اللّفظ يشعر من له حسّ مرهف في اللّغة بأنّه لفظ خارج عن طور العربيّة، إمّا بإضافة حرف إليه ـ وهو الخاء ـ للدّلالة على معنى زائد فيه، كالمبالغة ـ كما قيل ـ فيكون على غرار ألفاظ ندّت عن موادّها، مثل: برزق من (ب ر ز)، وبذرق من (ب ذ ر)، وزرقم من (ز ر ق) وهلمّ جرًّا.

وإمّا أعجميّ مجهول المنشأ؛ إذ ماورد في أصله لايفي بإقناع الحاذق من اللّغويّين. فإن قيل: أصله «برزه» أو «برزگ» أو «پرسنگ» ـ كما تقدّم ـ يقال: ماالمناسبة بين البرزخ وهذه الألفاظ؟ وإن قيل: أصله «پرده» ـ أي ستر في الفارسيّة ـ يقال: كيف أصبح اللّفظ برزخًا؟

الاستعمال القرآنيّ

جاء هذا اللّفظ في ثلاث آيات:

١ـ ﴿حَتّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون: ٩٩، ١٠٠

٢ـ ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ الرّحمٰن: ١٩، ٢٠

٣ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ الفرقان: ٥٣

يلاحظ أوّلًا: أنّ هذا الاسم في الآيات الثّلاث جاء

نكرة، وهو يرمز بذلك إلى تعظيمه وخطورة أمره.

ثانيًا: يبدو من سياق الآيات الثّلاث أنّ البرزخ حائل لايمكن اجتيازه، وهويحول بين بيئتين متباينتين تباينًا فاحشًا، وهما الدّنيا والآخرة في (١)، والبحر العذب والملح في (٢) و(٣).

ثالثًا: استعمل القرآن الكريم لفظ البَرْزَخ في (١) حول الموت والحياة، كجواب حاسم يردّ قول الكافر: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، ولايتحقّق هذا الرّدّ إلّا بضرب سور بينه وبين مايشتهي.

رابعًا: جاء لفظ البَرْزَخ مرّتين في الحاجز بين البحرين، ومرّة في الحاجز بين الدّنيا والآخرة، والأوّل محسوس، والثّاني غير محسوس. فالمحسوس كرّر تأكيدًا على إثبات غير المحسوس، أي الّذي جعل بين البحرين حاجزًا قادر على أن يجعل بين الدّنيا والآخرة حاجزًا.

خامسًا: قد فسّر البحران في آية (الفرقان) بالعذب الفرات والملح الأجاج، لاحظ «أ ج ج»، والحاجز بينهما بَرْزَخ بينهما، أي حاجز بينهما. وهذا دليل على وجود بحرين كذلك مع حاجز بينهما، فأين هذان البحران والحاجز؟

وقد فسّر بعضهم الحاجز بالجزيرة الواقعة بين البحرين، لتمنع من اختلاطهما، وهذا المعنى كالصّريح في قوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ النّمل: ٦١، فإنّ «الحجر المحجور» في آية الفرقان هو الأرض الحائلة بينهما، وعليه فالبَرْزَخ هو الحاجز بين بحرين ليس غير.

وهناك رأي اختاره الطّبَريّ، وهو أنّ المراد بالحاجز: الماء المختلط بين العذب والفرات، يجري بين البحرين ليحجزهما، مستدلًّا بصدر الآية ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾، فالمرج هو الخلط، وعليه فالمراد بالحاجز: الماء دون الأرض، وفيه معنى المنع والمزج معًا. فالبرزخ بين البحرين هو الماء المختلط منهما، يمنع اختلاطهما لجريانه بشدّة بينهما.

وهذا مانشاهده في الأنهار الكبار الّتي تصبّ في البحار، حيث تحتفظ بعذوبتها خلال مسافة طويلة لشدّة جريانها، ثمّ يختلط ماؤها بماء البحر المالح تدريجيًّا حتّى يذوب فيه، ولكنّه ماء عذب بين ملحين، وليس بين بحر عذب وبحر ملح، وعليه فلاشاهد له فيما نعرفه من البحار والأنهار، فالمتعيّن هو الأوّل، وهو الأرض الحاجزة بين بحر عذب وبحر أُجاج، ولها نظائر في أرجاء المعمورة.

سادسًا: لم نجد في النّصوص اللُّغويّة في مفهوم «البَرْزَخ» سوى الحاجز والمانع بين الشّيئين، من دون إشارة إلى المختلط والممتزج منهما، فلاندري من أين جاء هذا المعنى! ولاسيّما في البرزخ بين الدّنيا والآخرة، حيث فسّروه بـ(العالم الثّالث)، وقالوا إنّه متوسّط بين الدّنيا والآخرة، ومثال لهما، ففيه جزء دنيويّ، وهو الصّورة، وجزء أُخرويّ، وهو التّجرّد من المادّة.

سابعًا: قالوا: في البَرْزَخ بعد الموت: إنّه حاجز للأموات يمنعهم من الرّجوع إلى الدّنيا كما سبق، وهذا يناسب سياق الآيات ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، فإنّهم تمنّوا الرّجوع إلى الدّنيا، فردّ الله عليهم

أنّ ذلك غير ميسور، فإنّ البرزخ الّذي يدوم إلى يوم البعث حاجز بينهم بين الرّجوع إلى الدّنيا.

وقد صرّح مُجاهِد بذلك؛ حيث قال: «حجاب بين الميّت والرّجوع إلى الدّنيا». وقال الطّبَريّ: «ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرّجوع». وقال الزّمَخشَريّ: «أي أمامهم حائل بينهم وبين الرّجعة».

وهناك رأي في معنى الآية، وهو أنّ «البَرْزَخ» هو الحاجز بين الدّنيا والآخرة، وبين الموت والبعث، واختاره العلّامة الطّباطَبائيّ، وفنّد الوجه الأوّل،احتجاجًا بأنّ التّقيد بـ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ على هذا الوجه يكون لغوًا، لدلالته على طريق المفهوم على رجوعهم إلى الدّنيا بعد البعث، فلاحظ.

وعندنا أنّ المراد بهذا التّقييد أنّ هذا الحاجز مستمرّ إلى يوم البعث، وأنّهم انتقلوا بعد الموت إلى حياة ممتدّة إلى يوم لايعلمه إلّا الله، تمنعهم من الرّجوع إلى الدّنيا، وليس فيه أي دلالة على رجوعهم إلى الدّنيا بعد البعث، فالتّقييد لتفخيم هذا الحاجز المستمرّ إلى يوم البعث، لا لإعلام رجوعهم إلى الدّنيا بعد البعث.

ثامنًا: والبحث حول عالم البَرْزَخ وماهيّته في علمي الكلام والفلسفة بل عند العرفاء طويل، وقد سبق شطر منه في النّصوص، فلانطيل.

ب ر ص

لفظ واحد، مرّتان، في سورتين مدنيّتين

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: البَرَص: داءٌ.

وسامُّ أبرَصَ: مضافٌ غير مصروف، والجمع: سوامُّ أبرَصَ.

ويقال: كان بيده بَرَصٌ.

قال تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ النمل: ١٢، فخرجَت بيضاءَ للنّاظرين. (٧: ١١٩)

ابن شُمَيْل: البُرْصَة: البُلُّوقة، وجمعها: بِراصٌ، وهي أمكنة من الرّمل بيضٌ، ولاتُنْبِتُ شيئًا.

(ابن منظور ٧: ٦)

أبوزَيْد: البَرَصَة: دابّة صغيرة دون الوَزَغَة، إذا عضّت شيئًا لم يَبرأ. (ابن دُرَيْد ٣: ٤٦٢)

و[سامُّ أبرَصَ] جمعه: سَوامُّ أبرَصَ. ولايُثنّى أبرص ولايُجمع لأنّه مضاف إلى اسم معروف، وكذلك بناتُ آوى، وأُمّهات حُبَيْنٍ، وأشباهها. (الأزهَريّ ١٢: ١٨٠)

الأصمَعيّ: سامُّ أبرَصَ بتشديد الميم، ولاأدري لِمَ سُمّي بهذا؟ (الأزهَريّ ١٢: ١٨٠)

أبوحاتِم: [أبرَص] يُجمع: أبارص، على غير قياس. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن دُرَيْد ١: ٢٥٨)

ثَعْلَب: وهو سامُّ أبرَصَ، وسامّا أبرَصَ، وسَوامُّ أبرَصَ. (ابن فارِس ١: ٢٢٠)

ابن دُرَيْد: البَرَص: بياض يقع في الجلد معروف.

وحيّة بَرْصاء: في جلدها لُمَع بياض، وسامُّ أبرَصَ معروف.

والبَرِيص: موضع قالوا بدِمَشْق، وليس بعربيّ صحيح، وقد تكلّمت به العرب، وأحسبه روميّ الأصل. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٥٨)

ابن خالَوَيْه: البُرْص بالضّمّ: جمع الأبرص. وقد يطلق البَرَص على الوَزَغَة، ويصغّر أبرَص فيقال: بُرَيْص، ويُجمع: بُرْصانًا.

وأبوبُرَيْص كُنية الوَزَغَة، وأبوبُرَيْص أيضًا طائر

يسمّى البلصة. (الزّبيديّ ٤: ٣٧٣)

الأزهَريّ: أبرَصَ الرّجل، إذا يولد أبرَص. ويصغّر أبرَص فيقال: بُرَيْص، ويُجمع: بُرْصانًا.

ومن النّاس من يجمع سامَّ أبرَصَ: البِرَصَة.

وبَرِيص: نهر بدِمَشق. [ثمّ استشهد بشعر] (١٢: ١٨٠)

الصّاحِب: البَرَصُ: معروف.

وسامُّ أبرَصَ: دُوَيْبَّةٌ، وجمعها: سَوامُّ أبرَصَ وسامّاتُ أبرَصَ. ويقال للواحد: أبوبَرِيص، وجمعه: بِرْصان وبرُوص وبِرَصَة.

والبَرِيص: البَرِيق. وبَرَصْتُ الإهاب.

وتبَرَّصتُ الأرض: لم أدَعْ فيها رِعْيًا إلّا رَعَيْتُه.

وأرضٌ بَرْصاءُ.

والتَّبْرِيص: حلقُك الرّأس.

والبِراص: البَلاليق؛ وهي أمكنةٌ بيضٌ بين الرِّمال، والبُرصَة لاتكون إلّا فيما استوى من الرّمل لاتُنْبِتُ شيئًا.

والتَّبرِيص: أن يُصيب الأرضَ المطرُ قبل أن تُحرَث.

والبَرَص: دُوَيْبّة في البِئر. (٨: ١٣٨)

الجَوهَريّ: البَرَصُ: داءٌ، وهو بياض. وقد بَرِص الرّجل فهو أبرَص، وأبرَصَه الله.

وسامُّ أبرَصَ، من كبار الوَزَغ، وهو معرفة إلّا أنّه تعريف جنس، وهما اسمان جُعلا واحدًا، إن شئت أعربتَ الأوّل وأضفته إلى الثّاني، وإن شئت بنيتَ الأوّل على الفتح وأعربتَ الثّاني بإعراب مالاينصرف.

واعلم أنّ كلّ اسمين جُعلا واحدًا فهو على ضربين: أحدهما: أن يُبْنَيا جميعًا على الفتح، نحو خمسة عشَر، ولقيته كفّةَ كفّةَ، وهو جاري بيتَ بيتَ، وهذا الشّيء بَيْنَ بَيْنَ، أي بين الجيّد والرّديء، وهمزة بَيْنَ بَيْنَ، أي بين الهمزة وحرف اللّين، وتفرّق القوم أخْوَلَ أخْوَلَ، وشَغَرَ بَغَرَ، وشذَرَ مَذَرَ.

والضّرب الثّاني: أن يُبنى آخر الاسم الأوّل على الفتح، ويعرب الثّاني بإعراب مالاينصرف، ويُجعل الاسمان اسمًا لشيءٍ بعينه، نحو حَضْرَمَوْتَ وبعلبكَّ ورامَهُرْمُزَ ومارَسَرْجِسَ، وسامُّ أبرَصَ.

وإن شئت أضفتَ الأوّل إلى الثّاني فقلت: هذا حَضْرَمَوْت، أعربتَ «حَضْرًا» وخفضتَ «مَوْتًا».

وفي «مَعْدي‌كَرِب» ثلاث لغات، ذكرناها في باب الباء.

وتقول في التّثنية: هذان سامّا أبرَصَ، وفي الجمع: هؤلاء سَوامُّ أبرَصَ، وإن شئت قلت: البِرَصَة والأبارِص، ولاتذكر سامّ. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ١٠٢٩)

نحوه الرّازيّ. (٦١)

ابن فارِس: الباء والرّاء والصّاد أصل واحد، وهو أن يكون في الشّيء لُمْعَة تخالف سائر لونه، من ذلك البَرَص. وربّما سمّوا القمر أبرَص.

والبَرِيص مثل البصيص، وهو ذلك القياس. [ثمّ استشهد بشعر]

والبِراص: بِقاع في الرّمل لاتُنْبِتُ. وسامُّ أبرَصَ معروف. قال القُتَيْبيّ: ويجمع على الأبارِص. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢١٩)

ابن سيدة: البَرَص: بياضٌ يقع في الجلد، بَرِصَ

بَرَصًا، وهو أبرص، والأُنثى بَرصاء، قال:

مَنْ مُبلغٌ فِتيانَ مُرّةَ أنّه
هَجانا ابْنُ بَرْصاءِ العِجَانِ شَبِيبُ

وحيّةٌ بَرْصاءُ: في جِلدها لُـمَعُ بياض.

وسامُّ أبرَصَ: الوزَغَة، وهما سامّا أبـرَصَ وسَـوامُّ أبرَصَ، ولايُثنّى أبرص ولا يجمع، وقد قالوا: الأبارص، كأنّه على إرادة النّسب وإن لم تثبت الهاء كـما قـالوا: المهالب، [ثمّ استشهد بشعر]

وأبو بُرَيْص: كُنية الوزغة، والبُرَيْصَة: دابّة صغيرة دون الوَزَغَة إذا عضّت شيئًا لم يَبْرَأ.

والبُرْصَة: فَتْقٌ في الغَيْمِ يُرى منه أديم السّماء.

والبَرِيص: نَهر بدِمَشْق، قـال ابـن دُرَيْـد: وليس بالعربيّ الصّحيح، وقد تكلّمت به العرب.

وبَنُو الأبْرَص: بنو يَرْبُوع بن حنظَلة. (٨: ٣١٨)

البَرَص: بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاجه، بَرِص يبرَص بَرَصًا فهو أبرَص وهي بَرْصاء، وبُرِص، فهو مبروص. وأبرَصَه الله. (الإفصاح ١: ٥٢٧)

الرّاغِب: البَرَص معروف، وقيل للـقمر: أبـرَصُ للنّكتة الّتي عليه. وسامُّ أبـرَصَ سمّي بـذلك تشـبيهًا بالبَرَص. والبَرِيـص: الّـذي يـلمع لمـعان الأبـرَص: ويقارب البصيص، بَصَّ يَبِصُّ، إذا بَرِقَ. (٤٣)

الزّمَخْشَريّ: كثرت الأبارص في أرضهم، وهـو جمع: سامُّ أبرَص، ويقال: سَوامّ أبرَص. [ثمّ استشهد بشعر]

ومن المجاز: بِتّ لايُؤنسـني إلّا الأبرَص، وهو القمر. وأرض بَرْصاء، وهي العارية من النّبات.

وتبرّصت الإبلُ الأرضَ: لم تَدَعْ فيها رِعْيًا. وبَرّص رأسه: حلقه تبريصًا. (أساس البلاغة: ٢٠)

الصّغانيّ: الأبرَصُ: القمر، وبنو الأبـرَص: بـنو يَرْبُوع بن حنظلة. [ثمّ استشهد بشعر]

وأبـرَص الرّجـل: جـاء بـولد أبـرَص. تـبرّصتُ الأرضَ، أي لم أدَعْ فيها رِعْيًا إلّا رعيتُه، وأرض بَرْصاء.

والتّبريص: حلق الرّأس، والتّبريص: أن يصيب الأرض المطر قبل أن تُحـرَث. والبَريـصة: دُوَيْـبّة في البئر. (٣: ٥٣٠)

الفَيُّوميّ: برِصَ الجسم برَصًا من بـاب «تَـعِبَ» فالذّكر أبرَص، والأُنثى بَرْصاء، والجمع: بُرْص، مثل أحمَر وحَمْراء وحُمْر.

وسامُّ أبرَصَ: كبار الوَزَغ. [ثمّ قال نحو ماتقدّم عن الجَوهَريّ] (١: ٤٤)

الدّميريّ: سامُّ أبرَصَ، بتشديد الميم، [ثمّ قال نحو ماتقدّم عن الجَوهَريّ وأضاف:]

وإن شئت قلت: هؤلاء السّوامّ، ولاتذكر أبـرَصَ، وإن شئت قلت: هؤلاء البِرَصَة والأبارص، ولاتـذكر سامّ. [ثمّ استشهد بشعر]

وإنّما سمّي هذا النّوع: سامُّ أبرَصَ، لأنّـه سُمّ، أي جعَل الله فيه السّمّ، وجعله أبرَص.

(١: ٥٤٢)

الفيروز اباديّ: البَرَصُ محرّكة: بياض يـظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج، بـرِصَ كـفَرِح فهو أبـرَص، وأبرَصَه الله، والّذي ابيَضّ من الدّابّـة من أثر العضّ.

وسامُّ أبرَصَ: من كبار الوَزَغ معروف، دمه وبوله

عجيبٌ إذا جُعل في إحليل الصّبيّ المأسور ورأسه مدفوقًا ـ إذا وُضع على العضو ـ أخرج ماغاص فيه من شوك ونحوه.

وهذان سامّا أبرَص، وهؤلاء سوامّ أبرَص، أو السّوامّ بلاذِكر أبرَص، أو البِرَصَة والأبارص بلاذِكر سامّ.

والأبرَص: القمر، وبنو الأبرَص: بنو يَربُوع بن حنظلة.

وأرض بَرْصاء: رُعي نباتها، وحيّة بَرْصاء: فيها لُمَع بياض.

والبَريص: نبتٌ يُشبه السُّعْدَ، وموضع بدِمَشْق.

والبصيص وككِتاب: منازل الجنّ، وبِقاع في الرّمل لاتُنبتُ، جمع: بُرْصَة بالضّمّ.

والبَرْص بالفتح: دُوَيْبّة تكون في البئر.

وأبرَص: جاء بولد أبرَص.

والتّبريص: حَلْقُك الرّأس، وأن يُصيب الأرضَ المطر قبل أن تُحرَث.

وتبرّص الأرضَ: لم يَدَعْ فيه رِعْيًا إلّا رَعاه.

(٢: ٣٠٦)

الزَّبيديّ: قال أبوإسحاق النّجيرميّ في «أماليه»: العرب تقول: لاأبرَح بريصي هذا، أي مقامي هذا، قال: ومنه سمّي باب البريص بدِمَشْق، لأنّه مقام قوم يردُّون، هكذا نقله ياقوت.

قلت: فهو إذًا عربيّ صحيح، خلافًا لما نقله الصّاغانيّ عن ابن دُرَيْد أنّه روميّ الأصل، كما تقدّم فتأمّل.

والأبراص: موضع بين هرشي فالغمر. (٤: ٣٧٤)

مَجْمَعُ اللُّغة: البرَصُ هو إبيضاض الجلد من فقد خضابه، ويحدث على شكل بقع مختلفة الحجوم، وهو عرَض من أعراض الجذام المتعدّدة. والأبرَص هو المصاب بذلك الدّاء. (١: ٩٣)

نحوه محمّد إسماعيل إبراهيم. (١: ٦٥)

العَدْنانيّ: «سامُّ أبرَص، سامّا أبرَص، سَوامّ أبرَص، سَوامّ، بِرَصَةٌ، أبارصُ».

ويطلقون على أحد كبار أنواع الوَزَغ اسم «أبوبُرَيْص» وهي كنيتُه لااسمه، لأنّ اسمه هو: سامُّ أبرَص، كما تقول المعجمات، ومثنّاه، سامّا أبرَص، كما يقول ابن السّكّيت في «إصلاح المنطق» وثعلَب، والزّجّاج والصّحاح، ومعجم مقاييس اللّغة، والمحكم، والمختار، واللّسان، والمصباح، وحياة الحيوان للدّميريّ، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وعليّ راتب في تذكرته، والوسيط.

أمّا جُموعه فهي:

١ـ سوَامُّ أبرَص: اللّيث بن سعد، وابن السّكّيت في «إصلاح المنطق» وثعلَب، والصّحاح، ومعجم مقاييس اللّغة، والمحكم، والأساس، والمُغرِب، والمختار، واللّسان، والمصباح، وحياة الحيوان للدّميريّ، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، وعليّ راتب في تذكرته، والوسيط.

٢ـ وسَوامُّ: المختار، واللّسان، والمصباح، وحياة الحيوان للدّميريّ، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، والوسيط.

٣ـ وبِرَصَة: ابن السّكّيت في «إصلاح المنطق»، والصّحاح، والمحكم، والمختار، واللّسان، والمصباح، وحياة الحيوان للدّميريّ، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد الّذي أخطأ بتسكين الرّاء بدلًا من فتحها، وعليّ راتب في تذكرته، والوسيط.

٤ـ وأبارِص: الصّحاح، والمحكم، والأساس، والمختار، واللّسان، والمصباح، وحياة الحيوان للدّميريّ، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والوسيط. [ثمّ استشهد بشعر]

ولمّا كان «اللّسان» قد انفرد بذكر جمع خامس، هو «الأبارصَة» دون أن يؤيّده معجم آخَرُ ثَبَتٌ، فإنّني أرى أن نُهمِل هذا الجمع.

وابن سيدة يثنّيه في «المحكم» بقوله: سوامّا أبرَص، وكنيته عنده: أبوبَرِيص.

ويقول الزّجّاج والمصباح: إنّ سامّ أبرَصَ يقع على الذّكر والأُنثى.

ويجوز أن نبني جزأي سامّ أبرَص على الفتح كخمسَة عشَر، أو نُعرِب الأوّل، ونُضيفه إلى الثّاني مفتوحًا، لأنّه ممنوع من الصّرف.

أمّا الوَزَغَة فهي سامّ أبرَصَ للذّكر والأُنثى، أو الوَزَغَة الأُنثى، والذّكر الوَزَغ. وجمعها: وَزَغٌ، وأوزاغٌ ووِزغان ووِزاغٌ. (٥٤)

المُصطَفَويّ: طبُّ الأكبريّ (٢: ١٤٨) وهو بياض شديد يظهر في ظاهر الجلد، وقد يحيط بتمام البدن، فيقال: بَرَص منتشر، وإنّه متعسّر العلاج، ولاسيّما إذا كان مُزمِنًا وفي التّزايد.

وإذا كان مُزمِنًا فيسري في اللّحم والعظم حتّى يكون الشّعر والدّم في المحلّ بياضين. (١: ٢٣٩)

النّصوص التّفسيريّة

الأبرَص

...وَأُبْرِئُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ وَاُحْيِي الْمَوْتٰى بِاِذْنِ اللهِ. آل‌عمران: ٤٩

البَغَويّ: (وَالْاَبْرَصَ) هو الّذي به وضَحٌ. وإنّما خصّ هذين، لأنّهما داءان عيّاءان، وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام الطّبّ، فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك. (١: ٤٤١)

نحوه الطّبرسيّ (١: ٤٤٥)، والقُرطُبيّ (٤: ٩٤)، والشّربينيّ (١: ٢١٧)، وأبوالسّعود (١: ٣٧١).

البُرُوسَويّ: (وَالْاَبْرَصَ) وهو الّذي به برَص، أي بياض في الجلد يتطيّر به، وإذا استحكم فلابُرْءَ له، ولايزول بالعلاج، ولم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه. وإنّما خصّهما بالذّكر للشّفاء، لأنّهما ممّا أعيى الأطبّاء في تداويهما، وكانوا في غاية الحذاقة في زمن عيسى عليه السلام، وسألوا الأطبّاء عنهما، فقال جالينوس وأصحابه: إذا وُلِد أعمى لايبرأ بالعلاج، وكذا الأبرص إذا كان بحال لو غرزتَ الإبرَة فيه لايخرج منه الدّم لايقبل العلاج.

فرجعوا إلى عيسى وجاءوا بالأكمه والأبرص، فمسح يده بعد الدّعاء عليهما فأبصَر الأعمى وبَرِئ الأبرَص، فآمن به البعض وجحد البعض، وقالوا: هذا سحر. (٢: ٣٧)

نحوه الآلوسيّ. (٤: ٨٤)

الطّباطبائيّ : ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ من كان به برص، وهو مرض جلديّ معروف. (٣: ١٩٩)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة «البَرَص» وهو بياض يقع في الجلد، يتولّد من داء عضال، يقال: كان بيده بَرَص، وقد بَرِصَ الرّجل يَبْرَصُ بَرَصًا فهو أبرَصُ، وبُرِصَ فهو مبروص، وأبرَصَه الله، وأبـرَصَ هـو، أي جـاء بـولد أبرَص.

ومنه: البُرْصَة، وهي رملة بيضاء لاتـنبت شيئًا، جمعها: بِراص، ولعلّها أصل برأسها، والبَرَص مشتقّ منها. وتُطلق البُرْصَة أيضًا على دابّة صغيرة دون الوَزَغَة، قيل: إذا عضّت شيئًا لم يبرأ، وهو من باب التّشبيه.

ومنه أيضًا: سامُّ أبرَصَ، وهو الوَزَغ، لبياضه في لمعان. وحيّة بَرْصاء: في جلدها لُمَع بياض. والبَرِيص: الّذي يلمع لمعان الأبرَص، والبَرَص: دُوَيْبّة تكون في البئر، أُطلق عليها ذلك لبياضها كما يبدو، كما أُطلق الأبرص على القمر للنّكتة الّتي عليه، حسب قول الرّاغِب. والبُرْصَة: فتق في السّماء، يُرى به أديمها، أي بياضها، والجمع: بُرَص.

٢ـ وقد عدّ الزّمخشريّ البُرصَة ـ بمعنى الرّملة البيضاء ـ مجازًا، وهو بعيد، لأنّه إن لم يكن أصلًا ـ كما توقّعناه ـ فهو تمثيل للبَرَص، ثمّ إنّ هذه المادّة تكاد تخلو من المجاز، وماقاله: «ومن المجاز: بِتّ لايؤنسني إلّا الأبرص، وهو القمر، وأرض بَرْصاء، وهي العارية من النّبات، وتبرّصت الإبلُ الأرضَ: لم تدع فيها رِعْيًا، وبرّص رأسه: حلَقه»، لم يروِه أحد عن العرب، حتّى من عاش في القرن الخامس الهجريّ كابن سيدة، ونحسبه من كلام المولّدين، وماأكثره بعد عصر المشافهة!

٣ـ ولفظ أبرَصَ «أفعَل» من: بَرِصَ يَبْرَصُ بَرَصًا، وهو صفة مشبّهة، لأنّه يدلّ على عيب، مثل: أعرج، وصيغ من فعل لازم، كما أنّه يُستحسن جرّ فاعله به، يقال: أبرصُ الوجهِ، وأصله بَرِصَ وجهُه، وهو مااختصّت به الصّفة المشبّهة.

الاستعمال القرآنيّ

جاء في القرآن لفظ واحد من هذه المادّة ـ وهو الأبرص ـ في آيتين تتضمّنان معجزة للنّبيّ عيسى عليه السلام:

﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ آل‌عمران: ٤٩

﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ المائدة: ١١٠

يلاحظ أوّلًا: أنّ الآيتين جاءتا في سورتين مدنيّتين من السّبع الطّوال: إحداهما في أوائل الهجرة، وهي آية آل‌عمران، والأُخرى في آخرها، وهي آية المائدة، احتجاجًا على أهل الكتاب، وهم اليهود والنّصارى المتوطّنون بالمدينة، أو المختلفون إليها. ولم يردا في مكّة، لأنّها كانت تخلو من أهل الكتاب.

ثانيًا: أنّ الله قارن بينهما بمرضين لاطبّ لهما، ابتُلي بهما الأكمه والأبرص، واختصّ بعلاجهما عيسى عليه السلام بمسح يده عليهما.

وكان هذا العلاج معجزة له، لغلبة الطّبّ اليونانيّ في فلسطين حينذاك، فجاءت معجزته من سنخ الطّبّ، كما جاءت معجزة نبيّنا كلامًا معجزًا، ومعجزة موسى مـن سنخ السّحر الدّارج في مصر، وهكذا في سائر الأنبياء.

ثالثًا: وقد قارن بينهما بإحياء الموتى، وهـو عـمل لايرتاب أحد في كونه معجزة خارجة عن نطاق الطّبيعة وفناء الطّبّ.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب ر ق

٤ ألفاظ، ٦ مرّات: ٢ مكّيّة، ٤ مدنيّة

في ٥ سور: ٢ مكّيّة، ٣ مدنيّة

برق ١: ١ — البَرْق ٣: ١ـ٢

بَرَق ١: ١ـ١ — بَرْقِه ١: ١ـ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: البَرْق دخيل في العربيّة، ويُجمع على: بِرْقان. والبَرَق: مصدر الأبْرَق من الحبال، وهو الحَبْل الّذي أُبْرِم بقوّة سوداء وقوّة بيضاء. ومن الجبال: مافيه جُدَدٌ بيضٌ وجُدَدٌ سُودٌ.

والبَرْقاء من الأرض: طرائقُ بُقعَة فيه حجارة سُودٌ يخالطها رَمْلَة بيضاء. وكلّ قطعة على حيالها بُرْقَةٌ، فإذا اتّسع فهو الأبْرَق، والأبارق: جمعه، ويُجمع على البِراق.

والأبارِق: الآكام يخالطها الحصىٰ والرِّمال. [ثمّ استشهد بشعر]

وهَضْبُ الأبارق: موضع بعينه.

والبُرُوق: بيض السّحاب، وبَرَق يبرُق بُروقًا وبريقًا وأبرَق: لغة.

والبارقة: سحاب يبرُق. وكلّ شيء يتَلألأ فهو بارق، ويبرُق بريقًا. ويقال للسّيوف: بوارق.

وإذا اشتدّ موعدٌ بالوعيد يقال: أبرَق وأرعَد. [ثمّ استشهد بشعر]

وبرَق ورعَدَ: لغة. [ثمّ استشهد بشعر]

وأبرَقَت النّاقة: ضَرَبَتْ بذَنَبها مرّةً على فرجها، ومرّة على عجُزِها.

والإنسان البَرُوق هو الفَرِق لايزال. قال:

يَروعُ لكلّ خوّار بَروقِ

كأنّه من قولك: بَرِق بَصرُهُ فهو بَرِقٌ، أي بَهِتٌ، فهو فَزِع مبهوت، وكذلك يفسّر من قرأ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ القيٰمة: ٧.

ومن قرأ (بَرَق) يقول: تراه يَلمَعُ من شدّة شخوصه ولايَطرِف. [ثمّ استشهد بشعر]

وبرّق بعينه تبريقًا، إذا لألأها من شدّة النّظر.

والبُراق: دابّة يركبها الأنبياء.

والأباريق: جمع إبريق.

والبُرقان: جمع بُرقانة، وهي جرادةٌ تلوّنَتْ بخطوط صُفر وسُود. (٥: ١٥٥)

المؤرّج السّدُوسيّ: برّق فلان تبريقًا، إذا سافر سفرًا بعيدًا. وبرّق منزله، أي زيّنه وزوّقه. وبرّق فلانٌ في المعاصي، إذا لجّ فيها. وبرّق بي الأمر، أي أعيا عليّ. (الأزهَريّ ٩: ١٣٤)

اليزيديّ: برَق وجهه بالدّهن يبرُق بَرْقًا وله بريق، وكذلك برَقتُ الأديم أبرُقه بَرْقًا، وبرّقته تبريقًا. (ابن فارِس ١: ٢٢٥)

ابن شُمَيْل: البُرْقة: ذات حجارة وتراب، وحجارتها الغالب عليها البياض، وفيها حجارة حُمْر وسود، والتّراب أبيضُ أعفَر، وهو يبرُق لك بلون حجارتها وترابها، وإنّما برّقها اختلاف ألوانها وتُنبت أسنادها وظهرها البَقْل والشّجَر نباتًا كثيرًا، يكون إلى جنبها الرّوض أحيانًا. (الأزهَريّ ٩: ١٣٢)

أبوعمروالشّيبانيّ: البُرَقُ: مادُفع في السّيل من قِبَل الجبَل. (ابن فارِس ١: ٢٢٦)

قُطْرُب: الأبرَق: الجبل يعارضك يومًا وليلة، أملس لايُرتَق. (ابن فارِس ١: ٢٢٦)

أبوعُبَيْدَة: برَق الرّجل وأبرَق، إذا أوعد وتهدّد، وكذلك برَقت السّماء وأبرَقت. والاختيار في هذا برَق الرّجل وبرَقت السّماء.

مثله أبوزَيْد. (فعلت وأفعلت: ٣)

أبوزَيْد: إذا أدَمْتَ الطّعام بدَسَمٍ قليل قلتَ: برَقته أبرُقه بَرْقًا.

مثله اللّحيانيّ. (الأزهَريّ ٩: ١٣٣)

البُرْقة: قلّة الدّسم في الطّعام.

ويقال: أبرَق الرّجل، إذا أمّ البَرَق، أي قصده. ومرّت بنا اللّيلة سحابةٌ بَرّاقة وبارقة.

(الأزهَريّ ٩: ١٩٩)

نحوه اللّحيانيّ. (ابن فارِس ١: ٢٢١)

البَرْوَقُ: شجرةٌ ضعيفة. (ابن فارِس ١: ٢٢٥)

الأصمَعيّ: برَقت السّماء ورعدَت، وبرَق الرّجل يبرُق ورعَد يرعُد، إذا تهدّد. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ٩: ١٣١)

نحوه ابن السّكّيت. (إصلاح المنطق: ٢٢٦)

برِق السّقاء يبرَق برَقًا، وذلك إذا أصابه الحرّ، فيذوب زُبْدُه، ويتقطّع فلايجتمع، يقال: سِقاءٌ بَرِق.

الأبرَق والبَرْقاء: حجارة رمل مختلطة، وكذلك البُرْقة. (الأزهَريّ ٩: ١٣٢)

يقال: أبرَق فلان بسيفه إبراقًا، إذا لمع به.

ويقال: رأيت البارقة: ضوء بَرْق السّيوف.

ويقال: مرّت بنا اللّيلة بارقةٌ، أي سحابة فيها بَرْق، فما أدري أين أصابت.

والعرب تقول: «هو أعذب من ماء البارقة».

(ابن فارِس ١: ٢٢٢)

البُرْقان: ماأصفرّ من الجراد وتلوّنت فيه خطوط واسْودّ، ويقال: رأيت دَبًا بُرقانًا كثيرًا في الأرض، الواحدة: بُرقانة، كما يقال: ظَبْيَةٌ أُدْمانة وظباء

أُدْمان. (ابن فارِس ١: ٢٢٧)

اللَّحيانيّ: حَبْلٌ أبرَق، لسواد فيه وبياض.

(الأزهَريّ ٩: ١٣٢)

يقال من الغنم: أبرَق، وبَرْقاء للأُنثى، ومن الدّوابّ: أبلَق، وبَلْقاء للأُنثى، ومن الكلاب: أبقَع وبقْعاء.

(الأزهَريّ ٩: ١٣٢)

إبريق، إذا كانت برّاقة.

وأبرقت المرأة وبرّقت، إذا تحسّنت وتعرّضت.

(الأزهَريّ ٩: ١٣٢)

البارقة: السّيوف، على التّشبيه بها لبياضها. ورأيت البارقة، أي بريق السّلاح.

وبَرِق بَصَرُه بَرَقًا وبرَق يبرُق بُرُوقًا: دهش فلم يبصر. (ابن منظور ١٠: ١٥)

أبرَق بسيفه: إذا لمع، ولاأفعله ماأبرَق في السّماء نجم، أي ماطلع، وكلّه من البَرْق. (ابن سيدة ٦: ٣٩٩)

بَرَقَ الطّعام يبرُقه بَرْقًا: إذاصبّ فيه السمن.

(ابن سيدة ٦: ٤٠٠)

يقال للنّاقة إذا شالت ذنبها كاذبةً وتلقّحت وليست بلاقح: أبرَقتِ النّاقة، فهي مُبْرِق وبُرُوقٌ، وضدّها المِكْتام. (ابن فارِس ١: ٢٢٣)

ابن الأعرابيّ: الأبرَق: الجبَل مخلوطًا برمل، وهي البُرْقة. وكلّ شيئين خُلطا من لونين فقد بُرِقا، وبرّقتُ رأسه بالدّهن. (الأزهَريّ ٩: ١٣٢)

عَمِل رجل عملًا فقال به بعض أصحابه: برّقتَ وعرّقتَ.

معنى برّقتَ: لوّحت بشيء ليس له مصداق، وعرّقتَ: أقللتَ.

البُرَق: الضّباب، والبُرْق: العين المنفتحة.

(الأزهَريّ ٩: ١٣٤)

برَقَت فهي بارق، إذا تشذّرت بذنبها من غير لَقَح.

(ابن فارِس ١: ٢٢٤)

بَرِق الرّجل: ذهَبَتْ عيناه في رأسه، ذهَب عقله.

(ابن فارِس ١: ٢٢٥)

شهرزور قبّحها الله، إنّ رجالها لَبُرُقٌ، وإنّ عقاربها لبُرُقٌ، أي إنّها تشول بأذنابها كما تشول النّاقة البَرُوق.

(ابن سيدة ٦: ٣٩٩)

أبو نصر الباهليّ: أبْرَق الرّجل، إذا لمع بسيفه.

(الجَوهَريّ ٤: ١٤٤٨)

ابن السِّكّيت: مستهنّ البَرّاقة، وهي البيضاءُ البرّاقة الثّغر. وإنّما دُعيت برّاقةً، لبياض ثغرها، وبريقه، والدّهثمة: الماجدة السّهلة الحُرّة، ورجل دَهْثَم. (٣٢١)

البَرِيقة: وجمعها: بَرائق، اللّبن تُصبّ عليه الإهالة. وقد برَقوا اللّبن، إذا صبّوا عليه إهالةً وسَمْنًا. وابْرُقُوا الماء بزيت، أي صُبّوا عليه زيتًا قليلًا. (٦٤١)

نحوه أبوصاعد الكِلابيّ. (الجَوهَريّ ٤: ١٤٤٨)

والبَرْق: الّذي يبرُق في الغَيْم.

والبَرْق أيضًا: مصدر برَق طعامه يبرُقه بَرْقًا، إذا صبّ عليه شيئًا من زيت قليل.

والبَرَقُ: أن يبرَق البصَر، وهو أن يستحيَر فلايَطرِف. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرَقُ أيضًا: الحمَل، وأصله فارسيّ معرّب.

(إصلاح المنطق: ٤٤)

وقد بَرَق البَرق يبرُق، وقد بَرَق في الوعيد ورعَد: يبرُق ويَرْعَد.

ويقال: قد بَرَق طعامه بزيت أو بسَمْن يبرُقه بَرْقًا، وهو شيء منه قليل لم يُسَغْسِغْه. والسَّغسَغة: كثرة الأُدْم.

ويقال: قد بَرَق السّيف يبرُق، وقد بَرِق البصر يبرَق بَرَقًا، إذا تحيّر، فلم يطرِف، وكذلك بَرِق الرّجل يبرَق بَرَقًا. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: قد بَرِقَت الغنم تبرَق، إذا اشتكت بطونها عن أكل البَرْوَق، و هو نبت. (اصلاح المنطق: ١٩٣)

أبوحاتِم: عن الأصمعيّ: بَرَقت السّماء، إذا جاءت ببرق، وكذلك رعدَت، وبَرَق الرّجل ورعَد.

ولم يعرف الأصمعيّ: أبرَق وأرعَد، وأنشد:

يا جَلّ مابَعدت عليك بلادُنا

فابرُق بأرضك مابدالك وارعُد

ولم يلتفت إلى قول الكُمَيت:

أبْرِقْ وأرْعِدْ يايزيد ...

وقد أخبرنا بها أبوزَيْد عن العرب، ثمّ إنّ أعرابيًّا أتانا من بني كلاب وهو مُحرِم، فأردنا أن نسأله، فقال أبوزَيْد: دعوني أتولّ مسألته فأنا أرْفَقُ به.

فقال له: كيف تقول: إنّك لتُبْرِق وتُرْعِد؟ فقال: في الخجيف؟ يعني التّهدّد، قال: نعم. قال: أقول: إنّك لتُبْرِق وتُرْعِد.

فأخبرتُ به الأصمَعيّ، فقال: لاأعرف إلّا بَرَق ورَعَد. (ابن فارِس ١: ٢٢٣)

ابن قُتَيْبَة: أصل البَرَق: الدّهَش، يقال: بَرِق الرّجل يبرَق بَرَقًا. (٤٩٩)

الدّينَوريّ: البَرْوَقُ: شجر ضعيف له ثمر حبّ أسود صغار.

أخبرني أعرابيّ قال: البَرْوَقُ: نبت ضعيف ريّان، له خِطَرَة دِقاق، في رؤوسها قاعيل صغار مثل الحِمّص، فيها حبّ أسود، ولايرعاها شيء، ولاتُؤكل وحدها، لأنّها تورث التّهبّج. (ابن سيدة ٦: ٤٠١)

المُبَرِّد: الأبرَق: حجارة يخلطها رمل وطين، يقال لتلك: بُرْقَة، وأبرَقُ بَرْقاءُ يافتى، كما يقال: الأمْعَزُ والمَعْزاء، وهي الأرض الكثيرة الحَصْباء.

ومثل ذلك الأبطح والبَطْحاء، وهو ماانبطحَ من الأرض. فمن قال: أبرَقُ فإنّما أراد المكان، ومن قال: بَرْقاء فإنّما أراد البُقعة. (١: ٣٢)

ابن دُرَيْد: البَرْق معروف، والجمع: البُروق، والسّحابة: بارقة، والجمع: بوارق. وسمّيت السّيوف بارقة وبوارق تشبيهًا بالبرق.

ويقال: برَقت السّماء بَرْقًا. ويقال: بـرَق الرّجل بَرْقًا، إذا تهدّد.

وأبرَقْنا نحن وأرعَدْنا، إذا رأينا البَرْق وسمعنا الرّعد.

وإنّك لتَبرُق لي وتَرعَد، إذا جاء متهدّدًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وبرَق الشّيء بريقًا وبَرَقانًا، إذا لمع. [ثمّ استشهد بشعر]

بَرِق الرّجل يبرَق بَرَقًا، إذا شخَص بطرفه من فزَع أو عجَب. [ثمّ استشهد بشعر]

والأبرَق والبُرْقة والبَرْقاء واحد، وهي آكام فيها طين وحجارة.

وحَبْل أبرَق، إذا كان ذالونين سواد وبياض، أو غير ذلك.

ورجل بُرْقان، إذا كان برّاق البدن.

والبِرَق: الحَمَل، أعجميّ معرّب.

وجمع أبرَق: أبارق، وجمع بَرْقاء: بَرْقاوات، وجمع بُرْقَة: بُرَق.

وبنو بارق: قبيلة من العرب، وبارق: موضع بالسّواد قريب من الكوفة.

وقد سمّت العرب: بارقًا وبريقًا وبَرّاقًا.

وناقة بَرُوق، وهي الّتي تشول بذنَبها وليست بلاقح، ومثَل لهم «مأأُطيق تكذابك وتأثامك، تشول بلسانك شولان البَرُوق». [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرْوَق: نَبت ضعيف، يغنيه اليسير من ندى اللّيل فينبُت. ومثَل من أمثالهم: «أشكر من بَرْوقة».

والبُراق: الدّابّة الّتي حمل عليها النّبيّ ﷺ، اشتقاقها من «البَرق» إن شاء الله.

وبَرّاقة: اسم. وامرأة بَرّاقة الجسم، أي صافيته. [ثمّ استشهد بشعر]

والبُرْقان من الجراد: الّتي تستبين فيه خطوط سود وحُمْر. (١: ٢٦٩)

الهَمَذانيّ: يقال: تبسّم البَرْقُ وأومَضَ وبَرَقَ، ولمَعَ وسَطَع، وتَلألأ وتألّقَ، وأزْهَرَ ولاحَ، ولَمَحَ وأنار، وأضاء، وأشرَق، وتوَهّج. (٢٦١)

الأزهَريّ: قال أبونصر: وسمعت من غير الأصمَعيّ: أبرَق وأرعَد، أي تهدّد.

قلت: وهذا قول أبي عُبَيْدَة، وكان الأصمَعيّ ينكره ويقول: بَرَق ورعَد، واحتجّ أبوعُبَيْدَة بقول الكميت:

أبرِقْ وأرْعِد يايزيـ ـد فما وعيدك لي بضائرْ

وكلّهم يقول: أرعَدْنا وأبرَقْنا بمكان كذا وكذا، أي رأينا البَرق والرّعد.

وأبرَق الرّجل بسيفه يُبرِق، إذا لمع به.

ويقال للسّلاح إذا رأيت بريقَه: رأيتُ البارقة.

ويقال: مافعلَت البارقة الّتي رأيتها البارحة؟ يعني السّحابة الّتي يكون فيها بَرْق. وقال الله جلّ وعزّ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ القيٰمة: ٧.

ويقال للجبل: أبرَقُ، لبُرْقَة الرّمل الّذي تحته.

وقال غير الأصمَعيّ: جمع البُرْقَة: بُرَق، وجمع الأبرَق: أبارق، وجمع البَرْقاء: بَرْقاوات. وتجمع البُرْقَة: بِراقًا أيضًا.

والبُراق: دابّة الأنبياء.

والبَرْوَق: نبت معروف، تقول العرب: «أشكَرُ من بَرْوَق» وذلك أنّه يخضرّ بأدنى النّدى، يقع من السّماء.

ويقال للعين: بَرْقاء، لسواد الحدقة مع بياض الشّحمة.

ويقال: ابْرُقُوا الماء بزيت، أي صُبّوا عليه زيتًا قليلًا، وقد برَقوا لنا طعامًا بزيتٍ وسَمْنٍ، وهي التّباريق.

ويقال للجراد إذا كان فيه بياضٌ وسواد: بُرْقان.

ويقال: «لكلّ داخل بُرْقَة» أي دَهْشَة.

والبَرَق: الدّهش. (٩: ١٣١)

الصّاحِب: البَرَقُ: الحمَل، دخيل مُعرّب، وجمعه: البِرْقان. ومصدر الأبْرَق من الجبال، والحِبال؛ وهو الّذي أُبرِم بقوّة سوداء وبقوّة بيضاء.

والبَرْقاء من الأرض: طرائقُ بُقعة فيها حجارةٌ سُود يخالطها رَمْلَـةٌ بيضاء، وكلّ قطعة بُرْقَةٌ، وإذا اتّسع فهو الأبْرَق، والجميع: البِراق والأبارق.

والبَرَق أيضًا: داءٌ يأخذ الإبل عن أكـل البَرْوَق؛ يقال: بَرِقَتْ، وهو نَبْتٌ لاترعاه إلّا عند الضّرورة. وفي المَثَل: «أقصَفُ من بَرْوَقَة» لأنّهـا تكـون عـلى سـاق. ويقولون: «أشكَرُ مـن البَرْوَق» لأنّـه يَـنْبُت بـالغَيْم والنّدى ويَخضَرّ.

والبَرْق: وَميض السّحاب، بَرَق السّـحاب يَـبْرُق بَرْقًا وبريقًا وبَرَقانًا، وأبرَق لغةٌ فيه. والبارِقَةُ: السّحابة ذات البَرْق.

والسُّيوف بَوارق، لأنّها تَتَلألأُ.

وفي الحديث: «الجنّة تحتَ البارقة» يريد في الجهاد.

وأبرَق الرّجل: إذا أوعَد، وبَرَق أيضًا.

وأبرَق بسَيْفه: لَمَع به.

وامرأةٌ إبريقٌ: إذا كانت بَرّاقةً حَسْناء.

والإبريقُ: السّيف، وقيل: القَوْس.

وأبرَقَت النّاقة: ضَرَبَتْ ذَنَـبَها مرّةً على فرجها ومن جهة على عَجُزها.

والبَرُوق: النّاقة الّتي تُرى أنّها لاقحٌ وليست بـه، والفعل أبرَقَتْ، وإبلٌ مَبارِيقُ.

والبُرُوق: شَوَلانُ النّاقة بذَنَبِها.

والإنســـان البَرُوق: هـو الفَرِقُ. وإذا بُهِتَ يَـنْظُر كالمُتحيِّر قيل: بَرِق بَصَرُه بَرَقًا، فهو بَرِق: فَزِعٌ.

وبَرّقَ بعَيْنَيه: لألأهما من شدّة النّظر.

ويقولون: لئن أبرَقْتَ عن هذا الأمر وإلّا فعَلْتُ كذا: أي لئن تركتَه.

وأبرَقَتِ المرأة عن وجهها: أبرَزَتْه.

والبُراق: دابّـةٌ.

والتّبرُوق: الدَّسَمُ في القِدْر، وكذلك إذا كُنْتَ تَبْرُق ماءً بزَيْت، والجميع: التّباريق. وبَرَق طعامه يَبْرُقه بَرْقًا: إذا صَبّ عليه شيئًا من زَيْت، وهـي البَرِيقَة وتُجمَع بَرائق.

والبُرْقَةُ: قلّـةُ الدَّسَم.

والبُرَقيّاتُ من الطّعام: الألوان الّتي يُبْرَق بها.

وبَرِقَ السِّقاءُ يَبْرَق بَرَقًا: إذا أصابه الحرُّ فذابَ زُبْدُه وتقطّعَ، فهو بَرِق.

والبُرْقان: الجراد إذا اصفرّ وتلوّنَتْ فيه خُطوطٌ.

ورجل بُرْقانٌ: إذا كان بَـرّاق البدَن.

ويقال للرّجل الّذي لاتأمَنُه: بَوْرَقٌ، وجمعه: بَوارقُ.

والبَوْرَقُ: الّذي يُجعَل في العجين.

والبَرْقيّ: الطُّفَيليّ، بلغة أهل مكّة.

ودارة أبرَقَ: لبني عمرو بن ربيعة.

وتسمّى العَنْزُ بُرَيْقَة، وذلك اسمها تُدعى به للحَلْب. (٥: ٤٠٧)

الخطّابيّ: البَرْقة: الدَّهْشة، يريد قـول النّـاس: لكلّ داخل دَهْشَة.

يقال: بَرِق الرّجل يبرَق بَرَقًا، إذا بُهِت من فزَع أو نحوه، فبَقِيَ شاخصًا بصَره لايَطرِف.

ويقال: رجل بَرُوق فَرُوق، وهـو الفَـزِع لايـزال، ومـن هـذا قـوله عـزّوجلّ: ﴿فَـإِذَا بَـرِقَ الْـبَصَرُ﴾ القيٰمة: ٧.

ويقال: إنّ الأصل في ذلك أن يرى الرّجل البَرْقَ ولمعانه، فيضعُف بصَره، فيقال: بِرق الرّجل. ثمّ كثر حتّى استعمل في غيره، [ثمّ استشهد بشعر]

(٢: ٤٦٧)

في الحديث: «برِقت قدماه» يريد أنّه قد أقلّه من الأرض، حتّى ترتفع قدماه عن وجهها، فلايقدر أن يتماسك، ومنه قولهم: بَرِق بصَره، أي ضعُف وبَنا.

والأصل في هذا أن يرى الرّجل البَرْق ولمعانه فيضعُف بصَره ويتحيّر، ثمّ استعمل في الضّعف في كلّ شيء. (٢: ٥٧٢)

ابْرُقُوا، أي اطلُبوا الدّسَمَ والسّمْن، ويقال: بَرَقتُ لفلان، إذا دسّمْتَ له طعامه بالسّمْن. (الهَرَويّ ١: ١٥٩)

الجَوهَريّ: بَرق السّيف وغيره يبرُق بُروقًا، أي تَلألأ، والاسم: البَريق.

والبَرْقُ: واحد بُروق السّحاب، يقال: بَرْقُ الخُلَّبِ، وبَرْقٌ خُلَّبٍ بالإضافة، وبَرْقٌ خُلّبٌ بالصّفة، وهو الّذي ليس فيه مطر.

ويقال: رعَدَت السّماء وبَرَقَتْ بَرَقانًا، أي لمعت.

ورعَد الرّجل وبرَق، أي تهدّد.

ورعَدَت المرأة وبرَقَتْ، أي تزيّنت.

وقد ذكرنا الخلاف في أرْعَدَ وأبْرَقَ في باب الدّال.

وأرعَد القوم وأبْرَقُوا، أي أصابهم رعدٌ وبَرْقٌ.

وأبرَقت النّاقة وبَرَقَتْ أيضًا، إذا شالت بذَنَبها وتلقّحتْ وليست بلاقح، فهي بَرُوق ومُبْرِق، ونوق مَباريق.

يقال: ابْرُقوا الماء بزيت، أي صُبّوا عليه زيتًا قليلًا.

وقد بَرَقوا لنا طعامًا بزيتٍ أو سمن بَرْقًا، وهي التّباريق، وهو شيء منه قليل لم يُسْغِيفُوه، أي لم يكثروا دُهْنَه.

والبُراق: اسم دابّة ركبها رسول الله ﷺ ليلة المعراج.

وبَرِق البصر بالكسر، يبرُق بَرَقًا، إذا تحيّر فلم يَطرِف. [ثمّ استشهد بشعر]

فإذا قلت: برَق البصر بالفتح، فإنّما تعني بريقَه إذا شخَص.

والبَرْوَق ساكنة الرّاء: نَبت، الواحدة: بَرْوَقة، وفي المثَل: «أشكَرُ من بَرْوَقة» لأنّها تخضرّ إذا رأت السّحاب.

وبَرِقت الغنم بالكسر، تبرَق بَرَقًا، إذا اشتكت بطونها من أكل البَرْوَق.

وبَرّق عينيه تبريقًا: أوسعها وأحدّ النّظر.

والأبرَق: غِلَظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة، وكذلك البَرْقاء. وجمع الأبرَق: أبارِق، وجمع البَرْقاء: بَرْقاوات.

والبُرْقة بالضّمّ، مثل البَرْقاء، والجمع: بِراق. يقال: قنفذُ بُرْقةٍ، كما يقال: ضبُّ كُدْيَةٍ، والجمع: بُرَق.

والأبرَق: الجبَل الّذي فيه لونان، وكلّ شيء اجتمع فيه سواد وبياض فهو أبرَق. يقال: تَيْسٌ أبرَق وعَنْز بَرْقاء، حتّى أنّهم يسمّون العين بَرْقاء. [ثمّ استشهد بشعر]

والبارق: سحاب ذوبَرق، والسّحابة: بارقة، والبارقة أيضًا: السّيوف.

وبارِق: قبيلة من اليمن، منهم معقّر بن حمار البارقيّ

الشّاعر.

وبارِق: موضع قريب من الكوفة. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرَقُ: الحَمَل، فارسيّ معرّب، وجمعه: بُرْقان. (٤: ١٤٤٨)

نحوه الرّازيّ. (٦١)

ابن فارِس: الباء والرّاء والقاف أصلان، تتفرّع الفروع منها؛ أحدهما: لَمَعان الشّيء، والآخر: اجتماع السّواد والبياض في الشّيء. ومابعد ذلك فكلّه مجاز، ومحمول على هذين الأصلين.

أمّا الأوّل، فقال الخليل: البَرْق: وَميض السّحاب، يقال: بَرَق السّحاب بَرْقًا وبريقًا.

قال بعضهم: يقال: بَرْقة، للمرّة الواحدة إذا بَرَق، وبُرْقة بالضّمّ، إذا أردت المقدار من البَرْق.

ويقال: «لاأفعله مابرَق في السّماء نجمٌ» أي ماطلَع. وأتانا عند مَبْرَق الصّبح، أي حين برَق.

ويقال للسّيف ولكلّ ماله بَريق: إبريق، حتّى إنّهم يقولون للمرأة الحسناء البَرّاقة: إبريق. [ثمّ استشهد بشعر]

قال أبوعليّ الأصفهانيّ: يقال: أبرَقت السّماء على بلاد كذا، وتقول: أبرَقتُ، إذا أصابتك السّماء، وأبرَقتُ ببلد كذا، أي أُمطِرتُ.

تقول العرب: «هو أشكَرُ من بَرْوَقَةٍ» وذلك أنّها إذا غابت السّماء اخضرّت، ويقال: إنّه إذا أصابها المطر الغزير هلكَت.

والبُرْقة: ماابيضّ من فَتْل الحَبْل الأسود.

قال أبوزياد الكلابيّ: الأبرَق في الأرض: أعالٍ فيها حجارة وأسافلها رمل يحلّ بها النّاس، وهي تُنسب إلى الجبال. ولمّا كانت صفةً غالبةً جُمعت جمع الأسماء فقالوا: الأبارِق، كما قالوا: الأباطح والأداهِم، في جمع الأدهم الّذي هو القيد، والأساود في جمع الأسود الّذي هو الحيّة.

قال بعض الأعراب: الأبرَق والأبارِق من مكارم النّبات، وهي أرض نصفٌ حجارةٌ ونصفٌ ترابٌ أبيضُ يَضرب إلى الحمرة، وبها رَفَضُ حجارةٍ حُمْرٍ، وإذا كان رمل وحجارة فهو أيضًا أبرَق.

وإذا عنيتَ الأرض قلت: بَرْقاء.

والأبرَق يكون علَمًا سامِقًا من حجارة على لونين، أو من طين وحجارة. والأبرَق والبُرْقة، والجميع: البُرَق والبِراق والبُرْقاوات.

قال أبوزياد: البُرْقان فيه سواد وبياض كمثل بُرْقة الشّاة. يمكث أوّل مايخرج أبيض سبعًا، ثمّ يسودّ سبعًا، ثمّ يصير بُرْقانًا، والبَرْقاء من الغنم كالبَلْقاء من الخيل. (١: ٢٢١)

الهَرَويّ: في حديث عمرو حين كتب إلى عُمر: «إنّ البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دود بين غَرَق وبرَق» أراد بالبرَق: الدّهَش والحيرة. (١: ١٥٨)

ابن سيدة: برَق الشّيء يبرُق بَرْقًا وبَريقًا، وبُروقًا وبَرَقانًا: لمع. وسيف إبريق: كثير اللّمعان في الماء. [ثمّ استشهد بشعر]

وجارية إبريق: برّاقة الجسم.

والبَرْق: الّذي يلمع في الغيم، وجمعه: بُروق. وبرَقت السّماء: تبرُق بَرْقًا، وأبرَقَتْ: جاءت ببَرْق.

والبُرْقَة: المقدار من البَرْق، وقرئ: ﴿يَكَادُ سَنَابُرَقِهِ﴾ النّور: ٤٣، فهذا لامحالة جمع بُرْقَة.

وأبرَق القوم: دخلوا في البَرْق. وأبرَقوا البَرْقَ: رأوه. [ثمّ استشهد بشعر]

والبُراق: دابّة يركبها الأنبياء عليهم السلام، مشتقّة من البَرْق. وقيل: البُراق: فرس جبرئيل عليه السلام.

وشيء بَرَّاق: ذوبَريق. والبُرْقانة: دُفْعَة البَريق.

ورجل بُرْقان: بَرّاق البدن.

وبرّق بصرَه: لألأ به.

وأبرقه الفزَع. والبَرَق أيضًا: الفزَع. ورجل بَروقٌ: جبان.

وأبرَقت النّاقة بذنَبها، وهي مُبْرِق، وبَروق - الأخيرة شاذّة - شالت به عند اللّقاح.

تقول العرب: «دَعنا من تكذابك وتأثامك شَوَلانَ البَرُوق» نصب «شَوَلان» على المصدر، أي إنّك بمنزلة النّاقة الّتي تُبْرِق بذنَبها، أي تَشول به، فتوهمك أنّها لاقح، وهي غير لاقح. وجمع البَروق: بُرُق.

وأبرقت المرأة بوجهها وسائر جسمها، وبرَقَتْ وبرَّقَتْ، إذا تعرّضت وتحسّنت. وقيل: أظهرته على عَمد. [ثمّ استشهد بشعر]

وامرأة بَرّاقة، وإبريق: تفعل ذلك.

والبُرْقانة: الجرادة المتلوّنة، وجمعها: بُرْقان.

والبُرْقَة، والبَرْقاء: أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل، وجمعها: بُرَق، وبِراق، شبّهوه بصِحاف، لأنّه قد استُعمل استعمال الأسماء.

فإذا اتّسعت البُرْقَة فهي الأبرَق، وجمعه: أبارق كُسّر تكسير الأسماء لغلبته.

وتَيسٌ أبرَق: فيه سواد وبياض. وجبَل أبرَق: فيه لونان من سواد وبياض. [ثمّ استشهد بشعر]

وروضة بَرْقاء: فيها لونان من النّبت. [ثمّ استشهد بشعر]

والبُرْقَة: قِلّة الدّسَم في الطّعام.

وبرَق الأُدْم بالزّيت والدّسَم يبرُقه بَرْقًا وبُروقًا: جعل فيه منه شيئًا يسيرًا. وهي البَريقة، وجمعها: بَرائق، وكذلك: التّباريق.

والبريقة: طعامٌ فيه لبن، وماء يُبرَق بالسّمن والإهالة.

وبرَق السّقاء يبرُق بَرْقًا وبُروقًا: أصابه حرّ فذاب زُبْدُه، وتقطّع فلم يجتمع.

والبُرْقيّ: الطُّفَيليّ، حجازيّة.

والإبريق: الحمَل، فارسيّ معرّب، وجمعه: أبْراق، وبِرْقان وبُرْقان.

والبَرْوَق: مايكسو الأرض من أوّل خُضرة النّبات.

والبَرْوَق: نَبت.

وقال بعضهم: هي بقلةٌ سَوْء تَنْبُت في أوّل البَقْل، لها قصبة مثل السّياط، وثمرة سوداء، واحدته: بَرْوَقَة.

وبارِق وبُرَيرِق وبُرَيْق وبُرْقان وبَرّاقة: أسماء. وبنو أباريق: قبيلة.

وبارِق: موضع إليه تُنسب الصّحاف البارقيّة. [ثمّ استشهد بشعر]

وبِراق: ماءٌ بالشّام. [ثمّ استشهد بشعر]

وبرَق نَحْرُه: اسم رجل. (٦: ٣٩٧)

برق البصر كفرِحَ ونصَرَ: تحيّرَ فلم يَطرِف.

(الإفصاح ١: ٤٧)

البُرْقان: الحُبشان، إذا سلخت فتصير فيها جُدّة سوداء وجُدّة صفراء، الواحدة: بُرْقانة.

(الإفصاح ٢: ٨٩٧)

البُرقة والبَرْقاء والأبرق: غلظ فيه حجارة ورمل، وبُرَق ديار العرب تُنيف على مائة.

(الإفصاح ٢: ١٠٢٦)

الرّاغِب: البَرْق: لَمَعان السّحاب، قال تعالى: ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ البقرة: ١٩، يقال: برَق وأبرَق.

وبرَق: يقال في كلّ مايلمَع، نحو سيفٌ بارقٌ.

وبرِق وبرَق: يقال في العين إذا اضطربت وجالت من خوف، قال عزّوجلّ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ القيمة: ٧، وقُرئ: (وبَرَق).

وتُصُوِّر منه تارةً اختلاف اللّون، فقيل: البُرْقة: الأرض ذات حجارة مختلفة الألوان، والأبرَق: الجبل فيه سواد وبياض، وسَمّوا العين بَرْقاء لذلك.

وناقة بَروق: تلمع بذَنَبِها.

والبَرْوَقة: شجَرة تخضرّ إذا رأت السّحاب، وهي الّتي يقال فيها: «أشكرُ من بَرْوَقة».

وبرَق طعامه بزيته، إذا جعل فيه قليلًا يلمع منه.

والبارقة والأُبَيْرِق: السّيف للَمعانه.

والبُراق: قيل هو دابّة ركبها النّبيّ ﷺ لمّا عُرِج به، والله أعلم بكيفيّته.

والإبريق: معروف، وتُصُوِّر من البَرْق، مايظهر من تجويفه، فقيل: برَق فلانٌ ورعَد وأبرَق وأرعَد، إذا تهدّد. (٤٣)

الزّمَخْشَريّ: بَرقَت السّماء ورعَدَتْ، وأبرَقَتْ وأرعَدتْ، ونشأت بارقة.

ونزلنا في بُرْقَة من البُرَق والبِراق، وفي أبرَق من الأبارق، وفي بَرْقاء من البَرْقاوات.

وجبَل أبرَق، وناقة بَرُوق: تلمع بذَنَبِها من غير لقاح.

ويقال للوعد الكاذب: لَمْعُ البَرُوق بالذّنَب، و«أشكَرُ من بَرْوَقَة وأقْصَفُ من بَرْوَقَة».

وبرَق طعامه بزيت، وماني نريده إلّا بُرْقَة وبُرَق وتباريق من زيت.

وبرِق بصَره، وكلّمته فبرِق، أي تحيّر.

وأبرَقَتْ فلانة عن وجهها: كشفت. وأبرَق بسيفه: لمَع به.

ومن المجاز: فلان يبرُق لي ويرعُد، إذا تهدّد.

ورأيت في يده بارقة، وهي السّيف. والجنّة تحت البارقة، أي تحت السّيوف.

وحدّثته فأرسل بَرْقاوَيْه، أي عينيه لبَرْق لونيهما.

[ثمّ استشهد بشعر]

وبرّق عينيه: فتحهما جدًّا ولمّعهما. وأبرَقَتْ لي فلانة وأرعَدَتْ، إذا تحسّنت لك وتعرّضت.

(أساس البلاغة: ٢٠)

الجواليقيّ: والبرَق: الحمَل، أصله بالفارسيّة: بَرَه. (٩٣)

المَدينيّ: في حديث المعراج ذكرُ البُراق، وهي دابّة ركبها النّبيّ ﷺ ليلَتئذٍ. وفي رواية أنّها استصعَبت

عليه فجيء ببَرَقة، وهي أُخرى.

قيل: سمّي بذلك لنُصوع لونه وشدّة تَلألُئه وبَريقه، وقيل: بل لكونه أبيض، وقيل: لسرعة مَرّه وقوّة حركته، تشبيهًا له بالبَرق، ويحتمل اجتماع الكلّ فيه.

في حديث قَتادَة: «تسوقهم النّارُ سَوْقَ البَرَق الكسير» أي الحمَل المكسور القوائم. وهو فارسيّ مُعرّب، أصله: بَرَه، أي تسوقهم سوقًا رفيقًا، كما يساق الحمَل الظّالع. (١: ١٥٠)

ابن الأثير: فيه: «أبْرِقوا فإنّ دم عَفراء أزكى عند الله من دم سَوداوَيْن» أي ضَحّوا بالبَرْقاء، وهي الشّاة الّتي في خلال صوفها الأبيض طاقات سود.

وقيل: معناه اطلبوا الدَّسَم والسِّمَن، من بَرَقْتُ له، إذا دسّمتَ طعامه بالسَّمْن.

وفي حديث الدّجّال: «إنّ صاحب رايته في عَجْب ذَنَبه مثلُ ألْيَة البَرَق، وفيه هُلْبات كهُلْبات الفَرَس».

البَرَق بفتح الباء والرّاء: الحمَل، وهو تعريب «بره» بالفارسيّة.

ومنه حديث الدّعاء: «إذا برِقَت الأبصار» يجوز كسر الرّاء وفتحها، فالكسر بمعنى الحيرة، والفتح من البَريق: اللُّموع.

وفيه: «كفى ببارقة السّيوف على رأسه فتنةً» أي لمَعانها، يقال: بَرَق بسيفه وأبرَق، إذا لمَع به.

ومنه حديث عمّار: «الجنّة تحت البارقة» أي تحت السّيوف.

وفي حديث أبي إدريس: «دخلت مسجد دِمَشق فإذا فتى بَرّاق الثّنايا» وصف ثناياه بالحُسن والصّفاء، وأنّها تلمع إذا تبسّم كالبَرق، وأراد صفة وجهه بالبِشْر والطّلاقة.

ومنه الحديث: «تبرُق أسارير وجهه» أي تلمع وتستنير كالبَرق، وقد تكرّرت في الحديث.

وفيه ذكر «بُرْقة» هو بضمّ الباء وسكون الرّاء: موضع بالمدينة، به مالٌ، كانت صدقات رسول الله ﷺ منها. (١: ١١٩)

الفَيُّوميّ: البَرق معروف. وبرَقَت السّماء بَرْقًا من باب «قتَل» وبَرَقانًا أيضًا: ظهر منها البَرق.

وبرَق الرّجل وأبرَق: أوعَد بالشّرّ.

والبُراق: دابّة نحو البَغْل، تركبُه الرّسل عند العروج إلى السّماء. (١: ٤٥)

الفيروزاباديّ: البَرْق: فرس ابن العِرَقة، وواحد بُروق السّحاب، أو ضَرْب مَلَك السّحاب وتحريكه إيّاه لِيَساق فتُرى النّيران.

وبرَقت السّماء بُروقًا وبَرَقانًا: لمَعَتْ أو جاءتْ ببَرْق، والبَرْق: بَدا، والرّجل: تهدّد وتوعّد كأبرَق.

والشّيء بُرْقًا وبَريقًا وبَرَقانًا: لمَع، وطعامه بزَيْت أو سَمْن: جعل فيه منه قليلًا، والنّجم: طلع، والمرأة بَرْقًا: تحسّنت وتزيّنت كبرّقَتْ.

والنّاقة: شالَتْ بذَنَبها وتلقّحَتْ وليست بلاقح، كأبرَقَتْ فيهما، فهي بَرُوقٌ ومُبْرِق من مباريق، وبصرُه: تَلألأ.

وكفَرِح ونصَر بَرَقًا وبُرُوقًا: تحيّر حتّى لايَطرِف، أو دَهِشَ فلم يُبصر، والسّقاء: أصابه الحرّ فذابَ زُبْدُه وتقطّع فلم يجتمع، وسِقاءٌ بَرِقٌ ككَتِف، والغنَم كفَرِح:

اشتكت بطونها من أكل البَرْوَق.

والبُرْقان بالضمّ: البَرّاق البدن، والجراد المتلوّن، الواحدة: بُرْقانة.

وجاء عند مَبْرَق الصّبح كمَقعَد: حين برَق.

وبرّق نَحْرُه: لقب رجل، وذوالبَرْقَة عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لقّبه به العبّاس رضي الله تعالى عنه يوم حُنَيْن.

والبَرْقة: الدّهشة، وكجُهَيْنة: اسم للعَنْز تُدعى به للحلب.

والبارق: سحاب ذوبَرْق.

والبارقة: السّيوف.

والبَرْوَق كجَرْوَل: شُجَيْرَة ضعيفة إذا غامت السّماء اخضرّت. الواحدة بهاء، ومنه «أشكرُ من بَرْوَقَة».

والبَرْواق بزيادة ألف: نبات يُعرف بالخُنثى، وأكلُ ساقه الغضّ مَسلوقًا بزَيْت وخلّ تِرياق اليَرَقان، وأصله يُطْلَى به البَهَقان فيُزيلهما.

والسّيف البَرّاق، والقوس فيها تلاميع، والمرأة الحسناء البَرّاقة.

والأُبرَق: غَلِظ فيه حجارة ورَمْلٌ وطين مختلطة، جمعه: أبارق، كالبَرْقاء جمعه: بَرْقاوات، وجبَل فيه لونان، أو كلّ شيء اجتمع فيه سوادٌ وبياض، تَيْسٌ أبرَق، وعَنْز بَرْقاء، ودواء فارسيّ جيّد للحفظ، وطائر.

والأبرَقان إذا ثُنّوا، فالمراد غالبًا أبرَق حِجْر اليمامة، وهو منزل بين رُمَيْلة اللّوى، بطريق البصرة إلى مكّة.

والأبرَق: البادي، وابرَق ذي الجموع، الحَنّان، والدّاث، وذي جُدد، والرَّبَذة، والرَّوْحان، وضَحْيان، والأجدل، والأغشاش، وألْيَة، والثُّوَيْر، والحَزْن، وذات سلاسلَ، ومازِن، والعَزّاف، وعَمْرانَ، والعَيْشُوم، والأبرَقُ الفَرْد، وأبرَقُ الكبريت، والمَدى، والمَرْدُوم، والنَّعّار، والوَضّاح، والهَيْج: مواضع.

وأبْراق: جبَل بنجد. والأبْرَقة: من مياه نَمْلَة.

والأَبْرُوق كأُظفور: موضع ببلاد الرّوم، يَزُورُه المسلمون والنّصارى.

وأبارق الثَّمَدَيْن، وطِلْخام، والنّسر، واللّكاك، وهَضْبُ الأبارق: مواضع.

والبَرَقُ محرّكة: الحَمَل، معرّب: برَه، جمعه: أبراق، وبُرْقان بالكسر والضّمّ، والفزَع، والدّهَش، والحَيْرة.

والبَرّاقة: المرأة لها بهجة وبَريق.

وكغُراب: دابّة ركبها رسول الله ﷺ ليلة المعراج، وكانت دون البَغْل وفوق الحمار.

والبُرْقة بالضّمّ: غِلَظ كالأبرَق، وبُرَق: ديار العرب تُنيف على مائة منها بُرْقة الأثماد. [ثمّ عدّ اسم مائة موضع وقال:]

هذه بُرَق العرب.

والبُرَقُ بالضّمّ: الضِّباب: جمع ضَبّ.

والبَريق: التّلألُؤ، وبهاء: اللّبن يُصَبّ عليه إهالة أو سَمْنٌ قليل، جمعه: بَرائق.

والبُورَق بالضّمّ: أصناف: مائيّ وجبَليّ وأرمنيّ ومصريّ، وهو النّطرون، مسحوقُه يُلطَخ به البَطْن قريبًا من نار، فإنّه يُخرج الدُّود، ومَدُوفًا بعسل أو دُهْن زَنْبق تُطْلَى به المذاكير، فإنّه عجيب للباءة.

وأرعَدُوا وأبرَقُوا: أصابهم رَعْدٌ وبَرْق.

والسّماء أتت بها، وفلان تهدّد وأرعَد وأبرَق: ألمع بسيفه. وعن الأمر: تركه، والمرأة عن وجهها: أبرزته، والصّيد: أثاره، والمُضحّي: ضَحّى بالشاة البَرْقاء، أي الّتي يشقّ صوفها الأبيض طاقات سود. وبَرّق عَينَيْه تبريقًا: وسّعها وأحَدّ النّظر. وفلان: سافر بعيدًا. ومنزله: زيّنه وزوّقه، وفي المعاصي: لَجّ. وفي الأمر: أعيا عليّ. (٢: ٢١٨)

«البَرْق» وهو لمعان السّحاب. والبَرّق، والبارقة: السّيف، سمّي للمَعانه.

ويقال في البَرْق: يَسْرِي ويُومض ويَبِنّ ويعترض، ويوبص، ويَستطير، ويستطيل، ويلمَع، ويتبوّج، ويخطَف، ويَخْفِق، ويبرُق، ويتألّق، ويتلألأ، ويستشري، ويَنبِض، ويهبّ، ويخرق، ويتسلسل، ويستنّ، ويبتسم، ويضحك، وينبعق، وينشق، ويرتعِص، ويَفْري، ويَهُضّ، وينبَعث، ويلوح، ويتهلّل، ويتكلّل.

وممّا يستحسن في وصف البَرْق وخفقانه، والرّعد في حُدائه، والثّلج ولألائه، قول بعضهم. [ثمّ ذكر قصيدة فراجع] (بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٣٩)

الطُّرَيحيّ: وفي حديث المعراج: ذِكْر البُراق بضمّ الباء، وهي دابّة ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، سمّي بذلك لنُصوع لونه، وشدّة بريقه. وقيل: لسرعة حركته تشبيهًا بالبَرْق.

وجاء وصفه: أصغر من البَغْل وأكبر من الحمار، مُضطرب الأُذنين، عيناه في حافره، وخطامه مدّ بصره. وإذا انتهى إلى جبل قصرت يداه وطالت رِجلاه، وإذا هبط طالت يداه وقصرت رِجلاه، أهدب العُرف الأيمن، له من خلفه جناحان.

والأبرَقة: دابّة غير البُراق، أتاه بها جبرئيل لمّا بدى رسول الله ﷺ بتعليم الأذان، وأتاه بالبُراق فاستصعب عليه، أتاه بها.

والأبرَقة أيضًا: شقّة يستذفر بها مكان المنطقة، كادت تخطف الأبصار، من أبْرَق الجنّة، كانت لرسول الله ﷺ، فأوصى بها لعليّ ﷺ، وقال له: ياعليّ إنّ جبرئيل أتاني بها، وقال: يامحمّد اجعلها في حلقة الدّرع، واستذفِرْ بها مكان المنطقة.

والبُرْقة بضمّ الباء وسكون الرّاء: أحد الحيطان السّبعة الموقوفة على فاطمة بنت رسول الله ﷺ في المدينة.

والأبرَق من الجبَل: الّذي فيه لونان. وكلّ شيء اجتمع فيه لونان سواد وبياض، فهو أبرَق.

وأرعَد الرّجل وأبرَق، أي تهدّد، ومنه حديث عليّ ﷺ «ولعمري فليُبْرِقوا وليَرْعُدوا».

وأبرَقوا، إذا أصابهم رَعْد وبَرْق.

والبَرْقاء من الشّياه: الّتي في خلال صوفها الأبيض طاقات سود.

وفي حديث النّبيّ ﷺ، وقد سُئل مابال الشّهيد لايفتن في قبره؟ فقال: «كفى بالبارقة فوق رأسه فتنةً» أي لمعان السّيوف، يقال: برّق بسيفه وأبرَق، إذا لمع.
(٥: ١٣٧)

مَجْمَعُ اللُّغة: البرق: هو الشّرارة الكهربيّة الّتي تحدث عن تفريغ الكَهْرَبة الجوّيّة بين سحابتين، أو بين

سحابة والأرض. (١: ٩٣)

العَدنانيّ: برَق العدوّ ورعَد وأبرَق وأرعَد.

خطّأ الأصمعيّ شاعر الهاشميّين الكُميت الأسديّ حين قال:

أبْـرِق وأرْعِـد يـايزيـ ـد فما وعيدك لي بضائر

وقال: إنّ الصّواب هو برَق لاأبرَق، ورعَد لاأرعَد، بمعنى هدّد. وأنكر أبوعُبَيْد: أبرَق وأرعَد أيضًا.

ولكـنّ أباحاتِم السِّجستانيّ سأل عنها أبازَيْد الأنصاريّ فأجازها.

أمّا «الأساس» فلم يذكُر في مجازه إلّا رعَد وبرَق، بمعنى أوعَد.

والحقيقة هي أنّ الفعلين الثّلاثيّين برَق ورعَد، والمزيدَيْن أبرَق وأرعَد صحيحة، كما يقول أبوعمرو بن العلاء والخَليل بن أحمد الفراهيديّ وأبوعُبَيْدَة مَعْمَر بن المُثنّى، وعليّ بن حمزة البصريّ، الّذي استشهد في «التّنبيهات» بقول الهَمَذانيّ:

فإن يُبْرِقوا نُرعِد وإنْ يُرْعِدوا نُصِبْ

بإرعادنا فيهم سهام الأساود

والصّحاح، ومعجم مقاييس اللّغة، والنّهاية في مادّة «رعَد»، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن «مجاز»، ومحمّد عليّ النّجّار، والوسيط.

وأمّا فعلاهما فهما:

أ ـ برَق يبرُق بَرْقًا وبريقًا وبُروقًا وبَرَقانًا.

ب ـ ورعَدَت السّماء ترعَدُ رَعْدًا ورُعودًا. (٥٥)

محمود شيت: ١ ـ أ ـ برَق البَرْق بَرْقًا وبَريقًا: بَدا. وبـرَقَت السّحابة أو السّماء: لَمَع فيها البَرْق. وبرَق الشّيء: لَمَع وتَلَألأ.

وبرَق فلان: تهدّد وأوعَد. وبرَق البصَر: شخَص فلم يَطرِف دَهَشًا.

وبرّقت المرأة: تحسّنت وتزيّنت. وبرّق الطّعام بزيت أو سَمْن: جعل فيه قليلًا منه، فهو بارق.

ب ـ برِق برَقًا: فزِع ودَهِشَ فلم يبصر. وبرِق البصَر: برَق. وبَرِق الشّيء: اجتمع فيه لونان من سواد وبياض فهو أبرَق، وهي بَرْقاء، جمعه: بُرْقٌ.

ج ـ أبرَق فلان: برِق، وأبرَق: أصابه ضوء البَرْق. وأبرَق: أرسل برقيّة. وأبرَق: تهدّد وتوعّد. وأبرَق السّحاب على البلد: أمطَر. ويقال: أبرَق بالسّيف أو بالشّيء: ألمَع به.

د ـ الإبريق: السّيف البرّاق، والمرأة الحَسْناء البرّاقة، وإناء معين.

هـ ـ البارقة: مؤنّث البارق: بريق السّلاح.

و ـ البَرْق: البَرْق يلمَع في السّماء على أثر انفجار كهربيّ في السّحاب.

ز ـ البَرْقيّة: رسالة ترسل من مكان إلى آخر بوساطة جهاز اللّاسلكيّ.

ح ـ البَيْرَق: راية أو علَم، جمعه: بيارق.

٢ ـ أ ـ أبرَق: أرسَل بَرْقيّة.

ب ـ البَرْقيّة: رسالة لاسلكيّة للأوامر العاجلة.

ج ـ البَيْرَق: عَلَم الجند أو رايتهم. (١: ٨٠)

المُصْطَفَويّ: الظّاهر أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة هو اللّمعان المخصوص، أي بقيد أن يكون بشدّة،

ويتحصّل بالضّغط، كالبَرْق الخارج من ضغط السّحاب، أو من شدّة تظاهر السّيوف، أو من حدّة الجبال، أو من حدّة الوعيد، أو من حدّة النّظر الخاصّ وشدّة الشّخوص، أو من شدّة لمعان البياض من بين السّواد في العين، أو في الجبَل، أو غيرهما. فالقيد محفوظ وملحوظ في جميع مصاديقها. (١: ٢٤١)

النُّصوص التّفسيريّة

بَرِقَ

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ. القيٰمة: ٧

ابن عَبّاس: يعني بـ(بَرِقَ الْبَصَرُ) الموت، وبَرُوق البصر هي السّاعة. (الطَّبَريّ ٢٩: ١٧٩)

مُجاهِد: (بَرِقَ الْبَصَرُ) عند الموت.
(الطَّبَريّ ٢٩: ١٨٠)

قَتادَة: [أي] شَخَص البصر. (الطَّبَريّ ٢٩: ١٨٠)

إذا فَزِع وتحيّر لما يرى من أهوال القيامة، وأحوالها ممّا كان يكذب به في الدّنيا، وهذا كقوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ إبراهيم: ٤٣.

مثله أبومسلم. (الطَّبْرِسيّ ٥: ٣٩٥)

الكَلْبيّ: عند رؤية جهنّم بَرِق أبصار الكفّار.
(المَيْبُديّ ١٠: ٣٠٢)

الفَرّاء: قرأها الأعمش وعاصم والحسن، وبعض أهل المدينة (بَرِق) بكسر الرّاء، وقرأها نافع المدنيّ (فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ) بفتح الرّاء من البريق: شخَص لمن فتح، وقوله: بَرِق: فَزِع. [ثمّ استشهد بشعر]

ومن قرأ (بَرَقَ) يقول: فتَحَ عينيه، بَرِق بصره أيضًا لذلك. (٣: ٢٠٩)

نحوه ابن عَطيّة. (٥: ٤٠٣)

أبوعُبَيْدَة: إذا شُقّ البصر. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٢٧٧)

الطَّبَريّ: اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه أبوجعفر القارئ ونافع وابن أبي‌إسحاق (فَإِذَا بَرَقَ) بفتح الرّاء، بمعنى شخَص وفُتح عند الموت.

وقرأ ذلك شيبة وأبوعمرو وعامّة قرّاء الكوفة (بَرِقَ) بكسر الرّاء، بمعنى فَزِع وشُقّ.

وعن هارون، قال: سألت أباعمرو ابن العلاء عنها فقال: (بَرِق) بالكسر، بمعنى حار. قال: وسألت عنها عبدالله بن أبي إسحاق، فقال: (بَرَقَ) بالفتح، إنّما بَرَق الخيطل والنّار والبَرْق. وأمّا البصر «فبَرِقَ» عند الموت.

قال: وأخبرتُ بذلك ابن أبي إسحاق، فقال: أخذتُ قراءتي عن الأشياخ: نصر بن عاصم وأصحابه، فذكرت ذلك لأبي عمرو، فقال: لكن لاآخذ عن نصر، ولاعن أصحابه، فكأنّه يقول: آخذ عن أهل الحجاز.

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصّواب: كسر الرّاء، (فَإِذَا بَرِقَ) بمعنى فزع فشُقّ وفُتح، من هول القيامة وفزع الموت. [ثمّ استشهد بشعر] (٢٩: ١٧٨)

الزّجّاج: ويُقرأ (بَرَقَ الْبَصَرُ)، فن قرأ (بَرِقَ) فمعناه فزع وتحيّر، ومن قرأ (بَرَقَ) فهو من برَق يبرُق، من بريق العينين. (٥: ٢٥٢)

نحوه المَيْبُديّ. (١٠: ٣٠٢)

القُمّيّ: يَبْرَقُ البصر فلايقدر أن يَطرِف.
(٢: ٣٩٦)

السِّجستانيّ: برِق بفتح الرّاء وكسرها: دهِش وتحيّر، لما رأى ممّا كان يكذب به، إذا فتح عينيه عند الموت. (٢٠٤)

ابن خالَوَيه: من كسر قال: لأنّ «برَق» بالفتح لايكون إلّا في الضّوء، يقال: برَق البرْق، إذا لمع، وبرِق الحنظل. فأمّا «برِق» بالكسر فمعناه تحيّر، والّذي قاله أهل اللّغة: إنّهما لغتان، وتقول العرب: «لكلّ داخل برْقة» أي دهشة. (الطّوسيّ ١٠: ١٩٢)

الطُّوسيّ: فالبرَق: اللّمعان بالشّعاع الّذي لايلبث، لأنّه مأخوذ من البرْق، يقال: برَق يبرُق برْقًا وإنّما قيل: (برِقَ الْبَصَرُ) لأنّ ذلك يلحقه عند شدّة الأمر، والبارقة: الّذين تلمع سيوفهم، إذا جرّدوها كالبرْق. (١٠: ١٩٢)

الزّمَخْشَريّ: تحيّر فزعًا، وأصله من برِق الرّجل، إذا نظر إلى البرْق، فدهش بصره. وقرئ (برَق) من البريق، أي لمع من شدّة شخوصه. (٤: ١٩٠)

نحوه البَيضاويّ (٢: ٥٢٢)، وأبوالسُّعود (٦: ٣٣٥).

الطَّبْرِسيّ: أي شخص البصر عند معاينة ملك الموت، فلايطرف من شدّة الفزع. (٥: ٣٩٥)

الفَخْر الرّازيّ: وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: اعلم أنّه تعالى ذكر من علامات القيامة في هذا الموضع أمورًا ثلاثة:

أوّلها: قوله: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ القيمة: ٧، قرئ بكسر الرّاء وفتحها، قال الأخفش: المكسورة في كلامهم أكثر، والمفتوحة لغة أيضًا. قال الزّجّاج: برِق بصره بكسر الرّاء يبرَق برَقًا، إذا تحيّر.

والأصل فيه أن يكثر الإنسان من النّظر إلى لمعان البرْق، فيؤثّر ذلك في ناظره، ثمّ يستعمل ذلك في كلّ حيرة، وإن لم يكن هناك نظر إلى البرْق، كما قالوا: قمِر بصرُه، إذا فسد من النّظر إلى القمر، ثمّ استعير في الحيرة. وكذلك بَعِل الرّجل في أمره، أي تحيّر ودهِش، وأصله من قولهم: بعِلَت المرأة، إذا فاجأها زوجها فنظرت إليه، وتحيّر.

وأمّا (برَق) بفتح الرّاء فهو من البريق، أي لمع من شدّة شخوصه.

وقرأ أبوالسّمال (بَلَقَ) بمعنى انفتح وانفرج، يقال: بلَق الباب وأبلقته وبلقته: فتحته.

المسألة الثّانية: اختلفوا في أنّ هذه الحالة متى تحصل؟ فقيل: عند الموت، وقيل: عند البعث، وقيل: عند رؤية جهنّم.

فمن قال: إنّ هذا يكون عند الموت، قال: إنّ البصر يبرق على معنى يشخص عند معاينة أسباب الموت والملائكة، كما يوجد ذلك في كلّ واحد إذا قرب موته.

ومن مال إلى هذا التّأويل قال: إنّهم إنّما سألوه عن يوم القيامة، لكنّه تعالى ذكر هذه الحالة الحادثة عند الموت، والسّبب فيه من وجهين:

الأوّل: أنّ المنكر لمّا قال: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيٰمَةِ﴾ القيمة: ٦، على سبيل الاستهزاء، فقيل له: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾، وقرب الموت، زالت عنه الشّكوك، وتيقّن حينئذٍ أنّ الّذي كان عليه من إنكار البعث والقيامة خطأ.

الثّاني: أنّه إذا قرب موته، وبرق بصره تيقّن أنّ

إنكار البعث لأجل طلب اللّذّات الدّنيويّة كان باطلًا.

وأمّا من قال: بأنّ ذلك إنّما يكون عند قيام القيامة، قال: لأنّ السّؤال إنّما كان عن يوم القيامة، فوجب أن يقع الجواب بما يكون من خواصّه وآثاره، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ إبراهيم: ٤٢. (٣٠: ٢١٩)

الخازن: أي شخص البصر عند الموت، فلا يطرف ممّا يرى من العجائب الّتي كان يكذب بها في الدّنيا.

وقيل: تبرق أبصار الكفّار عند رؤية جهنّم.

وقيل: (بَرِقَ) إذا فزع، وتحيّر لما يرى من العجائب.

وقيل: (بَرَقَ) أي شقّ عينه وفتحها، من البريق، وهو التّلألؤ. (٧: ١٥٢)

البُرُوسَويّ: أي تحيّر واضطرب، وجال فزعًا من أهوال يوم القيامة، من برق الرّجل، إذا نظر إلى البَرْق فدهش، ثمّ استعمل في كلّ حيرة وإن لم يكن هناك نظر إلى البَرْق، وهو واحد بروق السّحاب ولمعانه. (١٠: ٢٤٥)

الآلوسيّ: تحيّر فزعًا، وأصله: من برق الرّجل، إذا نظر إلى البَرْق فدَهِش بصره. [ثمّ استشهد بشعر]

ونظيره قَمِر الرّجل، إذا نظر إلى القَمَر فدَهِش بصره، وكذلك ذَهِب وبَقِر للدّهش، من النّظر إلى الذّهب والبقَر، فهو استعارة أو مجاز مرسل، لاستعماله في لازمه أو في المطلق.

وقرأ نافع، وزيد بن ثابت، وزيد بن عليّ، وأبان عن عاصم، وهارون، ومحبوب، كلاهما عن أبي عمرو، وخَلْقٌ آخرون (بَرَقَ) بفتح الرّاء. فقيل: هي لغة في (بَرِق) بالكسر. وقيل: هو من البريق، بمعنى لَمَع من شدّة شخوصه.

وقرأ أبوالسّمال (بَلَقَ) باللّام عوض الرّاء، أي انفتح وانفرج، يقال: بلَق الباب أبلقتُه وبلّقته: فتحته. هذا قول أهل اللّغة إلّا الفرّاء فإنّه يقول: بلَقه وأبلَقه، إذا أغلقه، وخطّأه ثعلب.

وزعم بعضهم أنّه من الأضداد، والظّاهر أنّ اللّام فيه أصليّة، وجوّز أن تكون بدلًا من الرّاء، فهما يتعاقبان في بعض الكلم نحو: نثَر ونثَل، ووجَر ووجَل. (٢٩: ١٣٩)

المُصْطَفَويّ: أي اشتدّ لمعانه من حدّة النّظر. (١: ٢٤١)

بَرْق

أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ... البقرة: ١٩

الإمام عليّ عليه السلام: البَرْق: مخاريق الملائكة. (الطّبَريّ ١: ١٥٢)

الرّعد: الملَك، والبَرْق: ضَرْبه السّحاب بمخراق من حديد. (الطّبَريّ ١: ١٥٢)

الرّعد: صوت الملَك، والبَرْق: سوطه. (البُرُوسَويّ ١: ٣٧)

ابن عبّاس: البَرْق: مخاريق بأيدي الملائكة يزجرون بها السّحاب. (الطّبَريّ ١: ١٥٢)

البَرْق: وإنّه من الماء. (الطّبَريّ ١: ١٥٢)

البَرْق: ملَك. (الطّبَريّ ١: ١٥٢)

مُجاهِد: البَرْق: مَصْعُ مَلَك. (الطَّبَريّ ١: ١٥٣)

الضَّحّاك: البَرْق: الإيمان. (الطَّبَريّ ١: ١٥٣)

الزُّهريّ: بلغني أنّ البَرْق ملَك له أربعة أوجه: وجه إنسان، ووجه ثور، ووجه نسر، ووجه أسد، فإذا مصَع بأجنحته فذلك البَرْق.

نحوه شُعيب الجُبّائيّ. (الطَّبَريّ ١: ١٥٣)

الإمام الصّادق عليه السلام: تلك مخاريق الملائكة، تضرب السّحاب فتسوقه إلى الموضع الّذي قضى الله عزّوجلّ فيه المطر. (العَروسيّ ١: ٣٧)

الطَّبَريّ: أمّا البرق فإنّ أهل العلم اختلفوا فيه؛ قال بعضهم: البَرْق: مخاريق الملائكة.

وقال آخرون: هو سوط من نور، يزجر به المَلَك السّحاب.

وقال آخرون: هو ماء.

وقال آخرون: هو مَصْعُ مَلَك.

وقد يحتمل أن يكون ماقاله عليّ بن أبي طالب، وابن عبّاس، ومُجاهِد بمعنى واحد؛ وذلك أن تكون المخاريق الّتي ذكر عليّ رضي الله عنه أنّها هي البَرْق، هي السّياط الّتي هي من نور الّتي يُزجي بها المَلَك السّحاب، كما قال ابن عبّاس.

ويكون إزجاء المَلَك السّحاب: مصعه إيّاه بها، وذاك أنّ المِصاع عند العرب أصله المجالدة بالسّيوف، ثمّ تستعمله في كلّ شيء جُولد به في حرب وغير حرب. [ثمّ استشهد بشعر]

يقال منه: ماصَعَه مِصاعًا. وكأنّ مُجاهِد، إنّما قال: مَصْعُ مَلَك؛ إذ كان السّحاب لايماصع المَلَك، وإنّما الرّعد هو المُماصع له، فجعله مصدرًا من مَصَعَهُ يُمصعُه مَصْعًا. (١: ١٥٢)

البغَويّ: (وبَرْق) وهو النّار الّتي تخرج منه.

قال عليّ وابن عبّاس وأكثر المفسّرين: الرّعد: اسم ملَك يسوق السّحاب، والبَرْق: لَمَعان سوط من نور يزجر به المَلَك السّحاب.

وقيل: الصّوت: زجر السّحاب، وقيل: تسبيح المَلَك، وقيل: الرّعد نُطق المَلَك، والبَرْق ضِحكه.

وقال مُجاهِد: الرّعد: اسم المَلَك، ويقال لصوته أيضًا: رَعْد، والبَرْق: اسم ملَك يسوق السّحاب. (١: ٩١)

نحوه الخازن. (١: ٣١)

الزَّمَخشَريّ: والبَرْق: الّذي يلمَع من السّحاب، من: بَرَق الشّيء بريقًا، إذا لمَع. (١: ٢١٥)

ابن عَطيّة: قال قوم: البَرْق: ماء، وهذا قول ضعيف.

وقال قوم: الرّعد والبَرْق: هما بمَثابة زجر القرآن ووعيده. (١: ١٠٢)

أبوحَيّان: البَرْق: مخراق حديد بيد المَلَك يسوق به السّحاب، قاله عليّ، أو أثر ضرب بذلك المخراق.

وروي عن عليّ: أو سوط نور بيد المَلَك يزجر به، قاله ابن عبّاس.

أو ضرب ذلك السّوط، قاله ابن الأنباريّ، وعزاه إلى ابن عبّاس، وروي نحوه عن مُجاهِد. أو مَلَك يتراءى، وروي عن ابن عبّاس.

أو الماء، قاله قوم منهم أبوالجلد جيلان بن فروة

البصريّ، أو تلألؤ الماء، حكاه ابن فارس، أو نار تنقدح من اصطكاك أجرام السّحاب، قاله بعضهم.

والّذي يفهم من اللّغة: أنّ الرّعد عبارة عن هذا الصّوت المُزعج المسموع من جهة السّماء، وأنّ البَرْق هو الجرم اللّطيف النّورانيّ الّذي يُشاهَد ولايَثبُت. (١: ٨٤)

ابن كثير: (والبَرْق) هو مايلمَع في قلوب هؤلاء الضّرب من المنافقين ـ في بعض الأحيان ـ من نور الإيمان ولهذا قال: ﴿يَجْعَلُونَ اَصَابِعَهُمْ فِى اٰذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ...﴾ البقرة: ١٩. (١: ٩٦)

شُبّر: مثَل للآيات الباهرة. (١: ٧٦)

الآلوسيّ: لم يُجمع الرّعد والبَرْق وإن كانا قد جمعا في لسان العرب، وبه تزداد المبالغة وتحصل المطابقة مع الظّلمات والصّواعق، لأنّهما مصدران في الأصل، وإن أُريد بهما العينان هنا، كما هو الظّاهر، والأصل في المصدر أن لايجمع، على أنّه لو جمعا لدلّ ظاهرًا على تعدّد الأنواع، كما في المعطوف عليه، وكلّ من الرّعد والبرق نوع واحد.

وذكر الشّهاب مدّعيًا أنّه ممّا لمعت به بوارق الهداية في ظلمات الخواطر، نكتة سرّيّة في إفرادهما هنا، وهي: أنّ الرّعد ـ كما ورد في الحديث وجرت به العادة ـ يسوق السّحاب من مكان لآخر، فلو تعدّد لم يكن السّحاب مطبقًا فتزول شدّة ظلمته. وكذا البرق لو كثر لمعانه لم تطبق الظّلمة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا اَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ البقرة: ٢٠. فإفرادهما متعيّن هنا.

وعندي ـ وهو من أنوار العناية المشرقة على آفاق الأسرار ـ أنّ النّور لمّا لم يجمع في آية من القرآن ـ لما تقدّم ـ لم يجمع البَرْق، إذ ليس هو بالبعيد عنه، كما يرشدك إليه ﴿كُلَّمَا اَضَاءَ لَهُمْ﴾ والرّعد مصاحب له فانعكست أشعّته عليه. [ثمّ استشهد بشعر]

وللنّاس في الرّعد والبَرْق أقوال؛ والّذي عُوّل عليه أنّ الأوّل: صوت زجر الملَك الموكّل بالسّحاب، والثّاني: لمعان مخاريقه الّتي هي من نار.

والّذي اشتهر عند الحكماء أنّ الشّمس إذا أشرقت على الأرض اليابسة حلّلت منها أجزاء ناريّة يخالطها أجزاء أرضيّة، فيركّب منها دخان ويختلط بالبخار، وهو الحادث بسبب الحرارة السّماويّة إذا أثّرت في البلّة، ويتصاعدان معًا إلى الطّبقة الباردة، وينعقد ثمّة سحاب، ويحتقن الدّخان فيه، ويطلب الصّعود إن بقي على طبعه الحارّ، والنّزول إن ثقل ويرد.

وكيف كان يمزّق السّحاب بعنفه فيحدث منه الرّعد، وقد تشتعل منه ـ لشدّة حركته ومحاكّته ـ نار لامعة، وهي البَرْق إن لطفت والصّاعقة إن غلظت، وربّما كان البَرْق سببًا للرّعد، فإنّ الدّخان المشتعل ينطفئ في السّحاب فيسمع لانطفائه صوت، كما إذا أطفأنا النّار بين أيدينا.

والرّعد والبَرْق يكونان معًا إلّا أنّ البرق يُرى في الحال، لأنّ الإبصار لايحتاج إلّا إلى المحاذاة من غير حجاب، والرّعد يُسمع بعد، لأنّ السّماع إنّما يحصل بوصول تموّج الهواء إلى القوّة السّامعة، وذلك يستدعي زمانًا، كذا قالوه.

وربّما يختلج في ذهنك قرب هذا، ولاتدري ماذا تصنع بما ورد عن حضرة مَن أُسري به ليلًا ـ بلارَعْد

ولابَرْق ـ على ظهر البُراق، وعرج إلى ذي المعارج حيث لازمانَ ولامكان، فرجع وهو أعلم خلق الله على الإطلاق صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فأنا بحول مَن عزّ حوله وتوفيق مَن غمرني فضله، أوفق لك لما يزيل الغين عن العين، ويظهر سرّ جوامع الكلم الّتي أُوتيها سيّد الكونين صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

فأقول: قد صحّ عند أساطين الحكمة والنّبوّة ـ ممّا شاهدوه في أرصادهم الرّوحانيّة في خلواتهم ورياضاتهم، وكذا عند سائر المتألّهين الرّبّانيّين من حكماء الإسلام والفُرس وغيرهم ـ أنّ لكلّ نوع جسمانيّ من الأفلاك والكواكب والبسائط العنصريّة ومركّباتها ربًّا، هو نور مجرّد عن المادّة، قائم بنفسه مدبّر له حافظ إيّاه، وهو المنمّي والغاذي والمولّد في النّبات والحيوان والإنسان، لامتناع صدور هذه الأفعال المختلفة في النّبات والحيوان، عن قوّة بسيطة لاشعور لها وفينا عن أنفسنا، وإلّا لكان لنا شعور بها، فجميع هذه الأفعال من الأرباب.

وإلى تلك الأرباب أشار صاحب الرّسالة العظمى صلّى الله تعالى عليه وسلّم بقوله: «وإنّ لكلّ شيء مَلَكًا» حتّى قال: «إنّ كلّ قطرة من القطرات ينزل معها ملَك». وقال: «أتاني ملَك الجبال ومَلَك البحار». وحكى أفلاطون عن نفسه أنّه خلع الظّلمات النّفسانيّة والتّعلّقات البدنيّة وشاهدها. وذكر مولانا الشّيخ صدر الدّين القونويّ قدّس سرّه في تفسيره «الفاتحة» أنّه ماثمّ صورة إلّا ولها روح، وأطال أهل الله تعالى الكلام في ذلك.

فإذا علمت هذا فلابُدّ في أن يقال: أراد صلّى الله تعالى عليه وسلّم بالملَك الموكّل بالسّحاب ـ في بيان الرّعد ـ هو هذا الرّبّ المدبّر الحافظ، ويزجره تدبيره له حسب استعداده وقابليّته، وأراد بصوت ذلك الزّجر: مايحدث عند الشّقّ بالأبخرة الّذي يقتضيه ذلك التّدبير، وأراد بالمخاريق ـ في بيان البَرْق، وهي جمع مخراق، وهو في الأصل ثوب يلفّ، وتضرب به الصّبيان بعضهم بعضًا ـ الآلة الّتي يحصل بواسطتها الشّقّ، ولاشكّ أنّها كما قرّرنا من نار أشعلتها شدّة الحركة والمحاكّة، فظهرت كما تُرى.

وحيث فتحنا لك هذا الباب قدرت على تأويل كثير ممّا ورد من هذا القبيل حتّى قولهم: إنّ الرّعد نُطْق الملَك، والبَرْق ضِحكه، وإن كان بحسب الظّاهر ممّا يضحك منه، ولم أر أحدًا وفّق فوفّق وتحقّق فحقّق، والله تعالى الموفّق وهو حسبي ونعم الوكيل. (١: ١٧٢)

رَشيد رضا: والبَرْق هو الضّوء الّذي يلمَع في السّحاب في الغالب، وقد يلمع من الأُفق حيث لاسحاب. وقال مفسّرنا الجلال السّيوطيّ: إنّ الرّعد ملَك أو صوته، والبَرْق سوطه يسوق به السّحاب، كأنّ الملَك جسم ماديّ، لأنّ الصّوت المسموع بالآذان من خصائص الأجسام، وكأنّ السّحاب حمار بليد لايسير إلّا إذا زجر بالصّراخ الشّديد والضّرب المتتابع.

وماذكرناه هو الّذي كان يفهمه العرب من اللّفظين، وهو الّذي يفهمه النّاس اليوم، ولايجوز صرف الألفاظ عن معانيها الحقيقيّة إلّا بدليل صحيح، ولاسيّما إذا صرفت عن معاني من عالم الشّهادة الّذي يعرفه

الواضعون والمتكلّمون، إلى معاني من عالم الغيب لايعلمها إلّا الله تعالى، ومن أعلمهم الله تعالى إيّاها بالوحي.

ولكنّ أكثر المفسّرين ولعوا بحشو تفاسيرهم بالموضوعات الّتي نصّ المحدّثون على كذبها، كما ولعوا بحشوها بالقصص والإسرائيليّات الّتي تلقّفوها من أفواه اليهود وألصقوها بالقرآن، لتكون بيانًا له وتفسيرًا، وجعلوا ذلك ملحقًا بالوحي.

والحقّ الّذي لامرية فيه: أنّه لايجوز إلحاق شيء بالوحي غير ماتدلّ عليه ألفاظه وأساليبه، إلّا ماثبت بالوحي عن المعصوم الّذي جاء به ثبوتًا لايخالطه الرّيب.

أقول: هذا ماقاله الأستاذ في الرّعد والبرق، ردًّا على «الجلال» فيما تبع فيه ماروى في التّفسير المأثور عن الصّحابة والتّابعين، ولايصحّ منه شيء، وأمثلة مارواه التّرمذيّ بسند ضعيف من سؤال اليهود للنّبيّ ﷺ، وقد رأينا السّيوطيّ لم يذكر من هذه الرّوايات شيئًا في تفسير الآية من كتابه «الدّرّ المنثور» المخصّص لنقل المأثور، وكذلك ابن كثير، وكأنّ هذا عدّه من الإسرائيليّات، مع عدم صحّة الرّواية فيه.

وفسّرهما البغويّ بمفهومها اللّغويّ، فقال في الرّعد: هو الصّوت الّذي يُسمع من السّحاب، وفي البرق: هو النّار الّتي تخرج منه. ثمّ قال: قال عليّ وابن عبّاس وأكثر المفسّرين: الرّعد: اسم ملك يسوق السّحاب، والبرق: لمعان سوط من نور يزجر به الملك السّحاب. وقيل: الصّوت زجر السّحاب. وقيل: تسبيح الملك. وقيل: الرّعد: نُطق الملك، والبرق: ضحكه.

وقال مُجاهِد: الرّعد: اسم الملك، ويقال لصوته أيضًا: رعد. والبرق: اسم ملك يسوق السّحاب.

وقال شهر بن حَوْشَب: الرّعد ملك يزجي السّحاب، فإذا تبدّدت ضمّها، فإذا اشتدّ غضبه طارت من فيه النّار فهي الصّواعق. وقيل: الرّعد: انخراق الرّيح بين السّحاب، والأوّل أصحّ...ولم يذكر الحديث المرفوع، لأنّه أضعف عنده ممّا ذكره فيما يظهر.

أقول: ولاشكّ عندي في أنّ هذه الأقوال كلّها ممّا كان يذيعه، مثل كعب الأحبار ووَهْب بن مُنَبِّه بين المسلمين، من الصّحابة والتّابعين. ولو صحّ في حديث مرفوع بسماع صحيح لايحتمل أن يكون من الإسرائيليّات لما وقع فيه مثل هذا الخلاف، ولأمكن حمله على أنّ المراد به الإشارة إلى أنّ هذه المظاهر الكونيّة تقع بفعل ملك، موكّل بالسّحاب، ولكن لاحاجة إلى ذلك مع عدم صحّة شيء في المسألة، والملائكة من عالم الغيب، وهم لايراهم النّاس إلّا إذا تمثّلوا لنبيّ أو وليّ، على سبيل المعجزة أو الإرهاص، كتمثّل الرّوح للسّيّدة مريم عليها السلام، ورؤية الصّحابة لجبريل في حضرة النّبيّ ﷺ بصورة رجل يسأل عن الإيمان والإسلام والإحسان، والبرق من عالم الشّهادة لامن عالم الغيب. [إلى أن قال:]

وماتفسيرنا للبرق والرّعد والصّاعقة ـ مع كونها معروفة لكلّ النّاس ـ إلّا لأنّ المفسّرين صرفوا أفهامهم عن المعروف إلى غيره، كما حُكي عن أرسطو ـ حكيم قدماء اليونان ـ أنّ تلاميذه سألوه عن تعريف «الحركة» فقام ومشى، وماأنطقهم بالسّؤال عنها على بداهتها، إلّا

أنّهم اعتادوا أن يسمعوا من الفلاسفة أقوالاً في الأُمور الجليّة، تجعلها غامضة خفيّة.

وأمّا حقيقة البَرق والرّعد والصّاعقة وأسباب حدوثها فليس من مباحث القرآن، لأنّه من علم الطّبيعة ـ أي الخليقة ـ وحوادث الجوّ الّتي في استطاعة النّاس معرفتها باجتهادهم ولاتتوقّف على الوحي. وإنّما تُذكر الظّواهر الطّبيعيّة في القرآن لأجل الاعتبار والاستدلال، وصرف العقل إلى البحث الّذي يقوى به الفهم والدّين؛ والعلم بالكون يُنمّي ويُضعف في النّاس، ويختلف باختلاف الزّمان.

فقد كان النّاس يعتقدون في بعض الأزمنة أنّ الصّواعق تحدث من أجسام مادّيّة، لما كان يشمّونه في محلّ نزولها من رائحة الكبريت وغيره، ورجعوا عن هذا الاعتقاد في زمن آخر ملاحظين أنّ تلك الرّائحة لاتكون دائمًا في محلّ الصّاعقة.

وقد ظهر في هذا الزّمان أنّ في الكون سيّالاً يسمّونه الكهرباء، من آثاره ماترون من التّلغراف والتّليفون والتّرامواي. وهذه الأضواء السّاطعة في البيوت والأسواق، من غير شموع ولازيت ولاذبال، وإنّما تكون باتّصال سلكين دقيقين كالخيوط الّتي تخاط بها الثّياب، أحدهما يحمل أو يوصل السّيّال الكهربائيّ الّذي يُسمّونه الموجب، والآخر يوصل السّيّال المسمّى بالسّالب، وباتّصال السّلكين، يتولّد النّور من تلاقي السّيّالين. وبانقطاعهما أو الفصل بينهما ينفصل السّيّالان، فينقطع الضّوء من المصابيح والحركة من الآلات.

والكهربائيّة موجودة في كلّ شيء، والبَرق في السّحاب يتولّد من اتّصال نوعيها الموجب والسّالب، بقدرة الله تعالى، كما يتولّد في الأرض بعمل الإنسان. وقد استنزل بعض علماء الكهربائيّة قبس الصّاعقة من السّحاب إلى الأرض، والصّاعقة من أثر الكهربائيّة، وهي تفريغ السّحاب طائفة منها في مكان لجاذب في الأرض يجذبه، وكثيرًا ماحصل الصّعق لعُمّال التّلغراف، لما بين السّحاب والأسلاك من الجاذبيّة.

ومعرفة النّاس بالسّبب الحقيقيّ للصّواعق هداهم إلى حفظ الأبنية الشّاهقة منها، باتّخاذ القضيب المعروف الّذي يسمّى قضيب الصّاعقة، فلاتنزل الصّواعق على بناء رفع فوقه هذا القضيب، ولامجال في تفسير القرآن للتّطويل في أمثال هذه المسائل الطّبيعيّة، لأنّها تطلب من فنونها الخاصّة بها، فلنعد إلى بيان المثَل.

استحضر حال قوم مشاة في فلاة من الأرض نزل عليهم ـ بعدما أقبل ظلام اللّيل ـ صيّبٌ من السّماء قصفت رعوده، ولمعت بروقه، وتصوّر كيف يهوون بأصابعهم إلى آذانهم كلّما حدث قاصف من الرّعد، ليدفعوا شدّة وقعه بسدّ منافذ السّمع برؤوس الأنامل.

وعبّر عن الأنامل بالأصابع هذا التّعبير المجازيّ اللّطيف، للإشعار بشدّة عنايتهم بسدّ آذانهم، ومبالغتهم في إدخال أناملهم في صماليخها، كأنّ كلّ واحد منهم يحاول بمادهمه من الخوف أن يغرس إصبعه كلّها في أُذنه، حتّى لايكون للصّوت منفذ إلى سمعه، لما يحذره على نفسه من الموت الزّؤام؛ ومعالجة الحِمام.

وهذا هو الجُبن الخالع، ومنتهى حدود الحماقة، لأنّ سدّ الآذان ليس من أسباب الوقاية من أخذ الصّاعقة

ونزول الموت، والموت فقد الحياة بمفارقة الرّوح للبدن، وخلق الله له عبارة عن تقديره أو عن قبضه للرّوح وتوفّيه للنّفس. (١: ١٧٤)

المَراغيّ: والبَرْق هو الضّوء الّذي يلمع في السّحاب غالبًا، وربّما لمع في الأُفق حيث لاسحاب. وأسباب هذه الظّواهر اتّحاد كهربيّة السّحاب الموجبة بالسّالبة، كما تقرّر ذلك في علم الطّبيعيّات. (١: ٥٩)

الحجازيّ: نور خاطف ينشأ من شرارة كهربائيّة. (١: ١٧)

المُصْطَفَويّ: أي يخرج من شدّة ضغطة الرّعد، ومن بين الظّلمات. (١: ٢٤١)

البَرْق

١ـ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ اَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا اَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ... البقرة: ٢٠

ابن عبّاس: يلتمع أبصارهم ولمّا يفعل. (الطّبَريّ ١: ١٥٨)

الضّحّاك: (البَرْق): الإيمان. (الطّبَريّ ١: ١٥٥)

قَتادَة: (البَرْق): الإسلام. (الدّامغانيّ: ١٧٠)

الطّبَريّ: يقول: يكاد محكم القرآن يدلّ على عورات المنافقين. (١: ١٥٤)

يعني بـ(البَرْق): الإقرار الّذي أظهروه بألسنتهم، بالله وبرسوله، وما جاء به من عند ربّهم، فجعل البَرْق له مثلًا، على ماقدّمنا صفته. (١: ١٥٨)

الآلوسيّ: اللّام في (البَرْق) للعهد ـ إشارة إلى ماتقدّم ـ نكرة، وقيل: إشارة إلى البَرْق الّذي مع الصّواعق، أي بَرْقها، وهو كما ترى. (١: ١٧٥)

٢ـ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ. الرّعد: ١٢

ابن عبّاس: أنّه كنّى بـ(البَرْق) عن الماء، لما كان المطر يقاربه غالبًا، وذلك من باب إطلاق الشّيء مجازًا، على مايقاربه غالبًا. (أبوحيّان ٥: ٣٧٤)

(البَرْق) في هذه الآية: الماء. (ابن عطيّة ٣: ٣٠٣)

الطّوسيّ: و(البَرْق): ماينقدح من السّحاب من اللّمعان كعمود النّار، وجمعه: بروق. وفيه معنى السّرعة، يقال: امض في حاجتك كالبَرْق. (٦: ٢٢٩)

ابن عَطيّة: روي فيه عن النّبيّ ﷺ «أنّه مخراق بيد ملَك يزجر به السّحاب» وهذا أصحّ ماروي فيه.

وروي عن بعض العلماء أنّه قال: البَرْق: اصطكاك الأجرام، وهذا عندي مردود.

وقال أبوالجلد: (البَرْق) في هذه الآية: الماء، وذكره مكّيّ عن ابن عبّاس.

ومعنى هذا القول: أنّه لمّا كان داعية الماء، وكان خوف المسافرين من الماء، وطمع المقيمين فيه، عبّر ـ في هذا القول ـ عنه بالماء. (٣: ٣٠٣)

الفَخْر الرّازيّ: في كون البَرْق خوفًا وطمعًا وجوه:

الأوّل: أنّ عند لمعان البَرْق يُخاف وقوع الصّواعق، ويُطمع في نزول الغيث. [ثمّ استشهد بشعر]

الثّاني: أنّه يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر، وكمن في جرابه التّمر والزّبيب، ويطمع فيه من له فيه

نفع.

الثّالث: أنّ كلّ شيء يحصل في الدّنيا فهو خير بالنّسبة إلى قوم، وشرّ بالنّسبة إلى آخرين. فكذلك المطر خير في حقّ من يحتاج إليه في أوانه، وشرّ في حقّ من يضرّه ذلك، إمّا بحسب المكان أو بحسب الزّمان.

اعلم أنّ حدوث البَرْق دليل عجيب على قدرة الله تعالى، وبيانه: أنّ السّحاب لاشكّ أنّه جسم مركّب من أجزاء رَطْبة مائيّة، ومن أجزاء هوائيّة ونارية، ولاشكّ أنّ الغالب عليه الأجزاء المائيّة، والماء جسم بارد رَطْب، والنّار جسم حارّ يابس، وظهور الضّدّ من الضّدّ التّامّ، على خلاف العقل؛ فلابدّ من صانع مختار يُظهر الضّدّ من الضّدّ.

فإن قيل: لِمَ لايجوز أن يقال: إنّ الرّيح احتقن في داخل جرم السّحاب، واستولى البرد على ظاهره، فانجمد السّطح الظّاهر منه.

ثمّ إنّ ذلك الرّيح يمزّقه تمزيقًا عنيفًا، فيتولّد من ذلك التّمزيق الشّديد حركة عنيفة، والحركة العنيفة موجبة للسّخونة، وهي البَرْق؟

والجواب: أنّ كلّ ماذكرتموه على خلاف المعقول، وبيانه من وجوه:

الأوّل: أنّه لو كان الأمر كذلك لوجب أن يقال: أينما يحصل البَرْق فلابدّ وأن يحصل الرّعد، وهو الصّوت الحادث من تمزّق السّحاب. ومعلوم أنّه ليس الأمر كذلك، فإنّه كثيرًا مايحدث البَرْق القويّ من غير حدوث الرّعد.

الثّاني: أنّ السّخونة الحاصلة بسبب قوّة الحركة مقابلة للطّبيعة المائيّة الموجبة للبرد، وعند حصول هذا العارض القويّ كيف تحدث النّاريّة؟ بل نقول: النّيران العظيمة تطفئ بصبّ الماء عليها، والسّحاب كلّه ماء، فكيف يمكن أن يحدث فيه شعلة ضعيفة ناريّة؟

الثّالث: من مذهبكم أنّ النّار الصّرفة لالون لها ألبتّة، فهبْ أنّه حصلت النّاريّة بسبب قوّة المحاكّة الحاصلة بأجزاء السّحاب، لكن من أين حدث ذلك اللّون الأحمر؟ فثبت أنّ السّبب الّذي ذكروه ضعيف، وأنّ حدوث النّار الحاصلة في جرم السّحاب مع كونه ماء خالصًا لايمكن إلّا بقدرة القادر الحكيم. (١٩: ٢٤)

مكارم الشّيرازيّ: نحن نعلم أنّ ظاهرة البرق في المفهوم العلميّ هي اقتراب سحابتين إحداهما من الأخرى، وهما تحملان شحنات سالبة وموجبة، فيتمّ تفريغ الشّحنات بين السّحابتين فتحدث شرارة عظيمة، ويحدث مثل ذلك عند اقتراب سلكين أحدهما سالب والآخر موجب، وإذا كنّا قريبين منها فإنّنا نسمع صوتًا خفيفًا، ولكن لاحتواء الغيوم على شحنات هائلة من الألكترونات، فسوف تحدثان صوتًا شديدًا يسمّى الرّعد.

وإذا مااقتربت سحابة تحمل الشّحنة الموجبة من الأرض الّتي تحتوي على شحنات سالبة فستحدث شرارة تسمّى بالصّاعقة، وخطورتها تكمن في أنّ الأرض والمناطق المرتفعة تعتبر رأس السّلك السّالب، حتّى الإنسان في الصّحراء يمكن أن يمثّل هذا السّلك فيحدث تفريغ للشّحنات يحوّل الإنسان إلى رماد في لحظة قصيرة، ولهذا السّبب عند وقوع البرق والرّعد في

الصّحراء يجب أن يلجأ الإنسان إلى شجرة أو حائط أو إلى الجبال أو إلى أيّ مرتفع آخر، أو أن يستلقي في أرض منخفضة.

وعلى أيّة حال فإنّ للبرق ـ الّذي يسمّى في بعض الأحيان مزاح الطّبيعة ـ فوائد جمّة عُرفت من خلال ماكشفه العلم الحديث، ونشير هنا إلى ثلاثة منها:

١ـ السّقي: ـ من الطّبيعيّ أنّ البرق تتولّد منه حرارة عالية جدًّا قد تصل بعض الأحيان إلى «١٥» ألف درجة مئويّة، وهذه الحرارة كافية لأن تحرق الهواء المحيط بها، وفي النّتيجة يقلّ الضّغط الجوّيّ، فيسبّب سقوط الأمطار. ولهذا السّبب نرى هطول الأمطار الغزيرة بعد حدوث البرق.

وهذه في الواقع واحدة من وظائف البرق «السّقي».

٢ـ رشّ السّموم: ـ ونتيجة للحرارة العالية الّتي يسبّبها البرق فسوف يزداد مقدار الأُكسجين في قطرات الماء، ويسمّى هذا الماء بالماء الثّقيل أو الماء المؤكسد «H_2O_2» ومن آثاره قتل المكروبات، ولهذا السّبب يستعمل لغسل الجروح، فعند نزول هذه القطرات إلى الأرض سوف تُبيد بيوض الحشرات والآفات الزّراعيّة، ولهذا السّبب يقال للسّنة الكثيرة الآفات الزّراعيّة أنّها السّنة القليلة البرق والرّعد.

٣ـ التّغذية والتّسميد: تتفاعل قطرات الماء مع الحرارة العالية للبرق لتنتج حامض الكاربون، وعند نزولها إلى الأرض وتركيبها مع محتوياتها تصنع نوعًا من السّماد النّباتيّ، فتتمّ تغذية النّبات من هذا الطّريق.

يقول بعض العلماء: إنّ مقدار ماينتجه البرق من السّماد في السّنة يصل إلى عشرات الملايين من الأطنان، وهذه كمّيّة كبيرة جدًّا.

وعلى أيّة حال نرى من خلال ظاهرة طبيعيّة صغيرة كلّ هذه المنافع والبركات، فهي تقوم بالسّقي ورشّ السّموم والتّغذية، فيمكن أن تكون دليلًا واضحًا لمعرفة الله، كلّ ذلك من بركات البرق. كما أنّه يمكن أن يكون البرق عاملًا مهمًّا في إشعال الحرائق من خلال الصّاعقة، وقد تحرق الإنسان أو الأشجار، ومع أنّها نادرة الحدوث ويمكن الوقاية منها، فهي مع ذلك عامل خوفٍ للنّاس، فمفهوم الخوف والطّمع للبرق قد يكون إشارة إلى جميع هذه الأُمور.

ويمكن أن تكون الجملة ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ لها علاقة بالبرق الّذي يصنع هذه الغيوم المليئة بالمياه. (٧: ٣١٩)

٣ـ ﴿وَمِنْ اٰيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ الرّوم: ٢٤

الطُّوسيّ: (البَرْق): نار تحدث في السّحاب. بيّن تعالى أنّه إنّما يخلقه ليخافوا من عذابه بالنّار على معصيته والكفر به، ويطمعوا في أن يتعقّب ذلك مطر فينتفعون به. (٨: ٢٤٢)

الفَخْر الرّازيّ: واعلم أنّ فوائد (البَرْق) وإن لم تظهر للمقيمين بالبلاد، فهي ظاهرة للبادين، ولهذا جعل تقديم (البَرْق) على تنزيل الماء من السّماء نعمةً وآية.

وأمّا كونه آية فظاهر، فإنّ السّحاب ليس إلّا ماء

وهواء، وخروج النّار منها بحيث تحرق الجبال، في غاية البُعد، فلابدّ له من خالق هو الله.

قالت الفلاسفة: السّحاب فيه كثافة ولطافة بالنّسبة إلى الهواء والماء، فالهواء ألطف منه، والماء أكثف، فإذا هبّت ريحٌ قويّة تخرق السّحاب بعُنف؛ فيحدث صوت الرّعد، ويخرج منه النّار كمساس جسم جسمًا بعُنف، وهذا كما أنّ النّار تخرج من وقوع الحجر على الحديد.

فإن قال قائل: الحجر والحديد جسمان صلبان، والسّحاب والرّيح جسمان رَطْبان، فيقولون: لكن حركة يد الإنسان ضعيفة، وحركة الرّيح قويّة تقلع الأشجار.

فنقول لهم: البَرْق والرّعد أمران حادثان لابدّ لهما من سبب، وقد علم بالبرهان كون كلّ حادث من الله، فهما من الله.

ثمّ إنّا نقول: هَبْ أنّ الأمر كما تقولون، فهبوب تلك الرّيح القويّة من الأُمور الحادثة العجيبة، لابدّ له من سبب، وينتهي إلى واجب الوجود، فهو آية للعاقل على قدرة الله، كيفما فرضتم ذلك. (٢٥: ١١٤)

البُرُوسَويّ: (البَرْق): لَمعان السّحاب، وبالفارسيّة: درخش. وفي إخوان الصّفاء (البَرْق): نار وهواء. (٧: ٢٣)

الحجازيّ: (البَرْق): هو الشّرارة الكهربائيّة الّتي تظهر في الجوّ، وخاصّة عند السُّحب، وينشأ عنها الرّعد. (٢١: ١٩)

بَرْقه

...يَكَادُ سَنَابَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ. النّور: ٤٣

قَتادَة: لَمَعان البَرْق يذهب بالأبصار. (الطّبَريّ ١٨: ١٥٤)

الطّبَريّ: يكاد شدّة ضوء بَرْق هذا السّحاب يذهب بأبصار من لاق بصره. (١٨: ١٥٤)

نحوه الطّبْرسيّ. (٤: ١٤٨)

الزّمَخْشَريّ: و(بَرْقِهِ): جمع بُرْقَة، وهي المقدار من البَرْق، كالغُرفة واللّقمة وبُرُقة بضمّتين للإتباع، كما قيل: فُعْلَة فُعُلات، كظُلُمات. (٣: ٧٠)

نحوه البَيْضاويّ. (٢: ١٣١)

الفَخْر الرّازيّ: وجه الاستدلال بقوله: ﴿يَكَادُ سَنَابَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ أنّ البَرْق الّذي يكون صفة ذلك، لابدّ وأن يكون نارًا عظيمة خالصة، والنّار: ضدّ الماء والبرد، فظهوره من البرد يقتضي ظهور الضّدّ من الضّدّ، وذلك لايمكن إلّا بقدرة قادر حكيم. (٢٤: ١٥)

القُرطُبيّ: (البَرْق) دليل على تكاثف السّحاب، وبشيرٌ بقوّة المطر، ومحذّرٌ من نزول الصّواعق. (١٢: ٢٩)

محمّد هادي معرفة: ماذكره المفسّرون في الرّعد والبرق في كتبهم ومعظم كتب التّفاسير بالمأثور وغيره، ذكرت: أنّ (الرّعْد) اسم ملَك يسوق السّحاب، وأنّ الصّوت المسموع صوت زجره السّحاب، أو صوت تسبيحه، وأنّ (البَرْق) أثر من المِخْراق الّذي يزجر به السّحاب، أو لهب ينبعث منه، على أنّ المِخراق من نار، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ الرّعد: ١٣.

ويكاد لم يسلم من ذلك أحد منهم، إلّا أنّ منهم من

يحاول أن يوفّق بين ظاهر الآية، وماقاله الفلاسفة الطّبيعيّون في الرّعد والبرق، فيؤوّل الآية. ومنهم من يُبقي الآية على ظاهرها، وينحي باللّائمة على الفلاسفة وأضرابهم، الّذين قاربوا أن يصلوا إلى ماوصل إليه العلماء في العصر الحديث.

ففي تفسير «الخازن»[1] قال أكثر المفسّرين: على أنّ (الرّعْد) اسم للملك الّذي يسوق السّحاب، والصّوت المسموع منه تسبيحه. ثمّ أورد على هذا القول أنّ ماعطف عليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ يقتضي أن يكون المعطوف عليه مغايرًا للمعطوف، لأنّه الأصل، ثمّ أجاب: بأنّه من قبيل ذكر الخاصّ قبل العامّ تشريفًا!

وقد بسط الآلوسيّ في تفسيره[2] -كما هي عادته- الأقوال في الآية، وذكر أنّ للعلماء في إسناد التّسبيح إلى (الرّعْد) قولين: أنّ في الكلام حذفًا، أي سامعو الرّعد، أو أنّ الإسناد مجازيّ من قبيل الإسناد إلى السّبب والحامل عليه، والباء في (بِحَمْدِهِ) للملابسة، أي يسبّح السّامعون لذلك الصّوت متلبّسين بحمد الله، فيقولون: سبحان الله، والحمد لله.

ومن العلماء من قال: إنّ تسبيح الرّعد بلسان الحال لابلسان المقال، حيث شبّه دلالة الرّعد على قدرة الله وعظمته، وإحكام صنعته، وتنزيهه عن الشّريك والعجز، بالتّسبيح والتّنزيه، والتّحميد اللّفظيّ، ثمّ استعار لفظ (يُسَبِّحُ) لهذا المعنى. وقالوا: إنّ هذا المعنى أنسب.

وكلّ هذا من العلماء في الحقيقة تخلّص من حمل الآية على ظاهرها، وأنّ المراد بالرّعد: الملك الموكّل بالسّحاب.

ثمّ قال الآلوسيّ: والّذي اختاره أكثر المحدّثين أنّ الإسناد حقيقيّ؛ بناءً على أنّ (الرّعْد) اسم للملك الّذي يسوق السّحاب. فقد روى أحمد، والتّرمذيّ وصحّحه، والنّسائيّ، وآخرون عن ابن عبّاس -رضوان الله عليه- أنّ اليهود سألوا رسول الله ﷺ، فقالوا: أخبرنا ماهذا الرّعد؟ فقال ﷺ: «ملك من ملائكة الله موكّل بالسّحاب، بيديه مخراق من نار، يزجر به السّحاب، يسوقه حيث أمره الله تعالى»، قالوا: فما ذلك الصّوت الّذي نسمعه؟ قال: «صوته» قالوا: صدقت.

وهذا الحديث إن صحّ يمكن حمله على التّمثيل، ولكن لايطمئنّ القلب إليه، ولايكاد يصدق وروده عن المعصوم ﷺ. وإنّما هو من إسرائيليّات بني إسرائيل، ألصقت بالنّبيّ ﷺ زورًا، ثمّ كيف يتلاءم ماروي مع قوله قبل: ﴿هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾، وقوله بعد: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ الرّعد: ١٢، ١٣.

فالآية في بيان قدرة الله وعظمته في إحداث هذه الآيات الكونيّة، على حسب ماخلقه الله في الكون من نواميس، وأسباب عاديّة! وإنّما المناسب أن نفسّر «تسبيح الرّعد» بلسان الحال، وعطف (الملائكة) على (الرّعْد) يقتضي أن يكون (الرّعْد) غيرها لما ذكرنا.

وكأنّ السّرّ في الجمع بينهما بيان أنّه تواطأ على

---

(١) ٣: ٧٠.

(٢) روح المعاني ١٣: ١٠٦.

تعظيم الله وتنزيهه الجمادات والعقلاء، وأنّ مالايعقل منقاد لله وخاضع كانقياد العقلاء سواءً بسواء، ولاسيّما الملائكة الّذين هم مفطورون على الطّاعة والانقياد.

ومن الحقّ أن نذكر: أنّ بعض المفسّرين كانت لهم محاولات جادّة ـ بناء على ماكان من العلم بهذه الظّواهر الكونيّة في عصرهم ـ في تفسير: الرّعد والبرق، كابن عطيّة فقد قال: وقيل: إنّ (الرّعْد) ريح تختفق بين السّحاب، وروى ذلك عن ابن عبّاس، واعترض عليه أبوحيّان، واعتبر ذلك من نزغات الطّبيعيّين، مع أنّ قول ابن عطيّة أقرب إلى الصّواب، من تفسير (الرّعْد) بصوت «الملك» الّذي يسوق السّحاب، و(البَرْق) بضوء مخراقه.

وقد حاول الإمام الرّازيّ التّوفيق بين ماقاله المحقّقون من الحكماء، وماورد في هذه الأحاديث والآثار، وقد أنكر عليه أبوحيّان هذا أيضًا.

ثمّ ذكر الآلوسيّ آراء الفلاسفة في حدوث الرّعد، والبرق، وتكوّن السّحاب، وأنّه عبارة عن أبخرة متصاعدة قد بلغت في صعودها إلى الطّبقة الباردة من الهواء، ثمّ تكثّفت بسبب البرد، ولم يقدر الهواء على حملها، فاجتمعت وتقاطرت، ويقال لها: مطر.

هذا، وقد أصابوا في تكوّن السّحاب ونزول المطر، فآخر ماوصل إليه العلم اليوم هو هذا. وأمّا في تكوّن الرّعد والبرق فقد حاولوا وقاربوا، وإن لم يصلوا إلى الحقيقة العلميّة المعروفة اليوم.

وبعد أن ذكر الآلوسيّ الرّدود والاعتراضات على ماقاله الفلاسفة، وهي ـ والحقّ يقال ـ لاتنهض أن تكون أدلّة في ردّ كلامهم، قال: وقال بعض المحقّقين: لايبعد أن يكون في تكوّن ماذكر أسباب عاديّة، كما في الكثير من أفعاله تعالى، وذلك لاينافي نسبته إلى المُحدث الحكيم ـ جلّ شأنه ـ ومن أنصف لم يسعه إنكار الأسباب بالكلّيّة، فإنّ بعضها كالمعلوم بالضّرورة، قال: وبهذا أنا أقول[1].

ونحن أيضًا بهذا نقول، وكون الظّواهر الكونيّة قد جعل الله نواميس خاصّة لحدوثها، لاينافي قطّ أنّه سبحانه الخالق للكون، والمدبّر له سبحانه، فهو تعالى هو الموجد لهذه النّواميس، وهو الموجد لهذه السّنن الّتي يسير عليها الكون، فإنّ بعض هذه النّواميس والسّنن أصبحت معلومة فإنكارها باسم الدّين، أو التّشكيك فيها ـ ومنها تكوّن السّحب، وحدوث الرّعد، والبرق، والصّواعق ـ إنّما يعود على الدّين بالضّعف، ويضرّه أكثر من طعن أعدائه فيه.

«أقوال الرّسول عند سماع الرّعد ورؤية البرق»:

وقد وردت أحاديث أُخرى صحاح وحسان، تبيّن ماكان يقوله ﷺ عند حدوث هذه الظّواهر الكونيّة، وهي تدلّ على كمال المعرفة بالله، وأنّه سبحانه هو المُحدث لها، وأنّها تدلّ على تنزيه الله، وتعظيمه، وحمده؛ فقد أخرج أحمد والبخاريّ في الأدب المفرد، والتّرمذيّ، والنّسائيّ، وغيرهم، عن ابن عمر قال: «كان رسول الله ﷺ إذا سمع صوت الرّعد، والصّواعق قال: اللّهمّ لاتقتلنا بغضبك، ولاتهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك»، لأنّ احتمال الإهلاك والتّعذيب بهذه الآيات

(١) الآلوسيّ ١٣: ١٠٦.

الكونيّة أمر قريب ممكن.

وأخرج أبوداود في مراسيله، عن عبد الله بن أبي جعفر: أنّ قومًا سمعوا الرّعد فكبّروا، فقال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم الرّعد فسبّحوا، ولاتكبّروا»، وذلك لما فيه من التّأدّب بأدب القرآن، وأسلوبه، في قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾، ولأنّ دلالته على تنزيه الله من النّقص والشّريك أولى من دلالته على التّعظيم. وأخرج ابن أبي شَيبة، عن ابن عبّاس أنّه ﷺ كان يقول إذا سمع الرّعد: «سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم». وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير عن أبي هريرة قال: كان ﷺ إذا سمع الرّعد قال: «سبحان من يسبّح الرّعد بحمده».

فهذا هو اللّائق برسول الله ﷺ وبعصمته، لاماروي من أنّ الرّعد ملَك أو صوت زجره للسّحاب وأنّ البرق أثر سوطه الّذي يزجر به السّحاب.

«رأي العلم في حدوث الرّعد، والبرق، والصّواعق».

وإكمالًا للفائدة: سنذكر ماوصل إليه العلم في حدوث هذه الظّواهر الكونيّة، فنقول، وبالله التّوفيق: يقول الدّكتور محمّد أحمد الغمراويّ في كتابه «سنن الله الكونيّة»:

الرّياح، والكهربائيّة الجوّيّة:

إنّ الكهربائيّة الّتي تتولّد في الهواء ـ والّتي ذكرنا لك بعض مصادرها ـ يكتسبها السّحاب عند تكوّنه على الإيونات الّتي تحملها تلك الكهربائيّة في الطّبقات العليا الجوّيّة، ولايُدرى الآن، كيف يفصل الله الإيونات السّالبة، من الإيونات الموجبة، قبل تكاثف البخار عليها، إن كان هناك فصل لها؟ أم كيف يكون السّحاب عظيم التّكهرب إمّا بنوع من الكهرباء، وإمّا بالنّوع الآخر، إذا حدث التّكاثف على الإيونات، وهي مختلطة. ومهما يكن من سرّ ذلك، فإنّ السّحاب مكهرب من غير شكّ، كما أثبت ذلك فرانكلن لأوّل مرّة في عام (١٧٥٢)م وكما أثبت غيره، عظم تكهربه بشقّ الطّرق بعده، وأنت تعرف أنّ نوعي الكهربائيّة يتجاذبان، وأنّ الموجب والموجب، أو السّالب والسّالب يتدافعان، أو يتنافران، كما تشاء أن تقول.

هذا التّدافع أو التّنافر من شأنه تفريق الكهربائيّة، ثمّ إذا شاء الله ساق السّحاب بالرّيح، حتّى يقترب السّحاب الموجب، من السّحاب السّالب قربًا كافيًا، في اتّجاه أفقيّ، أو في اتّجاه رأسيّ. أو فيما شاء الله من الاتّجاهات، فإذا اقتربا تجاذبا. ومن شأن اقترابهما هذا أن يزيد في كهربائيّة مجموع السّحاب بالتّأثير، ولايزالان يتجاذبان، ويتقاربان، حتّى لايكون محيص من اختلاطهما واتّحاد كهربائيّتهما، أو من اتّحاد كهربائيّتهما من بعد، وعندئذ تحدث شبه شرارة عُظمى كهربائيّة هي البرق الّذي كثيرًا مايُرى في البلاد الكثيرة الأمطار.

و«المطر» نتيجة لازمة لحدوث ذلك الاتّحاد الكهربائيّ، سواء حدث في هدوء أو بالابراق. فإذا حدث بهدوء، حدث بين القطيرات المختلفة في السّحابتين، فتجذب كلّ منها قرينتها أو قريناتها، حتّى تتّحد وتكوّن قطرة فيها ثقل فتنزل، وتكبر أثناء نزولها

بما تكتسب من كهربائيّة، وماتجتذب من قطيرات أثناء اختراقها السّحاب المكهرَب، الّذي يكون بعضه فوق بعض في السّحاب الرّكام. أمّا إذا حدث الاتّحاد الكهربائيّ في شدّة البرق وعنفه، فإنّه يحدث لابين القطيرات، ولكن بين الكتل من السّحاب، ويسهّل حدوثه تخلخل الهواء، أي قلّة ضغطه في تلك الطّبقات.

و«البرْق» يمثّل قوّة كهربائيّة هائلة، تستطيع أن تكوّن فكرة عنها إذا عرفت أنّ شرارته قد تبلغ ثلاثة أميال في طولها أو تزيد، وأنّ أكبر شرارة كهربائيّة أحدثها الإنسان لاتزيد عن بضعة أمتار.

فالحرارة النّاشئة عن البرق لاشكّ هائلة فهي تمدّد الهواء بشدّة، وتحدث مناطق جوّيّة عظيمة مخلخلة، الضّغط داخلها يعادل الضّغط خارجها، مادام الهواء داخل المنطقة ساخنًا، حتّى إذا تشتّت حرارته وبردت تلك المناطق برودة كافية ـ وماأسرع ماتبرد ـ خفّ منها الضّغط، وصار أقلّ كثيرًا من ضغط الطّبقات الهوائيّة السّحابيّة المحيطة بها، فهجمت عليها فجأة بحكم الفرق العظيم بين الضّغطين وتمدّدت فيها، وحدث لذلك صوت شديد، هو صوت الرّعد وهزيمه، هذا الصّوت قد يكون له صدى بين كتل السّحاب يتردّد، فنسمّيه قعقعة الرّعد.

أمّا صوت الشّرارة الكهربائيّة البرقيّة، فهو بدء الرّعد، ويكون ضعيفًا بالنّسبة لهزيمه وقعقعته، لذلك تسمع الرّعد ضعيفًا في الأوّل ثمّ يزداد، كأنّما أوّله إيذان بتضخّمه، كما قد تُؤذن الطّلقة الفردة بانطلاق بطّاريّات برمّتها، من المدافع الضّخمة في الحروب.

فالرّعد يحدث لاعند اتّحاد الكهربائيّتين حين يحدث البرق فقط، ولكن يحدث أكثره بعد ذلك عند تمدّد الكتل الهوائيّة الهائجة في المنطقة المُفرّغة، وهي إذا تمدّدت بردت برودة شديدة، فيتكاثف مافيها من البخار، ومن كتل السّحاب، فينزل على الأرض إمّا مطرًا، وإمّا برَدًا، حسب مقدار البرودة الحادثة في تلك المناطق.

وهذا هو السّبب في أنّ الرّعد والبرق يعقبها في الغالب مطرات شديدة، سواء أكانت المطرة مائيّة، أم برَديّة، وقطرات الماء أو حبّات البرَد تنمو بعد ذلك باختراقها كتل السّحاب المتراكم، تحت المنطقة الّتي حدث فيها التّفريغ.[1]

الصّواعق:

وقد يحدث التّفريغ الكهربائيّ بين السّحاب والأرض، من بين السّحاب والسّحاب، وهذا يكون عادة إذا كان السّحاب عظيم الكهربائيّة، قريبًا من الأرض. فإذا حدث التّفريغ ظهر له كالعادة ضوء وصوت، نسمّي بمجموعها بالصّاعقة، أي أنّ الصّاعقة: تفريغ كهربائيّ بين السّحاب والأرض، إذا أصاب حيوانًا أو نباتًا أحرقه، وهو يحدث أكثر مايحدث بين الأجسام المدبّبة على سطح الأرض من شجر أو نحوه وبين السّحاب، ولذا كان من الخطأ الاستظلال بالشّجر، أو المظلّات في العواصف ذات البرق.

على أنّ الإنسان قد استخدم سهولة حدوث التّفريغ بين الأجسام المدبّبة، والسّحاب لوقاية الأبنية من الصّواعق، وذلك بإقامته على سطوحها قضبانًا حديديّة

---

(١) السّنن الكونيّة: ١٥٨.

أو نحاسيّة، مُدبّبة الأطراف، بحيث يكون طرف القضيب المدبّب أعلى قليلًا من أعلى نقطة في البناء، والطّرف الآخر متّصلًا بلوح فلزّيّ مدفون في أرض رطبة.

ومن شأن الأطراف المدبّبة أن يكون كلّ منها بابًا تخرج منه الكهربائيّة المتجمّعة على السّطح تدريجًا إلى السّحاب الّذي يظلّه، فيحدث التّفريغ، أي الاتّحاد بين كهربائيّة الأرض وكهربائيّة السّحاب تدريجًا، ذلك التّفريغ الفجائيّ المعروف بالصّاعقة، على أنّه إذا نزلت الصّاعقة بالبناء رغم ذلك، فالأرجح جدًّا أنّها تصيب القضيب المدبّب أوّل ماتصيب، وتنصرف الكهربائيّة إلى الأرض، بدلًا من أن تدكّ البناء، ولذا يسمّى مثل هذا القضيب المدبّب الواصل إلى الأرض بصارفة الصّواعق.

وقد وجدوا أنّ السّطح الخارجيّ للقضيب هو الطّريق الّذي تمرّ به الكهربائيّة إلى الأرض، لذلك كلّما كان هذا السّطح أكبر كان الصّرف أعظم، والبناء أحصن؛ ولذا كانت الصّفائح أفضل في حفظ الأبنية، من مثل كتلتها من الأسلاك.[1]

(التّفسير والمفسّرون ٢: ٢٩٩ ـ ٣٠٧)

الوُجوه والنّظائر

الدّامغانيّ: «برق» على وجهين: بَرِق، أي شخَص، والبَرْق بعينه.

فوجه منها: بَرِق، أي شخَص، ويقال: أعجب، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ القيٰمة: ٧، أي شخص البصر.

والوجه الثّاني: البَرْق بعينه، قوله تعالى: ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ البقرة: ١٩.

وقال قَتادَة: البَرْق: الإسلام. (١٧٠)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة هو «البَرْق» وهو الّذي يلمع في السّحاب، وهو شرارة كهربائيّة تحدث عند التّفريغ الكهربائيّ بين سحابتين، أو بين السّحابة والأرض، وأصبح هذا البَرْق بخصائصه يلهم رمز التّلألؤ واللّمعان والزّينة والسّرعة، وجلب الأنظار، ومايحوم حول هذه المحاور.

واشتقّوا منه أفعالًا لحكاية هذه المفاهيم حقيقةً أو مجازًا، فقالوا: بَرَقَ البَرْقُ يَبْرُقُ، وبَرَقَت السّماء ورعَدَت، وبَرَقَ وجهُه بالدّهن: لمَع، وبَرَق طعامَه: أدامَه بدسم قليل، وبرّق منزلَه: زيّنه وزوّقه، وأبرَقت المرأة: تحسّنت وتعرّضت.

ومن ذلك أيضًا قولهم: أرعَدَ القوم وأبرقوا، إذا أصابهم رعد وبرق، وبرّق فلان تبريقًا، إذا سافر سفرًا بعيدًا.

ويطلق في عصرنا هذا على الرّسالة الفوريّة الّتي تُرسل من مكان إلى آخر بواسطة جهاز مطوَّر: البرقيّة، لأنّها تصل إلى المُرسَل إليه بسرعة البَرق.

٢ـ وقد قيّد بعضهم «البَرْق» بالشّدّة والضّغط النّاشئ من السّحاب، أو من شدّة تظاهر السّيوف، أو من حدّة الجبال، أو من حدّة الوعيد، أو من حدّة النّظر

---

(١) السّنن الكونيّة: ١٥٨ ـ ١٦٠.

الخاصّ وشدّة الشّخوص، أو من شدّة لمعان البياض من بين السّواد في العين أو في الجبل أو غيرها.

وقد جعل ابن فارس لهذه المادّة أصلين؛ أحدهما: لمعان الشّيء، والآخر: اجتماع السّواد والبياض في الشّيء، ومابعد ذلك فكلّه مجاز، ومحمول على هذين الأصلين.

وحمل هذا المعنى على قولهم للسّيوف والسّحاب: البارقة، وللسّحاب خاصّة: البروق، على التّشبيه لشدّة بياضها.

٣ـ واستعمل البَرَق لما يشاهد في العين عند التّعجّب والدّهشة، يقال: بَرِقَ البَصَرُ، أي بُهِت، فهو فزِع مبهوت، يلمع بصره ولايطرف. ويقال: كلّمته فبَرِقَ، أي تحيّر. كما استعمل في ضعف البصر، يقال: بَرِقَ بصَرُه، أي ضعف ونَبا.

ويقال للأرض ذات الحجارة البيضاء وفيها قليل من حجارة حمراء وسوداء: بُرْقة، وإذا كانت ذات طرائق فيها حجارة سوداء تخالطها رملة بيضاء، فهي بَرْقاء.

٤ـ وهذه المادّة لها أُصول في اللّغات الأُخرى، كالآراميّة والسّريانيّة والعبريّة، توافق العربيّة، وكأنّها تأثّرت بعضها ببعض، أو أنّ لها جميعًا أصلًا واحدًا. ولاشاهد على سبقها للعربيّة وانتقال بعض ألفاظها من تلك اللّغات إليها ـ كما قيل ـ بل هناك شواهد على سبق العربيّة لها.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت هذه المادّة في القرآن فعلًا مرّة واحدة واسمًا خمس مرّات:

١ـ ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ القيمة: ٧ ـ ٩

٢ـ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ البقرة: ١٩

٣ـ ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ البقرة: ٢٠

٤ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ الرّعد: ١٢

٥ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ الرّوم: ٢٤

٦ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ...وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ...يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ النّور: ٤٣

يلاحظ أوّلًا: أنّ الفعل جاء بمعنى مجازيّ، وهو شخوص البصر عند الموت، لظهور بياضه ولمعانه، وأمّا الاسم فهو يعني برق السّماء فقط، فجاء مع (رعد) في (٢)، ومع خطف الأبصار وذهابها في (٣) و(٦)، ومع ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ في (٤) و(٥). كما جاء مع ﴿كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ في (٢)، ومع إنشاء السّحاب في (٤)، ومع إنزال الماء من السّماء في (٥)، ومع إزجاء السّحاب وإنزال البَرَد في (٦)، وكلّها أُمور هائلة، وكلمة (صَيِّب) تمثّل ذروة هذا الحادث الجلَل وهول المطّلع.

ثانيًا: وهذا يوافق تمامًا مااخترناه في أصل المادّة،

وهو برق السّماء.

ثالثًا: وحتّى حين جاء (البَرْق) بمعنى شخوص البصر، ضمّ إليه أيضًا مايخطر بالبال برق السّماء؛ حيث قورن بـ﴿خَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، وهما من آيات الله في السّماء، ولهما ضوء ساطع، ففيه نوع من إيهام التّناسب، مثل: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ الرّحمن: ٦.

رابعًا: جاء في (٣) و(٦) تأكيدًا لشدّة لمعان البرق مايدلّ على توثيق العلاقة بين لمعان البرق ونور البصر، وهو خطف الأبصار في (٣)، وإذهاب الأبصار في (٦). والخطف هو الأخذ بسرعة، وللاحتفاظ به ـ أي الأخذ السّريع ـ جاء (يَذْهَبُ) في (٦) ـ وهو متعدّ في رأينا بالباء ـ أي يذهب الأبصار مسرعًا بها، ففيه إشراب لطيف.

خامسًا: نسب الفعل إلى (البَرْق) في (٣) و(٦) مقترنًا بفعل المقاربة ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾، ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ مع تفاوت، ففي (٣) جاء البَرْق فاعلًا للفعل، وفي (٦) الفاعل هو ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾، وهو أبلغ وأمسّ بالمطلوب؛ حيث يصرّح بأنّ الشّيء الّذي يخطف الأبصار ويذهب بها هو لمعان البَرْق وشدّة ضوئه.

أمّا فعل المقاربة فيها فهو أيضًا تسجيل لشدّة الضّوء، كأنّه قال: شدّة ضوء البرق كادت أن تذهب بالأبصار وتخطفها. وتأكيدًا لذلك ذيّله في (٣) بقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ البقرة: ٢٠، أي شدّة الضّوء كانت تفي بإذهاب البصر لو شاء الله، إلّا أنّه لم يشأ.

سادسًا: خَطْف الأبصار والذّهاب بها أيضًا ليس على حقيقته، لأنّ الأبصار ثابتة، فكنّى بهما عن ذهاب نورها وطمس جهاز إبصارها، تأكيدًا لشدّتها.

سابعًا: وفي (٦) جاء ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ وفي إثرها ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ آل عمران: ١٣، وأُريد بالأبصار في الأُولى: العيون، وفي الثّانية: البصائر، وهذا نوع من المشاكلة البديعيّة.

ثامنًا: جاء (البَرْق) مع (الرَّعْد) مرّة، مجاراةً لما هو المعروف عند النّاس؛ حيث يذكرونهما معًا، فيقولون: ظهر البرق والرّعد، فهذا نوع مساغاة أو مجاراة للعامّة، وهو يجري مجرى الأمثال.

تاسعًا: جاء (٢) و(٣) في مثلين ضربهما الله للمنافقين، ابتداء من قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ١٧ ـ ٢٠، وهما مثلان، أوّلهما مثال للنّار، وثانيهما مثال للنّور، أي البرق المقارن للماء الّذي ينزل من السّماء أو البَرَد، وهما مشتركان في أُمور:

١ـ الذّهاب بالنّور: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾ البقرة: ١٧، وبالأبصار الّتي ترى النّور: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ البقرة: ٢٠.

٢ـ الظّلمات: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ البقرة: ١٧، ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ البقرة: ١٩، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾ البقرة: ٢٠.

٣ـ النّور والإضاءة: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾ البقرة: ١٧، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ البقرة: ٢٠.

وبإزاء هذين المثَلين للمنافقين هناك مثَلان للكفّار في سورة النّور: ٣٩و٤٠، ابتداءً من ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ وانتهاءً بـ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ وتوجد فيها أيضًا عناصر الماء والنّور والظّلمات. وينبغي البحث حول الأمثال الأربعة معًا، ومقارنة بعضها ببعض.

وللمفسّرين بحوث بديعة حولها، ولكن دون المقارنة بينها، لاحظ (ص ي ب) و(ظ ل م) و(ك ف ر) و(م ث ل) و(ن ف ق)، وسائر الموادّ الّتي جاءت فيها.

عاشرًا: وتلك عشرة كاملة ـ أنّ التّصريح والتّأكيد لعنصر الإراءة في (٤): ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ الرّعد: ١٢، وفي (٥): ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ الرّوم: ٤، والتّرغيب في الرّؤية في (٦): ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ النّور: ٤٣، فيه بلاغة ظاهرة، بداهةَ أنّ النّور والظّلمة لها دخل في الرّؤية نفيًا وإثباتًا، ولا رؤية بدونها، كما أنّ ذلك واسطة نقل كلمة البَرَق إلى إفادة بياض العين.



ب ر ك

١٠ ألفاظ، ٣٢ مرّة: ٢٨ مكّيّة ، ٤ مدنيّة
في ٢٢ سورة : ١٩ مكّيّة ، ٣ مدنيّة

بارَك ١ : ١	مباركة ٣ : ١ـ ٢
بارَكنا ٦ : ٦	المباركة ١ : ١
بُورِك ١ : ١	بَرَكات ٢ : ٢
مُبارَك ٤ : ٤	بركاته ١ : ١
مبارَكًا ٤ : ٣ـ١	تَبارَك ٩ : ٨ ـ ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل : البَرْك: الإبل البَوارك، اسم لجماعتها. [ثمّ استشهد بشعر]

وأبرَكتُ النّاقة فبَرَكت.

والبَرْك: كَلْكَل البعير وصدرُه الّذي يدوك به الشّيء تحته، يقال: حكّه ودكّه ببَرْكه. [ثمّ استشهد بشعر]

والبِرْكة: ماولي الأرض من جلد البطن، ومايليه من الصّدر من كلّ دابّة. اشتُقّ من مَبرَك البعير، لأنّه يَبرُك عليه.

والبِرْكة والبِرْك: شبه حَوْض يُحفر في الأرض، ولايُجعل له أعضاد فوق صعيد الأرض. [ثمّ استشهد بشعر]

والبِرْكة: حَلْبة الغداة، ويقال: بفتح الرّاء. [ثمّ استشهد بشعر]

والبُرْكة، والبُرَك جمعه: من طير الماء، أبيض.

وابتَرك الرّجل في الآخر: يَقصِبه، إذا اجتهد في ذمّه.

وابتركوا في الحرب: جثَوْا على الرُّكَب ثمّ اقتتلوا ابتراكًا، والبَراكاء: الاسم منه. [ثمّ استشهد بشعر]

وابتَرك السّحاب: ألحّ بالمطر على موضع.

والبرَكة: الزّيادة والنّماء، والتّبريك: الدّعاء بالبرَكة.

والمباركة: مصدر بُورك فيه، وتبارك الله: تمجيدٌ وتجليلٌ.

والبِرْكان، والواحدة: بِرْكانة، من دِقّ الشّجر.

وسمّيت الشّاة الحلوب: بَرَكة، وفي الحديث: «من كان عنده شاة كانت بركة، والشّاتان بركتان».

(٥: ٣٦٦)

البَرْك: يقع على مابَرَك من الجمال والنّوق على الماء أو بالفلاة، من حرّ الشّمس أو الشّبع، الواحد: بارك، والأُنثى: باركة. (ابن فارس ١: ٢٢٧)

نحوه ابن السّكّيت. (٦٥)

الكِسائيّ: البِرْكة أن يَدُرّ لبن النّاقة باركة، فيقيمها فيحلبها. (ابن فارس ١: ٢٣٠)

مثله أبوزَيْد. (الأزهَريّ ١٠: ٢٢٧)

باركك الله، وبارك فيك. (القُرطُبيّ ١٣: ١٥٨)

أبوعمرو الشّيبانيّ: بُـرَك: اسم ذي الحبّة، والبُرَك والباروك: الكابوس، وهو النّيدُلان.

البَرِيك: الزّبدُ بالرُّطَب. (الأزهَريّ ١٠: ٢٣٢)

البَرْك: الصّدر. (إصلاح المنطق: ١٢)

الفَرّاء: كِساءٌ بَرّكانيّ، ولاتقل: بَرْنكانيّ.

وبَرْك الشّتاء: صدره. وقال الكُميت:

واحتلّ بَرْك الشّتاء منزله

وبات شيخ العيال يصطلب

أراد وقت طلوع العَقْرب، وهو اسم لعدّة نجوم، منها الزُّبانى، والإكليل، والقلب، والشّولة، وهي تطلع في شدّة البرد. ويقال لها: البُرُوك، والجُثوم، يعني العَقْرب. (الأزهَريّ ١٠: ٢٣٢)

أبوعُبَيْدَة: يقولون: بَراكِ بَراكِ، بمعنى ابرُكوا.

(ابن فارس ١: ٢٢٩)

الأصمَعيّ: كان أهل الكوفة يسمّون زيادًا أشقر بَرْكًا. (ابن فارس ١: ٢٢٨)

البَرُوك من النّساء الّتي تتزوّج ولها وَلَد كبير.

(الأزهَريّ ١٠: ٢٢٩)

الأخفش: البَرْك: الإبل الكثيرة، تشرب ثمّ تَبْرُك في العطَن، لاتكون بَرْكًا إلّا كذا. (ابن فارس ١: ٢٢٨)

أبوزَيْد: أنّه سمع أعراب قيس يقولون: ماأبرَك هذا الطّعام! أي ماأنماه. (ابن دُرَيْد ١: ٢٧٣)

في أنواء الجوزاء نَوْءٌ يقال له: البُرُوك، وذلك أنّ الجوزاء لاتسقط أنواؤها حتّى تكون فيها يوم وليلة تَبْرُك الإبل، من شدّة بَرده ومطره.

(ابن فارس ١: ٢٢٩)

اليورَق والبورَك: الّذي يُجعل في الطّحين.

(ابن منظور ١٠: ٤٠٠)

اللّحيانيّ: بارَكتُ على التّجارة وغيرها، أي واظبتُ عليها. (الأزهَريّ ١٠: ٢٣١)

أبو عُبَيْد: والبُرَيكان: أخوان من العرب، أحدهما: بارك، والآخر: بُرَيْك، فغلب بُرَيك، إمّا لفضله وإمّا لسِنّه وإمّا لخفّة اللّفظ. (ابن سيدة ٧: ٢٢)

ابن الأعرابيّ: البِركة تطفح مثل الزّلَف، والزّلَف: وجه المرآة. (الأزهَريّ ١٠: ٢٢٨)

الخَبيص يقال له: البَرُوك، ليس الرّبوك.

وقال رجل من الأعراب لامرأته: هل لكِ في البَرُوك؟ فأجابته: إنّ البروك عمل الملوك، والاسم منه البَريكة، فأمّا الرّبيكة فالحَيْس. (الأزهَريّ ١٠: ٢٢٩)

رجل مُبْتَرِك: معتمد على الشّيء مُلِحٌّ. [ثمّ استشهد

بشعر]

ورجل بُرَك: باركٌ على الشّيء.

(ابن سيدة ٧: ٢٢)

ابن السِّكِّيت: البَرْك: الإبل الكثيرة الباركة، وبِرْك: اسم موضع. (إصلاح المنطق: ١٢)

البَرْك: إبل أهل الحِواء كلّه الّتي تروح عليهم، بالغة مابلغت وإن كانت أُلوفًا. [ثمّ استشهد بشعر] (٦٣)

البَرُوك: الّتي تتزوّج وابنها رجُل. (٣٤٩)

يقال: بارَك على الأمر وبرَك، إذا واظب عليه. وابترَك الفرس في عَدْوه، اجتهد. وابترَك فلان في عِرض فلان. (٤٤٣)

البِرْكة من الفرس حيث انتصبَتْ فَهْدَتاه من أسفل، إلى المِرْفَقين اللّذَين دون العَضُدين، إلى غُضُون الذّراعَين من باطن.

يقول العرب: «هذا أمر لايَبْرُك عليه إبلي»، أي لاأقربه ولاأقبله. ويقولون أيضًا: «هذا أمر لايَبْرُك عليه الصُّهْب المُحرّمة». يقال ذلك للأمر إذا تفاقم واشتدّ؛ وذلك أنّ الإبل إذا أنكرت الشّيء نفرت منه.

(ابن فارِس ١: ٢٢٨)

شَمِر: البِرْكة: جنس من بُرُود اليمن، وكذلك المَراجل. (الأزهَريّ ١٠: ٢٢٩)

ابن أبي اليَمان: البَرَكة: النّماء. (٦١٦)

الحَرْبيّ: الابتِراك: السّرعة. (١: ٢١٨)

أبوحاتِم: طعامٌ بَرِيك، أي ذوبَرَكة.

(ابن فارِس ١: ٢٣١)

ابن دُرَيْد: البَرْك: إبل الحيّ بالغًا مابلغت. [ثمّ استشهد بشعر]

والبُرَك: طائر. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرْك: الصّدر، فإذا أدخلت فيه الهاء كسرت الباء، فقلت: بِرْكة.

والبَرَكة: معروف، ويقال: لابارك الله فيه، أي لانماء. فأمّا قولهم: بارك الله لنا في الموت، فمعناه بارك الله لنا فيما يؤدّينا إليه الموت.

وقد تكلّم قوم في تبارك الله، ففسّروه: العلوّ، لأنّ البَرَكة في الشّيء: النّماء بعد النّقصان، وهذه صفة منفيّة عن الله عزّوجلّ.

وقال آخرون: «تبارك الله» كأنّه تفاعل من البَرَكة، وليس من النّماء، وإنّما هو راجع إلى الجلال والعظمة، وتبارك لايوصف به إلّا الله تبارك وتعالى، ولايقال: تبارك فلان في معنى عظُم، هذه صفة لاتنبغي إلّا لله عزّوجلّ.

وبرَك البعير يَبْرُك بُرُوكًا، وهو أن يلصق بَرْكه بالأرض.

والبَراكاء: الثّبات في الحرب، كأنّهم بَركوا فيها. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال في الحرب: بَراكِ بَراكِ، أي ابرُكوا.

وتِبْراك: موضع بكسر التّاء، لأنّه اسم ليس بمصدر. [ثمّ استشهد بشعر]

وابترَك الدّابّة، إذا انتحى على أحد شقّيه في عَدْوه. وابترَك الصّيقل، إذا مال على المِدْوَس في أحد شقّيه.

والبُرَيكان: أخوان من فرسان العرب، وهما بارِك

وبُرَيْك.

وذكر أبومالك أنّه سمع: طعام بَريك، في معنى مبارك. (١: ٢٧٢)

القاليّ: الكِرْكِرة، والكَلْكَل، والبَرْك، والبَرْكة، والجَوْش، والجَوْشَن، والجُؤْشُوش، والحَيْزَم، والحَيْزُوم، والحَزِيم: الصّدر. (٢: ١٦٨)

الأزهَريّ: العرب تسمّي الصّهاريج الّتي سُوِّيَتْ بالآجرّ وصُرّجت بالنّورة في طريق مكّة ومناهلها: بِرَكًا، واحدتها: بِرْكة. ورُبَّ بِرْكةٍ تكون ألف ذراع، وأكثر وأقلّ.

وأمّا الحياض الّتي تُحتفر وتُسوّى لماء السّماء، ولاتُطوى بالآجرّ، فهي الأصناع، واحدها: صِنْعٌ عندهم.

ويقال: ابتَرَك الرّجل في عِرْض أخيه يَقْصِبُه، إذا اجتهد في ذمّه، وكذلك الابتِراك في العَدْو: الاجتهاد فيه.

ويقال: أبرَكتُ النّاقة فبَرَكَتْ بُرُوكًا.

والتّبْراك بفتح التّاء: البُرُوك. [ثمّ استشهد بشعر]

وأمّا تِبْراك بكسر التّاء، فهو موضع، ولاينصرف. (١٠: ٢٢٨)

الصّاحِب: البَرْك: الإبل، وجمعها: بَوارك. وأبرَكتُ النّاقة فبَرَكَتْ، ويقال: بَرَكت النّاقة، والنّعامة أيضًا.

ويقال للأرض الخِصْبة: تَرَكتُ كَلَأَها، كأنّها نَعامة باركة.

والبَرْك: كَلْكَل البعير وصدره.

والبِرْكة: ماوَلِي الأرض من جلد البَطن، ومايليه من الصّدر، من كلّ دابّة.

ومَبْرَك البعير: موضع بِرْكته.

والبِرْكة: شِبهُ حَوْض يُحفر في الأرض، والحَلْبَة، من حَلْبَة الغداة، ويقال: بَرْكة أيضًا.

وجئتك في بُرْكة الشّتاء، أي في البَرْد الّذي بَرَكَ بكَلْكَله.

وذوالحجّة يسمّى: بُرَكَ، ويُجمع: بُرَكات.

وابتَرَك الرّجل في آخرَ: يتنقّصُه ويشتمُه. وابتَرَكوا في الحَرْب، إذا جثَوا على الرُّكَب، ثمّ اقتتلوا ابتِراكًا.

والبَراكاء: الاسم من ذلك، وهو أيضًا: ماأقام وثبت من الظّلمة.

وأبرَك السّحاب: ألحّ بالمطر على موضع.

والمُبْتَرِك: الذّاهب في السّير المعتمِد فيه.

وبارَك عليه وابتَرَك، أي واظَبَ وداوَمَ.

والابتِراك: عَدْو الدّابّة على أحد شقّيها.

وابتَرَك القَيْن على المِدْوَس.

وبارَكتُ الرّجل، إذا جادَدْتَه وألحَحْتَ عليه.

والبَرَكة: الزّيادة والنّماء. والتّبريك: أن تَدعُو له بالبَرَكة. وتبارَك الله: تمجيدٌ وتجليلٌ.

وتسمّى الشّاة الحَلُوب: بَرَكة.

وبارَك الله فيه: أي تابَع الخير لديه.

وطعامٌ بَريك، بمعنى مبارَك.

والبُرَك والبُرْكة: من طير الماء، أبيَض.

والبُرَك: من أسماء الأسد، وجمعه: بُرَكات.

والبُرْكة: جماعة من وجوه النّاس: كالخمسة إلى العشرين، وسُمّوا بذلك لأنّهم لايَبْرُكون بين يدي أحد في حاجة، إلّا استحيا من ردّهم. وقيل: لأنّهم يَبْتَرِكون في الأمر حتّى يُتمّوه، أي يجتهدون.

وضَرْب من البُرْد يسمّى: بُرْكة.

والبِرْكان، والواحدة: بِرْكانة: من دِقّ الشّجر.

والبَرُوكة: القُنفذ. والإبْراكة: سمكة طولها ذراع، وغِلَظُها إصبَعٌ، والجميع: الإبراك.

والبَرُوك: المرأة الّتي تتزوّج ولها ابن كبير. وقيل: هي الّتي لها زوج، ولها ولد من غير زوجها الثّاني.

وبِرْك: موضع. (٦: ٢٦٠)

الجَوْهَريّ: بَرَك البعير يبرُك بُرُوكًا، أي استناخ. وأبرَكتُه أنا فبَرَك، وهو قليل، والأكثر: أنَخْتُه فاستناخ.

ويقال: فلان ليس له مَبْرَك جمل. وكلّ شيء ثبت وأقام فقد برَك.

والبَرْك: الإبل الكثيرة. [ثمّ استشهد بشعر]

والجمع: البُرُوك.

والبَرْك أيضًا: الصّدر، فإذا أدخلت عليه الهاء كسرت، وقلت: بِرْكة. [ثمّ استشهد بشعر]

وقولهم: ماأحسن بِرْكة هذه النّاقة، وهو اسم للبُرُوك، مثل الرِّكبة والجِلسة.

والبِرْكة أيضًا كالحوض، والجمع: البِرَك، ويقال سمّيت بذلك: لإقامة الماء فيها.

وابتَرَك الرّجل، أي ألقى بَرْكَهُ. وابترَكتُه، إذا صرعته وجعلته تحت بِرْكِه.

وابتَرَك، أي أسرع في العَدْو وجَدّ. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَراكاءُ: الثّبات في الحرب والجِدُّ، وأصله من البُرُوك. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال في الحرب: بَراكِ بَراكِ، أي ابركوا.

والبَرَكة: النّماء والزّيادة. والتّبريك: الدّعاء بالبَرَكة. وطعام بَريك، كأنّه مبارك.

ويقال: بارك الله لك وفيك وعليك، وبارَكك، وقال تعالى: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ النّمل: ٨.

وتبارك الله، أي بارك، مثل قاتَل وتقاتَل، إلّا أنّ «فاعَل» يتعدّى، و«تفاعَل» لايتعدّى.

وتبرّكتُ به، أي تيمّنتُ به.

والبُرْكة بالضّمّ: طائر من طير الماء أبيض، والجمع بُرَك. [ثمّ استشهد بشعر]

والبُراكِيّة: ضربٌ من السّفُن.

والبَرْنَكان، على وزن الزّعفران: ضربٌ من الأكسية.

والبَرُوك من النّساء: الّتي تتزوّج ولها ابن بالغ كبير. (٤: ١٥٧٤)

ابن فارِس: الباء والرّاء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشّيء، ثمّ يتفرّع فروعًا يقارب بعضها بعضًا، يقال: بَرَك البعير يبرُك بُرُوكًا.

والبِرْكة: ماولي الأرض من جلد البَطن ومايليه من الصّدر، من كلّ دابّة. واشتقاقه من: مَبْرَك الإبل، وهو الموضع الّذي تَبرُك فيه، والجمع: مبارك.

قال الأصفهانيّ عن العامريّ: يقال: حلَبْتُ النّاقة بِرْكتَها، وحلَبْتُ الإبل بِرْكتَها، إذا حَلَبْتَ لبنَها الّذي اجتمع في ضرعها في مَبْرَكها. ولايقال ذلك إلّا بالغُدْوات. ولايسمّى بِرْكةً إلّا مااجتمع في ضرعها باللّيل وحُلِب بالغُدْوة. يقال: احلُبْ لنا من بِرْك إبلك. (١: ٢٣٠)

الثَّعْلَبيّ: العرب تقول: باركك الله، وبارك فيك، وبارك عليك، وبارك لك، أربع لغات.

(القُرطُبيّ ١٣: ١٥٨)

الطُّوسيّ: البَرَكة: نماء الخير، والمبارَك: الّذي يُنمي الخير به. والتّبرّك: طلب البَرَكة بالشّيء، وأصله التّبرّك من البَرْك، وهو ثبوت الطّير على الماء.

(٧: ١٢٤)

البَرَكة: ثبوت الخير النّامي، ونقيضها الشّؤم، وهو إمحاق الخير وذهابه. (٧: ٢٦٤)

الرّاغِب: أصل البَرْك: صدر البعير وإن استُعمل في غيره، ويقال له: بِرْكة.

وبَرَك البعير: ألقى رُكَبَه، واعتُبر منه معنى اللّزوم، فقيل: ابتَرَكوا في الحرب، أي ثبتوا ولازموا موضع الحرْب. وبَراكاء الحرب وبَرُوكاؤها: للمكان الّذي يلزمه الأبطال.

وابتَرَكَت الدّابّة: وقَفَتْ وقوفًا كالبُروك وسمّي محبس الماء: بِرْكة.

والبَرَكة: ثبوت الخير الإلهيّ في الشّيء، قال تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الأعراف: ٩٦، وسمّي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البِرْكة.

والمبارَك: مافيه ذلك الخير، على ذلك ﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الأنبياء: ٥٠، تنبيهًا على مايُفيض عليه من الخيرات الإلهيّة. (٤٤)

ابن سيدة: البَرَكة: النّماء والزّيادة.

والتّبريك: الدّعاء بالبركة.

وبارك الله الشّيء، وبارك فيه، وعليه: وضع فيه البركة، وفي التّنزيل: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ النّمل: ٨، وقال أبوطالب بن عبد المطّلب:

بورِكَ الميّتُ الغريب كما بو ... رِكَ نَضْح الرُّمّان والزّيتون

وقال:

بارك فيك الله من ذي ألّ

وفي التّنزيل: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾ الصّافّات: ١١٣.

وقوله: بارك الله لنا في الموت، معناه: بارك الله لنا فيما يؤدّينا إليه الموت، وقول أبي فرعون:

رُبّ عجوز عِرْمِس زَبُونِ ... سريعة الرّدّ على المسكين

تحسب أنّ بورِكًا يكفيني ... إذا غدوتُ باسطًا يميني

جعل (بُورِكَ) اسمًا وأعربه. ونحو منه قولهم: من شُبَّ إلى دُبَّ، جعله اسمًا كدُرّ وبُرّ وأعربه.

وطعام بَرِيك: مبارَك فيه.

وما أبركه: جاء فعل التّعجّب فيه على نيّة المفعول.

وتبارك الله: تقدّس وتنزّه وتعالى وتعاظم، لاتكون هذه الصّفة لغيره.

وتبارك بالشّيء: تفاءل به.

وحكى بعضهم: تباركتُ بالثّعلب الّذي تباركتَ به.

وبَرَكت الإبلُ تَبْرُك بُرُوكًا، وبرّكت. [ثمّ استشهد بشعر]

وأبركها هو.

وكذلك النّعامة: إذاجَثَمَتْ على صَدْرها.

والبَرْك : جماعة الإبل الباركة.

وقيل : هي إبل أهل الحِواء كلّها الّتي تروح عليهم، بالغة مابلغت، وإن كانت أُلوفًا، [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل : البَرْك يقع على جميع مابَرَك من جميع الجِمال والنُّوق على الماء أو بالفَلاة من حرّ الشّمس أو الشّبع الواحد : بارك، والأُنثى : باركة.

والبِرْكة : أن يَدُرّ لَبَنُ النّاقة وهي باركة فيقيمها فيحلبها، [ثمّ استشهد بشعر]

ورجل مُبْتَرِك : معتمد على الشّيء مُلِحّ، قال:

وعامُنا أعجبنا مُقدَّمُهْ

يُدعَى أباالسَّمْح وقِرضاب سِمُهْ

مُبْتَرِك لكلّ عَظْم يَلْحُمه

والبَرْك، والبِرْكة : الصّدر.

وقيل : هو ماولي الأرضَ من جِلْد صَدْر البعير إذا بَرَك.

وقيل : البَرْك للإنسان، والبِرْكة لما سوى ذلك.

وقيل : البَرْك الواحد، والبِرْكة : الجمع، ونظيره حَلْي وحِلْية.

وقيل : البَرْك : باطن الصّدر، والبِرْكة : ظاهره.

والبِرْكة من الفرس : الصّدر [ثمّ استشهد بشعر]

وابترك القوم في القتال : جَثَوْا للرُّكَب واقتتلوا وهي البَرُوكاء، والبَراكاء، [ثمّ استشهد بشعر]

والبَراكاء : الثّبات في الحرب.

ويقال في الحرب : بَراكِ بَراكِ : أي ابرُكوا.

وبارك على الشّيء : واظب.

وابترك في عَدْوِه : أسرع مجتهدًا.

والاسم : البَرُوك، قال:

وهُنّ يَعْدُون بنا بُرُوكًا

وقيل : ابتراك الفرس : أن يَنتحي على أحد شِقَّيه في عَدْوه.

وابترك الصَّيْقَل على المِدوَس : مال عليه في أحد شِقَّيه.

وابتركت السّحابة : اشتدّ انهلالها.

وابتركت السّماء، وأبركت : دام مطرها.

وابترك في عِرْض الرّجل : تنقّصه.

والبُرْكة : الحَمالة ورجالها الّذين يَسعَون فيها، قال:

لقد كان في لَيلى عَطاءٌ لبُرْكة أناخت بكم ترجو الرّغائب والرِّفْدا

لَيلى هاهنا : أراها ثلاثمائة من الإبل، كما سمّوا المائة هِنْدا.

والبِرْكة : مُسْتَنقَع الماء.

والبِرْكة : شِبْه حَوض يُحفَر في الأرض لايُجعل له أعضاد فوق صعيد الأرض.

والبِرْكة : الحَلْبة من حَلَب الغداة، وهي البَرْكة، ولاأحُقّها، ويسمّون الشّاة الحَلُوبة : بِرْكة.

والبَرُوك من النّساء : الّتي تَزَوّج ولها وَلَد كبير.

والبِراك : ضرب من السّمَك بَحْريّ سُود المناقير.

والبُرْكة : من طَيْر الماء.

والجمع : بُرَك، وأبراك، وبِرْكان.

وعندي : أنّ أبراكًا، وبِرْكانًا : جمع الجمع.

والبُرَك أيضًا : الضّفادع. وقد فسّر به بعضهم قول زُهَير:

...في حافاته البِرَك

والبِرْكان: ضَرْب من دِقّ الشّجر، واحدته: بِرْكانة.

وقيل: هو ماكان من الحَمْض وسائر الشّجر لايطول ساقُه.

والبِرْكان: من دِقّ النّبْت، وهو من الحَمْض.

وقيل: البِرْكان: نَبْت يَنْبت قليلًا بنَجْد في الرَّمْل ظاهرًا على الأرض، له وُرَيق دِقاق حسَن النّبات، وهو من خير الحَمْض، [ثمّ استشهد بشعر]

وذوبُرْكان: موضع، [ثمّ استشهد بشعر]

وبُرَك: من أسماء ذي الحجّة، [ثمّ استشهد بشعر]

(٧: ٢٢)

البَرْك: وسط الصّدر. (الإفصاح ١: ٨١)

البَرَكة: حبّة البركة، الحبّة السّوداء.

(الإفصاح ١: ٥٤٦)

البُرْكة: طائرٌ مائيّ صغير أبيضُ. الجمع: بُرَك، وأبْراك، وبِرْكان. (الإفصاح ٢: ٨٩٢)

البُرْكة: أُجرة الطّحّان. (الإفصاح ٢: ١٢٢٩)

الزَّمَخْشَريّ: بارَك الله فيه، وبارَك له، وبارَك عليه، وبارَكه. وبرَّك على الطّعام، وبرَّك فيه، إذا دعا له بالبركة. وطعام بَريك، وماأبرَك هذا وأيمَنه.

وابترَك الصّيقل، إذا مال على المِدْوَس.

وابتَرَك الفَرَس في عَدْوه: اعتمد فيه واجتهد، وفَرَسٌ مستقدِم البِرْكة.

وفي بستانه بِرْكة مُصَهْرَجة، وفيه بِرَكٌ تَفيض.

ومن المجاز: حَكّت الحرب بَرْكها بهم. [ثمّ استشهد بشعر]

ووضع عليهم الدّهر بَرْكه. [ثمّ استشهد بشعر]

وابترَك في عِرْض فلان يقصبه، إذا وقع فيه.

ووصف أعرابيّ أرضًا خِصْبة، فقال: تركتُ كَلَأها كأنّه نَعامة باركة.

وابتَركوا في الحرب: جثَوا على الرُّكَب.

(أساس البلاغة: ٢٠)

المَدينيّ: في حديث عليّ بن الحسين: «ابتَرَك النّاس في عثمان».

يقال: ابتَرَك فُلان في آخَر، إذا شتَمه وتنقّصه.

في حديث التّشهّد: «بارِك على محمّد»، أي أدِم له ماأعطيته من التّشريف ونحوه، من قولهم: برَك البعير، إذا استناخ في موضع فلزمه، وسمّي الصّدر بَرْكًا وبِرْكةً، لأنّ البُروك عليه يكون.

وقد يريد بقوله: «بارِك عليه» الزّيادة فيما هو فيه، وأصله: ماذكرناه، لأنّ تزايد الشّيء يوجب دوام أصله.

وقد يُوضع هذا القول موضع اليُمن، لأنّ البَرَكة إذا أُريد بها الدّوام، فإنّما تستعمل فيما يُرغَب في بقائه، لافيما يُكرَه.

ويقولون: فلان مبارك له في جَهْله، إذاكان ماعُرِض له منه لايُزايله، فلايُنكر على هذا أن يقال للميمون: مبارَك، أي محبوب.

في الحديث ذِكْرُ «بِرْك الغِماد» بفتح الباء وكسرها وبضمّ الغين، ومنهم من يكسرها، وهو موضع باليَمن، قيل: هو أقصى حَجْرٍ به. (١: ١٥١)

ابن الأثير: في حديث الصّلاة على النّبيّ ﷺ: «وبارِك على محمّد وعلى آل محمّد» أي أثْبِت له وأدِمْ

ماأعطيته من التّشريف والكرامة، وهو من: بَرَك البعير، إذا ناخ في موضع فلزمه. وتُطلق البَرَكة أيضًا على الزّيادة، والأصل الأوّل.

وفي حديث أُمّ سُلَيم: «فحنّكه وبَرّك عليه» أي دعا له بالبَرَكة.

وفي حديث عليّ: «ألقت السّحاب بَرْكَ بَوانيها» البَرْك: الصّدر، والبَواني: أركان البِنْية.

وفي حديث علقمة: «لاتقربْهم فإنّ على أبوابهم فِتَنًا كمبارِك الإبل» هو الموضع الّذي تبرُك فيه، أراد أنّها تُعْدي، كما أنّ الإبل الصّحاح إذا أُنيخت في مبارِك الجَرْبى جَرِبَتْ.

وفي حديث الهجرة: «لو أمرتَنا أن نبْلُغ معك بها بَرْك الغِماد» تُفتح الباء وتُكسر، وتُضمّ الغين وتُكسر، وهو اسم موضع باليمن. وقيل: هو موضع وراء مكّة بخمس ليال. (١: ١٢٠)

ابن منظور: التّبريك: الدّعاء للإنسان أو غيره بالبَرَكة، يقال: بَرّكتُ عليه تبريكًا، أي قلت له: بارك الله عليك. (١٠: ٣٩٥)

الفَيُّوميّ: بَرَك البعير بُرُوكًا، من باب قَعَد: وقع على بَرْكه، وهو صدره، وأبرَكْتُه أنا. وقال بعضهم: هو لغة، والأكثر أنَخْتُه فبَرَك.

والمَبْرَك، وزان جعفر: موضع البُرُوك، والجمع: المَبارك.

وبِرْكة الماء: معروفة، والجمع: بِرَك، مثل سِدْرَة وسِدَر.

والبُرَكة وزان رُطَبَة: طائر أبيض من طير الماء، والجمع: بُرَك، بحذف الهاء.

والبَرَكة: الزّيادة والنّماء. وبارك الله تعالى فيه فهو مبارك، والأصل: مبارَك فيه. وجُمع جمع مالايعقل بالألف والتّاء، ومنه التّحيّات المباركات.

والبَرّكان على «فَعّلان» بتشديد العين: كساء معروف، وهذه لغة منقوله عن الفرّاء.

وربّما قيل: بَرّكانيّ على النّسبة أيضًا. والأشهر فيه بَرْنَكان على «فَعْلَلان» وزان زعفران وعَسْقَلان. (١: ٤٥)

أبوحَيّان: البَرَكة: الزّيادة، والفعل منه: بارَك، وهو متعدّ، ومنه ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ النّمل: ٨، ويضمّن معنى ماتعدّى بـ«على» لقوله: «وبارِك على محمّد»، وتبارك لازم. (٢: ٥٢٣)

الفيروزاباديّ: البَرَكة محرّكة: النّماء والزّيادة والسّعادة. والتّبريك: الدّعاء بها، وبَرِيك: مبارك فيه.

وبارك الله لك وفيك وعليك، وبارَكك، وبارِك على محمّد وعلى آل محمّد: أدِمْ له ماأعطيته من التّشريف والكرامة.

وتبارك الله: تقدّس وتنزّه، صفة خاصّة بالله تعالى، وبالشّيء: تفاءل به.

وبَرَك بُرُوكًا وتَبْراكًا: استناخ: كَبَرّك وأبرَكتُه، وثبت وأقام.

والبَرْك: إبلُ أهل الحِواء كلّها الّتي تروح عليهم، بالغة مابلغت وإن كانت أُلوفًا، أو جماعة الإبل الباركة أو الكثيرة. الواحد: بارِك، وهي بهاء، جمعه: بُرُوك، والصّدر كالبِرْكة بالكسر.

ورجل مُبْتَرِك: مُعتمِد على شيء مُلِحّ، وكصُرَد: بارِك على الشيء.

والبِرْكة بالكسر: أن يَدُرّ لبَن النّاقة وهي باركة فيقيمها فيحلُبها، وماوَلِي الأرض من جلد صدر البعير، كالبَرْك بالفتح.

أو جمع البَرْك كحِلْيَة وحَلْي، أو البَرْك للإنسان، والبِرْكة بالكسر لما سواه، أو البَرْك: باطن الصّدر، والبَرْكة ظاهره.

والحَوض كالبِرْك بالكسر أيضًا، جمعه: كعِنَب.

ونوع من البُرُوك، والشّاة الحَلوبة، والإثنتان: بِرْكتان، جمعه: بِرْكاتٌ.

ومستنقع الماء، والحَلْبَة من حلَب الغداة وقد تُفتح، وبُرْد يَمَنِيّ.

وبالضّمّ: طائر مائيّ صغير أبيض، جمعه: كصُرَد، وأصحاب ورُغْفان، ويُكسَر، والضّفادع والحَمالة، أو رجالها الّذين يسعون ويتحمّلونها، والجماعة من الأشراف، ومايأخذه الطّحّان على الطّحن، والجماعة يسألون في الدّية ويُثلّث.

وبُرْكة الأُرْدُنيّ بالضّمّ روي عن مكحول، وبَرَكة المُجاشعيّ محرّكة تابعيّ.

وابتَرَكوا: جثَوا للرُّكَب فاقتتلوا، وهي البُرُوكاء كجلُولاء والبَراكاء، وفي العَدْو أسرعوا مجتهدين، والاسم: البُرُوك.

والصّيقل: مال على المِدْوَس، والسّحابة: اشتدّ انهلالها، والسّماء: دام مطرها كبَرَكَت، وفي عِرْضه وعليه: تنقّصه وشتَمه.

وكصبور: امرأة تزوّج ولها ولَدٌ كبير، وبالضّمّ: الخَبيص، والاسم منه: البَريكة. أو البَريك: الرُّطَب يُؤكل بالزُّبد، وككتاب: سمَك له مناقير، جمعها: بُرْكٌ بالضّمّ.

وبَرَك بُرُوكًا: اجتهد، وكقَطَام: أي ابركُوا.

والبُراكيّة كغرابيّة: ضَرْب من السّفن. والبِرْكان بالكسر: شجَر أو الحَمْض، أو كلّ مالايطول ساقه، أو نبت ينبُت بنجد، أو من دِقّ النّبت، والواحدة بهاء. أو جمع، وواحده: بُرَك كصُرَد وصِرْدان، ويقال للكساء الأسود: البَرّكان والبَرّكانيّ مشدّدتين، والبَرْنَكان كزعفران.

وبارَك عليه: واظَب. وتبرّك به: تيمّن.

والبَرُوكة كقَسْوَرة: القُنْفُذة، والمُبْرِكة كمُحْسِنة: اسم النّار، والبُورك بالضّمّ: البُورَق. (٣: ٣٠٣)

الجَزائريّ: البَرَكة: هي الزّيادة والنّماء من حيث لايوجد بالحسّ ظاهرًا، فإذا عُهد من الشّيء ـ هذا المعنى خافيًا عن الحسّ ـ قيل: هذه برَكة.

قيل: واشتقاقها من «البُرُوك» وهو اللّزوم والثّبوت، لثبوتها في الشّيء. ويوصف بها كلّ شيء لزمه وثبت فيه خير إلهيّ.

وليس لضدّها اسم معروف، فلذلك يقال فيه: قليل البَرَكة، ولايسند فعل البرَكة إلّا إلى الله، فلايقال: بارَك زيدٌ في الشّيء، وإنّما يقال: بارَك الله فيه. وإلى هذه الزّيادة أُشير بما روي، أنّه: «لاينقص مال من صدقة» لاإلى النّقصان المحسوس.

فإذن كلّ برَكة زيادة، وليس كلّ زيادة برَكة (٥٨)

محمّد إسماعيل إبراهيم: بارَك الرّجل: دعا له بالبَركة، وهي الخير والنّماء، والبرَكات: الخيرات.

وبارَك الله لك وفيك وعليك وحولك: جعلك مُباركًا وفيك الخير.

وبارِك اللّهمّ على سيّدنا محمّد: أدِم له ماأعطيته من التّشريف والتّمجيد والكرامة.

وتبارَك الله: تقدّس وتعالى قدرُه وشأنه، وتزايد تنزيهه عن كلّ نقص، وازدادت بركاته ونعمه، ولايستعمل هذا الفعل إلّا لله وحده.

والمبارك: الكثير الخير والنّفع.

وبُورك من في النّار: قُدّس وطُهّر واختير للرّسالة من في النّار. (١: ٦٦)

محمود شيت: ١ـ أ ـ برَك البعير بُروكًا وتَبْراكًا: وقع على بَرْكِه.

وبرَك: أناخ في موضع فلزمه. وبرَك: ثبت وأقام، وبرَك للقتال بَرْكًا: جثا على رُكبتيه.

ب ـ أبرَك في عَدْوِه: أسرع فيه مجتهدًا. وأبرَك البعير: أناخه.

ج ـ بارَك على الشّيء: واظب. وبارَك الله الشّيء وفيه وعليه: جعل فيه الخير والبرَكة.

د ـ تبارَك: ارتفع. وتبارَك الله: تقدّس وتنزّه. وتبارَك به: تفاءل وتيمّن.

هـ ـ البَراكاء: ساحة القتال، والبَراكاء: الثّبات والجدّ في الحرب.

و ـ البرَكة: النّماء والزّيادة، والبرَكة: السّعادة.

ز ـ البِركة: مستنقع الماء.

ح ـ مِبْرَك: اسم مكان من برَك، الجمع: مَبارِك.

٢ـ البُروك: وضع من أوضاع تدريب الجنديّ.

والسّتر البارك: سِتْر لتدريب الجنود وراءه على الرّمي في وضع البُروك. (١: ٨١)

مَجْمَعُ اللُّغة: ١ـ البَركة: الخير والنّماء، وجمعها: بركات.

وبارَك الله الشّيء وفيه وعليه وحوله: جعل فيه الخير والنّماء، واسم المفعول: مبارَك، ومؤنّثه: مبارَكة.

٢ـ وتبارَك الله: تقدّس وتنزّه، أو كثر خيره الحسّيّ أو المعنويّ. (١: ٩٣)

المُصْطَفَويّ: [قاموس عبريّ ـ عربيّ]

בָּרַךְ: بارَك: ركَع، سجَد، برَك: أحنى الرّكبة.

בֵּרַךְ: برَك = بارَك: مجّد، رَحّب، حنّأ، هنّأ.

בְּרָכָה: براكاه = مباركة، تهنئة، تحيّة، تسبيح.

والظّاهر من هذه الكلمات ومن موارد الاستعمال، أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة هو الفضل والفيض والخير والزّيادة، مادّيًّا كان أو معنويًّا.

فالمبارك: مافيه الخير، ويكون متعلّقًا للفيض والفضل. والبرَكة: الخير والفضل والزّيادة. والبِركة: زيادة وخير مخصوص، واختصّ بنوع معيّن من مجمع الماء.

والبَرْك: من أخصّ مصاديق الزّيادة والخير، وهو صدر البعير، فإنّ الصّدر مقدّم البدن، ولاسيّما في مقام إظهار التّشخّص والوجود والشّجاعة، وفي البعير في مقام القيام والقعود أيضًا، وكان البعير أكبر وسيلة للحياة والتّعيّش في الأراضي العربيّة.

والبُروك: ثبوت البعير ونزوله وقعوده، وهو في الحقيقة استناخة مصداق جليّ من الخير والفضل في مقام.

ولمّا كان «فاعَل» تدلّ على طول النّسبة وامتدادها، فكلمة بارَك تدلّ على امتداد البرَكة واستمرارها. كما أنّ صيغة «تفاعَل» تدلّ على قبول نسبة «فاعَل» أي الوفاق وانطباق النّسبة وتحقّقها. فكلمة «تبارَك» تدلّ على تحقّق امتداد البرَكة، كقولنا: باعَد، أي أطال البُعد وامتدّ بعده، وتباعَد: طال وامتدّ البُعد. والقبول يلازم اللّزوم، ومقتضى اللّزوم الاكتفاء بالفاعل، وعدم الحاجة إلى المفعول، ولذا يقال: تباعَد زيدٌ وعمروٌ. (١: ٢٤٢)

النّصوص التّفسيريّة

بَارَكَ

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا...

فصّلت: ١٠

ابن عبّاس: في الأرض بالماء والشّجر والنّبات والثّمار. (تنوير المقباس: ٤٠١)

يريد: شقّ الأنهار، وخلق الجبال، وخلق الأشجار والثّمار، وخلق أصناف الحيوانات، وكلّ مايحتاج إليه من الخيرات. (الفخر الرّازيّ ٢٧: ١٠٢)

السُّدّيّ: أنبت شجرَها. (الطّبَريّ ٢٤: ٩٥)

بأن أنبت شجرها من غير غرس، وأخرج نبتها من غير زَرْع وبَذْر، وأودعها ممّا ينتفع به العباد.

(الطّبْرِسيّ ٥: ٥)

ابن جُرَيْج: أودعها منافع أهلها.

(الماوَرْديّ ٥: ١٧٠)

الطّبَريّ: وبارَك في الأرض، فجعلها دائمة الخير لأهلها. (٢٤: ٩٥)

الطُّوسيّ: بما خلق فيها من المنافع. (٩: ١٠٨)

مثله الطّبْرِسيّ (٥: ٥)، والقُرطُبيّ (١٥: ٣٤٢).

البغَويّ: أي في الأرض بما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثّمار. (٤: ١٢٦)

نحوه الشّربينيّ. (٣: ٥٠٥)

ابن عَطيّة: أي جعلها منبتة للطّيّبات والأطعمة، وجعلها طهورًا، إلى غير ذلك من وجوه البرَكة. (٥: ٦)

ابن الجَوزيّ: بالأشجار والثّمار والحبوب والأنهار. وقيل: البرَكة فيها: أن يُنمى فيها الزّرع، فتخرج الحبّة حبّات، والنّواة نخلة. (٧: ٢٤٤)

الفخر الرّازيّ: والبرَكة: كثرة الخير، والخيرات الحاصلة من الأرض أكثر ممّا يحيط به الشّرح والبيان.

(٢٧: ١٠٢)

البَيْضاويّ: وأكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النّبات والحيوانات. (٢: ٣٤٤)

النّسَفيّ: بالماء والزّرع والشّجر والثّمر.

(٤: ٨٨)

النَّيسابوريّ: بالحواسّ الخمسة. (٢٤: ٦١)

الخازن: أي في الأرض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها، وهو ماخلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثّمار، وخلق أصناف الحيوانات، وكلّ مايحتاج إليه.

(٦: ٨٨)

ابن كثير: أي جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغِراس. (٦: ١٦٤)

السّيوطيّ: بكثرة المياه والزّروع والضّروع.
(الجلالين ٢: ٣٤٤)

مثله شُبّر. (٥: ٣٦٧)

أبوالسّعود: أي قدّر أن يكثر خيرها، بأن يخلق أنواع الحيوانات الّتي من جملتها الإنسان، وأصناف النّبات الّتي منها معايشهم. (٥: ٤٣٦)

نحوه البُرُوسَويّ (٨: ٢٣٣)، والآلوسيّ (٢٤: ١٠٠)، وطه الدُّرّة (١٢: ٦٥٠)، وعبد المنعم الجمّال. (٤: ٢٧٦٠).

سيّد قُطْب: ﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ وقد كانت هذه الفقرة تنقل إلى أذهان أسلافنا صورة الزّرع النّامي في هذه الأرض، وبعض ماخبّأه الله في جوف الأرض من معادن نافعة، كالذّهب والفضّة والحديد وماإليها.

فأمّا اليوم بعد ماكشف الله للإنسان أشياء كثيرة من بركته في الأرض، ومن أقواتها الّتي خزنها فيها على أزمان طويلة، فإنّ مدلول هذه الفقرة يتضاعف في أذهاننا.

وقد رأينا كيف تعاونت عناصر الهواء فكوّنت الماء، وكيف تعاون الماء والهواء والشّمس والرّياح فكوّنت التّربة الصّالحة للزّرع، وكيف تعاون الماء والشّمس والرّياح فكوّنت الأمطار.

أصل الماء العَذْب كلّه من أنهار ظاهرة وأنهار باطنة، تظهر في شكل ينابيع وعيون وآبار وهذه كلّها من أسس البَرَكة ومن أُسس الأقوات. وهناك الهواء، ومن الهواء أنفاسنا وأجسامنا.

إنّ الأرض كرة تلفّها قشرة من صخر، وتلفّ أكثر الصّخر طبقة من ماء، وتلفّ الصّخر والماء جميعًا طبقة من هواء، وهي طبقة من غاز سميكة كالبحر لها أعماق. ونحن بني الإنسان، والحيوان، والنّبات، نعيش في هذه الأعماق، هانئين بالّذي فيها.

فمن الهواء نستمدّ أنفاسنا من أُكسجينة. ومن الهواء يبني النّبات جسمه من كربونه، بل من أُكسيد كربونه، ذلك الّذي يسمّيه الكيمياويّون ثاني أُكسيد الكربون، يبني النّبات جسمه من أُكسيد الفحم هذا. ونحن نأكل النّبات، ونأكل الحيوان الّذي يأكل النّبات، ومن كليهما نبني أجسامنا.

بقي من غازات الهواء النّتروجين، أي الأزوت، فهذا لتخفيف الأُكسيجين حتّى لانحترق بأنفاسنا. وبقي بخار الماء، وهذا لترطيب الهواء. وبقيت طائفة من غازات أُخرى، توجد فيه بمقادير قليلة هي في غير ترتيب: الأُرجون، والهليوم، والنّيون، وغيرها، ثمّ الإيدروجين، وهذه تخلّفت ـ على الأكثر ـ في الهواء من بقايا خلقة الأرض الأُولى.

والموادّ الّتي نأكلها والّتي ننتفع بها في حياتنا والأقوات، أوسع ممّا يؤكل في البطون، كلّها مركّبات من العناصر الأصليّة الّتي تحتويها الأرض في جوفها، أو في جوّها سواء.

وعلى سبيل المثال: هذا السّكر ماهو؟ إنّه مركّب من الكربون والإيدروجين والأُكسيجين. والماء علمنا

تركيبه من الإدروجين والأُكسيجين، وهكذا كلّ مانستخدمه من طعام أو شراب أو لباس أو أداة؛ إن هو إلّا مركّب من بين عناصر هذه الأرض المودعة فيها.

فهذا كلّه يشير إلى شيء من البركة، وشيء من تقدير الأقوات، في أربعة أيّام. فقد تمّ هذا في مراحل زمنيّة متطاولة، هي أيّام الله، الّتي لايعلم مقدارها إلّا الله. (٥: ٣١١٣)

الطَّباطَبائيّ: أي جعل فيها الخير الكثير الّذي ينتفع به ماعلى الأرض من نبات وحيوان وإنسان، في حياته أنواع الانتفاعات. (١٧: ٣٦٣)

عبد الكريم الخطيب: إشارة إلى توالد الأحياء على الأرض، وتكاثرها بما توالد فيها من عوالم النّبات والحيوان والإنسان. فهذا من بركة الله سبحانه وتعالى على هذه الأرض. (١٢: ١٢٩١)

الحجازيّ: أي قدّر سبحانه أن يكثّر خيرها، ويزداد نفعها من نبات وحيوان وأنهار ومعادن، وقوى خفيّة فيها سيظهرها علّام الغيوب على أيدي سكّان تلك المعمورة. (٢٤: ٤٩)

بارَكْنا

١ـ وَاَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْاَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتي بَارَكْنَا فيهَا... الأعراف: ١٣٧

ابن عبّاس: في بعضها بالماء والشّجر.

(تنوير المقباس: ١٣٦)

اللّيث: هي [الأرض] مصر، بارك الله فيها بما يحدث عن نيلها من الخيرات، وكثرة الحبوب والثّمرات. (أبوحيّان ٤: ٣٧٦)

الطَّبَريّ: يقول: الّتي جعلنا فيها الخير ثابتًا دائمًا لأهلها. (٩: ٤٣)

الطُّوسيّ: يعني بإخراج الزّروع والثّمار، وسائر صنوف النّبات والأشجار، إلى غير ذلك من العيون والأنهار، وضروب المنافع للعباد.

وقيل: ﴿بَارَكْنَا فيهَا﴾ بالخصب الّذي حصل فيها. (٤: ٥٥٩)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٢: ٤٧٠)

البَغَويّ: بالماء والأشجار والثّمار والخصب والسّعة. (٢: ٢٢٦)

الزَّمَخْشَريّ: بالخصب وسعة الأرزاق. (٢: ١٠٩)

نحوه البَيضاويّ (١: ٣٦٦)، والنّسفيّ (٢: ٧٣)، والخازن (٢: ٢٩٩)، وابن جزيّ (٢: ٤٣)، والقاسميّ (٧: ٢٨٤٤)، ورشيد رضا (٩: ٧٩)، والمراغيّ (٩: ٤٨).

الفَخْر الرّازيّ: المراد: باركنا فيها بالخصب وسعة الأرزاق، وذلك لايليق إلّا بأرض الشّام. (١٤: ٢٢١)

مثله النّيسابوريّ (٩: ٣٧)، والشّربينيّ (١: ٥١٠)

القُرطُبيّ: أي بإخراج الزّروع والثّمار والأنهار. (٧: ٢٧٢)

أبوحَيّان: بالخصب والأنهار وكثرة الأشجار وطيب الثّمار.

وقيل: البركة بأقدام الأنبياء وكثرة مقامهم بها ودفنهم فيها، وهذا يتخرّج على من قال: أرض الشّام.

وقيل (بَارَكْنَا): جعلنا الخير فيها دائمًا ثابتًا، وهذا

يشير إلى أنّها مصر. (٤: ٣٧٦)

السّيوطيّ: ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشّجر صفة للأرض، وهي الشّام. (الجلالين ١: ٣٦٦)

أبوالسّعود: أي بالخصب وسعة الأرزاق، صفة للمشارق والمغارب، وقيل: للأرض. وفيه ضعف للفصل بين الصّفة والموصوف بالمعطوف، كما في قولك: قام أمّ هند وأبوها العاقلة. (٣: ٢٣)

الكاشانيّ: بالخصب والعيش. (٢: ٢٣١)

شُبّر: بإخراج الزّروع والثّمار، وصنوف النّباتات والأشجار، والعيون والأنهار، وهي أرض مصر أو الشّام أو أرضها. ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة، وتمكّنوا في نواحيها. (٢: ٤٠٨)

نحوه النّهاونديّ. (٢: ٤٠)

الطّباطبائيّ: إنّ الله سبحانه لم يذكر بالبركة غير الأرض المقدّسة، الّتي هي نواحي فلسطين، إلّا ماوصف به الكعبة المباركة. (٨: ٢٢٨)

طه الدُّرّة: أي بكثرة الثّمار والزّروع والخصب والسّعة، هذا قول المفسّرين. وأرى أنّ البركة حلّت فيها من وجود الأنبياء، وتناسلهم ودفنهم فيها.

(٥: ٦١)

٢ـ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ...

الإسراء: ١

ابن عبّاس: بالماء والأشجار والثّمار. (٢٣٣)

مُجاهِد: جعلنا البركة فيما حوله، بأن جعلناه مقرّ الأنبياء ومهبط الملائكة. (الطّبرسيّ ٣: ٣٩٦)

الفرّاء: بالثّمار والأنهار. (٢: ١١٥)

مثله السّيوطيّ (الجلالين ١: ٥٧٦)، والبغويّ (٣: ٢٦٠)، وابن كثير (٤: ٢٣٨)، والشّربينيّ (٢: ٢٧٤).

الطّبريّ: يقول تعالى ذكره: الّذي جعلنا حوله البركة لسكّانه، في معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم. (١٥: ١٧)

مثله المراغيّ. (١٥: ٤)

الزّجّاج: أجرى الله حول بيت المقدس الأنهار وأنبت الثّمار، فذلك معنى ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾.

(٣: ٢٢٥)

نحوه النّحّاس (٤: ١١٩)، وابن الجوزيّ (٥: ٥).

الطّوسيّ: يعني بالثّمار ومجاري الأنهار. وقيل: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بمن جعلنا حوله من الأنبياء والصّالحين، ولذلك جعله مقدّسًا. (٦: ٤٤٧)

نحوه الخازن. (٤: ١٠٤)

المَيْبُديّ: إنّ تلك الأرض المباركة هي الأرض المقدّسة، وإنّما سمّيت المقدّسة لكثرة ماقُدّست بالوحي، وطهارتها وقدسها والبركة الّتي فيها لكونها منازل الأنبياء ومقابرهم ومهبط الوحي، ومقامات العابدين ومساكن الصّالحين.

وقيل: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالمياه والأشجار والثّمار، وجعلنا فيه السّعة في الرّزق، والرّخص في السّعر، فلايحتاج إلى جلب الميرة.

ويقال: إنّ كلّ ماء عذب في الأرض يخرج من أصل

الصّخرة الّتي في بيت المَقْدِس، يهبط من السّماء إليها، ثمّ يتفرّق في الأرض، فذلك قوله: ﴿بَارَكْنَا فِيهَا﴾.

وعن عبادة بن الصّامت قال: قال رسول الله ﷺ: صخرة بيت المَقْدِس على نخيل من نخليل الجنّة، وتلك النّخلة على نهر من أنهار الجنّة، على ذلك النّهر آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران تنظمان حُليّ أهل الجنّة إلى يوم القيامة.

وقيل: تقديره: باركنا ماحوله من قرى الشّام وكفورها. (٥: ٤٨١)

الزّمَخْشَريّ: يريد بركات الدّين والدّنيا، لأنّه معبد الأنبياء من وقت موسى، ومهبط الوحي، هو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة. (٢: ٤٣٧)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٥٧٦)، والنّسَفيّ (٢: ٣٠٦)، والنّيسابوريّ (١٥: ٦)، وأبوالسّعود (٤: ١١٠)، والبُرُوسَويّ (٥: ١٠٥).

ابن عَطيّة: البركة حوله هي من جهتين:

إحداهما: النّبوءة والشّرائع والرّسل الّذين كانوا في ذلك القطر، وفي نواحيه وبواديه.

والأُخرى: النّعم من الأشجار والمياه والأرض المفيدة الّتي خصّ الله الشّام بها.

وروي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «إنّ الله بارك فيما بين العريش إلى الفرات، وخصّ فلسطين بالتّقديس».

(٣: ٤٣٦)

نحوه الفَخْر الرّازيّ (٢٠: ١٤٦)، والقُرطُبيّ (١٠: ٢١٢)، وابن جزّيّ (٢: ١٦٦)، وأبوحَيّان (٦: ٦)، وشُبّر (٤: ٧)، والنّهاونديّ (٢: ٤٢٣).

الطّبْرِسيّ: أي جعلنا البركة فيما حوله من الأشجار والأثمار والنّبات والأمن والخصب، حتّى لايحتاجوا إلى أن يجلب إليهم من موضع آخر.

وقيل: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ أي جعلنا البركة فيما حوله، بأن جعلناه مقرّ الأنبياء ومَهْبط الملائكة، عن مُجاهِد، وبذلك صار مقدّسًا عن الشّرك، لأنّه لمّا صار معبدًا للأنبياء ودار مقام لهم تفرّق المشركون عنهم، فصار مطهّرًا من الشّرك. والتّقديس: التّطهير، فقد اجتمع فيه بركات الدّين والدّنيا. (٣: ٣٩٦)

الآلوسيّ: قوله سبحانه: ﴿الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ صفة مدح، وفيها إزالة اشتراك عارض، وبركته بما خُصّ به من كونه معبد الأنبياء ﷺ، وقبلة لهم، وكثرة الأنهار والأشجار حوله.

وفي الحديث: «أنّه تعالى بارك فيما بين العريش إلى الفرات، وخصّ فلسطين بالتّقديس».

وقيل: بركته أن جعل سبحانه مياه الأرض كلّها تنفجر من تحت صخرته، والله تعالى أعلم بصحّة ذلك. (١٥: ١١)

القاسميّ: قال الشّيرازيّ في «عرائس البيان»: كان بداية المعراج الذّهاب إلى الأقصى، لأنّ هناك الآيات الكبرى من أنوار تجلّيه تعالى لأرواح الأنبياء وأشباحهم. وهناك بقربه طور سينا وطور زيتا ومقام إبراهيم وموسى وعيسى في تلك الجبال، مواضع كشوف الحقّ، لذلك قال: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، انتهى.

والالتفات في (بَارَكْنَا) لتعظيم ماذكر، لأنّ فعل العظيم يكون عظيمًا، لاسيما إذا عبّر عنه بصيغة التّعظيم،

والنّكتة العامّة تنشيط السّامعين. (١٠: ٣٨٨٦)

سيّد قُطْب: وَصْف المسجد الأقصى بأنّه ﴿الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ وصْف يرسم البَرَكة حافّةً بالمسجد، فائضةً عليه، وهو ظلّ لم يكن ليلقيه تعبير مباشر، مثل: باركناه، أو باركنا فيه؛ وذلك من دقائق التّعبير القرآنيّ العجيب. (٤: ٢٢١٢)

٣ـ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ. الأنبياء: ٧١

أُبيّ بن كعب: الشّام، ومامن ماء عَذْب إلّا خرج من تلك الصّخرة الّتي ببيت المَقْدِس.

(الطَّبَريّ ١٧: ٤٦)

ابن عَبّاس: بالماء والشّجر، وهي المَقْدِس وفلسطين والأُردن. (تنوير المقباس: ٢٧٣)

يعني مكّة، ونزول إسماعيل البيت، ألاترى أنّه يقول: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ آل‌عمران: ٩٦. (الطَّبَريّ ١٧: ٤٧)

أبوالعالية: ليس ماءٌ عَذْبٌ إلّا يهبط إلى الصّخرة الّتي ببيت المَقْدِس، ثمّ يتفرّق في الأرض.

(الطَّبَريّ ١٧: ٤٧)

الطَّبَريّ: قد اختلف أهل التّأويل في الأرض الّتي ذكر الله أنّه نجّى إبراهيم ولوطًا إليها، ووصفه أنّه بارك فيها للعالمين فقال بعضهم بنحو الّذي قلنا في ذلك.

وقال آخرون: بل يعني مكّة، وهي الأرض الّتي قال الله تعالى: ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

وإنّما اخترنا مااخترنا من القول في ذلك، لأنّه لاخلاف بين جميع أهل العلم: أنّ هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشّام، وبها كان مقامه أيّام حياته، وإن كان قد كان قَدِم مكّة، وبنى بها البيت، وأسكنها إسماعيل ابنه مع أُمّه هاجر، غير أنّه لم يقم بها، ولم يتّخذها وطنًا لنفسه، ولالوط. والله إنّما أخبر عن إبراهيم ولوط، أنّهما أنجاهما إلى الأرض الّتي بارك فيها للعالمين. (١٧: ٤٧)

الطُّوسيّ: إنّما جعلها مباركة، لأنّ أكثر الأنبياء بُعثوا منها، فلذلك كانت مباركة.

وقيل: لما فيها من كثرة الأشجار والثّمار.

(٧: ٢٦٤)

البغَويّ: يعني الشّام، بارك الله فيها بالخِصْب وكثرة الأشجار والثّمار والأنهار، ومنها بُعث أكثر الأنبياء. (٣: ٢٩٦)

نحوه الخازن (٤: ٢٤٤)، وأبوحَيّان (٦: ٣٢٩)، والشّربينيّ (٢: ٥١٢)، والمَيْبُديّ (٦: ٢٦٩).

الزَّمَخْشَريّ: ﴿بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ بركاته الواصلة إلى العالمين؛ أنّ أكثر الأنبياء عليهم السّلام بُعثوا فيه، فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدّينيّة، وهي البركات الحقيقيّة.

وقيل: بارك الله فيه بكثرة الماء والشّجر والثّمر والخِصْب، وطيب عيش الغنيّ والفقير. (٢: ٥٧٨)

نحوه ابن الجَوْزيّ (٥: ٣٦٨)، والفَخْر الرّازيّ (٢٢: ١٩٠)، والقُرطُبيّ (١١: ٣٠٥)، والبَيْضاويّ (٢: ٧٧)، والنّسفيّ (٣: ٨٤)، والنّيسابوريّ (١٧: ٤٢)، وأبوالسُّعود (٤: ٣٤٨)، والكاشانيّ (٣: ٣٤٤)،

والبُرُوسَويّ (٥: ٥٠٠)، والمَراغيّ (١٧: ٥٢)، والنّهاونديّ (٣: ١١٧)، والحجازيّ (١٧: ٢٥).

ابن عَطيّة: اختلف النّاس في الأرض الّتي بورك فيها، ولجأ إليها إبراهيم ولوط عليهما السلام، فقالت فرقة: هي مكّة، وذكروا قول الله تعالى: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ آل‌عمران: ٩٦.

وقال الجمهور: من أرض الشّام، وهي الأرض الّتي بارك فيها، أمّا من جهة الآخرة فبالنّبوءة، وأمّا من جهة الدّنيا ففي أطيب بلاد الله أرضًا، أعذبها ماءً، وأكثرها ثمرةً، ونعمةً، وهو الموضع المعروف بسكنى إبراهيم وعقبه. (٤: ٨٩)

الآلوسيّ: وصفها بعموم البركة، لأنّ أكثر الأنبياء عليهم السلام بُعثوا فيها، وانتشرت في العالم شرائعهم الّتي هي مبادئ الكمالات والخيرات الدّينيّة والدّنيويّة. ولم يقل: «الّتي باركناها» للمبالغة بجعلها محيطة بالبركة.

وقيل: المراد بالبركات: النّعم الدّنيويّة من الخِصْب وغيره. والأوّل أظهر وأنسب بحال الأنبياء عليهم السلام. (١٧: ٧٠)

القاسميّ: هي أرض الشّام، بورك فيها بكثرة الأنبياء، وإنزال الشّرائع الّتي هي طريق السّعادتين، وبكثرة النّعم والخِصْب والثّمار، وطيب عيش الغنيّ والفقير. وقد نزل إبراهيم عليه السلام بفلسطين، ولوط عليه السلام بسدوم.

ثمّ بيّن بركته تعالى على إبراهيم بقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ الأنبياء: ٧٢. (١١: ٤٢٦٨)

سيّد قُطْب: هي أرض الشّام الّتي هاجر إليها هو وابن أخيه لوط، فكانت مَهْبط الوحي فترةً طويلةً، ومبعث الرّسل من نسل إبراهيم. وفيها الأرض المقدّسة، وثاني الحرمين، وفيها بركة الخِصْب والرّزق، إلى جانب بركة الوحي والنّبوّة جيلًا بعد جيل. (٤: ٢٣٨٨)

نحوه عبد المنعم الجمّال. (١٧: ٢٥)

المُصْطَفَويّ: أي أطلنا الخير والفضل والبركة فيها. (١: ٢٤٤)

٤- ﴿وَلِسُلَيْمٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِى بٰرَكْنَا فِيهَا وَ...﴾ الأنبياء: ٨١

أُبيّ بن كعب: سمّاها مباركة، لأنّه ما من ماء عَذْب إلّا وينبع أصله من تحت الصّخرة الّتي هي ببيت المَقْدِس. (المَيْبُديّ ٦: ٢٧٠)

قَتادة: ما نقص من الأرض زيد في أرض الشّام، وما نقص من الشّام زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر. وكانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء. (الماوَرْديّ ٣: ٤٦٠)

الماوَرْديّ: هي أرض الشّام، وفي بركتها ثلاثة أقاويل:

أحدها: بمن بعث فيها من الأنبياء.

الثّاني: أنّ مياه أنهار الأرض تجري منها.

الثّالث: بما أودعها الله من الخيرات. (٣: ٤٦٠)

البغَويّ: يعني الشّام، وذلك أنّها كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان، ثمّ يعود إلى منزله بالشّام. (٣: ٣٠١)

مثله الخازن. (٤: ٢٤٨)

المَيْبُديّ: يعني الشّام، بارك الله فيها بالخِصب، وكثرة الأشجار والثّمار والأنهار، ومنها بُعث أكثر الأنبياء. (٦: ٢٦٩)

ابن عَطيّة: اختلف النّاس فيها، فقالت فرقة: هي أرض الشّام، وكانت مسكنه وموضع ملكه، وخصّص في هذه الآية انصرافه في سفراته إلى أرضه، لأنّ ذلك يقتضي سيره إلى المواضع الّتي سافر إليها، والبركة في أرض الشّام بيّنة الوجوه. (٤: ٩٣)

ابن الجَوزيّ: فيها قولان:

أحدهما: أنّها أرض الشّام، وهذا قول الأكثرين. وبركتها: أنّ الله عزّوجلّ بعث أكثر الأنبياء منها، وأكثر فيها الخِصب والثّمار والأنهار.

والثّاني: أنّها مكّة، رواه العوفيّ عن ابن عبّاس، والأوّل أصحّ. (٥: ٣٦٨)

النّسَفيّ: بكثرة الأنهار والأشجار والثّمار، والمراد: الشّام، وكان منزله بها، وتحمله الرّيح من نواحي الأرض إليها. (٣: ٨٦)

النَّيسابوريّ: أي بالخِصب وسعة الأرزاق، أو بالمنافع الدّينيّة، لأنّ أكثر الأنبياء بُعثوا فيها.

وقيل: ما من ماءٍ عذبٍ إلّا وينبع أصله من تحت صخرة بيت المَقدِس. (١٧: ٤٢)

أبوحَيّان: وُصفت بالبركة، لأنّه إذا حلّ أرضًا أصلحها بقتل كفّارها وإثبات الإيمان فيها وبثّ العدل، ولابركة أعظم من هذا. والظّاهر أنّ ﴿الَّتِي بَارَكْنَا﴾ صفة للأرض.

وقال منذر بن سعيد: الكلام تامّ عند قوله: (إِلَى الْأَرْضِ)، و﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ صفة للرّيح، ففي الآية تقديم وتأخير، يعني أنّ أصل التّركيب: ولسليمان الرّيح الّتي باركنا فيها عاصفة تجري بأمره إلى الأرض. (٦: ٣٣٢)

٥ـ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَ...﴾ سبأ: ١٨

راجع «ق ر ي»

٦ـ ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ الصّافّات: ١١٣

ابن عبّاس: بالثّناء الحسن والذّرّيّة الطّيّبة. (تنوير المقباس: ٣٧٨)

الطُّوسيّ: يعني على يعقوب وعلى إسحاق، وخلق من ذرّيّتها الخلق الكثير. (٨: ٥٢١)

البغَويّ: أي على إبراهيم في أولاده (وَعَلَى إِسْحَاقَ) بكون أكثر الأنبياء من نسله. (٤: ٣٩)

نحوه الخازن (٦: ٢٥)، والبَيْضاويّ (٢: ٢٩٨).

الزَّمَخشَريّ: وقُرئ: (وبرّكنا) أي أفضنا عليهما بركات الدّين والدّنيا، كقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ العنكبوت: ٢٧. (٣: ٣٥١)

نحوه النّسَفيّ (٤: ٢٧)، والنَّيسابوريّ (٢٣: ٦٦)، والبُرُوسَويّ (٧: ٤٧٩).

الطَّبْرِسيّ: أي وجعلنا فيما أعطيناهما من الخير

والبركـة، يـعني النّـماء والزّيـادة، ومـعناه: وجـعلنا ماأعطيناهما من الخير دائمًا ثابتًا ناميًا.

ويجوز أن يكون أراد كثرة ولدهما، وبقاءهم قـرنًا بعد قرن إلى أن تقوم السّاعة. (٤: ٤٥٤)

ابن الجَوزيّ: يعني بكثرة ذرّيّتهما، وهم الأسباط كلّهم. (٧: ٧٨)

الفَخْر الرّازيّ: في تفسير هذه البركة وجهان:

الأوّل: أنّه تعالى أخرج جميع أنبياء بني إسرائيل من صُلب إسحاق.

والثّاني: أنّه أبقى الثّناء الحسن على إبراهيم وإسحاق إلى يـوم القـيامة، لأنّ البركـة عـبارة عـن الدّوام والثّبات. (٢٦: ١٥٩)

القُرطُبيّ: أي ثنّينا عليهما النّعمة. (١٥: ١١٢)

نحوه طه الدُّرّة. (١٢: ١٩٤)

أبوحَيّان: أفضنا عليهما بركات الدّين والدّنيا، وبأن أخرجنا أنبياء بني إسرائيل من صُلبه. (٧: ٣٧٢)

نحوه أبوالسُّعود (٥: ٣٣٦)، وشُبّر (٥: ٢٦٢)، والكاشانيّ (٤: ٢٨٠)، والطّنطاويّ (١٨: ٢١).

الشِّربينيّ: أي على إبراهيم عليه السلام بتكثير ذرّيّته، ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَٰقَ﴾ بأن أخرجنا من صُلبه أنبياء بني إسرائيل، وغيرهم كأيّوب وشعيب عليهما السلام، فجميع الأنبياء بعده من صلبه إلّا نبيّنا محمّدًا صلى الله عليه وآله، فإنّه من ذرّيّة اسماعيل عليه السلام.

وفيه إشارة إلى أنّه مفرد علم، فهو صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام. (٣: ٣٨٨)

القاسميّ: أي على إبراهيم، ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَٰقَ﴾ أي بتكثير الذّرّيّة وتسلسل النّبوّة فيهم، وجعلهم ملوكًا، وإيتائهم مالم يؤت أحد. (١٤: ٥٠٥٢)

المَراغيّ: أي وأفضنا عليهما بَركات الدّنيا والآخرة، فكثّرنا نسلهما، وجعلنا منه أنبياء ورسلًا، وطلبنا من المسلمين في صلواتهم أن يدعوا لهم بالبركة، فيقولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين. (٢٣: ٧٦)

الطّباطَبائيّ: المباركة على شيء: جعل الخير والنّماء والثّبات فيه، أي وجعلنا فيما أعطينا إبراهيم وإسحاق الخير الثّابت والنّماء.

ويمكن أن يكون قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ الخ قرينة على أنّ المراد بقوله: ﴿بَارَكْنَا﴾ إعطاء البركة والكثرة في أولاده وأولاد إسحاق، والباقي ظاهر. (١٧: ١٥٤)

عبد الكريم الخطيب: أي وجعلنا البركة مشتملة عليه وعلى إسحاق، وذلك بتكثير نسلهما وجعل النّبوّة والكتاب في ذرّيّتهما.

وقد يسأل سائل: لماذا لم تكن هذه البركة عامّة شاملة في ذرّيّة هذين النّبيّين المباركَين، إلى يوم الدّين؟

والجواب: أنّ ذلك لو كان لرفع التّكليف عن كلّ من وُلد لهذين النّبيّين، وعمّن وُلد لذرّيّتهما، وذرّيّة ذرّيّتهما، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذا مالايدخل على حكمة الله، فيما قضى به في عباده من ابتلاء، ليميّز الله الخبيث من الطّيّب. (١٢: ١٠٠٩)

المُصطَفَويّ: فهو مورد للفضل والتّوجّه

والفيوضات الرّبانيّة. (١: ٢٤٤)

بُورِكَ

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ اَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ النّمل: ٨

ابن عَبّاس: بوركت النّار ومن حولها من الملائكة. (تنوير المقباس: ٣١٦)

(بُورِكَ): قُدّس. (الطَّبَريّ ١٩: ١٣٣)

مثله السُّيوطيّ. (٢: ٣٥)

مُجاهِد: بوركت النّار. (الطَّبَريّ ١٩: ١٣٤)

الفَرّاء: تجعل (أنْ) في موضع نصب، إذا أضمرت اسم موسى في (نُودِيَ)، وإن لم تُضمر اسم موسى كانت (أنْ) في موضع رفع: نودي ذلك.

وفي حرف أُبَيّ: (أنْ بُورِكَتِ النّارُ وَمَنْ حَوْلَهَا) يعني الملائكة. والعرب تقول: باركك الله وبارك فيك وبارك عليك. (٢: ٢٨٦)

الطُّوسيّ: قوله: ﴿اَنْ بُورِكَ﴾ يحتمل أن يكون نصبًا على: نُودي موسى بأن بورك، ويحتمل الرّفع على: نودي البركة، والبركة: ثبوت الخير النّامي بالشّيء. (٨: ٧٧)

البَغَويّ: يعني بورك على من في النّار، أو فيمن في النّار. والعرب تقول: باركه الله، وبارك فيه، وبارك عليه، بمعنى واحد.

وقال قوم: البركة راجعة إلى موسى والملائكة، معناه بورك في مَن طلب النّار، وهو موسى عليه السلام، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ وهم الملائكة الّذين حول النّار، ومعناه بورك فيك ياموسى وفي الملائكة الّذين حول النّار.

وهذا تحيّة من عند الله عزّوجلّ لموسى بالبركة، كما حيّا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه، فقالوا: ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ اَهْلَ الْبَيْتِ﴾ هود: ٧٣. (٣: ٤٩٠)

المَيْبُديّ: قيل: (بُورِكَ) أي جعل فيه البركة والخير، بمعنى تبارك، وهذا كلام يجري مجرى الدّعاء، وحقيقته يرجع إلى الخير. وفيه أربع لغات: باركك الله، وبارك فيك، وبارك عليك، وبارك لك.

وقيل: معناه بورك من في النّار نوره. وقيل: (مَنْ) صلة، والتّقدير: بوركت النّار ومن حولها، وهو قراءة أُبَيّ بن كعب، والمعنى بورك في النّار وفيمن حولها، فسمّى النّار مباركة، كما سمّى البقعة مباركة. (٧: ١٨١)

الزَّمَخْشَريّ: (أنْ) هي المفسّرة، لأنّ النّداء فيه معنى القول، والمعنى قيل له: بورك.

فإن قلت: هل يجوز (أنْ) تكون المخفّفة من الثّقيلة، وتقديره: نودي بأنّه بورك، والضّمير ضمير الشّأن؟

قلت: لا، لأنّه لابدّ من «قد».

فإن قلت: فعلى إضمارها.

قلت: لايصحّ، لأنّها علامة لاتحذف.

ومعنى ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، بورك من في مكان النّار ومن حول مكانها. ومكانها البقعة الّتي حصلت فيها، وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْاَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ القصص: ٣٠، وتدلّ عليه قراءة أُبَيّ: (تَبَارَكَتِ الْاَرْضُ وَمَنْ حَوْلَهَا)، وعنه: بوركت النّار

والّذي بوركت له البقعة، وبورك من فيها وحواليها: حدوث أمر دينيّ فيها، وهو تكليم الله موسى واستنباؤه، وإظهار المعجزات عليه.

وربّ خير يتجدّد في بعض البقاع، فينشر الله بركة ذلك الخير في أقاصيها، ويبثّ آثار يمنه في أباعدها، فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الّذي جرى في تلك البقعة.

وقيل المراد بالمبارك فيهم: موسى والملائكة الحاضرون، والظّاهر أنّه عامّ في كلّ من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي، وحواليهما من أرض الشّأم.

ولقد جعل الله أرض الشّأم بالبركات موسومة في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ٧١، وحقّت أن تكون كذلك، فهي مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم، ومهبط الوحي إليهم وكفاتهم أحياءً وأمواتًا.

فإن قلت: فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه؟

قلت: هي بشارة له بأنّه قد قُضي أمر عظيم، تنتشر منه في أرض الشّأم كلّها البركة. (٣: ١٣٧)

ابن عَطِيّة: قوله: ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ يحتمل أن تكون (أنْ) مفسّرة، ويحتمل أن تكون في موضع نصب على تقدير: بأن بورك، ويحتمل أن تكون في موضع رفع على تقدير: نودي أنّه قاله الزّجّاج.

وقوله: (بُورِكَ) معناه قدّس وضوعف خيره ونما، والبركة مختصّة بالخير. [ثمّ استشهد بشعر]

وبارك متعدّ بغير حرف، تقول العرب: باركك الله.

(٤: ٢٥٠)

الطَّبْرِسيّ: أي بورك فيمن في النّار: وهم الملائكة، وفيمن حولها: يعني موسى؛ وذلك أنّ النّور الّذي رأى موسى كان فيه ملائكة، لهم زجل بالتّقديس والتّسبيح، (وَمَنْ حَوْلَهَا) هو موسى، لأنّه كان بالقرب منها ولم يكن فيها، فكأنّه قال: بارك الله على من في النّار وعليك ياموسى، ومخرجه للدّعاء، والمراد الخبر.

وقيل: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ معناه من في النّار سلطانه وقدرته وبرهانه، فالبركة ترجع إلى اسم الله، وتأويله: تبارك من نوّر هذا النّور، (وَمَنْ حَوْلَهَا) يعني موسى والملائكة، وهذا معنى قول ابن عبّاس والحسن وسعيد بن جُبَيْر.

وقيل: معناه بورك من في طلب النّار وهو موسى عليه السلام، فحذف المضاف. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ الملائكة، أي دامت البركة لموسى والملائكة. (٤: ٢١١)

أبوالبَرَكات: (أنْ) مخفّفة من الثّقيلة، وتقديره: أنّه بُورك.

ولم يأت بعوض، لأنّ (بُورِك) دعاء، والدّعاء يجوز فيه مالايجوز في غيره، وهو في موضع رفع بـ(نُودِيَ)، لأنّه مفعول مالم يسمّ فاعله. (٢: ٢١٩)

ابن الجَوْزيّ: فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ المعنى قُدّس من في النّار، وهو الله عزّوجلّ، قاله ابن عبّاس والحسن، والمعنى قُدّس من ناداه من النّار، لاأنّ الله عزّوجلّ يَحُلّ في شيء.

والثّاني: أنّ (مَنْ) زائدة، والمعنى بوركت النّار، قاله مُجاهِد.

والثّالث: أنّ المعنى بُورك على من في النّار، أو فيمن

في النّار. قال الفرّاء: والعرب تقول: باركه الله، وبارك عليه، وبارك فيه، بمعنى واحد. والتّقدير: بُورك من في طلب النّار، وهو موسى، فحذف المضاف. [إلى أن قال:]

فخرج في قوله: (بُورِكَ) قولان: أحدهما: قُدِّس، والثّاني: من البركة. (٦: ١٥٥)

الفَخْر الرّازيّ: السّبب الّذي لأجله بوركت البقعة، وبورك من فيها وحواليها: حدوث هذا الأمر العظيم فيها، وهو تكليم الله موسى عليه السلام وجعله رسولًا، وإظهار المعجزات عليه، ولهذا جعل الله أرض الشّام موسومة بالبركات في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ٧١.

وحقّت أن تكون كذلك، فهي مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم، ومهبط الوحي وكفاتهم أحياء وأمواتًا.

وأنّه سبحانه جعل هذا القول مقدّمة لمناجاة موسى عليه السلام فقوله: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يدلّ على أنّه قد قُضي أمر عظيم، تنتشر البركة منه في أرض الشّام كلّها. (٢٤: ١٨٢)

النّسفيّ: ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ مخفّفة من الثّقيلة، وتقديره: نودي بأنّه بورك. والضّمير: ضمير الشّأن وجاز ذلك من غير عوض وإن منعه الزّمخشريّ، لأنّ قوله: (بُورِكَ) دعاء، والدّعاء يخالف غيره في أحكام كثيرة. أو مفسّرة، لأنّ في النّداء معنى القول، أي قيل له: بورك، أي قُدّس، أو جعل فيه البركة والخير. (٣: ٢٠٢)

أبوحَيّان: (نُودِيَ) المفعول الّذي لم يسمّ فاعله، الظّاهر أنّه ضمير عائد على موسى عليه السلام، و(أَنْ) على هذا يجوز أن تكون مفسّرة، لوجود شرط المفسّرة فيها، ويجوز أن تكون مصدريّة. أمّا الثّنائيّة الّتي تنصب المضارع، و(بُورِكَ) صلة لها. والأصل حرف الجرّ، أي بأن بورك، و(بُورِكَ) خبر. وأمّا المخفّفة من الثّقيلة فأصلها حرف الجرّ. [وبعد نقل قول الزّمخشريّ أضاف:]

ويجوز أن تكون المخفّفة من الثّقيلة وبورك فعل دعاء، كما تقول: بارك الله فيك.

وإذا كان دعاء لم يجز دخول «قد» عليه، فيكون كقوله تعالى: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا﴾ النّور: ٩، في قراءة من جعله فعلًا ماضيًا، وكقول العرب: إمّا أن جزاك الله خيرًا، وإمّا أن يغفر الله لك. وكان الزّمخشريّ بنى ذلك على ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ خبر لادعاء، فلذلك لم يجز أن تكون مخفّفة من الثّقيلة.

وأجاز الزّجّاج أن تكون ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ في موضع المفعول الّذي لم يسمّ فاعله، وهو على إسقاط الخافض، أي نودي بأن بورك، كما تقول: نودي بالرّخص.

ويجوز أن تكون (أَنْ) الثّنائيّة أو المخفّفة من الثّقيلة، فيكون (بُورِكَ) دعاء.

وقيل: المفعول الّذي لم يسمّ فاعله هو ضمير النّداء، أي نودي هو أي النّداء، ثمّ فسّر بما بعده. و(بُورِكَ) معناه: قُدّس وطُهّر وزيدَ خيره. ويقال: باركك الله، وبارك فيك، وبارك عليك، وبارك لك. [ثمّ استشهد بشعر] (٧: ٥٥)

أبوالسُّعود: ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ معناه أي بورك، على أنّ (أَنْ) مفسّرة لما في النّداء من معنى القول، أو بأنّ

بُورِكَ) على أنّها مصدريّة، حذف عنها الجارّ جريًا على القاعدة المستمرّة. وقيل: مخفّفة من الثّقيلة، ولاضير في فقدان التّعويض بـ«لا» أو «قد» أو «السّين» أو «سوف»، لما أنّ الدّعاء يخالف غيره في كثير من الأحكام. (٥: ٧٠)

نحوه البُرُوسَويّ. (٦: ٣٢١)

الآلوسيّ: ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ معناه أي بورك، على أنّ (أن) مفسّرة لما في النّداء من معنى القول دون حروفه.

وجُوّز أن تكون (أن) المخفّفة من الثّقيلة، واسمها ضمير الشّأن، ومنعه بعضهم، لعدم الفصل بينها وبين الفعل بـ«قد» أو «السّين» أو «سوف» أو حرف النّفي، وهو ممّا لابدّ منه إذا كانت مخفّفة، لما في «الحجّة» لأبي عليّ الفارسيّ، أنّها لمّا كانت لايليها إلّا الأسماء استقبحوا أن يليها الفعل من غير فاصل.

وأُجيب بأنّ ماذكر ليس على إطلاقه، فقد صرّحوا بعدم اشتراط الفصل في مواضع، منها مايكون الفعل فيه دعاء. فلعلّ من جوّز كونها المخفّفة هاهنا جعل (بُورِكَ) دعاء، على أنّه يجوز أن يدّعي أنّ الفصل بإحدى المذكورات في غير ماستثني أغلبيّ. [ثمّ استشهد بشعر]

وجُوّز أن تكون المصدريّة النّاصبة للأفعال، و(بُورِكَ) حينئذ إمّا خبر أو إنشاء للدّعاء.

وادّعى الرّضيّ ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ إذا جعل دعاء فـ«أن» مفسّرة لاغير، لأنّ المخفّفة لايقع بعدها فعل إنشائيّ إجماعًا، وكذا المصدريّة، وهو مخالف لما ذكره النّحاة، ودعوى الإجماع ليست بصحيحة، والقول بأنّه يفوت معنى الطّلب بعد التّأويل بالمصدر قد تقدّم مافيه.

وفي «الكشف» يُمنع عن جعلها مصدريّة، عدم سداد المعنى، لأنّ (بُورِكَ) إذ ذاك ليس يصلح بشارة، وقد قالوا: إنّ تصدير الخطاب بذلك بشارة لموسى عليه السلام، بأنّه قد قُضي له أمر عظيم تنتشر منه في أرض الشّأم كلّها البركة، وهذا بخلاف ماإذا كان (بُورِكَ) تفسيرًا للشّأن، وفيه نظر.

وعلى الوجهين الكلام على حذف حرف الجرّ، أي نودي بأن إلخ، والجارّ والمجرور متعلّق بما عنده، وليس نائب الفاعل، بل نائب الفاعل ضمير موسى عليه السلام.

وقيل: هو نائب الفاعل ولاضمير.

وقال بعضهم: في الوجه الأوّل أيضًا: إنّ الضّمير القائم مقام الفاعل ليس لموسى عليه السلام بل هو لمصدر الفعل، أي نودي هو، أي النّداء، وفسّر النّداء بما بعده.

والأظهر في الضّمير رجوعه لموسى، وفي (أن) أنّها مفسّرة، وفي (بُورِكَ) أنّه خبر، وهو من البركة، وقد تقدّم معناها. (١٩: ١٦٠)

سيّد قُطْب: إيذان بفيض من البركة العلويّة على من في النّار من الملائكة ومن حولها، وفيمن حولها موسى، وسجّل الوجود كلّه هذه المنحة العليا. ومضت هذه البقعة في سجلّ الوجود مباركة مقدّسة بتجلّي ذي الجلال عليها، وإذنه لها بالبركة الكبرى. (٥: ٢٦٢٩)

الطَّباطَبائيّ: المراد بالمباركة: إعطاء الخير الكثير، يقال: باركه وبارك عليه وبارك فيه، أي ألبسه الخير الكثير وحباه به. وقد وقع في سورة طٰه في هذا الموضع من القصّة قوله: ﴿فَلَمَّا أَتٰيهَا نُودِيَ يَامُوسٰى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى *

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ طٰه: ١١ ـ ١٣.

ويُستأنس منه أنّ المراد بمن حول النّار: موسى، أو هو ممّن حول النّار، ومباركته: اختياره بعد تقديسه.

(١٥: ٣٤٢)

المُصطَفَويّ: فهو مورد للفضل والتّوجّه والفيوضات الرّبّانيّة. (١: ٢٤٤)

مُبَارَكٌ

١ـ وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ... الأنعام: ٩٢

ابن عبّاس: فيه المغفرة والرّحمة لمن آمن به.

(تنوير المقباس: ١١٥)

الطّبَريّ: هو مُفاعل من البركة. (٧: ٢٧١)

الزّجّاج: «المبارك» الّذي يأتي من قِبَله الخير الكثير، والمعنى أنزلناه للبركة والإنذار.

(ابن الجوزيّ ٣: ٨٤)

أبومسلم: إنّما سمّاه مباركًا لأنّه ممدوح مستسعد به، فكلّ من تمسّك به نال الفوز. (الطّبْرِسيّ ٢: ٣٣٤)

المَيْبُديّ: أي وهذا القرآن كتاب مبارك أنزلناه، كتاب مُفعَم باليُمْن، مُترَع بالبركة، خيره دائم، ونفعه سابغ، ويُمْنُه دَيَر، وبركته دَثْر، موعظة للخائفين، ورحمة للمؤمنين، وشفيع للعاصين، ونصير للمحبّين.

(٣: ٤٢١)

الزّمَخْشَريّ: كثير المنافع والفوائد. (٢: ٣٥)

نحوه النّسَفيّ (٢: ٢٣)، وأبوالسّعود (٢: ٤١٥)، والكاشانيّ (٢: ١٣٨)، وطٰه الدُّرّة (٤: ٢٠٧).

الطّبْرِسيّ: قيل: إنّ البركة ثبوت الخير على النّماء والزّيادة، ومنه: تبارك الله، أي ثبت له مايستحقّ به التّعظيم لم يزل ولايزال. فالقرآن مبارك، لأنّ قراءته خير، والعمل به خير، وفيه علم الأوّلين والآخرين، وفيه مغفرة للذّنوب، وفيه الحلال والحرام.

وقيل: البركة: الزّيادة، فالقرآن مبارك لما فيه من زيادة البيان على مافي الكتب المتقدّمة، لأنّه ناسخ لايرد عليه نسخ، لبقائه إلى آخر التّكليف. (٢: ٣٣٤)

نحوه الطُّرَيحيّ. (٥: ٢٥٨)

الفَخْر الرّازيّ: قال أهل المعاني: ﴿كِتَابٌ مُبَارَكٌ﴾ أي كثير خيره دائم بركته ومنفعته، يبشّر بالثّواب والمغفرة، ويزجر عن القبيح والمعصية.

وأقول: العلوم إمّا نظريّة، وإمّا عمليّة.

أمّا العلوم النّظريّة، فأشرفها وأكملها معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه. ولاترى هذه العلوم أكمل ولاأشرف ممّا تجده في هذا الكتاب.

وأمّا العلوم العمليّة، فالمطلوب، إمّا أعمال الجوارح وإمّا أعمال القلوب، وهو المسمّى بطهارة الأخلاق وتزكية النّفس، ولاتجد هذين العلمين مثل ماتجده في هذا الكتاب، ثمّ قد جرت سنّة الله تعالى بأنّ الباحث عنه والمتمسّك به يحصل له عزّ الدّنيا وسعادة الآخرة.

(١٣: ٨٠)

نحوه النّيسابوريّ. (٧: ١٦٠)

القُرطُبيّ: أي بورك فيه، والبركة: الزّيادة.

(٧: ٣٨)

الشّربينيّ: أي كثير الخير والبركة، دائم النّفع،

يبشّر المؤمنين بالثّواب والمغفرة، ويزجر عن القبيح والمعصية. وأصل البركة: النّماء والزّيادة وثبوت الخير. (١: ٤٣٦)

البُرُوسَويّ: [قال مثل الفخر الرّازيّ ثمّ أضاف:]

قال في «التّأويلات النّجميّة»: (مُبَارَكٌ) على العوامّ بأن يدعوهم إلى ربّهم، وعلى الخواصّ بأن يهديهم إلى ربّهم، وعلى خواصّ الخواصّ بأن يوصلهم إلى ربّهم، ويُخلّقهم بأخلاقه. وفي كتاب المحبوب شفاء لما في القلوب. (٣: ٦٤)

شُبّر: لما فيه من النّفع وزيادة البيان، وأنّه ناسخ. (٢: ٢٨٧)

الآلوسيّ: أي كثير الفائدة والنّفع، لاشتماله على منافع الدّارين وعلوم الأوّلين والآخرين، صفة بعد صفة. (٧: ٢٢)

نحوه القاسميّ. (٦: ٢٤١٢)

رشيد رضا: باركه الله أو بارك فيه بما فضّل به ماقبله من الكتب في النّظم والمعنى، وبما يكون من ثباته وبقائه إلى آخر عمر البشر في الدّنيا، وهو من البركة وهي بالتّحريك: النّماء والزّيادة والسّعة النّافعة، كبركة الماء. ومن معاني المادّة: الثّبات والاستقرار كبرك البعير. (٧: ٦٢٠)

المَراغيّ: أي وهذا القرآن كتاب عظيم القدر أنزلناه على خاتم رسلنا، كما أنزلنا من قبله التّوراة على موسى، وقد باركنا فيه، فجعلناه كثير الخير، دائم البركة والمنفعة، يبشّر بالثّواب والمغفرة، ويزجر عن القبيح والمعصية. (٧: ١٩٠)

النّهاونديّ: كثير خيره، دائم نفعه، وقد مرّ في بعض الطّرائف أنّه مامن علم إلّا وأصله فيه، وإنّ لتلاوته آثار دنيويّة وأُخرويّة. (١: ٤٦٨)

سيّد قُطْب: مبارك بكلّ معاني البركة، إنّه مبارك في أصله. باركه الله وهو ينزله من عنده، ومبارك في محلّه الّذي علِم الله أنّه له أهل...قلب محمّد الطّاهر الكريم الكبير..ومبارك في حَجْمه ومحتواه، فإن هو إلّا صفحات قلائل بالنّسبة لضخام الكتب الّتي يكتبها البشر، ولكنّه يحوي من المدلولات والإيحاءات والمؤثّرات والتّوجيهات، في كلّ فقرة منه مالاتحتويه عشرات من هذه الكتب الضّخام، في أضعاف أضعاف حيّزه وحجمه!

وإنّ الّذي مارس فنّ القول عند نفسه وعند غيره من بني البشر، وعالج قضيّة التّعبير بالألفاظ عن المدلولات، ليدرك أكثر ممّا يدرك الّذين لايزاولون فنّ القول ولايعالجون قضايا التّعبير، أنّ هذا النّسق القرآنيّ مبارك من هذه النّاحية.

وأنّ هنالك استحالة في أن يُعبّر البشر في مثل هذا الحيّز ـ ولافي أضعاف أضعافه ـ عن كلّ مايحمله التّعبير القرآنيّ من مدلولات ومفهومات وموجبات ومؤثّرات، وأنّ الآية الواحدة تؤدّي من المعاني، وتقرّر من الحقائق مايجعل الاستشهاد بها على فنون شتّى ـ من أوجه التّقرير والتّوجيه ـ شيئًا متفرّدًا لانظير له في كلام البشر.

وإنّه لمبارك في أثره، وهو يخاطب الفطرة والكينونة البشريّة بجملتها، خطابًا مباشرًا عجيبًا لطيف المدخل، ويواجهها من كلّ منفذ وكلّ درب وكلّ ركن، فيفعل فيها مالايفعله قول قائل، ذلك أنّ به من الله سلطانًا، وليس

في قول القائلين من سلطان.

ولانملك أن نمضي أكثر من هذا في تصوير بركة هذا الكتاب، ومانحن ببالغين لو مضينا شيئًا أكثر من شهادة الله له بأنّه (مُبَارَكٌ)، ففيها فصل الخطاب. (٢: ١١٤٧)

الطَّباطَبائيّ: إنّ الأوصاف المذكورة للكتاب بقوله: ﴿مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ﴾ إلخ، بمنزلة الأدلّة على كونه نازلًا من الله وليست بأدلّة، فمن أمارات أنّه منزل من عند الله أنّه مبارك أودع الله فيه البركة والخير الكثير، يهدي النّاس للّتي هي أقوم، يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام.

ينتفع به النّاس في دنياهم باجتماع شملهم، وقوّة جمعهم، ووحدة كلمتهم، وزوال الشّحّ من نفوسهم، والضّغائن من قلوبهم، وفشوّ الأمن والسّلام، ورغد عيشتهم، وطيب حياتهم، وانجلاء الجهل وكلّ رذيلة عن ساحتهم، واستظلالهم بظلّة سعادتهم. وينتفعون به في أُخراهم بالأجر العظيم والنّعيم المقيم.

ولو لم يكن من عند الله سواء كان مختلقًا من عند بشر، كشبكة يغرّ بها النّاس فيصطادون، أو كان تزويقًا نفسانيًّا، أو إلقاءً شيطانيًّا، يخيّل إلى الّذي جاء به أنّه وحي سماويّ من عند الله، وليس من عنده، لم تستقرّ فيه، ولاترتّب عليه هذه البركات الإلهيّة والخير الكثير، فإنّ سبيل الشّرّ لايهدي سالكه إلّا إلى الشّرّ، ولن ينتج فسادٌ صلاحًا، وقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللهَ لَايَهْدِى مَنْ يُضِلُّ﴾ النّحل: ٣٧، وقال: ﴿وَاللهُ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الصّفّ: ٥، وقال: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لَايَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ الأعراف: ٥٨. (٧: ٢٧٩)

[وبعد نقل كلام الرّاغِب قال:]

فالبركة بالحقيقة هي الخير المستقرّ في الشّيء اللّازم له، كالبركة في النّسل، وهي كثرة الأعقاب، أو بقاء الذّكر بهم خالدًا، والبركة في الطّعام: أن يشبع به خلق كثير مثلًا، والبركة في الوقت: أن يسع من العمل ماليس في سعة مثله أن يسعه.

غير أنّ المقاصد والمآرب الدّينيّة لمّا كانت مقصورة في السّعادات المعنويّة أو الحسّيّة الّتي تنتهي إليها بالآخرة، كان المراد بالبركة الواقعة في الظّواهر الّتي فيها هو الخير المعنويّ، أو ينتهي إليه، كما أنّ مباركته تعالى الواقعة في قول الملائكة النّازلين على إبراهيم عليه السلام: ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ هود: ٧٣، خيرات متنوّعة معنويّة كالدّين والقرب وغيرهما، وحسّيّة كالمال وكثرة النّسل وبقاء الذّكر وغيرها، وجميعها مربوطة بخيرات معنويّة.

وعلى هذا فالبركة أعني كون الشّيء مشتملًا على الخير المطلوب، كالأمر النّسبيّ يختلف باختلاف الأغراض، لأنّ خيريّة الشّيء إنّما هي بحسب الغرض المتعلّق به، فالغرض من الطّعام ربّما كان إشباعه الجائع، أو أن لايضرّ آكله، أو أن يؤدّي إلى شفاء واستقامة مزاج، أو يكون نورًا في الباطن يتقوّى به الإنسان على عبادة الله، ونحو ذلك، كانت البركة فيه استقرار شيء من هذه الخيرات فيه بتوفيق الله تعالى، بين الأسباب والعوامل المتعلّقة به ورفعه الموانع.

ومن هنا يظهر أنّ نزول البركة الإلهيّة على شيء

واستقرار الخير فيه لاينافي عمل سائر العوامل فيه، واجتماع الأسباب عليه؛ فليس معنى إرادة الله صفة أو حالة في شيء، أن يبطل سائر الأسباب والعلل المقتضية له ـ وقد مرّ كرارًا في أبحاثنا السّابقة ـ فإنّما الإرادة الإلهيّة سبب في طول الأسباب الأُخر لافي عرضها.

فإنزاله تعالى بركته على طعام مثلًا هو أن يوفّق بين الأسباب المختلفة الموجودة، في أن لاتقتضي في الإنسان كيفيّة مزاجيّة يضرّه معها هذا الطّعام، وأن لاتقتضي فساده أو ضيعته أو سرقته أو نهبه، أو نحو ذلك. وليس معناه أن يبطل الله سائر الأسباب، ويتكفّل هو تعالى إيجاد الخير فيهم من غير توسيطها، فافهم ذلك.

والبركة كثيرة الدّور في لسان الدّين، فقد ورد في الكتاب العزيز ذكرها في آيات كثيرة بألفاظ مختلفة، وكذا ورودها في السّنّة، وقد تكرّر ذكر «البركة» أيضًا في العهدين في موارد كثيرة، يذكر فيها إعطاء الله سبحانه البركة للنّبيّ الفلانيّ، أو إعطاء الكهنة البركة لغيرهم، وقد كان أخذ البركة في العهد القديم كالسّنّة الجارية.

وقد ظهر ممّا تقدّم بطلان زعم المنكرين لوجود «البركة» كما نقلناه عن الرّاغب فيما تقدّم من عبارته، فقد زعموا أنّ عمل الأسباب الطّبيعيّة في الأشياء لايدع مجالًا لسبب آخر يعمل فيه، أو يبطل أثرها. وقد ذهب عنهم أنّ تأثيره تعالى في الأشياء في طول سائر الأسباب لافي عرضها، حتّى يؤول الأمر إلى تزاحم أو إبطال ونحوهما. (٧: ٢٨٠)

عبد الكريم الخطيب: فيه رحمةٌ وهدًى وخيرٌ لمن آمن به، واهتدى بهديه. (٤: ٢٣٨)

٢ـ وَهٰذَا كِتَابٌ اَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. الأنعام: ١٥٥

ابن عبّاس: فيه الرّحمة والمغفرة لمن آمن به. (تنوير المقباس: ١٢٢)

الزّجّاج: و«المبارك» مايأتي من قِبَله الخير الكثير، وهو من نعت (كِتَابٌ). ومن قرأ (اَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا) جاز ذلك في غير القراءة، لأنّ المصحف لايخالَف ألبتّة. (٢: ٣٠٦)

الطّوسيّ: البركة: ثبوت الخير بزيادته ونموّه. وأصله: الثّبوت، ومنه (تَبَارَكَ) أي تعالى بصفة إثبات، لاأوّل له ولاآخر، وهذا تعظيم لايستحقّه غير الله تعالى. ورفعه بأنّه صفة للكتاب، ولو نصب على الحال كان جائزًا، غير أنّ الرّفع يدلّ على لزوم الصّفة للكتاب، والنّصب يجوز أن يكون لحالة عارضة في وقت الفعل. (٤: ٣٤٩)

ابن عطيّة: وصف بما فيه من التّوسّعات، وإزالة أحكام الجاهليّة وتحريماتها، وجمع كلمة العرب، وصلة أيدي متّبعيه، وفتح الله على المؤمنين به، ومعناه مُنمي خيره مكثر. والبركة: الزّيادة والنّمو. (٢: ٣٦٥)

الفخر الرّازيّ: لاشكّ أنّ المراد هو القرآن، وفائدة وصفه بأنّه مبارك: أنّه ثابت لايتطرّق إليه النّسخ كما في الكتابين، أو المراد أنّه كثير الخير والنّفع. (١٤: ٥)

نحوه النّيسابوريّ (٨: ٥٩)، والخازن (٢: ١٦٦)، والشّربينيّ (١: ٤٥٩)، والنّهاونديّ (١: ٤٩٣).

ابن عربيّ: بزيادة الهداية إلى محض التّوحيد، والإرشاد إلى سواء السّبيل، يهدي بأقرب الطّرق إلى أرفع الدّرجات من الكمال. (١: ٤١٤)

القُرطُبيّ: نعت، أي كثير الخيرات. ويجوز في غير القرآن «مباركًا» على الحال. (٧: ١٤٣)

أبوحَيّان: بركة القرآن بما يترتّب عليه من النّفع والنّماء: بجمع كلمة العرب به، والمواعظ والحكم، والإعلام بأخبار الأُمم السّالفة، والأُجور التّالية، والشّفاء من الإدواء، والشّفاعة لقارئه وعدّه من أهل الله، وكونه مع المكرمين من الملائكة، وغير ذلك من البركات الّتي لاتُحصى. (٤: ٢٥٦)

أبوالسُّعود: أي كثير المنافع دينًا ودنيًا، صفتان لـ(كِتَابٌ) وتقديم وصف الإنزال مع كونه غير صريح، لأنّ الكلام مع منكريه، أو خبران آخران لاسم الإشارة، أي أنزلناه مشتملًا على فنون الفوائد الدّينيّة والدّنيويّة الّتي فصّلت عليكم طائفة منها. (٢: ٤٦٣)

نحوه الآلوسيّ. (٨: ٦٠)

البُرُوسَويّ: أي كثير النّفع دينًا ودُنيًا. قال في «التّأويلات النّجميّة»: (مُبَارَكٌ) عليك، وبركته أنّه أُنزل على قلبك بجعل خُلُقك القرآن، ومبارك على أُمّتك بأنّه حبل بينهم وبين ربّهم، ليوصلهم إليه بالاعتصام. (٣: ١٢١)

رشيد رضا: أي وهذا القرآن الّذي يُتلى عليكم كتاب عظيم القدر ـ فتنكيره للتّعظيم ـ أنزلناه كما أنزلنا الكتاب على موسى ـ جامع لكلّ أسباب الهداية الثّابتة الدّائمة النّامية، الزّائدة على ما في كتاب موسى ـ فالمبارك من البركة، وهي: الزّيادة والنّماء في الخير. قيل: إنّها من بركة الماء، وقيل: من برَك البعير. (٨: ٢٠٤)

نحوه المَراغيّ (٨: ٧٨)، والحجازيّ (٨: ٣٠).

عبد الكريم الخطيب: هو دعوة للمسلمين إلى الله، وإلفات لهم إلى هذا الكتاب الّذي جاءهم به رسول الله من ربّه، يحمل البركة والخير والرّحمة، لمن اتّصل به، وأخذ عنه. (٤: ٣٥١)

عبد المنعم الجمّال: الّذي يشار إليه بالبنان: العظيم القدر، الرّفيع الشّأن، كتاب، هو خير كتاب، جلّ من أنزله، أنزله الحكيم العليم، ونزل به الرّوح الأمين على خير النّبيّين وخاتم المرسلين، بلسان عربيّ مبين، مبارك كثير البركات، عظيم النّفحات، ورحمة ونور، جامع لأحكام الخير وأسباب الهداية، وقد جاء بأكثر وأعظم ممّا جاءت به التّوراة. (٢: ٩٥٣)

٣ـ كِتَابٌ اَنْزَلْنَاهُ اِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا اٰيَاتِهِ ... ص: ٢٩

ابن عبّاس: فيه المغفرة والرّحمة لمن آمن به. (تنوير المقباس: ٣٨٢)

الطُّوسيّ: وصفه بأنّه مبارك، لأنّ به يستديم النّاس ماأنعم الله عليهم به. (٨: ٥٥٨)

القُشَيْريّ: (مُبَارَكٌ) وهو القرآن، و(مُبَارَكٌ) أي كبير النّفع، ويقال: (مُبَارَكٌ) أي دائم باقٍ لاينسخه كتاب، من قولهم: برَك الطّير على الماء. ويقال: (مُبَارَكٌ) لمن آمن به وصدّق. ثمّ إنّه بيّن أنّ البركة في تدبّره والتفكّر في معانيه. (٥: ٢٥٣)

الرّاغِب: أي موضع الخيرات الإلهيّة. (٤٤)

البغَويّ: كثير خيره ونفعه. (٤: ٦٧)

مثله الخازن (٦: ٤٥)، والنّيسابوريّ (٢٣: ٨٨)، ونحوه القاسميّ (١٤: ٥٠٩٧).

ابن عَطيّة: هذا كتاب لمن أراد التّمسّك بالإيمان والقربة إلينا. وفي هذه الآيات اقتضاب وإيجاز بديع حسب إعجاز القرآن العزيز ووصفه بالبركة، لأنّ أجمعها فيه، لأنّه يورث الجنّة وينقذ من النّار، ويحفظ المرء في حال الحياة الدّنيا، ويكون سبب رفعة شأنه في الحياة الآخرة. (٤: ٥٠٢)

الطّبْرِسيّ: أي كثير نفعه وخيره فإنّ في التّديّن به يستبين النّاس ماأنعم الله عليهم. (٤: ٤٧٢)

الفَخر الرّازيّ: فيه مسائل:

المسألة الأُولى: قالت المعتزلة: دلّت الآية على أنّه تعالى إنّما أنزل هذا القرآن لأجل الخير والرّحمة والهداية، وهذا يفيد أمرين: أحدهما: أنّ أفعال الله معلّلة برعاية المصالح، والثّاني: أنّه تعالى أراد الإيمان والخير والطّاعة من الكلّ، بخلاف قول من يقول: إنّه أراد الكفر من الكافر. (٢٦: ٢٠١)

البَيْضاويّ: نفّاع، وقُرئ بالنّصب على الحال. (٢: ٣٠٩)

نحوه الكاشانيّ. (٤: ٢٩٧)

أبوالسُّعود: خبر ثان للمبتدإ، أو صفة لـ(كِتَابٌ) عند من يجوّز تأخير الوصف الصّريح عن غير الصّريح. وقرئ (مُبَارَكًا) على أنّه حال من مفعول أنزلنا، ومعنى المبارك: الكثير المنافع الدّينيّة والدّنيويّة. (٥: ٣٦٠)

نحوه الآلوسيّ. (٢٣: ١٨٩)

المَراغيّ: أي أنزلنا إليك هذا الكتاب النّافع للنّاس، المرشد لهم إلى مافيه خيرهم وسعادتهم، في دينهم ودنياهم، الجامع لوجوه المصالح. (٢٣: ١١٦)

الطّباطَبائيّ: المعنى هذا كتاب أنزلناه إليك كثير الخيرات والبركات للعامّة والخاصّة، ليتدبّره النّاس فيهتدوا به، أو تتمّ لهم الحجّة، وليتذكّر به أُولو الألباب، فيهتدوا إلى الحقّ باستحضار حجّته، وتلقّيها من بيانه. (١٧: ١٩٧)

عبد الكريم الخطيب: أي فيه البركة الّتي تنال كلّ من يلقاه، ويتلقّ منه الحكمة والموعظة الحسنة. (١٢: ١٠٧٨)

طه الدُّرّة: كثير الخيرات والمنافع الدّينيّة والدّنيويّة. (١٢: ٢٨٨)

الحجازيّ: كتاب أنزلناه إليك يامحمّد كثير الخيرات عظيم البركات، فيه شفاء للنّاس ونور وموعظة للمؤمنين. (٢٣: ٥١)

٤ـ وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ اَنْزَلْنَاهُ اَفَاَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ.

الأنبياء: ٥٠

ابن عَبّاس: فيه الرّحمة والمغفرة لمن آمن به. (٢٧٢)

الفَرّاء: «المبارك» رَفْع من صفة الذّكر، ولو كان نصبًا على قولك: أنزلناه مباركًا، كان صوابًا. (٢: ٢٠٦)

الرّاغِب: تنبيهًا على مايفيض عليه من الخيرات الإلهيّة. (٤٤)

البَغَويّ: يعني القرآن، وهو ذكر لمن تذكّر به. (مُبَارَكٌ) لمن يتبرّك به، ويُطلب منه الخير. (٣: ٢٩١)

نحوه الخازن. (٤: ٢٤١)

الزَّمَخْشَريّ: هو القرآن، وبركته: كثرة منافعه وغزارة خيره. (٢: ٥٧٥)

الطَّبْرِسيّ: أراد به القرآن، إنّه ذكر ثابت نافع، دائم نفعه إلى يوم القيامة.

وقيل: سمّاه مباركًا لوفور فوائده من المواعظ والزّواجر، والأمثال الدّاعية إلى مكارم الأخلاق والأفعال. لمّا وصف التّوراة أتبعه ذكر القرآن الّذي آتاه نبيّنا ﷺ. (٤: ٥١)

ابن الجَوزيّ: كثير الخير. (٥: ٣٥٦)

نحوه البَيضاويّ (٢: ٧٤)، والنَّسَفيّ (٣: ٨١)، والشِّربينيّ (٢: ٥٠٧)، والكاشانيّ (٣: ٣٤٢)، والقاسميّ (١١: ٤٢٧٨).

الفَخْر الرّازيّ: بركته: كثرة منافعه وغزارة علومه. (٢٢: ١٧٩)

النَّيسابوريّ: أي كثير البركة. (١٧: ٢٩)

أبوحَيّان: أي كثير منافعه، غزير خيره. وجاء هنا الوصف بالاسم ثمّ بالجملة جريًا على الأشهر. (٦: ٣١٧)

أبوالسُّعود: كثير الخير غزير النّفع، يتبرّك به. (٤: ٣٤٣)

نحوه الآلوسيّ. (١٧: ٥٨)

شُبَّر: ثابت نافع، دائم نفعه إلى القيامة، أو كثير الفوائد من المواعظ والزّواجر والأمثال، أنزلناه على محمّد ﷺ. (٤: ٢٠١)

المَراغيّ: هو كثير النّفع والخير لمن اتّبع أوامره، وانتهى بنواهيه. (١٧: ٤١)

الطَّباطَبائيّ: الإشارة بـ(هذا) إلى القرآن، وإنّما سمّي ذكرًا مباركًا لأنّه ثابت دائم كثير البركات، ينتفع به المؤمن به والكافر في المجتمع البشريّ، وتتنعّم به الدّنيا، سواء عرفته أو أنكرته، أقرّت بحقّه أو جحدته.

يدلّ على ذلك تحليل مانشاهد اليوم من آثار الرّشد والصّلاح في المجتمع العامّ البشريّ، والرّجوع بها القهقرى إلى عصر نزول القرآن فما قبله، فهو الذّكر المبارك الّذي يُسترشد بمعناه، وإن جهل الجاهلون لفظه، وأنكر الجاحدون حقّه، وكفروا بعظيم نعمته، وأعانهم على ذلك المسلمون بإهمالهم في أمره: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ الفرقان: ٣٠. (١٤: ٢٩٦)

الحجازيّ: (وَهٰذَا) ذكر ونور ومبارك، فيه الخير والهُدى والعلم والمعرفة، وفيه النّجاة والسّعادة، والفوز والفلاح.

فيه أسباب سعادة الدّنيا والآخرة، إذ فيه علاج لكلّ داء، ودواء لكلّ مرض، وقد أثبتت الحوادث ذلك فيما نرى. (١٧: ٢٠)

مُبَارَكًا

١ـ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ آل‌عمران: ٩٦

ابن عبّاس: يعني موضع الكعبة، فيه المغفرة

والرّحمة. (٥٢)

يضاعف فيه ثواب العبادة. (الطُّبْرِسيّ ١: ٤٧٨)

الطَّبَريّ: قيل: (مُبَارَكًا) لأنّ الطّواف به مغفرة للذّنوب.

فأمّا نصب قوله: (مُبَارَكًا) فإنّه على الخروج من قوله: (وُضِعَ) لأنّ في (وُضِعَ) ذكرًا من البيت، هو به مشغول، وهو معرفة، ومبارك نكرة لايصلح أن يتبعه في الإعراب.

وأمّا على قول من قال: هو أوّل بيت وضع للنّاس، على ماذكرنا في ذلك قول من ذكرنا قوله، فإنّه نصب على الحال، من قوله: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ لأنّ معنى الكلام على قولهم: إنّ أوّل بيت وضع للنّاس، البيت ببكّة مباركًا، فالبيت عندهم من صفته (الّذى بِبَكَّةَ)، والّذي بصلته معرفة، والمبارك نكرة، فنصب على القطع منه في قول بعضهم، وعلى الحال في قول بعضهم. (٤: ١٠)

الزّجّاج: نصب (مُبَارَكًا) على الحال، المعنى الّذي بمكّة في حال بركته. (١: ٤٤٥)

الجصّاص: يعني أنّه ثابت الخير والبركة، لأنّ البركة هي ثبوت الخير ونموّه وتزيّده، والبرك هو الثّبوت، يقال: بَرك بَرْكًا وبُروكًا، إذا ثبت على حاله. (٢: ٢٠)

نحوه المَيْبُديّ. (٢: ٢١٤)

الشّريف الرّضيّ: قوله تعالى: (مُبَارَكًا) ينتصب من وجهين:

أحدهما: بـ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ على الحال من الضّمير الّذي فيه، وفي هذا الوجه يجوز أن يكون قد تقدّمه بيوتٌ غيره، فاختصّ به هو وتميّز، بأنّه وضع مباركًا.

والوجه الآخر: ينتصب بالظّرف من (بَكَّةَ) على معنى الّذي استقرّ ببكّة مباركًا. وفي هذا الوجه لايجوز أن يكون قد وضع قبله بيت غيره، كما جاز في الوجه الأوّل، لأنّ الوضع هاهنا لاتعلّق له بالحال الّتي هي قوله: (مُبَارَكًا) فكأنّه أوّل بيت وضع للنّاس على الإطلاق، فلاحال تميّزه من غيره.

ومعنى قوله تعالى: (مُبَارَكًا) أي ثابت النّفع للنّاس، لأنّ أصل «البركة» مأخوذ من الاستقرار والثّبوت [إلى أن قال:]

وقد يمكن أن يكون معنى كونه مباركًا ثبوت العبادة فيه ولزومها واستمرارها واتّصالها، على مايُحكى من أنّ الطّواف به لايكاد ينقطع ليلًا ولانهارًا، أو التّوجّه إليه في الصّلاة متّصل على وجه الدّهر، لاانقطاع له ولازوال. (حقائق التّأويل: ٢٩٦)

الطُّوسيّ: نَصْب قوله: (مُبَارَكًا) يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون حالًا من الضّمير الّذي فيه.

الثّاني: على الظّرف من (بَكَّةَ) على معنى الّذي استقرّ ببكّة مباركًا. وعلى هذا القول لايكون قد وضع قبله بيت، كما يجوز في التّقدير الأوّل.

وأصل البركة: الثّبوت، من قولك: برك بَركًا وبُروكًا، إذا ثبت على حاله. فالبركة: ثبوت الخير بنموّه وتزايده.

ومنه البَركاء: الثّبوت في الحرب، ومنه البِركة شبه حوض يمسك الماء، لثبوته فيه. ومنه قول النّاس: «تبارك الله» لثبوته لم يزل، ولايزال وحده، ومنه البَرْك:

الصّدر، لثبوت الحفظ فيه. (٢: ٥٣٥)

القُشَيْريّ: بركاته: اتّصال الألطاف والكشوفات، فن قصده بهمّته ونزل عليه بقصده، هداه إلى طريق رُشده. (١: ٢٧٤)

الزّمَخْشَريّ: كثير الخير لما يحصل لمن حجّه واعتمره، وعكف عنده وطاف حوله، من الثّواب وتكفير الذّنوب.

وانتصابه على الحال من المستكنّ في الظّرف، لأنّ التّقدير: للّذي ببكّة هو، والعامل فيه المقدّر في الظّرف من فعل الاستقرار. (١: ٤٤٧)

نحوه النّسَفيّ (١: ١٧٠)، والشّربينيّ (١: ٢٣٣)، وأبوالسُّعود (٢: ٥)، والبُرُوسَويّ (٧: ٢٨٥)، والقاسميّ (٤: ٨٩٤)، والنّهاونديّ (١: ٢٤٢).

الطَّبْرِسيّ: يعني كثير الخير والبركة.

وقيل: (مُبَارَكًا) لثبوت العبادة فيه دائمًا، حتّى يُحكى على أنّ الطّواف به لاينقطع أبدًا.

وقيل: لأنّه يضاعف فيه ثواب العبادة، عن ابن عبّاس، ورووا فيه حديثًا طويلًا.

وقيل: لأنّه يغفر فيه الذّنوب. ويجوز حمله على الجميع؛ إذ لاتنافي. (١: ٤٧٨)

أبوالبَرَكات: ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى﴾ منصوبان على الحال من الضّمير.

ويجوز فيه الرّفع على التّقدير: هو مبارك. ويجوز فيه أيضًا الجرّ على الوصف لـ(بَيْت). (١: ٢١٢)

ابن الجَوزيّ: أمّا بركته، ففيه تُغفَر الذّنوب، وتُضاعف الحسنات ويأمن من دخله. (١: ٤٢٦)

الفَخْر الرّازيّ: فيه مسألتان:

المسألة الأُولى: انتصب (مُبَارَكًا) على الحال، والتّقدير: الّذي استقرّ هو ببكّة مباركًا.

المسألة الثّانية: البركة لها معنيان: أحدهما: النّموّ والتّزايد، والثّاني: البقاء والدّوام. يقال: «تبارك الله» لثبوته، لم يزل ولايزال. والبِرْكة: شبه الحوض، لثبوت الماء فيه. وبرَك البعير، إذا وضع صدره على الأرض وثبت واستقرّ.

فإن فسّرنا البركة بالتّزايد والنّموّ، فهذا البيت مبارك من وجوه: أحدها: أنّ الطّاعات إذا أُتي بها في هذا البيت إزداد ثوابها، قال ﷺ: «فضل المسجد الحرام على مسجدي، كفضل مسجدي على سائر المساجد».

ثمّ قال ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه» فهذا في الصّلاة.

وأمّا الحجّ فقال عليه الصّلاة والسّلام: «من حجّ ولم يرفث ولم يفسق، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمّه».

وفي حديث آخر: «الحجّ المبرور ليس له جزاء إلّا الجنّة» ومعلوم أنّه لاأكثر بركة ممّا يجلب المغفرة والرّحمة.

وثانيها: قال القفّال رحمه الله تعالى: ويجوز أن يكون بركته ماذكر في قوله تعالى: ﴿يُجْبٰى اِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ القصص: ٥٧، فيكون كقوله: ﴿اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ الإسراء: ١.

وثالثها: أنّ العاقل يجب أن يستحضر في ذهنه أنّ الكعبة كالنّقطة، وليتصوّر أنّ صفوف المتوجّهين إليها في الصّلوات كالدّوائر المحيطة بالمركز.

وليتأمّل كم عدد الصّفوف المحيطة بهذه الدّائرة حال اشتغالهم بالصّلاة، ولاشكّ أنّه يحصل فيا بين هؤلاء المصلّين أشخاص أرواحهم علويّة، وقلوبهم قدسيّة، وأسرارهم نورانيّة، وضمائرهم ربّانيّة.

ثمّ إنّ تلك الأرواح الصّافية إذا توجّهت إلى كعبة المعرفة، وأجسادهم توجّهت إلى هذه الكعبة الحسّيّة، فمن كان في الكعبة يتّصل أنوار أرواح أُولئك المتوجّهين بنور روحه، فتزداد الأنوار الإلهيّة في قلبه، ويعظم لمعان الأضواء الرّوحانيّة في سرّه. وهذا بحر عظيم ومقام شريف، وهو ينبّهك على معنى كونه مباركًا.

وأمّا إن فسّرنا «البركة» بالدّوام، فهو أيضًا كذلك، لأنّه لاتنفكّ الكعبة من الطّائفين والعاكفين والرّكّع السّجود.

وأيضًا الأرض كرة، وإذا كان كذلك، فكلّ وقت يمكن أن يُفرض، فهو صبح لقوم، وظهر لثان، وعصر لثالث، ومغرب لرابع، وعشاء لخامس، ومتى كان الأمر كذلك لم تكن الكعبة منفكّة قطّ عن توجّه قوم إليها من طرف من أطراف العالم، لأداء فرض الصّلاة، فكان الدّوام حاصلًا من هذا الجهة.

وأيضًا بقاء الكعبة على هذا الحالة أُلوفًا من السّنين دوام أيضًا؛ فثبت كونه مباركًا من الوجهين. (٨: ١٥٨)

نحوه النّيسابوريّ (٤: ١٢)، والآلوسيّ (٥: ٤).

ابن عربيّ: ذابركة إلهيّة، من الفيض المتّصل منه بجميع الوجود، والقوّة، والحياة. (١: ٢٠٣)

القُرطُبيّ: جعله مباركًا لتضاعف العمل فيه، فالبركة: كثرة الخير.

ونصب على الحال من المضمر في (وُضِعَ)، أو بالظّرف من (بَكَّة)، المعنى الّذي استقرّ ﴿بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾.

ويجوز في غير القرآن مبارك، على أن يكون خبرًا ثانيًا، أو على البدل من (الّذى) أو على إضمار مبتدإ. [إلى أن قال:]

ويجوز في غير القرآن «مبارك» بالخفض، يكون نعتًا للبيت. (٤: ١٣٩)

رشيد رضا: هو بيان لحاله الحسنة الحسّيّة وحاله الشّريفة المعنويّة.

أمّا الأُولى: فهي ماأُفيض عليه من بركات الأرض وثمرات كلّ شيء، على كونه بواد غير ذي زرع، فترى الأقوات والثّمار في مكّة أكثر وأجود، وأقلّ ثمنًا منها في مثل مصر وكثير من بلاد الشّام.

وأمّا الثّانية: فهي هوى أفئدة النّاس إليه، وإتيانه للحجّ والعمرة، مشاةً وركبانًا من كلّ فجّ، وتولية وجوههم شطره في الصّلاة. ولعلّه لاتمرّ ساعة ولادقيقة من ليل أو نهار وليس فيها أُناس متوجّهون إلى ذلك البيت الحرام يصلّون.

فأيّ هداية للعالمين أظهر من هذه الهداية، تلك دعوة إبراهيم ﴿رَبَّنَا اِنّى اَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتى بِوَادٍ غَيْرِ ذى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقيمُوا الصَّلٰوةَ فَاجْعَلْ اَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوى اِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إبراهيم: ٣٧.

وقد أُشير إلى الواصفين في قوله تعالى حكاية عن المشركين: ﴿وَقَالُوا اِنْ نَتَّبِعِ الْهُدٰى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ اَرْضِنَا اَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا اٰمِنًا يُجْبٰى اِلَيْهِ ثَمَرَاتُ

كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
القصص: ٥٧.

وقال بعضهم: إنّ (مُبَارَكًا) يشمل البركات الحسّيّة والمعنويّة، وما اخترناه هو المتبادر. (٤: ٧)

نحوه المَراغيّ. (٤: ٧)

الطَّبَاطَبَائيّ: المباركة «مفاعَلة» من البركة، وهي الخير الكثير. فالمباركة: إفاضة الخير الكثير عليه وجعله فيه.

وهي وإن كانت تشمل البركات الدّنيويّة والأُخرويّة، إلّا أنّ ظاهر مقابلتها مع قوله: ﴿هُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ أنّ المراد بها إفاضة البركات الدّنيويّة، وعمدتها: وفور الأرزاق، وتوفّر الهمم، والدّواعي إلى عمرانه بالحجّ إليه، والحضور عنده، والاحترام له وإكرامه.

فيؤول المعنى إلى مايتضمّنه قوله تعالى في دعوة إبراهيم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ﴾ ... الآية (٣: ٣٥٠)

الحجازيّ: هو مبارك كثير الخيرات؛ إذ هو بصحراء جرداء، وتُجبى إليه ثمرات كلّ شيء، ففيه الفواكه ومن خيرات الله الشّيء الكثير، ولامانع أن يكون كثير البركة في الثّواب والأجر. (٤: ٥)

٢ـ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا اَيْنَ مَا كُنْتُ وَاَوْصَانِي بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ مَادُمْتُ حَيًّا. مريم: ٣١

النّبيّ ﷺ: نفّاعًا حيث كنت.

(الزّمَخْشَريّ ٢: ٥٠٨)

نحوه مُجاهِد. (الطَّبَريّ ١٦: ٨٠)

ابن عَبّاس: مُعَلِّمًا للخير. (٢٥٥)

نحوه مُجاهِد (الطَّبَريّ ١٦: ٨١)، والضّحّاك (ابن عَطيّة ٤: ١٤)، والزّجّاج (٣: ٣٢٨).

الضّحّاك: قاضيًا للحوائج. (الآلوسيّ ١٦: ٨٩)

الحسَن: أكمله الله تعالى عقلًا واستنبأه طفلًا.

(الآلوسيّ ١٦: ٨٩)

الثّوريّ: مَعَلّم الخير، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر. (الآلوسيّ ١٦: ٨٩)

الطَّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: وجعلني نفّاعًا.

وقال آخرون: كانت بركته الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

وقال آخرون: معنى ذلك: جعلني مُعَلِّم الخير.

(١٦: ٨٠)

الفَرّاء: يتعلّم منّي حيثما كنت. (٢: ١٦٧)

الطُّوسيّ: قيل: نفّاعًا، والبركة: نماء الخير، والمبارك: الّذي يُنمي الخير به.

والتّبرّك: طلب البركة بالشّيء، وأصله: التّبرّك من البرك، وهو ثبوت الطّير على الماء. (٧: ١٢٤)

القُشَيْريّ: أي نافعًا للخلق، يرشدهم إلى أُمور دينهم، ويمنعهم من ارتكاب الزّلّة الّتي فيها هلاكهم، ومن استضاء بنوره نجا. فهذه بركاته الّتي كانت تصل إلى الخلق.

ومن بركاته إغاثة الملهوف، وإعانة الضّعيف، ونصرة المظلوم، ومواساة الفقير، وإرشاد الضّالّ، والنّصيحة للخلق، وكفّ الأذى عنهم، وحمل الأذى

منهم. (٤: ٩٩)

الرّاغِب: أي موضع الخيرات الإلهيّة. (٤٤)

المَيْبُديّ: أي آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، معلّمًا للخير.

وقيل: ثابتًا على دين الله، وأصل البركة: الثّبات.

وقيل: بركته: أنّه كان يُحيي الموتى، ويشفي المرضى حيث كان. (٦: ٣٧)

أبوالبَرَكات: منصوب لأنّه مفعول ثان بـ«جعل». (٢: ١٢٥)

الفَخْر الرّازيّ: لقائل أن يقول: كيف جعله (مُبارَكًا) والنّاس كانوا قبله على الملّة الصّحيحة، فلمّا جاء صار بعضهم يهودًا، وبعضهم نصارى قائلين بالتّثليث، ولم يبق على الحقّ إلّا القليل.

والجواب ذكروا في تفسير «المبارك» وجوهًا:

أحدها: أنّ البركة في اللّغة هي الثّبات، وأصله من بُروك البعير، فمعناه: جعلني ثابتًا على دين الله مستقرًّا عليه.

وثانيها: أنّه إنّما كان (مُبارَكًا) لأنّه كان يُعلّم النّاس دينهم، ويدعوهم إلى طريق الحقّ، فإن ضلّوا فمن قِبَل أنفسهم لامِن قِبَله.

وروى الحسن عن النّبيّ ﷺ قال: «أسلَمتْ أمّ عيسى ﵇ عيسى إلى الكتّاب، فقالت للمعلّم: أدفعه إليك على أن لاتضربه.

فقال له المعلّم: اكتُبْ، فقال: أيّ شيء أكتب، فقال: اكتب أبجدْ، فرفع عيسى ﵇ رأسه فقال: هل تدري ماأبجدْ؟ فعلاه بالدُّرّة ليضربه، فقال: يامؤدّب لاتضربني، إن كُنتَ لاتدري فاسألني فأنا أُعلّمك الألف من آلاء الله، والباء من بهاء الله، والجيم من جمال الله، والدّال من أداء الحقّ إلى الله».

وثالثها: البركة: الزّيادة والعلوّ، فكأنّه قال: جعلني في جميع الأحوال غالبًا مفلحًا منجحًا، لأنّي مادمت أبقى في الدّنيا أكون على الغير مستعليًا بالحجّة، فإذا جاء الوقت المعلوم يكرمني الله تعالى بالرّفع إلى السّماء.

ورابعها: مبارك على النّاس؛ بحيث يحصل بسبب دعائي: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص.

عن قَتادَة أنّه رأته امرأة وهو يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، فقالت: طوبى لبطن حملك وثدي أرضعتَ به، فقال عيسى ﵇ مجيبًا لها: طوبى لمن تلا كتاب الله واتّبع مافيه، ولم يكن جبّارًا شقيًّا. (٢١: ٢١٤)

نحوه الشّربينيّ. (٢: ٤٢٥)

القُرطُبيّ: أي ذابركات ومنافع في الدّين والدّعاء إليه ومُعلّمًا له. (١١: ١٠٣)

البَيْضاويّ: نفّاعًا مُعلّمًا للخير. (٢: ٣٣)

نحوه النّسفيّ (٣: ٣٤)، ومثله أبوالسّعود (٤: ٢٣٩)، ونحوه البُرُوسَويّ (٥: ٣٣١)، وشُبّر (٤: ١١٧).

الآلوسيّ: [بعد نقل قول مُجاهِد والضّحّاك والثّوريّ قال:]

والأوّل أولى لعمومه. (١٦: ٨٩)

القاسميّ: أي كثير الخير حيثما وجدت. أُبلّغ وحي ربّي لتقويم النّفوس، وكَبْح الشّهوات، والأخذ بما هو مناط السّعادات. (١١: ٤١٣٦)

المَراغيّ: نفّاعًا للنّاس، أو ثابتًا في دين الله.

(١٦: ٤٧)

أي سيجعلني نفّاعًا للنّاس، هاديًا لهم إلى سبيل الرّشاد، في أيّ مكان كنت، وقد جعل هذه الصّفات كأنّها حدثت له فعلًا، وهي لم تحصل بعدُ، من قبل أنّها لمّا كانت واقعة حتمًا نُزّلت منزلة ماقد حصل.

(١٦: ٤٨)

النّهاونديّ: ثابتًا على الحقّ والدّين، أو مستعليًا بالحجّة وغالبًا مفلحًا، أو معلّمًا للبشر دينهم وجميع مافيه خيرهم. (٣: ٤٩)

الطّباطَبائيّ: كونه عليه السلام (مُبارَكًا) أينما كان، هو كونه محلًّا لكلّ برَكة ـ والبركة: نماء الخير ـ كان نفّاعًا للنّاس يُعلّمهم العلمَ النافع، ويدعوهم إلى العمل الصّالح ويربّيهم تربية زاكية، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويُصلح القويّ ويعُين الضّعيف. (١٤: ٤٧)

عبد المنعم الجمّال: وجعلني ربّي فعّالًا للخير، هاديًا النّاس إلى الصّراط المستقيم، في أيّ مكان كنت، وجعلني ثابتًا على دين الحقّ. (٣: ١٨٤٥)

٣ـ ﴿وَقُلْ رَبِّ اَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبارَكًا وَاَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾. المؤمنون: ٢٩

النّبيّ صلى الله عليه وآله: ياعليّ إذا نزلتَ منزلًا فقل: اللّهمّ أنزلني منزلًا مُباركًا وأنت خير المنزلين، ترزق خيره ويدفع شرّه. (الكاشانيّ ٣: ٣٩٩)

ابن عبّاس: بالماء والشّجر. (٢٨٦)

مُجاهِد: أي إنزالًا مباركًا، أو نزولًا مباركًا بعد الخروج من السّفينة، وذلك تمام النّجاة.

(الطّبْرِسيّ ٤: ١٠٤)

الكَلْبيّ: أنزلني مكانًا مباركًا بالماء والشّجر.

(الطّبْرِسيّ ٤: ١٠٤)

مُقاتِل: معنى البركة أنّهم توالدوا وكثروا.

(الطّبْرِسيّ ٤: ١٠٤)

القُشَيْريّ: الإنزال المبارك: أن يكون بالله ولله، وعلى شهود الله من غير غفلة عن الله، ولامخالفًا لأمر الله.

ويقال: الإنزال المبارك: الاستيعاب بشهود الوصف عنك، ثمّ الاستغراق باستيلاء سلطان القرب عليك، ثمّ الاستهلاك بإحداق أنوار التّجلّي، حتّى لاتبقى عين ولاأثر. فإذا تمّ هذا ودام هذا فهو نزول بساحات الحقيقة مبارك، لأنّك بلاأنت، بكلّيّتك من غير بقيّة، أو أثر عنك. (٤: ٢٤٨)

الرّاغِب: أي حيث يوجد الخير الإلهيّ. (٤٤)

البغَويّ: البركة في السّفينة: النّجاة، وفي النّزول بعد الخروج: كثرة النّسل من أولاده الثّلاثة. (٣: ٣٦٤)

نحوه المَيْبُديّ (٦: ٤٣٤)، والنّسَفيّ (٣: ١١٨)، والخازن (٥: ٣٠).

الزّمَخْشَريّ: طلَب أن يُنزله في السّفينة، أو في الأرض عند خروجه منها مُنْزلًا يبارك له فيه، ويعطيه الزّيادة في خير الدّارين، وأن يشفع الدّعاء بالثّناء عليه المطابق لمسألته، وهو قوله: ﴿وَاَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾.

(٣: ٣١)

نحوه النّيسابوريّ. (١٨: ١٥)

ابن عَرَبيّ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا﴾ هو مقام القلب، الّذي بارك الله فيه بالجمع بين العالمين، وإدراك المعاني الكلّيّة والجزئيّة، وأمنه من طوفان بحر الهيولى، وطغيان مائه. (٢: ١٢٢)

القُرطُبيّ: قال ابن عبّاس ومُجاهد: هذا حين خرج من السّفينة، مثل قوله تعالى: ﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ هود: ٤٨.

وقيل: حين دخلها، فعلى هذا يكون قوله: (مُبَارَكًا) يعني بالسّلامة والنّجاة.

قلت: وبالجملة، فالآية تعليم من الله عزّوجلّ لعباده إذا ركبوا وإذا نزلوا أن يقولوا هذا، بل وإذا دخلوا بيوتهم وسلّموا قالوا.

وروي عن عليّ رضي الله عنه أنّه كان إذا دخل المسجد قال: اللّهمّ أنزلني منزلًا مباركًا وأنت خير المُنزلين. (١٢: ١٢٠)

البَيْضاويّ: يتسبّب لمزيد الخير في الدّارين. (٢: ١٠٦)

نحوه شُبّر (٤: ٢٧٣)، والآلوسيّ (١٨: ٢٨)، والشّربينيّ (٢: ٥٧٨).

أبوالسُّعود: أي إنزالًا أو موضع إنزال، يستتبع خيرًا كثيرًا. (٤: ٤١٢)

النّهاونديّ: إنزالًا مستتبعًا لكلّ خير. قيل: الإنزال المبارك: هو الورود في منزل مأمون من الهواجس النّفسانيّة والوساوس الشّيطانيّة. (٣: ١٦٧)

الطَّباطَبائيّ: ذا خير كثير ثابتٍ، فإنّه خير المُنزلين. (١٥: ٣٠)

الحجازيّ: فيه الخير والبركة. (١٨: ١١)

٤ـ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. ق: ٩

ابن عبّاس: بالنّبات والمنفعة، فيه حياة كلّ شيء. (تنوير المقباس: ٤٣٨)

الطُّوسيّ: يعني مطرًا وغيثًا. (٩: ٣٦٠)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ١٤٢)

الرّاغِب: فبركة ماء السّماء هي ماأنبه عليه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ الزّمر: ٢١، وبقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ المؤمنون: ١٨.

ولمّا كان الخير الإلهيّ يصدر من حيث لايُحَسّ، وعلى وجه لايُحصى ولايُحصر، قيل لكلّ مايشاهد منه زيادة غير محسوسة: هو مبارك، وفيه برَكة، وإلى هذه الزّيادة أُشير بما روي: «أنّه لاينقص مال من صَدَقة». لاإلى النّقصان المحسوس حسب ماقال بعض الخاسرين، حيث قيل له ذلك، فقال: بيني وبينك الميزان. (٤٤)

البغَويّ: كثير الخير، وفيه حياة كلّ شيء، وهو المطر. (٤: ٢٧١)

نحوه الخازن (٦: ١٩٤)، وابن الجَوزيّ (٨: ٧)، وشُبّر (٦: ٦٨).

المَيْبُديّ: أي مطرًا يلبث في أجزاء الأرض فينبع طول السّنة. وقيل: مباركًا للخلق، فيه بركات ومنافع. (٩: ٢٧٧)

الزَّمَخشَريّ: كثير المنافع. (٤: ٤)

نحوه البَيْضاويّ (٢: ٤١٣)، والنَّسَفيّ (٤: ١٧٦)، وأبوحَيّان (٨: ١١٩)، وابن كثير (٦: ٣٩٨)، والكاشانيّ (٥: ٥٩)، والقاسميّ (١٥: ٥٤٨٦)، والمَراغيّ (٢٦: ١٥٥).

ابن عَطيّة: قيل: يعني جميع المطر، كلّه يتّصف بالبركة وإن ضرّ بعضه أحيانًا. ففيه مع ذلك الضّرّ الخاصّ البركة العامّة.

وقال أبوهريرة: كان النّبيّ ﷺ إذا جاء المطر فسالت الميازيب قال: «لامحلّ عليكم العام».

وقال بعض المفسّرين: ﴿مَاءً مُبَارَكًا﴾ يريد به ماءً مخصوصًا خالصًا للبركة، يُنزله الله كلّ سنة، وليس كلّ المطر يتّصف بذلك. (٥: ١٥٨)

القُرطُبيّ: كثير البركة. (١٧: ٦)

نحوه السُّيوطيّ (الجلالين ٢: ٤١٣)، والحجازيّ (٢٦: ٧٢).

ابن جَزّيّ: يعني المطر كلّه، وقيل: الماء المبارك: ماء مخصوص يُنزله الله كلّ سنة، وليس كلّ المطر يتّصف بالمبارك، وهذا ضعيف. (٤: ٦٣)

أبوالسُّعود: أي كثير المنافع. شروع في بيان كيفيّة إنبات ماذكر من كلّ زوج بهيج، وهو عطف على (أَنْبَتْنَا) ومابينهما على الوجه الأخير اعتراض مقرّر لما قبله، ومُنبّه على مابعده. (٦: ١٢٣)

نحوه الآلوسيّ. (٢٦: ١٧٦)

البُرُوسَويّ: أي كثير المنافع؛ حياة الأناسيّ والدّوابّ والأرض الميتة. (٩: ١٠٨)

سيّد قُطْب: الماء النّازل من السّماء آية تُحيي موات القلوب قبل أن تُحيي موات الأرض، ومشهده ذوأثر خاصّ في القلب لاشكّ فيه. وليس الأطفال وحدهم هم الّذين يفرحون بالمطر ويطيرون له خفافًا، فقلوب الكبار الحسّاسين تستروح هذا المشهد وتُصفّق له كقلوب الأطفال الأبرياء، القريبي العهد بالفطرة.

ويصف الماء هنا بالبركة، ويجعله في يد الله سببًا لإنبات جنّات الفاكهة وحبّ الحصيد ـ وهو النّبات المحصود ـ وممّا يُنبته به النّخل. (٦: ٣٣٦٠)

محمّد جواد مَغْنيّة: وصف سبحانه الماء بالبركة، لأنّه لاحياة للأرواح والأجسام بلاماء. (٧: ١٣٠)

الطَّباطَبائيّ: الماء المبارك: المطر، وصف بالمباركة: لكثرة خيراته العائدة إلى الأرض وأهلها. (١٨: ٣٤١)

عبد الكريم الخطيب: في وصف الماء بأنّه مبارك، إشارة إلى مايحمل هذا الماء الّذي كثيرًا ماتستخفّ به العيون، ولاتتملّاه الأبصار، من خيرات ونعم، ولايحصيها المحصون، ولايدرك أسرارها إلّا أُولو الأبصار، من عباد الله.

إنّ قطرات هذا الماء المُنزّل من السّماء هي أرواح تلبّس الأرض، كما تلبس الأرواح عالم الأجساد، فيكون منها هذا الإنسان الّذي يبلغ به الغرور إلى أن يكون إلهًا في الأرض، يأبى أن يُعطي ولاءه لله ربّ العالمين..!! (١٣: ٤٧١)

المُصْطَفَويّ: أي محلّ نزول البركة ومورده. (١: ٢٤٥)

مُبَارَكَة

١ـ اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ...يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ... النّور: ٣٥

البَغَويّ: أراد بالشّجرة المباركة: الزّيتونة، وهي كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة، لأنّ الزّيت يُسرَج به، وهو أضوأ وأصفى الأدهان، وهو إدام وفاكهة. ولايحتاج في استخراجه إلى إعصار، بل كلّ أحد يستخرجه. (٣: ٤١٦)

نحوه الخازن. (٥: ٦٤)

الزّمَخشَريّ: كثيرة المنافع، أو لأنّها تنبت في الأرض الّتي بارك فيها للعالمين. وقيل: بارك فيها سبعون نبيًّا، منهم إبراهيم عليه السلام. (٣: ٦٧)

نحوه الآلوسيّ. (١٨: ١٦٧)

ابن عَطيّة: المنمأة. (٤: ١٨٤)

الطَّبْرِسيّ: تحقيق هذه الجملة يقتضي أنّ الشّجرة المباركة المذكورة في الآية هي: دوحة التّقى والرّضوان، وعِترة الهُدى والإيمان، شجرة أصلها النّبوّة، وفرعها الإمامة، وأغصانها التّنزيل، وأوراقها التّأويل، وخَدَمها جبرائيل وميكائيل. (٤: ١٤٤)

ابن عربيّ: الشّجرة الّتي توقد منها هذه الزّجاجة هي النّفس القدسيّة، المزكّاة الصّافية. شُبّهت بها لتشعّب فروعها، وتفنّن قواها، نابتة من أرض الجسد، ومتعالية أغصانها في فضاء القلب، إلى سماء الرّوح.

وصفت بالبركة لكثرة فوائدها، ومنافعها من ثمرات الأخلاق والأعمال والمدركات، وشدّة نمائها بالتّرقّي في الكمالات، وحصول سعادة الدّارين، وكمال العالمين بها، وتوقّف ظهور الأنوار والأسرار، والمعارف والحقائق، والمقامات والمكاسب، والأحوال والمواهب عليها. (٢: ١٤٠)

القُرطُبيّ: المباركة: المُنَمّاة، والزّيتون من أعظم الثّمار نماء، والرّمّان كذلك، والعيان يقتضي ذلك. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل: من بركتها أنّ أغصانها تورق من أسفلها إلى أعلاها. (١٢: ٢٥٨)

الشِّربينيّ: أي ابتداء توقّده من شجرة الزّيتون المتكاثر نفعه، بأن رويت فتيلة المصباح بزيت الشّجرة. وهي شجرة كثيرة البركة، وفيها منافع كثيرة، لأنّ الزّيت يُسرَج به، ويُدهَن به، وهو إدام، وهو أصفى الأدهان وأضوأها. (٢: ٦٢٢)

أبوالسُّعود: أي كثيرة المنافع، بأن رويت ذبالته بزيتها. وقيل: إنّما وصفت بالبركة لأنّها تنبت في الأرض الّتي بارك الله تعالى فيها للعالمين. (٤: ٤٦٢)

البُرُوسَويّ: أي كثيرة المنافع، لأنّ الزّيت يُسرَج به، وهو إدام ودهان ودباغ، ويوقد بحطب الزّيتون، وبثفله ورماده يُغسل به الأبريسم، ولايحتاج في استخراج دُهنه إلى عصار. وفيه زيادة الإشراق وقلّة الدّخان، وهو مصحّة من الباسور. (٦: ١٥٥)

النّهاونديّ: عظيمة النّفع، أو النّامية في الأرض المباركة. (٣: ٢٠٣)

٢ـ...فَاِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلٰى اَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً... النّور: ٦١

ابن عبّاس: (مُبَارَكَةً) بالثّواب. (طَيِّبَةً) بالمغفرة. (٢٩٩)

حسنة جميلة. (البغويّ ٣: ٤٣٢)

الضّحّاك: معنى البركة فيه: تضعيف الثّواب. (الفخر الرّازيّ ٢٤: ٣٨)

مُقاتِل: (مُبَارَكَةً) بالأجر. (ابن الجوزيّ ٦: ٦٧)

الزّجّاج: أعلم الله أنّ السّلام مبارك ثابت، لما فيه من الأجر والثّواب، وأنّه إذا أطاع الله فيه أكثر خيره وأجزل أجره. (الفخر الرّازيّ ٢٤: ٣٨)

البغويّ: قيل: ذكر البركة والطّيّبة هاهنا لما فيه من الثّواب والأجر. (٣: ٤٣٢)

الزّمخشريّ: وصفها (تَحِيَّةً) بالبركة والطّيب، لأنّها دعوة مؤمن لمؤمن، يُرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرّزق. (٣: ٧٨)

نحوه النّيسابوريّ. (١٨: ١٣١)

الطّبرسيّ: أي إذا ألزمتموها كثُر خيركم وطاب أجركم.

قيل: إنّما قال: (مُبَارَكَةً) لأنّ معنى السّلام عليكم: حفظكم الله وسلّمكم الله من الآفات، فهو دعاء بالسّلامة من آفات الدّنيا والآخرة. (٤: ١٥٧)

أبو السّعود: مستتبعة لزيادة الخير والثّواب ودوامها. (٤: ٤٨٦)

نحوه البُرُوسَويّ (٦: ١٨٢)، والقاسميّ (١٢: ٤٥٥٦)، والنّهاونديّ (٣: ٢١٦).

شُبّر: لأنّها دعاء بالسّلامة من آفات الدّارين. (٤: ٣٣٧)

الطّباطبائيّ: أي حال كون السّلام تحيّة من عند الله، برعها الله وأنزل حكمها ليُحيّي بها المسلمون، وهو مبارك ذو خير كثير باق، وطيّب يلائم النّفس، فإنّ حقيقة هذه التّحيّة بسط الأمن والسّلامة على المسلَّم عليه، وهو أطيب أمر يشترك فيه المجتمعان. (١٥: ١٦٥)

طه الدُّرَّة: لأنّها تُرجى بها زيادة الخير، وتكثير الحسنات، ورفع الدّرجات في الجنّة. (٦: ٥٥٩)

الحجازيّ: نامية كثيرة الخيرات والبركات. (١٨: ٨٠)

٣ـ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾. الدّخان: ٣

الطُّوسيّ: البركة: نماء الخير، وضدّه الشّؤم وهو نماء الشّرّ، فاللّيلة الّتي أُنزل فيها كتاب الله مباركة، فإنّ الخير يُنمى فيها، على مادبّره الله لها من علوّ الخير الّذي قسمه فيها. (٩: ٢٢٤)

الزّمخشريّ: المباركة: الكثيرة الخير، لما يُتيح الله فيها من الأُمور الّتي يتعلّق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم، ولو لم يوجد فيها إلّا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة. (٣: ٥٠٠)

نحوه أبوحيّان. (٨: ٣٣)

الفخر الرّازيّ: اعلم أنّ المقصود منها تعظيم القرآن من ثلاثة أوجه:

أحدها: بيان تعظيم القرآن بحسب ذاته.

الثّاني: بيان تعظيمه بسبب شرف الوقت الّذي

نزل فيه.

والثّالث: بيان تظيمه بحسب شرف منزله.

أمّا بيان تظيمه بحسب ذاته فن ثلاثة أوجه:

أحدها: أنّه تعالى أقسم به، وذلك يدلّ على شرفه.

وثانيها: أنّه تعالى أقسم به على كونه نازلًا في ليلة مباركة، وقد ذكرنا أنّ القسم بالشّيء على حالة من أحوال نفسه يدلّ على كونه في غاية الشّرف.

وثالثها: أنّه تعالى وصفه بكونه مبيّنًا، وذلك يدلّ أيضًا على شرفه في ذاته.

وأمّا بيان شرفه لأجل شرف الوقت الّذي أُنزل فيه فهو قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ وهذا تنبيه على أنّ نزوله في (لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) يقتضي شرفه وجلالته.

ثمّ نقول: إنّ قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ يقتضي أمرين: أحدهما: أنّه تعالى أنزله، والثّاني: كون تلك اللّيلة (مُبَارَكَةٍ) فذكر تعالى عقيب هذه الكلمة مايجري مجرى البيان لكلّ واحد منها.

أمّا بيان أنّه تعالى لِمَ أنزله، فهو قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ يعني الحكمة في إنزال هذه السّورة: أنّ إنذار الخلق لايتمّ إلّا به.

وأمّا بيان أنّ هذه اللّيلة ليلة مباركة فهو أمران:

أحدهما: أنّه تعالى ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ الدّخان: ٤.

والثّاني: أنّ ذلك الأمر الحكيم يكون مخصوصًا بشرف أنّه إنّما يظهر من عنده، وإليه الإشارة بقوله: ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ الدّخان: ٥. (٢٧: ٢٣٩)

النّسفيّ: المباركة: الكثيرة الخير لما يُنزل فيها من الخير والبركة، ويستجاب من الدّعاء، ولو لم يوجد فيها إلّا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة. (٤: ١٢٦)

نحوه النّيسابوريّ. (٢٥: ٦٥)

أبوالسّعود: وصفها بالبركة لما أنّ نزول القرآن مستتبع للمنافع الدّينيّة والدّنيويّة بأجمعها، أو لما فيها من تنزّل الملائكة والرّحمة، وإجابة الدّعوة، وقسم النّعمة، وفصل الأقضية، وفضيلة العبادة، وإعطاء تمام الشّفاعة لرسول اللهﷺ.

وقيل: يزيد في هذه اللّيلة ماء زمزم زيادة ظاهرة. (٦: ٤٧)

نحوه الآلوسيّ. (٢٥: ١١٢)

البُرُوسَويّ: قال بعض المفسّرين: المراد من اللّيلة المباركة: ليلة النّصف من شعبان، ولها أربعة أسماء: الأوّل: اللّيلة المباركة، لكثرة خيرها وبركتها على العالمين، فيها الخير، وإنّ بركات جماله تعالى تصل إلى كلّ ذرّة من العرش إلى الثّرى، كما في ليلة القدر. وفي تلك اللّيلة اجتماع جميع الملائكة في حظيرة القدس. (٨: ٤٠٢)

القاسميّ: البركة: اليُمن. ولاريب أنّها كانت أبرك ليلة وأيمنها على العالمين، بتنزيل مافيه الحكمة والهدى، والنّجاة من الضّلال والرّدى.

قال القاشانيّ: ووصفها بالمباركة، لظهور الرّحمة والبركة، والهداية والعدالة في العالم بسببها، وازدياد رتبتهﷺ وكماله بها، كما سمّاها ليلة القدر لأنّ قدره وكماله إنّما ظهر بها. (١٤: ٥٢٩٣)

الطّباطبائيّ: المراد باللّيلة المباركة الّتي نزل فيها

القرآن: ليلة القدر، على مايدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر: ١، وكونها مباركة ظرفيّتها للخير الّذي ينبسط على الخلق من الرّحمة الواسعة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرٰيكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ القدر: ٢، ٣. (١٨: ١٣٠)

٤ـ فَلَمَّا أَتٰيهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ. القصص: ٣٠

راجع «ب ق ع».

بَرَكَات

١ـ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرٰى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ... الأعراف: ٩٦

ابن عبّاس: بالمطر. (تنوير المقباس: ١٣٣)

الزّجّاج: أي أتاهم الغيث من السّماء، والنّبات من الأرض، وجعل ذلك زاكيًا كثيرًا. (٢: ٣٦٠)

الطّوسيّ: هي الخيرات النّامية، وأصله: الثّبوت، فنموّ الخير يكون كناية عن ثبوته بدوامه؛ فبركات السّماء: بالقطر، وبركات الأرض: بالنّبات والثّمار. كما وعد نوح بذلك أُمّته، فقال: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا...﴾ هود: ٥٢.

وقيل: بركات السّماء: إجابة الدّعاء، وبركات الأرض: تيسير الحوائج. (٤: ٥٠٨)

البغويّ: يعني المطر من السّماء، والنّبات من الأرض. وأصل البركة: المواظبة على الشّيء، أي تابعنا عليهم المطر والنّبات، ورفعنا عنهم القحط والجدب. (٢: ٢١٦)

الزّمخشريّ: لآتيناهم بالخير من كلّ وجه. وقيل: المراد: المطر والنّبات. (٢: ٩٨)

نحوه البيضاويّ (١: ٣٦٦)، والنّسفيّ (٢: ٦٦)، والنّيسابوريّ (٩: ١٤).

الفخر الرّازيّ: بركات السّماء: بالمطر، وبركات الأرض: بالنّبات والثّمار، وكثرة المواشي والأنعام، وحصول الأمن والسّلامة؛ وذلك لأنّ السّماء تجري مجرى الأب، والأرض تجري مجرى الأُمّ، ومنهما يحصل جميع المنافع والخيرات بخلق الله تعالى وتدبيره. (١٤: ١٨٥)

الخازن: فبركات السّماء: المطر، وبركات الأرض: النّبات والثّمار، وجميع مافيها من الخيرات والأنعام والأرزاق والأمن والسّلامة من الآفات، وكلّ ذلك من فضل الله تعالى وإحسانه على عباده.

وأصل البركة: ثبوت الخير الإلهيّ في الشّيء، وسمّي المطر بركة السّماء، لثبوت البركة فيه، وكذا ثبوت البركة في نبات الأرض، لأنّه نشأ عن بركات السّماء وهي المطر. (٢: ٢١٨)

نحوه الشّربينيّ. (١: ٤٩٦)

أبوالسّعود: لوسّعنا عليهم الخير ويسّرناه لهم من كلّ جانب، مكان ماأصابهم من فنون العقوبات الّتي بعضها من السّماء وبعضها من الأرض. (٣: ٩)

نحوه الكاشانيّ (٢: ٢٢١)، والبروسويّ (٣: ٢٠٦).

رشيد رضا: المعنى لفتحنا عليهم أنواعًا من بركات السّماء والأرض، لم يعهدوها مجتمعة ولامتفرّقة.

فإذا أُريد ببركات السّماء: معارف الوحي العقليّة،

وأنوار الإيمان الرّوحانيّة، ونفحات الإلهامات الرّبّانيّة، فالمعنى: أنّ فائدة الإيمان وإتّباع الرّسل عليهم السلام تكون تكميل الفطرة البشريّة روحًا وجسدًا، وغايته سعادة الدّارين: الدّنيا والآخرة.

وإذا أُريد ببركات السّماء: المطر، وببركات الأرض: النّبات ـ كما قيل ـ فالمعنى: أنّها أبواب نعم تكون بركات لهم، غير الّتي عهدوا في صفتها ونمائها وثباتها، وحالتهم فيها وأثرها فيهم، وبذلك تكون بركات. فإنّ مادّة البركة تدلّ على السّعة والزّكاء من: بركة الماء، وعلى الثّبات والاستقرار من: بَرَك البعير.

ألم تقرأ أو تسمع قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هود: ٤٨، فخصّ المؤمنين بالبركات، وجعل نعمة الدّنيا متاعًا موقّتًا للكافرين يتلوه العذاب، ولذلك لم يعطفهم على من قبلهم.

روي عن محمّد بن كعب القُرَظيّ: أنّه دخل في تلك البركات كلّ مؤمن ومؤمنة، وفي ذلك المتاع والعذاب الأليم كلّ كافر وكافرة.

وعن الضّحّاك قال: ﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ يعني ممّن لم يولد أوجب لهم البركات، لما سبق لهم في علم الله من السّعادة ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ يعني متاع الحياة الدّنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لما سبق لهم في علم الله من الشّقاوة.

فالقاعدة المقرّرة في القرآن: أنّ الإيمان الصّحيح ودين الحقّ سبب لسعادة الدّنيا ونعمتها بالحقّ والاستحقاق.

وأنّ الكفّار قد يشار كونهم في المادّيّ منها، كما قال تعالى فيهم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٤٤، فذلك الفتح ابتلاء واختبار لحالهم، كان أثره فيهم فرحَ البطرِ والأشرِ، بدلًا من الشّكر، وترتّب عليه العقاب الإلهيّ، فكان نقمة لانعمة، وفتنة لابركة.

وأمّا المؤمنون فإنّ مايُفتح عليهم يكون بركة ونعمة، ويكون أثره فيهم الشّكر لله عليه، والرّضا منه، والاغتباط بفضله، واستعماله في سبيل الخير دون الشّرّ، وفي الإصلاح دون الإفساد، ويكون جزاؤهم عليه من الله تعالى زيادة النّعم ونموّها في الدّنيا، وحسن الثّواب عليها في الآخرة.

فالفارق بين الفتحين يؤخذ من جعل هذا من البركات الرّبّانيّة، ومن تنكيره الدّالّ على أنواع لم يعهدها الكفّار.

وممّا ورد في الآيات الأُخرى الدّالّة على أنّ غاية هداية الإيمان الجمع بين سعادة الدّنيا والآخرة، كقوله تعالى خطابًا للبشر موجّهًا لأبويهم من قصّة آدم في سورة طه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه: ١٢٣، ١٢٤.

وقوله في خطاب بني آدم من هذه السّورة، بعد ذكر قصّته المبيّنة لخواصّ هذا النّوع وحكم الله في خلقه، والأُصول العامّة لدين الرّسل الّذين يبعثهم لهدايته:

﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَاتُسْرِفُوا إِنَّهُ لَايُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ* قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيٰمَةِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. الأعراف: ٣١، ٣٢.

فراجع تفسيرهما في الجزء الثّامن من التّفسير، فهذا بيان لكون أصل الدّين يقتضي سعادة الدّنيا قبل الآخرة، من أوّل النّشأة البشريّة في عهد آدم، وتقدّم آنفًا ماأنزله تعالى على نوح، وهو الأب الثّاني للبشر، وقال تعالى حكاية عن هود: ﴿وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ هود: ٥٢.

وهذه الآيات كلّها حجج على أعداء الإسلام من المنتمين إليه ومن غيرهم، الزّاعمين أنّه ـ وكذا كلّ دين إلهيّ ـ سبب للضّعف والفقر. (٩: ٢٤)

نحوه المَراغيّ (٩: ١٤)

النّهاونديّ: كثيرة (مِنَ السَّمَاءِ) بالأمطار النّافعة، ومن (الْأَرْضِ) بإنبات النّباتات الكثيرة والثّمار والزّروع، وإكثار المواشي، وإدامة الأمن والسّلامة، ولوسّعنا عليهم جميع الخيرات، ويسّرناها لهم من كلّ جانب. (٢: ٣٢)

سيّد قُطْب: التّعبير القرآنيّ بعمومه وشموله يلقي ظلال الفيض الغامر، الّذي لايتخصّص بما يعهده البشر من الأرزاق والأقوات.

وأمام هذا النّصّ ـ والنّصّ الّذي قبله ـ نقف أمام حقيقة من حقائق العقيدة وحقائق الحياة البشريّة والكونيّة سواء. وأمام عامل من العوامل المؤثّرة في تاريخ الإنسان، تغفل عنه المذاهب الوضعيّة وتغفله كلّ الإغفال، بل تنكره كلّ الإنكار.

إنّ العقيدة الإيمانيّة في الله وتقواه، ليست مسألة منعزلة عن واقع الحياة، وعن خطّ تاريخ الإنسان. إنّ الإيمان بالله وتقواه، ليؤهّلان لفيض من بركات السّماء والأرض. وعدًا من الله. ومَن أوفى بعهده من الله؟

ونحن ـ المؤمنين بالله ـ نتلقّ هذا الوعد بقلب المؤمن، فنصدّقه ابتداءً، لانسأل عن علله وأسبابه، ولانتردّد لحظة في توقّع مدلوله. نحن نؤمن بالله ـ بالغيب ـ ونصدّق بوعده بمقتضى هذا الإيمان، ثمّ ننظر إلى وعد الله نظرة التّدبّر ـ كما يأمرنا إيماننا كذلك ـ فنجد علّته وسببه.

إنّ الإيمان بالله دليل على حيويّة في الفطرة؛ وسلامة في أجهزة الاستقبال الفطريّة، وصدق في الإدراك الإنسانيّ، وحيويّة في البنية البشريّة، ورحابة في مجال الإحساس بحقائق الوجود، وهذه كلّها من مؤهّلات النّجاح في الحياة الواقعيّة.

والإيمان بالله قوّة دافعة دافقة، تجمع جوانب الكينونة البشريّة كلّها، وتتّجه بها إلى وجهة واحدة، وتطلقها تستمدّ من قوّة الله، وتعمل لتحقيق مشيئته في خلافة الأرض وعمارتها، وفي دفع الفساد والفتنة عنها، وفي ترقية الحياة ونمائها. وهذه كذلك من مؤهّلات النّجاح في الحياة الواقعيّة.

والإيمان بالله تحرّر من العبوديّة للهوى ومن العبوديّة للعبيد، ومامن شكّ أنّ الإنسان المتحرّر

بالعبوديّة لله، أقدر على الخلافة في الأرض خلافة راشدة صاعدة، من العبيد للهوى ولبعضهم بعضًا.

وتقوى الله يَقَظَة واعية تصون من الاندفاع والتهوّر والشّطط والغرور، في دفعة الحركة ودفعة الحياة، وتوجّه الجهد البشريّ في حذر وتحرّج، فلايعتدي، ولايتهوّر، ولايتجاوز حدود النّشاط الصّالح.

وحين تسير الحياة متناسقة بين الدّوافع والكوابح، عاملة في الأرض، متطلّعة إلى السّماء، متحرّرة من الهوى والطّغيان البشريّ، عابدة خاشعة لله، تسير سيرة صالحة منتجة تستحقّ مدد الله بعد رضاه. فلاجرم تحفّها البركة، ويعمّها الخير، ويظلّها الفلاح. والمسألة ـ من هذا الجانب ـ مسألة واقع منظور ـ إلى جانب لطف الله المستور ـ واقع له علله وأسبابه الظّاهرة، إلى جانب قدر الله الغيبيّ الموعود.

والبركات الّتي يَعِد الله بها الّذين يؤمنون ويتّقون، في توكيد ويقين، ألوان شتّى لايفصلها النّصّ ولايحدّدها.

وإيحاء النّصّ القرآنيّ يصوّر الفيض الهابط من كلّ مكان، النّابع من كلّ مكان، بلاتحديد ولاتفصيل ولابيان. فهي البركات بكلّ أنواعها وألوانها وبكلّ صورها وأشكالها، مايعهده النّاس ومايتخيّلونه، ومالم يتهيّأ لهم في واقع ولاخيال!

والّذين يتصوّرون الإيمان بالله وتقواه مسألة تعبّديّة بحتة، لاصلة لها بواقع النّاس في الأرض، لايعرفون الإيمان ولايعرفون الحياة. وماأجدرهم أن ينظروا هذه الصّلة قائمة يشهد بها الله ـ سبحانه ـ وكفى بالله شهيدًا، ويحقّقها النّظر بأسبابها الّتي يعرفها النّاس

﴿وَلَوْ اَنَّ اَهْلَ الْقُرٰى اٰمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ وَلٰكِنْ كَذَّبُوا فَاَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الأعراف: ٩٦.

ولقد ينظر بعض النّاس فيرى أُممًا ـ يقولون: إنّهم مسلمون ـ مُضيّقًا عليهم في الرّزق، لايجدون إلّا الجدب والمحق، ويرى أُممًا لايؤمنون ولايتّقون، مفتوحًا عليهم في الرّزق والقوّة والنّفوذ، فيتساءل: وأين إذن هي السّنّة الّتي لاتتخلّف؟ ولكن هذا وذلك وهم تخيّله ظواهر الأحوال.

إنّ أُولئك الّذين يقولون: إنّهم مسلمون، لامؤمنون ولامتّقون، إنّهم لايخلصون عبوديّتهم لله، ولايحقّقون في واقعهم شهادة أن لاإله إلّا الله. إنّهم يُسلّمون رقابهم لعبيد منهم، يتألّهون عليهم، ويُشرّعون لهم سواء القوانين أو القيم والتّقاليد، وماأُولئك بالمؤمنين.

فالمؤمن لايدع عبدًا من العبيد يتألّه عليه، ولايجعل عبدًا من العبيد ربّه الّذي يصرف حياته بشرعه وأمره. ويوم كان أسلاف هؤلاء الّذين يزعمون الإيمان مسلمين حقًّا، دانت لهم الدّنيا، وفاضت عليهم بركات من السّماء والأرض، وتحقّق لهم وعد الله.

فأمّا أُولئك المفتوح عليهم في الرّزق، فهذه هي السّنّة: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتّٰى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ اٰبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ الأعراف: ٩٥. فهو الابتلاء بالنّعمة الّذي مرّ ذكره، وهو أخطر من الابتلاء بالشّدّة. وفرق بينه وبين البركات الّتي يعدها الله من يؤمنون ويتّقون، فالبركة قد تكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به، وكان معه الصّلاح والأمن والرّضى

والارتياح. وكم من أمّة غنيّة قويّة ولكنّها تعيش في شقوة، مهدّدة في أمنها، مقطّعة الأواصر بينها، يسود النّاس فيها القلق، وينتظرها الانحلال. فهي قوّة بلاأمن، وهو متاع بلارضى، وهي وفرة بلاصلاح، وهو حاضر زاوٍ يترقّبه مستقبل نكد، وهو الابتلاء الّذي يعقبه النّكال.

إنّ البركات الحاصلة مع الإيمان والتّقوى، بركات في الأشياء، وبركات في النّفوس، وبركات في المشاعر، وبركات في طيّبات الحياة، بركات تنمي الحياة وترفعها في آن، وليست مجرّد وفرة مع الشّقوة، والتّردّي والانحلال. (٣: ١٣٣٨)

الطّباطبائيّ: البركات: أنواع الخير الكثير، ربّما يبتلي الإنسان بفقده كالأمن والرّخاء والصّحّة والمال والأولاد وغير ذلك.

وقوله: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الأعراف: ٩٦، فيه استعارة بالكناية، فقد شبّهت البركات بمجاري تجري منها عليهم كلّ مايتنعّمون به من نعم الله، لكنّها سدّت دونهم فلايجري عليهم منها شيء، لكنّهم لو آمنوا واتّقوا لفتحها الله سبحانه، فجرى عليهم منها بركات السّماء من الأمطار والثّلوج والحرّ والبرد، وغير ذلك كلّ في موقعه، وبالمقدار النّافع منه، وبركات الأرض من النّبات والفواكه والأمن وغيرها.

ففي الكلام استعارة المجاري للبركات، ثمّ ذكر بعض لوازمه وآثاره، وهو الفتح للمستعار له. (٨: ٢٠١)

عبد الكريم الخطيب: هو تعقيب على ماحلّ بالظّالمين من بلاء ونكال، ثمّ هو وعيد للمشركين من أهل مكّة، وماحولها من القرى.

فهؤلاء الّذين أُخذوا بظلمهم، لو أنّهم آمنوا بالله، وصدّقوا رسُله، واتّقوا محارم الله، وأقاموا شريعته، لكانوا في عافية من أمرهم، وفي سعة من رزقهم، ولفتّح الله عليهم بركات من السّماء الّتي رمتهم بالصّواعق، وبركات من الأرض الّتي زُلزلت بهم، ورجفت، وفغرت أفواهها لابتلاعهم. أفلايكون في هؤلاء القوم عبرة لمعتبر، وذكرى لمن يتذكّر؟ وماذا تنتظر أمّ القُرى ومَن حولها، وقد استغلظ فيها الشّرك، وعاث فيها المشركون؟

والسّؤال هنا: هل من مقتضى الإيمان والتّقوى أن تُفتح على المؤمن التّقيّ بركاتٌ من السّماء والأرض؟ أو بمعنى آخر: هل المؤمنون الأتقياء هم أكثر النّاس رزقًا وأوفرهم مالًا؟ وكيف؟

والمشاهد أنّ الّذين يجتمع إلى أيديهم الغِنى والجاه والسّلطان، هم الّذين لايؤمنون بالله، أو الّذين يؤمنون به ولكن لايتّقونه ولايوقّرون حرماته!

فما تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ الأعراف: ٩٦.

والجواب: أنّ المؤمن بالله، المتّقي لحرماته، هو أكثر النّاس غنًى في قلبه، وقناعة في نفسه، ورضى بمقدّره. فالقليل في يد المؤمن التّقيّ هو كثير مبارك فيه، يسدّ حاجته، ويجلي عن نفسه هموم الدّنيا، ويقيمه على رضى دائم واطمئنان متّصل، وسلام مقيم مع نفسه ومع

النّاس، ومع الوجود كلّه.

وهذا هو السّرّ في وصف الرّزق المنزل من السّماء، والنّابت من الأرض بالبركة. فهو رزق ممسوس بنفحات البركة الّتي تجعل القليل كثيرًا، ينمو على الإنفاق، كما تنمو النّبتة المباركة في الأرض الطّيّبة.

فالمجتمع المؤمن التّقيّ، مجتمع مثاليّ في حياته. ومايرفّ عليها من أرواح السّلام، والأمن والاستقرار؛ حيث لاظلم ولابغي ولاعدوان، وحيث النّاس إخوان على طريق الله، وعلى التّناصح والتّواصي بالحقّ والخير.

فأيّ بركة أعظم من تلك البركة، وأيّ حياة أطيب وأكرم من هذه الحياة، الّتي يجتمع فيها الإنسان إلى الإنسان، بقلب سليم، ونفس مطمئنّة، لايحمل لأحد شرًّا، ولايتربّص له أحد بسوء؟

وفي هذا يقول الشّاعر العربيّ:

لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها ولكنّ أخلاق الرّجال تضيق

فحيث كان الإيمان والتّقى، كان الإخاء والأمن والسّلام والعافية. (٥: ٤٣٩)

المُصْطَفَويّ: أي فيوضات مادّيّة ومعنويّة. (١: ٢٤٥)

٢ـ قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ... هود: ٤٨

ابن عَبّاس: سعادات. (١٨٦)

نحوه الفَرّاء. (٢: ١٨)

الطَّبَريّ: وعلى قرون تجيء من ذرّيّة من معك من ولدك، فهؤلاء المؤمنون من ذرّيّة نوح، الّذين سبقت لهم من الله السّعادة، وبارك عليهم قبل أن يخلقهم في بطون أمّهاتهم وأصلاب آبائهم. (١٢: ٥٥)

الطُّوسيّ: معناه ونِعَم دائمة وخير ثابت حالًا بعد حال. وأصله الثّبوت، فمنه البروك والبركة، لثبوت الماء فيها. [ثمّ استشهد بشعر] (٥: ٥٦٩)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٣: ١٦٨)، وشُبَّر (٣: ٢٢٢).

الزَّمَخْشَريّ: مباركًا عليك. والبركات: الخيرات النّامية. وقُرئ (وبَرَكَة) على التّوحيد. (٢: ٢٧٤)

نحوه أبوحَيّان (٥: ٢٣١)، والكاشانيّ (٢: ٤٥١).

ابن عَطيّة: الخير والنّموّ في كلّ الجهات. (٣: ١٧٩)

ابن الجَوْزيّ: قال المفسّرون: البركات عليه: أنّه صار أبًا للبشر جميعًا، لأنّ جميع الخلق من نسله. (٤: ١١٥)

الفَخْر الرّازيّ: إنّه تعالى لمّا وعده بالسّلامة أردفه بأن وعده بالبركة، وهي عبارة عن الدّوام والبقاء، والثّبات ونيل الأمل. ومنه بُروك الإبل، ومنه البِرْكة لثبوت الماء فيه، ومنه تبارك وتعالى، أي ثبت تعظيمه، ثمّ اختلف المفسّرون في تفسير هذا الثّبات والبقاء.

فالقول الأوّل: أنّه تعالى صيّر نوحًا أباالبشر، لأنّ جميع من بقي كانوا من نسله. وعند هذا قال هذا القائل: إنّه لمّا خرج نوح من السّفينة مات كلّ من كان معه ممّن لم يكن من ذرّيّته، ولم يحصل النّسل إلّا من ذرّيّته، فالخلق كلّهم من نسله وذرّيّته. وقال آخرون: لم يكن في سفينة نوح عليه السلام إلّا من كان من نسله وذرّيّته.

وعلى التّقديرين فالخلق كلّهم إنّما تولّدوا منه ومن أولاده، والدّليل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ الصّافّات: ٧٧؛ فثبت أنّ نوحًا عليه السلام كان آدم الأصغر، فهذا هو المراد من «البركات» الّتي وعده الله بها.

والقول الثّاني: أنّه تعالى لمّا وعده بالسّلامة من الآفات، وعده بأنّ موجبات السّلامة والرّاحة والفراغة، يكون في التّزايد والثّبات والاستقرار. (١٨: ٦)

نحوه الشّربينيّ. (٢: ٦٢)

ابن عربيّ: بتقنين قوانين الشّرع، وتأسيس قواعد العدل الّذي ينمو به كلّ شيء ويزيد. (١: ٥٦٧)

القُرطُبيّ: أي نِعَم ثابتة، مشتقّ من: بُروك الجمل، وهو ثبوته وإقامته. (٩: ٤٨)

البَيْضاويّ: مباركًا عليك، أو زيادات في نسلك، حتّى تصير آدمًا ثانيًا. وقرئ (اهْبُط) بالضّمّ، (وَبَرَكَة) على التّوحيد، وهو الخير النّامي. (١: ٤٧٠)

النَّسَفيّ: هي الخيرات النّامية، وهي في حقّه بكثرة ذرّيّته وأتباعه، فقد جعل أكثر الأنبياء من ذرّيّته، وأئمّة الدّين في القرون الباقية من نسله. (٢: ١٩٢)

أبو السُّعود: أي خيرات نامية في نسلك، ومايقوم به معاشك ومعاشهم من أنواع الأرزاق.

وقرئ (بَرَكَة) وهذا إعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته، وخلاصه من الخسران، بفيضان أنواع الخيرات عليه، في كلّ مايأتي ومايذر. (٣: ٣٢٠)

نحوه البُرُوسَويّ. (٤: ١٤١)

الآلوسيّ: أي خيرات نامية في نسلك، ومايقوم به معاشك ومعاشهم من أنواع الأرزاق، أو مباركًا عليك، أي مدعوًّا لك بالبركة، بأن يقال: بارك الله تعالى فيك، وهو مناسب لكون السّلام بمعنى التّسليم، فيكون كقوله: السّلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته. [إلى أن قال:]

وحكي عبد العزيز بن يحيى عن الكِسائيّ أنّه قرأ (وَبَرَكَة) بالتوحيد، وفي الآية على القراءتين صنعة الاحتباك، لأنّه حذف من الثّاني ماذكر في الأوّل، وذكر فيه ماحذف من الأوّل، والتّقدير: سلام منّا عليك وبركات، أو بركة منّا عليك.

وهذا منه تعالى إعلام وبشارة بقبول توبته عليه السلام، وخلاصه من الخسران، مع الإشارة إلى عود الأرض إلى حالها من الإنبات وغيره. (١٢: ٧٣)

الطَّباطَبائيّ: تبديل البركة في آخر الآية إلى التّمتّع، يدلّ على أنّ المراد بـ«البركات» ليس مطلق النّعم وأمتعة الحياة، بل النّعم من حيث تسوق الإنسان إلى الخير والسّعادة والعاقبة المحمودة. (١٠: ٢٣٩)

بَرَكَاتُه

قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. هود: ٧٣

ابن عَبّاس: سعاداته. (تنوير المقباس: ١٨٨)

مثله الفَرّاء. (٢: ٢٣)

الطَّبَريّ: رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت إبراهيم. (١٢: ٧٧)

الأزهَريّ: البركات: السّعادة.

وكذلك قوله في التّشهّد: السّلام عليك أيّها النّبيّ ورحمة الله وبركاته، لأنّ من أسعده الله بما أسعد به

النّبيّ ﷺ فقد نال السّعادة، المباركة الدّائمة.

(١٠: ٢٣١)

القُشَيْريّ: البركة: الزّيادة، فقد اتّصل النّسل من الخليل، وبنو إسرائيل منهم وهم خلق كثير، والعرب من أولاد إسماعيل وهم الجمّ الغفير. (٣: ١٤٧)

الزّمَخشَريّ: قيل: الرّحمة: النّبوّة، والبركات: الأسباط من بني إسرائيل، لأنّ الأنبياء منهم، وكلّهم من وُلد إبراهيم. (٢: ٢٨١)

نحوه ابن الجَوْزيّ (٤: ١٣٣)، والنّسَفيّ (٢: ١٩٧).

الفَخْر الرّازيّ: المقصود من هذا الكلام ذكر مايزيل ذلك التّعجّب، وتقديره: إنّ رحمة الله عليكم متكاثرة، وبركاته لديكم متوالية متعاقبة، وهي النّبوّة والمعجزات القاهرة، والتّوفيق للخيرات العظيمة.

(١٨: ٢٨)

القُرطُبيّ: البركة: النّموّ والزّيادة. ومن تلك البركات أنّ جميع الأنبياء والمرسلين كانوا في وُلد إبراهيم وسارة. (٩: ٧١)

أبوحَيّان: قيل: رحمته: تحيّته، وبركاته: فواضل خيره بالخُلّة والإمامة. (٥: ٢٤٤)

أبوالسُّعود: أي خيراته النّامية المتكاثرة ـ في كلّ باب ـ الّتي من جملتها هبة الأولاد. (٣: ٣٣٤)

نحوه البُرُوسَويّ (٤: ١٦٤)، والآلوسيّ (١٢: ١٠١).

تَبارَكَ

١ـ...أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

الأعراف: ٥٤

ابن عَبّاس: ﴿تَبَارَكَ اللهُ﴾: ذوبركة، ويقال: تعالى الله، ويقال: تبرّأ. (تنوير المقباس: ١٢٩)

جاء بكلّ بركة. (البَغَويّ ٢: ١٩٨)

تفاعَل من البركة. (ابن الجَوْزيّ ٣: ٢١٤)

نحوه الفَرّاء (ابن الجَوْزيّ ٣: ٢١٤)، والزّجّاج (الأزهَريّ ١٠: ٢٣٠).

الحسَن: تجيء البركة من عنده.

(البَغَويّ ٢: ١٩٨)

اللّيث: تمجيدٌ وتعظيم. (الأزهَريّ ١٠: ٢٣٠)

المُبَرِّد: تبارك: ارتفع، والمتبارِك: المرتفع.

(ابن الجَوْزيّ ٣: ٢١٤)

أبومالك: «افتعل» من البركة.

(ابن الجَوْزيّ ٣: ٢١٤)

حسين بن فضل: تبارك في ذاته، وبارك في خلقه.

(أبوالفتوح ٢: ٤٠٢)

ابن الأنباريّ: أنّ المعنى: باسمه يُتبرّك في كلّ شيء، أنّ معنى (تَبارَك): تقدّس، أي تطهّر.

(ابن الجَوْزيّ ٣: ٢١٤)

الأزهَريّ: تعالى وتعاظم وارتفع.

(القُرطُبيّ ٧: ٢٢٣)

الطُّوسيّ: معناه تبارك تعالى بالوحدانيّة فيما لم يزل ولايزال، وأصله: الثّبات. [ثمّ استشهد بشعر] فهو بمعنى تعالى بدوام الثّبات. ويحتمل تعالى بالبركة في ذكر اسمه. (٤: ٤٥٤)

القُشَيْريّ: ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ هذه

الكلمة بجمع الدّعاء، لاشتمالها على إفادة معنى قِدَمه ودوام ثبوته؛ من حيث يقال: برَك الطّير على الماء.

وأفادت معنى جلاله الّذي هو استحقاقه، لنعوت العِزّ لأنّه قد تبارك، أي تعظّم. وأشارت إلى إسداد النّعم وإتاحة الإحسان؛ من حيث أنّ البركة هي الزّيادة، فهي بجمع الثّناء والمدح للحقّ سبحانه. (٢: ٢٣٥)

الرّاغِب: قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون: ١٤، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ الفرقان: ١، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ﴾ الفرقان: ١٠، ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف: ٥٤، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ الملك: ١.

كلّ ذلك تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة، مع ذكر (تَبَارَكَ). (٤٤)

ابن عَطيّة: معناه عَظُم وتعالى وكثرت بركاته، ولايوصف بها إلّا الله تعالى.

و(تَبَارَكَ) لايتصرّف في كلام العرب، لايقال منه: يتبارك، وهذا منصوص عليه لأهل اللّسان. وعلّة ذلك أنّ (تَبَارَكَ) لمّا لم يوصف بها غير الله تعالى لم تقتض مستقبلًا؛ إذ الله قد تبارك في الأزل.

وقد غلط بها أبوعليّ القاليّ، فقيل له: كيف المستقبل من تَبَارَكَ؟ فقال: يتبارك، فوقف على أنّ العرب لم تقله. (٢: ٤٠٩)

الطَّبْرِسيّ: أي تعالى بالوحدانيّة فيما لم يزل ولايزال، فهو بمعنى تعالى بدوام الثّبات. وقيل معناه: تعالى عن صفات المخلوقين والمُحدثين. وقيل: تعالى بدوام البركة، أي البركة في ذكر اسمه. (٢: ٤٢٨)

الفَخْر الرّازيّ: «البركة» لها تفسيران: أحدهما: البقاء والثّبات، والثّاني: كثرة الآثار الفاضلة والنّتائج الشّريفة، وكلا التّفسيرين لايليق إلّا بالحقّ سبحانه.

فإن حمَلْتَه على الثّبات والدّوام؛ فالثّابت والدّائم هو الله تعالى، لأنّه الموجود الواجب لذاته، العالم لذاته، القائم بذاته، الغنيّ في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه، عن كلّ ماسواه، فهو سبحانه مقطع الحاجات ومنتهى الافتقارات، وهو غنيّ عن كلّ ماسواه في جميع الأُمور.

وأيضًا إن فسّرنا «البركة» بكثرة الآثار الفاضلة، فالكلّ بهذا التّفسير من الله تعالى، لأنّ الموجود إمّا واجب لذاته، وإمّا ممكن لذاته.

والواجب لذاته ليس إلّا هو، وكلّ ماسواه ممكن، وكلّ ممكن فلايوجد إلّا بإيجاد الواجب لذاته. وكلّ الخيرات منه، وكلّ الكمالات فائضة من وجوده وإحسانه، فلاخير إلّا منه، ولاإحسان إلّا من فيضه، ولارحمة إلّا وهي حاصلة منه.

فلمّا كان الخلق والأمر ليس إلّا منه، لاجرم كان الثّناء المذكور بقوله: ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ لايليق إلّا بكبريائه، وكمال فضله، ونهاية جوده ورحمته. (١٤: ١١٩)

نحوه النّيسابوريّ. (٨: ١٤١)

القُرطُبيّ: «تفاعَل» من البركة، وهي الكثرة والاتّساع. (٧: ٢٢٣)

البَيْضاويّ: تعالى بالوحدانيّة في الأُلوهيّة، وتعظّم بالتّفرّد في الرّبوبيّة. (١: ٣٥٢)

نحوه أبوالسُّعود (٢: ٤٩٨)، والكاشانيّ (٢: ٢٠٥).

النَّسَفيّ: كثر خيره أو دام بِرّه، من البركة: النّماء، أو من البُروك: الثّبات، ومنه البركة. (٢: ٥٦)

ابن جُزَيّ: (تَبَارَكَ) من البركة، وهو فعل غير منصرف، لم تنطق له العرب بمضارع. (٢: ٣٤)

أبوحَيّان: أي علا وعَظُم. (٤: ٣١٠)

البُرُوسَويّ: أي تعالى بالوحدانيّة في الأُلوهيّة، وتعظّم بالتّفرّد في الرّبوبيّة. قال ابن الشّيخ: «أي تعاظم الإله الواحد الموجد للكلّ، المتصرّف فيه بالرّبوبيّة، ردٌّ به على الكفرة الّذين كانوا يتّخذون أربابًا، فدعاهم إلى التّوحيد بالحكمة والحجّة.

وصدّر الآية بـ(إنّ) ردًّا لإنكارهم، فقال: (إِنَّ رَبَّكُم) المستحقّ للرّبوبيّة ليس إلّا واحدًا، وهو الله الموجد للكلّ على التّرتيب المحكم المتقن، الدّالّ على كمال العلم والحكمة والقدرة، وهو الّذي أنشأ مُلكه على مايشاهد، ثمّ أخذ في تدبيره كالمَلِك المتمكّن في مملكته بتدبير ملكه» انتهى.

يُروى أنّ الصّاحب ابن عبّاد كان يتردّد في معنى: «الرّقيم، وتَبَارَك، والمتاع»، ويدور على قبائل العرب، فسمع امرأة تسأل أين المتاع؟ ويُجيب ابنها الصّغير بقوله: جاء الرّقيم، أي الكلب، وأخذ المتاع، وتبارك الجبال.

فاستفسر منهم، وعرف: أنّ «الرّقيم» هو الكلب، وأنّ «المتاع» هو مايُبَلّ بالماء فيُمسح به القصاع، وأنّ (تَبَارَك) بمعنى صعَد وتعالى. (٣: ١٧٦)

الآلوسيّ: أي تقدّس وتنزّه عن كلّ نقص، ويدخل في ذلك تنزّهه تعالى عن نقص في الخَلْق، أو في الأمر، دخولًا أوّليًّا، ففي ذلك إشارة إلى أنّهما طبق الحكمة وفي غاية الكمال. ولايقال ذلك في غيره تعالى، بل هو صفة خاصّة به سبحانه كما في «القاموس[1]».

وقال الإمام[2]: إنّ «البركة» لها تفسيران: أحدهما: البقاء والثّبات، والثّاني: كثرة الآثار الفاضلة. فإن حمَلْتَه على الأوّل فالثّابت الدّائم هو الله تعالى، وإن حمَلْتَه على الثّاني فكلّ الخيرات والكمالات من الله تعالى، فهذا الثّناء لايليق إلّا بحضرته جلّ وعلا.

واختار الزّجّاج أنّه من البركة، بمعنى الكثرة من كلّ خير. ولم يجئ منه مضارع ولاأمر ولااسم فاعل مثلًا.

وقال البَيْضاويّ: المعنى تعالى بالوحدانيّة والأُلوهيّة وتعظّم بالتّفرّد بالرّبوبيّة، وعلى هذا فهو ختام لوحظ فيه مطلعه، ثمّ حقّق الآية بما لايخلو عن دغدغة، ومخالفة لما عليه سلف الأُمّة. ثمّ إنّه تعالى بعد أن بيّن التّوحيد وأخبر أنّه المتفرّد بالخلق والأمر، أمر عباده أن يدعوه مخلصين متذلّلين. (٨: ١٣٨)

القاسميّ: أي تقدّس وتنزّه وتعالى وتعاظم. (٧: ٢٥٧١)

نحوه عبد الكريم الخطيب. (٤: ٤١٦)

رشيد رضا: أي تعاظمت وتزايدت بركات الله ربّ العالمين كلّهم ومدبّر أُمورهم، والحقيق وحده بعبادتهم.

و(تَبَارَكَ) من مادّة البركة، وهي الخير الكثير

(١) الفيروز ابادي.

(٢) الفخر الرّازيّ.

الثّابت، فهي هنا تنبيه على مافي هذا العالم من الخيرات والنّعم، الّتي توجب له الشّكر والعبادة على عباده دون ماعبدوه معه، وليس لهم من الخلق ولامن الأمر شيء. (٨: ٤٥٥)

نحوه المَراغيّ. (٨: ١٧٥)

حسنين مخلوف: كثر خيره وإحسانه، من البركة بمعنى الكثرة من كلّ خير، وأصلها: النّماء والزّيادة.

أو ثبت ودام كما لم يزل ولايزال، من البركة بمعنى الثّبوت؛ يقال: بَرَك البعير، إذا أناخ في موضعه فلزمه وثبت فيه، وكلّ شيء ثبت ودام فقد بَرَك.

أو تعالى وتعظّم وارتفع، أو تقدّس وتنزّه عن كلّ نقص. (١: ٢٦٤)

الطَّباطَبائيّ: أي كان ذابركات، يُنزلها على مربوبيه، من جميع مَن في العالمين، فهو ربّهم. (٨: ١٥٣)

محمّد جواد مَغْنيّة: أي تعالى بعظمته، وهو فعل غير منصرف، لايصاغ منه أمر ولامضارع. (٣: ٣٣٧)

المُصطَفَويّ: أي استمرّ ودام مقام فضله وإحسانه وفيضه، فهو مبدأ الفضل، وفيه الفضل. (١: ٢٤٥)

٢ـ اللهُ الَّذى جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَاَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. المؤمن: ٦٤

ابن عبّاس: (فَتَبَارَكَ اللهُ): ذوبركة. (٣٩٨)

الطُّوسيّ: أي جلّ بأنّه الثّابت الدّائم الّذي لم يزل ولايزال. (٩: ٩١)

مثله الطَّبْرِسيّ. (٤: ٥٣٠)

أبوالفُتُوح: المتعالي والباقي. (١٧: ٤٥)

الفَخْر الرّازيّ: تفسير (تَبارَكَ) إمّا الدّوام والثّبات، وإمّا كثرة الخيرات. (٢٧: ٨٤)

البَيْضاويّ: فإنّ كلّ ماسواه مربوب، مفتقر بالذّات معرّض للزّوال. (٢: ٣٤٠)

مثله الكاشانيّ. (٤: ٣٤٧)

ابن كثير: أي فتعالى وتقدّس وتنزّه ربّ العالمين كلّهم. (٦: ١٥٢)

الشِّربينيّ: أي ثبت ثباتًا عظيمًا مع اليُمن والخير وحسن المدد والفيض. (٣: ٤٩٤)

أبوالسُّعود: أي تعالى بذاته. (٥: ٤٢٦)

مثله الآلوسيّ. (٢٤: ٨٣)

البُرُوسَويّ: صفة خاصّة بالله تعالى، أي تقدّس وتنزّه وتعالى بذاته، عن أن يكون له شريك في العبادة، إذ لاشريك له في شيء من تلك النّعم. (٨: ٢٠٦)

شُبَّر: دام خيره؛ إذ لاربّ ولاإله غيره. (٥: ٣٥٧)

القاسميّ: أي الّذي لاتصلح الرّبوبيّة إلّا له. (١٤: ٥١٧٨)

المَراغيّ: أي ذلكم الّذي أنعم عليكم بهذه النّعم، هو الّذي لاتنبغي الألوهة إلّا له، ولاتصلح الرّبوبيّة لغيره، لامن لاينفع ولايضرّ، فتقدّس سبحانه وتنزّه

وهو ربّ العالمين. (٢٤: ٩٠)

الطّباطبائيّ: ثناء عليه عزّوجلّ بربوبيّته لجميع العالمين. وقد فرّعه على ربوبيّته. وتدبيره للإنسان إشارة إلى أنّ الرّبوبيّة واحدة، وتدبيره لأمر الإنسان عين تدبيره لأمر العالمين جميعًا، فإنّ النّظام الجاري نظام واحد، روعي في انطباقه على كلّ، انطباقه على الكلّ، فهو سبحانه متبارك منشأ للخير الكثير، فتبارك الله ربّ العالمين. (١٧: ٣٤٦)

عبد الكريم الخطيب: أي علا وعظم ربّكم هذا، إنّه ربّ العالمين. (١٢: ١٢٦١)

طه الدّرّة: أي تنزّه الله عن كلّ ما لا يليق به. وفي سورة الفرقان: تكاثر خيره من البركة، وهي كثرة الخير وزيادته، أو تزايد عن كلّ شيء، وتعالى عنه في صفاته وأفعاله.

وهي كلمة تقديس وتعظيم، لم تستعمل إلّا لله وحده، وهو ملازم للماضي، لا يأتي منه مضارع ولا أمر.

[ثمّ استشهد بشعر] (١٢: ٦٠٥)

الحجازيّ: تبارك الله وتزايد فضله، وتكامل خيره. (٢٤: ٣٨)

٣ـ ...ثُمَّ اَنْشَاْنَاهُ خَلْقًا اٰخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ اَحْسَنُ الْخَالِقِينَ. المؤمنون: ١٤

الطّوسيّ: معنى (تَبَارَكَ) استحقّ التّعظيم، بأنّه قديم لم يزل ولا يزال. وهو مأخوذ من البروك، وهو الثّبوت. (٧: ٣٥٤)

الزّمخشريّ: فتعالى أمره في قدرته وعلمه. (٣: ٢٨)

نحوه البيضاويّ (٢: ١٠٣)، والنّسفيّ (٣: ١٥٥)، والبروسويّ (٦: ٧٢)، والنّهاونديّ (٢: ١٦٥).

ابن عطيّة: (تَبَارَكَ): مطاوع بارك، فكأنّها بمنزلة تعالى وتقدّس، من معنى البركة. (٤: ١٣٨)

الطّبرسيّ: أي تعالى الله، ودام خيره وثبت. (٤: ١٠١)

نحوه شبّر. (٤: ٢٦٨)

ابن الجوزيّ: أي استحقّ التّعظيم والثّناء. (٥: ٤٦٥)

الفخر الرّازيّ: أي فتعالى الله. فإنّ البركة يرجع معناها إلى الامتداد والزّيادة، وكلّ ما زاد على الشّيء فقد علاه. ويجوز أن يكون المعنى: والبركات والخيرات كلّها من الله تعالى.

وقيل: أصله من: البروك، وهو الثّبات، فكأنّه قال: والبقاء والدّوام، والبركات كلّها منه، فهو المستحقّ للتّعظيم والثّناء. (٢٣: ٨٥)

نحوه النّيسابوريّ. (١٨: ١٠)

أبو حيّان: (تَبَارَكَ) فعل ماض لا يتصرّف، ومعناه: تعالى وتقدّس. (٦: ٣٩٨)

الشّربينيّ: أي تنزّه عن كلّ شائبة نقص، وحاز جميع صفات الكمال. (٢: ٥٧٣)

أبو السّعود: فتعالى شأنه في علمه الشّامل، وقدرته الباهرة، والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة، وإدخال الرّوعة، والإشعار بأنّ ما ذكر من الأفاعيل العجيبة من أحكام الأُلوهيّة، وللإيذان بأنّ

حقّ كلّ من سمع مافُصّل من آثار قدرته عزّوعلا، أو لاحظه، أن يسارع إلى التكلّم به إجلالًا، وإعظامًا لشؤونه تعالى. (٤: ٤٠٥)

نحوه الآلوسيّ. (١٨: ١٥)

الطُّريحيّ: أي ثبت الخير عنده وفي خزائنه.

وقيل: (تَبَارَكَ) أي علا.

ويقال: تبارك وتعظّم واتّسعت رحمته وكثرت نعمته «تَفاعَلَ» من البركة، ولايجيء من هذا خاصّة الفعل المضارع.

وقيل: ﴿تَبَارَكَ اللهُ﴾: بارَكَ الله، مثل قابَلَ وتَقابَلَ، إلّا أنّ «فاعَلَ» يتعدّى، و«تَفاعَلَ» لايتعدّى.

ويقال: ﴿تَبَارَكَ اللهُ﴾: تقدّس، والقدس: الطّهارة. (٥: ٢٥٨)

القاسميّ: أي تعاظم قدرةً وحكمةً وتصرّفًا. (١٢: ٤٣٩١)

المَراغيّ: أي فتنزّه ربّنا جلّت قدرته، وهو أحسن المقدّرين المصوّرين. (١٨: ٩)

الطَّباطَبائيّ: التّبارك منه تعالى: اختصاصه بالخير الكثير، الّذي يجود به ويفيضه على خلقه.

وقد تقدّم أنّ الخلق في أصله بمعنى التّقدير، فهذا الخير الكثير كلّه في تقديره، وهو إيجاد الأشياء، وتركيب أجزائها؛ بحيث تتناسب فيما بين أنفسها وتناسب ماوراءها، ومن ذلك ينتشر الخير الكثير. (١٥: ٢١)

عبد الكريم الخطيب: هو تمجيد لله، وتسبيح بجلاله وعظمته، يقولها الحقّ سبحانه وتعالى ممجّدًا ذاته، ويقولها الوجود كلّه تسبيحًا وصلاةً وحمدًا، للخالق المبدع المصوّر. (٩: ١١٢٢)

طه الدُّرّة: معنى (تَبَارَكَ): تقدّس وتعظّم وتعالى وتنزّه، وهو ملازم للماضي، لايأتي منه مضارع ولاأمر. (٩: ٢٨٧)

عبد المنعم الجمّال: تنزّه وتعالت قدرته الباهرة أن يكون له نِدٌّ في أُلوهيّته. (٣: ٢٠٨٩)

الحجازيّ: تعالى الله خالق هذا الإنسان، فالبركات والخيرات والنّعم كلّها منه سبحانه وتعالى، وهو المستحقّ للثّناء والتّعظيم والعبادة، لاإله غيره، ولامعبود سواه. (٨: ١٨)

٤ـ ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١

ابن عبّاس: يقول: ذوبركة، ويقال: (تَبَارَكَ) تعالى وارتفع، وتبرّأ عن الولد والشّريك. (٣٠٠)

لم يزل ولايزول. (أبوحيّان ٦: ٤٨٠)

هو من البركة وهو التّزايد في الخير من قبله.

مثله الحسَن والنّخعيّ. (أبوحيّان ٦: ٤٨٠)

تفاعل من البركة. (الطّبَريّ ١٨: ١٧٩)

نحوه الطّبَريّ. (١٨: ١٧٩)

النّخعيّ: خالق البركة. (الماوَرْديّ ٤: ١٣٠)

الضّحّاك: تعظّم. (أبوحيّان ٦: ٤٨٠)

الحسَن: أنّه الّذي يجيء البركة من قِبَله (الماوَرْديّ ٤: ١٣٠)

الفَرّاء: هو من البركة، وهو في العربيّة كقولك: تقدّس ربّنا.

البركة والتّقدّس: العظمة، وهما بعدُ سواء. (٢: ٢٦٢)

الزّجّاج: معناه «تَفاعَلَ» من البركة، كذلك يقول أهل اللّغة، وكذلك رُوي عن ابن عبّاس، ومعنى البركة: الكثرة في كلّ ذي خير. (٤: ٥٧)

النّحّاس: «تَفاعَلَ» من البركة، وهي حلول الخير. ومنه: فلان مُباركٌ، أي الخير يَحِلّ بحلوله. مشتقّ من: البَرْك والبرَكة، وهما المصدر. (٥: ٨)

الثّعلبيّ: يقال: تبارك الله، ولايقال: متبارك ولامبارك، لأنّه ينتهي في أسمائه وصفاته إلى حيث ورد التّوقيف. (القُرطبيّ ١٣: ١)

القَيسيّ: هو «تَفاعَلَ» من البركة، والبركة: الكثرة من كلّ خير. ومعناه تبارك عطاؤه، أي زاد وكثر. وقيل: معناه دام وثبت إنعامه، وهو من: بَرك الشّيء، إذا ثبت. (٢: ١٩٢)

الماوَرْديّ: في «البركة» ثلاثة أقاويل: أحدها: العلوّ، الثّاني: الزّيادة، الثّالث: العظمة. فيكون تأويله على الوجه الأوّل: تعالى، وعلى الوجه الثّاني: تزايد، وعلى الوجه الثّالث: تعاظم. (٤: ١٣٠)

الطّوسيّ: معنى (تَبَارَكَ) تقدّس وجلّ، بما لم يزل عليه من الصّفات، ولايزال كذلك، ولايشاركه فيها غيره. وأصله من بُروك الطّير على الماء، فكأنّه قال: ثبت فيما لم يزل ولايزال الّذي نزّل الفرقان على عبده.

وقال ابن عبّاس: (تَبَارَكَ) «تَفاعَلَ» من البركة، فكأنّه قال: ثبت بكلّ البركة، أو حلّ بكلّ بركة. (٧: ٤٧٠)

القُشَيْريّ: و(تَبَارَكَ) على وزن «تَفاعَلَ» تفيد دوام بقائه واستحقاقه، لِقِدَم ثبوته وبقاء وجوده، لاعن استفتاح ولاإلى انقطاع.

وفي التّفاسير (تَبَارَكَ) أي تعظّم وتكبّر. وعند قوم أنّه من «البركة» وهي الزّيادة والنّفع، فدوامه: وجوده، وتكبّره: استحقاق ذاته لصفاته العليّة. والبركة أو الزّيادة تشير إلى فضله وإحسانه ولطفه.

فوجوه الثّناء عليه تنحصر بهذه الأوجه الثّلاثة: ثناء عليه بذكر ذاته وحقّه، وثناء بذكر وصفه وعزّه، وثناء بذكر إحسانه وفضله. فكلمة (تَبَارَكَ) بجمع الثّناء عليه سبحانه. (٤: ٢٩٨)

الكَرْمانيّ: هذه لفظة لاتستعمل إلّا لله، ولاتستعمل إلّا بلفظ الماضي. وجاء في هذه السّورة في ثلاثة مواضع: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ و﴿تَبَارَكَ الَّذِى إِنْ شَاءَ جَعَلَ﴾ الفرقان: ١٠و﴿تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ الفرقان: ٦١، تعظيمًا لذكر الله.

وخصّت هذه المواضع بالذّكر لأنّ مابعدها عظائم:

الأوّل: ذكر الفرقان، وهو القرآن المشتمل على معاني جميع كتب الله.

والثّاني: ذكر النّبيّ، والله خاطبه بقوله: لولاك يامحمّد ماخلقت الكائنات.

والثّالث: ذكر البروج والسّيّارات والشّمس والقمر واللّيل والنّهار، ولولاها ماوُجد في الأرض حيوان

ولانبات.

ومثلها: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ المؤمن: ٦٤، و﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون: ١٤، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ الملك: ١. (١٤١)

الزَّمَخْشَريّ: البركة: كثرة الخير وزيادته، ومنها (تَبَارَكَ اللهُ) وفيه معنيان: تزايد خيره وتكاثر، أو تزايد عن كلّ شيء، وتعالى عنه في صفاته وأفعاله. (٣: ٨٠)

ابن عَطيّة: وزنه «تفاعَل» وهو مطاوع «بارَك» من البركة، وبارَكَ «فاعَل» من واحد معناه: زاد. (تَبَارَكَ) فعل مختصّ بالله تعالى، لم يستعمل في غيره، ولذلك لم يُصرّف منه مستقبل ولااسم فاعل، وهو صفة فعل، أي كثرت بركاته. (٤: ١٩٩)

الفَخْر الرّازيّ: البركة: كثرة الخير وزيادته، وفيه معنيان: أحدهما: تزايد خيره وتكاثر، وهو المراد من قوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَاتُحْصُوهَا﴾ إبراهيم: ٣٤.

والثّاني: تزايد عن كلّ شيء، وتعالى عنه في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو المراد من قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشّورى: ١١.

وأمّا تعاليه عن كلّ شيء في ذاته، فيحتمل أن يكون المعنى جلّ بوجوب وجوده وقِدَمه عن جواز الفناء والتّغيّر عليه، وأن يكون المعنى جلّ بفردانيّته ووحدانيّته عن مشابهة شيء من الممكنات.

وأمّا تعاليه عن كلّ شيء في صفاته، فيحتمل أن يكون المعنى جلّ أن يكون علمه ضروريًّا أو كسبيًّا أو تصوّرًا أو تصديقًا، وفي قدرته أن يحتاج إلى مادّة ومدّة ومثال، وجلب غرض ومنال.

وأمّا في أفعاله فجلّ أن يكون الوجود والبقاء وصلاح حال الوجود إلّا من قِبَله.

وقال آخرون: أصل الكلمة تدلّ على البقاء، وهو مأخوذ من: بُروك البعير، ومن: بُروك الطّير على الماء، وسمّيت البركة بركة لثبوت الماء فيها.

والمعنى أنّه سبحانه وتعالى باقٍ في ذاته أزلًا وأبدًا، ممتنع التّغيّر، وباقٍ في صفاته ممتنع التّبدّل. ولمّا كان سبحانه وتعالى هو الخالق لوجوه المنافع والمصالح والمُبقي لها، وجب وصفه سبحانه بأنّه: تبارك وتعالى.

(٢٤: ٤٤)

نحوه البَيْضاويّ. (٢: ١٣٧)

القُرطُبيّ: اختُلف في معناه، فقال الفرّاء: هو في العربيّة و«تقدّس» واحدٌ، وهما للعظمة، وقال الزّجّاج: (تَبَارَكَ) «تفاعَلَ» من البركة. قال: ومعنى البركة: الكثرة من كلّ ذي خير. وقيل: (تَبَارَكَ) تعالى، وقيل: تعالى عطاؤه، أي زاد وكثر.

وقيل: المعنى دام وثبت إنعامه.

قال النّحّاس: وهذا أولاها في اللّغة. والاشتقاق من: برك الشّيء، إذا ثبت، ومنه: برك الجمل والطّير على الماء، أي دام وثبت. فأمّا القول الأوّل فخلّط، لأنّ التّقديس إنّما هو من الطّهارة، وليس من ذا في شيء. (١٣: ١)

النّسَفيّ: [مثل الزّمَخْشَريّ وأضاف:]

وهي كلمة تعظيم لم تستعمل إلّا لله وحده، والمستعمل منه الماضي. (٣: ١٥٧)

نحوه ابن جزيّ (٣: ٧٤)، وأبوحيّان (٦: ٤٨٠).

ابن كثير: هو «تفاعَل» من البركة المستقرّة الثّابتة الدّائمة. (٥: ١٣٣)

أبوالسّعود: البركة: النّماء والزّيادة، حسّيّة كانت أو معنويّة، وكثرة الخير ودوامه أيضًا.

ونسبتها إلى الله عزّوجلّ على المعنى الأوّل، وهو الأليق بالمقام، باعتبار تعاليه عمّا سواه، في ذاته وصفاته وأفعاله، الّتي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز، النّاطق بعلوّ شأنه تعالى وسموّ صفاته، وابتناء أفعاله على أساس الحِكَم والمصالح، وخلوّها عن شائبة الخلل بالكلّيّة.

وصيغة «التّفاعل» للمبالغة فيما ذكر، فإنّ مالايتصوّر نسبته إليه سبحانه حقيقة من الصّيغ كالتّكبّر ونحوه، لاتنسب إليه تعالى إلّا باعتبار غايتها.

وعلى المعنى الثّاني باعتبار كثرة مايفيض منه على مخلوقاته، لاسيّما على الإنسان، من فنون الخيرات، الّتي من جملتها تنزيل القرآن، المنطوي على جميع الخيرات الدّينيّة والدّنيويّة.

والصّيغة حينئذ يجوز أن تكون لإفادة نماء تلك الخيرات، وتزايدها شيئًا فشيئًا وآنًا فآنًا، بحسب حدوثها أو حدوث متعلّقاتها. ولاستقلالها بالدّلالة على غاية الكمال، وتحقّقها بالفعل، والإشعار بالتّعجّب المناسب للإنشاء، والإنباء عن نهاية التّعظيم، لم يجز استعمالها في حقّ غيره تعالى، ولااستعمال غيرها من الصّيغ في حقّه تعالى. (٤: ٤٩١)

البُرُوسَويّ: أي تكاثر خير الّذي إلخ، فالمضاف محذوف. من البركة، وهي كثرة الخير وترتيبه على تنزيل الفرقان، لما فيه من كثرة الخير دينيًّا ودنيويًّا. أو معناه تزايد على كلّ شيء، وتعالى عنه في صفاته وأفعاله، فإنّ البركة تتضمّن معنى الزّيادة، فترتيبه عليه لدلالته على تعاليه. [إلى أن قال:]

وقال بعضهم: البركة: ثبوت الخير الإلهيّ في الشّيء، وسمّي محبَس الماء بِرْكة، لدوام الماء فيها وثبوته، فمعنى تبارك: دام دوامًا ثابتًا لاانتقال له، ولهذا لايقال له: يتبارك مضارعًا، لأنّه للانتقال.

قال في «برهان القرآن»: هذه لفظة لاتستعمل إلّا لله، ولاتستعمل إلّا بلفظ الماضي.

وخصّ هذا الموضع بالذّكر لأنّ مابعده أمر عظيم، وهو القرآن المشتمل على معاني جميع كتب الله. (٦: ١٨٧)

الآلوسيّ: أي تعالى جلّ شأنه في ذاته وصفاته وأفعاله، على أتمّ وجه وأبلغه، كما يُشعر به إسناد صيغة «التّفاعل» إليه تعالى.

وهذا الفعل لايسند في الأغلب إلى غيره تعالى ومثله ـ تعالى ـ ولايتصرّف. فلايجيء منه مضارع ولاأمر، ولا ولافي الأغلب أيضًا، وإلّا فقد قرأ أُبيّ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى: (تباركت الأرض ومن حولها) وجاء كما في «الكشف» تباركت النّخلة، أي تعالت. وحكى الأصمعيّ أنّ أعرابيًّا صعد رابية فقال لأصحابه: تباركتُ عليكم. [ثمّ استشهد بشعر، وبعد نقل قول الخليل والضّحّاك قال:]

وعن الحسن والنّخعيّ: أنّ المعنى تزايد خيره وعطاؤه وتكاثر، وهي إحدى روايتين عن ابن عبّاس

رضي الله تعالى عنهما.

ثانيتهما: أنّ المعنى لم يزل، ولايزال.

وتحقيق ذلك أنّ (تَبَارَكَ) من البركة، وهي في الأصل مأخوذة من: بَرْك البعير، وهو صدره ومنه بَرك البعير، إذا ألقى بَرْكه على الأرض.

واعتبر فيه معنى اللّزوم فقيل: براكاء الحرب، وبروكاؤها للمكان الّذي يلزمه الأبطال. وسمّي محبَس الماء بِرْكة كسدرة، ثمّ أُطلقتْ على ثبوت الخير الإلهيّ في الشّيء ثبوت الماء في البِرْكة. [وبعد نقل كلام الرّاغب قال:]

فن اعتبرَ معنى «اللّزوم» كابن عبّاس ـ بناء على الرّواية الثّانية عنه ـ قال: المعنى لم يزل ولايزال، أو نحو ذلك. ومن اعتبرَ معنى «التّزايد» انقسم إلى طائفتين:

فطائفة جعلوه باعتبار كمال الذّات في نفسها، ونقصان ماسواها، ففسّروا ذلك بالتّعالي ونحوه.

وطائفة جعلوه باعتبار كمال الفعل، ففسّروه بتزايد الخير وتكاثره.

ولا اعتبار للتّغيّر المبنيّ على اعتبار معنى اللّزوم، لقلّة فائدة الكلام عليه، وعدم مناسبة ذلك المعنى لما بعد، ومن هنا ردّد الجمهور المعنى بين ماذكرناه أوّلاً، وماروي عن الحسن ومن معه.

وترتيب وصفه تعالى بقوله سبحانه: (تَبَارَكَ) بالمعنى الأوّل على إنزاله جلّ شأنه (الْفُرْقَانَ) لما أنّه ناطق بعلوّ شأنه سبحانه، وسموّ صفاته، وابتناء أفعاله على أساس الحِكَم والمصالح، وخلوّها عن شائبة الخلل بالكلّيّة.

وترتيب ذلك بالمعنى الثّاني عليه، لما فيه من الخير الكثير، لأنّه هداية ورحمة للعالمين، وفيه ماينتظم به أمر المعاش والمعاد، وكلا المعنيين مناسب للمقام.

ورُجّح الأوّل بأنّه أنسب به، لمكان قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١.

فقد قال الطّيبيّ: في اختصاص «النّذير» دون «البشير» سلوك طريقة براعة الاستهلال، والإيذان بأنّ هذه السّورة مشتملة على ذكر المعاندين، المتّخذين لله تعالى ولدًا وشريكًا، والطّاعنين في ﴿كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ النّساء: ١٣٦.

وهذا المعنى يؤيّد تأويل (تَبَارَكَ) بتزايد عن كلّ شيء، وتعالى عنه في صفاته وأفعاله جلّ وعلا، لإفادته صفة الجلال والهيبة، وإيذانه من أوّل الأمر بتعاليه سبحانه، عمّا يقول الظّالمون علوًّا كبيرًا، وهو من الحُسن بمكان. (١٨: ٢٣٠)

الطّباطبائيّ: البركة بفتحتين: ثبوت الخير في الشّيء، كثبوت الماء في البِرْكة بالكسر فالسّكون مأخوذ من: بَرْك البعير، إذا ألقى صدره على الأرض واستقرّ عليها، ومنه التّبارك معنى ثبوت الخير الكثير وفي صيغته دلالة على المبالغة على ماقيل، وهو كالمختصّ به تعالى، لم يُطلَق على غيره إلّا على سبيل النّدرة. (١٥: ١٧٣)

عبد الكريم الخطيب: عظُمت بركته وكثُر خيره وفضله.

والمراد بهذا الخبر: الثّناء على الله سبحانه وتعالى، وهو ثناء من ذاته لذاته جلّ وعلا، ومن حقّه على عباده أن يثنوا عليه، كما أثنى سبحانه على نفسه.

وقد كان من دعاء الرّسول صلوات الله عليه، وتسبيحه بحمد ربّه، قوله: «سُبحانك، لاأُحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك..» والثّناء على الله سبحانه من ذاته، أو من مخلوقاته في هذا المقام، إنّما هو شعور بعظم المنّة العظيمة، الّتي كانت بنزول القرآن، ومافي هذا القرآن من رحمةٍ وهدًى للعالمين. (٩: ١٣٤٣)

عبد المنعم الجمّال: تعالى وتنزّه وكثر خيره وعظُم بِرّه.

تعاظمت بركة الله على عباده، ومن مظاهر هذه البركة النّامية أنّه أنزل القرآن، الّذي يُفرّق بين الحقّ والباطل، بأحكامه الجامعة، وشرائعه العظيمة على رسوله الكريم محمّد صلوات الله وسلامه عليه، ليكون للإنس والجنّ منذرًا ومُخوّفًا من بأسه وعذابه. (٣: ٢٢٠١)

الحجازيّ: البركة: الزّيادة في الخير وكثرته.

البركة لله وحده، والحمد له، فقد تزايد خيره وتكاثرت نعمه ﴿وَاِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَاتُحْصُوهَا﴾ إبراهيم: ٣٤، وقد تعالى وتزايد عن الكلّ ذاتًا وصفةً وفعلًا، فالحمد لله تبارك وتعالى، وكيف لا؟ وهو ﴿الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلٰى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١. (١٩: ٣)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى اِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا﴾ الفرقان: ١٠

٥ ـ ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَابَيْنَهُمَا...﴾ الزّخرف: ٨٥

ابن عبّاس: تعالى وتبرّأ عن الولَد والشّريك. (٤١٦)

الطّوسيّ: هو مأخوذ من البرك، وهو الثّبوت، ومعناه جلّ الثّابت الّذي لم يزل ولايزال. وقيل: معناه جلّ الّذي عمّت بركة ذكره. (٩: ٢٢٠)

ابن عطيّة: «تفاعَل» من البركة، أي تزيّدت بركاته. (٥: ٦٦)

الطّبرسيّ: أي دامت بركته، فمنه البركات وإيصال السّعادات. وجلّ عن أن يكون له ولد أو شبيه، من له التّصرّف في السّماوات والأرض، وفيما بينهما بلادافع ولامنازع. (٥: ٥٨)

الفخر الرّازيّ: إمّا أن يكون مشتقًّا من الثّبات والبقاء، وإمّا أن يكون مشتقًّا من كثرة الخير. وعلى التّقديرين فكلّ واحد من هذين الوجهين ينافي كون عيسى ولدًا لله تعالى، لأنّه إن كان المراد منه الثّبات والبقاء، فعيسى عليه السلام لم يكن واجب البقاء والدّوام، لأنّه حدث بعد أن لم يكن.

وإن كان المراد بالبركة كثرة الخيرات، مثل كونه خالقًا للسّماوات والأرض ومابينهما، فعيسى لم يكن كذلك، بل كان محتاجًا إلى الطّعام. (٢٧: ٢٣٢)

الشّربينيّ: أي وثبت ثباتًا لايشبهه ثبات، لأنّه لازوال له مع الُيمن والبركة وكلّ كمال، فلاشبيه له حتّى يُدّعى أنّه ولد له أو شريك، ثمّ وصفه تعالى بما يبيّن تباركيّته واختصاصه بالأُلوهيّة. (٣: ٥٧٧)

البُرُوسَويّ: تعالى عن الولد والشّريك، وجلّ عن

الزّوال والانتقال، وعمّت بركة ذكره وزيادة شكره. (٨: ٣٩٨)

سيّد قُطْب: أي تعاظم الله وتسامَى عمّا يزعمون ويتصوّرون. (٥: ٣٢٠٤)

الطَّباطَبائيّ: ثناء عليه تعالى بالتّبارك، وهو مصدريّته للخير الكثير. (١٨: ١٢٦)

عبد المنعم الجمّال: تعاظمت قدرة الله، وتزايدت عن كلّ شيء، وتنزّه سبحانه عن مماثلة المخلوقين. (٤: ٢٨٣٨)

الحجازيّ: تعالى وتعاظم، وزادت بركاته وخيراته. (٢٥: ٥١)

٦ـ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. الرّحمٰن: ٧٨

ابن عَبّاس: ذو بركة ورحمة، ويقال: تعالى وتبرّأ عن الولد والشّريك. (تنوير المقباس: ٤٥٣)

الماوَرْديّ: فيه وجهان:

أحدهما: معناه ثبت اسم ربّك ودام.

الثّاني: أنّ ذكر اسمه يُمْن وبَركة، ترغيبًا في مداومة ذكره. (٥: ٤٤٤)

الطُّوسيّ: معناه تعاظم وتعالى اسم ربّك، لأنّه يستحقّ أن يوصف بما لا يوصف به أحد، من كونه قديمًا وإلهًا، وقادرًا لنفسه، وعالمًا حيًّا لنفسه، وغير ذلك. (٩: ٤٨٦)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ٢١١)

الفَخْر الرّازيّ: أصل التّبارك: من البركة، وهي الدّوام والثّبات، ومنها بُروك البعير، وبِرْكة الماء، فإنّ الماء يكون فيها دائمًا. وفيه وجوه:

أحدها: دام اسمه وثبت.

وثانيها: دام الخير عنده، لأنّ البركة وإن كانت من الثّبات لكنّها تستعمل في الخير.

وثالثها: تبارك بمعنى علا وارتفع شأنًا لا مكانًا. (٢٩: ١٣٧)

أبوحَيّان: وناسب هنا ذكر ما اشتقّ من البركة وهي النّموّ والزّيادة؛ إذ جاء ذلك عقب ما امتنّ به على المؤمنين، وما آتاهم في دار كرامته من الخير وزيادته وديمومته. (٨: ٢٠٠)

الشِّربينيّ: قال ابن برّجان: «تَفاعَل» من البركة، ولا يكاد يذكره جلّ ذكره إلّا عند أمر معجب إلى آخره، ومعناه ثبت ثباتًا لا تسع العقول وصفه. (٤: ١٧٧)

الطَّباطَبائيّ: ثناء جميل له تعالى بما امتلأت النّشأتان ـ الدّنيا والآخرة ـ بنعمه وآلائه، وبركاته النّازلة من عنده برحمته الواسعة. وبذلك يظهر أنّ المراد باسمه المتبارك هو الرّحمان، المفتتحة به السّورة، والتّبارك: كثرة الخيرات والبركات الصّادرة. (١٩: ١١١)

٧ـ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ... الملك: ١

ابن عَبّاس: يقول: ذو بركة، ويقال: تعالى وتعظّم وتقدّس وارتفع، وتبرّأ عن الولد والشّريك. (تنوير المقباس: ٤٧٨)

التّبارك: «تَفاعَل» من البركة. (الماوَرْديّ ٦: ٤٩)

ابن عَطاء : أي تبارك في الخلق بما جعل فيهم من البركة. (الماوَرْديّ ٦: ٤٩)

يحيى بن سلّام : معناه علا وارتفع.

(الماوَرْديّ ٦: ٤٩)

الطَّبَريّ : تعاظم وتعالى. (٢٩: ١)

نحوه الزّجّاج. (٥: ١٩٧)

الماوَرْديّ : هو أبلغ من المبارك، لاختصاص الله بالتّبارك، واشتراك المخلوقين في المبارك. (٦: ٤٩)

الطُّوسيّ : يقول الله تعالى مخبرًا عن عظمته وعلوّ شأنه : ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ فمعنى (تَبَارَكَ) بأنّه الثّابت، الّذي لم يزل ولايزال.

وأصل الصّفة من الثّبوت من البرك، وهو ثبوت الطّائر على الماء، ومنه البركة : ثبوت الخير بمائه.

وقيل : معناه تعاظم بالحقّ من لم يزل ولايزال، وهو راجع إلى معنى الثّابت الدّائم.

وقيل : المعنى تبارك من ثبوت الأشياء به؛ إذ لولاه لبطل كلّ شيء، لأنّه لايصحّ شيء سواه إلّا مقدوره أو مقدور مقدوره، الّذي هو القدرة، لأنّ الله تعالى هو الخالق لها.

وقيل : إنّ معناه (تَبَارَكَ) لأنّ جميع البركات منه : إلّا أنّ هذا المعنى مضمّن في الصّفة غير مصرّح به، وإنّما المصرّح به تعالى باستحقاق التّعظيم. (١٠: ٥٧)

ابن عَطيّة : «تفاعَل» من البركة، وهي التّزيّد في الخيرات، ولم يستعمل بيتبارك ولامتبارك. (٥: ٣٣٧)

القُرطُبيّ : قيل : دام، فهو الدّائم الّذي لاأوّل لوجوده، ولاآخر لدوامه. (١٨: ٢٠٥)

الشِّربينيّ : أي تكبّر وتقدّس وتعالى وتعاظم، وثبت ثباتًا لامِثل له مع اليُمن والبركة. (٤: ٣٣٦)

أبوالسُّعود : [قال مثل كلامه في تفسير الآية الرّابعة وأضاف:]

وإسنادها إلى الموصول للاستشهاد بما في حيّز الصّلة على تحقّق مضمونها... أي تعالى وتعاظم بالذّات عن كلّ ماسواه، ذاتًا وصفةً وفعلًا، الّذي بقبضة قدرته التّصرّف الكلّيّ في كلّ الأُمور. (٦: ٢٧٣)

نحوه الآلوسيّ. (٣: ٢٩)

البُرُوسَويّ : [نحو أبي‌السُّعود وأضاف:]

والمعنى : تعالى وتعاظم بالذّات عن كلّ ماسواه، ذاتًا وصفةً وفعلًا، الّذي بقبضة قدرته التّصرّف الكلّيّ في كلّ الأُمور، لابقبضة غيره.

فيأمر وينهى، ويعطي ويمنع، ويحيي ويميت، ويعزّ ويذلّ، ويفقر ويغني، ويمرض ويشفي، ويُقرّب ويُبعّد ويُعمّر ويُخرّب ويفرق ويصل، ويكشف ويحجب، إلى غير ذلك من شؤون العظمة، وآثار القدرة الإلهيّة والسّلطنة الأزليّة والأبديّة.

وقال بعضهم : البركة : كثرة الخير ودوامه، فنسبتها إلى الله تعالى باعتبار كثرة مايفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات، أي تكاثر خير الّذي بيده الملك، وتزايد نعمه وإحسانه، كما قال تعالى : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَاتُحْصُوهَا﴾ النّحل : ١٨.

وفي «الكواشيّ» معنى (تَبَارَكَ) تعالى عن صفات المحدثين، وجميع المستعمل من «ب ر ك» وبعكسه يشتمل على معنى، أي ثبت الثّبوت الخير في خزائن

الّذي[1].

وقال سهل قدّس سرّه: تعالى مَن تعظّم عن الأشباه والأولاد والأضداد والأنداد، بيده الملك يقلّبه بحوله وقوّته، يؤتيه من يشاء، وينزعه ممّن يشاء.

وقيل: يريد به النّبوّة، يعزّ بها من اتّبع، ويذلّ بها من خالف.

وقال جعفر قدّس سرّه: هو المبارك على من انقطع إليه أو كان له، أي فإنّه وارث النّبيّ ﷺ وخليفته وقد قيل في حقّه: وبارِك عليه. (١٠: ٧٢)

شُبّر: تعالى وتكاثر خير من بقبضته وقدرته التّصرّف في الأُمور كلّها. (٦: ٢٤٩)

سيّد قُطْب: هذه التّسبيحة في مطلع السّورة توحي بزيادة بركة الله ومضاعفتها، وتمجيد هذه البركة الرّابية الفائضة. وذكر (المُلْك) بجوارها يوحي بفيض هذه البركة على هذا الملك، وتمجيدها في الكون بعد تمجيدها في جناب الذّات الإلهيّة.

وهي ترنيمة تتجاوب بها أرجاء الوجود، ويعمر بها قلب كلّ موجود، وهي تنطلق من النّطق الإلهيّ في كتابه الكريم، من الكتاب المكنون، إلى الكون المعلوم. (٦: ٣٦٣١)

الطّباطَبائيّ: تبارك الشّيء: كثرة صدور الخيرات والبركات عنه. (١٩: ٣٤٨)

عبد الكريم الخطيب: معنى (تَبارَكَ) أي تمجّد وتعظّم، وكثر خيره وبركته على مخلوقاته. فهو خبر يراد به إظهار ماأفاض الله سبحانه على هذا الوجود من خير وبركة. (١٥: ١٠٤٥)

عبد المنعم الجمّال: تنزّه سبحانه عن صفات ماسواه. (٤: ٣١٤٣)

الحجازيّ: تعالى وتعاظم جلّ شأنه عمّا سواه، ذاتًا وصفةً وفضلًا، الكامل الإحاطة، التّامّ الاستيلاء على كلّ المخلوقات. وتكاثر خيره وبرّه على جميع خلقه، فهو صاحب التّصرّف التّامّ في الموجودات، على مقتضى إرادته ومشيئته بلا منازع، وهو على كلّ شيء قدير، وهو الحكيم الخبير.

ولفظ (تَبارَكَ) يدلّ على غاية الكمال، ونهاية التّعظيم والإجلال، ولذا لايجوز استعماله في حقّ غيره سبحانه وتعالى. (٢٩: ٤)

الوُجوه والنّظائر

الفيروز اباديّ: وقد وردت «البركة» في القرآن في أربعة عشر شيئًا:

الأوّل: في الكعبة الّتي هي قبلة العالمين: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ آل‌عمران: ٩٦.

الثّاني: في المطر الّذي به حياة المتنفّسين: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ ق: ٩.

الثّالث: في السّلام الّذي هو شعار المسلمين: ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ النّور: ٦١.

الرّابع: في أولاد إبراهيم خليل ربّ العالمين: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ﴾ الصّافّات: ١١٣،

---

(١) كذا، والظّاهر: الّذي في خزائنه.

﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ هود: ٧٣.[1]

السّادس: في أولاد نوح شيخ المرسلين: ﴿يَـٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ هود: ٤٨.

السّابع: في الأرض الّتي هي مقرّ الآدميّين: ﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ فصّلت: ١٠.

الثّامن: في البُقعة الّتي هي محلّ موسى، حيث ناداه ربّ العالمين ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ القصص: ٣٠.

التّاسع: في نار موسى ليلة طور سينين ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ النّمل: ٨، أي في طلب النّار.

العاشر: في شجرة الزّيتون، المُمثّل بنور معرفة العارفين ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ النّور: ٣٥.

الحادي عشر: في المسجد الأقصى الّذي هو ممرّ سيّد الرّسل إلى أعلى علّيّين ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ الإسراء: ١.

الثّاني عشر: في ليلة القدر الّتي هي موسم الرّحمة والغفران للعاصين والمذنبين ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ الدّخان: ٣.

الثّالث عشر: في القرآن الّذي هو أعظم معجزات البشر ﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ الأنبياء: ٥٠.

الرّابع عشر: في المنزل الّذي قُصد، لاعلى التّعيين ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا﴾ المؤمنون: ٢٩، أي حيث يوجد الخير الإلهيّ.

والبركة معناها ثبوت الخير الإلهيّ في الشّيء، والمادّة موضوعة للّزوم والثّبوت، وقوله تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الأعراف: ٩٦، سمّي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البِركة.

والمبارك: مافيه ذلك الخير. وقوله تعالى: ﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ الأنبياء: ٥٠، تنبيه على مايفيض من الحياة الإلهيّة.

ولمّا كان الخير الإلهيّ يصدر من حيث لايُحَسّ، وعلى وجه لايُحصى ولايُحصر، قيل لكلّ مايشاهد منه زيادة غير محسوسة: هو مبارك، وفيه بركة. وإلى هذه الزّيادة أُشير بما روي: «لاينقص مال من صدقة».

لاإلى النّقصان المحسوس، حيث ماقال بعض الملاحدة الخاسرين، حيث قيل له ذلك، فقال له: بيني وبينك الميزان، على أنّ عمّي وكان من أكابر الصّالحين أخبرني: أنّه كال كُدْسًا من الطّعام، ثمّ أخرج منه الزّكاة، ثمّ إنّه كاله ثانيةً عند النّقل إلى المنزل، فوجده لم ينقص شيئًا من الكيل الأوّل. (بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٠٨)

الأُصول اللُّغويّة

الأصل في هذه المادّة عند ابن فارس «الثّبات» وتتفرّع منه فروع يقارب بعضها بعضًا.

ويبدو أنّ الأصل فيها هو «صدر البعير» ومنه اشتقّت سائر المعاني، يقال: أبركتُ الجمل فبَرَك، أي ثبتَ على صدره، والمِبْرك: مايَبرُك عليه البعير. ثمّ تجاوز هذا المعنى إلى كلّ دابّة، فأُطلق على جماعة الإبل، لأنّها تشرب الماء ثمّ تبرُك في العَطن.

ويقال: البُرُوك، لنوء من أنواء الجوزاء، لأنّ أنواءها لاتسقط حتّى يكون فيها يوم وليلة تبرُك الإبل فيها،

---

(١) الخامس سقط في الأصل.

من شدّة برده ومطره.

ولدلالة «البَرك» على الثّبات نشأ منه الثّبات، ولاسيّما في الحرب، ومنه: البُركان والبِرْكة. والبِرَك: الصّهاريج في طريق مكّة، سمّيت بها لأنّ الإبل تبرُك عندها للشّرب.

كما نشأ منه الجهد، يقال: أبرَك الفرس في عَدْوِه، أي اجتهد. وكذلك العلوّ، وهو أحد معاني تبارك الله، أي تعالى على كلّ شيء.

ونشأ منه أيضًا الزّيادة، وهي البركة. واستعمل منها المبارك، والتّبريك، قول: بارك الله لك، ويقال لذي الحجّة: بُرك، لبركتها.

ومنه: بَرَكَ السّحاب: ألحّ بالمطر، ويقال للشّاة الحلوب: البَركة، والبَروك من النّساء: الّتي تتزوّج ولها ولد كبير، فهي مبروكة في زواجها وتمتّع الرّجال بها.

كما نشأ من الثّبات «الاشتداد» فيقال: هذا أمر لايبرك عليه، إذا تفاقم واشتدّ، ولعلّ منه قولهم: ابترك الرّجل في الآخر، إذا اجتهد في ذمّه.

ونشأ منه أيضًا: الجلال والعظمة في وصف الله تعالى به. هكذا ينبغي أن تُرتّب المعاني، ويتفرّع بعضها من بعض، والله أعلم.

الاستعمال القرآنيّ

وردت هذه المادّة في القرآن بمعنيين:

أ ـ التّقديس والتّجليل:

١ـ ﴿اَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف: ٥٤

٢ـ ﴿ثُمَّ اَنْشَاْنَاهُ خَلْقًا اٰخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ اَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون: ١٤

٣ـ ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلٰى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١

٤ـ ﴿تَبَارَكَ الَّذِى اِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذٰلِكَ﴾ الفرقان: ١٠

٥ـ ﴿تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ الفرقان: ٦١

٦ـ ﴿ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ المؤمن: ٦٤

٧ـ ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ الزّخرف: ٨٥

٨ـ ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ الملك: ١

٩ـ ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَالِ وَالْاِكْرَامِ﴾ الرّحمٰن: ٧٨

يلاحظ أوّلًا: أنّ هذه الآيات كلّها ـ عدا الأخيرة ـ ثناء ومدح لله تعالى بلفظ (تَبَارَكَ). وهذا اللّفظ مختصّ بتقديس الله وتبجيله، لايشاركه فيه أحد. وقد أثنى الله على نفسه بهذا اللّفظ عند مواقف عظيمة، وهي:

خلق السّماوات والأرض والكواكب في (١)، وخلق الإنسان في (٢)، وتنزيل القرآن على النّبيّ ﷺ في (٣)، ومشيئته في خلق جنّات ذات أنهار وقصور في (٤)، وجعل البروج والسّراج والقمر المنير في السّماء في (٥)، وجعل الأرض قرارًا والسّماء بناء، وحسن تصوير البشر ورزقهم من الطّيّبات في (٦)، وملك السّماوات والأرض

ومابينهما في (٧)، ومطلق الملك في (٨).

ثانيًا: أنّه تعالى أثنى على اسمه في الأخيرة بلفظ (تَبَارَكَ) أيضًا، وقد جاء اسمه بدل ذاته، كما جاء «وجهه» وغيره في آيات، أو أنّ (تَبَارَكَ) فيها جاء بمعنى البركة، أي اسمه مبارك. ولكنّه تعالى أمر عباده بمدح اسمه بلفظ (سُبْحَانَ) في أربعة مواضع من القرآن الكريم:

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾

الواقعة: ٧٤و٩٦ والحاقّة: ٥٢

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الأعلى: ١

ثالثًا: وهذه الآيات كلّها مكّيّة، سوى ماقيل في (الرّحمن): إنّها مدنيّة. وهذا يكشف عن أنّ الله تعالى وصف نفسه في المكّيّات فقط بهذا الوصف.

ب ـ الزّيادة والنّماء:

١ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ النّمل: ٨

٢ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾

فصّلت: ١٠

٣ـ ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾

الأعراف: ١٣٧

٤ـ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾

الإسراء: ١

٥ ـ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ٧١

٦ـ ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ الأنبياء: ٨١

٧ـ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ سبأ: ١٨

٨ـ ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحٰقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحٰقَ﴾ الصّافّات: ١١٢، ١١٣

٩ـ ﴿وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾

الأنعام: ٩٢، ١٥٥

١٠ـ ﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الأنبياء: ٥٠

١١ـ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ ص: ٢٩

١٢ـ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ آل‌عمران: ٩٦

١٣ـ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ مريم: ٣٠، ٣١

١٤ـ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ المؤمنون: ٢٩

١٥ـ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ ق: ٩

١٦ـ ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ النّور: ٣٥

١٧ـ ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ النّور: ٦١

١٨ـ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ القصص: ٣٠

١٩ـ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ الدّخان: ٣

٢٠ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الأعراف: ٩٦

٢١ـ ﴿قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ هود: ٤٨

٢٢ـ ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾

هود: ٧٣

يلاحظ أوّلًا: أنّ بركة الله شملت في هذه الآيات جميع المخلوقات، سواء الكائنات الحيّة منها أم الجمادات، وهي:

١ـ الإنسان:

أـ نوح وذرّيّته (٢١).

ب ـ إبراهيم وذرّيّته (٨) و(٢٢).

ج ـ عيسى بن مريم (١٣).

د ـ من في النّار ومن حولها (١)، وفي ذلك أقوال:

١ـ في النّار الله، وحولها موسى.

٢ـ فيها نور الله أو قدرته وسلطانه، وحولها موسى.

٣ـ فيها الملائكة، وحولها موسى.

٤ـ فيها موسى، وحولها الملائكة.

٥ ـ البركة للنّار، وحولها موسى، استنادًا إلى قراءة أُبيّ بن كعب (بوركتِ النّار ومن حولها).

وأشهرها القول الرّابع، وهو اختيارنا هنا في النّصوص.

٢ـ النّبات:

شجرة الزّيتون (١٦).

٣ـ الماء:

أـ المطر (١٥).

ب ـ ماء المطر والأنهار (٢٠).

٤ـ الجماد:

أـ الأرض مطلقًا (٢).

ب ـ أرض الشّام (٣) و(٤) و(٥) و(٦) و(٧).

ج ـ أرض الطّور (١٨).

د ـ القرآن (٩) و(١٠) و(١١).

هـ ـ البيت الحرام (١٢).

٥ ـ اسم معنى:

أـ المُنْزَل (١٤).

ب ـ التّحيّة (١٧).

ج ـ ليلة القدر (١٩).

ثانيًا: كما أنّ (تَبارَك) في المجموعة (أ) بمعنى نوع خاصّ من التّبجيل والتّقديس قد اختصّ بالله تعالى، كذلك اختصّت (البركة) في المجموعة (ب) بالله، لأنّه هو الّذي يبارك الأشياء والأشخاص، والبركة فيها جاءت بصيغة المفعول وصفًا لما ذكر، والفاعل هو الله، وقد صرّح به في (١٣): ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾، وكذلك في (٣) إلى (٨)، حيث جاء فيها (بَارَكْنَا).

ثالثًا: جاءت أفعال هذه المادّة في المجموعة (أ) من التّفاعل لازمة، وفي المجموعة (ب) من المفاعلة متعدّية؛ إمّا بنفسها ـ معلومة ومجهولة، حسب ماذكر ـ أو بـ(في) كما في (٣) و (٥) و(٦) و(٧)، أو بـ(على) كما في (٨). والسّرّ في هذا الاختلاف ـ والله أعلم ـ أنّ ماتعدّى بـ(في) و (على) فيه البركة أشدّ وأعظم.

رابعًا: لقد جاءت «البركة» جمعًا (بَرَكَات) في (٢٠) إلى (٢٢) متعدّية بـ(على): ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾، ﴿وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ﴾، ونظيرهما قوله: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ﴾، إلّا أنّ (على) فيها متعلّقة بـ(فَتَحْنَا) دون (بَرَكَاتٍ)، والمعنى واحد.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب ر م

لفظان، مرّتان، في سورة مكّيّة

أبرَمُوا ١ : ١ مُبرِمُون ١ : ١

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: البَرَم: الّذي لايُياسر القوم ولايدخل معهم في المَيسِر، وجمعه: أبرام. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرَم: ثمر الأراك، وشبهه من الأشجار.

وبَرِمتُ بكذا: أي ضَجِرتُ منه بَرَمًا، ومنه: التّبرُّم.

وأبرمَني فلان إبرامًا، أي أضجَرَني.

والإبرام: إحكام الشّيء، وأبرَمْتُ الأمرَ، أي أحكمْتُه.

والبِرام: جمع البُرْمَة، وهو قِدرٌ من حجَر.

والبَرِيم: خَيْط يُنظَم فيه خرَز، فتشُدّه المرأة على حَقْوَيها.

والبَرَم: قِنان صغار من الجبال، الواحدة: بَرَمَة، يعني جبال الرّمل، فافهم.

والبَرِيم: كلّ ذي لونين.

والنّضر بن بريم: كان من سادات حِمْيَر.

(٨: ٢٧٢)

يقول العرب: هؤلاء بَرِيم قوم، أي لفيفهم من كلّ لون. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن فارِس ١: ٢٣٢)

الأخفَش: البَرَم: حبوب العِنَب إذا زادت على الزّمَع، أمثال رؤوس الذّرّ.

وشذّ عن هذه الأُصول: البُرام، وهو القُراد الكبير، يقول العرب: «هو ألزَق من بُرام» وكذلك: البُرْمَة، وهي القِدْر. (ابن فارِس ١: ٢٣٣)

أبوعمروالشّيبانيّ: أبرَمَ الطّلْحُ، وذلك أوّل مايُخرِج ثمرته. (ابن فارِس ١: ٢٣٣)

البَرَم: ثمر الطّلْح، واحدته: بَرَمة.

(الأزهَريّ ١٥: ٢٢٢)

أبوعُبَيْدَة: يقال: اشوِ لنا من بَرِيمَيها، أي من الكَبِد والسّنام. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١٥: ٢٢٠)

المُبرِم: الغَثّ الحديث الّذي يُحدّث النّاس بالأحاديث الّتي لافائدة فيها ولامعنى لها، أُخذ من المُبرِم: الّذي يجني البَرَم، وهو ثمر الأراك، لاطعم له ولاحلاوة ولاحُموضة، ولامعنى له.

(الأزهَريّ ١٥: ٢٢١)

يقال: اشوِ لنا من بَريمَيْها، أي من الكَبِد والسّنام، يُقدّان طولًا ويُلفّان بخيط أو غيره؛ سُمّيا بذلك لبياض السّنام وسواد الكبد. (الجَوهَريّ ٥: ١٨٧٠)

البَيْرَم: عَتَلَة النّجّار أو العَتَلَة: بَيْرَم النّجّار.

(ابن منظور ١٢: ٤٥)

أبوزَيْد: يقال: هذه غنَم بَريم، إذا خُلط بين الضّأن البيض والسّود. وإذا اللّونان من شيءٍ واحد فهو أيضًا بَريم. (٢١٨)

الأصمَعيّ: المُبرِم: الّذي هو كَلٌّ على أصحابه، لانفع عنده ولاخير، بمنزلة «البَرَم» الّذي لايدخل مع القوم في المَيسِر، ويأكل معهم من لحمه.

(الأزهَريّ ١٥: ٢٢١)

أبوعُبَيْد: البَريم: خَيط فيه ألوان، تشدّه المرأة على حَقْوَيْها. (الأزهَريّ ١٥: ٢٢٠)

البَريم: الحبل المفتول، يكون فيه لونان، وربّما شدّته المرأة على وسطها وعَضُدها. (الجَوهَريّ ٥: ١٨٧٠)

تقول: اشوِ لنا من بَريمَيْها، أي من الكَبِد والسّنام.

والبَريم: القطيع من الظِّباء، والبَريم: شيءٌ تشدّ به المرأة وسطها، منظّم بخَرَز. (ابن فارِس ١: ٢٣٢)

ابن الأعرابيّ: البَريمان: الجيشان، عرَب وعجَم.

والبُرْم: القوم السّيّئو الأخلاق. (الأزهَريّ ١٥: ٢٢٠)

البَريم: خيطان يكونان من لونين.

والبَريم: ضوء الشّمس مع بقيّة سواد اللّيل.

والبَريم: القطيع من الغنم من ضأن ومِعْزَى.

والبَريم: ثوب فيه قَزّ وكَتّان.

والبريم: خَيْط يُفتَل على طاقين.

يقال: بَرَمْتُه وأبرَمْتُه.

والمِبرَم: الّذي يُسوّي البِرام ويَنحتها ويقطعها.

(الأزهَريّ ١٥: ٢٢١)

البَيْرَم: البِرْطيل.

العُلَّفة من الطّلْح: ماأخلف بعد البَرَمَة، وهو شِبْه اللّوبيا. (الأزهَريّ ١٥: ٢٢٢)

ابن السِّكّيت: في قوله:

والبائمات بشطَّي نخْلَة البُرَما

البُرَم: يريد البِرام.

يقال: بُرْمَة وبُرَم، إذا كنّ قليلًا. فإذا كنّ كثيرًا، فهي بُرَم، مثل: حُرَف، وحُرُف. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرَم: ثمر الأراك. فإذا أدرَكَ فهو مَرْدٌ، وإذا اسوَدّ فهو كَبَاثٌ، وبَريرٌ.

والبُرام: القُراد، وهو القِرْشام.

والبَرَم: الكُحْل المُذاب. (الأزهَريّ ١٥: ٢٢١)

البَرِم: الضَّجِر، والبَرَم: المصدر.

والبَرَم: الّذي لايدخل مع القوم في المَيسِر.

والبَرَم: بَرَم العِضاه، وهي هَنَةٌ مُدَحْرَجَة، وبَرَمَة كلّ العضاه صفراء إلّا العُرْفط تأتي بيضاء. ويقال: بَرَمَة السَّلَم أطيب البَرَم ريحًا. (إصلاح المنطق: ١٠١)

الدّينَوريّ: أبرَم الحَبْل: جعله طاقين، ثمّ

فتله . (ابن سيدة ١٠: ٢٧١)

ثـعلَب : البِرام: هـي القـدور، الواحـدة: بُـرْمَة، ولاتقل: قدور بِرام. (ذيل الفصيح: ٤)

والبَرَم: حَبّ العِنب إذا كان فوق الذّرّ، وقد أبرَم الكَرْم. (ابن منظور ١٢: ٤٣)

ابن دُرَيْـد: البَرَم: الّـذي لايأخـذ في المَيسِر، والجمع: الأبرام، وهو عيب.

رجل بَرَمٌ ورجـال أبـرام، وضـدّه يسـر ورجـال أيسار. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرِم: الّذي يتبرّم بالنّاس.

والبَرَم: ثمر العلف، والعلف ضرب من شجر العِضاه.

والبُرْمَة، والجمع: بُرَم وبُرَم وبِرام: قدور من حجارة معروفة. [ثمّ استشهد بشعر]

والبُرام: القراد. [ثمّ استشهد بشعر]

وأبرَمْتُ الأمر إبرامًا، إذا أحكمْتَه، وأبرمتُ الحَبْل فهو مُبرَم.

والإبرام: خلاف النّقض، وفي التّنزيل: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ الزّخرف: ٧٩.

والبَرِيم: خَيْط يُبرَم من صوف أبيض وأسود، يُشدّ على أحقِي الصّبيان، يُدفع به العين.

وتبرّمت بالشّيء تـبرّمًا، إذا اسـتثقلته. والرّجـل المُبرِم: الّذي يثقل على قلبك، وهو مأخوذ مـن إبـرام الحَبْل أيضًا، كأنّه قد ضيّق عليك.

وقطيع بريم، إذا كان فيه خلطين ضأن ومعزى.

وكلّ لونين اجتمعا فهو بريم، مثل البياض والسّواد وماأشبهها. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٧٦)

قال زهير:

يمينًا لَنِعْمَ السّيّدان وجدتما
على كلّ حال من سحيل ومُبرَم

فالسّحيل: خلاف المُبرَم، فالمُبْرَم: الشّديد الفتل والسّحيل: الرّخو. (٢: ١٥٥)

وقالت ليلى الأخيليّة:

يـاأيّها السّـدِم المُـلوّي رأسه
ليَسوقَ من أهـل الحـجاز بَريما

البَريم هاهنا: خلطان من ضأن ومَعْز، وكلّ لونين اختلطا فهما بَريم، وأكثر مايخصّ بذلك الحبل إذا كان فيه سواد وبياض. (٢: ٢٦٥)

ابن الأنباريّ: فلان يُبْرِم. المُبرِم: الثّقيل الّـذي كأنّه يقتطع من الّذين يجالسهم شيئًا، مـن استثقالهم إيّاه، بمنزلة «المُبرِم» الّذي يـقتطع حـجارة البِرام مـن جبلها. (الأزهَريّ ١٥: ٢٢١)

الصّاحِب: البَرَم: الّـذي لايـدخل مـع القـوم في المَيسِـر، وهي البَرَمَة أيضًا، وبَرَمَة: لغة في البَرَمَة.

والّذي لايَصبر عـلى النّـوائب، والّـذي لايـبتاع اللّحم. وفي المَثَل: «أبَرَمًا قَرُونًا» أي يَقرن بين البضعتين.

وثمر الأراك.

وأبرَمَت العِضاه إبرامًا: أثْمَرَتْ. وطَلْحٌ مُبرِم.

والبُرْمَة: قِدْرٌ من حجارة.

والبَرِيم: شيء تُشدّه الجارية في وسطها مُنظّمٌ بخَرَز، والحَبْل المفتول من لونين.

والبَرِيمة: سَيْرٌ يَـنُوّطون عـليه التّـمائم والخَـرَز، ويتبرّمون على أحقايهم.

والبَرِيمان: النّوعان من كلّ ذي خِلْطَيْن، كسواد اللّيل وبياض النّهار. وكذلك الدّمْع مع الإثمِد: بَرِيم.

وهؤلاء بَرِيم قوم، أي لفيف قوم مختلفون.

وكلّ شيءٍ خَلَطْتَ بعضه ببعض فقد بَرَمْتَه، وهو بَرِيم.

واشْوِ لنا من بَرِيمَيْ جَزُورك ـ مُثنّى ـ يعني الكَبِد والسّنام.

وأبرَمْتُ الأمرَ إبرامًا: أحكمْتُه.

والبَرَمَة: اسم من إبرام الحَبْل، وبَرَمْتُ الحَبْل وأبرَمْتُه. والمِبْرَم: شيءٌ كالمِغْزَل.

وبَرِمَ الشّرّ بينهم، أي نَشِبَ بينهم.

وبَرِمَ بحجّته يَبْرَم، إذا نواها فلم تحضُره، ورجل بَرِمة.

وبَرِمتُ بكذا: ضَجِرْت به بَرَمًا، ومنه التّبرّم.

ورجل بُرَمَة: يتبرّم بالنّاس.

والبُرام: القُراد، وفي المثَل: «ألزَق من بُرامٍ».

وبِرْمَة: من أسماء جبال بني سُلَيم.

وبَرِيمة: اسم راعٍ، في قول الرّاعيّ:

وأصْبَحَ راعينا بَرِيمَة

والبَرَم: الكُحْل، وليس بثقة.

وناقة يقال لها: البَرَم، قيل فيها: إذا دَرّت اللّقاح فلادَرّت البَرَم. (١٠: ٢٤٢)

القاليّ: البَرَم: الّذي لايدخل مع القوم في المَيْسِر، وهو ذمّ، وجمعه: أبرام. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: كان رجل بَرَمًا فجاء إلى امرأته وهي تأكل لحمًا، فجعل يأكل بَضْعَتَيْن بَضْعَتَيْن، فقالت له امرأته: أبَرَمًا قَرُونًا، فأرسلتها مثلًا. (١: ٢٠)

البَرِيم: خَيْط فيه لونان. (١: ٩٤)

البَرِيم: الخَيْط فيه سوادٌ وبياضٌ، ويقال للقطيع من الغنم إذا كان فيه مَعَزٌ: بَرِيم. (١: ٢٥٣)

الأزهَريّ: أبرَمْتُ الأمر، إذا أحكمْتُه. والأصل فيه: إبرام الفَتْل، إذا كان ذا طاقين. (١٥: ٢٢٢)

الجَوهَريّ: البَرَم بالتّحريك: مصدر قولك: بَرِمَ به بالكسر، إذا سَئِمه. وتبرّم به مثله. وأبرَمَه، أي أملّه وأضجره.

والبَرَم أيضًا: الّذي لايدخل مع القوم في المَيْسِر، والجمع: أبرام. وقال[1]:

ولابَرَمًا تُهْدى النّساءُ لِعِرْسِه

وفي المثَل: «أبَرَمًا قَرُونًا» أي هو بَرَمٌ ويأكل مع ذلك تمرتين تمرتين.

والبَرَم أيضًا: ثمر العِضاه، الواحدة: بَرَمَة. وبَرَمَة كلّ العِضاه صفراء إلّا العُرفُط فإنّ بَرَمَته بيضاء. وبَرَمَة السَّلَم أطيب البَرَم ريحًا.

وأبرَمْتُ الشيء، أي أحكمْتُه.

والمُبْرَم والبَرِيم: الحَبْل الّذي جُمع بين مفتولين ففُتلا حَبْلًا واحدًا، مثل ماءٍ مُسْخَنٍ وسَخينٍ، وعَسَلٍ مُعْقَدٍ وعَقيدٍ، وميزانٍ مُتْرَصٍ وتَرِيصٍ.

ومنه قيل للجيش: بَرِيم، لألوان شعار القبائل فيه. [ثمّ استشهد بشعر]

والمُبْرَم من الثّياب: المفتول الغَزْل طاقين، ومنه سمّي المُبْرَم، وهو جنس من الثّياب.

---

(١) الشّعر لمتمّم بن نُوَيْرة اليربوعيّ.

والبِرام بالكسر: جمع بُرْمَة، وهي القِدْر.

والبُرام بالضمّ: القُراد.

وبَيْرَمُ النّجّار: فارسيّ معرّب. (٥: ١٨٦٩)

البَرِيم: حَبْل فيه لونـان أسود وأبيض، وكـذلك الأخْصَف والخَصِيف، يشبَّه به الفَجْر الكاذب أيضًا، وهو ذَنَب السِّرْحان. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرِيم أيضًا: الماء الّذي خالط غيره. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن منظور ١٢: ٤٤)

ابن فارِس: الباء والرّاء والميم يـدلّ عـلى أربـعة أُصول: إحكام الشّيء، والغرض به، واختلاف اللّونين، وجنس من النّبات.

فأمّا الأوّل قال أبوزياد: المَبارم: مغازل ضِخامٌ تُبرِم عليها المرأةُ غزلَها، وهي من السَّمُر. ويـقال: أبـرَمْتُ الحَبْل، إذا فتلته متينًا. والمُبرَم: الغَزْل، وهـو ضـدّ السَّـحيل؛ وذلك أنّ المُـبرَم عـلى طـاقين مـفتولين، والسّحيل على طاقٍ واحدٍ.

وأمّا الغرض فيقولون: بَرِمْتُ بالأمر: عَـيِيتُ بـه، وأبرَمني: أعياني، قال [أبوزياد]: ويـقولون: أرجـو أن لاأبرَمَ بالسّؤال عن كذا، أي لاأعيا. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: أبرمَني إبرامًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وأمّا اختلاف اللّونين فيقال: إنّ البَرِيمَين: النّوعان من كلّ ذي خِلْطَيْن، مثل سواد اللّـيل مختلطًا بـبياض النّهار، وكذلك الدّمْع مع الإثمِد: بَـرِيم. [ثمّ اسـتشهد بشعر]

قال أبوزياد: ولذلك سمّي الصُّبح أوّل مايبدو بَرِيمًـا، لاختلاط بياضه بسواد اللّيل. [ثمّ استشهد بشعر]

والأصل الرّابع: البَرَم، وأطيبها ريحًا بَـرَم السَّـلَم، وأخبثُها ريحًا بَرَمَة العُرْفُط، وهي بيضاء كبَرَمَة الآس.

قال أبوزياد: البَرَمَة: الزّهرة الّتي تخرج فيها الحُبْلة. (١: ٢٣١)

أبوهِلال: الفرق بين إحكام الشّيء وإبرامـه: أنّ إبرامه: تقويته، وأصله في تقوية الحَبْل، وهو في غـيره مستعار.

الفـرق بـين الإبـرام والتّأريب: أنّ التّأريب شـدّة العقد، يقال: أرَّب العقد، إذا جعل عقدًا فوق عقد، وهو خلاف النَّشْط. يقال: نشَطه، إذا عقده بأُنشوطة، وهو عقد ضعيف. وأرَّبه، إذا أحكم عَقْده. وأنشَطَه، إذا حلّ الأُنشوطة. (١٧٥)

ابن سيدة: البَرَم: الّذي لايـدخل مـع القـوم في المَيْسِر، والجمع: أبرام.

فأمّا ماأنشده ابن الأعرابيّ مـن قـول أُحَـيْحَة، أو عَمرو بن الإطنابة:

إن تُرِدْ حَرْبِي تُلاقِ فـتًى غـيرَ مَمْلُوك ولا بَـرَمَهْ

فإنّه عنَى بالبَرَمَة البَرَمَ، والهاء مُبالَغَةٌ.

وقد يجوز أن يُؤنَّث على معنى العَـيْن، والنّـفس، والتّفسير لنا نحن، إذ لايتّجه فيه غير ذلك.

والبَرَمَة: ثَمَرةُ العِضاه. وهي ـأوّل وَهْلَة ـ فَتَلَـةٌ، ثمّ بَلَّة، ثمّ بَرَمَةٌ. وقد أخطأ أبوحنيفة في قوله: إنّ الفَتْلَة فَوْقَ البَرَمَة.

وبَرَمُ العِضاه كُلُّه أصفر، إلّا بَـرَمَةَ العُـرْفُط، فـإنّها بَيْضاءُ، كأنّ هـادِبَها قُطْنٌ، وهي مِثْل زِرِّ القـميص، أو أشفّ.

وبَرَمَة السَّلَم أطيَبُ البَرَم ريحًا، وهي صَفراءُ تُؤكَل، طيِّبةٌ.

وقد تكون البَرَمَة للأَراك.

والجمع: بَرَمٌ، وبِرامٌ.

والمُبْرِم: مُجتَني البَرَم، وخصّ بعضهم به مُجتَني بَرَم الأراك.

والبَرَم: حَبّ العِنَب إذا كان فوق زُؤُوس الذَّرّ.

وقد أبرَمَ الكَرْمُ، عن ثَعْلَب.

وبَرِمَ بالأمر بَرَمًا، فهو بَرِمٌ: ضَجِرَ.

وقد أبرَمَهُ فَبَرِمَ، وتَبَرَّمَ.

وأبْرَمَ الأمر، وبَرَمَه: أحكَمَه.

وأبْرَمَ الحَبْلَ: أجادَ فَتْلَه.

والمَبارِم: المَغازِل الّتي يُبْرَمُ بها.

والبَرِيم: خَيْطان مُختَلفان، أحْمَرُ وأصْفَرُ، وكذلك كلّ شيءٍ فيه لونان مُختلفان.

والبَرِيم: الصُّبح؛ لما فيه من سواد اللّيل، وبياض النّهار.

وقيل: بَريم الصُّبح: خَيْطُه المُختَلِطُ بلونين.

وكلّ شيئين اختلطا، واجتمعا: بَرِيمٌ.

والبَرِيم: حَبْل فيه لونان، مُزَيّن بجَوهَر، تشدّه المرأةُ على وسَطها، وعَضُدها، قال:

إذا المُرْضِع العَوْجاء جالَ بَرِيمُها

والبَرِيم: القَطيع من الغَنَم، يكون فيه ضَرْبان من الضَّأن، والمَعْز.

والبَرِيم: الدَّمعُ مع الإثْمِد.

وبَرِيم القوم: لَفِيفُهم.

والبَرِيم: الجَيْش فيه أخلاطٌ من النّاس.

والبَرِيم: العُوذَة.

والبَرَم: قِنانٌ من الجبال، واحدتُها بَرَمَة.

والبُرْمَة: قِدْرٌ من حجارة، والجمع: بُرَمٌ، وبِرامٌ، وبُرْمٌ، قال طَرَفَةُ:

جاءُوا إليك بكُلّ أرْمَلَة شَعْثاء تَحمِل مِنْقَعَ البُرَم

والمُبْرِم: الّذي يَقْتلع حجارة البِرام من الجَبَل.

ورَجُل مُبْرِمٌ: ثقيلٌ، منه، كأنّه يَقتَطِعُ من جُلَسائه شيئًا.

وقيل: الغَثّ الحديث، من المُبْرِم، وهو المُجتَني ثَمَر الأراك.

والبَيْرَم: العَتَلَة. وخصّ بعضُهم به عَتَلَة النَّجّار، وهو بالفارسيّة بتفخيم الباء.

والبُرام: القُراد، والجميع: أبرِمَةٌ، عن كُراع.

وبُرْمَة: موضع. قال كُثيّرُ عزّة:

رَجَعْتُ بها عنّي عَشيّةَ بُرْمَةٍ شَماتَة أعداء شُهُود وغُيَّب

وأبرَم: موضع. وقيل: نَبتٌ، مَثّل به سيبَويه، وفسّره السِّيرافيّ.

وبِرام: موضع. [ثمّ استشهد بشعر] (١٠: ٢٧٣)

الرّاغِب: الإبرام: إحكام الأمر، قال تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ الزّخرف: ٧٩، وأصله من: إبرام الحَبْل، وهو تَرديد فَتْله. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَرِيم: المُبْرَم، أي المفتول فَتلًا مُحكَمًا، يقال: أبرَمْتُه فبَرِمَ، ولهذا قيل للبخيل الّذي لايدخل في المَيسِر: بَرَمٌ، كما يقال للبخيل: مغلول اليد.

والمُبرِم: الّذي يَلِحّ ويُشدّد في الأمر تشبيهًا بمُبرِم الحبْل، والبَرَم كذلك.

ويقال لمن يأكل تمرتين تمرتين: بَرَمٌ، لشدّة مايتناوله بعضه على بعض.

ولمّا كان البريم من الحبْل قد يكون ذا لونين، سمّي كلّ ذي لونين به، من جنس مختلط، أسود وأبيض، ولغنم مختلطٍ وغير ذلك.

والبُرْمَة في الأصل هي القِدر المُبْرَمة، وجمعها: بِرام، نحو حُضْرَة وحِضار، وجعل على بناء المفعول، نحو ضُحَكَة وهُزَأة. (٤٤)

الزَّمَخْشَرِيّ: أنا بَرِمٌ بهذا الأمر، وقد بَرِمت به، وخَيْط مُبرَمٌ، وفلان بَرَم مافيه كرَمٌ، وفي الحديث: «أَبرام بنو المُغيرة».

ومن المجاز: أبرَمَ الأمر، وأمرٌ مُبرَم، وبَرِمَ فلان بحجّته، إذا لم تَحْضره. [ثمّ استشهد بشعر]

وهو بَرِمُ اللّسان: للعَييّ. وأمرٌ سَحيل ومُبرَمٌ.

وقال رُؤْبة:

بات يُصادي أمرهُ أمُبرَمُه

أعْصَمُه أم السّحيل أعْصَمُه

والأصل: الخَيْط السّحيل، وهو ماكان طاقًا واحدًا، والمُبرَم: طاقان يُفتلان حتّى يصيرا واحدًا.

(أساس البلاغة: ٢١)

من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ في أُذنيه الآنُك يوم القيامة.

وروي: «ملأ الله مسامعه من البَرَم»، وروي: «ملأ الله سَمْعَه من البَيْرَم».

البَرَم والبَيْرَم: الكُحْل المُذاب. (الفائق ١: ٦٠)

ابن الشّجريّ: البَرَم: الّذي لايدخل مع القوم في المَيسِر، ولايحتمل غرمًا لإصلاح حال. (١: ١٤٢)

قولهم: أبرَمْتُ الأمر، أي أحكمته، وأبرَمتُ الحبْل، إذا ضفرتَه فأجِدتَ ضَفْرَه. (١: ٢٤٨)

ابن الأثير: فيه: «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبّ في أُذُنَيه البَرَم» هو الكُحْل المذاب.

ويُروى البَيْرَم، وهو هو، بزيادة الياء، وقيل: البَيْرَم: عَتَلَة النّجّار.

وفي حديث وَفْد مَذْحِج: «كِرامٌ غير أبرامٍ» الأبرام: اللّئام، واحدهم: بَرَم بفتح الرّاء، وهو في الأصل: الّذي لايدخل مع القوم في المَيسِر، ولايُخرِج فيه معهم شيئًا.

ومنه حديث عمرو بن معدي كَرِب: «قال لعُمر: أَبرامٌ بنو المُغيرة؟ قال: ولِمَ؟ قال: نَزَلْتُ فيهم فما قَرَوْني غير قَوْس وثَوْر وكعب، فقال عمر: إنّ في ذلك لشِبعًا».

القَوْس: مايَبْقى في الجُلّة من التّمر، والثَّوْر: قطعة عظيمة من الأقِط[1]، والكعب: قطعة من السَّمْن.

وفي حديث خزيمة السّلميّ: «أينَعَت العَنَمة وسقطت البَرَمَة» هي زَهْرُ الطّلْح، وجمعها: بَرَم، يعني أنّها سَقطت من أغصانها للجَدْب.

وفي حديث الدّعاء: «السّلام عليك غير مودَّعٍ بَرَمًا» هو مصدر بَرِمَ به بالكسر يَبرَم بَرَمًا بالتّحريك، إذا سَئِمَه ومَلّه.

وفي حديث بَريرة: «رأى بُرْمَةً تفور» البُرْمَة: القِدر مطلقًا، وجمعها: بِرام، وهي في الأصل المتّخذة من الحجر

---

(١) الجُبن.

المعروف بالحِجاز واليمن، وقد تكرّرت في الحديث. (١: ١٢١)

الفَيُّوميّ: البُرْمَة: القِدْر من الحجَر، والجمع: بُرَم، مثل غُرْفَة وغُرَف، وبِرام.

وبَرِمَ بالشّيء بَرَمًا أيضًا فهو بَرِمٌ، مثل ضَجِرَ ضَجَرًا فهو ضَجِرٌ وزنًا ومعنى، ويتعدّى بالهمزة، فيقال: أبرَمْتُه به. وتبرّم: مثل بَرِمَ.

وأبرَمْتُ العقد إبرامًا: أحكمْتُه فانبَرَم هو، وأبرَمْتُ الشّيء: دبّرته. (١: ٤٥)

الفيروز اباديّ: البَرَم محرّكة: من لايدخل مع القوم في المَيسِر، وفي المثل «أبَرَمًا قَرُونًا» أي ثقيل، ويأكل مع ذلك تمرتين تمرتين، جمعه: أبرامٌ، والسّآمة والضّجَر، وقد بَرِم به كفَرِح، وثَمَر العِضاه، ومُجتنيه: المُبرِم كمُحسِن، وحَبّ العِنَب، إذا كان مثل رُؤوس الذّرّ، وقد أبرَمَ الكَرْم، وقِنان من الجبال، وناقة. وجمع البَرَمة للأراك كالبِرام.

وأبرَمَه فبَرِم كفَرِح، وتبرّم: أمَلّه فَملّ.

وأبرَمَ الحبْل: جعله طاقين ثمّ فتَله، والأمرَ: أحكمَه كبَرّمَه بَرْمًا.

والمَبارِم: المَغازل الّتي يُبرَم بها.

والبَريم كأمير: الصّبح، وخيطان مختلفان أحمر وأبيض تشدّه المرأة على وسطها وعَضُدها، وكلّ مافيه لونان مختلطان، وحَبْل للمرأة فيه لونان مزيّنٌ بجوهر، والدّمْعُ المُختلِط بالإثْمِد، ولفيف القوم والجيش، لأنّ فيه أخلاطًا من النّاس، أو لألوان شعار القبائل، والعُوذة، وقطيع الغنم ضأنٌ ومِعزى، والمتّهم.

واشوِ لنا من بَرِيمَيها، أي كَبِدها وسَنامها يُقَدّان طولًا ويُلفّان بخَيْط أو غيره، سُمّيا لبياض السّنام وسواد الكَبِد.

والبُرْمَة بالضّمّ: قِدْرٌ من حجارة، جمعه: بُرَم بالضّمّ، وكصُرَد وجِبال.

وكمُحسِن: صانعها أو مَن يقتلع حجارتها من الجبال، والثّقيل كأنّه يقتطع من جُلسائه شيئًا، والغَثّ الحديث.

وكمُكرَم: الثّوب المَفتول الغَزْل طاقين، وجنسٌ من الثّياب.

والبَيْرَم: العَتَلَة أو عَتَلَة النّجّار خاصّة، والكُحْل المُذاب كالبَرَم محرّكةً، والبِرْطيل.

وكغُراب: القُراد، جمعه: أبرِمَة.

وبَرِمَ بحجّته كعَلِم، إذا نواها فلم تَحضُره.

وأبرَمُ كأحْمَد: بَلدة، أو نَبْتٌ، وبُرْمٌ بالضّمّ: موضعٌ، وبهاءٍ: اسم، وكسحاب وقَطام: موضع، وكجُهَيْنَة: اسم. (٤: ٧٩)

الطُّريحيّ: وأبرَمَ الحبْل، إذا أحكَم فتله، ومنه القضاء المُبرَم.

وفي حديث وداع شهر رمضان: «غير مودَّع بَرَمًا» هو بالتّحريك مصدر بَرِم بالكسر، يقال: بَرِمَ بَرَمًا فهو بَرِمٌ، مثل ضَجِر ضَجَرًا فهو ضَجِر وزنًا ومعنًى، إذا سَئِمه ومَلّه.

ومنه حديث وصف المؤمن: «لايتبرّم ولايتسخّط» أي لايسأم ولايتضجّر من أعمال الخير، ويقال: أبرَمَه، أي أملّه وأضجَره.

وأبرَمتُ إبرامًا، أي أحكمته فأُبرِم.

وأبرَمتُ الشّيء وبَرَمتُه.

وفي الدّعاء: «يامُدبّر الإبرام والنّقض». الإبرام في الأصل: فتل الحبْل، والنّقض بالضّاد المعجمة نقيضه، والكلام استعارة.

والمراد تدبير أُمور العالم على ماتقتضيه حكمته البالغة من الإبقاء والإفناء، والإعزاز والإذلال، والتّقوية والإضعاف، وغير ذلك.

والبُرْمَة: القِدْر من الحجر، والجمع: بُرَم، كغُرْفَة وغُرَف، وبِرام ككِتاب. (٦: ١٦)

مَجْمَعُ اللُّغة: أبرَمَ الحبْل: جعله طاقين، ثمّ فتله.

وأبرَم الأمرَ: استعمال مجازيّ، بمعنى أحكَمَه، فهو مُبرِم وهم مُبرِمون. (١: ٩٤)

العَدْنانيّ: بَرَمَ شاربَيْه:

ويخطّئون من يقول: بَرَمَ فلان شاربَيْه، ويقولون: إنّ كلمة «بَرَمَ» عامّيّة، ويرون أنّ الصّواب هو: فَتَلَ شاربَيْه.

والحقيقة هي أنّ كلا الفعلين بَرَمَ وفَتَلَ فصيح. ومعظم اللّغة العامّيّة فصيح أو له صلة بالفُصحى من قريب أو بعيد.

وأنا أرى أن نُقبِل على استعمال الكلمات الفصيحة، الّتي تستعملها العامّة أكثر من إقبالنا على استعمال مترادفاتها الفصيحة، الّتي لم تَتَسرَّبْ في اللّغة العامّيّة، لكي نجذب العامّة إلى الفُصحى، بدلًا من أن تجذب العامّيّة الفصحى إليها.

البَرِّيمة أو البِزال: جاء في المجلّد التّاسع من مجموعة المصطلحات العلميّة والفنّيّة، الّتي أقرّتها لجنة ألفاظ الحضارة، بمجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، ووافق عليها مؤتمر المجمع، بالاشتراك مع المجمع العلميّ العراقيّ، في الجلسة الخامسة للمؤتمر، بتاريخ ٤ شُباط ١٩٦٧، في المادّة رقم (١٠٣) أنّ المؤتمر وافق على أن يُطلق على الفتّاحة بأداةٍ لولبيّةٍ، لإخراج السّدادات من الزّجاجات، اسم البَرِّيمة أو البِزال.

وعندما ظهرت الطّبعة الثّانية من المعجم الوسيط، عام ١٩٧٢، ذُكِرت فيها البَرِّيمة والبِزال، دون أن يقال: إنّهما مجمعيّتان. وذُكِرت فيها لهما كلمتان مترادفتان، هما: البَرّامَة والمِبْزال. (٥٥)

محمود شيت: ١ـ أ ـ بَرَمَ الحبْل بَرْمًا: فتَلَه، وأبرَمَ الشّيء: أحكَمَه.

ب ـ بَرِم بالشّيء بَرَمًا: سئمه وضَجِر به، فهو بَرِم.

ج ـ الإبرام: إحكام الأمر.

د ـ البَرِّيمة: أداة ذات لولب معدنيّ، تستعمل في الثّقب، وفي نزع السّدّادة من القارورة.

البَرْمائيّ: حيوان أو نبات يعيش في البرّ والبحر. ويقال: طائرة بَرْمائيّة تهبط في البرّ والبحر.

و ـ البُرْمَة: القِدْر من الحجارة، جمعها: بُرَمٌ وبُرْمٌ وبِرامٌ.

ز ـ المِبْرَم: المِغْزَل، جمعه: مَبارم.

٢ـ أ ـ إبرام الحُكم: تصديقه، وإبرام شروط المعاهدة: إحكامها، وإبرام المعاهدة: التّصديق عليها، وإبرام وقف إطلاق النّار: إقراره.

ب ـ البَرِّيمة: أداة ذات لولب معدنيّ من أدوات

الحدّادين والنجّارين في الجيش.

ج ـ البَرْمائيّ: طائرة برمائيّة: تستعمل في البرّ والبحر، جنود برمائيّون: يقاتلون في البرّ والبحر.

د ـ البُرْمَة: قِدرٌ من الحجارة يستعمله الجنود في معسكرات العراء.

هـ ـ المِبْرَم: المِغزل، وآلة للبَرْم من آلات النّجّارين والحدّادين في معامل الجيش. (١: ٨٣)

المُصْطَفَويّ: الظّاهر أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة هو: الإحكام بالفتل، وخلط الجنسين، ونظيرهما. وليس مطلق الإحكام ولامطلق الفَتْل مفهومًا هنا.

وأمّا الضّجَر والعيّ فهما من آثار الفَتْل والتّحويل والانطواء بشيء. وهذا المفهوم أعمّ من أن يكون فتل أمرين محسوسين أو معقولين، فيشمل انفتال الحبل، والتواء النّور والظّلمة. وانطواء العملين أو الحادثتين توجبان الضّجَر والسّأم.

وأمّا زَهرة العضاه فلعلّ الإطلاق بمناسبة التوائها أو إحكامها. (١: ٢٤٥)

النّصوص التّفسيريّة

أَمْ اَبْرَمُوا اَمْرًا فَاِنَّا مُبْرِمُونَ. الزّخرف: ٧٩

ابن عبّاس: أحكموا أمرًا في شأن محمّد، فإنّا مبرمون أمرًا بهلاكهم. (تنوير المقباس: ٤١٦)

مُجاهِد: مجمعون، إن كادوا شرًّا كِدْنا مثله. (الطّبَريّ ٢٥: ١٠٠)

قَتادَة: أم أجمعوا أمرًا فإنّا مجمعون على الجزاء بالبعث. (القُرطُبيّ ١٦: ١١٨)

الكَلْبيّ: أم قضوا أمرًا فإنّا قاضون عليهم بالعذاب. (القُرطُبيّ ١٦: ١١٨)

ابن زَيْد: أم أحكموا أمرًا فإنّا محكمون لأمرنا. (الطّبَريّ ٢٥: ١٠٠)

الفَرّاء: يريد: أبرموا أمرًا ينجيهم من عذابنا عند أنفسهم ﴿فَاِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: معذّبوهم. (٣: ٣٨)

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره: أم أبرم هؤلاء المشركون من قريش أمرًا فأحكموه، يكيدون به الحقّ الّذي جئناهم به، فإنّا محكمون لهم مايخزيهم ويذلّهم من النّكال. (٢٥: ١٠٠)

الزّجّاج: أي أم أحكموا عند أنفسهم أمرًا من كيد أو شرّ ﴿فَاِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ مُحكمون مجازاتهم كيدًا بكيدهم وشرًّا بشرّهم. (٤: ٤٢٠)

الهَرَويّ: أي مُحكمون أمرًا يزيل كيدهم. (١: ١٥٩)

الطّوسيّ: أي أجمعوا على التّكذيب، أي عزموا عليه، فإنّا مجمعون على الجزاء لهم بالتّعذيب، وهو قول قَتادَة.

ويكون ذلك على وجه الازدواج، لأنّ العزم لايجوز عليه تعالى، ومثله ﴿وَجَزٰؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ الشّورى: ٤٠.

وقيل: معناه أم أحكموا أمرًا في المخالفة، فإنّا محكمون أمرًا في المجازاة. (٩: ٢١٨)

ابن عَطيّة: أي فإنّا محكمو نصره وحمايته. والإبرام: أن تجمع خيطين ثمّ تفتلهما فتلًا متقنًا. والبريم: خيط فيه لونان. (٥: ٦٥)

الطَّبْرِسيّ : أي بل أحكموا أمرًا في كيد محمّدﷺ والمكر به ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ أي محكمون أمرًا في مجازاتهم. (٥: ٥٧)

مثله النَّسَفيّ (٤: ٢٤)، والخازن (٦: ١١٨).

ونحوه الفَخْر الرّازيّ (٢٧: ٢٢٨)، والنّيسابوريّ (٢٥: ٥٩)

أبوالفُتُوح : إنّهم عزموا على الكفر، ونحن عزمنا على عقابهم. والعزم مجاز في حقّ الله تعالى، فيفسّر بالإرادة.

أمّا في الزّواج فيستعمل لفظا عَزْم وإبرام. والإبرام في اللّغة: الإحكام، يقال: أبرَمتُ عزمي وصمّمته.

ومعنى الآية أنّهم بالغوا في المعصية، فنبالغ نحن أيضًا في عذابهم. (١٧: ١٩١)

القُرطُبيّ : (أَبْرَمُوا) أحكموا. والإبرام: الإحكام، أبرمتُ الشّيء: أحكمته. وأبرم الفتّال، إذا أحكم الفَتْل، وهو الفتل الثّاني، والأوّل سَحيل. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل: (أَمْ أَبْرَمُوا) عطف على قوله: ﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ الزّخرف: ٤٥.

وقيل: أي ولقد جئناكم بالحقّ فلم تسمعوا، أم سمعوا فأعرضوا، لأنّهم في أنفسهم أبرموا أمرًا آمنوا به العقاب. (١٦: ١١٨)

نحوه أبوحَيّان (٨: ٤)، والحجازيّ (٢٥: ٤٨).

الشِّربينيّ : أي أحكم كفّار مكّة أمرًا، أي في المكر برسول اللهﷺ، وفي ردّ أمرنا ومعاداة أوليائنا، مع علمهم بأنّا مطّلعون عليهم ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ أي محكمون أمرًا في مجازاتهم، أي مبرمون كيدنا كما أبرموا كيدهم، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ الطّور: ٤٢. (٣: ٥٧٥)

البُرُوسَويّ : الإبرام: إحكام الأمر، وأصله: من إبرام الحبل، وهو ترديد فتله.

وهو كلام مبتدأ، و(أم) منقطعة ومافيها من معنى «بل» للانتقال من توبيخ أهل النّار إلى حكاية جناية هؤلاء، والهمزة للإنكار.

فإن أُريد بالإبرام: الإحكام حقيقةً، فهي لإنكار الوقوع واستبعاده، وإن أُريد الإحكام صورةً، فهي لإنكار الواقع واستقباحه.

أي أبرم وأحكم مشركو مكّة أمرًا من كيدهم ومكرهم برسول الله ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدنا حقيقة لاهُم، أو ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ بهم حقيقةً كما أبرموا كيدهم صورةً، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ الطّور: ٤٢، وكانوا يتناجون في أنديتهم ويتشاورون في أمورهﷺ.

قال في «فتح الرّحمان»: كما فعلوا في اجتماعهم على قتلهﷺ في دار النّدوة إلى غير ذلك. (٨: ٣٩٤)

نحوه الآلوسيّ. (٢٥: ١٠٢)

المَراغيّ : أي بل هم تحيّلوا في ردّ الحقّ بالباطل بوجوه من الحيل والمكر، فكادهم الله تعالى وردّ عليهم سوء كيدهم، بتخليدهم في النّار معذّبين فيها أبدًا.

وقُصارى ذلك أحكموا كيد النّبيّﷺ، وإنّا محكمون لهم كيدًا، قاله مُجاهِد وقَتادَة وابن زَيْد.

ونحو الآية قوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النّمل: ٥٠، وقوله: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ

كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ الطّور: ٤٢.

(٢٥: ١١١)

عِزّة دَرْوَزَة: أبرموا: بيّتوا وقرّروا وأحكموا.

(٥: ٢٣١)

الطَّباطَبائيّ: الإبرام: خلاف النّقض، وهو الإحكام، و(أم) منقطعة. (١٨: ١٢٤)

عبد الكريم الخطيب: هو إضراب عن هذا الخطاب الّذي وُجّه إليهم، والّذي كان من شأنه أن يُحدث لهم ذكرًا، وأن ينقادوا للحقّ ويُذعنوا له.

وأمّا ولم يكن لهم من هذا الحديث عبرة وعظة، فقد كان من التّدبير الحكيم أن يطوي عنهم هذا الحديث، وأن يواجَهوا بهذا الواقع الّذي هم فيه. وهو أنّهم قد أبرموا أمرهم وأحكموه على هذا الضّلال، والله سبحانه قد أحكم أمره، على أن يأخذ المجرمين بجرمهم.

وفي هذا وعيد لهم بما سيلقون من عذاب أليم، يوم لايغني مولى عن مولى شيئًا، ولاهم يُنصَرون.

(١٣: ١٦٩)

عبد المنعم الجمّال: (أم) منقطعة بمعنى «بل» الانتقاليّة، وهمزة الإنكار والتّوبيخ. وأبرم إبرامًا: أتقن، وأبرم العقد: أمضاه، وأبرم الأمر: أحكم تدبيره.

(٤: ٢٨٣٦)

المُصْطَفَويّ: أي يحكمون أمرهم ويتمسّكون بأيّ وسيلة ممكنة في تحكيم أعمالهم وأفكارهم الباطلة، بفتلٍ والتواء وانطواءٍ وخَلْطٍ ومغالطةٍ، ولكنّ الله هو المُبرم القويّ الشّديد ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ الزّخرف: ٧٨، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَانَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوٰيهُمْ بَلٰى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ الزّخرف: ٨٠. (١: ٢٤٦)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة «البَريم» وهو الحبل أو الخيط المفتول من لونين، ثمّ عُمّم في كلّ ذي خِلطين، يقال: ثوب بريم، إذا كان فيه قزّ وكتّان، وغنم بريم، إذا خلط فيه بين ضأن ومعزًى، أي بين الضّأن البيض والسّود. ويقال للجيش: بريم أيضًا، لما تلوح فيه ألوان شعائر القبائل، يقال: هؤلاء بريم قوم، أي لفيفهم من كلّ لون، ويقال لجيشي العرب والعجم: البَريمان، وبَريما الجزور: الكَبِد والسّنام، لسواد الكَبِد وبياض السّنام، يقال: اشوِ لنا من بَريمَيْها.

والبَريم أيضًا: خيط يُنظَم فيه خَرَز، فتشدّه المرأة على حَقْوَيها، وكذا خيط يُبرَم من صوف أبيض وأسود، يشدّ على أحقاء الصّبيان، يُدفع به العين. والبَريم: خليط الدّمع والإثمِد، وكذا الماء الّذي يُخالط غيره. ويُطلق على سير تناط عليه التّمائم والخَرَز: البريمة.

ومنه: بَرَمَ الحَبْل يَبرُمُه بَرْمًا: جعله طاقين ثمّ فتله، وكذا أبرمه إبرامًا، والاسم منه البَرْمة، والمِبْرَم: المِغْزل. والبُرْمة: القِدْر من الحجر، فكأنّ حجره أُبرم إبرامًا.

ونشأ من الفتل الشّدّ والإحكام، يقال: أبرمتُ الأمرَ، أي أحكمتُه، وبَرِمَ الشّرّ بينهم، أي نَشِب واستحكم.

ونشأ منه السّأم أيضًا، يقال: بَرِمَ بالأمر بَرَمًا: سَئِمَه، فهو بَرِم. وأبرمه فلانٌ إبرامًا، أي أملّه وأضجره،

يقال: لاتُبرمني بكثرة فضولك. وتبرّم تبرّمًا: ملَّ وسَئِم، ورجلٌ بُرَمَةٌ: يتبرّم بالنّاس، وكذا بَرِمٌ.

ومنه أيضًا: المُبْرِم، أي مجتني البَرَمة، وهي ثمرة العِضاه، وثمره لاطعم له. وشبّهوا به الغثّ الحديث الّذي يضجر النّاس بأحاديث لافائدة فيها ولامعنى، يخلط بعضها ببعض، ويكون كَلًّا عليهم. وهو كالبَرَم، أي الّذي لايدخل مع القوم في المَيْسِر ـ وهو الجزور الّتي كان أهل الجاهليّة يتقامرون عليها ـ ويأكل معهم من لحمه، وهو ذمّ عندهم، وفي المثل: «أبَرَمًاقرونًا»، أي هو بَرَم ويأكل مع ذلك بضعتين بضعتين.

والبُرام: القُراد الكبير، وهو ضرب من الحشرات، يتطفّل على الحيوانات، فيمتصّ دمها، ويكون كَلًّا عليها، كما يكون المُبرِم كَلًّا على أصحابه.

ومن المجاز: البَرِيم: الصّبح، لاختلاط بياضه بسواد اللّيل.

٢ـ ولعلّ بَيْرم النّجّار، أي عتلته الّتي يثقب بها الخشب، من البَرْم والفتل؛ إذ كان النّجّار قديمًا يديرها بيده أو بسير يربطه بها، ويقوم ببَرْمها مرارًا وتكرارًا حتّى يثقب الخشب.

وتلحق ياء «فَيْعَل» غالبًا بألفاظ تدلّ على الكثرة والشّدّة ومابمعناهما، مثل: عيلم وهيكل وصيهد وعيهل وهلمّ جرًّا، ولاشكّ أنّ عمل البيرم واستعماله يدلّ على هذا المعنى.

ولعلّه أعجميّ أيضًا، كما ذهب إليه الجواليقيّ، وفارسيّ الأصل خاصّة، كما صرّح به الجوهريّ، فيكون على غرار ألفاظ أُلحقت بهذا الوزن، مثل: بيدق وقيصر.

ولايبعد أن يكون معرّب لفظ «بَرْما» الفارسيّ، أي المِثْقب، فهو يضارعه معنًى، ويكاد يقاربه لفظًا.

الاستعمال القرآنيّ

ورد لفظان من هذه المادّة في آية واحدة:

﴿اَمْ اَبْرَمُوا اَمْرًا فَاِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ الزّخرف: ٧٩.

يلاحظ أوّلًا: أنّ هذه الآية جاءت ضمن آيات متفرّقة من سورة الزّخرف المكّيّة، وهي تنحي باللّائمة على قريش وعُتاتها المشركين، ابتداءً من قوله: ﴿اَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا اَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾، وانتهاءً بقوله: ﴿وَمَضٰى مَثَلُ الْاَوَّلِينَ﴾ الزّخرف: ٥ ـ ٨، ثمّ انكفأت السّورة إلى سرد النّعم الّتي أنعمها الله عليهم في الآيات (٩ ـ ١٤)، وذكر المواعظ والعبر والبراهين على توحيد الله بأُسلوب التّرغيب والتّرهيب، من قوله: ﴿وَلَئِنْ سَاَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ﴾ إلى قوله: ﴿وَاِنَّا اِلٰى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

ورجعت السّورة عودًا على بدء بلومهم وعذلهم في الآيات (١٥ ـ ٢٢)؛ وذلك من قوله: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ إلى ﴿وَاِنَّا عَلٰى اٰثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ ثمّ عمّمت اللّوم للأُمم السّالفة، وخصّت بالذّكر منهم قوم إبراهيم وعيسى، فبيّنت ماأصابهم من الثّواب والعذاب في الآيات (٢٣ـ٧٨)، ابتداءً بقوله: ﴿وَكَذٰلِكَ مَااَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾، وانتهاءً بقوله: ﴿وَلٰكِنَّ اَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾

ثمّ عادت أيضًا إلى لومهم في الآيات (٧٩ ـ ٨٣)،

اعتبارًا من قوله: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ وأخيرًا ذكرت بعض النّعم، ثمّ انتهت بقوله: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ * فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٨٨، ٨٩

وقد تشابكت الأُمور في هذه السّورة على المشركين بلومهم وذكر ماأنعم الله عليهم وسرد العبر لهم. كما تصدّرت السّورة وتخلّلتها آيات بشأن القرآن (١-٤) و(٣١) و (٤٣ و٤٤): ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ...﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ...﴾، ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ...﴾

ثانيًا: وسياق آيات هذه السّورة الّذي يمتاز بالتّجانس الموضوعيّ المتمثّل بمكافحة الشّرك ومقارعة المشركين، والتّجانس اللّفظيّ المتمثّل بوحدة الرّويّ ـ كما هو شأن السّور المكّيّة ـ يحملنا على القول بأنّ كلمة (أم) في صدر الآية هي متّصلة، كما ذهب إليه بعض المفسّرين، فتكون عطفًا على آخر آية تنحي باللّائمة عليهم، وهو قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ الزّخرف: ٢٢، ولايمنع ذلك وقوع آيات متباينة الموضوع بينهما، ومثله كثير في القرآن.

وهذا الّذي اخترناه أولى من قول القرطبيّ بأنّه عطف على قوله: ﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ الزّخرف: ٤٥، أو تعقيب لقوله قبله: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ الزّخرف: ٧٨، أي ولقد جئناكم بالحقّ فلم تسمعوا، أم سمعوا فأعرضوا، لأنّهم في أنفسهم أبرموا أمرًا أمنوا به العقاب.

كما أنّه أولى من قول بعضهم: إنّ (أم) منقطعة بمعنى «بل» للإضراب عمّا قبلها من الخطاب الّذي وُجّه إليهم، والّذي كان من شأنه أن يحدث لهم ذكرًا، وأن ينقادوا للحقّ ويذعنوا له، ولكنّهم أبرموا أمرًا على الضّلال فلاينتفعون به.

ثالثًا: ورد سياق الآية على نمط الازدواج، وهو بين (أَبْرَمُوا) و(مُبْرِمُونَ)، أي أحكموا أمرًا في شأن الرّسول، فإنّا محكمون بمجازاتهم. وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ النّمل: ٥٠، وقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ الشّورى: ٤٠، وقوله: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ الطّور: ٤٢، وكلّ هذه الآيات مكّيّة أيضًا.

رابعًا: تعتبر هذه الآية آخر خطاب لهم في السّورة، فلامجال بعد ذلك لمحاجّتهم، ويتلوها قوله في نهاية السّورة: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾. الزّخرف: ٨٩.

ب ر ه ن

٣ ألفاظ، ٨ مرّات: ٦ مكّيّة، ٢ مدنيّة

في ٧ سور: ٥ مكّيّة، ٢ مدنيّة

بُرهان ٣: ٢ـ١ بُرهانكم ٤: ٣ـ١

بُرهانان ١: ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: البُرهان: بيان الحجّة وإيضاحها.

والبَرَهْرَهَة: الجارية البيضاء، وبَرَهُها: ترارَتُها وبضاضتها. وتصغير البَرَهْرَهة: بُرَيْهَة، ومن أتمّها قال: بُرَيْرِهَة. وأمّا بُرَيْهِرهة فقبيحة، قلّما يُتكلّم بها.

وأبْرَهَة: اسم أبي يَكْسوم الحبشيّ ملك اليمن، الّذي ساق الفيل إلى البيت فأهلكه الله. [ثمّ استشهد بشعر]

(٤: ٤٩)

نحوه الصّاحِب. (٣: ٤٨٣)

الأصمَعيّ: البَرَهْرَهَة: الّتي كأنّها تُرعَد من الرّطوبة. (الأزهَريّ ٦: ٢٩٥)

بَرَهُوت، على مثال رَهَبُوت: بئر بحَضْرَمَوت، يقال: فيها أرواح الكفّار. وفي الحديث: «خير بئر في الأرض زَمْزَم، وشرّ بئرٍ في الأرض بَرَهُوت».

ويقال: بُرْهُوت مثل سُبْرُوت.

(الجوهَريّ ٦: ٢٢٢٧)

أبو عُبَيْد: البُرْهَة: الزّمان، يقال: أقمت عنده بُرْهَةً من الدّهر، كقولك: أقمت عنده سَبَّةً من الدّهر.

(الأزهَريّ ٦: ٢٩٥)

ابن الأعرابيّ: بَرِهَ الرّجل، إذا ثاب جسمه بعد تغيّر من علّة.

وأبرَه الرّجل: غلب النّاس، وأتى بالعجائب.

(الأزهَريّ ٦: ٢٩٤)

البَرَهْرَهَة: الّتي لها بريق من صفائها.

(الأزهَريّ ٦: ٢٩٥)

ابن السِّكّيت: أقمت عنده بُرْهَةً من الدّهر، وبَرْهَةً من الدّهر. (الأزهَريّ ٦: ٢٩٥)

الزّجّاج : يقال للّذي لايُبرهن حقيقته : إنّما أنت مُتمنٍّ، فجعل «يُبَرْهن» بمعنى يُبيّن. وجمع البُرهـان : براهين، وقد بَرْهَن عليه : أقام الحجّة.

(ابن منظور ١٣: ٥١)

ابن دُرَيْد : بُرهان : معروف، من قولهم : هذا بُرهان هذا، أي إيضاحه. (٣: ٤١٦)

الأزهَريّ :قال اللّيث : البُرهان : الحجّة، وإيضاحها.

قلت : ونون البُرهان ليست أصليّة، وقولهم : بَرْهَنَ فلان، إذا جاء بالبُرهان، مُولّد، والصّواب أن يقال : أبْرَهَ، إذا جاء بالبُرهان، كما قاله ابن الأعرابيّ إن صحّ عنه، وهي في رواية أبي عمرو.

ويجوز أن تكون النّون في «البُرهان» نون جمع على «فُعلان» ثمّ جعلت كالنّون الأصليّة، كما جمعوا : مُصادًا على مُصْدان، ومصيرًا على مُصْران، ثمّ جمعوا مُصْران على مَصارين، على توهّم أنّها أصليّة.

وقيل : [البَرَهْرَهَة] هي الرّقيقة الجلد، كأنّ الماء يجري فيها من النّعمة. (٦: ٢٩٤)

الرُّمّانيّ : [الفرق بين الدّلالة والبرهان أنّ]

«الدّلالة» قد تُنبئ عن معنى فقط لايشهد بمعنى آخر، وقد تُنبئ عن معنى يشهد بمعنى آخر. و«البرهان» ليس كذلك، لأنّه بيان عن معنى آخر.

(الطّبْرِسيّ ١: ١٨٦)

«الدّليل» يكون وضعيًّا، قد يمكن أن يُجعل على خلاف ماجُعل عليه، نحو دلالة الاسم على المسمّى. وأمّا «دلالة البُرهان» فلايمكن أن توضع دلالة على خلاف ماهي دلالة عليه، نحو دلالة الفعل على الفاعل، لايمكن أن تُجعل دلالة على أنّه ليس بفاعل. (أبوهِلال : ٥٥)

الجَوهَريّ : البُرهان : الحجّة، وقد بَرْهَن عليه، أي أقام الحجّة. (٥: ٢٠٧٨)

أتت عليه بُرْهَة من الدّهر وبَرْهَة، أي مدّة طويلة من الزّمان.

والبَرَهْرَهَة : المرأة الّتي كأنّها تُرعَد رُطوبة، وهي فَعَلْعَلَة، كُرّر فيه العين واللّام. (٦: ٢٢٢٧)

أبوهِلال : الفرق بين الدّلالة والبُرهان : أنّ البرهان لايكون إلّا قولًا يشهد بصحّة الشّيء، والدّلالة تكون قولًا، تقول : العالَم دلالة على القديم وليس العالَم قولًا. وتقول : دلالتي على صحّة مذهبي كذا، فتأتي بقول تحتجّ به على صحّة مذهبك.

وقال بعض العلماء : البُرهان : بيان يشهد بمعنى آخر حقّ في نفسه، وشهادته مثال ذلك : أنّ الإخبار بأنّ الجسم مُحدَث هو بيان بأنّ له مُحدِثًا، والمعنى الأوّل حقّ في نفسه. والدّليل : مايُنبئ عن معنى من غير أن يشهد بمعنى آخر، وقد يُنبئ عن معنى يشهد بمعنى آخر، فالدّليل أعمّ.

وسمعت من يقول : البُرهان : مايقصد به قطع حجّة الخصم. فارسيّ معرّب، وأصله : بِران، أي اقْطَع ذاك، ومنه «البُرْهَة» وهي القطعة من الدّلالة، ولايُعرف صحّة ذلك. (٥٥)

الهَرَويّ : البُرهان : البيان، يقال : بَرْهَن قوله، أي بيّنه بحجّة. (١: ١٦٠)

ابن سيدة : البَرْهَة والبُرْهَة جميعًا : الحين الطّويل من الدّهر.

والبَرَه: التَّارَة، وامرأة بَرَهْرَهَة: تارّة، وتكاد تُرعَد من الرّطوبة. وقيل: بيضاء.

والبُرهان: بيان الحجّة واتّضاحها، وفي التنزيل ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ البقرة: ١١١، الأنبياء: ٢٤، النّمل: ٦٤. (٤: ٣١٣)

البُرهان: الحجّة على صحّة الدّعوى. والنّون زائدة، مصدر: بَرِه يبرَه بَرَهًا، إذا ابيضّ، سمّيت به الحجّة لنصوع دلالتها على المطلوب.

أو من البَرْه وهو القطع، ومنه البُرْهَة، وهي القطعة من الزّمان، سمّيت به الحجّة، لأنّ بها قَطْع دعوى الخصم.

أو من البَرْهَنَة، بمعنى البيان.

وأبرَه وبَرْهَنَ على كذا: أتى بالبُرهان، وأبرَه: غلب النّاس. (الإفصاح ١: ٢٤٧)

الطُّوسيّ: البُرهان والحجّة والدّلالة والبيان بمعنى واحد، وهو ماأمكن الاستدلال به على ماهو دلالة عليه، مع قصد فاعله إلى ذلك.

وفرّق الرُّمّانيّ بين الدّلالة والبُرهان. [وبعد نقل قوله الّذي تقدّم قال:]

وهذا الّذي ذكره لايسلّم له، لأنّه محض الدّعوى. (١: ٤١١)

والبُرهان: إظهار المعنى للنّفس بما يدعو إلى أنّه حقّ ممّا هو حقّ في نفسه. (٨: ١٢٨)

الرّاغِب: البُرهان: بيان للحجّة، وهو «فُعْلان» مثل الرُّجحان والثُّنيان. وقال بعضهم: هو مصدر: بَرِه يبرَه، إذا ابيضّ. ورجل أبرَه وامرأة بَرْهاء وقوم بُرْه، وبَرَهْرَهَة: شابّة بيضاء.

والبُرْهَة: مدّة من الزّمان.

فالبرهان: أوكد الأدلّة، وهو الّذي يقتضي الصّدق أبدًا، لامحالة، وذلك أنّ الأدلّة خمسة أضرب:

دَلالة تقتضي الصّدق أبدًا، ودَلالة تقتضي الكذب أبدًا، ودَلالة إلى الصّدق أقرب، ودَلالة إلى الكذب أقرب، ودَلالة هي إليهما سواء. قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ١١١، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ﴾ الأنبياء: ٢٤، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ النّساء: ١٧٤. (٤٥)

الزَّمَخْشَريّ: أقمت عنده بُرْهَة من الدّهر، وأقام عندنا بُرَيْهُ بُرَيْهَةً: يريد مصغّر إبراهيم على التّرخيم، حُكي عن الفرّاء.

وأبْرَه فلان: جاء بالبرهان، وبَرْهَنَ: مولّد. والبُرهان: بيان الحجّة وإيضاحها من «البَرَهْرَهَة» وهي البيضاء من الجواري، كما اشتقّ السّلطان من «السّليط» لإضاءته.

وتقول: لاتُشبِه العدليّة بالمشبِّهة، وافصِلْ بين إبراهيم وأبْرَهة. (أساس البلاغة: ٢١)

ابن عَطيّة: البُرهان: الدّليل الّذي يوقع اليقين. (١: ١٩٨)

الطَّبْرِسيّ: البُرهان: الشّاهد بالحقّ. وقيل: البُرهان: البيان، يقال: بَرْهَنَ قوله، أي بيّنه بحجّة. (٢: ١٤٧)

ابن الأثير: في حديث عليّ: «شرّ بئر في الأرض بَرَهُوت» هي بفتح الباء والرّاء: بئر عميقة بحَضْرَمَوت لايستطاع النّزول إلى قعرها. ويقال: «بُرْهُوت» بضمّ

الباء وسكون الرّاء، فتكون تاؤها على الأوّل زائدة، وعلى الثّاني أصليّة.

«الصّدقة بُرهان» البُرهان: الحجّة والدّليل، أي أنّها حجّة لطالب الأجر، من أجل أنّها فرض يجازي الله به وعليه.

وقيل: هي دليل على صحّة إيمان صاحبها، لطيب نفسه بإخراجها، وذلك لعلاقة مابين النّفس والمال.

في حديث المبعث: «فأخرج منه علَقَة سوداء، ثمّ أدخل فيه البَرَهْرَهَة» قيل: هي سكّينة بيضاء جديدة صافية، من قولهم: امرأة بَرَهْرَهَة: كأنّها تُرعَد رطوبة.

ويروى رَهْرَهَة، أي رَحْرَحة واسعة.

قال الخطّابيّ: «قد أكثرتُ السّؤال عنها فلم أجد فيها قولاً يُقطع بصحّته». ثمّ اختار أنّها السّكّين.

(١: ١٢٢)

الفَيُّوميّ: بُرْهَة من الزّمان بضمّ الباء وفتحها، أي مدّة، والجمع: بُرَه، وبُرُهات، مثل غُرْفة وغُرُفات في وجوهها[1].

والبُرهان: الحجّة وإيضاحها. قيل: النّون زائدة، وقيل: أصليّة. [ثمّ ذكر أقوال المتقدّمين فلاحظ.]

(١: ٤٦)

الفيروزاباديّ: البُرهان بالضّمّ: الحجّة، وبَرْهَنَ عليه: أقام البُرهان. (٤: ٢٠٣)

البُرْهَة ويضمّ: الزّمان الطّويل، أو أعمّ.

والبَرَهْرَهَة: المرأة البيضاء الشّابّة النّاعمة، أو الّتي تُرعَد رُطوبة ونعومة.

والبَرَه محرّكة: التّرارة.

وبَرَهُوت، محرّكة وبالضّمّ: بئر أو وادٍ أو بَلْدة.

وبَرِه كسَمِع بَرَهًا: ثاب جسمه بعد علّة، وابيضّ جسمه، وهو أبرَه، وهي بَرْهاء.

وأبْرَه: أتى بالبُرهان أو بالعجائب، وغلب النّاس.

وبُرَيْه: مصغّر إبراهيم، ونهر بُرَيه: بالبصرة.

(٤: ٢٨٣)

الطُّرَيحيّ: في الحديث: «شرّ ماء على وجه الأرض ماء بَرَهُوت» بالباء الموحّدة المفتوحة على الأفصح، وقيل بالضّمّ: بئر بحضرَموت تردُها هامّة الكفّار. وفي رواية أُخرى: ترده أرواح الكفّار.

والبُرْهَة: بالضّمّ الموحّدة وفتحها: المدّة الطّويلة، يقال: أتى عليه بُرْهَة من الدّهر بالوجهين، أي مدّة طويلة وزمان كثير، والجمع: بُرَهات، كغُرفة وغُرَفات.

(٦: ٣٤٢)

العَدْنانيّ: أبره، برهن.

ويخطّئون من يقول: بَرْهَنَ رشاد على أنّه شجاع، ويقولون: إنّ الصّواب هو أبْرَه رشاد على أنّه شجاع.

والحقيقة هي أنّ كلا الفعلين: أبرَه وبَرهَنَ، صحيحان، ومعناهما: أتى بالبرهان.

فممّن ذكر الفعل «أبرَه» ابن الأعرابيّ، والتّهذيب، والأساس، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

وذكر ابن الأعرابيّ والمصباح أنّ الفعل «أبرَه» هو الفعل الصّحيح.

وممّن ذكر الفعل «بَرْهَنَ» اللّيث بن سعد، والتّهذيب

(١) أي بضمّ الرّاء وسكونها وفتحها.

مولّد، والحريريّ في المقامة الإسكندرانيّة، والأساس والمختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، ودوزيّ، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

وقال بعض هؤلاء: إنّ الفعل «بَرْهَنَ» مولّد: اللّيث ابن سعد، والتّهذيب، والأساس، واللّسان، والمصباح، والتّاج، والمتن.

وهنالك من اكتفى بذكر «البرهان» كقوله تعالى في الآية (١١١) من سورة البقرة: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وقد ذُكرت كلمة «بُرهان» سبع مرّات أُخرى في القرآن الكريم.

وممّن ذكر «البُرهان» أيضًا وأهمل ذكر الفعل «بَرْهَنَ» معجم ألفاظ القرآن الكريم، ومفردات الرّاغب الأصفهانيّ، والنّهاية. (٥٦)

المُصْطَفَويّ: لايبعد أن نقول: إنّ كلمة «البُرهان» مأخوذ من: بَرِه يَبْرَه، إذا ابيضّ، وهو في الأصل مصدر ككُفران وعُدوان ونُقصان. ومعناه الابيضاض، ثمّ أُطلق على الكلام الجليّ الّذي لاإبهام فيه، أو أمر بيّن لاخفاء فيه.

ثمّ اشتقّ من هذه الكلمة أفعال، فيقال: بَرْهَنَ يُبرهِن بَرْهَنة، فهو مُبرْهِن.

وهذا النّحو يسمّى بالاشتقاق الانتزاعيّ، كما في سَلْطَن يُسلطِن من السّلطان، وهو من «السّلط» فالنّون زائدة من جهة المادّة الأصليّة، وأصيلة بالنّسبة إلى الاشتقاق الثّانويّ الانتزاعيّ. ولعلّ هذا معنى قولهم: بَرْهَنَ مُولَّد.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ النّساء: ١٧٤، أي أمر بيّن محكَم، لاريب فيه ولاظلمة.

﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ يوسف: ٢٤، أي ماتبيّن به الحقّ والهدى، ويتّضح به سبيل الرّشد من الغوى، وهو النّور، يهدي الله لنوره من يشاء.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ لَابُرْهَانَ لَهُ﴾ المؤمنون: ١١٧، أي ليس لهم أمر بيّن محكم، يبيّن دعواهم ويثبت قولهم، فهم في ظلمة وريب يتردّدون.

﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ القصص: ٣٢، أي أمران نيّران وآيتان بيّنتان من جانب الرّبّ لإثبات دعوتك.

وأمّا البُرهان بمعنى الدّليل فهو اصطلاح منطقيّ خارج عن اللّغة. (١: ٢٤٧)

النُّصوص التّفسيريّة

بُرْهَان

١ـ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا. النّساء: ١٧٤

ابن عبّاس: المراد بالبرهان هو النّبيّ ﷺ.

مثله الثّوريّ. (الآلوسيّ ٦: ٤٢)

مُجاهِد: حجّة.

مثله السُّدّيّ. (الطّبَريّ ٦: ٣٩)

قَتادَة: بيّنة من ربّكم.

مثله ابن جُرَيْج. (الطّبَريّ ٦: ٣٩)

الإمام الصّادق ؑ: البُرهان: محمّد ﷺ،

والنّور: عليّ عليه السلام. [وهذا تأويل] (العَرُوسيّ ١: ٥٧٩)

الطَّبْرِسيّ: قد جاءتكم حجّة من الله تُبرهن لكم بطُول ماأنتم عليه مقيمون من أديانكم ومِلَلِكم، وهو محمّد ﷺ، الّذي جعله الله عليكم حجّة، قطع بها عذركم، وأبلغ إليكم في المعذرة بإرساله إليكم، مع تعريفه إيّاكم صحّة نبوّته، وتحقيق رسالته. (٦: ٣٩)

نحوه الطُّوسيّ. (٣: ٤٠٦)

المَيْبُديّ: البُرهان هاهنا: المصطفى ﷺ، والنّور هو القرآن، كما قال: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى اُنْزِلَ مَعَهُ﴾ الأعراف: ١٥٧. (٢: ٧٨٦)

الزَّمَخْشَريّ: البُرهان والنّور المبين: القرآن، أو أراد بالبُرهان: دين الحقّ أو رسول الله ﷺ، وبالنّور المبين: مايبيّنه ويصدّقه من الكتاب المعجز. (١: ٥٨٩)

ابن عَطيّة: الآية إشارة إلى محمّد رسول الله، والبُرهان: الحجّة النّيّرة الواضحة الّتي تعطي اليقين التّامّ، والمعنى قد جاءكم ـ مقترنًا بمحمّد ـ برهان من الله على صحّة مايدعوكم إليه، وفساد ماأنتم عليه من النِّحَل. (٢: ١٤١)

الفَخْر الرّازيّ: البُرهان هو محمّد عليه الصّلاة والسّلام، وإنّما سمّاه برهانًا، لأنّ حِرفته إقامة البرهان على تحقيق الحقّ وإبطال الباطل. والنّور المبين هو القرآن، وسمّاه نورًا لأنّه سبب لوقوع نور الإيمان في القلب. (١١: ١١٩)

القُرطُبيّ: يعني محمّدًا ﷺ، عن الثّوريّ. وسمّاه بُرهانًا لأنّ معه البرهان، وهو المعجزة.

وقال مُجاهِد: البرهان هاهنا: الحجّة. والمعنى متقارب، فإنّ المعجزات حجّته ﷺ. والنّور المنزل: القرآن. (٦: ٢٧)

النَّيسابوريّ: يحتمل أن يراد بالبرهان والنّور كليهما: القرآن، ويحتمل أن يراد بالبرهان: محمّد ﷺ، لأنّه يقيم البُرهان على تحقيق الحقّ وإبطال الباطل، والنّور المبين: القرآن، لأنّه سبب لوقوع نور الإيمان في القلب. (٦: ٢٥)

أبوحَيّان: قيل: البُرهان: الإسلام، والنّور المبين هو القرآن. (٣: ٤٠٥)

أبوالسُّعود: البُرهان: مايُبرهَن به على المطلوب، والمراد به: القرآن الدّالّ على صحّة نبوّة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، المثبت لما فيه من الأحكام الّتي من جملتها ماأُشير إليه، ممّا أثبتته الآيات الكريمة، من حقّيّة الحقّ وبطلان الباطل.

وروي عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما: أنّ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام عبّر عنه به، لما معه من المعجزات الّتي تشهد بصدقه.

وقيل: هو المعجزات الّتي أظهرها، وقيل: هو دين الحقّ الّذي أتى به. (٢: ٢٢٩)

البُرُوسَويّ: عنى بالبرهان: المعجزات، وبالنّور: القرآن، أي جاءكم دلائل العقل وشواهد النّقل، ولم يبق لكم عذر ولاعلّة. والبُرهان: مايُبرهَن به المطلوب. (١: ٣٣٣)

الآلوسيّ: أي حجّة قاطعة، والمراد بها: المعجزات على ماقيل.

وأخرج ابن عساكر عن سفيان الثّوريّ عن أبيه عن

رجل لايُحفظ اسمه: إنّ المراد بالبُرهان هو النّبيّ ﷺ. وروي ذلك عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما، وعبّر عنه عليه الصّلاة والسّلام بذلك لما معه من المعجزات الّتي تشهد بصدقه صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

وقيل: المراد بذلك: دين الحقّ الّذي جاء به النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

والتّنوين للتّفخيم، و(مِنْ) لابتداء الغاية مجازًا، وهي متعلّقة بـ(جَاءَ) أو بمحذوف وقع صفة مشرفة لـ(بُرْهَان) مؤكّدة لما أفاده التّنوين.

وجُوّز أن تكون تبعيضيّة بحذف المضاف، أي كائن من براهين ربّكم، والتّعرّض لعنوان الرّبوبيّة مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين، لإظهار اللّطف بهم، والإيذان بأنّ مجيء ذلك لتربيتهم وتكميلهم. (٦: ٤٢)

رشيد رضا: أي قد جاءكم من قِبَل ربّكم ـ بفضله وعنايته بتربيتكم وتزكية نفوسكم ـ برهان عظيم أو جليّ يبيّن لكم حقيقة الإيمان الصّحيح بالله عزّوجلّ، وجميع ماتحتاجون إليه من أمر دينكم، مؤيّدًا لكم ذلك بالدّلائل والبيّنات والحِكم، وهو محمّد النّبيّ العربيّ الأُمّيّ، الّذي يظهر لكلّ من عرف سيرته في نشأته وتربيته، وحاله في بعثته وسنّته.

أنّه هو نفسه برهان على حقيّة ماجاء به، أُمّيّ لم يتعلّم شيئًا من الكُتب قطّ، ولم يعن في طفوليّته ولافي شبابه بشيء ممّا كان يسمّى علمًا عند قومه الأُمّيّين، كالشّعر والنّسب وأيّام العرب.

قام في كهولته يعلّم الأُمّيّين والمتعلّمين حقائق العلوم الإلهيّة، وصفات الرّبوبيّة، ومايجب لتلك الذّات العليّة، وماتتزكّى به النّفس البشريّة، وتصلح به الحياة الاجتماعيّة.

ويكشف ماشتبه على أهل الكتاب من أُصول دينهم، وماضطرب فيه نظّار الفلسفة العليا من مسائل فلسفتهم، ويرفع قواعد الإيمان على أساس الحُجج الكونيّة العقليّة، ويسلك هذا المسلك في بيان الشّرائع العمليّة، والحكمة الأدبيّة، والسّياسة الحربيّة والاجتماعيّة، كلّ ذلك كان على طريق الحجّة والبرهان، فلاغرو أن يسمّى هو نفسه برهانًا.

وهو برهان بسيرته العمليّة، كما أنّه برهان في دعوته العلميّة الشّرعيّة، فقد نشأ يتيمًا لم يعنِ بتربيته عالمٌ ولاحكيمٌ ولاسياسيٌّ، بل تُرك كما كان وِلدان المشركين يُتركون وشأنهم، وكان في سنّ التّعليم وتكوّن الأخلاق والملكات يَرعَى الغنم نهارًا وينام من أوّل اللّيل، فلايحضر سُمّار قومه (مواضعَ السَّمُر في اللّيل) ولامعاهد لهوهم، واتّجر قليلًا في شبابه مع قومه من أبناء الجاهليّة وأترابه.

فهو لم يصادف من التّربية المنزليّة والتّأديب الاجتماعيّ في أوّل نشأته، مايؤهّله للمنصب الّذي تصدّى له في كهولته، وهو تربية الأُمم تربية دينيّة اجتماعيّة سياسية حربيّة، ولكنّه قام بهذه التّربية أكمل قيام، ومازال يعجز عن مثل ماقام به من يستعدّون له بالعلوم والأعمال، فكان بهذا «بُرهانًا» على عناية الله به، وتأييده إيّاه بوحيه وتوفيقه. (٦: ٩٨)

عبد الكريم الخَطيب: بعد أن كشف الله سبحانه وتعالى ماعليه أهل الكتاب من عمًى وضلال، ومن غلوّ

في جانب، وتقصير من جوانب أُخرى، جاء هذا النّداء الكريم من قِبَل الحقّ، دعوةً عامّةً للنّاس جميعًا، أن ينظروا في أنفسهم، وأن يَدَعوا هذا الضّلال الّذي هم فيه، وأن يتلفّتوا إلى هذا الرّسول الكريم، الّذي هو برهان مبين، وحجّة مشرقة لايزيغ عنها إلّا ضالّ، ولايجحد بها إلّا هالك، فإنّها تحمل بين يديها هذا النّور السّماويّ، الّذي فيه تَبصرة لأُولي الألباب، وهدًى للمتّقين.

ووصْف الرّسول الكريم بأنّه بُرهان من عند الله، لما يحمل من الأمارات الدّالّة على أنّه رسول ربّ العالمين، تحدّثت به التّوراة، وتحدّث به الإنجيل، وعَرف أهل الكتاب من اليهود والنّصارى صفته، فجاء على الوصف الّذي يعرفونه، ثمّ جحدوه وأنكروه، فهو حجّة قائمة عليهم، وديْنونة معلّقة في أعناقهم. (٣: ١٠١٩)

مكارم الشّيرازيّ: لقد توجّه الخطاب أوّلًا إلى عامّة النّاس، مبيّنًا أنّ الله قد بعث من جانبه نبيًّا يحمل معه الدّلائل والبراهين الواضحة، وبعث معه النّور المبين المتجسّد في القرآن الكريم الّذي يهدي إلى طريق السّعادة الأبديّة، حيث تقول الآية الأُولى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ النّساء: ١٧٤.

ويعتقد بعض العلماء أنّ كلمة (بُرهان) المشتقّة من المصدر «بَرَه» على وزن «فرح» تعني الابيضاض ـ ولمّا كانت الأدلّة الواضحة تجلي للسّامع وجه الحقّ وتجعله واضحًا مشرقًا أبيض لذلك سمّيت بـ«البُرهان».

والمقصود بـ«البرهان» الوارد في الآية موضوع البحث ـ وكما يقول جمع من المفسّرين وتؤكّد ذلك القرائن ـ هو شخص نبيّ الإسلام ﷺ.

وأنّ المقصود بـ«النّور» هو القرآن المجيد الّذي عبّرت عنه آيات أُخرى بالنّور أيضًا.

وقد فسّرت الأحاديث المتعدّدة المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام ـ والّتي أوردتها تفاسير «نور الثّقلين» و«عليّ بن إبراهيم» و«مجمع البيان» ـ أنّ «البرهان» هو النّبيّ ﷺ، و«النّور» هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ولايتنافى هذا التّفسير مع ذلك الّذي أوردناه قبله، حيث يمكن أن يقصد بعبارة «النّور» معان عديدة لتشمل «القرآن» و«أمير المؤمنين عليّ عليه السلام» الّذي يعتبر حافظًا ومفسّرًا للقرآن ومدافعًا عنه.

وتوضح الآية الثّانية عاقبة أنواع هذا البرهان وهذا النّور، فتؤكّد على أنّ الّذين آمنوا بالله وتمسّكوا بهذا الكتاب السّماويّ، سيدخلهم الله عاجلًا في رحمته الواسعة، ويجزل لهم الثّواب من فضله ورحمته، ويهديهم إلى الطّريق المستقيم. تقول الآية: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ النّساء: ١٧٥.

(٣: ٤٩٦)

٢ـ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾. يوسف: ٢٤

ابن عبّاس: نودي يا يوسف أتزني؟ فتكون كالطّير

وقع ريشه فذهب يطير، فلاريش له.

(الطَّبَريّ ١٢: ١٨٥)

نحوه أبومليكة وابن أبي بزّة (الطَّبَريّ ١٢: ١٨٨)، والسُّدّيّ (المَيْبُديّ ٥: ٥١).

البُرهان الّذي رآه: أنّه رأى صورة يعقوب عاضًّا على أنامله.

مثله الحسَن، وسعيد بن جُبَيْر، ومُجاهِد.

(الطُّوسيّ ٦: ١٢٤)

نحوه مُجاهِد، وعِكْرِمَة، وابن عبد الرّحمان، والحسن، وابن سيرين، وأبوصالح، وشمر بن عَطيّة، والضّحّاك، وابن إسحاق، وابن جُرَيْج (الطَّبَريّ ١٢: ١٨٦ ـ ١٨٩)

آيات ربّه، رأى تمثال الملك. (الطَّبَريّ ١٢: ١٨٧)

مُثّل له يعقوب، فضرب في صدره، فخرجت شهوته من أنامله. (الطَّبَريّ ١٢: ١٨٧)

نحوه ابن أبي جعفر. (الطَّبَريّ ١٢: ١٨٩)

سعيد بن جُبَيْر: رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضًّا على أصابعه، فدفع في صدره، فخرجت شهوته من أنامله، فكلّ وُلد يعقوب وَلَد له اثنا عشر رجلًا إلّا يوسف إنّه نقص بتلك الشّهوة، ولم يولد له غير أحدَعشر. (الطَّبَريّ ١٢: ١٨٧)

الإمام السّجّاد عليه السلام: أنّه كان في البيت صنم فألقت المرأة عليه ثوبًا، فقال عليه السلام: إن كنتِ تستحينَ من الصّنم فأنا أحقّ أن أستحي من الواحد القهّار.

(الطَّبْرِسيّ ٣: ٢٢٥)

نحوه عن الإمام الباقر عليه السلام. (العَرُوسيّ ٢: ٤٢١)

ابن كعب القُرَظيّ: إنّه حجّة الله سبحانه في تحريم الزّنى، والعلم بالعذاب الّذي يستحقّه الزّاني.

مثله الجُبّائيّ. (الطَّبْرِسيّ ٢: ٢٢٥)

رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت حين همّ، فرأى كتابًا في حائط البيت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ الإسراء: ٣٢. (الطَّبَريّ ١٢: ١٩٠)

لولا مارأى في القرآن من تعظيم الزّنى.

البُرهان الّذي رأى يوسف: ثلاث آيات من كتاب الله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ الانفطار: ١٠، ١١، وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا...﴾ يونس: ٦١، وقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الرّعد: ٣٣.

(الطَّبَريّ ١٢: ١٩٠)

قَتادَة: نودي يوسف، فقيل: أنت مكتوب في الأنبياء، تعمل عمل السّفهاء. (الطَّبَريّ ١٢: ١٨٦)

نحوه ابن سيرين. (الطَّبَريّ ١٢: ١٩٠)

رأى صورة يعقوب، فقال: يايوسف تعمل عمل الفجّار، وأنت مكتوب في الأنبياء؟ فاستحيا منه.

(الطَّبَريّ ١٢: ١٨٩)

رأى آية من آيات ربّه، حجزه الله بها عن معصيته، ذكر لنا أنّه مُثّل له يعقوب حتّى كلّمه، فعصمه الله ونزعت كلّ شهوة كانت في مفاصله.

(الطَّبَريّ ١٢: ١٨٩)

نحوه الضّحّاك. (الطَّبَريّ ١٢: ١٩٠)

الإمام الصّادق عليه السلام: إنّه النّبوّة المانعة من ارتكاب

الفواحش، والحكمة الصّارفة عن القبائح.

(الطَّبْرِسيّ ٣: ٢٢٥)

الطَّبَريّ: أمّا البُرهان الّذي رآه يوسف، فترك من أجله مواقعة الخطيئة، فإنّ أهل العلم مختلفون فيه، فقال بعضهم: نودي بالنّهي عن مواقعة الخطيئة.

وقال آخرون: البُرهان الّذي رأى يوسف، فكفّ عن مواقعة الخطيئة من أجله: صورة يعقوب عليه السلام يتوعّده.

وأولى الأقوال في ذلك بالصّواب أن يقال: إنّ الله جلّ ثناؤه أخبر عن همّ يوسف وامرأة العزيز كلّ واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف برهان ربّه؛ وذلك آية من آيات الله، زجرته عن ركوب ماهمّ به يوسف من الفاحشة.

وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملَك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات الّتي ذكرها الله في القرآن على الزّنى، ولاحجّة للعذر قاطعة بأيّ ذلك من أيّ.

والصّواب أن يقال في ذلك، ماقاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ماعدا ذلك إلى عالمه.

(١٢: ١٨٥)

أبومسلم الأصفهانيّ: إنّه ماآتاه الله سبحانه من آداب الأنبياء وأخلاق الأصفياء، في العفاف وصيانة النّفس عن الأدناس. (الطَّبْرِسيّ ٣: ٢٢٥)

الطُّوسيّ: [قال بعد نقل أقوال ابن عبّاس والحسَن وسعيد بن جُبَيْر ومُجاهِد:]

وهذا الّذي ذكروه كلّه غير صحيح، لأنّ ذلك يقتضي الإلجاء وزوال التّكليف، ولو كان ذلك لما استحقّ يوسف على امتناعه من الفاحشة مدحًا ولاثوابًا؛ وذلك ينافي ماوصفه الله تعالى من أنّه صرف عنه السّوء والفحشاء وأنّه من عبادنا المخلصين.

ويحتمل أن يكون «البُرهان» لطفًا لطَف الله تعالى له في تلك الحال أو قبلها، اختار عنده الامتناع من المعاصي، وهو الّذي اقتضى كونه معصومًا. ويجوز أن تكون الرّؤية بمعنى العلم.

وقال قوم: «البُرهان» هو مادلّ الله تعالى يوسف على تحريم ذلك الفعل، وعلى أنّ من فعله استحقّ العقاب، لأنّ ذلك صارف عن الفعل ومقوٍّ لدواعي الامتناع، وهذا أيضًا جائز. (٦: ١٢٤)

الزَّمَخْشَريّ: فسّر «البُرهان» بأنّه سمع صوتًا: إيّاك وإيّاها، فلم يكترث له، فسمعه ثانيًا فلم يعمل به، فسمع ثالثًا: أعرض عنها، فلم ينجع فيه، حتّى مُثّل له يعقوب عاضًّا على أنمُلَته. [ثمّ نقل بعض أقوال المفسّرين إلى أن قال:]

وهذا ونحوه ممّا يورده أهل الحشو والجبر الّذين دينهم بَهْت الله تعالى وأنبيائه، وأهل العدل والتّوحيد، ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل. ولو وُجدت من يوسف عليه السلام أدنى زَلّة لنُعيت عليه وذُكرت توبته واستغفاره، كما نُعيت على آدم زَلّته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيّوب وعلى ذي النّون، وذُكرت توبتهم واستغفارهم.

كيف وقد أُثني عليه وسُمّي مخلصًا، فعلم بالقطع أنّه ثبت في ذلك المقام الدَّحض، وأنّه جاهَد نفسه مجاهدة

أُولي القوّة والعزم، ناظرًا في دليل التّحريم ووجه القبح، حتّى استحقّ من الله الثّناء فيما أنزل من كتب الأوّلين، ثمّ في القرآن الّذي هو حجّة على سائر كتبه، ومصداق لها، ولم يقتصر إلّا على استيفاء قصّته، وضرب صورة كاملة عليها، ليجعل له لسان صدق في الآخرين. (٢: ٣١٢)

نحوه الآلوسيّ. (١٢: ٢١٥)

ابن عَطيّة: [وبعد نقل أقوال المفسّرين قال:]

و«البُرهان» في كلام العرب: الشّيء الّذي يعطي القطع واليقين، كان ممّا يعلم ضرورةً أم بخبر قطعيّ أو بقياس نظريّ، فهذه الّتي رويت فيما رآه يوسف براهين. (٣: ٢٣٥)

الطَّبْرِسيّ: فأمّا «البُرهان» الّذي رآه، فقد اختُلف فيه على وجوه:

أحدها: [قول محمّد بن كعب القُرَظيّ الّذي تقدّم]

ثانيها: [قول أبي مسلم الأصفهانيّ]

ثالثها: [قول الإمام الصّادق عليه السلام الّذي مضى]

رابعها: [قول الإمام السّجّاد عليه السلام وقد تقدّم]

خامسها: إنّه اللّطف الّذي لطف الله تعالى به في تلك الحال أو قبلها، فاختار عنده الامتناع عن المعاصي، وهو مايقتضي كونه معصومًا، لأنّ العصمة هي اللّطف الّذي يُختار عنده التّنزّه عن القبائح والامتناع من فعلها. ويجوز أن يكون «الرّؤية» هاهنا بمعنى العلم كما يجوز أن يكون بمعنى الإدراك.

فأمّا ماذكر في «البُرهان» من الأشياء البعيدة، بأن قيل: إنّه سمع قائلًا يقول: ياابن يعقوب لاتكوننّ كالطّير له ريش، فإذا زنى ذهب ريشه. وقيل: رأى صورة يعقوب عاضًّا على أنامله. وقيل: إنّه رأى كفًّا بدت فيما بينهما مكتوبًا عليها النّهي عن ذلك فلم ينته، فأرسل الله سبحانه جبريل عليه السلام، وقال: أدرك عبدي قبل أن يُصيب الخطيئة، فرآه عاضًّا على إصبعه.

فكلّ هذا سوء ثناء على الأنبياء، مع أنّ ذلك ينافي التّكليف، ويقتضي أن لايستحقّ على الامتناع من القبيح مدحًا ولاثوابًا، وهذا من أقبح القول فيه عليه السلام. (٣: ٢٢٥)

الفَخْر الرّازيّ: إنّ المراد بذلك «البُرهان» ماهو؟ أمّا المحقّقون المثبتون للعصمة فقد فسّروا رؤية «البُرهان» بوجوه:

الأوّل: أنّه حجّة الله تعالى في تحريم الزّنى، والعلم بما على الزّاني من العقاب.

والثّاني: أنّ الله تعالى طهّر نفوس الأنبياء عليهم السلام عن الأخلاق الذّميمة، بل نقول: إنّه تعالى طهّر نفوس المتّصلين به عنها، كما قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣.

فالمراد برؤية البُرهان: هو حصول تلك الأخلاق، وتذكير الأحوال الرّادعة لهم عن الإقدام على المنكرات.

والثّالث: أنّه رأى مكتوبًا في سقف البيت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنٰى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ الإسراء: ٣٢.

والرّابع: أنّه النّبوّة المانعة من ارتكاب الفواحش.

والدّليل عليه أنّ الأنبياء عليهم السلام بُعثوا لمَنْع الخلق عن القبائح والفضائح، فلو أنّهم منعوا النّاس عنها، ثمّ أقدموا على أقبح أنواعها وأفحش أقسامها، لدخلوا تحت قوله

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصّفّ: ٢، ٣.

وأيضًا أنّ الله تعالى عيّر اليهود بقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ البقرة: ٤٤، ومايكون عيبًا في حقّ اليهود كيف ينسب إلى الرّسول المؤيّد بالمعجزات!

وأمّا الّذين نسبوا المعصية إلى يوسف عليه السلام فقد ذكروا في تفسير ذلك «البُرهان» أُمورًا:

الأوّل: قالوا: إنّ المرأة قامت إلى صنم مُكلّل بالدُّرّ والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب، فقال يوسف: لِمَ فعلتِ ذلك؟ قالت: أستحيي من إلهي هذا أن يراني على معصية.

فقال يوسف: أتستحيين من صنم لايعقل ولايسمع ولاأستحيي من إلهي القائم على كلّ نفس بما كسبت، فوالله لا أفعل ذلك أبدًا. قالوا: فهذا هو البرهان.

الثّاني: نقلوا عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّه تمثّل له يعقوب فرآه عاضًّا على أصابعه، ويقول له: أتعمل عمل الفجّار وأنت مكتوب في زُمرة الأنبياء، فاستحى منه.

الثّالث: قالوا: إنّه سمع في الهواء قائلًا يقول: ياابن يعقوب لاتكن كالطّير يكون له ريش، فإذا زنى ذهب ريشه.

الرّابع: نقلوا عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّ يوسف عليه السلام لم ينزجر برؤية صورة يعقوب حتّى ركضه جبريل عليه السلام، فلم يبق فيه شيء من الشّهوة إلّا خرج.

ولمّا نقل الواحديّ هذه الرّوايات تصلّف، وقال: «هذا الّذي ذكرناه قول أئمّة التّفسير الّذين أخذوا التّأويل عمّن شاهد التّنزيل».

فيقال له: إنّك لاتأتينا ألبتّة إلّا بهذه التصلّفات الّتي لافائدة فيها، فأين هذا من الحجّة والدّليل، وأيضًا فإنّ ترادف الدّلائل على الشّيء الواحد جائز، وأنّه عليه الصّلاة والسّلام كان ممتنعًا عن الزّنى بحسب الدّلائل الأصليّة، فلمّا انضاف إليها هذه الزّواجر قوي الانزجار وكمُل الاحتراز.

والعجب أنّهم نقلوا: أنّ جروًا دخل حُجرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وبقي هناك بغير علمه، قالوا: فامتنع جبريل عليه السلام من الدّخول عليه أربعين يومًا. وهاهنا زعموا: أنّ يوسف عليه السلام حال اشتغاله بالفاحشة ذهب إليه جبريل عليه السلام.

والعجب أنّهم زعموا: أنّه لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور جبريل عليه السلام، ولو أنّ أفسق الخلق وأكفرهم كان مشتغلًا بفاحشة، فإذا دخل عليه رجل على زيّ الصّالحين استحيا منه وفرّ، وترك ذلك العمل.

وهاهنا أنّه رأى يعقوب عليه السلام عضّ على أنامله فلم يلتفت إليه، ثمّ إنّ جبريل عليه السلام على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع أيضًا عن ذلك القبيح بسبب حضوره، حتّى احتاج جبريل عليه السلام إلى أن يركضه على ظهره.

فنسأل الله أن يصوننا عن الغيّ في الدّين، والخذلان في طلب اليقين، فهذا هو الكلام الملخّص في هذه المسألة والله أعلم. (١٨: ١١٩)

أبوحَيّان: [وبعد نقل أقوال المتقدّمين قال:]

وأمّا أقوال السّلف فنعتقد أنّه لايصحّ عن أحد منهم

شيء من ذلك، لأنّها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضًا، مع كونها قادحة في بعض فسّاق المسلمين، فضلًا عن المقطوع لهم بالعصمة.

والّذي روي عن السّلف لايساعد عليه كلام العرب، لأنّهم قدّروا جواب «لولا» محذوفًا، ولايدلّ عليه دليل، لأنّهم لم يقدّروا لهم بها، ولايدلّ كلام العرب إلّا على أن يكون المحذوف من معنى ماقبل الشّرط، لأنّ ماقبل الشّرط دليل عليه، ولايُحذف الشّيء لغير دليل عليه.

وقد طهّرنا كتابنا هذا عن نقل مافي كتب التّفسير ممّا لايليق ذكره، واقتصرنا على مادلّ عليه لسان العرب. ومساق الآيات الّتي في هذه السّورة، ممّا يدلّ على العصمة وبراءة يوسف عليه السلام من كلّ مايشين؛ ومَن أراد أن يقف على مانقل عن المفسّرين في هذه الآية، فليطالع ذلك في تفسير الزّمخشريّ وابن عطيّة وغيرهما.

والبرهان الّذي رآه يوسف هو ماآتاه الله تعالى من العِلم الدّالّ على تحريم ماحرّمه الله، والله لايمكن الهمّ به فضلًا عن الوقوع فيه. (٥: ٢٩٥)

الشّربينيّ: أي الّذي آتاه إيّاه من الحكم والعلم، أي همّ بها، لكنّه كان البُرهان حاضرًا لديه حضور من يراه بالعين، فلم يهمّ أصلًا، مع كونه في غاية الاستعداد لذلك، لما آتاه الله تعالى من القوّة مع كونه في سنّ الشّباب. فلولا المراقبة همّ بها لتوفّر الدّاعي، غير أنّ نور الشّهود محاها أصلًا.

وهذا التّقدير هو اللّائق بمثل مقامه عليه السلام مع أنّه الّذي تدلّ عليه أساليب هذه الآيات، من جعله من المخلصين والمحسنين، المصروف عنهم السّوء، وأنّ السّجن أحبُّ إليه من ذلك. (٢: ١٠١)

أبوالسّعود: أي حجّته الباهرة الدّالّة على كمال قبح الزّنى وسوء سبيله.

والمراد برؤيته لها: كمال إيقانه بها، ومشاهدته لها مشاهدة واصلة إلى مرتبة عين اليقين، الّذي تتجلّى هناك حقائق الأشياء بصورها الحقيقيّة، وتنخلع عن صورها المستعارة الّتي بها تظهر في هذه النّشأة، على مانطق به قوله عليه السلام: «حفّت الجنّة بالمكاره وحفّت النّار بالشّهوات».

وكأنّه عليه السلام قد شاهد الزّنى بموجب ذلك البرهان النّيّر، على ماهو عليه في حدّ ذاته أقبح مايكون، وأوجب مايجب أن يُحذر منه، ولذلك فعل مافعل من الاستعصام والحكم بعدم إفلاح من يرتكبه. (٣: ٣٨٠)

الكاشانيّ: قد نسبت العامّة إلى يوسف في هذا المقام أُمورًا، ورووا بها روايات مختلفة، لايليق للمؤمن نقلها فكيف باعتقادها. [وقد رأينا كيف فنّدها الرازيّ وغيره]

ونِعمَ ماقيل: إنّ الّذين لهم تعلّق بهذه الواقعة هم: يوسف والمرأة وزوجها والنّسوة والشّهود وربّ العالمين وإبليس، وكلّهم قالوا: ببراءة يوسف عن الذّنب، فلم يبق لمسلم توقّف في هذا الباب.

أمّا يوسف فقوله: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِى عَنْ نَفْسِى﴾ يوسف: ٢٦، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ اَحَبُّ اِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى اِلَيْهِ﴾ يوسف: ٣٣.

وأمّا المرأة فلقولها: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ

فَاسْتَعْصَمَ﴾ يوسف: ٣٢، ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْئنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ يوسف: ٥١.

وأمّا زوجها فلقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ يوسف: ٢٨.

وأمّا النّسوة فلقولهنّ: ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَيهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ يوسف: ٣٠، وقولهنّ: ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَاعَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ يوسف: ٥١.

وأمّا الشّهود قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ يوسف: ٢٦.

وأمّا شهادة الله بذلك فقوله عزّ من قائل: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف: ٢٤.

وأمّا إقرار إبليس بذلك فلقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ ص: ٨٢، ٨٣، فأقرّ بأنّه لايمكنه إغواء العباد المخلصين، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف: ٢٤، فقد أقرّ إبليس بأنّه لم يغوه.

وعند هذا نقول: إنّ هؤلاء الجهّال الّذين نسبوا إلى يوسف الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله بطهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا إقرار إبليس بطهارته. (٣: ١٤)

البُرُوسَويّ: [قال مثل أبي السّعود وأضاف:]

وهو نور القناعة الّتي من نتائج نظر العناية إلى قلوب الصّادقين. (٤: ٢٣٩)

رشيد رضا: ولكنّه رأى من برهان ربّه في سريرة نفسه ماهو مصداق قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ يوسف: ٢١، وهو إمّا النّبوّة الّتي تلي الحكم والعلم اللّذين آتاه الله إيّاهما بعد بلوغ الأشدّ، وشاهده قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ النّساء: ١٧٤.

وإمّا معجزتها، كما قال تعالى لموسى في آيتي العصا واليد: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ القصص: ٣٢.

وإمّا مقدّمتها من مقام الصّدّيقيّة العليا، وهي مراقبته لله تعالى ورؤية ربّه متجلّيًا له ناظرًا إليه، وفاقًا لما قاله أخوه محمّد خاتم النّبيّين في تفسير الإحسان: «أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك».

فيوسف قد رأى هذا البرهان في نفسه، لاصورة أبيه متمثّلة في سقف الدّار، ولاصورة سيّده العزيز في الجدار، ولاصورة ملَك يعظه بآيات من القرآن، وأمثال هذه الصّور الّتي رسمتها أخيلة بعض رواة التّفسير المأثور، بما لايدلّ عليه دليل من اللّغة ولاالعقل ولاالطّبع ولاالشّرع، ولم يُرْوَ في خبر مرفوع إلى النّبيّ ﷺ في الصّحاح، ولافيما دونها.

وماقلناه هو المتبادر من اللّغة ووقائع القصّة، ومقتضى ماوصف الله به يوسف في هذا السّياق وغيره من السّورة، ولاسيّما قوله في أوّله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف: ٢٢، وما فسّر النّبيّ ﷺ به «الإحسان».

وقوله في تعليله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ أي كذلك فعلنا وتصرّفنا في أمره لنصرف عنه دواعي ماأرادته به أخيرًا من السّوء، وماراودته عليه قبله من الفحشاء، بحصانة أو عصمة منّا تحول دون

تأثير دواعيها الطّبيعيّة في نفسه، فلايُصيبه شيء يخرجه من جماعة المحسنين الّذين شهدنا له بأنّه منهم إلى جماعة الظّالمين الّذين ذمّهم، وشهد هو في ردّه عليها بأنّهم لايفلحون، وشهادته حقّ. (١٢: ٢٧٨)

الطّباطبائيّ: البُرهان هو السّلطان، ويراد به السّبب المفيد لليقين، لتسلّطه على القلوب كالمعجزة. قال تعالى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ اِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ﴾ القصص: ٣٢، وقال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ النّساء: ١٧٤، وقال: ﴿ءَاِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ النّمل: ٦٤، وهو الحجّة اليقينيّة الّتي تجلي الحقّ ولاتدع ريبًا لمرتاب.

والّذي رآه يوسف عليه السلام من برهان ربّه وإن لم يوضحه كلامه تعالى كلّ الإيضاح، لكنّه ـ على أيّ حال ـ كان سببًا من أسباب اليقين، لايجامع الجهل والضّلال بتاتًا.

ويدلّ على أنّه كان من قبيل العلم قول يوسف عليه السلام فيما يناجي ربّه: ﴿وَاِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ اَصْبُ اِلَيْهِنَّ وَاَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ يوسف: ٣٣.

ويدلّ على أنّه ليس من العلم المتعارف بحسن الأفعال وقبحها ومصلحتها ومفسدتها أنّ هذا النّوع من العلم قد يجامع الضّلال والمعصية، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿اَفَرَاَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ اِلَهَهُ هَوَيهُ وَاَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ الجاثية: ٢٣، وقال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا اَنْفُسُهُمْ﴾ النّمل: ١٤.

فالبرهان الّذي أراه به وهو الّذي يُريه الله عباده المخلصين، نوع من العلم المكشوف واليقين المشهود، تطيعه النّفس الإنسانيّة طاعة لاتميل معها إلى معصية أصلًا، وسنورد فيه بعض الكلام إن شاء الله تعالى.

[وتمام الكلام في «هـ م م»] (١١: ١٢٨)

مكارم الشّيرازيّ: ماالمراد من ﴿بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾؟

«البرهان» في الأصل مصدر «بَرِهَ» ومعناه الابيضاض، ثمّ أُطلق هذا اللّفظ على كلّ دليل محكم قويّ يوجب وضوح المقصود، فعلى هذا يكون برهان الله الّذي تجلّى ليوسف نوعًا من الأدلّة الإلهيّة الواضحة، وقد احتمل فيه المفسّرون احتمالاتٍ كثيرة، من جملتها:

١ـ العلم والإيمان والتّربية الإنسانيّة والصّفات البارزة.

٢ـ معرفته بحكم تحريم الزّنى.

٣ـ مقام النّبوّة وعصمته من الذّنب.

٤ـ نوع من الإمداد الإلهيّ الّذي تداركه في هذه اللّحظة الحسّاسة بسبب أعماله الصّالحة.

٥ ـ هناك رواية يستفاد منها أنّه كان في قصر امرأة عزيز مصر صنم تعبده، وفجأة وقعت عيناها عليه، فكأنّها أحسّت بأنّ الصّنم ينظر إلى حركاتها الخيانيّة... في حيرةٍ وغضب نهضت وألقت عليه سترًا فاهتزّ يوسف لهذا المنظر، وقال: أنتِ تستحين من هذا العمل من الصّنم الّتي لاتملك عقلًا ولاشعورًا ولاإحساسًا، فكيف لاأستحيي من ربّي الخبير بكلّ شيء، والّذي لاتخفى عليه خافية!

فهذا الإحساس منح يوسف قوّة جديدة، وأعانه على الصّراع الشّديد في أعماق نفسه بين الغريزة والعقل، ليتمكّن من التّغلّب على أمواج الغريزة في نفسه.

وفي الوقت ذاته لامانع أن تكون جميع هذه المعاني في مكان واحد، لأنّ مفهوم البرهان العامّ يجمعها جميعًا، وقد وردت في آيات القرآن كلمة البرهان على كثير من المعاني المتقدّمة.

أمّا الرّوايات الّتي لاسند لها والّتي ينقلها بعض المفسّرين، والّتي مؤدّاها أنّ يوسف صمّم على الذّنب، ولكنّه لاحظ فجأةً حالة من المكاشفة بين جبرئيل ويعقوب وهو يعضّ على إصبعه، فرأى يوسف هذا المنظر وتخلّف عن إقدامه ...على هذا الذّنب ..فهذه الرّوايات ليس لها أيّ سندٍ معتبر ..وهي روايات إسرائيليّة أنتجتها العقول الإنسانيّة الضّيّقة الّتي لم تدرك مقام النّبوّة أبدًا. (٧: ١٦٥)

٣ـ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ اِلٰهًا اٰخَرَ لَابُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَاِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ اِنَّهُ لَايُفْلِحُ الْكَافِرُونَ. المؤمنون: ١١٧

مُجاهِد: ﴿لَابُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾: بيّنة. (الطَّبَريّ ١٨: ٦٤)

حجّة. (الطَّبَريّ ١٨: ٦٤)

ابن قُتَيْبَة: أي لاحجّة له به ولادليل. (٣٠٠)

الطَّبَريّ: لاحجّة له بما يقول ويعمل من ذلك، ولابيّنة. (١٨: ٦٤)

نحوه المَيْبُديّ. (٦: ٤٧٤)

الزَّمَخْشَريّ: لابرهان له به، كقوله: ﴿مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ الأعراف: ٣٣، وهي صفة لازمة نحو قوله: ﴿وَلَاطَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ الأنعام: ٣٨.

جيء بها للتّوكيد، لأن يكون في الآلهة مايجوز أن يقوم عليه برهان. ويجوز أن يكون اعتراضًا بين الشّرط والجزاء، كقولك: من أحسن إلى زيد ـ لا أحقّ بالإحسان منه ـ فالله مثيبه. (٣: ٤٥)

نحوه أبوالسُّعود. (٤: ٤٣٤)

ابن عَطيّة: البُرهان: الحجّة. وظاهر الكلام أنّ (مَن) شرط، وجوابه في قوله: ﴿فَاِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾، وقوله: ﴿لَابُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ في موضع الصّفة. وذهب قوم إلى أنّ الجواب في قوله: ﴿لَابُرْهَانَ﴾. وهذا هروب من دليل الخطاب، من أن يكون ثمّ داع له البرهان. وهذا تحفّظ ممّا لايلزم، ويلحقه حذف الفاء من جواب الشّرط، وهو غير فصيح، قاله سيبويه. (٤: ١٥٩)

الطَّبْرِسيّ: أي لاحجّة له فيما يدّعيه، يعني أنّ من صفته أنّه لاحجّة له به. (٤: ١٢٢)

أبوحَيّان: ﴿لَابُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة لازمة، لا للاحتراز من أن يكون ثمّ آخر يقوم عليه برهان، فهي مؤكّدة كقوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ الأنعام: ٣٨.

ويجوز أن تكون جملة اعتراض؛ إذ فيها تشديد وتأكيد، فتكون لاموضع لها من الإعراب، كقولك: من أساء إليك لاأحقّ بالإساءة منه فأسيء إليه.

ومن ذهب إلى أنّ جواب الشّرط هو ﴿لَابُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ هروبًا من دليل الخطاب، من أن يكون ثمّ داع له برهان، فلايصحّ، لأنّه يلزم منه حذف الفاء في جواب الشّرط، ولايجوز إلّا في الشّعر. وقد خرّجناه على الصّفة اللّازمة، أو على الاعتراض، وكلاهما تخريج صحيح. (٦: ٤٢٤)

الكاشانيّ: إنّ الباطل لابرهان به، نبّه بذلك على أنّ التديّن بما لادليل عليه ممنوع، فضلًا عمّا دلّ الدّليل على خلافه. (٣: ٤١٣)

الطّباطبائيّ: قوله: ﴿لَابُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ قيد توضيحيّ لـ﴿إِلٰهًا آخَرَ﴾؛ إذ لا إله آخر يكون به برهان، بل البرهان قائم على نفي الإله الآخر مطلقًا. (١٥: ٧٤)

عبد الكريم الخطيب: في قوله تعالى: ﴿لَابُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ دعوة صريحة إلى تحرير العقل، وإطلاقه من قيد الأسر للأوهام، ومن الانقياد للآخرين، من غير أن يكون له نظر واقتناع، عن برهان قاطع، وحجّة واضحة. (٩: ١١٩٤)

عِزّة دَرْوَزَة: من تحصيل الحاصل أن يقال: إنّ تعبير ﴿لَابُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ يعني أنّ هناك شركًا قد يكون قائمًا على برهان وسائغًا.

وإنّما هو تعبير أسلوبيّ، يتضمّن نفي قيام أيّ برهان على ذلك أوّلًا، والتّشديد في التّنديد، لأنّ شرك المشركين لايستند إلى أيّ تعليل، في أيّة شبهة، من حقّ ومنطق ثانيًا. وقد تكرّر هذا الأسلوب كثيرًا ومرّت منه أمثلة عديدة. (٦: ٢١٨)

بُرْهَانَكُمْ

...قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

البقرة: ١١١

مُجاهِد: حجّتكم. (الطّبَريّ ١: ٤٩٣)

قَتادَة: هاتوا بيّنتكم. (الطّبَريّ ١: ٤٩٣)

[وقد جاءت كلمة «بُرْهَانَكُمْ» بهذين المعنيين في كلام أكثر المفسّرين، نظير: الحسن البصريّ والسُّدّيّ والرّبيع والزّمخشريّ، وغيرهم من المتقدّمين والمتأخّرين، فلنترك ذكر أقوالهم حذرًا عن التّكرار والتّطويل بلاطائل]

بُرْهَانَانِ

...فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ.

القصص: ٣٢

مُجاهِد: تبيانان من ربّك. (الطّبَريّ ٢٠: ٧٣)

السُّدّيّ: العصا واليد آيتان.

نحوه ابن زَيْد. (الطّبَريّ ٢٠: ٧٣)

ابن قُتَيْبَة: أي حجّتان. (٣٣٣)

الطّبَريّ: فهذان اللّذان أريتكهما ياموسى من تحوّل العصا حيّة، ويدك ـ وهي سمراء ـ بيضاء تلمع من غير برص، برهانان، يقول: آيتان وحجّتان.

وأصل البُرهان: البيان، يقال للرّجل ـ يقول القول إذا سئل الحجّة عليه ـ: هات برهانك على ماتقول، أي هات تبيان ذلك ومصداقه. (٢٠: ٧٣)

الزّجّاج: برهانان: آيتان بيّنتان. (٤: ١٤٢)

الزّمَخْشَريّ: إن قلت: لِمَ سمّيت الحجّة برهانًا؟

قلت: لبياضها وإنارتها، من قولهم للمرأة البيضاء: بَرَهْرَهَة، بتكرير العين واللّام معًا. والدّليل على زيادة «النّون» قولهم: أبْرَه الرّجل، إذا جاء بالبرهان، ونظيره تسميتهم إيّاها سلطانًا من «السّليط» وهو الزّيت لإنارتها. (٣: ١٧٥)

ابن عَطيّة : برهانان : حجّتان ومعجزتان.
(٤ : ٢٨٧)

الطَّبْرِسيّ : معناه فاليد والعصا حجّتان من ربّك على نبوّتك. (٤ : ٢٥٣)

نحوه القُرطُبيّ. (١٣ : ٢٨٥)

الآلوسيّ : قيل : الإشارة إلى انقلاب العصا حيّة بعد إلقائها، وخروج اليد بيضاء بعد إدخالها في الجيب، فأمْرُ التّذكير ظاهر.

والبُرهان : الحجّة النّيّرة، وهو «فُعلان» لقولهم : أبْرَه الرّجل، إذا جاء بالبرهان، من : بَرِهَ الرّجل، إذا ابيضّ، ويقال للمرأة البيضاء : بَرْهاء وبَرَهْرَهَة.

وقال بعضهم : هو «فُعلان» من البَرَه، بمعنى القطع، فيفسّر بالحجّة القاطعة.

وقيل : هو «فُعلال» لقولهم : بَرْهَنَ، ونقل عن الأكثر : أنّ بَرْهَن مولّدٌ، بَنَوْه من لفظ البُرهان.
(٢٠ : ٧٦)

عبد الكريم الخطيب : وخُصّ البُرهانان هنا ـ وهما العصا واليد ـ خُصّا بالذّكر، لأنّهما الآيتان اللّتان يلقى بهما موسى فرعون وحاشيته أوّل الأمر، ويتحدّى بهما تكذيب فرعون له، ولهذا كانت المعركة المتحدّية بين موسى وفرعون في لقاء العصا بالسّحرة الّذين جمعهم فرعون لموسى.

أمّا الآيات الأُخرى فقد كانت بلاءً متحدّيًا لفرعون وقومه جميعًا. ولعلّ هذا ـ والله أعلم ـ هو السّرّ في اختلاف النّظم هنا، في قوله تعالى : ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ﴾ وماجاء في سورة النّمل في قوله تعالى : ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ النّمل : ١٢. (١٠ : ٣٤٣)

الوُجوه والنّظائر

مُقاتل : تفسير «برهان» على وجهين:

فوجه منها : برهان يعني حجّة، فذلك قوله : ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ الأنبياء : ٢٤، يعني حجّتكم بأنّ معه آلهة.

وقال في النّمل : ٦٤ : ﴿أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ءَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يعني حُجّتكم بأنّ مع الله آلهة.

والوجه الثّاني : برهان يعني آية، فذلك قوله : ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ القصص : ٣٢، يعني آيتين من ربّك، وقال : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ يوسف : ٢٤، يعني آية من ربّه. (٣١٤)

مثله هارون الأعور (٣٥٤)، والدّامغانيّ (١٥٣).

الفيروز اباديّ : وجاء «البرهان» في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأوّل : بمعنى المعجزة، والولاية ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ القصص : ٣٢.

الثّاني : بمعنى الدّليل، والحجّة ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ البقرة : ١١١، ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ المؤمنون : ١١٧.

الثّالث : بمعنى القرآن، والنّبوّة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ النّساء : ١٧٤، أي كتاب ورسول. (بصائر ذوي التّمييز ٢ : ٢٤٢)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ في «برهان» خلاف، أهو رباعيّ من (ب ر ه ن)، أم ثلاثيّ من (ب ر ها)، والنّون زائد، وهو نون المصدر، مثل: الرّجحان من (ر ج ح)، والسّلطان من (س ل ط)؟ وهذا القول هو الأرجح. أو هو نون الجمع كـفُعْلان؟ وليس بشيء.

٢ـ ومن قال بزيادة النّون ذهب إلى أنّ «برهن» مولّد وليس له أصل في اللّغة، ويشهد له أوّلًا: أنّ «أبرَهَ» بمعنى أتى بالبرهان، وثانيًا: أنّ أصله ـ كما سيأتي ـ القطع، ومنه: البَرْهَة، وهي القطعة.

٣ـ وهناك قول شاذّ حكاه أبوهلال، قال: إنّه فارسيّ معرّب، أصله «بران». قال: ولايُعرف صحّة ذلك.

٤ـ والأصل فيه البياض، يقال: بَره يبرَه، إذا ابيضّ، ورجلٌ أبرَهُ، وامرأةٌ برهاء، وقومٌ بُرْهٌ. وامرأةٌ بَرَهْرَهَةٌ: شابّة بيضاء، وتكرّر الرّاء والهاء للتّأكيد، ومثله كثير في اللّغة. ثمّ سمّيت الحجّة برهانًا، لوضوح المعنى به ناصعًا كالبياض.

وقيل: هو من: البَرْه، وهو القطع، ومنه: البُرْهَة: القطعة من الزّمان، وسمّيت به الحجّة، لأنّ قَطْع الدّعوى بها. ويمكن إرجاع القطع إلى المعنى الأوّل، لأنّ الشّيء إذا قُطع وَضحَ وبانَ.

٥ ـ ثمّ انتقل من المصدر إلى اسم المصدر، والبرهان ـ بهذا المعنى ـ لغةً: ماوَضح به الشّيء، أمّا اصطلاحًا فقد اختلف في حدّه المتكلّمون، وفي الفرق بينه وبين الدّليل كما جاء في النّصوص، إلّا أنّ القرآن استعمله بالمعنى اللّغويّ، أي مايثبت به الشّيء ويتّضح، ولم يستعمله بالمعنى الاصطلاحيّ، وإن يصدق عليه أحيانًا.

الاستعمال القرآنيّ

جاء «البرهان» في ثماني آيات:

١ـ ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ النّساء: ١٧٤

٢ـ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ يوسف: ٢٤

٣ـ ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ﴾ المؤمنون: ١١٧

٤ـ ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ١١١

٥ ـ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ الأنبياء: ٢٤

٦ـ ﴿أَإِلَٰهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ النّمل: ٦٤

٧ـ ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلّٰهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ القصص: ٧٥

٨ ـ ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ القصص: ٣٢

يلاحظ أوّلًا: أنّ الآيتين (١) و(٤) مدنيّة وسائر الآيات مكّيّة، فغلبت عليها الصّبغة المكّيّة تناسقًا مع

مسلك المكّيّات، وهي الدّعوة إلى أُصول الإيمان الّتي تستدعي إقامة البرهان عليها.

ثانيًا: أنّ أربعًا منها، وهي (٣) و(٥) و(٦) و(٧) ـ وكلّها مكّيّة ـ جاء فيها الحديث عن التّوحيد ورفض الشّرك بطريقين: إمّا بإعلان أنّ من يشرك بالله لابرهان له كما في (٣)، أو بمطالبته البرهان على شركه، وهذا بدوره يتناسق مع المكّيّات، فإنّ الدّعوة إلى التّوحيد وإدانة الشّرك أساس دعوتها.

ثالثًا: أنّ آية النّساء ـ وهي مدنيّة ـ تخاطب النّاس جميعًا في مجيئهم برهان من ربّهم ونور مبين، وليس المراد بالبرهان الحجّة حسب اصطلاح المتكلّمين، بل المراد به النّبيّ عند أكثر المفسّرين، بدعوى أنّ النّبيّ بنفسه برهان بماله من آثار الصّدق وأمارات النّبوّة، كما أوضحه رشيد رضا، أو بما لديه من المعجزات والبيّنات، كما قال به آخرون.

ثمّ اختلفوا في تفسير (نُورًا مُبِينًا)، أهو القرآن ـ وهو الأقرب ـ كما يشهد له (اَنْزَلْنَا)، أم المعجزات، أم ولاية عليّ وآل البيت، كما جاء في الرّوايات التّأويليّة عند الشّيعة؟ فلاحظ.

رابعًا: جاء اثنتان منها ـ وهي (٢) و(٨) ـ بشأن نبيّين من أنبياء بني إسرائيل، وواحد ـ وهي (٤) ـ بشأن ادّعائهم بأنّه لايدخل الجنّة غيرهم.

أمّا النّبيّان فأوّلهما يوسف عليه السلام؛ حيث رأى برهان ربّه، فتأبّى على الإثم، واستمسك عن ارتكاب الفاحشة. وقد اختلفوا في هذا البرهان اختلافًا فاحشًا حسب الرّوايات والأقوال، فعند المعتزلة ومن قال بقولهم أنّه العصمة واللّطف الخاصّ الّذي أحاط بيوسف من الله، وعند أهل الحديث ماورد في الأحاديث.

وثانيهما موسى عليه السلام حين قدم من مَدْيَن إلى مصر في الوادي الأيمن؛ حيث أراه الله معجزة العصا واليد البيضاء، فقال له: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ اِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ﴾ ، فالمراد بالبرهان هنا: المعجزتان، ليس غير.

وأمّا في الثّالثة فالمراد بالبرهان: الحجّة على ادّعائهم الباطل.

خامسًا: وقد ظهر ممّا بيّنّا أنّ «البرهان» في خمس من الآيات ـ وهي (٣) إلى (٧) ـ جاء بمعنى الحجّة، وفي سائر الآيات بمعنى النّبيّ والمعجزات.

ب ز غ

لفظان، مرّتان، في سورة مكّيّة

بازغًا ١ : ١   بازغةً ١ : ١

النّصوص اللّغويّة

الخليل: بزغت الشّمس بُزوغًا، أي بدأ طلوعها.

ونجوم بوازغ: طوالع.

والبزغ والتّبزيغ: تشريط شعر الدّابّة بمِبزَغٍ من حديد. (٤: ٣٨٥)

نحوه الصّاحب. (٥: ٢٨)

الفرّاء: يقال للبِرك: مِبزَغة، وميزَغة. (الأزهريّ ٨: ٥٤)

ابن السّكّيت: يقال للشّمس إذا طلعت: بَزغتْ. (٣٩٢)

وإذا طلع القمر باللّيل قيل: قد بزغ. (٤٠١)

ابن دُرَيْد: بزغت الشّمس تبزُغ بزغًا وبزوغًا، إذا شرقت.

وبزغ البيطار الدّابّة، إذا شرط قوائمها. والحديدة الّتي يفعل بها ذلك «المِبزَغ».

وبَزيغ: اسم فرس معروف من خيل العرب.

ويقال: نجوم بوازغ، من قولهم: بزغ النّجم، إذا طلع. (١: ٢٨١)

بقّل وبزغ وصبأ، بمعنى واحد. (٣: ٤٦٠)

الزّجّاج: بزغت الشّمس: ابتدأت في الطّلوع. (ابن سيدة ٥: ٤٥٠)

الأزهريّ: يقال: بزغت الشّمس بُزوغًا: ابتداء طلوعها. وبزغ النّجم والقمر: في ابتداء طلوعها، كأنّه مأخوذ من «البَزغ» وهو الشّقّ، كأنّها تشقّ بنورها الظّلمة شقًّا.

ومن هذا يقال: بزغ البيطار أشاعر الدّابّة ورهصها، إذا شقّ ذلك المكان منها بمِبضَعة. [ثمّ استشهد بشعر]

يقال لذلك الحديد: مِبزَغ، ومِبضَع. ويقال للسّنّ: بازغة، وبازمة. (٨: ٥٤)

الجَوهَريّ: بزَغَت الشّمس بُزُوغًا، أي طلَعت.

وبزَغ نابُ البعير: طلَع. وابتزغ الرّبيع: جاء أوّله.

والمِبْزَغ: المِشْرَط، وبَزَّغَ الحاجم والبيطار، أي شَرَط. [ثمّ استشهد بشعر] (٤: ١٣١٥)

نحوه الرّازيّ. (٦٤)

ابن فارِس: الباء والزّاء والغين أصل واحد، وهو طُلوع الشّيء وظهوره. يقال: بزَغَت الشّمس وبزَغ نابُ البعير، إذا طلَع.

ويقولون للبيطار إذا أودَجَ الدّابّة: قد بزّغَه، وهو قياس الباب. (١: ٢٤٤)

أبوهلال: الفرق بين الطّلوع والبُزوغ والشّروق: أنّ البُزوغ: أوّل الطّلوع، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ الأنعام: ٧٨، أي لمّا رآها في أوّل أحوال طلوعها تفكّر فيها، فوقع له أنّها ليست بإله.

ولهذا سمّي الشّرط تبزيغًا، لأنّه شقّ خفيّ، كأنّه أوّل الشّقّ يقال: بزّغ قوائم الدّابّة، إذا شرَطها، واسم مايُبزّغ به: المِبزَغ.

وقيل: البُزوغ نحو البُروز. وبزّغ قوائم الدّابّة، إذا شرّطها ليبرز الدّم.

والشّروق: الطّلوع، تقول: طلَعتُ، ولايقال: شرَق الرّجل، كما يقال: طلَع الرّجل، فالطّلوع أعمّ. (٢٥٤)

ابن سيدة: بزَغَت الشّمس تَبزُغ بَزْغًا وبُزوغًا: شرَقَت. وبزَغ نابُ البعير: طلَع، وقيل: ابتدأ في الطّلوع.

والبَزْغ، والتّبزيغ: التّشريط، وقد بزّغه. واسم الآلة: المِبزَغ.

وبزيغ: اسم فرس معروف. (٥: ٤٥٠)

البَزْغ: بزَغ الجلد يَبزُغه بَزْغًا وبزّغه: شرَطه فأسال دمه. والمِبزَغ: المِشْرَط. (الإفصاح ١: ٥٣٨)

الرّاغِب: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ الأنعام: ٧٨، ﴿فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ الأنعام: ٧٧، أي طالعًا، منتشر الضّوء؛ وبَزَغَ النّابُ تشبيهًا به، وأصله من: بَزَغ البَيْطار الدّابّة: أسال دمها، فبزَغ هو، أي سال. (٤٥)

الزّمَخْشَريّ: بزَغ البيطار الدّابّة بَزْغًا وبزّغها تبزيغًا، إذا شقّ أشعرها بمِبْزَغة.

وبزَغ النّابُ، إذا شقّ اللّحم فخرج؛ ألا ترى إلى قولهم: شقّ النّابُ وفطَر.

ومنه بزَغَت الشّمس وبزَغ القمر، ونجوم بوازغ. (أساس البلاغة: ٢١)

ابن الأثير: «حين بَزَغتِ الشّمس» البُزوغ: الطّلوع، يقال: بزَغَت الشّمس وبزَغ القمر وغيرهما، إذا طلَعت.

«إن كان في شيء شفاء ففي بَزْغَة الحجّام» البَزْغ والتّبزيغ: الشّرط بالمِبْزَغ، وهو المِشْرَط، وبزَغ دمه: أساله. (١: ١٢٥)

الفَيُّوميّ: بزَغ البيطار والحاجم بَزْغًا، من باب «قتَل»: شرَط، وأسال الدّم.

وبزَغ نابُ البعير بُزوغًا، وبزَغَت الشّمس: طلَعت فهي بازغة. (١: ٤٨)

الفيروز اباديّ: بزَغَت الشّمس بَزْغًا وبُزوغًا: شرَقَت، أو البُزوغ: ابتداء الطّلوع. ونابُ البعير: طلَع، والحاجم والبيطار: شرَط.

وكمِنْبَر: المِشْرَط، وكأمير: فرس معروف.

وابتَزغ الرّبيع: جاء أوّله. (٣: ١٠٦)

المُصْطَفَويّ: الظّاهر من هذه الكلمات ومايضاهيها أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة هو: الشّقّ والطّلوع، وهذان القيدان مأخوذان في مفهومها؛ وبهذين القيدين يظهر الفرق بينها وبين مادّة: الشّقّ، والبَضع، والطّلوع.

فبُزوغ الشّمس: عبارة عن ابتداء طلوعها، حين شقّت الشّمس ظُلمة اللّيل ﴿فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّي﴾ الأنعام: ٧٨، إذا شقّت الظُّلمة وطلَعت.

﴿فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ الأنعام: ٧٧، أي إذا انشقّت الظُّلمة وطلَع القمر. (١: ٢٥٠)

النُّصوص التّفسيريّة

بَازِغًا

فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هٰذَا رَبِّي. الأنعام: ٧٧

أبوعُبَيْدَة: أي طالعًا. (١: ٢٠٠)

مثله السّجستانيّ (٥٩)، والقُرطُبيّ (٧: ٢٧).

الطَّبَريّ: يقول تعالى ذكره: فلمّا طلَع القمر، فرآه إبراهيم طالعًا، وهو بُزوغه؛ يقال منه: بزَغَت الشّمس تَبزُغ بزُوغًا، إذا طلَعت، وكذلك القمر ﴿قَالَ هٰذَا رَبِّي﴾. (٧: ٢٥١)

نحوه الطُّوسيّ. (٤: ١٩٦)

الزَّمَخشَريّ: مبتدِئًا في الطّلوع. (٢: ٣١)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٣١٧)، والشّربينيّ (١: ٤٣)، وأبوالسُّعود (٢: ٤٠٦)، والبُرُوسَويّ (٣: ٥٧).

الآلوسيّ: أي مبتدئًا في الطّلوع، منتشر الضّوء. ولعلّه كما قال الأزهَريّ: مأخوذ من «البَزْغ» وهو الشّقّ، كأنّه بنوره يشقّ الظُّلمة شقًّا.

وعلى هذا فيمكن أن يكون بُزوغ القمر مشبهًا بما ذُكر، وكلام الرّاغِب صريح فيه. وظاهر الآية أنّ هذه الرّؤية بعد غروب الكواكب. (٧: ٢٠٠)

نحوه حسنين مخلوف. (١: ٢٣٠)

رشيد رضا: وقد استعملت العرب هذا الحرف في التّعبير عن ابتداء طلوع النّيّرات، وأوّل طلوع النّاب، وفي بَزْغ البيطار والحاجم للجلد، وهو تشريطه بالمِبْزَغ، ولذلك قالوا: إنّ معنى البَزْغ: الشّقّ؛ فالنّيّرات تشقّ الظّلام بطلوعها.

وجعله بعضهم تشبيهًا بشقّ النّاب والسّنّ للّثة، وشقّ البيطار والحجّام للجلد. (٧: ٥٦٠)

وبهذا المعنى جاءت كلمة (بَازِغَةً) في سورة الأنعام: ٧٨

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة «البَزْغ» وهو طلوع ناب البعير خاصّة، يقال: بَزَغَ نابُ البعير يَبزُغ بَزْغًا وبُزوغًا، أي طلَع، ثمّ عُمّم في شرط قوائم الدّابّة، يقال: بزَغ البيطار قوائم الدّابّة وبزّغها، أي شَرَطها ليبرز الدّم، ويقال لما يُبزَغ به: المِبْزَغ، ومنه الحديث: «إن كان في شيء شفاء ففي بَزْغَة الحجّام».

وقد استعمل «البُزوغ» في طلوع النّيّرات مجازًا،

يقال: بزَغَت الشّمس، فهي بازغة، وبزَغ القمر والنّجم، ونجوم بوازغ، أي طوالع.

ويحتمل أن يراد به أوّل طلوعها، وهو حين شقّها الظّلمة، ولذا يقال: ابترَغ الرّبيع، أي جاء أوّله.

٢ـ قال ابن دُرَيْد: «بقَل وبزَغ وصبأ بمعنى واحد»، إذ بينها اشتقاق أكبر، يقال: بقَل النّبتُ ونابُ البعير، أي طلَع، وصبأت سنّ الغلام والنّجوم، أي طلعَت.

٣ـ ويبدو أنّ هذا الجذر يتضمّن معنى الشّقّ، فهو بيّن في جميع استعمالاته. فبزَغ البيطار قوائم الدّابّة ـ كما تقدّم ـ أي شقّها، وبزَغ نابُ البعير، أي شقّ اللّثة وخرَج، وبزَغَت الشّمس وسائر النّيّرات، أي كأنّها شقّت الظّلمة بنورها، ومنه: بزَغَ الحاجم، أي شقّ الجلد ليخرج الدّم.

٤ـ ماقلناه في البُزوغ بمعنى «الشّقّ» يجري في «الفَلَق» و«الفجْر»، فإنّها في الأصل بمعنى الشّقّ، فقد جاءت لفظة (فَالِق) مرّتين في سورة الأنعام ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوى﴾ الأنعام: ٩٥، ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ الأنعام: ٩٦، وكلاهما بمعنى الشّقّ.

وقريب من بزَغ «بزَق» و«بضَع» لفظًا ومعنًى، يقال: بضع اللّحمَ والجلدَ، إذا قطعه أو شقّه.

٥ ـ ويبدو بين: بزَغَ وبزَق وبضَعَ وغيرها ـ ممّا ذكر ـ اشتقاق أكبر، إلّا أنّ الأزهَريّ احتمل أن يكون «بزَقَ» لغة في «بزَغَ»، فأُبدل الغين قافًا لقرب مخرجيهما.

الاستعمال القرآنيّ

جاء من البُزوغ لفظان في القرآن:

١ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾

الأنعام: ٧٧

٢ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّي هٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾

الأنعام: ٧٨

يلاحظ أوّلًا: أنّهما جاءا بصيغة اسم الفاعل حالًا، وليس بصيغة الفعل، لأنّ اسم الفاعل يدلّ على الثّبات والدّوام، يعني أنّ هذه الحالة ـ أي البُزوغ ـ وَصْف دائم للشّمس والقمر، منذ أن خلقهما الله إلى يوم القيامة. أمّا سرّ مجيئهما حالًا هو أنّهما مسبوقان بـ(رَءَا) أي أنّ إبراهيم رآهما بازغتين.

ثانيًا: البُزوغ هنا هو الشّقّ ـ كما سبق ـ ويلازمه الطّلوع، وهو المتبادر منه في الآيتين، كما دلّ عليه الحال. أمّا كونه، بمعنى انتشار النّور ـ كما قيل ـ فلايصحّ الاحتجاج به لإبراهيم على قومه، فلايفهم منه.

وليس الاحتجاج موقوفًا عليه، بل يتمّ بمجرّد الطُّلوع، لأنّه حادث عظيم. لكن ذلك ملازم للسّياق والمقام، لا أنّ «البُزوغ» بمعنى انتشار نور الشّمس والقمر.

ثالثًا: اختار القرآن في الآيتين لفظي (بَازِغ) و(بَازِغَة) بدل «طالع» و«طالعة»، مع أنّه أطلق الطُّلوع على طُلوع الشّمس والقمر في عدّة آيات:

١ـ ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ الكهف: ١٧

٢ـ ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ

عَلىٰ قَوْمٍ﴾ الكهف: ٩٠

٣ـ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ طٰه: ١٣٠

٤ـ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ق: ٣٩

٥ ـ ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ القدر: ٥

فما هو السّرّ في ذلك؟ السّرّ في رأينا ـ واللّه أعلم ـ أنّ البُزوغ هو شقّ الظُّلمة، وهو نعمة كبرى وحادث يجلب الأبصار. وهو أبلغ وأوفق بالاحتجاج من الطُّلوع، أمّا تلك الآيات فليس فيها احتجاج، بل الأُولى حكاية قصّة أصحاب الكهف، والثّانية حكاية ذي القرنين، و(٣) و(٤) تعيين وقت التّسبيح والتّحميد، و(٥) بيان غاية ليلة القدر.

رابعًا: جاء الأُفول (أَفَلَ) و(أَفَلَتْ) عقيب البُزوغ في الآيتين، لسببين:

أحدهما: الاحتجاج لإبراهيم على قومه الّذين كانوا يعبدون الشّمس والقمر تسجيلًا عليهم أنّ الآفل ليس إلٰهًا، والعاقل لايتّخذه معبودًا.

وثانيهما: تأكيدًا على معنى البُزوغ، فإنّه يعني شقّ الظُّلمة بقدرة وسلطان والأُفول عكسه تمامًا. وبهذا يُزاح السّتار عن أمر، وهو أنّ هذه القدرة ليست للشّمس والقمر نفسهما، بل للّه الّذي سخّرهما ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ الزّمر: ٥.

خامسًا: جاء «البُزوغ» بشأن الشّمس والقمر مرّتين بصيغة اسم الفاعل، لكلّ منهما مرّة، وجاء «الأُفول» بشأنهما كذلك بصيغة الفعل الماضي مقابل البُزوغ، مع أنّ كلًّا من البُزوغ والأُفول حالتان طارئتان على الشّمس والقمر دائمين، لاينفكّان عنهما ماداما موجودين، فما هو الوجه في تبديل اسم الفاعل بالفعل الماضي في الأُفول؟

والجواب عنه: أنّ إبراهيم رأى الشّمس والقمر لكونهما بازغين، وأمّا الأُفول فقد حدث من دون أن يكون حالًا للفعل (رَءَا)، مع أنّ المقام ـ وهو بصدد الاحتجاج ـ لايساعد التّعبير عن الأُفول بصيغة اسم الفاعل الدّالّ على الدّوام والبقاء، بل يقتضي التّعبير عنه بلفظ يدلّ على وقوعه وحدوثه فقط، وهو الفعل الماضي (أَفَلَ) و(أَفَلَتْ).

سادسًا: رغم أنّ «الأُفول» جاء في كلّ من الآيتين مرّة مقابل (بَازِغ) و(بَازِغَة) فيهما، إلّا أنّ القرآن لم يكتف به حتّى جاء به مرّة أُخرى بشأن الكوكب مرّتين: مرّة بصيغة الماضي مفردًا، وأُخرى بصيغة اسم الفاعل جمعًا ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَاٰ كَوْكَبًا قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا اَفَلَ قَالَ لَآ اُحِبُّ الْاٰفِلِينَ﴾ الأنعام: ٧٦. أمّا البُزوغ فلم يتكرّر في غير الآيتين احتفاظًا بشأنه، لاحظ «أ ف ل» و«ج ن ن» و«ك و ك ب».



ب س ر

لفظان، مرّتان، في سورتين مكّيّتين

بَسَر ١ : ١ باسِرَة ١ : ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: البَسْر: الإعجال، وبَسَر الفَحْل قَلوصًا، أي ضرَبها قبل حينها.

والباسر: القاهر بَسْرًا، أي قهرًا.

وابتَسر الفَحْل النّاقة، أي قهرها على نفسها حتّى ينزو عليها.

والبُسُور: العُبُوس، ويبسُر فهو باسِرٌ من هَمّ أو فِكْر.

والبُسْر من التّمر: قبل أن يُرطِب، والواحدة: بُسْرَة. وأبسَرَ النّخل: صار بُسْرًا بعد ماكان بلَحًا. وفي الحديث: «لاتَبْسُروا» أي لاتخلِطوا البُسْر بالتّمر للنّبيذ، وقد بَسَره بَسْرًا.

والبُسْرة: ماقد ارتفع من النّبات عن وجه الأرض شيئًا ولم يَطُل، وهو غَضٌّ، أطيب مايكون. وقيل: البُسْرة: البُهْمَى خاصّة، تخرج في فرعها في وسط الرّبيع، ثمّ يمسكها البرد فتصْمَع تلك البُسْرة، ثمّ تتفقّأ عن الشّيّ الّذي يكون للبُسْرة. [ثمّ استشهد بشعر]

والباسِرة: قومٌ من أهل السِّند، يُؤاجرون أنفسهم من أهل السُّفن لمحاربة عدوّهم، وهو رجل بَيْسَريّ.

والبِسار: مطر يصيب أهل السِّند أيّام الصّيف لايُقلع عنهم ساعةً، فتلك أيّام البِسار.

والباسور: معرّبة. (٧: ٢٥٠)

اللَّيث: عَبَس يَعبِس فهو عابس، إذا قطّب مابين عينيه، فإن أبدَى عن أسنانه في عبوسه قيل: كلَح، فإن اهتمّ لذلك وفكّر فيه قيل: بَسَر، فإن غضب مع ذلك قيل: بَسل. (الفَخْر الرّازيّ ٣٠: ٢٠١)

الفَرّاء: البَسْر: الماء الطّريّ ساعة ينزل من المُزْن، والبَسْر: حفر الأنهار إذا عرا الماء أوطانه.

(الأزهَريّ ١٢: ٤١٢)

أبوعُبَيْدَة: إذا همّت الفرس بالفحل، وأرادت أن

تستودِق، فأوّل وداقها المباسِرة، وهي مباسرة، ثمّ تكون وديقًا. والمباسِرة الّتي هبّت بالفحل قبل تمام وداقها، فإذا ضربها الحصان في تلك الحال فهي مبسورة.

إذا هبّت الفرس بالفحل ولم تستودق فهو مباسرة، ثمّ تكون وديقًا، فإذا سفِدها الحصان في تلك الحال قيل: تبسّرها وبَسَرها. (الأزهَريّ ١٢: ٤١١)

الأصمَعيّ: إذا ضُرِبَت النّاقة على غير ضَبَعَةٍ فذلك البَسْر، وقد بَسَرها الفحل، فهي مبسورة.

إذا اخضّر حَبّه [النّخل] واستدار فهو جَدال، فإذا عَظُم فهو البُسْر، فإذا احمرّت فهي شِقْحَة.

(الأزهَريّ ١٢: ٤١١)

ابن الأعرابيّ: البُسْرة: رأس قضيب الكلب، والمبسور: طالب الحاجة في غير موضعها. وبَسَر النّهر، إذا حفر فيه بئرًا وهو جافّ. [ثمّ استشهد بشعر]

ابْتَسَر وبَسَر، إذا خلَط البُسْر بالتّمر أو الرُّطَب فنَبذهما. وأبْسَر وبَسَر، إذا عصر الحِبْن قبل إقرافه. وأبْسَر، إذا حفَر في أرض مظلومة.

(الأزهَريّ ١٢: ٤١٣)

ابن السِّكّيت: عَبَس يَعْبِس عُبوسًا بَسَر يَبسُر بُسورًا، وهو باسر، قال الله عزّوجلّ: ﴿عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ المدّثّر: ٢٢. (٤٤١)

والبَسْر: مصدر بسَرَ الرّجل، إذا كلَح. والبَسْر أيضًا: أن يضرب الفحل النّاقة على غير ضَبَعَة. والبَسْر: أن يُنكأ الحِبْن قبل أن يَنضَج.

الحِبْن: مايعتري في الجسد فيَقيح ويَرِمُ، والجميع: الحُبون. والبُسْر: الماء الطّريّ، الحديث العهد بالمطر.

(إصلاح المنطق: ١٢٧)

شَمِر: [بعد نقل قول الأصمَعيّ قال:]

ومنه يقال: بَسَرتُ غريمي، إذا تقاضيته قبل محلّ المال. وبَسَرتُ الدُّمَّل، إذا عصرتَه قبل أن يتقيّح، وكأنّ البَسْر منه. وبَسَرتُ النّبات أبسُره بَسْرًا، إذا رعيتَه غضًّا، وكنتُ أوّل من رعاه. (الأزهَريّ ١٢: ٤١١)

ابن دُرَيْد: والبُسْر: الغَضّ من كلّ شيء، وبه سمّي الرّجل بُسْرًا، وكذلك بُسر النّخل. ويقال للبُهْمَى قبل أن يَتَفَقّأ: بُسْرة.

وماءٌ بُسْرٌ: قريب عهد بالسّحاب. ورجل بَسَرٌ: كريه الوجه والمنظر، وكذلك بسير وبَسور.

وبَسَرتُ النّاقة، إذا حملت عليها من غير ضَبَعَة. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: امرأة بُسْرة وغلام بُسر، إذا كانا شابّين طريّين.

والبُسور: العُبوس، بسَر الرّجل بُسورًا، إذا قطَّب وجهَه وكرّهه، وفي التّنزيل ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ المدّثّر: ٢٢.

فأمّا الدّاء الّذي يسمّى «الباسور» فقد تكلّمتْ به العرب، وأحسب أنّ أصله مُعرّب. (١: ٢٥٥)

وبسَرتُ حاجتي وأبْسَرتها، إذا طلبتها من غير موضعها. (٣: ٤٤٠)

الهمَذانيّ: يقال: رأيت الرّجل عابسَ الوجه وكاشرًا وكاسفًا وباسرًا ومُكْفَهِرًّا ومُقطِّبًا وقاطبًا وكالحًا.

هو العُبوس والقُطوب والكُلوح والكُثور والبُسور والكَسْف. (٢٣١)

الأزهريّ: عن الفرّاء قال: «البُسْر: الماء الطّريّ ساعة ينزل من المُزْن، والبَسْر: حفر الأنهار، إذا عرا الماء أوطانه».

قلت: وهو التبسُّر، قال الرّاعي:

إذا احتجبت بنات الأرض عنه

تبسَّر يبتغي فيها البِسارا

ويقال للشّمس بُسْرَة، إذا كانت حمراء لم تَصْفُ.

وروي عن الأشجع العبديّ أنّه قال: لاتَبْسُروا ولاتَنْجُروا.

فأمّا البَسْر فهو خَلْط البُسْر بالرُّطَب، وانتباذهما معًا.

والنَّجْرُ: أن يؤخذ نجير البُسْر فيُلق مع التّمر. وكُرِه هذا جِذار الخليطين، لنهي النّبيّ ﷺ عنهما.

والبُسْر: مالَوَّنَ ولم ينضج، وإذا نضج فقد أرطَب.

والباسور: داءٌ معروف، وهو معرّب، ويجمع: البواسير.

وأبسَرَ وبسَرَ، اذا عصَر المِيْنَ قبل إقرافه. وأبسَرَ، إذا حفر في أرض مظلومة. (١٢: ٤١٢)

الصّاحِب: البَسْر: الإعجال، بَسَر الفحل قَلُوصًا: ضرَبها قبل حينها. وهو القهر أيضًا، والباسر: القاهر.

وتبسَّر الرّجل: طلب حاجته في غير موضعها، وبَسَرها: مثله.

وأوّل وِداق الفرس: المباسَرة.

والبُسور: العُبوس، ورجل باسر من هَمّ أو فِكْر.

وابتُسِر لونُه، أي انتُقِع.

وتبسَّرتُ: خَدِرتُ.

والمتبَسِّر، في قول ابن مُقْبل: «خارج متبسّر» هو الباسر القبيح، يعني الطّريق.

والبُسْر من التّمر: قبل أن يُرطِب، والواحدة: بُسْرَة، وأبسَرَ النّخل.

والبُسْر: الماء الطّريّ، الحديث العهد بالمطر، وقيل: هو البارد.

وتبسَّر النّهار، إذا بَرَد.

وابتسر الرّجل المرأة: اقتضّها قبل أن تُدرِك.

والبُسْر: الغَضّ من كلّ شيء.

والشّمس بُسْرَة، إذا كانت حمْراء لم تَصْفُ بَعْدُ.

والبُسْرة من النّبات: ماارتفع عن وجه الأرض شيئًا ولم يَطُلْ، غضّ أطيبُ مايكون، وقيل: هو يَبيسُ البَقْل.

وبسَرتُ النّبات أبسُرُه: رَعَيْته غضًّا.

وتبسَّر الثّور: أتى عُروق النّبات اليابس فأكلها.

والبِسار: البَلَلُ في بطون الأرض من الأحساء.

والبِسار: مطَر يدوم على أهل السِّند في الصّيف.

والباسُور: أعجميّة.

والبياسرة: قوم من أهل السِّند يحاربون عن أهل السُّفُن بأُجْرَة، ورَجُل بَيْسَريّ. (٨: ٣١٣)

الجَوهَريّ: البُسْر أوّله طَلْعٌ، ثمّ خَلالٌ، ثمّ بَلَحٌ، ثمّ بُسْرٌ، ثمّ رُطَبٌ ثمّ تَمْرٌ. الواحدة بُسْرَة وبُسُرَة، والجمع: بُسْرات وبُسُرات. وأبسَر النّخل: صارما عليه بُسْرًا.

ويقال للشّمس في أوّل طلوعها: بُسْرَة.

والبُسْرَة من النّبات: أوّلها البارض، وهوكما يبدو في الأرض، ثمّ الجميم، ثمّ البُسْرَة، ثمّ الصَّمْعاء ثمّ الحشيش

[ثمّ استشهد بشعر]

والبُسْر: الماء الطّريّ، الحديث العهد بالمطر.

والجمع: بِسار، مثل رُمْح ورِماح.

وتبسّرته، إذا طلبته. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَسَر الرّجل الحاجة بَسْرًا، إذا طلبها في غير موضع الطّلب.

والبَسْر: أن ينكأ الحِبْن قبل أن ينضج، أي يقرف عنه قِشره.

والبَسْر: ظَلْمُ السّقاء.

والبَسْر: أن تخلط البُسْر مع غيره في النّبيذ، وفي الحديث: «لاتَبْسُروا ولاتَنْجُروا».

وبَسَر الفحل النّاقة وابتسرها، إذا ضربها من غير ضَبَعَة.

وبَسَر الرّجل وجهه بُسورًا، أي كلَح، يقال: عَبَس وبَسَر.

والباسور: واحد البواسير، وهي علّة تحدث في المقعدة، وفي داخل الأنف أيضًا.

وأبسَر المركَب في البحر، أي وقَفَ. (٢: ٥٨٩)

ابن فارس: الباء والسّين والرّاء أصلان: أحدهما: الطّراءة وأن يكون الشّيء قبل إناه، والأصل الآخر: وقوف الشّيء، وقلّة حركته.

فالأوّل: قولهم لكلّ شيءٍ غضّ: بُسْرٌ. ونباتٌ بُسْرٌ، إذا كان طريًّا. وماءٌ بُسْرٌ: قريبُ عهدٍ بالسّحاب. وابتسر الفحل النّاقة، إذا ضربها على غير ضَبَعة. ويقال للشّمس في أوّل طلوعها: بُسْرة.

ومن هذا قولهم: بسَر الرّجل الحاجة، إذا طلبها من غير موضع الطّلب. وقياسه صحيح، لأنّه كأنّه طلبها قبل إناها.

والبَسْر: ظَلْمُ السّقاء، وذلك شُربُه قبل رَوبه.

(١: ٢٤٩)

الهَرَويّ: وفي الحديث: «فكانت تلقاني مرّةً بالبِشر ومرّةً بالبَسْر» أي بالقُطوب، يقال: بسَر وجهه يَبسُره.

وفي الحديث: «أنّه كان في سفره فإذا نهض قال: اللّهمّ بك ابتَسَرْتُ وإليك توجّهْتُ».

قوله: «ابتَسَرْتُ» أي ابتدأت سفري، وكلّ شيء أخذته غضًّا فقد بَسَرْتَه.

والبَسْر: ضَرْبُ الفحل النّاقة على غير ضَبَعَة، والبَسْر: تقاضي المال قبل مَحِلّه، وعَصْر الدُّمّل قبل تفتّحه.

ومنه قول الحسن للوليد التّيّاس: «لاتَبْسُرْ» يقول: لاتحْمِل على الشّاة وليست بصارف، ولاعلى النّاقة وليست بضَبَعَة.

رواه أبومنصور الأزهَريّ: «ابتَسَرْتُ» ورواه غيره: «انتشرت». (١: ١٦٣)

ابن سيدة: البَسْر: الإعجال.

وبَسَر الفَحْل النّاقة يَبسُرها بَسْرًا: ضربها قبل الضَّبَعَة. وبَسَر حاجته يبسُرها بَسْرًا وبِسارًا، وأبسرها، وابتَسَرها، وتبسّرها: طلَبها في غير أوانها أو غير موضعها، أنشد ابن الأعرابيّ:

إذا احتَجَبتْ بنات الأرض عنه تبسّر يبتغي منها البِسارا

بناتُ الأرض: النّبات. وتبسّر: طلَب النّبات، أي

حفر عنه قبل أن يخرج، أخبر أنّ الحرّ انقطع وجاء القَيْظ.

وبَسَر النّخلة وابتَسَرها: لقّحها قبل أوان التّلقيح، [ثمّ استشهد بشعر]

وبَسَر الحِبْنَ بَسْرًا: نكأه قبل وقته. وبَسَر القَرْحَة يبسُرها بَسْرًا: نكأها قبل النُّضج.

والبَسْر: القَهْر. وبَسَر يَبسُر بَسْرًا وبُسورًا: عبَس.

ووجهٌ بَسْرٌ: باسرٌ، وُصِف بالمصدر.

وتبسّر النّهار: بَرَد. والبُسْر: الغضّ من كُلّ شيء.

والبُسْر: التّمر قبل أن يُرْطِب لغضاضته، واحدته بُسْرَة؛ وقد قيل: إنّه مشتقّ من البَسْر الّذي هو الإعجال، لأنّه أُخذ قبل أوانه، وهذا ضعيف، وهو البُسْر، واحدته بُسْرَة؛ قال سِيبَويه: ولا تكسّر البُسْرَة إلّا أن تجمع بالألف والتّاء لقلّة هذا المثال في كلامهم، وأجاز بُسْرانٌ وتُمْرانٌ، يُريد بهما نوعين من التّمر والبُسْر.

وقد أبْسَرَت النّخلة، ونَخْلَةٌ مُبْسِرٌ بغير هاء، كأنّه على النّسب، ومِبْسارٌ: لا يَرْطُب تمرها.

وبَسَر التّمر يَبسُره بَسْرًا، وبسّره: إذا نَبَذ فخَلَطَ البُسْرَ بالتّمر.

والبُسْرَة من النّبت: ما ارتفع ولم يَطُلْ، لأنّه حينئذ غَضّ. والبُسْرَة: الغضّ من البُهْمَى. [ثمّ استشهد بشعر]

ورجل بُسْرٌ، وامرأةٌ بُسْرَة: شابّان طَرِيّان.

والبَسْر والبُسْر: الماء الطّريّ الحديثُ العَهْد بالمطَر.

وابتَسَر الشّيء: أخَذَه غَضًّا طَرِيًّا.

والبَياسِرة: قومٌ بالسِّند يُؤاجرون أنفسهم من أهل السُّفُن لحرب عدوّهم.

والبِسار: مطَر يوم في الصّيف يدُوم على البياسِرة ولا يُقْلِع.

والمُبْسِرات: رياحٌ يُستدلّ بهُبُوبها على المطر.

والباسُور: كالنّاسُور، أعجميّ.

وبُسْرَة: اسم، وبُسْرٌ: اسم. [ثمّ استشهد بشعر]
(٨: ٤٨٨)

البُسْر: ضَرْبٌ من الخَرَز، واحدته: بُسْرَة.
(الإفصاح ١: ٣٥١)

البُسْر: الخَلال إذا عَظُم. وقيل: إذا أخذ في الطّول والتّلوّن إلى الحُمرة أو الصُّفرة، الواحدة: بُسْرَة وبُسُرَة.

أبسَر النّخل: صار ماعليه بُسْرًا. (الإفصاح ١: ١١٤٤)

الإبسار: أبسَر النّخل: صار ماعليه بُسْرًا، وهو البَلَح إذا أخذ في الطُّول والتّلوّن إلى الحمرة والصُّفرة، الواحدة: بُسْرة.
(٢: ١١٤٥)

الطُّوسيّ: البُسور: بُدوّ التّكرّه الّذي يظهر في الوجه. وأصله من قولهم: بَسَر بالأمر، إذا عجل به قبل حينه، ومنه البُسْر لتعجيل حاله قبل الإرطاب. [ثمّ استشهد بشعر]
(١٠: ١٧٧)

نحوه الطَّبْرِسيّ.
(٥: ٣٨٦)

والبُسور: ظهور حال الغمّ في الوجه معجّلًا قبل الإخبار عنه، ومثله العُبوس إلّا أنّه ليس فيه معنى التّعجيل.
(١٠: ١٩٩)

الرّاغِب: البَسْر: الاستعجال بالشّيء قبل أوانه، نحو بَسَر الرّجل الحاجة: طلَبها في غير أوانها. وبَسَر الفَحْل النّاقة: ضربها قبل الضّبَعَة. وماء بَسْر: متناوَل من غديره قبل سكونه. وقيل للقَرح الّذي يُنكأ قبل

النّضج: بَسْرٌ، ومنه قيل لما لم يُدْرِك من الثّمر: بُسْر. (٤٦)

الزَّمَخْشَريّ: هو بُسْرًا أطيب منه رُطَبًا، وقد أبْسَرت النّخلة.

ومن المجاز ابتَسَر الحاجة: طلبها قبل وقتها. وابتَسَر الفحل النّاقة: ضربها من غير ضَبَعَة. وابتَسَر الجارية وابتكرها واختضرها: افتضّها قبل الإدراك. وغلامٌ بُسْر وجارية بُسْرَة: غضًّا الشّباب.

ويقولون: صبّحتُه والشّمس حمراء بُسْرَة: لمّا يَصْفُ شعاعها. [ثمّ استشهد بشعر]

وإن خرجَتْ بك بَثْرَة فلاتبسُرها، أي لاتفقأها وهي بُسْرَة غَضّة. (أساس البلاغة: ٢٢)

ابن الأثير: وفي الحديث، في شرط مُشتَري النّخل على البائع: «ليس له مِبسار» وهو الّذي لايَرْطُب بُسْره.

وفي حديث عمران بن حُصَين في صلاة القاعد: «وكان مَبْسورًا» أي به بواسير، وهي المرض المعروف. (١: ١٢٦)

الفَيُّوميّ: البُسْر: من ثمر النّخل معروف، وبه سمّي الرّجل، الواحدة: بُسْرَة، وبها سمّيت المرأة، ومنه بُسْرَة بنت صفوان، صحابيّة.

قال ابن فارِس: البُسْر من كلّ شيء: الغَضّ. ونبات بُسْر، أي طَرِيّ.

والباسور قيل: ورَمٌ تدفعُه الطّبيعة إلى كلّ موضع من البدن، يقبل الرّطوبة من المَقْعَدَة والأُنثيين والأشفار، وغير ذلك. فإن كان في المقعدة لم يكن حدوثه دون انفتاح أفواه العُروق.

وقد تُبدَل السّين صادًا، فيقال: باصور. وقيل: غير عربيّ. (١: ٤٨)

الفيروزاباديّ: بسَرَ: أعجَل، وعبَس، وقهَر، والقَرْحَةَ: نكأها قبل النّضج كأبسَر، والنّخلَةَ: لقّحها قبل أوانه كأبتسَرها، والفحل النّاقة: ضربها قبل الضَّبَعة، والحاجةَ: طلَبها في غير أوانها كأبسَرَ وابتَسَر وتبسّر، والتّمر: نبذَه فخلَط البُسْر به كأبسَرَ، والسّقاء: شرِب منه قبل أن يَروبَ مافيه، والدَّينَ: تقاضاه قبل مَحِلّه.

والبُسْر: الماء البارد، وابتداء الشّيء كالابتسار.

وبالضّمّ: الغَضّ من كلّ شيء، والماء الطّرِيّ، جمعه: بِسار، والشّابّ والشّابّة، والتّمر قبل إرطابه.

والبُسْرَة: واحدتها، وتُضمّ السّين، والشّمس في أوّل طلوعها، ورأس قضيب الكلب، وخَرَزَة.

والبِسارة بالكسر: مطَر يدوم على السّند والهند في الصّيف، لايُقلِع ساعةً.

والباسور: علّةٌ موضع، جمعه: البواسير.

والبياسرة: جيل بالسّند، تستأجرهم النّواخذة لمحاربة العَدُوّ، الواحد: بَيْسَريّ.

ونخلة مِبْسار: لاتُنضِجُ البُسْرَ.

وأبْسَر: حفَر في أرض مظلومة، والمركَب في البحر: وقَفَ.

وابتسَر الشّيء: أخذه طريًّا، ورِجْلُه: خَدِرت كتَبسَّرت.

وابتُسِر لونه بضمّ التّاء: تغيّر.

والمُبَسِّرات: رياح يُستَدلّ بهبوبها على المطر.

والبَسور: الأسد.

وتبسّر النّهار: بَرَد. والثّور: أتى عروق النّبات اليابس فأكلَها.

والمباسِرة: الّتي تهمّ بالفَحْل قبل تمام وِداقها.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ القيمة: ٢٤، متكرّهة متقطّبة.

وقول الجوهريّ: أوّل البُسْر طَلْع ثمّ خَلال إلخ، غير جيّد.

والصّواب أوّله طَلْع، فإذا انعقد فسَياب، فإذا اخضرّ واستدار فجَدال وسَراد وخَلال، فإذا كبر شيئًا فبَغو، فإذا عَظُم فبُسْر ثمّ مُخطِّم ثمّ مُوَكِّت ثمّ تُذْنوب ثمّ جُمْسَة ثمّ ثَعْدَة وخالع وخالِعة، فإذا انتهى نُضجُه فرُطَبٌ ومَعْوٌ ثمّ تمر.

وبَسَطْتُ ذلك في «الرّوض المسلوف» فيما له اسمان إلى أُلوف فليُنظَر إن شاء الله تعالى. (١: ٣٨٥)

مَجْمَعُ اللُّغة: بَسَر كَكَتَب يَبسُر بَسْرًا: نظر بكراهة شديدة، أو كَلَحَ وتغيّر، فهو باسر، وهي باسِرة. (١: ٩٥)

محمّد إسماعيل إبراهيم: بَسَر: قطّب وجهَه وتغيّر شكله وقبح منظره، ونظر بكراهة. والباسِرة: الكالحة، القبيحة المنظر. (١: ٦٧)

المُصْطَفَويّ: إنّ الأصل الواحد في هذه المادّة، هو حصول أمر أو وقوع عمل قبل أوانه.

ويختلف هذا المفهوم باختلاف الموارد والموضوعات: كمقام الطّراوة في النّبات، والغضاضة في الإنسان وغيره، والسّرعة في القهر، والكراهة والعجلة في عصر الدُّمّل قبل بلوغ أوانه، والقُطوب والكُلوح والعُبوس من دون رويّة. فهذا القيد: الحصول قبل الأوان، مأخوذ في جميع الموارد.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ القيمة: ٢٢ ـ ٢٥، فقد ذكر البَسْر في مقابل النّضرة، وهي التّنعّم وحسن الحال.

﴿ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ المدّثّر: ٢١، ٢٢، فالبَسْر حالة حاصلة بعد العُبوس، فإنّ العُبوس يتعقّبه شدّة الكُلوح، ويتعجّل في كشف الضّرّ والعُبوس عنه.

فالبَسْر في الآيتين في مقابل: البِشر والنّضر، وعبارة عن حالة عُبوس تلازم التّفصّي والتّخلّص بالاستعجال، كعصر الدُّمّل قبل بلوغ أوانه، وهذا في مقابل حالة الاطمئنان الحاصلة من البِشر والنّضر.

في «البَسْر» كمون ضعف ونقص، يُراد الرّفع والتّكيل، أو كمون ابتلاء وعلّة يراد التّفصّي والنّجاة عنها بالاستعجال.

فالباسر يُدرك أوّلًا نقصًا وابتلاءً في نفسها، ثمّ يحصل له حالة القُطوب والعُبوس، في الثّالثة يريد التّفصّي ويستعجل في النّجاة، فيعلم أنّ الطّريّ والغضّ بُسْرٌ من جهة كمون النّقص فيه، لامطلقًا. (١: ٢٥١)

النّصوص التّفسيريّة

بَسَرَ

ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. المدّثّر: ٢٢

قَتادَة: قبّض مابين عينيه وكلَح.

(الطّبَريّ ٢٩: ١٥٧)

الفَرّاء: كلَح مستكبرًا عن الإيمان. (٣: ٢٠٢)

أبوعُبَيْدَة: كرّه وجهه. [ثمّ استشهد بشعر]

(٢: ٢٧٥)

الزّجّاج: نظر بكراهة شديدة. (٥: ٢٤٧)

الرّاغِب: أظهر العُبوس قبل أوانه وفي غير وقته.

(٤٦)

البغَويّ: كلَح وقطّب وجهَه، فنظر بكراهية شديدة كالمُهتمّ المتفكّر في شيء. (٥: ١٧٧)

مثله الطّبْرِسيّ (٥: ٣٨٨)، والخازن (٧: ١٤٧).

الطّبَريّ: كلَح وجهه. [ثمّ استشهد بشعر]

(٢٩: ١٥٦)

القُرطُبيّ: قيل: إنّ ظهور العُبوس في الوجه بعد المحاورة، وظهور البُسور في الوجه قبل المحاورة.

وقال قوم: (بَسَرَ): وقف لايتقدّم ولايتأخّر، قالوا: وكذلك يقول أهل اليمن إذا وقف المركب فلم يجئ ولم يذهب: قد بسَر المَركب وأبسَر، أي وقف، وقد أبسرنا.

والعرب تقول: وجه باسر بيّن البُسور، إذا تغيّر واسودّ. (١٩: ٧٦)

البَيْضاويّ: إتباعٌ لـ(عَبَسَ). (٢: ٥١٨)

مثله أبوالسُّعود (٦: ٣٢٩)، ونحوه شبّر (٦: ٤١٣).

النّسَفيّ: زاد في التّقبّض والكُلوح. (٤: ٣٠٩)

نحوه الشّربينيّ. (٤: ٤٣١)

البُرُوسَويّ: إتباع لـ(عَبَسَ).

قال سعدي المُفتي: لكن عطف الإتباع على المتبوع غير معروف. والظّاهر أنّ كلًّا منهما له معنًى مغاير لمعنى الآخر، فـ(عَبَسَ) بمعنى قطّب وجهَه، و(بَسَرَ) بمعنى قبّض مابين عينيه من السّوء، واسودّ وجهه منه. ذكره الحلبيّ، والعهدة عليه. (١٠: ٢٣٠)

الآلوسيّ: أي أظهر العُبوس قبل أوانه، وفي غير وقته. [إلى أن قال:]

وبهذا فسّره الرّاغِب هنا. وفسّره بعضهم بأشدّ العُبوس من بَسَر، إذا قبّض مابين عينيه كراهةً للشّيء، واسودّ وجهه منه. ويستعمل بمعنى العُبوس. [ثمّ استشهد بشعر]

فحينئذٍ يكون ذكر «بَسَر» كالتّأكيد لـ(عَبَسَ).

ولعلّه مراد من قال: إتباع له، وأهل اليمن يقولون: بَسَر المركب وأبسَر، إذا وقف.

ولم أر مَن جوّز إرادة ذلك هنا ولو على بُعد. وفي النّفس من ثبوت ذلك لغة صحيحة توقّف. (٢٩: ١٢٤)

بَاسِرَة

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ. القيٰمة: ٢٤

مُجاهِد: كاشرة. (الطّبَريّ ٢٩: ١٩٣)

قَتادَة: أي كالحة. (الطّبَريّ ٢٩: ١٩٣)

مثله الفَرّاء. (٣: ٢١٢)

عابسة. (الطّبَريّ ٢٩: ١٩٣)

مثله ابن زَيْد. (الطّبَريّ ٢٩: ١٩٣)

السُّدّيّ: متغيّرة. (الشّربينيّ ٤: ٤٤٤)

الطَّبَريّ: يقول تعالى ذكره: وجوه يومئذٍ متغيّرة الألوان، مسودّة كالحة. يقال: بسَرت وجهَه أبسُره بَسْرًا، إذا فعلت ذلك، وبسَر وجهَه فهو باسر بيّن البُسور. (٢٩: ١٩٣)

الزّجّاج: كريهة مقطّبة، قد أيقنت بأنّ العذاب نازل بها. (٥: ٢٥٣)

الرّاغِب: قوله عزّوجلّ: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ المدّثّر: ٢٢، أي أظهر العُبوس قبل أوانه وفي غير وقته.

فإن قيل: فقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ ليس يفعلون ذلك قبل الوقت، وقد قلت: إنّ ذلك يقال فيما كان قبل الوقت؟

قيل: إنّ ذلك إشارة إلى حالهم قبل الانتهاء بهم إلى النّار، فخُصّ لفظ «البَسْر» تنبيهًا أنّ ذلك مع ما ينالهم من بُعْد يجري مجرى التّكلّف، ومجرى ما يُفعل قبل وقته، ويدلّ على ذلك قوله عزّوجلّ ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ القيمة: ٢٥. (٤٦)

البغَويّ: عابسة كالحة مغبرّة مسودّة. (٥: ١٨٦)

نحوه الطَّبرِسيّ (٥: ٣٩٩)، والقرطُبيّ (١٩: ١١٠)، والخازن (٧: ١٥٥).

الزّمَخْشَريّ: الباسر: شديد العُبوس، والباسِل: أشدّ منه، ولكنّه غلب في الشّجاعة إذا اشتدّ كلُوحه. (٤: ١٩٢)

نحوه البَيْضاويّ. (٢: ٥٢٣)

الفَخْر الرّازيّ: والمعنى أنّها عابسة كالحة قد أظلمت ألوانها وعدمت آثار السّرور والنّعمة منها، لما أدركها من الشّقاء واليأس من رحمة الله، ولما سوّدها الله حين ميّز الله أهل الجنّة والنّار. (٣٠: ٢٢٩)

الشّربينيّ: أي شديدة العُبوس والكُلوح والتّكرّه لما هي فيه من الغمّ، كأنّها قد غرقت فيه. (٤: ٤٤٤)

نحوه أبوالسُّعود (٦: ٣٣٧)، والبُرُوسَويّ (١٠: ٢٥٣)، وشُبّر (٦: ٣٢٤).

الآلوسيّ: أي شديدة العُبوس. و«باسِل» أبلغ من «باسِر» فيما ذكر، لكنّه غُلب في «الشّجاع» إذا اشتدّ كُلوحته فعدل عنه، لإيهامه غير المراد. (٢٩: ١٤٦)

الطَّباطَبائيّ: فسّر البُسور بشدّة العُبوس [إلى أن قال:]

والمعنى وجوه يومئذٍ شديدة العُبوس، تعلم أنّه يفعل بها فعلة تقصم ظهورها أو تَسِمُ أُنوفها بالنّار. (٢٠: ١١٢)

المَراغيّ: أي وجوه الفجّار تكون يوم القيامة عابسة كالحة مستيقنة، إنّها ستصاب بداهية عظيمة تقصم فقار ظهرها وتُهلكها. (٢٩: ١٥٣)

بنت الشّاطئ: الكلمة من آية القيامة: ٢٤، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ ومعها الفعل الماضي في آية المدّثّر ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ وليس في القرآن من المادّة غيرهما.

وتفسير (بَاسِرَة) بكالحة تقريب، يؤنس إليه سياق الآية بعد (نَاضِرَة) على وجه التّقابل، كما يؤنس إليه اقتران (بَسَر) بـ(عَبَسَ) في آية المدّثّر: ٢٢.

وتأوّلها الرّاغِب على وجه آخر، فردّها إلى «الابتسار» بمعنى التّعجّل قبل الأوان. [ثم ذكرت قوله

وقد سبق]

وفسّره ابن الأثير بالقُطوب في حديث سعد: «لمّا أسلَمتُ راغَمَتْني أُمّي فكانت تلقاني مرّة بالبِشر، ومرّةً بالبَسْر» البِشر بالمعجمة: الطّلاقة، وبالمهملة: القُطوب.

والمعاجم تذكر في البَسْر: التّعجّل والعُبوس والقهر، ومنه الابتسار: تعجُّل الشّيء قبل أوانه، منقولاً إليه من: البُسْر للتّمر قبل نضجه، أو من: بَسَر القُرحَة: نكأها قبل النّضج.

ولعلّ دلالة العُبوس جاءت من ملحظ الفضاضة في بُسْر التّمر، ومايقترن بنَكْءِ القُرحَة قبل نضجها، من ضيق وألم وانقباض.

في «الأساس»: وإن خرجت بَثْرَةٌ فلاتَبْسرها، أي لاتفقأها، وهي بُسْرَة غضّة.

ولعلّ دلالة العُبوس، وانقباض الملامح في «وجُوه باسِرة» وفيمن «عَبَس وبَسَر» هي الأولى بالسّياق، دون أن تمنع ملحظ التّعجّل بالعُبوس، والبَسْر قبل ميقاته الموعود، فلاتكون الكلمتان مترادفتين، بل يكون البَسْر عُبوسًا قبل أوانه، يأتي بعده ماهو أدعى للعُبوس والقهر.

ويكون الوجه في فهم الآية: أنّ موقف المحشر أرهَقَ المكذّبين؛ فغشي وجوههم ماغشيها من كلاحة وعُبوس وقُطوب، من قبل أن تلق هول العذاب الأكبر، في نار جهنّم. (الإعجاز البيانيّ للقرآن: ٤٦٠)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ قالوا: الأصل فيه: الإعجال، وأن يكون الشّيء قبل أوانه، وهذا المعنى محفوظ في أكثر موارد هذه المادّة، وإليه ترجع سائر مشتقّاتها. فبَسَرَ الفحل: ضَرَب النّاقة قبل حينها على غير ضَبَعَة، أي قبل أن تهيج شهوتها، واشتقّ منه المُباسَرة والمباسِرة وغيرها.

ويقال للتّمر قبل أن ينضج: بُسْر، ولعلّه الأصل لهذه المادّة، ومنه: أبسَر النّخل، أي صار بُسرًا، وفي الحديث: «لاتَبْسُروا» ، أي لاتخلطوا البُسْر بالتّمر. ومنه: بَسَرتُ غريمي، إذا تقاضيته قبل محلّ المال، ويقال له: المبسور. وبَسَرتُ الدُّمّل، إذا عصرته قبل أن يتفتّح، ويقال للشّمس: بُسْرَة، إذا كانت حمراء لم تصفُ. وأبسَر الرّجل المرأة: افتضّها قبل أن تُدرك، وأبسَر الرّجل: حفَر الأرض في غير محلّها، وتبسّر الرّجل: طلب حاجته في غير موضعها.

٢ـ ثمّ نقل الإعجال إلى أخذ الشّيء غضًّا طريًّا، ومنه: بَسَرتُ النّبات، إذا رعيته غضًّا، وكنت أوّل من رعاه. وماء بُسْر: قريب عهد بالسّحاب، وامرأة بُسْره وغلام بُسْر، إذا كانا شابّين طريّين. ولعلّ منه: تبسّر النّهار، إذا برَد، كأنّه صار طريًّا. والبُسْرة من النّبات: ماارتفع عن وجه الأرض شيئًا ولم يطل، كأنّه غضّ طريّ. ومنه ابتسرتُ، أي ابتدأت سفري، كأنّه ابتدأ غضًّا طريًّا غير شاقّ.

٣ـ وأمّا البُسور الّذي يظهر في الوجه ـ نظير العُبوس ـ فقد ردّه الطُّوسيّ إلى الإعجال قبل الأوان، فقال: «بَسَر بالأمر، إذا عجل به قبل حينه»، «والبُسور: ظهور الغمّ في الوجه معجّلًا قبل الإخبار عنه، ومثله العُبوس، إلّا أنّه ليس فيه معنى التّعجيل». ولعلّه أُخذ

من البُسر، وهو التّمر قبل أن يرطب، لأنّ من أكله يُقطّب وجهَه.

وعلى كلّ حال فقد تفرّع منه معنيان:

أحدهما: ذمّ، وهو قبح المنظر، لأنّ من يُقطّب وجهَه يظهر منظره قبيحًا، وينظر بكراهة، ومنه: بَسَرَ، أي نظر بكراهة شديدة.

وثانيهما: مدح، ويقال للأسد: باسل، لأنّ وجهه المقطّب يحكي عن غضبه وشجاعته، وقد يوصف به الرّجل الشّجاع، فيقال له: الباسل.

٤ـ وقد ذكر ابن فارس أصلًا ثانيًا للمادّة، وهو وقوف الشّيء وقلّة حركته، ومنه: أبسَر المركب في البحر، أي وقف. وقد نسبَ القُرطُبيّ هذه اللّغة إلى أهل اليمن، وكذلك الآلوسيّ، ثمّ قال: «وفي النّفس من ثبوت ذلك لغة صحيحة توقّف».

ونقول: لو ثبتت صحّته فلعلّه متفرّع من «البُسور» أي التّجهّم والعُبوس، لأنّ صاحبه يبقى مفكّرًا بلاحراك، أو لأنّ فيه ضعفًا ونقصًا، كما قال المُصْطَفَويّ، فلاحظ.

٥ ـ وإذا تجاوزنا ذلك، فكلّ ماذكر من الباسور، وجمعه بواسير: مرض معروف، والبياسرة، جمع بيسريّ، جيل بالسّند، والبِسار: مطر يدوم طويلًا بالهند، هي ألفاظ أعجميّة دخيلة، وليست عربيّة، إلّا أنّهم اشتقّوا من الباسور لفظ مبسور، وهو مَن أُصيب به.

الاستعمال القرآنيّ

جاء من هذه المادّة لفظا (بَسَرَ) و(بَاسِرَة) في سورتين مكّيّتين من السّور القصار:

١ـ ﴿ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ المدّثّر: ٢١ ـ ٢٣

٢ـ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ القيمة: ٢٤، ٢٥

يلاحظ أوّلًا: أنّ أُولاهما وصف لمن أنكر القرآن أشدّ الإنكار، وثانيتهما وصف لوجه الكفّار في الآخرة، فانقسمت المادّة بين الدّنيا والآخرة وصفًا للكافر العنيد، والآخرة هي انعكاس الدّنيا ومحصولها.

ثانيًا: اختصّت السّور المكّيّة بذلك لما كان فيها من الإنكار المؤكّد، ومافي سورها من الاسترسال وتناسب الفواصل. فالفاصلة في جملة الآيات الأُولى (فَعَلَ) مختوم بـ«راء»، فجاء (بَسَرَ)، وفي الثّانية (فاعِلَة) مختومة بـ«راء» أيضًا، فجاءت (بَاسِرَة). فلرعاية الفواصل دخل في اختيار هاتين الصّيغتين في السّورتين.

ثالثًا: جاءت (بَسَرَ) في الأُولى بعد (عَبَسَ)، و(عَبَسَ)، بعد (نَظَرَ)، و(نَظَرَ) بعد (فَكَّرَ وَقَدَّرَ)، والفاصل بين كلّ آية وأُخرى الحرف (ثُمَّ) على النّحو التّالي: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ المدّثّر: ١٨ ـ ٢٣، فقد فصلت هذه الأفعال بعضها عن بعض بـ(ثُمَّ)، ولم يفصل بها بعض عن بعض آخر، فلم يفصل (قَدَّرَ) عن (فَكَّرَ)، ولا(بَسَرَ) عن (عَبَس)، ولا (استَكْبَرَ) عن (أَدْبَرَ).

وقد أتى في صدرها بجملتين مكرّرتين معترضتين دعاء على هذا المنكر العنيد، ممّا يحكي شدّة السّخط عليه، وشدّة إدانته جرّاء عناده.

رابعًا: هناك بحث طويل لغة وتفسيرًا في الفرق بين (عَبَسَ) و(بَسَرَ)، فمن اللّيث: «إنّه إذا قطّب مابين عينيه فقد عبَس، فإن أبدى أسنانه في عبوسه فقد كلَح، فإن اهتمّ وفكّر فيه فقد بسَر، فإن غضب مع ذلك فقد بسَل». فقد جعل «اهتمّ» و«فكّر» و«بسر» بمعنى واحد، مع أنّ القرآن جعله معنًى مستقلًّا متأخّرًا عن (فَكَّرَ وقَدَّرَ) وعن (نَظَرَ) وقرينًا مع (عَبَسَ)، وهذا مايحكي قرب معنييها، كما سبق.

ورتّبها الهمذانيّ بقوله: «هو العُبوس والقُطوب والكُلوح والكُثور والبُسور والكَشف»، وشرحه بعضهم بقوله: قطّب وقبّض مابين عينيه، وقال بعض آخر: بأنّه كلَح أو كرّه وجهَه، أو نظر بكراهة شديدة. وفسّره الرّاغب وغيره بـ«أظهر العُبوس قبل أوانه».

وبعضهم جمع بينهما، قال البغويّ: «كلَح وقطّب وجهَه، فنظر بكراهيّة شديدة كالمهتمّ المتفكّر في شيء». وقال آخرون: بأنّه وقّف لايتقدّم ولايتأخّر، وقالوا أيضًا: بأنّه إتباع لـ(عبَس)، إذ قال المُصْطَفَويّ: «فالبَسْر حالة حاصلة بعد العُبوس، فإنّ العُبوس يتعقّبه شدّة الكلوح، ويتعجلّ في كشف الضّرّ والعُبوس عنه».

وعندنا أنّ الفرق والتّرتيب بين هذه المعاني أمر عسير، والّذي يعلم أنّ البَسْر هو شدّة العُبوس الواقعة في غير محلّها، ولبنت الشّاطئ والمُصْطَفَويّ بحث طويل في ذلك، فلاحظ.

خامسًا: جاءت (بَاسِرَة) في الثّانية مقابلة لـ(نَاضِرَة) و(نَاظِرَة)، ومتّصفة بـ(فَاقِرَة): ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * اِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ اَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾.

١ـ فسّروها بـ«كاشرة» و«كالحة» و«عابسة» و«متغيّرة» و«كريهة مقطّبة»، وقد جمعها البغويّ وتبعه آخرون، فقال: «عابسة مغيّرة مسودّة».

والّذي نختاره فيها هو شدّة العُبوس في الوجه، وهو تجسيم حالتهم في الدّنيا أمام الحقّ، لكنّها كانت في غير محلّها، وستكون في الآخرة طبعًا في محلّها.

٢ـ يقابلها (نَاضِرَة) وهي شدّة الفرح والسّرور في وجه المؤمنين، و(نَاظِرَة) تحكي كمال نضرتها بالنّظر إلى ربّها، أي إلى رحمة ربّها، وعند الأشاعرة والمتصوّفة إلى وجه ربّها حقيقة بمعنيين: ظاهريّ ومعنويّ.

٣ـ أمّا وصفها بـ(فَاقِرَة) ـ وهي من الفقر ـ فيحكي نهاية ذلّها واضطرابها، كما هو شأن الفقراء، لاحظ «ف ق ر».

ب س س

لفظان، مرّتان، في سورة مكّيّة

بُسّتْ ١:١ بَسًّا ١:١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: بَسْ: زَجرٌ للحمار، تقول منه: بَسْ بَسْ.

وبَسَسْتُ وأبْسَسْتُ وهم يَبُسّون ويُبِسّون.

والمُبِسّ: المُتلطّف للنّاقة المسكّنها بكلام حتّى يحلُبَها.

وبَسْبَس: اسم رجل.

وانبسّت الحيّات، إذا تفرّقتْ في الأرض.

والبَسْبَس: شجرٌ تُتّخذ منها الرّحال.

والبَسابِسُ: الكَذِب الّذي ليس له أصل، وكذلك التُّرّهات.

والبَسْباسة: بَقْلة.

وأبَسّ بالنّاقة إبساسًا: دعاها للحَلْب. وإذا درّت على الإبساس قيل: ناقة بَسوس.

والبَسُوس: كانت ناقة تَرعَى، فرماها كُلَيب التّغلبيّ فقتلها. ويقال: بل اسم المرأة الّتي كانت النّاقة لها، وبذلك السّبب هاجت الحروب بين بَكر وتَغْلِب حتّى تفانَوا، فيقال: «أشأمُ من البَسوس». (٧: ٢٠٥)

الكِسائيّ: يقال: «جئ به من حَسِّك وبَسِّك»، أي ائت به على كلّ حال من حيث شئت.

(الجوهَريّ ٣: ٩٠٩)

أبسَسْتُ بالنّعجة، إذا دعوتها للحَلْب.

(ابن منظور ٦: ٢٨)

أبوعمرو الشّيبانيّ: بَسّ الشّيء، إذا فتّته.

(الأزهَريّ ١٢: ٣١٦)

يقال: جاء به من حَسّه وبَسّه، أي من جَهْده. ولأطْلُبَنّه من حَسّي وبَسّي، أي من جَهْدي.

(الجوهَريّ ٣: ٩٠٩)

أبوعُبَيْدَة: البَسيسة: خُبز يُجفّف ويُدَقّ، فيُشرب كالسّويق. (الأزهَريّ ١٢: ٣١٦)

أبوزَيْد: أبَسّ بالغنم، إذا أشلاها إلى الماء. وأبَسّ

بالإبل عند الحَلَب، إذا دعا الفصيل إلى أُمّه، أو أبسَّ بأُمّه له.

نحوه ابن السِّكِّيت. (الأزهَريّ ١٢: ٣١٥)

البَسيسة: كلّ شيء خَلَطتَه بغيره، مثل السَّويق بالأَقِط، ثمّ تبلّه بالرُّبّ، أو مثل الشّعير بالنّوى للإبل، يقال: بسَسْتُه أبُسُّه بسًّا. (الأزهَريّ ١٢: ٣١٧)

مثله الأصمَعيّ. (الفَيّوميّ ١: ٤٨)

البَسّ: السَّوْق اللّيِّن، وقد بسَسْتُ الإبل أبُسُّها ـ بالضّمّ ـ بسًّا. (الجَوهَريّ ٣: ٩٠٨)

أبسَسْت بالمعَز، إذا أشليتها إلى الماء.

(الجَوهَريّ ٣: ٩٠٩)

الأصمَعيّ: لم أسمَع الإبساس إلّا في الإبل.

(الأزهَريّ ١٢: ٣١٦)

اللِّحيانيّ: وانبسّ في الأرض: ذهَبَ.

(ابن سيدة ٨: ٤٢٧)

من أمثالهم «لاأفعل كذا ماأبسَّ عبدٌ بناقة» هو طوَفانُه حولها ليَحْلِبَها، ويقال: أبسّ بالنّعجة، إذا دعاها للحلب. (الأزهَريّ ١٢: ٣١٥)

انبسّت الحيّات انبساسًا، إذا جرت على الأرض، وانبسّ الرّجل، إذا ذهب. ويقال: بُسَّهم عنك، أي اطرُدهم. (الأزهَريّ ١٢: ٣١٦)

بَسّ فلان في ماله بَسّةً، ووَزم وَزْمَةً، إذا ذهب شيء من ماله. (الأزهَريّ ١٢: ٣١٨)

أبسّ بالنّاقة: دعاها للحلب. (ابن سيدة ٨: ٤٢٦)

البَسيسَة: هي الّتي تُلَتُّ بسَمْن أو زيت، ولاتُبَلّ.

(ابن سيدة ٨: ٤٢٦)

أبوعُبَيْد: بَسَسْتُ الإبل وأبسَسْت، لغتان، إذا زجرتها، وقلت: بَسْ بَسْ. (الجَوهَريّ ٣: ٩٠٩)

في حديث النّبيّ ﷺ: «يخرج قوم من المدينة إلى الشّام واليمن والعراق يُبِسُّون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

قوله: «يُبِسُّون» هو أن يقال في زجر الدّابّة إذا سُقتَ حمارًا أو غيره: بَسْ بَسْ وبِسْ بِسْ ـ بفتح الباء وكسرها، وأكثر مايقال بالفتح ـ وهو صوت الزّجر للسَّوق، وهو من كلام أهل اليمن.

وفيه لغتان: بسَسْتُها وأبسَسْتُها، إذا سُقتها وزجرتها وقلت لها: بِسْ بِسْ، فيقال على هذا: يَبُسّون ويُبِسّون.

(ابن منظور ٦: ٢٧)

ابن الأعرابيّ: البُسْبُس: الرُّعاة، والبُسُس: النّوق الإنسيّة، والبُسُس: الأسوِقة المَلْتوتة.

(الأزهَريّ ١٢: ٣١٦)

أبوسعيدالبغداديّ: [في حديث النّبيّ ﷺ]

«يَبِسُّون» أي يُسبِحون في الأرض. وانبسّ الرّجل، إذا ذهب. وبُسَّهم عنك، أي اطرُدهم.

(الأزهَريّ ١٢: ٣١٥)

ابن السِّكِّيت: ماله حِسٌّ ولا بِسٌّ، أي حركة.

(٤٨٩)

والبَسيسة: أن يؤخذ طحين البُرّ وطحين الأَقِط فيُبَسّ بالسَّمن، أي يُخلَط، ثمّ يؤكل نِيئًا، يقال: بَسْبَسْتُ لهم أبُسُّ بَسًّا. (٦٣٦)

بَسْبَسْتُ السّويق والدّقيق أبُسُّه بَسًّا، إذا بللته بشيء من الماء، وهو أشدّ من اللّتّ. وبَسّ الرّجل

عقاربه، إذا أرسَل نمائمه. (الأزهَريّ ١٢: ٣١٦)

المُبَرِّد: أمّا الإبساس فأن تدعو النّاقة باسمها أو تُليّنَ لها الطّريق إلى الحَلَب، بقول أو مسح أو ماأشبه ذلك. فإذا كانت النّاقة تَدُرّ على الدّعاء والملَق، قيل: ناقة بَسُوس؛ وذلك من صفاتها في حسن الخُلق.

(١: ٣٥٢)

الزّجّاج: بَسّ سَويقه، إذا خلطه بشيء أو بسَمْن حتّى يجتمع، وبَسّ الرّجل الشّيء، إذا فرّقه. وأبسَسْت فلانًا سِرّي، إذا جعلتَ سرّك عنده، يجمعه ويحفظه.

(كتاب فعلت وأفعلت: ٥)

ابن دُرَيْد: بَسّ السّويق يَبُسّه بَسًّا، إذا لَتّه بسَمْن أو زَيْت أو نحوه. (١: ٣٠)

المُبِسّ: الّذي يداري النّاقة بالإبساس، أي بالكلام حتّى يحلبها. (٢: ٤٢٠)

بَسَسْتُ الغنم: قلتُ لها: بُسّ بُسّ.

(ابن سيدة ٨: ٤٢٧)

بَسّ بالنّاقة وأبسّ بها دعاها للحلب، والعرب تقول: لاأفعله ما أبَسّ عبد بناقته. (ابن سيدة ٨: ٤٢٧)

القاليّ: البِسّ، من قولهم: أبْسَسْتُ بالنّاقة، إذا قلت لها: بِسّ بِسّ لتَدِرّ، وكسروا الباء ليكون على مثال «جِسّ». (١: ٩١)

الأزهَريّ: يقال: بَسَسْتُ الإبل أبُسُّها بَسًّا، إذا سُقْتُها سَوْقًا لطيفًا.

وقيل: في قوله: «لاتخبزا خَبزًا وبُسّا بَسّا» البَسّ: السَّوق اللّطيف، والخَبز: السَّوق الشّديد بالضّرب.

وقيل: البَسّ: بلّ الدّقيق، ثمّ يأكله، والخَبز: أن يخبز المَليل.

والإبساس: بالشّفتين دون اللّسان، والنّقر: باللّسان دون الشّفتين.

والجمَل لايُبسّ، إذا استصعب، ولكن يُشْلَى باسمه واسم أُمّه فيسكن.

وقيل: الإبساس: أن يَمسح ضرع النّاقة يُسكّنها لتَدِرّ، وكذلك يُبسّ الرّيح بالسّحابة.

قال اللّيث: البَسْبَس: شجر يُتّخذ منه الرّحال.

قلت: الّذي قاله لاأعرفه، وأراه أراد السَّيْسَبَ.

وقد روى سلمة عن الفرّاء أنّه قال: السَّيسبان: اسم شجر، وهو السَّيسبيّ، يُذكّر ويؤنّث، يُؤتى به من بلاد الهند. وربّما قالوا: السَّيْسَبُ، قال طَلْق بن عَديّ:

وعُنُقٍ مثل عمود السَّيْسَب

(١٢: ٣١٦)

الصّاحِب: بَسّ: زجرٌ للبغل والحمار، يقال منه: بَسَسْت وأبسَسْت.

والمُبِسّ: الّذي يتلطّف للنّاقة ويُسكّنها حتّى يحتلبها. وإذا لم تَدِرّ إلّا على الإبساس قيل: ناقة بسوس، وفي المثل: «لاآتيك ماأبسّ عبدٌ بناقة».

وأبْسَسْت بالغنم: وهو إشلاؤك إيّاها إلى الماء.

والبَسُّ: السَّوق اللّطيف.

وبسّ سَويقه، إذا خلطه بسَمْن حتّى يجتمع، والاسم: البَسيسة.

والبَسيسة: الإيكال بين القوم والسّعاية، وجمعها: بسائس.

وبسّ عليّ عقاربه، أي أذاه وشرّه.

والبَسُّ: بَسُّ الأفاعي إذا انسابَتْ على وجه الأرض في رَمْل.

وبَسْبَسَ: لغة في سَبْسَبَ.

وانبسّ الرّجل: ذهب، وبُسَّهُمْ عنك، أي اطْرُدْهم.

وبُسّت الجبال: فُتّت.

وبُسّ[1] فلان في ماله بَسَّةً، أي ذهب من ماله شيء.

وبَسُوس: اسم امرأة، هاجت بسببها حرب البَسُوس.

وبَسْبَسْتُ المال، إذا بَثَثْتَه في البلاد فتفرّق فيها، وكذلك الإبل.

وبَسْبَست النّاقة: دامت على الشّيء.

ويقال للهرّة الأهليّة: البَسّة، والذّكر بَسٌّ، وجمعه: بِساس.

ولاأفعل ذاك آخر باسوس الدّهر، أي أبدًا.

«وجاء بالمال من عَسِّه وبَسِّه»

والبَسُّ: الطّلب والجَهْد. «وجِئْ به من حَسِّك وبَسِّك» أي من حيث شئت. «وجِئْ به عَسًّا وبَسًّا»، أي لامحالة.

والنّاس بُسّةٌ واحدةٌ وبَسْبَسةٌ، أي خليطة.

وماأعطاه بسيسًا، أي شيئًا قليلًا من الطّعام.

والمتَبَسْبِسُ من الماء: كالمتَسَبْسِب، أي المنحدر المُنْساب.

وجئتَ بالتُّرّهات البَسابس، أي مالانظام له.

وبُسّ: اسم موضع.

وضَرْبَهُ فما قال: حَسّ ولابَسّ. (٨: ٢٥٥)

الجَوْهَريّ: البَسّ: اتّخاذ البَسيسة، وهو أن يُلَتّ السّويق أو الدّقيق أو الأقِط المطحون، بالسَّمْن أو بالزّيت، ثمّ يُؤكل ولايُطبخ. قال يعقوب: هو أشدّ من اللّتّ بَلَلًا. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَسْبَسُ: القَفْر.

والتُّرّهات البَسابس: هي الباطل. وربّما قالوا: تُرّهات البَسابس، بالإضافة. (٣: ٩٠٨)

ابن فارِس: الباء والسّين أصلان:

أحدهما: السّوق، والآخر: فَتُّ الشّيء وخلطُه.

فالأوّل: قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ الواقعة: ٥، يقال: سيقت سَوقًا.

وجاء في الحديث: «يجيء قوم من المدينة يبسّون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون». [ثمّ استشهد بشعر]

والأصل الآخر قولهم: بُسّت الحنطة وغيرها أي فُتّت. وفسّر قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ على هذا الوجه أيضًا. ويقال لتلك: البَسيسة. [ثمّ استشهد بشعر]

فأمّا قولهم: بَسّ بالنّاقة وأبَسّ بها، إذا دعاها للحلب فهو من الأوّل. وفي أمثال العرب: «لاأفعل ذلك ماأبسّ عبدٌ بناقة»، أي مادعاها للحلب. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ١٨١)

ابن سيدة: بَسّ السّويق والدّقيق وغيرَهما يَبُسّه بَسًّا: خلطَه بسَمْن أو زَيْت، وهي البسيسة، والبَسيسة: خُبز يُجفّف ويُدَقّ ويُشْرَب كما يُشْرَب السّويق، قال

---

(١) ذكره الأزهريّ عن اللّحيانيّ بالمبنيّ للمعلوم، وهكذا صاحب القاموس.

ابن دُرَيْد: وأحْسَبُه الّذي يسمّى القَتُوت.

وجاء بالأمر من حِسّه وبِسّه، ومن حَسّه وبَسّه، أي: من حيث كان ولم يكن.

وبُسّ بُسّ: ضَرْبٌ من زَجْر الإبل. وقد أبَسّ بها.

وبَس بَس وبَسْ بِسْ: من زَجْر الدّابّة. بَسّ بها يَبُسّ وأبَسّ. وقال اللّحيانيّ: أبَسّ بالنّاقة: دعاها للحَلْب، وقيل: معناه دعا ولَدَها لتَدِرّ على حالبها.

البَسُوس: النّاقة الّتي لاتَدِرّ إلّا بالإبساس، وحَرْبُ البَسُوس منه، لأنّ أصل هذه الحَرْب إنّما كانت لناقة عَقَرها جَسّاسُ بنُ مُرّة.

وبُسّ: زَجْرٌ للحافر.

وبَسّ بمعنى حَسْبُ، فارسيّة. وقد بَسْبَسَ به وأبَسّ به، وأبَسّ به إلى الطّعام: دعاه. وبَسّ الإبل بَسًّا: ساقها. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَسّ الرّجل يَبُسّه بَسًّا: طَرَدَه ونحّاه.

وانبسّ: تَنَحّى.

وبَسّ عَقاربه: أرسَل نَمائمه.

وانبسّت الحيّة: انسابَتْ على وجه الأرض، قال:

وانبسّ حيّات الكثيب الأهْيَل

وانْبَسّ في الأرض: ذَهَبَ، عن اللّحيانيّ وحده، حكاه في باب انبسّت الحيّات، والمعروف عند أبي عُبَيْد وغيره: ارْبَسّ. والبَسّ: شجرٌ، والبَسْبَس لغةٌ في السَّبْسَب، وزعم يعقوب أنّه من المقلوب.

والبسابِس: الكَذِب.

وبَسْبَس بَوْلَه: كَسْبَسَ.

والبَسْبَاس: بَقْلَة. قال أبوحنيفة: البَسْباس أيضًا من النّبات: الطّيّب الرّيح، وزعم بعض الرّواة أنّه النّاغُنْاغ، قال: وأمّا أبوزيّاد فقال: البَسْبَاس: طيّب الرّيح يُشبِه طَعمُه طعم الجزَر، واحدته بَسْبَاسَةٌ. وبَسْبَاسَةُ: اسم امرأة، والبَسُوس كذلك.

وبُسّ: موضع عند حُنَيْن. [ثمّ استشهد بشعر]

(٨: ٤٢٦)

البَسْبَس: الأرض الواسعة، الجمع: البَسابِس.

(الإفصاح ٢: ١٠٤٨)

الزّمَخْشَريّ: بُسّت الجبال: فُتّتَتْ كالدّقيق والسّويق، ومنه قيل للسّويق الملتوت: البَسيسة.

وأبَسّ الحالب بالنّاقة: مسَحها وسكّنها بلسانه. ولاأفعل ذلك ماأبَسّ عبدٌ بناقة. وجئ به من حَسّك وبَسّك. وتقول: أكلتِ ابنَي وائل البَسُوس، كما يأكل الحبّ السّوس.

ومن المجاز: بَسّ عليه عقاربه، إذا أرسل عليه نمائمه.

وجاء بالتّرّهات البسابس، أي بالأباطيل.

(أساس البلاغة: ٢٢)

البَسّ: السّوق والطّرد، يقال: بُسّ القوم عنك، أي اطرُدهم، ومنه بَسّ عليه عقاربَه، إذا بثّ نمائمه. [ثمّ استشهد بشعر] (الفائق ١: ١٠٧)

ابن الأثير: وفي حديث المتعة: «ومعي بُردة قد بُسّ منها» أي نِيلَ منها وبَلِيَت.

وفي حديث مُجاهد: «من أسماء مكّة الباسّة» سمّيت بها لأنّها تَحطِم مَن أخطأ فيها. والبَسّ: الحَطْم، ويُروى بالنّون من النّسّ: الطّرد.

وفي حديث المغيرة: «أشأمُ من البَسُوس» هي ناقة

رماها كُلَيْب بن وائل فقتلها، وبسَبِبها كانت الحرب المشهورة بين بَكر وتَغْلِب، وصارت مثلًا في الشُّؤم.

والبَسوس في الأصل: النّاقة الّتي لاتَدُرّ حتّى يقال لها: بُسّ بُسّ، بالضّمّ والتّشديد، وهو صُوَيْت للرّاعي يُسكّن به النّاقة عند الحَلْب، وقد يقال ذلك لغير الإبل.

وفي حديث الحجّاج: «قال للنّعمان بن زُرعَة: أمن أهل الرّسّ والبَسّ أنت»؟ البَسّ: الدّسّ، يقال: بَسّ فلان لفلان مَن يتخبّر له خَبَره ويأتيه به، أي دسّه إليه.

والبَسْبَسَة: السّعاية بين النّاس. (١: ١٢٧)

الفَيُّوميّ: بَسَسْتُ الحنطة وغيرها بَسًّا، من باب «قَتَل» وهو الفتّ، فهي بَسيسة «فعيلة» بمعنى «مفعولة». (٤٨)

الفيروزاباديّ: البَسّ: السّوق اللّيّن، واتّخاذ البَسيسة: بأن يُلَتّ السّويق أو الدّقيق أو الأَقِط المطحون بالسّمْن أو الزّيت، وزجرٌ للإبل بِسْ بِسْ كالإبساس، وإرسال المال في البلاد وتفريقُها، والطّلب والجَهْد، والهرّة الأهليّة ـ والعامّة تكسير الباء ـ الواحدة بهاءٍ.

وجاء به من حَسّه وبَسّه، مثلّثي الأوّل: من جَهْده وطاقته، ولأطلُبنّه من حَسّي وبَسّي: جَهْدي وطاقتي.

وبَسّ بمعنى حَسْبُ، أو هو مُسترذَل، وبطنٌ من حِمْيَر.

والبَسُوس: النّاقة الّتي لاتَدُرّ إلّا على الإبساس، أي التّلطّف بأن يقال لها: بَسْ بَسْ تسكينًا لها.

وامرأة مشؤومة، أُعطي زوجُها ثلاث دعواتٍ مستجاباتٍ، فقالت: اجْعَل لي واحدة، قال: فَلَكِ، فماذا تريدين؟

قالت: ادعُ الله أن يجعلني أجمل امرأةٍ في بني إسرائيل، ففعَل، فرغِبَتْ عنه، فأرادت سيّئًا؛ فدعا الله تعالى عليها أن يجعلها كلبةً نبّاحة، فجاء بنوها فقالوا: ليس لنا على هذا قرار يعيّرناها النّاس، ادعُ الله أن يردّها إلى حالها، ففعل، فذهبت الدّعوات بشؤمها.

وبَسّ في ماله بَسًّا: ذهب شيء من ماله.

وبِسّ بِسّ، مثلّثين: دعاءٌ للغنم.

وبُسّ بالضّمّ: جبل قرب ذات عِرْق، وأرض لبني نصر بن معاوية، وبيت لغطفان بناه ظالم بن أسعد لمّا رأى قريشًا يطوفون بالكعبة، ويسعون بين الصّفا والمروة، فذرع البيت وأخذ حجرًا من الصّفا وحجرًا من المروة، فرجع إلى قومه فبنى بيتًا على قدر البيت، ووضع الحجَرين، فقال: هذان الصّفا والمروة، فأجتزأوا به عن الحجّ، فأغار زهير بن جناب الكلبيّ فقتل ظالمًا وهدم بناءه.

والبَسْبَس: القفر الخالي، وشجر تُتّخذ منه الرّحال، أو الصّواب السَّيْسَب.

والتُّرّهات البسابس وبالإضافة: الباطل.

والبسباسة: شجرة تعرفها العرب، وتأكلها النّاس والماشية، تَذكُر بها ريحَ الجَزَر وطَعْمَه إذا أكلتَها، وأوراقٌ صُفْرٌ تُجلب من الهند، وهذه هي الّتي تستعملها الأطبّاء.

والباسّة والبسّاسة: مكّة شرّفها الله تعالى.

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ﴾ الواقعة: ٥، فُتّتت، فصارت أرضًا.

والبَسيس: القليل من الطّعام، وبهاء: الخُبز يُجفّف ويُدَقّ ويُشرب، والإيكال بين النّاس بالسّعاية.

والبُسُس بضمّتين: الأسوِقَة الملتوتة، والنُّوق الآنِسَة، والرُّعاة.

وبَسْبَسَ: أسرع، وبالغنم أو النّاقة: دعاها، فقال: بُسْ بُسْ، والنّاقة: دامت على الشّيء.

وتَبَسْبَس الماءُ: جرى. والانبساس: الانسياب.

وأبسّ بالمعَز إبساسًا: أشلاها إلى الماء. (٢:٧٠٢)

الزَّبيديّ: وممّا يُستدرَك عليه، يقولون: معي بُردة قد بَسّ منها، أي نيل منها وبليت.

قال اللِّحيانيّ: أبسّ بالنّاقة: دعاها للحَلْب، وقيل: معناها دعا ولدها لتدِرّ على حالبها.

واقتصر المصنّف على معنى الزّجر، والصّحيح أنّه يُستعمل فيه، وفي الدّعاء للحلب.

وبَسّه بَسًّا: نحّاه، وأبسّ الرّجل: تنحّى، وبَسْبَس به وأبسّ به: قال له: بَسْ، بمعنى حَسْبُ.

وأبسّ به إلى الطّعام: دعاه.

وبسّ عقاربه: أرسل نمائمه، وأرسل أذاه، وهو مجاز.

والبَسّ: الدّسّ، يقال: أبسّ فلان لفلان مَن يتخبّر له خبره ويأتيه به، أي دسّه إليه.

ويقال: لاأفعل ذلك آخر باسوس الدّهر، أي أبدًا. (٤: ١١٠)

العَدْنانيّ: البَسّ.

ويُطلقون على الهرّة الأهليّة اسم «البِسّ»، والصّواب هو «البَسّ» كما قال ابن عبّاد، والزّمخشريّ، والقاموس، والتّاج، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن الّذي قال: إنّها حجازيّة، والوسيط.

وذكر القاموس، والتّاج، ومحيط المحيط، والمتن: أنّ العامّة تكسِر الباء وتقول: بِسّ.

ويُجمع البَسّ: على بِساس.

ويخطّئون من يستعمل كلمة «بَسْ» ويقولون: إنّ الصّواب هو «حَسْبُ».

ولكنْ: ذكرَ أنّ «بَسْ» تعني حَسْبُ كلّ من ابن فارِس، واللّسان، والقاموس، والمُزْهِر، والكشكول لبهاء الدّين العامليّ، والتّاج، ومحيط المحيط، ودُوزيّ، وذيل أقرب الموارد، والمتن، والإسلام الصّحيح، والوسيط.

وقد ذكر أنّ أصل «بَسْ» فارسيٌّ: اللّسان والكشكول، والتّاج، ومحيط المحيط، والإسلام الصّحيح، والوسيط.

وذكر أنّها ليست بعربيّة: المُزْهِر، والمتن.

وقال ابن فارِس: إنّ استعمالها مُسْتَرْذَل، وقال القاموس: أو هو مسترذَل.

وقال الكشكول: تقولها العامّة.

وعثر محيط المحيط حين أوردها مبنيّةً على الضّمّ، ومُضعّفة السّين: «بَسُّ».

وقال الكشكول، ودُوزيّ، والإسلام الصّحيح: إنّ العرب تصرّفوا في «بَسْ»، فقالوا: بَسّك وبَسّي، وجملة دوزيّ: «بَسّك تتهزأ عليّ».

وقال التّاج: ليس للفُرس بمعنى «حَسْبُ» سوى «بَسْ»، وللعرب: حَسْب، وبَجَلْ، وقَطْ، وأَسِك واكْفُف، وناهيك، ومَهْ، ومَهْلًا، واقطَعْ، واكتَفِ.

وأنا أرى أن نُضرب عن استعمال «بَسْ» الفارسيّة الأصل، مادام لدينا هذا العدد الكبير من الكلمات

العربيّة الّتي تؤدّي المعنى نفسه. (٥٩)

المُصْطَفَويّ: الظّاهر أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة هو: الكسر والفتّ، وهذا المعنى يختلف بالموضوعات.

فبسّ الحنطة: بالدّقّ والسّحق.

وبسّ السّويق والدّقيق: بالتّفريق بالخلط، فإنّ الخلط يوجب الكسر والفتّ بين المجموع، من حيث إنّه مجموع.

وبسّ الإبل: يحصل بسَوق الأفراد والآحاد، وتفريقها عن حالة الجماعة، سوقًا ليّنًا حتّى يصدق الفتّ.

وبَسّ المال: إنّما يحصل بالتّفريق.

ولايخفى أنّ «البسّ» قريب المفهوم من «البثّ» والفرق بينهما: أنّ البثّ كما سبق معناه: التّفريق، وقلنا: إنّ البسّ هو: الكسر والفتّ. وقد يجتمعان في بعض الموارد، والفرق بينهما اختلاف الجهة واللّحاظ.

(١: ٢٥٣)

النُّصوص التّفسيريّة

وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا. الواقعة: ٥

ابن عبّاس: فُتّتت فتًّا.

مثله أبوصالح، ومُجاهِد وعِكْرِمَة.

(الطّبَريّ ٢٧: ١٦٨)

ومثله مُقاتِل. (الطَّبْرِسيّ ٥: ٢١٤)

ابن السِّكّيت: معناه كُسرت كسرًا.

(الطَّبْرِسيّ ٥: ٢١٤)

الحسَن: قُلعت من أصلها. (الطَّبْرِسيّ ٥: ٢١٤)

الكَلْبيّ: سُيّرت عن وجه الأرض تسييرًا.

(الطَّبْرِسيّ ٥: ٢١٤)

ابن زَيْد: صارت كثيبًا مَهيلًا.

(الطّبَريّ ٢٧: ١٦٨)

الفَرّاء: صارت كالدّقيق؛ وذلك قوله: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ النّبأ: ٢٠. (٣: ١٢١)

أبوعُبَيْدَة: مجازها كمجاز السّويق المبسوس أي المبلول والعجين، قال لصٌّ من غطفان وأراد أن يختبز فخاف أن يعجّل عن الخبز فبلّ الدّقيق فأكله عجينًا. وقال:

لا تخبزا خبزًا و بُسّا بسًّا

(٢: ٢٤٧)

صارت ترابًا تَرِبًا. (ابن سيدة ٨: ٤٢٦)

الطَّبَريّ: يقول تعالى ذكره: فُتّتت الجبال فتًّا، فصارت كالدّقيق المبسوس، وهو المبلول، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ المزّمّل: ١٤، والبسيسة عند العرب: الدّقيق والسّويق تُلَتّ وتُتّخذ زادًا. (٢٧: ١٦٧)

الزّجّاج: (بُسّت): لُتّتْ وخُلِطَتْ، و(بُسّتْ) أيضًا: سيقت. (٥: ١٠٨)

ابن كيسان: جُعلت كثيبًا مَهيلًا بعد أن كانت شامخة طويلة. (الطَّبْرِسيّ ٥: ٢١٤)

الرّاغِب: (بُسّت) أي فُتّتت، من قولهم: بسَسْتُ الحنطة والسّويق بالماء: فَتَتُّه به، وهي البسيسة.

وقيل: معناه سُقت سَوقًا سريعًا، من قولهم: انبسّتِ الحيّات: انسابت انسيابًا سريعًا، فيكون كقوله

عزّوجلّ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ الكهف: ٤٧، وكقوله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ النّمل: ٨٨. وبَسْبَسْتُ الإبل: زجرتها عند السّوق، وأبسَسْتُ بها عند الحَلْب، أي رقّقت لها كلامًا تسكن إليه، وناقة بسُوس: لاتدرّ إلّا على الإبساس. (٤٦)

مثله الفيروز اباديّ.

(بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٤٥)

الزّمَخْشَريّ: وفُتّت حتّى تعود كالسّويق، أو سيقت من: بسّ الغنم، إذا ساقها، كقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ النّبأ: ٢٠. (٤: ٥٢)

نحوه أبوحَيّان. (٨: ٢٠٠)

ابن عَطيّة: بُسِطت بَسْطًا، كالرّمل والتّراب. (الطّبْرِسيّ ٥: ٢١٤)

الطّباطَبائيّ: البَسّ: الفتّ، وهو عَود الجسم بدقّ ونحوه أجزاءً صغارًا متلاشية كالدّقيق.

وقيل: البسّ هو التّسيير، فهو في معنى قوله: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ النّبأ: ٢٠. (١٩: ١١٦)

عبد الكريم الخطيب: أي طُحنت طحنًا. (١٤: ٧٠٦)

المُصْطَفَويّ: أي كُسرت وفُتّت، حتّى تكون الاجزاء المفتوتة المكسورة كالهباء المنثور، فيتحقّق التّناسب والنّظم المعنويّ بين هذه الآيات.

وأمّا التّفسير بالسّير والسّوق ـ مضافًا إلى كونه معنًى مجازيًّا ـ أنّ السّوق لايناسب ماقبلها ومابعدها ـ فإنّ صيرورتها هباءً إنّما هو نتيجة الفتّ والكسر لاالسّوق والسّير، والمناسب بتحريك الأرض إنّما هو الفتّ لاالسّوق ثانيًا. (١: ٢٥٣)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: البَسّ ـ وهو الفتّ ـ وصوت لترويض النّاقة عند الحلب.

فن الأوّل: بَسّ السّويق والدّقيق وغيرهما يَبُسُّه بَسًّا: خلطه بسَمْن أو زيت، وهي البسيسة.

ومن الثّاني: بَسّ بالنّاقة وأبسّ بها: دعاها للحلب، أو دعا ولدها لتدرّ على حالبها، وهي ناقة بَسوس، أي تدرّ عند الإبساس، وهو أن يقال لها: بُسّ بُسّ، أو بِسّ بِسّ. والإبساس: مسح ضرع النّاقة لتسكينها حتّى تدرّ.

٢ـ وأمّا قولهم: انبسّت الحيّات في الأرض، إذا تفرّقت، وبَسَّ المالَ في البلاد فانبسّ، أي تفرّق، فهو إمّا من الأصل الأوّل، وإمّا من «ب ث ث»؛ إذ إبدال السّين بالثّاء شائع في اللّغة، مثل: ساخت رجله في الأرض وثاخت، أي دخلت، وناقة فاسج وفاثج، وهي الفتيّة الحامل، وأتيته مَلَسَ الظّلام ومَلَثَ الظّلام، أي اختلاط الظّلام.

ويخطر بالبال أنّ هذه المادّة من الأضداد، فهي تعني التّفريق والخلط معًا، فيصدر عنها المعنى سلبًا وإيجابًا، وبذلك يتيسّر الرّبط بين الأصلين؛ فالأوّل تفتيت، والثّاني جمع وإيلاف.

وحكى اللّحيانيّ: انبسّ في الأرض، إذا ذهب، وهو ممّا انفرد بروايته. فعقّبه بعض اللّغويّين ـ كما ذكر ابن منظور ـ بقوله: والمعروف عند أبي عُبَيْد وغيره: انبسّ.

ولعلّ ماجاء هنا بمعنى: سوق الدّوابّ وزجرها، هو من مادّة «ن س س» يقال منه: نَسَّ الإبل يَنُسّها نَسًّا ونَسْنَسَها أيضًا، أي ساقها، ونَسَّ النّاقة والشّاة: زجرها، فقال لها: إسْ إسْ، وكذا أسَّها. أو لعلّ بين هذه الموادّ ـ وهي «أ س س» و «ب س س» و «ن س س» و «ن س ن س» ـ اشتقاق أكبر، فهي إذاً أُصول برؤوسها.

٣ـ وممّا تواردت فيه «ب س س» و«ن س س» تسميتهم لمكّة الباسّة والنّاسّة، قال ابن الأثير في «ب س س»: سمّيت بها لأنّها تحطم من أخطأ فيها. وقال في «ن س س»: من بغى فيها أو أحدث فيها حدثًا أُخرج عنها، فكأنّها ساقته ودفعته عنها.

ونحسب أحدهما تصحيفًا للآخر، لأنّ المتقدّمين كانوا يكتبون الألفاظ بدون تنقيط، فاشتبه الأمر على من جاء بعدهم، وتردّدوا في فاء هذا اللّفظ بين الباء والنّون.

٤ـ ومن ذلك أيضًا قول الحجّاج للنّعمان بن زُرْعَة: «أمن أهل الرّسّ والبسّ أنت»؟ وروي بالنّون أيضًا، وقد ذكر ابن الأثير كلا الرّوايتين، فقال في «ب س س»: البَسّ: الدّسّ، يقال: بَسَّ فلان لفلان مَن يتخبّر له خبره ويأتيه به، أي دسّه إليه. وقال في «ن س س»: يقال: نَسَّ فلان لفلان، إذا تخبّر، والنّسيسة: السّعاية.

ويبدو واضحًا هنا أنّ «البَسّ» مصحّف «النّسّ»، لأنّ هذا المعنى ـ أي السّعاية بين النّاس ـ محفوظ في «ن س س»، ومنه: النّسيسة، أي السّعي بين النّاس والإيكال بينهم، والنسائس: النّمائم، ومثله: أسَّ بينهم يَؤُسُّ أسًّا، ورجل أسّاس: نمّام مُفسِد، وكذا البسبسة، أي السّعاية بين النّاس، فبين «أ س س» و«ن س س» و«ب س ب س» اشتقاق أكبر.

وأمّا ماقيل: بَسَّ عقاربه، أي أرسل نمائمه وأذاه، فهو تصحيف «ن س س».

٥ ـ ولفظ «بَسْ» بمعنى «حَسْبُ» فارسيّ، ولقد جاء في الفارسيّة القديمة «الفهلويّة» بلفظ «وَسْ» بالواو.

الاستعمال القرآنيّ

جاء البَسّ في القرآن بمعنى «الفتّ» مرّتين، في آية واحدة:

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾

الواقعة: ٤، ٥

يلاحظ أوّلًا: أنّ هذه الآية دُرجت في آيات سورة مكّيّة تتحدّث عن موضوعين متلازمين:

الأوّل: قيام السّاعة، وتصنيف النّاس في يوم القيامة ثلاثة أصناف: وهم السّابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشّمال، ووصف حال كلّ صنف في ذلك اليوم العصيب، وهو بمثابة مقدّمة للموضوع الثّاني.

الثّاني: محاججة الكافرين وتعنيفهم، ثمّ تُختم السّورة بتكرار مايؤول إليه مصير الأصناف الآنفة الذّكر بصورة موجزة.

ثانيًا: عبّر القرآن عن تلاشي الجبال واضمحلاله عند قيام السّاعة بالألفاظ التّالية:

١ـ التّسيير: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾

الكهف: ٤٧

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا* وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾
الطّور: ٩، ١٠

٢ـ النّسف: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا* فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ طه: ١٠٥، ١٠٦

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ المرسلات: ١٠

٣ـ البسّ: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا* وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ الواقعة: ٤، ٥

٤ـ الدكّ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ* وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾
الحاقّة: ١٣، ١٤

٥ ـ صيرورتها عِهنًا: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ* وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ المعارج: ٨، ٩

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ* وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ القارعة: ٤، ٥

٦ـ رجوفها وصيرورتها كثيبًا: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ المزّمّل: ١٤

ثالثًا: تمرّ الجبال خلال زوالها بثلاث مراحل:

الأُولى: الإزالة والإقلاع بالتّسيير.

الثّانية: السّحق والتّهشيم بالبسّ والدّكّ، فتصير كثيبًا مهيلًا وكعِهن منفوش.

الثّالثة: النّسف والتّذرية، فتصير هَباءً مُنبثًّا وقاعًا صفصفًا.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب س ط

١٢ لفظًا، ٢٥ مرّة: ١٣ مكّيّة ، ١٢ مدنيّة

في ١٥ سورة : ١١ مكّيّة ، ٤ مدنيّة

بَسَط ١ : ـ ١	باسِط ٣ : ١ ـ ٢
بَسَطْت ١ : ـ ١	باسِطوا ١ : ـ ١
يَبسُط ١٠ : ٧ ـ ٣	مبسوطتان ١ : ـ ١
يَبسُطه ١ : ١	بِساطًا ١ : ١
يبسُطوا ٢ : ـ ٢	بَسْطَةً ٢ : ١ ـ ١
تَبسُطها ١ : ١	البَسْط ١ : ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل :البَسْط : نقيض القَبْض. والبسيطة من الأرض كالبِساط من المتاع، وجمعه : بُسُط.

والبَسْطَة : الفضيلة على غيرك، قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ البقرة : ٢٤٧.

والبسيط : الرّجل المُنْبَسِط اللّسان، والمرأة بسيطة، وقد بسُط بَساطةً، والصّاد لغة.

وبسَط إلينا فلان يده بما نُحبّ ونكره.

وإنّه ليَبسطُني مابسَطَك ويَقبِضُني ماقبَضَك، أي يَسُرّني ماسَرَّك، ويسوءُني ماساءك.

والأبساط من النُّوق : الّتي معها أولادها، والواحد : بِسْط.

والبسيط : نحوٌ من العَرُوض. (٧ : ٢١٨)

ابن شُمَيْل : البَساط والبسيطة : الأرض العريضة .

(الأزهَريّ ١٢ : ٣٤٦)

الفَرّاء : أرض بَساط وبِساط : مستويةٌ لاتَبَكَ فيها.

(الأزهَريّ ١٢ : ٣٤٦)

البِساط من الأرض بالكسر : لغة في البَساط بالفتح، بُسُطٌ بالضّمّ، مثل بِسْطٍ، لغة تميم.

(الصّغانيّ ٤ : ١٠٧)

أبوزَيْد : حفَر الرّجل قامةً باسطة، إذا حفَر مَدَى قامته، وقد مدَّ يدَهُ. (الأزهَريّ ١٢ : ٣٤٦)

أبو عُبَيْد: البَساط: الأرض العريضة الواسعة.
(الأزهريّ ١٢: ٣٤٦)

ابن الأعرابيّ: التَبسُّط: التَنزّه، يقال: خرج يتبسّط، مأخوذ من «البَساط» وهي الأرض ذات الرّياحين. (الأزهريّ ١٢: ٣٤٦)

ابن السِّكّيت: البسيط: الّذي إذا رأيته انبسط إليك، و رأيته يتهلّل وجهُه، و عرفت السّرور في وجهه. (٢٠٤)

فرشَ لي فلان فِراشًا لايبسُطني، إذا ضاق عنه. وهذا فراشٌ يبسُطني، إذا كان سابغًا.

سِرنا عقَبَةً جوادًا، وعقَبَةً باسطةً، وعقبةً حَجُوفًا، أي بعيدةً طويلةً. (الأزهريّ ١٢: ٣٤٦)

ابن دُرَيْد: بسَطْتُ الشّيء أبسُطه بَسْطًا، إذا مَدَدْته على الأرض.

وتبسّط الرّجل على الأرض، إذا استلق وامتدّ.

والبِساط بكسر الباء: مابسطته، والبَساط بفتحها: الأرض الواسعة.

وناقة بَسْطٌ، والجمع: أبساط، وهي الّتي معها ولدها. [ثمّ استشهد بشعر]

والبسيطة: الأرض بعينها، يقال: ماعلى البسيطة مثل فلان، ويقال: فلان أبْسَطُ قومه باعًا بالمعروف، إذا كان أوسعهم رَحْلًا، يقال: ضربه حتّى انبسط، أي تمدّد. (١: ٢٨٤)

الأزهَريّ: البَسْطَة: الزّيادة، والبصطة بالصّاد: لغة في البَسْطَة.

وروي عن النّبيّ ﷺ أنّه كتب لوَفْد كلب كتابًا فيه: «في الهَمُولة الرّاعية البِساط الظّؤار، في كلّ خمسين من الإبل ناقة غير ذات عَوار».

الهَمُولة: الإبل الرّاعية، والحَمُولة: الّتي يُحمل عليها.

والبِساط: جمع بِسْط، وهي النّاقة الّتي تُركت وولدها لايُمنع منها، أولا تُعطف على غيره، وهي عند العرب بِسْط وبَسوط. وجمع بِسْط: بُساط، وجمع بَسوط: بُسُط، وهكذا حَفِظتُه عن العرب. [ثمّ استشهد بشمر وبعد نقل قول ابن الأعرابيّ قال:]

قلت: بَسُوط «فَعول» بمعنى «مفعولة» كما يقال: حَلُوب ورَكُوب للّتي تُحْلَب وتُركَب.

وبِسْط، بمعنى مبسوطة، كالطِّحن بمعنى المطحون، والقِطْف بمعنى المقطوف.

وسمعت غير واحد من العرب يقول: بيننا وبين الماء مِيلٌ بِساط، أي مِيلٌ مَتّاح. [ثمّ استشهد بشعر]

الباسوط من الأقتاب: ضدّ المفروق، ويقال أيضًا: قَتَبٌ مَبْسُوط، ويُجمع: مباسيط، كما يُجمع المفروق: مفاريق. (١٢: ٣٤٥)

الصّاحِب: البَسْط: نقيض القَبْض، والبسيطة من الأرض كالبِساط من المتاع، والجميع: البُسُط.

والبَسْطَة: الفضيلة على غيره، له بَسْطَة في الجسم والمال، وبسَطني الله على فلان، أي فضّلني عليه.

والبسيط: الرّجل المُنْبَسِط اللّسان، والمرأة بسيطة، والفعل بسُط بَساطةً.

وبسَط إلينا فلان يده بما نُحبّ ونكره.

وفرش لي فراشًا لايبسُطني، وذلك إذا كان ضيّقًا لايتّسع عليه.

والأبساط من النّوق: الّتي معها أولادها، الواحدة:

بِسْط، يقال: أبْسَطت الإبِل، أي خلّيتها وأولادَها تُرضِعها.

وإذا ألقح الرّجل إبله عامًا وتركها عامًا قيل: أبسَطها إبْساطًا.

وقطًا[1] أبْساطٌ أيضًا.

والبسيطة كالنّشيطة: للرّئيس، وهي النّاقة معها ولَدها، فتكون هي وولَدُها في رُبْع الرّئيس، وجمعها: بُسُط.

والمبسوطة من الرّحال: الّتي يُفرّق بين الحِنْوَين حتّى يكون بينهما قريب من ذراع.

وجَمْسٌ باسِطٌ، أي بائضٌ.

وحفَر قامةً باسطةً، إذا حفَر قامتَه وطُولَ يَدِه.

وبلادٌ باسطة: بمنزلة بَساطٍ من الأرض، وهي الأرض الواسعة.

وذهب فلان في بُسَيْطَةَ: أي في الأرض، فلم يَصرِفها.

وبيني وبينه بَسيط النّبْل، أي مَدُّه.

والبِساط: القِدْرُ العظيمة. (٨: ٢٧٢)

الجَوْهَريّ: بسَط الشّيء: نشَره، وبالصّاد أيضًا.

وبَسْط العُذْر: قبوله.

والبَسْطَة: السّعة، وانبَسَط الشّيء على الأرض.

والانبساط: ترك الاحتشام، يقال: بسَطْتُ من فلان فانبَسط.

وتَبسَّط في البلاد، أي سار فيها طولًا وعرضًا.

والبِساط: مايُبسَط، والبَساط، بالفتح: الأرض الواسعة، يقال: مكان بسيط وبَساط. [ثمّ استشهد بشعر]

وفلان بسيط الجسم والباع.

والبِسْط بكسر الباء: النّاقة تُخلّى مع ولدها لايُمنع منها، والجمع: بُساط وأبساط، مثل ظِئْر وظُؤار وأظآر.

وقد أُبسِطت النّاقة، أي تُرِكت مع ولدها.

ويَدٌ بُسُطٌ أيضًا، أي مُطلقة. (٣: ١١١٦)

نحوه الرّازيّ. (٦٥)

ابن فارِس: الباء والسّين والطّاء أصل واحد، وهو امتداد الشّيء في عِرَض أو غير عِرَض؛ فالبِساط: مايُبسَط، والبَساط: الأرض، وهي البسيطة، يقال: مكان بَسيط وبَساط. [ثمّ استشهد بشعر]

ويد فلانٍ بِسْطٌ، إذا كان مِنفاقًا، والبَسْطة في كلّ شيء: السّعة. (١: ٢٤٧)

الهَرَويّ: وفي الحديث، في صفة الغيث: «فوقع بسيطًا متداركًا» أي انبسط في الأرض واتّسع. والمتدارِك: المُتتابِع. (١: ١٦٧)

الطُّوسيّ: والبَسْط: خلاف القَبْض، تقول: بسَط يبسُط بَسْطًا، وانبسط انبساطًا، وبسّطه تبسيطًا، وتبسّط تبسُّطًا.

والبِساط بكسر الباء: مابسَطته، والبَساط بفتح الباء: الأرض الواسعة.

وناقة بَسْطٌ: معها ولدها لانبساطه.

والبَسْطَة: الفضيلة في الجسم أو المال، ونحو ذلك. (٢: ٢٨٦)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (١: ٣٤٨)

---

(١) نوع من الحمام، واحدتها: قَطاة.

ابن سيدة: البَسْط: نقيض القَبْض، بسَطه يَبْسُطه بَسْطاً فانبَسَط. وبسَّطه فتبَسَّط. [ثمّ استشهد بشعر]

والبِساط: مابُسِط، والجمع: بُسُط. وأرضٌ بَساطٌ وبَسِيطَة: مُنْبَسِطَةٌ مُستَوية. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل: البَسيطة: الأرض، اسمٌ لها.

والبِساط: ورقُ السَّمُر يُبْسَط له ثوبٌ ثمّ يُضْرَبُ فَيَنْحَتّ عليه.

وهذا بِساطٌ يبسُطُك، أي يَسَعُك.

ورجُل بسيطٌ مُنْبَسِطٌ بلسانه، وقد بَسُطَ بساطة. ورجل بسيط اليدين: مُنبَسِطٌ بالمعروف، وبَسيط الوجه: متهلّلٌ، وجمعُها: بُسُط. [ثمّ استشهد بشعر]

وإنّه ليبسُطُني مابسَطَك، أي يَسُرّني ماسَرّك.

والبَسيط من العَرُوض: سُمّي به لانبِساط أسبابه. قال أبوإسحاق: انبسَطَت فيه الأسباب فصار أوّله مُسْتَفْعِلُنْ ففيه سَبَبان متّصلان في أوّله.

وبسَط إليّ يَدَهُ بما أُحِبُّ وأكره يبسُطُها: مَدَّها، وفي التّنزيل: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾ المائدة: ٢٨.

وأُذُن بَسْطاء: عريضَةٌ عظيمة.

وانبسَط النّهار وغيره: امتدّ وطال.

والبَسْطَة: الفضيلة. وفي التّنزيل: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ البقرة: ٢٤٧.

ومرأةٌ بَسْطَة: حَسَنَة الجسم سَهْلَته. وظَبْيةٌ بَسْطَة كذلك.

والبِسْط والبُسْط: النّاقة المتروكة مع ولَدها لاتُمنع، والجمع: أبساطٌ وبُساطٌ، الأخيرة من الجمع العزيز، وحكى ابن الأعرابيّ في جمعها بُسُطٌ. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل: البُسْط هنا المُنْبَسِطةُ على أولادها، وليس هذا بقويّ، ورَواجعُ، مُرْجِعَةٌ على أولادها، كأنّه توهّم طَرْحَ الزّائد ولو أتمّ لقال: مَراجعُ. وعَقَبَة باسطَةٌ: بينها وبين الماء لَيْلتان.

وماء باسطٌ: بعيد من الكَلإ، وهو دون المَطْلَب.

وبُسَيْطَةٌ: موضعٌ، وكذلك بُسَيْطَة. [ثمّ استشهد بشعر] (٨: ٤٤٠)

البِساط: كلّ مايُبسط، أي يفرش. وضَرْبٌ من الفُرُش، يُنسج من الصّوف ونحوه، الجمع: بُسُط.

بسَط البِساط يَبسُطه بَسْطاً: فرشَه ونشَره، فانبسط وتبسّط، أي انتشر. وهذا بِساط يبسُطك، أي يسعك. (الإفصاح ١: ٥٧٧)

الرّاغِب: بسَط الشّيء: نشَره وتوسّعه، فتارةً يُتصوّر منه الأمران، وتارةً يُتصوّر منه أحدهما.

ويقال: بسَط الثّوب: نشَره، ومنه البِساط، وذلك اسم لكلّ مبسوط، قال الله تعالى: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ نوح: ١٩، والبِساط: الأرض المتّسعة، وبسيط الأرض: مبسوطه.

واستعار قوم «البَسْط» لكلّ شيء لايُتصوّر فيه تركيب وتأليف ونظم، قال الله تعالى: ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ البقرة: ٢٤٥، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ الشّورى: ٢٧، أي لو وسّعه ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ البقرة: ٢٤٧، أي سعةً. قال بعضهم: بَسْطَتهُ في العلم هو أن انتفع هو به ونفَع غيره، فصار له به بسطة، أي جود.

وبَسْط اليد: مَدُّها، قال عزّوجلّ: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ

ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ الكهف: ١٨.

وبَسْط الكفّ يستعمل تارةً للطّلب، نحو: ﴿كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ الرّعد: ١٤.

وتارةً للأخذ، نحو: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ الأنعام: ٩٣.

وتارةً للصّولة والضّرب، قال تعالى: ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ الممتحنة: ٢.

وتارةً للبذل والإعطاء، نحو ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المائدة: ٦٤.

والبُسْط: النّاقة الّتي تُترك مع ولدها كأنّها المبسوط، نحو النّكث والنّقض، في معنى المنكوث والمنقوض. وقد أبسط ناقته، أي تركها مع ولدها. (٤٦)

الزَّمَخْشَريّ: «يَدَا الله بُسْطان» لمُسيء النّهار حتّى يتوب باللّيل، ولمُسيء اللّيل حتّى يتوب بالنّهار.

يقال: يد فلان بُسْط، إذا كان مِنفاقًا مُنبسِط الباع، ومثله في الصّفات: روضة أُنُف، ومِشْيَة سُجُح، ثمّ يخفّف فيقال: بُسْط كعُنْق وأُذْنٌ، جُعل بَسْط اليد كناية عن الجود، حتّى قيل للملك الّذي يُطلق عطاياه بالأمر وبالإشارة: مبسوط اليد، وإن كان لم يُعطِ منها شيئًا بيده، ولايبسطها به ألبتّة.

وكذلك المراد بقوله: «يدا الله بُسْطَانِ»، وبقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المائدة: ٦٤، الجواد والإنعام لاغير، من غير تصوّر يدٍ ولابسطها، لأنّ قولهم: مبسوط اليد وجواد، عبارتان معتقبتان على معنى واحد، والمعنى إنّ الله جوادٌ بالغفران للمُسيء التّائب، رزقنا الله التّوبة ومغفرة الذّنوب.

وفي قراءة ابن مسعود (بَلْ يَدَاهُ بُسْطَانِ).

وفي حديث عُروة، مكتوب في الحكمة: «ليكن وجهك بُسْطًا تكن أحبّ إلى النّاس ممّن يُعطيهم العطاء» أي منبسطًا منطلِقًا. (الفائق ١: ١٠٧)

بسَط الثّوب والفراش، إذا نشَره.

ومن المجاز: بسَط رجله وقبَضها. وإنّه ليبسُطني مابسَطك ويقبضُني ماقبَضك، أي يسُرّني ويُطيّب نفسي ماسرّك ويسوءني ماساءك. وبسَط عليهم العذاب. وزاده الله بسطةً في العلم والجسم، أي فضلًا. وبسَطني الله عليه: فضّلني. ونحن في بساطٍ واسعة. [ثمّ استشهد بشعر]

ومكان بسيط: واسع. وفلان بسيط الباع واللّسان وقد بسُط بَساطةً. وبسَط إلينا يده ولسانه بما نحبّ أو بما نكره. وبلادٌ باسطة. [ثمّ استشهد بشعر]

وحفَر قامةً باسطةً وبَسْطةً، وهو أن يمُدّ يدَه رافعها. وفرَش لي فراشًا لايبسُطني، وهذا فراشٌ يبسُطك، إذا كان واسعًا لايقبضُه. وفلان مركبُه المبسوطة، وهي الرّحالة البعيدة مابين الحِنْوَين. ووَرَدْنا بعد خَمْسٍ باسِطٍ[1]، وانبسط إليه، وباسَطه وبينهما مباسَطة.

ويده بُسْط بالعطاء، وفي الحديث: «يَدَا الله بُسْطَانِ».

وماعلى البسيطة مثله. وذهب في بُسَيْطَةَ، غير مصروفة، كما تقول: ذهب في الأرض.

(أساس البلاغة: ٢٢)

(١) هكذا جاء في «الأساس» خلافًا لما ذكره الصّاحب وغيره: «خِمْس» بكسر الخاء، و«باسط» نُعتًا مصروفًا.

المَـديني: في الحـديث: «يَـدُ الله بَسْطَان» أي مبسوطة، كما قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

سألت بَعْض الأُدباء عن هذه الكلمة، فقال: هي بـفتح البـاء، لأنّ «فَـعْلان» في الصّـفات كـالرّحمان والغَضبان، فأمّا «فُعْلان» بالضمّ ففي المصادر. ويَد بُسْطٌ أيضًا، إذا كان مِنفاقًا.

وفي الحديث: «لاتَبسُط ذراعَيك انبساط الكَـلْب» خرج بالمصدر إلى غير لفظه، أي لاتـبسطها فَـتَنبَسطا انبساط الكلب.

في حديث عُروة: «ليكُنْ وَجهُك بِسْطًا، أي مُنبسِطًا منطلِقًا. (١: ١٥٨)

ابن الأثير: في أسماء الله تعالى «الباسط» هو الّذي يَبسُط الرّزق لعباده، ويوسّعه عليهم بجوده ورحمته، ويَبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة. (١: ١٢٧)

الصّغانيّ: وجِمْسٌ باسطٌ، أي بائس، وذهب في بُسَيْطَةَ: في الأرض، مصغّرةٌ غير مصروفة.

والبَسـاط: القِدْر العظيمة.

والبسيطة: كالنّشيطة للرّئيس.

وبَسْطةُ: من أعمال جيّان بالأندُلُس.

وبُسَيْطَة: أرض ببادية الشّام. وركيّته قائمة باسطةٌ، وقامةٌ باسطةٌ مضافةٌ غير مُجْراة، كأنّهم جعلوها معرفةً، يعني أنّها قامة وبَسْطَة. (٤: ١٠٧)

الفَيُّوميّ: بسَط الرّجل الثّوب بَسْطًا، وبسَط يده: مدّها منشورةً، وبسَطها في الإنفاق: جاوز القصد، وبسَط الله الرّزق: كثّره ووسّعه.

والبِساط معروف، وهو «فِعال» بمعنى «مفعول» ومثله كِتاب بمعنى مكتوب، وفِراش بمعنى مفروش، ونحو ذلك، والجمع: بُسُط.

والبَسْطَة: السّعة، والبسيطة: الأرض. (١: ٤٨)

الفيروز اباديّ: بسَطه: نشَره، كبسّطه فـانبسط وتبسّط، ويَدَه: مدّها، وفلانًا: سرّه، والمكـانُ القـومَ: وسعهم، والله فلانًا عليّ: فضّله، وفلان من فلان: أزال منه الاحتشام، والعُذْرَ: قَبِلَه.

وهذا فراش يبسطُني، أي واسع عريض.

والباسط: الله تـعالى، يَـبسُط الرّزق لمـن يشـاء: يوسّعه، ومن الماء: البعيد من الكَـلإ، وجِمْسٌ بـاسِطٌ: بائس ﴿وَالْـمَـلٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا أَيْدِيهِمْ﴾ الأنعام: ٩٣، أي مسلّطون عليهم، كما يقال: بُسِطت يدُهُ عليه، أي سُلّط عليه ﴿كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْـمَآءِ لِيَبْلُـغَ فَاهُ﴾ الرّعد: ١٤، أي كالدّاعي الماء يُومئُ إليه ليُجيبه.

والبِساط بالكسر: مابُسِطَ، جمعه: بُسُطٌ، وورق السَّمُر يُبْسَط له ثوب، ثمّ يُضْرب فيَنْحَتّ عليه.

وبالفتح: المنبسطة المُستوية من الأرض كالبسيطة، والأرض الواسعة، وتُكسر كالبسيط، والقِدْر العظيمة.

والبسيطة: الأرض، وموضع ببادية الشّام؛ ويصغّر، والنّاقة مع ولدها.

وذهَب في بُسَيْطَةَ ممنوعة مُصغّرة، أي في الأرض.

والبَسيط المُنْبَسِط بلسانه، وهي بهاءٍ، وقد بَسُط ككرُم. وثالث بُحور العروض ووزنه مستفعلُن فاعِلُن، ثماني مرّات.

وبسيط الوجه: متهلِّلٌ، واليَدَيْن: مِسماحٌ، جمعه:

بُسْط.

وأُذُنٌ بَسْطاء: عظيمة عريضة.

وانبسط النّهار: امتدّ وطال.

والبَسْطة: الفضيلة، وفي العلم: التّوسّع، وفي الجسم: الطّول والكمال، ويُضمّ في الكلّ.

والبِسْط بالكسر والضّمّ وبضمّتين: النّاقة المتروكة مع وَلدها لاتُمنَع، جمعه: أبساط وبُسُط وبِساط بالكسر، وبالضّمّ شاذّ.

والمَنْبَسَط: المتّسع، وعُقْبَةٌ باسطةٌ: بينها وبين الماء ليلتان.

والباسُوط والمَبْسوط من الأقتاب: ضدّ المفروق.

وبَسْطَةُ ويُضْرف: مَوضع بجيّان الأندلُس. وركيّته قامةٌ باسطةٌ، وقامةٌ باسِطةٌ، مضافةٌ غيرَ مُجْراة كأنّهم جعلوها معرفة، أي قامةٌ وبسطةٌ.

ويدُه بُسْطٌ وبُسُطٌ ويُكسر: مطلقة، ومنه: «يَدَا الله بُسْطانِ» لمُسيء النّهار. وقرئ (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)، بالكسر والضّمّ. (٢: ٣٦٣)

مَجْمَعُ اللُّغة: ١ـ بسَط الشّيء كنصر يبسُطه بَسْطًا: ضدّ قبضه، فهو باسط، واسم المفعول مبسوط، ومؤنّثه مبسوطة.

وبسَط الله الرّزق: وسّعه، وبسط الشّيء: نشره.

وبَسْطُ اليد: مدّها طلبًا لشيء، وتارةً يستعمل للصّولة والضّرب، وتارةً يستعمل في مدّها للبذل والإعطاء، يقال: بسَط فلان يده بما يحبّ ويكره، وبسَط إليّ يده بما أُحبّ وأكره.

٢ـ البَسْطة في العلم: التّوسّع، وفي الجسم: الطّول والكمال.

٣ـ البِساط بالكسر: مايُبسَط، أي يُفرش. (١: ٩٥)

نحوه محمّد إسماعيل إبراهيم. (١: ٦٧)

العَدْنانيّ: البَسْط: ويخطّئون من يستعمل «البَسْط» بمعنى السّرور، ويقولون: إنّها من أقوال العامّة.

ولكن قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة منّي يبسُطُني مايبسُطها، ويقبضُني مايقبضُها».

وروى الخفاجيّ أنّه جاء في «المشارق»: «معناه يسُرّني مايسرّها ويسوءني مايسوءها» لأنّ الإنسان إذا سُرّ انبسط وجهُه واستبْشر، ولذا يقال: انبسط إليه، إذا هشّ وأظهر البِشر، وفي ضدّه يقال: انقبض.

وذكر البَسْط بمعنى السّرور أيضًا كلّ من المحكم، ومجاز الأساس، والنّهاية، واللّسان، والقاموس، والخفاجيّ، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن «مجاز» والوسيط.

وفعله: بسَط فُلانًا يَبْسُطه بَسْطًا.

ومن معاني بسَط:

١ـ بسَط الشّيءَ: نشَره.

٢ـ بسَط يَدَه أو ذراعه: فرَشها.

٣ـ بسَط كفّه: نشَر أصابعها.

٤ـ بسَط يده في الإنفاق: جاوز القصد «مجاز».

٥ ـ بسَط يَدَه إليه بما يحبّ ويكره: مدّها.

٦ـ بسَط لسانه إليه بالخير أو الشّرّ: أوصله إليه «مجاز».

٧ـ بسَط الله الرّزق لعباده: كثّره ووسّعه «مجاز».

٨ ـ بسَط المكان القومَ أو الفِراشُ النّائمَ: وَسِعَه «مجاز».

٩ـ بسَط فلانًا على فلان: (أ) سلّطه (ب) فضّله «مجاز».

١٠ـ بسَط العُذْرَ: قَبِلَه.

١١ـ بسَط من فلان: أزال احتشامَه «مجاز».

١٢ـ بسَط عليه: ضرَبه «مجاز». (٦٠)

محمود شيت: ١ـ أـ بسَط الشّيء بَسْطًا: نشَره، وبسَط يده أو ذراعه: فرشها. ويقال: بسَط كفّه: نشَر أصابعها، وبسَط يده في الإنفاق: جاوز القصد، وبسَط إليه بما يُحبّ ويكره: مدّها، وبسَط الله الرّزق لعباده: كثّره ووسّعه، وبسَط فلانًا: سرّه، وبسَط العُذْرَ: قَبِلَه.

ب ـ بسُط وجهُه بساطة: تلألأ، وبسُط لسانُه: انطلَق، وبسُط يده: انبسطت بالمعروف، جمعه: بُسُط.

ج ـ باسَطَه: لاطفَه.

د ـ بسَط الشّيء: نشَره، وبسّط الشّيء: جعله بسيطًا لاتعقيد فيه.

هـ ـ تبسّط: انتشر، ويقال: تبسّط في كلامه: فصّل وأوضح، وتبسّط: تنزّه، وتبسّط في البلاد: سار فيها طولًا وعرضًا.

و ـ البِساط: كلّ مايُبْسَط، جمعه: بُسُط.

ز ـ البسيط: المُنْبسِط، وضدّ المركّب، ومالاتعقيد فيه.

٢ـ أـ بسّط الخُطّة: جعلها بسيطة، لاتعقيد فيها.

ب ـ تبسّط في التّدريب: فصّل موضوعه وأوضحه.

ج ـ البِساط: من تجهيزات العسكريّ يُفرش تحت فراش نومه. (١: ٨٣)

المُصْطَفَويّ: إنّ الأصل الواحد في هذه المادّة هو «الامتداد» ومفهوم الامتداد يختلف باختلاف الممتدّ ومايتعلّق الممتدّ إليه، أي الفاعل والمفعول والمتعلّق، فبسط المكان: اتّساعه، وبسط اليد: قد يكون للعطاء والبذل، وقد يكون للأخذ. بسَط يَدَه إليه، وبسَط الفراش: نشَره.

والبَسْط في الجسم: طوله وكماله وعظمه، والبَسْط في العلم: التّوسّع والإحاطة فيه، وفي الوجه: بشره وفرحه، وفي اللّسان: انطلاقه.

والبسيط ماقلّ حدّه، ولم يتقيّد بحدود التّركّب. (١: ٢٥٤)

النّصوص التّفسيريّة

بَسَطَ

وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَايَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ. الشّورى: ٢٧

الطُّوسيّ: إخبار منه تعالى بأنّه لو وسّع رزقه على عباده وسوّى بينهم لبطروا النّعمة وتنافسوا وتغالبوا. (٩: ١٦٢)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٥: ٣٠)، والبُرُوسَويّ (٨: ٣١٩).

البَغَويّ: وسّع الله الرّزق لعباده. (٤: ١٤٧)

نحوه الخازن. (٦: ١٠٤)

القُرطُبيّ: معناه وسّع، وبسَط الشّيء: نشَره، وبالصّاد أيضًا. (١٦: ٢٧)

الطَّباطَبائيّ: معنى الآية لو وسّع الله الرّزق على عباده، فأشبع الجميع بإيتائه لظلموا في الأرض، لِما أنّ من طبع سعة المال الأشَر والبطَر والاستكبار والطّغيان، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ العلق: ٧. (١٨: ٥٦)

بَسَطْتَ

لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. المائدة: ٢٨

ابن عَبّاس: لاأنا بمنتصر، ولأُمْسِكَنّ يدي عنك. (الطّبَريّ ٦: ١٩١)

مُجاهِد: كان كتب الله عليهم: إذا أراد الرّجل أن يقتل رجلًا، تركه ولايمتنع منه. (الطّبَريّ ٦: ١٩٢)

مثله الحسن (الجصّاص ٢: ٤٠١)، ونحوه ابن جُرَيْج (الآلوسيّ ٦: ١١٢).

أبوعُبَيْدَة: أي مَدَدتَ. (١: ١٦١)

مثله البغويّ (٢: ٣٩)، والنّسَفيّ (١: ٢٨٠).

الطّبَريّ: يقول: مدَدْتَ إليّ يدَكَ ﴿لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ﴾ يقول: ماأنا بمادٍّ يدي إليك لأقتلك.

وقد اختُلف في السّبب الّذي من أجله قال المقتول ذلك لأخيه، ولم يمانعه مافعل به، فقال بعضهم: قال ذلك إعلامًا منه لأخيه القاتل، أنّه لايستحلّ قتله، ولايبسط يده إليه، بما لم يأذن الله به.

وقال آخرون: لم يمنعه ممّا أراد من قتله، وقال ماقال له، ممّا قصّ الله في كتابه: إنّ الله عزّذكره فرض عليهم ألّا يمتنع مَن أُريد قتله ممّن أراد ذلك منه.

وأولى القولين في ذلك بالصّواب، أن يقال: إنّ الله عزّذكره قد كان حرّم عليهم قتل نفس بغير نفسٍ ظلمًا، وأنّ المقتول قال لأخيه: ماأنا بباسط يدي إليك إن بَسَطْتَ إليّ يدك، لأنّه كان حرامًا عليه من قتل أخيه، مثل الّذي كان حرامًا على أخيه القاتل من قتله.

فأمّا الامتناع من قتله، حين أراد قتله، فلا دلالة على أنّ القاتل حين أراد قتله وعزم عليه، كان المقتول عالمًا بما هو عليه عازم منه ومحاولٍ من قتله، فترك دفعه عن نفسه. بل قد ذكر جماعة من أهل العلم أنّه قتله غِيلة، اغتاله وهو نائم، فشدخ رأسه بصخرة.

فإذا كان ذلك ممكنًا، ولم يكن في الآية على أنّه كان مأمورًا بترك منع أخيه من قتله، لم يكن جائزًا ادّعاء ماليس في الآية، إلّا ببرهان يجب تسليمه. (٦: ١٩١)

الجَصّاص: [بعد نقل قول ابن عَبّاس ومُجاهِد قال:]

وجائزٌ في العقل ورود العبادة بمثله، فإن كان التّأويل هو الأوّل، فلادلالة فيه على جواز ترك الدّفع عن نفسه، بقتل من أراد قتله، وإنّما فيه أنّه لايبدأ بقتل غيره.

وإن كان التّأويل هو الثّاني، فهو منسوخ لامحالة. وجائز أن يكون نسخه بشريعة بعض الأنبياء المتقدّمة، وجائز أن يكون نسخه بشريعة نبيّنا ﷺ.

والّذي يدلّ على أنّ هذا الحكم غير ثابت في شريعة النّبيّ ﷺ، وأنّ الواجب على من قصده إنسان بالقتل أنّ عليه قتله إذا أمكنه، وأنّه لايسعه ترك قتله مع الإمكان، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ الحجرات: ٩.

فأمر الله بقتال الفئة الباغية، ولابغي أشدّ من قصد إنسان بالقتل بغير استحقاق؛ فاقتضت الآية قتل من قصد قتل غيره بغير حقّ. [إلى أن قال:]

وذهب قوم من الحشويّة إلى أنّ على مَن قصده إنسان بالقتل أن لايقاتله ولايدفعه عن نفسه حتّى يقتله، وتأوّلوا فيه هذه الآية.

وقد بيّنّا أنّه ليس في الآية دلالة على أنّه كفّ يده عن قتله حين قصده بالقتل، وإنّما الآية تدلّ على أنّه لايبدأ بالقتل ـ على ماروي عن ابن عبّاس ـ ولو ثبت حكم الآية على ماادّعوه لكان منسوخًا بما ذكرنا من القرآن والسّنّة، واتّفاق المسلمين. (٢: ١٠٤)

الطُّوسيّ: في هذه الآية إخبار عن ولد آدم المقتول، وهو هابيل أنّه قال لأخيه حين هدّده بالقتل ـ لمّا تُقبّل قربانه ولم يُتقبّل قربان أخيه ـ فقال: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ معناه لئن مَدَدتَ إليّ يدك ـ والبسط هو المدّ وهو ضدّ القبض ـ (لِتَقْتُلَنِي)، معناه لأن تقتلني، ماأنا باسط يدي إليك لأن أقتلك.

فإن قيل: لِمَ قال ذلك وقد وجب بحكم العقل الدّفع عن النّفس وإن أدّى إلى قتل المدفوع؟

قلنا: عنه جوابان:

أحدهما: أنّ معناه لئِن بدأتني بقتل لم أبدأك، لاعلى أنّي لاأدفعك عن نفسي إذا قصدتَ قتلي. هذا قول ابن عبّاس وجماعة. وقيل: إنّه قتله غِيلةً بأن ألقى عليه ـ وهو نائم ـ صخرةً شدخه بها.

الثّاني: قال الحسن ومُجاهِد والجُبّائيّ: إنّه كان كتب عليهم إذا أراد الرّجل قتل رجلٍ تركه ولم يمتنع منه. وكان عمرو بن عبيد يُجيز الوجهين، وهو الأقوى، لأنّ كلا الأمرين جائز.

فإن قيل: كيف يجوز الوجه الأخير وفيه إطباع في النّفس؟

قلنا: ليس فيه شيء من ذلك، لأنّه يجري مجرى قول القائل لغيره: لئن ظلمتني لم أظلمك، ولئن قبحت في أمري لم أقبح في أمرك. بل في ذلك غاية الزّجر والرّدع عن القبيح، لأنّ القبيح منفر عن نفسه صارف عن فعله.

واللّام في قوله: (لَئِنْ) لام القسم، وتقديره: أُقسم ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾، وجوابه ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ﴾، ولاتقع (ما) جوابًا للشّرط، والفرق بينهما أنّ لـ(ما) صدر الكلام، والقسم لايخرجها عن ذلك.

كما جاز أن يكون جواب القسم بـ(أن) ولام الابتداء، ولم يجز بالفاء، لأنّ المقسم عليه ليس يجب بوجوب القسم، وإنّما القسم يؤكّده، وجواب الشّرط يجب بوجوبه، وإذا اجتمع القسم والجزاء كان جواب القسم أولى من جواب الجزاء، لأنّه لمّا تقدّم وصار الجزاء في حشو الكلام، غلبه على الجواب فصار له، واكتفى به من جواب الجزاء، لدلالته عليه. (٣: ٤٩٣)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٢: ١٨٣)

القُرطُبيّ: أي لئن قصدت قتلي فأنا لاأقصد قتلك، فهذا استسلام منه.

وقيل: أراد ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ ظلمًا فما أنا

بظالم. (٦: ١٣٦)

الخازِن: يعني لئن مَدَدتَ ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ يعني ماأنا بمنتصر لنفسي بل أستسلم لأمر الله.

وقيل: معناه ماكنت بمبتدئك بالقتل؛ وذلك أنّ الله كان قد حرّم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلمًا.

قيل: إنّ المقتول كان أقوى من القاتل وأبطش منه، ولكنّه تحرّج عن قتل أخيه، فاستسلم له، خوفًا من الله. (٢: ٣٢)

الآلوسيّ: قال بعض المحقّقين: واختلف في هذه الآية على مابسطه الإمام الجصّاص، فالصّحيح من المذهب: أنّه يلزم الرّجل دفع الفساد عن نفسه وغيره، وإن أدّى إلى القتل، ولذا قال ابن عبّاس رضي الله تعالى عنها وغيره: إنّ المعنى في الآية ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ على سبيل الظّلم والابتداء ﴿لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ﴾ على وجه الظّلم والابتداء، وتكون الآية على ماقاله مُجاهِد وابن جُرَيْج: منسوخة ـ وهل نسخت قبل شريعتنا أم لا؟ فيه كلام ـ والدّليل عليه قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ﴾ الحجرات: ٩، وغيرها من الآيات والأحاديث.

وقيل: إنّه لايلزم ذلك بل يجوز، واستدلّ بما أخرجه ابن سعد في الطّبقات، عن خبّاب بن الأرتّ، عنه ﷺ أنّه ذكر «فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من السّاعي، فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول ولاتكن عبد الله القاتل». وأوّلوه بترك القتال في الفتنة واجتنابها، وأوّل الحديث يدلّ عليه.

وأمّا من منع ذلك الآن مستدلًّا بحديث «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النّار». فقد رُدّ بأنّ المراد به أن يكون كلّ منهما عزم على قتل أخيه وإن لم يقاتله، وتقابلا بهذا القصد. انتهى بزيادة.

وعن السّيّد المرتضى: أنّ الآية ليست من محلّ النّزاع، لأنّ اللّام الدّاخلة على فعل القتل لام «كي» وهي منبئة عن الإرادة والغرض، ولاشبهة في قبح ذلك أوّلًا وآخرًا، لأنّ المدافع إنّما يحسن منه المدافعة للظّالم طلبًا للتّخلّص، من غير أن يقصد إلى قتله. فكأنّه قال له: لئن ظلمتني لم أظلمك. وإنّما قال سبحانه: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ﴾ في جواب ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ﴾ للمبالغة، في أنّه ليس من شأنه ذلك ولاممّن يتّصف به، ولذلك أكّد النّفي بالباء ولم يقل: وماأنا بقاتل، بل قال: (بِبَاسِطٍ) للتّبرّي عن مقدّمات القتل فضلًا عنه. وقُدّم الجارّ والمجرور المتعلّق بـ(بَسَطْتَ) إيذانًا على ماقيل من أوّل الأمر برجوع ضرر البسط وغائلته إليه. ويخطر لي أنّه قُدّم لتعجيل تذكيره بنفسه، المنجرّ إلى تذكيره بالأُخوّة المانعة عن القتل. (٦: ١٢٢)

المَراغيّ: أي إن مَدَدتَ يدك لتقتلني فما أنا بالمُجازي لك على السّيّئة بسيّئة مثلها، فذاك لايتّفق مع شمائلي وصفاتي، إذ لستُ ممّن يتّصف بهذه الصّفة المنكرة الّتي تنافي تقوى الله، والخوف من عذابه، وهذا ماعناه بقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾. (٦: ٩٩)

الطَّباطَبائيّ: اللّام للقسم، وبَسْط اليد إليه: كناية عن الأخذ بمقدّمات القتل وإعمال أسبابه. وقد أتى في

جواب الشرط بالنّفي الوارد على الجملة الاسميّة، وبالصّفة (بِباسِطٍ) دون الفعل، وأكّد النّفي بالباء ثمّ الكلام بالقسم، كلّ ذلك للدّلالة على أنّه بمراحل من البُعد من إرادة قتل أخيه، لايهمّ به، ولايخطر بباله. (٥: ٣٠١)

يَبْسُطُ

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ اِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا. الإسراء: ٣٠

الطَّبَريّ: يوسّع عليه. (١٥: ٧٨)

نحوه الطُّوسيّ (٦: ٤٧١)، والبغويّ (٣: ١٣١)، والطّبْرسيّ (٣: ٤١٣)، والخازن (٤: ١٢٨)، والشّربينيّ (٢: ٣٠١)، وأبوالسّعود (٤: ١٢٦)، والقاسميّ (١٠: ٣٩٢٤)، وبقيّة التّفاسير.

وبهذا المعنى جاء كلمة (يَبْسُطُ) في سورة البقرة: ٢٤٥، والرّعد: ٢٦، والرّوم: ٣٧، وسبأ: ٣٩، والزّمر: ٥٢، والشّورى: ١٢.

يَبْسُطُوا

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ اِذْ هَمَّ قَوْمٌ اَنْ يَبْسُطُوا اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ اَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. المائدة: ١١

الزَّمَخْشَريّ: يقال: بسط إليه لسانه، إذا شتمه، وبسط إليه يده، إذا بطش به ﴿وَيَبْسُطُوا اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ وَاَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ الممتحنة: ٢، ومعنى بسط اليد: مدّها إلى المبطوش به، ألاترى إلى قولهم: فلان بسيط الباع ومديد الباع، بمعنًى. (١: ٥٩٩)

مثله الفخر الرّازيّ (١١: ١٨٣)، والنّسفيّ (١: ٢٧٤)، ونحوه النّيسابوريّ (٦: ٦١)، والخازن (٢: ٢١)، وأبوحيّان (٣: ٤٤٢)، والشّربينيّ (١: ٣٦١).

أبوالسّعود: تقديم الجارّ والمجرور على المفعول الصّريح للمسارعة إلى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته إليهم حملًا لهم من أوّل الأمر على الاعتداد بنعمة دفعه، كما أنّ تقديم (لَكُمْ) في قوله عزّوجلّ: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَافِي الْاَرْضِ﴾ البقرة: ٢٩، للمبادرة إلى بيان كون المخلوق من منافعهم، تعجيلًا للمسرّة. (٢: ٢٤٤)

نحوه الآلوسيّ. (٦: ٨٤)

الطَّباطَبائيّ: هذا المضمون يقبل الانطباق على وقائع متعدّدة مختلفة وقعت بين الكفّار والمسلمين كغزوات بدر وأُحد والأحزاب وغير ذلك. فالظّاهر أنّ المراد به مطلق ماهمّ به المشركون من قتل المؤمنين وإمحاء أثر الإسلام ودين التّوحيد.

وماذكره بعض المفسّرين أنّ المراد به ماهمّ بعض المشركين من قتل النّبيّ ﷺ، أو ماهمّ به بعض اليهود من الفتك به ـ وسيجيء قصّتها ـ فبعيد من ظاهر اللّفظ كما لايخفى. (٥: ٢٣٨)

لَاتَبْسُطْهَا

وَلَاتَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً اِلَى عُنُقِكَ وَلَاتَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا. الإسراء: ٢٩

ابن عبّاس: يقول: لاتبسطها بالخير ﴿وَلَاتَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ يعني التّبذير. (الطّبَريّ ١٥: ٧٧)

الحسَن: تُبذّر بسرف. (الطّبَريّ ١٠: ٧٧)

لاتطفّف برزقي عن غير رضاي، ولاتضعه في سخطي، فاسلُبك مافي يديك، فتكون حسيرًا، ليس في

يديك منه شيء. (الطَّبَريّ ١٥: ٧٧)

قَتادَة: يقول: لاتنفقها في معصية الله، ولافيما[1] يصلح لك، ولاينبغي لك، وهو الإسراف. (الطَّبَريّ ١٥: ٧٧)

لاتُبَذِّر تبذيرًا. (الطَّبَريّ ١٥: ٧٧)

الكَلْبيّ: لاتعطِ ماعندك جميعًا، فيجيء الآخرون يسألونك، فلاتجد ماتعطيهم فيلومونك. (الطَّبْرِسيّ ٣: ٤١١)

ابن جُرَيْج: لاتمسك عن النّفقة فيما أمرتك به من الحقّ. (الطَّبَريّ ١٥: ٧٧)

ابن زَيْد: في الحقّ والباطل، فيَنفد مامعك ومافي يديك، فيأتيك من يريد أن تعطيه فيحسر بك، فيلومك حين أعطيت هؤلاء، ولم تعطهم. (الطَّبَريّ ١٥: ٧٧)

الطَّبَريّ: يقول: ولاتبسطها بالعطيّة كلّ البسط فتبقى لاشيء عندك، ولاتجد إذا سُئلت شيئًا تعطيه سائلك. (١٥: ٧٦)

الطُّوسيّ: أي ولاتعط جميع ماعندك، فتكون بمنزلة من بسَط يدَه حتّى لايستقرّ فيها شيء، وذلك كناية عن الإسراف. (٦: ٤٧٠)

مثله الطَّبْرِسيّ. (٣: ٤١١)

الزَّمَخْشَريّ: هذا تمثيل لمنع الشّحيح وإعطاء المسرف، وأمر بالاقتصاد الّذي هو بين الإسراف والتّقتير. (٢: ٤٤٧)

نحوه الآلوسيّ. (١٥: ٦٥)

الفَخْر الرّازيّ: أي ولاتتوسّع في الإنفاق توسّعًا مفرطًا؛ بحيث لايبقى في يدك شيء.

وحاصل الكلام أنّ الحكماء ذكروا في كتب الأخلاق: أنّ لكلّ خُلق طرفي إفراطٍ وتفريط، وهما مذمومان. فالبخل: إفراط في الإمساك، والتّبذير: إفراط في الإنفاق، وهما مذمومان، والخُلق الفاضل هو العدل والوسَط، كما قال: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة: ١٤٣. (٢٠: ١٩٥)

ابن كثير: أي لاتسرف في الإنفاق، فتُعطي فوق طاقتك، وتخرج أكثر من دخلك. (٤: ٣٠٣)

القاسميّ: أي بالتّبذير والسّرف.

وفي النّهْيَيْن استعارتان تمثيليّتان، شبّه في الأُولى: فعل الشّحيح في منعه بمن يده مغلولة لعنقه؛ بحيث لايقدر على مدّها.

وفي الثّانية: شبّه السّرف ببسط الكفّ؛ بحيث لاتحفظ شيئًا، وهو ظاهر. (١٠: ٣٩٢٣)

الطَّباطَبائيّ: وبَسْط اليد كلّ البسط: كناية عن إنفاق الإنسان كلّ مافي وُجْده؛ بحيث لايبقى شيئًا، كمن يبسط يده كلّ البسط بحيث لايستقرّ عليها شيء، ففي الكلام نهي بالغ عن التّفريط والإفراط في الإنفاق. (١٣: ٨٣)

بَاسِطٌ

١ـ لَئِنْ بَسَطْتَ اِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ اَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ اِلَيْكَ لِاَقْتُلَكَ اِنِّي اَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. المائدة: ٢٨

لاحظ «بَسَطْتَ».

٢ـ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ

(١) كذا، والظّاهر أنّها «فيما لايصلح لك».

لَايَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَاهُوَ بِبَالِغِهِ وَمَادُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ.

الرّعد: ١٤

الإمام عليّ عليه السلام: كالرّجل العطشان يمدّ يده إلى البئر، ليرتفع الماء إليه، وماهو ببالغه.

(الطّبَريّ ١٣: ١٢٩)

ابن عبّاس: هذا مثل المشرك مع الله غيره، فمثله كمثل الرّجل العطشان الّذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد، فهو يريد أن يتناوله ولايقدر عليه.

(الطّبَريّ ١٣: ١٣٠)

مثل الأوثان الّذين يُعبدون من دون الله كمثل رجل قد بلغه العطش، حتّى كرَبَه الموت، وكفّاه في الماء قد وضعهما لايبلغان فاه، يقول الله: لاتستجيب الآلهة، ولاتنفع الّذين يعبدونها، حتّى يبلغ كفّا هذا فاه، وماهما بالغتين فاه أبدًا. (الطّبَريّ ١٣: ١٣٠)

مُجاهِد: يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده، فلايأتيه أبدًا. (الطّبَريّ ١٣: ١٣٠)

يدعوه لأن يأتيه وماهو بآتيه، كذلك لايستجيب من هو دونه. (الطّبَريّ ١٣: ١٢٩)

الضّحّاك: كمن بسط يديه إلى الماء ليصل إليه بلااغتراف. (أبوحيّان ٥: ٣٧٦)

الحسَن: معناه كباسط كفّيه إلى الماء، فمات قبل أن يصل إليه. (الطّوسيّ ٦: ٢٣٣)

عطاء: كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمدّ يديه إلى البئر، فلاهو يبلغ إلى قعر البئر ليخرج الماء، ولاالماء يرتفع إليه، فلاينفعه بسطه الكفّ إلى الماء ودعاؤه له، ولاهو يبلغ فاه، كذلك الّذين يدعون الأصنام لاينفعهم ذلك. (الخازن ٤: ١٠)

قَتادَة: ليس ببالغه حتّى يتمزّع[1] عنقه، ويهلك عطشًا.

وليس الماء ببالغ فاه مادام باسطًا كفّيه لايقبضهما ﴿وَمَاهُوَ بِبَالِغِهِ وَمَادُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾

هذا مثل ضربه الله لمن اتّخذ من دون الله إلهًا أنّه غير نافعه، ولايدفع عنه سوءً، حتّى يموت على ذلك.

(الطّبَريّ ١٣: ١٣٠)

ابن زَيْد: لاينفعونهم بشيء إلّا كما ينفع هذا بكفّيه، يعني بسطهما إلى ماينال أبدًا.

(الطّبَريّ ١٣: ١٣٠)

الفَرّاء: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ الرّعد: ١٤، يعني الأصنام لاتجيب داعيها بشيء إلّا كما ينال الظّمآن المشرف على ماء ليس معه مايستق به؛ وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾.

ثمّ بيّن الله عزّوجلّ ذلك فقال: ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَاهُوَ بِبَالِغِهِ﴾. (٢: ٦١)

أبوعُبَيْدَة: مجازه: أنّ الّذي يبسط كفّه ليقبض على الماء حتّى يؤدّيه إلى فيه، لايتمّ له ذلك ولاتسقه أنامله، أي تجمعه. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٣٢٧)

الطّبَريّ: يقول: لاينفع داعي الآلهة دعاؤه إيّاها إلّا كما ينفع باسط كفّيه إلى الماء، بسطُه إيّاهما إليه من غير أن يرفعه إليه في إناء، ولكن ليرتفع إليه بدعائه إيّاه، وإشارته إليه وقبضه عليه. والعرب تضرب لمن

(١) يتقطّع.

سعى فيما لايدركه مثلًا بـ«القابض على الماء». [ثمّ استشهد بشعر] (١٣: ١٢٩)

نحوه الطُّوسيّ. (٦: ٢٢٣)

البغَويّ: أي إلّا كباسط كفّيه ليقبض على الماء. والقابض على الماء لايكون في يده شيء ولايبلغ إلى فيه منه شيء، كذلك الّذي يدعو الأصنام وهي لاتضرّ ولاتنفع لايكون بيده شيء. (٣: ١٣)

الزّمَخشَريّ: إلّا استجابة كاستجابة باسط كفّيه، أي كاستجابة الماء مَن بسط كفّيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه، والماء جماد لايشعر ببسط كفّيه ولابعطشه وحاجته إليه، ولايقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه، وكذلك مايدعُونه جماد لايحسّ بدعائهم، ولايستطيع إجابتهم، ولايقدر على نفعهم.

وقيل: شبّهوا في قلّة جدوَى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه، فبسطهما ناشرًا أصابعه، فلم تلق كفّاه منه شيئًا، ولم يبلغ طلبته من شُربه.

وقرئ (تَدْعُونَ) بالتّاء (كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ) بالتّنوين. (٢: ٣٥٤)

نحوه الخازن (٤: ١٠)، وأبوالسُّعود (٣: ٤٤٦).

ابن عَطيّة: ومعنى الكلام: والّذين يدعوهم الكفّار في حوائجهم ومنافعهم لايجيبون بشيء.

ثمّ مثّل تعالى مثالًا لإجابتهم بالّذي يبسط كفّيه نحو الماء، ويشير إليه بالإقبال إلى فيه، فلايبلغ فمه أبدًا. فكذلك إجابة هؤلاء والانتفاع بهم لايقع.

وقوله: (هُوَ) يراد به الماء، وهو البالغ، والضّمير في (بَالِغِهِ) للفم. ويصحّ أن يكون (هُوَ) يريد به «الفم» وهو البالغ أيضًا، والضّمير في (بَالِغِهِ) للماء، لأنّ الفم لايبلغ الماء أبدًا على تلك الحال. (٣: ٣٠٥)

مثله الفَخر الرّازيّ. (١٩: ٠٩)

العُكبَريّ: ﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ﴾ التّقدير: إلّا استجابةً كاستجابة باسط كفّيه. والمصدر في هذا التّقدير مضاف إلى المفعول، كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ فصّلت: ٤٩، وفاعل هذا المصدر مضمر، وهو ضمير الماء، أي لايُجيبونهم إلّا كما يجيب الماء باسط كفّيه إليه.

والإجابة هنا كناية عن الانقياد. (٢: ٧٥٥)

القُرطُبيّ: ضرب الله عزّوجلّ الماء مثلًا ليأسهم من الإجابة لدعائهم، لأنّ العرب تضرب لمن سعَى فيما لايُدركه مثلًا بالقابض الماء باليد. [ثمّ استشهد بشعر، ونقل قول مجاهد وابن عبّاس وأبي عُبَيْدَة] (٩: ٣٠٠)

أبوحَيّان: و«الكاف» في موضع نصب، أي مِثل استجابة، واستجابة مضافة في التّقدير إلى (بَاسِط) وهي إضافة المصدر إلى المفعول. وفاعل المصدر محذوف، تقديره: كإجابة الماء مَن يبسط كفّيه إليه. فلمّا حذف أظهر في قوله: (إِلَى الْمَاءِ)، ولو كان ملفوظًا به لعاد الضّمير إليه، فكان يكون التّركيب: كفّيه إليه.

هذا الّذي يُقدّر من كلام الزّمَخشَريّ في هذا التّشبيه، وتبعه أبوالبقاء. (٥: ٣٧٧)

الآلوسيّ: أي لايستجيبون شيئًا من الاستجابة وطرفًا منها، إلّا استجابةً كاستجابة الماء لمن بسط كفّيه

إليه من بعيد يطلبه ويدعوه.

والحاصل أنّه شبّه آلهتهم حين استكفائهم إيّاهم ماأهمّهم بلسان الاضطرار في عدم الشّعور، فضلًا عن الاستطاعة للاستجابة، وبقائهم لذلك في الخسار بحال ماء بمرأى من عطشان باسط كفّيه إليه يناديه عبارة وإشارة، فهو لذلك في زيادة الكباد والبوار.

والتّشبيه على هذا من المركّب التّمثيليّ في الأصل أُبرز في معرض التّهكّم حيث أثبت أنّهما استجابتان زيادة في التّخسير والتّحسير، فالاستثناء مفرّغ من أعمّ عامّ المصدر، كما أشرنا إليه.

والظّاهر أنّ «الاستجابة» هناك مصدر من المبنيّ للفاعل، وهو الّذي يقتضيه الفعل الظّاهر. وجُوّز أن يكون من المبنيّ للمفعول، ويضاف إلى «الباسط» بناء على استلزام المصدر من المبنيّ للفاعل للمصدر من المبنيّ للمفعول وجودًا وعدمًا. فكأنّه قيل: لايستجيبون لهم بشيء فلايستجاب لهم استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفّيه إلى الماء. [ثمّ استشهد بشعر]

وأبوالبقاء يجعل «الاستجابة» مصدر المبنيّ للمفعول، وإضافته إلى (بَاسِطِ) من باب إضافة المصدر إلى مفعوله، كما في قوله تعالى: ﴿لَايَسْئَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ فصّلت: ٤٩، والفاعل ضمير (الماء) على الوجه الثّاني في الموصول.

وقد يراد من بسط الكفّين إلى الماء: بسطها، أي نشر أصابعها ومدّها لشربه، لاللدّعاء والإشارة إليه، كما أشرنا إليه فيما تقدّم. وعلى هذا قيل: شبّه الدّاعون لغير الله تعالى بمن أراد أن يغرف الماءبيديه فبسطها ناشرًا أصابعه، في أنّهما لايحصلان على طائل.

وجعل بعضهم وجه الشّبه: قلّة الجدوى، ولعلّه أراد عدمها، لكنّه بالغ بذكر القلّة، وإرادة العدم دلالة على هضم الحقّ وإيثار الصّدق، ولإشمام طرف من التّهكّم.

والتّشبيه على هذا من تشبيه المفرد المقيّد، كقولك لمن لايحصل من سعيه على شيء: هو كالرّاقم على الماء، فإنّ المشبّه هو السّاعي مقيّدًا بكون سعيه كذلك، والمشبّه به هو الرّاقم مقيّدًا بكونه على الماء، كذلك فيما نحن فيه، وليس من المركّب العقليّ في شيء على ماتُوهّم.

نعم وجه الشّبه عقليّ اعتباريّ والاستثناء مفرّغ عن أعمّ عامّ الأحوال، أي لايستجيب الآلهة لهؤلاء الكفرة الدّاعين إلّا مشبّهين، أعني الدّاعين بمَن بسط كفّيه ولم يقبضهما وأخرجهما كذلك فلم يحصل على شيء، لأنّ الماء يحصل بالقبض لابالبسط.

وروي عن عليّ كرّم الله تعالى وجهه: أنّ ذلك تشبيه بعطشانٍ على شفير بئر بلارشاءٍ، ولايبلغ قعر البئر ولاالماء يرتفع إليه، وهو راجع إلى الوجه الأوّل وليس مغايرًا له، كماقيل.

وعن أبي عُبَيْدَة: أنّ ذلك تشبيه بالقابض على الماء في أنّه لايحصل على شيء، ثمّ قال: والعرب تضرب المثل في السّاعي فيما لايدركه بذلك. [ثمّ استشهد بشعر]

وهو راجع إلى الوجه الثّاني خلا أنّه لايظهر من (بَاسِطِ) معنى قابض، فإنّ بَسْط الكفّ ظاهر في نشر الأصابع ممدودة. [ثمّ استشهد بشعر]

وكيفما كان فالمراد بـ(بَاسِطِ) شخص باسط، أيّ شخص كان. ومايقتضيه ظاهر ماروي عن بكير بن

معروف من أنّه قابيل؛ حيث إنّه لمّا قتل أخاه جعل الله تعالى عذابه أن أُخذ بناصيته في البحر، ليس بينه وبين الماء إلّا أصبع، فهو يريده ولاينالُه، ممّا لاينبغي أن يعوّل عليه.

وقرئ (كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ) بالتّنوين، أي كشخص يبسط كفّيه. (١٣: ١٢٤)

الطَّباطَبائيّ: مثَل من يدعو غير الله سبحانه مثَل هذا الباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه، وليس له من الدّعاء إلّا صورته الخالية من المعنى، واسمه من غير مسمّى، فهؤلاء المدعوّون من دون الله لايستجيبون للّذين يدعونهم بشيء ولايقضون حاجتهم، إلّا كما يستجاب لباسط كفّيه إلى الماء، ليبلغ فاه ويقضي حاجته، أي لايحصل لهم إلّا صورة الدّعاء، كما لايحصل لذلك الباسط إلّا صورة الطّلب ببسط الكفّين.

ومن هنا يعلم أنّ هذا الاستثناء ﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ﴾ إلخ، لاينتقض به عموم النّفي في المستثنى منه، ولايتضمّن إلّا صورة الاستثناء، فهو يفيد تقوية الحكم في جانب المستثنى منه.

فإنّ مفاده: أنّ الّذين يدعون من دون الله لايستجاب لهم، إلّا كما يستجاب لباسط كفّيه إلى الماء ولن يستجاب له. وبعبارة أُخرى لن ينالوا بدعائهم إلّا أن لاينالوا شيئًا، أي لن ينالوا شيئًا ألبتّة.

وهذا من لطيف كلامه تعالى، ويناظر من وجهٍ قوله تعالى الآتي: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَايَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَاضَرًّا﴾ الرّعد: ١٦، وآكد منه كما سيجيء إن شاء الله.

وقد تبيّن بما تقدّم أنّ الاستثناء من قوله: ﴿لَايَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾، وفي الكلام حذف وإيجاز، والمعنى لايستجيبون لهم بشيء ولاينيلونهم شيئًا، إلّا كما يستجاب لباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه وينال من بسطه. ولعلّ الاستجابة مضمّن معنى النّيل ونحوه. (١١: ٣١٨)

بَاسِطُوا

...وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ... الأنعام: ٩٣

ابن عبّاس: الملائكة باسطوا أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم.

نحوه السُّدّيّ (الطَّبَريّ ٧: ٢٧٥)

الضّحّاك: بالعذاب ومطارق الحديد.

مثله الحسَن. (القُرطُبيّ ٧: ٤١)

الفَرّاء: يقال: ﴿بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ بإخراج أنفس الكفّار، هو مثل ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ الأنفال: ٥٠، ولو كانت (بَاسِطُونَ) كانت (أَيْدِيَهُمْ)، ولو كانت «باسطوا أيديهم أن أخرِجُوا» كان صوابًا. (١: ٣٤٥)

الطَّبَريّ: أمّا بسط الملائكة أيديهم فإنّه مدّها.

ثمّ اختلف أهل التّأويل في سبب بسطها أيديها عند ذلك، فقال بعضهم بنحو الّذي قلنا في ذلك.

وقال آخرون: بل بسطها أيديها بالعذاب.

وكان بعض نحويّي الكوفيّين يتأوّل ذلك بمعنى

باسطوا أيديهم بإخراج أنفسهم. (٧: ٢٧٥)

البَغَويّ: بالعذاب والضّرب، يضربون وجوههم وأدبارهم. وقيل: بقبض الأرواح. (٢: ١٤٥)

مثله الطَّبْرِسيّ (٢: ٣٣٥)، والخازن (٢: ١٣٣).

القُرطُبيّ: ﴿وَالْمَلٰئِكَةُ بَاسِطُوا اَيْدِيهِمْ﴾ ابتداء وخبر، والأصل «باسطون» قيل: بالعذاب ومطارق الحديد، عن الحسن والضّحّاك. وقيل: لقبض أرواحهم، وفي التّنزيل: ﴿وَلَوْ تَرٰى اِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلٰئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَاَدْبَارَهُمْ﴾ الأنفال: ٥٠، فجمع هذه الآية القولين، يقال: بسط إليه يده بالمكروه. (٧: ٤١)

النّسَفيّ: أي يبسطون إليهم أيديهم، يقولون: هاتوا أرواحكم، أخرجوها إلينا من أجسادكم. وهذه عبارة عن التّشديد في الإزهاق، من غير تنفيس وإمهال. (٢: ٢٣)

البُرُوسَويّ: بقبض أرواحهم كالمتقاضي المُلِظّ، أي كالغريم الملازم المُلِحّ الّذي يبسط يده إلى من عليه الحقّ، ويُعنّفه عليه في المطالبة ولا يُمهله، ويقول له: أخرج إليّ مالي عليك السّاعة، ولا أزال من مكاني حتّى أنزعه من كبدك وحدقتك، أو باسطوها بالعذاب. (٣: ٦٧)

الآلوسيّ: [نحو البُرُوسَويّ وأضاف:]

وفي «الكشف» أنّه كناية عن العُنف في السّياق، والإلحاح والتّشديد في الإزهاق، من غير تنفيس وإمهال، ولا بسط ولا قول حقيقة هناك.

واستظهر ابن المنير: أنّهم يفعلون معهم هذه الأُمور حقيقة على الصُّور المحكيّة، وإذا أمكن البقاء على الحقيقة فلا معدل عنها. (٧: ٢٢٤)

الطَّباطَبائيّ: وبَسْط اليد معناه واضح، غير أنّ المراد به معنًى كنائيّ. ويختلف باختلاف الموارد؛ فبسط الغنيّ يده: جوده بماله وإحسانه لمن يستحقّه، وبسط الملك يده: إدارته أُمور مملكته من غير أن يزاحمه مزاحم، وبسط المأمور الغليظ الشّديد يده على المجرم المأخوذ به، هو نكاله وإيذاؤه بضرب وزجر، ونحوه.

فبسط الملائكة أيديهم، هو شروعهم بتعذيب الظّالمين. وظاهر السّياق أنّ الّذي تفعله الملائكة بهؤلاء الظّالمين هو الّذي يترجم عنه قوله: ﴿اَخْرِجُوا اَنْفُسَكُمُ اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ إلخ، فهذه الجمل محكيّة عن الملائكة لا من قول الله سبحانه، والتّقدير: يقول الملائكة لهم: أخرجوا أنفسكم...، فهم يعذّبونهم بقبض أرواحهم قبضًا يذوقون به أليم العذاب.

وهذا عذابهم حين الموت ولمّا ينتقلوا من الدّنيا إلى ماوراءها، ولهم عذاب بعد ذلك، ولمّا تقم عليهم القيامة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ اِلٰى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون: ١٠٠. (٧: ٢٨٤)

مَبْسُوطَتَانِ

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ اَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ... المائدة: ٦٤

الفَرّاء: وفي حرف عبد الله (بَلْ يَدَاهُ بُسْطَانِ) والعرب تقول: الْقَ أخاك بوجه مبسوط، وبوجه بُسط. (١: ٣١٥)

الطُّوسيّ: تكذيب منه تعالى لما قالوا، وإخبار بأنّ

يديه مبسوطتان، أي نعمه مبسوطة. (٣: ٥٨١)

الفَخْر الرّازيّ: غَلّ اليد وبَسْطها: مجاز مشهور عن البخل والجود، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ الإسراء: ٢٩.

قالوا: والسّبب فيه أنّ اليد آلة لأكثر الأعمال لاسيّما لدفع المال ولإنفاقه، فأطلقوا اسم السّبب على المسبّب، وأسندوا الجود والبُخل إلى اليد والبنان والكفّ والأنامل، فقيل للجواد: فيّاض الكفّ مبسوط اليد، وبسط البنان: تره[1] الأنامل. ويقال للبخيل: كَزّ الأصابع مقبوض الكفّ جَعْد الأنامل. (١٢: ٤١)

أبوحَيّان: وقرأ عبد الله (بسيطتان) يقال: يَدٌ بسيطة: مطلقة بالمعروف. وفي مصحف عبد الله (بُسطان) يقال: يده بُسُط بالمعروف، وهو على «فُعُل» كما تقول: ناقة صُرُح، ومِشية سُجُح. (٣: ٥٢٤)

المَراغيّ: عبّر عن سعة الجود ببسط اليدين، لأنّ الجواد السّخيّ إذا أراد أن يبالغ في العطاء جهد استطاعته، يُعطي بكلتا يديه. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ١٥٣)

وهناك أمورٌ أُخرى راجع «ي د ي»

بِسَاطًا

وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا. نوح: ١٩

الطَّبَريّ: تستقرّون عليها وتمتهدونها. (٢٩: ٩٧)

نحوه القاسميّ. (١٦: ٥٩٣٦)

الطُّوسيّ: أي مبسوطة يمكنكم المشي عليها، والاستقرار عليها. (١٠: ١٣٨)

مثله الطَّبْرِسيّ. (٥: ٣٦٣)

البغَويّ: فرَشها وبسطها لكم. (٥: ١٥٧)

الزّمَخْشَريّ: مبسوطة تتقلّبون عليها كما يتقلّب الرّجل على بساطه. (٤: ١٦٣)

نحوه أبوالسّعود (٦: ٣١٠)، والخازن (٧: ١٢٩).

أبوحَيّان: بساطًا تتقلّبون عليها كما يتقلّب الرّجل على بساطه. وظاهره أنّ الأرض ليست كُرويّة، بل هي مبسوطة. (٨: ٣٤٠)

البُرُوسَويّ: مبسوطة متّسعة كالبساط والفراش، تتقلّبون عليها تقلّبكم على بُسُطكم في بيوتكم.

قال أبوحَيّان: ظاهره أنّ الأرض ليست كُرويّة بل هي مبسوطة. قال سعدي المفتي: وإنّما هو في التّقلّب عليها على ما فسّروه، انتهى. وقد مرّ مرارًا أنّ كُرويّة الأرض لاتُنافي الحرث والغرس ونحوهما، لعظم دائرتها، كما يظهر الفرق بين بيضة الحمامة وبيضة النّعامة. (١٠: ١٧٩)

الآلوسيّ: تتقلّبون عليها كالبساط. وليس فيه دلالة على أنّ الأرض مبسوطة غير كُرويّة، كما في «البحر» وغيره، لأنّ الكُرة العظيمة يرى كلّ من عليها مايليه مسطّحًا، ثمّ إنّ اعتقاد الكُرويّة أو عدمها ليس بأمرٍ لازم في الشّريعة، لكن كُرويّتها كالأمر اليقينيّ، وإن لم تكن حقيقة. (٢٩: ٧٦)

الطَّباطَبائيّ: أي كالبساط يسهل لكم التّقلّب من جانب إلى جانب، والانتقال من قُطر إلى قُطر. (٢٠: ٣٣)

---

(١) الظّاهر: ثرّي، يعني تراخي.

بَسْطَة ـ بَصْطَة

١ـ ...قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَيهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ. البقرة: ٢٤٧

وَهب بن منبِّه: واجتمع بنو إسرائيل، فكان طالوت فوقهم من منكبيه فصاعدًا. (الطَّبَريّ ٢: ٦٠٥)

السُّدّيّ: أتى النّبيّ ﷺ بعصًا تكون مقدارًا على طول الرّجل الّذي يبعث فيهم ملكًا، فقال: إنّ صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا، فقاسوا أنفسهم بها، فلم يكونوا مثلها، فقاسوا طالوت بها، فكان مثلها. (الطَّبَريّ ٢: ٦٠٥)

الطَّبَريّ: فإنّه يعني بذلك أنّ الله بسط له في العلم والجسم، وآتاه من العلم فضلًا على ماأتى غيره من الّذين خوطبوا بهذا الخطاب؛ وذلك أنّه ذكر أنّه أتاه وحيٌ من الله. (٢: ٦٠٥)

الطَّبْرِسيّ: أي فضيلةً وسعةً. (١: ٣٥٢)

الفَخْر الرّازيّ: قال بعضهم: المراد بالبسطة في الجسم: طول القامة، وكان يفوق النّاس برأسه ومنكبه، وإنّما سمّي طالوت لطوله.

وقيل: المراد من البسطة في الجسم: الجمال، وكان أجمل بني إسرائيل. وقيل: المراد القوّة. وهذا القول عندي أصحّ، لأنّ المنتفع به في دفع الأعداء هو القوّة والشّدّة، لاالطّول والجمال.

إنّه تعالى قدّم البسطة في العلم على البسطة في الجسم، وهذا منه تعالى تنبيه على أنّ الفضائل النّفسانيّة أعلى وأشرف وأكمل من الفضائل الجسمانيّة. (٦: ١٨٦)

نحوه الآلوسيّ. (٢: ١٦٧)

أبوحَيّان: قيل: في العلم بالحروب، والظّاهر علم الدّيانات والشّرائع، وقيل: قد أُوحي إليه ونبّئ.

وأمّا البسطة في الجسم فقيل: أُريد بذلك معاني الخير والشّجاعة وقهر الأعداء، والظّاهر أنّه الامتداد والسّعة في الجسم. (٢: ٢٥٨)

الطَّباطَبائيّ: والبسطة هي السّعة والقدرة. (٢: ٢٨٧)

٢ـ ...وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً... الأعراف: ٦٩

أبوهريرة: أن كان الرّجل من قوم عاد يتّخذ المصراعين من حجارة، لو اجتمع عليها خمسمائة رجل من هذه الأُمّة لم يُطيقوه، وأن كان أحدهم ليغمز برجله الأرض، فتدخل فيها. (القُرطُبيّ ٧: ٢٣٧)

ابن عَبّاس: ثمانون ذراعًا. (البَغَويّ ٢: ٢٠٣)

أي طولًا وقوّةً. (الطَّبْرِسيّ ٢: ٤٣٧)

مثله البَغَويّ. (٢: ٢٠٣)

كان أطولهم مائة ذراع، وأقصرهم ستّين ذراعًا. (القُرطُبيّ ٧: ٢٣٦)

نحوه السُّدّيّ، والكَلْبيّ. (البَغَويّ ٢: ٢٠٣)

وَهب بن منبِّه: كان رأس أحدهم مثل القُبّة العظيمة، وكان عين الرّجل يفرخ فيها الضّباع وكذلك مناخرهم. (البَغَويّ ٢: ٢٠٣)

الإمام الباقرؑ: كانوا كأنّهم النّخل الطّوال، كان الرّجل منهم ينحو الجبل بيديه، فيهدم منه

قطعة. (الطَّبْرِسيّ ٢: ٤٣٧)

قَتادَة: ذكر لنا أنّهم كانوا اثني عشر ذراعًا. (الآلوسيّ ٨: ١٥٦)

نحوه مُقاتِل. (البَغَويّ ٢: ٢٠٣)

أبوحمزة الثّماليّ: سبعون ذراعًا. (البَغَويّ ٢: ٢٠٣)

الطَّبَريّ: زاد في أجسامكم طولًا وعظمًا على أجسام قوم نوح، وفي قوامكم على قوامهم نعمة منه بذلك عليكم. (٩: ٢٠٦)

الطَّبْرِسيّ: قيل: معناه زاد في خلقكم بسطة، فكانوا أطول من غيرهم، بمقدار أن يمدّ الإنسان يده فوق رأسه باسطًا. (٢: ٤٣٧)

القُرطُبيّ: ويجوز (بَصْطَةً) بالصّاد لأنّ بعدها طاء، أي طولًا في الخلق وعِظَم الجسم. (٧: ٢٣٦)

أبوحَيّان: ظاهر التّواريخ أنّ البسطة: الامتداد والطّول والجمال، في الصّور والأشكال. فيُحتمل إذ ذاك أن يكون الخَلق بمعنى المخلوقين، ويحتمل أن يكون مصدرًا، أي وزادكم في خلقكم بسطة، أي مدّ وطوّل وحسّن خَلقكم.

وإذا كان الخَلق بمعنى المخلوقين، فالخلق قوم نوح، أو أهل زمانهم، أو النّاس كلّهم، أقوال.

وقيل: الزّيادة في الأجرام، وهي ماتصل إليه يد الإنسان إذا رفعها.

وقيل: الزّيادة هي في القوّة والجلادة لافي الأجرام.

وقيل: زيادة البسطة كونهم من قبيلة واحدة مشاركين في القوّة متناصرين، يحبّ بعضهم بعضًا.

ويحتمل أن يكون المعنى وزادكم بسطة، أي اقتدارًا في المخلوقين واستيلاءً. (٤: ٣٢٥)

الآلوسيّ: عن بعضهم: أنّ أحدهم كان أطول من سائر الخَلق بمقدار مايمدّ الإنسان يده فوق رأسه باسطًا لها، فطول كلّ منهم قامة وبسطة. وهذا أقرب عند ذوي العقول القصيرة، عن إدراك طول يد القدرة.

ونصب (بَسْطَةً) على أنّه مفعول به للفعل قبله، وقيل: تمييز. (٨: ١٥٧)

رشيد رضا: أي واذكروا فضل الله عليكم ونِعَمه؛ إذ جعلكم خلفاء الأرض من بعد قوم نوح، وزادكم في المخلوقات بسطةً وسعةً في الملك والحضارة، أو زادكم بسطةً في خلق أبدانكم؛ إذ كانوا طوال الأجسام أقوياء الأبدان.

وفي «التّفسير المأثور» روايات إسرائيليّة الأصل، في المبالغة في طولهم وقوّتهم، لايُعتمد عليها ولايُحتجّ بشيء منها. ولكن نصّ على قوّتهم وجبروتهم في سورة هود، والشّعراء، وفصّلت. (٨: ٤٩٨)

الطَّباطَبائيّ: «البَصْطَة» هي البسطة قلبت السّين صادًا لمجاورتها الطّاء، وهو من حروف الإطباق، كالصّراط والسّراط. (٨: ١٧٨)

الوُجوه والنَّظائر

الدّامغانيّ: «البسط» على ستّة أوجه: الضّرب، السّعة، الفتح، المهد، القوّة، مدّ اليد.

فوجه منها، البسط: الضّرب، قوله تعالى: ﴿وَالْمَلٰئِكَةُ بَاسِطُوا اَيْدِيهِمْ﴾ الأنعام: ٩٣، أي

ضاربوا أيديهم إلى أرواح الكفّار، وكقوله: ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ الممتحنة: ٢، يعني الضّرب.

والوجه الثّاني: (يَبْسُطُ) يعني يوسّع، قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ الشّورى: ٢٧، أي وسّع، كقوله: ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ الرّعد: ٢٦، مثلها: ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ البقرة: ٢٤٥، أي يوسّع، مثلها: ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ العنكبوت: ٦٢، مثلها في سورة سبأ: ٣٤، ٣٦، ٣٩.

والوجه الثّالث: البسط: الفتح، قوله: ﴿وَلَاتَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ الإسراء: ٢٩، أي لاتفتح يدك، كقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المائدة: ٦٤، يعني مفتوحتان.

والوجه الرّابع: البسط: يعني الفَرْش والمهد، كقوله: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ نوح: ١٩، أي فراشًا ومهدًا.

والوجه الخامس: البسط: الفضل والقوّة، قوله: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ البقرة: ٢٤٧، يعني فضّله في العلم والقوّة.

والوجه السّادس: البسط: مدّ اليد من البُعد، قوله: ﴿كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ الرّعد: ١٤، أي من البُعد. (١٦٠)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: السّعة والبَسْطة في الأجسام، ومنه: البِساط والبَسيطة، أي الأرض الواسعة، والجمع: بُسُط. ومكان بَسيط: واسع، والبِسَاط: القِدْر العظيمة، وأُذن بَسْطاء: عظيمة عريضة.

وبَسط المكانُ القوم، والفراشُ النّائمَ: وَسِعَه، يقال: فَرَشَ لي فراشًا لايَبْسُطني، إذا ضاق عنه. وبَسْط الشّيء: نَشْرُه وتوسيعه، وبَسَط كفّهُ: نشر أصابعه.

٢ـ ثمّ استُعمل مجازًا في المعنويّات، ومنه: البَسْط، بمعنى التّفضيل، يقال: بَسَطَ فلانٌ فلانًا على غيره بسطةً: فضّله عليه، وهو نوع توسّع في الفضيلة.

ومنه: بَسْط اليد، كناية عن الجود، ويد فلان بَسْط، إذا كان مِنفاقًا، وهو باعتبار السّعة في الإنفاق، أو أنّ المنفق يَبْسط يده عند الإنفاق، كما يقبض البخيل يده عن الإنفاق، وهو الأنسب. والباسط: صفة لله تعالى؛ إذ يبسط الرّزق لعباده، ويوسّعه عليهم.

ومنه: بسَطَ العُذرَ: قَبِلَه، كأنّه تكرّر العُذْر من المذنب وتوسّع حتّى أوجب القبول منه، أو بسَط عفوَه حتّى شمل عذره المذنب، وهو الأنسب.

والبَسْط والانبساط: السّرور، كقولهم: إنّه ليبسُطني مابسطك ويقبضني ماقبضك، أي يسرّني ماسرّك، ويسوءني ماساءك، لأنّ الوجه ينبسط في حالة السّرور.

والتبسّط: التّنزّه والسّير في البلاد، وهو باعتبار السّعة في المشي وفي الطّريق.

والبَسْطة: الزّيادة والكمال، كقوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ البقرة: ٢٤٧.

والبَسْطة في اللّسان: انطلاقه، يقال: رجل بسيط وامرأة بسيطة، وهو باعتبار تعمّقه في كلامه وتمكّنه من إلقاء الكلام الكثير، والمبسوط في زمان محدود.

والبَسْط: التّسلّط، كقولهم: بَسَط فلانًا على فلان: سلّطه عليه، كأنّه وسّع قدرته وسلطانه عليه.

ومنه: البِسْط: النّاقة الّتي تركت مع ولدها لم يُمنَع منها، لأنّها في سعة فيا تحبّ، والجمع: بُساط وأبساط.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت هذه المادّة في القرآن فعلًا ماضيًا مرّتين، ومضارعًا (١٤) مرّة، واسم الفاعل مفردًا وجمعًا (٤) مرّات، واسم مفعول مرّة واحدة، ومصدرًا مرّتين، واسمًا مرّة واحدة:

١ـ ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللّٰهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْاَرْضِ وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ اِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾

الشّورى: ٢٧

٢ـ ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ اِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا اَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ اِلَيْكَ لِاَقْتُلَكَ﴾ المائدة: ٢٨

٣ـ ﴿وَاللّٰهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

البقرة: ٢٤٥

٤ـ ﴿اَللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾

الرّعد: ٢٦

٥ـ ﴿اِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾

الإسراء: ٣٠

٦ـ ﴿وَيْكَاَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ القصص: ٨٢

٧ـ ﴿اَللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ العنكبوت: ٦٢

٨ـ ﴿اَوَ لَمْ يَرَوْا اَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ الرّوم: ٣٧

٩ـ ﴿قُلْ اِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾

سبأ: ٣٦

١٠ـ ﴿قُلْ اِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ سبأ: ٣٩

١١ـ ﴿اَوَ لَمْ يَعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ الزّمر: ٥٢

١٢ـ ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ اِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الشّورى: ١٢

١٣ـ ﴿اَللّٰهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾ الرّوم: ٤٨

١٤ـ ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ هَمَّ قَوْمٌ اَنْ يَبْسُطُوا اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ اَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ المائدة: ١١

١٥ـ ﴿اِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ اَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ وَاَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾

الممتحنة: ٢

١٦ـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً اِلٰى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾

الإسراء: ٢٩

١٧ـ ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ اِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ اِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ اِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾

الرّعد: ١٤

١٨ـ ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾

الكهف: ١٨

١٩ـ ﴿وَالْمَلٰئِكَةُ بَاسِطُوا اَيْدِيهِمْ اَخْرِجُوا اَنْفُسَكُمُ اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الأنعام: ٩٣

٢٠ـ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ المائدة: ٦٤

٢١ـ ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ نوح: ١٩

٢٢ـ ﴿قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَيهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ البقرة: ٢٤٧

٢٣ـ ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ الأعراف: ٦٩

يلاحظ أوّلًا مايلي:

١ـ إنّ إحدى عشرة آية منها ـ (١) و(٣)، إلى (١٢)ـ جاءت في بَسْط الرّزق وقبضه، مع التّركيز على قدر الرّزق مقابلًا لبسطه في عشر، منها: (١) و(٤) إلى (١٢)، وتعليقًا بالمشيئة بسياق واحد، أي بلفظ ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾.

٢ـ وفي الآيات تفاوت في غير هذا اللّفظ:

فجاء في (٤) و(٧): (اَللهُ يَبْسُطُ)، وفي (٦) و(٨) و(١١): ﴿أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾، وفي (٩) و(١٠): ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾، وفي (٥): ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾، وفي (١٢): ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾.

كما جاء في آيتين منها فقط (٧) و(١٠): ﴿يَقْدِرُ لَهُ﴾ بزيادة (لَهُ)، وفي (٣) وحدها: ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾، أي (يقبض) بدل (يقدر)، مع تقديم (يقبض) وحذف (الرّزق) بخلاف سائر الآيات، وجاء في (٤) و(٥) و(١١) و(١٢): (لِمَنْ يَشَاءُ)، وفي (٦) و(٧) و(١٠): ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بزيادة (مِنْ عِبَادِهِ).

٣ـ ولانرى فرقًا جوهريًّا بين هذه الآيات سوى أنّ سياق الأُولى متفاوت مع سائر الآيات الّتي جاء البسط والقدر فيها بشكل قطعيّ، وفي هذه بشكل معلّق في البسط: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ﴾، وبشكل قطعيّ في القدر، مع تبديل (يقدر) بـ﴿يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ﴾، ومع تكرار (بِعِبَادِهِ) فيها مرّتين: مرّة في البسط، ومرّة في القدر.

٤ـ وسياق الآيات مع كلّ هذه الفروق سياق عاطفيّ، يحمل في طيّاته صورًا من لطف الله بالعباد: بألفاظ مثل: (بِعِبَادِهِ) و(رَبَّكَ) و(رَبِّي) ـ مع (قُلْ) الّذي يوجّه الخطاب إلى العباد ـ و(وَيْكَأَنَّ)، الّذي يحكي التّعجّب والنّدم والاستبعاد.

أو بتعليق رزق كلّ نفس على مشيئته تعالى: (لِمَنْ يَشَاءُ) الحاكي علاقته بالفرد كعلاقته بالجماعة، فكلّ نفس لها حساب خاصّ عند الله، ولها ارتباط خاصّ ترتبط به، ولربّها عناية خاصّة بها، ومع ذلك فهو ربّ الجميع.

أو بالتّعبير عن الله في (٥) بـ(رَبَّكَ)، والخطاب للنّبيّ في (٦)، وفي الآيتين (٩) و(١٠) بـ(رَبِّي) أي ربّ النّبيّ. وهذا يصوّر لنا أنّ الله يرزق العباد بوصفه ربّ النّبيّ، أي بماله من الرّأفة البالغة والعناية الواسعة بنبيّه الّذي هو أشرف بريّته وسيّد أنبيائه. فالله ينظر إلى كلّ نفس بَسْطًا للرّزق وقبضًا من منظور له خاصّ بالنّبيّ، وفيه بركة واسعة لايعبّر عنه بلفظ آخر سوى (رَبَّكَ)و(رَبِّي).

أو بقوله جليًا للعجب والاعتراف: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ ...﴾ في (١١).

أو بتعليل البسط والقدر بقوله: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ في (١٢)، وبقوله: ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ في (١).

٥ ـ ومغزى جملة ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ وَيَقْدِرُ﴾ أو ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ ـ كما يفصح عنه سياق الآيات ـ أنّ أزمّة العباد في أرزاقهم الّتي بها قوام حياتهم بَسْطًا وقبضًا بيد الله تعالى وليس بيدهم، وإن كانوا مأمورين بالسّعي والعمل، وهذا من فضل الله على العباد، حيث أناط معيشتهم بمشيئته، ليتوجّهوا إليه في جميع الحالات، فالرّزق رباط وثيق بين الله وعباده، يقودهم به طوعًا أو كرهًا إلى طاعته.

ثانيًا: هناك أربع آيات جاء «البسط» فيها بمعنى بَسْط القدرة والبطش بالآخرين، وهي (٢) و(١٤) و(١٥) و(١٩). فالآية الأُولى (٢) حكاية لحال ابني آدم، حيث بسط أحدهما يده إلى الآخر وقتله، وهو لم يبسط يده إلى أخيه، وفيها بحثان:

الأوّل: أنّ الطّريف فيها الفرق بين الجملتين بأمرين:

١ـ أنّ الأخ المقتول ينسب البسط إلى القاتل بلفظ الفعل (بَسَطْتَ) إيجابًا، وإلى نفسه بلفظ اسم فاعل ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ﴾ نفيًا. ووجهه ظاهر، فإنّ القتل يقع مرّة ولايستمرّ، أمّا عدم القتل فيدوم، فأتى باسم الفاعل الدّالّ على الثّبات مقترنًا بالنّفي ومؤكّدًا بالباء ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ﴾، وبالقسم في أوّله (لَئِنْ)، فإنّ اللّام للقسم، فالأخ المقتول يؤكّد على أنّه ليس ذلك الرّجل الّذي يبسط يده إلى قتل أخيه إطلاقًا، وأنّ ذلك ليس من شأنه، وأنّه ليس ممّن يوصم به؛ وذلك ليتبرّأ من مقدّمات القتل فضلًا عن القتل.

٢ـ تقديم (إِلَيَّ) في ﴿بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ وتأخيره في ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ﴾ إيذانًا من أوّل الأمر بوقوع القتل عليه بيد أخيه، ليثير فيه عاطفة الأُخوّة، أو تأكيدًا لحرص أخيه على الإضرار به، خلافًا لما هو عليه، فلاحرص له ولاعزم على قتل أخيه، بل لايخطر بباله ذلك.

الثّاني: أُثيرت في النّصوص الشّبهة التّالية: لماذا لم يدافع الأخ المقتول عن نفسه؟ فهو استسلم لأخيه القاتل ليقتله، رغم أنّ الدّفاع عن النّفس واجب عقلًا وشرعًا؟ وأجابوا عنها بوجوه:

١ـ ليس في الآية أنّه قال: لاأُدافع عن نفسي، بل قال: لاأبتدؤك بالقتل، أو لاأقتلك ظلمًا كما تقتلني ظلمًا، أو أنّ «اللّام» في (لِأَقْتُلَكَ) هي «لام» كي، وهي منبئة عن الإرادة والغرض، وإرادة القتل واتّخاذه غرض قبيح أوّلًا وآخرًا، إلى غير ذلك ممّا قيل.

٢ـ ماكان الدّفاع عن النّفس واجبًا يوم ذاك، بل كان الحكم الاستسلام للقاتل، فنُسخت بالشّرائع بعده ولاسيّما في الإسلام.

والصّواب عندنا أنّها لاتتضمّن حكم الدّفاع، بل حكم القتل ابتداءً ظلمًا وإثمًا، لقوله في آخرها: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ...﴾ المائدة: ٢٨، ٢٩، ويؤيّده ماسبق من الفرق بين الجملتين وفي وجه التّقديم والتّأخير.

والآية الثّانية ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ...﴾، وقد اختلفت الأقوال والرّوايات في شأن نزول هذه الآية، وقد جمعها الطّبرسيّ في مجمع البيان (٣: ٣٤٣)، وتردّد فيها الطّباطبائيّ، فلاحظ. ومايهمّنا

في الآية أُمور:

١ـ إنّ تقديم الجارّ والمجرور على المفعول في ﴿أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾، وتأخيرها عنها في ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾، يحمل نكتة بلاغيّة، نظير ماتقدّم في الآية الأُولى، فتقديمها على المفعول الصّريح ـ كما عبّر عنه أبوالسُّعود ـ للمسارعة إلى بيان ضرر البسط وغائلته لهم، وحرص الأعداء على الإضرار بهم، حملًا لهم من أوّل الأمر على الاعتداد بنعمته، وعلى القيام بدفع عدوان عدوّهم. كما أنّ تقديم (لَكُمْ) في ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَافِى الْاَرْضِ جَمِيعًا﴾ البقرة: ٢٩، تعجيل لمسرّتهم بأنّها مخلوقة لهم.

وأمّا وجه تأخيرها عنه في ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ هو المسارعة في بيان خطر أيديهم وعظم نعمة كفّها عنهم.

٢ـ جاء فيها الكفّ في قبال البَسْط، إذ في بسط اليد هنا معنى التّعدّي والتّجاوز، ودفعها بكفّها. أمّا في آيات بسط الرّزق فجاء القبض والتّقدير دون الكفّ قبال البَسط.

٣ـ نسب الهمّ ببسط اليد إلى الأعداء، وهو مستور في القلوب، لم يطّلع عليه المؤمنون، ونسب الكفّ إلى الله وعدّها نعمة منه عليهم، وأيّ نعمة! إذ اطّلع على مافي ضمائرهم من نوايا سيّئة، فكفّها عنهم.

٤ـ أتى بـ(أَيْدِيَهُمْ) جمعًا ومضافة إلى العدوّ مرّتين، تعظيمًا لخطرها وتنبيهًا على أنّ كلمتهم واحدة، وكونهم يدًا واحدة على المؤمنين، وتشجيعًا للمؤمنين على أن يقتدوا بهم في وحدة الكلمة، ويصيروا يدًا واحدة أمام الأعداء.

٥ ـ تعدّى البَسط بـ«إلى»، والكفّ بـ«عن» إعلامًا بتلك المقابلة، فالآية ـ جملة ـ فيها ترغيب في مقابلة الأعداء بمثل كيدهم للمسلمين.

٦ـ وختم ذلك كلّها كضمان لفوزهم بتقوى الله والتّوكّل عليه بأُسلوب مؤكّد، إذ قال: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

٧ـ كرّر كلمة (الله) في الآية ثلاث مرّات: مرّة في صدرها ومرّتين في ذيلها، ضمانًا لتأييده إيّاهم، ولله الحجّة البالغة في آياته.

والآية الثّالثة (١٥): ﴿وَيَبْسُطُوا اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ وَاَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾

١ـ قدّم فيها (اِلَى) على (اَيْدِيَهُمْ) أيضًا لما ذكر في الآيتين السّابقتين، وليس فيها مقابلة كما كان فيهما، إلّا أنّ فيها زيادة، وهي عطف (اَلْسِنَتَهُمْ) على (اَيْدِيَهُمْ)، فقال: ﴿وَيَبْسُطُوا اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ وَاَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾.

قال الطَّباطَبائيّ: «وبَسْط الأيدي بالسّوء كناية عن القتل والسّبي وسائر أنحاء التّعذيب، وبسط الألسُن بالسّوء كناية عن السّبّ والشّتم» الميزان (١٩: ٢٢٨).

ونحوه الطَّبْرِسيّ إلّا أنّه أضاف: «ولايتركون غاية في إلحاق السّوء بكم باليد واللّسان». مجمع البيان (٢: ٢٧٠)

٢ـ الجمع بين (اَيْدِيَهُمْ) و(اَلْسِنَتَهُمْ) مع قيد (بِالسُّوءِ) تجسيم بليغ لعداوتهم للمؤمنين.

٣ـ قد أكّدها بقوله: ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾، أي أنّ عداوتهم لكم بلغت مبلغًا بحيث إنّهم يودّون أن ترجعوا

إلى ملّتهم وتكفروا بدينكم، فهم في الحقيقة أعداء لدينكم وأعداء لكم من أجل دينكم.

والآية الرّابعة (١٩): ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا أَيْدِيهِمْ﴾:

١ـ البسط فيها بمعنى مدّ اليد للعذاب، ويحتمل فيها وجهان:

الأوّل: أنّ الملائكة يعذّبوهم، كما جاء في ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ الأنفال: ٥٠.

الثّاني: يمدّون أيديهم إليهم لقبض أرواحهم، فجملة ﴿أَخْرِجُوٓا أَنفُسَكُمُ﴾ تفسير لبسط أيديهم إليهم، أو أنّ الملائكة يقبضون أرواحهم مع تقريعهم بهذا القول، فيجمعون بين التّعذيب الجسديّ والنّفسيّ، وهو أبلغ في تشديد العذاب.

٢ـ الإتيان بالوصف والإضافة ﴿بَاسِطُوٓا أَيْدِيهِمْ﴾ بدل «يبسطوا أيديهم» أو «باسطون أيديهم» فيه تأكيد على شدّة العمل ودوامه، كأنّ هذا شأن الملائكة دائمًا أمام الكفّار، وهذا كما يقال: «فلان قائم اللّيل، صائم النّهار»، فإنّه أبلغ من أن يقال: «يقوم في اللّيل ويصوم في النّهار»، أو «هو قائم في اللّيل وصائم في النّهار».

٣ـ فسياقها عُنفٌ وإلحاح وتشديد في عذاب الكفّار عند الفزع.

ثالثًا: وهناك آيتان جاء بسط اليد فيهما بمعنى الجود والسّخاء:

أحدهما (١٦): ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾.

ثانيهما (٢٠): ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾.

جاءت الأُولى بشأن النّبيّ والثّانية بشأن الله، وفيهما نكات:

١ـ جاء غلّ اليد فيهما مقابلًا لبسط اليد، وهو ـ كما قال الرّازيّ ـ مجاز مشهور عن البخل والجود، إذ اليد آلة لأكثر الأعمال، ولاسيّما لإعطاء المال وإنفاقه، فأُطلق اسم السّبب على المسبّب، فأسندوا الجود والبخل إلى اليد، كما أسندوهما إلى البنان والكفّ والأنامل.

٢ـ أمّا الغلّ فلقبض اليد، يقال للبخيل: مقبوض اليد ومقبوض الكفّ، وقد رموا الله بقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أي مقبوضة، أو لأنّ يده مغلولة إلى عنقه، كما قال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾.

وأمّا البسط فلأنّ الجواد يده مبسوطة بالمعنيين، أي ليست مقبوضة، أو ليست مغلولة إلى عنقه، بل هي مبسوطة بكلا المعنيين.

٣ـ والآية الأُولى تنهى النّبيّ عن الإفراط والتّفريط في الإنفاق، والثّانية تنفي عن الله ماقالت اليهود فيه من البخل، وأنّه جواد، كما قال: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾.

رابعًا: هناك آية واحدة (١٧) جاء بسط اليد فيها بمعنى مدّها لأخذ شيء ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾، وهذا مثل ضربه الله للّذين يدعون الأصنام فلاتستجيب لهم ولاتنفعهم، وظلّ سعيهم خائبًا. وفيه مواقع للنّظر جاءت في النّصوص:

١ـ تفسير المثل: يمدّ العطشان يده إلى بئر ليرتفع

ماؤها ولايرتفع، أو يرى خياله في الماء من بعيد فلايصل إليه، أو بلغ به العطش مبلغًا فيموت وكفّاه في الماء لايبلغان فاه، أو يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بكفّه فلايأتيه؛ إذ الماء جماد لايشعر ببسط كفّيه ولابعطشه، أو مَن بسط كفّيه إلى الماء بلااغتراف ولاقبض، أو من بسط كفّيه إلى الماء دون أن يكون معه إناء، أو يقبض الماء بيده والماء يخرج من بين أصابعه، والعرب تضرب المثَل لمن يسعى فيما لايُدركه بالقابض على الماء، أو الرّاقم على الماء.

وكلّ ذلك وجوه في تفسير هذا المثَل، بعضها أقرب من بعض وألطف، والمتيقّن منها عدم وصول كفّيه إلى الماء لبعده منه، وهذا معنى (وَمَاهُوَ بِبَالِغِهِ)، أي الباسط كفّيه إلى الماء لايبلغ الماء، ولايصل إليه لبُعدِهِ.

ومن قال: إنّ دعاءه الماء لاينفعه، أراد تطبيق المثَل على الممثّل به، أي دعاء الكفّار للآلهة فلاتُلبّي دعوتهم، لأنّها لاتشعر، كالمستغيث بالماء من العطش فلايغيثه، لأنّه جماد لايشعر.

ولاداعي لهذا التّطبيق الشّامل، وإنّما يكفي في المثَل انطباقه على الممثّل به في جهة دون انطباقه عليه في جميع الجهات. فقولنا: «زيد أسد»، أي شجاع، لايستوجب أن يكون له براثن أو ذَنَب أو صفة الضّواري كالافتراس، لأنّ وجه الشّبه هو الشّجاعة فقط. ووجه الشّبه في الآية: خيبة سعيهم، وعدم بلوغهم مايريدون.

كما أنّ من قال: إنّ معناه من مات وكفّاه في الماء، أو بسط كفّيه بلااغتراف ولاقبض ولا إناء، أو من قبض الماء وخرج من بين أصابعه إلى غير ذلك، لاشاهد له في الآية، جرّه إليها مثَل آخر للعرب «كالقابض على الماء» أو «كالرّاقم على الماء».

٢ـ الاستثناء في ﴿لَايَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ﴾ قيل: إنّه مفرّغ، أي استجابة كاستجابة الماء لباسط كفّيه إليه، والإضافة إلى المفعول والفاعل الماء، كقوله: ﴿لَايَسْئَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ فصّلت: ٤٩، أو إضافة إلى الفاعل وهو «باسِط»، وهو يستلزم الإضافة إلى المفعول، أي كاستجابة الماء لمن يبسط كفّيه إليه. قالوا: والتّشبيه على هذا من المركّب التّمثيليّ، في الأصل أبرز في معرض التّهكّم؛ حيث أثبت أنّهما استجابتان زيادة في التّحسير والتّخسير.

وهذا مبنيّ على التّشبيه الشّامل للدّعاء، وقد رفضناه، وعليه فالاستثناء منقطع والتّشبيه مفرد، أي لايستجيبون لهم بشيء، ولاينفعهم كما لاينفع من يبسط يده إلى الماء، ولايصل إليه منه شيئًا.

قال الطّباطبائيّ: «أي لايحصل لهم إلّا صورة الدّعاء، كما لايحصل لذلك الباسط إلّا صورة الطّلب ببسط الكفّين... ولايتضمّن إلّا صورة الاستثناء، أي لاينالوا بدعائهم إلّا أن لاينالوا شيئًا، والاستثناء مفرّغ. ولعلّ الاستجابة تتضمّن معنى النّيل ونحوه»، انتهى ملخّصًا.

فإذا قُدّر أو ضُمّن معنى النّيل فالاستثناء منقطع كما قلنا، ولاتقدّر الاستجابة حتّى تضاف إلى الفاعل أو المفعول، بل التّشبيه والتّمثيل مركّزان في بطلان سعيهم وصفر أيديهم.

٣ـ قيل في ﴿وَمَاهُوَ بِبَالِغِهِ﴾: الماء لايبلغ فاه، أو

الفم لايبلغ الماء، والأظهر الباسط لايبلغ الماء.

٤ـ الإتيان بالوصف في المصدر والذّيل: «باسط» و «بالغ» ينبئ عن حرصه في الحالتين بسطًا و بلوغًا، حتّى يتمنّى الثّبات و الدّوام فيهما، أي يتمنّى أن يكون باسطًا و بالغًا دائمًا، إلّا أنّه خاسر فيهما، فهما بسط يده لم يبلغ الماء. على أنّ تناسق التّعبيرين من المحسنات البديعيّة.

خامسًا: وهناك أربع آيات جاء «البسط» فيها بمعناه اللّغويّ، وهو بسط الأجسام (١٣) و(١٨) و(٢٢) و(٢٣):

﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾

﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾

﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾

﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾

وفيها بحوث:

١ـ الآية الأُولى صريحة في أنّ الرّياح تُثير السّحاب وتبسطها في السّماء، وهذا باب من العلم جديد، لاحظ كتاب «باد وباران در قرآن» للمهندس بازرگان باللّغة الفارسيّة.

وقوله: ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾ عطف على (يُرْسِلُ الرِّيَاحَ)، أي الله يرسل الرّياح، ويبسط السّحاب بالرّياح.

٢ـ الثّانية تفيد أنّ كلب أصحاب الكهف يبسط ذراعيه بالوصيد ـ أي الباب ـ دائمًا، فجاء (بَاسِطٌ) بدل «بَسَطَ» لاستمراره على هذا المنوال.

٣ـ الثّالثة ضمّت بسط العلم ـ وهو أمر معنويّ ـ إلى بسط الجسم، والآية جاءت بشأن طالوت الّذي بعثه الله ملكًا لبني إسرائيل. والإماميّة تحتجّ بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾، بأنّ الحاكم يجب أن يعيّنه الله دون النّاس، وبقوله: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾، على أن يشترط فيه العلم والشّجاعة، أي وجود القدرة العلميّة والجسميّة في الإمام.

سادسًا: جاء (بِسَاط) في آية واحدة (٢٠): ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾، والبساط: الفراش يجلس عليه الإنسان وينام، وهو كناية مثل: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ النّبأ: ١٠، ١١، لأنّ الإنسان يعيش على الأرض، ويستقرّ عليها، ويتقلّب فيها. وقد يستفاد منها أنّ الأرض مسطّحة وليست كرويّة، وهو بعيد، لأنّ سياق الآية يفيد أنّ الأرض معدّة للعيش مهيّأة للحياة، دون الإشارة إلى هيئتها، فلاحظ النّصوص والمطوّلات.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب س ق

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مكّيّة

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: بسَق وبصَق وبزَق لغاتٌ.

وبُساق: جبل بالحجاز ممّا يلي الغَوْر.

وبسَقت النّخلة بُسوقًا: طالَتْ وكَمُلت، وقوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ ق: ١٠، أي طويلات.

وأبسَقت الشّاة فهي مُبْسِق. وبَسوقٌ ومِبْساق، أي أنزلت اللّبن قبل الوِلاد بشهر و أكثر فتُحلب، وربّما بسَقتْ وليس بحامل فأنزلت اللّبن. وقد سمعت أنّ الجارية تبسُق وهي بِكْر، ويصير في ثديها لبنٌ.

(٥: ٨٥)

نحوه الصّاحِب. (٥: ٢٩٨)

اليزيديّ: أبزقَت النّاقة وأبسَقت، إذا أنزلت اللّبن.

(الأزهَريّ ٨: ٤١٩)

أبوعُبَيْدَة: المِبْساق: الّتي تدِرُّ قبل نتاجها. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن فارِس ١: ٢٤٨)

أبوزَيْد: غمامةٌ باسقة، أي بيضاء عالية. وبواسِق السّحاب، أعاليه. (ابن فارِس ١: ٢٤٧)

الأصمَعيّ: إذا أشرق ضَرْع النّاقة ووقع فيه اللّبن فهي مُضرِع، فإذا وقع فيه اللِّبأُ قبل النّتاج فهي مُبْسِق، فإذا دنا نتاجها فهي مُدْنِيةٌ. (الأزهَريّ ٨: ٤١٨)

ابن الأعرابيّ: البَسْقُ: عُلُوّ ذِكر الرّجل في الفضل.

(الهَرَويّ ١: ١٦٧)

ابن السِّكّيت: نخلة باسقة ونخيل بواسق، المصدر: البُسوق. ويقال: بسَق الرّجل: طال، وبسَق في عِلْمه: علا. (ابن فارِس ١: ٢٤٧)

تقول: قد بصَق الرّجل، وهو البُصاق، وقد بزَق، وهو البُزاق. ولاتقل: بسَق، إنّما البُسوق في الطّول، ويقال: نخلة باسقة، قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ ق: ١٠.

وقد بسَق الرّجل، إذا طال، وقد بسَق في علمه، إذا علا. ويقال لحجرٍ أبيض يتلألأ: بُصاقة القمر.

(إصلاح المنطق: ١٨٤)

الدِّينَوريّ: بواسق السّحاب: أوائله.

(ابن سيدة ٦: ٢٤٦)

ابن دُرَيْد: بسَق النّبت بُسوقًا، إذا ارتفع وتمّ. وكلّ شيء تمّ طوله: فقد بسَق، ومنه بسَقت النّخلة. وكثر ذلك حتّى قالوا: بسَق فلان على قومه، إذا علاهم كرَمًا.

وأتانٌ مُبْسِق، إذا أشرق ضَرْعها واستبان حملها، وكلّ شيء ظهر وبرَق: فقد بسَق.

وحسَبٌ باسق، إذا كان عاليًا مرتفعًا. (١: ٢٨٦)

القاليّ: بواسقها (السّحاب): ماعلا منها وارتفع، واحدتها: باسقة.

وكلّ شيء ارتفع وطال: فقد بسَق، يقال: قد بسَقت النّخلة، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ ق: ١٠، وكذلك بسَق النّبت.

فكثر في كلامهم حتّى قالوا: بسَق فلان على قومه، أي علاهم في الشّرف والكرَم. (١٠)

الجَوهَريّ: البُساق: البُصاق، وقد بسَق بَسْقًا.

وبسَق النّخل بُسوقًا: أي طال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ ق: ١٠، ويقال: بسَق فلان على أصحابه، أي علاهم.

وأبسَقت النّاقة، إذا وقع في ضَرْعها اللِّبأُ قبل النّتاج، فهي مُبْسِق، ونوق مَباسيق. (٤: ١٤٥٠)

نحوه الرّازيّ. (٦٥)

ابن فارِس: الباء والسّين والقاف أصل واحد، وارتفاع الشّيء وعُلُوّه. [وبعد نقل أقوال الخليل وابن السّكّيت وأبي زَيْد قال:]

فإن قال قائل: فقد جاء بسَق، وليس من هذا القياس؟

قيل له: هذا ليس أصلًا، لأنّه من باب الإبدال، وذلك أنّ السّين فيه مقام الصّاد، والأصل: بصَق.

ثمّ حُمل على هذا شيء آخر، وهو قولهم: أبسَقت الشّاة فهي مُبْسِق، إذا أنزلت لبنًا من قَبْل الولادة بشهر وأكثر من ذلك، فيُحلب.

وهذا إذا صحّ فكأنّها جاءت بِبُساق، تشبيهًا له بِبُساق الإنسان. والدّليل على ذلك أنّهم يقولون: الجارية وهي بِكْر، يصير في ثَدْيها لبن، فهل ذلك إلّا كالبُساق. (١: ٢٤٨)

أبوسَهْل الهَرَويّ: وبصَق الرّجل بالصّاد، إذا رمى بريقه من فيه وهو البُصاق. ولايسمّى بُصاقًا إلّا إذا أُلقي من الفم، فأمّا إذا كان فيه، فهو ريق.

وبسَق النّخل بالسّين، إذا طال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ ق: ١٠. (١٠٠)

ابن سيدة: وبسَق الشّيء يَبسُق بُسوقًا: تمّ طوله.

وبسَق على قومه: علاهم في الفضل.

وبسَق: لغةٌ في بصَق.

وبُساقة القمر: حجر أبيض يتلألأ.

وأبسقَت الشّاة والنّاقة، وهي مُبْسِق ومِبْساق وبَسوق، الأخيرة على طرح الزّائد: وقع اللِّبأُ في ضَرْعها، وكذلك: الجارية البِكْر إذا جرى اللّبن في ثدْيها.

والبَسْقة: الحَرّة، وجمعها: بِساق. [ثمّ استشهد بشعر] (٦: ٢٤٦)

البُصاق: الرّيق ونحوه إذا لَفَظَه الإنسان من فمه،

بصقَ الرّجل يصُقُ بصْقًا: لَفَظ البُصاق.

البُساق: البُصاق، بسَق يبسُق بَسْقًا وبُساقًا: بصَق. (الإفصاح ١: ٥٤)

الرّاغِب: قال الله عزّوجلّ: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ ق: ١٠، أي طويلات. والباسق هو الذّاهب طولًا من جهة الارتفاع، ومنه بسَق فلان على أصحابه: علاهم.

وبسَق وبصَق أصله: بزَق.

وبسَقت النّاقة: وقع في ضَرْعها لبن قليل كالبُساق، وليس من الأول. (٤٦)

الزّمَخْشَريّ: بسَقت النّخلة، ونخلة باسقةٌ، ولفلان البواسق.

ومن المجاز: بسَق على أصحابه: طالهم وفضَلَهُم. ويقولون: لاتُبَسِّق علينا، أي لاتُطَوِّل. ولفلان سوابق، وعُلًى بواسق. (أساس البلاغة: ٢٢)

ابن الأثير: في حديث قطبة بن مالك: صلّى بنا رسول الله ﷺ حتّى قرأ ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ الباسق: المرتفع في عُلُوّه.

ومنه الحديث في صفة السّحاب: «كيف ترون بواسقها» أي ماستطال من فروعها.

ومنه حديث قُسّ: «من بواسق أُقْحُوان».

وحديث ابن الزّبير: «وارجحنّ بعد تَبَسُّق» أي ثَقُلَ ومالَ بعد ماارتفع وطال.

وفي حديث ابن الحنفيّة: «كيف بسَق أبوبكر أصحاب رسول الله ﷺ» أي كيف ارتفع ذكره دونهم، والبُسوق: عُلُوّ ذِكر الرّجل في الفضل.

وفي حديث الحديبيّة: «فقعد رسول الله ﷺ على جَبا الرّكيّة فإمّا دعا وإمّا بسَق فيه» بسَق: لغةٌ في بزَق وبصَق. (١: ١٢٨)

الفَيُّوميّ: بسَقت النّخلة بُسوقًا، من باب قعَد: طالت، فهي باسقة، والجمع: باسقات وبواسق. وبسَق الرّجل في علمه: مَهَرَ.

وبسَق بُساقًا بمعنى بصَق، وهو إبدال منه.

ومنعه بعضهم، وقال: لايقال: بسَق بالسّين إلّا في زيادة الطّول كالنّخلة وغيرها، وعزاه إلى الخَليل. (١: ٤٩)

الفيروز اباديّ: البُساق كغراب: البُصاق البُزاق، وجبل بعرفات، وبلد بالحجاز.

وبسَق: بصَق، والنّخل بُسوقًا: طال، وعليهم: علاهم.

والبَسْقة: الحَرّة، الجمع كقِصاع.

والبَسوق كصَبور ومِصْباح: الطّويلة الضّرع من الشّاة.

والباسق كصاحب: ثمرة طيّبة صَفْراء، وقرية ببغداد.

وبهاء: السّحابة البيضاء الصّافية، والدّاهية.

وأبسَقت النّاقة: وقع في ضَرْعها اللِّبأُ قبْل النّتاج فهي مُبْسِق، الجمع: مَباسق.

ولاتُبَسِّق علينا تبسيقًا: لاتُطَوِّل. (٣: ٢٢٠)

الطُّرَيحيّ: قولهم: بسَق النّخل بُسوقًا، من باب قعَد: طال.

وبسَق فلان على أصحابه، أي علاهم.

والباسق: المرتفع في عُلُوّ.

وفي حديث وصف السّحابة للصّحابة: «كيف ترون قواعدها وبواسقها وجَوْنَها ورَحاها وجَفْوها ووَمِيضَها».

فالقواعد: أُصولها المعترضة في آفاق السّماء.

والبَواسِق: فروعها المستطيلة في وسط السّماء إلى الأُفق الآخر، وكذلك كلّ طويل باسق.

والبُساق، بالضّمّ: البُصاق. (٥: ١٣٩)

العَدْنانيّ: ويخطّئون من يستعمل الفعل «بسَق» بمعنى «بصَق» وكلا الفعلين فصيح؛ جاء في «النّهاية» وفي حديث الحديبيّة: «فقعد رسول الله ﷺ على جَبا الرّكيّة ـ ماحول البئر من تراب ـ فإمّا دعا وإمّا بسَق فيه».

بسَق: لغةٌ في بزَق وبصَق، وقال ابن الأثير: إنّ الفعلين كليهما فصيحان أيضًا.

وممّن قال أيضًا إنّ كلا الفعلين فصيحٌ: التّهذيب، والصّحاح، والمختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وذيلُ أقرب الموارد، والمتن.

وفعله: بسَق يَبسُق بَسْقًا.

ومن معاني بسَق:

١ـ بسَقت النّاقة تبسُق بَسْقًا: وقع في ضَرْعها لبن قليل.

٢ـ بسَق الشّيء يبسُق بُسوقًا: تمّ ارتفاعه.

٣ـ بسَق الرّجل يبسُق بُسوقًا: علا ذكره في الفضل «مجاز».

٤ـ بسَق في الشّيء: مَهَر.

٥ ـ بسَقت الشّمس: بزَغَتْ، جاء في معجم مقاييس اللّغة: «الباء والسّين والقاف أصل واحد، وهو ارتفاع الشّيء وعُلُوّه». (٦١)

المُصْطَفَويّ: إنّ البُسوق بمعنى العُلُوّ والطُّول ماديًّا أو معنويًّا. وأمّا اللّبن فهو من البصَق أو البزَق، تشبيهًا ببُزاق الإنسان. (١: ٢٥٥)

النُّصوص التّفسيريّة

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾. ق: ١٠

ابن عبّاس: طوال النّخل.

مثله مُجاهِد وقَتادَة. (الطُّوسيّ ٩: ٣٦٠)

ومثله عِكْرِمَة. (القُرطُبيّ ١٧: ٧)

سعيد بن جُبَير: مستويات. (القُرطُبيّ ١٧: ٦)

الحسَن: مواقير حوامل.

مثله عِكْرِمَة، والفرّاء. (القُرطُبيّ ١٧: ٧)

قَتادَة: بُسوقها: استقامتها في الطّول.

مثله عبدالله بن شدّاد. (القُرطُبيّ ١٧: ٧)

الطُّوسيّ: باسقات، أي عاليات. (٩: ٣٦٠)

الزّمَخْشَريّ: طوالًا في السّماء، وفي قراءة رسول الله ﷺ (باصِقَاتٍ) بإبدال السّين صادًا، لأجل القاف. (٤: ٥)

الشِّربينيّ: أي طوالًا، حال مقدّرة لأنّها وقت الإنبات لم تكن طوالًا.

والبُسوق: الطّول، يقال: بسَق فلان على أصحابه، أي طال عليهم في الفضل. (٤: ٨١)

الآلوسيّ: أي طوالًا، أو حوامل من أبسَقت الشّاة،

إذا حملت، فيكون على هذا من «أفعل» فهو فاعل، والقياس «مِفعل» فهو من النّوادر كالطّوائح واللّواقح في أخوات لها شاذّة، ويافع من أيفع، وباقل من أبقل، ونصبه على أنّه حال مقدّرة. (٢٦: ١٧٦)

المُصْطَفَوِيّ: أي مرتفعات.

وأمّا التّعبير بصيغة الجمع المؤنّث في وصف النّخل فهو باعتبار الجماعة، فإنّ النّخل جنسٌ، وواحده: النّخلة، كتمر وتمرة، كما في ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ الحاقّة: ٧، ويجوز فيه التّذكير باعتبار الجنس، ولفظه: ﴿نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ القمر: ٢٠. (١: ٢٥٥)

وقد جاءت كلمة «باسقات» بمعنى الطّوال في أقوال المفسّرين جُلّهم، ولذا اقتصرنا في النّصوص التّفسيريّة بهذا المقدار حذرًا من التّكرار.

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الاصل في هذه المادّة: الارتفاع والعُلوّ في النّبات ونحوه، وكلّ شيء ظهر وبرق فقد بسَق، ومنه بسَقت الشّمس، إذا طلعت وارتفعت.

٢ـ بسَق وبصَق وبزَق بمعنى، باعتبار الظّهور في كلّ منها. إلّا أنّ أكثر استعمال البُسوق في الطّول، يقال: نخلة باسقة، إذا كملت في الارتفاع والطّول. بخلاف «بصَق» و«بزَق»، فإنّهما يستعملان في ظهور الشّيء فقط، يقال: بصَق الرّجل، إذا رمى بريقه من فيه، وهو البُصاق.

٣ـ وجاء من هذه المادّة بَسوق ومُبْسِق ومِبْساق، وهو وقوع اللّبإ في ضرع النّاقة أو الشّاة قبل النّتاج، أو جري اللّبن في ثدي الجارية البِكْر، لظهور الثّدي والضّرع وارتفاعها.

٤ـ واستعملت في المعنويّات مجازًا، كقولهم: بسَق الرّجل على قومه، إذا علاهم في الشّرف والفضل، وبسَق الرّجل في الشّيء: مهَر فيه وارتفعت خبرته، وحسب باسق: عالٍ مرتفع.

٥ ـ ويبدو أنّ هناك اشتقاقًا أكبر بين مادّتي (ب س ق) و(س ب ق)، يقال من الأخيرة: سبَق فلانٌ على قومه، إذا علاهم كرَمًا، وسُبِق على الأمر: غُلِب.

الاستعمال القرآنيّ

ماجاء من هذه المادّة في القرآن سوى لفظ واحد (بَاسِقَات)، حالًا للنّخل في قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ ق: ١٠، ويلاحظ فيها:

أوّلًا: أنّ (بَاسِقَات) جمع، و(النّخل) اسم جنس جمعيّ، واحده «نخلة» مثل: نخل ونخلة. ويخطر بالبال أنّ هذه الآية قرينة لما قبلها ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ فجاءت (بَاسِقَات) جمعًا مؤنّثًا منكّرًا موازيًا لـ(جنّات) فيما قبلها، ولم تأت: والنّخل الباسقات، أو والنّخل باسقة.

ثانيًا: (بَاسِقَات) تناسب ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ كأنّها ردّ فعل لها، أي أنزل الماء من السّماء فارتفعت النّخل باسقات إلى السّماء.

ثالثًا: مجيء الحال بدل الوصف فيه نكتة أُخرى، وهي أنّ النّخل مرغوب فيها حال كونها باسقات، أي مجموعة باسقة نحو السّماء في زيادة ثمرها وجمال هيئتها وحسن منظرها.

رابعًا: ماهي النّكتة في مجيئها مرّة واحدة في القرآن؟ فإنّ أمثال هذه الألفاظ الأُحاديّة لها سبب، إمّا لقلّة استعمالها وأنّها لاتستعمل إلّا لضرورة الفواصل ـ كما قلنا في نظائرها مثل (أَبًّا) ـ أو لعلّة أُخرى.

والجواب: أنّ الآية مكّيّة، وكانت النّخل فيها قليلة، ولاسيّما الباسقات منها، على الرّغم من عدم مجيء «النّخل» إلّا في المكّيّات، مع مجيء «النّخيل» في المكّيّات والمدنيّات معًا، لاحظ «ن خ ل».



ب س ل

لفظان مرّتان، في سورة مكّيّة

أُبسِلوا ١ : ١ تُبسَل ١ : ١

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: بسَل يَبسُل بُسُولًا، فهو باسِل، وهو عُبُوسة الشّجاعة والغضب، وأسدٌ باسِل.

واستَبسَل الرّجل، إذا وطّن نفسه عليه واستَيقَن به.

وأبسَل نفسه للموت: وطّنَها عليه واستَيقَن به.

والإنسان يُبسِل بعمله إبسالًا، أي يَخذُل ويُوكَل إليه، ويُبسِل: يُسلِم.

والبَسْل: الحَرَم الّذي لاتُتأوّل حُرمته، قال:

سوادٌ دَجُوجيّ وبَسْل مُحَرَّم

والبَسْل: الحلال، قال:

دمي إن أُسيغَتْ هذه لكُم بَسْل

وبَسَلْتُ الرّاقي: أعطيته بُسْلَته، وهو مايُعطى على رُقيته، وابتسَل الرّاقي: أخذ على رُقيته.

وإذا دعا الرّجل على صاحبه يقول: قطَع الله مَطاه، فيقول الآخر: بَسْلًا، أي آمين. [ثمّ استشهد بشعر]

(٧: ٢٦٣)

الضّبّيّ: يقال: بَسْل بمعنى آمين، يحلف الرّجل يقول: بَسْل. (ابن دُرَيْد ١: ٢٨٨)

أبوعمروالشّيبانيّ: البَسْل: الحلال، والبَسْل: الحرام، والبَسْل: أخذ الشّيء قليلًا قليلًا، والبَسْل: عُصارة العُصْفُر والحِنّاء، والبَسْل: الحَبْس.

(الأزهَريّ ١٢: ٤٤٠)

الحنظل المُبسَّل: أن يُؤكل وحده، وهو يُحرق الكبد.

[ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٢: ٤٤١)

الفَرّاء: العرب تقول: هذا عليك بَسْل، أي حرامٌ، ولذلك قيل: أسدٌ باسل، أي لايُقرَب.

والعرب تقول: أعطِ الرّاقي بُسْلته، وهو أجر الرُّقية.

(١: ٣٣٩)

الباسل: الّذي حرّم على قِرْنه الدُّنوّ منه لشجاعته، أي لشدّته لأنّه لايُمهِل قِرْنه، ولايمكنه من الدُّنوّ منه، أُخذ

من البَسْل وهو الحرام. (القاليّ ١: ١٠٣)

أبوزَيْد: والبَسْل: الحلال، وهذا الحرف من الأضداد. [ثمّ استشهد بشعر] (٤)

مثله أبوحاتِم. (الأضداد: ١٠٣)

الأصمَعيّ: الباسل: المرّ، وقد بَسُل الرّجل يَبْسُل بَسالةً، إذا صار مُرًّا. (القاليّ ١: ١٠٣)

اللِّحيانيّ: أعطِ العامل بُسْلته.

(ابن سيدة ٨: ٥٠٨)

أبوعُبَيْد: البَسالة: الشّجاعة، والباسِل: الشّديد.

(الأزهَريّ ١٢: ٤٤١)

ابن الأعرابيّ: البَسْل: اللّحيُ في الملام.

(الأزهَريّ ١٢: ٤٤٠)

ضاف أعرابيّ قومًا، فقال: ائتوني بكُسَعٍ جَبِيزاتٍ، وبِبَسيل من قَطاميّ ناقس.

والبسيل: الفَضْلة، والقَطاميّ: النّبيذ، والنّاقس: الحامض، والكُسَع: الكِسَر، والجَبيزات: اليابسات.

وتبسّل لي فلانٌ، إذا رأيته كريه المنظر.

قال أبوذؤيب:

وكنت ذنوب البئر لما تُبُسِّلت

أي كُرِهت، ويجوز: لما تبَسّلت.

وبسّل فلانٌ وجهه تبسيلًا، إذا كرّهَه.

البَسْل: الشّدّة، والبَسْل: نَخْل الشّيء في المُنخُل، والبَسْل بمعنى الإيجاب.

وكان عمر يقول في آخر دعائه: آمين وبَسْلًا، معناه يارَبّ إيجابًا. (الأزهَريّ ١٢: ٤٤١)

والبَسيلة بهاء: الفضلة من النّبيذ تبق في الإناء. (الزّبيديّ ٧: ٢٢٨)

ابن السِّكِّيت: والباسل: الشّجاع، والبَسالة: الشّجاعة. وتبسّل في وجهه، أي كرّه منظره. وإنّما قيل للأسد: باسل لكراهة وجهه وقُبحه. وماأبسَل وجه فلان. [ثمّ استشهد بشعر] (١٧٠)

والبَسيل: مايبق في الآنية من شراب القوم فيَبيتُ فيها، وذمّ أبوحزام العُكْليّ رجلًا فقال: دعاني إلى بَسيل له. (٢٢١)

ورجل باسل وبَسيل، أي كريه المَنظَر، ويقال: تبسّل في عينيه، أي كرُهَتْ مَرْآته. [ثمّ استشهد بشعر] (٤٤١)

أبوحاتِم: هي بَسْلٌ وهما بَسْلٌ وهنّ بَسْلٌ. الواحد والاثنان والثّلاثة والذّكر والأُنثى فيه سواء، كما يقال: رجل عدل، وامرأة عدل، ورجلان عدل، وامرأتان عدل، وقوم عدل. (أبوزَيْد: ٣)

أبوالهَيثَم: يقال: أبسَلته بجَريرته، أي أسلَمتُه بها، ويقال: جَزَيْتُه بها. وبسَلْتُ الرّاقي: أعطيته بُسْلته، وهي أُجرته. (الأزهَريّ ١٢: ٤٤٠)

يقول الرّجل: بَسْلًا، إذا أراد: آمين، في الاستجابة.

(الهَرَويّ ١: ١٦٨)

مثله ابن الهَيثَم. (الأزهَريّ ١٢: ٤٤٠)

الدّينَوَريّ: البسيلة: التُّرمُس، قال: وأحسبها سمّيت بَسيلة للعُلَيْقِمَة الّتي فيها. (ابن منظور ١١: ٥٥)

مفضّل بن سلمة: البَسْل من الأضداد، وهو الحرام والحلال جميعًا. (الأزهَريّ ١٢: ٤٤٠)

ابن دُرَيْد: البَسْل: الحرام والحلال، وهو من

الأضداد، وأبسَل الرَّجل ولده وغيرهم، إذا رهنهم أو عرّضهم لهلَكة. [ثمّ استشهد بشعر]

ورجل باسل وبَسول، إذا كان شجاعًا. ومـاأبين البَسالة في وجه فلان، أي الشّجاعة. ولغة لقوم من أهل نجد يقولون: أبسَلتُ البُسْر، إذا طبخته وجفّفته، فهو مُبسل.

وربّما قالوا: بلَسْ في معنى أجَلْ، فيقال في معكوسه: بَسَلْ أي أجَلْ، أي هو كما تقول. (١: ٢٨٨)

الهمَذانيّ: يقال للشّجاع: باسل، والجمع: بُسَّل. وباسل بَيّنُ البَسالة.

أجناس الشّجاعة: البَسالة و... (٦٢: ٦٤)

القاليّ: الشُّجعان، واحدهم: بـاسل، والبَسـالة: الشّجاعة.

وقيل: الباسل: الكريه المَنظَر، وإنّما قـيل للأسـد: باسل لكراهة وجهه وقُبحه. يقال: ماأبسَل وجه فلان. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ١٠٣)

أبو طالب: البَسْل: في الكفاية، والبَسْل أيضًا: في الدّعاء، ويقال: بَسْلًا له، كما يقال: وَيْلًا له.

(الأزهَريّ ١٢: ٤٤٠)

أبومالك: البَسْل يكون بمعنى حلال وبمعنى حرام، وبمعنى التّوكيد في الكلام، مثل قولك: تـبًّا.

(الأزهَريّ ١٢: ٤٤٠)

الأزهَريّ: سمعت أعرابيًّا يقول لابن له عَزَم عليه، فقال له: عَسْلًا وبَسْلًا، أراد بذلك لَحْيَه ولَوْمَه.

(١٢: ٤٤٠)

الجصّاص: قيل: أصل تبسّل: الارتهان، وقيل: التّحريم. ويقال: أسد باسل، لأنّ فريسته مرتهنة بـه لاتفلِت منه. وهذا بَسْل عليك، أي حرام عليك، لأنّه ممّا يُرتَهن به. ويقال: أعطِ الرّاقي بُسْلتَه، أي أُجرته لأنّ العمل مُرتَهن بالأُجرة.

والمُستبسِل: المُستسلِم، لأنّه بمنزلة المُرتَهن بما أُسلم فيه. (٣: ٣)

الصّاحِب: بَسُل الرّجل يَبْسُل؛ فهو بـاسِل: وهـو عُبُوسَة الغضَب والشّجاعة. وأسَدٌ باسِل. وتبَسَّل الرّجل واستَبْسَل: صار باسلًا. وأبسَل نفسَه للموت: إذا وطّن نفسَه عليه.

والإبسال: أن يُبْسَل الرّجل بعمَله فَيُخذَل ويُوكَل إليه، من قوله عزّوجلّ: ﴿أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾، وقيل: أُحرِقُوا.

والبَسْل: الشّيء المُحرَّم الّذي لايُتَناوَل.

وأبسَلْتُ المكان: [إذا] حرّمتَه فلم تَقْرَبْه، والرّجل: إذا خلّيته يفعَل مايشاءُ.

وبَسْلًا بَسْلًا: أي آمين.

وبَسْلًا: أي تَبًّا، وهو ـ أيضًا ـ القبيح الشّديد.

والبُسْلَة: أجرُ الرّاقي، وقد ابتسَل الرّاقي.

والبَسيل: الشّراب الّذي يَبيتُ لَيْلَته في الإنـاء. وبَسَلَ النّبيذ بُسولًا: إذا جاوَزَ حدّه وحَمُضَ.

وأبسَلْتُ هذا لذاك: أي تَرَكْته من أجله.

وأبسَلْتُ البُسْرَ: طَبَخته وجَفّفْته.

وتبَسّلْتُ الأمر تبسُّلًا: أي كرِهْته. (٨: ٣٣١)

الجَوهَريّ: البَسْل: الحرام، والبَسْل: الحلال أيضًا. والإبسال: التّحريم. [ثمّ استشهد بشعر]

والبُسْلة بالضّمّ: أُجرة الرّاقي.

والبَسالة: الشّجاعة، وقد بَسُل بالضّمّ فهو باسل، أي بَطَل، وقومٌ بُسْل مثل بازل وبُزْل.

والمُباسَلة: المصاولة في الحرب.

والبَسيل: الكريه الوجه. والبسيل أيضًا: بقيّة النّبيذ، وهو ما يبق في الآنية من شراب القوم فيبيت فيها.

وأبْسَلْت فلانًا، إذا أسلمته للهلكة، فهو مُبْسَل. [ثمّ استشهد بشعر]

والمُسْتَبسِل: الّذي يوطّن نفسه على الموت أو الضّرب. وقد استبسَل، أي استقتل، وهو أن يطرح نفسه في الحرب، ويريد أن يَقتُل أو يُقتَل لامحالة.

(٤: ١٦٣٤)

نحوه الرّازيّ. (٦٤)

ابن فارس: الباء والسّين واللّام أصل واحد تتقارب فروعه، وهو المَنْع والحبس، وذلك قول العرب للحرام: بَسْل، وكلّ شيء امتنع فهو بَسْل. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَسالة: الشّجاعة من هذا، لأنّها الامتناع على القِرْن.

ومن هذا الباب قولهم: أبسَلْتُ الشّيء: أسلمته للهَلَكة، ومنه أبسَلْتُ ولدي: رهنته، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ الأنعام: ٧٠. [ثمّ استشهد بشعر]

وأمّا البُسْلة فأُجرة الرّاقي، وقد يُرَدّ بدقيق من النّظر إلى هذا. والأحسن عندي أن يقال: هو شاذٌّ عن معظم الباب. وكان ابن الأعرابيّ يقول: البَسْل: الكريه الوجه، وهو قياسٌ صحيح مُطّرد على ما أصّلنا. (١: ٢٤٨)

أبوهِلال: الفرق بين البُسْلة والحُلوان والرّشوة: أنّ البُسْلة: أجرُ الرّاقي، وجاء النّهي عنها، وذلك إذا كانت الرُّقية بغير ذكر الله تعالى، فأمّا إذا كانت بذكر الله تعالى وبالقرآن فليس بها بأس، ويؤخذ الأجر عليها.

والشّاهد أنّ قومًا من الصّحابة رقوا من العقرب فدُفِعت إليهم ثلاثون شاةً، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال لهم: اقتسموها واضربوا لي معكم بسهم.

والحُلوان: أجر الكاهن، وقد نُهي عنه، يقال: حَلَوتُه حُلْوانًا، ثمّ كثر ذلك حتّى سمّي كلّ عطيّة حُلوانًا. [ثمّ استشهد بشعر]

والحُلوان أيضًا: أن يأخذ الرّجل مهر ابنته، وذلك عار عندهم. قال الرّاجز:

لانأخذ الحُلوان من بناتنا

والرّشوة: مايُعطاه الحاكم وقد نُهي عنها، قال النّبيّ ﷺ: «لعن الله الرّاشي والمرتشي». (١٤١)

الهَرَويّ: وفي الحديث: «كان عمر يقول في دعائه: آمين وبَسْلًا» أي إيجابًا يارب.

قيل: البَسْل يكون بمعنى التّوكيد، وبمعنى الحلال والحرام. (١: ١٦٨)

ابن سيدة: بَسَل يَبسُل بُسُولًا، فهو باسِل، وبَسْل، وبَسِيل؛ وتبسّل، كلاهما: عبَس من الغضب أو الشّجاعة، وتَبسّل وجهه: كَرُهَت مَرْآته وفَظُعَت. [ثمّ استشهد بشعر]

والباسِل: الأسَد، لكراهة مَنْظَره وقُبْحه. والباسِل:

الشّجاع، والجمع: بُسَلاء وبُسْل. وقد بَسُل بَسالةً وبَسالًا. [ثمّ استشهد بشعر]

ولبن باسِل: كريه الطّعم حامِض. وقد بسَل، وكذلك النّبيذ إذا اشتدّ وحَمُض.[ثمّ استشهد بشعر]

وباسِل القول: شديده وكريهه.

ويومٌ باسِل: شديدٌ، من ذلك. [ثمّ استشهد بشعر]

وبسّل الشّيء: كرّهه.

والبَسيلَة: عُلَيْقِمَة في طعم الشّيء. والبَسيلَة: التُرْمُس، حكاهُ أبوحنيفة، وأحسَبُها سُمّيت بَسيلَة للعُلَيْقِمَة الّتي فيها.

وحَنْظَلٌ مُبَسَّل: أُكِل وَحدَه فكرُه طَعْمُه. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَسيلَة، والبَسيل: مابَقِي من الشّراب فيبيت في الإناء، قال بعض العرب: دعاني إلى بَسيلة له.

وأبسل نفسَه للموت، واستبسَل: وطّن.

وأبسَلَه لِعَمَله وبه: وكَلَه إليه. وأبسَلَه لكذا: رَهَنَه وعرّضه. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَسْل: الحرام والحلال. الواحد والجميع والمُذكّر والمؤنّث في ذلك سواء.

والبَسْل: ثمانية أشهُر حُرُم كانت لقوم لهم صِيتٌ وذكرٌ في غَطَفانَ وقيسٍ، يقال لهم: الهَبَآت، من سِيَر محمّد بن إسحاق رحمه الله.

والبَسْل: اللّحْيُ واللّوْمُ. وقالوا في الدّعاء عن الإنسان: بَسْلًا وأسْلًا، كقولهم: تَعْسًا ونُكْسًا.

وأبْسَل البُسْرَ: طَحَنَه وجفّفه.

والبُسْلَة: أُجرة الرّاقي خاصّة.

وابتَسَل: أخَذَ بُسْلَتَه. وقال اللّحيانيّ: أعطِ العامل بُسْلَتَه، لم يحكها إلّا هو.

وبَسَل اللّحمُ: مِثل خَمّ، عن أبي حنيفة.

وبسّلني عن حاجتي بَسْلًا: أعجلني. وبَسَل بمعنى أجَلْ. وبَسْلٌ في الدّعاء: بمعنى آمين. [ثمّ استشهد بشعر] (٨: ٥٠٨)

الباسل بَسُل على أقرانه، أي حرُم.

واستبسل: طرح نفسه في الحرب، يريد أن يَقتل أو يُقتل. (الإفصاح ١: ١٤٢)

بسَل الطّعام يبسُل بُسُولًا: تغيّر وفسد. (الإفصاح ١: ٤١٤)

البَسْل: بسَل الشّيء يبسُل بَسْلًا: أخذه قليلًا قليلًا. (الإفصاح ٢: ١٣٤٤)

الرّاغِب: البَسْل: ضمّ الشّيء ومنعه. ولتضمّنه لمعنى الضّمّ استُعير لتقطيب الوجه، فقيل: هو باسِل ومُبْتَسِل الوجه. ولتضمّنه لمعنى المنع قيل للمُحَرّم والمُرتَهن: بَسْل، وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الأنعام: ٧٠، أي تُحْرَم الثّواب.

والفرق بين الحرام والبَسْل: أنّ الحرام عامّ فيما كان ممنوعًا منه بالحكم والقهر، والبَسْل هو الممنوع منه بالقهر، قال عزّوجلّ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ أي حُرِمُوا الثّواب، وفسّر بالارتهان لقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ المدّثّر: ٣٨. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل للشّجاعة: البَسالة، إمّا لما يُوصَف به الشّجاع من عُبُوس وجهه، أو لكون نفسه محرّمًا على أقرانه لشجاعته، أو لمنعه لما تحت يده عن أعدائه.

وأبسَلْتُ المكان: حفِظته وجعَلتُه بَسْلًا على من يريده.

والبُسْلَة: أُجرة الرّاقي، وذلك لفظ مُشتقّ من قول الرّاقي: أبسَلْتُ فلانًا، أي جعَلته بَسْلًا، أي شجاعًا قويًّا على مدافعة الشّيطان أو الحيّات والهوامّ، أو جعلته مُبسَلًا أي مُحرّمًا عليها، وسمّي مايُعطَى الرّاقي بُسْلَة.

وحُكي بَسلْتُ الحنظل: طيّبته، فإن يكن ذلك صحيحًا فمعناه أزَلْتُ بَسالته، أي شدّته أو بسْله، أي تحريمه، وهو مافيه من المَرارة الجارية مَجْرى كونه مُحرّمًا.

وبسَلْ في معنى أجَلْ وبَسْ. (٤٦)

نحوه الفيروز اباديّ.

(بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٤٩)

الزّمَخْشَريّ: فيه بَسالة، وماأبسَلَه! ولقد بسَل وتهسّل، إذا تشجّع، وأسدٌ باسل. وله وجه باسِر باسِل: شديد العُبوس. وأبسَلَه للهَلكة: أسلَمه. وأُبسِل بعمله: أُفضِح. واستبسَل للموت، إذا استسلَم. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقولون عند الدّعاء على الرّجل: «آمين وبَسْلًا» أي وأبسَلَه الله ولحاه. وهذا بَسْل: مُحَرّم.

ومن المجاز: نبيذ باسِل: شديد، وغَضَبٌ باسِل، ويومٌ باسِل. [ثمّ استشهد بشعر] (أساس البلاغة: ٢٢)

المدِينيّ: وفي حديث عثمان: «أنّا هذا الحيّ من همْدان فأنجادٌ بُسْلٌ» أي شُجعان، وهو جمع باسِل، سمّي به لامتناعه ممّن يقصده، وكلّ ممتنع أو ممنوع بَسْل.

في حديث عمر: «مَات أُسَيْد، وأُبسِل ماله»، أي أُسلم بدَيْنه، وكان نخْلًا، فردّه عمر وباع ثمره ثلاث سنين، وقضى دَينه. (١: ١٦٠)

نحوه ابن الأثير. (١: ١٢٨)

الفَيُّوميّ: بَسُل بَسالَة مثل ضَخُم ضخامةً، بمعنى شَجُع، فهو بَسيل وباسِل.

وأبسَلتُه بالألِف: رهَنْتُه، وفي التّنزيل: ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ الأنعام: ٧٠. (١: ٤٩)

الفيروز اباديّ: البَسْل: الحرام والحلال ضدّ، للواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث، واللّحي واللّوم، وثمانية أشهر حُرُم كانت لقوم من غَطَفانَ وقَيْسٍ، والإعجال والشّدّة، والنّخْل بالمُنخُل، وأخذ الشّيء قليلًا قليلًا، وعُصارة العُصْفُر، والحِنّاء، والرّجل الكريه المنظر كالبَسيل، والحَبْس.

وبَسْلًا بَسْلًا، أي آمين آمين، وبَسْلًا له: ويلًا له، ويقال: بَسْلًا وأسْلًا: دعاء عليه.

ويقال: بسَلْ بمعنى أجَلْ، أي هو كما تقول.

والإبسال: التّحريم.

وبسَل بُسولًا فهو باسِل وبَسِيلٌ وبَسْلٌ وبَسيل، وتبسّل: عبَس غضبًا أو شجاعةً، أو تبسّل: كُرِهَتْ مَرآته وفَظُعَتْ.

والباسل: الأسد كالمُتبسِّل، والشّجاع، جمعه: بُسَلاء وبُسْل، وقد بَسُل ككرُم بَسالةً وبَسالًا، ومن القول: الكريه الشّديد، ومن اللّبن والنّبيذ: الشّديد، وقد بسَل وبسّله تبسيلًا: كرهه.

وكسفينة: عَلْقَمةٌ في طعم الشّيء.

وكغُرْفَة: أُجرَة الرّاقي. وابتَسَل: أخذها.

وحَنْظَل مُبَسَّل كمُعظّم: أُكِل وحده فتكرّه طعمه.

وأبسَلَه لكذا: عرّضه ورَهَنَه، أو أبسَلَه: أسلَمه للهَلَكة، ولعمله وبه: وكلَه إليه، ونفسَه للموت: وطّنَها كاستَبسَل، والبُسْر: طَبَخَه وجَفّفه.

واستبسَل: طَرَحَ نفسه في الحرب، يريد أن يَقتُلَ أو يُقتَل.

وكأمير: قرية، وبقيّة النّبيذ في الآنية يبيت فيها، وبهاءِ الفضلة. (٣: ٣٤٥)

الطُّرَيحيّ: وفي الدّعاء: «لاتُبسِلْني» بالباء الموحّدة، أي لاتوردني الهلاك.

وفي الحديث القدسيّ: «استبسَل عبدي» أي استسلم لأمري.

وأبسَلت الشّخص: أسلمته للهَلَكة، فهو مُبسِل. (٥: ٣٢١)

المُصطَفَويّ: والتّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الوقوع في مورد الضّرر والخطر والهلاكة، ويدلّ عليه اتّفاقهم بأنّ معنى «أبسلت» من «أفعَل» متعدّيًا هو التّسليم للهلاكة، والتّوطين لها. وأنّ معنى المباسلة من «فاعَل» لامتداد فعلَ، هو المصاولة في الحرب.

ويقرب من هذا المعنى: الكراهة في الوجه، فإنّها في أثر الوقوع في مقابل الخطر والضّرر، وكذلك كراهة الطّعم والحُمُوضة والاشتداد، فإنّها من موارد الضّرر بالنّسبة إليها، أي إلى موضوعاتها من اللّبن والنّبيذ، وأمثالها، وكذلك الارتهان.

وأمّا الشّجاعة: فهي مقيّدة بالقيد المذكور لامطلقًا، كما في المتهوّر.

وأمّا الحُرمة والمنع: فلايخفى التّناسب بينها وبين مورد الضّرر.

فهذه الحيثيّة مأخوذة في جميع مشتقّات المادّة. (١: ٢٥٧)

النُّصوص التّفسيريّة

تُبْسَلَ

...وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلَاشَفِيعٌ... الأنعام: ٧٠

ابن عبّاس: لكي لاتهلك، ولاتُوهن ولاتُعذّب نفسٌ. (تنوير المقباس: ١١٢)

تُفضَح. (الطّبَريّ ٧: ٢٣٢)

مُجاهِد: تُسْلَم. (الطّبَريّ ٧: ٢٣٢)

نحوه الطُّوسيّ. (٤: ١٨١)

مثله عِكْرِمَة والحسَن. (الطّبَريّ ٧: ٢٣٢)

الضّحّاك: تُحرَق. (أبوحَيّان ٤: ١٥٥)

قَتادة: تُؤخَذ فتُحبَس. (الطّبَريّ ٧: ٢٣٢)

نحوه ابن الأعرابيّ. (الأزهَريّ ١٢: ٤٤٠)

الكَلْبيّ: أن تُجزى. (الطّبَريّ ٧: ٢٣٢)

ابن زَيْد: أن تُؤخَذ نفسٌ بما كسبت. (الطّبَريّ ٧: ٢٣٢)

الكِسائيّ: تُجزى، يعني في الكلام. (الطُّوسيّ ٤: ١٨١)

الفَرّاء: أي تُرتَهن. (١: ٣٣٩)

الأخفش: معنى (تُبْسَل) تُجازى، من أبْسَلَ إبسالًا،

ومنه قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾ الأنعام: ٧٠.
(الطُّوسيّ ٤: ١٨١)

ابن قُتَيْبَة: أي تُسلَم للهَلكة. [ثمّ استشهد بشعر]
(١٥٥)

نحوه الشِّربينيّ. (١: ٤٢٧)

الطَّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في تأويل قوله: ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك أن تُسلَم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك تُحبَس.

وقال آخرون: معناه تُفضَح.

وقال آخرون: أن تُجزى. [ثمّ ذكر معنى الإبسال في اللّغة إلى أن قال:]

فتأويل الكلام إذن: وذكِّر بالقرآن هؤلاء الّذين يخوضون في آياتنا، وغيرهم ممّن سلك سبيلهم من المشركين، كيلا تُبسَل نفسٌ بذنوبها، وكفرها بربّها، وتُرتَهن، فتُغلَق بما كسبت من إجرامها في عذاب الله.
(٧: ٢٣١ ـ ٢٣٣)

الزّجّاج: معنى (تُبسَل) بعملها: تكون غير قادرة على التّخلّص، والمُستَبسِل: المُستَسلِم الّذي يعلم أنّه لايقدر على التّخلّص. [ثمّ استشهد بشعر]

وقيل: (أَنْ تُبْسَلَ): تُرهَن، والمعنى واحدٌ.
(٢: ٢٦١)

السِّجِستانيّ: أي تُرتَهن وتُسلَم للهَلكة. (٥٨)

الزَّمَخْشَريّ: مخافة أن تُسلَم إلى الهلكة والعذاب وتُرتَهن بسوء كسبها. وأصل الإبسال: المنع، لأنّ المُسلَم إليه يمنع المُسلَم. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ٢٧)

مثله النّسَفيّ (٢: ١٨)، ونحوه النَّيسابوريّ (٧: ١٣٢).

ابن عَطيّة: و(أَنْ تُبْسَلَ) في موضع مفعول، أي لئلّا تُبسَل، أو كراهيّة أن تُبسَل، ومعناه تُسلَم. (٢: ٣٠٥)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٢: ٣١٨)، وأبوالبركات (١: ٣٢٥).

ابن الجَوزيّ: وفي قوله: (أَنْ تُبْسَلَ) قولان:

أحدهما: لئلّا تُبسَل نفس كقوله: (أَنْ تَضِلُّوا) النّساء: ١٧٦.

والثّاني: ذكّرهم إبسال المُبسَلين بجناياتهم، لعلّهم يخافون.

وفي معنى (تُبسَل) سبعة أقوال:

أحدها: تُسلَم، رواه عِكْرِمَة عن ابن عبّاس، وبه قال الحسن ومُجاهِد والسُّدّيّ. وقال ابن قُتَيْبَة: تُسلَم إلى الهلكة. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال الزّجّاج: تُسلَم بعملها غير قادرة على التّخلّص. والمُستَبسِل: المُستَسلِم الّذي لايعلم أنّه يقدر على التّخلّص.

والثّاني: تُفضَح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبّاس.

والثّالث: تُدفَع، رواه الضّحّاك عن ابن عبّاس.

والرّابع: تُهلك، روي عن ابن عبّاس أيضًا.

والخامس: تُحبَس وتُؤخَذ، قاله قَتادَة وابن زَيْد.

والسّادس: تُجزى، قاله ابن السّائب والكِسائيّ.

والسّابع: تُرتَهن، قاله الفرّاء.

وقال أبوعُبَيْدَة: تُرتَهن وتُسلَم. [ثمّ استشهد بشعر]
(٣: ٦٤)

الفَخْر الرّازيّ: ومعنى الآية: وذكّرهم بالقرآن ومقتضى الدّين، مخافة احتباسهم في نار جهنّم بسبب جناياتهم، لعلّهم يخافون فيتّقون. (١٣: ٢٨)

أبوحَيّان: قال أبوبكر: استحسن بعض شيوخنا قول من قال: تُسلَم بعملها، لاتقدر على التّخلّص، لأنّه يقال: استبسل للمَوْت، أي رأى مالايقدر على دَفْعه.

واتّفقوا على (أنْ تُبْسَل) في موضع المفعول من أجله وقدّروا: كراهة أن تُبْسَل ومخافة أن تُبْسَل، ولئلا تُبْسَل.

ويجوز عندي أن يكون في موضع جرّ على البدل من الضّمير[1]، والضّمير مفسّر بالبدل، وأُضمر الإبسال لما في الإضمار من التّفخيم، كما أضمروا ضمير الأمر والشّأن، وفُسّر بالبدل وهو الإبسال، فالتّقدير: وذكّر بارتهان النّفوس وحبسها بما كسبت. كما قالوا: اللّهمّ صلّ عليه الرّؤوف الرّحيم.

وقد أجاز ذلك سيبَويه، قال: فإن قلت: ضربت وضربوني قومك نصبت، إلّا في قول من قال: أكلوني البراغيث، أو يحمله على البدل من المُضمر. وقال أيضًا: فإن قلت: ضربني وضربتهم قومك، رفعت على التّقديم والتّأخير إلّا أن تجعل هاهنا البدل كما جعلته في الرّفع انتهى. وقد روي قوله:

«تنْخُلُ فاستاكت به عود أسحل» بجرّ عود على أنّه بدل من الضّمير.

والمعنى: أن تُبْسَل نفس تاركةٌ للإيمان بما كسبت من الكفر أو بكسبها السّيّء. (٤: ١٥٥)

الكاشانيّ: مخافة أن تُسلَم الى الهلاك وتُرتَهن بسوء عملها، وأصل البَسْل: المنع. (٢: ١٢٩)

نحوه القاسميّ (٦: ٢٣٦٣)، والطّنطاويّ (٤: ٤٠).

البُرُوسَويّ: أي لئلّا تُسلَم إلى الهلاك وتُرهن ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ بسبب ماعملت من القبائح.

وأصل البَسْل والإبسال: المنع، ولذا صحّ استعمال الإبسال في معنى الإسلام الى الهلاك، لأنّ الإسلام إلى الهلاك يستلزم المنع، فإنّه إذا أسلم أحد إلى الهلاك كان المُسلَم إليه وهو الهلاك يمنع المُسلَم وهو الشّخص، من الخروج عنه والخلاص منه. (٣: ٥٠)

الآلوسيّ: (أنْ تُبْسَلَ) يكون بدلًا منه[2]، واختاره أبوحَيّان، وعلى الأوجه الأُخر هو مفعول لأجله، أي لئلّا تُبْسَل، أو مخافة أو كراهة أن تُبْسَل. ومنهم من جعله مفعولًا به لـ(ذَكِّرْ). [إلى أن قال:]

مثله في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ التّكوير: ١٤، أي لئلّا تُحبس وتُرهَن كلّ نفس في الهلاك أو في النّار، أو تُسلَم إلى ذلك أو تُفضح أو تُحرم الثّواب بسبب عملها السّوء، أو ذكّر بحبس أو حبس كلّ نفس بذلك. وحمل النّكرة على العموم مع أنّها في الإثبات، لاقتضاء السّياق له.

وقيل: إنّها هنا في النّفي معنى، وفيما اختاره أبوحَيّان من التّفخيم وزيادة التّقرير مالايخفى. (٧: ١٨٦)

المَراغيّ: أي وذكّر النّاس وعِظْهم بالقرآن اتّقاء أن تُبْسَل كلّ نفس في الآخرة بما كسبت، أي اتّقاء حبسها أو رهنها في العذاب، وتفاديًا من ذلك بما بيّنه الذّكر الحكيم من أسباب النّجاة والسّعادة في هذه الدّار،

---

(١) يقصد الضّمير في (به).
(٢) يعني من ضمير (به).

كما قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ المدّثّر: ٣٨، ٣٩. (٧: ١٦١)

عبد الكريم الخطيب: أي أنّ دعوة النّبيّ هي البلاغ والتّذكير بيوم الحساب، والتّخويف من هذا الموقف الّذي تُبْسَل فيه كلّ نفسٍ بما كسبت، أي تُعزل وتُفرد، ليس معها إلّا ماكسبت من خيرٍ أو شرٍّ..

والأصل في الباسل، أنّه الكريه، المُخيف، الّذي يتجنّبه النّاس، ومنه سمّي الفارس الشّجاع: باسلًا، لأنّ المحاربين يتجنّبونه، ويصدّون عن لقائه. [ثمّ استشهد بشعر] (٤: ٢١٢)

أُبْسِلُوا

...أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ. الأنعام: ٧٠

ابن عبّاس: أُهلِكوا وأُوهنوا وعُذّبوا، وهم عُيَيْنة والنّضر وأصحابها. (تنوير المقباس: ١١٢)

نحوه الكلْبيّ. (الأزهريّ ١٢: ٤٣٩)

فُضِحوا. (الطّبريّ ٧: ٢٣٥)

نحوه مُجاهِد. (الأزهريّ ١٢: ٤٣٩)

قَتادَة: حُبِسوا. (الأزهريّ ١٢: ٤٣٩)

السُّدّيّ: يقول: أُسلموا. (الطّبريّ ٧: ٢٣٥)

ابن زَيْد: أُخذوا بما كسبوا. (الطّبريّ ٧: ٢٣٥)

الفَرّاء: أي ارتُهِنوا. (الأزهريّ ١٢: ٤٣٩)

الطَّبَريّ: يقول: أُسلموا لعذاب الله، فرُهنوا به جزاء بما كسبوا في الدّنيا من الآثام والأوزار. (٧: ٢٣٤)

القُمّيّ: أي أُسلموا بأعمالهم. (١: ٢٠٥)

السِّجِستانيّ: أي ارتُهنوا وأُسلموا للهلكة. (٥٨)

ابن عَطيّة: معناه أُسلموا بما اجترحوه من الكفر. (٢: ٣٠٦)

الطَّبْرِسيّ: أي أُهلكوا، وقيل: أُسلموا للهلكة فلاتخلّص لهم، وقيل: ارتُهنوا، وقيل: جُوزوا. (٢: ٣١٨)

القُرطُبيّ: فمن أُبْسِل فقد أُسْلِم وارتُهِن. وقيل: أصله التّحريم، من قولهم: هذا بَسْلٌ عليك، أي حرام، فكأنّهم حُرِموا الجنّة، وحُرّمت عليهم الجنّة. [ثمّ استشهد بشعر]

والإبسال: التّحريم. (٧: ١٧)

البَيْضاويّ: أي أُسلموا إلى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزّائغة. (١: ٣١٦)

مثله الكاشانيّ (٢: ١٢٩)، والبُرُوسَويّ (٣: ٥١)، وشُبّر (٢: ٢٧٤)، ونحوه الخازن (٢: ١٢١)، والشّربينيّ (١: ٤٢٨).

الآلوسيّ: أي حُرِموا الثّواب وسُلّموا للعذاب، أو بأحد المعاني الباقية للإبسال. (٧: ١٨٧)

نحوه القاسميّ. (٦: ٢٣٦٤)

رَشيد رضا: أي أُولئك الموصوفون بما ذكرهم الّذين أُسلموا للهَلكة وارتُهنوا، وحُبسوا عن دار السّعادة بسبب ماكسبوا من الأوزار والآثام، حتّى أحاطت بهم خطاياهم، ولم يكن لهم من دينهم الّذي اتّخذوه لعبًا ولهوًا مايزجرهم عنها. وماذا يكون جزاؤهم بعد الإبسال؟ ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾. (٧: ٥٢١)

الطَّنطاويّ: أسلموا إلى العذاب بسبب سوء أعمالهم وانحراف عقولهم. (٤: ٤٠)

المَراغيّ: أي أُولئك المتّخذون دينهم هزوًا ولعبًا، المغترّون بالحياة الدّنيا، هم الّذين حُرِموا الثّواب، وأُسلموا للعذاب، وحُبسوا عن دار السّعادة، بسبب ما كسبوا من الأوزار والآثام، حتّى أحاطت بهم خطاياهم، ولم يكن لهم من دينهم الّذي اتّخذوه زاجرٌ ولامانع يرشدهم إلى التّحوّل عن تلك الأعمال القبيحة، ويصدّهم عن العقائد الزّائفة. (٧: ١٦٢)

المُصْطَفَويّ: أي أُسلموا إلى الهلاكة والعذاب، بسبب ما كسبوا من الأعمال القبيحة المحرّمة.

(١: ٢٥٧)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: المنع والحبس، ولذا قيل للشّيء الحرام: إنّه بَسْل، إلّا أنّ الحرام عامّ فيما كان ممنوع منه بالحكم والقهر، والبَسْل هو الممنوع بالقهر، كما نصّ عليه الرّاغِب. وقيل للمُرتهن: بَسْل، لأنّه ممنوع من التّصرّف فيه، وكلّ ممتنع أو ممنوع فهو بَسْل. ومنه: البَسْل بمعنى الحبس. والبسالة: الشّجاعة، والباسِل والبَسول: الشّجاع، لامتناعه ممّن يقصده، وجمعه: بُسْل وبُسَلاء.

٢ـ وجاء منه أيضًا: البَسْل والبَسيل، أي الكريه المنظر، كأنّ كراهة وجهه توجب منع النّظر إليه، ولذا قيل للأسد: باسل، لكراهة وجهه أو لشجاعته.

والبُسْلة: أُجرة الرّاقي، لأنّ العمل مُرتهَن بالأُجرة. وأبسَله: أسلمه للهلاك، والمستبسِل: المستسلِم، فهو محبوس ممنوع، ومنه قولهم: أبسَل الرّجل للموت واستبسل فهو مستبسِل، إذا وطّن نفسه للموت واستيقن به.

وبسَل الشّيء يبسُله بَسْلًا: أخذه قليلًا قليلًا. وأُبسِل بعمله: فُضِح به، لأنّ الفضيحة ضرر للإنسان. والنّبيذ الباسل والبَسيل، وهو ما يبقى في الآنية من شراب القوم، فيبيت فيها.

٣ـ وهذه المادّة من الأضداد، كما ذهب إليه كثير من اللّغويّين، لتضمّنها معنى المنع والسّماح، ومنه بَسْلًا: آمين، فالاستجابة قبول وسماح.

٤ـ ومنه قولهم: له وجه باسل، وهو رجل متبسّل الوجه، أي شديد العُبوس، فكأنّ العابس منع وجهه عن الانبساط، فضمّ أساريره وقطّبها.

٥ـ والبَسْل ـ أي الحرام ـ جاء للواحد والاثنين والجمع وللذّكر والأُنثى، يقال: هو وهي بَسْل، وهما بَسْل، وهم وهنّ بَسْل، كما يقال: رجل عَدْل، وامرأة عَدْل، ورجلان وامرأتان عَدْل، وقوم ونساء عَدْل.

الاستعمال القرآنيّ

جاء في القرآن لفظان من هذه المادّة، في آية واحدة من سورة مكّيّة:

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ اَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلَاشَفِيعٌ وَاِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَايُؤْخَذْ مِنْهَا اُولٰئِكَ الَّذِينَ اُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ

مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ الأنعام: ٧٠

يلاحظ أوّلًا: أنّهم اتّفقوا على تفسير (تُبْسَل) و(أُبْسِلُوا) بالأخذ بالأعمال، ولكنّه مستفاد من (بِمَا كَسَبُوا) لامن نفس اللّفظ، وإن اختلفت تعبيراتهم عنه بقولهم: إنّه الحبس، أو الارتهان، أو الجزاء، أو التّسليم للهلاك وغيره، إلّا أنّ معنى الحبس محفوظ في الجميع.

ثانيًا: جاء كلا اللّفظين بصيغة المجهول، كأنّهم قُهروا على الأخذ بما كسبوا، وهو تشديد لمعنى الحبس، ومنبعث عن اقترانه بـ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا﴾، فإنّها من دواعي القهر وغلبة الهوى على النّفس. كما أنّه دالّ على أنّ الآخذ بالأعمال ذوقوّة قاهرة، محُدِق بالعباد والأعمال.

ثالثًا: جاء الفعل الأوّل بصيغة المضارع خبرًا عمّا يأتي، والثّاني بصيغة الماضي رمزًا إلى تحقّق وقوعه، فإنّ المحقّق الوقوع في المستقبل كالماضي، ومثله كثير في آيات الآخرة.

رابعًا: أنّ مجيئها في آية مكّيّة ـ دون أن تكون هناك ضرورة من أجل الفواصل، كما في (أبّا) مثلًا ـ ربّما يشعر بأنّ استعمالها في مكّة قليل، وفي المدينة كالمعدوم.



ب س م

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مكّيّة

النّصوص اللّغويّة

الخليل: بَسَمَ يَبْسِم بَسْمًا: فتح شفتيه كالمكاشر. ورجل بَسّام، وامرأة بَسّامة. وبسم وابتسم وتبسّم بمعنى واحد، وفي صفة النّبيّ ﷺ: أن كان جُلّ ضَحِكِه التّبسّم. (٧: ٢٧٧)

ابن دُرَيْد: بَسَمَ الرّجل يَبْسِم، وتبسّم تبسّمًا، ورجل بَسّام، وبه سمّي الرّجل بَسّامًا. (١: ٢٨٩)

الصّاحِب: بَسَم يبسِمُ بَسْمًا: إذا فتح شفتيه كالمكاشر. ورجلٌ بسّام وامرأة بسّامة.

وتبسّم الطّلْع: إذا تفلّق أطرافه. وتبسّم البَرْق: لمع. ومابسَمْتُ فيه أبسِمُ، أي ماذُقته.

ويقولون: بَسْمُك ياهذا، يعني مااسمُك. (٨: ٣٤٨)

الجَوهَريّ: التّبسّم: دون الضّحك، يقال: بَسَمَ بالفتح يَبْسِم بَسْمًا فهو باسم، وابتسم وتبسّم.

والمَبْسِم: الثّغر، مثال المَجْلِس، مِن جلَس يجلس.

ورجل مِبسام وبَسّام: كثير التّبسّم. (٥: ١٨٧٢)

مثله الطُّرَيحيّ. (٦: ١٧)

ابن فارِس: الباء والسّين والهمزة والميم أصل واحد، وهو إبداء مقدّم الفم لمسرّة، وهو دون الضّحك، يقال: بَسَمَ يَبْسِم وتبسّم وابتسم. (١: ٢٤٩)

ابن سيدة: بَسَمَ يَبْسِمُ بَسْمًا، وتبسّم وابتسم: وهو أقلّ الضّحك وأحسنه. وفي التّنزيل: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ النّمل: ١٩، قال الزّجّاج: التّبسّم أكثر ضَحِك الأنبياء ﷺ، ورجل بَسّام.

وابتسم السّحاب عن البرق: أنكل عنه.

(٨: ٥٣٦)

الثّعالبيّ: التّبسّم: أوّل مراتب الضّحك. (١٢٨)

الزّمَخْشَريّ: بَسَمَ: هو أغرّ بَسّام، وأوّل مراتب الضّحك التّبسّم، ومتى جئته فهو مُتَبسّم، وكأنّ ابتسامَتها وَمْضَةُ بَرْقٍ، وهُنّ غرّ المباسِم.

ومن المجاز: تبسّم البَرْق، وتبسّم الطّلْع: تفلّقت أطرافه.

ويقال: والله مابَسَمْتُ فيه، أي ماذُقْتُه.

(أساس البلاغة: ٢٢)

أبوحَيّان: التَّبَسُّم: ابتداء الضّحك. و«تفَعّل» فيه بمعنى المجرّد، وهو بَسَمَ. [ثمّ استشهد بشعر] (٧: ٥١)

الفَيّوميّ: بَسَمَ بَسْمًا، من باب ضرَب: ضَحِك قليلًا من غير صوت، وابتسَم وتبسَّم كذلك، ويقال: هو دون الضَّحِك. (١: ٤٩)

الفيروز اباديّ: بَسَمَ يَبْسِم بَسْمًا وابتسَم وتبسّم، وهو أقلّ الضَّحِك وأحسنه، فهو باسِم ومِبْسام وبَسّام.

والمَبْسِم كمَنْزِل: الثَّغر، وكمقعَد: التّبسّم.

ومابَسَمْتُ في الشّيء: ماذُقْتُه.

وكشدّاد وشدّادة: اسمان. (٤: ٨٠)

مَجْمَعُ اللُّغة: التّبسّم: مبادئ الضَّحك من غير صوت، والضَّحِك: انبساط الوجه حتّى تظهر الأسنان من السّرور مع صوت خفيّ. فإن كان فيه صوت يُسمع من بعيد فهو القهقهة.

وقد يُطلق التّبسّم على أقلّ الضَّحِك، فيقال: بَسَم وابتسَم وتبسّم. (١: ٩٧)

العَدْنانيّ: المَبْسِم أو المِبْسَم: ويُطلقون على الأنبوبة الصّغيرة المصنوعة من خشب أو مَعْدِن ونحوهما، والّتي توضع فيها لُفافة التّدخين، أو تُدخَّن بها النّارجيلةُ اسمَ مِبْسَم. ويرى «المعجم الوسيط» أن تُطلق عليها اسم مَبْسِم، ويقول: إنّها كلمة مُحدَثة دون أن يذكر أنّ مجمع اللُّغة العربيّة بالقاهرة وافق على تلك التّسمية، وأنا أقترح:

١ـ أن يوافق مجمع القاهرة الّذي أصدر «المعجم الوسيط» أو أحد المجامع الثّلاثة الأُخرى على استعمال «مَبْسِم».

٢ـ أو أن يوافق مجمع القاهرة نفسه، أو أشقّاؤه ـ في دمشق وبغداد وعمّان ـ على استعمال «مِبْسَم» لأنّ المِبْسَم آلة توصل الدّخان إلى الفم، ولأنّ «مِفعَل» من صيغ اسم الآلة القياسيّة الثّلاث: مِفعَل، ومِفعَلَة، ومِفعال. وقد ضمّ إليها مجمع اللُّغة العربيّة بالقاهرة الصّيغ الآتية:

أ ـ فَعّالة، مثل: ثلّاجة وخرّامة.

ب ـ فِعال، مثل: إراث لما تُورّث به النّار، أي تُوقَد.

ج ـ فاعلة، مثل: ساقية.

د ـ فاعول، مثل: ساطور.

وبهذا تُصبح الصّيغ القياسيّة لاسم الآلة سبعًا، راجع الصّفحة (٢٥٠) من مجلّة المجمع اللّغويّ، العدد الخاصّ بالبحوث، والمحاضرات، الّتي أُلقِيَتْ في مؤتمر الدّورة التّاسعة والعشرين، سنة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣، فمن هذا نرى أنّ صيغة «مَفْعِل» ليسَتْ بين هذه الصّيغ، وأنّ صيغة «مِفعَل» قياسيّة، يوافق عليها النّحاة كافّة.

وهنالك ألفاظ مسموعة شذّت صيغتها عن القياس، مثل: مُنْخُل، ومُدُقّ ومُكْحُلَة، ومُسْعُط: الأداة الّتي يوضع بها الدّواء في أنف العليل، ومُدْهن: الأداة الّتي تُستخدَم في الدّهان، وليس بينها ماهو على صيغة «مَفعِل».

وقد جاء في «النّحو الوافي» أنّه يجوز الاشتقاق من مصدر الفعل الثّلاثيّ المتصرّف اللّازم والمتعدّي كليهما.

لذا أُوثِر أن يختار الجمع، أو المجامع صيغة «مِفْعَل: مِبْسَم» وأرجو مجمع القاهرة إعادة النّظر في صيغ: فِعال، وفاعلةٍ، وفاعول، لأنّ ذلك يُحدِث فَوْضى نحن في غنًى عنها.

وأرى مع صاحب «النّحو الوافي» أنّنا يمكننا الاستغناء عن الصُّور الجديدة كلّها، باختيار صيغة من الصِّيَغ القديمة تُستعمل أداةً مُوصِلة إلى المعنى المراد من كلّ صيغة من هذه الصِّيَغ المستحدَثة.

ومن معاني المَبْسِم: الثَّغر، والجمع: مَباسِمُ. (٦١)

النُّصوص التّفسيريّة

فَتَبَسَّمَ

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا... النّمل: ١٩

الزّجّاج: لأنّ أكثر ضَحِك الأنبياءِ عليهم السلام التّبسّم، و(ضَاحِكًا) منصوب حال مؤكّدة، لأنّ تبسّم بمعنى ضَحِك. (٤: ١١٢)

الزّمخشريّ: ومعنى ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ تبسّم شارعًا في الضَّحِك وآخذًا فيه، يعني أنّه قد تجاوز حدّ التّبسّم إلى الضَّحِك، وكذلك ضَحِك الأنبياء عليهم السلام.

وأمّا ماروي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ضَحِك حتّى بَدَتْ نواجذُه، فالغرض المبالغة في وصف ماوجد منه من الضّحك النّبويّ، وإلّا فبُدُوّ النّواجذ على الحقيقة إنّما يكون عند الاستغراب. (٣: ١٤٢)

القُرطُبيّ: قد قيل: إنّ تبسّم سليمان سرور بهذه الكلمة منها، ولذلك أكّد التّبسّم بقوله: (ضَاحِكًا) إذ قد يكون التّبسّم من غير ضَحِك ولارضًا، ألا تراهم يقولون: تبسّمَ تبسُّمَ الغضبان، وتبسّمَ تبسُّمَ المستهزئين. وتبسُّم الضَّحِك إنّما هو عن سرور، ولايُسَرّ نبيّ بأمر دنيا، وإنّما سُرّ بما كان من أمر الآخرة والدِّين. (١٣: ١٧٠)

والمعنى تبسّم مقدار الضَّحِك، لأنّ الضَّحك يستغرق التبسّم، والتّبسّم دون الضّحك وهو أوّله، يقال: بَسَمَ بالفتح يَبْسِم بَسْمًا فهو باسم، وابتسم وتبسّم. والمَبْسِم: الثَّغر، مثل المَجْلِس من جلَسَ يجلِس. ورجل مِبْسام وبَسّام: كثير التّبسّم.

فالتّبسّم: ابتداء الضّحك، والضّحك عبارة عن الابتداء والانتهاء، إلّا أنّ الضَّحك يقتضي مزيدًا على التّبسّم، فإذا زاد ولم يضبط الإنسان نفسه قيل: قهقهة. والتّبسّم: ضَحك الأنبياء عليهم السلام في غالب أمرهم. (١٣: ١٧٥)

أبوحَيّان: لمّا كان التّبسّم يكون للاستهزاء وللغضب كما يقولون: تبسّمَ تبسُّمَ الغضبان وتبسّمَ تبسُّمَ المستهزئ، وكان الضَّحِك إنّما يكون للسّرور والفرح، أتى بقوله: (ضَاحِكًا). (٧: ٦٢)

الآلوسيّ: قال ابن حجر: التّبسّم: مبادئ الضَّحك من غير صوت، والضّحك: انبساط الوجه حتّى تظهر الأسنان من السّرور مع صوت خفيّ، فإن كان فيه صوت يُسمَع من بعيد فهو القهقهة. وكأنّ من ذهب إلى اتّحاد التّبسّم والضّحك خصّ ذلك بما كان من الأنبياء عليهم السلام، فإنّ ضحكهم تبسّمٌ. (١٩: ١٧٩)

المُصطَفَويّ: فتبسّم تعجّبًا من قولها، وقد بلغ

تبسّمه إلى حال الضَّحِك، فكلمة (ضاحِكًا) حال.

(١: ٢٥٨)

[وفي الآية أمور آخر راجع «ض ح ك»]

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: تفلّق أطراف الطَّلْع، من قولهم: تبسّم الطَّلْع، ثمّ استعير في لمعان البرق، يقال: تبسّم البرق، وفي ضحك الإنسان، وهو أوّل مراتبه لديه، يقال: تبسّم الرّجل وابتسم، وكذا بَسَمَ يَبسِمُ بَسْمًا، ورجل بَسّام وبِسّام، وامرأة بَسّامة.

٢ـ والمَبسَم، بفتح السّين: التّبسّم، فهو مصدر ميميّ، والمَبسِم، بكسر السّين: الثّغر، لأنّه موضع التّبسّم، وأضاف إليه صاحب «المعجم الوسيط» معنى آخر، فقال: «أنبوبة من خشب أو معدن أو نحوهما، توضع فيها لُفافة التّدخين، أو تُدخّن بها النّارجيلة».

وهو خلاف القياس، لأنّ ماذكره يدلّ على آلة، ووزن الآلة فيه على (مِفْعَل)، بكسر الميم وفتح السّين، وليس العكس فيهما، وهو مااقترحه العَدْنانيّ صاحب «معجم الأغلاط اللُّغويّة المعاصرة».

٣ـ وقد وردت هذه المادّة في سائر اللّغات السّاميّة[١] بمعنى الفرح والعذوبة وسطوع العطر، وهو يقارب ماذُكر في العربيّة، لأنّه يبعث على الابتسام والضَّحِك.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد في آية مكّيّة ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ النّمل: ١٩، ويلاحظ فيها:

أوّلًا: أنّه انحصر مجيئه مرّة واحدة في هذا اللّفظ، مع مجيء الضّحك ـ وهو بمعناه ـ عشر مرّات بصيغ مختلفة، وهل هذا شاهد على قلّة استعماله عند العرب، أو إشارة إلى أنّه لايصدر عن النّاس إلّا قليلًا، وأنّهم لايكتفون في إظهار السّرور بالتّبسّم ـ وهو أوّل الضّحك ـ بل يتجاوزونه فينفجرون ضاحكين، أو هو إشارة إلى أنّه خاصّ بالأنبياء والعقلاء، وهم قلّة؟

ثانيًا: قد جمع التّبسّم والضّحك في الآية، وله عند المفسّرين أسباب:

١ـ أنّه تبسّم شارعًا في الضَّحِك وآخذًا فيه، أي تجاوز حدّ التّبسّم وانتقل إلى الضّحك.

٢ـ أنّ المتبسّم قد يكون ضاحكًا وقد يكون غاضبًا أو ممتعضًا، فقيّد هنا بـ(ضاحِكًا) حذرًا من غيره.

٣ـ مايخطر بالبال أنّ الله لايُحِبّ أن يسند الضّحك إلى نبيّه، إذ هو فعل الجهلاء، فبدأ بالتّبسّم وانتهى بالضّحك، وهذا تكريم للنّبيّ سليمان عليه السلام.

ثالثًا: أنّ (ضاحِكًا) حال من التّبسّم، كأنّه قال: تبسّم حال كونه ضاحكًا من قولها، فالتّركيز في التّبسّم، والضّحك لاحق به متفرّع منه، لاحظ «ض ح ك».

---

(١) انظر قاموس سريانيّ عربيّ (٣٢)، والمعجم المقارن (١: ٦٨).

ب ش ر

٣٢ لفظًا، ١٢٣ مرّة: ٨٤ مكّيّة، ٣٩ مدنيّة

في ٤٧ سورة: ٣٦ مكّيّة، ١١ مدنيّة

بُشرًا ٢: ٣
بُشرى ١٤: ١١ ـ ٣
بُشراكم ١: ـ ١
بشيرٌ ٥: ٣ ـ ٢
بشيرًا ٤: ٣ ـ ١
أبْشِروا ١: ١
بشّروه ١: ١
بشّرتموني ١: ١
بشّرناه ٢: ٢
فاستبشروا ١: ـ ١
مستبشرة ١: ١
بشّرناها ١: ١
بشّرناك ١: ١
بُشّر ٣: ٣
يُبشّر ٣: ١ ـ ٢
يُبشّرك ٢: ـ ٢

يُبشّرهم ١: ـ ١
لتُبشّر ١: ١
تبشّرون ١: ١
نبشّرك ٢: ٢
بشر ٢١: ١٦ ـ ٥
البشر ٥: ٥
بشّر ١٣: ٣ ـ ١٠
بشّره ٣: ٣
بشّرهم ٣: ١ ـ ٢
مبشّرًا ٥: ٢ ـ ٣
مبشّرين ٤: ٢ ـ ٢
مبشّرات ١: ١
تباشروهنّ ١: ١
باشروهنّ ١: ـ ١
يستبشرون ٦: ٣ ـ ٣
بشرين ١: ١
بشرًا ١٠: ١٠

النُّصوص اللُّغويّة

الخليل: البَشَرُ: الإنسان الواحد، رجلًا كان أو امرأة. هو بشرٌ وهي بشر، وهما بشر، وهم بشر، لايُثنّى ولايُجمع. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَشَرةُ: أعلى جِلْد الوجه والجسد من الإنسان، وهو البشَر إذا جمَعْتَه، وإذا عنَيْتَ به اللّون والرّقّة، وجمع الجمع: أبشار. ومنه اشتُقّت مباشَرة الرّجل المرأة، لتضامّ أبشارهما. ومباشَرة الأمر: أن تحضره بنفسك.

والبَشْرُ، بجزم الشّين: قَشْرُك البَشَرة عن الجِلْد، وقد يقال لجميع الجلود: بَشَرتُه، إذا قَشَرت عنه قِشْرته الّتي يَنْبُتُ فيها الشّعر، والقطعة منه بَشَرَة.

والبِشارة: مابُشِّرتَ به، والبشير: المبشِّر بخير أو شرّ، والبُشارة: حقّ مايُعطى على ذلك، والبُشرى: الاسم.

والبَشارة: الجمال، وامرأة بشيرة. [ثمّ استشهد

بشر]

والبِشارة: تباشُرُ القوم بأمر.

وبشّرتُه: فأبْشرَ وتبشّرَ واستَبشر، ولغة: بشَرْتُه أبْشُرُه.

وتباشير الصّبح: أوائله، وأوائل كلّ أمر، ولم أسمع له فعلًا.

واستبشر القوم: تباشروا.

والمُبشّرات: الرّياح تهُبُّ بالسّحاب والغيث.

(٦: ٢٥٩)

الفَرّاء: البَشارة: الجمال. (الأزهَريّ ١١: ٣٥٩)

اللّيث: يقال للطّرائق الّتي تراها على وجه الأرض من آثار الرّياح الّتي تهُبُّ بالسّحاب إذا هي جرّته: التّباشير.

ويقال لآثار جنب الدّابّة من الدّبَر: التّباشير.

(الأزهَريّ ١١: ٣٥٩)

أبوزَيْد: من أمثالهم: «إنّما يُعاتَب الأديم ذوالبشرة» أي يُعاد في الدّباغ، يقول: إنّما يُعاتَب من يُرجى ومن له مُسكة عقل.

وفلانة مُؤْدَمة مُبشَرة، إذا كانت تامّة في كلّ وجه.

(الأزهَريّ ١١: ٣٥٨)

أبْشَرتِ الأرض، إذا أخرجَتْ نباتها، وماأحسن بشَرَة الأرض!

أبْشَرتِ الأرض إبشارًا، إذا بُذِرتْ فخرج بذرها، فيقال عند ذلك: ماأحسن بشَرَة الأرض!

(الأزهَريّ ١١: ٣٦٠)

اللِّحيانيّ: ناقة بشيرة: ليست بمهزولة ولاسمينة.

(الأزهَريّ ١١: ٣٦٠)

البُشارة: ماقشَرْتَ من بطن الأديم. والتَّحْليء: ماقشَرْتَ عن ظهره. (ابن منظور ٤: ٦٠)

ابن الأعرابيّ: يقال: بَشَرتُه وبشّرتُه وبَشِرتُه وأبشَرتُه، وبَشِرتُ بكذا، وبَشَرتُ وأبشَرتُ، إذا فرِحتَ به.

ورجل بشير الوجه، إذا كان جميلة، وامرأة بشيرة الوجه. (الأزهَريّ ١١: ٣٥٩)

المبشُورة: الجارية الحسنة الخَلْق واللّون، وماأحسَن بشَرَها!

هم البُشار والقُشار والخُشار: لسُقّاط النّاس.

(الأزهَريّ ١١: ٣٦٠)

ابن السِّكّيت: البَشْرُ: مصدر بَشَرتُ الأديم أبْشُره بَشْرًا، ويقال: بَشَرتُ فلانًا أبشُره بَشْرًا، إذا بشّرته، ويقال: إنّ فلانًا لحسَن البِشْر.

(إصلاح المنطق: ٢١)

البَشْرُ: بَشْر الأديم، وهو أن يؤخذ باطنه بشَفْرة، يقال: بشَرْتُ الأديم أبْشُره بَشْرًا.

والبَشَرُ: جمع بشَرة، وهو ظاهر الجلد، والبَشَر أيضًا: الخَلْق. (إصلاح المنطق: ٤١)

يقال: قد أبشَرتِ الأرض؛ عند أوّل نبتها، وماأحسَن بشَرَتها! وقد بشَرْتُ الأديم أبشُرُه بَشْرًا، إذا أخذت باطنه بشَفْرةٍ أو بسكّين. (إصلاح المنطق: ٢٧٧)

أبوحاتِم: بَشَرتُ الرّجل وأبْشَرتُه وبشّرتُه، في معنى. (ابن دُرَيْد ١: ٢٥٧)

ابن دُرَيْد: البِشر: طلاقة الوجه. فلان حسن

البِشْر. والبِشْر: موضع معروف. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَشَرَة: ظاهر الجلد. عِنان مُبْشَر، إذا أُخرج ظاهر جلده. ومن ذلك قولهم: باشرَ الرّجل المرأة، إذا ألصَق بشرته ببشرتها. وبَشَرْتُ الأديم، إذا قَشَرتَ بشرَتَه.

والبَشَرُ: اسم يقع على النّاس، أسودهم وأحمرهم، يقال: هذا بشَر، للرّجل، وهما بشران، للرّجلين. وفي التّنزيل: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ المؤمنون: ٤٧، ولم يقولوا: ثلاثة بشَر.

بَشَرتُ الرّجلَ وبشّرته بما يُسَرّ به.

والبُشرى والبِشارة: اسم لما بُشِّرْتَ به.

والبَشارة: الجَمال وحُسن الهيئة، وهي مصدر. [ثمّ استشهد بشعر]

ورجل بشير، وامرأة بشيرة.

وبُشارة الأديم: ماسقط منه إذا بُشِر.

وتباشير الصُّبح: أوّله، وكذلك تباشير النّخل: أوّل مايُرطِب، ويقال: رأى النّاس التّباشير في النّخل، إذا رأوا الحُمرةَ والصُّفرةَ.

وقد سمّت العرب: بِشرًا ومُبشِّرًا وبَشيرًا وبُشيرًا.

(١: ٢٥٧)

نِفْطَوَيه: سمّيت البشارة بشارةً، لأنّها تُبيِّن في بشرة من بُشّر بها. (الهَرَويّ ١: ١٦٩)

الأزهَريّ: بَشَر الجرادُ الأرضَ يبشُرها، إذا أكل ماعليها.

أبوعُبَيْد، عن أبي زَيْد: أبشَرتِ الأرض، إذا أخرجت نباتها، وماأحسَن بشَرة الأرض!

وقال أبوزياد والأحمر: ماأحسَن مَشَرَتَها!

وقال أبوالهيثَم: مَشَّرَتَها، بالتّثقيل.

وقال أبوخيرة: مَشَرَتُها: ورَقُها.

وحُكي عن أبي هلال قال: هي [النّاقة] الّتي ليست بالكريمة ولاالخسيسة.

ويقال: أبشَرتِ النّاقة، إذا لقِحَت، فكأنّها بشَّرَت باللّقاح.

وأبشَرتُ الأديم فهو مُبْشَر، إذا ظهرت بشرتُه الّتي تلي اللّحم، وآدَمْتُه، إذا أظهرت أدَمَتَه الّتي ينبُت عليها.

(١١: ٣٦٠)

الصّاحِب: والبُشارة: بوزن البُرِاية.

وبُشار الطّرائث: مايؤخذ منها فيُلَق في بُرمةٍ ويُطبخ.

وعِنان مُبْشَر، إذا ظَهَرتْ بَشَرَته، ومبشور: قُشِرَتْ بَشَرَته.

والبِشارة: ماأبْشَرْتَ به، وهو تباشير القوم.

والبشير: الّذي يُبشِّر القوم بخيرهم وشرّهم.

والبُشرى: الاسم.

بَشَرْته فأبْشَرَ وبَشَرَ وتبشّرَ، وبَشَرْتُه أبشُرُه. وقرئ (يَبْشُرُهُمْ رَبُّهُمْ) التّوبة: ٢١، وهي البشارة و ـ تُضمّ الباء وتفتح ـ وبَشِرَ يَبْشَرُ، بمعنى أبْشَرَ.

والبِشْر في الوجه: الطّلاقة والفرح. واستبشر القوم: تباشروا.

والبشارة: الجمال، امرأة بشيرة.

وأبشَر الرّجل وبشّر واستبشر: فرح، وبَشِر: مثله.

وتباشير الصّبح وكلّ شيء: أوائله، وكذلك أثر الرّكوب في ظهر البعير، ولا واحد له.

والتّبشّر: الصّعْوة.

وأبشرت الأرض: خرج نباتها، وما أحسن بَشَرتها! وأرض ذات بشرة، أي نبتَ فيها بقل كثير وعُشْبٌ.

والنّاقة البشيرة: الّتي بين الكريمة والخسيسة، وبين المهزولة والسّمينة.

وإذا همّت الفرس بالفَحْل وأرادت أن تستودق فهي مباشِرة.

وتباشير النّخل: البواكير منه.

وأبشَرْتُ بك: سُرِرْتُ.

وبشّرتُه فبَشِر، أي خبّرتُه فخبَر. (٧: ٢٣٠)

الجَوهَريّ: البَشَرةُ والبَشَرُ: ظاهر جلد الإنسان.

وبشَرَة الأرض: ماظهر من نباتها، وقد أبشرت الأرض، وما أحسن بشرتها!

والبَشَرُ: الخَلْق.

ومباشَرة المرأة: ملامستها.

والحِجْر[1] المباشر: الّتي تهمّ بالفَحْل.

ومباشرة الأُمور: أن تليها بنفسك.

وبَشَرْتُ الأديم أبشُره بَشْرًا، إذا أخذْتَ بشَرَته.

وفلان مُؤْدَمٌ مُبْشَر، إذا كان كاملًا من الرّجال، كأنّه جمع لين الأُدمة وخشونة البشَرة.

وبشَر الجرادُ الأرض: أكل ماعليها.

والبَشْر أيضًا: المُباشَرة. [ثمّ استشهد بشعر]

وبشَرْتُ الرّجل أبْشُره بالضّمّ بَشْرًا وبُشورًا، من البُشْرى، وكذلك الإبشار والتّبشير، ثلاث لغات، والاسم البِشارة.

والبُشارة بالضّمّ والكسر، يقال: بَشَرتُه بمولود فأبْشَرَ إبشارًا، أي سُرّ.

وتقول: أبْشِر بخير، بقطع الألف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ فصّلت: ٣٠.

وبَشِرْت بكذا بالكسر، أبشَرُ، أي استبشرت به. [ثمّ استشهد بشعر]

وأتاني أمر بشِرْت به، أي سُرِرْتُ به.

وبشَرني فلان بوجه حسن، أي لقيني، وهو حسَن البِشْر بالكسر، أي طَلْق الوجه.

والبِشْر أيضًا: اسم جبل بالجزيرة، واسم ماء لبني تغلب.

وبُشرى: اسم رجل، لاينصرف في معرفة ولا في نكرة، للتّأنيث ولزوم حرف التّأنيث له، وإن لم يكن صفة، لأنّ هذه الألف يُبنى الاسم لها، فصارت كأنّها من نفس الكلمة، وليست كالهاء الّتي تدخل على الاسم بعد التّذكير.

وقوله تعالى: ﴿يَابُشْرٰى هٰذَا غُلَامٌ﴾ يوسف: ١٩، كقولك: عصاي. وتقول في التّثنية: يابُشْرَيَّ.

والبشارة المطلقة لاتكون إلّا بالخير، وإنّما تكون بالشّرّ إذا كانت مقيّدةً به، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١.

وتباشَر القوم، أي بشّر بعضهم بعضًا.

---

[1] قوله: والحِجر، بكسر الحاء، أي الأُنثى من الخيل كالمُهرة.

والتّباشير: البُشرى، وتباشير الصّبح: أوائله، وكذلك أوائل كلّ شيء، ولايكون منه فعل.

والبشير: المبَشّر، والمُبشّرات: الرّياح الّتي تُبشّر بالغيث. والبشير: الجميل، وامرأة بشيرة وناقة بشيرة، أي حسنة. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَشارة، بالفتح: الجمال. [ثمّ استشهد بشعر]

والتُّبَشِّر: طائر، يقال: هو الصُّفاريّة. (٢: ٥٩٠)

ابن فارِس: الباء والشّين والرّاء أصل واحد: ظهور الشّيء مع حُسن وجمال، فالبشَرة ظاهر جلد الإنسان، ومنه باشَر الرّجل المرأة؛ وذلك إفضاؤه ببشرته إلى بشرتها. وسُمّي البشَر بشَرًا لظهورهم. والبشير: الحسَن الوجه، والبَشارة: الجمال. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: بَشّرتُ فلانًا أُبشّره تبشيرًا، وذلك يكون بالخير، وربّما حُمل عليه غيره من الشّرّ، وأظنّ ذلك جنسًا من التّبكيت.

فأمّا إذا أُطلق الكلام إطلاقًا، فالبشارة بالخير، والنّذارة بغيره. يقال: أبشَرتِ الأرض، إذا أخرجَتْ نباتَها، ويقال: ماأحسَن بشَرة الأرض! ويقال: بشَرْتُ الأديم، إذا قشَرت وجهَه.

وفلان مُؤدَمٌ مُبشَر، إذا كان كاملًا من الرّجال، كأنّه جمع لين الأدمة وخُشونة البشَرة. ويقال: إنّ بحنة بن ربيعة زوّج ابنته، فقال لامرأته: «جهّزيها فإنّها المُؤدَمة المُبشَرة». (١: ٢٥١)

أبوهِلال: الفرق بين البِشر والبشاشة [والهشاشة]: أنّ البِشر أوّل مايظهر من السّرور بلُقّ من يلقاك، ومنه البشارة وهي أوّل مايصل إليك من الخبر السّارّ. فإذا وصل إليك ثانيًا لم يسمّ بشارة، ولهذا قالت الفقهاء: إنّ من قال: من بشّرني بمولود من عبيدي فهو حرّ، أنّه يعتق أوّل من يخبره بذلك، والنَّبْئة: هي الخبر السّارّ وصل أوّلًا أو أخيرًا، وفي المثل: «البشر علم من أعلام النّجح».

والهشاشة: هي الخفّة للمعروف، وقد هَشِشت ياهذا، بكسر الشّين، وهو من قولك: شيء هشّ، إذا كان سهل المتناول. فإذا كان الرّجل سهل العطاء، قيل: هو هشّ بيّن الهشاشة.

والبشاشة: إظهار السّرور بمن تلقاه، وسواء كان أوّلًا أو أخيرًا. (٢١٨)

الفرق بين السّرور والاستبشار: أنّ الاستبشار هو السّرور بالبشارة، والاستفعال للطّلب. والمستبشِر بمنزلة من طلب السّرور في البشارة فوجده. وأصل البشَرة من ذلك، لظهور السّرور في بشرة الوجه. (٢١٩)

الهَرَويّ: يقال: وجهٌ بشيرٌ، إذا كان حسنًا، بيّن البَشارة، بفتح الباء.

وفي الحديث: «مامن رجل له إبل وبقر لايؤدّي حقّها إلّا بُطح لها يوم القيامة بقاع قَرْقَرٍ، ثمّ جاءت كأكثر ماكانت وأبْشَرِه» أي أحسنه.

وسمّيت الرّياح مبشّرات، لأنّها تبشّر بالمطر.

وفي حديث عبدالله: «من أحبّ القرآن فليَبْشَر» أي ليَفرَحْ وليُسَرّ، أراد أنّ محبّة القرآن دليل على محض الإيمان.

ومن رواه بضمّ الشّين فهو من: بشَرتُ الأديمَ أبْشُرُه، إذا أخذتَ باطنه بشَفرة.

أراد على هذا المعنى: فليُضمّر نفسه للقرآن، فإنّ الاستكثار من الطّعام ينسيه إيّاه.

وفي الحديث: «أُمرنا أن نَبشُر الشّوارب بَشْرًا» أي نحفّها حتّى تتبيّن بشَرَتها. (١: ١٦٩)

ابن سيدة: البَشَر: الإنسان، والواحد والجميع والمذكّر والمؤنّث في ذلك سواء، وقد يُثنّى، وفي التّنزيل: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ المؤمنون: ٤٧، والجمع أبشار.

والبَشَرة: ظاهر أعلى جلدة الوجه والرّأس والجسد من الإنسان، وهي الّتي عليها الشّعر، وقيل: هي الّتي تلي اللّحم. وفي المثَل: «إنّما يُعاتَب الأديم ذوالبَشَرة».

قال أبوحنيفة: معناه: أن يُعاد إلى الدّباغ، والجمع: بشَر.

فأمّا قوله:

تُدرّي فَوْقَ مَتْنَيْها قُرُونًا على بَشَر وآنِسَةٍ لُباب

فقد يكون جمع بشَرة، كشجَرة وشَجَر وثمَرة وثمَر، وقد يكون أراد الهاء فحذفها، كقول أبي ذُؤيب:

ألا لَيْتَ شِعْري هل تَنَظّرَ خالدٌ

عِيادي على الهِجْران أم هو يائِس

وأبشار: جمع الجمع.

وبشَر الأديم يَبْشُرُه بَشْرًا وأبشَرَه: قشَر بَشَرته الّتي يَنْبُت عليها الشّعر. وقيل: هو أن يأخذ باطنه بشَفْرَة.

والبُشارة: مابُشِر منه.

وأبشَرَه: أظهَر بَشَرَته.

ورجل مُؤْدَمٌ، أي جمع بين لين الأدمة وخُشونة البَشَرة.

وامرأةٌ مؤدَمَة مُبْشَرة: تامّةٌ في كلّ وجه.

وبَشِر الجَراد الأرض يَبْشُرها بَشْرًا: قَشَرها كأنّ ظاهر الأرض بشَرَتُها.

وماأحسنَ بَشَرته، أي: سَحْناءه وهَيْئَته.

وأبشَرَت الأرض: بُذِرَتْ فظهر نباتُها حسنًا. وماأحسنَ بشَرَتها.

والبَشَرة: البَقْل والعُشب، وكلّه من البَشَرة.

وباشر الرّجل امرأته مباشَرةً وبِشارًا: كان معها في ثوب واحد فوَلِيَتْ بَشَرته بشرتها. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ البقرة: ١٨٧، معنى المباشرة: الجماع؛ وكان الرّجل يخرج من المسجد وهو مُعتكف فيجامع ثمّ يعود إلى المسجد.

وباشَر الأمْرَ: وليَهُ بنفسه، وهو مثل بذاك لأنّه لابَشَرة لأمر إذ ليس بعَيْن. وفي حديث عليّ رضي الله عنه: «فباشِروا رُوحَ اليقين»، فاستعاره لرُوح اليقين، لأنّ رُوح اليقين عَرَضٌ، وبيّنٌ أنّ العرَض ليست له بَشَرة.

والبِشْر: الطّلاقة، وقد بَشَره بالأمر يَبْشُرُه بَشْرًا، وبُشُورًا، وبُشْرًا، وبَشَرَه به، كلّه عن اللّحيانيّ.

وبَشَرَ يَبْشُرُ بَشْرًا وبُشُورًا.

وبَشِرَ وتبَشّر واستَبْشر وأبشَر: فَرِح، وفي التّنزيل: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ التّوبة: ١١١، وفيه أيضًا: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ فصّلت: ٣٠، واستَبشَره، كبَشَره. [ثمّ استشهد بشعر]

والتّبشير يكون بالخير والشّرّ. كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١، التّوبة: ٣٤، الانشقاق: ٢٤، وقد يكون هذا على قولهم: «تَحِيَّتُكَ الضَّرْبُ وعتابُك السّيف» والاسم: البُشرى. وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يونس: ٦٤، جاء في أكثر التّفسير في الدّنيا الرُّؤيا الصّالحة يراها المؤمن في منامه أو تُرى له. وفي الآخرة الجنّة.

والبِشارة أيضًا: مايَعاطاه المُبَشِّر بالأمر.

والبَشير: المُبَشِّر.

وهم يتَباشَرون بذلك الأمر، أي: يُبَشِّر بعضهم بعضًا.

والمُبَشِّرات: الرّياح الّتي تَهُبّ بالسّحاب والغَيْث، وفي التّنزيل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ الرّوم: ٤٦، وفيه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ الأعراف: ٥٧، الفرقان: ٤٨، وبُشُرًا، وبُشْرَى، وبَشْرًا؛ فَبُشُرًا: جمع بَشُور، وبُشْرًا مخفّف منه، وبُشرى بمعنى بِشارةٍ، وبَشْرًا مصدر بَشَره بَشْرًا: إذا بَشَّره.

وأبشَر الرّجل: فَرِح. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَشَرتِ النّاقةُ باللّقاح، وهو حين يُعلَم ذلك عند أوّل ماتَلقَح.

وتباشير كلّ شيء: أوّله، كتباشير الصّبح والنُّور، لا واحد له، وليس له نظير إلّا ثلاثة أحرف: تَعاشيب الأرض، وتَعاجيب الدّهر، وتَفاطير النّبات: مايَنفَطر منه، وهو أيضًا مايخرج على وجوه الغِلْمان والفَتيات، [ثمّ استشهد بشعر]

ويُروى: تفاطين، بالنّون.

وتباشير النّخل في أوّل مايُرْطِب.

والبَشارة: الحُسْن. [ثمّ استشهد بشعر]

ورجل بَشير، وامرأةٌ بَشيرة، ووَجْهٌ بشير: حسَن، [ثمّ استشهد بشعر]

والبشير: الحسَن الوَجْه.

وأبشَر الأمْرُ وَجْهَه: حَسّنه ونَضّره، وعليه وَجّه أبوعمرو قراءة من قرأ: (ذٰلِكَ الَّذِى يَبْشُرُ اللهُ عِبَادَهُ) الشّورى: ٢٣، قال: إنّما قُرئت بالتّخفيف لأنّه ليس فيه بكذا، إنّما تقديره ذلك الّذي يُنَضِّر الله به وجوهَهم.

والتُّبَشِّر، والتُّبَشَّرُ: طائرٌ. ولانظير له، وسيأتي ذكره.

وقولهم: وقع في وادي تُهُلِّكَ، ووادي تُضُلِّلَ، ووادي تُخُيِّبَ.

والنّاقة البَشيرة: الصّالحة الّتي على النّصف من شَحمها، وقيل: هي الّتي بين ذلك ليست بالكريمة ولابالخسيسة.

وبِشْرٌ، وبِشْرَة: اسمان. [ثمّ استشهد بشعر]

وكذلك بُشَيْر، وبَشير، وبَشّارٌ، ومُبَشِّر.

والبِشْر: اسم جبَل. [ثمّ استشهد بشعر] (٨: ٥٧)

البَشَرة: ظاهر جلدة الرّأس، وظاهر جلد الإنسان، وهو الّذي ينبت فيه الشّعر. الجمع: بشَر، وجمع الجمع: أبشار. (الإفصاح ١: ٢٣)

البَشْر: بشَر الجلدَ يبشُره بَشْرًا: أخذ باطنه بشَفْرة.

والبُشارة: مابشَرته منه. (الإفصاح ٢: ٨١٠)

البِشْر: طلاقة الوجه، يقال: بشرني فلان بوجه حسَن، أي لقيني، وهو حسَن البِشْر، أي طَلْق الوجه.

بَشِرَ به يبشَرُ بشَرًا: فَرِح، وبشَرَه بالأمر يبشُره بَشْرًا وبُشورًا، وبشَّره وأبشَره: فرّحه، فبَشِر به وتبشّر وأبشَر واستَبشر: فَرِح.

والاسم: البِشر والبِشارة، سمّيت بذلك لأنّ الّذي يُبشَّر بما يُسرّه تحسُن بَشَرة وجهه، وقد بَشُر بَشارة، إذا حسُن وجمُل.

والبَشير: المُبشِّر، والبِشارة: مايُعطاه المبشِّر، وهم يتباشرون بالأمر، أي يبشِّر بعضهم بعضًا.

(الإفصاح ٢: ١٣٠١)

البشَر: الإنسان، ذكرًا أو أُنثى، واحدًا أو جمعًا، وقد يُثنّى، وفي التّنزيل: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ المؤمنون: ٤٧، ويجمع: أبشارًا. (الإفصاح ٢: ١٣٣٨)

الطُّوسيّ: والتّبشير: الإخبار بما يسرّ بما يظهر في بشرة الوجه سرورًا به، يقال: بشرته أبشرُه بِشارة، وأبشَر إبشارًا، بمعنى استبشر، وبشّرته تبشيرًا.

(٦: ٣٤٢)

يقال: استبشر استبشارًا وأبشر إبشارًا، بمعنى واحد. وضدّه اكتأب اكتآبًا. (٦: ٣٤٧)

البِشارة: هو الإخبار بما يسرّ المخبَر به إذا كان سابقًا لكلّ خبر سواه، لأنّ الثّاني لايسمّى بشارة.

وقد قيل: إنّ الإخبار بما يغمّ أيضًا يسمّى بشارة، كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١، والأولى أن يكون ذلك مجازًا.

وهي مأخوذة من البشَرة، وهي ظاهر الجلد، لتغييرها بأوّل الخبر. ومنه تباشير الصّبح: أوّله، وكذلك تباشير كلّ شيء.

المبشِّرات: الرّياح الّتي تجيء لسحاب.

والبشَر: الإنسان. والبشَرة: أعلى جلدة الجسد، والوجه من الإنسان.

والمباشرة: ملاصقة البشَرة. والبِشْر: قشر الجلد. (١: ١٠٧)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (١: ٦٤)

الرّاغب: البَشَرة: ظاهر الجلد، والأدمة باطنه، كذا قال عامّة الأُدباء. وقال أبوزَيْد: بعكس ذلك، وغلِط أبوالعبّاس وغيره. وجمعها: بشَر، وأبشار.

وعُبّر عن الإنسان بالبشَر اعتبارًا بظهور جلده من الشّعر، بخلاف الحيوانات الّتي عليها الصّوف أو الشّعر أو الوَبَر.

واستوى في لفظ البشَر الواحد والجمع، وثُنّي فقال تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ﴾ المؤمنون: ٤٧.

وخصّ في القرآن كلّ موضع اعتُبر من الإنسان جُثّته وظاهره بلفظ البشر، نحو: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ الفرقان: ٥٤، وقال عزّوجلّ: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ ص: ٧١.

ولمّا أراد الكفّار الغضّ من الأنبياء اعتبروا ذلك، فقالوا: ﴿إِنْ هٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ المدّثّر: ٢٥، وقال تعالى: ﴿أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾ القمر: ٢٤، ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ يس: ١٥، ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ المؤمنون: ٤٧، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ التّغابن: ٦.

وعلى هذا قال: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فصّلت: ٦، تنبيهًا أنّ النّاس يتساوون في البشريّة، وإنّما يتفاضلون بما يختصّون به من المعارف الجليلة والأعمال

الجميلة، ولذلك قال بعده: ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ تنبيهًا أنّي بذلك تميّزت عنكم.

قال تعالى: ﴿لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ فخصّ لفظ البشر، قوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم: ١٧، فعبارة عن الملائكة، ونبّه أنّه تشبّح لها وتراءى لها بصورة بشر، وقوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ يوسف: ٣١، فإعظام له وإجلال، وأنّه أشرف وأكرم من أن يكون جوهره جوهر البشر.

وبشَرْتُ الأديم: أصبت بشَرَته، نحو أنَفْت ورجَلْت، ومنه بشَر الجرادُ الأرض، إذا أكلَتْه.

والمباشرة: الإفضاء بالبشرتين، وكُنّيَ بها عن الجماع في قوله: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ﴾ البقرة: ١٨٧، وقال تعالى: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ البقرة: ١٨٧.

و«فلان مُؤْدَم مُبْشَر» أصله من قولهم: أبشره الله وآدمه، أي جعل له بَشرةً وأدَمة محمودةً، ثمّ عُبّر بذلك عن الكامل الّذي يجمع بين الفضيلتين: الظّاهرة والباطنة. وقيل: معناه جمع لين الأدمة وخشونة البَشَرة.

وأبشَرْتُ الرّجل وبشّرتُه وبشرتُه: أخبرتُه بسارّ بسط بشَرة وجهه، وذلك أنّ النّفس إذا سُرّت انتشر الدّم فيها انتشار الماء في الشّجر.

وبين هذه الألفاظ فروق، فإنّ بَشَرْته عامّ، وأبشَرْتُه نحو أحمدته وبَشّرتُه، على التّكثير. وأبشَرَ يكون لازمًا ومتعدّيًا، يقال: بشرته فأبْشَرَ أي استبشر وأبشرتُه.

وقرئ (يُبشّرك) و(يَبْشُرك) و(يُبْشِرك) قال عزّوجلّ: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ الحجر: ٥٣، ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ الحجر: ٥٤، ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الحجر: ٥٥.

واستبشر، إذا وجد مايبشّره من الفرح، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ آل‌عمران: ١٧٠، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ آل‌عمران: ١٧١، وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الحجر: ٦٧.

ويقال للخبر السّارّ: البِشارة والبُشرى، قال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يونس: ٦٤، وقال تعالى: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ الفرقان: ٢٢، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ هود: ٦٩، ﴿يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ﴾ يوسف: ١٩، ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ آل‌عمران: ١٢٦.

والبشير: المبشّر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ يوسف: ٩٦، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ الزّمر: ١٧، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ الرّوم: ٤٦، أي تبشّر بالمطر.

وقال ﷺ: «انقطع الوحي ولم يبق إلّا المبشّرات» وهي الرّؤيا الصّالحة الّتي يراها المؤمن أو تُرى له.

وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ يس: ١١، وقال: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التّوبة: ٣٤، ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النّساء: ١٣٨، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التّوبة: ٣، فاستعارة ذلك تنبيه أنّ أسرّ مايسمعونه الخبر بما ينالهم من العذاب. [ثمّ

استشهد بشعر]

ويصحّ أن يكون على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ إبراهيم: ٣٠، وقال عزّوجلّ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ الزّخرف: ١٧.

ويقال: أبْشَرَ، أي وجد بشارة، نحو أبْقَلَ وأمْحَلَ ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فصّلت: ٣٠.

وأبشرتِ الأرض: حسُن طلوع نبتها، ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه: «من أحبّ القرآن فَلْيُبْشِرْ» أي فَلْيُسَرّ.

قال الفرّاء: إذا ثُقّل فمن البُشرى، وإذا خُفّف فمن السّرور، يقال: بشَرْتُه فبَشِر، نحو جَبَرْتُه فجَبِر. وقال سيبَوَيه: فأبْشَرَ.

قال ابن قُتَيْبَة: هو من بشَرْتُ الأديم، إذا رقّقت وجهه، قال: ومعناه فَلْيُضَمِّر نفسه، كما روي: «إنّ وراءنا عَقَبَة لايقطعها إلّا الضُّمَّر من الرّجال».

[ثمّ استشهد بشعر]

وتباشير الوجه وبِشْره: مايبدو من سرُوره، وتباشير الصّبح: مايبدو من أوائله، وتباشير النّخل: مايبدو من رُطَبه، ويُسمّى مايُعطى المُبشِّر: بُشرى وبشارة. (٤٧)

الزَّمَخْشَريّ: البِشارة: الإخبار بما يُظهر سرورَ المخبَر به، ومن ثمّ قال العلماء: إذا قال لعبيده: أيّكم بشّرني بقدوم فلان فهو حرّ، فبشّروه فُرادى عُتق أوّلهم، لأنّه هو الّذي أظهر سروره بخبره دون الباقين.

ولو قال مكان بشّرني: أخبرني، عُتقوا جميعًا، لأنّهم جميعًا أخبروه.

ومنه البَشَرة: لظاهر الجلد، وتباشير الصّبح: ماظهر من أوائل ضوئه. (١: ٢٥٤)

بشَرْتُه بكذا وبَشَّرْته وأبشَرْته، فَبَشِر وأبْشَرَ وبَشَّرَ واستَبْشر وتَبشّرَ وتباشروا به.

وتتابعت البشارات والبشائر، وجاء البُشَراء، وهو حسن البِشْر، واستقبلني بِبِشْره.

وبَشَر الأديمَ وأبْشَرَه: قشَر وجهَه.

ومن المجاز: فلان مُؤْدَم مُبْشَر.

وماأحسَن بشَرة الأرض! وهي مايخرج من نباتها فيلْبسُها.

وطلَعتْ تباشير الصّبح، وهي أوائله الّتي تبشّر به، كأنّها جمع تبشير، وهو مصدر بَشَّر. وفيه مخايل الرُّشد وتباشيره. ورأى النّاس في النّخل التّباشير، وهي البواكير.

وهبّت المبشّرات، وهي الرّياح الّتي تُبشّر بالغيث.

وباشَر الأمر: حضره بنفسه. وباشره النّعيم. [ثمّ استشهد بشعر]

والفعل ضربان: مباشَرٌ ومتولَّدٌ.

(أساس البلاغة: ٢٢)

ابن عَطيّة: بَشَّر: مأخوذ من البَشَرة، لأنّ مايُبشَّر به الإنسان من خير أو شرّ يظهر عنه أثر في بشَرة الوجه.

والأغلب استعمال «البشارة» في الخير، وقد تستعمل في الشّرّ مقيّدة به، منصوصًا على الشّرّ المبشَّر به، كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل‌عمران:

٢١، التّوبة: ٣٤، الانشقاق: ٢٤.

ومتى أُطلق لفظ «البِشارة» فإنّما يُحمَل على الخير. (١: ١٠٨)

الطَّبْرِسيّ: البشَر: يقع على القليل والكثير، فهو بمنزلة المصدر، مثل الخَلْق، تقول: هذا بشَر وهؤلاء بشَر، كما تقول: هذا خَلْق وهؤلاء خَلْق. وإنّما وقع المصدر على القليل والكثير، لأنّه جنس الفعل، فصار كأسماء الأجناس، مثل الماء والتّراب، ونحوه. (١: ٤٦٥)

ابن الأثير: في حديث توبة كعب: «فأعطيته ثوبي بُشارة» البُشارة بالضّمّ: ما يُعطى البشير، كالعُمالة للعامل. وبالكسر: الاسم، لأنّها تُظهر طلاقة الإنسان وفرحه.

وفي حديث عبدالله بن عمرو: «أُمِرنا أن نَبْشُر الشّوارب بَشْرًا» أي نُحفيها حتّى تبين بَشَرتُها، وهي ظاهر الجلد، ويجمع على أبشار.

ومنه الحديث: «لم أبْعث عُمّالي ليضربوا أبشاركم».

ومنه الحديث: «أنّه يُقبّل ويباشر وهو صائم» أراد بالمباشرة: الملامسة، وأصله من لمس بشرة الرّجل بشرة المرأة، وقد تكرّر ذكرها في الحديث. وقد ترد بمعنى الوطء في الفرج وخارجًا منه.

وفي حديث الحجّاج: «كيف كان المطر وتبشيره» أي مبدؤه وأوّله. (١: ١٢٩)

القُرطُبيّ: التّبشير: الإخبار بما يُظهر أثره على البشَرة ـ وهي ظاهر الجلد ـ لتغيّرها بأوّل خبر يَرِد عليك، ثمّ الغالب أن يُستعمل في السّرور مقيّدًا بالخير المبشَّر به، وغير مقيّد أيضًا. ولا يستعمل في الغمّ والشّرّ إلّا مقيّدًا منصوصًا على الشّرّ المبشَّر به، قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل‌عمران: ٢١.

ويقال: بشَرته وبشّرته ـ مخفّف ومشدّد ـ بِشارة بكسر الباء، فأبشَرَ واستبشر.

وبَشِر يبشَر، إذا فَرِح. ووجه بشير، إذا كان حسنًا بيّن البَشارة، بفتح الباء. والبُشرى: ما يعطاه المبشِّر. وتباشير الشّيء: أوّله. (١: ٢٣٨)

الفَيُّوميّ: بَشِر بكذا يبشَر مثل فَرِح يفرَح وزنًا ومعنًى، وهو الاستبشار أيضًا، والمصدر: البُشور.

ويتعدّى بالحركة، فيقال: بَشَرته أبْشُره بَشْرًا من باب «قتل» في لغة تهامة وما والاها، والاسم منه: بُشْرٌ بضمّ الباء، والتّعدية بالتّثقيل لغة عامّة العرب، وقرأ السّبعة باللّغتين.

واسم الفاعل من المخفّف: بشير، ويكون البشير في الخير أكثر من الشّرّ. والبُشرى «فُعْلى» من ذلك، والبِشارة أيضًا بكسر الباء والضّمّ لغة، وإذا أُطلقت اختصّت بالخير.

والبِشْر بالكسر: طلاقة الوجه. والبَشَرة: ظاهر الجلد، والجمع: البَشَر، مثل قصَبة وقصَب، ثمّ أُطلق على الإنسان واحده وجمعه، لكنّ العرب ثنّوه ولم يجمعوه، وفي التّنزيل قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ المؤمنون: ٤٧.

وباشر الرّجل زوجته: تمتّع ببشرتها. وباشر الأمر: تولّاه ببشرته، وهي يده، ثمّ كثر حتّى استعمل في الملاحظة.

وبشَرتُ الأديمَ بشرًا من باب «قتل»: قشرتُ وجهَه. (١: ٤٩)

الفيروز اباديّ: البَشَر محرّكةً: الإنسان، ذكرًا أو أُنثى، واحدًا أو جمعًا، وقد يثنّى، ويجمع: أبشارًا.

وظاهر جلد الإنسان، قيل: وغيره، جمع بشَرة، وأبشار: جمع الجمع.

والبَشْر: القَشْر كالإبشار، وإحفاءُ الشّارب حتّى تظهر البَشَرة، وأكل الجراد ماعلى الأرض.

والمباشرة والتّبشير كالإبشار والبُشور والاستبشار.

والبشارة: الاسم منه كالبُشرى، ومايعطاه المبشِّر ويُضمّ فيهما، وبالفتح: الجمال، وهو أبشر منه، أي أحسن وأجمل وأسمن.

والبِشْر بالكسر: الطّلاقة، وكغراب: سُقاط النّاس، والبشير: المبشِّر والجميل، وهي بهاء.

والمَبْشورة: الحسنة الخلق واللّون.

والتّباشير: البُشرى، وأوائل الصّبح، وكلّ شيء [أوائله]، وطرائق على الأرض من آثار الرّياح، وآثار بجنب الدّابّة من الدَّبَر، والبواكر من النّخل، وألوان النّخل أوّل مايُرطِب.

وأبْشَرَ: فَرِح، ومنه أبشِرْ بخير، والأرض: أخرجَتْ بشرَتَها، أي ماظهر من نباتها، والنّاقة: لَقِحَت، والأمر: حسّنه ونضّره.

وباشَر الأمر: وَلِيَه بنفسه. والمرأة: جامعَها، أو صارا في ثوب واحد، فباشَرَت بشَرتُه بشرتَها.

والتُّبُشِّرُ، بضمّ التّاء والباء وكسر الشّين المشدّدة، ويخطّ الجوهريّ، الباء مفتوحةً: طائر يقال له: الصُّفاريّة، الواحدة بهاء.

وبشرت به كعَلِم وضَرَب: سُرِرْت، وبشَرني بوجه حسَن: لقيني. وسمّوا مُبشِّرًا كمحدِّث وكتّان وكتابة وكتانة. (١: ٣٨٦)

مَجْمَعُ اللُّغة: ١ـ التّبشير يكون بالخير، وقد يكون بالشّرّ إذا كان مقيّدًا به، يقال: بشّره تبشيرًا، إذا أخبره بخبر يظهر أثره على بشَرة وجهه.

٢ـ البشير: الّذي يبشّر القوم بأمر خير، وجمع بشير: بُشُر وبُشْر.

٣ـ ويقال للخبر السّارّ: بِشارة وبُشرى.

٤ـ ويقال: بشّرته فأبشر، أي خبّرته بخبر سارّ فسُرّ.

٥ ـ واستبشر: وجد مايَبشِر، فهو مستبشر وهي مستبشرة.

٦ـ والبشَرة: ظاهر الجلد، وجمعها: بَشَر.

٧ـ والبَشَر: الخَلْق، يقع على الذّكر والأُنثى، والواحد والاثنين والجمع، وقد يثنّى.

٨ ـ باشَر امرأته مباشرة: وَلِيَت بشَرته بشَرتها، ويكنّى به عن الاتّصال الجنسيّ. (١: ٩٧)

محمود شيت: ١ـ أ ـ بَشَرَ به بِشْرًا: فَرِح، بَشَر فلانًا بالأمر: فرّحه به. بَشَر فلانًا بوجه طَلْق: لقيه به.

ب ـ بَشِر بالخير: فَرِح به وسُرّ، وبَشِر بالشّيء: استبشر به.

ج ـ بَشُر بَشارة: حَسن وجَمُل فهو بشير، الجمع: بُشَراء وبشائر.

د ـ باشَر زوجَه مباشرة وبِشارًا: لامسَتْ بشرتُه

بشَرَتها، وباشَر زوجه: غشيها، وباشَر الفعل: فعله من غير وساطة، وباشَر النّعيم فلانًا: بدا عليه أثره، وباشر الشّيء بالشّيء مباشرة: جعله مُلاصقًا له.

هـ ـ بشّرت النّاقة ونحوها: بدأ أوّل نتاجها. وبشّرت الرّيح بالغيث: ساقت معها مُزنًا مُمطرًا.

و ـ تباشَر القوم: بَشّر بعضهم بعضًا، ويقال: هم يتباشرون بكذا.

ز ـ تبشّر: فَرِح وتهلّل.

ح ـ استَبشر: فَرِح وسُرّ.

ط ـ البِشار: بُشار النّاس: حُثالَتُهم.

ي ـ البِشارة: الخبر السّارّ لايعلمه المُخْبَرُ به، ومايعطاه المبشّر، الجمع: بشائر. وبشائر الصّبح: أوائله.

ك ـ البِشْر: طلاقة الوجه.

ل ـ البشَر: الإنسان، الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث فيه سواء.

م ـ البشَرة: ظاهر الجلد، وبشرة الأرض: ماظهر من نباتها، الجمع: بَشَر.

ن ـ البُشرى: مايُبشَّر به. ومايعطاه المبشّر، الجمع: بُشَر.

س ـ البِشريّة: طائفة من المعتزلة، يُنسبون إلى بشر بن المعتَمِر.

ع ـ البَشور من الرّياح: الّتي تُبشّر بالمطر، الجمع: بُشُر.

ف ـ التّباشير: تباشير كلّ شيء: أوائله، كتباشير الصّبح والزّهر، وبواكير النّخل.

ص ـ التّبشير: الدّعوة إلى الدّين.

٢ـ أ ـ باشر الجيش القتال: بدأ به.

ب ـ بشير: المخبِر بالنّصر على الأعداء، الّذي يخبر انتصار الجيش. (١: ٨٥)

العَدْنانيّ: ويقولون: بَشْرة الإنسان، أي ظاهر جلده، أو هي أعلى جلدة الرّأس والوجه والجسد من الإنسان، وهي الّتي عليها الشّعر. وقيل: هي الّتي تلي اللّحم، كما جاء في «اللّسان».

والصّواب هي بشَرة الإنسان: اللّيث، والأزهَريّ والصّحاح، ومعجم مقاييس اللّغة، والمحكم، والأساس، والمُغرب، واللّسان، والمصباح، والتّاج، والمدّ، والمتن، والوسيط.

والجمع: بَشَر، وجمع الجمع: أبشار، وفي الحديث: «لم أبعَثْ عمّالي ليضربوا أبشاركم».

وجاء في «النّهاية»: وفي حديث عبداللّه‌بن‌عمرو: «أُمرنا أن نبشُرَ الشّوارب بَشْرًا» أي نُحفيها حتّى تبين بشرتها، وهي ظاهر الجلد.

وجاء في «اللّسان»: بَشَرْتُه فأبْشَر، واستبشَر، وتبشّر، وبَشِر: فَرِح.

أمّا بشَرة الأرض، فهي ماظهر من نباتها ـ البقل والعُشب ـ وفي المثل: «إنّما يُعاتَب الأديمُ ذوالبشَرة» أي إنّما يُعاتَب من فيه رجاء ومستَعْتَب.

وتستعار البشَرة لقشر الشّجر، «مجاز».

ويقولون: البثّ الإذاعيّ المباشِر، والصّواب: البثّ الإذاعيّ المباشَر، لأنّ الفعل هو: باشَر الأمر يُباشره مباشرةً وبِشارًا يعني تولّاه بنفسه.

ونحن نباشر البثّ الإذاعيّ، أي نتولّاه بأنفسنا،

فنحن مباشرون، والبَتّ مُباشَر من قبل المذيع، الّذي يكون للبَتّ مباشِرًا.

ومن معاني الفعل «باشر»:

١ـ باشَر الفعل: فعله من غير وَساطة.

٢ـ باشَر النّعيم فلانًا: بدا عليه أثره.

٣ـ باشَر الشّيء بالشّيء مباشرةً: جعله ملاصقًا له.

وفي الحديث: «اللّهمّ إنّي أسألك إيمانًا تُباشِر به قلبي». (٦١)

المُصْطَفَويّ: التّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة هو: الانبساط المخصوص الطّبيعيّ، والطّلاقة في السّيماء لوجوههم تكوينًا، ويمكن أن يقال: إنّ البِشْر حالة طبيعيّة للإنسان من الانبساط، وهي قبل التّبسّم.

وبهذه الحالة يمتاز الإنسان في الظّاهر عن سائر الحيوانات، فالبشَر كحسَن صفة مشبّهة، وهو من كان منبسطًا طلقًا تكوينًا، ثمّ صار اسمًا لنوع الإنسان.

ويدلّ على ماذكرنا من الأصل قولهم: بشَرة الأرض: ماظهر من نباتها، وهو حسَن البِشْر، أي طلِق الوجه، وبَشِر بكذا كفرِح لفظًا ومعنًى، والبَشْر: ظهور الشّيء مع حُسن وجمال، والبشير: الحسن الوجه، والبَشارة: الجمال.

وأمّا البشرة بمعنى الجلد، فمعنى مجازيّ، باعتبار كون البِشر، وظهوره في الجلد وظاهر البدن.

وأمّا المباشرة فإنّ «المفاعلة» للامتداد والطّول، وامتداد الطّلاقة والانبساط بالنّسبة إلى الزّوجة يدلّ على الملامسة. أو أنّ هذا المعنى مستفاد من الاشتقاق الانتزاعيّ من البشَرة بمعنى الجلد، وكذلك مباشرة الأمور على الوجهين.

وأمّا التّبشير فهو إيصال الانبساط والطّلاقة إلى الغير والإيجاد فيه، كما هو مقتضى التّعدية.

وقد سبق في «أنَس» أنّ الإنسان باعتبار معنى الظّهور في مفهومه يُذكر في مقابل الجنّ، ولم يُذكر البشَر في مقابله. (١: ٢٥٩)

النّصوص التّفسيريّة

بُشْرًا

هُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ...

الأعراف: ٥٧

الطّبَريّ: والنّشر بفتح النّون وسكون الشّين: في كلام العرب من الرّياح الطّيّبة اللّيّنة الهبوب، الّتي تُنشئ السّحاب، وكذلك كلّ ريح طيّبة عندهم فهي نَشر، [ثمّ استشهد بشعر]

وبهذه القراءة قرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفيّين، خلا عاصم بن أبي النّجود، فإنّه كان يقرؤه (بُشْرًا) على اختلاف عنه فيه. فروى ذلك بعضهم عنه (بُشْرًا) بالباء وضمّها وسكون الشّين، وبعضهم بالباء وضمّها وضمّ الشّين، وكان يتأوّل في قراءته ذلك، كذلك قوله: ﴿وَمِنْ اٰيَاتِهِ اَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ الرّوم: ٤٦، تُبشّر بالمطر، وأنّه جمع بشير بُشُرًا، كما يُجمع النّذير نُذُرًا.

وأمّا قرّاء المدينة وعامّة المكّيّين والبصريّين، فإنّهم قرأوا ذلك (هُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرًا) بضمّ النّون

والشّين، بمعنى جمع نَشُور جمع نَشر، كما يجمع الصَّبور صُبُرًا والشّكور شُكُرًا.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: معناها إذا قُرئت كذلك: إنّها الرّيح الّتي تهبّ من كلّ ناحية وتجيء من كلّ وجه.

وكان بعضهم يقول: إذا قُرئت بضمّ النّون فينبغي أن تُسكّن شينها، لأنّ ذلك لغة بمعنى «النّشر» بالفتح.

وقال: العرب تضمّ النّون من النّشر أحيانًا، وتفتح أحيانًا، بمعنى واحد. قال: فاختلاف القرّاء في ذلك على قدر اختلافها في لغتها فيه، وكان يقول: هو نظير الخَسف والخُسف، بفتح الخاء وضمّها.

والصّواب من القول في ذلك أن يقال: إنّ قراءة من قرأ ذلك (نَشْرًا) و(نُشْرًا) بفتح النّون وسكون الشّين، وبضمّ النّون والشّين، قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، فلاُحبّ القراءة بهما، وإن كان لها معنى صحيح، ووجه مفهوم في المعنى والإعراب، لما ذكرنا من العلّة. (٨: ٩-٢)

أبوزُرْعَة: قرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو: (نُشُرًا بَيْنَ) بضمّ النّون والشّين، جمع نَشُور، كقولك: صَبُور، وصُبُر، وعَجُوز وعُجُز، ورَسُول ورُسُل.

قال اليزيديّ: العرب تقول: هذه رياح نُشُر، مثل قولك: نِساءٌ صُبُر. قال أبوعُبَيْد: الرّيح النَّشور: الّتي تهبّ من كلّ جانب، وتجمع السّحابة المُمْطِرة. وقال غيره: الرّيح النَّشور: الّتي تنشر السّحاب.

وقرأ الباقون (نُشْرًا) بضمّ النّون وسكون الشّين، أراد (نُشُرًا) فخفّف مثل رُسْل ورُسُل.

وقرأ حمزة والكِسائيّ (نَشْرًا) بفتح النّون وسكون الشّين. قال الفرّاء: النَّشر من الرّياح: الطّيّبة اللّيّنة الّتي تُنشيء السّحاب. فكأنّ الفرّاء ذهب إلى أنّ «النَّشر» صنف من صنوف الرّياح، ونوع من أنواعها.

وقال آخرون: يجوز أن يكون قوله: (نَشْرًا) مصدر: نَشَرت الرّيحُ السّحابَ نَشْرًا، فكأنّ معنى ذلك على هذا التّأويل: وهو الّذي يرسل الرّياح ناشرةً للسّحاب، ثمّ اكتفى بالمصدر عن الفاعل، كما تقول العرب: رجل صوم ورجل فِطْر، أي صائم.

قال أبوعُبَيْدَة: وحجّته في هذه القراءة قوله: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ المرسلات: ٣.

وقرأ عاصم (بُشْرًا) بالباء وإسكان الشّين، أخذه من «البِشارة» وحجّته قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ الرّوم: ٤٦، وذلك أنّ الرّيح تُبشّر بالمطر، وكان عاصم ينكر أن تكون الرّيح تنشر، وكان يقول: المطر ينشر، أي يُحيي الأرض بعد موتها، يقال: نشر وأنشر، إذا أحيا. (٢٨٥)

نحوه أبوالبَرَكات (١: ٣٦٥)، والطُّوسيّ (٤: ٤٥٩)، والطَّبْرِسيّ (٢: ٤٣٠).

الزَّمَخْشَريّ: قرئ (نَشْرًا) هو مصدر نَشَر، وانتصابه إمّا لأنّ أرسل ونشر متقاربان، فكأنّه قيل: نَشَرها نَشْرًا، وإمّا على الحال بمعنى منتشرات.

و(نُشُرًا) جمع نَشور، و(نُشْرًا) تخفيف (نُشُرًا) كرُسْل ورُسُل.

وقرأ مسروق (نَشَرًا) بمعنى منشورات، فَعَل بمعنى مفعول كنَقَض وحَسَب، ومنه قولهم: ضَمّ نَشَره.

و(بُشُرًا) جمع بشير، و(بُشْرًا) بتخفيفه.

و(بَشْر) بفتح الباء مصدر من بشَرَه بمعنى بشَّره، أي باشرات و(بُشْرَى). (٢: ٨٣)

ابن عَطيّة: هذه آية اعتبار واستدلال. وقرأ نافع وأبوعمرو: (الرِّياحُ) بالجمع، (نُشُرًا) بضمّ النّون والشّين. قال أبوحاتِم: وهي قراءة الحسن وأبي عبدالرّحمان وأبي رجاء. واختلف عنهم الأعرج وأبوجعفر ونافع وأبوعمرو وعيسى بن عمرو وأبويحيى وأبونوفل الأعرابيّين.

وقرأ ابن كثير: (الرّيح) واحدة، (نُشُرًا) بضمّها أيضًا.

وقرأ ابن عامر: (الرّياح) جمعًا، (نُشْرًا) بضمّ النّون وسكون الشّين. قال أبوحاتِم: وروِيت عن الحسن وأبي عبد الرّحمان وأبي رجاء وقتادة وأبي عمرو.

وقرأ حمزة والكِسائيّ: (الرّيح) واحدة، (نَشْرًا) بفتح النّون وسكون الشّين. قال أبوحاتِم: وهي قراءة ابن مسعود، وابن عبّاس وزِرّ بن حُبَيْش وابن وثّاب وإبراهيم وطلحة والأعمش ومسروق بن الأجدع.

وقرأ ابن جنّيّ قراءة مسروق: (نَشَرًا) بفتح النّون والشّين.

وقرأ عاصم: (الرّياح) جماعة (بُشْرًا) بالباء المضمومة والشّين السّاكنة، وروي عنه (بُشُرًا) بضمّ الباء والشّين، وقرأ بها ابن عبّاس والسُّلميّ وابن أبي عبلة.

وقرأ محمّد بن السّميفع وأبوقطيب: (بُشْرى) على وزن «فُعلى» بضمّ الباء، وروِيت عن أبي يحيى وأبي نوفل.

وقرأ أبوعبد الرّحمان السُّلميّ: (بَشْرًا) بفتح الباء وسكون الشّين، قال الزّهراويّ: وروِيت هذه عن عاصم.

وأمّا (نُشُرًا) بضمّ النّون والشّين فيُحتمل أن يكون جمع «ناشر» على النّسب، أي ذات نَشْر من الطّيّ، أو نشور من الحياة.

ويحتمل (نُشُرًا) أن يكون جمع «نَشُور» بفتح النّون وضمّ الشّين، كرَسول ورُسُل وصَبور وصُبُر وشكور وشُكُر.

ويحتمل (نُشُرًا) أن يكون كالمفعول بمعنى منشور، كركوب بمعنى مركوب، ويحتمل أن يكون من أبنية اسم الفاعل، لأنّها تنشر الحساب.

وأمّا مثال الأوّل في قولنا: ناشر ونُشُر، فشاهد وشُهُد، ونازل ونُزُل، وقاتل وقُتُل. [ثمّ استشهد بشعر]

وأمّا من قرأ (نُشْرًا) بضمّ النّون وسكون الشّين فإنّما خفّف الشّين من قوله: (نُشُرًا).

وأمّا من قرأ (نَشْرًا) بفتح النّون وسكون الشّين فهو مصدر في موضع الحال من الرّيح، ويحتمل في المعنى أن يراد به من النَّشْر الّذي هو خلاف الطّيّ، كلّ بقاء الرّيح دون هبوب طيّ، ويحتمل أن يكون من أنّ النّشر الّذي هو الإحياء، كما قال الأعشى:

يا عجبًا للميّت النّاشر

وأمّا من قرأ (نَشَرًا) بفتح النّون والشّين ـ وهي قراءة شاذّة ـ فهو اسم، وهو على النّسب، قال أبوالفتح: أي ذوات نَشر، والنَّشَر أن تنتشر الغنم باللّيل فترعى، فشبّه السّحاب، في انتشاره وعمومه بذلك.

وأمّا (بُشُرًا) بضمّ الباء والشّين فجمع بشير كنذير ونُذُر، و(بُشْرًا) بسكون الشّين مخفّف منه، و(بَشْرًا) بفتح الباء وسكون الشّين مصدر، و(بُشْرى) مصدر أيضًا في موضع الحال. (٢: ٤١١)

نحوه الفخر الرّازيّ (١٤: ١٨٣)، وأبوحيّان (٤: ٣١٦)، والآلوسيّ (٨: ١٤٤).

القُرطُبيّ: [ذكر القراءات السّابقة وأضاف:]

وقراءة سابعة (بُشُرَى) بضمّ الباء والشّين. (٧: ٢٢٩)

وقد قُرِأت بهذه القراءات: ﴿وَهُوَ الَّذِى اَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾ الفرقان: ٤٨ و ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾ النّمل: ٦٣.

بُشْرَى

١ـ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَاِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلٰى قَلْبِكَ بِاِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرٰى لِلْمُؤْمِنِينَ. البقرة: ٩٧

الطّبَريّ: وأمّا «البُشرى» فإنّها البشارة. أخبر الله عباده المؤمنين جلّ ثناؤه أنّ القرآن لهم بُشرى منه، لأنّه أعلمهم بما أعدّ لهم من الكرامة عنده في جنّاته، وما هم إليه صائرون في معادهم من ثوابه، وذلك هو البُشرى الّتي بشّر الله بها المؤمنين في كتابه، لأنّ البشارة في كلام العرب: هي إعلام الرّجل بما لم يكن به عالمًا ممّا يسرّه من الخير قبل أن يسمعه من غيره، أو يعلمه من قبل غيره. (١: ٤٣٨)

ابن عَطيّة: «البُشرى» أكثر استعمالها في الخير، ولاتجيء في الشّرّ إلّا مقيّدة به، ومقصد هذه الآية: تشريف جبريل عليه السلام وذمّ معاديه. (١: ١٨٤)

الطّبْرِسيّ: معنى «البُشرى» أنّ فيه البشارة لهم بالنّعيم الدّائم، وإن جعلتَ (مُصَدِّقًا وَهُدًى وَبُشْرى) حالًا لجبريل، فالمعنى بأنّه يصدّق بكتب الله الأُولى، ويأتي بالهُدى والبُشرى. (١: ١٦٧)

الفخرالرّازيّ: قوله: (وَهُدًى) فالمراد به أنّ القرآن مشتمل على أمرين:

أحدهما: بيان ماوقع التّكليف به، من أعمال القلوب وأعمال الجوارح، وهو من هذا الوجه (هُدًى).

وثانيهما: بيان أنّ الآتي بتلك الأعمال كيف يكون ثوابه، وهو من هذا الوجه (بُشرى) ولمّا كان الأوّل مقدّمًا على الثّاني في الوجود، لاجرم قدّم الله لفظ «الهُدى» على لفظ «البُشرى». (٣: ١٩٧)

أبوحيّان: (هُدًى وَبُشْرٰى) معطوفان على (مُصَدِّقًا) فهما حالان، فيكون من وضع المصدر موضع اسم الفاعل، كأنّه قال: وهاديًا ومبشّرًا، أو من باب المبالغة، كأنّه لمّا حصل به الهُدى والبُشرى جُعِل نفس الهُدى والبُشرى. والألف في (بُشرى) للتّأنيث كهي في «رُجْعَى» وهو مصدر، وقد تقدّم الكلام على المعنى في قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ اٰمَنُوا﴾ في أوائل هذه السّورة.

والمعنى أنّه وصف القرآن بتصديقه لما تقدّمه من الكتب الإلهيّة، وإنّه (هُدًى) إذ فيه بيان ماوقع التّكليف به من أعمال القلوب والجوارح، وإنّه (بُشرى) لمن حصل له الهُدى. فصار هذا التّرتيب اللّفظيّ في هذه الأحوال لكون مدلولاتها ترتّبت ترتيبًا وجوديًّا.

فالأوّل كونه مصدّقًا للكتب؛ وذلك لأنّ الكتب كلّها من ينبوع واحد.

والثّاني: أنّ الهداية حصلت به بعد نزوله على هذه الحال من التّصديق.

والثّالث: أنّه بُشرى لمن حصلت له به الهداية.

خصّ الهُدى والبُشرى بالمؤمنين، لأنّ غير المؤمنين لايكون لهم هُدًى به ولا بُشرى، كما قال: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فصّلت: ٤٤، ولأنّ المؤمنين هم المبشّرون ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ الزّمر: ١٧، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ التّوبة: ٢١. (١: ٣٢١)

المُصْطَفَويّ: وأمّا البُشر: اسم مصدر من البَشر ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ الفرقان: ٤٨، فهو حال من (الرّياح) يدلّ على الماهيّة من حيث هي هي، ويطلق على المفرد والجمع، ويمكن أن يكو جمع بشير.

وأمّا البُشرى: فهي اسم لما بُشّرتَ به من خير، كالبُهمى اسم نبت، أو أنّها مصدر كالرُّجعَى، بمعنى البَشر لازمًا أو متعدّيًا ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ٩٧، ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ الأنفال: ١٠، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ يونس: ٦٤، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرٰهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ هود: ٦٩، فيصحّ المعنى على التّقديرين. (١: ٢٦١)

٢ـ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ آل عمران: ١٢٦

الإسكافيّ: [ذكر الآية وأضاف:]

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ...﴾ آل عمران: ١٢٦، وقال في سورة الأنفال: ١٠ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ للسّائل أن يسأل فيقول: مافي الآية الأُولى ممّا يوجب أن يأتي فيها بقوله: (لَكُمْ) وليس في الآية الثّانية، ومابال قوله: (بِهِ) قد أُخّر في الآية الأُولى عن قوله: (قُلُوبُكُمْ) وقُدّم في الآية الأُخرى عليه؟

والجواب أن يقال: أمّا قوله: (لَكُمْ) في هذه الآية وحذفه من الثّانية ـ مع العلم بأنّ الله تعالى جعل إخباره بإنزال الملائكة لنصرهم بشارة لهم، وأنّ (لَكُمْ) مضمرة في سورة الأنفال، كما هي مظهرة في هذه السّورة ـ فلأنّ الأُولى جاءت على الأصل والثّانية قد تقدّمتها (لَكُمْ) فأغنت عن إعادتها بلفظها ومعناها، وهي في قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ الأنفال: ٩، فلمّا قال: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ عُلم أنّه جُعل بُشرى لهم، فأغنت (لَكُمْ) الأُولى بلفظها ومعناها على الثّانية، وفي الآية الأُولى لم يتقدّم مايقوم هذا المقام، فأتى بقوله: (لَكُمْ) على الأصل. (٧١)

نحوه الكرمانيّ. (٤٦)

الطَّبْرِسيّ: ﴿بُشْرَى لَكُمْ﴾ أي بشارة لكم لتستبشروا به ولتطمئنّ قلوبكم به، أي ولتسكن قلوبكم فلاتخافوا كثرة عدد العدوّ، وقلّة عددكم. (١: ٤٩٩)

أبو حَيّان : (إلّا بُشْرٰى) مستثنى من المفعول له ، أي ماجعله الله لشيء إلّا بُشرى لكم ، فهو استثناء فُرّغ له العامل . و(بُشْرٰى) مفعول من أجله ، وشروط نصبه موجودة ، وهو أنّه مصدر متّحد الفاعل والزّمان ، و(لِتَطْمَئِنَّ) معطوف على موضع (بُشْرٰى) إذ أصله : لبشرى.

ولمّا اختلف الفاعل في (وَلِتَطْمَئِنَّ) أتى باللّام، إذ فات شرط اتّحاد الفاعل، لأنّ فاعل (بُشْرٰى) هو الله ، وفاعل (تَطْمَئِنَّ) هو (قُلُوبُكُمْ). (وتَطْمَئِنَّ) منصوب بإضمار «أن» بعد لام «كي» فهو من عطف الاسم على توهّم موضع اسم آخر، و(جَعَل) على هذا التّقدير متعدّية إلى واحد.

وقال الحَوْفيّ: (إلّا بُشْرٰى) في موضع نصب على البدل من الهاء ، وهي عائدة على الوعد بالمَدَد. وقيل: (بُشْرٰى) مفعول ثان لـ(جَعَلَهُ اللهُ)؛ فعلى هذين القولين تتعلّق اللّام في (لِتَطْمَئِنَّ) بمحذوف؛ إذ ليس قبله عطف يعطف عليها، قالوا: تقديره: ولتطمئنّ قلوبكم به بشركم.

و(بُشْرٰى) «فُعلى» مصدر كرُجعَى ، وهو مصدر من «بَشر» الثّلاثيّ المجرّد. (٣: ٥١)

عبد الكريم الخطيب : [ذكر الآيتين و زيادة (لَكُم) في الأُولى ، ثمّ قال:]

قوله تعالى: ﴿وَمَاجَعَلَهُ اللهُ اِلَّا بُشْرٰى لَكُمْ﴾ وقوله في سورة الأنفال: ١٠ ﴿وَمَاجَعَلَهُ اللهُ اِلَّا بُشْرٰى﴾ بزيادة (لَكُمْ) هناك لاختلاف المقامين؛ حيث إنّ الخطاب في آية الأنفال كان والمسلمون يواجهون الحدث مواجهة واقعيّة، ويتلقّون بُشريات السّماء، وهم مشتبكون مع العدوّ، فلاحاجة إلى تعيينهم بقوله سبحانه: (لَكُمْ).

على خلاف ماجاء في آية آل‌عمران؛ إذ كان نزولها والمسلمون مُقدِمون على حرب المشركين في أُحد، فجاءت هذه الآية مع أخواتها لتذكّرهم بفضل الله عليهم في يوم بدر، فكان التّعيين بقوله: (لَكُمْ) هنا لازمًا؛ إذ كان كثير من المسلمين الّذين يشهدون أُحُدًا اليوم لم يشهدوا بدرًا بالأمس. (٢: ٥٧٧)

٣ـ ﴿اَلَّذِينَ اٰمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرٰى فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْاٰخِرَةِ﴾. يونس: ٦٣، ٦٤

النّبيّ ﷺ: هي الرّؤيا الصّالحة يراها الرّجل المسلم، أو تُرى له بُشراه في الحياة الدّنيا، وبُشراه في الآخرة، الجنّة. (الطّبَريّ ١١: ١٣٤)

الرّؤيا الصّالحة، يراها العبد ، أوتُرى له، وهي جزء من أربعة وأربعين جُزءً أو سبعين جُزءً من النّبوّة .

(الطّبَريّ ١١: ١٣٥)

في «من لايحضره الفقيه»: أتى رسول الله ﷺ رجل من أهل البادية، له جسم وجمال، فقال: يارسول الله أخبرني عن قول الله عزّوجلّ: ﴿اَلَّذِينَ اٰمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرٰى فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْاٰخِرَةِ﴾.

فقال: أمّا قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرٰى فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ فهي الرّؤيا الحسنة، يراها المؤمن فيُبشّر بها في دنياه. وأمّا قوله عزّوجلّ: ﴿فِي الْاٰخِرَةِ﴾ فإنّها بشارة المؤمن يُبشّر بها عند موته: إنّ الله عزّوجلّ قد غفر لك ولمن يحملك إلى قبرك. (العَرُوسيّ ٢: ٣٠٩)

ابن عبّاس: إنّ ﴿الْبُشْرٰى فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ هي قوله تعالى لنبيّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ بِاَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيْرًا﴾ الأحزاب: ٤٧. (الآلوسيّ ١١: ١٥١)

ابن مسعود: ذهبت النّبوّة، وبقيت المبشّرات. قيل: وما المبشّرات؟ قال: الرّؤيا الصّالحة، يراها الرّجل أو تُرى له.

نحوه ابن عبّاس ومُجاهد. (الطّبَريّ ١١: ١٣٧)

أبوهريرة: الرّؤيا الحسنة بُشرى من الله، وهي المبشّرات. (الطّبَريّ ١١: ١٣٥)

الضّحّاك: هو بشارة الملائكة إنّها الرّؤيا الصّادقة الصّالحة يراها الرّجل أو يُرى له.

مثله قَتادَة والزّهريّ والجُبّائيّ. (الطّوسيّ ٥: ٤٦٢)

يعلم أين هو قبل الموت. (الطّبَريّ ١١: ١٣٨)

الإمام الباقر عليه السلام: إنّما أحدكم حين تبلغ نفسه هاهنا فينزل عليه ملَك الموت، فيقول له: أمّا ماكنت ترجو فقد أُعطيته، وأمّا ماكنت تخافه فقد أمنت منه. ويُفتح له باب إلى منزله من الجنّة، ويقال له: انظر إلى مسكنك من الجنّة، وانظر هذا رسول الله صلّى الله عليه وآله، وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام رفقاؤك، وهو قول الله: ﴿اَلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَكَانُوْا يَتَّقُوْنَ * لَهُمُ الْبُشْرٰى فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْاٰخِرَةِ﴾. (العيّاشيّ ٢: ٢٨٠)

البُشرى في الدّنيا: الرّؤيا الصّالحة يراها المؤمن أو يُرى له في الآخرة، الجنّة. (الطّوسيّ ٥: ٤٦٢)

عَطاء: هي رُؤيا الرّجل المسلم يُبشّر بها في حياته. (الطّبَريّ ١١: ١٣٧)

﴿لَهُمُ الْبُشْرٰى فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ يعني عند الموت تأتيهم الملائكة بالرّحمة والبشارة من الله، وتأتي أعداء الله بالغلظة والفظاظة.

﴿وَفِي الْاٰخِرَةِ﴾ عند خروج نفس المؤمن يعرج بها إلى الله، كما تُزفّ العروس يُبشّر برضوان من الله، قال الله تعالى: ﴿اَلَّذِيْنَ تَتَوَفّٰيهُمُ الْمَلٰٓئِكَةُ طَيِّبِيْنَ﴾ النّحل: ٣٢. (المَيْبُديّ ٤: ٣١١)

قَتادَة: هي البشارة عند الموت في الحياة الدّنيا. (الطّبَريّ ١١: ١٣٨)

نحوه الزّهريّ. (الطّبْرِسيّ ٣: ١٢٠)

الإمام الصّادق عليه السلام: عن عليّ بن عقبة عن أبيه، قال: قال لي أبوعبدالله عليه السلام: ياعقبة لايقبل الله من العباد يوم القيامة إلّا هذا الأمر الّذي أنتم عليه، ومابين أحدكم وبين أن يرى ماتقرّ به عينه إلّا أن تبلغ نفسه إلى هذه، ثمّ أهوى بيده إلى الوريد ثمّ اتّكأ.

وكان معي المعلّى فغمزني أن أسأله، فقلت: يابن رسول الله، فإذا بلغَتْ نفسه هذه، أيّ شي يرى؟ فقلت له بضع عشرة مرّة: أيّ شيء؟ فقال في كلّها: يرى، ولايزيد عليها.

ثمّ جلس في آخرها، فقال: ياعقبة، فقلت: لبّيك وسَعْدَيك، فقال: أبَيْتَ إلّا أن تعلم؟ فقلت: نعم يابن رسول الله إنّما ديني مع دينك فإذا ذهب ديني كان ذلك، كيف لي بك يابن رسول الله كلّ ساعة؟ وبكيت فرَقّ لي، فقال: يراهما والله، فقلت: بأبي وأُمّي مَن هما؟ قال: ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله، وعليّ عليه السلام. ياعقبة لن تموت نفس

مؤمنة أبدًا حتّى تراهما، قلت: فإذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدّنيا؟ فقال: لا، يمضي أمامه. إذا نظر إليهما مضى أمامه.

فقلت له: يقولان شيئًا؟ قال: نعم يدخلان جميعًا على المؤمن، فيجلس رسول الله ﷺ عند رأسه وعليّ عليه السلام عند رجليه، فيكبّ عليه رسول الله ﷺ، فيقول: ياوليّ الله أبشر أنا رسول الله إنّي خير لك ممّا تركت من الدّنيا، ثمّ ينهض رسول الله ﷺ، فيقوم عليّ عليه السلام حتّى يكبّ عليه، فيقول: ياوليّ الله أبشر أنا عليّ بن أبي طالب الّذي كنتَ تُحبّه أمّا لأنفعنّك.

ثمّ قال: إنّ هذا في كتاب الله عزّوجلّ، قلت: أين جعلني الله فداك هذا من كتاب الله؟ قال في يونس قول الله عزّوجلّ هاهنا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَاتَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يونس: ٦٤.

(الكُلَينيّ ٣: ١٢٨)

وفي هذا المعنى روايات كثيرة فراجع التفاسير الرّوائيّة.

الفَرّاء: وذكر [الكِسائيّ] أنّ ﴿الْبُشْرَى فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾: الرُّؤيا الصّالحة يراها المسلم أو تُرى له، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: الجنّة. وقد يكون قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ مابشّرهم به في كتابه من موعوده، فقال: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ الكهف: ٢، في كثير من القرآن. (١: ٤٧١)

الطَّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في (الْبُشْرَى) الّتي بشّر الله بها هؤلاء القوم ماهي، وماصفتها؟

فقال بعضهم: هي الرُّؤية الصّالحة، يراها الرّجل المسلم، أو تُرى له، و(فِي الْآخِرَةِ): الجنّة.

وقال آخرون: هي بشارة يُبشّر بها المؤمن في الدُّنيا عند الموت.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصّواب أن يقال: إنّ الله تعالى ذكره أخبر أنّ لأوليائه المتّقين البُشرى في الحياة الدّنيا.

ومن البشارة في الحياة الدّنيا: الرّؤيا الصّالحة يراها المسلم، أو تُرى له، منها: بشرى الملائكة إيّاه عند خروج نفسه برحمة الله، كما روي عن النّبيّ ﷺ: «إنّ الملائكة الّتي تحضره عند خروج نفسه، تقول لنفسه: اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه».

ومنها: بشرى الله إيّاه ماوعده في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ من الثّواب الجزيل، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية.

وكلّ هذه المعاني من بُشرى الله إيّاه في الحياة الدّنيا، بشّره بها، ولم يخصّص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك ممّا عمّه جلّ ثناؤه أنّ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾.

وأمّا (فِي الْآخِرَةِ) فالجنّة. (١١: ١٣٣، ١٣٧)

الزّجّاج: جاء في أكثر التّفسير (الْبُشْرَى): الرّؤيا الصّالحة يراها المؤمن في منامه، (وَفِي الْآخِرَةِ): الجنّة، وهو ـ والله أعلم ـ أنّ (الْبُشْرَى) مابشّرهم الله به، وهو قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ التّوبة: ٢١، وهذا يدلّ عليه:

﴿لَاتَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾. (٣: ٢٦)

ابن كيسان: هي مابشّرهم الله في الدّنيا بالكتاب والرّسول أنّهم أولياء الله، ويبشّرهم في قبورهم وفي كتبهم الّتي فيها أعمالهم بالجنّة. (الميبديّ ٤: ٣١١)

الماورديّ: قوله عزّوجلّ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأٰخِرَةِ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أنّ ﴿الْبُشْرَى فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ هي البشارة عند الموت: بأن يعلم أين هو من قبل أن يموت، ﴿وَفِي الْأٰخِرَةِ﴾ الجنّة، قاله قتادة والضّحّاك. وروى عليّ بن أبي طالب، عن النّبيّ ﷺ، أنّه قال: «إنّ لخديجة بنت خويلد بيتًا من قصب لاصخب فيه ولانصب».

الثّاني: أنّ ﴿الْبُشْرَى فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾: الرّؤيا الصّالحة يراها الرّجل الصّالح أو ترى له، ﴿وَفِي الْأٰخِرَةِ﴾: الجنّة، روى ذلك عن رسول الله ﷺ أبوالدّرداء وأبوهريرة وعبادة بن الصّامت.

ويحتمل تأويلًا ثالثًا: أنّ ﴿الْبُشْرَى فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾: الثّناء الصّالح، ﴿وَفِي الْأٰخِرَةِ﴾: إعطاؤه كتابه بيمينه. (٢: ٤٤١)

الطّوسيّ: ذكر الله تعالى أنّ الّذين وصفهم في الآية الأُولى من أنّهم يؤمنون بالله ويتّقون معاصيه ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ وهي الخبر بما يظهر سروره في بشرة الوجه. والبشرى والبشارة واحدة. (٥: ٤٦٢)

الزّمخشريّ: البشرى في الدّنيا: مابشّر الله به المؤمنين المتّقين في غير مكان من كتابه. [إلى أن قال:]

وأمّا البشرى في الآخرة فتلقّي الملائكة إيّاهم مسلّمين مبشّرين بالفوز والكرامة، ومايرون من بياض وجوههم وإعطاء الصّحائف بأيمانهم، ومايقرؤون منها، وغير ذلك من البشارات. (٢: ٢٤٣)

ابن عطيّة: أمّا بشرى الآخرة، فهي بالجنّة قولًا واحدًا، وتلك هي الفضل الكبير الّذي في قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ الأحزاب: ٤٧.

وأمّا بشرى الدّنيا فتظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنّها الرّؤيا الصّالحة يراها المؤمن، أو ترى له. [إلى أن قال:]

ويصحّ أن تكون بشرى الدّنيا في القرآن من الآيات المبشّرات، ويقوى ذلك بقوله في هذه الآية: ﴿لَاتَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ يونس: ٦٤.

وإن كان ذلك كلّه يعارضه قول النّبيّ ﷺ: «هي الرّؤيا» إلّا أن قلنا: إنّ النّبيّ ﷺ أعطى مثالًا من البشرى، وهي تعمّ جميع النّاس. (٣: ١٢٩)

الفخرالرّازيّ: قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأٰخِرَةِ﴾ ففيه أقوال:

الأوّل: المراد منه الرّؤيا الصّالحة، عن النّبيّ ﷺ: أنّه قال: «البشرى هي الرّؤيا الصّالحة يراها المسلم أوترى له».

وعنه عليه الصّلاة والسّلام: «ذهبت النّبوّة وبقيت المبشّرات».

وعنه عليه الصّلاة والسّلام: «الرّؤيا الصّالحة من الله، والحلم من الشّيطان، فإذا حلم أحدكم حلمًا يخافه، فليتعوّذ منه، وليبصق عن شماله ثلاث مرّات، فإنّه لايضرّه».

وعنه ﷺ: «الرّؤيا الصّالحة جزء من ستّة وأربعين

جزءٌ من النّبوّة».

وعن ابن مسعود: الرّؤيا ثلاثة: الهمّ يهمّ به الرّجل من النّهار فيراه في اللّيل، وحضور الشّيطان، والرّؤيا الّتي هي الرّؤيا الصّادقة.

وعن إبراهيم: الرّؤيا ثلاثة: فالمبشّرة من الله جزء من سبعين جزءً من النّبوّة، والشّيء يهمّ به أحدكم بالنّهار فلعلّه يراه باللّيل، والتّخويف من الشّيطان. فإذا رأى أحدكم مايحزنه فليقل: أعوذ بما عاذت به ملائكة الله من شرّ رؤياي الّتي رأيتها أن تضرّني في دنياي أو في آخرتي.

واعلم أنّا إذا حملنا قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ على الرّؤيا الصّادقة، فظاهر هذا النّصّ يقتضي أن لاتحصل هذه الحالة إلّا لهم، والعقل أيضًا يدلّ عليه؛ وذلك لأنّ وليّ الله هو الّذي يكون مستغرق القلب والرّوح بذكر الله. ومن كان كذلك فهو عند النّوم لايبقى في روحه إلّا معرفة الله، ومن المعلوم أنّ معرفة الله ونور جلال الله لايفيده إلّا الحقّ والصّدق.

وأمّا من يكون متوزّع الفكر على أحوال هذا العالم الكدر المظلم، فإنّه إذا نام يبق كذلك فلاجرم لااعتماد على رؤياه، فلهذا السّبب قال: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ على سبيل الحصر والتّخصيص.

القول الثّاني: في تفسير (البُشْرى) أنّها عبارة عن محبّة النّاس له، وعن ذكرهم إيّاه بالثّناء الحسن. عن أبي ذرّ قال: قلت: يارسول الله إنّ الرّجل يعمل العمل لله ويُحبّه النّاس، فقال: «تلك عاجل بُشرى المؤمن». [إلى أن قال:]

والقول الثّالث في تفسير (البُشْرى): أنّها عبارة عن حصول البُشرى لهم عند الموت، قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ فصّلت: ٣٠.

وأمّا البُشرى في الآخرة فسلام الملائكة عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ الرّعد: ٢٤، ٢٥، وسلام الله عليهم كما قال: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ يس: ٥٨، ويندرج في هذا الباب ماذكره الله في هذا الكتاب الكريم من بياض وجوههم وإعطاء الصّحائف بأيمانهم، ومايلقون فيها من الأحوال السّارّة، فكلّ ذلك من المبشّرات.

والقول الرّابع: إنّ ذلك عبارة عمّا بشّر الله عباده المتّقين في كتابه، وعلى ألسنة أنبيائه من جنّته وكريم ثوابه، ودليله قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾.

واعلم أنّ لفظ «البشارة» مشتقّ من خبر سارّ، يظهر أثره في بشرة الوجه، فكلّ ماكان كذلك دخل في هذه الآية، ومجموع الأُمور المذكورة مشتركة في هذه الصّفة، فيكون الكلّ داخلًا فيه، فكلّ مايتعلّق من هذه الوجوه بالدّنيا فهو داخل تحت قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ وكلّ مايتعلّق بالآخرة فهو داخل تحت قوله: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾. (١٧: ١٢٧)

أبوالسّعود: وقوله عزّوجلّ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ تفسيرًا لتولّيه تعالى إيّاهم، ولا ريب في أنّ اعتبار القيد الأخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثّبات عليها

وبشارتهم بآثارها ونتائجها مخلّ بذلك إذ التّحصيل إنّما يتعلّق بالمقدور والاستبشار لايحصل إلّا بما عُلم بوجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتّى يحصّلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله حتّى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التّولّي بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان الموضوع ثمّ الإخبار بعدم الخوف والحزن ممّا لايليق بشأن التّنزيل الجليل، فالّذي يقتضيه نظمُه الكريم أنّ الأوّل تفسير للأولياء حسبما شرح والثّاني بيانٌ لما أولاهم من خيرات الدّارين بعد بيان إنجائهم من شرورها ومكارهها، والجملة مستأنفة كما سبق كأنّه قيل: هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة؟ فقيل لهم مايسرّهم في الدّارين، وتقديم الأوّل لما أنّ التّخلية سابقة على التّحلية مع مافيه من مراعاة حقّ المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين، وتعجيل إدخال المسرّة بتبشير الخلاص عن الأهوال وتوسيط البيان السّابق بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لإظهار كمال العناية بتفسير الأولياء مع الإيذان بأنّ انتفاء الخوف والحزن لاتّقائهم عمّا يؤدّي إليهما من الأسباب، والبُشرى مصدرٌ أُريد به المبشَّر به من الخيرات العاجلة كالنّصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنيّة عن البيان، وإيثارُ الإبهام والإجمال للإيذان بكونه وراءَ البيان والتّفصيل، والظّرفان في موقع الحال منه والعامل مافي الخبر من معنى الاستقرار أي لهم البُشرى حال كونها في الحياة الدّنيا وحال كونها في الآخرة أي عاجلة وآجلة، أو من الضّمير المجرور أي حال كونهم في الحياة إلخ. ومن البُشرى العاجلة: الثّناء الحسَنُ والذّكرُ الجميل ومحبّة النّاس.

عن أبي ذرّ رضي الله عنه قلت: يارسول الله الرّجل يعمل العمل لله ويحبّه النّاس فقال ﷺ: «تلك عاجلُ بُشرى المؤمنين» هذا وقيل: البُشرى مصدرٌ والظّرفان متعلّقان به.

أمّا البُشرى في الدّنيا فهي البشارات الواقعة للمؤمنين المتّقين في غير موضع من الكتاب المبين. وعن النّبيّ ﷺ: «هي الرّؤيا الصّالحة يراها المؤمن أو تُرى له» وعنه عليه الصّلاة والسّلام: «ذهبت النّبوّة وبقيت المبشّرات» وعن عطاء: لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرّحمة قال الله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَٰئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ فصّلت: ٣٠.

وأمّا البُشرى في الآخرة فتلقّي الملائكة إيّاهم مسلمين مبشّرين بالفوز والكرامة ومايرون من بياض وجوههم وإعطاء الصّحائف بأيمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها، ولا يخفى أنّ صرف البشارة النّاجزة عن المقاصد بالذّات إلى وسائلها ممّا لايساعده جلالة شأن التّنزيل الكريم ﴿لَاتَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ لا تغيير لأقواله الّتي من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتّقين فتدخل فيها البشارات الواردة هاهنا دخولاً أوّليًا ويثبت امتناع الإخلاف فيها ثبوتًا قطعيًا، وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرّؤيا الصّالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى

ليس عدم الخُلف بينها وبين نتائجها الدّنيويّة والأُخرويّة بل عدم الخُلف بينها وبين مادلّ على ثبوتها ووقوعها فيما سيأتي بطريق الوعد من قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرٰى﴾ فتدبّر. (ذٰلِكَ) إشارة إلى ماذكر من أنّ لهم البشرى في الدّارين ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الّذي لافوز وراءه وفيه تفسير فيما سبق، وهاتيك الجملة والّتي قبلها اعتراضٌ لتحقيق المبشّر وتعظيمُ شأنه، وليس من شرطه أن يكون بعده كلام متّصل بما قبله، أو هذه تذييلٌ والسّابقة اعتراضٌ. (٣: ٢٥٦)

البُرُوسَويّ: [قال مثل أبي السّعود وأضاف:]

وقيل: (البشرى) مصدر، والظّرفان متعلّقان به. أمّا «البشرى في الدّنيا» فهي البشارات الواقعة للمؤمنين المتّقين، في غير موضع من الكتاب المبين.

وعن النّبيّ ﷺ: «هي الرّؤيا الصّالحة يراها المؤمن أو تُرى له» أي يراها مسلم لأجل مسلم آخر. ولايخفى أنّ كون الرّؤيا الصّالحة مبشّرة للمؤمن يمنع أن تكون بنبوّة، فتكون بوجه آخر من صلاح وتنبيه غفلة وفرح وغيرها، كما في «شرح المشارق» لابن الملك.

وهذه البشارة لاتحصل إلّا لأولياء الله، لأنّهم مستغرقوا القلب والرّوح في ذكر الله ومعرفة الله، فنامهم كاليقظة لايفيد إلّا الحقّ واليقين. وأمّا من يكون متوزّع الخاطر على أحوال هذا العالم الكدر المظلم، فإنّه لااعتماد على رؤياه.

وفي «التّأويلات النّجميّة»: لهم المبشّرات الّتي هي تلو النّبوّة من الوقائع الّتي يرون بين النّوم واليقظة والإلهامات والكشوف، وما يَرِدُ عليهم من المواهب والمشاهدات، كما قال ﷺ: «لم يبق من النّبوّة إلّا المبشّرات» انتهى.

وفي الحديث: «الرّؤيا الصّادقة من الرّجل الصّالح جزء من ستّة وأربعين جزءً من النّبوّة». ومعناه أنّ النّبيّ ﷺ حين بُعث أقام بمكّة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين، فمدّة الوحي إليه في اليقظة ثلاث وعشرون سنة، ومدّة الوحي في المنام ستّة أشهر من ثلاثٍ وعشرين سنة، فهي جزء من ستّة وأربعين جزءً. وإنّما ابتدئ رسول الله بالرّؤيا لئلّا يفجأه الملك بالرّسالة فلاتتحمّلها القوى البشريّة، فكانت الرّؤيا تأنيسًا له.

وقال بعضهم: ﴿لَهُمُ الْبُشْرٰى﴾ عند الموت، تأتيهم الملائكة بالرّحمة.

وأمّا البُشرى في الآخرة فتلقّي الملائكة إيّاهم مسلمين مبشّرين بالفوز والكرامة، ومايرون من بياض وجوههم، وإعطاء الصّحف بأيمانهم، ومايقرؤون منها، وغير ذلك من البشارات في كلّ موطن من المواطن الأُخرويّة، فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها.

وفي «التّأويلات النّجميّة»: بُشراهم في الآخرة بكشف القناع عن جمال العزّة، عند سطوات نور القدم، وزهق ظلمة الحدوث، وبلقاء الحقّ رحمة منه، كما قال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ﴾ التّوبة: ٢١. (٤: ٦٠)

الآلوسيّ: [وبعد نقل أقوال المفسّرين قال:]

فالأولى أن يُحمل «البُشرى في الدّارين» على البشارة بما يحقّق نفي الخوف والحزن كائنًا ماكان، ويرشد إلى ذلك السّياق؛ ومن أجل ذلك بُشرى الملائكة لهم

بذلك وقتًا فوقتًا حتّى يدخلوا الجنّة.

وقد نطق الكتاب العزيز في غير موضع بهذه البُشرى من الله تعالى علينا، بها برحمته وكرمه ﴿لَاتَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ أي لاتغيير لأقواله الّتي من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتّقين، فيدخل فيها البشارات الواردة هاهنا دخولاً أوّليًّا، ويثبت امتناع الخلاف فيها لطفًا وكرمًا ثبوتًا قطعيًّا.

وأُريد من عدم تبديل كلماته سبحانه، على تقدير أن يراد من البُشرى: الرّؤيا الصّالحة، عدم الخُلف بينها وبين مادلّ على ثبوتها ووقوعها ـ فيما سيأتي ـ بطريق الوعد، من قوله تبارك اسمه: ﴿لَهُمُ الْبُشْرٰى﴾ لاعدم الخلف بينها وبين نتائجها الدّنيويّة والأُخرويّة.

ولم يظهر لي وجهه بعد التّدبّر، والمشهور أنّ «الرّؤيا الصّالحة» لايتخلّف ماتدلّ عليه، وقد جاء من حديث الحكيم التّرمذيّ وغيره، عن عُبادة رضي الله تعالى عنه أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال له: في الرّؤيا الصّالحة كلام يكلّم به ربّك عبدَه في المنام. (١١: ١٥٢)

رشيد رضا: البُشرى: الخبر السّارّ الّذي تنبسط به بشرة الوجه فيتهلّل، وتبرق أساريره. وهذه البُشرى مبيّنة في مواضع من كتاب الله تعالى، وقد يراد بها متعلّقها الّذي يبشّرون به، ولم يُذكر هنا ليشمل كلّ مابُشّروا به في كتاب الله تعالى، وعلى لسان رسوله ﷺ.

فأمّا ﴿الْبُشْرٰى فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ فأهمّها البشارة بالنّصر، وبحسن العاقبة في كلّ أمر، وباستخلافهم في الأرض، ماأقاموا شرع الله وسننه، ونصروا دينه، وأعلوا كلمته.

وأمّا ﴿فِي الْاٰخِرَةِ﴾ فمن أكملها وأجمعها لمعاني الآية لأكملهم قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلٰئِكَةُ اَلَّا تَخَافُوا وَلَاتَحْزَنُوا وَاَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ اَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْاٰخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَاتَشْتَهِي اَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَاتَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ فصّلت: ٣٠ ـ ٣٢.

المشهور في تنزّل الملائكة عليهم أنّه يكون عند البعث، وكذا عند الموت، ولامانع من شموله لما في الدّنيا من تثبيت قلوبهم، وتقوية إلهام الحقّ والخير فيهم، كما قال تعالى في الملائكة الّذين أمدّ بهم أصحاب رسوله ﷺ في غزوة بدر ﴿وَمَاجَعَلَهُ اللهُ اِلَّا بُشْرٰى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ الأنفال: ١٠. (١١: ٤١٧)

الطَّباطَبائيّ: يبشّرهم الله تعالى بشارة إجماليّة، بما تقرّ به أعينهم.

فإن كان قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرٰى﴾ إنشاء للبشارة، كان معناه وقوع مابشّر به في الدّنيا وفي الآخرة كلتيهما، وإن كان إخبارًا بأنّ الله سيبشّرهم بُشرى، كانت البشارة واقعة في الدّنيا وفي الآخرة.

وأمّا المُبشَّر به فهل يقع في الآخرة فقط أو في الدّنيا والآخرة معًا؟ الآية ساكتة عن ذلك.

وقد وقع في كلامه تعالى بشارات للمؤمنين بما ينطبق على أوليائه تعالى، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الرّوم: ٤٧، وقوله: ﴿اِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ اٰمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْاَشْهَادُ﴾ المؤمن: ٥١، وقوله: ﴿بُشْرٰيكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الحديد: ١٢، إلى غير ذلك.

(١٠: ٩٣)

عبد الكريم الخطيب: والبّشريات الّتي يُبشَّر بها أولياء الله في الدّنيا كثيرة:

منها: ذكرهم في النّاس، بالكلمة الطّيّبة تقال فيهم: لحسن سيرتهم، واستقامة طريقهم، وحفظ جوارحهم من المحارم والمظالم؛ إذ لاشكّ أنّ رضا النّاس عن إنسان، وحسن ظنّهم به، هو دليل على أنّه من أهل الخير والتّوفيق، وأنّه على طريق الاستقامة والتّقوى.

ومنها: مايملأ الله به قلوبهم من رضًا وسكينة، في السّرّاء والضّرّاء على السّواء، بل إنّ كثيرًا منهم ليجد فيما يبتليه الله به من ضُرّ، هو أمانة عنده لله، وأنّ أداء هذه الأمانة لله هو الصّبر عليها، والرّضا بها، وأنّ الضّجر بالبلاء، والجزع منه، هو خيانة لتلك الأمانة.

ومن البشريات الّتي يُبشَّر بها أولياء الله في الدّنيا، أنّهم حين يُشرفون على الموت، لايجدون له مايجد غيرهم من كرب وجزع، بل يستقبلونه في غبطة ورضًا؛ وذلك لما يرون في ساعة الاحتضار ممّا هم عند الله من فضل وإحسان، وهذا مايشهد له قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلٰئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَاتَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَاتَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَاتَدَّعُونَ﴾ فصّلت: ٣٠، ٣١.

وأمّا بُشريات أولياء الله في الآخرة فكثيرة، تبدأ من مغادرتهم هذه الدّنيا إلى يوم القيامة ومابعد يوم القيامة، وهم في روضات الجنّات يُحبَرون. ففي كلّ مرحلة من مراحل هذه الرّحلة المسعدة، تَطّلع عليهم البّشريات الّتي تزفّهم إلى الجنّة، كما تُزَفّ العروس في موكب من الفرح والبهجة. وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعٰى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرٰيكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الحديد: ١٢. (٦: ١٠٤١)

٤ـ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرٰهِيمَ بِالْبُشْرٰى قَالُوا سَلَامًا... هود: ٦٩

عِكْرِمَة: بشّروه بنبوّته. (الماوَرْديّ ٢: ٤٨٢)

الحَسَن: بإسحاق. (الماوَرْديّ ٢: ٤٨٢)

مثله السُّدّيّ والجُبّائيّ. (الطَّبْرِسيّ ٣: ١٧٩)

بأنّ الله تعالى يهب له إسحاق ولدًا، ويجعله رسولًا إلى عباده. (الطُّوسيّ ٦: ٢٦)

الإمام الباقرﷺ: إنّ هذه البشارة كانت بإسماعيل. (الطَّبْرِسيّ ٣: ١٧٩)

قَتادَة: بشّروه بهلاك قوم لوط.

(الماوَرْديّ ٢: ٤٨٢)

الطَّبَريّ: واختلفوا في تلك البشارة الّتي أتوه بها، فقال بعضهم: هي البشارة بإسحاق، وقال بعضهم: هي البشارة بهلاك قوم لوط. (١٢: ٦٨)

الماوَرْديّ: بشّروه بإخراج محمّد ﷺ من صُلبه، وأنّه خاتم الأنبياء. (٢: ٤٨٢)

الزَّمَخْشَريّ: هي البشارة بالولد، وقيل: بهلاك

قوم لوط، والظّاهر الولد. (٢: ٢٨٠)

الفَخْرالرّازيّ: اختلفوا في المراد (بِالْبُشْرٰى) على وجهين:

الأوّل: أنّ المراد مابشّره الله بعد ذلك بقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحٰقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحٰقَ يَعْقُوبَ﴾ هود: ٧١.

الثّاني: أنّ المراد منه أنّه بُشّر إبراهيم عليه السلام بسلامة لوط وبإهلاك قومه. (١٨: ٢٣)

القُرطُبيّ: قيل: بالولد، وقيل: بإهلاك قوم لوط، وقيل: بشّروه بأنّهم رسل الله عزّوجلّ، وأنّه لاخوف عليه. (٩: ٦٢)

أبوالسُّعود: أي ملتبسين بها، قيل: هي مطلق البُشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة، لقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحٰقَ﴾ هود: ٧١، وقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ الصّافّات: ١٠١، وقوله: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ الذّاريات: ٢٨.

وللبشارة بعدم لحوق الضّرر به، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرٰى﴾ هود: ٧٤، لظهور تفرّع المجادلة على مجيئها، كما سيأتي. وقيل: هي البشارة بهلاك قوم لوط، ويأباه مجادلته عليه السلام في شأنهم.

والأظهر أنّها البشارة بالولد، وستعرف سرّ تفرّع المجادلة على ذلك، ولمّا كان الإخبار بمجيئهم بالبُشرى مظنّة لسؤال السّامع بأنّهم ماقالوا، أُجيب بأنّهم ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾. (٣: ٣٣٢)

مثله الآلوسيّ. (١٢: ٩٣)

البُرُوسَويّ: أي ملتبسين بالبشارة بالولد من سارة، بدليل ذكره في سور أخرى، ولأنّه أطلق (البُشْرٰى) هنا وقيّد في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحٰقَ﴾ هود: ٧١، والمطلق محمول على المقيّد. (٤: ١٦١)

الطَّباطَبائيّ: والبُشرى الّتي جاءت بها الرّسل إبراهيم عليه السلام، لم يُذكر بلفظها في القصّة، والّتي ذكرت فيها منها هي البشارة لامرأته، وإنّما ذكرت بشارة إبراهيم نفسه في غير هذا المورد كسُورتي الحجر والذّاريات، ولم يصرّح فيهما باسم من بُشّر به إبراهيم أهو إسحاق أم إسماعيل عليهما السلام، أو أنّهم بشّروه بكليهما؟ وظاهر سياق القصّة في هذه السّورة أنّها البشارة بإسحاق، وسيأتي البحث المستوفى عن ذلك في آخر القصّة. [فراجع] (١٠: ٣٢٠)

عبد الكريم الخطيب: والبُشرى الّتي جاءوه بها، هي مابُشّر به من الولد، بعد أن بلغ من الكبر عِتيًّا، ويمكن أن تكون (البُشْرٰى) ماحمله الملائكة إليه من أمر ربّه بهلاك قوم لوط؛ إذ لاشكّ أنّ في هذا انتصارًا للحقّ، وخِزْيًا وخذلانًا لأهل الضّلال والزّيغ؛ وذلك ممّا يفرح له المؤمنون، وتنشرح به صدورهم ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ﴾ الرّوم: ٤. (٦: ١١٦٩)

٥ ـ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرٰى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾. هود: ٧٤

قَتادَة: جاءته البُشرى بإسحاق. (الطّبَريّ ١٢: ٧٧)

حين أخبروه أنّهم أُرسلوا إلى قوم لوط، وأنّهم

ليسوا إيّاه يريدون. (الطَّبَريّ ١٢: ٧٧)

ابن إسحاق: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرٰى﴾ بإسحاق، ويعقوب ولد من صُلب إسحاق، وأمِنَ ممّا كان يخاف، قال: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ...﴾ ابراهيم: ٣٩.

(الطَّبَريّ ١٢: ٧٧)

نحوه القُرطُبيّ. (٩: ٧٢)

الطُّوسيّ: بالولد. (٦: ٣٥)

مثله الطَّبْرِسيّ (٣: ١٨٠)، وأبوحَيّان (٥: ٢٤٥).

البُرُوسَويّ: بنجاة قومه، كما ﴿قَالُوا لَاتَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا اِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ هود: ٧٠، أو بالولد إسحاق، كما قال: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحٰقَ﴾ هود: ٧١، وإبراهيم أصل في التّبشير، كما قال في سورة أُخرى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ الصّافّات: ١٠١. (٤: ١٦٤)

٦ـ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلٰى دَلْوَهُ قَالَ يَابُشْرٰى هٰذَا غُلَامٌ. يوسف: ١٩

قَتادَة: بشّرهم (وَارِدَهُمْ) حين وجد يوسف.

(الطَّبَريّ ١٢: ١٦٧)

فتشبّث الغلام بالدّلو، فلمّا خرج قال: ﴿يَابُشْرٰى هٰذَا غُلَامٌ﴾. (الطَّبَريّ ١٢: ١٦٧)

السُّدّيّ: نادى رجلًا من أصحابه يقال له: بُشرى.

(الطَّبَريّ ١٢: ١٦٧)

اسم الغلام بُشرى، قال: يابشرى، كما تقول: يازيد. (الطَّبَريّ ١٢: ١٦٧)

الفَرّاء: و(يَابُشْرايَ) بنصب الياء، وهي لغة في بعض قيس. وهُذيل: (يَابُشْرَيَّ). كلّ ألف أضافها المتكلّم إلى نفسه جَعَلتها ياءً مشدّدة.

ومن قرأ (يَابُشْرَيْ) بالسّكون فهو كقولك: يابُنَيْ لاتفعل، يكون مفردًا في معنى الإضافة. والعرب تقول: يانفسُ اصْبِري ويانفسِ اصْبِري، وهو يعني نفسَه في الوجهين، و(يَا بُشْرايَ) في موضع نصب. ومن قال: (يَا بُشْرَيَّ) فأضاف وغيّر الألف إلى الياء، فإنّه طلب الكسرة الّتي تلزم ماقبل الياء من المتكلّم في كلّ حال، ألاترى أنّك تقول: هذا غلامي، فتخفض الميم في كلّ جهات الإعراب، فحطّوها إذا أُضيفت إلى المتكلّم، ولم يحطّوها عند غير الياء، في قولك: هذا غلامك وغلامه، لأنّ (يَابُشْرٰى) من البشارة، والإعراب يتبيّن عند كلّ مكنيّ إلّا عند الياء. (٢: ٣٩)

الطَّبَريّ: واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل المدينة (يَابُشْرَيَّ) بإثبات ياء الإضافة، غير أنّه أدغم الألف في الياء طلبًا للكسرة الّتي تلزم ماقبل ياء الإضافة من المتكلّم، في قولهم: غلامي وجارِيتي، في كلّ حال، وذلك في لغة طيّ.

وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفيّين (يَابُشْرٰى) بإرسال الياء وترك الإضافة.

وإذا قرئ ذلك كذلك احتمل وجهين من التّأويل:

أحدهما: ماقاله السُّدّيّ، وهو أن يكون اسم رجل دعاه المُستقي باسمه، كما يقال: يازيد، وياعمرو، فيكون (بُشْرٰى) في موضع رفع بالنّداء.

والآخر: أن يكون أراد إضافة البُشرى إلى نفسه، فحذف الياء وهو يريدها، فيكون مفردًا، وفيه نيّة

الإضافة، كما تفعل العرب في النّداء، فتقول: يانفسُ اصبري، ويانفسي اصبري، ويابُنيّ لاتفعل، ويابُنيَّ لاتفعل، فتفرد وترفع، وفيه نيّة الإضافة، وتضيف أحيانًا فتكسر، كما تقول: ياغلامِ أقبِل، وياغلامي أقبِل.

وأعْجبُ القراءة في ذلك إليّ قراءة من قرأه بإرسال الياء وتسكينها، لأنّه إن كان اسم رجل بعينه، كان معروفًا فيهم، كما قال السُّدّيّ، فذلك هي القراءة الصّحيحة لاشكّ فيها، وإن كان من التّبشير فإنّه يحتمل ذلك إذا قرئ كذلك على مابيّنت.

وأمّا التّشديد والإضافة في الياء فقراءة شاذّة، لاأرى القراءة بها ـ وإن كانت لغة معروفة ـ لإجماع الحجّة من القرّاء على خلافها. (١٢: ١٦٧)

الزّجّاج: [قال مثل الفرّاء وأضاف:]

ومعنى النّداء في هذه الأشياء الّتي لاتُجيب ولاتعقل إنّما هو على تنبيه المخاطبين، وتوكيد القصّة، إذا قلتَ ياعجباه، فكأنّك قلتَ: أعجبوا، ويا أيّها العَجَبُ هذا من حينك. وكذلك إذا قال: يابشراي، فكأنّه قال: أبشروا، وكأنّه قال: ياأيّتها البُشرى هذا من إبّانك وأوانك. (٣: ٩٧)

أبو زُرْعَة: قرأ عاصم وحمزة والكِسائيّ: (يَابُشْرٰى) بترك الإضافة، فيها وجهان: [وذكرهما كما تقدّم عن الطّبريّ]

وقرأ الباقون: (يَابُشْرايَ) بإثبات ياء الإضافة وفتحها، أضاف (البُشرى) إلى نفسه. وإنّما فتحوا الياء على أصلها لئلّا يلتقي ساكنان، فجرت مجرى «عصايَ». و(بُشرايَ) في موضع نصب، كما تقول: ياغلامَ زيدٍ. (٣٥٧)

الطُّوسيّ: قرأ أهل الكوفة (يابُشري) بغير ألف، الباقون بالألف والياء. وكان يجوز أن يقرأ بياء مشدّدة (بُشريّ) وهي لغة هذيل، غير أنّه لم يقرأ به أحد.

قال أبوعليّ: من قرأ (يَابُشْرايَ) فأضافه إلى الياء الّتي للمتكلّم، كأنّ للألف الّتي هي حرف الإعراب موضعان من الإعراب: أحدهما: أن تكون في موضع نصب لأنّه منادى مضاف، والآخر: أن تكون في موضع كسر، لأنّه بمنزلة حرف الإعراب في غلامي.

ومن قرأ (يَابُشْرٰى) احتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون في ضمّ، مثل يارجلُ بالنّداء، لاختصاصه كاختصاص الرّجل، والآخر: أن يكون في موضع النّصب لأنّك أشبعت النّداء ولم تخصّ به، كما فعلت في الوجه الأوّل. (٦: ١١٣)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٣: ٢١٨)

الزَّمَخْشَريّ: نادى البشرى، كأنّه يقول تعالى: فهذا من آونتك. وقرئ (يَابُشْرايَ) على إضافتها إلى نفسه.

وفي قراءة الحسن وغيره (يَابُشريّ) بالياء مكان الألف، جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الإضافة، وهي لغة للعرب مشهورة، سمعت أهل السّروات يقولون في دعائهم: ياسيّدي ومولىّ.

وعن نافع (يَابُشْرايْ) بالسّكون، وليس بالوجه، لما فيه من التقاء السّاكنين على غير حدّه، إلّا أن يقصد الوقف. (٢: ٣٠٨)

نحوه أبوالسُّعود (٣: ٣٧٤)، والبُرُوسَويّ (٤: ٢٢٨).

ابن عَطيّة: قرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وابن عامر (يَابُشْرايَ) بإضافة البُشرى إلى المتكلّم، وبفتح الياء على ندائها، كأنّه يقول: احضري فهذا وقتك، وهذا نحو قوله: ﴿يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ يس: ٣٠.

وروى وَرْش عن نافع (يَابُشْرايْ) بسكون الياء. قال أبوعليّ: وفيها جمع بين ساكنين على حدّ: دابّة وشابّة، ووجه ذلك أنّه يجوز أن تختصّ بها الألف لزيادة المدّ الّذي فيها على المدّ الّذي في أُختيها، كما اختصّت في القوافي بالتّأسيس، واختصّت في تخفيف الهمزة نحو هبأة، وليس شيء من ذلك في الياء والواو.

وقرأ أبوالطُّفيل والجحدريّ وابن أبي إسحاق والحسن (يَابُشْرِيَّ) تقلب الألف ياء، ثمّ تدغم في ياء الإضافة، وهي لغة فاشية.

وقرأ حمزة والكِسائيّ (يَابُشْرِي) ويميلان ولايضيفان. وقرأ عاصم كذلك إلّا أنّه يفتح الرّاء ولايميل.

واختُلِف في تأويل هذه القراءة، فقال السُّدّيّ: كان في أصحاب هذا الوارد رجل اسمه بُشرى، فناداه وأعلمه بالغلام، وقيل: هو على نداء البشرى، كما قدّمنا.

(٣: ٢٢٨)

أبوالبَرَكات: قُرئ (يَابشْرايَ) بتشديد الياء، و(يَابُشْرَى) بغير ياء.

فمن قرأ: (يَابُشْرايَ) كان منادًى مضافًا، وكذلك قراءة من قرأ: (بُشْرَيَّ) بتشديد الياء، لأنّ أصله: (يَابُشْرايَ) إلّا أنّه لمّا كانت ياء الإضافة لايكون ماقبلها إلّا مكسورًا قلبت الألف ياء، وأُدغمت الياء في الياء، ومثله قراءة من قرأ: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَيَّ)، في هُدايَ، وذُكر أنّها قراءة النّبيّ ﷺ.

ومن قرأ: (يَابُشْرى) بغير ياء، كان منادًى مفردًا، كأنّه جعل (بُشْرَى) اسم المنادى، نحو قولك: يازيدُ. ويجوز أن يكون نادى البُشرى، كأنّه قال: ياأيّتها البُشرى.

والبشرى صفة «أيّة» فحذف الموصوف، و«ها» الّتي للتّنبيه، والألف واللّام من الصّفة، فصار (يَابُشْرَى) وكذلك، يا «سكرى» وتقديره: ياأيّتها السّكرى، ففعل به ماذكرنا. وكذلك تقول: يارجل، وأصله: ياأيّها الرّجل، فتحذف «أيّ» الموصوف، و«ها» الّتي للتّنبيه، والألف واللّام، فيبقى يارجل.

وهذه المحذوف لايجوز حذف النّداء من هذا النّحو، فإنّك لو قلت: بُشرى في «يَابُشْرَى»، وسَكْرى في «ياسكرى» ورجل في «يارَجُلُ»، لم يجز، لما فيه من الإفراط في الحذف، وكان هو أولى بالتّبقية لما فيه من الدّلالة على غيره من المحذوف، وليس في غيره مايدلّ على حذفه، وكأنّه قال: ياأيّتها البُشرى، هذا أوانُك.

(٢: ٣٦)

الفَخْرالرّازيّ: في قوله: (يَابُشْرَى) قولان:

القول الأوّل: أنّها كلمة تذكر عند البشارة، ونظيره قولهم: ياعجبا من كذا، وقوله: ﴿يَاأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ يوسف: ٨٤، وعلى هذا القول في تفسير النّداء وجهان:

الأوّل: قال الزّجّاج: معنى النّداء في هذه الأشياء

الّتي لاتجيب تنبيه المخاطبين وتوكيد القصّة، فإذا قلت: ياعجباه، فكأنّك قلت: أعجبوا.

الثّاني: قال أبوعليّ: كأنّه يقول: ياأيّتها البُشرى هذا الوقت وقتك، ولو كنت ممّن يخاطب لخوطبت الآن، ولأمرت بالحضور.

واعلم أنّ سبب البشارة هو أنّهم وجدوا غلامًا في غاية الحُسن، وقالوا: نبيعه بثمن عظيم، ويصير ذلك سببًا لحصول الغنى.

والقول الثّاني: وهو الّذي ذكره السُّدّيّ أنّ الّذي نادى صاحبه وكان اسمه، فقال: يابُشرى، كما تقول: يازيد. وعن الأعمش أنّه قال: دعا امرأة اسمها بُشرى (يابُشرى).

قال أبوعليّ الفارسيّ: إن جعلنا (البُشرى) اسمًا للبشارة ـ وهو الوجه ـ جاز أن يكون في محلّ الرّفع، كما قيل: يارجل، لاختصاصه بالنّداء، وجاز أن يكون في موضع النّصب على تقدير: أنّه جعل ذلك النّداء شائعًا في جنس البُشرى، ولم يخصّ، كما تقول: يارجلًا و﴿يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ يس: ٣٠. (١٨: ١٠٥)

القُرطُبيّ: (يَابُشْرَايَ هٰذَا غُلَامٌ) هذه قراءة أهل المدينة وأهل البصرة، إلّا ابن أبي إسحاق فإنّه قرأ (يَابُشْرَيَّ هٰذَا غُلَامٌ) فقلب الألف ياءً، لأنّ هذه الياء يُكسر ماقبلها، فلمّا لم يجز كسر الألف كان قلبها عوضًا.

وقرأ أهل الكوفة (يَابُشْرَى) غير مضاف، وفي معناه قولان:

أحدهما: اسم الغلام، والثّاني: معناه ياأيّتها البُشرى هذا حينك وأوانك.

قال قَتادَة والسُّدّيّ: لمّا أدلى المدلي دَلوه تعلّق بها يوسف، فقال: ﴿يَابُشْرَى هٰذَا غُلَامٌ﴾.

قال قَتادَة: بشّر أصحابه بأنّه وجد عبدًا، وقال السُّدّيّ: نادى رجلًا اسمه (بُشرى).

قال النّحّاس: قول قَتادَة أولى، لأنّه لم يأت في القرآن تسمية أحد إلّا يسيرًا، وإنّما يأتي بالكناية، كما قال عزّوجلّ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ الفرقان: ٢٧، وهو عقبة بن أبي معيط، وبعده ﴿يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ الفرقان: ٢٨، وهو أُميّة بن خلف، قاله النّحّاس.

والمعنى في نداء البشرى: التّبشير لمن حضر، وهو أوكد من قولك: تبشّرت، كما تقول: ياعجباه، أي ياعجب هذا من أيّامك ومن آياتك، فاحضر، وهذا مذهب سيبَوَيه، وكذا قال السّهيليّ.

وقيل: هو كما تقول: واسروراه. وأنّ «البُشرى» مصدر من الاستبشار، وهذا أصحّ، لأنّه لو كان اسمًا علمًا لم يكن مضافًا إلى ضمير المتكلّم، وعلى هذا يكون (بُشرايَ) في موضع نصب، لأنّه نداء مضاف، ومعنى النّداء هاهنا التّنبيه، أي انتبهوا لفرحتي وسروري.

وعلى قول السُّدّيّ يكون في موضع رفع، كما تقول: يازيدُ هذا غلام. ويجوز أن يكون محلّه نصبًا، كقولك: يارجلًا، وقوله: ﴿يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ يس: ٣٠. ولكنّه لم ينوّن (بُشرَى) لأنّه لاينصرف. (٩: ١٥٣)

الآلوسيّ: نادى «البُشرى» بشارة لنفسه أو لقومه ورفقته، كأنّه نزّلها منزلة شخص فناداه، فهو استعارة مكنيّة وتخييليّة، أي يابُشرى تعالي، فهذا أوان

حضورك.

وقيل: المنادى محذوف، كما في ليت، أي ياقومي انظروا واسمعوا بشراي، وقيل: إنّ هذه الكلمة تستعمل للتبشير، من غير قصد إلى النّداء.

وزعم بعضهم: أنّ (بُشْرَى) اسم صاحب له، ناداه ليُعينه على إخراجه، وروي هذا عن السُّدّيّ ـ وليس بذاك ـ وقرأ غير الكوفيّين (يابُشْرايَ) بالإضافة، وأمال فتحة الرّاء حمزة والكِسائيّ، وقرأ وَرْش بين اللّفظين.

وروي عن نافع أنّه قرأ (يابُشْرايْ) بسكون ياء الإضافة، ويلزمه التقاء السّاكنين على غير حدّه، واعتذر بأنّه أجرى الوصل مجرى الوقف، ونظائر ذلك كثيرة في القرآن وغيره. وقيل: جاز ذلك، لأنّ الألف لمدّها تقوم مقام الحركة.

وقرأ أبوالطّفيل والحسن وابن أبي إسحاق والجحدريّ (يَابُشْرَيّ) بقلب الألف ياءً وإدغامها في الإضافة وهي لغة لهذيل، ولناسٍ غيرهم. [إلى أن قال:]

والظّاهر أنّ قول الوارد ﴿يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ كان عند رؤيته، وقيل: إنّه حين وروده على أصحابه صاح بذلك. (١٢: ٢٠٣)

الطّباطَبائيّ: إيراده بالفصل ـ مع أنّه متفرّع ـ وقوعًا على إدلاء الدّلو، للدّلالة على أنّه كان أمرًا غير مترقّب الوقوع. فإنّ الّذي يترقّب وقوعه عن الإدلاء هو خروج الماء دون الحصول على غلام، فكان مفاجئًا لهم، ولذا قال: ﴿قَالَ يَابُشْرَى﴾.

ونداء البُشرى كنداء الأسف والويل ونظائرها، للدّلالة على حضوره وجلاء ظهوره. (١١: ١٠٦)

المُصْطَفَويّ: ﴿قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ يوسف: ١٩، المنادى محذوف، وهو مَن حضر عنده من قومه أو من غيرهم. و(بُشْرَى) خبر مبتدإٍ محذوف، والتّقدير: ياقوم أو يانفسي هذا بُشرى، أو بُشرى هذا، أو أنّ المنادى هو البُشرى، والتّقدير: يابُشرى، والانبساط قد ظهرت وتحقّقت وتوجّهت إليّ. (١: ٢٦١)

٧ـ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾. الفرقان: ٢٢

أبوحَيّان: واحتُمل (بُشْرَى) أن يكون مبنيًّا مع (لا)، واحتمل أن يكون في نيّة التّنوين منصوب اللّفظ، ومُنع من الصّرف للتّأنيث اللّازم.

فإن كان مبنيًّا مع (لا)، احتُمل أن يكون الخبر (يَوْمَئِذٍ)، و(لِلْمُجْرِمِينَ) خبر بعد خبر، أو نعت لـ(بُشْرَى) أو متعلّق بما تعلّق به الخبر، وأن يكون (يَوْمَئِذٍ) صفة لـ(بُشْرَى) والخبر (لِلْمُجْرِمِينَ) ويجيء خلاف سيبَوَيه والأخفش: هل الخبر لنفس (لا) أو الخبر للمبتدإ الّذي هو مجموع (لا) ومابُني معها؟

وإن كان في نيّة التّنوين وهو مُعرَب جاز أن يكون (يَوْمَئِذٍ) معمولاً لـ(بُشْرَى) وأن يكون صفة، والخبر من الخبر، وأجاز أن يكون (يَوْمَئِذٍ) و(لِلْمُجْرِمِينَ) خبر، وجاز أن يكون (يَوْمَئِذٍ) خبرًا و(لِلْمُجْرِمِينَ) صفة، والخبر إذا كان الاسم، ليس مبنيًّا لنفس (لا) بإجماع. (٦: ٤٩٢)

مثله الآلوسيّ. (١٩: ٤)

أبوالسُّعود: إنّه في معنى لايُبشَّر يومئذ المجرمون، والعدول إلى نفي الجنس للمبالغة في نفي البُشرى. وماقيل: من أنّه بمعنى يمنعون البُشرى أو يعدمونها، تهوينٌ للخَطْب في مقام التّهويل، فإنّ منع البُشرى وفقدانها مشعران بأنّ هناك بشرًى يمنعونها أو يفقدونها. وأين هذا من نفيها بالكلّيّة؛ وحيث كان نفيها كناية عن إثبات ضدّها، كما أنّ نفي المحبّة في مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللهَ لَايُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ آل عمران: ٣٢، كناية عن البُغض والمقت دلّ على ثبوت النُّذرى لهم، على أبلغ وجه وآكده. (٥: ٤)

٨ـ تِلْكَ اٰيَاتُ الْقُرْاٰنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرٰى لِلْمُؤْمِنِينَ. النّمل: ١، ٢

الطّبَريّ: وفي قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرٰى﴾ وجهان من العربيّة: الرّفع على الابتداء، بمعنى هو هدًى وبُشرى. والنّصب على القطع من (اٰيَاتُ الْقُرْاٰنِ) فيكون معناه تلك آيات القرآن الهُدى والبُشرى للمؤمنين، ثمّ أُسقطت الألف واللّام من الهُدى والبُشرى، فصارا نكرةً، وهما صفتان للمعرفة، فنُصبا. (١٩: ١٣١)

الطُّوسيّ: والمعنى أنّ مافيه من البيان والبرهان يهديهم إلى الحقّ، وماهم في وجه كونه معجزًا الّذي فيه من اللُّطف مايؤدّيهم إلى الثّواب ويبشّرهم بالجنّة. (٨: ٧٤)

المَيْبُديّ: يعني أنّها آيات هادية ومبشّرة. وقيل: (هُدًى) لجميع الخلق (وبُشرى) للمؤمنين خاصّة. وقيل: (هُدًى) للمذنبين (وبُشرى) للمؤمنين. (٧: ١٧٩)

الزّمَخْشَريّ: ﴿هُدًى وَبُشْرٰى﴾ في محلّ النّصب على الحال، أي هادية ومبشّرة، والعامل فيها مافي تلك من معنى الإشارة.

والرّفع على ثلاثة أوجه: على هي هدى وبشرى، وعلى البدل من «الآيات»، وعلى أن يكون خبرًا بعد خبر، أي جمعت أنّها آيات، وأنّها هُدًى وبُشرى. (٣: ١٣٥)

مثله الفَخْرالرّازيّ. (٢٤: ١٧٧)

أبوالسُّعود: ﴿هُدًى وَبُشْرٰى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في حيّز النّصب على الحاليّة من «الآيات» على أنّهما مصدران أُقيما مقام الفاعل للمبالغة، كأنّهما نفس الهدى والبشارة، والعامل معنى الإشارة، أي هادية ومُبشّرة.

أو الرّفع على أنّهما بدلان من «الآيات»، أو خبران آخران لـ(تِلْكَ) أو لمبتدإ محذوف.

ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون أنّها تزيدهم هدًى، قال تعالى: ﴿فَاَمَّا الَّذِينَ اٰمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ التّوبة: ١٢٤.

وأمّا معنى تبشيرها إيّاهم فظاهر، لأنّها تبشّرهم برحمة من الله ورضوان، وجنّات لهم فيها نعيم مقيم. (٥: ٦٨)

الطّباطَبائيّ: المصدران، أعني (هُدًى وَبُشْرٰى) بمعنى اسم الفاعل، أو المراد بهما المعنى المصدريّ للمبالغة. (١٥: ٣٤٠)

٩ـ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ اَنْ يَعْبُدُوهَا وَاَنَابُوا

إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى... الزّمر: ١٧

الطَّبَرِيّ: لهم البُشرى في الدّنيا، بالجنّة في الآخرة. (٢٣: ٢٠٦)

الزَّمَخْشَرِيّ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ هي البشارة بالثّواب، كقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْاٰخِرَةِ﴾ يونس: ٦٤.

الله عزّوجلّ يبشّرهم بذلك في وحيه على ألسنة رُسُله، وتتلقّاهم الملائكة عند حضور الموت مبشّرين، وحين يُحشَرون. (٣: ٣٩٣)

نحوه الآلوسيّ. (٢٣: ٢٥٢)

الفَخْرالرّازيّ: قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾

واعلم أنّ هذه الكلمة تتعلّق بجهات:

أحدها: أنّ هذه البشارة متى تحصل؟ فنقول: إنّها تحصل عند القرب من الموت، وعند الوضع في القبر، وعند الوقوف في عرصة القيامة، وعندما يصير فريق في الجنّة وفريق في السّعير، وعندمايدخل المؤمنون الجنّة، ففي كلّ موقفٍ من هذه المواقف تحصل البشارة بنوع من الخير والرّوح والرّاحة والرّيحان.

وثانيها: أنّ هذه البشارة فبا ذاتحصل؟ فنقول: إنّ هذه البشارة تحصل بزوال المكروهات وحصول المرادات.

أمّا زوال المكروهات فقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَاتَحْزَنُوا﴾ فصّلت: ٣٠، والخوف إنّما يكون من المستقبل، والحزن إنّما يكون بسبب الأحوال الماضية، فقوله: ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ يعني لاتخافوا فيا تستقبلونه من أحوال القيامة، ولاتحزنوا بسبب مافاتكم من خيرات الدّنيا.

ولمّا أزال الله عنهم هذه المكروهات بشّرهم بحصول الخيرات والسّعادات، فقال: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ وقال أيضًا في آية أُخرى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعٰى نُورُهُمْ بَيْنَ اَيْدِيهِمْ وَبِاَيْمَانِهِمْ بُشْرٰيكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ﴾ الحديد: ١٢، وقال أيضًا: ﴿وَفِيهَا مَاتَشْتَهِيهِ الْاَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْاَعْيُنُ وَاَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الزّخرف: ٧١.

والثّالث: أنّ المبشّر من هو؟

فنقول: يُحتمل أن يكون هم الملائكة، إمّا عند الموت فقوله: ﴿اَلَّذِينَ تَتَوَفّٰيهُمُ الْمَلٰئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ﴾ النّحل: ٣٢، وإمّا بعد دخول الجنّة، فقوله: ﴿وَالْمَلٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الرّعد: ٢٤، ويُحتمل أن يكون هو الله سبحانه، كما قال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ الأحزاب: ٤٤.

واعلم أنّ قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ فيه أنواع من التّأكيدات:

أحدها: أنّه يُفيد الحصر، فقوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ أي لهم لا لغيرهم، وهذا يفيد أنّه لابشارة لأحد إلّا إذا اجتنب عبادة غير الله تعالى، وأقبل بالكلّيّة على الله تعالى.

وثانيها: أنّ الألف واللّام في لفظ (البُشرى) مفيد للماهيّة، فيُفيد أنّ هذه الماهيّة بتمامها لهؤلاء، ولم يبق منها نصيب لغيرهم.

وثالثها: أن لافرق بين الإخبار وبين البشارة،

فالبشارة هو الخبر الأوّل بحصول الخيرات.

إذا عرفت هذا فنقول: كلّ ماسمعوه في الدّنيا من أنواع الثّواب والخير ـ إذا سمعوه عند الموت أو في القبر ـ فذاك لايكون إلّا إخبارًا؛ فثبت أنّ هذه البشارة لاتتحقّق إلّا إذا حصل الإخبار بحصول أنواع أُخر من السّعادات، فوق ماعرفوها وسمعوها في الدّنيا، نسأل الله تعالى الفوز بها، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ السّجدة: ١٧.

ورابعها: أنّ المخبر بقوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ هو الله تعالى، وهو أعظم العظماء وأكمل الموجودات.

والشّرط المعتبر في حصول هذه البشارة شرط عظيم، وهو الاجتناب عمّا سوى الله تعالى، والإقبال بالكلّيّة على الله والسّلطان العظيم إذا ذكر شرطًا عظيمًا.

ثمّ قال لمن أتى بذلك الشّرط العظيم: أبشر، فهذه البشارة الصّادرة من السّلطان العظيم المرتّبة على حصول ذلك الشّرط العظيم، تدلّ على أنّ الّذي وقعت البشارة به قد بلغ في الكمال والرّفعة إلى حيث لايصل إلى شرحها العقول والأفكار، فثبت أنّ قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ يدلّ على نهاية الكمال والسّعادة، من هذه الوجوه. (٢٦: ٢٥٩)

البُرُوسَويّ: لهم البُشرى بالثّواب والرّضوان الأكبر على ألسنة الرّسل، بالوحي في الدّنيا، أو الملائكة عند حضور الموت، وحين يُحشرون، وبعد ذلك.

وقال بعض الكبار: لهم البُشرى بأنّهم من أهل الهداية والفضل من الله، وهي الكرامة الكبرى.

(٨: ٨٩)

بُشْرٰيكُم

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ الحديد: ١٢

الطَّبَريّ: يقال لهم: بشارتكم اليوم أيّها المؤمنون الّتي تُبشَّرون بها ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فأبشروا بها. (٢٧: ٢٢٣)

المَيْبُديّ: أي بشارتكم من الله اليوم جنّات، فيكون مبتدأ وخبرًا. (٩: ٤٨٢)

القُرطُبيّ: التّقدير: يقال لهم: بُشراكم اليوم دخول جنّات. ولابدّ من تقدير حذف المضاف، لأنّ البشرى حَدَثٌ والجنّة عين، فلاتكون هي هي. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي من تحتهم أنهار اللّبن والماء والخمر والعسل من تحت مساكنها. (خَالِدِينَ فِيهَا) حال من الدّخول المحذوف.

التّقدير: بُشراكم اليوم دخول جنّات تجريّ من تحتها الأنهار مقدّرين الخلود فيها. ولاتكون الحال من (بُشْرٰيكُمْ) لأنّ فيه فصلًا بين الصّلة والموصول.

ويجوز أن يكون ممّا دلّ عليه البُشرى، كأنّه قال: تُبشَّرون خالدين، ويجوز أن يكون الظّرف الّذي هو (الْيَوْم) خبرًا عن (بُشْرٰيكُم)، و(جنّات) بدلًا من «البُشْرٰى» على تقدير حذف المضاف، كما تقدّم، و(خَالِدِينَ) حال، حسب ماتقدّم.

وأجاز الفرّاء نصب (جَنّات) على الحال، على أن

يكون (الْيَوْم) خبرًا عن (بُشْرٰيكُم) وهو بعيد، إذ ليس في (جَنَّات) معنى الفعل.

وأجاز أن يكون (بُشْرٰيكُم) نصبًا على معنى يُبشّرونهم بُشرى، ويُنصب (جَنَّات) بالبشرى، وفيه تفرقة بين الصّلة والموصول. (١٧: ٢٤٤)

أبوالسُّعود: مقدّر بقول هو حال أو استئناف، أي يقال لهم: بُشراكم، أي ماتُبشّرون به جنّات، أو بشراكم دخول جنّات. (٦: ٢٠٢)

الآلوسيّ: والمراد بـ«البُشراى» مايُبشّر به دون التّبشير، والكلام على حذف مضاف، أي ماتُبشّرون به دخول جنّات، يصحّ بدونه، أي ماتُبشّرون به جنّات.

وماقيل: البشارة لاتكون بالأعيان، فيه نظر، وتقدير المضاف لايُغني عن تأويل البُشرى، لأنّ التّبشير ليس عين الدّخول. (٢٧: ١٧٤)

الطَّباطَبائيّ: المراد بالبُشرى: مايُبشّر به وهو الجنّة، والباقي ظاهر. (١٩: ١٥٥)

بَشِير

١ـ ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَاجَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَانَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ المائدة: ١٩

الطَّبَريّ: يعني بالبشير: المبشّر مَن أطاع الله، وآمن به وبرسوله، وعمل بما آتاه من عند الله، بعظيم ثوابه في آخرته.

وبالنّذير: المُنذر مَن عصاه، وكذّب رسوله ﷺ، وعمل بغير ماأتاه من عند الله، من أمره ونهيه، بما لاقبل له به، من أليم عقابه في معاده، وشديد عذابه في قيامته. (٦: ١٦٧)

الطُّوسيّ: والبشير هو المبشّر لكلّ مطيع بالثّواب. والنّذير هو المُنذر المخوّف كلّ عاص لله بالعقاب؛ ليتمسّك المطيع بطاعته ويجتنب العاصي لمعصيته. (٣: ٤٨٠)

المَيْبُديّ: جاء إليكم المصطفى وهو بشير ونذير، بشيرٌ بالجنّة نذيرٌ من النّار، بشير بالمؤمنين ونذير للجاحدين. (٣: ٧٣)

الطَّبْرِسيّ: وهو محمّد ﷺ يبشّر كلّ مطيع بالثّواب، ويخوّف كلّ عاص بالعقاب. (٢: ١٧٧)

القُرطُبيّ: (مِنْ بَشِيرٍ) أي مبشّر، (وَلَا نَذِيرٍ) أي مُنذِر. ويجوز: «من بشيرٌ ولانذيرٌ» على الموضع. (٦: ١٢٢)

أبوالسُّعود: زيادة (من) في الفاعل للمبالغة في نفي المجيء، وتنكير (بَشِيرٌ) و(نَذِيرٌ) للتّقليل. وهذا كماترى يقتضي أنّ المقدّر أو المنويّ فيما سبق هو الشّرائع والأحكام لاكيفما كانت، بل مشفوعة بما ذُكر من الوعد والوعيد.

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ متعلّق بمحذوف يُنبئ عنه الفاء الفصيحة، وتُبيّن أنّه معلّل. وتنوين (بشير) و(نذير) للتّفخيم، أي لاتعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير ونذير. (٢: ٢٥٤)

نحوه الآلوسيّ. (٦: ١٠٤)

المُصطَفَويّ: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ الأعراف: ١٨٨، ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ المائدة: ١٩، ﴿وَمَاأَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾

سبأ: ٢٨.

وقد ذُكر «البشير» في هذه الآيات وفي غيرها، في مقابل «النّذير»، والبشير من البِشر متعدّيًا بمعنى المُبَشِّر، كما أنّ النّذير بمعنى المُنذِر.

والفرق بين البَشير والمُبْشر والمُبَشِّر: اختلاف صيغها، فإنّ «فعيلًا» يدلّ على ثبوت النّسبة، فالبشير مَن ثبت له البَشر ومن شأنه البَشر.

والمنظور في الإبشار نسبة الفعل إلى الفاعل، وقيامه به أوّلًا، ثمّ تعلّقه بالمفعول قهرًا، كما هو مقتضى صيغة «إفعال». ومقتضى هيئة «تفعيل» تعلّق الفعل بالمفعول، ووقوعه فيه أوّلًا، والقيام بالفاعل تبعيّ قهريّ.

ففي كلّ مورد استُعمل لفظ البشير، فالنّظر فيها إلى جهة الثّبوت، أي من ثبت له هذه الصّفة، ومن شأنه أن يكون مبشّرًا، كما في الآيات المذكورة.

وفي كلّ مورد يُستعمل لفظ الإبشار، فالنّظر فيها إلى جهة قيام الفعل، ولانظر فيها إلى جهة الوقوع ﴿اَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَاَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ فصّلت: ٣٠، فالمقصود هنا قيام التّبشير وجهة تحقّقه وصدوره.

وفي كلّ مورد يُستعمل لفظ التّبشير، فالنّظر فيها إلى جهة الوقوع وإيصال النّسبة إلى المفعول ﴿فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ البقرة: ٢١٣، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: ١٥٥، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ٢٢٣، ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيمٍ﴾ آل‌عمران: ٢١، ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَاَجْرٍ﴾ يس: ١١، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ اٰمَنُوا﴾ البقرة: ٢٥، ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾ النّساء: ١٣٨، ﴿اِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ الحجر: ٥٣، ﴿بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الحجر: ٥٥، ﴿يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى﴾ آل‌عمران: ٣٩، ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِاِسْحٰقَ﴾ هود: ٧١، فالنّظر في هذه الآيات ونظائرها إلى جهة التّبليغ والوقوع.

ولمّا كان البَشر فعلًا مطلوبًا يوجب الانبساط والفرح والطّلاقة، فقد عبّر عنه بصيغة التّبشير، وهذا بخلاف الإنذار، وهو تخويف العباد، فعبّر عنه بصيغة الإنذار ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ وفي هذا كمال لطف منه تعالى. (١: ٢٦١)

٢ـ وَمَامَسَّنِيَ السُّوءُ اِنْ اَنَا اِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. الأعراف: ١٨٨

الطُّوسيّ: معناه لست إلّا مخوّفًا من العقاب محذّرًا من المعاصي، ومبشّرًا بالجنّة، حاثًّا عليها، غير عالم بالغيب. (٥: ٥٩)

الفَخْر الرّازيّ: النّذير: مبالغة في الإنذار بالعقاب على فعل المعاصي وترك الواجبات، والبشير: مبالغة في البشارة بالثّواب على فعل الواجبات وترك المعاصي. (١٥: ٨٥)

رشيد رضا: [راجع نَذَرَ ـ نذير] (٩: ٥١٤)

٣ـ اَلَّا تَعْبُدُوا اِلَّا اللهَ اِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ. هود: ٢

الطّبَريّ: إنّني لكم من عند الله نذير يُنذركم عقابه على معاصيه وعبادة الأصنام، وبشير يبشّركم بالجزيل من الثّواب على طاعته، وإخلاص العبادة والألوهة له. (١١: ١٨٠)

الطُّوسيّ : إخبار أنّ النّبيّ ﷺ مخوّف من مخالفة الله وعصيانه بأليم عقابه، مبشّر بثواب الله على طاعاته واجتناب معاصيه.

والنّذارة: إعلام موضع المخافة ليتّقي، ونذير بمعنى منذِر، كأليم بمعنى مؤلم. والبشارة: إعلام بما يظهر في بشرة الوجه به المسرّة، وبشير بمعنى مُبشِر. (٥: ٥١٣)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٣: ١٤١)

الفَخْرالرّازيّ : ﴿إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ وفيه مباحث:

البحث الأوّل: أنّ الضّمير في قوله: (مِنْهُ) عائد إلى «الحكيم الخبير»، والمعنى إنّني لكم نذير وبشير من جهته.

والبحث الثّاني: أنّ قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ﴾ مشتمل على المنع عن عبادة غير الله، وعلى التّرغيب في عبادة الله تعالى، فهو عليه الصّلاة والسّلام نذير على الأوّل بإلحاق العذاب الشّديد لمن لم يأت بها، وبشير على الثّاني بإلحاق الثّواب العظيم لمن أتى بها.

واعلم أنّه ﷺ، مابُعث إلّا لهذين الأمرين، وهو الإنذار على فعل مالاينبغي، والبشارة على فعل ماينبغي. (١٧: ١٨١)

٤ـ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَيهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا... يوسف: ٩٦

ابن عبّاس : البشير: البريد.

مثله الضّحّاك. (الطَّبَريّ ١٣: ٦٣)

إنّه مالك بن ذعر. (الطَّبْرِسيّ ٣: ٢٦٣)

مُجاهِد : يهوذا بن يعقوب.

مثله ابن جُرَيْج والضّحّاك. (الطَّبَريّ ١٣: ٦٢)

الطَّبَريّ : فلمّا أن جاء يعقوب البشير من عند ابنه يوسف، وهو المبشّر برسالة يوسف، وذلك بريد فيما ذكر، كان يوسف يردّه إليه. وكان البريد فيما ذُكر، والبشير يهوذا بن يعقوب أخا يوسف لأبيه. (١٣: ٦٢)

الطُّوسيّ : أخبر الله تعالى إنّه لمّا جاء المبشّر بيوسف إلى يعقوب ألقى القميص على وجهه فرجع بصيرًا.

والبشير: الّذي يأتي بالبشارة العظيمة، وجاء على لفظ «فعيل» لما فيه من المبالغة، يقال: بشّره تبشيرًا، ومعنى أبشرته: قلت له: استبشِرْ. (٦: ١٩٤)

المَيْبُديّ : أي المبشّر وهو يهوذا، وهو سبط الملك من بني إسرائيل، جاء مع بريد ليوسف إلى يعقوب. وقيل: إنّ البشير مالك بن ذعر، والأوّل أصحّ. (٥: ١٣٥)

القُرطُبيّ : البشير قيل: هو شمعون، وقيل: يهوذا. (٩: ٢٦١)

الطَّباطَبائيّ : البشير: حامل البشارة، وكان حامل القميص. (١١: ٢٤٥)

بَشِيرًا

١ـ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَاتُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ. البقرة: ١١٩

الطَّبَريّ : مبشّرًا مَن اتّبعك فأطاعك، وقبل منك مادعوته إليه من الحقّ، بالنّصر في الدّنيا، والظّفر

بالثّواب في الآخرة، والنّعيم المقيم فيها، ومُنذرًا مَن عصاك فخالفك. (١: ٥١٥)

المَيْبُديّ: أي بشيرًا بالجنّة لمن أطاع الله، ونذيرًا بالنّار لمن عصاه. (١: ٣٣٧)

الزّمَخْشَريّ: إنّا أرسلناك لأن تبشّر وتُنذر، لاتجبر على الإيمان. وهذه تسلية لرسول الله ﷺ، وتسرية عنه، لأنّه كان يغتمّ ويضيق صدره، لإصرارهم وتصميمهم على الكفر. (١: ٣٠٨)

الطَّبْرِسيّ: أي بشيرًا لمن اتّبعك بالثّواب ونذيرًا لمن خالفك بالعقاب. (١: ١٩٦)

الفَخْرالرّازيّ: أي أرسلناك بالقرآن، حال كونه بشيرًا لمن أطاع الله بالثّواب، ونذيرًا لمن كفر بالعقاب.

والأولى أن يكون البشير والنّذير صفة للرّسول عليه الصّلاة والسّلام، فكأنّه تعالى قال: إنّا أرسلناك يامحمّد بالحقّ لتكون مبشّرًا لمن اتّبعك واهتدى بدينك، ومنذرًا لمن كفر بك وضلّ عن دينك. (٤: ٣٣)

أبوحَيّان: وانتصاب ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ على الحال من الكاف، ويحتمل أن يكون حالًا من (الحقّ) لأنّ ماجاء به من الحقّ يتّصف أيضًا بالبشارة والنّذارة، والأظهر الأوّل.

وعُدل إلى «فعيل» للمبالغة، لأنّ «فعيلًا» من صفات السّجايا. والعدل في «بشير» للمبالغة مقيس عند سيبَوَيه إذا جعلناه من «بَشَر» لأنّهم قالوا: «بشَر» مخفّفًا، وليس مقيسًا في «نذير» لأنّه من أنذر.

ولعلّ محسّن العدل فيه كونه معطوفًا على مايجوز ذلك فيه، لأنّه قد يسوّغ في الكلمة مع الاجتماع مع مايقابلها مالايُسوّغ فيها لو انفردت، كما قالوا: أخذه ماقدُم وماحَدث وشبهه. (١: ٣٦٧)

نحوه الآلوسيّ. (١: ٣٧٠)

أبوالسُّعود: حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الأُولى، أي أرسلناك مُلتبسًا بالقرآن، حال كونك بشيرًا لمن آمن بما أُنزل عليك وعمل به، ونذيرًا لمن كفر به.

وأرسلناك صادقًا، حال كونك (بشيرًا) لمن صدّقك بالثّواب (ونَذيرًا) لمن كذّبك بالعذاب، ليختاروا لأنفسهم ماأحبّوا، لاقاسرَ لهم على الإيمان فلاعليك إن أصرّوا وكابروا. (١: ١٨٩)

البُرُوسَويّ: حال كونك مبشّرًا لمن اتّبعك بما لاعينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولاخطر على قلب بشر. (ونَذيرًا) أي منذِرًا ومُخوّفًا لمن كفر بك وعصاك.

والمعنى أنّ شأنك بعد إظهار صِدقك في دعوى الرّسالة بالدّلائل والمعجزات ليس إلّا الدّعوة والإبلاغ بالتّبشير والإنذار، لا أن تجبرهم على القبول والإيمان، فلاعليك إن أصرّوا على الكفر والعناد. فإنّ الأحوال أوصاف لذي الحال، والأوصاف مقيّدة للموصوف. (١: ٢١٦)

رَشيد رضا: (بَشيرًا) لمن يتّبع الحقّ بالسّعادتين، (وَنَذيرًا) لمن لايأخذ به بشقاء الدّنيا وخزي الآخرة. (١: ٤٤٢)

٢ـ ﴿وَمَاۤ اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا كَاۤفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾ سبأ: ٢٨

الطَّبَريّ : (بَشيرًا) من أطاعك، (وَنَذيرًا) من كذّبك. (٢٢: ٩٦)

الطُّوسيّ : (بَشيرًا) لهم بالجنّة، أي مبشّرًا بها، (وَنَذيرًا) أي مخوّفًا بالنّار. (٨: ٣٩٦)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٤: ٣٩١)

الفَخْرالرّازيّ : (بَشيرًا) أي تحثّهم بالوعد، (نَذيرًا) تزجرهم بالوعيد. (٢٥: ٢٨٥)

القُرطُبيّ : (بَشيرًا) أي بالجنّة لمن أطاع (وَنَذيرًا) من النّار لمن كفر. (١٤: ٣٠١)

الآلوسيّ : (بَشيرًا) لمن أسلم بالثّواب، (وَنَذيرًا) لمن لم يسلم بالعقاب.

والوصفان حالان من مفعول (اَرْسَلْنَاكَ)، وقد يجعلان على بعض الأوجه السّابقة بدلًا من (كَافَّةً) نحو بدل المُفصّل من الجمل، فتأمّل. (٢٢: ١٤٣)

٣ـ كِتَابٌ فُصِّلَتْ اٰيَاتُهُ قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ* بَشِيرًا وَنَذِيرًا... فصّلت: ٣، ٤

الطَّبَريّ : ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ على أنّه صفة، وإن شئت جعلت نصبه على المدح، كأنّه حين ذكره أقبل في مدحته، فقال: ذكرنا قرآنًا عربيًّا بشيرًا ونذيرًا. (٢٤: ٩١)

المَيْبُديّ : ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ صفتان للقرآن، أي يبشّر المؤمنين وينذر الكافرين بما فيه من البشارة والنّذارة. (٨: ٥٠٨)

الزَّمَخْشَريّ : قرئ (بَشير وَنَذير) صفة لـ(كِتَابٌ) أو خبر مبتدإ محذوف. (٣: ٤٤١)

الفَخْرالرّازيّ : يعني (بَشيرًا) للمطيعين بالثّواب، (وَنَذيرًا) للمجرمين بالعقاب، والحقّ أنّ القرآن بشارة ونذارة، إلّا أنّه أُطلق اسم الفاعل عليه للتّنبيه على كونه كاملًا في هذه الصّفة، كما يقال: شعر شاعر وكلام قائل. (٢٧: ٩٤)

أبوالسُّعود : صفتان أُخريان لـ(قُرْاٰنًا) أي (بَشيرًا) لأهل الطّاعة، (وَنَذيرًا) لأهل المعصية، أو حالان من (كِتَابٌ) أو من (اٰيَاتُهُ).

وقُرئا بالرّفع على الوصفيّة لـ(كِتَابٌ) أو الخبريّة لمحذوف. (٥: ٤٣٤)

نحوه أبوحيّان (٧: ٤٨٣)، والآلوسيّ (٢٤: ٩٥).

البُرُوسَويّ : (بَشيرًا) صفة أُخرى لـ(قُرْاٰنًا) أي (بَشيرًا) لمن صدّقه وعرف قدره، وأدّى حقّه بالجنّة والوصول، (وَنَذيرًا) لمن كذّبه، ولم يعرف قدره، ولم يؤدّ حقّه بالنّار والفراق.

أو (بَشيرًا) لمن أقبل إلى الله بنعت الشّوق، (وَنَذيرًا) لمن أقبل إلى نفسه ونظر إلى طاعته.

أو (بَشيرًا) لأوليائه بنيل المقامات، (وَنَذيرًا) لهم يحذّرهم من المخالفات، لئلّا يسقطوا من الدّرجات.

أو (بَشيرًا) بمطالعة الرّجاء، (وَنَذيرًا) بمطالعة الخوف.

أو (بَشيرًا) للعاصين بالشّفاعة والغفران، (وَنَذيرًا) للمطيعين ليستعملوا الأدب والأركان في طاعة الرّحمان.

أو (بَشيرًا) لمن اخترناهم واصطفيناهم، (وَنَذيرًا) لمن أغويناهم. (٨: ٢٢٦)

عبد الكريم الخطيب : حال أُخرى، من هذا الكتاب، تكشف عن موضوعه، بعد أن كشفت الحال

الأُولى (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) عن صفته، فهو بشير ونذير. بشير لأهل الإيمان والتّقوى، بالفوز برضوان الله، والخلود في جنّات النّعيم. ونذير للكافرين والضّالّين والمكذّبين، ونذير لهم بسخط الله، والخلود في نار الجحيم.

(١٢: ١٢٨١)

اَبْشِرُوا

...أَلَّا تَخَافُوا وَلَاتَحْزَنُوا وَاَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ. فصّلت: ٣٠

ابن الجوّاح: بُشرى المؤمن تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث.

(المَيْبُديّ ٨: ٥٢٥)

الطَّبَريّ: وسُرّوا بأنّ لكم في الآخرة الجنّة الّتي كنتم توعدونها في الدّنيا، على إيمانكم بالله، واستقامتكم على طاعته. (٢٤: ١١٦)

نحوه أبوالسّعود (٥: ٤٤٤)، والبُرُوسَويّ (٨: ٢٥٥).

الطُّوسيّ: وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون بها في دار الدّنيا، جزاءً على الطّاعات. (٩: ١٢٣)

المَيْبُديّ: في الدّنيا على لسان الرّسل. (٨: ٥٢٥)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ١٢)

الفَخْرالرّازيّ: إن قيل: البشارة عبارة عن الخبر الأوّل بحصول المنافع، فأمّا إذا أخبر الرّجل بحصول منفعة ثمّ أخبر ثانيًا بحصولها، كان الإخبار الثّاني إخبارًا ولايكون بشارة. والمؤمن قد يسمع بشارات الخير، فإذا سمع المؤمن هذا الخبر من الملائكة وجب أن يكون هذا إخبارًا ولايكون بشارة، فالسّبب في تسمية هذا الخبر بالبشارة؟

قلنا: المؤمن يسمع أنّ من كان مؤمنًا تقيًّا كان له الجنّة، أمّا من لم يسمع ـ ألبتّة ـ أنّه من أهل الجنّة، فإذا سمع هذا الكلام من الملائكة كان هذا إخبارًا بنفع عظيم، مع أنّه هو الخبر الأوّل بذلك، فكان بذلك بشارة.

(٢٧: ١٢٢)

الطَّباطَبائيّ: إخبار عمّا سيستقبلهم به الملائكة من تقوية قلوبهم، وتطييب نفوسهم، والبشرى بالكرامة. (١٧: ٣٨٩)

بَشَّرُوهُ

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ. الذّاريات: ٢٨

الطَّبَريّ: عُني به إسحاق لأنّ البشارة كانت بالولد من سارة، وإسماعيل لهاجر لالسارة. (٢٦: ٢٠٨)

الطُّوسيّ: قال مُجاهِد: المبشَّر به إسماعيل، وقال غيره: هو إسحاق لأنّه من سارة. وهذه القصّة لها، لا لهاجر. سمعت البشارة امرأته سارة. (٩: ٣٨٨)

الفَخْرالرّازيّ: حيث فهموه أنّهم ليسوا ممّن يأكلون، ولم يقولوا: لايصلح لنا الطّعام والشّراب، ثمّ أدب آخر في «البشارة»: أن لايخبر الإنسان بما يسرّه دفعة فإنّه يورث مرضًا: يدلّ عليه أنّهم جلسوا واستأنس بهم إبراهيم عليه السلام، ثمّ قالوا: نبشّرك، ثمّ ذكروا أشرف النّوعين، وهو الذّكر، ولم يقتنعوا به حتّى وصفوه بأحسن الأوصاف، فإنّ الابن قد يكون دون البنت إذا

كانت البنت كاملة الخلقة حسنة الخلق، والابن بالضدّ.

ثمّ إنّهم تركوا سائر الأوصاف من الحسن والجمال والقوّة والسّلامة واختاروا العِلم، إشارة إلى أنّ العلم رأس الأوصاف ورئيس النّعوت.

وقد ذكرنا فائدة تقديم «البشارة» على الإخبار عن إهلاكهم قوم لوط، ليعلم أنّ الله تعالى يهلكهم إلى خلف، ويأتي ببدلهم خيرًا منهم. (٢٨: ٢١٤)

أبوحَيّان: وقعت البشارة بعد التّأنيس والجلوس، وكانت البشارة بذكَر، لأنّه أسرّ للنّفس وأبهج. (٨: ١٣٩)

أبوالسُّعود: وفي سورة الصّافّات: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ﴾ أي بواسطتهم ﴿بِغُلَامٍ﴾ هو إسحاق عليه السلام. (٦: ١٣٧)

مثله البُرُوسَويّ. (٩: ١٦٢)

وتمام البحث في «غ ل م ـ غلام» فراجع.

بَشَّرْنَاه

١ـ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ. الصّافّات: ١٠١

راجع «غ ل م ـ غُلَام حَلِيم»

٢ـ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحٰقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ.

الصّافّات: ١١٢

ابن عبّاس: بُشّر بنبوّته. (الطَّبَريّ ٢٣: ٨٩)

إنّما بشّره به نبيًّا حين فداه من الذّبح، ولم تكن البشارة بالنّبوّة عند مولده. (الطَّبَريّ ٢٣: ٨٩)

قَتادَة: بُشّر به بعد ذلك نبيًّا، بعدما كان هذا من أمره، لمّا جاد لله بنفسه. (الطَّبَريّ ٢٣: ٨٩)

الزَّمَخْشَريّ: (نَبِيًّا) حال مقدّرة، كقوله تعالى: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ الزّمر: ٧٣.

ـ فإن قلت: فرقٌ بين هذا وبين قوله: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾، وذلك أنّ المدخول موجود مع وجود الدّخول، والخلود غير موجود معها، فقدّرت: مقدّرين الخلودَ، فكان مستقيمًا، وليس كذلك المبشَّر به فإنّه معدوم وقت وجود البشارة، وعدم المبشَّر به أوجب عدم حاله، لامحالة، لأنّ الحال حِلية والحِلية لاتقوم إلّا بالمحلّ، وهذا المبشَّر به الّذي هو إسحاق حين وُجد لم توجد النّبوّة أيضًا بوجوده بل تراخت عنه مدّة متطاولة، فكيف يُجعل «نبيًّا» حالاً مقدّرة، والحال صفة الفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به، فالخلود وإن لم يكن صفتهم عند دخول الجنّة فتقديرها صفتهم، لأنّ المعنى: مقدّرين الخلودَ، وليس كذلك النّبوّة، فإنّه لاسبيل إلى أن تكون موجودة أو مقدّرة وقت وجود البشارة بإسحاق لعدم إسحاق؟

قلت: هذا سؤال دقيق السّلك ضيق، والّذي يحلّ الإشكال أنّه لابدّ من تقدير مضاف محذوف، وذلك قولك: وبشّرناه بوجود إسحاق نبيًّا، أي بأن يوجد مقدّرة نبوّته، فالعامل في الحال الوجود لافعل البشارة، وبذلك يرجع نظير قوله تعالى: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ الزّمر: ٧٣ ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ حال ثانية وورودها على سبيل الثّناء والتّقريظ، لأنّ كلّ نبيّ لابدّ أن يكون من الصّالحين.

وعن قَتادَة: بشّره الله بنبوّة إسحاق بعد ماامتحنه بذبحه، وهذا جواب من يقول: الذّبيح إسحاق، لصاحبه

عن تعلّقه بقوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحٰقَ﴾ قالوا: ولايجوز أن يبشّره الله بمولده ونبوّته معًا، لأنّ الامتحان بذبحه لايصحّ مع علمه بأنّه سيكون نبيًّا. (٢: ٣٥١)

الفَخْرالرّازيّ: معناه أنّه بشّره بكونه نبيًّا من الصّالحين. وذِكْر هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصّة، يدلّ على أنّه تعالى إنّما بشّره بهذه النّبوّة، لأجل أنّه تحمّل هذه الشّدائد في قصّة الذّبيح. (٢٦: ١٥٤)

القُرطُبيّ: قال ابن عبّاس: بشّر بنبوّته. وذهب إلى أنّ البشارة كانت مرّتين، فعلى هذا الذّبيح هو إسحاق بشّر بنبوّته، جزاءً على صبره ورضاه بأمر ربّه، واستسلامه له. (١٥: ١١٢)

الآلوسيّ: «نبيًّا» حال من إسحاق. [إلى أن قال:]

والمراد كونه «نبيًّا» وكونه (مِنَ الصّالِحِينَ) في قضاء الله تعالى وتقديره، أي مقضيًّا كونه «نبيًّا» مقضيًّا كونه (مِنَ الصّالِحِينَ) وإن شئت فقل مقدّرًا، ولايكونان بذلك من الحال المقدّرة الّتي تُذكر في مقابلة المقارنة، بل هما بهذا الاعتبار حالان مقارنان للعامل، وهو فعل البشارة أو شيء آخر محذوف، أي بشّرناه بوجود إسحاق نبيًّا إلخ. (٢٣: ١٣٣)

الطّباطَبائيّ: واعلم أنّ هذه الآية المتضمّنة للبشرى بإسحاق بوقوعها بعد البشرى السّابقة، بقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ المتعقّبة بقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ الصّافّات: ١٠٢، إلى آخر القصّة، ظاهرة كالصّريحة، أو هي صريحة في أنّ الذّبيح غير إسحاق وهو إسماعيل عليه السلام، وقد فصّلنا القول في ذلك في قصص إبراهيم عليه السلام من سورة الأنعام. (١٧: ١٥٣)

عبد الكريم الخطيب: [راجع «ذ ب ح»] (١٢: ١٠١٥)

بَشَّرْنَاهَا

وَامْرَاَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِاِسْحٰقَ وَمِنْ وَرَاءِ اِسْحٰقَ يَعْقُوبَ. هود: ٧١

الطُّوسيّ: قرأ ابن عبّاس وحمزة وحفص ويعقوب (فَبَشَّرْنَاهَا) بنصب الباء، الباقون بالرّفع.

قال أبوعليّ: من رفع فبأحد أمرين: أحدهما: بالابتداء، والآخر: بالظّرف على مذهب من رفع، وذلك بيّن.

ومن فتح احتمل ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يكون في موضع جرّ، والمعنى فبشّرناها بإسحاق ويعقوب.

وقال أبوالحسن: وهو قويّ في المعنى، لأنّها قد بُشّرت به، قال: وفي إعمالها ضعف، لأنّك فصّلت بين الجارّ والمجرور بالظّرف، كما لايجوز: مررت بزيد في الدّار، والبيت عمرو.

وقال الرّمّانيّ: لايجوز ذلك، لأنّه يجب منه العطف على عاملين، وذلك لايجوز، لأنّه أضعف من العامل الّذي يقوم مقامه، وهو لايجرّ ولاينصب.

الثّاني: يحمله على موضع الجارّ والمجرور، كقراءة من قرأ (حورًا عينًا) بعد قوله: (يُطَافُ عَلَيْهِمْ) بكذا.

الثّالث: أن تحمله على فعل مضمر، كأنّه قال: فبشّرناها بإسحاق، ووهبنا له يعقوب.

قال أبوعليّ الفارسيّ: والوجه الأوّل، نصّ سيبويه

في فتح مثله، نحو مررت بزيد أوّل أمس وأمس عمرو، وكذلك قال أبوالحسن.

قال: لو قلت: مررت بزيد اليوم وأمس عمرو، كان حسنًا، ولم يحسن الحمل على الموضع على حدّ مررت بزيد وعمرًا، فالفصل فيها أيضًا قبيح، كما قبح الحمل على الجارّ وغير الجارّ، فهذا في القياس مثل الجارّ في القبح، لأنّ الفعل يصل بحرف العطف وحرف العطف هو الّذي يشرك في الفعل، وبه يصل الفعل إلى المفعول به كما يصل الجارّ، فإذا قبح الأمران وجب أن تحمل قراءة من قرأ بالنّصب على تقدير فعل آخر مضمر، يدلّ عليه (بَشَّرْنَا). (٦: ٢٩)

المَيْبُديّ: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحٰقَ﴾ إنّما خصّت بالبشارة جزاءً على خدمتها للضّيف، وقيل: لأنّ النّساء أعظم سرورًا بالولد من الرّجال، وقيل: لأنّ سارة لم يكن لها ولد، وكان لإبراهيم ولد هو إسماعيل.

وقالوا: وبُشرى الملائكة لسارة هو أن قالوا: أيّتها الضّاحكة ستلدين غلامًا. (٤: ٤١٥)

أبوحَيّان: والمعنى (فَبَشَّرْنَاهَا) على لسان رُسلنا. بشّرتها الملائكة بإسحاق وبأنّ إسحاق سيلد يعقوب.

قال ابن‌عطيّة: أضاف فعل الملائكة إلى ضمير اسم الله تعالى؛ إذ كان ذلك بأمره ووحيه.

وقال غيره: لمّا ولد لإبراهيم إسماعيل عليه السلام من هاجر تمنّت سارة أن يكون لها ابن، وأيست لكبر سنّها، فبُشّرت بولد يكون نبيًّا ويلد نبيًّا، فكان هذا بشارة لها بأن ترى ولد ولدها. وإنّما بشّروها دونه، لأنّ المرأة أعجل فرحًا بالولد، ولأنّ إبراهيم قد بشّروه وأمنوه من خوفه، فأتبعوا بشارته ببشارتها. (٥: ٢٤٣)

أبوالسُّعود: أي عقّبنا سرورها بسرور أتمّ منه، على ألسنة رسلنا. (٣: ٣٣٣)

مثله الآلوسيّ. (١٢: ٩٨)

البُرُوسَويّ: قال في «التّأويلات النّجميّة»: هذه البشارة لها ماكانت بشارة تتعلّق ببشريّتها وحيوانيّتها، وماكان ضحكها للسّرور بحصول الابن الّذي هو من زينة الدّنيا، وإنّما كان ضحكها لسرور نجاة القوم من العذاب، وكانت بشارتها بنبوّة ابنها إسحاق بعد إبراهيم، ومن وراء إسحاق يعقوب، أي بعد إسحاق يكون يعقوب نبيًّا، وتكون النّبوّة في عَقِبهم إلى عهد خاتم النّبيّين محمّد صلى الله عليه وسلم، فإنّه يكون من عقب إسماعيل. (٤: ١٦٣)

الطَّباطَبائيّ: إسحاق هو ابنها من إبراهيم، ويعقوب هو ابن إسحاق عليه السلام، فالمراد أنّ الملائكة بشّروها بأنّها ستلد إسحاق، وإسحاق سيولد له يعقوب ولد بعد ولد، هذا على قراءة يعقوب بالفتح، وهو منزوع الخافض. وقرئ برفع يعقوب، وهو بيان لتتمّة البشارة، والأولى أرجح. (١٠: ٣٢٤)

بُشِّرَ

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. النّحل: ٥٨

المَيْبُديّ: أي وإذا أُخبر أحدهم بولادة بنت، تغيّر لونه من الغمّ. (٥: ٤٠٠)

مثله القُرطُبيّ. (١٠: ١١٦)

ابن عَطيّة: لمّا صرّح بالشّيء المُبشَّر به حسن ذكر

البشارة، وإلّا فالبشارة مطلقة لاتكون إلّا في خير.
(٣: ٤٠١)

الفَخْرالرّازيّ: التّبشير ـ في عرف اللّغة ـ مختصّ بالخبر الّذي يفيد السّرور، إلّا أنّه بحسب أصل اللّغة: عبارة عن الخبر الّذي يؤثّر في تغيّر بشرة الوجه، ومعلوم أنّ السّرور كما يوجب تغيّر البشرة فكذلك الحزن يوجبه؛ فوجب أن يكون لفظة «التّبشير» حقيقة في القسمين، ويتأكّد هذا بقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل‌عمران: ٢١.

ومنهم من قال: المراد بالتّبشير هاهنا: الإخبار، والقول الأوّل أدخل في التّحقيق. (٢٠: ٥٤)

أبوحَيّان: المشهور أنّ البشارة أوّل خبر يسرّ، وهنا قد يراد به مطلق الإخبار، أو تغيّر البشرة، وهو القدر المشترك بين الخبر السّارّ أو المخبرين.
(٥: ٥٠٤)

البُرُوسَويّ: البشارة بمعنى الإخبار على الوضع الأصليّ، والمضاف مقدّر، أي أُخبر بولادتها. (٥: ٤٤)

الآلوسيّ: أي أُخبر بولادتها. وأصل البشارة: الإخبار بما يسرّ، لكن لمّا كانت ولادة الأنثى تسوءهم حُملت على مطلق الإخبار.

وجوّز أن يكون ذلك بشارة باعتبار الولادة، بقطع النّظر عن كونها أُنثى. وقيل: إنّه بشارة حقيقة، بالنّظر إلى حال المبشّر به في نفس الأمر. وأيًّامّا كان فالكلام على تقدير مضاف، كما أشرنا إليه. (١٤: ١٦٨)

يُبَشِّرُ

﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْاٰنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.
الإسراء: ٩

المَيْبُديّ: قرأ حمزة والكسائيّ (يَبْشُر) بفتح الياء وتخفيف الشّين وضمّها، وقرأ الباقون (يُبَشِّر) بضمّ الياء وفتح الباء وتشديد الشّين وكسرها، وقد سبق الكلام فيه. (٥: ٥٢١)

ابن عَطيّة: وفي هذه البشارة وعيد للكفّار بالمعنى، هذا الّذي تقتضيه ألفاظ الآية. وقرأ الجمهور (وَيُبَشِّرُ) بضمّ الياء وفتح الباء وكسر الشّين، وقرأ ابن مسعود ويحيى بن وثّاب وطلحة (وَيَبْشُرُ) بفتح الياء وسكون الباء وضمّ الشّين. (٣: ٤٤١)

الفَخْرالرّازيّ: والمعنى أنّه تعالى بشّر المؤمنين بنوعين من البشارة: بثوابهم، وبعقاب أعدائهم، ونظيره قوله: بشّرت زيدًا أنّه سيُعطَى وبأنّ عدوّه سيُمنع.

فإن قيل: كيف يليق لفظ البشارة بالعذاب؟

قلنا: مذكور على سبيل التّهكّم، أو يقال: إنّه من باب إطلاق اسم الضّدّين على الآخر، كقوله: ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ الشّورى: ٤٠. (٢٠: ١٦١)

أبوحَيّان: وقرأ الجمهور (وَيُبَشِّر) مشدّدًا، مضارع «بشّر» المشدّد. وقرأ عبدالله وطلحة وابن وثّاب والأخوان (ويَبْشُر) مضارع «بَشَرَ» المخفّف. (٦: ١٣)

أبوالسُّعود: والجملة: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ﴾ الإسراء: ١٠، معطوفة على جملة (يُبَشِّر) بإضمار «يُخبر» أو على قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ داخلة معه تحت التّبشير، المراد به مجازًا مطلق الإخبار المنتظم للإخبار بالخبر السّارّ، وبالنّبأ الضّارّ حقيقة، فيكون ذلك

بيانًا لهداية القرآن بالتّرغيب والتّرهيب.

ويجوز كون التّبشير بمعناه، والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين: توَلّيهم، وعقاب أعدائهم. (٤ : ١١٣)

الآلوسيّ: والعطف على ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ فيكون إعداد العذاب الأليم للّذين لايؤمنون بالآخرة: مبشّرًا به، كثبوت الأجر الكبير للمؤمنين الّذين يعملون الصّالحات، ومصيبة العدوّ سرور يُبشّر به، فكأنّه قيل: يُبشّر المؤمنين بثوابهم وعقاب أعدائهم.

ويجوز أن تكون البشارة مجازًا مرسلًا، بمعنى مطلق الإخبار الشّامل للإخبار بما فيه سرور، وللإخبار بما ليس كذلك. وليس فيه الجمع بين معنى المشترك أو الحقيقة والمجاز، حتّى يقال: إنّه من عموم المجاز، وإن كان راجعًا لهذا.

أو العطف على (يُبشّر) أو (يَهْدِي) بإضمار «يخبر» فيكون من عطف الجملة على الجملة، ولايخفى ما في الآية من ترجيح الوعد على الوعيد. (١٥ : ٢٢)

يُبَشِّرُهُمْ

اَلَّذِينَ اٰمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ اَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَاُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ* يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ ...

التّوبة: ٢٠، ٢١

المَيْبُديّ: (يُبشّرُهُم) قرأ عامّة القرّاء بالتّشديد إلّا حمزة فإنّه قرأ بالتّخفيف، يقال: بشرته فأبشر واستبشر، وبشّرته فتبشّر. والبشارة بفتح الباء: مصدر، وبكسر الباء: اسم يستعمل في الخير، واستعماله في الشّرّ مجاز، وقيل: يستعمل فيها حقيقة.

واعلم أنّ في القرآن بُشّر ثلاثة أقوام بالعذاب والعقوبة، وبُشّر عشرة أقوام بالثّواب والرّحمة.

أمّا المبشّرون بالعذاب:

أحدهم: المشركون، كما قال: ﴿بَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ اَلِيمٍ﴾ التّوبة: ٣.

ثانيهم: المنافقون، ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِاَنَّ لَهُمْ عَذَابًا اَلِيمًا﴾ النّساء: ١٣٨.

ثالثهم: المانعون من الزّكاة، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَايُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيمٍ﴾ التّوبة: ٣٤.

وأمّا العشرة الّذين يبشّرونهم بالكرامة والمثوبة:

الأوّل: المؤمنون، كما قال الله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِاَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ الأحزاب: ٤٧، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ اٰمَنُوا اَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ يونس: ٢.

الثّاني: المحسنون ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ الحجّ: ٣٧.

الثّالث: المنيبون ﴿وَاَنَابُوا اِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرٰى﴾ الزّمر: ١٧.

الرّابع: المتواضعون ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ الحجّ: ٣٤، أي المتواضعين.

الخامس: الأولياء والأحبّة ﴿اَلَا اِنَّ اَوْلِيَاءَ اللهِ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يونس: ٦٢، قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرٰى فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْاٰخِرَةِ﴾ يونس: ٦٤.

السّادس: المستقيمون في طريق الحقّ ﴿اِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلٰئِكَةُ اَلَّا تَخَافُوا وَلَاتَحْزَنُوا وَاَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ فصّلت: ٣٠.

السّابع: المستمعون لكلام الحقّ ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ الزّمر: ١٧.

الثّامن: المتّقون ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ مريم: ٩٧.

التّاسع: الصّابرون ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: ١٥٥.

العاشر: المجاهدون في سبيل الله ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ التّوبة: ٢١، يبشّرهم في هذا العالم أن يعدّ لهم في ذاك العالم، الرّحمة والرّضوان، والنّعيم والجنان، والكرامة الخالدة، خالدين فيها أبدًا دائمًا سرمدًا. (٤: ١٠٥)

الزّمخشريّ: قرئ (يَبْشُرُهُمْ) بالتّخفيف والتّثقيل، وتنكير المبشَّر به لوقوعه وراء صفة الواصف، وتعريف المعرّف. (٢: ١٨٠)

الفخرالرّازيّ: واعلم أنّ هذه الإشارة اشتملت على أنواع من الدّرجات العالية، وأنّه تعالى ابتدأ فيها بالأشرف فالأشرف، نازلًا إلى الأدون فالأدون. ونحن نفسّرها تارة على طريق المتكلّمين وأخرى على طريقة العارفين.

أمّا الأوّل فنقول: فالمرتبة الأُولى منها ـ وهي أعلاها وأشرفها ـ كون تلك البشارة حاصلة من ربّهم بالرّحمة والرّضوان، وهذا هو التّعظيم والإجلال من قبل الله. وقوله: ﴿وَجَنَّاتٍ لَهُمْ﴾ إشارة إلى حصول المنافع العظيمة، وقوله: ﴿فِيهَا نَعِيمٌ﴾ إشارة إلى كون المنافع خالصة عن المكدّرات، لأنّ النّعيم مبالغة في النّعمة، ولامعنى للمبالغة في النّعمة إلّا خلوّها عن ممازجة الكدورات. وقوله: (مُقِيمٌ) عبارة عن كونها دائمة غير منقطعة.

ثمّ إنّه تعالى عبّر عن دوامها بثلاث عبارات: أوّلها: (مُقِيمٌ)، وثانيها: قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، وثالثها: قوله: (أَبَدًا). فحصل من مجموع ماذكرنا أنّه تعالى يُبشّر هؤلاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين بمنفعة خالصة دائمة مقرونة بالتّعظيم؛ وذلك هو حدّ الثّواب.

وفائدة تخصيص هؤلاء المؤمنين بكون هذا الثّواب كامل الدّرجة عالي الرّتبة، بحسب كلّ واحد من هذه القيود الأربعة.

ومن المتكلّمين من قال: قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ المراد منه خيرات الدّنيا، وقوله: ﴿وَرِضْوَانٍ لَهُمْ﴾ المراد منه كونه تعالى راضيًا عنهم، حال كونهم في الحياة الدّنيا، وقوله: (وَجَنَّاتٍ) المراد منه المنافع، وقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ﴾ المراد منه كون تلك النّعم خالصة عن المكدّرات، لأنّ النّعيم مبالغة في النّعمة، وقوله: ﴿مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ المراد منه الإجلال والتّعظيم الّذي يجب حصوله في الثّواب.

وأمّا تفسير هذه الآية على طريقة العارفين المحبّين المشتاقين فنقول: المرتبة الأُولى من الأُمور المذكورة في هذه الآية قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾.

واعلم أنّ الفرح بالنّعمة يقع على قسمين:

أحدهما: أن يفرح بالنّعمة لأنّها نعمة، والثّاني: أن يفرح بها لامن حيث هي، بل من حيث إنّ المنعم خصّه بها وشرّفه.

وإن عجز ذهنك عن الوصول إلى الفرق بين القسمين، فتأمّل فيما إذا كان العبد واقفًا في حضرة

السّلطان الأعظم وسائر العبيد كانوا واقفين في خدمته، فإذا رمى ذلك السّلطان تفّاحة إلى أحد أولئك العبيد، عظم فرحه بها. فذلك الفرح العظيم ماحصل بسبب حصول تلك التّفّاحة بل بسبب أنّ ذلك السّلطان خصّه بذلك الإكرام، فكذلك هاهنا قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ منهم من كان فرحهم بسبب الفوز بتلك الرّحمة، ومنهم من لم يفرح بالفوز بتلك الرّحمة، وإنّما فرح لأنّ مولاه خصّه بتلك الرّحمة، وحينئذٍ يكون فرحه لا بالرّحمة بل بمَن أعطى الرّحمة.

ثمّ إنّ هذا المقام يحصل فيه أيضًا درجات، فمنه من يكون فرحه بالرّاحم، لأنّه رحم، ومنهم من يتوغّل في الخلوص فينسى الرّحمة، ولايكون فرحه إلّا بالمولى، لأنّه هو المقصد؛ وذلك لأنّ العبد مادام مشغولًا بالحقّ من حيث إنّه راحم فهو غير مستغرق في الحقّ، بل تارةً مع الحقّ وتارة مع الخلق، فإذا تمّ الأمر انقطع عن الخلق وغرق في بحر نور الحقّ، وغفل عن المحبّة والمحنة، والنّقمة والنّعمة، والبلاء والآلاء.

والمحقّقون وقفوا عند قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾ فكان ابتهاجهم بهذا وسرورهم به وتعويلهم عليه ورجوعهم إليه. ومنهم من لم يصل إلى تلك الدّرجة العالية فلاتقنع نفسه إلّا بمجموع قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ فلا يعرف أنّ الاستبشار بسماع قول ربّهم، بل إنّما يستبشر بمجموع كونه مبشّرًا بالرّحمة.

والمرتبة الثّانية: هي أن يكون استبشاره بالرّحمة، وهذه المرتبة هي النّازلة عند المحقّقين.

واللّطيفة الثّانية من لطائف هذه الآية هي أنّه تعالى قال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾ وهي مشتملة على أنواع من الرّحمة والكرامة:

أوّلها: أنّ البشارة لاتكون إلّا بالرّحمة والإحسان.

والثّاني: أنّ بشارة كلّ أحد يجب أن تكون لائقة بحاله، فلمّا كان المبشّر هنا هو أكرم الأكرمين، وجب أن تكون البشارة بخيرات تعجز العقول عن وصفها، وتتقاصر الأفهام عن نعتها.

والثّالث: أنّه تعالى سمّى نفسه هاهنا بالرّبّ وهو مشتقّ من التّربية، كأنّه قال: الّذي ربّاكم في الدّنيا بالنّعم الّتي لاحدّ لها ولاحصر لها يبشّركم بخيرات عالية وسعادات كاملة.

والرّابع: أنّه تعالى قال: (رَبُّهُمْ) فأضاف نفسه إليهم، وماأضافهم إلى نفسه.

والخامس: أنّه تعالى قدّم ذكرهم على ذكر نفسه، فقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾.

والسّادس: أنّ البشارة هي الإخبار عن حدوث شيء ماكان معلوم الوقوع، أمّا لو كان معلوم الوقوع لم يكن بشارة، ألاترى أنّ الفقهاء قالوا: لو أنّ رجلًا قال: من يبشّرني من عبيدي بقدوم ولدي فهو حُرّ، فأوّل من أخبر بذلك الخبر يعتق، والّذين يُخبرون بعده لايعتقون.

وإذا كان الأمر كذلك فقوله: (يُبَشِّرُهُمْ) لابدّ أن يكون إخبارًا عن حصول مرتبة من مراتب السّعادات ماعرفوها قبل ذلك، وجميع لذّات الجنّة وخيراتها وطيّباتها قد عرفوه في الدّنيا من القرآن، والإخبار عن حصول بشارة، فلابدّ وأن تكون هذه البشارة بشارة عن

سعادات لاتصل العقول إلى وصفها ألبتّة.

واعلم أنّه تعالى لمّا قال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾ بيّن الشّي الّذي به يبشّرهم، وهو أمور: أوّلها: قوله: ﴿بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾، وثانيها: قوله: ﴿وَرِضْوَانٍ﴾.

وأنا أظنّ ـ والعلم عند الله ـ أنّ المراد بهذين الأمرين ماذكره في قوله: ﴿اِرْجِعى اِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ الفجر: ٢٨. والرّحمة كون العبد راضيًا بقضاء الله؛ وذلك لأنّ من حصلت له هذه الحالة كان نظره على المُبلي والمنعِم لا على النّعمة والبلاء. ومن كان نظره على المبلي والمنعِم لم يتغيّر حاله، لأنّ المُبلي والمنعِم منزّه عن التغيّر.

فالحاصل أنّ حاله يجب أن يكون منزّهًا عن التغيّر.

أمّا من كان طالبًا لحظّ النّفس كان أبدًا في التّغيّر من الفرح إلى الحزن، ومن السّرور إلى الغمّ، ومن الصّحّة إلى الجراحة، ومن اللّذّة إلى الألم؛ فثبت أنّ الرّحمة التّامّة لاتحصل إلّا عند مايصير العبد راضيًا بقضاء الله.

فقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ هو أنّه يزيل عن قلبه الالتفات إلى غير هذه الحالة، ويجعله راضيًا بقضائه، ثمّ إنّه تعالى يصير راضيًا، وهو قوله: (وَرِضْوَانٍ)، وعند هذا تصير هاتان الحالتان المذكورتان في قوله: ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ وهذه هي الجنّة الرّوحانيّة النّورانيّة العقليّة القدسيّة الإلهيّة. ثمّ إنّه تعالى بعد أن ذكر هذه الجنّة العالية المقدّسة ذكر الجنّة الجسمانيّة، وهي قوله: ﴿وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ التّوبة: ٢١. (١٦: ١٥)

القُرطُبيّ: أي يُعلمهم في الدّنيا مالهم في الآخرة من الثّواب الجزيل والنّعيم المقيم. (٨: ٩٣)

أبوحَيّان: أسند التّبشير إلى قوله: (رَبُّهُمْ) لما في ذلك من الإحسان إليهم بأنّ مالك أمرهم، والنّاظر في مصالحهم هو الّذي يبشّرهم، فذلك على تحقيق عبوديّتهم لربّهم. (٥: ٢١)

الآلوسيّ: قرأ حمزة (يَبْشُرُهُمْ) بفتح الياء، وسكون الباء، وضمّ الشّين والتّخفيف، على أنّه من «بشَر» الثّلاثيّ. وأخرجها أبوالشّيخ عن طلحة بن مُصرِّف، وفي التّعرّض لعنوان الرّبوبيّة مع الإضافة إلى ضمير «هم» وكونه سبحانه هو المبشّر، مالايخفى من اللّطافة واللّطف. (١٠: ٦٩)

الطَّباطَبائيّ: ظاهر السّياق أنّ مايعدّه من الفضل في حقّهم بيان وتفصيل لما ذكر في الآية السّابقة من فوزهم، جيء به بلسان التّبشير، فالمعنى: (يُبَشِّرُهُمْ) أي هؤلاء المؤمنين ﴿رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ عظيمة لايقدّر قدرها. (٩: ٢٠٦)

يُبَشِّرُكَ

١ـ فَنَادَتْهُ الْمَلٰئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ اَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا... آل عمران: ٣٩

وأمّا قوله: ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ فإنّ القرّاء اختلفت في قراءته، فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة ﴿اَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ﴾ بتشديد الشّين، وضمّ الياء، على وجه تبشير الله زكريّا بالولد، من قول النّاس: بشّرتُ فلانًا البُشرى بكذا وكذا، أي أتته بشارات البُشرى بذلك.

وقرأ ذلك جماعة من قرّاء الكوفة وغيرهم (اِنَّ اللهَ يَبْشُرُكَ) بفتح الياء وضمّ الشّين وتخفيفها، بمعنى أنّ الله

يسرّك بولدٍ يهبه لك، من قول الشّاعر:

بَشَرْتُ عِيالي إذْ رأيتُ صحيفةً

أتتك من الحَجّاج يُتلى كتابُها

[إلى أن قال:]

وقد روي عن حميد بن قيس أنّه كان يقرأ (يُبْشِرُكَ) بضمّ الياء، وكسر الشّين وتخفيفها.

عن معاذ الكوفيّ، قال: من قرأ (يُبَشِّرُهُمْ) مثقّلة، فإنّه من البشارة، ومن قرأ (يَبْشُرُهُمْ) مخفّفة بنصب الياء، فإنّه من السّرور يسرّهم.

والقراءة الّتي هي القراءة عندنا في ذلك: ضمّ الياء وتشديد الشّين، بمعنى التّبشير، لأنّ ذلك هي اللّغة السّائرة، والكلام المستفيض المعروف في النّاس، مع أنّ جميع قرّاء الأمصار مجمعون في قراءة (فَبِمَ تُبَشِّرُونَ) الحجر: ٥٤، على التّشديد. والصّواب في سائر ما في القرآن من نظائره، أن يكون مثله في التّشديد وضمّ الياء.

وأمّا ماروي عن معاذ الكوفيّ، من الفرق بين معنى التّخفيف والتّشديد في ذلك، فلم نجد أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه صحيح، فلامعنى لما حكي من ذلك عنه، وقد قال جرير بن عطيّة:

يابِشْرُ حقّ لِبِشْرِكَ التّبشير

هلّا غضبتَ لنا وأنت أمير

فقد علم أنّه أراد بقوله: التّبشير: الجمال والنّضارة والسّرور، فقال: التّبشير، ولم يقل: البِشر، فقد بيّن ذلك أنّ معنى التّخفيف والتّثقيل في ذلك واحد.

(٣: ٢٥٠)

الطّوسيّ: في بَشره من «البُشرى» ثلاث لغات: بَشّره يُبشّره، وبَشَره يَبشِره بَشْرًا، وأبشره إبشارًا عن أبي العبّاس. وقرأ حُمَيد: (يُبْشِرُكَ) من أبشر، وكلّ ذلك لظهور السّرور في بَشَرة الوجه. وقيل: إنّ المثقّل من البشارة، والمخفّف من السّرور، والمعنيان متقاربان.

(٢: ٤٥١)

الفخرالرّازيّ: وفي قوله: ﴿يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى﴾ وجهان:

الأوّل: أنّه تعالى كان قد عرّف زكريّا أنّه سيكون في الأنبياء رجل اسمه يحيى، وله ذرّيّة عالية. فإذا قيل: إنّ ذلك النّبيّ المسمّى بيحيى هو ولدك، كان ذلك بشارة له بيحيى عليه السلام.

والثّاني: أن يكون المعنى أنّ الله يُبشّرك بولد اسمه يحيى.

(٨: ٣٧)

القُرطُبيّ: (يُبَشِّرُكَ) بالتّشديد قراءة أهل المدينة. وقرأ حمزة (يَبْشُرُكَ) مخفّفًا، وكذلك حُمَيد بن القيس المكّيّ إلّا أنّه كسر الشّين وضمّ الياء وخفّف الباء، قال الأخفش: هي ثلاث لغات بمعنًى واحد:

دليل الأوّل: هي قراءة الجماعة أنّ مافي القرآن من هذا من فعل ماض أو أمر فهو بالتّثقيل، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبادِ﴾ الزّمر: ١٧، ﴿فَبَشَّرْناها بِاِسْحٰقَ﴾ هود: ٧١، ﴿قالُوا بَشَّرْناكَ بِالْحَقِّ﴾ الحجر: ٥٥.

وأمّا الثّانية: هي قراءة عبدالله بن مسعود فهي من بَشَرَ يَبْشُر، وهي لغة تِهامة.

وأمّا الثّالثة: فهي من أبشر يُبْشِر إبشارًا. (٤: ٧٥)

أبوحَيّان: وتبليغ البشارة على لسان الرّسول إلى

المرسَل إليه ليست بشارة من الرّسول بل من المُـرسِل، ألاترى إضافة ذلك إليه في قوله: (يُبَشِّرُكَ) وقد قال في سورة مريم: ٧، ﴿يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ فأسند ذلك إليه تعالى.

وقرأ حمزة والكِسائيّ: (يَبْشُرُكَ) في الموضعين، في قصّة زكريّا وقصّة مريم. وفي الإسراء وفي الكهف وفي الشّورى من «بَشَـر» مخفّفًا، وافقهما ابن كثير، وأبوعمرو في «الشّورى» زاد حمزة في الحجر إلّا ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ ومريم.

وقرأ الباقون (يُبَشِّر) من بشّر المضعّف العين، وقرأ عبدالله (يُبشِر) في جميع القرآن من أبشر، وهي لُغَى ثلاث، ذكرها غير واحد من اللّغويّين. (٢: ٤٤٦)

أبوالسُّعود: وقرئ (يُبْشِرك) من الإبشار، و(يَبْشُرك) من الثّلاثيّ.

وأيًّا ماكان ينبغي أن يكون هذا الكلام إلى آخره محكيًّا بعبارته عن الله عزّوجلّ، على منهاج قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ اَسْرَفُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾ الزّمر: ٥٣، كما يلوح من مراجعته عليه الصّلاة والسّلام في الجواب إليه تعالى بالذّات، لابواسطة الملَك. والعدول عن إسناد التّبشير إلى نون العظمة ـ حسبما وقع في سورة مريم ـ للجري على سنن الكبرياء، كما في قول الخلفاء: أميرالمؤمنين يرسم لك بكذا، وللإيذان بأنّ ماحُكي هناك من النّداء والتّبشير ومايترتّب عليه من المحاورة، كان كلّ ذلك بتوسّط الملَك، بطريق الحكاية عنه سبحانه لا بالذّات، كما هو المستبادر، وبهذا يتّضح اتّحاد المعنى في السّورتين الكريمتين، فتأمّل. (١: ٣٦٤)

الآلوسيّ: [بعد نقل قول أبي‌السُّعود قال:]

وكان الدّاعي إلى اعتبار ماهنا محكيًّا بعبارة من الله تعالى، ظهور عدم صحّة كون مافي سورة مريم من عبارة الملَك غير محكيّ من الله تعالى، وأنّ الظّاهر اتّحاد الدّعاءين، وإلّا فاهنا ممّا لايجب حمله على ماذكر لولا ذلك، والملوّح غير موجب كما لايخفى، ولابدّ في الموضعين من تقدير مضاف كالولادة. إذ التّبشير لايتعلّق بالأعيان، ويؤول في المعنى إلى ماهناك، أي إنّ الله يبشّرك بولادة غلام اسمه يحيى. (٣: ١٤٦)

رشيد رضا: قرأ ابن عامر وحمزة (إنّ) بكسر الهمزة، لأنّ النّداء قول، والباقون بفتحها على تقدير الباء، أي نادته بأنّ الله يبشّره. وفيه إشعار بأنّ البشارة محكيّة بالمعنى لاباللّفظ. فاهنا لاينافي مافي سورة مريم من التّفصيل. (٣: ٢٩٧)

٢ـ اِذْ قَالَتِ الْمَلٰئِكَةُ يَامَرْيَمُ اِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اِسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ. آل‌عمران: ٤٥

الطَّبَريّ: والتّبشير: إخبار المرء بما يَسرّه من خبر، وقوله: (بِكَلِمَةٍ مِنْهُ) يعني برسالة من الله، وخبر من عنده، وهو من قول القائل: ألقى فلان إليّ كلمة سرّني بها، بمعنى أخبرني خبرًا فرحت به، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَكَلِمَتُهُ اَلْقٰيهَا اِلٰى مَرْيَمَ﴾ النّساء: ١٧١، يعني بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها.

فتأويل الكلام: وماكنت يامحمّد عند القوم، إذ قالت الملائكة لمريم: يامريم إنّ الله يبشّرك ببشرى من عنده،

وهي وَلَدٌ لكِ، اسمه المسيح عيسى بن مريم.

(٣: ٢٦٩)

الطَّبْرِسيّ: يُخبرك بما يَسرُّكِ. (١: ٤٤٢)

تُبَشِّرُون

قَالَ اَبَشَّرْتُمُوني عَلٰى اَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ. الحجر: ٥٤

مُجاهِد: عجب من كِبَرِه، وكِبَرِ امرأته.

(الطَّبَريّ ١٤: ٤٠)

الطُّوسيّ: قرأ نافع (تُبَشِّرُونِ) بكسر النّون مع التّخفيف بمعنى تُبشّرونني، وحذف النّون استثقالًا، لاجتماع المثلين، وبقيت الكسرة الدّالّة على الياء المفعولة. والنّون الثّانية محذوفة، لأنّ التّكرير بها وقع، ولم تُحذف الأُولى لأنّها علامة الرّفع. (٦: ٣٤٠)

المَيْبُديّ: أي فبأيّ شيء تبشّروني، أعَلى حالي هذه من الكبر أم يعاد إليّ شبابي؟ (٥: ٣٢٢)

الزَّمَخْشَريّ: هي «ما» الاستفهاميّة دخلها معنى التّعجّب، كأنّه قال: فبأيّ أعجوبة تبشّروني، أو أراد إنّكم تبشّروني بما هو غير متصوّر في العادة، فبأيّ شيء تبشّرونِ، يعني لاتبشروني في الحقيقة بشيء، لأنّ البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء.

ويجوز أن لايكون صلة لبشر، ويكون سؤالًا عن الوجه والطّريقة، يعني بأيّ طريقة تبشّروني بالولد، والبشارة به لاطريقة لها في العادة. (٢: ٣٩٢)

ابن عَطيّة: تقرير على جهة التّعجّب والاستبعاد لكبرهما، أو على جهة الاحتقار وقلّة المبالاة بالمسرّة الدّنيويّة، لمضيّ العمر واستيلاء الكبر. (٣: ٣٦٦)

الفَخْرالرّازيّ: لفظ «ما» هاهنا استفهام بمعنى التّعجّب، كأنّه قال: بأيّ أعجوبة تبشّروني؟

فإن قيل: في الآية إشكالان:

الأوّل: أنّه كيف استبعد قدرة الله تعالى على خلق الولد منه في زمان، وإنكار قدرة الله تعالى في هذا الموضع كفر؟

الثّاني: كيف قال: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ مع انّهم قد بيّنوا مابشّروه به، وما فائدة هذا الاستفهام؟

قال القاضي: أحسن ماقيل في الجواب عن ذلك أنّه أراد أن يعرف أنّه تعالى يُعطيه الوَلد مع أنّه يُبقيه على صفة الشّيخوخة أو يُقلبه شابًّا، ثمّ يُعطيه الولد؟ والسّبب في هذا الاستفهام أنّ العادة جارية بأنّه لايحصل الولد حال الشّيخوخة التّامّة، وإنّما يحصل في حال الشّباب.

فإن قيل: فإذا كان معنى الكلام ماذكرتم فَلِمَ قالوا: ﴿بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ الحجر: ٥٥؟

قلنا: إنّهم بيّنوا أنّ الله تعالى بشّره بالوَلد مع إبقائه على صفة الشّيخوخة، وقولهم: ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ لايدلّ على أنّه كان كذلك، بدليل أنّه صرّح في جوابهم بما يدلّ على أنّه ليس كذلك، فقال: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ اِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الحجر: ٥٦.

وفيه جواب آخر: وهو أنّ الإنسان إذا كان عظيم الرّغبة في شيء، وفاته الوقت الّذي يغلب على ظنّه حصول ذلك المراد فيه، فإذا بُشّر بعد ذلك بحصوله، عظم فرحه وسروره، ويصير ذلك الفرح القويّ

كالمُدهش له والمزيل لقوّة فهمه وذكائه، فلعلّه يتكلّم بكلمات مضطربة من ذلك الفرح في ذلك الوقت.

وقيل أيضًا: إنّه يستطيب تلك البشارة، فربّما يعيد السّؤال ليسمع تلك البشارة مرّة أُخرى ومرّتين وأكثر، طلبًا للالتذاذ بسماع تلك البشارة، وطلبًا لزيادة الطّمأنينة والوثوق، مثل قوله: ﴿وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ البقرة: ٢٦٠.

وقيل أيضًا: أستفهم أبأمر الله تُبشّرون أم من عند أنفسكم واجتهادكم؟ (١٩: ١٩٦)

أبوالسّعود: أي بأيّ أعجوبة تبشّرونني؟ فإنّ البشارة بما لايتصوّر وقوعه عادةً بشارة بغير شيء، أو بأيّ طريقة تبشّرونني؟ (٤: ٢٥)

نحوه الآلوسيّ. (١٤: ٦١)

الطّباطبائيّ: قوله: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ تفريع على قوله: ﴿مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ وهو استفهام عمّا بشّروه به، كأنّه يشكّ في كون بشارتهم بُشرى بالولد، مع تصريحهم بذلك، لاستبعاد ذلك، فيسأل ماهو الّذي تُبشّرون به؟

فإنّ الّذي يدلّ عليه ظاهر كلامكم أمر عجيب، وهذا شائع في الكلام، يقول الرّجل إذا أخبر بما يستبعده أو لايُصدّقه: ماتقول؟ وماتريد؟ وماذا تصنع؟ (١٢: ١٨١)

عبد الكريم الخطيب: إنكار من إبراهيم هذه البُشرى بالولد أن يجيئه، وقد بلغ من الكبر حدًّا انقطع فيه الأمل من الولد، وانصرفت الرّغبة عنده عن طلبه؛ إذ فات الأوان الّذي تهفو فيه النّفس إلى الولد، ويشتدّ الطّلب له. [إلى أن قال:]

وهنا سؤال هو: كيف يقع من إبراهيم هذا الدّهش الّذي يبلغ حدّ الإنكار من أن يكون له ولد، وهو الّذي كان له ولد، وهو إسماعيل عليه السلام الّذي سبق مولده مولد إسحاق؟

والجواب على هذا: أنّ إبراهيم كان ينتظر الولد من امرأته سارة، وأنّه إذ طال انتظاره حتّى مسّه الكبر، وبلغت سارة سنّ اليأس الّذي لايولد فيه لمثلها، اتّجه إلى أن ينجب الوّلد من امرأة غيرها، فكان له من زوجته هاجر ولده إسماعيل، الّذي انتقل به وأُمّه إلى البيت الحرام، وأسكنه وأُمّه هناك؛ حيث المكان الّذي هو مكّة الآن.

وإذ لم يكن لإبراهيم غير سارة الّتي يعيش معها، فإنّه أنكر أن يكون له ولد منها، بعد أن وصلا إلى هذه المرحلة من العمر. (٧: ٢٤٣)

نُبَشِّرُكَ

يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى... مريم: ٧

الطّبْرِسيّ: يازكريّا إنّا نخبرك على ألسنة الملائكة بخبر يُرى السّرور به في وجهك. (٣: ٥٠٤)

الفخرالرّازيّ: إن قيل: إن كان الدّعاء بإذن فما معنى البشارة، وإن كان بغير إذن فلماذا أقدم عليه؟

والجواب: هذا أمر يخصّه، فيجوز أن يسأل بغير إذن، ويحتمل أنّه أُذن له فيه ولم يعلم وقته، فبُشّر به. (٢١: ١٨٦)

القُرطُبيّ: تضمّنت هذه البُشرى ثلاثة أشياء:

أحدها: إجابة دعائه وهي كرامة، الثّاني: إعطاؤه الولد وهو قوّة، الثّالث: أن يفرد بتسميته. (١١: ٨٢)

بَشِّر

١ـ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... البقرة: ٢٥

الطَّبَريّ: يعني أخبِرْهم. والبشارة أصلها: الخبر بما يسرّ المُخبَر به، إذا كان سابقًا به كلّ مُخبِر سواه. وهذا أمر من الله نبيّه محمّدًا ﷺ بإبلاغ بشارته خلقَه الّذين آمنوا به، وبمحمّد ﷺ، وبما جاء به من عند ربّه، وصدّقوا إيمانهم ذلك، وإقرارهم بأعمالهم الصّالحة، فقال له: يامحمّد بشّر من صدّقك أنّك رسولي. (١: ١٦٩)

الزّمخشريّ: إن قلت: من المأمور بقوله تعالى: (وَبَشِّر)؟

قلت: يجوز أن يكون رسول الله ﷺ وأن يكون كلّ أحد، كما قال عليه الصّلاة والسّلام: «بشّرا المشّائين إلى المساجد في الظُّلم، بالنّور التّامّ يوم القيامة». لم يأمر بذلك واحدًا بعينه، وإنّما كلّ أحد مأمور به. وهذا الوجه أحسن وأجزل، لأنّه يؤذن بأنّ الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يُبشّر به كلّ من قدر على البشارة به.

فإن قلت: علامَ عُطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولانهي يصحّ عطفه عليه؟

قلت: ليس الّذي اعتُمد بالعطف هو الأمر حتّى يُطلب له كلّ من أمرٍ أو نهيٍ يعطف عليه، إنّما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين، كما تقول: زيد يُعاقَب بالقيد والإرهاق، وبشّر عمرًا بالعفو والإطلاق، وذلك أن تقول: هو معطوف على قوله: (فَاتَّقُوا)، كما تقول: يابني تميم احذروا عقوبة ماجنيتم، وبشّر يافلان بني أسد بإحساني إليهم.

وفي قراءة زيد بن عليّ رضي الله عنه (وبُشِّر) على لفظ المبنيّ للمفعول عطفًا على أُعدّت.

والبشارة: الإخبار بما يظهر سرور المُخبَر به، ومن ثمّ قال العلماء: إذا قال لعبيده: أيّكم بشّرني بقدوم فلان فهو حرّ، فبشّروه فرادى، عُتق أوّلهم، لأنّه هو الّذي أظهر سروره بخبره دون الباقين. ولو قال مكان «بشّرني»: «أخبرني» عَتقوا جميعًا، لأنّهم جميعًا أخبروه، ومنه البَشَرة لظاهر الجلد، وتباشير الصّبح: ماظهر من أوائل ضوئه.

وأمّا ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فمن العكس في الكلام الّذي يقصد به الاستهزاء الزّائد في غيظ المُستهزَأ به وتألّمه واغتمامه، كما يقول الرّجل لعدوّه: أبشر بقتل ذرّيّتك ونهب مالك، ومنه قوله: فأعتبوا بالصّيلم.

(١: ٢٥٣)

نحوه الفخرالرّازيّ. (٢: ١٢٦)

أبوحَيّان: والمأمور بالتّبشير قيل: النّبيّ ﷺ، وقيل: كلّ من يَصلح للبشارة من غير تعيين. قال الزّمخشريّ: وهذا أحسن وأجزل، لأنّه يُؤذن بأنّ الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يُبشّر به كلّ من قدر على البشارة به، انتهى كلامه.

والوجه الأوّل عندي أولى، لأنّ أمره ﷺ لخصوصيّته بالبشارة أفخم وأجزل، وكأنّه ماأتّكل على

أن يُبشّر المؤمنين كلّ سامع بل نصّ على أعظمهم وأصدقهم، ليكون ذلك أوثق عندهم وأقطع في الإخبار بهذه البشارة العظيمة، إذ تبشيره ﷺ تبشير من الله تعالى، والجملة من قوله: (وَبَشِّر) معطوفة على ماقبلها، وليس الّذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتّى يُطلب مشاكل من أمرٍ أو نهي. [إلى أن قال:]

وتلخّص من هذا أنّ عطف الجمل بعضها على بعض ليس من شرطه أن تتّفق معاني الجمل، فعلى هذا يجوز عطف الجملة الخبريّة على الجملة غير الخبريّة.

وهذه المسألة فيها اختلاف، ذهب جماعة من النّحويّين إلى اشتراط اتّفاق المعاني. والصّحيح أنّ ذلك ليس بشرط، وهو مذهب سِيبَوَيه، فعلى مذهب سِيبَوَيه يتمشّى إعراب الزّمَخْشَريّ وأبي البقاء.

وأجاز الزّمَخْشَريّ وأبوالبقاء أن يكون قوله: (وَبَشِّر) معطوفًا على قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ ليكون عطف أمر على أمر. قال الزّمَخْشَريّ: كما تقول: يابني تميم احذروا عقوبة ماجنيتم، وبشّر يافلان بني أسد بإحسان إليهم.

وهذا الّذي ذهبا إليه خطأ، لأنّ قوله: (فَاتَّقُوا) جواب للشّرط وموضعه جزم، والمعطوف على الجواب جواب. ولايمكن في قوله: (وَبَشِّر) أن يكون جوابًا ـ لأنّه أمر بالبشارة ـ ومطلقًا، لا على تقدير: إن لم تفعلوا، بل أمر أن يُبشّر الّذين آمنوا أمرًا ليس مترتّبًا على شيء قبله، وليس قوله: (وَبَشِّر) على إعرابه مثل مامثّل به من قوله: يابني تميم إلخ، لأنّ قوله: «احذروا» لاموضع له من الإعراب، بخلاف قوله: (فَاتَّقُوا) فلذلك أمكن فيما مثّل به العطف، ولم يُمكن في (وَبَشِّر).

وقرأ زيد بن عليّ (وَبُشِّرَ) فعلًا ماضيًا مبنيًّا للمفعول، قال الزّمَخْشَريّ: عطفًا على (أُعِدَّتْ) انتهى.

وهذا الإعراب لايتأتّى على قول من جعل (أُعِدَّتْ) جملة في موضع الحال، لأنّ المعطوف على الحال حال، ولايتأتّى أن يكون (وَبُشِّر) في موضع الحال، فالأصحّ أن تكون جملة معطوفة على ماقبلها، وإن لم تتّفق معاني الجمل، كما ذهب إليه سِيبَوَيه، وهو الصّحيح. [ثمّ استشهد بشعر]

وأجاز سِيبَوَيه: جاءني زيد ومن أخوك العاقلان، على أن يكون العاقلان خبر ابتداء مضمر، وقد تقدّم لنا أنّ الزّمَخْشَريّ يخصّ البشارة بالخبر الّذي يُظهر سرور المُخبَر به.

وقال ابن عَطيّة: الأغلب استعماله في الخير، وقد يستعمل في الشّرّ مقيّدًا به، منصوصًا على الشّرّ للمبشَّر به، كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيمٍ﴾ آل‌عمران: ٢١، ومتى أُطلق لفظ «البشارة» فإنّما يحمل على الخير، انتهى كلامه.

وتقدّم لنا مايخالف قوليهما من قول سِيبَوَيه وغيره، وأنّ «البشارة» أوّل خبر يرد على الإنسان من خير كان أو شرّ، قالوا: وسمّي بذلك لتأثيره في البشرة، فإن كان خيرًا أثّر المسرّة والانبساط، وإن كان شرًّا أثّر القبض والانكماش، قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ التّوبة: ٢١، وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيمٍ﴾ آل‌عمران: ٢١، التّوبة: ٣٤، الانشقاق: ٢٤.

وجعل الزّمَخْشَريّ هذا العكس في الكلام الّذي

يقصد به استهزاء الزّائد في غيظه المستهزأ بـه وتألّمـه. وقيل: معناه ضع هذا موضع البشارة منهم، قالوا: والصّحيح أنّ كلّ خبر غيّر البشرة خيرًا كان أو شرًّا بشارة.

والتّضعيف في (بَشِّر) من التّضعيف الدّالّ على التّكثير ـ فيما قال بعضهم ـ ولايتأتّى التّكثير في (بَشّر) إلّا بالنّسبة إلى المفاعيل، لأنّ «البشارة» أوّل خبر يسرّ أو يحزن على المختار، ولايتأتّى التّكثير فيه بالنّسبة إلى المفعول الواحد، فبالنّسبة إليه يكون فعل فيه مُغنيًا عن فعل، لأنّ الّذي ينطق به مشدّدًا غير العرب الّذين ينطقون به مخفّفًا، كما بيّنّا قبل. وكون مفعول (بَشّر) موصولًا بجملة فعليّة ماضية ولم يكن اسم فاعل، دلالة على أنّ مستحقّ التّبشير بفضل الله مَن وقع منه الإيمان وتحقّق به وبالأعمال الصّالحة. (١: ١١٠)

أبوالسّعود: أي بأنّه مُنزّل من عند الله عزّوجلّ، وهو معطوف على الجملة السّابقة. لكن لاعلى أنّ المقصود عطف نفس الأمر حتّى يُطلب له مُشاكل يصحّ عطفه عليه، بل على أنّه عطف قصّة المؤمنين بالقرآن، ووصف ثوابهم على قصّة الكافرين به، وكيفيّة عقابهم جريًا على السّنّة الإلهيّة من شفع التّرغيب بالتّرهيب والوعد بالوعيد، وكان تغيير السّبك لتخييل كمال التّباين بين حالَي الفريقين.

وقُرِئ (وَبُشِّر) على صيغة الفعل مبنيًّا للمفعول عطفًا على (أُعِدَّتْ) فيكون استئنافًا، وتعليق التّبشير بالموصول للإشعار بأنّه معلّل بما في حيّز الصّلة من الإيمان والعمل الصّالح، لكن لا لذاتها فإنّهما لايكافئان النّعم السّابقة، فضلًا من أن يقتضيا ثوابًا فيما يُستقبل، بل بجعل الشّارع ومقتضى وعده.

وجعل صلته فعلًا مفيدًا للحدوث بعد إيراد الكفّار بصيغة الفاعل، لحثّ المخاطبين بالاتّقاء على إحداث الإيمان، وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر. (١: ٩٢)

الآلوسيّ: لمّا ذكر سبحانه وتعالى فيما تقدّم الكفّار ومايؤول إليه حالهم في الآخرة ـ وكان في ذلك أبلغ التّخويف والإنذار ـ عقّب بالمؤمنين ومالهم جريًا على السّنّة الإلهيّة من شفع التّرغيب بالتّرهيب والوعد بالوعيد، لأنّ من النّاس من لايُجديه التّخويف ولايُجديه وينفعه اللّطف، ومنهم عكس ذلك، فكأنّ هذا ومابعده معطوف على سابقه عطف القصّة على القصّة.

والتّناسب بينهما باعتبار أنّه بيان لحال الفريقين المتباينين، وكشف عن الوصفين المتقابلين، وهل هو معطوف على (وَإِنْ كُنْتُمْ) البقرة: ٢٣ إلى (أُعِدَّتْ) أو على ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ البقرة: ٢٤ الآية؟ قولان:

اختار السّيّد أوّلها، وادّعى بعضهم أنّه أقضى لحقّ البلاغة، وأدعى لتلاؤم النّظم، لأنّ ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا﴾ البقرة: ٢١، خطاب عامّ يشمل الفريقين، (وَإِنْ كُنْتُمْ) إلخ، مختصّ بالمخالف ومضمونه الإنذار، (وَبَشِّر) إلخ مختصّ بالموافق ومضمونه البشارة، كأنّه تعالى أوحى إلى نبيّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم أن يدعو النّاس إلى عبادته، ثمّ أمر أن يُنذر من عاند ويُبشّر من صدّق.

والسّعد اختار ثانيهما، لأنّ السّوق لبيان حال الكفّار ووصف عقابهم.

وقيل: عطف على (فَاتَّقُوا)، وتغاير المخاطبين لايضرّ كـ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي﴾ يوسف: ٢٩، وترتّبه على الشّرط بحكم العطف باعتبار أنّ (اتَّقُوا) إنذار وتخويف للكفّار (وَبَشِّر) تبشير للمؤمنين، وكلّ منها مترتّب على عدم المعارضة بعدم التّحدّي، لأنّ عدم المعارضة يستلزم ظهور إعجازه وهو يستلزم ـ استيجاب منكره ـ العقاب ومصدّقه الثّواب، لأنّ الحجّة تمّت والدّعوة كملت، واستيجابها إيّاهما يقتضي الإنذار والتّبشير، فترتّب الجملة الثّانية على الشّرط ترتّب الأُولى عليه بلافرق.

وقد يقال: إنّ الجزاء (فَآمِنُوا) محذوفًا، والمذكور قائم مقامه، فالمعنى إن لم تأتوا بكذا فآمنوا ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي فليوجد إيمان منهم وبشارة منك، ووضع الظّاهر موضع الضّمير، وفيه حثّ لهم على الإيمان، ولعلّه أقلّ مُؤْنة.

واختار صاحب «الإيضاح» عطفه على «أنذر» مقدّرًا بعد جملة (أُعِدَّتْ). وقيل: عطف على «قل» قبل ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾، وتقديره: قبل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يحُوج إلى إجراء ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ على طريقة كلام العظماء. أو تقدير: قال الله بعد «قل».

والبشارة بالكسر والضّمّ، اسم من بشّر بَشْرًا وبشورًا، وتُفتح الباء، فتكون بمعنى الجمال.

وفي الفعل لغتان: التّشديد وهي العلياء، والتّخفيف وهي لغة أهل تهامة، وقرئ بهما في المضارع في مواضع، والتّكثير في المشدّد بالنّسبة إلى المفعول، فإنّ واحدًا كان فعل فيه مُغنيًا عن فعل، وفسّروها في المشهور، وصحّح بالخبر السّارّ الّذي ليس عند المخبَر علم به.

واشترط بعضهم أن يكون صدقًا وعن سيبَوَيه إنّها خبر يؤثّر في البشرة حُزنًا أو سرورًا، وكثر استعماله في الخير، وصحّحه في «البحر» ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ظاهر عليه، ومن باب التّهكّم على الأوّل.

والمأمور بالتّبشير البشير النّذير صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وقيل: كلّ من يتأتّى منه ذلك، كما في قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «بشّر المشّائين إلى المساجد» الحديث، ففيه رمز إلى أنّ الأمر لعظمته حقيق بأن يتولّى التّبشير به كلّ من يقدر عليه. ويكون هناك مجاز إن كان الضّمير موضوعًا لجزئيّ بوضع كلّيّ وإلّا ففي الحقيقة والمجاز كلام في محلّه.

ولم يُخاطَب المؤمنون كما خوطب الكفرة تفخيمًا لشأنهم، وإيذانًا تامًّا بأنّهم أحقّاء بأن يُبشَّروا ويُهنَّؤوا بما أُعدّ لهم. وقيل: تغيير للأُسلوب لتخييل كمال التّباين بين حال الفريقين.

وعندي أنّه سبحانه لمّا كسى رسوله ﷺ حُلّة عبوديّته، في قوله: ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ ناسب أن يطرزها بطراز التّكليف بما يزيد حبّ أحبابه له، فيزدادوا إيمانًا إلى إيمانهم، وفي ذلك من اللّطف به صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وبهم مالايخفى. [وبعد نقل قول أبي السّعود الّذي تقدّم آنفًا قال:]

ثمّ لايخفى أنّ كون مناط البشارة بمجموع الأمرين لايقتضي انتفاء البشارة عند انتفائه، فلايلزم من ذلك أن لايدخل بالإيمان المجرّد الجنّة كما هو رأي المعتزلة، على أنّ مفهوم المخالفة ظنّيّ، لايعارض النّصوص الدّالّة على

أنّ الجنّة جزاء مجرّد الإيمان. (١: ٢٠٠)

٢ـ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* اَلَّذِينَ اِذَا اَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ... البقرة: ١٥٥، ١٥٦

البُرُوسَويّ: الخطاب للرّسول أو لمن يتأتّى منه البشارة، لتظيم الصّبر وتفخيمه، لأنّه فضيلة عظيمة الثّواب، وخصلة من خصال الأنبياء والأولياء، فيستحقّ صاحبه أن يبشّره كلّ أحد. (١: ٢٦٠)

الآلوسيّ: خطاب للنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم، أو لكلّ من تتأتّى منه البشارة. والجملة عطف على ماقبلها عطف المضمون على المضمون، من غير نظر إلى الخبريّة والإنشائيّة ـ والجامع ظاهر ـ كأنّه قيل: الابتلاء حاصل لكم ـ وكذا البشارة ـ ولكن لمن صبر منكم. وقيل: على محذوف، أي أنذِر الجازعين، وبشّر. (٢: ٢٣)

٣ـ ...وَقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ. البقرة: ٢٢٣

أبوالسّعود: الّذين تلقّوا ماخوطبوا به من الأوامر والنّواهي بحسب القبول والامتثال، بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنّعيم المقيم، أو بكلّ مايبشّر به من الأُمور الّتي تسرّ بها القلوب وتقرّ بها العيون. وفيه مع مافي تلوين الخطاب وجعل المبشّر رسول الله ﷺ من المبالغة في تشريف المؤمنين مالايخفى. (١: ٢٦٩)

الآلوسيّ: الّذين تلقّوا ماخوطبوا به بالقبول والامتثال، بمالاتحيط به عبارة من الكرامة والنّعيم.

وحمل بعضهم (الْمُؤْمِنِينَ) على الكاملين في الإيمان بناءً على أنّ الخطابات السّابقة كانت للمؤمنين مطلقًا، فلو كانت هذه البشارة لهم كان مقتضى الظّاهر و(بَشِّرْهُمْ)، فلمّا وضع المُظهر موضع المُضمر، علم أنّ المراد غير السّابقين، وهم المؤمنون الكاملون. ولايخفى أنّه يجوز أن يكون العدول إلى الظّاهر للدّلالة على العلّيّة، ولكونه فاصلة فلايتمّ ماذكره.

والواو للعطف، (وَبَشِّرِ) عطف على (قُلْ) المذكور سابقًا، أو على (قُلْ) مقدّرة قبل (قَدِّمُوا) وهي معطوفة على المذكورة. (٢: ١٢٦)

٤ـ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِاَنَّ لَهُمْ عَذَابًا اَلِيمًا. النّساء: ١٣٨

الطّبَريّ: أخبِر المنافقين. (٥: ٣٢٩)

الطُّوسيّ: جعل موضع بشارتهم: لهم العذاب، والعرب تقول: تحيّتك الضّرب وعقابك السّيف، أي بدلًا من ذلك. (٣: ٣٦٠)

نحوه المَيْبُديّ. (٢: ٧٢٣)

الزَّمَخْشَريّ: وضع (بَشِّرِ) مكان أخبِر، تهكّمًا بهم. (١: ٥٧٢)

نحوه الفَخْرالرّازيّ (١١: ٨٠)، والبُرُوسَويّ (٢: ٣٠٤)

ابن عَطيّة: جاءت البشارة هنا مصرّحًا بقيدها، فلذلك حسن استعمالها في المكروه، ومتى جاءت مطلقة فإنّما عرفها في المحبوب. (٢: ١٢٥)

أبوحَيّان: الخطاب للرّسول ﷺ، ومعنى (بَشِّرِ)

أخبِر. وجاء بلفظ (بَشّر) على سبيل التّهكّم بهم، نحو قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَليمٍ﴾ أي القائم لهم مقام البشارة هو الإخبار بالعذاب، كما قال: «تحيّة بينهم ضرب وجيع». (٣: ٣٧٣)

الآلوسيّ: ووضع (بَشّر) موضع أنذِر، تهكّمًا بهم، ففي الكلام استعارة تهكّميّة. وقيل: موضع أخبِر، فهناك مجاز مرسل تهكّميّ. (٥: ١٧١)

رشيد رضا: الغالب في استعمال «البشارة» أن تكون في الإخبار بما يسرّ، فهي إذًا مأخوذة من انبساط بشرة الوجه، كما أنّ السّرور مأخوذ من انبساط أساريره، وعلى هذا يقولون: إنّ استعمالها فيما يسوء ـ كما هنا ـ يكون من باب التّهكّم.

وقيل: إنّ البشارة تستعمل فيما يسرّ وفيما يسوء استعمالًا حقيقيًّا، لأنّ أصلها الإخبار بما يظهر أثره في بشرة الوجه في الانبساط والتّمدّد، أو الانقباض والتّغضّن[1]. (٥: ٤٦٢)

٥ ـ وَبَشِّرِ الَّذينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَليمٍ. التّوبة: ٣

الطَّبْرِسيّ: أي أخبِرهم مكان البشارة بعذاب موجع، وهو عذاب النّار في الآخرة. (٣: ٥)

الفَخْرالرّازيّ: لفظ «البشارة» ورد هاهنا على سبيل استهزاء، كما يقال: تحيّتهم الضّرب وإكرامهم الشّتم. (١٥: ٢٢٣)

أبوحَيّان: جعل الإنذار بشارة على سبيل الاستهزاء بهم. (٥: ٨)

أبوالسُّعود: تلوين للخطاب، وصرف له عنهم إلى رسول الله ﷺ، لأنّ البشارة بعذاب أليم، وإن كانت بطريق التّهكّم إنّما تليق بمن يقف على الأسرار الإلهيّة. (٣: ١٢٢)

نحوه البُرُوسَويّ. (٣: ٣٨٥)

الآلوسيّ: والتّعبير بالبشارة للتّهكّم، وصرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، قيل: لأنّ البشارة إنّما تليق بمن يقف على الأسرار الإلهيّة. وقد يقال: لايبعد كون الخطاب لكلّ من له حظّ فيه، وفيه من المبالغة مالايخفى. (١٠: ٤٨)

٦ ـ اَلتّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السّائِحُونَ الرّاكِعُونَ السّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنينَ. التّوبة: ١١٢

الفَخْر الرّازيّ: واعلم أنّه تعالى لمّا ذكر هذه الصّفات التّسعة قال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنينَ﴾ والمقصود منه أنّه قال في الآية المتقدّمة: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذي بايَعْتُمْ بِهِ﴾ التّوبة: ١١١، فذكر هذه الصّفات التّسعة، ثمّ ذكر عقيبها قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنينَ﴾ تنبيهًا على أنّ البشارة المذكورة في قوله: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ لم تتناول إلّا المؤمنين الموصوفين بهذه الصّفات. (١٦: ٢٠٧)

٧ ـ وَاَوْحَيْنا اِلى مُوسى وَاَخيهِ اَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَاَقيمُوا الصَّلوةَ وَبَشِّرِ

(١) التّشنّج.

الْمُؤْمِنِينَ. يونس: ٨٧

القُرطُبيّ: قيل: الخطاب لمحمّد ﷺ، وقيل: لموسى عليه السلام، وهو أظهر، أي بشّر بني إسرائيل بأنّ الله سيُظهرهم على عدوّهم. (٨: ٣٧٣)

أبوحَيّان: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني بالنّصر في الدّنيا، وبالجنّة في الآخرة. وهو أمر لموسى عليه السلام [وأخيه] أن يتبوّآ لقومهما ويختاراها للعبادة؛ وذلك ممّا يُفوّض إلى الأنبياء.

ثمّ نسّق الخطاب عامًّا لهما ولقومهما باتّخاذ المساجد والصّلاة فيها، لأنّ ذلك واجب على الجمهور. ثمّ خصّ موسى عليه السلام بالتّبشير الّذي هو الغرض، تعظيمًا له وللمبشّر به. (٥: ١٨٦)

أبوالسُّعود: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنّصرة في الدّنيا إجابة لدعوتهم، والجنّة في العُقبى. وإنّما ثُنّي الضّمير أوّلًا، لأنّ التّبوّء للقوم، واتّخاذ المعابد ممّا يتولّاه رؤساء القوم بتشاور، ثمّ جمع لأنّ جعل البيوت مساجد، والصّلاة فيها ممّا يفعله كلّ أحد، ثمّ وحّد لأنّ بشارة الأُمّة وظيفة صاحب الشّريعة. ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم، لمدحهم بالإيمان، والإشعار بأنّه المدار في التّبشير. (٣: ٢٦٩)

نحوه الآلوسيّ. (١١: ١٧٢)

رشيد رضا: بحفظ الله إيّاهم من فتنة فرعون وملئه الظّالمين لهم، وتنجيتهم من ظلمهم. خصّ الله موسى بهذا الأمر، التّبشير، لأنّه من أمر الوحي والتّبليغ المنوط به، وأشرك هارون معه في الأمر الّذي قبله، لأنّه تدبير عمليّ، هو وزيره المساعد له على تنفيذه. (١١: ٤٧١)

الطَّباطَبائيّ: وأمّا قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالسّياق يدلّ على أنّ المراد به البشارة بإجابة ماسألوه في دعائهم المذكور آنفًا ﴿رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ يونس: ٨٥، إلى آخر الآيتين. (١٠: ١١٥)

٨ - وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا. الأحزاب: ٤٧

الزَّمَخْشَريّ: ولقائل أن يقول: وصفه الله بخمسة أوصاف وقابل كلًّا منها بخطاب مناسب له: قابل الشّاهد بقوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنّه يكون شاهدًا على أُمّته، وهم يكونون شهداء على سائر الأُمم، وهو الفضل الكبير. (٣: ٢٦٦)

الفَخرالرّازيّ: وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على مفهوم، تقديره: إنّا أرسلناك شاهدًا ومبشّرًا فاشهد وبشّر، ولم يذكر «فاشهد» للاستغناء عنه، وأمّا البشارة فإنّها ذكرت إبانة للكرم، ولأنّها غير واجبة لولا الأمر. (٢٥: ٢١٨)

نحوه أبوحَيّان. (٧: ٢٣٨)

أبوالسُّعود: عطف على مقدّر يقتضيه المقام ويستدعيه النّظام، كأنّه قيل: فراقب أحوال النّاس وبشّر المؤمنين منهم. (٥: ٢٣٠)

مثله البُرُوسَويّ. (٧: ١٩٩)

الآلوسيّ: عطف على مقدّر يقتضيه المقام ويستدعيه النّظام، كأنّه قيل: فراقب أحوال النّاس وبشّر المؤمنين. وجوّز عطفه على الخبر السّابق، عطف

القصّة على القصّة.

وقيل: هو معطوف عليه، ويُجعل في معنى الأمر، لأنّه في معنى ادْعُهم شاهدًا ومبشّرًا ونذيرًا إلخ وبَشّر المؤمنين. (٢٢: ٤٦)

عبد الكريم الخطيب: هو معطوف على محذوف، تقديره: هذا فضل الله عليك، فاهنأ به، وبشّر المؤمنين. كذلك بأنّ لهم من الله فضلًا كبيرًا، فهم أتباعك وأولياؤك. فإذا كان لك ـ أيّها النّبيّ ـ هذا العطاء الجزيل من ربّك، فإنّ للمؤمنين حظًّا من عطاء ربّهم، وماكان عطاء ربّك محظورًا. (١١: ٧٣١)

٩ـ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ. الصّفّ: ١٣

الزّمخشريّ: إن قلت: عَلامَ عطف قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؟

قلت: على (تُؤْمِنُونَ) لأنّه في معنى الأمر، كأنّه قيل: آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم، وبشّر يارسول الله المؤمنين بذلك. (٤: ١٠٠)

مثله الفخر الرّازيّ. (٢٩: ٣١٨)

البُرُوسَويّ: عطف على محذوف مثل «قُل» ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الصّفّ: ١٠، وبشّرهم ياأكمل الرّسل بأنواع البشارة الدّنيويّة والأُخرويّة، فلهم من الله فضل وإحسان في الدّارين. (٩: ٥١٠)

الآلوسيّ: عطف على «قل» مقدّرًا قبل قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الصّفّ: ١٠، وقيل: على «أبشر» مقدّرًا أيضًا، والتّقدير: فأبشر يامحمّد وبشّر.

وقال الزّمخشريّ: هو عطف على (تُؤْمِنُونَ) لأنّه في معنى الأمر، كأنّه قيل: آمنوا وجاهدوا يثبكم الله تعالى وينصركم، وبشّر يارسول الله المؤمنين بذلك.

وتعقّبه في «الإيضاح» بأنّ فيه نظرًا، لأنّ المخاطبين في (تُؤْمِنُونَ) هم المؤمنون، وفي (بَشّر) هو النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ثمّ قوله تعالى: (تُؤْمِنُونَ) بيان لما قبله على طريق الاستئناف، فكيف يصحّ عطف ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عليه؟

وأُجيب بما خلاصته: أنّ قوله سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ للنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وأُمّته كما تقرّر في أُصول الفقه، وإذا فُسّر بـ(آمِنوا وبَشّر) دلّ على تجارته عليه الصّلاة والسّلام الرّابحة وتجارتهم الصّالحة، وقدّم (آمنوا) لأنّه فاتحة الكلّ.

ثمّ لو سَلِم فلامانع من العطف على جواب السّائل بما لايكون جوابًا إذا ناسبه فيكون جوابًا للسّؤال وزيادة كيف وهو داخل فيه، كأنّهم قالوا: دلّنا ياربّنا، فقيل: آمنوا يكن لكم كذا، وبشّرهم يامحمّد بثبوته لهم، وفيه من إقامة الظّاهر مقام المُضمر، وتنويع الخطاب مالايخفى نبل موقعه.

واختاره صاحب «الكشف» فقال: إنّ هذا الوجه من وجه العطف على «قُل» ووجه العطف على «فابشر» لخلوّهما عن الفوائد المذكورة يعني ماتضمّنه الجواب. (٢٨: ٩٠)

الطّباطبائيّ: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوف على الأمر المفهوم من سابق الكلام كأنّه قيل: «قُل» ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ...﴾ الصّفّ: ١٠،

و﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وتحاذي هذه البُشرى ما في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ـ إلى أن قال ـ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ التّوبة: ١١١، وبه يظهر أنّ الّذي أمر أن يُبَشَّروا به مجموع ما يؤتيهم الله من الأجر في الآخرة والدّنيا، لا خصوص النّصر والفتح.

هذا كلّه ما يعطيه السّياق في معنى الآية وإعراب أجزائها، وقد ذكر فيها أمور أُخرى لا يساعد عليها السّياق تلك المساعدة أغمضنا عن ذكرها. واحتُمل أن يكون قوله: (وَبَشِّر) إلخ استئنافًا. (١٩: ٢٦٠)

عبد الكريم الخطيب: وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هو أمر سماويّ من الله سبحانه وتعالى للنّبيّ الكريم أن يبشّر المؤمنين بهذا الوعد الّذي وعدهم الله إيّاه، وأن يكشف لهم عن مواقع هذا النّصر والفتح القريب، وقد بشّر النّبيّ الكريم أصحابه بما سيلقاهم على طريق الإسلام من نصر وفتح، وفي هذا ما يدخل الطّمأنينة والرّضاء على قلوب المؤمنين، ويُمدّهم بأمداد السّكينة والصّبر على ما كانوا يعانون من شدّة وضيق، وما كانوا يلقون من كيد وبلاء. (١٤: ٩٣٨)

مُبَشِّرًا

١ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. الفرقان: ٥٦

الطّبَريّ: (مُبَشِّرًا) بالثّواب الجزيل مَن آمن بك وصدّقك، وآمن بالّذي جئتهم به من عندي، وعملوا به، (وَنَذِيرًا) مَن كذّبك وكذّب ما جئتهم به من عندي، فلم يُصدّقوا به، ولم يعملوا. (١٩: ٢٧)

نحوه الطّوسيّ (٧: ٥٠١)، والمَيبُديّ (٧: ٥١)، والبُرُوسَويّ (٦: ٢٣٣).

ابن عَطيّة: الآية تسلية لمحمّد ﷺ، أي لا تهتمّ بهم ولا تذهب نفسك حسرات حرصًا عليهم، فإنّما أنت رسول تبشّر المؤمنين بالجنّة وتنذر الكفرة النّار، ولست بمطلوب بإيمانهم أجمعين. (٤: ٢١٥)

الفَخْر الرّازيّ: أمّا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ فتعلّق ذلك بما تقدّم، هو أنّ الكفّار يطلبون العون على الله تعالى وعلى رسوله، والله تعالى بعث رسوله لنفعهم، لأنّه بعثه ليبشّرهم على الطّاعة، ويُنذرهم على المعصية، فيستحقّوا الثّواب ويحترزوا عن العقاب. فلا جهل أعظم من جهل من استفرغ جهده في إيذاء شخص استفرغ جهده في إصلاح مهمّاته دينًا ودُنيا، ولا يسألهم على ذلك ألبتّة أجرًا. (٢٤: ١٠٢)

القُرطُبيّ: يريد بالجنّة مبشّرًا ونذيرًا من النّار، وما أرسلناك وكيلًا ولا مسيطرًا. (١٣: ٦٢)

الطّباطَبائيّ: أي لم نجعل لك في رسالتك إلّا التّبشير والإنذار، وليس لك وراء ذلك من الأمر شيء، فلا عليك إن كانوا معاندين لربّهم مظاهرين لعدوّه عليه، فليسوا بمعجزين لله، وما يمكرون إلّا بأنفسهم، هذا هو الّذي يُعطيه السّياق.

وعليه فقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ هذا الفصل من الكلام، نظير قوله: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ الفرقان: ٤٣، في الفصل السّابق.

ومنه يظهر أنّ أخذ بعضهم الآية تسلية منه تعالى

لنبيّه صلّى الله عليه وآله؛ حيث قال: والمراد ماأرسلناك إلّا مبشّرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين، فلاتحزن على عدم إيمانهم. غير سديد. (١٥: ٢٣٠)

عبد الكريم الخطيب: هو عزاء للنّبيّ الكريم، لما يلق في تبليغ رسالته من عنت هؤلاء المشركين، وضلالهم، ومايسوءه من خلافهم عليه، وهم في هذا الضّلال الّذي لن يسلمهم إلّا إلى الهلاك والبوار.

وماذا يفعل الرّسول أكثر ممّا فعل مع هؤلاء المعاندين الضّالّين، إنّه لايملك بين يديه قوّة تحرّكهم على أن يركبوا سفينة النّجاة معه، وإنّ كلّ مايملكه هو كلمات الله، يبشّر بها المؤمنين بأنّ لهم من الله فضلًا كبيرًا، ويُنذر الضّالّين المكذّبين، بأنّ لهم عذابًا أليمًا ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ الغاشية: ٢١، ٢٢. (١٠: ٤٨)

٢ـ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾ الصّفّ: ٦

الإمام الباقر عليه السّلام: لم تزل الأنبياء تُبشّر بمحمّد صلّى الله عليه وآله حتّى بعث الله تبارك وتعالى المسيح عيسى ابن مريم فبشّر بمحمّد صلّى الله عليه وآله، وذلك قوله تعالى: (يَجِدُونَهُ) يعني اليهود والنّصارى (مَكْتُوبًا) يعني صفة محمّد صلّى الله عليه وآله، (عِنْدَهُمْ) يعني في التّوراة والإنجيل ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الأعراف: ١٥٧، وهو قول الله عزّوجلّ يُخبر عن عيسى ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وبشّر موسى وعيسى بمحمّد، كما بشّر الأنبياء صلوات الله عليهم بعضهم ببعض حتّى بلغت محمّدًا صلّى الله عليه وآله.

(الكُلينيّ ٨: ١١٧)

الطّوسيّ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾ عطف على قوله: (مُصَدِّقًا) وهو أيضًا نصب على الحال. (٩: ٥٩٣)

المَيْبُديّ: بشّر كلّ نبيّ قومه بنبيّنا صلّى الله عليه وآله، والله أفرد عيسى بالذّكر في هذا الموضع، لأنّه آخر نبيّ قبل نبيّنا، فبيّن أنّ البشارة به عمّ جميع الأنبياء واحدًا بعد واحد حتّى انتهى إلى عيسى عليه السّلام. ويُروى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة أخي عيسى.

(١٠: ٨٦)

الطّبْرِسيّ: قد تضمّنت الآية أنّ عيسى بشّر قومه بمحمّد صلّى الله عليه وآله وبنبوّته وأخبرهم برسالته، وفي هذه البشرى معجزة لعيسى عليه السّلام عند ظهور محمّد صلّى الله عليه وآله، وأمر لأمّته أن يؤمنوا به عند مجيئه. (٥: ٢٨٠)

الفخرالرّازيّ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾ يُصدّق بالتّوراة على مثل تصديقي، فكأنّه قيل له: مااسمه؟ فقال: اسمه أحمد. [إلى أن قال:]

ولنذكر الآن بعض ماجاء به عيسى عليه السّلام بمقدم سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وآله في الإنجيل، في عدّة مواضع:

أوّلها: في الإصحاح الرّابع عشر من إنجيل يوحنّا هكذا: «وأنا أطلب لكم إلى أبي حتّى يمنحكم ويُعطيكم الفارقليط حتّى يكون معكم إلى الأبد، والفارقليط هو روح الحقّ اليقين» هذا لفظ الإنجيل المنقول إلى العربيّ. وذكر في الإصحاح الخامس عشر هذا اللّفظ «وأمّا الفارقليط روح القُدس يرسله أبي باسمي، ويعلّمكم ويمنحكم جميع الأشياء، وهو يذكّركم ماقلت لكم». ثمّ

ذكر بعد ذلك بقليل «وإنّي قد خبّرتكم بهذا قبل أن يكون حتّى إذا كان ذلك تؤمنون».

وثانيها: ذُكر في الإصحاح السّادس عشر هكذا «ولكن أقول لكم الآن حقًّا يقينًا انطلاقي عنكم خير لكم، فإن لم أنطلق عنكم إلى أبي لم يأتكم الفارقليط، وإن انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء هو يفيد أهل العالم، ويدينهم ويمنحهم ويوقفهم على الخطيئة والبرّ والدّين».

وثالثها: ذُكر بعد ذلك بقليل هكذا «فإنّ لي كلامًا كثيرًا أُريد أن أقوله لكم، ولكن لاتقدرون على قبوله والاحتفاظ له، ولكن إذاجاء روح الحقّ، إليكم يُلهمكم ويُؤيّدكم بجميع الحقّ لأنّه ليس يتكلّم بدعةً من تلقاء نفسه» هذا مافي الإنجيل.

فإن قيل: المراد بفارقليط إذا جاء يرشدهم إلى الحقّ ويعلّمهم الشّريعة هو عيسى يجيء بعد الصّلب؟

نقول: ذكر الحواريّون في آخر الإنجيل أنّ عيسى لمّا جاء بعد الصّلب ماذكر شيئًا من الشّريعة، وماعلّمهم شيئًا من الأحكام، ومالبث عندهم إلّا لحظة، وماتكلّم إلّا قليلًا مثل أنّه قال: «أنا المسيح فلاتظنّوني ميّتًا، بل أنا ناج عند الله ناظر إليكم، وإنّي ماأُوحي بعد ذلك إليكم» فهذا تمام الكلام. (٢٩: ٣١٣)

أبوحيّان: (مُصَدِّقًا وَمُبَشِّرًا) حالان، والعامل (رَسُولٌ) أي مرسل و(يَأْتِي) و(اسْمُهُ) جملتان في موضع الصّفة لرسول، أخبر أنّه مصدّق لما تقدّم من كتب الله الإلهيّة ولمن تأخّر من النّبيّ المذكور، لأنّ التّبشير بأنّه رسول تصديق لرسالته. (٨: ٢٦٢)

أبوالسُّعود: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ...﴾ معطوف على (مُصَدِّقًا) أي داعٍ إلى تصديقه عليه الصّلاة والسّلام مثله من حيث إنّ البشارة به واقعة في التّوارة، والعامل فيهما مافي الرّسول من معنى الإرسال لاالجارّ، فإنّه صلة للرّسول. (٦: ٢٤٣)

مثله البُرُوسَويّ. (٩: ٤٩٧)

الآلوسيّ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ...﴾ معطوف على (مُصَدِّقًا) وهو داع أيضًا إلى تصديقه عليه السلام، من حيث إنّ البشارة بهذا الرّسول صلى الله عليه وآله واقعة في التّوراة، كقوله تعالى في الفصل العشرين من السّفر الخامس: منها: أقبل الله من سينا وتجلّى من ساعير وظهر من جبال فاران معه الرّبوات الأطهار عن يمينه.

وقوله سبحانه في الفصل الحادي عشر من هذا السّفر: ياموسى إنّي سأُقيم لبني إسرائيل نبيًّا من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي في فيه، ويقول لهم ماآمره فيه، والّذي لايقبل قول ذلك النّبيّ الّذي يتكلّم باسمي أنا أنتقم منه ومن سبطه، إلى غير ذلك. ويتضمّن كلامه عليه السلام أنّ دينه التّصديق بكتب الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام جميعًا، ممّن تقدّم ومن تأخّر. (٢٨: ٨٦)

الطَّباطَبائيّ: قوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ إشارة إلى الشّطر الثّاني من رسالته عليه السلام، وقد أشار إلى الشّطر الأوّل بقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرٰيةِ﴾.

ومن المعلوم أنّ البُشرى هي الخبر الّذي يسرّ المبشَّر ويُفرحه، ولايكون إلّا بشيء من الخير يوافيه ويعود إليه. والخير المترقّب من بعثة النّبيّ ودعوته هو انفتاح باب من الرّحمة الإلهيّة على النّاس، فيه سعادة

دنياهم وعقباهم، من عقيدة حقّة أو عمل صالح أو كليهما.

والبشرى بالنّبيّ بعد النّبيّ وبالدّعوة الجديدة بعد حلول دعوة سابقة واستقرارها والدّعوة الإلهيّة واحدة، لاتبطل بمرور الدّهور وتقضّي الأزمنة واختلاف الأيّام واللّيالي، إنّما تتصوّر إذا كانت الدّعوة الجديدة أرقى فيما تشتمل عليه من العقائد الحقّة والشّرائع المعدلة لأعمال المجتمع، وأشمل لسعادة الإنسان في دنياه وعقباه.

وبهذا البيان يظهر أنّ معنى قولهعليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي﴾ إلخ، يفيد كون ماأتى به النّبيّ أحمدصلى الله عليه وآله أرقى وأكمل ممّا تضمّنته التّوراة وبعث به عيسىعليه السلام، وهوعليه السلام متوسّط رابط بين الدّعوتين. (١٩: ٢٥٢)

عبد الكريم الخطيب: جاء في هذه السّورة ـ سورة الصّفّ: ٦ ـ قوله تعالى على لسان المسيح: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

هذا ماجاء به القرآن، على لسان المسيح إلى بني إسرائيل، مبشّرًا إيّاهم ﴿بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وهو اسم «محمّد» رسول اللهصلى الله عليه وآله، لأنّ كلا الاسمين مشتقّ من الحمد، فهو صلوات الله وسلامه عليه أحمد، ومحمود، ومحمّد.

وإذا كانت الأناجيل الأربعة المتداولة اليوم قد خلت من هذه البشرى على وجه صريح، فإنّ ذلك لاينقض ماجاء به القرآن الكريم، في الآية السّابقة؛ إذ القرآن هو الحجّة القائمة على ما سبقه من الكتب السّماويّة، لأنّه آخرها، وضابط محكمها، والمهيمن عليها، كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨.

والإنجيل الّذي يتحدّث عنه القرآن هو كتاب واحد، ولكنّ الّذي في أيدي النّاس اليوم ليس إنجيلًا واحدًا، وإنّما هو أربعة أناجيل، وقد كان في وقت مّا خمسة وسبعين إنجيلًا.

وقد وقع خلاف فيما بينها، لأنّها لاتعتمد على أصل واحد، ولاترجع إلى الإنجيل الّذي أُنزل على المسيحعليه السلام، وإنّما هي مرويّات تتحدّث عن السّيّد المسيح، وعن سيرته وأخباره، فيما يرويه عنه بعض حواريّيه، أو مَن اتّصل بحواريّيه وسمع منهم وتتلمذ عليهم، وفي هذه السّيرة عبارات من عظات السّيّد المسيح ووصاياه، وقد يكون فيها بعض آيات من الإنجيل السّماويّ، كان السّيّد المسيح يضمّنها عظاته ووصاياه.

وإذن فالأناجيل الّتي ذكرت سيرة السّيّد المسيح، تختلف في تشخيص شخصيّة السّيّد المسيح، وفي تناول مواقفه، وفي نقل عباراته وكلماته، باختلاف الكتّاب الّذي كتبوا هذه السّيرة، ونفضوا عليها من عواطفهم ومشاعرهم، ومن ألوان ثقافاتهم، ماجعل الأناجيل تختلف هذا الاختلاف، كما يختلف إنسان عن إنسان في تفكيره، وفي تصوّره للأحداث.

وليس من همّنا هنا دراسة الأناجيل دراسة تاريخيّة، محقّقة للإنجيل السّماويّ، أو الأناجيل الّتي

جاءت مُحدِّثة عنه.

وإنّما الّذي نقف عنده منها، هو أنّ القرآن الكريم قد ذكر آية صريحة تذكر على لسان السّيّد المسيح، تلك البُشرى الّتي أعلنها في بني إسرائيل، مبشّرًا برسول يأتي من بعده اسمه «أحمد».

ثمّ نبحث في الأناجيل الأربعة، فلا نجد هذه البُشرى صريحة تلك الصّراحة الّتي تقطع بأنّ نبيًّا اسمه «أحمد» سيجيء بعد المسيح. وإنّما الّذي جاء في بعض الأناجيل الّتي اعتمدتها المسيحيّة إشارات، يمكن أن تؤوّل إلى مايُفهم منه ظهور نبيّ عربيّ، يأتي من بعد المسيح موصوفًا بصفات الحمد، وهو كلمة «بارقليط» الّذي وعد المسيح بأنّه سيأتي من بعده.

وإنّه لكي نفهم هذه الإشارة الّتي جاءت على لسان المسيح، كما رواها «يوحنّا» في إنجيله، ينبغي أن نقف وقفة قصيرة مع السّيّد المسيح، ومع الظّروف الّتي ولد فيها، وماكان بينه وبين اليهود من مواقف؛ فذلك من شأنه أن يحلّ لنا كثيرًا من رموز هذه الكلمات الّتي رويت عن السّيّد المسيح عليه السلام.

في حياة المسيح عليه السلام أكثر من حدث أثار تضارب الآراء فيه، واختلاف النّاس عليه.

فأوّلًا: ميلاده من عذراء... [بعد أن بحث بحثًا مستوفى في شأن السّيّد المسيح قال:]

وإذا كان القرآن الكريم قد قال على لسان المسيح: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَيةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ نقول: إذا كان القرآن قد قال هذا على لسان السّيّد المسيح، فإنّ هذا القول يوافق تمامًا ماسجّلته الأناجيل عنه، من قوله الّذي أشرنا إليه من قبل، والّذي يقول فيه مخاطبًا أتباعه: «إنّه خير لكم أن أنطلق، لأنّه إذا لم أنطلق لايأتيكم المعزّي». وكلمة «المعزّي» هي إحدى المعاني الّتي فُسّرت بها كلمة «باركليت» اليونانيّة، والّتي فُسّرت أيضًا بمعنى: الحامي، أو مستشار الدّفاع.

والقرآن يصرّح بأنّ المسيح بَشّر في الإنجيل باسم هذا الّذي سيجيء من بعده، لابصفته؛ إذ يقول: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وأحمد صفة من الحمد يشتقّ منها محمّد، ومحمود، وحامد، وحمّاد. (١٤: ٩٢٢)

مُبَشِّرِينَ

١ـ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ... البقرة: ٢١٣

الفَخْرالرّازيّ: واعلم أنّ الله تعالى وصف النّبيّين بصفات ثلاث:

الصّفة الأولى: كونهم مبشّرين.

والثّانية: كونهم منذرين، ونظيره قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ النّساء: ١٦٥.

وإنّما قدّم البشارة على الإنذار، لأنّ البشارة تجري مجرى حفظ الصّحّة، والإنذار يجري مجرى إزالة المرض، ولاشكّ أنّ المقصود بالذّات هو الأوّل دون الثّاني، فلاجرم وجب تقديمه في الذّكر.

والصّفة الثّالثة: قوله: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ البقرة: ٢١٣.

فإن قيل: إنزال الكتاب يكون قبل وصول الأمر والنّهي إلى المكلّفين، ووصول الأمر والنّهي إليهم يكون قبل التّبشير والإنذار، فلِمَ قدّم ذكر التّبشير والإنذار على إنزال الكتب؟

أجاب القاضي عنه، فقال: لأنّ الوعد والوعيد منهم قبل بيان الشّرع ممكن فيا يتّصل بالعقليّات من المعرفة باللّه، وترك الظّلم وغيرهما.

وعندي فيه وجه آخر، وهو أنّ المكلّف إنّما يتحمّل النّظر في دلالة المعجز على الصّدق، وفي الفرق بين المعجز والسّحر إذا خاف أنّه لو لم ينظر فربّما ترك الحقّ فيصير مستحقًّا للعقاب، والخوف إنّما يقوى ويكمل عند التّبشير والإنذار، فلاجرم وجب تقديم البشارة والنّذارة على إنزال الكتاب في الذّكر. (٦: ١٥)

القُرطُبيّ: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ نصب على الحال. (٣: ٣٢)

أبوحَيّان: أي أرسل النّبيّين مبشّرين بثواب مَن أطاع، ومنذرين بعقاب من عصى.

وقدّم البشارة، لأنّها أبهج للنّفس وأقبل لما يلقى النّبيّ، وفيها اطمئنان المكلّف، والوعد بثواب مايفعله من الطّاعة، ومنه ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ مريم: ٩٧، وانتصاب مبشّرين ومنذرين على الحال المقارنة. (٢: ١٣٥)

البُرُوسَويّ: مبشّرين بالثّواب لمن آمن وأطاع، ومنذرين محذّرين بالعقاب لمن كفر وعصى. (١: ٣٢٩)

٢ـ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ... النّساء: ١٦٥

المَيْبُديّ: (مُبَشِّرِينَ) يعني بالثّواب على الطّاعة، (وَمُنْذِرِينَ) بالعقاب على المعصية.

يقول: وأرسلنا الرّسل بالبشارة والنّذارة حتّى لايقولون غدًا: ﴿مَاجَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَانَذِيرٍ﴾ المائدة: ١٩. (٢: ٧٧١)

الزَّمَخْشَريّ: الأوجه أن ينتصب على المدح، ويجوز انتصابه على التّكرير. (١: ٥٨٢)

أبوحَيّان: أي يُبشّرون بالجنّة مَن أطاع، ويُنذِرون بالنّار مَن عصى. [إلى أن قال:]

وقوله: (لِئَلَّا) هو كالتّعليل لحالتي التّبشير والإنذار، والتّبشير هو بالجنّة والإنذار هو بالنّار، وليس الثّواب والعقاب حاكمًا بوجوبهما العقل، وإنّما هو مجوّز لهما، وجاء السّمع فصارا واجبًا وقوعهما، ولم يستفد وجوبهما إلّا من البشارة والنّذارة.

فلو لم يبشّر الرّسل بالجنّة لمن امتثل التّكاليف الشّرعيّة، ولم يُنذروا بالنّار مَن لم يمتثل، وكانت تقع المخالفة المترتّب عليها العقاب بما لاشعور للمكلّف بها، من حيث إنّ اللّه لايبعث إليه من يُعلمه بأنّ تلك معصية لكانت له الحجّة، إذ عوقب على شيء لم يتقدّم إليه في التّحذير من فعله، وأنّه يترتّب عليه العقاب.

(٣: ٣٩٨)

عبد الكريم الخطيب: أي أرسلنا رسلًا إلى النّاس، مبشّرين ومنذرين، يبشّرونهم بمغفرة ورضوان إذا هم استجابوا لرسل اللّه، وآمنوا باللّه، ويُنذرونهم بما يلقون من سخط اللّه وعذابه، إذا هم كذّبوا رسل اللّه

وكفروا بالله. (٣: ١٠١١)

٣ـ وَمَانُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ... الأنعام: ٤٨

القُرطُبيّ: أي بالتّرغيب والتّرهيب. قال الحسن: مبشّرين بسعة الرّزق في الدّنيا والثّواب في الآخرة، يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الأعراف: ٩٦.

ومعنى (مُنْذِرِينَ) مخوّفين عقاب الله، فالمعنى إنّما أرسلنا المرسلين لهذا لا لما يقترح عليهم من الآيات، وإنّما يأتون من الآيات بما تظهر معه براهينهم وصدقهم. (٦: ٤٢٩)

أبـوحَيّان: أي مـبشّرين بـالثّواب ومنذرين بالعقاب. وانتصب ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ على الحال، وفيها معنى العلّيّة، أي أرسلناهم للتّبشير والإنذار لا لأن تقترح عليهم الآيات بعد وضوح ما جاؤوا به وتبيين صحّته. (٤: ١٣٢)

أبوالسُّعود: حالان مقدّرتان من المرسلين، أي مانرسلهم إلّا مقدّرًا تبشيرهم وإنذارهم، ففيها معنى العلّة الغائيّة قطعًا، أي ليبشّروا قومهم بـالثّواب عـلى الطّاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية، أي ليخبروهم بالخبر السّارّ والخبر الضّارّ دنيويًّا كان أو أُخرويًّا، من غير أن يكون لهم دخل مّا في وقوع المخبَر به أصلًا.

وعليه يـدور القـصر والإلزام أن لايكون بيان الشّرائع والأحكام من وظائف الرّسالة. (٢: ٣٨٤)

مثله البُرُوسَويّ. (٣: ٣٢)

الآلوسيّ: (مُبَشِّرِينَ) مَن أطـاع مـنهم بـالثّواب (وَمُنْذِرِينَ) مَن عصى منهم بالعذاب. واقتصر بعضهم على الجنّة والنّار، لأنّهما أعظم مايُبشَّر به ويُنذر به.

والمتعاطفان منصوبان على أنّهما حالان مقدّرتان مفيدتان للتّعليل، وصيغة المضارع للإيذان بأنّ ذلك أمر مستمرّ جرت عليه العادة الإلهيّة.

والآية مرتبطة بقوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ الأنعام: ٣٧، أي مانرسل المرسلين إلّا لأجل أن يبشّروا قومهم بـالثّواب عـلى الطّاعة، ويُنذروهم بالعذاب على المعصية، ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويسخر بهم. (٧: ١٥٤)

رشيد رضا: أي تلك سُنّتنا في إهلاك المكذّبين للرّسل: مانرسل المرسلين إليهم إلّا مبشّرين مَن آمن وأصلح عملًا بالجزاء الحسن اللّائق بهم، ومُنذرين مَن أصرّ على الشّرك والإفساد في الأرض بالجزاء السّيّء الّذي يستحقّونه. (٧: ٤١٨)

مُبَشِّرَاتٍ

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ... الرّوم: ٤٦

الطَّبَريّ: بالغيث والرّحمة. (٢١: ٥٢)

الطُّوسيّ: يقول الله تعالى: إنّ من الأدلّة الدّالّة على توحيدي ووجوب إخلاص العبادة لي إرسال الرّياح مبشّرات بالغيث والمطر..

وإنّما سمّاها (مُبَشِّرَاتٍ) لأنّها بمنزلة النّاطقة إذا

بُشّرت بأنّه يجيء مطر وغيث يُحيي به الأرض، لما فيها من إظهار هذا المعنى ودلالتها على ذلك بجعل جاعل، لأنّه من طريق العادة الّتي أجراها الله تعالى. (٨: ٢٦٠)

المَيْبُديّ: مبشّرات بالمطر، وقيل: تبشّر بصحّة الأبدان وخصب الزّمان.

وقيل: (مُبَشِّرَات) يستبشر بها الخلق، لأنّهم يرجون معها مجيء المطر.

وقيل: مهيّجات للسّحاب، ملقّحات للأشجار، مسيّرات للسّفن. (٧: ٤٦٧)

الزَّمَخْشَريّ: وقد عدّد الأغراض في إرسالها، وأنّه أرسلها للبشارة بالغيث ولإذاقة الرّحمة، وهي نزول المطر وحصول الخصب الّذي يتبعه. (٣: ٢٢٥)

الطَّبْرِسيّ: مبشّرات بالمطر، فكأنّها ناطقات بالبشارة لما فيها من الدّلالة عليه. (٤: ٣٠٩)

الفَخْرالرّازيّ: ﴿يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ قيل: بالمطر، كما قال تعالى: ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ الأعراف: ٥٧، أي قبل المطر. ويمكن أن يقال: مبشّرات بصلاح الأهوية والأحوال، فإنّ الرّياح لو لم تهبّ لظهر الوباء والفساد. (٢٥: ١٣١)

أبوحَيّان: ذكر من أعلام قدرة إرسال الرّياح مبشّرات بالمطر، لأنّها متقدّمة. والمبشّرات: رياح الرّحمة الجنوب والشّمال والصّبا، وأمّا الدّبور فريح العذاب، وليس تبشيرها مقتصرًا به على المطر بل لها تبشيرات بسبب السّفن، والسّير بها إلى مقاصد أهلها، وكأنّه بدأ أوّلًا بشيء عامّ وهو التّبشير.

وقرأ الأعمش (الرّيح) مفردًا وأراد معنى الجمع، ولذلك قرأ (مُبَشِّرَات) ثمّ ذكر من أعظم تباشيرها إذاقة الرّحمة وهي نزول المطر، ويتبعه حصول الخصب، والرّيح الّذي معه الهبوب وإزالة العفونة من الهواء، وتذرية الحبوب وغير ذلك. (٧: ١٧٨)

البُرُوسَويّ: أي حال كون تلك الرّياح مبشّرات للخلق بالمطر. (٧: ٤٩)

الطَّباطَبائيّ: المراد بكون ﴿الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ تبشيرها بالمطر، حيث تهبّ قُبَيْل نزوله. (١٦: ١٩٩)

تُبَاشِرُوهُنَّ

وَلَاتُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ...

البقرة: ١٨٧

ابن عَبّاس: في رمضان أو في غير رمضان، فحرّم الله أن ينكح النّساء ليلًا ونهارًا حتّى يقضي اعتكافه. (الطّبريّ ٢: ١٨٠)

من خرج من بيته إلى بيت الله فلايقرب النّساء. (الطّبريّ ٢: ١٨٠)

كانوا إذا اعتكفوا فخرج الرّجل إلى الغائط جامع امرأته، ثمّ اغتسل ثمّ رجع إلى اعتكافه، فنُهوا عن ذلك. ونحوه قتادة والرّبيع. (الطّبريّ ٢: ١٨١)

مُجاهِد: الجوار، فإذا خرج أحدكم من بيته إلى بيت الله فلايقرب النّساء. (الطّبريّ ٢: ١٨٠)

نُهوا عن جماع النّساء في المساجد، حيث كانت الأنصار تجامع، فقال: ﴿وَلَاتُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾. (الطّبريّ ٢: ١٨١)

الضَّحّاك: كان الرّجل إذا اعتكف فخرج من

المسجد جامع إن شاء، فقال الله: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ يقول: لاتقربوهنّ مادمتم عاكفين في مسجد أو غيره. (الطّبَريّ ٢: ١٨٠)

عطاء: قال ابن جُرَيْج: قلت لعطاء: الجماع: المباشرة؟ قال: الجماع نفسه.

فقلت له: فالقُبْلة في المسجد والمسّة؟

فقال: أمّا ماحَرّم فالجماع، وأنا أكره كلّ شيء من ذلك في المسجد. (الطّبَريّ ٢: ١٨١)

السُّدّيّ: من اعتكف فإنّه يصوم، ولايحلّ له النّساء مادام معتكفًا. (الطّبَريّ ٢: ١٨٠)

مالك: لايمسّ المعتكف امرأته ولايباشرها، ولايتلذّذ منها بشيء، قُبْلة ولاغيرها.

(الطّبَريّ ٢: ١٨١)

ابن زَيْد: المباشرة: الجماع وغير الجماع، كلّه محرّم عليه. المباشرة بغير الجماع: إلصاق الجلد بالجلد.

(الطّبَريّ ٢: ١٨١)

الطّبَريّ: قد اختلف أهل التّأويل في معنى «المباشرة» الّتي عنى الله بقوله: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك الجماع دون غيره من معاني المباشرة. وقال آخرون: معنى ذلك على جميع معاني المباشرة من لمس وقُبْلة وجماع.

وأولى القولين عندي بالصّواب قول من قال: معنى ذلك الجماع، أو ماقام مقام الجماع، ممّا أوجب غسلًا إيجابه، وذلك أنّه لاقول في ذلك إلّا أحد قولين.

أمّا من جعل حكم الآية عامًّا، أو جعل حكمها في خاصّ من معاني المباشرة، وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنّ نساءه كنّ يُرجّلنه وهو معتكف، فلمّا صحّ ذلك عنه، عُلم أنّ الّذي عنى به من معاني المباشرة البعض دون الجميع.

وعن عائشة أنّ رسول الله ﷺ كان إذا اعتكف يُدني إليّ رأسه فأُرجّله[1]. (٢: ١٨٠)

الجصّاص: قد اختلف الفقهاء في مباشرة المعتكف، فقال أصحابنا: لابأس بها إذا لم تكن بشهوة وأمن على نفسه. ولاينبغي أن يباشرها بشهوةٍ ليلًا ولانهارًا، فإن فعل فأنزلَ، فسد اعتكافه، فإن لم يُنزل لم يفسد، وقد أساء.

وقال ابن القاسم عن مالك: إذا قبّل امرأته فسد اعتكافه، وقال المُزَنيّ عن الشّافعيّ: إن باشر فسد اعتكافه، وقال في موضع آخر: لايفسد الاعتكاف من الوَطْء إلّا مايوجب الحدّ.

قد بيّنّا أنّ مراد الآية في المباشرة هو الوَطْء دون المباشرة باليد والقُبْلة، وكذلك قال أبويوسف: إنّ قوله: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ إنّما هو على الجماع.

وروي عن الحسن البصريّ قال: المباشرة: النّكاح، وقال ابن عبّاس: إذا جامع المعتكف فسد اعتكافه.

وقال الضّحّاك: كانوا يجامعون وهم معتكفون حتّى نزل ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾.

وقال قَتادَة: كان النّاس إذا اعتكفوا خرج الرّجل منهم فباشر أهله ثمّ رجع إلى المسجد، فنهاهم الله عن

(١) أي ألامس شَعْره، وأسرّحه.

ذلك بقوله: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾، وهذا من قولهم يدلّ على أنّهم عقلوا من مراد الآية الجماع، دون اللّمس والمباشرة باليد.

ويدلّ على أنّ المباشرة لغير شهوة مباحة للمعتكف حديث الزُّهريّ عن عُروة عن عائشة: أنّها كانت تُرجّل رأس رسول الله ﷺ وهو معتكف، فكانت لامحالة تمسّ بدن رسول الله ﷺ بيدها، فدلّ على أنّ المباشرة لغير شهوة غير محظورة على المعتكف.

وأيضًا لمّا ثبت أنّ الاعتكاف بمعنى الصّوم في باب حظر الجماع، ولم يكن الصّوم مانعًا من المباشرة أو القُبلة لغير شهوة إذا أمن على نفسه ـ وروي ذلك عن النّبيّ ﷺ في آثار مستفيضة ـ وجب أن لايمنع الاعتكاف القُبلة لغير شهوة.

ولمّا كانت المباشرة والقُبلة لشهوة محظورتين في الصّوم، وجب أن يكون ذلك حكمها في الاعتكاف. ولمّا كانت المباشرة في الصّوم إذا حدث عنها إنزال فسد الصّوم، وجب أن يفسد الاعتكاف، لأنّ الاعتكاف والصّوم قد جريا مجرى واحدًا في اختصاصهما بحظر الجماع، دون دواعيه من الطّيب ودون اللّباس.

(١: ٢٤٦)

الطُّوسيّ: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ قيل: في معناه قولان هاهنا:

قال ابن عبّاس، والضّحّاك، والحسن، وقتادة، وغيرهم: أراد به الجماع.

وقال ابن زَيْد ومالك: أراد الجماع، وكلّما كان دونه من قُبلة وغيرها، وهو مذهبنا. (٢: ١٣٥)

مثله الطَّبْرِسيّ. (١: ٢٨١)

الزَّمَخْشَريّ: المراد بالمباشرة: الجماع لما تقدّم من قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ... فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾.

وقيل: معناه ولاتلامسوهنّ بشهوة. والجماع يفسد الاعتكاف، وكذلك إذا لمس أو قبّل فأنزل. (١: ٣٣٩)

ابن العَرَبيّ: فإن قيل: قلتم في قوله تعالى: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ إنّ المراد به الجماع، وقلتم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ إنّه اللّمس والقُبلة، فكيف هذا التّناقض؟

قلنا: كذلك نقول في قوله تعالى: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ إنّها المباشرة بأسرها صغيرها وكبيرها. ولولا أنّ السّنّة قضت على عمومها ماروت عائشة وأُمّ سلمة في جواز القُبلة للصّائم من فعل النّبيّ ﷺ وقوله: وبإذن النّبيّ ﷺ لعمر بن أبي سلمة في القُبلة وهو صائم، فخصّصناها.

فأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ فقد بقيَتْ على عمومها وعضدتها أدلّة سواها، وهي أنّ الاعتكاف مبنيّ على ركنين: أحدهما: ترك الأعمال المباحة بإجماع. الثّاني: ترك سائر العبادات سواه ممّا يقطعه ويخرج به عن بابه، فإذا كانت العبادات تؤثّر فيه، والمباحات لاتجوز معه، فالشّهوات أحرى أن تُمنَع فيه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ فحرّم الله تعالى المباشرة في المسجد، وذلك يحرم خارج المسجد، لأنّ معنى الآية: ولاتباشروهنّ وأنتم ملتزمون الاعتكاف في المسجد معتقدون له، فهو

إذا خرج لحاجة الإنسان ـ وهو ملتزم للاعتكاف في المسجد معتقد له ـ رُخّص له في حاجة الإنسان، للضّرورة الدّاعية إليه، وبقي سائر أفعال الاعتكاف كلّها على أصل المنع. (١: ٩٦)

الفَخْرالرّازيّ: اعلم أنّه تعالى لمّا بيّن الصّوم، وبيّن أنّ من حُكمه تحريم المباشرة، كان يجوز أن يُظنّ في الاعتكاف أنّ حاله كحال الصّوم في أنّ الجماع يُحرم فيه نهارًا لاليلًا، فبيّن تعالى تحريم المباشرة فيه نهارًا وليلًا، فقال: ﴿وَلَاتُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾.

لو لمس الرّجل المرأة بغير شهوة جاز، لأنّ عائشة رضي الله عنها كانت تُرجّل رأس رسول الله ﷺ وهو معتكف. وأمّا إذا لمسها بشهوة أو قبّلها أو باشرها فيما دون الفرج، فهو حرام على المعتكف.

وهل يبطل بها اعتكافه؟ للشّافعيّ رحمه الله فيه قولان: الأصحّ أنّه يبطل. وقال أبوحنيفة: لايفسد الاعتكاف إذا لم يُنزل.

احتجّ من قال بالإفساد أنّ الأصل في لفظ «المباشرة» ملاقاة البشرتين، فقوله: ﴿وَلَاتُبَاشِرُوهُنَّ﴾ منع من هذه الحقيقة، فيدخل فيه الجماع وسائر هذه الأُمور، لأنّ مسمّى المباشرة حاصل في كلّها.

فإن قيل: لِمَ حملتم المباشرة في الآية المتقدّمة على الجماع؟

قلنا: لأنّ ماقبل الآية يدلّ على أنّه هو الجماع، وهو قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ وسبب نزول تلك الآية يدلّ على أنّه هو الجماع، ثمّ لمّا أذن في الجماع كان ذلك إذنًا فيما دون الجماع بطريق الأولى. أمّا هاهنا فلم يوجد شيء من هذه القرائن، فوجب إبقاء لفظ المباشرة على موضعه الأصليّ.

وحجّة من قال: إنّها لاتبطل الاعتكاف، أجمعنا على أنّ هذه المباشرة لاتفسد الصّوم والحجّ، فوجب أن لاتفسد الاعتكاف، لأنّ الاعتكاف ليس أعلى درجة منهما.

والجواب: أنّ النّصّ مقدّم على القياس. (٥: ١٢٤)

القُرطُبيّ: بيّن جلّ تعالى أنّ الجماع يُفسد الاعتكاف، وأجمع أهل العلم على أنّ من جامع امرأته وهو معتكف عامدًا لذلك في فرجها أنّه مفسد لاعتكافه.

واختلفوا فيما عليه إذا فعل ذلك، فقال الحسن البصريّ والزُّهريّ: عليه ماعلى المواقع أهله في رمضان.

فأمّا المباشرة من غير جماع فإن قصد بها التّلذّذ فهي مكروهة، وإن لم يقصد لم يكره، لأنّ عائشة كانت تُرجّل رأس رسول الله ﷺ وهو معتكف، وكانت لامحالة تمسّ بدن رسول الله ﷺ بيدها، فدلّ بذلك على أنّ المباشرة بغير شهوة غير محظورة، هذا قول عطاء والشّافعيّ وابن المنذر.

قال أبو عمر: وأجمعوا على أنّ المعتكف لايباشر ولايقبّل.

واختلفوا فيما عليه إن فعل، فقال مالك والشّافعيّ: إن فعل شيئًا من ذلك فسد اعتكافه، قاله المزنيّ. وقال في موضع آخر من مسائل الاعتكاف: لايفسد الاعتكاف من الوطء إلّا مايوجب الحدّ، واختاره المزنيّ قياسًا على أصله في الحجّ والصّوم. (٢: ٣٣٢)

الفاضل المقداد: إنّ الاعتكاف يُبطَل مع المباشرة المذكورة، أمّا أوّلًا فلأنّ النّهي في العبادة مبطل، كما قرّر في الأُصول. وأمّا ثانيًا فلأنّها تبطل الصّوم، والصّوم عندنا شرط في الاعتكاف، وبطلان الشّرط مستلزم لبطلان المشروط. (١: ٢١٧)

أبوالسُّعود: والمراد بالمباشرة: الجماع. وعن قَتادَة: كان الرّجل يعتكف فيخرج إلى امرأته فيباشرها ثمّ يرجع، فنُهوا عن ذلك. وفيه دليل على أنّ الاعتكاف يكون في المسجد غير مختصّ ببعض دون بعض، وأنّ الوطء فيه حرام ومفسد له، لأنّ النّهي في العبادات يوجب الفساد. (١: ٢٤٤)

الآلوسيّ: النّهي عطف على أوّل الأوامر، والمباشرة فيه كالمباشرة فيه. وقد تقدّم أنّ المراد بها: الجماع، إلّا أنّه لزم من إباحة الجماع إباحة اللّمس والقُبلة وغيرهما، بخلاف النّهي فإنّه لايستلزم النّهي عن الجماع النّهي عنهما، فهما إمّا مباحان اتّفاقًا بأن يكونا بغير شهوة، وإمّا حرامان بأن يكونا بها «يبطل الاعتكاف مالم يُنزل» وصحّح معظم أصحاب الشّافعيّ البطلان.

وقيل: المراد من المباشرة: ملاقاة البشرتين، ففي الآية منع عن مطلق المباشرة، وليس بشيء. [إلى أن قال:]

واستدلّ بها أيضًا على أنّ الوطء يفسد الاعتكاف، لأنّ النّهي للتّحريم، وهو في العبادات يوجب الفساد.

وفيه أنّ المنهيّ عنه هنا المباشرة حال الاعتكاف، وهو ليس من العبادات. لايقال: إذا وقع أمر منهيّ عنه في العبادة ـ كالجماع في الاعتكاف ـ كانت تلك العبادة منهيّة باعتبار اشتمالها على المنهيّ، ومقارنتها إيّاه؛ إذ يقال: فرقٌ بين كون الشّيء منهيًّا عنه باعتبار مايقارنه، وبين كون المقارن منهيًّا في ذلك الشّيء، والكلام في الأوّل، ومانحن فيه من قبيل الثّاني. (٢: ٦٨)

رشيد رضا: هذا استثناء من عموم إباحة المباشرة، والمقام مقام بيان وإيضاح لايبقى معه للإبهام ولاللإيهام مجال، أي ولاتباشروا النّساء حال عكوفكم في المساجد للعبادة، فالمباشرة تبطل الاعتكاف ولو ليلًا، كما تبطل الصّيام نهارًا. (٢: ١٧٨)

عبد الكريم الخطيب: هو صيانة لتلك الفترة الّتي نوى فيها المسلم الاعتكاف في بيت من بيوت الله، والانقطاع للعبادة الخالصة لله، من أن يدخل عليها شيء من هو النّفس الّذي يذهب بثمرة هذه الرّياضة الّتي أخذ الإنسان بها نفسه لفترة محدودة من الزّمن، فهي أشبه بيوم من أيّام الصّوم ـ فرضًا أو تطوّعًا ـ لايحلّ للمرء فيه أن يتحلّل من صومه، فللعبادات حرمتها، فإذا أوجب الإنسان على نفسه شيئًا منها، وجب أن يؤدّيه على الوجه الأكمل له، وإلّا أثِم، من حيث يطلب الأجر والمثوبة. (١: ٢٠٦)

بَاشِرُوهُنَّ

...عَلِمَ اللهُ اَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ اَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْـٰنَ بَاشِرُوهُنَّ... البقرة: ١٨٧

ابن عبّاس: انكحوهنّ. (الطّبَريّ ٢: ١٦٨)

عطاء: الجماع، وكلّ شيء في القرآن من ذكر المباشرة فهو الجماع نفسه. (الطّبَريّ ٢: ١٦٨)

السُّدِّيّ: جامعوهنّ. (الطَّبَريّ ٢: ١٦٨)

مُجاهِد: المباشرة في كتاب الله: الجماع. (الطَّبَريّ ٢: ١٦٨)

الطَّبَريّ: فأمّا المباشرة في كلام العرب: فإنّه ملاقاة بشرة ببشرة، وبشرة الرّجل: جلدته الظّاهرة، وإنّما كنّى الله بقوله: ﴿فَالْـٰٔنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ عن الجماع، يقول: فالآن إذ أحللتُ لكم الرّفث إلى نسائكم، فجامعوهنّ في ليالي شهر رمضان حتّى يطلع الفجر. (٢: ١٦٨)

الطُّوسيّ: أي جامعوهنّ، ومعناه الإباحة دون الأمر. والمباشرة: إلصاق البشرة بالبشرة، وهي ظاهر أحد الجلدين بالآخر. (٢: ١٣٣)

المَيْبُديّ: يقول لكلّ الأمّة على سبيل الإباحة لاعلى سبيل الوجوب كما في الخبر: «تناكحوا تكثروا» «تناكحوا» أمر إباحة لا أمر وجوب، وكذلك (بَاشِرُوهُنَّ). (١: ٥٠٤)

الطَّبْرِسيّ: أي جامعوهنّ، لفظه أمر، ومعناه الإباحة. (١: ٢٨١)

نحوه الطَّباطَبائيّ. (٢: ٤٧)

الفَخْرالرّازيّ: أمّا قوله تعالى: ﴿فَالْـٰٔنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ ففيه مسألتان:

الأُولى: هذا أمر وارد عقب الحظر، فالّذين قالوا: الأمر الوارد عقيب الحظر ليس إلّا للإباحة، كلامهم ظاهر. وأمّا الّذين قالوا: مطلق الأمر للوجوب، قالوا: إنّما تركنا الظّاهر وعرفنا كون هذا الأمر للإباحة بالإجماع.

الثّانية: المباشرة فيها قولان:

أحدهما: وهو قول الجمهور أنّها الجماع، سمّي بهذا الاسم لتلاصق البشرتين وانضمامهما، ومنه ماروي أنّه ﷺ نهى أن يباشر الرّجل الرّجل، والمرأة المرأة.

والثّاني: وهو قول الأصمّ: أنّه الجماع، فما دونه، وعلى هذا الوجه اختلف المفسّرون في معنى قوله: ﴿وَلَاتُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِى الْمَسَاجِدِ﴾ فنهم من حمله على كلّ المباشرات ولم يقصره على الجماع.

والأقرب أنّ لفظ المباشرة لمّا كان مشتقًّا من تلاصق البشرتين، لم يكن مختصًّا بالجماع، بل يدخل فيه الجماع فيما دون الفرج، وكذا المعانقة والملامسة. إلّا أنّهم إنّما اتّفقوا في هذه الآية على أنّ المراد به هو «الجماع» لأنّ السّبب في هذه الرّخصة كان وقوع الجماع من القوم، ولأنّ الرّفث المتقدّم ذكره لايراد به إلّا الجماع.

إلّا أنّه لمّا كان إباحة الجماع تتضمّن إباحة مادونه، صارت إباحته دالّة على إباحة ماعداه، فصحّ هاهنا حمل الكلام على الجماع فقط. ولمّا كان في الاعتكاف المنع من الجماع لايدلّ على المنع ممّا دونه، صلح اختلاف المفسّرين فيه، فهذا هو الّذي يجب أن يعتمد عليه، على مالخّصه القاضي. (٥: ١١٨)

القُرطُبيّ: كناية عن الجماع، أي قد أُحلّ لكم ماحُرّم عليكم، وسمّي الوقاع مباشرة، لتلاصق البشرتين فيه. (٢: ٣١٧)

أبوحَيّان: هذا أمر يراد به الإباحة، لكونه ورد بعد النّهي، ولأنّ الإجماع انعقد عليه. والمباشرة في قول الجمهور: الجماع، وقيل: الجماع فما دونه، وهو مشتقّ من تلاصق البشرتين، فيدخل فيه المعانقة والملامسة.

وإن قلنا: المراد به هنا الجماع، لقوله: (الرَّفَثُ) ولسبب النّزول، فإباحته تتضمّن إباحة مادونه.
(٢: ٤٩)

يَسْتَبْشِرُونَ

فَرِحِينَ بِمَا آتَيٰهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ اَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ...

آل‌عمران: ١٧٠، ١٧١

قَتادَة: يقول لإخوانهم الّذين فارقوهم على دينهم وأمرهم لما قدموا عليه من الكرامة والفضل والنّعيم الّذي أعطاهم. (الطَّبَريّ ٤: ١٧٤)

ابن جُرَيْج: يقول: إخواننا يُقتَلون كما قُتِلنا، يلحقون فيصيبون من كرامة الله تعالى ماأصبنا.
(الطَّبَريّ ٤: ١٧٤)

ابن إسحاق: أي ويُسرّون بلحوق من لحق بهم من إخوانهم، على مامضوا عليه من جهادهم، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الّذي أعطاهم، وأذهَب الله عنهم الخوف والحزن. (الطَّبَريّ ٤: ١٧٥)

الطَّبَريّ: ويفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم، الّذين فارقوهم، وهم أحياء في الدّنيا على مناهجهم.
(٤: ١٧٤)

الطُّوسيّ: ومعنى (يَسْتَبْشِرُونَ) أي يُسرّون بالبشارة. وأصل الاستفعال طلب الفعل، فالمستبشر بمنزلة من طلب السّرور في البشارة، فوجده، وأصل البشارة من البشرة، وذلك لظهور السّرور بها في بشرة الوجه، ومنه البشر لظهور بشرته.

ومعنى قوله: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي هم بمنزلة من قد بُشّر في صاحبه بما يُسَرّ به.

ولأهل التّأويل فيه قولان:

أحدهما: [ما قاله ابن جُرَيْج، وقَتادَة،و قدمرّ]

والآخر: أنّه يُؤتى الشّهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من إخوانه يُبشّر ذلك فيستبشر، كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدّنيا، ذكره السُّدّيّ. [إلى أن قال:]

قيل في تكراره هاهنا قولان: أحدهما: لأنّها ليست نعمة مضيّقة على قدر الكفاية، من غير مضاعفة السّرور واللّذّة. والآخر: للتّأكيد لتمكين المعنى في النّفس، والمبالغة. (٣: ٤٨)

مثله الطَّبْرِسيّ. (١: ٥٣٧)

الزَّمَخْشَريّ: والمعنى: ويستبشرون بما تبيّن لهم من حال مَن تُركوا خلفهم من المؤمنين، وهو أنّهم يُبعثون آمنين يوم القيامة، بشّرهم الله بذلك، فهم مستبشرون به.

وفي ذكر حال الشّهداء واستبشارهم بمن خلفهم بَعثٌ للباقين بعدهم، على ازدياد الطّاعة والجدّ في الجهاد، والرّغبة في نيل منازل الشّهداء وإصابة فضلهم، وإحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنّى مثله لإخوانه في الله، وبُشرى للمؤمنين بالفوز في المآب.

وكُرّر ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ليُعلّق به ماهو بيان لقوله: ﴿اَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من ذكر النّعمة والفضل، وأنّ ذلك أجر لهم على إيمانهم، يجب في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولايضيع. (١: ٤٧٩)

ابن عطيّة: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ معناه يُسرُّون ويفرحون. وليست استفعل في هذا الموضع بمعنى طلب البشارة، بل هي بمعنى استغنى الله واستمجد المرخ والعفار.

وذهب قتادة والرّبيع وابن جُرَيْج وغيرهم: إلى أنّ هذا الاستبشار إنّما هو بأنّهم يقولون: إخواننا الّذين تركناهم خلفنا في الدّنيا يقاتلون في سبيل الله مع نبيّهم فيستشهدون، فينالون من الكرامة مثل ما نحن فيه فيُسرُّون لهم بذلك؛ إذ يحصلون، لاخوف عليهم ولاهم يحزنون.

وذهب فريق من العلماء، وأشار إليه الزّجّاج وابن فورك: إلى أنّ الإشارة في قوله: ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا﴾ إلى جميع المؤمنين، أي لم يلحقوا بهم في فضل الشّهادة، لكن الشّهداء لمّا عاينوا ثواب الله، وقع اليقين بأنّ دين الإسلام هو الحقّ الّذي يُثيب الله عليه، فهم فرحون لأنفسهم بما آتاهم الله من فضله ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ للمؤمنين بأنّهم لاخوف عليهم ولاهم يحزنون.

(١: ٥٤١)

الفَخْرالرّازيّ: وفي الآية مسائل:

الأُولى: الاستبشار: السّرور الحاصل بالبشارة، وأصل الاستفعال طلب الفعل، فالمستبشر بمنزلة من طلب السّرور، فوجده بالبشارة.

الثّانية: اعلم أنّ الّذين سلموا كون الشّهداء أحياء قبل قيام القيامة ذكروا لهذه الآية تأويلات أُخر:

أمّا الأوّل: فهو أن يقال: إنّ الشّهداء يقول بعضهم لبعض: تركنا إخواننا فلانًا وفلانًا في صفّ المقاتلة مع الكفّار فيقتلون إن شاء الله فيُصيبون من الرّزق والكرامة ماأصبنا، فهو قوله: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾.

وأمّا الثّاني: فهو أن يقال: إنّ الشّهداء إذا دخلوا الجنّة بعد قيام القيامة يُرزَقون فرحين بما آتاهم الله من فضله. والمراد بقوله: ﴿لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ هم إخوانهم من المؤمنين الّذين ليس لهم مثل درجة الشّهداء، لأنّ الشّهداء يدخلون الجنّة قبلهم، دليله قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ النّساء: ٩٥، ٩٦، فيفرحون بما يرون من مأوَى المؤمنين والنّعيم المعدّ لهم، وبما يرجونه من الاجتماع بهم، وتقرّ بذلك أعينهم، هذا اختيار أبي‌مسلم‌الأصفهانيّ والزّجّاج.

واعلم أنّ التّأويل الأوّل أقوى من الثّاني؛ وذلك لأنّ حاصل الثّاني يرجع إلى استبشار بعض المؤمنين ببعض بسبب اجتماعهم في الجنّة، وهذا أمر عامّ في حقّ كلّ المؤمنين، فلامعنى لتخصيص الشّهداء بذلك.

وأيضًا فهم كما يستبشرون بالّذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، فكذلك يستبشرون بمن تقدّمهم في الدّخول، لأنّ منازل الأنبياء والصّدّيقين فوق منازل الشّهداء، قال تعالى: ﴿فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ النّساء: ٦٩، وعلى هذا التّقدير لايبق فائدة في التّخصيص.

أمّا إذا فسّرنا الآية بالوجه الأوّل، ففي تخصيص المجاهدين بهذه الخاصّيّة أعظم الفوائد، فكان ذلك أولى، والله أعلم. [إلى أن قال:]

إنّه تعالى بيّن أنّهم كما يستبشرون بالّذين لم يلحقوا بهم على ماذكر، فهم يستبشرون لأنفسهم بما رُزقوا من النّعيم، وإنّما أعاد لفظ (يَسْتَبْشِرُونَ) لأنّ الاستبشار الأوّل كان بأحوال الّذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، والاستبشار الثّاني كان بأحوال أنفسهم خاصّة.

فإن قيل: أليس أنّه ذكر فرحهم بأحوال أنفسهم والفرح عين الاستبشار؟

قلنا: الجواب من وجهين:

الأوّل: أنّ الاستبشار هو الفرح التّامّ، فلايلزم التّكرار.

والثّاني: لعلّ المراد حصول الفرح بما حصل في الحال، وحصول الاستبشار بما عرفوا أنّ النّعمة العظيمة تحصل لهم في الآخرة. [إلى أن قال:]

الآية تدلّ على أنّ استبشارهم بسعادة إخوانهم أتمّ من استبشارهم بسعادة أنفسهم، لأنّ الاستبشار الأوّل في الذّكر هو بأحوال الإخوان، وهذا تنبيه من الله تعالى على أنّ فرح الإنسان بصلاح أحوال إخوانه ومتعلّقيه، يجب أن يكون أتمّ وأكمل من فرحه بصلاح أحوال نفسه. (٩: ٩٥)

أبوحَيّان: هم جميع المؤمنين، أي يحصل لهم البُشرى بانتفاء الخوف والحزن عن إخوانهم المؤمنين، الّذين لم يلحقوا بهم في الشّهادة، فهم فرحون بما حصل لهم، مستبشرون بما يحصل لإخوانهم المؤمنين، قاله الزّجّاج وابن فورك وغيرهما.

وقال قَتادَة: وابن جُرَيْج والرّبيع وغيرهم: هم الشّهداء الّذين يأتونهم بعدُ من إخوانهم المؤمنين الّذين تركوهم يجاهدون فيستشهدون، فرحوا لأنفسهم ولمن يلحق بهم من الشّهداء؛ إذ يصيرون إلى ماصاروا إليه من كرامة الله تعالى.

قال ابن عَطيّة: وليست استفعل في هذا الموضع بمعنى طلب البشارة، بل هي بمعنى استغنى الله واستمجد المرخ والعفار، انتهى كلامه.

أمّا قوله: ليست بمعنى طلب البشارة، فصحيح، وأمّا قوله: بل هي بمعنى استغنى الله واستمجد المرخ والعفار، فيعني أنّها تكون بمعنى الفعل المجرّد، كاستغنى بمعنى غِنِي واستمجد بمعنى مجد. ونقل أنّه يقال: بَشِر الرّجل، بكسر الشّين، فيكون استبشر بمعناه.

ولايتعيّن هذا المعنى بل يجوز أن يكون مطاوعًا لأفعل، وهو الأظهر، أي أبشره الله فاستبشر، كقولهم: أكانه فاستكان، وأشلاه فاستشلى، وأراحه فاستراح، وأحكمه فاستحكم، وأكنّه فاستكنّ، وأمرّه فاستمرّ، وهو كثير.

وإنّما كان هذا الأظهر هنا، لأنّه من حيث المطاوعة يكون منفعلًا عن غيره، فحصلت له البُشرى بإبشار الله له بذلك، ولايلزم هذا المعنى إذا كان بمعنى المجرّد، لأنّه لايدلّ على المطاوعة. (٣: ١١٤)

كُرّر الفعل على سبيل التّوكيد إن كانت النّعمة والفضل بيانًا لمتعلّق الاستبشار الأوّل، قاله الزّمَخْشَريّ. [وبعد نقل قول الزّمَخْشَريّ قال:]

وهو على طريقة الاعتزال في ذكره وجوب الأجر وتحصيله على إيمانهم. وسلك ابن عَطيّة طريقة أهل السّنّة فقال: أكّد استبشارهم بقوله: (يَسْتَبْشِرُونَ) ثمّ

بيّن بقوله: وفضل إدخالهم الجنّة الّذي هو فضل منه لابعمل أحد، وأمّا النّعمة في الجنّة والدّرجات فقد أخبر أنّها على قدر الأعمال، انتهى.

وقال غيرهما: هو بدل من الأوّل، فلذلك لم يدخل عليه واو العطف. ومن ذهب إلى أنّ الجملة حال من الضّمير في (يَحْزَنُونَ) و(يَحْزَنُونَ) هو العامل فيها، فبعيد عن الصّواب، لأنّ الظّاهر اختلاف المنفيّ عنه الحزن والمستبشر، ولأنّ الحال قيد، والحزن ليس بمقيّد.

والظّاهر أنّ قوله: (يَسْتَبْشِرُونَ) ليس بتأكيد للأوّل بل هو استئناف متعلّق بهم أنفسهم، لا ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ فقد اختلف متعلّق الفعلين فلاتأكيد، لأنّ هذا المستبشر به هو لهم، وهو نعمة الله عليهم وفضله، وفي التّنكير دلالة على بعض غير معيّن، وإشارة إلى إبهام المراد تعظيمًا لأمره وتنبيهًا على صعوبة إدراكه، كما جاء فيها: مالا عين رأت ولا أُذن سمعت ولاخطر على قلب بشر. (٣: ١١٦)

أبوالسّعود: كُرّر لبيان أنّ الاستبشار المذكور ليس بمجرّد عدم الخوف والحزن، بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لايقادر قدرها، وهي ثواب أعمالهم. وقد جُوّز أن يكون الأوّل متعلّقًا بحال إخوانهم، وهذا بحال أنفسهم بيانًا لبعض ماأُجمل في قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. (٢: ٦٤)

البُرُوسَويّ: معطوف على قوله: (فَرِحِينَ) عطف الفعل على الاسم، لكون الفعل في تأويل الاسم، كأنّه قيل: فرحين ومستبشرين. وبناء استفعل ليس للطّلب بل هو بمعنى المجرّد، نحو استغنى الله، أي غني. وقد سُمع: بَشِر الرّجل بكسر العين، فيكون استبشر بمعناه.

وقيل: هو مطاوع أبشر، نحو أراحه فاستراح، فإنّ البُشرى حصلت لهم بإبشار الله تعالى، وإليه أشار الزّمَخشَريّ في «الكشّاف» بقوله: بشّرهم الله بذلك فهم مستبشرون به، والبَيْضاويّ بقوله: يُسَرّون بالبشارة. (٢: ١٢٤)

الآلوسيّ: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ مكرّر للتّأكيد وليتعلّق به قوله تعالى: ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَايُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فحينئذٍ يكون بيانًا وتفسيرًا لقوله سبحانه: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قيل: الاستبشار الأوّل بدفع المضارّ ولذا قُدّم، والثّاني بوجود المسارّ، أو الأوّل لإخوانهم، والثّاني لهم أنفسهم. ومن النّاس من أعرب (يَسْتَبْشِرُونَ) بدلًا من الأوّل، ولذا لم تدخل واو العطف عليه. (٤: ١٢٤)

محمّد عبده: ذكر في الآية السّابقة استبشارهم بالّذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، وأنّهم فرحون بما آتاهم الله من فضله، ثمّ ذكر هنا أنّهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل.

فالّذي آتاهم من فضله مجمل تفصيله مابعده، وهو قسمان: فضل عليهم في إخوانهم الّذين وراءهم، وفضل عليهم في أنفسهم، وهو نعمة الله عليهم وفضله الخاصّ بهم في دار الكرامة. وقد أبهمه فلم يُعيّنه، للدّلالة على عظمه وعلى كونه غيبًا لايكتنه كنهه في هذه الدّار.

ثمّ اختتم الكلام بفضله على إخوانهم كما افتتحه به، وترك العطف لتنزيل الاستبشار الثّاني منزلة الاستبشار الأوّل، حتّى كأنّه هو. (رشيد رضا ٤: ٢٣٧)

الطّباطبائيّ: والبشارة والبُشرى مايَسرّك من الخبر، والاستبشار: طلب السّرور بالبُشرى، والمعنى أنّهم فرحون بما وجدوه من الفضل الإلهيّ الحاضر المشهود عندهم، ويطلبون السّرور بما يأتيهم من البُشرى، بحسن حال من ﴿لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ومن ذلك يظهر أوّلًا: أنّ هؤلاء المقتولين في سبيل الله يأتيهم ويتّصل بهم أخبار خيار المؤمنين الباقين بعدهم في الدّنيا.

وثانيًا: أنّ هذه البشرى هي ثواب أعمال المؤمنين، وهو ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وليس ذلك إلّا بمشاهدتهم هذا الثّواب في دارهم الّتي هم فيها مقيمون، فإنّما شأنهم المشاهدة دون الاستدلال، ففي الآية دلالة على بقاء الإنسان بعد الموت ما بينه وبين يوم القيامة. [إلى أن قال:]

قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ﴾ الآية، هذا الاستبشار أعمّ من الاستبشار بحال غيرهم وبحال أنفسهم، والدّليل عليه قوله: ﴿وَأَنَّ اللهَ لَايُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنّه بإطلاقه شامل للجميع. ولعلّ هذه هي النّكتة في تكرار الاستبشار، وكذا تكرار الفضل، فتدبّر في الآية. (٤: ٦٠)

عبد الكريم الخطيب: بيان لكمال هذا النّعيم الّذين ينعم به هؤلاء الشّهداء، وأنّهم ليسوا مجرّد أحياء حياة باهتة، بل هم في حياة قويّة كاملة؛ بحيث تشمل عالمهم العلويّ الّذي نُقلوا إليه، وعالمهم الأرضيّ الّذي انتقلوا منه.

فهم في هذا العالم العلويّ؛ إذ ينظرون إلى أنفسهم، فيجدون أنّهم في فضل من الله ونعمة، وأنّهم إنّما نالوا هذا الفضل وتلك النّعمة بجهادهم في سبيل الله.

وباستشهادهم في هذا السّبيل يعودون فينظرون إلى إخوانهم المؤمنين الّذين لم يلحقوا بهم بعد، وأنّهم على طريق الجهاد والاستشهاد، فيستبشرون لذلك، وتتضاعف فرحتهم؛ إذ سيلقى إخوانهم هذا الجزاء الّذي جُوّزوا هم به، وينعمون بهذا النّعيم الّذي هم فيه، وهذا مايشير إليه قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَايُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

فكما وفّى الله هؤلاء الّذين استشهدوا في سبيل الله، سيوفّي الّذين لم يستشهدوا بعد أجرهم، فالله سبحانه وتعالى لايُضيع أجر المؤمنين، ولايبخس ثواب المجاهدين. (٢: ٦٤٢)

بَشَر

١ـ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ...﴾ آل‌عمران: ٤٧

الطُّوسيّ: إن قيل: كيف سألت مريم عن خلق الولد من غير مسيس، مع أنّها لاتنكر ذلك في مقدور الله تعالى؟

قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: أنّها استفهمت أيكون ذلك، وهي على حالتها من غير بشر أم على مجرى العادة من بشر، كما يقول القائل: كيف تبعث بفلان في هذا السّفر، وليس معه مايركبه، معنا لأنّه قويّ أم هناك مركوب؟

الثّاني: أنّ في البشرة التّعجّب ممّا خرج عن المعتاد، فتعجّبت من عظم قدرة الله، كما يقول القائل عند الآية يراها: ماأعظم الله! وكما يقول القائل لغيره: كيف تهب ضيعتك، وهي أجلّ شيء لك؟! وليس يشكّ في هبته، وإنّما يتعجّب من جوده. (٢: ٤٦٤)

المَيْبُديّ: البشر هو النّاس سمّي بشرًا، لأنّه من المباشرة، لأنّ يصل به بالحسّ والرّؤية، لا كالملك والجنّ، ولذلك يقول الله: ﴿مَاهٰذَا بَشَرًا إِنْ هٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ يوسف: ٣١. (٢: ١٢١)

أبوحَيّان: هذا نفي عامّ أن يكون باشرها أحدٌ بأيّ نوع كان من تزوّج أو غيره، والبشر يطلق على الواحد والجمع، والمراد هنا النّفي العامّ. وسمّي بشرًا لظهور بشرته وهو جلده. (٢: ٤٦٢)

الآلوسيّ: والبشر يطلق على الواحد والجمع، والتّنكير للعموم، والمراد عموم النّفي لانفي العموم. وسمّي بشرًا لظهور بشرته، أو لأنّ الله تعالى باشر أباه، وخلقه بيديه. (٣: ١٦٤)

المُصطَفَويّ: البشر باعتبار معنى الطّلاقة والانبساط قد ذُكر في الموارد المناسبة له:

﴿أَنّٰى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ آل‌عمران: ٤٧، ﴿أَنّٰى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ مريم: ٢٠، ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلّٰهِ مَاهٰذَا بَشَرًا﴾ يوسف: ٣١، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم: ١٧، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾ الفرقان: ٥٤.

وبهذا الاعتبار أيضًا يُستعمل في مقابل سائر الموجودات الحيّة والملائكة: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ إبراهيم: ١٠، ﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ﴾ الحجر: ٣٣، ﴿مَاهٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ المؤمنون: ٣٣، ﴿إِنْ هٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ المدّثّر: ٢٥، ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا﴾ الحجر: ٢٨، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم: ١٧.

وقد يُذكر في مقام عظمة خلقته، من جهة مادّته التّرابيّة والمائيّة، وبالنّسبة إليها:

﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ ص: ٧١، ﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ الفرقان: ٥٤، ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ﴾ الحجر: ٢٨، ﴿أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ الرّوم: ٢٠.

فهذا بشر حسن الهيئة وطلق الوجه ومنبسط الصّورة، وقد خُلق من التّراب.

وقد يذكر في مقام نسبته إلى المراتب الرّوحانيّة المعنويّة:

﴿مَاكَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ آل‌عمران: ٧٩، ﴿وَمَاكَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الشّورى: ٥١، ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ المؤمنون: ٣٤.

فطلاقة الوجه وحُسن الصّورة وانبساطها لاتقتضي تحقّق النّبوّة والرّوحانيّة، ولاتلازم بينهما، فالبشر أمر مادّيّ، والنّبوّة أمر معنويّ. (١: ٢٦٠)

٢ـ مَاكَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ... آل‌عمران: ٧٩

ابن عبّاس: الإشارة إلى محمّد ﷺ.

مثله الرّبيع وابن جُرَيْج. (أبوحَيّان ٢: ٥٠٤)

و عطاء. (المَيْبُديّ ٢: ١٧٧)

الضّحّاك: البشر هنا: عيسى.

مثله السُّدّيّ (القُرطُبيّ ٤: ١٢١)

ومُقاتِل (المَيْبُديّ ٢: ١٧٧).

الطَّبَريّ: والبشر: جمع بني آدم، لاواحد له من لفظه، مثل القوم والخلق، وقد يكون اسمًا لواحد.

(٣: ٣٢٤)

الطُّوسيّ: وقوله: (لِبَشَرٍ) فإنّه يقع على القليل والكثير، وهو بمنزلة المصدر، مثل الخلق وغيره، تقول: هذا بشر وهؤلاء بشر، هذا خَلق وهؤلاء خَلق. وإنّما وقع المصدر على القليل والكثير، لأنّه جنس الفعل، كما وجب في أسماء الأجناس كالماء والتّراب ونحوه.

(٢: ٥١٠)

القُرطُبيّ: والبشر يقع للواحد والجمع، لأنّه بمنزلة المصدر، والمراد به هنا عيسى، في قول الضّحّاك والسُّدّيّ. (٤: ١٢١)

أبوحَيّان: واختلف المفسّرون إلى من هي الإشارة بقوله: ﴿مَاكَانَ لِبَشَرٍ﴾، فقال ابن عبّاس والرّبيع وابن جُرَيْج وجماعة: الإشارة إلى محمّد ﷺ، وذكروا سبب النّزول المذكور.

وقال النّقّاش وغيره: الإشارة إلى عيسى، والآية رادّة على النّصارى الّذين قالوا: عيسى إله، وادّعوا أنّ عبادته هي شرعة مستندة إلى أوامره. (٢: ٥٠٤)

أبوالسُّعود: بيان لافترائهم على الأنبياء عليهم السلام، حيث قال نصارى نجران: إنّ عيسى عليه السلام أمرنا أن نتّخذه ربًّا، حاشاه عليه السلام، وإبطال له إثر بيان افترائهم على الله سبحانه، وإبطاله، أي ماصحّ وماستقام لأحد. وإنّما قيل: (لِبَشَرٍ)، إشعارًا بعلّة الحكم، فإنّ البشريّة منافية للأمر الّذي أسنده الكفرة إليهم. (١: ٣٨٤)

الطَّباطَبائيّ: البشر: مرادف للإنسان، ويطلق على الواحد والكثير، فالإنسان الواحد بشر، كما أنّ الجماعة منه بشر.

وقوله: ﴿مَاكَانَ لِبَشَرٍ﴾ اللّام للمُلك، أي لايملك ذلك، أي ليس له بحقّ، كقوله تعالى: ﴿مَايَكُونُ لَنَا اَنْ نَتَكَلَّمَ بِهٰذَا﴾ النّور: ١٦، وقوله: ﴿وَمَاكَانَ لِنَبِيٍّ اَنْ يَغُلَّ﴾ آل‌عمران: ١٦١. (٣: ٢٧٤)

عبد الكريم الخطيب: في ذكر (بَشَرٍ) بدل «نبيّ» مايشير إلى أنّ النّبيّ بشرٌ من البشر، وأنّه إذا جاز على البشر الكذب والافتراء على الله وعلى النّاس، فإنّ النّبيّ ـ وهو بشر ـ لايكون منه أبدًا الكذب والافتراء على الله، أو على النّاس. (٢: ٥٠٦)

٣ـ ﴿وَاِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ اِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاٍ مَسْنُونٍ﴾. الحجر: ٢٨

الطُّوسيّ: والمراد بالبشر آدم، وسمّي بشرًا لأنّه ظاهر الجلد، لايُرى فيه شعر، ولاصوف، كسائر الحيوان. (٦: ٣٣٢)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٣: ٣٣٥)

الفَخْرالرّازيّ: ماتفسير كونه بشرًا؟ فالمراد منه كونه جسمًا كثيفًا يباشر ويُلاقي. والملائكة والجنّ لايباشرون للُطف أجسامهم عن أجسام البشر،

والبشرة: ظاهر الجلد من كلّ حيوان. (١٩: ١٨١)

أبوالسّعود: أي إنسانًا، قيل: ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب، بل الظّاهر أن يكون قد قيل لهم: إنّي خالق خلقًا مِن صفته كيت وكيت، ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم.

وقيل: جسمًا كثيفًا يلاقي ويباشر.

وقيل: خلقًا باذي البشر بلاصوف ولاشعر. (٤: ١٧)

الآلوسيّ: أي إنسانًا، وعبّر به عنه اعتبارًا بظهور بشرته، وهي ظاهر الجلد عكس الأُدمة ـ خلافًا لأبي زيد حيث عكس، وغلّطه في ذلك أبوالعبّاس ـ وغيره من الصّوف والوبر ونحوهما.

ولبعض أكابر الصّوفيّة وجه آخر في التّسمية، سنذكره إن شاء الله تعالى في باب الإشارة، ويستوي فيه الواحد والجمع. (١٤: ٣٦)

الوُجوه والنّظائر

الفيروز اباديّ: [البشر] قد ورد في القرآن على ثلاثة عشر وجهًا:

الأوّل: بمعنى أبينا آدم الصّفيّ ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ ص: ٧١، ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ الحجر: ٢٨.

الثّاني: بمعنى شيخ المرسلين نوح ﴿مَاهٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ المؤمنون: ٢٤.

الثّالث: بمعنى صالح النّبيّ ﴿أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾ القمر: ٢٤.

الرّابع: بمعنى يوسف الصّدّيق ﴿مَاهٰذَا بَشَرًا﴾ يوسف: ٣١.

الخامس: بمعنى موسى وهارون ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ المؤمنون: ٤٧.

السّادس: بمعنى جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم: ١٧، أي ملكًا، وتبه أنّه تشبّح لها بصورة بشر.

السّابع: بمعنى ابن ماثان ﴿لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ مريم: ٢٠.

الثّامن: بمعنى شخص من الإسرائيليّين ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ مريم: ٢٦، أي من بني إسرائيل.

التّاسع: بمعنى الغلامين العجميّين اللّذين قال كفّار مكّة: إنّ محمّدًا ﷺ يتعلّم القرآن وأخبار الماضين منهما ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ النّحل: ١٠٣، إنّما يعنون جبرًا ويسارًا.

العاشر: بمعنى النّبيّ ﷺ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فصّلت: ٦، وفيه تنبيه أنّ النّاس يتساوون في البشريّة، وإنّما يتفاضلون بما يختصّون به من المعارف الجليلة، والأعمال الجميلة، ولذلك قال بعده: ﴿يُوحَى إِلَيَّ﴾ تنبيهًا أنّي بذلك تميّزت عنكم.

الحادي عشر: بمعنى جملة المرسلين ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ التّغابن: ٦.

الثّاني عشر: بمعنى جمع البشرة ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ المدّثّر: ٢٩.

الثّالث عشر: بمعنى جملة الآدميّين ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ الرّوم: ٢٠، ولها نظائر.

وقد ورد: البشير، والبُشرى، والتّبشير، والمبشّر،

في القرآن على أوجه:

فالبشير في ثلاثة مواضع:

الأوّل: في حقّ القرآن المجيد ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ فصّلت: ٤.

الثّاني: في يهوذا ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ يوسف: ٩٦.

الثّالث: بمعنى سيّد المرسلين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ سبأ: ٢٨.

وبُشرى في ثلاثة:

الأوّل: بُشرى في مالك بن دعر لغلامه بأحسن الحسان: ﴿يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ يوسف: ١٩.

الثّاني: بشارة المطيعين بخلود الجنان ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ الحديد: ١٢.

الثّالث: منع الملائكة البُشرى عن المجرمين والكفّار ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الفرقان: ٢٢.

والتّبشير في أربعة مواضع:

الأوّل: في حال ولادة البنات ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ النّحل: ٥٨.

الثّاني: لإبراهيم الخليل بإسحاق ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ الصّافّات: ١١٢، وبأولاد آخرين ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ الصّافّات: ١٠١، يعني إسماعيل ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ الذّاريات: ٢٨، ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الحجر: ٥٥.

الثّالث: لزكريّا بيحيى ﴿أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ آل‌عمران: ٣٩.

الرّابع: لمريم بعيسى ﴿إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ آل‌عمران: ٤٥.

والمبشّر في ثلاثة مواضع:

الأوّل: عامّة الرّسل ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ النّساء: ١٦٥.

الثّاني: تبشير عيسى بمقدم سيّد المرسلين ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ الصّفّ: ٦.

الثّالث: تبشير النّبيّ ﷺ للعاصين برحمة أرحم الرّاحمين ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الأحزاب: ٤٥. (بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٠٣)

والبشارة وردت في القرآن على اثني عشر وجهًا، لاثني عشر قومًا، باثنتي عشرة كرامة.

الأوّل: بشارة أرباب الإنابة بالهداية ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ إلى قوله: ﴿هَدَاهُمُ اللهُ﴾ الزّمر: ١٨.

الثّاني: بشارة المخبتين والمخلصين بالحفظ والرّعاية ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ الحجّ: ٣٤.

الثّالث: بشارة المستقيمين بثبات الولاية ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ فصّلت: ٣٠.

الرّابع: بشارة المتّقين بالفوز والحماية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ يونس: ٦٣، ٦٤.

الخامس: بشارة الخائفين بالمغفرة والوقاية ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ إلى قوله: ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ يس: ١١.

السّادس: بشارة المجاهدين بالرّضا والعناية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ إلى قوله:

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ التوبة: ٢٠، ٢١.

السّابع: بشارة العاصين بالرّحمة والكفاية ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ﴾ الحجر: ٤٩ـ٥٦.

الثّامن: بشارة المطيعين بالجنّة والسّعادة ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ البقرة: ٢٥.

التّاسع: بشارة المؤمنين بالعطاء والشّفاعة ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يونس: ٢.

العاشر: بشارة المنكرين بالعذاب والعقوبة ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء: ١٣٨، ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل‌عمران: ٢١. وهذه استعارة، ولكن تنبيه أنّ أسرّ[1] مايسمعونه الخبر[2] بما ينالهم من العذاب. [ثمّ استشهد بشعر]

الحادي عشر: بشارة الصّابرين بالصّلوات والرّحمة ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ البقرة: ١٥٥ـ١٥٧.

الثّاني عشر: بشارة العارفين باللّقاء والرّؤية ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ الأحزاب: ٤٧. (بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٠٠)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ يبدو أنّ الأصل فيه: أعلى الوجه والجلد، وهو أوّل مايظهر من الإنسان. وبهذا الاعتبار أُطلق على جنس البشر لظهور جلده، بخلاف الحيوانات المستور جلدها بالشّعر أو الصّوف أو الوبر. واستوى فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث، وقد يُطلق على الفرد فيثنّى، كقوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ﴾ المؤمنون: ٤٧.

والأصل في المباشرة وماشتقّ منها: ملاصقة الجلد للجلد، ثمّ تُوسّع فيها، فأُطلقت على مباشرة الأُمور، أي التّصدّي لها. كما أُطلقت على وجه الأرض ونباتها، في قولهم: ماأحسنَ بشرةَ الأرض! وبشرَ الجرادُ الأرضَ، أي أكل ماعليها حتّى ظهرت بشرتها، وبشّرت النّاقة، أي بدا أوّل نتاجها، تشبيهًا لها بالجلد. وتباشير كلّ شيء: أوائله، كتباشير الصُّبح، وتباشير النّخل ونحوها.

٢ـ ثمّ انتقل هذا المعنى إلى مايظهر على الوجه من السّرور إثر خبر سارّ، واشتُقّ منه الفعل «بَشّرَ»، والمبشّرات، أي الرّياح الّتي تُبشّر بالغيث، والرّؤية الصّالحة الّتي تبشّر الإنسان بالخير، ومنه: البُشارة: مايُعطاه المبشِّر.

ثمّ انتقل إلى الجمال الّذي يظهر في الوجه، فيقال: امرأة بشرة، أي جميلة. والبِشر: طلاقة الوجه، ولعلّ منه النّاقة البشيرة، وهي الّتي بين الكريمة والخسيسة، لجمالها واعتدال قامتها، أو هي على أصلها، لظهور جلدها.

والبُشرى: إمّا مصدر كالرُّجعى، بمعنى البشر لازمًا أو متعدّيًا، أو هو اسم لما بُشّر به من خير، كالبُهمى: اسم نبت. والبَشارة بفتح الباء: مصدر، وبكسرها: اسم لما يستعمل في الخير والشّرّ، واستعماله في الشّرّ مجاز.

٣ـ وقد سبق في «الإنسان» ذكر الفرق بينه وبين

(١) جاء في الهامش أ. ب «أبشره» وماأثبت عن الرّاغب.

(٢) أ. ب «من الخبر منّا» ومأثبت عن الرّاغب.

«البشر»، وأنّ الأوّل يُطلق عليه باعتبار الرّوح، والثّاني باعتبار الجسم، فلاحظ.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت هذه المادّة في القرآن بثلاثة محاور: البَشَر، وهو أقربها من المعنى الأصليّ، وأوسطها عددًا؛ والبُشرى والتّبشير، بصيغ وأوزان مختلفة، وهي أبعدها من المعنى الأصليّ، وأكثرها عددًا؛ ثمّ المباشرة، من «المفاعلة»، فقط، وهي بين الأوّل والثّاني بالنّسبة إلى المعنى الأصليّ، أو أقربها منه وأقلّها عددًا، وإليك التّفصيل:

المحور الأوّل: البَشَر: جاء (٣٦) مرّة مفردًا، ومرّة واحدة مثنّى، في أساليب شتّى:

الأوّل: أُسلوب إنكار الأنبياء من قبل الأُمم بحجّة أنّهم بشر، وجواب الأنبياء للمنكرين، وهو أكثرها:

١ـ ﴿وَمَاقَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ اِذْ قَالُوا مَا اَنْزَلَ اللهُ عَلٰى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ اَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسٰى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ الأنعام: ٩١

٢ـ ﴿قَالُوا اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ اَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ اٰبَاؤُنَا فَاْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ اِنْ نَحْنُ اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلٰكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلٰى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا اَنْ نَاْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

إبراهيم: ١٠، ١١

٣ـ ﴿قُلْ اِنَّمَا اَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحٰى اِلَيَّ اَنَّمَا اِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾ الكهف: ١١٠

٤ـ ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَاَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هٰذَا اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ اَفَتَاْتُونَ السِّحْرَ وَاَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * بَلْ قَالُوا اَضْغَاثُ اَحْلَامٍ بَلِ افْتَرٰيهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَاْتِنَا بِاٰيَةٍ كَمَا اُرْسِلَ الْاَوَّلُونَ * مَا اٰمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ اَهْلَكْنَاهَا اَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ * وَمَا اَرْسَلْنَا قَبْلَكَ اِلَّا رِجَالًا نُوحِي اِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَاتَعْلَمُونَ﴾ الأنبياء: ٣ـ٧

٥ـ ﴿وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ اَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ الْمَلَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَاهٰذَا اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ اَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَاَنْزَلَ مَلٰئِكَةً مَاسَمِعْنَا بِهٰذَا فِي اٰبَائِنَا الْاَوَّلِينَ * اِنْ هُوَ اِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتّٰى حِينٍ﴾ المؤمنون: ٢٣ـ٢٥

٦ـ ﴿ثُمَّ اَنْشَاْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا اٰخَرِينَ * فَاَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ اَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ اَفَلَا تَتَّقُونَ * وَقَالَ الْمَلَاُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْاٰخِرَةِ وَاَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مَاهٰذَا اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَاْكُلُ مِمَّا تَاْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ اَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ اِنَّكُمْ اِذًا لَخَاسِرُونَ * اَيَعِدُكُمْ اَنَّكُمْ اِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا اَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * اِنْ هِيَ اِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَانَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * اِنْ هُوَ اِلَّا رَجُلٌ افْتَرٰى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَانَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ المؤمنون: ٣١ـ٣٨

٧ـ ﴿قَالُوا اِنَّمَا اَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * مَا اَنْتَ اِلَّا

بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾

الشعراء: ١٥٣ ـ ١٥٥

٨ ـ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ الشعراء: ١٨٥ ـ ١٨٨

٩ ـ ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يس: ١٥ ـ ١٧

١٠ ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾

فصّلت: ٦

١١ ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ التغابن: ٦

١٢ ـ ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ...﴾ إلى قوله: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾

المدّثر: ٢٤ ـ ٣٦

١٣ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ هود: ٢٥ ـ ٢٨

١٤ ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ * إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾

القمر: ٢٣ ـ ٢٧

١٥ ـ ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾

الإسراء: ٩٠ ـ ٩٤

١٦ ـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ * فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ * فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾

المؤمنون: ٤٥ ـ ٤٨

يلاحظ أوّلاً: أنّ هذه الآيات كلّها مكيّة، لأنّ مكّة كانت دار المنكرين للنبوّات عامّة وللنّبيّ خاصّة، بحجّة أنّهم بشر، فساق الله تعالى قصص الأنبياء وأممهم من لدن نوح عليه السلام إلى محمّد ﷺ، وأنّهم جميعًا أنكروا الأنبياء محتجّين عليهم بأنّهم بشر مثلهم.

وأمّا المدينة فكانت مأوى أهل الكتاب ولاسيّما

اليهود، وكان المشركون فيها وما حولها لاينكرون النّبوات جملة وتفصيلًا، وإن كفروا بالنّبيّ، كيف وأصحاب النّبوات يعيشون بين ظهرانيهم؟ وقد احتجّ القرآن على المنكرين للنّبوات بأهل الكتاب في الآية (١): ﴿قُلْ مَنْ اَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسٰى﴾، وفي (٤): ﴿وَمَا اَرْسَلْنَا قَبْلَكَ اِلَّا رِجَالًا نُوحِي اِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَاتَعْلَمُونَ﴾، وأهل الذّكر هنا ـ حسب السّياق ـ هم أهل الكتاب، لاحظ (أهل الذّكر) في «أ ه ل».

ثانيًا: أنّ القرآن جعلها حجّة متداولة لكلّ الأقوام السّالفة المنكرة للأنبياء، بدءً بقوم نوح ومن بعده عاد وثمود وغيرهما، وانتهاءً إلى قوم نبيّنا محمّد ﷺ في (٢) و(٥) و(٦) و(١١) و(١٣)، مع التّأكيد والتّشديد على ثمود قوم صالح ثلاث مرّات: (٢) و(٧) و(١٤)، لأنّ عنادهم كان أعظم، وخصّ كلًّا من أصحاب الأيكة وقوم شعيب في (٨) وأصحاب القرية في (٩) وقوم فرعون في (١٦) بذكرهم مرّة واحدة.

ثمّ أسهب في قصّة النّبيّ محمّد والمشركين، فذكرها (٧) مرّات: (١) و(٣) و(٤) و(١٠) و(١١) و(١٣) و (١٥)، تأكيدًا أنّ عنادهم أكثر وأعتى، رغم أنّ كلّ القصص السّابقة كانت مقدّمة وتمهيدًا لقصّتهم وسلوكهم مع النّبيّ ﷺ، فطبيعيّ أن تكون قصّتهم أوفى حظًّا بالذّكر من قصص هؤلاء الأُمم.

ثالثًا: جاء في قصص المنكرين ذكر «الملأ» منهم أربع مرّات: (٥) و(٦) و(١٣) لقوم نوح ومن تلاهم، و(١٦) خاصّة لقوم فرعون، والملأ من الأقوام هم أرباب القدرة والثّروة والسّلطان، وسائر النّاس تبع لهم، فهم عماد ودعامة لإنكار الأنبياء والنّاصبين لهم العداء والطّغيان، وهذا يُعزى إلى استكبارهم، كما صرّحت به بعض الآيات، لاحظ «م ل أ».

رابعًا: جاء في هذه الآيات أقوال وصفات للمنكرين تدعوهم إلى الإنكار، وبإزائها أجوبة الأنبياء، فما صدر عن المنكرين:

١ـ الاستكبار والتّولّي والعلوّ: (١١) و (١٦).

٢ـ تحقير الأنبياء والمؤمنين: (١٣) و (١٦).

٣ـ وصم الأنبياء بالافتراء والكذب على الله: (٦) و (٨) و (٩) و (١٣) و (١٤) و (١٦).

٤ـ اتّهام الأنبياء بقصد التّفضّل على النّاس: (٥).

٥ ـ وقصدهم صدّ النّاس عمّا كان يعبد آباؤهم: (٢).

٦ـ وأنّهم يأكلون ويشربون ممّا يأكله ويشربه النّاس: (٦).

٧ـ تخسير من يطيع بشرًا سويًّا: (٦).

٨ ـ إخفاء ماأنزل الله: (١).

٩ـ عدم قَدْر الله حقّ قدره: (١).

١٠ـ إنكار سماع الرّسالات في أسلافهم: (٥).

١١ـ إنكار الآخرة: (٦).

١٢ـ الاستعجال بالعذاب: (٨).

١٣ـ طلب إنزال كتاب عليهم يقرأونه: (١٥).

١٤ـ قولهم: لو شاء الله لأنزل ملائكة: (٥).

١٥ـ رمي الأنبياء بالجنون: (٥).

١٦ـ ورميهم بالسّحر أو بتسحير عقولهم: (٤) و

(٧) و(٨) و(١٢).

١٧ـ طلب الآيات والمعجزات: (٢) و(٧) و(١٥).

وماصدر عن الأنبياء:

١ـ الاستشهاد بما أُنزل على الأنبياء السّابقين: (١) و(٥).

٢ـ الاستدلال بإرسال رجال أُوحي إليهم سالفًا: (٤).

٣ـ الاعتراف بأنّهم بشر أُوحي إليهم: (٢) و (٣) و(١٠) و(١٥).

٤ـ الرّسالة منّة من الله على الأنبياء: (٢).

٥ ـ الأنبياء على بيّنة من ربّهم: (١٣).

٦ـ إرسال الأنبياء إلى النّاس بعلم الله: (٩).

٧ ـ علم الله بما يعمل النّاس: (٨).

٨ ـ يجب على الأنبياء البلاغ المبين: (٩).

٩ـ استغناء الله عن النّاس وهو غنيّ حميد: (١١).

١٠ـ التّسويف بالعلم يوم القيامة مَن الكذّاب الأشر: (١٤).

١١ـ إهلاك من كذّب الأنبياء: (١٦).

١٢ـ إخبار النّاس بأنّ الآيات عند الله: (٢).

١٣ـ قيام الأنبياء فعلًا بإتيان المعجزات: (٧) و (١٤).

الثّاني: اتّهام النّبيّ بأنّه إنّما يعلّمه بشر، وجوابه عن ذلك:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ اَنَّهُمْ يَقُولُونَ اِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ اِلَيْهِ اَعْجَمِىٌّ وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ﴾ النّحل: ١٠٣

الثّالث: بيان أقسام الوحي إلى البشر:

﴿وَمَاكَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ اِلَّا وَحْيًا اَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ اَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِاِذْنِهِ مَايَشَاءُ اِنَّهُ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ الشّورى: ٥١

وهذه الآية تستدعي بحثًا وافيًا، وسيأتي في «وح ي» إن شاء الله.

الرّابع: ليس للنّبيّ أن يدعو النّاس إلى عبادته بل إلى عبادة الله تعالى:

﴿مَاكَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِى مِنْ دُونِ اللهِ وَلٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل‌عمران: ٧٩

الخامس: إنكار كون اليهود والنّصارى أبناء الله وأحبّاءه:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارٰى نَحْنُ اَبْنٰؤُا اللهِ وَاَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ اَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ المائدة: ١٨

السّادس: ماجعل الله لبشر الخلد:

﴿وَمَاجَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ اَفَائِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ الأنبياء: ٣٤

السّابع: القرآن ذكرى ونذير للبشر:

١ـ ﴿وَمَاهِىَ اِلَّا ذِكْرٰى لِلْبَشَرِ﴾ المدّثّر: ٣١

٢ـ ﴿اِنَّهَا لَاِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ المدّثّر: ٣٥، ٣٦

الثّامن: وصف جهنّم:

﴿سَاُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَاادْرٰيكَ مَاسَقَرُ * لَاتُبْقِى

وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾

المدّثّر: ٢٦ ـ ٣٠

التّاسع: الإنسان بشر، خلقه من تراب أو من طين أو من ماء أو من صلصال، وسجود الملائكة له إلّا إبليس:

١ـ ﴿وَمِنْ اٰيَاتِهِ اَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ اِذَا اَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ الرّوم: ٢٠

٢ـ ﴿وَاِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ اِنّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاٍ مَسْنُونٍ * فَاِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدينَ * فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ * اِلَّا اِبْلِيسَ اَبٰى اَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدينَ * قَالَ يَا اِبْلِيسُ مَالَكَ اَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدينَ * قَالَ لَمْ اَكُنْ لِاَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاٍ مَسْنُونٍ﴾

الحجر: ٢٨ ـ ٣٣

٣ـ ﴿اِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ اِنّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طينٍ...﴾ ص: ٧١ ـ ٧٦

٤ـ ﴿وَهُوَ الَّذي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَديرًا﴾ الفرقان: ٥٤

يلاحظ: أنّ حجّة إبليس في إبائه السّجود لآدم تشاطر حجّة المنكرين للأنبياء، فإنّهم جميعًا استكبروا في أنفسهم، واستحقروا الأنبياء بأنّهم بشر مثلهم، وزاد إبليس أنّ آدم بشر خُلق من تراب، وهو خُلق من نار.

العاشر: ولادة عيسى من مريم ولم يمسسها بشر، وقولها لمن رأته من البشر: إنّي نذرت صومًا:

١ـ ﴿قَالَتْ رَبِّ اَنّٰى يَكُونُ لي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْني بَشَرٌ قَالَ كَذٰلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ اِذَا قَضٰى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل‌عمران: ٤٧

٢ـ ﴿فَاَرْسَلْنَا اِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ اِنّي اَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ اِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ اِنَّمَا اَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِاَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ اَنّٰى يَكُونُ لي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْني بَشَرٌ وَلَمْ اَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ اٰيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ اَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ مريم: ١٧ ـ ٢١

٣ـ ﴿فَاِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ اَحَدًا فَقُولي اِنّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْمًا﴾ مريم: ٢٦

الحادي عشر: إعجاب نساء مصر بحسن يوسف:

﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلّٰهِ مَا هٰذَا بَشَرًا اِنْ هٰذَا اِلَّا مَلَكٌ كَريمٌ﴾ يوسف: ٣١

يلاحظ أوّلًا: أنّ «البشر» جاء نكرة في جميع الآيات سوى خمس، منها أربع في سورة المدّثّر، وواحدة في سورة مريم. أمّا مجيئها نكرة في آيات إنكار الأنبياء من قبل الأمم فإنّها للتّحقير؛ حيث إنّهم قالوا للأنبياء تحقيرًا لهم: أنتم بشر، فكيف تدّعون النّبوّة؟ وفي غير ذلك إمّا للتّحقير أيضًا، أو للتّعميم مثل: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْني بَشَرٌ﴾، أو للتّعجيب مثل: ﴿مَا هٰذَا بَشَرًا﴾.

وأمّا تعريفها في آيات المدّثّر فهو لتعريف العهد، مثل: ﴿اِنْ هٰذَا اِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ يراد به النّبيّ ﷺ محمّد، أو للجنس كما في الثّلاث الأُخر. هذا وأنّ للرّويّ دخلًا في ذلك، حيث إنّ الآيات (١٨) إلى (٣٨) من هذه السّورة رويّها الرّاء بلاتنوين، فلو كان «البشر» نكرة لما تناسق مع باقي الآيات، وقد تكلّمنا حول ذلك، لاحظ «أ ن س».

ثانيًا: أنّ الآيات كلّها مكّيّة إلّا ثلاثًا منها، وقد سبق توجيه ذلك في آيات إنكار الأنبياء بحجّة أنّهم بشر، ومثله يقال في آيات خلق الإنسان وغيرها. أمّا الثّلاث المدنيّات فهي آيتان من آل عمران وآية من المائدة:

١ـ ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾

آل عمران: ٤٧

٢ـ ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ﴾

آل عمران: ٧٩

٣ـ ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ المائدة: ١٨

فالأخيرتان ترتبطان بالحوار مع النّصارى واليهود الّذين كانوا في المدينة وماحولها، والأولى جاءت في قصّة مريم الّتي تكرّرت في المكّيّ والمدنيّ.

ثالثًا: قد مضى البحث مستوفًى في الفرق بين «إنسان» و«بشر» في «أ ن س» فلاحظ.

المحور الثّاني: البشارة: جاءت من باب «التّفعيل» ماضيًا معلومًا (٦) مرّات، ومجهولًا (٣) مرّات، ومضارعًا (١٠) مرّات، وأمرًا (١٩) مرّة، واسم فاعل مفردًا (٥) مرّات، وجمعًا (٥) مرّات. وجاء من باب «الإفعال» أمرًا مرّة واحدة، ومن باب «الاستفعال» مضارعًا (٦) مرّات، وأمرًا مرّة واحدة، واسم فاعل مرّة واحدة، ومن «المجرّد» مصدرًا أو اسم مصدر (١٧) مرّة، وصيغة فعيل (٩) مرّات، فالمجموع (٦٤) مرّة على النّحو التّالي:

البشارة: وقد تعلّقت بأُمور:

أـ البشارة بالولد:

بشارة إبراهيم بإسحاق:

١ـ ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾

الصّافّات: ١٠٩ ـ ١١٣

٢ـ ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾

الحجر: ٥١ ـ ٥٦

٢ـ ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾

هود: ٦٩ ـ ٧٥

٤ـ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ

بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۞ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۞ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ الذّاريات: ٢٤ ـ ٣٠

٥ ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾

العنكبوت: ٣١

بشارة إبراهيم بإسماعيل:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۞ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۞ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۞ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ[1]﴾ الصّافّات: ٩٩ ـ ١١١

بشارة زكريّا بيحيى:

١ ـ ﴿كهيعص ۞ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۞ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۞ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۞ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۞ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۞ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ مريم: ١ ـ ١١

٢ ـ ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۞ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۞ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ آل عمران: ٣٨ ـ ٤١

بشارة مريم بعيسى:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۞ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۞ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۞ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ

---

(١) لم يُصرّح في هذه الآية بإسماعيل، إلّا أنّها وقعت في سورة الصّافّات، قبل آية التّبشير بإسحاق المذكورة هنا في صدر الآيات، فدلّت على أنّ المراد بها البشارة بإسماعيل. لاحظ قول الطّباطبائيّ في النّصوص.

فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ آل عمران: ٤٥ ـ ٥١

ب ـ بشارة الوارد بغلام هو يوسف:

﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ يوسف: ١٩

ج ـ بشارة البشير ليعقوب:

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

يوسف: ٩٦

د ـ بشارة عيسى بأحمد:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ الصّفّ: ٦

هـ ـ البشارة بالأنثى:

١ ـ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ النحل: ٥٨، ٥٩

٢ ـ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ * وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ الزّخرف: ١٧ ـ ١٩

و ـ تبشير الأنبياء الأُمم: وهذا أكثرها وروداً في القرآن.

الأنبياء يبشّرون ويُنذرون النّاس:

١ ـ ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ البقرة: ٢١٣

٢ ـ ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النّساء: ١٦٣ ـ ١٦٥

٣ ـ ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الأنعام: ٤٨، ٤٩

٤ ـ ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾ الكهف: ٥٦

النّبي ﷺ بشير ونذير:

١ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ البقرة: ١١٩

٢ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ سبأ: ٢٨

٣ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فاطر: ٢٤

٤ـ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ المائدة: ١٩

٥ـ ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٨٨

٦ـ ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ هود: ١، ٢

النبيّ مبشّر ونذير:

١ـ ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الإسراء: ١٠٥

٢ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الفرقان: ٥٦

٣ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ الأحزاب: ٤٥، ٤٦

٤ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الفتح: ٨، ٩

تبشير المؤمنين:

أـ الّذين يعملون الصّالحات:

١ـ الله: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الشّورى: ٢٣

٢ـ القرآن: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الإسراء: ٩، ١٠

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ٩٧

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا * وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا...﴾ الكهف: ١ـ ٤

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ النّمل: ١ـ ٣

٣ـ النّبيّ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: ٢٥

ب ـ دون ذكر الّذين يعملون الصّالحات:

١ـ ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ٢٢٣

٢ ـ ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ التّوبة: ١١٢

٣ـ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾

يونس: ٢

٤ـ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ٨٧

٥ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۞ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾

الأحزاب: ٤٥ـ٤٧

٦ـ ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الصّفّ: ١٣

٧ـ ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الزّمر: ١٧، ١٨

٨ـ ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ يس: ١١

٩ـ ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

آل‌عمران: ١٢٥، ١٢٦

١٠ـ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال: ٩، ١٠

١١ـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يونس: ٦٣، ٦٤

١٢ـ ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الحديد: ١٢

تبشير المتّقين:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ مريم: ٩٧

تبشير الصّابرين:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

البقرة: ١٥٥

تبشير المخبتين:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا

وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ* اَلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَاأَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلٰوةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الحجّ: ٣٤، ٣٥

تبشير المحسنين:

١ـ ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَادِمَاؤُهَا وَلٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوٰى مِنْكُمْ كَذٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلٰى مَاهَدٰيكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ الحجّ: ٣٧

٢ـ ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسٰى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرٰى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ الأحقاف: ١٢

تبشير المسلمين:

١ـ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرٰى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النّحل: ٨٩

٢ـ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرٰى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النّحل: ١٠٢

تبشر المهاجرين والمجاهدين:

﴿اَلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ* يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ* خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ التّوبة: ٢٠ ـ ٢٢

تبشير الكفّار والمنافقين بالعذاب تهكّمًا وسخريّةً:

١ـ ﴿وَإِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلّٰى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ* خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

لقمان: ٧ ـ ٩

٢ـ ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلٰى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الجاثية: ٨

٣ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* أُولٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ آل‌عمران: ٢١، ٢٢

٤ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَايُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* يَوْمَ يُحْمٰى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوٰى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هٰذَا مَاكَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَاكُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾

التّوبة: ٣٤، ٣٥

٥ ـ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ* وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ* فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ الانشقاق: ٢٢ ـ ٢٥

٦ـ ﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التّوبة: ٣

٧ـ ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا* اَلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا﴾ النّساء: ١٣٨، ١٣٩

لابشرى للمجرمين:

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰئِكَةَ لَا بُشْرٰى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا* وَقَدِمْنَا إِلٰى مَاعَمِلُوا مِنْ

عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا* أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ الفرقان: ٢٢ ـ ٢٤

يلاحظ أوّلًا: أنّ الوعيد بالعذاب بلفظ التّبشير أوقعُ في النّفوس وأبلغ في الإنذار من غيره، ففيه وعيد وسخرية؛ إذ كأنّ الكفّار والمنافقين يتوقّعون الأجر الحسن على أعمالهم، فجاءهم العذاب بدل الأجر، وهو خلاف ماتوقّعوه.

ثانيًا: أنّ «العذاب» جاء نكرة في جميع الآيات، موصوف بلفظ «أليم»، وفيه من التّأكيد والإحكام مالايخفى. وأُضيف إليه في آية التّوبة قوله: ﴿فَذُوقُوا مَاكُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾، وهو تهكّم آخر، ومثله كثير في القرآن، لاحظ «ع ذ ب» و «ذ و ق».

ثالثًا: أنّ الله جعل المنافقين شركاء الكفّار في التّبشير بالعذاب الأليم في (٦).

الرّياح مبشّرات وبشرًا:

١ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الرّوم: ٤٦

٢ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ٥٧

٣ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا* لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾

الفرقان: ٤٨، ٤٩

٤ـ ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النّمل: ٦٣

يلاحظ أوّلًا: أنّ الرّياح الّتي تعقبها الأمطار هي مبشّرات رحمة الله، ورحمته هي المطر، وليس جميع الرّياح كذلك، ففيها ريح صرصر عاتية، كما أنّ للرّياح فوائد أُخرى، مثل جري الفلك وتلقيح الأشجار والنّبات وغيرهما، لاحظ «ر و ح».

ثانيًا: عبّر عنها في (١) باسم الفاعل جمعًا، وفي سائر الآيات بالمصدر مفردًا «بشرًا»، وهذا آكد، مثل: زيد عدل.

ثالثًا: جاء قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ بعد (بُشْرًا) دائمًا، وهو تأكيد آخر وبيان أوضح لـ(بشرًا)، وجاء مكانه قوله: ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ بعد (مُبَشِّرات)، وشتّان مابينهما عند من يتذوّق العربيّة.

رابعًا: أنّ في الإتيان بلفظ «الرّياح» في موضع الرّحمة وبلفظ «الرّيح» في العذاب سرًّا، وهو أنّ المختصّين بالأنواء الجوّيّة يقولون: إنّ الأمطار إنّما تنبعث من الرّياح الّتي تحيط بالسّحاب، فتجمعها وتضغط عليها حتّى ينشأ منها «المزن» فتمطر، لاحظ كتاب «باد وباران در قرآن» للمهندس بازركان، وأمّا الرّيح فهي عقيم مُسخّرة للدّمار والخراب، كما صرّح به القرآن: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ الذّاريات: ٤١، وهي صرصر أيضًا: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ الحاقّة: ٦.

الإبشار:

خامسًا: وتأتي نكات أُخرى لهذه الآيات في الفرق بين (بُشْرَى) و(بشرًا).

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلٰئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فصلت: ٣٠

الاستبشار:

١ـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتٰيهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

آل‌عمران: ١٦٩ ـ ١٧١

٢ـ ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

التوبة: ١٢٤، ١٢٥

٣ـ ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ الحجر: ٦٧، ٦٨

٤ـ ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ الروم: ٤٨، ٤٩

٥ ـ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الزمر: ٤٥

٦ـ ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرٰيةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١١١

البُشرى:

١ـ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يونس: ٦٤

٢ـ ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرٰهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا﴾ هود: ٦٩

٣ـ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ هود: ٧٤

٤ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرٰهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ العنكبوت: ٣١

٥ ـ ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ الزمر: ١٧

٦ـ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ٩٧

٧ـ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ آل‌عمران: ١٢٦

٨ ـ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ الأنفال: ١٠

٩ـ ﴿قَالَ يَا بُشْرَى هٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾

يوسف: ١٩

١٠ـ ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النّحل: ٨٩

١١ـ ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النّحل: ١٠٢

١٢ـ ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ﴾ النّمل: ٢، ٣

١٣ـ ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ الأحقاف: ١٢

١٤ـ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰئِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الفرقان: ٢٢

١٥ـ ﴿بُشْرَيكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الحديد: ١٢

البُشر: فيه ثلاث آيات تقدّمت في «الرّياح مبشّرات» و«بشرًا».

تلك هي آيات المحور الثّاني، أي البشارة والتّبشير بجميع صيغها.

ويلاحظ أوّلًا: أنّ البشارة جاءت في الآيات بصيغة «التّفعيل» وهي أكثرها، و«الإفعال» وهي أقلّها، و«الاستبشار» و«الاستفعال» وهي أوسطها، ومثلها جاء المصدر بوزن «فُعلى» و«فُعْل» والصّفة بوزن «فعيل» و«مُفْعِل» و«مستفعل» فما هو الفارق بينها؟ والجواب:

١ـ أنّ التّبشير عرفًا خبر يفيد المخبَر السّرور، وهو في الأصل ما يؤثّر في انبساط الوجه، هكذا جاء في النّصوص. ويبدو أنّه ليس مجرّد خبر، بل فيه لمحة من الإنشاء وإيجاد السّرور، وهو متعدٍّ بنفسه إلى المخاطب المبشَّر، وأمّا ما يُبشَّر به فتعدّ بالباء.

٢ـ وأمّا الإبشار فقد جاء مرّة واحدة، وهو لازم معناه التّلبّس بالسّرور بما بُشّر به، وهو قوله: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾. قال الطّبَريّ (٢٤: ١١٦): «وسُرّوا بأنّ لكم في الآخرة الجنّة». ومع ذلك فلابدّ أن يكون بينه وبين التّبشير فرق آخر، فلاحظ.

٣ـ وأمّا الاستبشار ففيه خلاف، فعند الفَخر الرّازيّ (٩: ٩٥، ٢٠: ٤٥) هو السّرور الحاصل بالبشارة، وأصل «الاستفعال» طلب الفعل، والمستبشر بمنزلة من طلب السّرور فوجده بالبشارة. أمّا البُرُوسَويّ (١: ٥٤١) فنفى أن يكون «استفعل» هنا للطّلب، بل هو بمعنى المجرّد، نحو: استغنى الله، أي غني. وعند الزّمَخْشَريّ وكذا البَيْضاويّ أنّه مطاوعة لفعل «بَشّر»، أي بشّرهم فاستبشروا به.

وأمّا الطّباطَبائيّ (٤: ٦١) فقال: «الاستبشار: طلب السّرور بالبُشرى، والمعنى أنّهم فرحون بما وجدوه من الفضل، ويطلبون السّرور بما يأتيهم من البُشرى، بحسن حال من لم يلحقوا بهم».

فالأمر في «الاستبشار» يدور بين كونه بمعنى المجرّد، أي وجدان السّرور، أو مطاوعة للتّبشير، فكأنّه طلب السّرور فوجده، أو بمعنى طلب السّرور رأسًا.

والمرجّح عندنا أنّ فيه لَمْحة من الطّلب والانتظار للسّرور، فلا يُعبَّر به إلّا في حالة التّوقّع والانتظار للسّرور، وهذا ما يستظهر من الآيات، وهو الفارق بين المبشَّر والمستبشِر أيضًا.

ثانيًا: جاء المصدر بلفظ «بُشرى» و«بُشر»، وفيه بحوث:

١ـ قد تقدّم في الأُصول اللّغويّة أنّ البُشرى مصدر كالرُّجعى، بمعنى البَشر، أو اسم لما يُبشّر به من خير، وقد جاءت (١٥) مرّة: ٥ مرّات معرّفة باللّام (١ ـ ٥)، و٩ مرّات نكرة (٦ ـ ١٤)، ومرّة مضافة (١٥).

ويستدعي التّأمّل فيها أنّها في الجميع مصدر بمعنى البشارة والتّبشير، وهذا المعنى كالمصرّح به في الآيات الّتي جاءت فيها (بُشرى) معطوفة على (هُدى) (٦) و(١٠) و(١١) و(١٢)، من أجل أنّ (هُدى) مصدر، فكذلك ماعطف عليه.

نعم قوله: ﴿بُشْرٰيكُمُ الْيَوْمَ جَنّاتٌ﴾ في (١٨) أيضًا كالصّريح في أنّ الجنّات هي المبشّر بها، فهي اسم وليس مصدرًا، فيسوغ لنا القول بأنّ (بُشرى) في عرف القرآن إذا جاء مضافًا فهو اسم لما يُبشّر به، وإذا جاء غير مضاف فهو محتمل للأمرين، والغالب عليه هو المصدر.

٢ـ أمّا وجه التّعريف في الخمس الأُولى فيبدو أنّه للعهد الذّهنيّ، ففي (١) إشارة إلى أنّ بُشرى المؤمنين في الدّنيا والآخرة معهود معروف، وهو الجنّة في الآخرة والحياة السّعيدة في الدّنيا، وهو الفوز العظيم. وعليه لايبعد أن تكون «البُشرى» هنا اسمًا لما يُبشّر به وليس مصدرًا، وهذا الوجه محتمل في (٥) أيضًا.

أمّا سائر الآيات (٢) إلى (٤) فكلّها ترجع إلى تبشير إبراهيم بالولد، وكان أمرًا معهودًا في القرآن، فاللّام فيها للعهد أيضًا. والبُشرى مصدر، وليس اسمًا لما بُشّر به، لأنّ الرّسل بشّروا بإسحاق، وجاءوا بخبره إلى إبراهيم، كما صرّح به في الآيات، ولم يأتوا بالولد نفسه.

٣ـ أمّا الفرق بين «البُشرى» و«البُشر»، فالبُشرى إذا جاء مصدرًا فهو بمعنى التّبشير، وقد جاء التّبشير والبُشرى معًا في بشارة إبراهيم وامرأته بالولد، وقد تقدّم، وفيها: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحٰقَ﴾، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾، ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحٰقَ﴾، وجاء في نفس الآية ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرٰى﴾، فلاريب أنّ (البُشرى) فيها بمعنى التّبشير، إلّا فيما فصّلنا من الآيات أنّها بمعنى مايُبشّر به.

أمّا البُشر فهو مصدر من المجرّد، يقال: بَشَرَ يَبشُرُ بَشْرًا وبِشْرًا وبُشْرًا وبِشارةً، أي فَرِحَ، فالبُشر: الفرح والسّرور، وهو لازم، وبهذا جاء في القرآن. وقد يأتي متعدّيًا، يقال: بَشَرَ فلانًا، أي فرّحه، وهو غير التّبشير، أي إخبار الغير بما يسرّه.

٤ـ والّذي يلفت النّظر أنّ (بُشرًا) جاء في ثلاث آيات بسياق واحد: إرسال الرّياح بُشرًا بين يدي رحمته، ومعناها أنّها فرح وسرور للنّاس، لاتبشير وإخبار بما يسرّهم. وعليه فـ(المُبَشّرات) الّتي جاءت في آية واحدة أيضًا بمعنى المفرّحات، والله أعلم بسرّ كتابه.

٥ ـ وجاء «بُشرا» نكرة في تلك الآيات إشعارًا بعظيم النّعمة وجزيل المنّة.

ثالثًا: جاء البشير (٤) مرّات، والمبشّر مفردًا وجمعًا (١٠) مرّات، لاحظ الآيات. والبحث هنا في الفرق بينهما، فنقول:

إنّ البشير صفة مشبّهة تدلّ على الاستمرار والثّبوت، وقد تأتي صيغة مبالغة، وبهذا المعنى جاءت

صفات الله تعالى، حسب مااختاره الشّيخ محمّد عبده، فإنّها كلّها عنده صيغ مبالغة، أمّا المبشّر فإنّه يعني التّبشير عمليًّا. وعليه فالفرق بينهما أنّ «البشير» يعني الطّبيعة المستمرّة للنّبيّ، و«المبشّر» يعني عمليّة التّبشير له. قال الفخر الرّازيّ كما جاء في النّصوص: «النّذير: مبالغة في الإنذار بالعقاب على فعل المعاصي..والبشير: مبالغة في البشارة بالثّواب».

فلاحظ الآيات الّتي جاءت بشأن النّبيّ، ففي أربع منها أنّه بشير ونذير، وفي أربع أُخرى أنّه مبشّر ونذير بسياق واحد، أي بعد قوله: (اَرْسَلْنَاكَ). فاللّفظان يفيدان أنّ النّبيّ كثير التّبشير بطبيعته، وأنّه يتصدّى له عمليًّا.

هذا مايخطر بالبال، إلّا أنّ وحدة السّياق لعلّها تقنعنا بأنّه لافرق بينهما. وتؤيّده آيات الأنبياء بأنّهم (مُبَشِّرُونَ) و(مُنذِرُونَ)، فإنّها بسياقها تعني أنّ الأنبياء شأنهم ذلك دائمًا وبكثرة.

وجدير بالذّكر أنّ كلًّا من «المبشّرين» بشأن الأنبياء، و«المبشّر» و«البشير» بشأن النّبيّ، جاء أربعًا أربعًا، وهذا يعني أنّ تبشير النّبيّ ﷺ يعادل تبشير الأنبياء قاطبة.

رابعًا: جاء التّبشير والإنذار في هذه الآيات الثّماني معًا، وكذلك في كثير من آيات التّبشير، سوى القليل، فلاحظ.

وهذا يعني أنّ الأنبياء يبشّرون النّاس بالخيرات، وينذرونهم السّيّئات ولايكتفون بأحدهما. إذن لايكفي التّبشير بالخيرات دون الإنذار للشّرور مع شيوع السّيّئات والقبائح بين الأُمم. وهذا نظير آيات الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فإنّ مُعظمها جمع فيه الأمران.

خامسًا: في معظم آيات التّبشير والإنذار جاء التّبشير مقدّمًا على الإنذار، كما هو الحال في آيات «المعروف والمنكر» إلّا القليل؛ وذلك لأنّ الأنبياء وكذلك الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر ينبغي أن يواجهوا النّاس ـ قبل تقطيب الوجه بالإنذار للعذاب ـ بطلاقة الوجه والبشارة بالخير والفلاح، وأن يمثّلوا ـ أوّلًا ـ أمام النّاس الطّريق الأمثل، ثمّ يحوّلوهم إليه عن السّيّئات والقبائح، ففيه مصلحة نفسيّة وعاطفيّة واجتماعيّة، لاحظ «ع ر ف».

سادسًا: هناك آيات متعدّدة جاء فيها التّبشير والإنذار مفردًا حسب مقتضى المقام، أو جاء النّذير مقدّمًا على البشير، كقوله تعالى: ﴿اَلَّا تَعْبُدُوا اِلَّا اللهَ اِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ هود: ٢

﴿وَلَوْ كُنْتُ اَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ اِنْ اَنَا اِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٨٨

ولانعلم وجهًا لذلك في الأُولى سوى أنّ «البشير» فيها أنسب وأوفق للرّويّ، فقبلها «خبير» وبعدها «كبير» فلفظ «بشير» أقرب إليهما من لفظ «نذير». أمّا في الثّانية فلعلّ المقام اقتضى تقديم «نذير» لصعوبة موقف المخاطبين أمام النّبيّ، أو لأنّ «بشير» أقرب من المؤمنين، فأُخّر عن «نذير».

سابعًا: قد جاء ضمن آيات «النّبيّ مبشّر ونذير» في

(٣): ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾، وفي (٤): ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، فضمّ إليها في الأُولى ثلاث صفات: (شَاهِدًا) مقدّمًا عليها، و(دَاعِيًا) و(سِرَاجًا مُنِيرًا) مؤخّرًا عنها. وفي الثّانية (شَاهِدًا) مقدّمًا عليها، وسنبحث ذلك في «ش هـ د» و«ن ب أ» إن شاء الله.

ثامنًا: جاء «نذير» دون «منذر» في الآيات الخاصّة بالنّبيّ مع «بشير» و«مبشّر»، وجاء «منذرين» في آيات «الأنبياء مبشّرون»، وذلك لأنّ «مبشّرين» جمع، فيناسقه الجمع دون المفرد، مع أنّ «النّذير» ـ كما سبق ـ يفيد الاستمرار والكثرة، والنّبيّ أنسب لذلك، فدعوته أوفى وأبلغ من جميع الأنبياء، والله العالم.

تاسعًا: أنّ هذه الملاحظات ترجع إلى آيات تبشير النّبيّ والأنبياء، وأمّا سائر الآيات فهي تحت عنوان «الرّياح مبشّرات»، وقد ذيّلناها بملاحظات.

المحور الثّالث: المباشرة: جاءت مرّتين في آية واحدة مدنيّة:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٨٧

يلاحظ أوّلًا: أنّ المراد بالمباشرة هنا «الجماع» بعد ملاحظة أمرين:

١ـ قوله في صدر الآية: ﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾، فإنّه الجماع، وقوله: ﴿أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾، فإنّهم كانوا يعصون الله، ويجامعونهنّ.

٢ـ قوله بعد (بَاشِرُوهُنَّ): ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾، أي ما قدّر لكم من الأولاد، وقوله: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾.

ثانيًا: ما سرّ اختصاص هذه الآية النّازلة في شأن الصّيام بالتّعبير عن الجماع بالمباشرة؟

فلعلّها كانت دارجة في عرف أهل المدينة، أو أنّها أقرب إلى الاستتار والاحتراز عن القبيح من غيرها، أو أنّها تعني الجماع وما تنتهي إليه من المقدّمات، كالمسّ وملاصقة الجسم للجسم، وهذا نظير ما يقال في آية الحيض: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ البقرة: ٢٢٢، فنع عن قربها تأكيدًا لئلّا ينجرّ إلى الجماع. وهذا أحسن الوجوه. ولقد قلنا آنفًا: إنّ المباشرة أقرب المحاور الثّلاثة من المعنى اللّغويّ بهذه المادّة.

ثالثًا: وجاء ما يضارع المباشرة في القرآن:

الإتيان:

١ـ ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ الأعراف: ٨١

٢ـ ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الشّعراء: ١٦٥

٣ـ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ النّمل: ٥٥

٤ـ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ العنكبوت: ٢٩

٥ ـ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ البقرة: ٢٢٣

٦ـ ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾ البقرة: ٢٢٢

الرّفث:

١ـ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ البقرة: ١٨٧

٢ـ ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ البقرة: ١٩٧

الاستمتاع، على وجه:

﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ النّساء: ٢٤

المسّ:

١ـ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ البقرة: ٢٣٦

٢ـ ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ البقرة: ٢٣٧

٣ـ ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾

الأحزاب: ٤٩

٤ـ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ آل‌عمران: ٤٧

٥ ـ ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾

مريم: ٢٠

٦ـ ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ المجادلة: ٣

٧ـ ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ المجادلة: ٤

الدّخول: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ النّساء: ٢٣

القرب: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ البقرة: ٢٢٢

وأمّا النّكاح فقد جاء في القرآن بمعنى الزّواج دون الجماع، إلّا ماقيل بأنّه الجماع من أحد وجهين في قوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ البقرة: ٢٣٠.

والّذي يلفت النّظر أنّ هذه الألفاظ تدلّ على الجماع بالكناية مثل المباشرة، وأنّه لم يذكر في القرآن لفظ صريح في هذا الأمر كالجماع والوطء، حياءً واستقباحًا له وتأديبًا للنّاس. لاحظ «أ ت ي» و «ر ف ث» و «م س س» و«ن ك ح» و «ج م ع».


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب ص ر

٣٣ لفظًا، ١٤٨ مرّة: ١٠٦ مكّيّة، ٤٢ مدنيّة

في ٦٢ سورة: ٤٤ مكّيّة، ١٨ مدنيّة

بَصُرَت ١ : ١
بَصَرتُ ١ : ١
يَبصُرُوا ١ : ١
بصير ٢٧ : ٦ ـ ٢١
البصير ٩ : ٧ ـ ٢
بصيرًا ١٥ : ١٠ ـ ٥
بصيرة ٢ : ٢
بَصائر ٥ : ٥
البَصَر ٨ : ٨
بَصَره ١ : ١
مبصرون ١ : ١
مُبصِرَةً ٣ : ٣
بصرك ١ : ١
أبصار ١ : ١
الأبصار ١٧ : ١٠ ـ ٧
أبصارهم ١٤ : ٩ ـ ٥
أبصارها ١ : ١
أبصارهنّ ١ : ـ ١
أبصاركم ٢ : ٢
أبصارنا: ١ : ١
يُبَصَّرونهم ١ : ١
تبصرةً ١ : ١
أبصَر ١ : ١
أبصَرنا ١ : ١
يُبصِر ١ : ١
يُبصِرُون ١٢ : ١١ ـ ١
تُبصِر ١ : ١
تُبصِرُون ٩ : ٩
أبصِر ٣ : ٣
أبصرهم ١ : ١
أبصارًا ١ : ١
مستبصرين ١ : ١
مُبصِرًا ٣ : ٣

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: البصَر: العَين، مذكّر.

والبصَر: نَفاذ في القلب.

والبَصارة: مصدر البصير، وقد بَصُر. وأبصَرْتُ الشّيء، وتبَصّرتُ به وتبصّرتُه: شِبْهُ رَمَقْته.

واستَبْصَر في أمره ودينه، إذا كان ذابصيرة.

والبصيرة: اسم لما اعتُقِد في القلب من الدِّين، وحقيق الأمر.

ويقال: رأى فلان لَمحًا باصرًا، أي أمرًا مُفزِعًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَصّرَ الجرْوُ تبصيرًا: فتح عَيْنَه.

والبصيرة: الدِّرْع، يقال: مالُبِس من السّلاح فهو: بصائر السّلاح.

يقال للفِراسة الصّادقة: فِراسةٌ ذات بصيرة.

والبَصيرة: العِبرة، يقال: أمَالك بصيرة في هذا؟ أي عِبرة تعتبر بها. [ثمّ استشهد بشعر]

وبصائر الدّماء: طرائقُها على الجسد.

والبُصْر: غِلَظُ الشّيء، نحو بُصْرِ الجبل، وبُصْر السّماء والحائط، ونحوه.

والبَصْرة: أرض، حجارتها جِصّ، وهكذا أرض البَصْرة فقد نزلها المسلمون أيّام عمر بن الخطّاب، وكتبوا إليه: إنّا نزلنا أرضًا بَصْرة؛ فسمّيت بَصْرة. وفيها ثلاث لغات: بَصْرة، وبِصْرة، وبُصْرة، وأعمّها البَصْرة.

والبَصْرة: نعتٌ، وكلّ قطعة بَصْرة.

وقيل: البَصْرة: الحجارة الّتي فيها بعض اللّين. [ثمّ استشهد بشعر] (٧: ١١٧)

سِيبَوَيه: وإذا أراد رجل أن يُدخل نفسه في أمر حتّى يضاف إليه، ويكون من أهله فإنّك تقول: «تفعّل» وذلك تشجّع وتبصّر وتحلّم وتجلّد. (٤: ٧١)

بصُر: صار مُبصِرًا، وأبصَره، إذا أخبرَ بالّذي وقعت عينه عليه. (ابن منظور ٤: ٦٤)

الكِسائيّ: إنّ فلانًا لمغضوب البَصَر، إذا أصاب جلده غُضاب، وهو داءٌ يخرج به.

(الأزهَريّ ١٢: ١٧٧)

وبَصْرُ كلّ شيء: غِلَظُه، وبُصْرُه وبَصْرُه: جلده.

(ابن سيدة ٨: ٣١٦)

ابن شُمَيْل: البَصَرَة: أرض كأنّها جَبَل من جِصّ، وهي الّتي بنيت بالمِرْبَد، وإنّما سمّيت البصرة بصرةً بها.

(الأزهَريّ ١٢: ١٧٥)

أبوعمروالشّيبانيّ: أرض فلانٍ بُصْرَة، بضمّ الباء، إذا كانت حمراء طيّبة. وأرض بَصِرة، إذا كانت فيها حجارة تقطع حوافر الدّوابّ.

وبُصْرُ الأرض: غِلَظها.

مثله الفَرّاء. (الأزهَريّ ١٢: ١٧٥)

البَصْر: أن يُضمّ أديمٌ إلى أديم يُخاطان، كما يُخاط حاشيتا الثّوب.

والبَصْر: الحجارة إلى البياض، فإذا جاءوا بالهاء قالوا: البَصْرة. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١٢: ١٧٥)

البَصْرة والكَذّان: كلاهما الحجارة الّتي ليست بصُلْبة. (الأزهَريّ ١٢: ١٧٥)

البَصِيرة من الدّم: مااستُدِلّ به على الرَّمِيّة.

(إصلاح المنطق: ٣٥٠)

مثله الأصمَعيّ. (الجَوهَريّ ٢: ٥٩٢)

البَصيرة: مابين شُقّتي البيت، وهي البصائر.

(الجَوهَريّ ٢: ٥٩٢)

يقال: هذه بصيرة من دم، وهي الجَدِيّة منها على الأرض. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١٢: ١٧٥)

الفَرّاء: البِصْر والبَصْرة: الحجارة البَرّاقة.

(الأزهَريّ ١٢: ١٧٥)

الباصَرُ: القَتَب الصّغير، وهي البواصر.

(الأزهَريّ ١٢: ١٧٦)

أبوعُبَيْدَة: البصيرة: التُّرس، والبصيرة: الحَلقة من حلَق الدِّرْع. فيجوز أن يقال للدِّرع كلّها: بصيرة.

والبَصيرة من الدّم: الّذي بمنزلة الورق الرّشاش منه، والجَدِيّة أوسع من البصيرة، والبصيرة مثل فِرْسِن البعير، فهو بصيرة، والجَديّة أعظم من ذلك. (١: ٢٣٨)

أبوزَيْد: البِنْصِر: إصبع معروفة، النّون فيها زائدة. (ابن دُرَيْد ١: ٢٥٩)

البَصيرة من الدّم: ماكان على الأرض، والجَدِيّة: مالزق بالجسد. (الجَوهَريّ ٢: ٥٩٢)

الأصمَعيّ: قولهم: أراه لَمْحًا باصرًا، أي نظرًا بتحديق شديد.

ومَخرجُ باصرٍ مَخرجُ رجلٍ تامرٍ: ذوتمرٍ، ولابِنٍ، ذولبن، وخابز: ذوخبز، ورامحٍ: ذورُمح، فمعنى باصرٍ: ذوبصر، وهو من أبصَرت، مثل مَوتٍ مائتٍ وهو من أمَتُّ. (إصلاح المنطق: ٣٦٢)

اللِّحيانيّ: بَصِرَ به بكسر الصّاد، أي أبصَره. (ابن سيدة ٨: ٣١٥)

وإنّه لذوبصَر، وبصيرة في العبادة. وإنّه لبَصير بالأشياء، أي عالم بها. (ابن سيدة ٨: ٣١٦)

والبصيرة: الشّاهد. اجعلني بصيرة عليهم، بمنزلة الشّهيد.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الْاِنْسَانُ عَلٰى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ القيمة: ١٤، له معنيان: إن شئتَ كان الإنسان هو البصيرة على نفسه، أي الشّاهد، وإن شئت جعلت «البصيرة» هنا غيره، فعنَيتَ به يَدَيْه ورِجْلَيه ولسانه، لأنّ كلّ ذلك شاهد عليه يوم القيامة. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن سيدة ٨: ٣١٦)

والبَصْر، والبِصْر، والبُصْر: الحجَر الغليظ الشّديد. (ابن سيدة ٨: ٣١٧)

البَصْرُ: الطّين العَلِك الجيّد الّذي فيه حَصًى. (ابن سيدة ٨: ٣١٧)

ابن الأعرابيّ: «راحوا بصائرَهم»[١]، يعني ثِقْل دمائهم على أكتافهم، لم يثأروا بها.

البَصيرة: الدّيَة، والبَصيرة: مقدار الدّرهم من الدّم.

البَصيرة: التُّرس، والبَصيرة: الثّبات في الدّين.

والبصائر: الدّيات في البيت، أخذوا الدّيات فصارت عارًا.

وبصيرتي، أي ثأري قد حملته على فرسي لأُطالب به، فبيني وبينهم فَرْق. (الأزهَريّ ١٢: ١٧٦)

أبصَر الرّجل، إذا خرج من الكفر إلى بصيرة الإيمان. [ثمّ استشهد بشعر]

وأبصَر، إذا علّق على باب رَحْله بَصيرةً، وهو شُقّة من قُطن أو غيره. (الأزهَريّ ١٢: ١٧٨)

الباصر: المُلَفِّق بين شُقّتَين أو خِرْقتَين، يقال: رأيت عليه بَصيرةً من الفقر، أي شُقّةً مُلَفَّقة.

والبَصيرة أيضًا: الشُّقّة الّتي تكون على الخِباء. (الأزهَريّ ١٢: ١٧٥)

البصيرة: الفطنة، تقول العرب: أعمَى الله بصائره أي فِطَنَه. (ابن سيدة ٨: ٣١٦)

شَمِر: في الحديث: «فأمر به فبُصِّر رأسُه» أي قُطِع.

---

(١) رَاحُوا بَصائِرُهُم على أكتافهم
وبصيرتي يعدو بها عَتَدٌ وأى

يقال: بصَّر بسيفه. [ثمّ استشهد بشعر] (الهَرَويّ ١: ١٧٤)

المُبرِّد: أبصَرته وبصرت به، بمعنًى واحد.

(الفخر الرّازيّ ٢٤: ٢٣٠)

ابن دُرَيْد: والبصَر: معروف، أبصَر يُبصِر إبصارًا، فهو مُبصِر وبصير.

ويقال: لقيت من فلان لَمْحًا باصرًا، أي أمرًا واضحًا. وفلان حسن البصيرة، إذا كان مستبصِرًا في دينه.

والبَصيرة: القطعة من الدّم، تستدير على الأرض أو على الثّوب كالتُّرس الصّغير. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَصْرة: حجارة رِخوة، وبه سُمّيت البَصرة، لأنّ أرضها الّتي بين العقيق وأعلى المِرْبَد كذلك، وهو الموضع الّذي يسمّى الحزيز. [ثمّ استشهد بشعر]

وبُصْر كلّ شيء: جِلده الظّاهر. وثوبٌ ذو بُصْر، إذا كان كثيفًا كثير الغزل. وربّما قيل: جمل ذو بُصْر، إذا كان غليظًا وثيجًا.

وقد سمّت العرب بصيرًا، ويُكنّون الضّرير أبابصير تفاؤلًا.

والأباصر: موضع معروف، وبُصْرَى: موضع بالشّام، وقد تكلّمت به العرب، وأحسبه دخيلًا. ونسبوا إليه السّيوف، فقالوا: سيفٌ بُصْرِيّ. (١: ٢٥٩)

الأزهَريّ: قال اللّيث: رأى فلان لَمْحًا باصرًا، أي أمرًا مفروغًا منه. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال غيره: رأيت فلانًا لَمَاحًا باصرًا، أي نظر بتحديق.

قلت: والقول هو الأوّل.

ويقال: أعمى الله بصائره، أي فِطَنه.

ويقال: بصَّر فلانٌ تبصيرًا، إذا أتى البَصْرة. [ثمّ استشهد بشعر] (١٢: ١٧٦)

الصّاحِب: البصَر: العَين ـ مذكّر ـ ونَفاذٌ في القلب.

والبَصارة: مصدر البَصير، أبصَرَ يُبصِرُ، وأبصَرْتُ الشّيء، وبَصُرْتُ به، وبَصِرْتُ. وأبصَرَ الطّريقُ والصّبحُ والنّهارُ، إذا أبصَرْتَه. وتبصّرته، أي رَمَقْته.

واستَبْصَر في أمره ودينه، إذا كان ذا بَصيرةٍ وتحقيقٍ من أمره.

واجعَلْني بَصيرةً عليهم، أي شهيدًا.

ورأى لَمْحًا باصرًا، أي أمرًا مُفزِعًا.

وإذا فتح الجِرْوُ عَيْنَه قلتَ: بَصَّرَ تَبصيرًا.

ويقال للفِراسة الصّادقة: ذاتُ البصائر، وذاتُ البَصيرة.

والبُصْرُ: القُطْن، والقِشْر أيضًا.

والتَّبَصُّر: العَيْنُ نفسُها؛ في قول أبي زُبَيْد:

* كالجَمْرَتين التَّبَصُّر *

ويقولون: لقيتُه بين سَمْع الأرض وبصَرها، أي بأرض خَلاءٍ ما بها أحدٌ.

ويُسَمّون اللّحم الباصُورَ، أي أنّه جيّدٌ للبَصَر، يزيد فيه.

والمُبْصِر: الّذي يُوَكَّل بحفظ الثّمار.

والبَصيرة: الدِّرْع.

وبَصائر الدّم: طرائقُها على الجسَد.

والبَصيرة: مابين شقّيِ الباب، وجمعها: بَصائر.

وهي الهِبْرة أيضًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وهي الفِراسَة أيضًا.

والبُصْرُ: غِلَظُ الشّيء؛ كبُصْر الجبَل والسّماء. وهو جِلْدُ كلّ شيء، وجمعه: أبصارٌ. ويقال: إنّه لغَليظ البُصْر، أي جِلْد الوجه. وهو مغضوب البُصْر والبِصْرِ.

والبَصْرُ: أن يُضمّ أديمٌ إلى أديمَيْن يُخاطان، يقال: بَصَرْتُ الأديمَيْن أبصُرُها.

وبَصَرَه بالسّيف: قطعَه.

والبَصْرَة: أرضٌ حجارتُها جِصٌّ، وهي البَصَرَة والبَصِرَة أيضًا، وجمعُها: بِصارٌ. فإذا حذفتَ الهاء قلتَ: بِصْرٌ بالكسر، وبُصْرٌ: لغةٌ فيه.

وأرضُ بني فلان بُصْرَة، إذا كانت طيّبةً حمراء.

والمُبصِرات: الأرضُون ذات البَصْرَة. وأرضٌ بَصِرَة: فيها حجارة بِيضٌ.

وبَصَرْتُ وأبصَرْتُ: أتيْت البَصْرَة.

والبَصْرتان: الكوفة والبصرة.

والباصُور: رَحْلٌ دون القِطْع؛ وهي عِيدانٌ تُقابَل، شبيهةٌ بأقتاب البُخْت.

والباصِر: قَتَبٌ صغيرٌ، ويُجمَع: بَواصِر. (٨: ١٣٥)

الجَوْهَريّ: البصَر: حاسّة الرّؤية، وأبصَرتُ الشّيء: رأيته.

والبصير: خلاف الضّرير.

وباصرته، إذا أشرفت تنظر إليه من بعيد.

والبصَر: العِلم، وبَصُرْت بالشّيء: عَلِمتُه، قال الله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ طٰه: ٩٦.

والبصير: العالِم، وقد بَصُر بصارةً.

والتّبصّر: التّأمّل والتّعرّف. والتّبصير: التّعريف والإيضاح. [ثمّ استشهد بشعر]

والمُبصِرة: المُضيئة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ النّمل: ١٣.

قال الأخفش: إنّها تُبصّرهم، أي تجعلهم بُصَراءَ.

والمَبْصَرَة، بالفتح: الحُجّة.

والبَصْرة: حجارة رِخْوة إلى البياض ماهي، وبها سمّيت البصرة. [ثمّ استشهد بشعر]

فإذا أسقطتَ منه الهاء قلت: بِصرٌ بالكسر. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَصْرتان: الكوفة والبَصْرة. وبصّر القوم تبصيرًا، أي صاروا إلى البصرة.

والبَصيرة: الحجّة والاستبصار في الشّيء، وقوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ القيمة: ١٤.

قال الأخفش: جعله هو البصيرة، كما يقول الرّجل للرّجل: أنت حجّة على نفسك.

والبَصْرُ: أن يُضمّ أديمٌ إلى أديمٍ فيُخرَزان، كما تُخاط حاشيتا الثّوب، فتوضع إحداهما فوق الأُخرى، وهو خلاف خياطة الثّوب قبل أن يُكفّ.

وقولهم: أريتُه لَمْحًا باصرًا، أي نَظرًا بتحديق شديد، ومَخرجه مَخرج رجلٍ لابِنٍ وتامرٍ، أي ذولبن وتمر.

فمعنى باصر، أي ذوبَصَرٍ، وهو من أبصَرْت، مثل موتٍ مائتٍ، وهو من أمَتُّ.

أي أريته أمرًا شديدًا يُبصِرُه.

والبِنْصِر: إصبع يلي الخِنْصِر، والجمع: البناصر.

والبُصْر بالضّمّ: الجانب، والحرف من كلّ شيء، وفي الحديث: «بُصْر كلّ سماء مسيرةُ كذا» يريد غِلظَها.

وبُصْرَى: موضع بالشّام. [ثمّ استشهد بشعر]

وتنسب إليها السّيوف. [ثمّ استشهد بشعر]

(٢: ٥٩١)

ابن فارِس: الباء والصّاد والرّاء أصلان:

أحدهما: العِلم بالشّيء، يقال: هو بصيرٌ به، ومن هذه البَصيرة.

والقطعة من الدّم إذا وقعت بالأرض استدارت. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَصيرة: التُّرس فيما يقال. والبَصيرة: البرهان. وأصل ذلك كلّه وضوح الشّيء.

ويقال: رأيتُه لَمْحًا باصرًا، أي ناظرًا بتحديق شديد. ويقال: بَصُرْت بالشّيء، إذا صِرْت به بصيرًا عالمًا. وأبصَرتُه، إذا رأيته.

وأمّا الأصل الآخر: فبُصْرُ الشّيء: غِلَظه، ومنه البَصْر، هو أن يُضمّ أديمٌ إلى أديم، يُخاطان كما تُخاط حاشية الثّوب.

والبَصيرة: مابين شُقّتي البيت، وهو إلى الأصل الأوّل أقرب.

فأمّا البَصْرة: فالحجارة الرِّخْوة، فإذا سقطتَ الهاء قلت: بِصْر بكسر الباء، وهو من هذا الأصل الثّاني. (١: ٢٥٣)

أبوهِلال: الفرق بين البصير والمُستَبصِر: أنّ البَصير على وجهين:

أحدهما: المختصّ بأنّه يُدرِك المُبصَر إذا وُجِد، وأصله: البَصَر، وهو صحّة الرّؤية، ويؤخذ منه صفة مُبصِر بمعنى رأى، والرّأي هو المُدرِك للمرئيّ، والقديم رأيٌ بنفسه.

والآخر: البصير، بمعنى العالِم، تقول منه: هو بصير، وله به بصَرٌ وبَصيرة، أي عِلم.

والمُستبصِر هو العالِم بالشّيء بعد تطلّب العِلم، كأنّه طلب الإبصار، مثل المستفهِم والمستخبِر: المتطلّب للفهم والخبر، ولهذا يقال: إنّ الله بصير، ولايقال: مُستبصِر.

ويجوز أن يقال: إنّ الاستبصار هو أن يتّضح له الأمر حتّى كأنّه يُبصِره. ولايوصَف الله تعالى به، لأنّ الاتّضاح لايكون إلّا بعد الخفاء.

الفرق بين البَصر والعين: أنّ العين آلة البصر، وهي الحَدَقة. والبصَر: اسم للرّؤية، ولهذا يقال: إحدى عينيه عمياء، ولايقال: أحد بصريه أعمى. وربّما يجري البصر على العين الصّحيحة مجازًا ولايجري على العين العمياء، فيدلّك هذا على أنّه اسم للرّؤية على ماذكرنا.

ويسمّى العِلم بالشّيء إذا كان جليًّا: بصَرًا، يقال: لك فيه بَصرٌ، يراد أنّك تعلمه كما يراه غيرك. (٦٤)

الهَرَويّ: وفي الحديث: «فأرسلَتْ أُمُّ معبدٍ إليه شاةً فرأى فيها بُصْرةً من لَبَن» يريد أثرًا قليلًا يُبصِره النّاظر إليه.

وفي الحديث: «بُصْر جلد الكافر أربعون ذِراعًا» قال سفيان: هو الغِلَظ. وبُصْر السّماء: غِلَظُها.

ومنه حديث عبدالله: «وبُصْر كلّ سماء مسيرة خمسمئة عام».

وفي الحديث: «صلاة المغرب يقال لها: صلاة البصَر». قيل لها ذلك، لأنّها تُؤدّى قبل ظلمة اللّيل الحائلة بين الإبصار والشّخوص.

[وفي حديث] أحمد بن سعيد يقول: صلاةُ البصَر: صلاةُ الفجر.

[وفي حديث عن أبي طريف] أنّه كان شاهد النّبيّ ﷺ وهو محاصِرٌ لأهل الطّائف «كان يصلّي بنا صلاة البَصَر حتّى لو أنّ إنسانًا رمَى بنَبْله، أبصَرَ مواضع نَبْله». (١ : ١٧٥)

ابن سيدة: البَصَر: حِسُّ العَين، والجمع: أبصارٌ. بَصُرَ به بَصَرًا، وبَصارةً، وبِصارةً، وأبصَره، وتبصّره: نظر إليه هل يُبصِره.

وباصَرَه: نظَر معه إلى شيء أيّهما يُبصِره قبل صاحبه. وباصَرَه أيضًا: أبصَرَه. [ثمّ استشهد بشعر]

وتَباصَرَ القوم: أبصَر بعضهم بعضًا.

ورجُل بَصير: مُبصِر، «فعيلٌ» بمعنى «مُفعِل»، وجمعه: بُصَراء.

وحكى اللّحيانيّ: إنّه لبَصير بالعَينَين.

وأراه لَمْحًا باصرًا، أي نظرًا بتحديق. فإمّا أن يكون على طرح الزّائد، وإمّا أن يكون على النّسب، والآخر مذهب يعقوب.

«ولقي منه لَمْحًا باصرًا» أي أمرًا واضحًا، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ اٰيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ النّمل: ١٣، قال الزّجّاج: معناه واضحةً. قال: ويجوز مُبصَرةً، أي مُتَبيِّنةً تُبصَر وتُرَى.

وبَصَّر الجَرْوُ: فتَح عَينَيه.

ولَقيَه بصَرًا، أي حين تباصَرَت الأعيان ورأى بعضها بعضًا. وقيل: هو في أوّل الظّلام إذا بقي من الضّوء قدر ماتَتَبايَنُ به الأشباح، لايُستعمل إلّا ظرفًا.

وبَصُر القلْب: نَظَرُه وخاطِرُه.

والبَصيرة: عقيدة القَلْب، وفي حديث ابن عبّاس: «أنّ معاوية لمّا قال لهم: يابني هاشم تُصابون في أبصاركم، قالوا له: وأنتم يابني أُميّة تصابون في بصائركم».

وفعَل ذلك على بَصيرة، أي على عَمْد، وعلى غير بَصيرة، أي على غير يقين.

وإنّه لَبصيرٌ بالأشياء، أي عالِمٌ بها، ورجل بَصير بالعلم كذلك.

وقوله ﷺ: «اذهب بنا إلى فلان البَصير» وكان أعمَى، قال أبوعُبَيْد: يريد به المؤمن. وعندي أنّه ﷺ إنّما ذهَب إلى التّفاؤل، لأنّ لفظ «البَصَر» أحسن من لفظ العَمى، ألاترى إلى قول معاوية: والبَصير خيرٌ من الأعمى.

واستبصر في رأيه وتَبصَّرَ: تبيّن مايأتيه من خير وشرّ، أي اتوا ماأتوه، وهم قد تبيّن لهم أنّ عاقبته عذابهم.

وبَصُر بَصارةً، صار ذابَصيرة.

وبَصّره الأمرَ تَبصيرًا وتَبصِرةً: فهّمه إيّاه.

والبُصْر: النّاحية، مقلوب عن الصُّبْر. وبُصْر الكَمْأة وبَصَرُها: حُمْرَتُها، قال:

وتَقَّصَ الكَمْءَ فأبدَى بَصَرَه

وبُصْرُ كلّ شيء: غِلَظُه، وبُصرُه، وبَصْرُه: جِلْدُه، حكاه جميعًا اللّحيانيّ عن الكِسائيّ، وقد غلب على جِلْد الوجه.

وثوبٌ جيّدُ البَصَر: قويٌّ ونَسيجٌ. [ثمّ استشهد

بشعر]

والبَصَر: أن تُضمّ حاشيتا أديمَيْن يُخاطان كما يُخاط الثوب.

والبِصْرُ، والبَصْرَة: الحجَر الأبيض الرِّخْوُ، وقيل: وهو الكَذّان. فإذا جاءُوا بالهاء قالوا: بَصْرَةٌ لاغير، وجمعها: بِصارٌ.

والبُصْرَة: الأرض الطَّيِّبة الحمراء.

والبَصْرَة: والبَصَرَة، والبَصِرَة: أرض حجارتها جِصٌّ، وبه سُمّيت البَصْرَة، والبَصْرَة أعمّ، والبَصِرَة كأنّها صفةٌ. والنَّسب إلى البَصْرَة بِصْريٌّ وبَصْريٌّ، الأُولى شاذّةٌ. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَصَّرَ القوم: أتَوُا البَصْرَة. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَصْرَة: الطّين العَلِك.

والبَصيرة: التُّرس. والبصيرة من الدّم: مااستدار منه فصار على شكل التُّرس. وقيل: هو مااستطال منه، وقيل: هو مالَزِقَ بالأرض دون الجسد، وقيل: هو قَدْرُ فِرْسِنِ البَعير منه، وقيل: هو ما استُدِلّ به على الرَّمِيّة.. وقيل: البَصيرة من الدّم: مالم يَسِلْ، وقيل: هو الدُّفْعَةُ منه. وقيل: البَصيرة: دَمُ البِكْر. [ثمّ استشهد بشعر]

يقول: تركوا دمَ أبيهم خَلْفَهم ولم يَثأرُوا به وطلَبْتُه أنا.

والبصيرة: الدِّرْع، وكلّ مالُبِس جُنَّةً: بَصيرة.

والباصِر: قَتَبٌ صغيرٌ مستديرٌ، مَثَّل به سيبَوَيه، وفسّره السّيرافيّ عن ثَعْلَب.

وأبوبَصير: الأعشى، على التَّطيُّر.

وبَصيرٌ: اسم رجل.

وبُصْرَى: موضعٌ بالشّام، والنَّسبُ إليه بُصْرِيّ، قال ابن دُرَيْد: أحسَبُه دخيلاً.

والأباصير: موضعٌ معروف. (٨: ٣١٥)

الباصرة: العين، والبَصَر: حاسّة الرُّؤية، والنّور الّذي تُدرِك به الجارحة المبصَرات. (الإفصاح ١: ٤٠)

البَصْر: قشر أعلى الجلد. (الإفصاح ١: ١٠٧)

البصَر: هو من القلب نظره وخاطره، وقيل: البصَر: نَفاذ في القلب، بَصِر بالشّيء كعلِم وكرُم بصَرًا وبَصارة: عَلِم، فهو بصير به، أي عالِم.

والبصيرة: عقيدة القلب والفِطْنة.

(الإفصاح ١: ١٤٧)

سَمْع الأرض وبَصَرها: طولُها وعَرضُها، يقال: لقيته بين سَمْع الأرض وبَصَرها، أي حيث لايَسمع ولايُرى شخص. (الإفصاح ٢: ١٠٢٠)

البَصْرة: الحجارة الرِّخوة فيها بياض، والجمع: بِصار. وأرض بَصْرة: فيها حِجارة ناتئة، وإنّما سمّيت البَصْرة بالحجارة الّتي في المِرْبَد. (الإفصاح٢: ١٠٣١)

الطُّوسيّ: والبصَر: مصدر بَصُر به يبصُر بصَرًا، بمعنى أبْصَره إبصارًا.

والبصيرة: الإبصار للحقّ بالقلب.

والبصائر: قطع الدّم، لأنّها تُرى كثيرة للغسل.

(١: ٦٥)

والإبصار: إدراك المُبصَر بما به يكون مُبصَرًا، كما أنّ السّمع إدراك المسموع بما به يكون مسموعًا.

(٥: ٤٣٩)

والبَصيرة: المعرفة الّتي يُمَيِّز بها بين الحقّ والباطل في الدّين والدّنيا، يقال: «فلان على بصيرة من أمره، أي

كأنّه يُبصِره بعينه. (٦: ٢٠٥)

والبصائر: جمع بصيرة، وهي البراهين الواضحة والحُجَج النّيّرة. وتكون البصائر جمع بَصيرة، وهي طريق الدّم. والبَصيرة: الرّأس أيضًا، وجمعها: بصائر، ومعناها ظهور الشّيء وبَيانه. (٥: ٧٩)

نحوه الطُّبْرِسيّ. (٢: ٥١٣)

البصائر: جمع بصيرة، وهي الدّلالة الّتي توجب العِلم الّذي يُبصِر به نفس الشّيء على ماهو به. (٤: ٢٤٤)

الرّاغِب: البصَر يقال للجارحة النّاظرة، نحو قوله تعالى: ﴿كَلَمْحِ بِالْبَصَرِ﴾ القمر: ٥٠، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ الأحزاب: ١٠، وللقوّة الّتي فيها.

ويقال لقوّة القلب المُدرِكة: بصيرةٌ وبَصَرٌ، نحو قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ق: ٢٢، وقال: ﴿مَازَاغَ الْبَصَرُ وَمَاطَغَى﴾ النّجم: ١٧.

وجمع البَصَر: أبصار، وجمع البَصيرة: بصائر، قال تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ﴾ الأحقاف: ٢٦، ولايكاد يقال للجارحة: بصيرة.

ويقال من الأوّل: أبْصَرْتُ، ومن الثّاني: أبصرتُه وبصُرْتُ به. وقلّما يقال: بَصُرْت في الحاسّة، إذا لم تُضامّه رؤية القلب.

وقال تعالى في «الأبصار»: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَالَايَسْمَعُ وَلَايُبْصِرُ﴾ مريم: ٤٢، ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ السّجدة: ١٢، ﴿وَلَوْ كَانُوا لَايُبْصِرُونَ﴾ يونس: ٤٣، ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ الصّافّات: ١٧٩، ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ طٰه: ٩٦، ومنه: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ يوسف: ١٠٨، أي على معرفة وتحقُّق، وقوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ القيامة: ١٤، أي تبصُره فتشهد له، وعليه من جوارحه بصيرةٌ تَبصُره فتشهد له، وعليه يوم القيامة كما قال: ﴿تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ﴾ النّور: ٢٤.

والضّرير يقال له: بصيرٌ على سبيل العكس، والأولى أنّ ذلك يقال لما له من قوّة بَصيرة القلب لا لما قالوه، ولهذا لايقال له: مُبْصِر وباصر، وقوله عزّوجلّ: ﴿لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ الأنعام: ١٠٣، حمله كثير من المسلمين على الجارحة.

وقيل: ذلك إشارة إلى ذلك وإلى الأوهام والأفهام، كما قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «التّوحيد أن لاتتوهّمه، وقال: كلّ ماأدركته فهو غيره».

والباصِرة: عبارة عن الجارحة النّاظرة، يقال: رأيتُه لَمحًا باصرًا، أي ناظرًا بتحديق، قال عزّوجلّ: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ النّمل: ١٣، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: ١٢، أي مضيئة للأبصار، وكذلك قوله عزّوجلّ: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: ٥٩.

وقيل: معناه صار أهله بُصَراء، نحو قولهم: رجل مُخْبِث ومضعِفٌ، أي أهله خُبثاء وضُعفاء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَاأَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ القصص: ٤٣. [إلى أن قال:]

ويقال: بصَّر الجَرْوُ: تَعرّض للإبصار بفتحة العين.

والبَصْرَة: حجارة رِخْوة تلمَع كأنّها تُبْصِر، أو

سُمِّيت بذلك لأنّ لها ضَوْءً تُبصِر به من بُعْد، ويقال له: بَصِيرٌ.

والبصيرة: قطعة من الدّم تلمَع، والتُّرس اللّامع.

والبُصْر: النّاحية، والبُصيرة: مابين شُقَّي الثّوب والمزادة ونحوها الّتي يُبصِر منها، ثمّ يقال: بصَرتُ الثّوب والأديم، إذا خِطْتَ ذلك الموضع منه. (٤٩)

الزَّمَخْشَريّ: أبصَر الشّيء وبصُر به وقد بصُر بعمله، إذا صار عالمًا به، وهو بصير به وذوبصَر وبَصارة، وهو من البُصَراء بالتّجارة.

وبَصَّرتُه كذا وبَصَّرتُه به، إذا علّمتَه إيّاه. وتبصَّرْ لي فلانًا. [ثمّ استشهد بشعر]

وهو مستبصِرٌ في دينه وعمله. وعمَى الأبصار أهون من عمَى البصائر. وبَصّرَ فلانٌ وكوّف. [ثمّ استشهد بشعر]

ومافي البَصْرتين مثله، وهما البَصْرة والكوفة.

وماأثخن بُصْر هذا الثّوب! وهذا ثوبٌ ماله بُصْر. وبُصْر كلّ سماء: مسيرة خمسمئة عام، وهو الثّخَنُ والغِلَظ.

ومن المجاز: هذه آية مبصِرة. وأبصَر الطّريق: استبان ووضَح.

ورتّبت في بستاني مُبْصِرًا، أي ناظرًا وهو الحافظ.

وأريتُه لَمحًا باصرًا، أي أمرًا مُفزعًا، وأراني الزّمان لَمحًا باصرًا.

واجعلني بصيرة عليهم، أي رقيبًا وشاهدًا، كقولك: عينًا عليهم.

وأمالك بصيرةٌ في هذا؟ أي عِبرة. [ثمّ استشهد بشعر]

وله فِراسة ذات بصيرة وذات بصائر، وهي الصّادقة. ورأيت عليك ذات البصائر. [ثمّ استشهد بشعر]

وأتيته بين سَمْع الأرض وبصَرها، أي بأرض خلاء مايُبصِرني ولايسمع بي إلّا هي.

وبَصَرْتُه بالسّيف: ضربته فبَصَر بحاله، وعرف قدره. [ثمّ استشهد بشعر] (أساس البلاغة: ٢٣)

الطَّبْرِسيّ: والأبصار: جمع بصَر، وهو الحاسّة الّتي يُدرَك بها المُبصَر. وقد يُستعمل بمعنى المصدر، ويقال: له بصَرٌ بالأشياء، أي عِلم بها، وهو بصير بالأُمور أي عالم. (٢: ٤٢٢)

وبصَر بالشّيء يبصُر، إذا صار عليمًا به. وأبصَر يُبصِر، إذا رأى. (٤: ٢٥)

ابن الأثير: في أسماء الله تعالى «البصير» هو الّذي يشاهد الأشياء كلّها ظاهرها وخافيها بغير جارحة. والبصَر في حقّه: عبارة عن الصّفة الّتي ينكشف بها كمال نعوت المُبصَرات.

وفيه: «فأمر به فبُصِر رأسه» أي قُطِع، يقال: بصَره بسيفه، إذا قطَعه.

ومنه الحديث: «كان يُصلّي بنا صلاة البَصَر، حتّى لو أنّ إنسانًا رمى بنَبْلة أبصرها».

قيل: هي صلاة المغرب، وقيل: صلاة الفجر، لأنّهما يؤدّيان وقد اختلط الظّلام بالضّياء. والبصَر ـ هاهنا ـ بمعنى الإبصار، يقال: بَصُر به بصَرًا.

ومنه الحديث: «بَصُر عيني وسَمِع أُذُني» وقد تكرّر هذا اللّفظ في الحديث، واختُلف في ضبطه، فروي بَصُر

وسَمِع، وبَصَر وسَمَع، وبَصَر وسَمُعَ، على أنّهما اسمان.

وفي حديث الخوارج: «وينظر في النّصل فلايرى بَصيرة» أي شيئًا من الدّم يستدلّ به على الرّميّة، ويستبينها به.

وفي حديث عثمان: «ولتختلقنّ على بَصيرة» أي على معرفة من أمركم ويقين.

ومنه حديث أمّ سلمة: «أليس الطّريق يجمع التّاجر وابن السّبيل والمُستبصِر والمجبور» أي المستبين للشّيء، يعني أنّهم كانوا على بَصيرة من ضلالتهم، أرادت أنّ تلك الرّفقة قد جمعت الأخيار والأشرار. (١: ١٣١)

أبوحَيّان: البصَر: نور العَين، وهو ما تُدرَك به المرئيّات. (١: ٤٦)

الفَيّوميّ: البَصْرة، وزان تَمْرَة: الحجارة الرِّخْوة، وقد تُحذف الهاء، مع فتح الباء وكسرها، وبها سُمّيت البلدة المعروفة. وأنكر الزّجّاج فتح الباء مع الحذف، ويقال في النّسبة: بَصْريّ بالوجهين.

وهي مُحدَثةٌ إسلاميّة، بُنيت في خلافة عمر سنة ثماني عشرة من الهجرة، بعد وقف السّواد، ولهذا دخلت في حَدّه دون حُكمه.

والبَصَر: النّور الّذي تُدرك به الجارحة المُبصَرات، والجمع: أبصار، مثل سبب وأسباب. يقال: أبصَرته برؤية العين إبصارًا، وبَصُرتُ بالشّيء ـ بالضّمّ والكسر لغة ـ بصَرًا بفتحتين: علِمتُ، فأنا بصير به.

يتعدّى بالباء في اللّغة الفُصحى، وقد يتعدّى بنفسه، وهو ذوبَصَر وبصيرة، أي عِلم وخبرة. ويتعدّى بالتّضعيف إلى ثانٍ، فيقال: بصّرته به تبصيرًا.

والاستبصار بمعنى البَصيرة.

وأبوبصير، مثال كريم: من أسماء الكلب، وبه كُنّي الرّجل، ومنه أبوبصير الّذي سلّمه رسول الله ﷺ لطالبيه على شرط المُدّة، واسمُه عُتْبَة بن أسيد الثّقفيّ، وأسيد مثل كريم.

والبِنْصِر بكسر الباء والصّاد: الإصبع الّتي بين الوُسْطى والخِنْصِر، والجمع: البناصر. (١: ٥٠)

الفيروزاباديّ: البصَر: محرّكة: حسّ العين، جمعه: أبصار، ومن القلب: نَظَرُه وخاطِره.

وبَصُر به ككرُم وفرِح بصَرًا وبَصارةً ويُكسر: صار مُبصِرًا.

وأبصَرَه وتَبصّرَه: نظَر هل يُبصِره.

وباصَرا: نظَرا أيّهما يُبصِر قَبْلُ، وتباصَروا: أبصَر بعضهم بعضًا.

والبصير: المُبصِر، جمعه: بُصَراء، والعالِم.

وبالهاء: عقيدة القلب والفِطْنَة، ومابين شُقّتي البيت والحجّة، كالمَبْصَر والمَبْصَرة بفتحها، وشيءٌ من الدّم يُستدلّ به على الرّميّة، ودم البِكْر، والتُّرس والدِّرْع، والعِبْرة يعتبر بها، والشّهيد.

ولَمْحٌ باصِرٌ: ذوبصَر وتحديق.

والبَصْرة: بلدة معروف، ويُكسر ويُحرّك، ويُكسر الصّاد، أو هو معرّب «بَسْ راه» أي كثير الطُّرق. وبلدة بالمغرب خَرِبَتْ بعد الأربعمائة، والأرض الغليظة، وحجارة رِخْوة فيها بياض.

وبالضّمّ: الأرض الحمراء الطّيّبة، والأثر القليل من اللّبن.

وبُصْرَى كحُبْلَى: بلدة بالشّام، وقرية ببغداد قرب عُكْبراء، منها محمّد بن محمّد بن خلف الشّاعر البُصْرَوِيّ.

وبوصير: أربع قرى بمصر، ونَبْت.

والبَصْر: القطع كالتّبصير، وأن تُضمّ حاشيتا أديمَيْن يخاطان.

وبالضّمّ: الجانب، وحرف كلّ شيء، والقُطْن، والقِشْر، والجلد ويُفتح، والحجَر الغليظ ويُثلّث.

وكصُرَد: موضع.

والباصر بالفتح: القَتَب الصّغير، والباصور: اللّحم، ورَحْلٌ دون القَطْع.

والمُبْصِر: الوسط من الثّوب ومن المَنْطِق والمَشْي، ومن علّق على بابه بَصيرةً للشّقّة، والأسد يُبصِر الفريسة من بُعْد فيقصدها.

وأبصَر وبصّرَ تبصيرًا: أتى البَصْرة.

والأباصر: موضع.

والتّبصّر: التّأمّل والتّعرّف.

واستبصَر: استبان، وبصّرَه تبصيرًا: عرّفه وأوضحه، واللّحم: قَطّع كُلَّ مَفْصِل، ومافيه من اللّحم، والجِرْوُ: فتح عَيْنَيه، ورأسه: قطعه.

وقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ يونس: ٦٧، أي يُبْصَر فيه، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: ١٢، أي بيّنة واضحة، ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: ٥٩، أي آية واضحة بيّنة، ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ النّمل: ١٣، أي تُبَصِّرهم، أي تجعلهم بُصَراء. (١: ٣٨٧)

الطُّرَيحيّ: وفي حديث الدّنيا: «من أبصَر بها بَصَّرَتهُ ومن أبصَر إليها أعمَتْهُ».

قوله: «من أبصَر بها بَصَّرَتْه» أي من جعلها سبب هدايته ومحلّ إبصاره بعين عقله، استفاد منها البَصر.

و«من أبصَر إليها أعمَتْه» أي من مدّ إليها بصَر بصيرته محبّةً لها، أعمَتْه عن إدراك أنوار الله تعالى.

وفي حديث مدح الإسلام: «وجعله تبصرةً لمن عَزَم» أي مَن عزم على أمر كان في الإسلام تبصرة وهداية إلى كيفيّة فعله.

وأبصَرْتُه برؤية العين إبصارًا، وبصُرتُ بالشّيء ـ بالضّمّ والكسر لغة ـ بَصَرًا بفتحتين: علمت، فأنا بصيرٌ. يتعدّى بالباء وبنفسه، وهو ذوبصيرةٍ، أي عِلم وخبرة؛ ويتعدّى بالتّضعيف إلى ثان.

والاستبصار من البصيرة، والمستبصِر: المستبين للشّيء.

و«يَبصُرهُم النّاظر» أي يحيط بهم نظرةٌ لايخفى عليه منهم شيء.

وفي الخبر: «بصُر كلّ سماءٍ مسيرة كذا» أي سمكها.

والبَصْرة وزان تَمْرة: بلدة إسلاميّة بُنيت في خلافة الخليفة الثّاني في ثماني عشرة من الهجرة، سمّيت بذلك، لأنّ البَصْرة: الحجارة الرِّخْوة، وهي كذلك فسمّيت بها.

وفي كلام عليّ عليه السلام «البَصْرة مَهبَطُ إبليس ومَغْرِس الفتن».

والبصرتان: البصرة والكوفة. (٣: ٢٢٥)

مَجْمَعُ اللُّغة: بصَر به: رآه، فهو بصير.

ويُطلق البصَر على العِلم القويّ المضاهي لإدراك

الرّؤية، فيقال: بصَر بالشّيء: علمه عن عيان، فهو بصير به.

أبصَر يُبصِر إبصارًا أي رأى.

وبصير: صفة من بصَر به، بمعنى رآه أو علمه، وهو أيضًا من أسماء الله تعالى.

البَصيرة: نور القلب الّذي بـه يُستبصَر، كـما أنّ البصَر نور العين الّذي به تُبصَر.

ومن المجاز: البَصيرة: البيان، والحـجّة الواضـحة، والعِبْرة يعتبر بها، والشّاهد. وجمع بصيرة: بصائر.

بصّره بالشّيء تـبصيرًا وتـبصرةً: عـلّمه إيّـاه أو عرّفه، وأوضحه له حتّى يُبصِره.

ومن المجاز: نهار مُبصِر، أي مضيء يُبصَر فيه. وآية مبصرة: بيّنة واضحة.

ويقال: هو مُستبصِر، إذا كان عاقلًا، يمكنه التّـمييز بين الحقّ والباطل بالاستدلال والنّظر.

البصَر: حاسّة الرّؤية، وجمعه: أبصار. (١: ١٠٠)

محمّد إسماعيل إبراهيم: بـصُر وأبـصَر: رأى بالعين، والبصَر: العين، وقوّة الإبصار، وقوّة الإدراك.

وبصُر بالشّيء: عـلِم بـه، وبـصُر الأمر: عـرفه ووضحه، وأبصِر به وأسْمِع: ماأبصَرَه وماأسْمَعَه.

والبصير: الخبير.

والبَصيرة: نور القلب، وهي للقلب كالبصَر للعين، أو هي العقل والفِطْنة والحجّة، وجمعها: بصائر.

والنّهار المبصِر: المضيء.

واستبْصرَ: استبان. وفلان على بصيرة: على يقين وصحّة عقيدة.

والآيات المبصِرة: البيّنة الواضحة.

وأُولي الأبصار: أصحاب العقول. وتبصرةً وتبصيرًا وتبيينًا.

وبصّرته بالشّيء: أوضحته له حـتّى يُـبصِره، ثمّ ضمّن معنى التّعريف. (١: ٦٩)

محمود شيت: ١ـ أـ بصُر بصَرًا: صار مُـبصِرًا.

وبصُر به: أبصَره، وبصُر به: علِمه.

ب ـ بصُر بصَرًا، وبَصارة: صار بصيرًا. وبـصُر: صار ذابصيرة، فهو بصير. وبصُر بـالشّيء: عـلِم بـه. وبصُر به بصَرًا: أبصَره.

ج ـ أبصَر فلان: نظر ببصره فرأى، ورأى ببصيرته فاهتدى.

وأبصَر: أتى البَصْرة، وأبصَر النّهار: أضاء، وأبصَر الطّريق: استبان ووضح.

د ـ بـاصَره: بـاراه في الإبـصار، وبـاصر الشّيء: أشرف ينظر إليه من بعيد.

هـ ـ بصّرَ: أتى البَصْرة.

وبصّر فلانًا الأمر وبه تبصيرًا، وتبصرةً: علّمه إيّاه، ووضّحه له.

و ـ تباصَر القوم: أبصر بعضهم بعضًا.

ز ـ تَبصّرَ: تأمّل، وتعرّف.

ح ـ الباصِر، يقال: لَـمْحٌ باصر: نَظَرٌ ذوتحـديقٍ، ولقِي منه لَـمْحًا باصرًا: أمرًا واضحًا.

ط ـ الباصرة: مـؤنّث البـاصر، والبـاصرة: قـوّة الإبصار.

ي ـ البـصَر: العـين، وقـوّة الإبـصار، والإدراك،

جمعه: أبصار.

ك ـ البصيرة: قوّة الإدراك والفِطْنة، والعِلم، والخبرة، والحجّة، والرّقيب، والعِبْرة، وكلّ ما اتُّخذ جُنّة كالدِّرْع والتُّرس وغيرها.

ل ـ المُبصِر: المُشرف على الشّيء، الحافظ عليه.

٢ـ البصَر، يقال: التّدريب البَصريّ ما يُرى بالعين بوسائل الإيضاح الملموسة، والتّدريب الّذي يجري لتقوية البصَر على الرّؤية ليلًا.

ووسائط المخابرة البصريّة: الأعلام، والقناديل اللّيليّة، والقناديل الشّمسيّة الّتي تعكس ضوء الشّمس، وهي من وسائط صنف المخابرة «سلاح الإشارة». (١: ٨٦)

العَدْنانيّ: بَصْريّ وبِصْريّ.

ويخطّئون من يَنسِب إلى مدينة البصرة العربيّة العراقيّة بقوله: بَصْريّ، ويقولون: إنّ الصّواب هو بِصْريّ، كما جاء في معجم البُلدان، وهَمْع الهَوامع، ومحيط المحيط.

وذكر البَصْريّ والبِصْريّ كليهما: اللّسان، والمصباح، والتّاج، والمتن. واستشهد اللّسان بقول عُذافر:

بَصْريّة تزوّجت بَصْريًّا

يُطعمها المالح والطّريّا

وذكر محيط المحيط أنّ هذه المدينة تسمّى: بَصْرة، وبِصْرَة، وبَصَرَة، وبَصِرَة.

واكتفى الوسيط بفتح الباء بقوله: البَصْرة مدينة إلخ ونحاة البَصْرة. (٦٣)

المُصْطَفَويّ: والتّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو العِلم بنظر العين، أو بنظر القلب، كما أنّ الرّؤية والنّظر: مُطلَق النّظر غير مقيّد بقيد العِلم، والعِلم مُطلق غير مقيّد بقيد النّظر ﴿وَتَرٰيهُمْ يَنْظُرُونَ اِلَيْكَ وَهُمْ لَايُبْصِرُونَ﴾ الأعراف: ١٩٨.

فالبصير: من له البَصارة، أي النّظر والعِلم، وتستعمل «البَصيرة» في التّأنيث، فيقال: نفس بصيرة، وقوّة بصيرة. وجمعها: بصائر كصحيفة وصحائف، وظريفة وظرائف.

والبصَر يستعمل مصدرًا، واسمًا باعتبار كونه بمعنى «الفاعل» أي الباصرة. وإطلاق المصدر على «الفاعل» للإشارة إلى أنّ النّظر إلى جهة الحدَث والفعل لا الذّات، وجمعه: أبصار.

والفرق بين الإبصار والتّبصير، هو ما ذكرنا في فرق صيغة «إفعال وتفعيل» من جهة الصّدور والوقوع.

وأمّا معنى الثّخَن والغِلَظ، فباعتبار كونه أوّل ما يتراءى من الجسم؛ فبُصْر الثّوب: ما يُبصَر منه، وقريب منه معنى «الجانب».

وأمّا معنى الدّم المستدار على الأرض، فباعتبار ثبوته وبقائه حتّى يُبصَر، ويُستدلّ به على الرّميّة، فهو ما يُبصَر من أثر الرّميّة. فكذلك معنى التُّرس: فإنّ الجُنّة أوّل ما يُبصَر من السّلاح بل ممّن يحارب ويبارز.

وأمّا البرهان، فهو ما يُقدّم ويُرى في مقام الاحتجاج.

وأمّا الحجارة الرِّخْوة، فباعتبار ما فيها من البياض. (١: ٢٦٤)

النُّصوص التّفسيريّة

بَصُرَتْ

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ. القصص: ١١

ابن عبّاس: أبصَرته. (الفَخْرالرّازيّ ٢٤: ٢٣٠)
مثله النّسَفيّ (٣: ٢٢٨)، والشِّربينيّ (٣: ٨٥).

قَتادَة: يقول: بَصُرَت به، وهي محاذيته لم تأتِه. (الطّبَريّ ٢٠: ٣٩)

جعلت تنظر إليه كأنّها لاتريده. (الطّبَريّ ٢٠: ٤٠)

الطّبَريّ: يقول: فبَصُرَت بموسى عن بُعدٍ لم تَدْنُ منه ولم تَقرُب، لئلّا يعلم أنّها منه بسبيل، يقال منه: بَصُرْت به وأبصَرته، لغتان مشهورتان، وأبصَرت عن جُنُب، وعن جنابة. (٢٠: ٣٩)

الطّوسيّ: فبصُرت به: رأته، وهو لايتعدّى إلّا بحرف الجرّ، والرّؤية تتعدّى بنفسها. (٨: ١٣٤)

البغَويّ: في القصّة أنّها كانت تمشي جانبًا وتنظر اختلاسًا، ترى أنّها لاتنظره. (٣: ٥٢٥)

مثله الخازن. (٥: ١٣٧)

الطّبْرِسيّ: في الكلام حذف واقتصار، تقديره: فذهبت أُخت موسى فوجدت آل فرعون قد أخرجوا التّابوت وأخرجوا موسى، فبَصُرت به.

وهذا من الإيجاز الدّالّ على الإعجاز باللّفظ القليل المعنى على المعنى الكثير، أي فرأت أخاها موسى عن جُنُب. (٤: ٢٤٢)

الآلوسيّ: أي أبصرته، والفاء فصيحة، أي فقصّت أثره فبَصُرت.

وقرأ قَتادَة (فَبَصَرت) بفتح الصاد، و عيسى بكسرها. (٢٠: ٥٠)

عبد الكريم الخطيب: وفي قوله تعالى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ﴾ إعجازٌ من إعجاز النّظم القرآنيّ، الّذي تُشخِّص فيه الكلمة ألطف المعاني وأرقّها، فإذا شعاعات هذا النّور كيان شاخص، يمسك باليد، ويصوّر بالعين.

ففي كلمة (بَصُرَتْ) نرى أنّ قلب تلك الأُخت كان أمام عينيها، فلم تبحث عن أخيها بعينيها، ولم تتسمّع أخباره بأذنيها، وإنّما كانت كيانًا من الحَذر والحيطة، بحيث تقرأ الحركات والإشارات، وتتأوّل الرّموز والألغاز.

فالبصر هنا بَصر عِلم، أقرب مايكون إلى الإلهام، كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ طٰه: ٩٥، ٩٦. (١٠: ٢١٧)

بَصُرْتُ

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي. طٰه: ٩٦

أبو عُبَيْدَة: (قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ) أي علمتُ مالم تعلموه. وبَصُرْت (فَعُلْتُ) من البصيرة، فصرت بها عالمًا بصيرًا.

ولها موضع آخر قوم يقولون: بصُرْت وأبصَرت سواء، بمنزلة سَرِعت وأسرَعت ماشئتُ. (٢: ٢٦)

نحوه الزّجّاج. (٢: ٣٧٤)

الطَّبَريّ: يقول: قال السّامريّ: عَلِمت مالم يعلموه، وهو «فَعُلْتُ» من البصيرة، أي صِرت بما عَلِمت بصيرًا عالمًا.

وقال آخرون: هي بمعنى أبصَرت مالم يُبصِروه، وقالوا: يقال: بَصُرْت بالشّيء وأبصرته، كما يقال: أسرعت وسَرِعْت ماشئت.

واختلف القرّاء في قراءة هذين الحرفين، فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء، بمعنى قال السّامريّ: بَصُرْتُ بما لم يبصُر به بنو إسرائيل.

وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة: (بَصُرتُ بِما لَمْ تَبْصُروا بِهِ) بالتّاء على وجه المخاطبة لموسى عليه السلام وأصحابه، بمعنى قال السّامريّ لموسى: بَصُرْت بما لم تبصُر به أنت وأصحابك.

والقول في ذلك عندي أنّهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماءُ من القُرّاء، مع صحّة معنى كلّ واحدة منهما، وذلك أنّه جائز أن يكون السّامريّ رأى جبرئيل فكان عنده ماكان، بأن حدّثته نفسه بذلك أو بغير ذلك من الأسباب، أنّ تراب حافر فرسه الّذي كان عليه، يصلح لما حدّث عنه حين نبذه في جوف العجل، ولم يكن عِلْم ذلك عند موسى، ولاعند أصحابه من بني إسرائيل، فلذلك قال لموسى: (بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ) أي علمت بما لم تعلموا به.

وأمّا إذا قرئ ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء فلامؤنة فيه، لأنّه معلوم أنّ بني إسرائيل لم يعلموا ماالّذي يصلح له ذلك التّراب. (١٦: ٢٠٤)

الهَرَويّ: أي علمت مالم يعلموا، يقال: بصُرَ يَبْصُر، إذا صار عليمًا بالشّيء، فإذا نظرت قلت: أبصَرْتُ أُبصِر. (١: ١٧٣)

الطُّوسيّ: قرأ حمزة والكِسائيّ (مَالَمْ تَبْصُرُوا) بالتّاء، الباقون بالياء المعجمة من أسفل.

من قرأ بالتّاء حمله على خطابه لجميعهم، ومن قرأ بالياء أراد بَصُرْت بما لم يَبْصُروا بنو إسرائيل، والمعنى رأيت مالم يروه.

فمن قرأ بالياء أراد مالم يَبْصُروا هؤلاء، ومن قرأ بالتّاء حمله على الخطاب. و«بَصُر» لايتعدّى وإن كانت الرّؤية متعدّية، لأنّ ماكان على وزن «فَعُل» بضمّ العين لايتعدّى، غير أنّه وإن كان غير متعدّ، فإنّه يتعدّى بحرف الجرّ، كما عدّاه هنا بالباء.

وقيل: (بَصُرْتُ) هاهنا بمعنى عَلِمْت من البصيرة، يقال: بَصُر يَبْصُر، إذا عَلِمَ. وأبصر إبصارًا، إذا رأى. (٧: ٢٠٣)

البغَويّ: رأيت مالم يروا، وعرفت مالم يعرفوا. (٣: ٢٧٣)

الزّمَخْشَريّ: والمعنى علمت مالم تعلموه، وفَطِنت مالم تفطُنوا له. (٢: ٥٥١)

الطَّبْرِسيّ: أي رأيت مالم يروه. وقيل: معناه علمت مالم يعلموا من البصيرة. (٤: ٢٧)

أبوالسُّعود: بضمّ الصّاد فيهما. وقُرئ بكسرها في

الأوّل وفتحها في الثّاني، وقرئ بالتّاء على الوجهين، على خطاب موسى عليه السلام وقومه، أي علمت مالم يعلمه القوم وفَطِنت لما لم يفطنوا له، أو رأيت مالم يروه، وهو الأنسب بما سيأتي من قوله، وكذلك (سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي) لاسيّما على القراءة بالخطاب.

فإنّ ادّعاء عِلم مالم يَعلمه موسى عليه السلام جُرْءة عظيمة لاتليق بشأنه ولابمقامه، بخلاف ادّعاء رؤية مالم يره عليه السلام فإنّها ربّما تقع بحسب مايتّفق. (٤: ٣٠٤)

البُرُوسَويّ: في «التّأويلات النّجميّة»: (بَصُرْتُ) يعني خُصّص بكرامة فيما رأيت من أثر فرس جبريل وألهمت بأنّ له شأنًا ما خُصّ به أحد منكم. (٥: ٤٢١)

الآلوسيّ: بضمّ الصّاد فيهما، أي علمت مالم يعلمه القوم وفَطِنتُ لما لم يفطنوا له. وقيل: بَصُرَه وأبصَرَه بمعنى واحد.

وقرأ الأعمش وأبوالسّمال: (بَصِرْت) بكسر الصّاد (بِمَا لَمْ يَبْصَروا) بفتح الصّاد، وقرأ عمرو بن عُبَيْد: (بُصِرْت) بضمّ الباء وكسر الصّاد (بِمَا لَمْ تُبْصَروا) بضمّ التّاء المثنّاة من فوق وفتح الصّاد، على البناء للمفعول.

وقرأ الكِسائيّ وحمزة وأبوبحريّة والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وابن مناذر وابن سعدان وقعنب (بِمَا لَمْ تَبْصُروا) بالتّاء الفوقانيّة المفتوحة وبضمّ الصّاد، والخطاب لموسى عليه السلام وقومه.

وقيل: له عليه السلام وحده، وضمير الجمع للتّعظيم، كما قيل في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ المؤمنون: ٩٩، وهذا منقول عن قدماء النُّحاة، وقد صرّح به الثّعالبيّ في سرّ العربيّة.

فما ذكره الرّضيّ من أنّ التّعظيم إنّما يكون في ضمير المتكلّم مع الغير كفعلنا، غير مرتضًى وإن تبعه كثيرٌ. (١٦: ٢٥٣)

المَراغيّ: أي قال السّامريّ: إنّي عرفت مالم يعرفه القوم ولم تعرفه أنت، وعرفت أنّ ماأنتم عليه ليس بالحقّ. (١٦: ١٤٥)

الطَّباطَبائيّ: المراد بقوله: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ إبصاره جبريل حين نزل راجلًا أو راكبًا رآه وعرفه، ولم يره غيره من بني إسرائيل. (١٤: ١٩٥)

المُصْطَفَويّ: إنّ انتخاب صيغة المجرّد في مورد ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ للدّلالة على التّأكيد وثبوت البصارة والتّحقيق الزّائد، وحصول العلم واليقين. (١: ٢٦٧)

بَصِير

١ـ...وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ. البقرة: ٩٦

الطَّبَريّ: والله ذوإبصار بما يعملون، لايخفى عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاكر حتّى يذيقهم بها العقاب جزاءها.

وأصل بصير: مُبصِر، من قول القائل: أبصَرتُ فأنا مُبصِر، ولكن صُرف إلى «فعيل» كما صُرف مُسمِع إلى سميع. (١: ٤٣١)

الطُّوسيّ: أي لايخفى عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ حتّى يذيقهم بها العذاب.

ومعنى بصير: مُبصِر ـ عند أهل اللّغة ـ وسميع بمعنى

مُسمِع، لكنّه صُرف إلى «فعيل» في بصير وسميع، ومثله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة: ١٠، بمعنى مُؤلم، و﴿بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ﴾ البقرة: ١١٧، بمعنى مُبدِع.

وعند المتكلّمين: المبصِر هو المدرِك للمُبصَرات، والبصير هو الحيّ الّذي لاآفة به، لأنّه يجب أن يُبصِر المُبصَرات إذا وُجِدت. وليس أحدهما هو الآخر، وكذلك سميع ومُسمِع. (١: ٣٦٠)

مثله الطَّبْرِسيّ. (١: ١٦٥)

الفَخْرالرّازيّ: فاعلم أنّ البصَر قد يُراد به العِلم، يقال: إنّ لفلان بصَرًا بهذا الأمر، أي معرفة. وقد يُراد به أنّه على صفة لو وُجدت المبصَرات لأبصرها.

وكلا الوصفين يصحّان عليه سبحانه، إلّا أنّ من قال: إنّ في الأعمال مالايصحّ أن يُرى، حمَل على البصَر على العِلم لامحالة، والله أعلم. (٣: ١٩٤)

نحوه النَّيسابوريّ. (١: ٣٧٩)

القُرطُبيّ: أي بما يعمل هؤلاء الّذين يودّ أحدهم أن يُعمَّر ألف سنة. ومن قرأ بالتّاء فالتّقدير عنده: قل لهم يامحمّد: الله بصير بما تعملون.

وقال العلماء: وصف الله عزّوجلّ نفسه بأنّه بصير، على معنى أنّه عالم بخفيّات الأُمور. والبصير في كلام العرب: العالم بالشّيء، الخبير به.

ومنه قولهم: فلان بصير بالطّبّ، وبصير بالفقه، وبصير بملاقاة الرّجال. [ثمّ استشهد بشعر]

قال الخطّابيّ: البصير: العالم، والبصير: المُبصِر.

وقيل: وصف تعالى نفسه بأنّه بصير على معنى جاعل الأشياء المُبصِرة ذوات إبصار، أي مُدرِكة للمُبصَرات بما خلق لها من الآلة المُدرِكة والقوّة، فالله بصير بعباده، أي جاعل عباده مبصرين. (٢: ٣٥)

أبوحَيّان: هذه الجملة تتضمّن التّهديد والوعيد، وأتى هنا بصفة (بصير) وإن كان الله تعالى متنزّهًا عن الجارحة إعلامًا، بأنّ عِلمَه بجميع الأعمال علم إحاطة وإدراك للخفيّات. (١: ٣١٦)

أبوالسُّعود: البصير في كلام العرب: العالِم بكنه الشّيء الخبير به، ومنه قولهم: فلان بصير بالفقه، أي عليم بخفيّات أعمالهم، فهو مُجازيهم بها لامحالة. (١: ١٦٨)

نحوه البُرُوسَويّ. (١: ١٨٦)

الآلوسيّ: أي عالِمٌ بخفيّات أعمالهم، فهو مجازيهم لامحالة. وحُمِل البصَر على العِلم هنا، وإن كان بمعنى الرُّؤية، صفةٌ لله تعالى أيضًا، لأنّ بعض الأعمال لايصحّ أن يُرى، على ماذهب إليه بعض المحقّقين. وفي هذه الجملة من التّهديد والوعيد ماهو ظاهر. (١: ٣٣١)

القاسميّ: ماذكره بعض المفسّرين من أنّ البصير في اللّغة بمعنى العليم لايخفى فساده، فإنّ العليم والبصير اسمان متباينا المعنى لغةً. نعم لو حُمل أحدهما على الآخر مجازًا لم يبعد، ولاضرورة إليه هنا.

ودعوى أنّ بعض الأعمال ممّا لايصحّ أن يُرى، فلذا حُمل هذا البصر على العلم، هو من باب قياس الغائب على الشّاهد، وهو بديهيّ البُطلان. [ثمّ استشهد بشعر] (٢: ١٩٧)

المَراغيّ: أي والله عليم بخفيّات أعمالهم، وبجميع مايصدر منهم، وهو مُجازيهم به. فطول العمر لايخرجهم

من قبضته، ولايُنجيهم من عقابه، فالمرجع إليه، والأمر كلّه بيديه. (١: ١٧٤)

الطَّباطَبائيّ: البصير من أسمائه الحسنى، ومعناه العلم بالمبصَرات، فهو من شُعب اسم العليم. (١: ٢٢٩)

٢ـ وَاَقيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ اِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصيرٌ. البقرة: ١١٠

الطَّبَريّ: هذا خبر من الله جلّ ثناؤه للّذين خاطبهم، بهذه الآيات من المؤمنين، أنّهم مهما فعلوا من خير وشرّ سرًّا وعلانيةً، فهو به بصير، لايخفى عليه منه شيء، فيُجزيهم بالإحسان جزاءه، وبالإساءة مثلها.

وهذا الكلام وإن كان خرج مخرج الخبر، فإنّ فيه وعدًا ووعيدًا وأمرًا وزجرًا؛ وذلك أنّه أعلَم القوم أنّه بصير بجميع أعمالهم، ليجدّوا في طاعته؛ إذ كان ذلك مذخورًا لهم عنده، حتّى يثيبهم عليه، كما قال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾ وليحذروا معصيته؛ إذ كان مُطّلِعًا على راكبها، بعد تقدّمه إليه فيها بالوعيد عليها. وماأوعد عليه ربّنا جلّ ثناؤه فنهيٌ عنه، وماوعد عليه فأمور به.

أمّا قوله: (بَصيرٌ) فإنّه مبصِر، صُرف إلى بصير كما صُرف مُبدِع إلى بديع، ومؤلِم إلى أليم. (١: ٤٩١)

نحوه الطُّوسيّ (١: ٤٠٩)، والطَّبْرِسيّ (١: ١٨٥).

الزَّمَخشَريّ: عالم لايضيع عنده عملُ عامل. (١: ٣٠٤)

الفَخْرالرّازيّ: فاعلم أنّ «البصَر» قد يراد به العلم. يقال: إنّ لفلان بصَرًا لهذا الأمر، أي معرفةً. وقد يراد به أنّه على صفة لو وُجدت المبصَرات لأبصَرها، وكلا الوصفين يصحّان عليه سبحانه. إلّا أنّ من قال: إنّ في الأعمال مالايصحّ أن يُرى، حمَل هذا البصَر على العلم لامحالة، والله أعلم. (٣: ١٩٤)

أبوحَيّان: وهذه جملة خبريّة، ظاهرة التّناسب في ختم ماقبلها بها، تتضمّن الوعد والوعيد. وكنّى بقوله: (بَصيرٌ) عن علم المشاهد، أي لايخفى عليه عمل عامل، ولايضيّعه. ومن كان مبصِرًا لفعلك لم يُخفَ عليه هل هو خير أو شرّ؟

وأتى بلفظ (بَصير) دون «مُبصِر» إمّا لأنّه من بصَر، فهو يدلّ على التّمكّن والسّجيّة في حقّ الإنسان، أو لأنّه «فعيل» للمبالغة، بمعنى «مُفعِل» الّذي هو للتّكثير. ويحتمل أن يكون «فعيل» بمعنى «مُفعِل» كالسّميع بمعنى المسمِع. (١: ٣٤٩)

البُرُوسَويّ: أي عالم لايخفى عليه القليل ولا الكثير من الأعمال. (١: ٢٠٤)

الآلوسيّ: حيث جعل جميع مايعملون مُبصَرًا له تعالى، فعبّر عن علمه تعالى بالبَصر، مع أنّ قليلًا ممّا يعملون من المبصرات، وكأنّه لهذا فسّر الزّمَخشَريّ البصير بالعالِم.

وأمّا قول العلّامة: «إنّه إشارة إلى نفي الصّفات، وأنّه ليس معنى السّمْع والبصَر في حقّه تعالى إلّا تعلّق ذاته بالمعلومات» ففيه أنّ التّفسير لايفيد، إلّا أنّ المراد من «البصير» هاهنا العالِم، ولادلالة على كونه نفس الذّات أو زائدًا عليه، ولاعلى أن ليس معنى السّمع والبصَر في

حقّه تعالى سوى التّعلّق المذكور. (١: ٣٥٨)

المَراغيّ : فهو عالم بجميع أعمالكم كثيرها وقليلها، لاتخفى عليه خافية من أمركم، خيرًا كانت أو شرًّا، وهو يجازيكم عليها. (١: ١٩٢)

وبهذا المعنى جاء كلمة (البصير) في سورة البقرة: ٢٣٣ و ٢٣٧ و ٢٦٥، وآل عمران: ١٥ و ٢٠ و ١٦٥، والأنفال: ٣٩، وهود: ١١٢، والحجّ: ٦١ و ٧٥، ولقمان: ٢٨، وسبأ: ١١، وفاطر: ٣١، والمؤمن: ٤٤، وفصّلت: ٤٠، والشّورى: ٢٧، والحجرات: ٩٨، والحديد: ٤، والمجادلة: ١، والممتحنة: ٣، والتّغابن: ٢، والملك: ١٩، في أكثر التّفاسير فلاحظ.

٣ـ وَلَاتَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. البقرة: ٢٣٧

أبوحَيّان : ختم هذه الآية بهذه الصّفة الدّالّة على المُبصرات، لأنّ ماتقدّمه من العفو من المطلّقات والمطلّقين، وهو أن يدفع شطر ماقبضن أو يُكملون لهنّ الصّداق، هو مشاهد مرئيّ، فناسب ذلك المجيء بالصّفة المتعلّقة بالمُبصرات.

ولمّا كان آخر قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ ـ إلى قوله ـ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ البقرة: ٢٣٤، ممّا يُدرك بلطف وخفاء، ختم ذلك بقوله: ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، وفي ختم هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة: ٢٣٣، وعدٌ جميل للمحسن، وحِرمان لغير المحسن. (٢: ٢٣٨)

المَراغيّ : ختم سبحانه الآية بالتّذكير باطّلاعه وإحاطة بصره بما يعامل به الأزواج بعضهم بعضًا، ترغيبًا في المحاسنة والفضل، وترهيبًا لأهل المخاشنة والجهل، لتكون مقرونة بالموعظة الّتي تُغذّي الإيمان، وتبعث على الامتثال. (٢: ١٩٩)

٤ـ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ. آل‌عمران: ١٦٣

الطَّبَريّ : يقول: إنّ الله لايخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته. (٤: ١٦٢)

الطُّوسيّ : معناه عليم، وفيه تحذير من أن يتّكل على الأسرار في الأعمال، ظنًّا بأنّ ذلك يخفى على الله، لأنّ أسرار العباد عند الله علانية. وفيه توثيق بأنّه لايضيع للعامل لربّه شيء، لأنّه لايخفى عليه جميعه. (٣: ٣٧)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (١: ٥٣١)

الزَّمَخْشَريّ : عالم بأعمالهم ودرجاتها، فجازيهم على حسبها. (١: ٤٧٦)

الفَخْرالرّازيّ : والمقصود أنّه تعالى لمّا ذكر أنّه يُوفّي لكلّ أحد بقدر عمله جزاءه، وهذا لايتمّ إلّا إذا كان عالمًا بجميع أفعال العباد على التّفصيل، الخالي عن الظّنّ والرّيب والحسبان، أتبعه ببيان كونه عالمًا بالكلّ، تأكيدًا لذلك المعنى، وهو قوله: ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. (٩: ٧٧)

الآلوسيّ : و«البصير» كما قال حُجّة الإسلام: هو الّذي يشاهد ويرى حتّى لايعزُب عنه ماتحت الثّرى، وأبصاره أيضًا منزّه عن أن يكون بحدقة وأجفان،

ومقدّس عن أن يرجع إلى انطباع الصّور والألوان في ذاته، كما ينطبع في حدقة الإنسان، فإنّ ذلك من التّغيير والتّأثّر المقتضي للحِدثان. وإذا نُزّه عن ذلك كان البصر في حقّه تعالى عبارة عن الصّفة الّتي ينكشف بها كمال نعوت المُبصَرات، وذلك أوضح وأجلى ممّا نفهمه من إدراك البصر القاصر على ظواهر المرئيّات، انتهى.

ويُفهم منه أنّ «البصر» صفة زائدة على العلم، وهو الّذي ذهب إليه الجمهور منّا، ومن المعتزلة. والكراميّة قالوا: لأنّا إذا علمنا شيئًا علمًا جليًّا ثمّ أبصرناه نجد فرقًا بين الحالتين بالبديهة، وأنّ في الحالة الثّانية حالة زائدة هي الإبصار.

وقال الفلاسفة والكعبيّ، وأبوالحسين البصريّ، والغزاليّ عند بعض، وادّعى أنّ كلامه هذا مشير إليه أنّ بصَره تعالى عبارة عن علمه تعالى بالمُبصَرات، ومثل هذا الخلاف في السّمع.

والحقّ أنّهما زائدان على صفة العلم، وأنّهما لايكيّفان ولا يُحدّان، والإقرار بهما واجب كما وصف بهما سبحانه نفسه، وإلى ذلك ذهب السّلف الصّالح، وإليه ينشرح الصّدر. (٤: ١١٢)

المَراغيّ: فلايخفى عليه شيء من أعمالهم الّتي لها التّأثير العظيم في تزكية نفوسهم وفوزها وفلاحها، وارتقائها إلى أرفع الدّرجات، أو في تَدْسيتها الّتي يترتّب عليها الخيبة والخسران، والهبوط إلى أسفل الدّركات، كما قال: ﴿قَدْ اَفْلَحَ مَنْ زَكّٰيهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسّٰيهَا﴾ الشّمس: ٩، ١٠. (٤: ١١٢)

البصير

١ـ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْاَعْمٰى وَالْبَصِيرُ اَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾. الأنعام: ٥٠

مُجاهِد: الضّالّ والمُهتدي. (الطَّبَريّ ٧: ١٩٩)

الحسَن: أي هل يستوي العارف بالله تعالى وبدينه العالم به، مع الجاهل به وبدينه. فجعل الأعمى مثلًا للجاهل، والبصير مثلًا للعارف بالله ونبيّه.

مثله الجُبّائيّ. (الطُّوسيّ ٤: ١٥٢)

قَتادَة: (وَالْبَصِيرُ): العبد المؤمن الّذي أبصر بصرًا نافعًا، فوحّد الله وحده، وعمل بطاعة ربّه، وانتفع بما آتاه الله. (الطَّبَريّ ٧: ١٩٩)

نحوه الطَّبَريّ. (٧: ١٩٩)

البلخيّ: معناه هل يستوي من صَدق على نفسه واعترف بحاله الّتي هو عليها من الحاجة والعبوديّة لخالقه، ومن ذهب عن البيان وعَمي عن الحقّ.

(الطُّوسيّ ٤: ١٥٢)

الزَّمَخْشَريّ: مثَلٌ للضّالّ والمهتدي. ويجوز أن يكون مثلًا لمن اتّبع مايُوحى إليه ومن لم يتّبع، أو لمن ادّعى المستقيم وهو النّبوّة والمحال وهو الإلهيّة أو الملكيّة.

(٢: ٢٠)

مثله البيضاويّ (١: ٣١١)، والنّسَفيّ (٢: ١٣)، ونحوه أبوالسّعود (٢: ٣٨٧).

الفَخْرالرّازيّ: العمل بغير الوحي يجري مجرى عمل الأعمى، والعمل بمقتضى نزول الوحي يجري مجرى عمل البصير. (١٢: ٢٣٢)

الشِّربينيّ: أي هل يكونون سواء من غير مزيّة، فإن قالوا: نعم كابروا الحِسّ، وإن قالوا: لا، قيل: فَمَن

تبع هذه الآيات الجليّات فهو البصير، ومَن أعرض فهو الأعمى.

وقيل: المراد بالأوّل الكافر، وبالثّاني المؤمن. وقيل: الضّالّ والمهتدي، وقيل: الجاهل والعالم. (١: ٤٢١)

البُرُوسَويّ: مثال للضّالّ والمهتدي، فإنّه عليه السلام لمّا وصف نفسه بكونه متّبعًا للوحي الإلهيّ، لزم منه أن يصف نفسه بالاهتداء، ويصف من عانده واستبعد دعواه بالضّلال. فالعمل بغير الوحي يجري مجرى عمل الأعمى، والعمل بمقتضى الوحي يجري مجرى عمل البصير. (٣: ٣٤)

الطَّباطَبائيّ: فإنّ مدلوله بحسب مايعطيه السّياق: أنّي وإن ساويتكم في البشريّة والعجز لكن ذلك لايمنعني عن دعوتكم إلى اتّباعي، فإنّ ربّي جعلني على بصيرة بما أُوحي إليّ دونكم. فأنا وأنتم كالبصير والأعمى، ولايستويان في الحكم وإن كانا متساويين في الإنسانيّة. فإنّ التّفكّر في أمرهما يهدي الإنسان إلى القضاء: بأنّ البصير يجب أن يتبعه الأعمى، والعالم يجب أن يتبعه الجاهل. (٧: ٩٧)

٢ـ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْاَعْمٰى وَالْاَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا اَفَلَا تَذَكَّرُونَ. هود: ٢٤

ابن عَبّاس: (البَصيرُ والسَّميعُ): المؤمن. (الطَّبَريّ ١٢: ٢٥)

نحوه مُجاهِد وقَتادَة (الطَّبَريّ ١٢: ٢٥)، ومثله الضّحّاك (القُرطُبيّ ٩: ٢٢).

الطَّبَريّ: فالأعمى والأصمّ والبصير والسّميع في اللّفظ أربعة، وفي المعنى اثنان، ولذلك قيل: (هَلْ يَسْتَوِيَانِ).

وقيل: (كَالْاَعْمٰى وَالْاَصَمِّ) والمعنى كالأعمى والأصمّ، وكذلك قيل: (وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ) والمعنى البصير السّميع، كقول القائل: قام الظّريف والعاقل، وهو ينعت بذلك شخصًا واحدًا. (١٢: ٢٥)

الخازن: (البَصير) هو الّذي يبصر الأشياء على ماهيّتها. (٣: ١٨٥)

القُرطُبيّ: المعنى هل يستوي الأعمى والبصير، وهل يستوي الأصمّ والسّميع. (٩: ٢٢)

البُرُوسَويّ: (البَصير): الّذي يرى الحقّ حقًّا ويتّبعه، والباطل باطلًا ويجتنبه. (٤: ١١٤)

وهناك مطالب أُخرى راجع: «ف ر ق، م ث ل».

٣ـ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْاَعْمٰى وَالْبَصِيرُ اَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ... الرّعد: ١٦

ابن عَبّاس: يعني المشرك والمؤمن. (الخازن ٤: ١١)

نحوه مُجاهِد (الطَّبَريّ ١٣: ١٣٣)، والبَغَويّ (٣: ١٣).

مُجاهِد: (الاَعْمٰى) الّذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقّها، (وَالْبَصِير) الّذي هو الموحّد العالم بذلك. (الآلوسيّ ١٣: ١٢٨)

الطُّوسيّ: أم هل يتساوى الأعمى عن طريق الحقّ والعادل عنه إلى الضّلال، والبصير الّذي اهتدى

إلى الحقّ، فإنّهما لايتساويان أبداً، كما لايتساوى الظّلمات والنّور. (٦: ٢٣٦)

الطَّبْرِسيّ: أي كما لايستوي الأعمى والبصير كذلك لايستوي المؤمن والكافر، لأنّ المؤمن يعمل على بصيرة، ويعبُد الله الّذي يملك النّفع والضّرّ، والكافر يعمل على عمًى ويعبُد من لايملك النّفع والضّرّ. (٣: ٢٨٥)

القُرطُبيّ: قيل: (الاَعْمٰى) مثَلٌ لما عبدوه من دون الله (وَالْبَصِيرُ) مثَلُ الله تعالى. (٩: ٣٠٣)

النَّسَفيّ: أي الكافر والمؤمن، أو من لايبصر شيئًا ومن لايخفى عليه شيءٌ. (٢: ٢٤٦)

البُرُوسَويّ: واردٌ على التّشبيه، أي فكما لايستوي الأعمى والبصير في الحسّ، كذلك لايستوي المشرك الجاهل بعظمة الله وثوابه وعقابه وقدرته مع الموحّد العالم بذلك.

قال في «التّأويلات النّجميّة»: (الاَعْمٰى): من يرى غير الله مالكًا ومتصرّفًا في الوجود (وَالْبَصِيرُ) من لايرى مالكًا ولامتصرّفًا في الوجود غير الله.

وأيضًا (الاَعْمٰى) هو النّفوس، لأنّها تتعلّق بغير الله وتُحبّ غيره، (وَالْبَصِيرُ): القلوب لأنّها تتعلّق بالله وتُحبّه، فالأعمى من عَمي بالحقّ وأبصر بالباطل، والبصير من أبصر بالحقّ وعَمي بالباطل.

وأيضًا (الاَعْمٰى): من أبصر بظلمات الهوى، (وَالْبَصِيرُ) من أبصر بأنوار المولى. (٤: ٣٥٨)

الآلوسيّ: في الكلام[1] عليه استعارة تصريحيّة، وكذا على ماقيل: إنّ المراد بالأوّل الجاهل بمثل هذه الحجّة، وبالثّاني العالم بها.

وقيل: إنّ الكلام على التّشبيه، والمراد لايستوي المؤمن والكافر كما لايستوي الأعمى والبصير، فلامجاز.

ومن النّاس من فسّر الأوّل بالمعبود الغافل، والثّاني بالمعبود العالم بكلّ شيء، وفيه بُعدٌ. (١٣: ١٢٨)

العامليّ: يعني المؤمن والكافر. ومافي «المناقب» عن ابن عبّاس أنّه قال في الآية المذكورة: إنّ (الْبَصِيرُ) أمير المؤمنين عليه السّلام. وفي الأخبار الكثيرة: أنّهم هم وشيعتهم أُولو الأبصار.

وقد صرّح الصّادق عليه السّلام بذلك وبعلّته فيما روي عنه، حيث قال: إنّ الله خلق للنّاس أربعة أعين؛ عينان ظاهرتان يرى بهما أُمور الدّنيا، وعينان باطنتان يرى بهما أُمور الآخرة، وإنّ شيعتنا أصحاب أربعة أعين، ومخالفينا أعمى الله منهم العينين الباطنتين.

ولهذا ورد في بعض الرّوايات ـ كما مرّ عن «كنز الفوائد» وغيره في الفصل الرّابع من المقالة الأُولى من هذه المقدّمة الثّالثة ـ تأويل قوله تعالى: (لَاتُبْصِرُونَ) بلاتعرفون. وسيأتي في «الغشاوة» مايدلّ على أنّ تأويل (أَغْشَيْنَاهُمْ) بأعميناهم فهم لايبصرون الهُدى، لتركهم الولاية.

ويظهر من رواية تأويل المستبصر ومَن أبصر ونحوهما بمن ليس بشاكّ في التّوحيد والنّبوّة والولاية وعرفان حقّ الأئمّة عليهم السّلام، كما يأتي مؤيّده في الأعمى أيضًا.

وبالجملة المراد بـ(الْبَصِيرُ) ومايفيد مفاده في كثير

---

(١) يعني في كلام مجاهد السّابق.

من آيات القرآن: صاحب البصيرة، ولاشكّ أنّه النّبيّ ﷺ والأئمّة وشيعتهم، فتأمّل ولاتغفل عن دلالة ماذُكر على تأويل ماورد من كونه تعالى بصيرًا مهما يناسب بأنّه بصير بما فعل بالنّسبة إلى النّبيّ والأئمّة عليهم السلام وشيعتهم وأعدائهم، وكذا يبصر ويعلم مايفعله النّبيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام، وكذا الموالي والمعادي بالنّسبة إلى الله تعالى والنّبيّ والأئمّة عليهم السلام، وولايتهم وطاعتهم ومعاداتهم ومعصيتهم... (٩٧)

٤ـ ...إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. الإسراء: ١

الإمام عليّ عليه السلام: [في حديث طويل] وبصير لابأداة. (العَروسيّ ٣: ١٣٤)

بصيرٌ إذ لامنظور إليه من خلقه.

(نهج البلاغة الخطبة: ١)

وكلّ سميع غيره يصَمّ عن لطيف الأصوات ويُصِمُّه كبيرها ويذهب عنه مابَعُد منها، وكلّ بصير غيره يَعمَى عن خفيّ الألوان ولطيف الأجسام.

(نهج البلاغة الخطبة: ٦٤)

السّميع لابأداة، والبصير لابتفريق آلة.

(نهج البلاغة الخطبة: ١٥٢)

بصير لايوصف بالحاسّة.

(نهج البلاغة الخطبة: ١٧٨)

الإمام الباقر عليه السلام: محمّد بن مسلم قال: قلت جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنّه يسمع بغير الّذي يبصُر ويبصُر بغير الّذي يسمع؟ قال: فقال: كذبوا وألحدوا وشبّهوا تعالى الله عن ذلك أنّه سميع بصير يسمع بما يبصُر ويبصُر بما يسمع.

قال: قلت: يزعمون أنّه بصير على مايعقلونه؟ قال: فقال: تعالى الله إنّما يعقل ماكان بصفة المخلوق، وليس الله كذلك. (العَروسيّ ٣: ١٣٥)

الإمام الصّادق عليه السلام: لم يزل الله عزّوجلّ ربّنا والعِلم ذاته ولامعلوم، والسّمع ذاته ولامسموع، والبصر ذاته ولامُبصَر، والقدرة ذاته ولامقدور. فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم، وقع العلم منه على المعلوم والسّمع على المسموع، والبصر على المُبصَر، والقدرة على المقدور. (العَروسيّ ٣: ١٣٣)

قد سأله بعض الزّنادقة عن الله تعالى، وفيه قال السّائل: فيقول: إنّه سميع بصير؟

قال: وهو سميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه، ليس قولي: إنّه يسمع بنفسه ويبصُر بنفسه إنّه شيء والنّفس شيء آخر، ولكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولًا، وإفهامًا لك إذ كنت سائلًا.

وأقول: يسمع بكلّه لاأنّ الكلّ له بعض، ولكن أردت إفهامك والتّعبير عن نفسي، وليس مرجعي في ذلك إلّا إلى أنّه السّميع البصير العالم الخبير، بلا اختلاف الذّات ولا اختلاف المعنى. (العَروسيّ ٣: ١٣٤)

الإمام الرّضا عليه السلام: سُمّي ربّنا سميعًا لابجزء فيه يسمع به الصّوت لايبصر به، كما أنّ جزءنا الّذي به نسمع لايقوى على النّظر به. ولكن أخبر أنّه لاتخفى عليه الأصوات، ليس على حدّ ماسمّينا نحن، فقد جمعنا الاسم بالسّميع واختلف المعنى.

وهكذا البصر لايجزء به أبصر كما إنّا نبصُر بجزء منّا لانتفع به في غيره، ولكنّ الله بصير لايجهل شخصًا منظورًا إليه، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

(العَرُوسيّ ٣: ١٣٤)

[في حديث طويل قال:]

وقلنا: إنّه سميع لاتخفى عليه أصوات خلقه مابين العرش إلى الثّرى، من الذّرّة إلى أكبر منها، في برّها وبحرها، ولاتشتبه عليه لغاتها، فقلنا عند ذلك: سميع لا بأُذن، وقلنا: إنّه بصير لابِبَصر، لأنّه يرى أثر الذّرّة السّحماء في اللّيلة الظّلماء على الصّخرة السّوداء، ويرى دبيب النّمل في اللّيلة الدّجية، ويرى مضارّها ومنافعها، وأثر سِفادها وفراخها ونسلها، فقلنا عند ذلك: إنّه بصير، لاكبصر خلقه. (العَرُوسيّ ٣: ١٣٥)

الطُّوسيّ: إخبار منه تعالى أنّه يجب أن يُدرك المبصَرات والمسموعات إذا وجدت، لأنّه حيّ، ولايجوز عليه الآفات. (٦: ٤٤٧)

الزَّمَخْشَريّ: بأفعاله العالم بتهذّبها وخلوصها، فيكرمه ويقرّبه على حسب ذلك. (٢: ٤٣٧)

نحوه النّسَفيّ (٢: ٣٠٦)، وأبوالسُّعود (٤: ١١٠)، والمَراغيّ (١٥: ٥)، والطّنطاويّ (٩: ٥).

٥ ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمٰى وَالْبَصِيرُ﴾. فاطر: ١٩

ابن عَبّاس: هو مثَل ضربه الله لأهل الطّاعة وأهل المعصية، يقول: ومايستوي الأعمى والظّلمات والحَرُور ولا الأموات، فهو مثَل أهل المعصية، ولايستوي البصير ولاالنّور ولاالظّلّ والأحياء، فهو مثَل أهل الطّاعة.

(الطَّبَريّ ٢٢: ١٢٩)

قَتادَة: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمٰى وَالْبَصِيرُ...﴾ خلقًا، فضّل بعضه على بعض. فأمّا المؤمن فعبدٌ حيٌّ، حيّ الأثر، حيّ البصر، حيّ النّيّة، حيّ العمل. وأمّا الكافر فعبدٌ ميّتٌ، ميّت البصر، ميّت القلب، ميّت العمل.

(الطَّبَريّ ٢٢: ١٢٩)

ابن زَيْد: هذا مثَل ضربه الله، فالمؤمن بصير في دين الله، والكافر أعمى. (الطَّبَريّ ٢٢: ١٢٩)

نحوه القُمّيّ. (٢: ٢٠٨)

الطُّوسيّ: معناه لايتساوى الأعمى عن طريق الحقّ والعادل عنها، والبصير الّذي يهتدي إليها قطّ، لأنّ الأوّل يستحقّ العقاب، والثّاني يستحقّ الثّواب.

(٨: ٤٢٣)

مثله الطَّبْرِسيّ. (٤: ٤٠٥)

الفَخْرالرّازيّ: المؤمن بصير حيث أبصر الطّريق الواضح، والكافر أعمى، وفي تفسير الآية مسائل:

المسألة الأُولى: مالفائدة في تكثير الأمثلة هاهنا حيث ذكر الأعمى والبصير والظّلمة والنّور، والظّلّ والحَرُور والأحياء والأموات.

فنقول: الأوّل: مثَل المؤمن والكافر، فالمؤمن بصير والكافر أعمى، ثمّ إنّ البصير وإن كان حديد البصر ولكن لايبصر شيئًا إن لم يكن في ضوء، فذكر للإيمان والكفر مثلًا، وقال: الإيمان نور والمؤمن بصير، والبصير لايخفى عليه النّور. والكفر ظلمة، والكافر أعمى، فله صادّ فوق صادّ. (٢٦: ١٦)

البَيْضاويّ: الكافر والمؤمن، وقيل: هما مثلان للصّنم والله عزّوجلّ. (٢: ٢٧١)

أبوحَيّان: هي طعن على الكفرة وتمثيل، فـ(الْأَعْمَى): الكافر، (وَالْبَصِيرُ): المؤمن، أو (الْأَعْمَى): الصّنم، (وَالْبَصِيرُ): الله عزّوجلّ، وعلا، أي لايستوي معبودهم ومعبود المؤمنين والظّلمات والنّور. [إلى أن قال:]

وذكر (الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) مثلًا للمؤمن والكافر، ثمّ البصير ولو كان حديد النّظر لايبصر إلّا في ضوء، فذكر ماهو فيه الكافر من ظُلمة الكفر وماهو فيه المؤمن من نور الإيمان، ثمّ ذكر مآلهما وهو الظّلّ، وهو أنّ المؤمن بإيمانه في ظلّ وراحة، والكافر بكفره في حرّ وتعب.

ثمّ ذكر مثلًا آخر في حقّ المؤمن والكافر فوق حال الأعمى والبصير، إذ الأعمى قد يشارك البصير في إدراك مّا، والكافر غير مدرك إدراكًا نافعًا فهو كالميّت، ولذلك أعاد الفعل فقال: ومايستوي الأحياء ولا الأموات، كأنّه جعل مقام سؤال، وكرّر (لا) فيما ذكر لتأكيد المنافاة، فالظّلمات تنافي النّور وتضادّه، والظّلّ والحَرُور كذلك. والأعمى والبصير ليس كذلك، لأنّ الشّخص الواحد قد يكون بصيرًا ثمّ يعرض له العمى، فلامنافاة إلّا من حيث الوصف. والمنافاة بين الظّلّ والحرور دائمة، لأنّ المراد من الظّلّ عدم الحرّ والبرد، فلمّا كانت المنافاة أتمّ أُكّد بالتّكرار. [إلى أن قال:]

وأفرد الأعمى والبصير، لأنّه قابلَ الجنس بالجنس، إذ قد يوجد في أفراد العميان مايساوي به بعض أفراد البصراء، كأعمى عنده من الذّكاء مايساوي به البصير البليد. فالتّفاوت بين الجنسين مقطوع به، لا بين الأفراد. (٧: ٣٠٨)

البُرُوسَويّ: تمثيل للكافر والمؤمن، فإنّ المؤمن من أبصر طريق الفوز والنّجاة وسلكه بخلاف الكافر، فكما لايستوي الأعمى والبصير من حيث الحسّ الظّاهر إذ لابصر للأعمى، كذلك لايستوي الكافر والمؤمن من حيث الإدراك الباطنيّ، ولابصيرة للكافر بل الكافر أسوأ حالًا من الأعمى المُدرِك للحقّ؛ إذ لااعتبار بحاسّة البصر لاشتراكها بين جميع الحيوانات.

وفيه إشارة إلى حال المحجوب والمكاشف، فإنّ المحجوب أعمى عن مطالعة الحقّ، فلايستوي هو والمكاشف الّذي كُوشف له عن وجه السّرّ المطلق.

وقال الكاشيّ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى﴾ أي الكافر أو الجاهل أو الضّالّ، (وَالْبَصِيرُ) أي المؤمن أو العالم أو المهتدي. (٧: ٣٣٨)

الطَّباطَبائيّ: الظّاهر أنّه عطف على قوله: ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ فاطر: ١٨، تعليل في صورة التّمثيل، لعدم مساواة هؤلاء المتزكّين لأُولئك المكذّبين. وقيل: عطف على قوله السّابق: ﴿وَمَا يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ﴾ فاطر: ١٢. (١٧: ٣٦)

٦ـ ﴿وَاللهُ يَقْضِى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. المؤمن: ٢٠

الطَّبَريّ: يقول: إنّ الله هو السّميع لما تنطق به ألسنتكم أيّها النّاس، البصير بما تفعلون من الأفعال، محيط بكلّ ذلك مُحصيه عليكم، ليجازي جميعكم جزاءه يوم الجزاء. (٢٤: ٥٤)

الطُّوسيّ: أي يجب أن يُبصِر المُبصَرات إذا

وجدت المُبصَرات، وحقيقتهما[1] يرجع إلى كونه حيًّا لا آفة به، وقال قوم: معناه العالم بالمسموعات العالم بالمبصَرات. (٩: ٦٦)

الزَّمَخْشَريّ: تقرير لقوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ المؤمن: ١٩، ووعيد لهم بأنّه يسمع مايقولون ويبصر مايعملون، وأنّه يعاقبهم عليه. وتعريض بما يدعون من دون الله، وأنّها لاتسمع ولاتبصر. (٣: ٤٢١)

مثله البَيْضاويّ (٢: ٣٣٣)، وأبوالسُّعود (٥: ٤١٤)، وأبوحَيّان (٧: ٤٥).

الطَّبْرِسيّ: أي الّذي يجب أن يسمع المسموعات ويبصر المبصَرات إذا وجدتا، وهاتان الصّفتان في الحقيقة ترجعان إلى كونه حيًّا لاآفة به.

وقال قوم: معناها العالم بالمسموعات والعالم بالمبصَرات، والأوّل هو الصّحيح. (٤: ٥١٩)

البُرُوسَويّ: تقرير لعلمه تعالى بخائنة الأعين وقضائه بالحقّ، فإنّ من يسمع مايقولون ويبصر مايفعلون إذا قضى قضى بالحقّ، ووعيد لهم على مايفعلون ويقولون، وتعريض بحال مايدعون من دونه، فإنّهم عُريانون عن التّلبّس بهاتين الصّفتين، فكيف يكونون معبودين.

وفي الآية إشارة إلى أنّ الله يقضي للأجانب بالبعاد، وبالوصال لأهل الوداد، ويخرج السّالكين من تعلّقات أوصافهم على ماقضى به وقدّر في الأزل، وإن كان بواسطة إيمانهم وأعمالهم الصّالحة، إنّ الله قد سمع سؤال الحوائج في الأزل وهم بعد في العدم، وكذا سمع أنين نفوس المذنبين وحنين قلوب المحبّين، وأبصر بحاجاتهم. (٨: ١٧٢)

الآلوسيّ: تقرير لعلمه تعالى بخائنة الأعين وماتخفي الصّدور، وقضاؤه سبحانه بالحقّ، ووعيد لهم على مايقولون ويفعلون، وتعريض بحال مايدعون من دونه عزّوجلّ. وفيه إشارة إلى أنّ القاضي ينبغي أن يكون سميعًا بصيرًا. (٢٤: ٦٠)

الطَّباطَبائيّ: أي له حقيقة العلم بالمسموعات والمبصَرات لذاته، وليس لغيره من ذلك إلّا ماملّكه الله وأذن فيه، لا لذاته. (١٧: ٣٢٠)

٧ـ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ.

المؤمن: ٥٨

الطَّبَريّ: الّذي يرى بعينيه ماشخص لها ويبصره، وذلك مثل للمؤمن الّذي يرى بعينيه حُجج الله، فيتفكّر فيها ويتّعظ، ويعلم مادلّت عليه من توحيد صانعه، وعظيم سلطانه وقدرته على خلق ما يشاء، يقول جلّ ثناؤه: كذلك لايستوي الكافر والمؤمن. (٢٤: ٧٧)

الطُّوسيّ: والبصير الّذي أبصرها واهتدى إليها. (٩: ٨٩)

الزَّمَخْشَريّ: ضرب (الْأَعْمَى وَالْبَصِير) مثلًا للمحسن والمسيء. (٣: ٤٣٣)

الطَّبْرِسيّ: أي لايستوي مَن أهمل نفسه ومن

(١) أي السّمع والبصر.

تفكّر فعرف الحقّ. شبّه الّذي لايتفكّر في الدّلائل بالأعمى، والّذي يستدلّ بها بالبصير. (٤: ٥٢٩)

الفَخْرالرّازيّ: يعني ومايستوي المستدلّ والجاهل المقلّد. (٢٧: ٧٩)

نحوه الشّربينيّ. (٣: ٤٩)

البَيْضاويّ: الغافل والمستبصر. (٢: ٣٣٩)

نحوه البُرُوسَويّ. (٨: ١٩٩)، والآلوسيّ (٢٤: ٧٩)، وشُبّر (٥: ٣٥٤).

الطَّباطَبائيّ: لمّا ذكر أنّ أكثر النّاس لايعلمون، أكّده بأنّهم ليسوا على وتيرة واحدة، فإنّ منهم الأعمى والبصير ولايستويان، وعطف عليها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ و(المُسيئ) فالطّائفة الأُولى أُولو بصيرة يتذكّرون بها، والثّانية أعمى الله قلوبهم فلايتذكّرون. (١٧: ٣٤٢)

٨ ــ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

الشّورى: ١١

الطَّبَريّ: (البصير) لأعمالهم، لايخفى عليه من ذلك شيء، ولايعزُب عنه علمُ شيءٍ منه، وهو محيط بجميعه مُحصٍ صغيره وكبيره. (٢٥: ١٣)

الطُّوسيّ: معناه أنّه على صفة يجب أن يسمع المسموعات إذا وجدت، ويبصر المبصَرات إذا وجدت، وذلك يرجع إلى كونه حيًّا لا آفة به.

وفائدة ذكره هاهنا هو أنّه لمّا نفى أن يكون له شِبه على وجه الحقيقة والمجاز وعلى وجه مِنَ الوجوه، بيّن أنّه مع ذلك سميع بصير، لئلّا يُتوهّم نفي هذه الصّفة له على الحقيقة فقط، فإنّه لامدحةَ في كونه ممّا لامِثل له على الانفراد، لأنّ القدرة لامِثل لها، وإنّما المدحةُ في أنّه لامِثل له مع كونه سميعًا بصيرًا، وذلك يدلّ على التّفرّد الحقيقيّ. (٩: ١٤٩)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ٢٦)

الفَخْر الرّازيّ: قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ يدلّ على كونه تعالى سامعًا للمسموعات مُبصرًا للمرئيّات.

فإن قيل: يمتنع إجراء هذه اللّفظ على ظاهره، وذلك لأنّه إذا حصل قَرْع أو قَلْع انقلب الهواء من بين ذينك الجسمين انقلابًا بعُنف، فيتموّج الهواء بسبب ذلك، ويتأدّى ذلك التّموّج إلى سطح الصّماخ، فهذا هو السّماع، وأمّا الإبصار فهو عبارة عن تأثّر الحدقة بصورة المرئيّ؛ فثبت أنّ السّمع والبصر عبارة عن تأثّر الحاسّة، وذلك على الله محال؛ فثبت أنّ إطلاق السّمع والبصر على علمه تعالى بالمسموعات والمبصَرات غير جائز.

والجواب: الدّليل على أنّ السّماع مغاير لتأثّر الحاسّة، إنّا إذا سمعنا الصّوت علمنا أنّه من أيّ الجوانب جاء، فعلمنا أنّا أدركنا الصّوت حيث وجد ذلك الصّوت في نفسه، وهذا يدلّ على أنّ إدراك الصّوت حالة مغايرة لتأثّر الصّماخ عن تموّج ذلك الهواء. وأمّا الرّؤية فالدّليل على أنّها حالة مغايرة لتأثّر الحدقة، فذلك لأنّ نقطة النّاظر جسم صغير، فيستحيل انطباع الصّورة العظيمة فيه.

فنقول: الصّورة المنطبعة صغيرة والصّورة المرئيّة في نفس العالم عظيمة، وهذا يدلّ على أنّ الرّؤية حالة

مغايرة لنفس ذلك الانطباع، وإذا ثبت هذا فنقول: لايلزم من امتناع التأثّر في حقّ الله امتناع السّمع والبصر في حقّه.

فإن قالوا: هَبْ أنّ السّمع والبصر حالتان مغايرتان لتأثّر الحاسّة إلّا أنّ حصولهما مشروط بحصول ذلك التّأثّر، فلمّا كان حصول ذلك التّأثّر في حقّ الله تعالى ممتنعًا، كان حصول السّمع والبصر في حقّ الله ممتنعًا.

فنقول: ظاهر قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ يدلّ على كونه سميعًا بصيرًا، فلم يجز لنا أن نعدل عن هذا الظّاهر إلّا إذا قام الدّليل على أنّ الحاسّة المسمّاة بالسّمع والبصر مشروطة بحصول التّأثّر، والتّأثّر في حقّ الله تعالى ممتنع، فكان حصول الحاسّة المسمّاة بالسّمع والبصر ممتنعًا، وأنتم المدّعون لهذا الاشتراط، فعليكم الدّلالة على حصوله، وإنّما نحن متمسّكون بظاهر اللّفظ إلى أن تذكروا مايوجب العدول عنه.

فإن قال قائل: قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ يفيد الحصر، فامعنى هذا الحصر مع أنّ العباد أيضًا موصوفون بكونهم سميعين بصيرين؟

فنقول: السّميع والبصير لفظان مُشعران بحصول هاتين الصّفتين على سبيل الكمال، والكمال في كلّ الصّفات ليس إلّا لله، فهذا هو المراد من هذا الحصر.

(٢٧: ١٥٣)

النّسفيّ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لجميع المرئيّات بلاحدقة، وكأنّه ذكرهما لئلّا يتوهّم أنّه لاصفة له، كما لامِثْل له. (٤: ١٠٢)

البُرُوسَويّ: المُبالغ في العلم بكلّ مايسمع ويبصر.

قال الزّروقيّ: (السّميع): الّذي انكشف كلّ موجود لصفة سمعه، فكان مُدركًا لكلّ مسموع من كلامه وغيره، و(البصير) الّذي يُدرك كلّ موجود برؤيته. والسّمع والبصر صفتان من صفاته المنعوتة، ثابتتان له تعالى، كما يليق بوصفه الكريم، وردّه بعضهم للعلم، ولايصحّ، انتهى.

قال الغزاليّ رحمه الله: السّمع في حقّه عبارة عن صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات، والبصر عبارة عن الوصف الّذي به ينكشف كمال نعوت المُبصَرات. (٨: ٢٩٤)

الآلوسيّ: المدرك إدراكًا تامًّا لجميع المبصَرات أو الموجودات، لاعلى سبيل التّخيّل والتّوهّم، ولاعلى طريق تأثّر حاسّة، ولاوصول شعاع، فالسّمع والبصر صفتان غير العلم، على ماهو الظّاهر، وأرجعَهما بعضهم إلى صفة العِلم، وتمام الكلام على ذلك في «الكلام».

وقدّم سبحانه نفي المِثْل على إثبات السّمع والبصر، لأنّه أهمّ في نفسه، وبالنّظر إلى المقام. (٢٥: ٢٠)

المَراغيّ: أي وهو السّميع لما ينطق به خلقه من قول، البصير بأعمالهم، لايخفى عليه شيءٌ ممّا كسبت أيديهم من خير أو شرّ. (٢٥: ٢٢)

الطّباطَبائيّ: أي السّميع لما يُرفع إليه من مسائل خلقه، البصير لأعمال خلقه. قال تعالى: ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الرّحمن: ٢٩، وقال: ﴿وَآتٰيكُمْ مِنْ كُلِّ مَاسَأَلْتُمُوهُ﴾ إبراهيم: ٣٤، وقال: ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الحديد: ٤. (١٨: ٢٦)

بَصِيرًا

١ـ ...إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا. النّساء: ٥٨

الطُّوسيّ: إخبار بأنّه كان سميعًا بصيرًا فيما مضى؛ وذلك يرجع إلى كونه حيًّا لاآفة به. فإذا كان لايجوز خروجه عن كونه حيًّا، فلايجوز خروجه عن كونه سميعًا بصيرًا. (٣: ٢٣٥)

الطَّبْرِسيّ: وهو السّميع البصير بجميع المُبصَرات، وقيل: معناه عالم بأقوالكم وأفعالكم. وأدخل (كَانَ) تنبيهًا على أنّ هذه الصّفة واجبة له فيما لم يزل. (٢: ٦٤)

الفَخْرالرّازيّ: أي اعملوا بأمر الله ووعظه، فإنّه أعلم بالمسموعات والمبصَرات، يجازيكم على مايصدر منكم.

وفيه دقيقة أُخرى وهي أنّه تعالى لمّا أمر في هذه الآيات بالحكم على سبيل العدل وبأداء الأمانة، قال: ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ أي إذا حكمت بالعدل فهو سميع لكلّ المسموعات يسمع ذلك الحكم، وإن أدّيت الأمانة فهو بصير لكلّ المبصَرات يبصر ذلك.

ولاشكّ أنّ هذا أعظم أسباب الوعد للمطيع، وأعظم أسباب الوعيد للعاصي، وإليه الإشارة بقوله عليه الصّلاة والسّلام: «اعبُد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك».

وفيه دقيقة أُخرى، وهي أنّ كلّما كان احتياج العبد أشدّ كانت عناية الله أكمل، والقضاة والولاة قد فوّض الله إلى أحكامهم مصالح العباد، فكان الاهتمام بحكمهم وقضائهم أشدّ، فهو سبحانه منزّه عن الغفلة والسّهو والتّفاوت في إبصار المبصَرات وسماع المسموعات.

ولكن لو فرضنا أنّ هذا التّفاوت كان ممكنًا لكان أولى المواضع بالاحتراز عن الغفلة والنّسيان هو وقت حكم الولاة والقضاة، فلمّا كان هذا الموضع مخصوصًا بمزيد العناية لاجرم قال في خاتمة هذه الآية: ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. فما أحسن هذه المقاطع الموافقة لهذه المطالع. (١٠: ١٤٣)

القُرطُبيّ: وصف الله تعالى نفسه بأنّه سميع بصير يسمع ويرى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ طٰه: ٤٦.

فهذا طريق السّمع، والعقل يدلّ على ذلك، فإنّ انتفاء السّمع والبصر يدلّ على نقيضيهما من العمى والصّمم، إذ المحلّ القابل للضّدّين لايخلو من أحدهما، وهو تعالى مقدّس عن النّقائص، ويستحيل صدور الأفعال الكاملة من المتّصف بالنّقائص، كخلق السّمع والبصر ممّن ليس له سمع ولابصر.

وأجمعت الأُمّة على تنزيهه تعالى عن النّقائص، وهو أيضًا دليل سمعيّ يكتفى به مع نصّ القرآن، في مناظرة من تجمعهم كلمة الإسلام، جلّ الرّبّ تبارك وتعالى عمّا يتوهّمه المتوهّمون، ويختلقه المفترون الكاذبون ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الصّافّات: ١٨٠. (٥: ٢٥٨)

البُرُوسَويّ: بما تعمله الأُمناء، أي اعملوا بأمر الله ووعظه فإنّه أعلم بالمسموعات والمبصَرات، يجازيكم على مايصدر منكم. (٢: ٢٢٧)

المَراغيّ: أي عليكم أن تعملوا بأمر الله ووعظه، فإنّه أعلم منكم بالمسموعات والمبصَرات. فإذا حكمتم بالعدل فهو سميع لذلك الحكم، وإن أدّيتم الأمانة فهو بصير بذلك. (٥: ٧١)

٢ـ ...وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا. النّساء: ١٣٤

الطَّبَريّ: يعني وكان ذا بصر بهم وبما هم عليه منطوون للمؤمنين فيما يكتمونه، ولا يبدونه لهم من الغِشّ والغلّ الّذي في صدورهم. (٥: ٣٢٠)

الطُّوسيّ: يعني أنّه كان لم يزل على صفة يجب أن يسمع المسموعات إذا وجدت، ويُبصِر المبصَرات إذا وجدت، وهذه الصّفة هي كونه حيًّا لاآفة فيه. والصّفة حاصلة له في الأزل، والآفات مستحيلة عليه، فوجب وصفه بأنّه سميع بصير.

وإنّما ذكر هاهنا ذلك ليُبيِّن أنّ مايقوله المنافقون إذا لقوا المؤمنين، فإنّ الله يسمعه ويعلمه، وهو قولهم: إنّا مؤمنون، بصيرًا بما يُضمرونه وينطوون عليه من النّفاق. (٣: ٥)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٢: ١٢٢)

الشِّربينيّ: أي بالغ البصر لكلّ مايُبصَر، وإن خَفِي. (١: ٣٣٨)

أبوالسُّعود: عالمًا بجميع المسموعات والمبصَرات، فيندرج فيها ماصدر عنهم من الأقوال والأعمال المتعلّقة بإراداتهم اندراجًا أوّليًّا. (١: ٢٠٦)

نحوه البُرُوسَويّ. (٢: ٣٠٠)

الآلوسيّ: تذييل لمعنى التّوبيخ، أي كيف يُرائي المرائي وأنّ الله تعالى لسميع بما يهجس في خاطره، ماتأمر به دواعيه، بصير بأحواله كلّها ظاهرها وباطنها، فيجازيه على ذلك.

وقد يقال: ذُيّل بذلك، لأنّ إرادة الثّواب إمّا بالدّعاء وإمّا بالسّعي، والأوّل مسموع والثّاني مبصر. وقيل: السّمع والبصر عبارتان عن اطّلاعه تعالى على غرض المريد للدّنيا أو الآخرة، وهو عبارة عن الجزاء.

ولايخفى أنّه وإن كان لايخلو عن حسن إلّا أنّه يوهم إرجاع صفة السّمع والبصر إلى العلم، وهو خلاف المقرّر في الكلام. (٥: ١٦٧)

٣ـ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَيهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا... يوسف: ٩٦

الضَّحّاك: عاد إليه بصره بعد العمى، وقوّته بعد الضّعف، وشبابه بعد الهرم، وسروره بعد الحزن. (الطَّبْرِسيّ ٣: ٢٦٣)

الطُّوسيّ: والبصير: من كان على صفة يجب لأجلها أن يُبصر المبصَرات إذا وجدت. (٦: ١٩٤)

الفَخْرالرّازيّ: أي صيّره الله بصيرًا، كما يقال: طالت النّخلة، والله تعالى أطالها.

واختلفوا فيه، فقال بعضهم: إنّه كان قد عمي بالكلّيّة فالله تعالى جعله بصيرًا في هذا الوقت.

وقال آخرون: بل كان قد ضعف بصره من كثرة البكاء وكثرة الأحزان، فلمّا ألقوا القميص على وجهه وبُشّر بحياة يوسف عليه السلام، عظم فرحُه وانشرح صدرُه وزالت أحزانُه، فعند ذلك قوي بصرُه، وزالت النّقصان

عنه. (١٨: ٣٠٩)

نحوه الشّربينيّ. (٢: ١٣٥)

البَيْضاويّ: عاد بصيرًا لما انتعش فيه من القوّة. (١: ٥٠٨)

مثله أبوالسُّعود. (٣: ٤٢٧)

أبوحَيّان: قيل: فانتصب (بَصيرًا) على الحال، والمعنى أنّه رجع إلى حالته الأُولى من سلامة البصر. ففي الكلام مايُشعر أنّ بصره عاد أقوى ممّا كان عليه وأحسن، لأنّ «فعيلًا» من صيغ المبالغة، وماعدل من «مُفعِل» إلى «فعيل» إلّا لهذا المعنى، انتهى.

وليس كذلك، لأنّ «فعيلًا» هنا ليس للمبالغة؛ إذ «فعيل» الّذي للمبالغة هو معدول عن «فاعل» لهذا المعنى. وأمّا (بَصيرًا) هنا فهو اسم من بصُر بالشّيء، فهو جار على قياس «فَعُلَ» نحو ظَرُف فهو ظريف. ولو كان ـ كما زعم ـ بمعنى «مُبصِر» لم يكن للمبالغة أيضًا، لأنّ «فعيلًا» بمعنى «مُفعِل» ليس للمبالغة، نحو: أليم وسميع بمعنى مؤلِم ومسمِع. (٥: ٣٤٦)

البُرُوسَويّ: يُشير إلى أنّ الرّوح كان بصيرًا في بَدْو الفطرة ثمّ عمي، لتعلّقه بالدّنيا وتصرّفه فيها، ثمّ ارتدّ بصيرًا بوارد من القلب.

وفيه إشارة إلى أنّ القلب في بَدْو الأمر كان محتاجًا إلى الرّوح في الاستكمال، فلمّا كمُل وصلُح لقبول فيضان الحقّ بين الإصبعين، ونال مملكة الخلافة بصر القُربة، في النّهاية صار الرّوح محتاجًا إليها لاستنارته بأنوار الحقّ.

وذلك لأنّ القلب بمثابة المصباح في قبول نار نور الإلهيّة، والرّوح بمثابة الزّيت، فيحتاج المصباح في البداية إلى الزّيت في قبول النّار، ولكنّ الزّيت يحتاج إلى المصباح وتركيبه في النّهاية ليقبل بواسطته النّار. فإنّ الزّيت بلامصباح وآلاته ليس قابلًا للنّار، فافهم جدًّا. (٤: ٣١٧)

شُبّر: بعد العمَى، وقويًّا بعد الضّعف، وشابًّا بعد الهرم، وفرحًا بعد الحزن. (٣: ٣٠٨)

الآلوسيّ: [ذكر مثل أبي‌حَيّان وأضاف:]

وأيًّا ما كان فالظّاهر أنّ عوده عليه السلام بصيرًا بإلقاء القميص على وجهه ليس إلّا من باب خرق العادة، وليس الخارق بِدْعًا في هذه القصّة.

وقيل: إنّ ذاك لمّا أنّه عليه السلام انتعش حتّى قوي قلبه وحرارته الغريزيّة فأوصل نوره إلى الدّماغ وأدّاه إلى البصر، ومن هذا الباب استشفاء العُشّاق بما يهبّ عليهم من جهة أرض المعشوق. [ثمّ استشهد بشعر] (١٣: ٥٤)

٥ ـ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا. الإسراء: ٣٠

الطَّبَريّ: يقول: هو ذوبصر بتدبيرهم وسياستهم. (١٥: ٧٨)

الطَّبْرِسيّ: أي عالمًا بأحوالهم، بصيرًا بمصالحهم، فيبسط على واحد ويُضيق على آخر، يُدبّرهم على مايراه من الصّلاح. (٣: ٤١٢)

أبوالسُّعود: تعليل لما سبق، أي يعلم سرّهم وعلنهم، فيعلم من مصالحهم مايخفى عليهم. (٤: ١٢٦)

نحوه البُرُوسَويّ. (٥: ١٥٢، وشُبّر (٤: ٢٠)، والآلوسيّ (١٥: ٦٦)، والقاسميّ (١٠: ٣٩٢٤).

المَراغيّ: أي إنّ ربّك ذوخِبرة بعبادة، فيعلم مَن الّذي تُصلحه السّعة في الرّزق، ومَن الّذي تُفسده، ومن الّذي يصلحه الإقتار والضّيق، ومن الّذي يُفسده، وهو البصير بتدبيرهم وسياستهم.

فعليك أن تعمل بما أمرك به أو نهاك عنه، من بسط يدك فيما تبسط فيه، وفيمن تبسطها له، ومن كفّها عمّن تكفّها عنه، فهو أعلم بمصالح العباد منك، ومن جميع الخلق، وأبصرهم بتدبير شؤونهم. (١٥: ٤١)

وبهذا المعنى جاء كلمة (بَصيرًا) في سورة الإسراء: ٩٦، وطٰهٰ: ٣٥، والأحزاب: ٩، وفاطر: ٤٥، والفتح: ٢٤.

٦ـ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا.
طٰهٰ: ١٢٥

مُجاهِد: عالمًا بحُجّتي. (الطَّبَريّ ١٦: ٢٢٩)

قَتادَة: كان بعيد البصر، قصير النّظر، أعمى عن الحقّ. (الطَّبَريّ ١٦: ٢٢٩)

الطَّبَريّ: والصّواب من القول في ذلك عندنا أنّ الله عزّ شأنه وجلّ ثناؤه عمّ بالخبر عنه بوصفه نفسه بالبصر، ولم يخصّص منه معنى دون معنى؛ فذلك على ماعمّه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: قال ربّ لِمَ حَشَرتني أعمى عن حُجّتي ورؤية الأشياء، وقد كنتُ في الدّنيا ذابصر بذلك كلّه. (١٦: ٢٢٩)

الطُّوسيّ: حكاية عمّا يقول الّذي يحشره أعمى: لِمَ حشرتني أعمى ذاهب البصر وقد كنتُ بصيرًا أبصر بها. وهذا يقوى أنّه أراد عمى البصر دون عمى البصيرة، لأنّ الكافر لم يكن بصيرًا في الدّنيا إلّا على وجه صحّة الحاسّة.

وقيل: معناه كنتُ بصيرًا بحُجّتي عند نفسي. (٧: ٢٢٠)

النَّسَفيّ: في الدّنيا. (٣: ٦٩)

نحوه البُرُوسَويّ. (٥: ٤٤٢)

الآلوسيّ: أي في الدّنيا، كما هو الظّاهر. ولعلّ هذا باعتبار أكثر أفراد من أعرض، لأنّ من أفراده من كان أكمه في الدّنيا.

والظّاهر أنّ هذا سؤال عن السّبب الّذي استحقّ به الحشر أعمى، لأنّه جهل أو ظنّ أن لاذنب له يستحقّ به ذلك. (١٦: ٢٧٨)

شُبّر: في الدّنيا وعند البعث. قيل: يخرج من قبره بصيرًا فيَعمى في حشره. (٤: ١٧٧)

المَراغيّ: أي قال ربّ لِمَ حشرتني أعمى عن حجّتي وعن رؤية الأشياء على حقيقة، وقد كنتُ في الدّنيا ذابصرٍ بذلك كلّه؟ ونحو الآية: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عَلٰى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ الإسراء: ٩٧. (١٦: ١٦١)

الطَّباطَبائيّ: يسبق إلى الذّهن أنّ عَمى يوم القيامة يتعلّق ببصر الحسّ، فإنّ الّذي يُسأل عنه هو ذهاب البصر الّذي كان له في الدّنيا، وهو بصر الحسّ دون بصر القلب الّذي هو البصيرة.

فيشكل عليه ظاهر مادلّ على أنّ المجرمين يُبصرون

يوم القيامة أهوال اليوم وآيات العظمة والقهر، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ السّجدة: ١٢، وقوله: ﴿اِقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ الإسراء: ١٤، ولذلك ذكر بعضهم أنّهم يُحشرون أوّلًا مبصرين ثمّ يعمون، وبعضهم أنّهم يُحشرون مبصرين ثمّ عُميًا ثمّ مبصرين.

وهذا قياس أُمور الآخرة وأحوالها، بما لها من نظير في الدّنيا، وهو قياس مع الفارق. فإنّ من الظّاهر المسلّم من الكتاب والسّنّة أنّ النّظام الحاكم في الآخرة غير النّظام الحاكم في الدّنيا الّذي نألفه من الطّبيعة، وكون البصير مُبصِرًا لكلّ مُبصَر، والأعمى غير مُدرِك لكلّ مامن شأنه أن يُرى، كما هو المشهود في النّظام الدّنيويّ، لادليل على عمومه للنّظام الأُخرويّ.

فمن الجائز أن يتبعّض الأمر هناك، فيكون المجرم أعمى لايبصر مافيه سعادة حياته، وفلاحه وفوزه بالكرامة، وهو يشاهد مايتمّ به الحجّة عليه، ومايفزعه من أهوال القيامة، ومايشتدّ به العذاب عليه من النّار وغيرها، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ المطفّفين: ١٥. (١٤: ٢٢٦)

وهناك مطالب أُخرى راجع «ع م ي».

٧ـ ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ الفرقان: ٢٠

ابن جُرَيْج: إنّ ربّك لبصير بمن يجزع ومن يصبر. (الطّبَريّ ١٨: ١٩٥)

نحوه الطّبَريّ (١٨: ١٩٥)، والطّوسيّ (٧: ٤٨١)، والقُرطُبيّ (١٣: ١٩).

الغزاليّ: البصير هو الّذي يشاهد ويرى حتّى لايعزب عنه ماتحت الثّرى، وإبصاره أيضًا مُنزّه عن أن يكون بحَدَقة وأجفان، ومقدّس أن يرجع إلى انطباع الصّور والألوان في ذاته، كما تنطبع في حَدَقة الإنسان، فإنّ ذلك من التّغيّر والتّأثّر المقتضي للحدوث.

وإذا نُزّه عن ذلك كان البصير في حقّه عبارة عن الوصف الّذي به ينكشف كمال نعوت المبصَرات، وذلك أوضح وأجلى ممّا يُفهم من إدارك البصر من ظواهر المرئيّات.

وحظّ العبد من حيث الحسّ من وصف البصر ظاهر، ولكنّه ضعيف قاصرٌ؛ إذ لايمتدّ إلى مابَعُد، ولايتغلغل إلى باطن ماقَرُب، بل يتناول الظّواهر، ويقصر عن البواطن والسّرائر.

وإنّما حظّه الدّينيّ منه أمران:

أحدهما: أن يعلم أنّه خلق البصر لينظر إلى الآيات وعجائب الملكوت والسّماوات، فلايكون نظره إلّا عِبرة. قيل لعيسى عليه السلام: هل أحد من الخلق مثلك؟ فقال: من كان نظره عِبرةً وصَمتُه فكرةً وكلامه ذِكرًا فهو مثلي.

والثّاني: أن يعلم أنّه بمَرْءًى من الله تعالى ومَسمَع، فلايستهين بنظره إليه واطّلاعه عليه، ومن أخفى عن غير الله مالايخفيه عن الله فقد استهان بنظر الله. والمراقبة إحدى ثمرات الإيمان، بهذه الصّفة فمن قارب معصية فهو يعلم أنّ الله يراه، فما أجسره فأخسره! ومن ظنّ أنّه لايراه فما أكفره! (البُرُوسَويّ ٦: ١٩٨)

الطّبْرِسيّ: أي عليمًا فيُجزي مَن أوجبت الحكمة

إغناء، ويُفقر مَن أوجبت الحكمة إفقاره. (٤: ١٦٥)

البُرُوسَويّ: بمن يصبر وبمن يجزع. [إلى أن قال:]

إنّ العبد لابدّ له من السّكون إلى قضاء الله تعالى في حال فقره وغناه، ومن الصّبر على كلّ أمر يردُ عليه من مولاه، فإنّه تعالى بصير بحاله، مطّلع عليه في كلّ فعاله، وربّما يُشدّد المحنة عليه بحكمته، ويمنع مراده عنه مع كمال قدرته. [ثمّ استشهد بشعر]

وفي الحكاية إشارة إلى الفناء عن المرادات، وأنّ النّفس مادامت مغضوبة باقية بعض أوصافها الذّميمة وأخلاقها القبيحة، فإنّ فيض رحمة الله وإن كان يجري عليها لكن لاكما يجري عليها إذا كانت مرحومة مطهّرة عن الرّذائل، هذا حال أهل السّلوك.

وأمّا من كان من أهل النّفس الأمّارة، وقد جرى عليه مراده بالكلّيّة، فهو في يد الاستدراج، ولله تعالى حكمة عظيمة في إغنائه وتنعيمه وإغراقه في بحر نعيمه، فثل هذا هو الفتنة الكبيرة لطُلّاب الحقّ، الباعثة لهم على الصّبر المطلق، والله المعين، وعليه التّكلان. (٦: ١٩٨)

شُبّر: بالصّواب فيما يبتلي به وغيره، أو فيمن يصبر وغيره. (٤: ٣٥١)

الآلوسيّ: أي عالمًا بالصّواب فيما يبتلي به وغيره، فلايضيقنّ صدرك ولاتستخفّنّك أقاويلهم.

وقيل: تصبير له عليه الصّلاة والسّلام على ماقالوه واستبدعوه من أكله الطّعام ومشيه في الأسواق، بعد الاحتجاج عليهم بسائر الرّسل.

والكلام من تلوين الخطاب بتعميمه لسائر الرّسل عليهم السّلام، بطريق التّغليب على مااختاره بعضهم. (١٨: ٢٥٤)

الطّباطَبائيّ: أي عالمًا بالصّواب في الأُمور، فيضع كلّ أمر في الموضع المناسب له، ويجري بذلك أتمّ النّظام. فهدف النّظام الإنسانيّ كمال كلّ فرد، بقطعه طريق السّعادة أو الشّقاوة، على حسب مايستعدّ له ويستحقّه. ولازمه بسط نظام الامتحان بينهم، ولازمه ارتفاع التّمايز بين الرّسل وغيرهم.

وفي الجملة التفات من التّكلّم مع الغير إلى الغيبة، والنّكتة فيه نظيرة مافي قوله السّابق: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى إِنْ شَاءَ﴾ الفرقان: ١٠. (١٥: ١٩٥)

٨- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. الدّهر: ٢

الطّبَريّ: فجعلناه ذاسمع يسمع به، وذابصر يُبصر به، إنعامًا من الله على عباده بذلك، ورأفةً منه لهم، وحجّةً له عليهم. (٢٩: ٢٠٥)

نحوه القُرطُبيّ. (١٩: ١٢٢)

الطَّبْرِسيّ: والمراد فأعطيناه آلة السّمع والبصر ليتمكّن من السّمع والبصر ومعرفة ماكُلّف. (٥: ٤٠٧)

الفَخْرالرّازيّ: والسّمع والبصر هما كنايتان عن الفهم والتّمييز، كما قال تعالى حاكيًا عن إبراهيم عليه السّلام: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَالَايَسْمَعُ وَلَايُبْصِرُ﴾ مريم: ٤٢، وأيضًا قد يراد بالسّميع: المطيع، كقوله: سمعًا وطاعةً، وبالبصير: العالم، يقال: فلان بصير في هذا الأمر.

ومنهم من قال: بل المراد بالسّمع والبصر: الحاسّتان المعروفتان، والله تعالى خصّهما بالذّكر، لأنّهما أعظم

الحواسّ وأشرفها. (٣: ٢٣٧)

نحوه الخازن (٧: ١٥٨)، والشّربينيّ (٤: ٤٤٩)، وأبوحيّان (٨: ٣٩٤)، والبُروسَويّ (١٠: ٢٩٠).

المَراغيّ: أي جعلناه كذلك ليتمكّن من استماع الآيات، ومشاهدة الدّلائل، والتّعقّل والتّفكّر. (٢٩: ١٦٠)

الطَّباطَبائيّ: سياق الآيات، وخاصّة قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ إلخ، الدّهر: ٣، يُفيد أنّ ذكر جعله (سَمِيعًا بَصِيرًا) للتّوسّل به في التّدبير الرّبوبيّ إلى غايته، وهي أن يرى آيات الله الدّالّة على المبدإ والمعاد، ويسمع كلمة الحقّ الّتي تأتيه من جانب ربّه، بإرسال الرّسل وإنزال الكتب، فيدعوه البصر والسّمع إلى سلوك سبيل الحقّ، والسّير في مسير الحياة بالإيمان والعمل الصّالح، فإن لزم السّبيل الّذي هُدي إليه أدّاه إلى نعيم الأبد، وإلّا فإلى عذاب مخلّد.

وذكر الإنسان في الآية من وضع الظّاهر موضع الضّمير، والنّكتة فيه تسجيل أنّه تعالى هو خالقه ومدبّر أمره. والمعنى: إنّا خلقنا الإنسان من نطفة هي أجزاء مختلطة ممتزجة، والحال أنّا ننقله من حال إلى حال ومن طور إلى طور ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ليسمع ما يأتيه من الدّعوة الإلهيّة، ويُبصر الآيات الإلهيّة الدّالّة على وحدانيّته تعالى، والنّبوّة والمعاد. (٢٠: ١٢١)

٩ـ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا. الانشقاق: ١٥

عطاء: (بَصِيرًا) بما سبق عليه في أُمّ الكتاب من الشّقاء. (الفخرالرّازيّ ٣١: ١٠٨)

الكَلْبيّ: كان بصيرًا به من يوم خلقه إلى أن بعثه. (الفخرالرّازيّ ٣١: ١٠٨)

مُقاتِل: (بَصِيرًا) متى يبعثه. (الفخرالرّازيّ ٣١: ١٠٨)

الطَّبَريّ: يقول جلّ ثناؤه: إنّ ربّ هذا الّذي ظنّ أن لن يحور كان به بصيرًا، إذ هو في الدّنيا بما كان يعمل فيها من المعاصي وما إليه يصير أمره في الآخرة عالم بذلك كلّه. (٣٠: ١١٩)

الزّجّاج: قبل أن يخلقه عالمًا بأنّ مرجعه إليه عزّوجلّ. (٥: ٣٠٥)

القَفّال: [في معنى البصير وجهان:]

الأوّل: أنّ ربّه كان عالمًا بأنّه سيُجزيه.

والثّاني: أنّ ربّه كان عالمًا بما يعمله من الكفر والمعاصي، فلم يكن يجوز في حكمته أن يهمله فلا يعاقبه على سوء أعماله. وهذا زجر لكلّ المكلّفين عن جميع المعاصي. (الفخرالرّازيّ ٣١: ١٠٨)

الطُّوسيّ: معناه أنّه يُخبر عن أنّه لن يحور، بلى، ويقطع الله عليه بأنّه يحور على أنّه بصير به وبجميع الأُمور. (١٠: ٣١١)

الزَّمَخْشَريّ: (بَصِيرًا) بأعماله لاينساها، ولاتخفى عليه، فلابدّ أن يرجعه ويجازيه عليها. (٤: ٢٣٥)

الفَخْرالرّازيّ: [بعد نقل قول الكَلْبيّ وعطاء والزّجّاج قال:]

لافائدة في هذه الأقوال، إنّما الفائدة في وجهين ذكرهما القفّال [المتقدّم قوله]. (٣١: ١٠٨)

أبوالسُّعود: تحقيق وتعليل له، أي بلى ليحورنّ

ألبتّة، أنّ ربّه الّذي خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء بصيرًا، بحيث لايخفى منها خافية، فلابدّ من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتمًا. (٦: ٤٠٢)

نحوه الآلوسيّ. (٣٠: ٨١)

البُرُوسَويّ: بحيث لاتخفى منها خافية، فلابدّ من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتمًا، إذ لايجوز في حكمته أن يهمله فلايعاقبه على سوء أعماله، وهذا زجر لجميع المكلّفين عن المعاصي كلّها.

وقال الواسطيّ رحمه الله: كان بصيرًا به إذ خلقه، لماذا خلقه ولأيّ شيءٍ أوجده، وماقدر عليه من السّعادة أو الشّقاوة، وماكتب له وعليه من أجله ورزقه. (١٠: ٣٧٩)

المَراغيّ: أي بلى ليحورنّ وليرجعنّ إلى ربّه، وليحاسبنّه على عمله، فيُجزى على الخير خيرًا وعلى الشّرّ شرًّا. فإنّ الّذي يخلق الإنسان مستعدًّا لما لايتناهى من الكمال بما وهبه من العقل لايُنشئه هذه النّشأة الرّفيعة لتكون غايته غاية سائر الحيوان، بل تقضي حكمته أن يجعل له حياةً بعد هذه الحياة، يثمر فيها أعماله، ويوافي فيها كماله. (٣٠: ٩٢)

نحوه الطّباطبائيّ. (٢٠: ٢٤٤)

بَصِيرَة

١ـ قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي... يوسف: ١٠٨

الطَّبَريّ: (عَلىٰ بَصِيرَةٍ) بذلك ويقين علم منّي به. (١٣: ٨٠)

البغَويّ: على يقين، و«البصيرة» هي المعرفة الّتي يُميَّز بها بين الحقّ والباطل. (٢: ٥١٨)

مثله الخازن. (٣: ٢٦١)

الزّمَخْشَريّ: أي أدعو إلى دينه مع حجّة واضحة غير عمياء. (٢: ٣٤٦)

مثله البَيْضاويّ (١: ٥١٠)، والنّسَفيّ (٢: ٢٤٠)، وأبوحيّان (٥: ٣٥٣)، وأبوالسّعود (٣: ٤٣٢)، والآلوسيّ (١٣: ٨٣).

الطَّبْرِسيّ: أي أدعو إلى توحيد الله وعدله ودينه، على يقين ومعرفة وحجّة قاطعة، لاعلى وجه التّقليد. (٣: ٢٦٨)

الفيروزاباديّ: أي على معرفة وتحقّق.

(بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٢٢)

البُرُوسَويّ: بيانٌ وحُجّةٌ بصيرةٌ، أي واضحة مرشدة إلى المطلوب. فإنّ الدّليل إذا كان بصيرًا يتمكّن من الإرشاد والهداية، بخلاف ماإذا كان أعمى. (٤: ٣٣٠)

شُبّر: (عَلىٰ بَصِيرَةٍ) كائنًا على حجّة بيّنة. (٣: ٣١٣)

٢ـ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. القيمة: ١٤

ابن عَبّاس: يقول: سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه. (الطّبَريّ ٢٩: ١٨٥)

يقول الإنسان شاهد على نفسه وحده. (الطّبَريّ ٢٩: ١٨٥)

نحوه ابن زَيْد. (الطّبَريّ ٢٩: ١٨٥)

أي أنّ جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه عليه.

مثله عِكْرِمَة، ومُقاتِل. (الطَّبْرِسيّ ٥: ٣٩٦)

الضَّحّاك: المراد بالبصيرة: الكاتبان اللّذان يكتبان مايكون منه من خيرٍ أو شرٍّ، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ اَلْقٰى مَعَاذِيرَهُ﴾ القيٰمة: ١٥، فيمن جعل المعاذيرة: السّتور.

مثله السُّدّيّ. (القُرطُبيّ ١٩: ١٠٠)

الحَسَن: يعني: بصير بعيوب غيره، جاهل بعيوب نفسه. (القُرطُبيّ ١٩: ١٠٠)

قَتادَة: شاهد عليها بعملها إذا شئت، والله رأيته بصيرًا بعيوب النّاس وذنوبهم، غافلًا عن ذنوبه. وكان يقال: إنّ في الإنجيل مكتوبًا: يابن آدم تُبصِر القذاةَ في عين أخيك ولاتُبصِر الجِذْلَ المعترض في عينك. (الطَّبَريّ ٢٩: ١٨٥)

الإمام الصّادق عليه السلام: مايصنع أحدكم أن يُظهرَ حسنًا ويُسرَّ سيّئًا، أليس يرجع إلى نفسه فيعلم أنّ ذلك ليس كذلك، والله عزّوجلّ يقول: ﴿بَلِ الْاِنْسَانُ عَلٰى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾. إنّ السّريرة إذا صحّت، قويت العلانية. (الكُلَينيّ ٢: ٢٩٥)

ياأبا حفص مايصنع الإنسان أن يعتذر إلى النّاس بخلاف مايعلم الله منه، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: من أسرّ سريرةً ألبسه الله رداءها، إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ. (الكُلَينيّ ٢: ٢٩٦)

[في جواب سؤال قال:]

ماحدّ المرض الّذي يفطر فيه صاحبه، والمرض الّذي يَدَعُ صاحبه الصّلاة قائمًا؟ قال: ﴿بَلِ الْاِنْسَانُ عَلٰى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ وقال: ذاك إليه، هو أعلم بنفسه. (الكُلَينيّ ٤: ١١٨)

أبوعُبَيْدَة: جاءت هذه الهاء في صفة الذّكَر، كما جاءت في راوية وعلّامة وطاغية. (٢: ٢٧٧)

الأخفش: فجعله هو البصيرة، كما تقول للرّجل: أنت حجّة على نفسك. (٢: ٧٢١)

ابن قُتَيْبَة: أقام جوارحه مقام نفسه، ولذلك أنّث، لأنّ المراد بـ(الْاِنْسان) هاهنا الجوارح. (الطَّبْرِسيّ ٥: ٣٩٥)

الفَرّاء: يقول: على الإنسان من نفسه رقباء، يشهدون عليه بعمله: اليدان، والرّجلان، والعينان، والذّكر. [ثمّ استشهد بشعر] (٣: ٢١١)

الطَّبَريّ: بل للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله ويشهدون عليه به.

[وبعد نقل أوّل القولين عن ابن عبّاس قال:]

والبصيرة على هذا التّأويل، ماذكره ابن عبّاس: من جوارح ابن آدم، وهي مرفوعة بقوله: (عَلٰى نَفْسِهِ) و(الْاِنْسَان) مرفوع بالعائد من ذكره في قوله: (نَفْسِه).

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل الإنسان شاهد على نفسه وحده. ومن قال هذا القول جعل البصيرة خبرًا للإنسان، ورفع الإنسان بها.

وقال ابن زَيْد في قوله: ﴿بَلِ الْاِنْسَانُ عَلٰى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ قال: هو شاهد على نفسه، وقرأ: ﴿اِقْرَاْ كِتَابَكَ كَفٰى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ الإسراء: ١٤.

ومن قال هذه المقالة يقول: أدخلت الهاء في قوله:

(بَصِيرَة) وهي خبر لـ(الإِنْسَان) كما يقال للرّجل: أنت حجّة على نفسك. وهذ قول بعض نحويّي البصرة، وكان بعضهم يقول: أُدخلت هذه الهاء في (بَصِيرَة) وهي صفة للذّكر، كما أُدخلت في راوية وعلّامة. (٢٩: ١٨٤)

الزّجّاج: معناه بل الإنسان تشهد عليه جوارحه، قال الله عزّوجلّ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النّور: ٢٤، وقال في موضع آخر: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فصّلت: ٢٠، فأعلم الله أنّ هذه الجوارح الّتي يتصرّفون بها شواهد عليهم.

(٥: ٢٥٢)

الطّوسيّ: والهاء في (بَصِيرَة) مثل الهاء في علّامة للمبالغة. وقيل: شهادة نفسه عليه أولى من اعتذاره، وقيل: تقديره: بل الإنسان على نفسه بصيرة، جوارحه شاهدة عليه يوم القيامة، ولو اعتذر كان شاهدًا عليه من يكذّب عذرَه. (١٠: ١٩٥)

نحوه الطّبْرِسيّ. (٥: ٣٩٤)

الزّمَخْشَريّ: حجّة بيّنة، وُصفت بالبصارة على المجاز، كما وُصفت الآيات بالإبصار في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ النّمل: ١٣، أو عينٌ بصيرة.

والمعنى أنّه يُنَبّأ بأعماله، وإن لم يُنَبّأ ففيه ما يُجزي عن الإنباء، لأنّه شاهد عليها بما عملت، لأنّ جوارحه تنطق بذلك، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النّور: ٢٤. (٤: ١٩١)

نحـوه البَيْضاويّ (٢: ٥٢٢)، وأبوالسُّعود (٦: ٣٣٦)، والبُرُوسَويّ (١٠: ٢٤٧).

ابن عَطيّة: يحتمل أن يكون خبرًا عن الإنسان، ولحقته هاء التّأنيث كما لحقت علّامة ونسّابة، والمعنى فيه وفي عقله وفطرته حجّة وطليعة، وشاهد مُبصِر على نفسه. والهاء للتّأنيث، ويراد بـ«البَصِيرَة»: جوارحه أو الملائكة الحفَظة، وهذا تأويل ابن عبّاس. (٥: ٤٠٤)

القُرطُبيّ: قال بعض أهل التّفسير: المعنى بل على الإنسان من نفسه بصيرة، أي شاهدٌ، فحذف حرف الجرّ. ويجوز أن يكون (بصيرة) نعتًا لاسمٍ مؤنّث، على نفسه عين بصيرة. [ثمّ استشهد بشعر] (١٩: ١٠٠)

النّسَفيّ: (بَصِيرَة) شاهد، والهاء للمبالغة كعلّامة، أو أنّه لأنّه أراد به جوارحه، إذ جوارحه تشهد عليه، أو هو حجّة على نفسه، والبصيرة: الحجّة، قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الأنعام: ١٠٤، وتقول لغيرك: أنت حجّة على نفسك.

و(بَصِيرَة) رفع بالابتداء، وخبره (عَلَىٰ نَفْسِهِ) تقدّم عليه، والجملة خبر (الإِنْسَان) كقولك: زيدٌ على رأسه عمامة. والبصيرة على هذا يجوز أن يكون الملَك الموكّل عليه. (٤: ٣١٤)

نحوه أبوحيّان. (٨: ٣٨٦)

الفيروز اباديّ: أي عليه من جوارحه بصيرة، فتُبصِره وتشهد عليه يوم القيامة.

وقال الأخفش: جعله في نفسه بصيرة. وكما يقال: فلان جود وكرم، فهاهنا أيضًا كذلك، لأنّ الإنسان ببديهة عقله يعلم أنّ ما يقرّبه إلى الله هو السّعادة، وما يبعّده عن طاعته الشّقاوة.

وتأنيث «البصير» لأنّ المراد بـ(الإنسان) هنا: جوارحه. وقيل: الهاء للمبالغة كعلّامة وراوية.

(بصائر ذوي التمييز ٢: ٢٢٢)

شُبّر: حجّة واضحة لشهادته بما عملت، أو بصير، أي عليم بها، والهاء للمبالغة. (٦: ٣٢٣)

الآلوسيّ: أي حجّة بيّنة واضحة على نفسه، شاهدة بما صدر عنه من الأعمال السّيّئة، كما يُؤذَن به كلمة (عَلىٰ) والجملة الحاليّة بعد، فـ(الإنسان) مبتدأ، و(عَلىٰ نَفْسِهِ) متعلّق بـ(بَصيرَة) بتقدير: أعمال، أو المعنى «عليه» من غير تقدير. و(بَصيرَة) خبر، وهي مجاز عن الحجّة البيّنة الواضحة، أو بمعنى بيّنة، وهي صفة لحجّة مقدّرة هي الخبر.

وجعل الحجّة بصيرة، لأنّ صاحبها بصير بها، فالإسناد مجازيّ، أو هي بمعنى دالّة مجازًا. وجُوِّز أن يكون هناك استعارة مكنيّة وتخييليّة. والتّأنيث للمبالغة أو لتأنيث الموصوف، أعني حجّة.

وقيل ذلك لإرادة الجوارح، أي جوارحه على نفسه بصيرة، أي شاهدة، ونُسب إلى القُتَبيّ. وجوّز أن يكون التّقدير: عين بصيرة، وإليه ذهب الفرّاء. [ثمّ استشهد بشعر] (٢٩: ١٤٠)

المَراغيّ: بل الإنسان حجّة بيّنة على نفسه، فلايحتاج إلى أن يُنبّه غيره، لأنّ نفسه شاهدة على مافعل، فسمعه وبصره ويداه ورِجْلاه وجوارحه شاهدة عليه، وسيُحاسَب عليه مهما أتى بالمعاذير وجادل عنها، كما قال: ﴿اِقْرَأْ كِتابَكَ كَفىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسيبًا﴾ الإسراء: ١٤. (٢٩: ١٥٠)

الطَّباطَبائيّ: والبصيرة: رؤية القلب والإدراك الباطنيّ، وإطلاقها على الإنسان من باب: زيدٌ عدلٌ، أو التّقدير: الإنسان ذوبصيرة على نفسه.

وقيل: المراد بالبصيرة: الحجّة، كما في قوله تعالى: ﴿ما أَنْزَلَ هٰؤُلاءِ إِلّا رَبُّ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ بَصائِرَ﴾ الإسراء: ١٠٢.

والإنسان نفسه حجّة على نفسه يومئذٍ حيث يُسأل عن سمعه وبصره وفؤاده، ويشهد عليه سمعه وبصره وجلده، ويتكلّم يداه ورِجْلاه، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ الإسراء: ٣٦، وقال: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾ فصّلت: ٢٠، وقال: ﴿وَتُكَلِّمُنا أَيْديهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ يس: ٦٥. (٢٠: ١٠٦)

عبد الكريم الخطيب: هو إضراب على ماسبق، وأنّ الإنسان ليس في حاجة إلى من يُنبّئه بما قدّم وأخّر، بل إنّ كلّ إنسان يقوم عليه شاهد من نفسه ومن جوارحه، فهو والحال كذلك إنّما يُنبّأ بأعماله من ذات نفسه، كما يقول سبحانه: ﴿كَفىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسيبًا﴾ الإسراء: ١٤.

وأُنّث لفظ (بَصيرَة) على تقدير مضاف، أي ذوبصيرة، وذلك حين ينكشف له يوم القيامة كلّ شيء، فيرى الأُمور على حقائقها، ويُبصر كلّ ماقدّمته يداه، كما يقول سبحانه: ﴿فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَديدٌ﴾ ق: ٢٢. (١٥: ١٣١٨)

بَصائِر

١ـ قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ

فَلِنَفْسِهِ.. . الأنعام: ١٠٤

قَتَادَة: أي بيّنة. (الطَّبَريّ ٧: ٣٠٥)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٢: ٣٤٥)

الكَلْبيّ: البصائر: آيات القرآن الّتي فيها الإيضاح والبيّنات، والتّنبيه على مايجوز عليه وعلى مايستحيل.
(أبوحيّان ٤: ١٩٦)

ابن زَيْد: البصائر: الهُدى، بصائر في قلوبهم لدينهم، وليست ببصائر الرّؤوس. وقرأ ﴿فَإِنَّهَا لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحجّ: ٤٦. إنّما الّذي بصره وسمعه في هذا القلب.
(الطَّبَريّ ٧: ٣٠٥)

أبوعُبَيْدَة: واحدتها: بصيرة، مجازها: حُجَج بيّنة واضحة ظاهرة. (١: ٢٠٣)

نحوه الحَوْفيّ. (أبوحيّان ٤: ١٩٤)

الطَّبَريّ: أي ماتُبصِرون به الهدى من الضّلال، والإيمان من الكفر، وهي جمع بصيرة. [ثمّ استشهد بشعر]

يعني بالبصير الحجّة البيّنة الظّاهرة. (٧: ٣٠٤)

الطُّوسيّ: البصائر: جمع بصيرة، وهي الدّلالة الّتي توجب العلم الّذي يُبصر به نفس الشّيء ما هو به.

والمراد هاهنا قد جاءكم القرآن الّذي فيه الحُجَج والبراهين. [ثمّ استشهد بشعر] (٤: ٢٤٤)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٢: ٣٤٥)

البغَويّ: يعني الحُجَج البيّنة الّتي تُبصِرون بها الهدى من الضّلالة، والحقّ من الباطل. (٢: ١٤٩)

المَيْبُديّ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يونس: ٥٧، وقال في موضع آخر أيضًا: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ النّساء: ١٧٤.

وقال أيضًا في آية أُخرى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ المائدة: ١٥، جاء إليكم من ربّكم مصباح منير، وعظ بليغ، ونور تامّ، وحجّة واضحة، وخطاب بيّن، ومصباح يُنير القلوب، ونور يشرح القلوب، وذِكر يُزيّن سرّ العباد، وخطاب يتباهَى بها الخلائق.

وخطاب أيّ خطاب، به يضاء طريق العبد ويُعطى الإنصاف، ويُرسخ دينه ويوصل حبله، ويُقوّم فؤاده، ويُستر عيبه، ويستنفد وسع دينه، ويُفتّح سمعه، ويظفر بسعادته وفوزه.

خطاب هو سراج القلوب، وممحاة الذّنوب، وشفاء الأوصاب والعيوب، وشفاء لما في الصّدور، ومصباح الصّدور. مصباح الحياء الّذي يزهق الظّلام من قلوب المسيئين، مصباح العلم الّذي يزيل الدّياجي من أفئدة الجاهلين.

خطاب يذوق العبد به في الدّنيا حلاوة الطّاعة، ويظفر عند الموت بالفوز والسّلامة، ويُلقّن الحجّة في القبر، ويُحشر يوم القيامة خفيف الميزان محفوفًا بالرّحمة والغفران، ويُعطى في الجنّة برضا الدّيّان، ولقاء الرّحمان.
(٣: ٤٥٦)

الزَّمَخْشَريّ: هو وارد على لسان رسول الله ﷺ، لقوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾. (الأنعام: ١٠٤).

والبصيرة: نور القلب الّذي به يُستبصَر، كما أنّ

البصر نور العين الّذي به تُبصَر، أي جاءكم من الوحي والتّنبيه، على مايجوز على الله ومالايجوز، ماهو للقلوب كالبصائر. (٢: ٤٢)

نحوه النّسفيّ (٢: ٣٧)، وأبوالسُّعود (٢: ٤٢٥)، والقاسميّ (٦: ٢٤٥٥)، وأبوحَيّان (٤: ١٩٦).

ابن عَطيّة: البصيرة هي مايتّفق عن تحصيل العقل للأشياء المنظور فيها بالاعتبار، فكأنّه قال: قد جاءكم في القرآن والآيات طرائق إبصار الحقّ والمعينة عليه. والبصيرة للقلب مستعارة من إبصار العين. (٢: ٣٣١)

الفَخْرالرّازيّ: والبصائر: جمع البصيرة. وكما أنّ البصر اسم للإدراك التّامّ الكامل الحاصل بالعين الّتي في الرّأس، فالبصيرة اسم للإدراك التّامّ الحاصل في القلب، قال تعالى: ﴿بَلِ الْاِنْسَانُ عَلٰى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ القيمة: ١٤، أي له من نفسه معرفة، وأراد بقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الآيات المتقدّمة، وهي في أنفسها ليست بصائر إلّا أنّها لقوّتها وجلالتها توجب البصائر لمن عرفها، ووقف على حقائقها. فلمّا كانت هذه الآيات أسبابًا لحصول البصائر، سمّيت هذه الآيات أنفسها بالبصائر. (١٣: ١٢٣)

نحوه الخازن. (٢: ١٣٩)

البَيْضاويّ: البصائر: جمع بصيرة، وهي للنّفس كالبصر للبدن، سمّيت بها الدّلالة لأنّها تجلي لها الحقّ وتبصّرها به. (١: ٣٢٥)

البُرُوسَويّ: والبصائر: جمع بصيرة، وهي نور تبصُر به النّفس، كما أنّ البصر نورٌ تبصُر به العين. فاستعير لفظ البصيرة من القوّة المودعة في القلب لإدراك المعقولات للحجّة البيّنة، لكون كلّ واحدة منها سبب الإدراك.

والإشارة أنّ الله تعالى أعطى لكلّ عبد بصيرة لقلبه، يُبصِر بها الحقائق المودعة في الغيوب، والكمالات المعدّة لأرباب القلوب، كما أعطى بصرًا لقالبه يُبصِر به الأعيان في الشّهادة، وماأعدّ لهم فيها من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح.

فمن نظر ببصر البصيرة إلى المراتب العلويّة الأُخرويّة الباقية، وأبصر كمالات القرب وماأعدّ الله ممّا لاعين رأت ولاأُذن سمعت ولاخطر على قلب بشر، فيشتغل بتحصيله، ويقبل على الله بسلوك سبيله، ويعرض عن الدّنيا الدّنيّة، ويترك زينتها وشهواتها الفانية؛ فذلك تحصيل سعادة وكرامة لنفسه، فإنّ الله غنيّ عن العالمين.

ومن عَمي عن النّظر بالبصيرة، وغير هذه الكمالات لما أبصر ببصر القالب إلى الدّنيا وزينتها، واستلذّ بشهواتها، واستحلى مراتعها الحيوانيّة؛ فعميت بصيرته، فإنّها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصّدور، فذلك تحصيل شقاوة وخسارة على نفسه، كذا في «التّأويلات النّجميّة». (٣: ٨١)

الآلوسيّ: استئناف وارد على لسان الرّسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فـ«قل» مقدّرة، كما قاله بعض المحقّقين.

والبصائر: جمع بصيرة، وهي للقلب كالبصر للعين، والمراد بها الآيات الواردة هاهنا، أو جميع الآيات، ويدخل ماذُكر دخولًا أوّليًّا. (٧: ٢٤٨)

رشيد رضا: البصائر: جمع بصيرة، ولها معان، منها: عقيدة القلب، والمعرفة الثّابتة باليقين، أو اليقين في العلم بالشّيء، والعبرة والشّاهد أو الشّهيد المثبت للأمر، والحجّة أو الفطنة أو القوّة الّتي تُدرك بها الحقائق العلميّة، وهذا يقابل البصر الّذي تُدرك به الأشياء الحسّيّة، ومنه قول معاوية لبعض بني هاشم: إنّكم يابني هاشم تُصابون في أبصاركم. وقول الهاشميّ له: وأنتم يابني أميّة تصابون في بصائركم، أي قلوبكم وعقولكم.

والمراد بالبصائر هنا: الآيات الواردة في هذه السّورة، أو في هذا السّياق الّذي أوّله ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ الأنعام: ٩٥، أو هي ومافي معناها من الآيات المثبتة لحقائق الدّين، أو القرآن بجملته، وربّما يرجّح هذا بتذكير الفعل (جَآءَكُمْ) إذ لابدّ له من نكتة في الكلام البليغ، لأنّه خلاف الأصل وإن كان جائزًا.

وأقوى النّكت وقوع اللّفظ المؤنّث على معنى مذكّر، والخطاب وارد على لسان الرّسول ﷺ كما قال ابن جرير وغيره.

فالمعنى قد جاءكم في هذه الآيات الجليّة، بصائر من الحجج العقليّة والكونيّة، تثبت لكم عقائد الحقّ اليقينيّة الّتي يتوقّف عليها نيل السّعادة الأبديّة، جاءكم ذلك من ربّكم الّذي خلقكم وسوّاكم، وربّى أجسادكم ومشاعركم وسائر قواكم، ليُربّي بها أرواحكم بأحسن ممّا ربّى به أشباحكم. (٧: ٦٥٧)

الطّباطبائيّ: قيل: البصيرة للقلب كالبصر للعين. والأصل في الباب ـ على أيّ حال ـ هو الإدراك بحاسّة البصر الّذي يُعدّ أقوى الإدراكات، ونيلًا من خارج الشّيء المشهود.

والإبصار والعمى في الآية هو العلم والجهل، أو الإيمان والكفر توسّعًا. وكأنّه تعالى يشير بقوله: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ بَصَآئِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إلى ماذكره في الآيات السّابقة من الحجج الباهرة على وحدانيّته، وانتفاء الشّريك عنه، والمعنى أنّ هذه الحجج بصائر قد جاءتكم من جانب الله بالوحي إليّ، والخطاب من قبل النّبيّ ﷺ.

ثمّ ذكر للمخاطبين وهم المشركون أنّهم على خيرة من أمر أنفسهم إن شاءوا أبصروا بها، وإن شاءوا عموا عنها، غير أنّ الإبصار لأنفسهم والعمى عليها. (٧: ٣٠٢)

٢ـ ...قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَايُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. الأعراف: ٢٠٣

الجُبّائيّ: قوله: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾ إشارة إلى الأدلّة الدّالّة على توحيده وصفاته وعدله وحكمته، وصحّة نبوّة النّبيّ، وصحّة ماأتى بها النّبيّ ﷺ. (الطّوسيّ ٥: ٧٩)

الطّبَريّ: يقول: هذا القرآن والوحي الّذي أتلوه عليكم ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يقول: حُجج عليكم وبيان لكم من ربّكم، واحدتها: بصيرة، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. وإنّما ذكر (هَٰذَا) ووحّد في قوله: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ لما وصفت من أنّه مراد به القرآن والوحي. (٩: ١٦٢)

الزّجّاج: أي هذا القرآن الّذي أتيت به بصائر من ربّكم. واحدة البصائر: بصيرة، والبصيرة والبصائر: طرائق الدّم[1]. [ثمّ استشهد بشعر]

والبصيرة: التّرس، وجمعها: بصائر. وجميع هذا أيضًا معناه ظهور الشّيء وبيانه. (٢: ٣٩٧)

البغويّ: حجج وبيان وبرهان من ربّكم، واحدتها: بصيرة. وأصلها: ظهور الشّيء واستحكامه حتّى يبصره الإنسان فيهتدي به. يقول: هذه دلائل تقودكم إلى الحقّ. (٢: ٢٦٣)

الزّمخشريّ: هذا القرآن ﴿بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي حجج بيّنة يعود المؤمنون بها بُصراء بعد العمى، أو هو بمنزلة بصائر القلوب. (٢: ١٣٩)

ابن عطيّة: أي علامات هدى وأنوار تُضيء القلوب. وقالت فرقة: المعنى هذا ذوبصائر، ويصحّ الكلام دون أن يُقدّر حذف مضاف، لأنّ المشار إليه بـ(هٰذَا) إنّما هو سور وآيات وحِكَم. وجازت الإشارة إليه بـ(هٰذَا) من حيث اسمه مذكّر، وجاز وصفه بـ(بَصَائِرُ) من حيث هو سور وآيات. (٢: ٤٩٣)

الطّبرسيّ: هذا القرآن دلائل ظاهرة وحجج واضحة وبراهين ساطعة من ربّكم يُبصر الإنسان بها أُمور دينه. (٢: ٥١٤)

الفخرالرّازيّ: أصل البصيرة: الإبصار، ولمّا كان القرآن سببًا لبصائر العقول في دلائل التّوحيد والنّبوّة والمعاد، أُطلق عليه لفظ «البصيرة» تسمية للسّبب باسم المسبّب. (١٥: ١٠١)

نحوه الخازن. (٢: ٢٧١)

القُرطُبيّ: ﴿هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني القرآن، جمع بصيرة، هي الدّلالة والعِبْرة، أي هذا الّذي دللتكم به على أنّ الله عزّوجلّ واحدٌ بصائر، أي يُستبصَر بها.

وقال الزّجّاج: (بَصَائِرُ) أي طرق، والبصائر: طرق الدّين. (٧: ٣٥٣)

البَيْضاويّ: هذا القرآن بصائر للقلوب، بها يُبصَر الحقّ ويُدرَك الصّواب. (١: ٣٨٣)

أبوحَيّان: أي هذا الموحَى إليّ الّذي أنا أتّبعه لاأبتدعه، وهو القرآن بصائر، أي حجج وبيّنات يُبصَر بها وتتّضح الأشياء الخفيّات، وهي جمع بصيرة، كقوله: على بصيرة أنا ومن اتّبعني، أي على أمر جليّ منكشف.

وأخبر عن المفرد بالجمع، لاشتماله على سور وآيات. وقيل: هو على حذف مضاف، أي ذوبصائر. (٤: ٤٥١)

نحوه المَراغيّ. (٩: ١٥٣)

أبوالسُّعود: بمنزلة البصائر للقلوب، بها تُبصَر الحقّ وتُدرَك الصّواب. وقيل: حُجج بيّنة وبراهين نيّرة.

و(مِنْ) متعلّقة بمحذوف هو صفة لـ(بَصَائِرُ) مفيدة لفخامتها، أي بصائر كائنة منه تعالى. (٣: ٧٢)

نحوه البُرُوسَويّ. (٣: ٣٠٢)

الآلوسيّ: أي بمنزلة البصائر للقلوب بها تُبصَر الحقّ وتُدرَك الصّواب، أو حجج بيّنة وبراهين نيّرة تُغني عن غيرها.

فالكلام خارج مخرج التّشبيه البليغ، وقد حقّقت

---

(١) خطوطه وبُقعه. وقد ذكر القُرطُبيّ عن الزّجّاج: والبصائر: طُرق الدّين. أوردناه عند القُرطُبيّ لمن يُراجع.

مافيه على الوجه الأتمّ في «الطّراز المُذهّب» أو فيه مجاز مرسل؛ حيث أُطلق المسبّب على السّبب، وجُوّز أن تكون «البصائر» مستعارة لإرشاد القرآن الخلق إلى إدراك الحقائق.

و(هٰذَا) مبتدأ و(بَصَائِرُ) خبره، وجمع خبر المفرد لاشتماله على آيات وسور، جُعل كلّ منها بصيرة. و(مِنْ) متعلّقة بمحذوف وقع صفة لـ(بَصَائِرُ) مفيدة لفخامتها، أي بصائر كائنة منه تعالى. (٩: ١٥٠)

٣ـ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنْزَلَ هٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا.

الإسراء: ١٠٢

الطّبَريّ: يعني بالبصائر الآيات، أنّهنّ بصائر لمن استبصر بهنّ، وهدًى لمن اهتدى بهنّ يعرف بهنّ من رآهنّ أنّ من جاء بهنّ فمُحِقّ، وأنّهنّ من عند الله لامن عند غيره؛ إذ كُنّ معجزات لايقدر عليهنّ ولاعلى شيء منهنّ سوى ربّ السّماوات والأرض، وهو جمع بصيرة.

(١٥: ١٧٤)

الطّوسيّ: أي حججًا واضحة، واحدها: بصيرة.

(٦: ٥٢٨)

البغَويّ: جمع بصيرة، أي يُبصَر بها. (٣: ١٦٦)

مثله الخازن. (٤: ١٥٣)

الزّمَخشَريّ: بيّنات مكشوفات، ولكنّك معاند مكابر، ونحوه ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ النّمل: ١٤. (٢: ٤٦٨)

نحوه أبوالسّعود (٤: ١٦١)، والبُرُوسَويّ (٥: ٢٠٨)، والقاسميّ (١٠: ٤٠٠٧).

ابن عَطيّة: جمع بصيرة وهي الطّريقة، أي طرائق يُهتدى بها. وكذلك غلب على البصيرة أنّها تستعمل في الطّريقة النّفس في نظرها واعتقادها، ونصب (بَصَائِرَ) على الحال. (٣: ٤٨٩)

الطَّبْرِسيّ: أي أنزلها حججًا وبراهين للنّاس، يُبصِرون بها أُمور دينهم.

وقيل: أدلّة على نبوّتي لأنّك تعلم أنّها ليست من السّحر. (٣: ٤٤٤)

الفَخْرالرّازيّ: [الصّفة الأُولى] قوله: (بَصَائِرَ): أي حُججًا بيّنة، كأنّها بصائر العقول.

وتحقيق الكلام أنّ المعجزة فعلٌ خارقٌ للعادة، فعلَه فاعله لغرض تصديق المدّعي، ومعجزات موسى عليه الصّلاة والسّلام كانت موصوفة بهذين الوصفين، لأنّها كانت أفعالًا خارقةً للعادة.

وصرائح العقول تشهد بأنّ قَلْب العصا حيّة معجزة عظيمة لايقدر عليها إلّا الله، ثمّ إنّ تلك الحيّة تلقّفت حبال السّحرة وعصيّهم على كثرتها، ثمّ عادت عصًا كما كانت، فأصناف تلك الأفعال لايقدر عليها أحد إلّا الله.

وكذا القول في فَرْق البحر وإظلال الجبل، فثبت أنّ تلك الأشياء ماأنزلها إلّا ربّ السّماوات.

الصّفة الثانية: أنّه تعالى إنّما خلقها لتدلّ على صدق موسى في دعوة النّبوّة، وهذا هو المراد من قوله: ﴿مَآ أَنْزَلَ هٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حال كونها بصائر، أي دالّة على صدق موسى في دعواه.

(٢١: ٦٥)

أبوحيّان: ومعنى (بَصَائِر) دلالات على وحدانيّة الله وصدق رسوله، والإشارة بـ(هٰؤُلَاءِ) إلى الآيات التّسع.

وانتصب (بَصَائِر) على الحال، في قول ابن عَطيّة والحَوْفيّ وأبي البقاء، وقالوا: حال من (هٰؤُلَاءِ) وهذا لايصحّ إلّا على مذهب الكِسائيّ والأخفش، لأنّهما يجيزان: ماضرب هندًا هذا إلّا زيدٌ ضاحكةً. ومذهب الجمهور أنّه لايجوز، فإن ورد ماظاهره ذلك أُوّل على إضمار فعل يدلّ عليه، ماقبله، التّقدير: ضربها ضاحكةً. وكذلك يُقدِّرون هنا: أنزلها بصائر. وعند هؤلاء، لايعمل ماقبل «إلّا» فيما بعدها إلّا أن يكون مستثنى منه، أو تابعًا له. (٦: ٨٦)

نحوه الآلوسيّ. (١٥: ١٨٥)

شُبّر: حججًا تُبصِرك صدقي، ولكنّك تعاند. (٤: ٥٢)

الطَّباطَبائيّ: والمعنى: قال موسى مخاطبًا لفرعون: لقد علمت يافرعون ماأنزل هؤلاء الآيات البيّنات إلّا ربّ السّماوات والأرض، أنزلها بصائر يتبصّر بها، لتميز الحقّ من الباطل، وإنّي لأظنّك يافرعون هالكًا بالآخرة، لعنادك وجحودك. (١٣: ٢١٨)

٤ـ وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا اَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْاُولٰى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ... القصص: ٤٣

الطُّوسيّ: هي جمع بصيرة، يتبصّرون بها ويعتبرون بها. (٨: ١٥٦)

نحوه البَغَويّ. (٣: ٥٣٦)

الزَّمَخْشَريّ: (بَصَائِرَ) نُصب على الحال. والبصيرة: نور القلب الّذي يُستبصَر به، كما أنّ البصر نور العين الّذي تُبصَر به، يريد آتيناه التّوراة أنوارًا للقلوب، لأنّها كانت عمياء لاتستبصر ولاتعرف حقًّا من باطل وإرشادًا، لأنّهم كانوا يخبطون في ضلال. (٣: ١٨١)

نحوه النّسَفيّ. (٣: ٢٣٨)

ابن عَطيّة: نصب على الحال، أي طرائق هادية. (٤: ٢٨٩)

نحوه أبوحيّان. (٧: ١٢١)

الفَخْرالرّازيّ: وصفه تعالى بأنّه بصائر للنّاس، من حيث يُستبصَر به في باب الدّين. (٢٤: ٢٥٥)

الطَّبْرِسيّ: أي حججًا وبراهين للنّاس، وعِبرًا يُبصرون بها أمر دينهم، وأدلّة يستدلّون بها في أحكام شريعتهم. (٤: ٣٥٦)

البَيْضاويّ: أنوارًا لقلوبهم تُبصَر بها الحقائق، وتُميِّز بين الحقّ والباطل. (٢: ١٩٥)

نحوه أبوالسُّعود (٥: ١٢٥)، وشُبّر (٥: ٢٥).

البُرُوسَويّ: (بَصَائِر) حال من (الْكِتَابَ) على أنّه نفس البصائر، وكذا مابعده.

والبصائر: جمع بصيرة، وهي نور القلب الّذي به يُستبصَر، كما أنّ البصر نور العين الّذي به تُبصر، والمعنى حال كون ذلك الكتاب أنوارًا لقلوب بني إسرائيل تُبصَر بها الحقائق وتُميّز بين الحقّ والباطل؛ حيث كانت عمياء عن الفهم والإدراك بالكلّيّة. (٦: ٤٠٨)

نحوه الآلوسيّ (٢٠: ٨٤)، والطّنطاويّ (١٤: ٢٧).

٥ ـ هٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ. الجاثية: ٢٠

ابن زَيْد: القرآن، هذا كلّه إنّما هو في القلب، والسّمع والبصر في القلب، وقرأ ﴿فَإِنَّهَا لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحجّ: ٤٦، وليس ببصر الدّنيا ولابسمعها. (٢٥: ١٤٧)

الطُّوسيّ: أي مايتبصّرون به، واحدها: بصيرة. (٩: ٢٥٦)

البَغَويّ: معالم (لِلنَّاس) في الحدود والأحكام، يبصرون بها. (٤: ١٨٦)

مثله الخازن (٦: ١٢٧)، ونحوه القُرطُبيّ (١٦: ١٦٥).

الزَّمَخْشَريّ: جعل مافيه من معالم الدّين والشّرائع بمنزلة البصائر في القلوب، كما جعل روحًا وحياة، وهو هدًى من الضّلالة، ورحمةٌ من العذاب، لمن آمن وأيقن. وقرئ (هٰذِهِ بَصَائِرُ) أي هذه الآيات. (٣: ٥١١)

نحوه أبوحَيّان (٨: ٤٦)، والنّسَفيّ (٤: ١٣٦).

ابن عَطيّة: والبصائر: جمع بصيرة، وهي المعتقد الوثيق في الشّيء، كأنّه مصدر من إبصار القلب، فالقرآن فيه بيانات ينبغي أن تكون بصائر. والبصيرة في كلام العرب: الطّريقة من الدّم. [ثمّ استشهد بشعر] (٥: ٨٤)

الطَّبْرِسيّ: أي هذا الّذي أنزلته عليك من القرآن بصائر، أي معالم في الدّين وعظات وعِبَر للنّاس، يبصرون بها من أُمور دينهم. (٥: ٧٦)

البَيْضاويّ: بيّنات تُبصِرهم وجه الفلاح. (٢: ٣٨١)

البُرُوسَويّ: فإنّ مافيه [: القرآن] من معالم الدّين والشّرائع بمنزلة البصائر في القلوب، كأنّه بمنزلة الرّوح والحياة. فمن عُري من القرآن فقد عدم بصره وبصيرته، وصار كالميّت والجماد الّذي لاحسّ له ولاحياة.

فحمل «البصائر» على القرآن باعتبار أجزائه، ونظيره قوله تعالى: ﴿هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي القرآن وآياته، قوله تعالى في حقّ الآيات التّسع لموسى عليه السلام قال: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَاأَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ الإسراء: ١٠٢.

والبصائر: جمع بصيرة، وهو النّور الّذي به تُبصِر النّفس المعقولات، كما أنّ البصر نور به تُبصِر العين المحسوسات. ويجوز أن يكون (هٰذَا) إشارة إلى اتّباع الشّريعة، فحمل البصائر عليه، لأنّ المصدر المضاف من صيغ العموم، فكأنّه قيل: جميع اتّباعاتها. (٨: ٤٤٤)

الآلوسيّ: (هذا) أي القرآن (بَصَائِرُ لِلنَّاسِ) فإنّ مافيه من معالم الدّين وشعائر الشّرائع بمنزلة البصائر في القلوب. وقيل: الإشارة إلى اتّباع الشّريعة، والكلام من باب التّشبيه البليغ.

وجُمع الخبر على الوجهين باعتبار تعدّد ماتضمّنه المبتدأ، واتباع مصدر مضاف فيعمّ، ويُخبر عنه بمتعدّد أيضًا. وقرئ (هٰذِهِ) أي الآيات. (٢٥: ١٤٩)

القاسميّ: أي يُبصِرون به الحقّ من الباطل،

ويعرفون به سبيل الرّشاد. (١٤: ٥٣٢٣)

الطّباطَبائيّ: الإشارة بـ(هذا) إلى الأمر المذكور الّذي هو الشّريعة، أو إلى القرآن بما يشتمل على الشّريعة.

والبصائر: جمع بصيرة، وهي الإدراك المصيب للواقع، والمراد بها مايُبصَر به. (١٨: ١٦٩)

البَصَر

١ـ ...فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ.

الملك: ٣، ٤

ابن عبّاس: أي يرجع إليك بصرك بعيدًا عن نيل المراد ذليلًا صاغرًا. (الطّبْرِسيّ ٥: ٣٢٣)

قَتادَة: معناه فانظر إلى السّماء. (الماوَرْديّ ٦: ٥١)

الطّبْرِسيّ: أي فردّ البصر وأدِرْه في خلق الله، واستقصِ في النّظر مرّةً بعد أُخرى. والتّقدير: انظر ثمّ ارجِع النّظر في السّماء. [إلى أن قال:]

والتّحقيق: أنّ بصر هذا النّاظر بعد الإعياء يرجع إليه بعيدًا عن طلبته، خائبًا في بُغيته. (٥: ٣٢٣)

البُرُوسَويّ: أي رُدّه إلى رؤية السّماء حتّى يتّضح ذلك بالمعاينة، ولايبق عندك شبهة مّا. (١٠: ٧٩)

الآلوسيّ: أي إن كنت في ريب من ذلك فارْجِع البصر حتّى يتّضح الحال، ولايبق لك ريب وشبهة في تحقّق ماتضمّنه ذلك المقال، من تناسب خلق الرّحمان واستجماعه مايتبغي له. [إلى أن قال:]

وأمر برجع البصر إلى السّماء مرّتين، إذ يمكن غلط في الأُولى فيستدرك بالثّانية. أو الأُولى ليرى حُسنها واستواءها، والثّانية ليبصر كواكبها في سيرها وانتهائها، وليس بشيء.

ويؤيّد الأوّل قوله تعالى: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ فإنّه جواب الأمر، والجوابيّة تقتضي الملازمة، وماتضمّنه لايلزم من المرّتين غالبًا.

والمعنى يعد إليك البصر محرومًا من إصابة ماالتمسه من إصابة العيب والخلل، كأنّه طرد عنه طردًا بالصّغار. (٢٩: ٧)

٢ـ ...وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ... النّحل: ٧٧

راجع «ل م ح».

٣ـ ...إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا. الإسراء: ٣٦

راجع «س م ع».

٤ـ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى. النّجم: ١٧

راجع «ز ي غ».

٥ ـ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ. القمر: ٥٠

راجع «ل م ح».

٦ـ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ. ق: ٢٢

راجع «ح د د».

الأبْصَار

١ـ ...وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ. آل عمران: ١٣

الطُّوسيّ: معناه لأُولي العقول، كما يقال: له بصَر بالأُمور، وليس المراد بـ(الأبصَار) الحواسّ الّتي يشترك فيها سائر الحيوان. (٢: ٤١٠)

نحوه الطَّبْرِسيّ (١: ٤١٦)، والفَخْرالرّازيّ (٧: ٢٠٦).

البغَويّ: لذوي العقول، وقيل: لمن أبصَر الجمْعَين. (١: ٤١٧)

نحوه الخازن. (١: ٢٧٤)

الفَخْرالرّازيّ: أي لأُولي العقول، كما يقال: لفلان بصر بهذا الأمر، أي علم ومعرفة، والله أعلم. (٧: ٢٠٦)

أبوحَيّان: إن كانت الرّؤية بصريّة، فالمعنى للّذين أبصروا الجمعَين. وإن كانت اعتقاديّة، فالمعنى لذوي العقول السّليمة القابلة للإعتبار. (٢: ٣٩٦)

شُبّر: لَعِظَة لذوي البصائر. (١: ٣٠٠)

الآلوسيّ: جمع بصَر، بمعنى بصيرة مجازًا، أو بمعناه المعروف، أي لذوي العقول والبصائر، أو لمن أبصرهم ورآهم بعيني رأسه.

وهذه الجملة إمّا من تمام الكلام الدّاخل تحت القول، مقرّرة لما قبلها بطريق التّذييل. وإمّا واردة من جهته تعالى تصديقًا لمقالة رسول الله ﷺ. (٣: ٩٨)

رشيد رضا: أي لأصحاب الأبصار الصّحيحة الّتي استُعملت فيما خُلقت لأجله، من التّأمّل في الأُمور، بقصد الاستفادة منها، إلّا لمن وُصفوا بقوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَايَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَايُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أٰذَانٌ لَايَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف: ١٧٩.

وقال بعض المفسّرين: إنّ (الأبصَار) هنا يعني البصائر والعقول، من باب المجاز. وقال بعضهم: يعني بـ(أُولِي الأبْصَار): من أبصروا بأعينهم قتال الفئتَين. (٣: ٢٣٥)

المَراغيّ: أي إنّ هذا النّصر ـ مع قلّة عددهم وكثرة عدوّهم ـ عِظَة لمن عقَل وتدبّر، فعرف الحقّ وثَلَج قلبه ببرد اليقين. (٣: ١٠٧)

الطَّبَاطَبائيّ: والمراد بـ(الأبصَار) قيل: هو العيون الظّاهريّة، لكون الآية مشتملة على التّصرّف في رؤية العيون. وقيل: هو البصائر، لأنّ العبرة إنّما تكون بالبصيرة القلبيّة دون البصر الظّاهريّ.

والأمر هيّن فإنّ الله سبحانه في كلامه يَعِدُّ من لايعتبر بالعِبَر والمَثُلات أعمى، ويذكر أنّ العين يجب أن تبصُر وتميّز الحقّ من الباطل.

وفي ذلك دعوى أنّ الحقّ الّذي يدعو إليه ظاهر متجسّد محسوس، يجب أن يبصُره البصر الظّاهر، وأنّ البصيرة والبصر في مورد المعارف الإلهيّة واحد، بنوع من الاستعارة، لنهاية ظهورها ووضوحها، والآيات في ذلك كثيرة جدًّا، ومن أحسنها دلالة على ماذكرنا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحجّ: ٤٦، أي أنّ الأبصار إنّما هي في

القلوب دون الرّؤوس، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَايُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الأعراف: ١٧٩، والآية في مقام التّعجيب، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ الجاثية: ٢٣، إلى غير ذلك من الآيات.

فالمراد بـ(الْأَبْصَارِ) فيما نحن فيه هو العيون الظّاهريّة، بدعوى أنّها هي الّتي تعتبر وتفهم، فهو من الاستعارة بالكناية، والنّكتة فيه ظهور المعنى، كأنّه بالغ حدّ الحسّ. ويزيد في لطفه أنّ المورد يتضمّن التّصرّف في رؤية العين الظّاهرة. (٣: ٩٤)

٢ـ لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. الأنعام: ١٠٣

الزّمخشريّ: البَصر هو الجوهر اللّطيف الّذي ركّبه الله في حاسّة النّظر، به تُدرَك المبصَرات، فالمعنى أنّ الأبصار لاتتعلّق به ولاتُدركه، لأنّه متعال أن يكون مبصِرًا في ذاته، لأنّ الإبصار إنّما تتعلّق بما كان في جهة أصلًا أو تابعًا كالأجسام والهيئات. ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ وهو للطف إدراكه للمدرَكات يُدرك تلك الجواهر اللّطيفة الّتي لايُدركها مدرِك. (٢: ٤١)

وتمام البحث في «د ر ك».

٣ـ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ. إبراهيم: ٤٢

ابن عبّاس: تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدّة الحيرة، فلايَرمَضون. (القُرطُبيّ ٩: ٣٧٦)

الطُّوسيّ: شخوص البصَر: أن تبقى العين مفتوحة لاتنطبق، لعظم ذلك اليوم. (٦: ٣٠٣)

الفرّاء: أي لاتُغمَض من هول ماترى في ذلك اليوم. (القُرطُبيّ ٩: ٣٧٨)

البغَويّ: قيل: ترتفع وتزول عن أماكنها. (٣: ٤٥)

الزّمَخشَريّ: أي أبصارهم لاتقرّ في أماكنها من هول ماترى. (٢: ٣٨٢)

نحوه الشّربينيّ (٢: ١٨٨)، والقاسميّ (١٠: ٣٧٣٦).

الفَخْرالرّازيّ: يقال: شَخَص بصَرُ الرّجل، إذا بقيت عينه مفتوحة لايطرفها. وشُخوص البصر يدلّ على الحيرة والدّهشة وسقوط القوّة. (١٩: ١٤١)

البُرُوسَويّ: ترتفع فيه أبصار أهل الموقف، أي تبقى أعينهم مفتوحة لاتتحرّك أجفانهم من هول مايرونه. يعني أنّ تأخيره للتّشديد والتّغليظ لاللغفلة عن أعمالهم ولا لإهمالهم، يقال: شخَص بصَر فلان كمنَع، وأشخَصه صاحبه، إذا فتح عينيه ولم يطرف بجفنيه. (٤: ٤٣١)

شُبّر: أبصارهم فلاتستقرّ ولاتنطبق، للرّعب من هول المطّلَع. (٣: ٣٦٥)

المَراغيّ: أي إنّما يُمهلهم ويمتّعهم بكثير من لذّات الحياة، ولايعجّل عقوبتهم ليوم شديد الهول، ترتفع فيه أبصار أهل الموقف، وتبقى مفتوحة لاتَطرِف، من الفزع والاضطراب. (١٣: ١٦٥)

الطَّباطَبائيّ: شخَص بصَره، أي سكن بحيث لايطرِف جفنه. (١٢: ٨٢)

٤ـ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ. الحجّ: ٤٦

مُجاهِد: لكلّ عين أربع أعين، يعني لكلّ إنسان أربع أعين، عينان في رأسه لدنياه، وعينان في قلبه لآخرته. فإن عَميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه، فلم يضرّه عماه شيئًا. وإن أبصرت عينا رأسه وعَميت عينا قلبه، فلم ينفعه نظره شيئًا. (القُرطُبيّ ١٢: ٧٧)

قَتادَة: البَصر النّاظر جُعل بُلغَةً ومَنفعةً، والبصر النّافع في القلب. (القُرطُبيّ ١٢: ٧٧)

الطَّبَريّ: يقول: فإنّها لاتَعمى أبصارهم أن يبصُروا بها الأشخاص ويروها، بل يبصرون ذلك بأبصارهم. ولكن يبصرون ذلك بأبصارهم. ولكن تَعمى قلوبهم الّتي في صدورهم عن أنصار الحقّ ومعرفته. (١٧: ١٨٢)

الطُّوسيّ: والمعنى في الآية أنّ الأبصار وإن كانت عُمْيًا فلاتكون في الحقيقة كذلك، إذا كان عارفًا بالحقّ. وإنّما يكون العمَى عمَى القلب الّذي يَجحد معه معرفة الله ووحدانيّته. (٧: ٣٢٦)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٤: ٨٩)

الزَّمَخْشَريّ: والمعنى أنّ أبصارهم صحيحة سالمة لاعمَى بها وإنّما العمَى بقلوبهم، أو لايُعتدّ بعمَى الأبصار، فكأنّه ليس بعَمى بالإضافة إلى عمَى القلوب.

(٣: ١٧)

القُرطُبيّ: أي أبصار العيون ثابتة لهم. (١٢: ٧٧)

أبوحَيّان: والمعنى أنّ أبصارهم سالمة لاعمَى بها، وإنّما العمَى بقلوبهم. ومعلوم أنّ الأبصار قد تَعمى، لكن المنفيّ فيها ليس العَمى الحقيقيّ وإنّما هو ثمرة البصر، وهو التّأدية إلى الفكرة فيما يشاهد البصَر، لكن ذلك متوقّف على العقل الّذي محلّه القلب. (٦: ٣٧٨)

الآلوسيّ: والمعنى أنّه لايُعتدّ بعَمى الأبصار وإنّما يُعتدّ بعَمى القلوب، فكأنّ عمَى الأبصار ليس بعمًى، بالإضافة إلى عمَى القلوب. فالكلام تذييل لتهويل مابهم من عدم فقه القلب، وأنّه العمَى الّذي لاعمَى بعده، بل لاعمَى إلّا هو.

أو المعنى أنّ أبصارهم صحيحة سالمة لاعمَى بها، وإنّما العمَى بقلوبهم، فكأنّه قيل: أفلم يسيروا فتكون لهم قلوب ذات بصائر، فإنّ الآفة ببصائر قلوبهم لابأبصار عيونهم، وهي الآفة الّتي كلّ آفة دونها، كأنّه يحثّهم على إزالة المرض وينعَى عليهم تقاعدهم عنها. (١٧: ١٦٧)

٥ـ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَاتَشْكُرُونَ. المؤمنون: ٧٨

الطَّبَريّ: الأبصار الّتي تبصرون بها. (١٨: ٤٦)

نحوه الطُّوسيّ. (٧: ٣٨٥)

أبوالسُّعود: لتشاهدوا بها الآيات التّنزيليّة والتّكوينيّة. (٤: ٤٢٨)

البُرُوسَويّ: (الأَبصار): جمع بصَر، يقال لجارحة النّاظرة وللقوّة فيها. (٦: ٩٩)

الطَّنطاويّ: حاسّة الإبصار مركزها العين. وتوجد هذه في تجويف الحَجاج، ومعها الأوعية

والأعصاب الّتي تُغذّيها، وفي مقدّمتها الجفون، والجهاز الدّمعيّ.

والجفون في حافّتها الأهداب، وهي تقي العين ليلًا ونهارًا من الأجسام الغريبة، الّتي تصادفها. والجهاز الدّمعيّ في الجهة الوحشيّة للحَجاج، ويُفرز الدّمع منعًا لجفاف الملتحمة.

والعين مكوّنة على التّوالي من الطّبقات الآتية، وهي: الصّلبة والقرنيّة والمشيميّة والشّبكيّة والعين المملوءة بالرّطوبة المائيّة والجسم الزّجاجيّ والبلّوريّة.

وتجويفها تنقسم بالقزحيّة إلى قسمين، وهي ستار قابل للانقباض والانبساط، ومثقوبة في وسطها بالحَدَقة، الّتي وظيفتها تنظيم كمّيّة الضّوء الدّاخل في العين.

وتوجد القزحيّة عند ملتقى الصّلبة بالقرنيّة، ووظيفتها إعداد العين للرّؤية، وهي تؤثّر في تحديب البلّوريّة بانقباضها وانبساطها، فترَى الأشياء على أبعاد مختلفة، وفي الشّبكيّة ينتهي العصب البصريّ.

والعين تماثل صندوق التّصوير الشّمسيّ، فأشعّة الشّيء المرئيّ تمرّ بالقرنيّة والبلّوريّة والرّطوبة المائيّة والجسم الزّجاجيّ، فتنطبع صورته معكوسة على الشّبكيّة الّتي تُشبه زجاجة التّصوير، فينقل العصب البصريّ هذه الصّورة المعكوسة الشّكل إلى المخّ، فيردّها هذا إلى العين غير معكوسة، فنشعر برؤية الشّيء، ونحكم على شكله ولونه وحجمه. (١١: ١٧٢)

المَراغيّ: (وَالْاَبْصَار) لتشاهدوا بها الأضواء والألوان والأشكال المختلفة. (١٨: ٤٥)

وهناك مباحثُ أُخرى راجع «س م ع».

٦ـ يُقَلِّبُ اللهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِاُولِى الْاَبْصَارِ. النّور: ٤٤

الطَّبَريّ: في تقليبه اللّيل والنّهار لعبرة لمن اعتبر به وعِظَة لمن اتّعظ به، ممّن له فهم وعقل، لأنّ ذلك يُنبئ ويدلّ على أنّ له مُدَبّرًا ومُصرّفًا ومُقلّبًا، لايُشبهه شيء. (١٨: ١٥٥)

الطُّوسيّ: يعني ذوي العقول الّذين يبصرون بقلوبهم.

وفي الآية دلالة على وجوب النّظر، وفساد التّقليد، لأنّه تعالى مدح المعتبرين بعقولهم، بما نبّه من الدّلالات والآيات الدّالّة على توحيده وعدله، وغير ذلك. (٧: ٤٤٧)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٤: ١٤٨)، والفخرالرّازيّ (٢٤: ١٥).

البُرُوسَويّ: يعني أنّ من له بصيرةٌ يعبر من المذكور إلى معرفة المدبّر، ذلك من القدرة التّامّة والعلم الشّامل، الدّالّ قطعًا على الوحدانيّة. (٦: ١٦٧)

الآلوسيّ: أي لكلّ من له بصيرة يُراجعها ويعملها. فـ(الْاَبْصَار) هنا جمع بصر، بمعنى البصيرة، بخلافها فيما سبق.

وقيل: هو بمعنى البصر الظّاهر، كما هو المتبادر منه، والتّعبير بذلك دون البصائر، للإيذان بوضوح الدّلالة. (١٨: ١٩٢)

المَراغيّ: أي لأهل العقول والبصائر.

(١٨: ١١٧)

٧ـ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرٰهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. ص: ٤٥

ابن عَبّاس: يقول: الفقه في الدّين.

(الطَّبَريّ ٢٣: ١٧٠)

مثله مُجاهِد وقَتادَة. (الطُّوسيّ ٨: ٥٧١)

مُجاهِد: البصَر في الحقّ. (الأبْصَار): العقول.

(الطَّبَريّ ٢٣: ١٧٠)

الإمام الباقر عليه السلام: أُولي القوّة في العبادة والبصر فيها. (القُمّيّ ٢: ٢٤٢)

السُّدّيّ: (الأبْصَار): البصر بعقولهم في دينهم.

(٢٣: ١٧٠)

قَتادَة: أُعطُوا قُوّةً في العبادة وبصرًا في الدّين.

(الطَّبَريّ ٢٣: ١٧٠)

الطَّبَريّ: يعني بـ(الأبْصَار): أنّهم أهل أبصار القلوب، يعني به: أُولي العقول والإبصار للحقّ.

فإن قال لنا قائل: ماالعقول من الأبصار، وإنّما الأبصار جمع بصر؟

قيل: إنّ ذلك مثل...وأمّا البصر فإنّه عنى به بصر القلب، وبه تنال معرفة الأشياء، فلذلك قيل للرّجل العالم بالشّيء: بصير به. (٢٣: ١٧٠)

النّحّاس: أمّا (الأبْصَار) فمتّفق على تأويلها، أنّها البصائر في الدّين والعلم. (القُرطُبيّ ١٥: ٢١٧)

أبومسلم: (والأبْصَار): العلم.

(الطَّبْرِسيّ ٤: ٤٨٠)

الزَّمَخْشَريّ: يريد أُولي الأعمال والفكر، كأنّ الّذين لايعملون أعمال الآخرة ولايجاهدون في الله، ولايفكّرون أفكار ذوي الدّيانات، ولايستبصرون في الحكم الزّمنيّ الّذين لايقدرون على أعمال جوارحهم، والمسلوبي العقول الّذين لااستبصار بهم.

وفيه تعريض بكلّ من لم يكن من عمّال الله، ولامن المستبصرين في دين الله، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتّأمّل، مع كونهم متمكّنين منهما. (٣: ٣٧٧)

الفَخْرالرّازيّ: واعلم أنّ اليد آلة لأكثر الأعمال، والبصر آلة لأقوى الإدراكات، فحسن التّعبير عن العمل باليد وعن الإدراك بالبصر.

إذا عرفت هذا فنقول: النّفس النّاطقة الإنسانيّة لها قوّتان: عاملة وعالمة، أمّا القوّة العاملة فأشرف مايصدر عنها طاعة الله، وأمّا القوّة العالمة فأشرف مايصدر عنها معرفة الله، وماسوى هذين القسمين من الأعمال والمعارف فكالعبث والباطل، فقوله: ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ إشارة إلى هاتين الحالتين. (٢٦: ٢١٦)

نحوه الخازن. (٦: ٥١)

البَيضاويّ: أُولي القوّة في الطّاعة والبصيرة في الدّين، أو أُولي الأعمال الجليلة والعلوم الشّريفة. فعبّر بـ(الأيْدي) عن الأعمال، لأنّ أكثرها بمباشرتها، وبـ(الأبْصَار) عن المعارف، لأنّها أقوى مبادئها. وفيه تعريض بالبطلة الجهّال، إنّهم كالزّمْنَى والعُماة.

(٢: ٣١٢)

نحوه أبوالسُّعود (٥: ٣٦٦)، والمَراغيّ (٢٣: ١٢٧).

البُرُوسَويّ: جمع بصَر، حُمل على بصر القلب،

ويسمّى البصيرة، وهي القوّة الّتي يتمكّن بها الإنسان من إدراك المعقولات. [ثمّ قال: نحو مانقلناه عن الزّمخشريّ] (٨: ٤٦)

الآلوسيّ: أُولي القوّة في الطّاعة، والبصيرة في الدّين، على أنّ (الأَيْدي) مجاز مرسل عن القوّة، (والأَبْصار): جمع بصَر، بمعنى بصيرة، وهو مجاز أيضًا، لكنّه مشهور فيه.

أو أُولي الأعمال الجليلة والعلوم الشّريفة، على أنّ (الأَيْدي) من ذكر السّبب وإرادة المسبّب، (وَالأَبْصار) بمعنى البصائر مجاز عمّا يتفرّع عليها من العلوم، كالأوّل أيضًا.

وفي ذلك على الوجهين تعريض بالجهلة البطّالين، أنّهم كفاقدي الأيدي والأبصار، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتّأمّل، مع تمكّنهم منها. (٢٣: ٢١٠)

نحوه القاسميّ. (١٤: ٥١٢٠)

الطّباطبائيّ: مدحهم بتوصيفهم بأنّ لهم الأيدي والأبصار. ويد الإنسان وبصره إنّما يُمدحان إذا كانا يد إنسان وبصر إنسان، واستُعمِلا فيما خُلقا له، وخدما الإنسان في إنسانيّته. فتكتسب اليد صالح العمل، ويجري منها الخير على الخلق. ويميّز البصر طرقَ العافية والسّلامة من موارد الهلكة، ويصيب الحقّ، ولايلتبس عليه الباطل.

فيكون كونهم أُولي الأيدي والأبصار كناية عن قوّتهم في الطّاعة وإيصال الخير، وتبصّرهم في إصابة الحقّ في الاعتقاد والعمل.

وقد جمع المعنيين في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلٰوةِ وَإِيتَاءَ الزَّكٰوةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ الأنبياء: ٧٢، ٧٣.

فجعلهم أئمّة، والأمر والوحي لأبصارهم وفعل الخيرات وإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة لأيديهم. وإليه يؤول مافي الرّواية من تفسير ذلك بأُولي القوّة في العبادة والبصر فيها. (١٧: ٢١١)

٨ ـ ...فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ. الحشر: ٢

ابن عبّاس: يريد يا أهل اللّبّ والعقل والبصائر. (الفخر الرّازيّ ٢٩: ٢٨٢)

الفرّاء: ياأُولي العقول، يقال: ياأُولي الأبصار: يامن عاين ذلك بعينه. (٣: ١٤٣)

الطّبريّ: إنّما عنى بـ(الأَبْصار) في هذا الموضع: أبصار القلوب؛ وذلك أنّ الاعتبار بها يكون دون الإبصار بالعيون. (٢٨: ٣١)

البغويّ: ياذوي العقول والبصائر. (٥: ٥٣)

نحوه الخازن. (٧: ٤٩)

الطّبرسيّ: أي اتّعظوا ياأُولي العقول والبصائر، وتدبّروا وانظروا فيما نزل بهم. (٥: ٢٥٨)

المراغيّ: أي فاتّعظوا ياذوي البصائر السّليمة والعقول الرّاجحة، بما جرى لهؤلاء من أُمور عظام وبلاء ماكان يخطر لهم ببال، بأسباب تُحار في فهمها العقول، ولايصل إلى كنه حقيقتها ذوو الآراء الحصيفة[1]، وابتعِدوا عن الكفر والمعاصي الّتي أوقعتهم في هذه

(١) الجيّدة الرّأي.

المهالك، فالسّعيد من وعظ بغيره، وإيّاكم والغدر، والاعتماد على غير الله، فما اعتمد أحد على غيره إلّا ذلّ. (٢٨: ٣٥)

٩ـ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ. الملك: ٢٣

الطَّبَرِيّ: تبصرون بها. (٢٩: ١٠)

الطُّوسيّ: تبصرون بالبصر المبصَرات. (١٠: ٦٩)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ٣٢٩)

البَيْضاويّ: لتنظروا صنائعه. (٢: ٤٩٢)

نحوه المَراغيّ. (٢٩: ٢٢)

البُرُوسَويّ: لتنظروا بها إلى الآيات التكوينيّة الشّاهدة بشؤون الله تعالى، ولتبصروا جميع مظاهره تعالى في غاية الكمال، ونهاية الإتقان. (١٠: ٩٤)

القاسميّ: أي العقول والإدراكات. (١٦: ٥٨٨٨)

الطَّباطَبائيّ: لايبعد أن يكون المراد بـ(السّمع والبصر) مطلق الحواسّ الظّاهرة، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكلّ. (١٩: ٣٦٣)

أبصارهم

١ـ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. البقرة: ٢٠

الطَّبَرِيّ: إنّما خصّ جلّ ذكره «السّمع والأبصار» بأنّه لو شاء أذهبها من المنافقين دون سائر أعضاء أجسامهم للّذي جرى من ذكرها في الآيتين، أعني قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ البقرة: ١٩، وقوله: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ فجرى ذكرها في الآيتين على وجه المثل.

فإن قال لنا قائل: كيف قيل: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ فوحّد، وقال: ﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾ فجمع، وقد علمت أنّ الخبر في «السّمع» خبر عن سمع جماعة، كما الخبر في «الأبصار» خبر عن أبصار جماعة؟

قيل: قد اختلف أهل العربيّة في ذلك، فقال بعض نحويّي الكوفة: وحّد «السّمع»، لأنّه عنى به المصدر، وقصد به الخَرْق، وجمع «الأبصار» لأنّه عنى به الأعين.

وكان بعض نحويّي البصرة يزعم أنّ «السّمع» وإن كان في لفظ واحد فإنّه بمعنى جماعة، ويحتجّ في ذلك بقول الله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ إبراهيم: ٤٣، يريد: لاترتدّ إليهم أطرافهم. وبقوله: ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ القمر: ٤٥، يراد به أدبارهم.

وإنّما جاز ذلك عندي، لأنّ في الكلام مايدلّ على أنّه مراد به «الجمع» فكان فيه دلالة على المراد منه، وأدّى معنى الواحد من السّمع عن معنى جماعة، مغنيًا عن جماعة. ولو فعل بـ«البصر» نظير الّذي فعل بـ«السّمع» أو فعل بـ«السّمع» نظير الّذي فعل بـ«الأبصار» من الجمع والتّوحيد، كان فصيحًا صحيحًا، لما ذكرنا من العلّة. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ١٥٩)

نحوه الطُّوسيّ (١: ٩٧)، والطَّبْرِسيّ (١: ٥٨).

البغَويّ: أي بأسماعهم وأبصارهم الظّاهرة، كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة.

وقيل: لذهب بما استفادوا من العزّ والأمان الّذي لهم بمنزلة السّمع والبصر. (١: ٩٢)

نحوه الخازن. (١: ٣٢)

٢ـ حَتّىٰ إِذَا مَاجَاؤُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فصّلت: ٢٠

الطَّبَريّ: (وَأَبْصَارُهُمْ) بما كانوا يبصرون به، وينظرون إليه في الدّنيا. (٢٤: ١٠٦)

الطَّبْرِسيّ: (وَأَبْصَارُهُمْ) بما رأوا من الآيات الدّالّة على وحدانيّة الله. (٥: ٩)

البُرُوسَويّ: بما نظرت إلى حرام. (٨: ٢٤٧)

القاسميّ: أي بأنّهم رأوا الآيات فلم يعتبروها ورأوا القبائح فاختاروها. (١٤: ٥١٩٥)

أَبْصَرَ

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ...

الأنعام: ١٠٤

الطَّبَريّ: يقول: فمن تبيّن حجج الله وعرفها، وأقرّ بها، وآمن بما دلّته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وماجاء به، فإنّما أصاب حظّ نفسه، ولنفسه عمل وإيّاها بغى الخير. (٧: ٣٠٥)

الطُّوسيّ: يعني من تبيّن بهذه الحجج بأن نظر فيها حتّى أوجبت له العلم، وتبيّن بها. (٤: ٢٤٥)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٢: ٣٤٥)

البغَويّ: أي فمن عرفها وآمن بها. (٢: ١٤٩)

القُرطُبيّ: الإبصار هو الإدراك بحاسّة البصر، أي فمن استدلّ وتعرّف، فنفسه نفع. (٧: ٥٧)

الخازن: يعني فمن عرف الآيات أو اهتدى بها إلى الحقّ. (٢: ١٣٩)

البُرُوسَويّ: أي الحقّ بتلك البصائر، وآمن به. (٣: ٨١)

أَبْصَرْنَا

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ.

السّجدة: ١٢

الطَّبَريّ: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ماكنّا نكذّب به من عقابك أهل معاصيك. (٢١: ٩٨)

الطُّوسيّ: معناه أبصرنا الرّشد. وقيل: معناه أبصرنا صدق وعدك، وسمعنا تصديق رسلك. وقيل: معناه إنّا كنّا بمنزلة العمي، فقد أبصرنا. (٨: ٣٠٠)

نحوه الزَّمَخْشَريّ (٣: ٢٤٢)، والطَّبْرِسيّ (٤: ٣٢٩).

القُرطُبيّ: (أَبْصَرْنَا) ماكنّا نكذّب (وَسَمِعْنَا) ماكنّا ننكر. وقيل: (أَبْصَرْنَا) صدق وعيدك، (وَسَمِعْنَا) تصديق رسلك. أبصروا حين لاينفعهم البصر، وسمعوا حين لاينفعهم السّمع.

وقيل: أي ربّنا لك الحجّة، فقد (أَبْصَرْنَا) رسلك وعجائب خلقك في الدّنيا، (وَسَمِعْنَا) كلامهم، فلاحجّة لنا. فهذا اعتراف منهم ثمّ طلبوا أن يُردّوا إلى الدّنيا

ليؤمنوا. (١٤: ٩٥)

البُرُوسَويّ: أي صرنا ممّن يبصر ويسمع، وحصل لنا الاستعداد لإدراك الآيات المبصرة والمسموعة، وكنّا من قبل عُميًا لاتُدرِك شيئًا.

(٧: ١١٥)

نحوه الآلوسيّ. (٢١: ١٢٧)

القاسميّ: أي علمنا مالم نعلم، وأيقنّا بما لم نكن به موقنين. (١٣: ٤٨١٤)

يُبْصِرُونَ

١ــ ...فَلَمَّا اَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَايُبْصِرُونَ. البقرة: ١٧

ابن عبّاس: أي يُبصرون الحقّ ويقولون به، حتّى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفؤوه بكفرهم ونفاقهم فيه، فتركهم في ظلمات الكفر، فهم لايبصرون هدًى، ولايستقيمون على حقّ. (الطَّبَريّ ١: ١٤٢)

المَيْبُديّ: إن قيل: من كان في الظّلمات لايرى شيئًا، فلِم قال: (لَايُبْصِرُونَ) بعد ماقال: (فِي ظُلُمَاتٍ)؟

قلت: إنّ بعض الحيوانات ترى في الظّلمة ولاتحول الظّلمة دون رؤيتها، فنفى الله عنهم الرّؤية والبصيرة، لأنّهم أضلّ من تلك الحيوانات، كما قال الله تعالى: ﴿اُولٰئِكَ كَالْاَنْعَامِ بَلْ هُمْ اَضَلُّ﴾ الأعراف: ١٧٩.

(١: ٨٦)

الطَّبْرِسيّ: أي لايُبصرون الطّريق. (١: ٥٥)

أبوالبَرَكات: (لَايُبْصِرُونَ) جملة فعليّة منفيّة في موضع نصب على الحال، من الهاء والميم في (تَرَكَهُمْ) أي تركهم في ظلمات غير مُبصرين. (١: ٦٠)

الفَخْرالرّازيّ: لِمَ حُذف أحد المفعولين من (لَايُبْصِرُونَ)؟

الجواب: أنّه من قبيل المتروك الّذي لايُلتفت إلى إخطاره بالبال، لامن قبيل المقدّر المنويّ، كأنّ الفعل غير متعدّ أصلًا. (٢: ٧٦)

ابن كثير: لايهتدون إلى سبيل خير، ولايعرفونها. (١: ٩٣)

أبوحَيّان: (لَايُبْصِرُونَ) جملة حاليّة. ولايجوز أن يكون (فِي ظُلُمَاتٍ) في موضع الحال، و(لَايُبْصِرُونَ) جملة في موضع المفعول الثّاني، وإن كان يجوز: ظننت زيدًا منفردًا لايخاف، وأنت تريد ظننت زيدًا في حال انفراده لايخاف، لأنّ المفعول الثّاني أصله خبر المبتدإ.

وإذا كان كذلك فلايأتي الخبر على جهة التّأكيد إنّما ذلك على سبيل بعض الأحوال لا الأخبار.

فإذا جعلت (فِي ظُلُمَاتٍ) في موضع الحال كان قد فهم منها أنّ من هو في ظلمة لايبصر، فلايكون في قوله: (لَايُبْصِرُونَ) من الفائدة إلّا التّوكيد؛ وذلك لايجوز في الأخبار. (١: ٨١)

نحوه الآلوسيّ. (١: ١٦٧)

رشيد رضا: حُذف مفعول (يُبْصِرُونَ) إيذانًا بالعموم، أي لايُبصرون مَسلكًا من مسالك الهداية، ولايرون طريقًا من طرقها، لأنّه صرف عنايته عنهم بتركهم سنّته وإهمالهم هدايته، ووكّلهم إلى أنفسهم. وياويل من وكّله الله إلى نفسه وحرمه توفيقه. نسأل الله العافية.

هذا المثل مضروب لفريق لاتُرجى هدايته، لأنّه سدّ على نفسه جميع أبواب الهداية، فلايثق بعقله ولا بحواسّه ولا بوجدانه إذا خالفت تقاليده. وعدم الإبصار بذهاب النّور غير كاف لتمثيل هذا اليأس والحرمان، لجواز أن يلوح بارق أو يذر شارق أو يصيح طارق، فتكون الهداية وتنكشف الغواية. (١: ١٧١)

٢ـ...لَهُمْ اَعْيُنٌ لَايُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ اٰذَانٌ لَايَسْمَعُونَ بِهَا... الأعراف: ١٧٩

الطَّبَريّ: معناه ولهم أعين لاينظرون بها إلى آيات الله وأدلّته، فيتأمّلوها ويتفكّروا فيها، فيعلموا بها صحّة ماتدعوهم إليه رسُلهم، وفساد ماهم عليه مقيمون، من الشّرك بالله وتكذيب رسله. (٧: ١٣٢)

البغَويّ: طريق الحقّ وسبيل الرّشاد. (٢: ٢٥٣)

البَيْضاويّ: أي لاينظرون إلى ماخلق الله نظر اعتبار. (١: ٣٧٨)

الخازن: يعني لايُبصرون بها طريق الحقّ والهُدى، ولاينظرون بها في آيات الله وأدلّة توحيده. (٢: ٢٦١)

أبوحَيّان: لمّا كانوا لايتدبّرون شيئًا من الآيات ولاينظرون إليها نظر اعتبار ولايسمعونها سماع تفكّر، جُعلوا كأنّهم فقدوا الفقه بالقلوب، والإبصار بالعيون، والسّماع بالآذان.

وليس المراد نفي هذه الإدراكات عن هذه الحواسّ، وإنّما المراد نفي الانتفاع بها، فيما طُلب منهم من الإيمان. (٤: ٤٢٧)

الآلوسيّ: فيقال: المراد لايُبصرون بها شيئًا من المُبصَرات، فيندرج فيه الشّواهد التّكوينيّة الدّالّة على الحقّ اندراجًا أوّليًّا. [إلى أن قال:]

المراد بالإبصار والسّماع المنفيّين: مايختصّ بالعقلاء من الإدراك، على ماهو وظيفة الثّقلين، لامايتناول مجرّد الاحساس بالشّبح والصّوت، كما هو وظيفة الأنعام. (٩: ١١٩)

القاسميّ: ﴿لَهُمْ اَعْيُنٌ لَايُبْصِرُونَ﴾ أي دلائل وحدته بصَر اعتبار. (٧: ٢٩٠٨)

الطَّباطَبائيّ: إشارة إلى بطلان استعدادهم للوقوع في مجرى الرّحمة الإلهيّة، والوقوف في مَهبّ النّفحات الرّبّانيّة، فلاينفعهم مايشاهدونه من آيات الله، ومايسمعونه من مواعظ أهل الحقّ، وماتُلقّنه لهم فطرتهم من الحجّة والبيّنة. (٨: ٣٣٥)

٣ـ وَاِنْ تَدْعُوهُمْ اِلَى الْهُدٰى لَايَسْمَعُوا وَتَرٰيهُمْ يَنْظُرُونَ اِلَيْكَ وَهُمْ لَايُبْصِرُونَ. الأعراف: ١٩٨

الحسَن: ﴿وَاِنْ تَدْعُوهُمْ اِلَى الْهُدٰى﴾ يعني المشركين لايسمعوا ولايعقلوا ذلك بقلوبهم، وتراهم ينظرون إليك بأعينهم وهم لايُبصرون بقلوبهم. (البغَويّ ٢: ٢٦٠)

الطَّبَريّ: معنى الكلام: وترى يامحمّد آلهة هؤلاء المشركين ـ من عبدة الأوثان ـ يقابلونك ويحاذونك وهم لايُبصرونك، لأنّه لاأبصار لهم. (٩: ١٥٣)

الزّمَخشَريّ: وهم لايُدركون المرئيّ. (٢: ١٣٨)

الفَخرالرّازيّ: فيه قولان:

القول الأوّل: أنّ المراد منه وصف الأصنام بهذه الصّفات.

والقول الثّاني: أنّ هذه الأحوال المذكورة صفات لهؤلاء المشركين، فإن حملنا هذه الصّفات على الأصنام قلنا: المراد من كونها ناظرة: كونها مقابلة بوجهها وجوه القوم، من قولهم: جبلان متناظران، أي متقابلان.

فإن حملناها على المشركين، فالمعنى أنّهم وإن كانوا ينظرون إلى النّاس، إلّا أنّهم لشدّة إعراضهم عن الحقّ لم ينتفعوا بذلك النّظر والرّؤية، فصاروا كأنّهم عُمْيٌ.

وهذه الآية تدلّ على أنّ النّظر غير الرّؤية، لأنّه تعالى أثبت النّظر ونفى الرّؤية؛ وذلك يدلّ على التّغاير.

وأُجيب عن هذا الاستدلال، فقيل: معناه تحسبهم أنّهم ينظرون إليك مع أنّهم في الحقيقة لاينظرون، أي تظنّ أنّهم ينظرونك مع أنّهم لايُبصرونك. والرّؤية بمعنى الحسبان واردةً، قال: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ الحجّ: ٢. (١٥: ٩٥)

البُرُوسَويّ: حال من فاعل (يَنْظُرُونَ) أي والحال أنّهم غير قادرين على الإبصار، وهو بيان عجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السّمع. وقيل: ضمير الفاعل في (تَرَيهُمْ) لرسول الله ﷺ، وضمير المفعول للمشركين، على أنّ التّعليل قد تمّ عند قوله تعالى: (لَايَسْمَعُوا) أي وترى المشركين يامحمّد ينظرون إليك بأعينهم وهم لايُبصرونك ببصائرهم، أي كما أنت عليه، فهم غائبون عنك في الحقيقة إلّا أن يُقرّوا بالتّوحيد وصِدق الرّسالة. (٣: ٢٩٧)

الآلوسيّ: بيان لعجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السّمع، وبهذا ـ على ماقيل ـ تمّ التّعليل لعدم المبالاة، فلاتكرار أصلاً. وقال الواحديّ: إنّ مامرّ للفرق بين مَن تجوز عبادته وغيره، وهذا جواب ورد لتخويفهم له صلّى الله تعالى عليه وسلّم بآلهتهم.

والرّؤية بصريّة، وجملة (يَنْظُرُونَ) في موضع الحال من المفعول الرّاجع للأصنام، والجملة الاسميّة حال من فاعل (يَنْظُرُونَ) والخطاب لكلّ واحد من المشركين.

والمعنى: وترى الأصنام رأي العين يشبهون النّاظر إليك ويخيّل لك أنّهم يُبصرون لما أنّهم صُنع لهم أعين مركّبة بالجواهر المتلألئة، وصُوّرت بصورة من قلب حدقته إلى الشّيء ينظر إليه، والحال أنّهم غير قادرين على الإبصار.

وتوجيه الخطاب إلى كلّ واحد من المشركين دون الكلّ، من حيث هو كلّ، كالخطابات السّابقة للإيذان، بأنّ رؤية الأصنام على الهيئة المذكورة لايتسقّ للكلّ معًا، بل لكلّ من يواجهها. (٩: ١٤٦)

المَراغيّ: أي وتراهم أيّها المخاطب ينظرون إليك بما وضع لهم من أعين صناعيّة وحَدَق زجاجيّة أو جوهريّة، موجّهة إلى من يدخل عليها، كأنّها تنظر إليه وهم لايُبصرون بها، لأنّ حاسّة الإبصار لاتحصل بالصّناعة، وإنّما هي من خواصّ الحياة الّتي استأثر الله بها. (٩: ١٤٦)

٤ـ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ اِلَيْكَ اَفَاَنْتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَايُبْصِرُونَ. يونس: ٤٣

الفَخْرالرّازيّ: ومن النّاس من قال: البصر أفضل

من السّمع، ويدلّ عليه وجوه[1]:

الحجّة الأُولى: أنّهم قالوا في المثَل المشهور: ليس وراء العيان بيان، وذلك يدلّ على أنّ أكمل وجوه الإدراكات هو الإبصار.

الحجّة الثّانية: أنّ آلة القوّة الباصرة هو النّور وآلة القوّة السّامعة هي الهواء، والنّور أشرف من الهواء، فالقوّة الباصرة أشرف من القوّة السّامعة.

الحجّة الثّالثة: أنّ عجائب حكمة الله تعالى في تخليق العين الّتي هي محلّ الإبصار أكثر من عجائب خلقته في الأُذن الّتي هي محلّ السّماع، فإنّه تعالى جعل تمام روح واحد من الأرواح السّبعة الدّماغيّة من العصَب آلة للإبصار، وركّب العين من سبع طبقات، وثلاث رطوبات، وخلق لتحريكات العين عضلات كثيرة على صور مختلفة؛ والأُذن ليس كذلك. وكثرة العناية في تخليق الشّيء تدلّ على كونه أفضل من غيره.

الحجّة الرّابعة: أنّ البصر يرى ماحصل فوق سبع سماوات، والسّمع لايُدرك مابَعُد منه على فرسخ؛ فكان البصر أقوى وأفضل. وبهذا البيان يُدفع قولهم: إنّ السّمع يُدرك من كلّ الجوانب، والبصر لايُدرك إلّا من الجانب الواحد.

الحجّة الخامسة: أنّ كثيرًا من الأنبياء سَمِع كلام الله في الدّنيا، واختلفوا في أنّه هل رآه أحد في الدّنيا أم لا؟ وأيضًا فإنّ موسى عليه السلام سَمِع كلامه من غير سبق سؤال والتماس، ولمّا سأل الرّؤية قال: (لَنْ تَرَانِي)، وذلك يدلّ على أنّ حال الرّؤية أعلى من حال السّماع.

الحجّة السّادسة: قال ابن الأنباريّ: كيف يكون السّمع أفضل من البصر وبالبصر يحصل جمال الوجه، وبذهابه عيبه، وذهاب السّمع لايورث الإنسان عيبًا، والعرب تُسمّي العينين: الكريمتين، ولاتصف السّمع بمثل هذا؟ ومنه الحديث، يقول الله تعالى: «مَنْ أذهَبْتُ كريمتَه فصبر واحتسب، لم أرضَ له ثوابًا دون الجنّة».

(١٧: ١٠٢)

هناك أبحاثٌ أُخرى راجع «ع م ي».

٥ ـ ...وَمَاكَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَاكَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَاكَانُوا يُبْصِرُونَ. هود: ٢٠

قَتادَة: صُمٌّ عن الحقّ فما يسمعونه، بُكْمٌ فما ينطقون به، عُمْيٌ فلايبصرونه ولاينتفعون به.

(الطّبَريّ ١٢: ٢٢)

الطّبَريّ: أنّهم لايسمعون الحقّ، ولايبصرون حُجج الله، سماع منتفع، ولاإبصار مهتدٍ. (١٢: ٢٢)

الطّبْرِسيّ: بما كانوا يستطيعون الإبصار فلايُبصرون عنادًا وذهابًا عن الحقّ، فأُسقطت الباء عن الكلام. (٣: ١٥١)

نحوه شُبّر. (٣: ٢٠٨)

الفَخْرالرّازيّ: والمراد: ماهم عليه في الدّنيا من صمم القلب وعمَى النّفس. [إلى أن قال:]

فقيل: المراد منه: البصيرة، وقيل: المراد منه: أنّهم عدلوا عن إبصار مايكون حجّة لهم. (١٧: ٢٠٦)

المَراغيّ: وماكانوا يُبصرون مايدلّ على صِدْقه في

(١) هكذا في المتن، والظّاهر: حُجج.

الأنفس وفي الآفاق. (١٢: ٢٢)

٦ـ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ. السّجدة: ٢٧

الطَّبَريّ: يقول تعالى ذكره: أفلا يرون ذلك بأعينهم، فيعلموا برؤيتهموه أنّ القدرة الّتي بها فعلتُ ذلك لايتعذّر عليّ أن أُحيي بها الأموات وأنشرهم من قبورهم، وأُعيدهم بهيئاتهم الّتي كانوا بها قبل وفاتهم. (٢١: ١١٥)

نحوه القُرطُبيّ. (١٤: ١١١)

الطُّوسيّ: بأن يفكّروا في ذلك، فيدلّهم على أنّه لايقدر على ذلك أحد غير الله الّذي لاشريك له. (٨: ٣١٠)

الخازن: يعني فيعتبروا. (٥: ١٨٩)

أبوالسُّعود: أي ألا ينظرون؟ فلايُبصرون ذلك، ليستدلّوا به على كمال قدرته تعالى وفضله. (٥: ٢٠٧)

نحوه البُرُوسَويّ. (٧: ١٢٨)

الآلوسيّ: أي ألا يُبصرون؟ فلايبصرون ذلك ليستدلّوا به على كمال قدرته تعالى وفضله عزّوجلّ.

وجُعلت الفاصلة هنا (يُبْصِرُونَ) لأنّ ماقبله مرئيّ، وفيما قبله (يَسْمَعُونَ) لأنّ ماقبله مسموع.

وقيل: ترقّيًا إلى الأعلى في الاتّعاظ مبالغة في التّذكير ورفع العذر.

وقرأ ابن مسعود (تُبْصِرُونَ) بالتّاء الفوقيّة. (٢١: ١٤٠)

نحوه القاسميّ. (١٣: ٤٨١٨)

المَراغيّ: أي أفلا يرون ذلك بأعينهم، فيعلموا أنّ القدرة الّتي بها فعلنا ذلك لايتعذّر عليها أن تُحيي الأموات، وتنشرهم من قبورهم، وتُعيدهم بهيئاتهم الّتي كانوا عليها قبل موتهم. (٢١: ١١٩)

الطَّباطَبائيّ: تنبيه وتوبيخ، وتخصيص هذه الآية بالإبصار والآية السّابقة بالسّمع، لما أنّ العِلم بإهلاك الأُمم الماضين إنّما هو بالأخبار الّتي تنال من طريق السّمع. وأمّا العِلم بسوق الأمطار إلى الأرض الجُرُز وإخراج الزّرع واغتذاء الأنعام والإنسان، فالطّريق إليه حاسّة البصر. (١٦: ٢٦٧)

٧ـ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَايُبْصِرُونَ. يس: ٩

قَتادَة: هُدًى ولاينتفعون به. (الطَّبَريّ ٢٢: ١٥٢)

نحوه الطَّبَريّ. (٢٢: ١٥٢)

السُّدّيّ: عمدًا حين ائتمروا على قتله.

(القُرطُبيّ ١٥: ١٠)

الطُّوسيّ: أي حكمنا عليهم بأنّهم كمن غُشي بصره فهم لايُبصرون لذلك.

وقيل: أغشيناهم بظلمة الكفر فهم لايُبصرون الهدى.

وقيل: بظلمة اللّيل فهم لايُبصرون النّبيّ ﷺ.

(٨: ٤٤٦)

الطَّبْرِسيّ: [قال نحو الطُّوسيّ وأضاف:]

وقيل: فأغشيناهم العذاب فهم لايُبصرون النّار.

وقيل: معناه أنّهم لمّا انصرفوا عن الإيمان والقرآن لزمهم ذلك حتّى لم يكادوا يتخلّصون منه بوجهٍ، كالمغلول والمسدود عليه طُرُقه. (٤: ٤١٧)

البَغَويّ: سبيل الهدى. (٤: ٧)

مثله الخازن. (٦: ٣)

الفَخْرالرّازيّ: يُحتمل أنّهم لايُبصرون شيئًا. ويُحتمل أن يكون المراد هو أنّ الكافر مصدود، وسبيل الحقّ عليه مسدود، وهو لايُبصر السّدّ ولايعلم الصّدّ، فيظنّ أنّه على الطّريقة المستقيمة، وغير ضالّ. (٢٦: ٤٦)

البُرُوسَويّ: فأخذ الله تعالى أبصارهم عنه عليه السلام فلم يُبصروه. (٧: ٣٧٣)

الآلوسيّ: لايقدرون على إبصار شيء ما أصلًا. (٢٢: ٢١٥)

الطَّنطاويّ: شبّههم بمن أحاط بهم سدّان، فغُطّيت أبصارهم بحيث لايرون ماأمامهم وماخلفهم، فهم محبوسون في مطمورة الجهالة، ممنوعون عن النّظر في الآيات. وتكون نتيجة ذلك مابعده وهو ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَاَنْذَرْتَهُمْ اَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَايُؤْمِنُونَ﴾ يس: ١٠، لأنّ من يُرد الله إضلاله لاينفع تخويفه. (١٧: ١٤٢)

٨ ـ وَاَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ. الصّافّات: ١٧٥

قَتادَة: حين لاينفعهم البصر. (الطَّبَريّ ٢٣: ١١٥)

ابن زَيْد: يقول: انظُرهم فسوف يُبصرون مالهم بعد اليوم، يقول: يُبصرون يوم القيامة ماضيّعوا من أمر الله وكفرهم بالله ورسوله وكتابه فأبصرهم، وأبصر واحد. (الطَّبَريّ ٢٣: ١١٥)

الطَّبَريّ: وانظُرهم فسوف يرون مايحلّ بهم من عقابنا. (٢٣: ١١٥)

الطَّبْرِسيّ: قيل: وأبصِرهم إذا نزل بهم العذاب فسوف يُبصرون. وقيل: وأبصِر حالهم بقلبك فسوف يُبصرون ذلك في القيامة معاينة.

وفي هذا إخبار بالغيب، لأنّه وعد نبيّه صلى الله عليه وآله بالنّصر والظّفر، فوافق الخبرَ المخبرُ وكأنّهم قالوا: متى هذا العذاب؟ فأنزل الله ﴿اَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ الصّافّات: ١٧٦. (٤: ٤٦٣)

الطُّوسيّ: أبصِر حالهم بقليل. وقيل: أبصِرهم في وقت البصر.

وفي الآية دلالة على المعجز، لأنّه تعالى وعد نبيّه بالنّصر، فكان الأمر على ماقال. (٨: ٥٣٨)

المَيْبُديّ: ﴿وَاَبْصِرْهُمْ﴾ أي أبصِر ماينالهم يومئذ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ذلك.

وقيل: أبصِر حالهم بقلبك ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ معاينة.

وقيل: أعلِمهم فسوف يعلمون.

وقيل: أبصر ماضيّعوا من أمرنا ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ مايحلّ بهم من عذابنا. (٨: ٣١٢)

الزَّمَخْشَريّ: ﴿وَاَبْصِرْهُمْ﴾ ومايقضي عليهم من الأسر والقتل والعذاب في الآخرة، فسوف يبصرونك ومايقضى لك من النّصرة والتّأييد والثّواب في العاقبة.

والمراد بالأمر بإبصارهم ـ على الحال المنتظرة الموعودة ـ الدّلالة على أنّها كائنة واقعة لامحالة، وأنّ

كينونتها قريبة، كأنّها قُدّام ناظريك، وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ للوعيد كما سلف لا للتّبعيد، مثل العذاب النّازل بهم بعد ماأنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعضُ نُصّاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره ولاأخذوا أُهبتهم، ولادبّروا أمرهم تدبيرًا يُنجّيهم، حتّى أناخ بفنائهم بغتةً، فشنّ عليهم الغارة وقطع دابرهم. (٣: ٣٥٧)

القُرطُبيّ: وعبّر بالإبصار عن تقريب الأمر، أي عن قريب يُبصرون. وقيل: المعنى فسوف يبصرون العذاب يوم القيامة. (١٥: ١٣٩)

أبوحَيّان: (وَأَبْصِرْهُمْ) أي انظر إلى عاقبة أمرهم، فسوف يُبصرونها ومايحلّ بهم من العذاب والأسر والقتل، أو سوف يُبصرونك ومايتمّ لك من الظّفر بهم والنّصر عليهم.

وأمرُه بإبصارهم إشارة إلى الحالة المنتظرة الكائنة لامحالة، وأنّها قريبة كأنّها بين ناظرَيه؛ بحيث هو يُبصرها. وفي ذلك تسلية وتنفيس عنه ﷺ.

(٧: ٣٨٠)

البُرُوسَويّ: (وَأَبْصِرْهُمْ) على أسوء حال وأفظع نكال حلّ بهم من القتل والأسر. والمراد بالأمر بإبصارهم: الإيذان بغاية قربه، كأنّه بين يديه يُبصره في الوقت، وإلّا فتعلّق الإبصار لم يكن حاضرًا عند الأمر ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ مايقع حينئذٍ من الأُمور.

وفي «التّأويلات النّجميّة»: وأبْصِر أحوالهم (فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) جزاء ماعملوا من الخير والشّرّ، انتهى.

و(سَوْفَ) للوعيد، ليتوبوا ويؤمنوا دون التّبعيد، لأنّ تبعيد الشّيء المُحذَّر منه كالمنافي لإرادة التّخويف به، ولمّا نزل ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ قالوا استعجالًا واستهزاءً لفرط جهلهم: متى هذا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ الصّافّات: ١٧٦. (٧: ٤٩٨)

الآلوسيّ: مايكون لك من مزيد الثّواب. و(سَوْفَ) للوعيد لاللتّسويف والتّبعيد الّذي هو حقيقتها، وقرب ماحلّ بهم مستلزم لقرب مايكون له عليه الصّلاة والسّلام، فهو قرينة على عدم إرادة التّبعيد منه.

(٢٣: ١٥٦)

المَراغيّ: أي وانظُرْ وارتَقِبْ مايحلّ بهم من العذاب والنّكال بمخالفتك وتكذيبك (وَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) انتشار دينك وإقبال النّاس عليه أفواجًا زرافاتٍ ووحدانًا، مصداقًا لوعده بقوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا﴾ النّصر: ١، ٢. (٢٣: ٩١)

الطَّباطَبائيّ: الأمر بالإبصار والإخبار بإبصارهم عاجلًا، وعطف الكلام على الأمر بالتّولّي مُعجّلًا يفيد بحسب القياس أنّ المعنى: انظُرهم وأبصِر ماهم عليه من الجحود والعناد قبال إنذارك وتخويفك ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ وبالَ جحودهم واستكبارهم. (١٧: ١٧٨)

٩ـ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ. القلم: ٥

ابن عبّاس: معناه فستعلم ويعلمون يوم القيامة. (القُرطُبيّ ١٨: ٢٢٩)

مُقاتِل : إنّ ذلك وعيد بعذاب يوم بدر.

(الآلوسيّ ٢٩: ٢٦)

الطُّوسيّ : معناه فستعلم يامحمّد يوم القيامة ويعلمون، يعني هؤلاء الكفّار الّذين يرمونك بالجنون تارةً وبالكهانة أُخرى. (١٠: ٧٥)

البغَويّ : فسترى يامحمّد ويرون، يعني أهل مكّة إذا أُنزل بهم العذاب. (٥: ١٣٥)

نحوه الخازن. (٧: ١١٠)

الطَّبْرِسيّ : أي فسترى يامحمّد ويرون، يعني الّذين رموه بالجنون. (٥: ٣٢٣)

الفَخْرالرّازيّ: أي فسترى يامحمّد ويرون، يعني المشركين. وفيه قولان:

منهم من حمل ذلك على أحوال الدّنيا، يعني ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ في الدّنيا أنّه كيف يكون عاقبة أمرك وعاقبة أمرهم، فإنّك تصير مُعظّمًا في القلوب، ويصيرون ذليلين ملعونين، وتستولي عليهم بالقتل والنّهب. قال مُقاتِل: هذا وعيد بالعذاب ببدر.

ومنهم من حمله على أحوال الآخرة، وهو كقوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ القمر: ٢٦.

(٣٠: ٨٢)

القُرطُبيّ : وقيل: فسترى ويرون يوم القيامة حين يتبيّن الحقّ والباطل. (١٨: ٢٢٩)

البُرُوسَويّ : يقال: أبصَرتُه وبَصُرتُ به: علمته وأدركته. فإنّ «البصر» يقال للجارحة النّاظرة، ولقوّة القلب المدركة، ولايكاد يقال للجارحة: بصيرة. وفي «تاج المصادر» الإبصار: رؤية بالعين والقلب.

فالمعنى فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبيّن الحقّ من الباطل.

وقال القاشانيّ: فستبصر ويُبصِرون عند كشف الغطاء بالموت.

ولذا قال الكاشفيّ: اعلم إذا نزل بهم العذاب عَلموا أأنت مجنون أم إيّاهم؟

وهو الأوضح، ففيه وعد لرسول الله ﷺ بغلبة الإسلام وأهله، وبالانتقام من الأعداء. (١٠: ١٠٨)

الآلوسيّ : وقيل: فستبصر ويُبصرون في الدّنيا بظهور عاقبة الأمر، بغلبة الإسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنّهب، وصيرورتك مهيبًا مُعظّمًا في قلوب العالمين، وكونهم أذلّة صاغرين، ويشمل هذا ماكان يوم بدر. (٢٩: ٢٦)

المَراغيّ : أي فستعلم أيّها الرّسول وسيعلم مكذّبوك مَن المفتون الضّالّ منكم ومنهم؟ ونحو الآية قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ القمر: ٢٦، وقوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ سبأ: ٢٤.

والخلاصة: ستبصر ويُبصرون غلبة الإسلام، واستيلاءك عليهم بالقتل والأسر، وهيبتك في أعين النّاس أجمعين، وصيرورتهم أذلّاء صاغرين.

وهذا يشمل ماكان في بدر، وغيرها من الوقائع الّتي كان فيها النّصر المبين للمؤمنين، والخزي والهوان وذهاب صولة المشركين، ممّا كان عبرة ومثلًا للآخرين. (٢٩: ٢٩)

الطَّباطَبائيّ : تفريع على مُحصّل ماتقدّم، أي فإذا

لم تكن مجنونًا بل متلبّسًا بالنّبوّة ومتخلّقًا بالخُلُق ولك عظيم الأجر من ربّك، فسيظهر أمر دعوتك، وينكشف على الأبصار والبصائر مَن المفتون بالجنون أنت أو المكذّبون الرّامون لك بالجنون؟

وقيل: المراد ظهور عاقبة أمر الدّعوة له ولهم في الدّنيا أو في الآخرة. الآية تقبل الحمل على كلّ منها ولكلّ قائل، ولامانع من الجمع، فإنّ الله تعالى أظهر نبيّه عليهم، ودينه على دينهم، ورفع ذكره ﷺ، ومحا أثرهم في الدّنيا، وسيذوقون وبال أمرهم غدًا، ويعلمون أنّ الله هو الحقّ المبين ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هٰذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ الذّاريات: ١٣، ١٤.
(١٩: ٣٧٠)

تُبْصِرُونَ

١ـ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ اَفَلَا تُبْصِرُونَ.
القصص: ٧٢

الطّبَريّ: يقول: أفلا ترون بأبصاركم اختلاف اللّيل والنّهار عليكم، رحمةً من الله لكم، وحجّةً منه عليكم؛ فتعلموا بذلك أنّ العبادة لاتصلح إلّا لمن أنعم عليكم بذلك دون غيره، ولمن له القدرة الّتي خالف بها بين ذلك.
(٢٠: ١٠٣)

الطّوسيّ: معناه أفلا تتفكّرون فيما ترونه؟ لأنّ من لايتدبّر بما يراه من الحجج والبراهين، فكأنّه لم يرها.
وقيل: معناه أفلا تعلمون.
(٨: ١٧٣)

الزّمخشريّ: وقرن باللّيل (اَفَلَاتُبْصِرُونَ) لأنّ غيرك يُبصِر من منفعة الظّلام ماتُبصره أنت من السّكون ونحوه.
(٣: ١٨٩)

الطّبْرِسيّ: أي أفلا تعلمون من البصيرة. وقيل: أفلا تشاهدون اللّيل والنّهار، وتتدبّرون فيهما، فتعلموا أنّهما من صنع مُدبّر حكيم.
(٤: ٢٦٣)

الفَخْرالرّازيّ: معناه أفلا تُبصِرون ماأنتم عليه من الخطأ والضّلال.
(٢٥: ١٢)

نحوه القُرطُبيّ.
(١٣: ٣٠٨)

الآلوسيّ: الشّواهد المنصوبة الدّالّة على القدرة الكاملة، لتتفقوا على أنّ غير الله تعالى لاقدرة له على ذلك، ويُعلم ممّا ذكرنا أنّ كلًّا من جملتي: (اَفَلَا تَسْمَعُونَ) و(اَفَلَا تُبْصِرُونَ) تذييل للتّوبيخ الّذي يعطيه قوله تعالى: ﴿اَرَاَيْتُمْ اِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ...﴾ القصص: ٧١، قبله.
(٢٠: ١٠٧)

الطّباطبائيّ: أي إبصار تفهّم وتذكّر، وإذ لم يُبصِروا ولم يسمعوا فهم عُمْيٌ صُمٌّ.

ومن اللّطيف تذييل الآيتين بقوله: ﴿اَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ﴿اَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. ولعلّ آية النّهار خصّ بالإبصار، لمناسبة ضوء النّهار الإبصار، وبقي السّمع لآية اللّيل، وهو لايخلو من مناسبة معه.
(١٦: ٧١)

٢ـ وَنَادٰى فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ اَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهٰذِهِ الْاَنْهَارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى اَفَلَا تُبْصِرُونَ.
الزّخرف: ٥١

الطّبَريّ: (اَفَلَا تُبْصِرُونَ) أيّها القوم ماأنا فيه من النّعيم والخير، ومافيه موسى من الفقر وعيّ اللّسان؟
(٢٥: ٨١)

البَغَويّ : عظمتي ، وشدّة مُلكي. (٤: ١٦٤)

مثله الخازن. (٦: ١١٥)

الطُّوسيّ : إنّ مايدّعيه حقّ، وإنّ مايقوله موسى باطل. (٩: ٢٠٧)

الطَّبْرِسيّ : هذا المُلك العظيم وقوّتي، وضعف موسى. (٥: ٥١)

نحوه القُرطُبيّ. (١٦: ٩٩)

الآلوسيّ : على تقدير المفعول، أي أفلاتُبصرون ذلك؟ أي ماذُكر. ويجوز أن ينزّل منزلة اللّازم، والمعنى: أليس لكم بصر أو بصيرة.

وقرأ عيسى (تُبصِرون) بكسر النّون، فتكون الياء الواقعة مفعولاً محذوفة.

وقرأ فَهْد بن الصّقر (يُبْصِرُونَ) بياء الغيبة، ذكره في «الكامل» للهزليّ والسّاجيّ عن يعقوب، ذكره ابن خالويه.

ولايخفى مابين افتخار اللّعين بمُلك مصر ودعواه الرّبوبيّة من البُعد البعيد. (٢٥: ٨٨)

الطَّباطَبائيّ : في معنى تكرير الاستفهام السّابق، في قوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ . (١٨: ١١٠)

٣ـ وَفِي اَنْفُسِكُمْ اَفَلَا تُبْصِرُونَ. الذّاريات: ٢١

مُقاتِل : ﴿اَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ كيف خلقكم، فتعرفوا قدرته على البعث. (البَغَويّ ٤: ٢٨٤)

نحوه الخازن. (٦: ٢٠٣)

الطَّبَريّ : يقول: أفلا تنظرون في ذلك، فتتفكّروا فيه فتعلموا حقيقة وحدانيّة خالقكم. (٢٦: ٢٠٤)

الطُّوسيّ : معناه (وَفِي اَنْفُسِكُمْ) أفلا تتفكّرون، بأن تروها مصرّفة من حال إلى حال، ومنتقلة من صفة إلى أُخرى، فكنتم نُطَفًا فصرتم أحياء، ثمّ كنتم أطفالاً فصرتم شبابًا، ثمّ صرتم كُهولاً، وكنتم ضعفاء فصرتم أقوياء.

فهلّا دلّكم ذلك على أنّ لها صانعًا صنعها ومدبّرًا دبّرها يُصرّفها على ماتقتضيه الحكمة، ويُدبّرها بحسب ماتوجبه المصلحة.

وقيل: المعنى ﴿اَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ بقلوبكم نظر مَن كأنّه يرى الحقّ بعينه. (٩: ٣٨٥)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ١٥٦)

القُرطُبيّ : يعني بصر القلب، ليعرفوا كمال قدرته.

وقيل: إنّه نُجْح العاجز، وحِرْمان الحازم. (١٧: ٤٠)

البُرُوسَويّ : أي ألاتنظرون فلاتُبصِرون بعين البصيرة، حتّى تعتبروا وتستدلّوا بالصّنعة على الصّانع وبالنّقش على النّقّاش، وكذا على صفاته. (٩: ١٥٨)

الآلوسيّ : أي ألاتنظرون فلاتُبصرون بعين البصيرة. وهو تعنيف على ترك النّظر في الآيات الأرضيّة والنّفسيّة. (٢٧: ٩)

الطَّباطَبائيّ : أي وفي أنفسكم آيات ظاهرة لمن أبصَر إليها، وركّز النّظر فيها، أفلاتبصرون؟ (١٨: ٣٧٣)

٤ـ اَفَسِحْرٌ هٰذَا اَمْ اَنْتُمْ لَاتُبْصِرُونَ. الطّور: ١٥

الطَّبَريّ : يقول تعالى مخبرًا عمّا يقول لهؤلاء

المكذّبين الّذين وصف صفتهم إذا وردوا جهنّم يوم القيامة: أفسحرٌ أيّها القوم هذا الّذي وردتموه الآن، أم أنتم لاتعاينونه ولاتبصرونه؟ وقيل: هذا لهم توبيخًا لااستفهامًا. (٢٧: ٢٣)

الزّمَخشَريّ: يعني كنتم تقولون للوحي: هذا سحر (أَفَسِحْرٌ هٰذَا) يريد أهذا المصداق أيضًا سحر؟ ودخلت الفاء لهذا المعنى ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَاتُبْصِرُونَ﴾ كما كنتم لاتُبصرون في الدّنيا، يعني أم أنتم عُمْيٌ عن المخبَر عنه كما كنتم عُمْيًا عن الخبر؟ وهذا تقريع وتهكّم. (٤: ٢٣)

نحوه القُرطُبيّ (١٧: ٦٤)، والبُرُوسَويّ (٩: ١٨٩)، والقاسميّ (١٥: ٥٥٤٣)، والمَراغيّ (٢٧: ٢٠).

٥ ـ وَنَحْنُ اَقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلٰكِنْ لَاتُبْصِرُونَ.

الواقعة: ٨٥

الطُّوسيّ: معناه لكن لاتعلمون ذلك، لجهلكم بالله، وبما يجوز عليه ومالايجوز. ويحتمل أن يكون المراد: ولكن لاتُبصرون الله، لأنّ الرّؤية مستحيلة عليه.

وقيل: معناه ولكن لاتبصرون الملائكة الّتي تتولّى قبض روحه. (٩: ٥١٢)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٥: ٢٢٧)

القُرطُبيّ: أي لاترونهم. (١٧: ٢٣١)

أبوحَيّان: (وَلٰكِنْ لَاتُبْصِرُونَ) من البصيرة بالقلب أو أقرب، أي ملائكتنا ورسلنا. (وَلٰكِنْ لَاتُبْصِرُونَ) من البصر بالعين، ثمّ عاد التّوقيف والتّقدير ثانية بلفظ التّخصيص. (٨: ٢١٥)

البُرُوسَويّ: لاتُدركون كنه مايجري عليه، لجهلكم بشؤوننا. فقوله: (لَاتُبْصِرُونَ) من البصيرة لامن البصر، والأقرب تفسيره بقوله: لاتُدركون كوننا أعلم به. (٩: ٣٤٠)

شُبّر: لاتُدركون ذلك ببصر ولابصيرة، لأنّه عالَم آخر لامدخل له بهذا العالَم. (٦: ١٥١)

الآلوسيّ: لاتُدركون كوننا أقرب إليه منكم لجهلكم بشؤوننا، وقد علمت أنّ الخطاب للكفّار.

وقيل: لاتُدركون كنه مايجري عليه، على أنّ الاستدراك من تنظرون، والإبصار من البصر بالعين تُجوِّز به عن الإدراك، أو هو من البصيرة بالقلب.

وقيل: أُريد بأقربيّته تعالى إليه منهم أقربيّة رسوله عزّوجلّ، أي ورسلنا الّذين يقبضون روحه ويعالجون إخراجها أقرب إليه منكم، ولكن لاتبصرونهم. (٢٧: ١٥٨)

القاسميّ: قال جمهور السّلف: يعني ملَك الموت أدنى إليه من أهله، ولكن لاتُبصرون الملائكة أو لاتُدركون كنه مايقاسيه. (١٦: ٥٦٦٦)

نحوه الطَّباطَبائيّ. (١٩: ١٣٩)

٦ ـ فَلَا اُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَاتُبْصِرُونَ.

الحاقّة: ٣٨، ٣٩

ابن عَبّاس: بما ترون وبما لاترون.

(الطَّبَريّ ٢٩: ٦٦)

نحوه القُرطُبيّ. (١٨: ٢٧٤)

ماتبصرون من آثار القدرة، ومالاتبصرون من

أسرار القدرة. (أبوحيّان ٨: ٣٢٨)

البغَويّ: أي بما ترون وبما لاترون.

وقيل: وماتبصرون ماعلى وجه الأرض، ومالاتبصرون مافي بطنها.

وقيل: ماتبصرون من الأجسام، ومالاتبصرون من الأرواح.

وقيل: ماتبصرون الإنس، ومالاتبصرون الملائكة والجنّ.

وقيل: ماتبصرون ماأظهر للملائكة واللّوح والقلم، ومالاتبصرون مااستأثر بعلمه، فلم يطّلع عليه أحدًا. (٥: ١٤٩)

نحوه الزّمخشريّ (٤: ١٥٤)، والخازن (٧: ١٢٢).

الفَخْرالرّازيّ: يعمّ جميع الأشياء على الشّمول، لأنّها لاتخرج من قسمين: مُبصَر وغير مُبصَر، فشمل الخالق والخلق، والدّنيا والآخرة، والأجسام والأرواح، والإنس والجنّ، والنّعم الظّاهرة والباطنة. (٣٠: ١١٦)

نحوه أبوالسّعود (٦: ٢٩٧)، والآلوسيّ (٢٩: ٥٢).

شُبّر: بالمخلوقات كلّها، أو بها وبخالقها. (٦: ٢٧٦)

البُرُوسَويّ: قسَم عظيم، لأنّه قسَم بالأشياء كلّها، على سبيل الشّمول والإحاطة، لأنّها لاتخرج عن قسمين: مُبصَر، وغير مُبصَر، فالمُبصَر: المشاهدات، وغير المبصَر: المغيبات، فدخل فيها الدّنيا والآخرة، والأجسام والأرواح، والإنس والجنّ، والخلق والخالق، والنّعم الظّاهرة والباطنة، وغير ذلك ممّا يكون لائقًا بأن يكون مُقسمًا به، إذ من الأشياء مالايليق بأن يكون مُقسمًا به، وإليه الإشارة بقول القاشانيّ: أي الوجود كلّه ظاهرًا وباطنًا، وبقول ابن عطاء: آثار القدرة وأسرارها، وبقول الشّيخ نجم الدّين: بما تبصرون من المشهودات والمحسوسات بأبصار الظّواهر، ومالاتبصرون من المغيبات ببصائر البواطن، يعني بالمظاهر الأسمائيّة والمظاهر الذّاتيّة، وبقول الحسين: أي بما أظهر الله لملائكته القلم واللّوح، وبما اختزن في علمه ولم يجر القلم به، ولم تشعر الملائكة بذلك.

وماأظهر الله للخلق من صفاته، وأراهم من صنعه، وأبدى لهم من علمه، في جنب مااختزن عنهم إلّا كذرّة في جنب الدّنيا والآخرة، ولو أظهر الله مااختزن، لذابت الخلائق عن آخرهم فضلًا عن حمله.

وقال الشّيخ أبوطالب المكّيّ قُدّس سرّه في «قوت القلوب»: إذا كان العبد من أهل العلم بالله والفهم عنه والسّمع منه والمشاهدة له، شهد ماغاب عن غيره، وأبصَر ما عَمي عنه سواه، كما قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَاتُبْصِرُونَ﴾. (١٠: ١٤٨)

نحوه القاسميّ. (١٦: ٥٩١٩)

الطَّباطَبائيّ: ظاهر الآية أنّه إقسام بما هو مشهود لهم ومالايشاهدون، أي الغيب والشّهادة، فهو إقسام بمجموع الخليقة، ولايشمل ذاته المتعالية، فإنّ من البعيد من أدب القرآن أن يجمع الخالق والخلق في صفّ واحد، ويُعظّمه تعالى وماصنع تعظيمًا مشتركًا في عرض واحد. [إلى أن قال:]

وفي اختيار ﴿مَاتُبْصِرُونَ وَمَالَاتُبْصِرُونَ﴾ للإقسام به على حقّيّة القرآن، مالايخفى من المناسبة. فإنّ

النّظام الواحد المتشابك أجزاؤه الجاري في مجموع العالم يقضي بتوحّده تعالى، ومصير الكلّ إليه، ومايترتّب عليه من بعث الرّسل وإنزال الكتب. والقرآن خير كتاب سماويّ يهدي إلى الحقّ في جميع ذلك، وإلى طريق مستقيم.

وممّا تقدّم يظهر عدم استقامة ماقيل: إنّ المراد ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَالَاتُبْصِرُونَ﴾ الخلق والخالق، فإنّ السّياق لايساعد عليه، وكذا ماقيل: إنّ المراد النّعم الظّاهرة والباطنة، وماقيل: إنّ المراد الجنّ والإنس والملائكة، أو الأجسام والأرواح، أو الدّنيا والآخرة، أو مايشاهَد من آثار القدرة ومالايشاهَد من أسرارها، فاللّفظ أعمّ مدلولًا من جميع ذلك. (١٩: ٤٠٣)

أبْصِرْ

١ـ قُلِ اللهُ اَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ اَبْصِرْ بِهِ وَاَسْمِعْ... الكهف: ٢٦

قَتادَة: فلاأحد أبصَر من الله ولاأسمَع، تبارك وتعالى. (الطّبَريّ ١٥: ٢٣٢)

ابن زَيْد: يَرى أعمالهم، ويسمع ذلك منهم سميعًا بصيرًا. (الطّبَريّ ١٥: ٢٣٢)

الفَرّاء: قوله: ﴿اَبْصِرْ بِهِ وَاَسْمِعْ﴾ يريد الله تبارك وتعالى، كقولك في الكلام: أكرِم بعبد الله! ومعناه: ماأكرمَ عبد الله! وكذلك قوله: «أسمِعْ بهم وَأبصِر» ماأسمعهم، ماأبصرهم! وكلّ ماكان فيه معنًى من المدح والذّمّ فإنّك تقول فيه: أظرِف به وأكرِم به! ومن الياء والواو: أطيِبْ به طعامًا! وأجوِد به ثوبًا!

ومن المضاعف تُظهر فيه التّضعيف، ولايجوز الإدغام، كما لم يجز نقص الياء ولاالواو، لأنّ أصله ماأجوَده وماأشدّه وأطيبه! فتُرك على ذلك.

وأمّا أشدِدْ به! فإنّه ظهر التّضعيف لسكون اللّام من الفعل، وتُرك فيه التّضعيف فلم يُدغَم، لأنّه لايثنّى ولايؤنّث، لاتقول للاثنين: أشِدّا بهما، ولاللقوم أشِدُّوا بهم، وإنّما استجازت العرب أن يقولوا: مُدّ في موضع امْدُد، لأنّهم قد يقولون في الاثنين: مُدّا، وللجميع: مُدّوا، فبُني الواحد على الجميع. (٢: ١٣٩)

الطّبَريّ: يقول: أبصِر بالله وأسمِع! وذلك بمعنى المبالغة في المدح، كأنّه قيل: ماأبصَره وأسمَعه!

وتأويل الكلام: ماأبصر الله لكلّ موجود! وأسمعه لكلّ مسموع! لايخفى عليه من ذلك شيء. (١٥: ٢٣٢)

نحوه البغَويّ (٣: ١٨٩)، والخازن (٤: ١٦٩)

الزّجّاج: أجمعت العلماء أنّ معناه: ماأسمَعه وأبصَره، أي هو عالم بقصّة أصحاب الكهف وغيرهم. (٣: ٢٨٠)

الطُّوسيّ: معناه ماأسمعه وماأبصره! بأنّه لايخفى عليه شيء، فخرج التّعجّب على وجه التّعظيم له تعالى. (٧: ٣٣)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٣: ٤٦٣)

المَيْبُديّ: ﴿اَبْصِرْ بِهِ وَاَسْمِعْ﴾ اللّفظ لفظ الأمر، والمعنى التّعجّب، أي ماأبصَر الله تعالى لكلّ موجود! وما أسمَعه لكلّ مسموع! (٥: ٦٧٩)

ابن عَطيّة: أي ماأبصَره وأسمَعه! قال قَتادَة: لاأحد أبصَر من الله ولاأسمع، وهذه عبارات عن

الإدراك.

ويُحتمل أن يكون المعنى: أبصِر به! أي بوحيه وإرشاده هداك وحججك والحقّ من الأمور، وأسمع به العالم! فتكون أمرين لاعلى وجه التعجّب. (٣: ٥١٠)

نحوه القُرطُبيّ. (١٠: ٣٨٨)

الزَّمَخْشَريّ: وجاء بما دلّ على التعجّب، من إدراكه المسموعات والمبصَرات، للدّلالة على أنّ أمره في الإدراك خارج عن حدّ ما عليه إدراك السّامعين والمبصرين، لأنّه يُدرِك ألطف الأشياء وأصغرها كما يُدرِك أكبرها حجمًا وأكثفها جِرمًا، ويُدرِك البواطن كما يُدرِك الظّواهر. (٢: ٤٨١)

البَيْضاويّ: ذكر بصيغة التّعجّب، للدّلالة على أنّ أمره في الإدراك خارج عمّا عليه إدراك السّامعين والمبصرين، إذ لايحجبه شيء، ولايتفاوت دونه لطيفٌ وكثيفٌ وصغيرٌ وكبيرٌ وخفيٌّ وجَليٌّ.

والهاء تعود إلى الله، ومحلّه الرّفع على الفاعليّة، والباء مزيدة عند سيبويه، وكان أصله: أبصَر، أي صار ذابصر.

ثمّ نُقل إلى صيغة الأمر بمعنى الإنشاء، فبرز الضّمير لعدم لياق الصّيغة له أو لزيادة الباء، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ﴾ النّساء: ٥٠، والنّصب على المفعوليّة عند الأخفش، والفاعل ضمير المأمور، وهو كلّ أحد. والباء مزيدة إن كانت الهمزة للتّعدية، ومعدّية إن كانت للصّيرورة. (٢: ١٠)

أبوحَيّان: [ذكر مثل الزّمَخْشَريّ وأضاف:]

والضّمير في (بِهِ) عائد على الله تعالى. وهل هو في موضع رفع أو نصب؟ وهل (أَسْمِعْ) و(أَبْصِرْ) أمران حقيقة أم أمران لفظًا معناهما إنشاء التّعجّب؟ في ذلك خلاف مقرّر في النّحو.

وقال ابن عَطيّة: ويُحتمل أن يكون المعنى أبْصِر بدين الله وأَسْمِع! أي بصّر بهدى الله وسَمِّع، فترجع الهاء إمّا على الهُدى وإمّا على الله، ذكره ابن الأنباريّ.

وقرأ عيسى (أَسْمَعَ به وأبْصَرَ) على الخبر فعلًا ماضيًا لاعلى التّعجّب، أي أبْصَر عبادَه بمعرفته وأسْمَع. (٦: ١١٧)

أبوالسُّعود: [ذكر نحو أبي حَيّان والبَيْضاويّ وأضاف:]

ولعلّ تقديم أمر إبصاره تعالى لما أنّ الّذي نحن بصدده من قبيل المبصَرات. (٣: ٢٤٨)

البُرُوسَويّ: [ذكر كلام الزّمَخْشَريّ والبَيْضاويّ وأضاف:]

قال في «التّأويلات النّجميّة» ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أي هو البصير بكلّ موجود وهو السّميع بكلّ مسموع فبه أبْصِر، وبه أسْمِع، انتهى.

قال القيصريّ رحمه الله: سمعه تعالى: عبارة عن تجلّيه بعلمه المتعلّق بحقيقة الكلام الذّاتيّ في مقام جمع الجمع، والأعيانيّ في مقام الجمع، والتّفصيل ظاهرًا وباطنًا، لابطريق الشّهود. وبصَره: عبارة عن تجلّيه وتعلّق علمه بالحقائق على طريق الشّهود، وكلامه عبارة عن التّجلّي الحاصل من تعلّق الإرادة والقدرة، لإظهار ما في الغيب وإيجاده. (٥: ٢٣٦)

الآلوسيّ: صيغتا تعجّب، والهاء ضميره تعالى،

والكلام مندرج تحت القول، فليس التّعجّب منه سبحانه ليقال: ليس المراد منه حقيقته لاستحالته عليه تعالى، بل المراد أنّ ذلك أمر عظيم، من شأنه أن يُتعجّب منه، كما قيل. ولايمتنع صدور التّعجّب من بعض صفاته سبحانه وأفعاله عزّوجلّ حقيقة من غيره تعالى.

وفي الحديث: «ماأحلمك عمّن عصاك، وأقربك ممّن دعاك، وأعطفك على من سألك» ولهم في هذه المسألة كلام طويل، فليرجع إليه من أراده، ولابن هشام رسالة في ذلك.

وأيًّا ما كان ففيه إشارة إلى أنّ شأن بَصَره تعالى وسَمْعه عزّوجلّ ـ وهما صفتان غير راجعتين إلى صفة العِلم ـ خارج عمّا عليه بصر المبصرين وسمع السّامعين، فإنّ اللّطيف والكثيف والصّغير والكبير والجليّ والخفيّ والسّرّ والعلَن على حدّ سواء، في عدم الاحتجاب عن بصَره وسمعه تبارك وتعالى، بل من النّاس من قال: إنّ المعدوم والموجود في ذلك سواء، وهو مبنيّ على شيئيّة المعدوم، والخلاف في ذلك معلوم.

ولعلّ تقديم مايدلّ على عظم شأن بصره عزّوجلّ لما أنّ مانحن بصدده من قبيل المبصَرات، والأصل: أبصَرَ وأسْمَعَ، والهمزة للصّيرورة لا للتّعدية، أي صار ذابصر وصار ذاسمع.

ولايقتضي ذلك عدم تحقّقها له تعالى، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، وفيهما ضمير مستتر عائد عليه سبحانه، ثمّ حوّلا إلى صيغة الأمر، وبرز الضّمير الفاعل لعدم لياقة صيغة الأمر لتحمّل ضمير الغائب، وجُرّ بالباء الزّائدة، فكان له محلّان: الجرّ لمكان الباء، والرّفع لمكان كونه فاعلًا، ولكونه صار فضلة صورة أعطي حكمها، فصحّ حذفه من الجملة الثّانية مع كونه فاعلًا، والفاعل لايجوز حذفه عندهم.

ولاتكاد تحذف هذه الباء في هذا الموضع إلّا إذا كان المتعجّب منه «أنّ وصلتها» نحو: أحسن أن تقول، وهذا الفعل لكونه ماضيًا معنى، قيل: إنّه مبنيّ على فتح مقدّر منع من ظهوره مجيئه على صورة الأمر، وهذا مذهب سيبويه في هذا التّركيب.

قال الرّضيّ: وضُعّف ذلك بأنّ الأمر بمعنى الماضي ممّا لم يُعهد، بل جاء الماضي بمعنى الأمر، كما في حديث: اتّقى الله امرؤٌ فَعَل خيرًا يُثَبْ عليه، وبأن صار ذا كذا، قليلٌ. ولو كان ماذُكر منه لجاز: أَلْحِمْ بزيد وأَشْحِم بزيد، وبأنّ زيادة الباء في الفاعل قليلٌ، والمطّرد زيادتها في المفعول.

وتعقّب بأنّ كون الأمر بمعنى الماضي ممّا لم يُعهد، غير مسلّم ألاترى أنّ (وَكَفَى بِهِ) النّساء: ٥٠، بمعنى اكتف به، عند الزّجّاج. وقصد بهذا النّقل الدّلالة على أنّه قُصِد به معنى إنشائيّ وهو التّعجّب، ولم يُقصَد ذلك من الماضي، لأنّ الإنشاء أنسب بصيغة الأمر منه، لأنّه خبر في الأكثر، وبأنّ كثرة «أفعَل» بمعنى صار ذا كذا، لاتخفى على المُتتبّع، وجواز، أَلْحِم بزيد، على معنى التّعجّب لازم ولا محذور فيه، وعلى معنى آخر غير لازم.

نعم ماذُكر من قلّة زيادة الباء في الفاعل ممّا لاكلام فيه، والإنصاف أنّ مذهب سيبويه في هذه المسألة لايخلو عن تعسّف.

ومذهب الأخفش وعزاه الرّضيّ إلى الفرّاء: أنّ «أفعل» في نحو هذا التّركيب أمرٌ لفظًا ومعنًى، فإذا قلت:

أحْسِن بزيد، فقد أمرت كلّ واحد بأن يجعل زيداً حسنًا، ومعنى جعله كذلك: وصفه به، فكأنّك قلت: صفة بالحسن كيف شئت. فإنّ فيه منه كلّ مايمكن أن يكون في شخص. [ثمّ استشهد بشعر]

وهـذا المعنى مناسب للتّعجّب بخلاف تقدير «سِيبَوَيه»، وأيضًا همزة «الجعل» أكثر من همزة: صار ذاكذا وإن لم يكن شيء منها، على ماقال الرّضيّ قياسًا مُطّردًا. واعتبر الفاعل ضمير المأمور وهو كلّ أحد، لأنّ المراد أنّه لظهور الأمر يؤمر كلّ أحد، لاعلى التّعيين بوصفه بما ذُكر، ولم يتصرّف في «أفعل» على هذا المذهب فيُسند إلى مثنّى أو مجموع أو مؤنّث، لما ذكروا من علّة كون فعل التّعجّب غير متصرّف، وهي مشابهته الحروف في الإنشاء، وكون كلّ لفظ من ألفاظه صار علمًا لمعنًى من المعاني.

وإن كان هناك جملة فالقياس أن لايتصرّف فيه، احتياطًا لتحصيل الفهم كأسماء الأعلام، فلذا لم يتصرّف في «نعم وبئس» في الأمثال، وسهل ذلك هنا انمحاء معنى الأمر فيه، كما انمحى معنى «الجعل» وصار لمحض إنشاء التّعجّب، ولم يبق فيه معنى الخطاب، والباء زائدة في المفعول.

وأجاز الزّجّاج أن تكون الهمزة للصّيرورة، فتكون الباء للتّعدية، أي صيّره ذاحسن، ثمّ إنّه اعتذر لبقاء «أحْسِن» في الأحوال على صورة واحدة، لكون الخطاب لمصدر الفعل، أي ياحسن أحْسِن بزيد. وفيه تكلّف وسماجة.

وأيضًا نحن نقول: أحْسِن بزيد ياعمرو، ولايُخاطب شيئان في حالة إلّا أن يقول: معنى خطاب الحسن قد انمحى، وثمرة الخلاف بين «سِيبَوَيه» وغيره تظهر فيما إذا اضطرّ إلى حذف الباء، فعلى مذهب سيبويه يلزم رفع مجروره، وعلى غيره يلزم نصبه.

هذا، وقال ابن عَطيّة: يُحتمل أن يكون معنى الآية: أبصِر بدين الله تعالى وأسْمِع به، أي بَصّرَ بهُدَى الله تعالى وسَمِّع به، فترجع الهاء إمّا على الهدى وإمّا على الاسم الجليل، ونُقل ذلك عن ابن الأنباريّ، وليس بشيء.

وقرأ عيسى (أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمَعَ) بصيغة الماضي فيهما، وخرّج ذلك أبوحَيّان على أنّ المراد الإخبار لا التّعجّب، والضّمير المجرور لله تعالى، أي أبصَر عباده بمعرفته سبحانه وأسمعهم.

وجُوّز أن يكون (أَبْصَر) أفعل تفضيل، وكذا (أَسْمَع) وهو منصوب على الحاليّة من ضمير له، وضمير (به) عائد على الغيب. وليس المراد حقيقة التّفضيل بل عظُم شأن بَصره تعالى وسَمْعه عزّوجلّ، ولعلّ هذا أقرب ممّا ذكره أبو حَيّان.

وحاصل المعنى عليه أنّه جلّ شأنه يعلم غيب السّماوات والأرض بصيرًا به وسميعًا على أتمّ وجه وأعظمه. (١٥: ٢٥٤)

القاسميّ: أي ماأبصَره لكلّ موجود، وأسمَعه لكلّ مسموع! لايخفى عليه شيء ولايحجب بَصَرَه وسَمْعَه شيءٌ.

قال في «الإكليل»: استدلّ بقوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ المنتخب على جواز إطلاق صيغة التّعجّب في صفات الله تعالى، كقولك: ماأعظم الله وماأجلّه! انتهى.

يعني أن يُشتقّ من الصّفات السّمعيّة صيغة التّعجّب

قياسًا على ما في الآية، وقد يقال: بالوقف، ينبغي التأمّل.

قال المهايميّ: فيه إشارة إلى أنّ علمهم بهم إمّا من قبيل الغيب فهو مختصّ بالله، أو من قبيل المسموع فهو أسْمَعُ، أو من قبيل البصر فهو أبْصَرُ، انتهى. وهو لطيف جدًّا. (١١: ٤٠٤٨)

المَراغيّ: هذا أسلوب في اللّغة يدلّ على التّعجّب والمبالغة في الأمر الّذي تتحدّث بشأنه، أي ما أبصَر الله تعالى بكلّ موجود! وأسمَعه بكلّ مسموع! فهو لايخفى عليه شيءٌ من ذلك. وهذا أمر عظيم من شأنه أن يتعجّب منه.

وقد ورد مثل هذا في الحديث: «ما أحلمَك عمّن عصاك وأقربك ممّن دعاك وأعطفك على من سألك». (١٥: ١٣٩)

الطَّباطَبائيّ: هما من صيغ التّعجّب معناها كمال بصره وسمعه، لتتميم التّعليل، كأنّه قيل: وكيف لايكون أعلم بلبثهم وهو يملكهم على كونهم من الغيب، وقد أرى حالهم وسمع مقالهم.

ومن هنا يظهر أنّ قول بعضهم: إنّ اللّام في (لَهُ غَيْبُ) إلخ للاختصاص العلميّ، أي له تعالى ذلك علمًا، ويلزم منه ثبوت علمه لسائر المخلوقات، لأنّ من علم الخفيّ علم غيرَه بطريق أولى، انتهى. غير سديد، لأنّ ظاهر قوله: ﴿اَبْصِرْ بِهٖ وَاَسْمِعْ﴾ أنّه للتّأسيس دون التّأكيد، وكذا ظاهر اللّام مطلق الملك دون الملك العلميّ. (١٣: ٢٧٦)

٢ـ اَسْمِعْ بِهِمْ وَاَبْصِرْ يَوْمَ يَاْتُوْنَنَا لٰكِنِ الظّٰالِمُوْنَ الْيَوْمَ فِىْ ضَلٰالٍ مُبِيْنٍ. مريم: ٣٨

ابن عَبّاس: أنّهم أسمَع شيء وأبصَره. (أبوحَيّان ٦: ١٩١)

أبوالعالية: (اَسْمِعْ) بحديثهم اليوم (وَاَبْصِرْ) كيف يُصنع بهم. (الطَّبَريّ ١٦: ٨٧)

إنّه أمر حقيقةً للرّسول، أي أسمِع النّاس اليوم وأبصِرهم بهم وبحديثهم، ماذا يُصنَع بهم من العذاب إذا أتوا محشورين مغلولين. (أبوحَيّان ٦: ١٩١)

الحسَن: المعنى لأنّ كانوا في الدّنيا صُمًّا عُمْيًا عن الحقّ، فما أسمَعهم به وما أبصَرهم به يوم القيامة. (الطُّوسيّ ٧: ١٢٧)

مثله قَتادَة. (الطُّوسيّ ٧: ١٢٧)

قَتادَة: ذاك والله يوم القيامة، سمعوا حين لاينفعهم السّمع وأبصَروا حين لاينفعهم البصر. (الطَّبَريّ ١٦: ٨٦)

نحوه البَغَويّ. (٣: ٢٣٤)

أسمَع قوم وأبصَرهم. (الطَّبَريّ ١٦: ٨٧)

الكَلْبيّ: لاأحد يوم القيامة أسمَع منهم ولاأبصَر، حين يقول الله تعالى لعيسى: ﴿ءَاَنْتَ قُلْتَ لِلنّٰاسِ﴾ الآية المائدة: ١١٦. (البغويّ ٣: ٢٣٤)

ابن زَيْد: هذا يوم القيامة، فأمّا الدّنيا فلا، كانت على أبصارهم غشاوة وفي آذانهم وَقْرٌ في الدّنيا، فلمّا كان يوم القيامة أبصَروا وسمعوا فلم ينتفعوا.

وقرأ ﴿رَبَّنٰا اَبْصَرْنٰا وَسَمِعْنٰا فَارْجِعْنٰا نَعْمَلْ صٰالِحًا اِنّٰا مُوقِنُوْنَ﴾ السّجدة: ١٢. (الطَّبَريّ ١٦: ٨٧)

الطَّبَريّ: يقول تعالى ذكره مخبرًا عن حال

الكافرين به، الجاعلين له أنداداً، والزّاعمين أنّ له ولداً يوم ورودهم عليه في الآخرة.

لئن كانوا في الدّنيا عُمْيًا عن إبصار الحقّ والنّظر إلى حجج الله الّتي تدلّ على وحدانيّته، صُمًّا عن سماع آي كتابه، ومادعتهم إليه رسل الله فيها، من الإقرار بتوحيده ومابعث به أنبياءه، فماأسمعهم يوم قدومهم على ربّهم في الآخرة! وأبصرهم يومئذ! حين لاينفعهم الإبصار والسّماع. (١٦: ٨٦)

الطّوسيّ: معناه ماأسمعهم وأبصرهم! على وجه التّعجّب. والمعنى أنّهم حلّوا في ذلك محلّ من يتعجّب منه. وفيه تهدّد ووعيد أن سيسمعون مايَصدع قلوبهم، ويردون مايهيلهم. (٧: ١٢٧)

نحوه الخازن. (٤: ٢٠٠)

المَيْبُديّ: أي ماأبصرهم بالهدى يوم القيامة، وأطوعهم للهدى! وأعلمهم بأنّ عيسى ليس بابن الله، ولاثالث ثلاثة.

ولكن لاينفعهم ذلك مع ضلالتهم في الدّنيا، وهو قوله: ﴿لٰكِنِ الظّٰالِمُونَ الْيَوْمَ فِى ضَلٰالٍ مُبِينٍ﴾ تقديره: هؤلاء الظّالمون وإن كانوا في الدّنيا صُمًّا وبُكْمًا وعُمْيًا، فما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة إذا كُشف الغطاء!

(٦: ٤٠)

الزّمَخْشَريّ: إنّما المراد أنّ أسماعهم وأبصارهم يومئذ جدير بأن يتعجّب منهم بعد ماكانوا صُمًّا وعُمْيًا في الدّنيا.

وقيل: معناه التّهديد بما سيسمعون ويُبصرون ممّا يسوءهم ويَصدَع قلوبهم. (٢: ٥٠٩)

ابن عَطيّة: أي ماأسمعهم وأبصرهم يوم يرجعون إلينا ويرون مانصنع بهم من العذاب، فإنّ إعراضهم حينئذ يزول، ويُقبلون على الحقيقة حين لاينفعهم الإقبال عليها، وهم في الدّنيا صُمٌّ عُمْيٌ؛ إذ لاينفعهم النّظر مع إعراضهم. (٤: ١٦)

الطَّبْرِسيّ: قيل: فيه وجهان:

أحدهما: أنّ التّقدير: صاروا ذوي سَمْع وبصر، والجارّ والمجرور في موضع رفع، لأنّه فاعل (أَسْمِعْ)، والمعنى ماأسمعهم وأبصرهم يوم القيامة! وإن كانوا في الدّنيا صُمًّا وبُكْمًا عن الحقّ، عن الحسَن.

ومعناه الإخبار عن قوّة علومهم بالله تعالى في تلك الحال، ومثله قوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ق: ٢٢، ﴿لٰكِنِ الظّٰالِمُونَ الْيَوْمَ فِى ضَلٰالٍ مُبِينٍ﴾ مريم: ٣٨.

يعني أنّ الكافرين في الدّنيا آثروا الهوى على الهُدى، فهم في ذهاب عن الدّين، وعدول عن الحقّ. والمراد: أنّهم في الدّنيا جاهلون، وفي الآخرة عارفون؛ حيث لاتنفعهم المعرفة.

وقال أبومسلم: وهذا يدلّ على أنّ قوله سبحانه: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ البقرة: ١٨. ليس معناه الآفة في الأذن واللّسان والعين بل هو أنّهم لايتدبّرون مايسمعون ويرون، ولايعتبرون. ألاترى أنّه جعل قوله: ﴿لٰكِنِ الظّٰالِمُونَ الْيَوْمَ فِى ضَلٰالٍ مُبِينٍ﴾ في مقابلته، فأقام السّمع والبصر مقام الهُدى؛ إذ جعله في مقابلة الضّلال المبين.

والثّاني: أنّ معناه أسمِعهم وأبصِرهم، أي بصّرهم

وبيّن لهم أنّهم إذا أتوا مع النّاس إلى موضع الجزاء سيكونون في (ضَلَالٍ مُبِينٍ) عن الجنّة والثّواب، عن الجُبّائيّ.

قال: ويجوز أن يكون المعنى: أسمَع النّاس بهؤلاء الأنبياء وأبصَرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم، فيؤمنوا بهم. لكن من كفر بهم من الظّالمين اليوم ـ يعني يوم القيامة ـ في ضلال عن الجنّة.

وهذا بعيد وقد استدرك على الجُبّائيّ في قوله، والأولى والأظهر في الآية الوجه الأوّل. (٣: ٥١٤)

الفَخْرالرّازيّ: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وهو المشهور الأقوى: أنّ معناه ماأسمَعهم وماأبصَرهم! والتّعجّب على الله تعالى محال، كما تقدّم. وإنّما المراد: أنّ أسماعهم وأبصارهم يومئذ جدير بأن يتعجّب منها، بعد ماكانوا صُمًّا وعُمْيًا في الدّنيا.

وقيل: معناه التّهديد ممّا سيسمعون وسيبصرون ممّا يسوء بصرهم ويَصدَع قلوبهم.

وثانيها: قال القاضي: ويحتمل أن يكون المراد: أسْمِع هؤلاء وأبصِرهم، أي عرّفهم حال القوم الّذين يأتوننا، ليعتبروا وينزجروا.

وثالثها: قال الجُبّائيّ: ويجوز أن أسمَع النّاس بهؤلاء وأبصَرهم بهم، ليعرفوا أمرهم وسوء عاقبتهم، فينزجروا عن الإتيان بمثل فعلهم. (٢١: ٢٢١)

القُرطُبيّ: قال أبوالعبّاس: العرب تقول هذا في موضع التّعجّب، فتقول: أسْمِع بزيدٍ وأبْصِر بزيدٍ، أي ماأسمعه وأبصَره! قال: فمعناه أنّه عجّب نبيّه منهم. (١١: ١٠٨)

أبوالسُّعود: تعجّب من حدّة سمعهم وإبصارهم يومئذ، ومعناه أنّ أسماعهم وأبصارهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ للحساب والجزاء ـ أي يوم القيامة ـ جدير بأن يتعجّب منهما، بعد أن كانوا في الدّنيا صُمًّا عُمْيًا، أو تهديد بما سيسمعون ويُبصِرون يومئذ.

وقيل: أمر بأن يُسمِعهم ويُبصِرهم مواعيد ذلك اليوم ومايحيق بهم فيه. والجارّ والمجرور على الأوّل في موقع الرّفع، وعلى الثّاني في حيّز النّصب. (٤: ٢٤٠)

نحوه البُرُوسَويّ (٥: ٣٣٤)، والآلوسيّ (١٦: ٩٣).

المَراغيّ: أي لئن كان هؤلاء الكفّار الّذين جعلوا لله أندادًا، وزعموا أنّ له وَلَدًا عُمْيًا في الدّنيا عن إبصار الحقّ، والنّظر إلى حجج الله الّتي أودعها في الكون دالّة على وحدانيّته وعظيم قدرته وبديع حكمته، صُمًّا عن سماع آي كتبه، ومادعتهم إليه الرّسل ممّا ينفعهم في دينهم ودنياهم، ويُهديهم إلى الصّراط المستقيم، فما أسمَعهم يوم قدومهم على ربّهم في الآخرة! وماأبصَرهم حينئذ! حيث لايُجدي السّماع والإبصار شيئًا، ويعضّون على أناملهم حسرةً وأسفًا، ويتمنّون على الله الأمانيّ، فيودّون الرّجوع إلى الدّنيا ليتداركوا مافاتهم من صالح العمل، ولكن هيهات هيهات فقد فات الأوان. (١٦: ٥٢)

الطَّباطَبائيّ: أي ماأسمَعهم وأبصَرهم بالحقّ يوم يأتوننا ويرجعون إلينا، وهو يوم القيامة. فيتبيّن لهم وجه الحقّ فيما اختلفوا فيه، كما حكى اعترافهم به في قوله: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ السّجدة: ١٢. (١٤: ٥٠)

٣ـ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ. الصّافّات: ١٧٩

الطَّبَريّ: يقول: وانظُرهم فسوف يرون مايحلّ بهم من عقابنا، في حين لاتنفعهم التّوبة، وذلك عند نزول بأس الله بهم. (٢٣: ١١٦)

الطُّوسيّ: وقد مضى معناه، وإنّما كُرّر لأنّهما عذابان: عذاب الدّنيا، وعذاب الآخرة، فكأنّه قال: وأبصرهم في عذاب الآخرة، وأبصرهم في عذاب الدّنيا. (٨: ٥٣٨)

المَيْبُديّ: ثمّ كرّر ماذكر تأكيدًا لوعد العذاب وتطئيًا للتّقريع، فقال: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْ﴾ الصّافّات: ١٧٨، ١٧٩، العذاب إذا نزل بهم ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

وقيل: الأوّل في الدّنيا، والثّاني في الآخرة. (٨: ٣١٢)

الفَخْرالرّازيّ: قيل: المراد من هذه الكلمة فيما تقدّم أحوال الدّنيا، وفي هذه الكلمة أحوال القيامة، وعلى هذا التّقدير فالتّكرير زائل.

وقيل: إنّ المراد من التّكرير المبالغة في التّهديد والتّهويل. (٢٦: ١٧٣)

أبوحَيّان: لم يُقيّد أمره بالإبصار كما قيّده في الأوّل، إمّا لاكتفائه به في الأوّل فحذفه اختصارًا، وإمّا لما في ترك التّقييد من جولان الذّهن فيما يتعلّق به الإبصار منه من صنوف المسرّات، والإبصار منهم من صنوف المساآت.

وقيل: أُريد بالأوّل: عذاب الدّنيا، وبالآخرة: عذاب الآخرة. (٧: ٣٨٠)

الفيروزاباديّ: أي انظر حتّى ترى و يرون.

(بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٢٢)

البُرُوسَويّ: تسلية لرسول الله ﷺ إثر تسلية، وتأكيد لوقوع الميعاد غبّ تأكيد، مع ما في إطلاق الفعلين عن المفعول من الإيذان، بأنّ مايُبصره ﷺ من فنون المسارّ ومايُبصرون من أنواع المضارّ لايحيط به الوصف والبيان.

وفي «البرهان» حُذف الضّمير من الثّاني اكتفاءً بالأوّل. (٧: ٤٩٩)

الطَّباطَبائيّ: تأكيد لما مرّ بتكرار الآيتين على ماقيل. واحتمل بعضهم أن يكون المراد بما تقدّم التّهديد بعذاب الدّنيا، وبهذا التّهديد بعذاب الآخرة، ولايخلو من وجه.

فإنّ الواقع في الآية (وَأَبْصِرْ) من غير مفعول، كما في الآية السّابقة من قوله: (وَأَبْصِرْهُمْ) والحذف يُشعر بالعموم، وأنّ المراد إبصار ماعليه عامّة النّاس من الكفر والفسوق، ويناسبه التّهديد بعذاب يوم القيامة.

(١٧: ١٧٨)

مُبْصِرًا

١ـ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا... يونس: ٦٧

أبوعُبَيْدَة: له مجازان: أحدهما: أنّ العرب وضعوا أشياء من كلامهم في موضع «الفاعل»، والمعنى أنّه «مفعول» لأنّه ظرف يفعل فيه غيره، لأنّ النّهار لايُبصر، ولكنّه يُبصِر فيه الّذي ينظر، وفي القرآن ﴿فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ القارعة: ٧، وإنّما يرضى بها الّذي

يعيش فيها. (١: ٢٧٩)

نحوه ابن عطيّة. (٣: ١٣٠)

الطّبَريّ: يقول: (وَجَعَلَ النَّهَارَ مُبْصِرًا) فأضاف «الإبصار» إلى النّهار، وإنّما يُبصَر فيه وليس النّهار ممّا يُبصِر، ولكن كان مفهومًا في كلام العرب معناه، خاطبهم بما في لغتهم وكلامهم. [ثمّ استشهد بشعر] (١١: ١٤٠)

نحوه الخازن. (٣: ١٦٣)

الشّريف الرّضيّ: وهذه استعارة عجيبة، أومأنا إلى نظيرها فيما تقدّم؛ وذلك أنّه سبحانه إنّما سمّى النّهار مبصرًا لأنّ النّاس يُبصِرون فيه، فكان ذلك صفة الشّيء بما هو سبب له، على طريق المبالغة، كما قالوا: ليلٌ أعمى وليلةٌ عمياء، إذا لم يُبصِر النّاس فيها شيئًا لشدّة إظلامها، وسقوط أكنافها. (تلخيص البيان: ٤٢)

الطّوسيّ: وإنّما يُبصَر فيه تشبيهًا ومجازًا واستعارةً في صفة الشّيء بسببه، على وجه المبالغة. [ثمّ استشهد بشعر] (٥: ٤٦٥)

نحوه القُرطُبيّ. (٨: ٣٦٠)

البغَويّ: مضيئًا يُبصَر فيه، كقولهم: ليلٌ نائم، وعيشة راضية. قال قُطْرُب: تقول العرب: أظلَم اللّيل وأضاء النّهار وأبصَر، أي صار ذاظُلمة وضياء وبصَر. (٢: ٤٢٧)

نحوه أبوحيّان. (٥: ١٧٧)

المَيْبُديّ: يعني أنّ النّهار يُبصَر فيه، والمعنى جعل النّهار مضيئًا لتهتدوا به في حوائجكم، وتنقلبوا فيه لمعاشكم. (٤: ٣١٢)

الطَّبْرِسيّ: أي وجعل النّهار مُبصِرًا مضيئًا تُبصِرون فيه، وتهتدون به في حوائجكم بالإبصار. (٣: ١٢٠)

الفَخْرالرّازيّ: أي مضيئًا، لتهتدوا به في حوائجكم بالإبصار. والبصر الّذي يُبصِر، والنّهار يُبصَر فيه. وإنّما جعله (مُبْصِرًا) على طريق نقل الاسم من السّبب إلى المسبّب. (١٧: ١٣١)

البُرُوسَويّ: لتتحرّكوا فيه لتحصيل أسباب معاشكم. فحذف مُظلمًا لدلالة (مُبْصِرًا) عليه، وحذف لتتحرّكوا لدلالة (لِتَسْكُنُوا) عليه.

وإسناد الإبصار إلى النّهار مجازيّ، والمراد يُبصَر فيه، كقوله: نهاره صائم وليله قائم، أي صام في نهاره وقام في ليله. (٤: ٦٣)

الآلوسيّ: تنبيه على تفرّده تعالى بالقدرة الكاملة والنّعمة الشّاملة، ليدلّهم على توحّده سبحانه، باستحقاق العبادة، فتعريف الطّرفين للقصر، وهو قصر تعيين. وفي ذلك أيضًا تقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته، المفصح عن اختصاص العزّة به سبحانه.

والجعل إن كان بمعنى الإبداع والخلق فـ(مُبْصِرًا) حال، وإن كان بمعنى التّصيير فـ(لَكُمْ) المفعول الثّاني أو حال، كما في الوجه الأوّل، فالمفعول الثّاني، ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾، أو هو محذوف يدلّ عليه المفعول الثّاني من الجملة الثّانية، كما أنّ العلّة الغائيّة منها محذوفة اعتمادًا على ما في الأوّل.

والتّقدير هو الّذي جعل لكم اللّيل مظلمًا لتسكنوا فيه، والنّهار مُبصرًا لتتحرّكوا فيه لمصالحكم. فحذف من

كلّ ماذكر في الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك، وفيه على هذا صنعة الاحتباك. والآية شائعة في التّمثيل بها لذلك، وهو الظّاهر فيها، وإن كان أمرًا غير ضروريّ.

ومن هنا ذهب جمع إلى أنّه لااحتباك فيها، والعدول عن «لتبصروا فيه» الّذي يقتضيه ماقبل إلى ما في النّظم الجليل، للتّفرقة بين الظّرف المجرور والظّرف الّذي هو سبب يتوقّف عليه في الجملة. وإسناد «الإبصار» إلى النّهار مجازيّ. (١١: ١٥٤)

رشيد رضا: (النّهار) جعله مضيئًا ذاإبصار لتنتشروا في الأرض، وتقوموا بجميع أعمال العُمران والكسب، والشّكر للرّبّ. فالمبصِر هنا: مُعطي الإبصار، سببه حسّيًّا كان أو معنويًّا، فالأوّل: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِن رَبِّكُمْ﴾ الإسراء: ١٢.

والثّاني: قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: ٥٩، أي آية مفيدة للبصيرة والحجّة على صدق رسولهم، ومثله قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ النّمل: ١٣. (١١: ٤٥٤)

الطّباطبائيّ: الآية تتمّم البيان الّذي أورد في الآية السّابقة لإثبات ربوبيّته تعالى، والرّبوبيّة ـ كما تعلم ـ هي الملك والتّدبير، وقد ذكر ملكه تعالى في الآية السّابقة، فبذكر تدبيرٍ من تدابيره العامّة في هذه الآية تصلح به عامّة معيشة النّاس، وتُستبق به حياتهم، يتمّ له معنى الرّبوبيّة.

وللإشارة إلى هذا التّدبير ذكر مع (الّيل) سكنهم فيه، ومع (النّهار) إبصارهم فيه، الباعث لهم إلى أنواع الحركات والتّنقّلات لكسب موادّ الحياة، وإصلاح شؤون المعاش، فليس يتمّ أمر الحياة الإنسانيّة بالحركة فقط أو بالسّكون فقط، فدبّر الله سبحانه الأمر في ذلك بظلمة الّليل الدّاعية إلى تجديد تجهيز القوى، بعدما لحقها من العيّ والتّعب والنّصب، وإلى الارتياح والأُنس بالأهل، والتّمتّع ممّا جمع واكتسب بالنّهار، والفراغ للعبوديّة، وبضوء النّهار الباعث إلى الرّؤية فالاشتياق فالطّلب. (١٠: ٩٤)

وبهذا المعنى جاء كلمة (مُبْصِرًا) في سورة النّمل: ٨٦.

٢ـ ﴿اَللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا...﴾ المؤمن: ٦١

الطّبريّ: يقول: وجعل (النّهارَ مُبْصِرًا) من اضطرب فيه لمعاشه، وطلب حاجاته، نعمة منه بذلك عليكم. (٢٤: ٨٠)

الطّوسيّ: تُبْصِرون فيه مواضع حاجاتكم، فجعله (مُبْصِرًا) لما كان يُبصِر فيه المبصرون. (٩: ٩١)

الزّمخشريّ: من الإسناد المجازيّ، لأنّ الإبصار ـ في الحقيقة ـ لأهل النّار.

فإن قلت: لم قرن (الّيل) بالمفعول له (والنّهار) بالحال، وهلّا كانا حالين أو مفعولا لهما، فيُراعى حقّ المقابلة؟

قلت: هما متقابلان من حيث المعنى، لأنّ كلّ واحد منهما يؤدّي مؤدّى الآخر، ولأنّه لو قيل: «لتبصروا

فيه» فاتت الفصاحة الّتي في الإسناد المجازيّ.

(٣: ٤٣٤)

ابن عَطيّة: مجازه يُبصِر فيه، كما تقول: نهارٌ صائمٌ، وليلٌ قائمٌ. (٤: ٥٦٦)

الطَّبْرِسيّ: أي وجعل لكم النّهار، وهو ما بين طلوع الفجر الثّاني إلى غروب الشّمس مضيئًا، تُبصِرون فيه مواضع حاجاتكم، فجعل سبحانه (النَّهارَ مُبْصِرًا) لما كان يُبصِر فيه المبصرون. (٤: ٥٣٠)

القُرطُبيّ: أي مضيئًا لتُبصِروا فيه حوائجكم، وتتصرّفوا في طلب معائشكم. (١٥: ٣٢٨)

البُرُوسَويّ: أي مُبصِرًا فيه أو به، يعني يُبصِر به المبصرون الأشياء، ولكونه حارًّا يقوّي الحركات في اكتساب المعاش.

فإسناد الإبصار إلى النّهار مجازٌ فيه مبالغة، ولقصد المبالغة عدل به عن التّعليل إلى الحال، بأن قال: (مُبْصِرًا) دون: لتبصروا فيه.

أو به، يعني أنّ نفس النّهار لمّا جعل (مُبْصِرًا) فهم أنّ النّهار لكمال سببيّته للإبصار، وكثرة آثار القوّة الباصِرة فيه جعل كأنّه هو المبصِر. (٨: ٢٠٣)

الآلوسيّ: يُبصَر فيه أو به، فـ(النّهار) إمّا ظرف زمان للإبصار، أو سبب له.

وأيًّاما كان فإسناد الإبصار له بجعله مُبصِرًا إسناد مجازيّ، لما بينهما من الملابسة، وفيه مبالغة، وأنّه بلغ الإبصار إلى حدّ سرى في نهار المبصِر، ولذا لم يقل: لتبصروا فيه، على طرز ماوقع في قرينة. (٢٤: ٨٢)

الطَّباطَبائيّ: أي جعل لأجلكم اللّيل مُظلمًا، لتسكنوا فيه من التّعب الّذي عرض لكم وجه النّهار، من جهة السّعي في طلب الرّزق. ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ لتبتغوا من فضل ربّكم، ولتكسبوا الرّزق. وهذا من أركان تدبير الحياة الإنسانيّة.

وقد ظهر بذلك أنّ نسبة الإبصار إلى النّهار من المجاز العقليّ، لكن ليس من المبالغة في شيء، كما أدّعاه بعضهم. (١٧: ٣٤٥)

مُبْصِرُونَ

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ. الأعراف: ٢٠١)

ابن عَبّاس: يقول: إذا هم منتهون عن المعصية، آخذون بأمر الله، عاصون للشّيطان.

(الطَّبَريّ ٩: ١٥٩)

مُقاتِل: إنّ المتّقي إذا أصابه نزغ من الشّيطان تذكّر وعرف أنّه معصية فأبصر، فنزع عن مخالفة الله.

(البغَويّ ٢: ٢٦٢)

الطَّبَريّ: فإنّه يعني فإذا هم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه، فنتهون عمّا دعاهم إليه الشّيطان.

(٩: ١٥٩)

ابن عَطيّة: من البصيرة، أي فإذا هم قد تبيّنوا الحقّ، ومالوا إليه. (٢: ٤٩٢)

الفَخْرالرّازيّ: معناه أنّه إذا حضرت هذه التّذكّرات في عقولهم في الحال يزول مسّ طائف الشّيطان، ويحصل الاستبصار والانكشاف والتّجلّي، ويحصل الخلاص من وسوسة الشّيطان. (١٥: ١٠٠)

القُرطُبيّ : أي منتهون، وقيل: فإذا هم على بصيرة. (٧: ٣٥٠)

أبوالسُّعود : مواقع الخطإ ومكايد الشّيطان، فيحترزون عنها ولايتّبعونه. (٣: ٧١)

مثله القاسميّ (٧: ٢٩٣١)، نحوه البُرُوسَويّ (٣: ٣٠٠)، والآلوسيّ (٩: ١٤٨).

مُبْصِرَةً

١ـ وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ اٰيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا اٰيَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَا اٰيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً... الإسراء: ١٢

قَتادَة : أي منيرةً، وخلق الشّمس أنور من القمر، وأعظم. (الطَّبَريّ ١٥: ٥٠)

أبوعمروابن العلاء : أي يُبصَر بها. (القُرطُبيّ ١٠: ٢٢٨)

الكِسائيّ : تقول العرب: أبصَر النّهار، إذا أضاء، بحيث يُبصَر بها. (البَغَويّ ٣: ١٢٣)

أبوعُبَيْدَة : يقال: قد أبصَر النّهار، إذا صار النّاس يُبصِرون فيه، كقوله: رجل مُخبِث، إذا كان أصحابه خُبثاء، ورجل مُضعِف، إذا كانت ذراريه ضعافًا، فكذا قوله: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ المؤمن: ٦١، أي أهله بُصراء. (الفَخْرالرّازيّ ٢٠: ١٦٥)

الطَّبَريّ : واختلف أهل العربيّة في معنى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا اٰيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ فقال بعض نحويّي الكوفة: معناها مضيئة، وكذلك قوله: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ معناه مضيئًا، كأنّه ذهب إلى أنّه قيل: مُبصِرًا لإضاءته للنّاس البصر.

وقال آخرون: بل هو من أبصَر النّهار، إذا صار النّاس يُبصِرون فيه، فهو مُبصِر، كقولهم: رجل مُجبِنٌ، إذا كان أهله وأصحابه جبناء، ورجل مُضعِف، إذا كانت رواته ضعفاء، فكذلك ﴿النَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، إذا كان أهله بُصراء. (١٥: ٥٠)

نحوه الطُّوسيّ (٦: ٤٥٤)، والقُرطُبيّ (١٠: ٢٢٨).

الزّجّاج : أي جعلناها تضيء لكم لتبصروا كيف تصرّفون في أعمالكم؟ (٣: ٢٣٠)

المَيْبُديّ: يعني مُبصِرًا بها. والنّهار لايُبصِر لكن يُبصَر به وفيه. (٥: ٥٢٢)

الزَّمَخْشَريّ : أي تُبصَر فيه الأشياء وتُستبان. (٢: ٤٤٠)

نحوه الخازن. (٤: ١٢٣)

الطَّبْرِسيّ : أي نيّرة مضيئة للإبصار، يُبصِر أهلُ النّهار النّهارَ بها. (٣: ٤٠٢)

الفَخْرالرّازيّ : فقيه وجهان:

الأوّل: أنّ معنى كونها (مُبْصِرَةً) أي مضيئة، وذلك لأنّ الإضاءة سبب لحصول الإبصار، فأطلق اسم الإبصار على الإضاءة إطلاقًا لاسم المسبّب على السّبب.

والثّاني: [قول أبي عُبَيْدَة وقد تقدّم] (٢٠: ١٦٥)

البَيْضاويّ : مضيئة أو مُبصِرة للنّاس، من أبصَره فبصُر، أو مبصِرة أهله، كقولهم: أجبن الرّجل، إذا كان أهله جبناء. (١: ٥٧٩)

نحوه الفيروز اباديّ. (بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٢٣)

النّيسابوريّ : (مُبْصِرَةً) ذات إبصار، وذلك

باعتبار من فيها، أي تُبصَر فيها الأشياءُ وتُستبان، أو أُريد بالإبصار: الإضاءة، لأنّها سببه. (١٥: ١٣)

أبوحَيّان: أي يُبصَر فيه الأشياء وتستبان. [إلى أن قال:]

نسب الإبصار إلى آية النّهار، على سبيل المجاز، كما تقول: ليلٌ قائمٌ ونائمٌ، أي يُقام فيه ويُنام فيه، فالمعنى يُبصَر فيها. وقيل: معنى (مُبْصِرَةً) مضيئة.

وقيل: هو من باب «أفْعَل» والمراد به غير من أُسند «أفْعَل» إليه، كقولهم: أجبَن الرّجل، إذا كان أهله جُبناء، وأضعَف، إذا كان دوابّه ضعافًا؛ فأبصَرت الآية، إذا كان أصحابها بُصراء.

وقرأ قَتادَة وعليّ بن الحسين (مَبْصَرَة) بفتح الميم والصّاد، وهو مصدر أُقيم مقام الاسم. وكثر مثل ذلك في صفات الأمكنة، كقولهم: أرض مَسْبَعَة، ومكان مَضَبّة. (٦: ١٥)

نحوه الآلوسيّ. (١٥: ٢٦)

المَراغيّ: أي وجعلنا الآية الّتي هي (النّهار) مضيئة ومُبصِرة، أي يُبصِر أهلها فيها. (١٥: ١٩)

الطَّباطَبائيّ: أي جعلناها مضيئة لتطلبوا فيه رزقًا من ربّكم، فإنّ الرّزق فضله وعطاؤه تعالى. (١٣: ٥١)

٢ـ وَاٰتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْاٰيَاتِ اِلَّا تَخْوِيفًا. الإسراء: ٥٩

مُجاهِد: (مُبْصِرَةً): آية. (الطَّبَريّ ١٥: ١٠٩)

قَتادَة: أي بيّنة. (الطَّبَريّ ١٥: ١٠٩)

نحوه البَغَويّ (٣: ١٤١)، والكاشانيّ (٣: ١٩٩).

الفَرّاء: جعل الفعل لها. ومن قرأ (مَبْصَرَة) أراد مثل قول عنترة:

والكفر مَخبَثة لنفس المنعم

فإذا وضعْتَ «مَفْعَلة» في «فاعل» كفَتْ من الجمع والتّأنيث، فكانت موحّدةً مفتوحة العين، لايجوز كسرها؛ العرب تقول: هذا عُشب مَلْبَنة مَسمَنَة، والولد مَبخَلة مَجبَنة، فما ورد عليك منه فأخرجه على هذه الصّورة.

وإن كان من الياء والواو فأظهرهما؛ تقول: هذا شراب مَبوَلَة، وهذا كلام مَهيَبة للرّجال ومَتيَهَة، وأشباه ذلك.

ومعنى (مُبْصِرَةً): مضيئة، كما قال الله عزّوجلّ: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ المؤمن: ٦١، مضيئًا. (٢: ١٢٦)

الطَّبَريّ: جعل الإبصار للنّاقة، كما تقول للشّجة: موضحه، وهذه حجّة مبيّنة. وإنّما عنى بالمبصِرة: المضيئة البيّنة الّتي مَن يراها كانوا أهل بصر بها إنّها لله حجّة، كما قيل: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾. (١٥: ١٠٩)

الزّجّاج: ويُقرأ (مُبْصَرَةً). فمن قرأ (مُبْصِرَةً) فالمعنى تُبصِرهم، أي تُبيّن لهم. ومن قرأ (مُبصَرة) فالمعنى مُبيَّنة. (٣: ٢٤٧)

الطُّوسيّ: معناه (مُبصِرة) تبصِر النّاس بما فيها من العِبَر، والهُدى من الضّلالة، والشّقاء من السّعادة. ويجوز أن يكون المراد أنّها ذات إبصار. (٦: ٤٩٣)

المَيْبُديّ: أي آية بيّنة ظاهرة مضيئةٌ، خرجت من صخرةٍ صلدة.

وقيل: (مُبْصِرَةً): متضمّنةٌ لبصائر في الدّين لمن

استبصر.

وقيل: (مُبصِرةً) يُبصَر بها كيومٍ صائمٍ، يعني فصام فيه، وليلةٍ نائمةٍ ينام فيها.

وقيل: (مُبْصِرَةً) جاعلةً إيّاهم ذوي بصائر.

(٥: ٥٧٤)

الطَّبْرِسيّ: أي بيّنة، أراد آية مُبصِرة، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: ١٢، ومعناه دلالة واضحة ظاهرة.

وقيل: ذات إبصار، وقيل: تُبصِرهم وتُبيّن لهم حتّى يُبصِروا بها الهدى من الضّلالة، وهي ناقة صالح المُخرجَة من الصّخرة على الصّفة الّتي اقترحوها. (٣: ٤٢٣)

الفَخْرالرّازيّ: أي ذات إبصار، أي فيها إبصار لمن تأمّلها يُبصِر بها رشده، ويستدلّ بها على صدق ذلك الرّسول. (٢٠: ٢٣٤)

القُرطُبيّ: أي آية دالّة مضيئة نيّرة على صدق صالح، وعلى قدرة الله تعالى، وقد تقدّم ذلك.

(١٠: ٢٨١)

البَيْضاويّ: بيّنة ذات إبصار أو بصائر، أو جاعلتهم ذوي بصائر. وقرئ بالفتح. (١: ٥٨٩)

الخازن: أي بيّنة، وذلك لأنّ آثار إهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم، يُبصِرها صادرهم وورادهم. (٤: ١٣٥)

ابن كثير: أي دالّة على وحدانيّة من خلقها، وصدق رسوله الّذي أُجيب دعاؤه فيها. (٤: ٣٢٣)

البُرُوسَويّ: بيّنةً ذات إبصار، على أن يكون للنّسبة، فالتّاء للمبالغة. أو أُسند إليها حال من يشاهدها مجازًا. (٥: ١٧٧)

الآلوسيّ: على صيغة اسم الفاعل حال من النّاقة، والمراد: ذات إبصار، أو ذات بصيرة يُبصِرها الغير ويتبصّر بها، فالصّيغة للنّسب.

أو جاعلة النّاس ذوي بصائر، على أنّه اسم فاعل من أبصره، والهمزة للتّعدية، أي جعله ذا بصيرة وإدراك. ويُحتمل أن يكون إسناد الإبصار إليها مجازًا، وهو في الحقيقة حال من يشاهدها.

وقرأ قوم (مُبْصَرَة) بزنة اسم المفعول، أي يُبصِرها النّاس، ولاخفاء في ذلك.

وقرأ قَتادَة (مَبْصَرَ) بفتح الميم والصّاد، أي محلّ إبصار، بجعل الحامل على الشّيء بمنزلة محلّه، نحو الولد مَبْخَلَة مَجْبَنَة.

وقرأ زيد بن عليّ رضي الله تعالى عنهما (مُبْصِرةٌ) بزنة اسم الفاعل والرّفع، على إضمار مبتدإ، أي هي مُبصِرة. (١٥: ١٠٤)

الطَّباطَبائيّ: و«المبصِرة»: الظّاهرة البيّنة، على حدّ ما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: ١٢، وهي صفة النّاقة، أو صفة لمحذوف، والتّقدير: آية مُبصِرة.

والمعنى وآتينا قوم ثمود النّاقة حال كونها ظاهرة بيّنة، أو حال كونها آية ظاهرة بيّنة، فظلموا أنفسهم بسببها، أو ظلموا مكذّبين بها. (١٣: ١٣٦)

٣ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. النّمل: ١٣

ابن جُرَيْج: (مُبْصِرَةً): بيّنة. (الطَّبَريّ ١٩: ١٤٠)

الأخفش: ويجوز (مَبْصَرَة) وهو مصدر، كما يقال: الولد مَجْبَنَة. (القُرطُبيّ ١٣: ١٦٣)

الطَّبَريّ: يقول: يُبصِر بها من نظر إليها ورآها، حقيقة مادلّت عليه. (١٩: ١٤٠)

الطُّوسيّ: قيل في معنى (مُبْصِرَةً) قولان:

أحدهما: أنّها تُبصِر الصّواب من الخطإ، يقال: أبصَرتُه وبَصَّرتُه بمعنى واحد، كقولك: أكفرته وكفرته، وأكذبتُه وكذّبتُه.

الثّاني: (مُبْصِرَةً) للحقّ من الباطل، فهي تهدي إليه، كأنّها تراه. قالوا عند ذلك: إنّ هذه الآيات (سِحْرٌ مُبِينٌ) أي ظاهر. (٨: ٨١)

البغَويّ: بيّنة واضحة، يُبصَر بها. (٣: ٤٩٢)

نحوه الخازن (٥: ١١٢)، والقُرطُبيّ (١٣: ١٦٣)، والقاسميّ (١٣: ٤٦٦٢).

المَيْبُديّ: أي مستنيرة مُبصِرة بها، كما تقول: أبصَر النّهار، أي أُبصِر فيه، ومثله قوله: ﴿وَجَعَلْنَا أيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: ١٢، أي نيّرة يُبصَر فيها، نصب على الحال.

وقيل: (مُبصِرة) تجعلهم بُصراء. وقيل: جاعلة لهم بصائر ﴿قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. (٧: ١٨٣)

الزَّمَخْشَريّ: الظّاهرة البيّنة، جعل الإبصار لها، وهو في الحقيقة لمتأمّليها، لأنّهم لابسوها، وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكّرهم.

ويجوز أن يراد بحقيقة الإبصار: كلّ ناظر فيها من كافّة أُولي العقل. وأن يراد إبصار فرعون وملئه، لقوله: ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ النّمل: ١٤.

أو جعلت كأنّها تُبصِر فتهدي، لأنّ العَمي لاتقدر على الاهتداء فضلًا أن تهدي غيرها. ومنه قولهم: كلمة عيناء وكلمة عوراء، لأنّ الكلمة الحسنة تُرشد، والسّيّئة تغوي، ونحوه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ الإسراء: ١٠٢، فوصفها بالبصارة، كما وصفها بالإبصار.

وقرأ عليّ بن الحسين رضي الله عنهما وقَتادَة (مَبْصَرَة) وهي نحو: مَجْبَنَة ومَبْخَلَة ومَجْفَرة، أي مكانًا يكثر فيه التّبصّر. (٣: ١٣٩)

نحوه الفَخْرالرّازيّ. (٢٤: ١٨٤)

ابن عَطيّة: معناه معها الإبصار والوضوح، وهذا على نحو قولهم: نهارٌ صائمٌ وليلٌ قائمٌ ونائمٌ. (٤: ٢٥٢)

الطَّبْرِسيّ: أي واضحة بيّنة على من أبصر أنّها خارجة عن قدرة البشر، وهو مثل قوله: ﴿وَاٰتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: ٥٩. (٤: ٢١٣)

البَيْضاويّ: (مُبْصِرَةً): بيّنة، اسم فاعل أُطلق للمفعول، إشعارًا بأنّها لفرط اجتلائها للأبصار، بحيث تكاد تُبصِر نفسها لو كانت ممّا يُبصِر. أو ذات بصَر من حيث إنّها تهدي، والعمى لاتهتدي فضلًا عن أن تهدي. أو مُبصِرة كلّ من نظر إليها وتأمّل فيها. (٢: ١٧٢)

نحوه أبوالسُّعود (٥: ٧٢)، والنّيسابوريّ (١٩: ٨٣)، والبُرُوسَويّ (٦: ٣٢٤)، وشُبَّر (٤: ٤١٥).

أبوحَيّان: وانتصب (مُبْصِرَةً) على الحال، أي بيّنة

واضحة. ونُسب الإبصار إليها على سبيل المجاز، لما كان يُبصَر بها جُعلت (مُبْصِرَةً)، أو لما كان معها الإبصار والوضوح.

وقيل: لجعلهم بُصراء، من قولك: أبصَرته، المتعدّية بهمزة النّقل، من بَصُر وقيل: فاعل بمعنى مفعول، كماء دافقٍ.

وقرأ قَتادَة وعليّ بن الحسين (مَبْصَرَة) بفتح الميم والصّاد، وهو مصدر، كما تقول: الولد مَجْـبَنة. وأُقيم مقام الاسم، وانتصب أيضًا على الحال. وكثُر هذا الوزن في صفات الأماكن، نحو أرض مَسْبَعة، ومكان مَضَبّة.

(٧: ٥٨)

نحوه الآلوسيّ. (١٩: ١٦٨)

الطَّباطَبائيّ: المبصرة، بمعنى الواضحة الجليّة. (١٥: ٣٤٦)

يُبَصَّرُونَهُمْ

﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا * يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ﴾. المعارج: ١٠، ١١

ابن عَبّاس: يعرف الكفّار بعضهم بعضًا، ثمّ يفرّ بعضهم عن بعض.

مثله قَتادَة. (الطُّوسيّ ١٠: ١١٨)

يعرف بعضهم بعضًا، ويتعارفون بينهم، ثمّ يفرّ بعضهم من بعض. (الطَّبَريّ ٢٩: ٧٤)

يتعارفون ساعةً من النّهار، ثمّ لايتعارفون بعده.

(البَغَويّ ٥: ١٥٢)

مُجاهِد: المؤمنون يُبصَّرون الكافرين.

(الطَّبَريّ ٢٩: ٧٤)

الإمام الباقر ﷺ: يقول: يعرفونهم، ثمّ لايتساءلون. (الكاشانيّ ٥: ٢٢٦)

قَتادَة: يعرفونهم يعلمون، والله ليعرفنّ قومٌ قومًا وأُناس أُناسًا. (الطَّبَريّ ٢٩: ٧٤)

السُّدّيّ: يعرفونهم. أمّا المؤمن فببياض وجهه، وأمّا الكافر فبسواد وجهه. (البَغَويّ ٥: ١٥٢)

ابن زَيْد: يُبصَّرون الّذين أضلّوهم الدّنيا النّار.

(الطَّبَريّ ٢٩: ٧٤)

الطَّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في الّذين عنوا بالهاء والميم في قوله: (يُبَصَّرُونَهُمْ) فقال بعضهم: عُني بذلك الأقرباء أنّهم يُعرَّفون أقرباءهم ويُعرَّف كلّ إنسان قريبه، فذلك تبصير الله إيّاهم.

وقال آخرون: بل عُني بذلك المؤمنون أنّهم يُبصَّرون الكفّار.

وقال آخرون: بل عُني بذلك الكفّار الّذين كانوا أتباعًا لآخرين في الدّنيا على الكفر، أنّهم يعرّفون المتبوعين في النّار.

وأولى الأقوال في ذلك بالصّحّة قول من قال: معنى ذلك ولايسأل حميم حميمًا عن شأنه، ولكنّهم يُبصَّرونهم فيعرفونهم، ثمّ يفرّ بعضهم من بعض، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ عبس ٣٤ـ٣٧.

وإنّما قلنا ذلك أولى التّأويلات بالصّواب، لأنّ ذلك أشبهها بما دلّ عليه ظاهر التّنزيل؛ وذلك أنّ قوله:

(يُبَصَّرُونَهُمْ) تلا قوله: ﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج: ١٠، فلأن تكون الهاء والميم من ذكرهم أشبه منها بأن تكون من ذكر غيرهم. (٢٩: ٧٣)

الطُّوسيّ: قال ابن عبّاس وقَتادَة: يعرف الكفّار بعضهم بعضًا، ثمّ يفرّ بعضهم عن بعض، وقال مُجاهِد: يُعرّفهم المؤمنون، وقال قوم: يعرف أتباع الضّلال رؤساءهم.

وقول ابن عبّاس أظهر، لأنّه عقيب ذكر الكفّار.

وقال: هو كناية ينبغي أن يرجع إليهم. (١٠: ١١٨)

البغويّ: يرونهم. وليس في القيامة مخلوق إلّا وهو نصب عين صاحبه من الجنّ والإنس، فيُبصر الرّجل أباه وأخاه وقرابته، فلايسأله، ويُبصر حميمه فلايكلّمه لاشتغاله بنفسه.

وقيل: (يُبَصَّرُونَهُمْ) يُعرّفونهم، أي يُعرَّف الحميم حميمه حتّى يَعرفه، ومع ذلك لايسأله عن شأنه لشغله بنفسه. (٥: ١٥٢)

نحوه الخازن. (٦: ١٢٥)

المَيْبُديّ: أي يُعرّفون أقاربهم، فيقال لهم: هذا فلان وهذا فلان، زيادة في فضيحتهم.

وقيل: يُعرّفونهم، أي يُعرّفون الملائكة حتّى يَعرفوهم بسيماهم، فيعذّبونهم بألوان العذاب.

وقيل: يُبصّر المؤمنون الكافرين حتّى يَعرفوا الكفّار بسيماهم فيزدادوا شُكرًا، ويزداد الكفّار حسرةً وأسفًا.

وقيل: يُعرَف المؤمن ببياض وجهه والكافر بسواد وجهه.

وقيل: ليس في القيامة مخلوق إلّا وهو نصب عين صاحبه، فيُبصّر الرّجل أباه وأخاه وأقرباءه وعشيرته، لايسأله ولايكلّمه لاشتغاله بما هو فيه. (١٠: ٢٢٦)

نحوه أبوالسُّعود. (٥: ١٩٣)

الزَّمَخْشَريّ: أي يُبصَّر الأحماءُ الأحماءَ فلايخفون عليهم، فما يمنعهم من المساءلة أنّ بعضهم لايبصر بعضًا وإنّما يمنعهم التّشاغل.

وقرئ (يُبْصَرُونَهُمْ) وقرئ (وَلَا يُسْئَل) على البناء للمفعول، أي لايقال لحميم: أين حميمك ولايُطلَب منه، لأنّهم يُبْصِرونهم فلايحتاجون إلى السّؤال والطّلب.

فإن قلت: ماموضع (يُبَصَّرُونَهُمْ)؟

قلت: هو كلام مستأنَف كأنّه لمّا قال: ﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ قيل: لعلّه لايُبصِره، فقيل: (يُبَصَّرُونَهُمْ)، ولكنّهم لتشاغلهم لم يتمكّنوا من تساؤلهم.

فإن قلت: لِمَ جُمع الضّميران في (يُبَصَّرُونَهُمْ) وهما للحميمين؟

قلت: المعنى على العموم لكلّ حميمين، لا لحميمين اثنين.

ويجوز أن يكون (يُبَصَّرُونَهُمْ) صفة، أي حميمًا مبصَّرين معرَّفين إيّاهم. (٤: ١٥٧)

الطَّبْرِسيّ: لمّا وصف سبحانه القيامة وأخبر أنّ الحميم فيه لايسأل حميمه لشغله بنفسه، قال: (يُبَصَّرُونَهُمْ).

قيل: يُعرّف أتباع الضّلالة رؤساءهم.

وقيل: إنّ الضّمير يعود إلى الملائكة. وقد تقدّم ذكرهم، أي يُعرّفهم الملائكة، ويُجعَلون بصراء بهم، فيسوقون فريقًا إلى الجنّة، وفريقًا إلى النّار. (٥: ٣٥٥)

الفَخْرالرّازيّ: يقال: بَصُرت به أبصُر، قال تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ طٰهٰ: ٩٦.

ويقال: بصرت زيد بكذا، فإذا حذفت الجارّ قلت: بصرني زيد كذا، فإذا أثبت الفعل للمفعول به وقد حذفت الجارّ قلت: بصرني زيدًا، فهذا هو معنى (يُبَصَّرُونَهُمْ).

وإنّما جُمع فقيل: (يُبَصَّرُونَهُمْ) لأنّ الحميم وإن كان مفردًا في اللّفظ فالمراد به الكثرة والجمع، والدّليل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ الشعراء: ١٠٠.

ومعنى (يُبَصَّرُونَهُمْ) يُعرّفونهم، أي يُعرّف الحميم الحميم حتّى يَعْرفه، وهو مع ذلك لايسأله عن شأنه لشغله بنفسه.

فإن قيل ماموضع (يُبَصَّرُونَهُمْ)؟

قلنا: فيه وجهان:

الأوّل: أنّه متعلّق بما قبله، كأنّه لمّا قال: ﴿وَلَايَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ قيل: لعلّه لايُبصِره، فقيل: (يُبَصَّرُونَهُمْ) ولكنّهم لاشتغالهم بأنفسهم لايتمكّنون من تساؤلهم.

الثّاني: أنّه متعلّق بما بعده، والمعنى أنّ المجرمين يُبَصَّرون المؤمنين حال مايودّ أحدهم أن يفدي نفسه، لكلّ مايملكه. فإنّ الإنسان إذا كان في البلاء الشّديد ثمّ رآه عدوّه على تلك الحالة، كان ذلك في نهاية الشّدّة عليه. (٣٠: ١٢٦)

القُرطُبيّ: أي يرونهم. وليس في القيامة مخلوق إلّا وهو نصب عين صاحبه من الجنّ والإنس، فيُبَصَّر الرّجل أباه وأخاه وقرابته وعشيرته ولايسأله ولايُكلّمه، لاشتغالهم بأنفسهم.

وفي بعض الأخبار: أنّ أهل القيامة يفرّون من المعارف مخافة المظالم.

وقال ابن عبّاس: (يُبَصَّرُونَهُمْ) يُبصّر بعضهم بعضًا فيتعارفون، ثمّ يفرّ بعضهم من بعض، فالضّمير في (يُبَصَّرُونَهُمْ) على هذا للكفّار، والميم للأقرباء.

وقال مُجاهد: المعنى يُبَصّر الله المؤمنين الكفّار في يوم القيامة. فالضّمير في (يُبَصَّرُونَهُمْ) للمؤمنين، والهاء والميم للكفّار.

ابن زَيْد: المعنى يُبَصّر الله الكفّار في النّار الّذين أضلّوهم في الدّنيا. فالضّمير في (يُبَصَّرُونَهُمْ) للتّابعين، والهاء والميم للمتبوعين.

وقيل: إنّه يبصر المظلومَ ظالمه والمقتولُ قاتله.

وقيل: (يُبَصَّرُونَهُمْ) يرجع إلى الملائكة، أي يعرفون أحوال النّاس، فيسوقون كلّ فريق إلى مايليق بهم. (١٨: ٢٨٥)

البُرُوسَويّ: استئناف، كأنّه قيل: لعلّه لايُبصِره، فكيف يسأل عن حاله، فقل: (يُبَصَّرُونَهُمْ). والضّمير الأوّل لـ(حَمِيم) أوّل، والثّاني للثّاني. وجمع الضّميرين لعموم الحميم لكلّ حميمين، لاالحميمين اثنين.

قال في «تاج المصادر»: التّبصير: الإبصار والتّعريف والإيضاح، ويُعدّى إلى المفعول الثّاني بالباء، وقد تُحذف الباء، وعلى هذا (يُبَصَّرُونَهُمْ) انتهى. يعني عُدّي (يُبَصَّرُونَهُمْ) بالتّضعيف إلى ثانٍ، وقام الأوّل مقام الفاعل.

والشّائع المتعارف تعديته إلى الثّاني، بحرف الجرّ،

يقال: بصَّرته به، وقد يحذف الجارّ. وإذا نسبت الفعل للمفعول به حذفت الجارّ، وقلت: بصَّرت زيدًا، ومافي الآية من هذا القبيل.

والمعنى يُبصَّر الأحماءُ الأحماءَ، يعني يُبصَّرون بالأقرباء، فلايخفون عليهم، ولايمنعهم من التّساؤل إلّا تشاغلهم بحال أنفسهم. وليس في القيامة مخلوق إلّا وهو نصب عين صاحبه، فيُبصَّر الرّجل أباه وأخاه وأقرباءه وعشيرته، ولكن لايسأله ولايكلّمه، لاشتغاله بما هو فيه. (١٠: ١٦٠)

شُبّر: استئناف لبيان أنّ انتقال السّؤال لتشاغلهم لالعدم الإبصار، والجمع للمعنى. (٦: ٢٨١)

الآلوسيّ: أي يُبصَّر الأحماءُ الأحماءَ، فلايخفون عليهم، ومايمنعهم من التّساؤل إلّا اشتغالهم بحال أنفسهم.

وقيل: مايغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده، ولايخفى حاله.

و(يُبَصَّرُونَهُمْ) قيل: من بَصَّرته بالشّيء، إذا أوضحته له حتّى يبصره، ثمّ ضمّن معنى التّعريف، أو حذف الصّلة إيصالًا. وجمع الضّميرين لعموم الحميم، والجملة استئناف، كأنّه لمّا قيل: (لَايَسْئَلُ) إلخ. قيل: لعلّه لايبصره، فقيل: (يُبَصَّرُونَهُمْ).

وجُوّز أن تكون صفةً، أي حميمًا مُبصَّرين مُعرَّفين إيّاهم. وأن تكون حالًا إمّا من الفاعل أو من المفعول، أو كليهما، ولايضرّ التّنكير لمكان العموم، وهو مسوّغ للحاليّة ورُجّحت على الوصفيّة، بأنّ التّقييد بالوصف في مقام الإطلاق والتّعميم غير مناسب، وليس فيها ذلك، فلاتغفل. (٢٩: ٥٩)

المَراغيّ: من قولك: بصَّرته بالشّيء، إذا أوضحته له حتّى يُبصِره، أي يتعارفون، ثمّ يفرّ بعضهم من بعض بعد ذلك. (٢٩: ٦٨)

الطَّباطَبائيّ: الضّميران للأحماء المعلوم من السّياق، والتّبصير: الإراءة والإيضاح، أي يرى ويوضح الأحماء للأحماء فلايسألونهم عن حالهم اشتغالًا بأنفسهم.

والجملة مستأنفة، في معنى الجواب عن سؤال مقدّر، كأنّه لمّا قيل: ﴿لَايَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾، سئل فقيل: هل يرى الأحماء يومئذٍ أحماءهم؟ فأُجيب: (يُبَصَّرُونَهُمْ).

ويمكن أن يكون (يُبَصَّرُونَهُمْ) صفة (حميمًا).

ومن رديء التّفسير قول بعضهم: إنّ معنى قوله: (يُبَصَّرُونَهُمْ) يُبصَّر الملائكة الكفّار. وماقيل: إنّ المعنى يُبصَّر المؤمنون أعداءهم من الكفّار وماهم فيه من العذاب، فيشمتون بهم. وماقيل: إنّ المعنى يُبصَّر أتباع الضّلالة رؤساءهم، وهي جميعًا وجوه لادليل عليها. (٢٠: ٩)

المُصطَفَويّ: أي يُعرَّفون ويُبيَّنون لهم فيُبصَّرون أحوالهم ومقاماتهم، وكيفيّات أُمورهم وحدود اختيارهم وأعمالهم، فيشاهدونهم، ويعلمون أنّ المسألة عنهم غير مفيدة. فالضّميران يرجعان إلى «الحميم» باعتبار معناه الجمعيّ. (١: ٢٦٧)

تَبْصِرَةً

تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ. ق: ٨

مُجاهِد: بصيرةٌ. (الطَّبَريّ ٢٦: ١٥٢)

قَتادَة: نعمةٌ من الله يبصرها العباد.

(الطَّبَريّ ٢٦: ١٥٢)

أبوحاتم: نُصب على المصدر، يعني جعلنا ذلك تبصيرًا وتنبيهًا على قدرتنا. (القُرطُبيّ ١٧: ٦)

الطَّبَريّ: يقول: فعلنا ذلك تبصرةً لكم أيّها النّاس نُبصّركم بها قدرة ربّكم على مايشاء. (٢٦: ١٥٢)

الزّجّاج: أي فعلنا ذلك لنُبصّر به ونَدلّ على القدرة. (٥: ٤٣)

الطُّوسيّ: أي فعلنا ذلك وخلقناه على ماوصفناه، ليتبصّر به ويتفكّر به كلّ مكلّف كامل العقل، يريد الرّجوع إلى الله والإنابة إليه. (٩: ٣٦٠)

البغَويّ: أي جعلنا ذلك تبصرةً. (٤: ٢٧١)

مثله الخازن. (٦: ١٩٤)

المَيْبُديّ: أي جعلنا ذلك (تَبْصِرَةً وَذِكْرٰى) أي تبصيرًا وتذكيرًا وتنبيهًا. (٩: ٢٧٧)

الزَّمَخْشَريّ: لتبصّر به وتذكر كلّ (عَبْدٍ مُنيبٍ) راجع إلى ربّه، مفكّر في بدائع خلقه خلقها وقرئ (تَبْصِرَةٌ وذِكْرٰى) بالرّفع، أي خلقها تبصرةٌ. (٤: ٤)

الطَّبْرِسيّ: أي فعلنا ذلك تبصيرًا، ليُبصّر به أمر الدّين وتذكيرًا وتذكّرًا. (٥: ١٤٣)

نحوه شُبّر. (٦: ٦٨)

الفَخْرالرّازيّ: يُحتمل أن يكون الأمران عائدين إلى الأمرين المذكورين، وهما «السّماء والأرض» على أنّ خلق السّماء (تَبْصِرَةً) وخلق الأرض (ذكرى).

ويدلّ عليه أنّ السّماء زينتها مستمرّة غير مستجدّة في كلّ عام، فهي كالشّيء المرئيّ على مرور الزّمان. وأمّا الأرض فهي كلّ سنة تأخذ زخرفها، فذكر السّماء تبصرةً والأرض تذكرةً.

ويُحتمل أن يكون كلّ واحد من الأمرين موجودًا في كلّ واحد من الأمرين، فالسّماء تبصرة والأرض كذلك.

والفرق بين: التّبصرة والتّذكرة، هو أنّ فيها آيات مستمرّة منصوبة في مقابلة البصائر، وآيات متجدّدة مُذكّرة عند التّناسي. (٢٨: ١٥٦)

القُرطُبيّ: أي جعلنا ذلك تبصرةً، لتدلّ به على كمال قدرتنا. (١٧: ٦)

أبوحَيّان: قرأ الجمهور (تَبْصِرَةً وَذِكْرٰى) بالنّصب، وهما منصوبان بفعل مُضمَر من لفظهما، أي بَصّر وذكّر، وقيل: مفعول من أجله.

وقرأ زيد بن عليّ (تَبْصِرَةٌ) بالرّفع، و(ذِكْرٰى) معطوف عليه، أي ذلك الخَلْق على ذلك الوصف تبصرةٌ، والمعنى يتبصّر بذلك، ويتذكّر كلّ عبد منيب. (٨: ١٢١)

ابن كثير: أي ومشاهدة خَلْق السّماوات والأرض وماجعل الله فيها من الآيات العظيمة تبصرةً ودلالةً. (٦: ٣٩٧)

الشِّربينيّ: أي جعلنا هذه الأشياء كلّها لأجل أن تنظروا بأبصاركم وتتفكّروا ببصائركم، فتعبروا منها إلى صانعها فتعلموا ماله من العظمة. (٤: ٨٠)

أبوالسُّعود: علّتان للأفعال المذكورة معنًى وإن انتصبتا بالفعل الأخير أو لفعل مقدّر بطريق الاستئناف، أي فعلنا مافعلنا تبصيرًا وتذكيرًا. (٦: ١٢٣)

نحـوه القـاسميّ (١٥: ٥٤٨٦)، والبُرُوسَويّ (٩: ١٠٧).

المَراغيّ: أي فعلنا ذلك لتبصرة العبد المنيب، وادّكـاره، فـإن رفعنا السّماء أو زيّنّاها بالكواكب فلاستبصاره، وإن بسطنا الأرض أو أرسيناها بالجبال أو أنبتنا النّبات زينة للأرض فلاعتباره.. (٢٦: ١٥٥)

الطَّباطَبائيّ: مفعول له، أي فعلنا مافعلنا من بناء السّماء ومدّ الأرض، وعجائب التّدبير الّتي أجريناها فيها، ليكون تبصرةً يتبصّر بها، وذكرى يتذكّر بها كلّ عبد راجع إلى الله سبحانه. (١٨: ٣٤١)

المُصْطَفَويّ: من بصّره الأمر، أي فهّمه وأوضحه، يتعدّى إلى المفعول الثّاني بنفسه وبالباء. (١: ٢٦٧)

مُسْتَبْصِرِينَ

...وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ. العنكبوت: ٣٨

ابن عَبّاس: (مُسْتَبْصِرِينَ) في دينهم.

مثله الضّحّاك. (الطَّبَريّ ٢٠: ١٥٠)

لهم بصيرة في كفرهم وإعجاب به وإصرار عليه، فذمّهم بذلك.

مثله مُجاهِد والضّحّاك. (ابن عَطيّة ٤: ٣١٧)

مُجاهِد: في الضّلالة. (الطَّبَريّ ٢٠: ١٥٠)

قَتادَة: في ضلالتهم معجَبين بها.

(الطَّبَريّ ٢٠: ١٥٠)

معناه أنّهم كانوا مستبصِرين عند أنفسهم فيما كانوا عليه من الضّلالة، يحسبون أنّهم على هدًى.

مثله الكَلْبيّ. (الطَّبْرِسيّ ٤: ٢٨٣)

نحوه مُقاتِل (البَغَويّ ٣: ٥٥٧)، والخازن (٥: ١٦٠).

الفَرّاء: في دينهم يقول: ذوو بصائر. (٢: ٣١٧)

الطَّبَريّ: يقول: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ في ضلالتهم معجَبين بها، يحسبون أنّهم على هدًى وصواب، وهم على الضّلال. (٢٠: ١٥٠)

الطُّوسيّ: أي وكانوا عقلاء، يمكنهم تمييز الحقّ من الباطل بإبصارهم له وفكرهم فيه. (٨: ٢٠٨)

مثله الطَّبْرِسيّ (٤: ٢٨٣)، ونحوه الكاشانيّ (٤: ١١٧)، وشُبَّر (٥: ٦٢).

المَيْبُديّ: ذوي بصائر، يمكنهم تمييز الحقّ من الباطل.

وقيل: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ يعني ثمود، واستبصارهم: حذقهم في جوف الصّخر بالوادي بيوتًا. وقال في موضع آخر: (فَارِهِينَ) الشّعراء: ١٤٩.

(٧: ٣٩٢)

الرّاغِب: أي طالبين للبصيرة. ويصحّ أن يُستعار الاستبصار للإبصار نحو استعارة الاستجابة للإجابة.

(٤٩)

الزَّمَخْشَريّ: عقلاء متمكّنين من النّظر والافتكار، ولكنّهم لم يفعلوا. أو كانوا متبيّنين أنّ العذاب نازل بهم، لأنّ الله تعالى قد بيّن لهم على ألسنة الرّسل عليهم السلام، ولكنّهم لجّوا حتّى هلكوا. (٣: ٢٠٦)

نحوه أبوالسّعود (٥: ١٥٢)، والقاسميّ (١٣: ٤٧٤٩)، والبيضاويّ (٢: ٢١٠)، والآلوسيّ (٢٠:

١٥٨).

ابن عَطيّة: قيل: لهم بصيرة في أنّ الرّسالة والآيات حقّ، لكنّهم كانوا مع ذلك يكفرون عنادًا، ويردّهم الضّلالة إلى مجاهله ومتالفه، فيجري هذا مجرى قوله تعالى في غيرهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا اَنْفُسُهُمْ﴾ النّمل: ١٤. (٤: ٣١٧)

نحوه أبوحيّان. (٧: ١٥٢)

الفَخْرالرّازيّ: يعني بواسطة الرّسل، يعني فلم يكن لهم في ذلك عذر، فإنّ الرّسل أوضحوا السّبل. (٢٥: ٦٦)

القُرطُبيّ: فيه قولان:

أحدهما: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ في الضّلالة، قاله مُجاهِد.

والثّاني: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ قد عرفوا الحقّ من الباطل بظهور البراهين. وهذا القول أشبه، لأنّه إنّما يقال: فلان مستبصر، إذا عرف الشّيء على الحقيقة.

وقيل: أتوا ما أتوا، وقد تبيّن لهم أنّ عاقبتهم العذاب. (١٣: ٣٤٤)

الفيروز اباديّ: أي طالبين للبصيرة.

(بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٢٣)

البُرُوسَويّ: يقال: استبصر في أمره، إذا كان ذابصيرة، أي والحال أنّهم ـ أي عادًا وثمود ـ قد كانوا ذوي بصيرة عقلاء، متمكّنين من النّظر والاستدلال، ولكنّهم لم يفعلوا ذلك لمتابعتهم الشّيطان، فلم ينتفعوا بعقولهم في تمييز الحقّ من الباطل، فكانوا كالحيوان.

(٦: ٤٦٨)

الطَّباطَبائيّ: قال بعضهم: إنّ المراد بكونهم (مُسْتَبْصِرِينَ) أنّهم كانوا قبل ذلك على الفطرة السّاذجة. لكن الظّاهر ـ كما تقدّم ـ في تفسير قوله: ﴿كَانَ النَّاسُ اُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيّنَ﴾ البقرة: ٢١٣، أنّ عهد الفطرة السّاذجة كان قبل بعثة نوح عليه السلام، وعاد وثمود كانوا بعد نوح، فكونهم (مُسْتَبْصِرِينَ) قبل انصدادهم عن السّبيل، هو كونهم يعيشون على عبادة الله ودين التّوحيد، وهو دين الفطرة. (١٦: ١٢٦)

الوُجوه والنّظائر

١ـ البصير

مُقاتِل: تفسير «البصر» على ثلاثة وجوه:

فوجه منها: البصير بالقلب، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ اِلَيْكَ اَفَاَنْتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَايُبْصِرُونَ﴾ يونس: ٤٣، يعني الهدى بالقلب. وقال: ﴿وَمَايَسْتَوِى الْاَعْمٰى وَالْبَصِيرُ﴾ فاطر: ١٩، يعني بصير القلب بالإيمان وهو المؤمن. وقال: ﴿وَتَرٰيهُمْ يَنْظُرُونَ اِلَيْكَ وَهُمْ لَايُبْصِرُونَ﴾ الأعراف: ١٩٨، يعني بالقلوب.

والوجه الثّاني: البصير بالعينين، فذلك قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ الدّهر: ٢، يعني بصيرًا بالعينين. وقال في يوسف ليعقوب: ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ يوسف: ٩٦، يعني بصيرًا بالعينين. وقال: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ق: ٢٢، يعني بصيرًا بالعينين.

والوجه الثّالث: البصير بالحجّة، فذلك قوله: ﴿وَقَدْ

كُنْتُ بَصِيرًا﴾ طه: ١٢٥، يعني بالحجّة في الدّنيا.
(٢٢٦)

مثله هارون الأعور (٢٣٢)، ونحوه الدّامغانيّ (١٥٦).

٢ـ البَصَر

الفيروز اباديّ: ورد «البصر» في القرآن على وجوه:

بصر النّظر والحجّة: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ اِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ الملك: ٣، ٤.

وبصر الأدب والحرمة: ﴿مَازَاغَ الْبَصَرُ وَمَاطَغَى﴾ النّجم: ١٧.

وبصر للتّعجيل والسّرعة: ﴿وَمَااَمْرُنَا اِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ القمر: ٥٠.

وبصر الحيرة والحسرة: ﴿فَاِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ القيٰمة: ٧.

وبصر للعمى في الكافر والجهالة: ﴿وَجَعَلَ عَلٰى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ الجاثية: ٢٣.

وبصر السّؤال عن المعصية والطّاعة: ﴿اِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ الإسراء: ٣٦.

وبصر في عدم الفائدة والمنفعة ﴿فَمَا اَغْنٰى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَااَبْصَارُهُمْ﴾ الأحقاف: ٢٦.

وبصر للغيّ والغفلة ﴿اُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلٰى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَاَبْصَارِهِمْ﴾ النّحل: ١٠٨.

وبصر للغطاء واللّعنة: ﴿فَاَصَمَّهُمْ وَاَعْمٰى اَبْصَارَهُمْ﴾ محمّد: ٢٣.

وبصر لإبعاد المنكرين عن اللّقاء والرّؤية: ﴿لَاتُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ﴾ الأنعام: ١٠٣.

وبصر للختم والخسارة ﴿خَتَمَ اللهُ عَلٰى قُلُوبِهِمْ وَعَلٰى سَمْعِهِمْ وَعَلٰى اَبْصَارِهِمْ﴾ البقرة: ٧.

وبصر للنّظر والعبرة: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَااُولِى الْاَبْصَارِ﴾ الحشر: ٢. (بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٢٤)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: البَصَر، أي العين، يقال: بَصُر به بَصَرًا وبَصارةً وبِصارةً، إذا نظر إليه، وأبصَر الشّيء: رآه، وتبصّر به وتبصّره: رمقه وتأمّله، وباصره: رآه، أو نظر إليه من بعيد، ونظر معه إلى شيء أيّهما يُبصِره قبل صاحبه. وتباصر القوم: أبصَر بعضهم بعضًا. وبصّر الجروُ تبصيرًا: فتح عينيه، ومن ذلك يُطلق البصر على حاسّة الرّؤية وعلى الرّؤية، وقوّة البصر، والنّور الّذي تُدرِك به الجارحة المبصَرات، ومنه: الباصرة، أي العين.

ويقال أيضًا: أراه لمحًا باصرًا، أي نظرًا بتحديق شديد، ولقيت من فلان لمحًا باصرًا، أي أمرًا واضحًا. ولقيه بصَرًا، أي حين تباصرت الأعيان ورأى بعضها بعضًا، وقيل: هو في أوّل الظّلام إذا بقي من الضّوء قدر ماتتباين به الأشباح.

٢ـ ثمّ عُمّم استعمال هذه المادّة من استبانة ماهيّة الأشياء بالبصر إلى سبْر كنه الأُمور بالقلب والذّهن، يقال: بَصُر يَبصُرُ بَصارةً: عليم فهو بصير، وأبصَر

الرّجل: خرج من الكفر إلى بصيرة الإيمان، واستبصر في أمره ودينه: كان ذابصيرة.

ويقال أيضًا: أما لك بصيرة في هذا؟ أي عبرة تعتبر بها. وأعمَى الله بصائره، أي فِطَنه. وإنّه لذو بصَر وبصيرة في العبادة، وإنّه لبصير بالأشياء: عالم بها. ورأى فلان لمًا باصرًا، أي أمرًا مفروغًا منه.

٣ـ ومنه أيضًا: البصيرة، وهي شقّة من قطن وغيره، تُعلّق على باب الرّحل، أو تُجعل مابين شقّتي البيت، أو تكون على الخِباء، لأنّها أوّل مايُبصَر من البيت أو متاعه، وجمعها: بصائر.

والبصيرة: قدر الدّرهم من الدّم لوضوحها، ودم البكر، إذ به تعلم المرأة أثيّب هي أم عذراء؟ وشيء من الدّم على الأرض يُستدلّ به على الرّميّة. وهي الدّية، والدّرع، أو حلَقة من حلقاته، أو الدّرع اللّامع خاصّة، لأنّه أوّل مايُبصَر من سلاح المحارِب. والرّأس كذلك، وهو أوّل مايُبصَر من الجنين حين الولادة، ومن الإنسان حين المواجهة.

والبصيرة أيضًا: عقيدة القلب، والعِبرة، والفطنة، ويبدو أنّها جميعًا متفرّعة من المعنى الثّاني الموسّع، وبعضها من المعنى الأوّل.

وكذا الحجّة الواضحة والآية المُبصرة، والمعرفة الّتي يُميَّز بها بين الحقّ والباطل، والثّبات في الرّأي والدّين، ومنشأ العلم والمعرفة. ومنه: المُبصِر، أي القيّم بأمر البستان، والصّفّ في المدرسة.

٤ـ أمّا البُصْر، أي غلظ الشّيء وجانبه، والبَصْرة، أي الأرض ذات الحجارة اللّيّنة فيها بياض، والبرّاقة، والبِصْرة: الأرض ذات الحجارة الّتي تقطع حوافر الدّوابّ، فهي ليست من هذه المادّة.

فالبُصْر مقلوب عن «الصُّبْر»، والبَصْرة والبِصْرة مقلوبان عن «الصَّبْرة» و«الصِّبْرة» بالفتح والكسر.

وهكذا يلحق بمادّة (ص ب ر) ضمّ حاشيتي أديمين وخياطتهما، وحمرة الأرض والكمأة، وكلّ مايفيد الغلظة والثّقل. ولو جعلنا الغلظ من (ب ص ر) لامِن (ص ب ر) ـ كما عليه اللّغويّون ـ فله وجه ظاهر، لأنّها جميعًا فيها معنى الرّؤية أو العلم، فالأرض البيضاء والبرّاقة تُرى من بعيد، وكذا الشّيء الغليظ، فلاحظ.

٥ ـ وبُصْرى: موضع في سوريا من محافظة حوران، وبُصْرى أيضًا: موضع في العراق من قرى بغداد، قرب «عُكْبَراء» كما قال ياقوت.

وهذا اللّفظ سريانيّ، أُدخل في العربيّة بلفظه، لمجاراته وزن (فُعْلى)، مثل: كُبرى وصُغرى وحُبلى. والنّسب إليه «بُصْريّ» بحذف الألف المقصورة، أو «بُصْرَويّ»، بقلبها واوًا، وكلاهما مقيس في العربيّة.

الاستعمال القرآنيّ

تدور المادّة في القرآن على خمسة محاور: ١ـ بَصُر مجرّدًا ٢ـ أبْصَرَ مزيدًا ٣ـ بصير ٤ـ بصيرة وبصائر وتبصرة ٥ ـ البَصَر جمعًا ومفردًا:

١ـ بَصُرَ مجرّدًا: آيتان:

١ـ ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ القصص: ١١

٢ـ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً

مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ طٰهٰ: ٩٦

يلاحظ أوّلًا: أنّ «بَصُرَ به» ـ بضمّ العين وقد يأتي بالفتح والكسر ـ في اللّغة بمعنى أبصَرَ، من دون قيد زائد. وقد جاء في التّفاسير: «جعلت أُخت موسى تنظر إليه من بعيد كأنّها لاتريده» ، «تمشي جانبًا وتنظر اختلاسًا،ترى أنّها لاتنظره»، إعجاز من إعجاز النّظم القرآنيّ الّذي تشخّص فيه الكلمة ألطف المعاني وأرقّها..

ففي كلمة (بَصُرَتْ) نرى أنّ قلب تلك الأُخت كان أمام عينيها، فلم تبحث عن أخيها بعينيها، ولم تسمع أخباره بأذنيها، وإنّما كانت كيانًا من الحذر والحيطة؛ بحيث تقرأ الحركات والإشارات، وتتأمّل الرّموز والألغاز.

فالبَصَر هنا بَصَر علم أقرب مايكون إلى الإلهام، كقوله: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾.

فنرى أنّ «بَصُرَ» في الأوّلين فُسّر بالنّظر بالبصر اختلاسًا، وفي الثّالث بمعنى العلم، وأُدّعي أنّ فيهما إعجازًا بليغًا. ونحن مع الاعتراف بهذا اللّطف في المعنيين نقول: إنّ ذلك لايعدّ معنى للفظ «بَصُر به» بل هما مستفادان من الجملة، ولاسيّما من قوله: ﴿عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ﴾.

ثانيًا: نبّه الطَّبْرِسيّ ـ وكذا الآلوسيّ ـ على الإيجاز الدّالّ على الإعجاز باللّفظ القليل المعنى على المعنى الكثير في الآية، وبيانه: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾، فتبعته أُخته، ورأت آل فرعون قد انتشلوا التّابوت من الماء، وأخرجوا موسى منه، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾.

ونحن نضيف إلى ذلك: أنّ حذف هذه الجمل لوضوحها يحمل لطيفة أُخرى، وهي دلالتها على عجلتها في الاطّلاع على مصير أخيها؛ حيث انعكست في حذف هذه المقدّمات عند حكاية القصّة.

ثالثًا: في قوله: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ﴾ القائل هو أُمّ موسى، والمقول له هو أُخته القاصّة، والمقصوص هو موسى الطّفل الحبيب الّذي وقع في قبضة فرعون عدوّه اللّدود. وهذه المفاهيم تبعث العاطفة والإحساس على مالايُطيقه البيان، سوى نفس الآيات: ﴿وَاَصْبَحَ فُؤَادُ اُمِّ مُوسٰى فَارِغًا اِنْ كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلَا اَنْ رَبَطْنَا عَلٰى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* وَقَالَتْ لِاُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ اَدُلُّكُمْ عَلٰى اَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ* فَرَدَدْنَاهُ اِلٰى اُمِّهِ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَاتَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ اَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَايَعْلَمُونَ﴾ القصص: ١٠ ـ ١٣.

رابعًا: حمل أكثرهم «بَصُرَ» في آية (طٰهٰ) على العلم، مع حملهم آية القصص على رؤية البصر قولًا واحدًا وهو ظاهر، أي علمت بما لم يعلموا، وقال آخرون: فطنت بما لم يفطنوا. ولانرى وجهًا لذلك، سوى أنّها كانت رؤية خاصّة به كَبَشَرٍ، والسّرّ يُعلَم ولايُرى.

إلّا أنّه يسوغ لنا أن نحمله كما حملوا «بَصُرَ» في آية القَصص عليه، من رؤية البصر سرًّا وخفية واختلاسًا. وقد جمع بعضهم بين المعنيين، قال: رأت مالم يروا، وعرفت مالم يعرفوا.

وقال الطَّباطَبائيّ: «إبصاره جبرئيل حين نزل راجلًا

أو راكبًا، رآه وعرفه، ولم يره غيره من بني إسرائيل» فحملها على رؤية العين لجبرائيل، وبه قال الطَّبْرِسيّ، والكلّ مُحتمَل.

٢ـ أبصر وبصّر واستبصر:

أ ـ أبصر: جاء فعلًا ماضيًا مرّتين، ومضارعًا (٢٤) مرّة، وأمرًا (٤) مرّات، واسمًا فاعلًا (٧) مرّات، بثلاثة معانٍ: إبصار عين، وإبصار قلب ـ أو المردّد بينهما ـ والأمر الجليّ:

الإبصار بالعين: ١ـ ﴿وَنَحْنُ اَقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلٰكِنْ لَاتُبْصِرُونَ﴾ الواقعة: ٨٥

٢ـ ﴿فَلَا اُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَالَاتُبْصِرُونَ﴾ الحاقّة: ٣٨، ٣٩

٣ـ ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَالَايَسْمَعُ وَلَايُبْصِرُ وَلَايُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ مريم: ٤٢

٤ـ ﴿اَمْ لَهُمْ اَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا اَمْ لَهُمْ اَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الأعراف: ١٩٥

٥ـ ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَايَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ اَعْيُنٌ لَايُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الأعراف: ١٧٩

٦ـ ﴿وَتَرٰيهُمْ يَنْظُرُونَ اِلَيْكَ وَهُمْ لَايُبْصِرُونَ﴾ الأعراف: ١٩٨

٧ـ ﴿مَاكَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَاكَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ هود: ٢٠

٨ـ ﴿اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ اِلَى الْاَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَاْكُلُ مِنْهُ اَنْعَامُهُمْ وَاَنْفُسُهُمْ اَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ السّجدة: ٢٧

٩ـ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلٰى اَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَاَنّٰى يُبْصِرُونَ﴾ يس: ٦٦

١٠ـ ﴿هَلْ هٰذَا اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ اَفَتَاْتُونَ السِّحْرَ وَاَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ الأنبياء: ٣

١١ـ ﴿وَلُوطًا اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اَتَاْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَاَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ النّمل: ٥٤

١٢ـ ﴿وَهٰذِهِ الْاَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي اَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الزّخرف: ٥١

١٣ـ ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ اِلٰى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * اَفَسِحْرٌ هٰذَا اَمْ اَنْتُمْ لَاتُبْصِرُونَ﴾ الطّور: ١٣، ١٥

١٤ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتّٰى حِينٍ * وَاَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ الصّافّات: ١٧٤، ١٧٥

الإبصار بالقلب: ١٥ـ ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتّٰى حِينٍ * وَاَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ الصّافّات: ١٧٨، ١٧٩

١٦ـ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَااَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ الأنعام: ١٠٤

١٧ـ ﴿وَلَوْ تَرٰى اِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا اَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا اِنَّا مُوقِنُونَ﴾ السّجدة: ١٢

١٨ـ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِاَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ القلم: ٥

١٩ـ ﴿قُلْ اَرَاَيْتُمْ اِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ مَنْ اِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَاْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ اَفَلَاتُبْصِرُونَ﴾ القصص: ٧٢

٢٠ـ ﴿وَفِي الْاَرْضِ اٰيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي اَنْفُسِكُمْ

أفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الذّاريات: ٢١، ٢٠

٢١ـ ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَايُبْصِرُونَ﴾ البقرة: ١٧

٢٢ـ ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَايُبْصِرُونَ﴾ يونس: ٤٣

٢٣ـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَايُبْصِرُونَ﴾ يس: ٩

٢٤ـ ﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَايُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف: ٢٦

٢٥ـ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ * أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ مريم: ٣٧، ٣٨

٢٦ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الأعراف: ٢٠١

المبصر: الجليّ الواضح: ٢٧ـ ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ يونس: ٦٧

٢٨ـ ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا الَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ النّمل: ٨٦

٢٩ـ ﴿اللهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ المؤمن: ٦١

٣٠ـ ﴿وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: ١٢

٣١ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ النّمل: ١٣

٣٢ـ ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَانُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ الإسراء: ٥٩

يلاحظ أوّلًا: أنّ هذه القائمة من الآيات قسّمناها إلى رؤية البصر ورؤية القلب، حسب مايظهر من نفس الآيات، ومافيها من القرائن. ولكنّ المفسّرين لم يلتزموا بذلك، فلفّقوا بينهما، لاحظ النّصوص. والضّابط عندنا أنّ مايرتبط بالمعرفة والهداية والضّلالة والحقّ والباطل وماإلى ذلك، فهو محمول على رؤية القلب، وماسواها على رؤية البصر.

على أنّ في شيء من القسم الأوّل تصريحًا بالعين واليد والفؤاد، فالإبصار فيها رؤية عين. كما أنّ ماظاهره الإبصار بالعين جاز بسطه وتوسعته لإبصار القلب أيضًا مجازًا واستعارة، وهكذا فعل المفسّرون.

ثانيًا: أنّ السّمع والبصر توأمان في جملة من الآيات، مثل: (٣) و(٧) و(١٧) و(٢٤) و(٢٥). وربّما يُستشفّ منها أنّ المراد بالإبصار فيها رؤية العين، ولكنّه ليس شاهدًا دائمًا، فإنّ السّمع كالبصر أيضًا كثيرًا مايُستعار لاستماع القول وقبول الحقّ ورفضها، فلاحظ.

ثالثًا: جاء في (٢٤) و(٢٥) فعل التّعجّب من مادّتي (ب ص ر) و(س م ع)، ولهذا الفعل صيغتان: «ماأفعله» و«أفعل به». واتّفقوا أنّ «أفعل به» فعل أمر، إلّا أنّهم اختلفوا في (ماأفعله) اختلافًا فاحشًا، أهو اسم تفضيل أم فعل ماضٍ من باب الإفعال؟ وهذا أحد مواقع الخلاف بين البصريّين والكوفيّين.

فعند البصريّين أنّ (ماأفعله) جملة اسميّة، ما: اسم مبهم مبتدإ، و(أفعله): فعل ماضٍ خبره، ونحوه: ماأحسن زيدًا!أي أيّ شيء صيّر زيدًا حسنًا. وفاعله

ضمير مستتر راجع إلى «ما» مع ضمير المفعول. وخالفهم الكوفيّون واحتجّوا عليهم بعشر حجج، ذكرها الإمام الفخرالرّازيّ (٥: ٣٢) عند قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ البقرة: ١٧٥. فلاحظ.

والكلام هنا في «أفعل به» من (ب ص ر) و(س م ع)، فالمشهور عند البصريّين أنّه فعل ماضٍ على سورة الأمر، والمجرور بالباء الزّائدة هو فاعله، وأصله في: أحسن بزيدا أحسن زيدٌ، أي صار ذاحُسن، ثمّ أرادوا أن يدلّوا به على إنشاء التّعجّب، فحوّلوا الفعل إلى صورة الأمر، ليكون بصورة الإنشاء، ثمّ أرادوا أن يسندوه إلى زيد، فاستقبحوا إسناد صورة الأمر إلى الاسم الظّاهر، فزادوا الباء، ليكون على صورة الفضلة، نحو: «امرر بزيد». كذا في هامش شرح ابن عقيل، تصحيح محمّد محيي الدّين عبد الحميد (٢: ١٤٨).

وأمّا الكلام في الآيتين فقد جمع الله فيهما بين السّمع والبصر، كنيرهما من الآيات السّابقة مع تفاوت، وهو تقديم البصر على السّمع في (٢٤)، وتأخيره عنه في (٢٥)، وهذا نصّ الآيتين:

١ـ ﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف: ٢٦

٢ـ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ * أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

مريم: ٣٧، ٣٨

فما سرّ هذا التّقديم والتّأخير؟

لم نطّلع على كلام من المفسّرين في ذلك، والّذي يخطر بالبال أنّ الآية الأُولى جاءت تلو الاختلاف في شأن أصحاب الكهف «كَمْ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ»؟ فقال تعالى: ﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾. فعدد السّنين هو محطّ البصر والسّمع، إلّا أنّه إلى البصر أقرب من السّمع؛ فقُدّم عليه، والمراد بهما العلم الكامل، كما قال: ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وأمّا الآية الثّانية فجاءت في اختلاف الأحزاب بينهم في شأن عيسى عليه السلام، ولم يستمعوا إلى القول الحقّ الّذي فيه يمترون، فأنذرهم الله بمشهد يوم عظيم، وهو يوم القيامة، وأعلن أنّهم يومئذٍ يسمعون ويبصرون كلّ شيء جيّدًا، وإن أبوا السّمع والبصر في الدّنيا، فقد قدّم «أَسْمِعْ بِهِمْ» ردًّا على إبائهم استماع الحقّ في الدّنيا. وضمّ إليه (أبصر) لأنّ الجملتين معًا تعبير شائع عن المعرفة التّامّة.

رابعًا: المُبصِر اسم فاعل من «أبصر»، ومعناه الرّائي عينًا أو قلبًا، وبهذا المعنى جاء في (٢٦): ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾، لكنّه جاء في القسم الأخير بمعنى الأمر الجليّ حسًّا وصفًا للنّهار في (٢٧) إلى (٣٠)، ووصفًا للآيات وللنّاقة بمعنى الجليّ معنًى في (٣١) و(٣٢).

والسّرّ فيه ـ كما جاء في النّصوص ـ أنّه مجاز، إمّا بوضع المفعول موضع الفاعل، لأنّ النّهار لايُبصِر ولكنّه يُبصَر فيه، فهو من قبيل ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ القارعة: ٧، أي مرضيّة، أو أنّه إسناد مجازيّ، فأسند الإبصار إلى النّهار بدل الإنسان، وهو شائع في كلام العرب، كقولهم:

نهاره صائم وليله قائم. أو بوضع السّبب موضع المسبّب مبالغة، كقولهم: ليل أعمى. أو أنّ مبصِرًا جاء بمعنى ذي إبصار، كقولهم: أضاء النّهار وأظلم اللّيل، أي صارا ذاضياء وظلمة، ومآل الكلّ إلى أمر واحد، وهو المجاز في الإسناد.

وأحسن ماقيل فيه قول الشّريف الرّضيّ، حيث قال: وهذه استعارة عجيبة وذلك أنّه سبحانه إنّما سمّى النّهار مبصِرًا لأنّ النّاس يُبصِرون فيه، فكان ذلك صفة الشّيء بما هو سبب له على طريق المبالغة، كما قالوا: ليل أعمى وليلة عمياء، إذا لم يُبصِر النّاس فيها شيئًا لشدّة ظلامها وسقوط أكنافها.

وهناك وجه آخر، وهو أنّ «مُبصِرًا» جاء بمعنى مُبَصِّرًا، أي جعله يَبصُر، والنّهار يجعل الإنسان يبصر الأشياء، ومثله النّاقة ـ وهي معجزة ـ في الآيتين (٢٩) و(٣٠)، لأنّها تجعل النّاس يبصرون، أي يعلمون الحقّ.

وكيف كان، فالمراد بالإبصار في الأخيرتين (٣١) و(٣٢) رؤية القلب، لوضوح الحقّ والبرهان، وفي الباقي رؤية البصر.

ب ـ بصّر: آية واحدة: ﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا * يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ المعارج: ١٠، ١١

يلاحظ أوّلًا: أنّ (يُبَصَّرُونَهُمْ) بالبناء للمفعول، ومصدره التّبصير، وهو الإراءة والتّعريف والإيضاح، وجعل الشّيء بحيث يبصره الغير. وهو متعدٍّ إلى مفعولين، والمفعول الأوّل هنا «الواو والنّون»، قام مقام الفاعل، والمفعول الثّاني الضّمير «هم».

ثانيًا: قد اختلفوا في تعيين الفاعل والمفعولين، أمّا الفاعل فقيل: هو الله أو الملائكة، أي الله أو الملائكة يعرّفونهم لهم. والصّواب أنّ الفاعل في مثل هذا السّياق ليس ملحوظًا. أمّا المفعولان فقيل: يرجع إلى ﴿حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾، أي أنّ كلّ حميم يرى ويعرف حميمه، وهو الأقرب من الصّواب والمتبادر إلى الذّهن. وجاء الضّميران بلفظ الجمع، لأنّ المراد بالحميمين الجمع دون الآحاد.

ومعنى الآية على هذا أنّ كلّ حميم لايسأل ولايحدّث حميمه، إلّا أنّه ليس من أجل أنّهم لايتعارفون ولايعرف بعضهم بعضًا، أو لايُبصِرونهم، كلّا، بل يبصر ويعرف بعضهم بعضًا، إلّا أنّ بعضهم يفرّ من بعض، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ عبس ٣٤ ـ ٣٧. واختار هذا الوجه الطّوسيّ وأكابر المفسّرين بعده إلى الطّباطبائيّ.

وقيل: يعرف المؤمنون الكفّار، أو الأقرباء بعضهم بعضًا، أو أتباع الضّلالة رؤساءهم ونحوها، وهذه الأقوال بعيدة عن السّياق ولاشاهد عليها.

ثالثًا: اختلفوا في موضع (يُبَصَّرُونَهُمْ)، فالأكثر على أنّه كلام مستأنف متعلّق بما قبله، جواب سؤال مقدّر نشأ من قوله: ﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾، كأنّه قيل: لماذا يتساءلون؟ هل هم لايرونهم ولايعرفونهم؟ بل، يبصرونهم ويعرفونهم، إلّا أنّهم يفرّون منهم.

وقيل: إنّه متعلّق بما بعده، أي أنّ المجرمين يبصرون المؤمنين حال أنّ أحدهم يودّ أن يفدي نفسه بكلّ

مايملكه، والأوّل هو الأقرب إلى الصّواب.

ج ـ استبصر: آية واحدة:

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ العنكبوت: ٣٨.

يلاحظ أوّلًا: أنّ الاستبصار في أصل اللّغة فيه معنى الطّلب دون الإبصار، فاستبصر، أي طلب البصيرة، أو اتّضح له الأمر حتّى صار ذابصيرة. وهذا هو الفارق بين البصير والمستبصر، والأوّل يُطلق على الله دون الثّاني.

وعند الخليل استبصر في أمر دينه، إذا كان ذابصيرة، فالمستبصر: طالب البصيرة، كالمستفهم والمستخبر. أو هو ذوالبصيرة، قال الرّاغب: يصحّ أن يستعار الاستبصار للإبصار، نحو استعارة الاستجابة للإجابة، لاحظ النّصوص اللّغويّة.

وقد تجلّى المعنيان في تفسير الآية، فالمفسّرون بين من فسّره بالطّالبين للبصيرة، وذوي البصيرة.

ثانيًا: هناك خلاف آخر بينهم في أنّ المراد بالآية: أنّ هؤلاء الكفّار كانوا مستبصرين في دينهم، معجَبين به ومصرّين عليه، أو أنّهم كانوا عقلاء، متمكّنين من تمييز الحقّ عن الباطل، إلّا أنّهم لم يستثمروا هذه الهبة الإلهيّة، فضلّوا وأضلّوا. وعلى الثّاني فالآية تقيم الحجّة عليهم: حيث ضلّوا عن الطّريق مع قيام الحجّة عندهم، فتكون مثل: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ النّمل: ١٤، ومثله كثير في القرآن، ومنها اقتبس صاحب المثنويّ قوله:

چشم باز وگوش باز واين عمى

حيرتم از چشم بندى خدا[1]

ونحن نختار هذا الوجه، فإنّه ألصق بالسّياق وبكرامة القرآن، وفاقًا للطّوسيّ ـ وهو أوّل من فسّر الآية بذلك ـ وتبعه كبار المفسّرين، وإلّا فلا وجه للعدول عن البصير إلى المستبصر. وعليه فجملة ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ حاليّة، كفيلة ببيان حالهم حين العدول عن سبيل الحقّ إلى طريق الضّلالة.

ثالثًا: حمل الطّباطبائيّ «استبصارهم» على ماكانوا عليه من الفطرة قبل بعثة نوح عليه السلام، حسب مافسّر هو ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّنَ﴾ البقرة: ٢١٣، لاحظ (أ م م).

ونحن لانوافقه على قوله، لأنّ ظاهر الآية أنّهم كانوا مستبصرين حال ضلالتهم، لاقبل بعثة نوح.

رابعًا: وهنا يُطرح هذا السّؤال: ماهو الوجه في مجيء الكلمة من بابَي الاستفعال والتّفعيل: (مُسْتَبْصِرِين) و(يُبَصَّرُونَهُمْ) مرّة واحدة في القرآن مع كثرتها فيه من بابَي المجرّد والإفعال؟ فهل مردّ ذلك إلى قلّة استعمالها لها عند العرب عامّة وفي مكّة خاصّة؟ والعنكبوت والمعارج مكّيّتان، أوله سرّ آخر! ربّما يكشف يومًا مّا.

٣ـ بصير: جاء (٤٢) مرّة وصفًا لله، و(٩) مرّات وصفًا للنّاس:

أـ وصف الله: بصير بما تعملون أو يعملون:

١ـ ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ٩٦

---

(١) بصر سميع بيد هذا العمى تحيرت كيف جعل الله الغشاوة على الابصار.

٢ـ ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة: ١١٠

٣ـ ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
البقرة: ٢٣٣

٤ـ ﴿وَلَاتَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة: ٢٣٧

٥ـ ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة: ٢٦٥

٦ـ ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ آل عمران: ١٥٦

٧ـ ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾
آل عمران: ١٦٣

٨ـ ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ المائدة: ٧١

٩ـ ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
الأنفال: ٣٩

١٠ـ ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الأنفال: ٧٢

١١ـ ﴿وَلَاتَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
هود: ١١٢

١٢ـ ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
سبأ: ١١

١٣ـ ﴿اِعْمَلُوا مَاشِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
فصّلت: ٤٠

١٤ـ ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ الحجرات: ١٨

١٥ـ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَاكُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الحديد: ٤

١٦ـ ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
الممتحنة: ٣

١٧ـ ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ التغابن: ٢

١٨، ١٩ـ ﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾
الأحزاب: ٩ والفتح: ٢٤

بعباده بصير:

٢٠ـ ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾
آل عمران: ١٥

٢١ـ ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ آل عمران: ٢٠

٢٢ـ ﴿إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ فاطر: ٣١

٢٣ـ ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾
المؤمن: ٤٤

٢٤ـ ﴿وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَايَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ الشّورى: ٢٧

٢٥ـ ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾
الإسراء: ٣٠

٢٦ـ ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ الإسراء: ٩٦

٢٧ـ ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾
فاطر: ٤٥

بصير بذنوب عباده:

٢٨ـ ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾
الإسراء: ١٧

بكلّ شيء بصير:

٢٩ـ ﴿مَايُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾
الملك: ١٩

بنا بصيرًا:

٣٠ـ ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ طه: ٣٥

به بصيرًا:

٣١ـ ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ الانشقاق: ١٥

٣٢ـ ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ الفرقان: ٢٠

سميع بصير:

٣٣ـ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء: ١

٣٤ـ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الحجّ: ٦١

٣٥ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الحجّ: ٧٥

٣٦ـ ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ لقمان: ٢٨

٣٧ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ المؤمن: ٢٠

٣٨ـ ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ المؤمن: ٥٦

٣٩ـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشّورى: ١١

٤٠ـ ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة: ١

٤١ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النّساء: ٥٨

٤٢ـ ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النّساء: ١٣٤

يلاحظ أوّلًا: أنّ هذه الآيات تعمّ المكّيّات والمدنيّات على السّواء، فالله وُصف بالبصير في النّوعين.

ثانيًا: أنّها جميعًا وقعت في آخر الآيات كرويّ لها لفظًا، وعمادًا لما قبلها، ممّا نسب إلى الله معنى، فهو ضمان دائمًا لمراقبة الله عباده فيما يعملون، وكفى حجّة على العباد أنّ الله بصير بهم قلبًا وقالبًا، ونيّة وعملًا.

ثالثًا: قد يقدّم (بصير) على معموله، مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾، وقد يؤخّر عنه، مثل: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ويخطر بالبال أنّ ذلك مجاراة لرويّ الآيات في كلّ سورة بحسبها، وليس إفادة للحصر إذا أُخّر عن معموله، فلاحظ مواضعها في السّور حتّى تطمئنّ بذلك. والّذين يضمّنونه إفادة الحصر ينظرون إلى الآية بمفردها دون النّظر إلى ماتقدّمها وتأخّرها.

رابعًا: جاء ـ غالبًا ـ في جملة اسميّة، مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وجاء (١١) مرّة في جملة فعليّة، مثل: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾، وهي الآيات (١٨) و (١٩) و(٢٥) و(٢٦) و(٢٧) و(٢٨) و(٣٠) و(٣١) و(٣٢) و(٤١) و(٤٢). والفعل في الجميع (كان)، إلّا في (٢٨)، فجاء «كَفَىٰ» مكان «كان»، وهي الآية الوحيدة الّتي تحصر «البصير» بذنوب العباد ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾. وليس يخفى على البصير جمال التّماسك والتّناسق في (كَفَىٰ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ)، أي أنّ الله يكفي بمحاسبة ذنوب العباد ومجازاتهم، ولاحاكم أعدل ولاشاهد أعرف منه بحال العباد.

ولانلمس تفاوتًا بين النّوعين، أي الاسميّة والفعليّة، سوى أنّ الاسميّة تدلّ بهيئتها على الثّبات وكونها وصفًا ذاتيًّا لله، والجملة الفعليّة وإن دلّت بطبيعتها على الزّمان، إلّا أنّ جملة (كَانَ اللَّهُ) محمولة في القرآن على الاستمرار دائمًا، ولايلحظ فيها الزّمان، وفيها إعلام بقدم الأمر الّذي لاتدلّ عليه الجملة الاسميّة، لاحظ «ك و ن».

خامسًا: جاء متعلّقًا بما يعملون (١٩) مرّة (١ ـ ١٩)، وبالعباد (٨) مرّات (٢٠ ـ ٢٧) ـ وهو أشمل، لإحاطته

بالأعمال والنيّات وبكلّ مايتعلّق بعباده ـ ومرّةً بذنوب عباده (٢٨)، وقد تحدّثنا عنه، ومرّةً بكلّ شيء (٢٩) ـ وهو أعمّ وأشمل ممّا قبله ـ ومرّتين بالشّخص (بنا) (٣٠) و(به) (٣١)، ومرّة دون ذكر المتعلّق ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٣٢)، ولعلّه أعمّ من الجميع؛ إذ يدلّ على أنّ الله محيط وعالم ذاتًا. وحذف المتعلّق هنا أبلغ وأبين من ذكره للتّفخيم.

سادسًا: جاء منفردًا غالبًا، و(١٠) مرّات «سَمِيعًا بَصِيرًا» (٣٣ ـ ٤٢)، و(٥) مرّات ـ أي نصفه ـ «خَبِيرًا بَصِيرًا»، وهي الآيات (٢٢) و(٢٤) و(٢٥) و(٢٦) و(٢٨)، وكلّها تتعلّق بعباده، سوى (٢٨)، فبذنوب عباده. واثنتان منها ـ وهما (٢٥) و(٢٦) ـ مع (كان)، وواحدة ـ وهي (٢٨) ـ مع «كَفَى»، وعند التّأمّل فيها يُستشفّ منها نكات. وكيف كان، فوصف «الخبير» مشعر بأنّ المراد بـ«السّميع» و«البصير» هو العلم بالمسموعات والمبصَرات، كما اختاره المعتزلة والإماميّة ومن نحا نحوهم.

سابعًا: جاء في جميع هذه الخمس عشرة كلّ من «خبير» و«سميع» مقدّمًا على «بصير»، والتّوضيح منوط بمادّتي «س م ع» و«خ ب ر» إن شاء الله.

ثامنًا: هناك خلاف حادّ عند المتكلّمين والمفسّرين في إسناد الوصفين: السّمع والبصر إلى الله، فأهل الحديث والسّلفيّون يُثبتونها بنحو من الأنحاء لله، والمعتزلة والإماميّة والزّيديّة وغيرهم ممّن يعتمدون ويركّزون في الاعتقادات على العقل، ويجعلونه أصلًا، ويؤوّلون نصوص الكتاب والسّنّة بما يوافقه، يفسّرونها بالعالم بالمسموعات والمبصَرات أو بنحو ذلك. ونحن هنا لاندخل في التّفصيل اتّكالًا على النّصوص، فلاحظ حتّى تلمس حجم تلك البحوث.

ب ـ وصف النّاس بالبصير:

١ـ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ الأنعام: ٥٠

٢ـ ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ هود: ٢٤

٣ـ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الرّعد: ١٦

٤ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ فاطر: ١٩، ٢٠

٥ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ...﴾ المؤمن: ٥٨

٦ـ ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ طٰه: ١٢٥

٧ـ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ الدّهر: ٢

٨ـ ﴿اِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يوسف: ٩٣

٩ـ ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَيهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ يوسف: ٩٦

يلاحظ أوّلًا: البون البعيد بين عدد وصف الله بـ«البصير» وعدد وصف النّاس به؛ إذ النّسبة بينهما الخمس تقريبًا، أي $\frac{٩}{٤٢}$، ومعلوم أنّ الشّقّة بين الخالق والمخلوق أبعد من ذلك، مع التّفاوت اللّامحدود بين كيفيّة

الوصفين، فالإنسان بصير يرى الأشياء من زاوية ضيّقة، وهي عينه ، والله محيط بما وراء العالم والجنّ والإنس، ومطّلع على كلّ صغيرة وكبيرة في الأعيان وفي الأذهان.

ثانيًا: قورن الأعمى والبصير في ستّ منها، وهي (١) إلى (٦)، وهما مع الأصمّ والسّميع في (٢)، ومع السّميع في (٧)، ومع الظّلمات والنّور في (٤)، ومع الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات والمسيء في (٥)، وكلّ ذلك تركيزًا في البون الشّاسع بينهما كالنّور والظّلمات والمؤمن والكافر، وإشارة إلى أنّ المراد بهما مايعمّ العمى والبصر ظاهرًا، والهداية والضّلالة باطنًا، وتعريفًا للأشياء بأضدادها، وهو أبلغ في الوصف.

ثالثًا: تختصّ الآيات (٦) إلى (٩) بالبصر المحسوس، مع اشتمال (٨) و(٩) على معجزة سيّدنا يوسف عليه السلام.

٤ـ بصيرة وبصائر وتبصرة:

أـ بصيرة: آيتان:

١ـ ﴿قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف: ١٠٨

٢ـ ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ القيٰمة: ١٤، ١٥

يلاحظ أوّلًا: أنّ «بصيرة» تأتي اسمًا وصفة، ولاتأتي مصدرًا، لأنّ المصدر لم يأت على «فعيلة»، وإنّما جاء على «فعيل»، مثل: رحل رحيلًا، وصهل صهيلًا.

أمّا الاسم فجاء بمعانٍ محسوسة: كالدّرع والحلقة منه، ومقدار الدّرهم من الدّم المدوّر على الأرض، والثّوب الّذي يشبه التّرس، والدّية تحفظ النّفس بها، والشّقّ الّذي على الخباء، ومابين شقّتي البيت، وغيرها ممّا جاء في النّصوص، وجامعها ـ كما يخطر بالبال ـ كلّ مااتّخذ جُنّة وسترًا.

وجاء بمعانٍ معقولة، مثل: مااعتقد في القلب من الدّين، والفراسة الصّادقة، والعِبرة، والثّبات في الدّين، والحجّة الواضحة، وعلم اليقين، والمعرفة الحقّة، والدّلالة الّتي توجب العلم. وكلّها راجعة إلى معنى واحد، وهو نور في القلب يُميّز الحقّ عن الباطل، مثل نور البصر في العين، تُرى به الأجسام، وقد أُطلقت عليه «البصيرة» لأنّه سبب الإدراك وآلته. كما يُطلق البصر على الجارحة، لأنّه آلة الرّؤية.

والبصيرة ـ على هذا ـ: اسم آلة كالمَبْصَر والمَبْصَرة بالفتح، وجمع البصيرة: بصائر، كصحيفة وصحائف وطريفة وطرائف، وجمع البصر: أبصار. فالفرق بين البَصَر والبصيرة هو الفرق بين العين والقلب.

قال الزّمخشريّ: «من المجاز البصيرة: البيان والحجّة الواضحة والعِبرة والشّاهد». وجعلها مجازًا، لأنّها في الأصل اسم لما تُدرَك به هذه الأُمور. وقال غيره: «استعير لفظ «البصيرة» من القوّة المودعة في القلب لإدراك المعقولات لكونها سبب الإدراك».

وأمّا الصّفة فهي مؤنّث «بصير»، وسنتناولها بالبحث.

ثانيًا: جاءت البصيرة في الآية الأُولى بهذا المعنى دون غيره، وإن اختلفت ألفاظ المفسّرين في تفسيرها، أي إنّي أدعو إلى الله على بصيرة، أي على يقين ومعرفة،

وحجّة ناطقة، وبيّنة واضحة...

ثالثًا: أمّا الآية الثّانية فقد اختلفت كلمات المفسّرين فيها حول لفظ (بصيرة) ومعناها، فمنهم من جعلها اسمًا بنفس معناها في الآية الأولى، وهو المعرفة الحقّة، وجعل حملها على الإنسان من قبيل: زيد عدل، مبالغة. ومنهم من جعل الإسناد مجازيًّا، أي الإنسان ذو بصيرة على نفسه. وكثير منهم جعلها وصفًا، أي إنّ الإنسان شاهد على نفسه، أو بصير بحاله، وبعيوب نفسه إذا رجع إليها، فالآية سياقها سياق قوله تعالى: ﴿اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ الإسراء: ١٤.

وهؤلاء وجّهوا تاء «البصيرة» تارة بأنّها للمبالغة كالعلّامة والنّسّابة، وهذا مبنيّ على مجيء «فعيلة» صفة مبالغة، وهو غير ثابت. وأخرى بأنّها نعت لاسم مؤنّث محذوف، والتّقدير: بل الإنسان على نفسه عين بصيرة. وثالثة بأنّها وصف لجوارحه، فوضع الإنسان مكان جوارحه.

وعلى هذا فالآية سياقها سياق قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ اَلْسِنَتُهُمْ وَاَيْدِيهِمْ وَاَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النّور: ٢٤. وكلاهما بعيد عن السّياق جدًّا، ولايساوقها قوله: ﴿وَلَوْ اَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.

ولنا رأي جديد نعرضه لمن يتأمّله، وهو أنّ التّاء هنا ليست للتّأنيث حتّى نلجأ إلى توجيهها بما ذكر، بل هي زائدة، جاءت رعاية للفواصل بعدها، فكلّها بالهاء إلى الآية (٢٥)، وليس هذا غريبًا في القرآن، فقد سبق في «إلياس» أن قلنا في ﴿سَلَامٌ عَلَى اِلْ يَاسِينَ﴾ الصّافّات: ١٣٠، إنّه إلياس، جاء «إلياسين» رعاية للرّويّ، كما جاء ﴿وَمَا اَدْرٰيكَ مَا هِيَهْ﴾ القارعة: ١٠، بزيادة الهاء للرّويّ أيضًا.

والصّواب كونها وصفًا خبرًا للإنسان، أُريد بها أنّ الإنسان بصير بنفسه وبعيوبها وميولها، فهو القاضي في حقّ نفسه بنفسه. ولكن يشترط أن لايتشبّث بالمعاذير تحريفًا للحقيقة.

ولهم في تركيب الآية آراء غير مقبولة، فلاحظ.

ب ـ البصائر: (٥) مرّات:

١ـ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا اَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * وَكَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْاٰيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: ١٠٤، ١٠٥

٢ـ ﴿قُلْ اِنَّمَا اَتَّبِعُ مَا يُوحٰى اِلَيَّ مِنْ رَبِّي هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٣

٣ـ ﴿هٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ الجاثية: ٢٠

٤ـ ﴿وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسٰى تِسْعَ اٰيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْئَلْ بَنِي اِسْرَائِيلَ اِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ اِنِّي لَاَظُنُّكَ يَا مُوسٰى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا اَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ اِلَّا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ بَصَائِرَ وَاِنِّي لَاَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ الإسراء: ١٠١، ١٠٢

٥ ـ ﴿وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا اَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْاُولٰى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ القصص: ٤٣

يلاحظ أوّلًا: أنّ هذه الآيات كآيتي البصيرة كلّها

مكيّة، ويخطر بالبال أنّ القرآن في مكّة كان يركّز أُسلوبه في إيقاظ الضّمائر وبعث البصائر، ويعتمد على ماأودعه الله تعالى في النّفوس من الفطرة السّليمة الصّادقة، وفي القلوب من البصيرة الواعية. وهذا هو المناسب لبدء البعثة.

ثانيًا: جاءت الثّلاثة الأُولى منها بشأن نبيّنا محمّد ﷺ والقرآن، والأخيرتان بشأن موسى عليه السلام وماآتاه الله من الآيات التّسع ومن التّوراة، فقد فضّل النّبيّ وآياته على موسى وآياته بواحدة في البصائر، وأمّا البصيرة فخاصّة بالنّبيّ، والنّسبة بينهما في هذه الموهبة الكبرى كنسبة ٢/٥.

ثالثًا: قيّدت «البصائر» في (١) و(٢) بـ«مِنْ رَبِّكُمْ» ـ مع سبقها في (٢) بـ«مِنْ رَبِّي» ـ وفي (٤) بـ﴿رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وأُطلقت في (٣) و(٥) فرجّح جانب النّبيّ أيضًا على جانب موسى بواحدة، مع البون الشّاسع بين «رَبِّكُمْ» و«رَبِّي» وبين «رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ»، فـفضل النّبيّ والنّاس على السّماوات والأرض واضح، لأنّ النّاس ذوو عقول والنّبيّ عقل كلّه، وهذا هو الفارق بين أُمّة محمّد وأُمّة موسى عليه السلام.

رابعًا: جاءت «البصائر» في الجميع نكرة، تنبيهًا على كبرها، وأنّها لاتُقدّر بقدر، مع تفاوت بينها. فماجاء بشأن النّبيّ والقرآن فكلّه مرفوع ركنًا في الكلام، إمّا فاعلًا للفعل (١)، أو خبرًا للمبتدإ (٢) و(٣).

وماجاء في شأن موسى (٤) و(٥) منصوب، إمّا حالًا أو مفعولًا لأجله، قيدًا دون ركن، وفي ذلك تفضيل جانب النّبيّ على جانب موسى أيضًا.

خامسًا: أنّ من جاءته البصائر هو أُمّة محمّد مرّتين في (١) و(٢)، وبنو إسرائيل مرّة واحدة في (٤)، والنّاس مرّتين في (٣) و(٥)، وفيها أيضًا تفضيل للنّبيّ ﷺ.

سادسًا: جاء «هُدًى وَرَحْمَةً» عطفًا على «بَصَائِرَ» مرّتين في شأن النّبيّ: (٢) و(٣)، ومرّة في شأن موسى: (٥)، وفيه تفضيل للنّبيّ واعتراف بتوراة موسى بأنّها مثل القرآن: بصائر وهدى ورحمة للنّاس. وهذا إنصاف من الله في كتابه للنّبيّين بإعطاء كلّ منهما مايستحقّه، مع بيان التّفاضل بينهما بأُمور:

١ـ ذكر «هُدًى وَرَحْمَةً» للنّبيّ مرّتين ولموسى مرّة.

٢ـ تعلّق ماخصّ منها بالنّبيّ مرّة بـ﴿قَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: (٢)، وأُخرى بـ﴿قَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: (٣)، وإطلاقها في مايختصّ بموسى: (٥)، وجاء بدلها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، والبون بين ذلك شائع.

٣ـ قران ماجاء في شأن موسى في (٤) بذكر فرعون، العدوّ اللّدود لموسى مرّتين، وبالجدال العنيف بينهما بقول فرعون: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسٰى مَسْحُورًا﴾، وبقول موسى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾، مثلًا بمثل، ولفظًا بلفظ. وكذلك قرانه في (٥) بقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَاأَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولٰى﴾، وكلّ ذلك ممّا يعكّر الجوّ ويثير الفوضى في القول، ويبعث على اضطراب القلب.

أمّا ماجاء في شأن النّبيّ ﷺ فليس فيه تشديد وغلظة من هذا النّوع، سوى قوله في (١) بكلام ليّن وأُسلوب هادئ ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَاأَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾.

سابعًا: حمل البصائر على الكتاب والآيات مجاز،

إطلاقًا للمسبّب على السّبب، فالبصيرة نور باطنيّ يُدرَك به الحقّ، والآيات تبثّ هذا النّور، كما أنّها قد تُطلَق على نفس الإدراك والبيان والحجّة مجازًا، إطلاقًا للسّبب على المسبّب كما سبق. ومن أجل ذلك جاء في (١) بعد (بَصَائِر): ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ تفريعًا لأثر البصائر، وهو الإبصار على علّتها وهي الآيات، وكذلك عُطف عليها ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾.

وعليه فاسم الإشارة (هذا) في (٢) و(٣) راجع إلى الكتاب، وحمل (بَصَائِر) عليه مبالغة، مثل: زيد عدل.

ج ـ تبصرة: آية واحدة:

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ق: ٧، ٨

يلاحظ أوّلًا: أنّ «التّبصرة» مصدر من باب التّفعيل كالتّذكية والتّذكرة والتّخطئة، وقد تقدّم أنّ بصّره متعدّ، أي جعله يبصر، ومعنى الآية تبصيرًا وتذكيرًا لكم، وجعلكم تُبصرون وتتذكّرون. هذا مايقتضيه اللّفظ، وجاء في التّفاسير: أنّ بعضهم فسّره بالبصيرة، وهو تفسير باللّازم لابما يوافق اللّفظ.

ثانيًا: اختلفوا في إعرابه بين مفعول له ـ وعليه الأكثر وهو الظّاهر ـ ومنصوب بفعل مقدّر، أي بصّرناهم تبصيرًا، وحال من المفعول، أي ذات تبصير، وشذّت قراءة زيد بن عليّ «تبصرة وذِكرى» بالرّفع أي هذه تبصرة.

ثالثًا: جاءت قبلها أفعال من بناء السّماء وزينتها، وخلق الأرض وإلقاء الرّواسي فيها، وإنبات النّبات عليها، فالظّاهر رجوعها إلى الجميع، أي فعلنا كلّ ذلك تبصرة وتذكرة. واحتمل الفخرالرّازيّ أن يكونا علّتين على التّرتيب، فيكون (تبصرة) علّة لخلق السّماء ومافيها، و«ذكرى» لخلق الأرض وماعليها، فيكون خلق السّماء تبصرة، وخلق الأرض ذكرى، بحجّة أنّ السّماء زينتها مستمرّة، فهي كالشّيء المرئيّ مبصرةً على مرّ الزّمان.

أمّا الأرض فتأخذ زخرفها في كلّ سنة وتتجدّد، فهي تذكرة لما مرّ عليها في الماضي. فالسّماء والأرض فيهما آيات مستمرّة منصوبة في مقابلة الأبصار، وآيات متجدّدة مذكّرة عند النّسيان.

وهذه نكتة لطيفة، وكم من نظير لها للإمام الرّازيّ، إلّا أنّها مبنيّة على إرادة التّبصير بالبصر من (تبصرة) دون القلب، وهو بعيد، إذ التّبصرة والتّذكرة كلاهما راجع إلى القلب دون البصر.

وكأنّ الشّربينيّ تأثّر بالفخر، حيث فسّر الآية بقوله: «أي جعلنا هذه الأشياء كلّها لأجل أن تنظروا بأبصاركم، وتتفكّروا ببصائركم، فتعبروا منها إلى صانعها، فتعلموا ماله من العظمة». لكنّه عمّمها لكلّ تلك الأفعال، ولم يخصّ التّبصرة بالسّماء.

٥ ـ بَصَر وأبصار:

أ ـ بَصَر: (١٠) مرّات:

١ ـ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النّحل: ٧٧

٢ ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ

كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ القمر: ٤٩، ٥٠

٣ ـ ٥ ـ ﴿اَلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقًا مَاتَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ اِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ الملك: ٣، ٤

٦ـ ﴿وَ لَاتَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ اِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ اُولٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

الإسراء: ٣٦

٧ـ ﴿اَفَرَاَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ اِلٰهَهُ هَوٰيهُ وَاَضَلَّهُ اللهُ عَلٰى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلٰى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلٰى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ اَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الجاثية: ٢٣

٨ ـ ﴿بَلْ يُرِيدُ الْاِنْسَانُ لِيَفْجُرَ اَمَامَهُ * يَسْئَلُ اَيَّانَ يَوْمُ الْقِيٰمَةِ * فَاِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْاِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ اَيْنَ الْمَفَرُّ﴾

القيٰمة: ٥ ـ ١٠

٩ـ ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ق: ٢٢

١٠ـ ﴿مَازَاغَ الْبَصَرُ وَمَاطَغٰى * لَقَدْ رَاٰى مِنْ اٰيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰى﴾ النجم: ١٧، ١٨

يلاحظ أوّلًا: أنّ الآيات كلّها مكّيّة، كأنّ الله تعالى ركّز عند بدء البعثة في توجيه النّاس إلى خاصيّة البصر ومايترتّب عليه من اليقين والبصيرة، وقد سبق مثله في «البصائر».

ثانيًا: ليست الآيات على وتيرة واحدة وفي مغزى واحد، بل هي في أغراض شتّى:

١ـ الحثّ على إعمال البصر في ماخلق الله من شيء حتّى يرى استحكام صنعه وإتقان حكمته، وهي الآيات (٣) إلى (٥). حيث أمر الله الإنسان بأن ينظر في خلق سبع سماوات طباقًا، وهي خلق الرّحمان، حتّى يرى أن ليس فيها من تفاوت وفطور، ثمّ يرجع البصر كرّتين ليقف على خلل فيها، لكنّ البصر يرجع خاسئًا، لايرى فيها عوجًا ولاخللًا.

وقد كرّر البصر فيها ثلاث مرّات تأكيدًا في الاهتمام به، كما كرّر «ليلة القدر» في سورة القدر ثلاث مرّات اهتمامًا بشأنها، وله نظائر في القرآن.

٢ـ مادلّ على نفوذ أمر الله وتحقّقه فورًا وبسهولة «كلمح البصر»، وفيه آيتان (١) و(٢)، وجاء فيهما «لمح البصر» كمثل لسرعة العمل وسهولته، وصار مثلًا شائعًا بين الأنام، اقتباسًا من القرآن في الأدب العربيّ، وترجمته في الفارسيّة «يک چشم به هم زدن»، وربّما راج في سائر اللّغات الإسلاميّة أيضًا، ولانعلم له وجودًا عند العرب قبل نزول القرآن.

والآيتان ـ مع اشتراكهما في ذلك ـ تختلفان؛ حيث أنّ الأُولى راجعة إلى أمر السّاعة والقيامة، وأنّها تتحقّق بسرعة وسهولة في آن واحد. أمّا الثّانية فتدلّ على أنّ خلق الأشياء يُنفَّذ بأمر واحد من الله تعالى، أي أنّه في تكوين الأشياء لايحتاج إلى تكرار الأمر، بل أمره هو خلقه بلا تأنٍّ. فأمر الله في الدّنيا والآخرة نافذ جارٍ دون تفاوت بين العالمين، هذا مادلّت عليه الآيتان.

وقد حمل الفلاسفة هذه الآية على أنّ لله إرادة واحدة تكوينيّة قديمة، وطبّقوها على ماعندهم من توجيه ربط الحادث بالقديم والكثير بالواحد، اعتمادًا

على قاعدتهم «الواحد لايصدر إلّا عنه إلّا الواحد» وعكسها، وهو «الواحد لايصدر إلّا من الواحد»، ونحن لانريد الخوض في أمثال هذه المسائل، لاحظ «ل م ح».

٣ـ مسؤوليّة البصر (٦)، وهي ترجع إلى الاهتمام بالبصر، وأنّ لها دخلًا كالسّمع والفؤاد في الهداية والضّلالة، وأنّ الإنسان مسؤول عن جوارحه أمام الله.

٤ـ الغشاوة على البصر، فإنّ الإنسان إذا لم يراع واجبه أمام البصر وسائر جوارحه، ولم يستثمرها فيما خلقها الله لأجله، فسوف يجعل الله على بصره غشاوة، كما يختم على سمعه وقلبه (٧).

ويلاحظ: أنّ البصر في (٦) جاء مع السّمع والفؤاد، إعلامًا بأنّها جميعًا مسؤول عنها. أمّا في (٧) فجاء مع السّمع والقلب ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾، وقد خصّهما بالختم، وخصّ البصر بالغشاوة، وفيها نكات، لاحظ «خ ت م» و«غ ش و» و«ف أ د» و«ق ل ب».

٥ ـ البصر بعد الموت (٨) و(٩) مع تفاوت عكسيّ فيهما، ففي (٨) وصفٌ لأمارات مابعد الموت، ابتداء ببرق البصر ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾، أي أنّ الإنسان بعد الموت يشخص بصره إلى نقطة، لايتحرّك فيبرق، ثمّ خسف القمر، وجمع الشّمس والقمر، ويومئذٍ يقول الإنسان من شدّة العناء: أينَ المفرّ. فـ«البصر» في هذه الآية لايتحرّك ولايرى شيئًا.

بعكسه في (٩)، وهي وصف لحالة الإنسان في القيامة عند الحساب، فبصره يرى كلّ شيء صدر عنه في الدّنيا. أو يرى لسان الميزان، ميزان الأعمال أنّه عدل مستقيم. أو يرى الآخرة وكان غافلًا عنها ومنكرًا لها في

الدّنيا، على خلاف بينهم. والحديد: كناية عن كونه نافذ البصر، كما يقال: حديد النّظر، وحديد الفهم، ولسان حديد.

والمفسّرون بين من يجعل البصر هنا بصر العين، ومن يجعله بصر القلب، وهم بين من يجعل المخاطب بها الكافر، وكلّ النّاس مؤمنهم وكافرهم، ومن يجعلها خطابًا للنّبيّ ﷺ. والأقرب إلى السّياق عندنا أنّ المخاطب هو منكر الآخرة، وأنّ البصر بصر العين، وأنّ المُبصَر هو ماأنكره في الدّنيا من خبر الآخرة، وهي كقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ مريم: ٣٨، لاحظ النّصوص، وراجع «ح د د».

٦ـ وصف لما رآه النّبيّ ليلة الإسراء (١٠)، وأنّ بصره مازاغ ولاطغى، بل رأى بعض آيات ربّه الكُبرى. وهذه نظير آية الإسراء ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ اٰيَاتِنَا﴾، فبصره ﷺ حينذاك كان حديدًا، رأى مارأى بإمعان، لايكذّبه قلبه، ولم يختلجه شكّ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ...الْكُبْرَىٰ﴾ النّجم: ١١ ـ ١٨، إلّا أنّها مع عظمها كانت بعض آيات ربّه دون جميعها.

ب ـ أبصار: (٣٨) مرّة في (٣٥) آية:

١ـ ﴿لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الأنعام: ١٠٣

٢ـ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ يونس: ٣١

٣ـ ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ

تشكرون﴾ النّحل: ٧٨

٤ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ المؤمنون: ٧٨

٥و٦ـ ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ الملك: ٢٣ والسّجدة: ٩

٧ـ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الأحقاف: ٢٦

٨ـ ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ النّور: ٤٣

٩ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحجّ: ٤٦

١٠ـ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾

الأنعام: ٤٦

١١ـ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة: ٧

١٢ـ ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

البقرة: ٢٠

١٣ـ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الأنعام:

١١٠

١٤ـ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ النّحل: ١٠٨

١٥ـ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمّد: ٢٣، ٢٤

١٦ـ ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ...إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ آل عمران: ١٣

١٧ـ ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ النّور: ٤٤

١٨ـ ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ص: ٤٥

١٩ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ...فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ الحشر: ٢

٢٠ـ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ الحجر: ١٤

٢١ـ ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ القلم: ٥١، ٥٢

٢٢ـ ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

النّور: ٣٠

٢٣ـ ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ النّور: ٣١

٢٤ـ ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ الأحزاب: ١٠

٢٥ـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ إبراهيم: ٤٢

٢٦ـ ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٩٧

٢٧ـ ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ النور: ٣٧

٢٨ـ ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ * إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ ص: ٦٢ـ٦٤

٢٩ـ ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فصّلت: ٢٠

٣٠ـ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فصّلت: ٢٢

٣١ـ ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾
النّازعات: ٨، ٩

٣٢ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ القمر: ٦، ٧

٣٣ـ ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ المعارج: ٤٣، ٤٤

٣٤ـ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾
القلم: ٤٢، ٤٣

٣٥ـ ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف: ٤٧

يلاحظ أوّلًا: أنّها ليست على وتيرة واحدة، بل هي حسب المغزى عشرة أنواع:

١ـ تنزيه الله، بأنّه لاتُدرِكه الأبصار وهو يُدرِك الأبصار (١)، فالأُولى تنزيه له عن المادّة والجسم، والثانية مدح له بأنّه يُدرِك الأبصار، ويعلم أنّها إلام تنظر. ويبدو أنّ الوصفين في ذيل الآية ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ تعليل لهما بأسلوب اللّفّ والنّشر المرتّب، فهو لايُدرَك بالأبصار، لأنّه لطيف، ويُدرِك الأبصار لأنّه خبير. هذا لو أُريد باللّطيف: لطافة الذّات، لا العلم بما لطف من المغيّبات، وإلّا فالوصفان راجعان إلى الكلّ، لاحظ «ل ط ف» و«خ ب ر».

٢ـ نعت له بأنّه يملك السّمع والأبصار، كما يخرج الحيّ من الميّت، آية واحدة: (٢).

٣ـ منّ على العباد بأنّ الله جعل لهم السّمع والأبصار والأفئدة، وهذه كلّها آلة المعرفة، ستّ آيات: (٣) إلى (٨)، وفيها نكات ستتحدّث عنها.

٤ـ أخذ الله نعمة السّمع والأبصار والأفئدة مجازاة للمجرمين، سبع آيات (٩) إلى (١٥)، وقد سبق مثيل لها في (٧) من «البصر»، وفيها نكات أيضًا ستتحدّث عنها.

٥ ـ مدح أولي الأبصار، أربع آيات: (١٦)

إلى (١٩).

٦ـ اعتراف الكفّار بأنّهم قد سُكّرت أبصارهم وأنّهم مسحورون، آية واحدة: (٢٠).

٧ـ عمليّة السّحر، والإزلاق بالأبصار، آية واحدة: (٢١)، لاحظ «س ح ر».

٨ ـ وجوب غضّ الأبصار عن الأجانب على الرّجال والنّساء، آيتان، (٢٢)، و(٢٣)، وجاءت الأبصار والفروج في كلّ منها جمعًا، تناسقًا للمؤمنين المخاطبين، كما جاء حفظ الفروج عقيب غضّ الأبصار مباشرة، تأكيدًا للعلاقة المباشرة بين خطر البصر وشهوة الفَرج.

٩ـ شخوص الأبصار (٢٥) و (٢٦) وخشوعها وزيغها (٢٤) و(٢٨) وتقلّبها مع القلوب (٢٧) وشهادتها على النّاس في الآخرة: ٢٤) إلى (٣٥). وجاء في (٢٤) قوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾، وكذا في (٢٧) و(٢٨).

١٠ـ رؤية أصحاب الأعراف أهل النّار، آية واحدة: (٣٥).

ثانيًا: أنّ (١٢) آية من هذه راجعة إلى الآخرة: (٢٤) إلى (٣٥)، والباقي راجعة إلى الدّنيا، إلّا (١) و(٢) فتعمّان الدّنيا والآخرة.

ثالثًا: ممّا منّ به على العباد بموهبة السّمع والأبصار والأفئدة، مذيّلًا بأنّ النّاس لايشكرون الله على هذه المواهب إلّا قليلًا وقد صرّح به في (٧): ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ وهذا يمهّد السّبيل لحرمانهم منها عقوبة لهم، كما جاء في (٤) إلى (٩)، وبه يحكم العقل والشّرع، فشكر المنعم واجب عقلًا، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ النّمل: ٤٠.

وقد تحدّث القرآن عن الشّكر والكفر كثيرًا، لاحظ «ش ك ر» و«ك ف ر». وبهذا تندفع شبهة الجبر والظّلم عن تلك الآيات، وعن آيات الهداية والضّلالة في القرآن، فإنّها جميعًا من باب المجازاة والعقوبات في الدّنيا، لاحظ «هـ د ي» و«ض ل ل».

رابعًا: قد جاءت «الأبصار» جمعًا مع «السّمع» مفردًا مقدّمًا على الأبصار في (١١) آية: (٢) إلى (٧) و(١٠) إلى (١٢) و(١٤) و(٢٩) و(٣٠).

أمّا التّقديم فقيل: لكثرة فوائده، فإنّ أكثر أُمور الدّين لاتُعلَم إلّا من جهته. وقال الفخر في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: «إنّما قُدّم (السّميع) على (العليم) لأنّه لابدّ من سماع الكلام أوّلًا، ثمّ العلم بمعناه». ومنه نقتبس فنقول: السّمع مفتاح المعرفة، وعليه يترتّب الإبصار والتّعقّل، ولاسيّما في صعيد الدّين، لأنّ الوحي لايُعلَم إلّا بالسّماع.

وأمّا الإفراد فلأنّه في الأصل مصدر ـ أو هو هنا مصدر كما عند جملة من المفسّرين ـ والمصدر لايجمع، وإن جُمع ماكان بمعنى الجارحة، فروعي فيه الأصل في القرآن كلّه، ولم يأت فيه «الأسماع». وقيل: للإيماء إلى أنّ مُدركه نوع واحد وهو الصّوت، بخلاف البصر، فإنّه يُدرِك الضّوء واللّون والشّكل والحركة والسّكون. وبخلاف الفؤاد، وقد جاء جمعًا مثل الأبصار، فإنّه يُدرِك مدركات الحواسّ بواسطتها وزيادة على ذلك.

وأضاف الفَخْر (٢٥: ١٧٤) ـ والسّمع عنده مصدر هنا ـ فقال: «السّمع قوّة واحدة لها فعل واحد، فالإنسان لايضبط في زمان واحد كلامين، والأُذُن محلّه ولااختيار لها فيه، فإنّ الصّوت من أيّ جانب كان يصل إليها ولاقدرة لها على تخصيص القوّة بإدراك بعض دون بعض. وأمّا الإبصار فحلّه العين، ولها فيه شبه اختيار، فإنّها تتحرّك إلى جانب مرئيّ دون آخر. وكذلك الفؤاد محلّ الإدراك، وله نوع اختيار، يلتفت إلى مايريد دون غيره، وإذا كان كذلك فلم يكن للمحلّ في السّمع تأثير والقوّة مستبِدّة. فذكر القوّة في الأُذن ـ أي السّمع ـ وفي العين والفؤاد، للمحلّ نوع اختيار، فذكر المحلّ، لأنّ الفعل يستند إلى المختار».

واختار الإمام عبده ـ في المنار (١: ١٤٤) ـ هذا الوجه رادًّا على الوجه الأوّل: بأنّ البصر أيضًا مصدر فلماذا جمعه؟

فقال بما هو حاصله: بأنّ أسماع النّاس تتساوى في إدراك المسموعات، فلاتتشعّب تَشعُّبَ العقول والأبصار، وإنّ الأبصار أعظم مُعين للعقول في إدراكها، لأنّ أنواع المُبصَرات كثيرة، فتُعطي للعقل موادّ كثيرةً، والسّمع لايُدرِك إلّا الصّوت، وليس في الكلام عند النّقل طريق من طرق العلم اليقينيّ إلّا التّواتر، بخلاف مانقطع فيه بالضّرورة من طريق العقل والبصر، فهو كثير ـ وذكر الأوّليّات والتّجربيّات والحسّيّات ـ.

وقال: فالقسم الأعظم من المشاهدات سبيل الإدراك فيه البصر، فالعقول والأبصار بمنزلة ينابيع كثيرة، تنبجس من كلّ منها عيون للعلم مختلفة فجميعٌ، بخلاف السّمع، فإنّه ينبوع واحد لااختلاف فيما يصدر عنه فأُفرد...» فلاحظ.

خامسًا: جاء في خمس منها ـ (٣) إلى (٧) ـ (السّمع والأبصار والأفئدة)، بتقديم السّمع على الأبصار والأفئدة، وتأخير الأفئدة عنهما، وقد تقدّم وجه تقديم السّمع عليهما. أمّا وجه تقديم السّمع والأبصار على الأفئدة فلأنّها إدراك في الباطن وهما في الظّاهر، والظّاهر يقدّم على الباطن، أو لأنّهما من خدم الفؤاد وآلاته، ومدركاتهما تنتهي إليه، وهي كثيرة إلى جانب مدركاته، وأنّ له الخيار في الأخذ بمدركاتهما وردّها، فهو الحاكم فيها والرّقيب عليها.

وقيل: لِما أثبته الطّبّ أنّ الطّفل في الأيّام الثّلاثة الأُولى يسمع ولايُبصر، ثمّ يبدأ الرّؤية بعدئذٍ، ومن الواضح تأخّر العقل عن ذلك.

سادسًا: كرّرت الأبصار في ثلاث منها: (١) و(٧) و(١٢) اهتمامًا بشأنها ومساوقة لسياق الآيات، كما لايخفى على من تأمّلها.

سابعًا: جاء في (١) الأبصار منفردة، وفي (٢) و(٣) و(١٢) السّمع والأبصار، وفي (٣) إلى (٧) السّمع والأبصار والأفئدة، وفي (٩) القلوب مرّتين أوّلًا وآخرًا، والآذان ـ بدل السّمع ـ والأبصار كلّ منها مرّة، وفي (١٠) و(١١) و(١٤) السّمع والأبصار والقلوب، مع تقديم السّمع والأبصار على القلوب في (١٠)، وتأخيرها عن القلوب في (١١) و(١٤)، وفي (١٣) الأفئدة والأبصار، وفي (١٥) الأبصار والقلوب، ولكلّ وجه يُعلم بالتّأمّل فيها، لاحظ «ق ل ب» و«ف أ د»

و«س م ع».

ثامنًا: نُفي في آيات المجازاة العمى عن الأبصار، ونُسب إلى القلوب ـ وكذلك نُسب إليها العقل ـ ونُسب السّمع إلى الآذان في (٩)، وجاء الأخذ بالسّمع والأبصار والختم على القلوب في (١٠)، والختم على القلوب والسّمع، والغشاوة على الأبصار في (١١)، والإذهاب بالسّمع والأبصار في (١٢)، وتقليب الأفئدة والأبصار في (١٣)، والطّبع على القلوب والسّمع والأبصار في (١٤)، وصمّ السّمع وعمي الأبصار وقُفل القلوب في (١٥)، ولكلّ وجه، لاحظ «ع م ي» و«ع ق ل» و«س م ع» و«غ ش و» و«ذ ه ب» و«ق ل ب» و«ط ب ع» و«ص م م» و«ق ف ل». وهذه كلّها ألوان من المجازاة النّفسانيّة في الدّنيا، لمن انحرف عن الصّراط عمدًا.

تاسعًا: جاء ﴿أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ في أربع آيات: (١٦) و(١٧) و(١٨) و(١٩)، والمراد بالأبصار فيها العقول دون العيون، إطلاقًا للسّبب على المسبّب، لأنّ الأبصار تثير العقول على الإدراك، وحُملت العبرة على ﴿أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ في (١٦) و(١٧)، ووُصف إبراهيم وإسحاق ويعقوب بـ﴿أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ في (١٨)، والمراد فيها بالأيدي: القوّة، وبالأبصار: العقول.

و﴿أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ فيها بمنزلة ﴿أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ في (١٦) آيةً، ولرعاية الرّويّ دخل في التّعبير بأحدهما، فقد جاء ﴿أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ في ص: ٤٣ مناسبًا لما قبلها: «حِساب»، «مَآب»، «عَذَاب»، «شَراب»، ولما بعدها: «أوّاب». وجاء بعدها ﴿أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ مناسبًا لما بعدها: «الدّار»، «الأخيار». ثمّ رجع الرّويّ إلى «مَآب»، «شَراب»، «أتْراب»، «حِسَاب»، لاحظ سورة «صٓ».

عاشرًا: أُريد بالأبصار العيون في الجميع، سوى آيات ﴿أُولِي الْأَبْصَارِ﴾، فأُريد بها القلوب يقينًا، وآيات مجازاة المجرمين احتمالًا.

الحادي عشر: آيات البصر كلّها ـ كما سبق ـ مكّيّة، وكذلك آيات الأبصار، سوى عشر منها فمدنيّة، وهي: (٩) ـ إن كانت سورة الحجّ مدنيّة ـ و(١١) و(١٢) و(١٥) و(١٦) و(١٧) و(٢٢) و(٢٣) و(٢٤) و(٢٧). فالقرآن ركّز اهتمامه في البصر والأبصار بنسبة ١٠/٣٣، كما ركّز ذلك في المكّيّات ففاقت المدنيّات بنسبة ١٠/٣٣ أيضًا. وجاءت ثلاث من المدنيّات في بدء الهجرة والباقي بعدها، ففي البقرة اثنتان: (١١) و(١٢)، وفي آل‌عمران واحدة: (١٦)، وفي النّور أربع: (١٧) و(٢٢) و(٢٣) و(٢٧)، وفي كلّ من الأحزاب والحجّ والمؤمنين واحدة: (٢٤) و(٩) و(٤) على التّوالي.

الثّاني عشر: جاء «البصر» مفردًا وجمعًا في القرآن (٤٣) مرّة، ومشتقّاته (١٤٨) مرّة، فالجميع (١٩١) مرّة. وجاء السّمع مفردًا (٢٢) مرّة، ومشتقّاته (١٦٣) مرّة فالجميع (١٨٥) مرّة. وجاء القلب والقلوب (١٣٢) مرّة، والفؤاد (٥) مرّات.

وهذه الأرقام كأنّها تحاكي واقع هذه المُدركات الأربع وموضعها في الإنسان، فالبصر له الحظّ الأوفى: (١٩١) مرّة، ثمّ السّمع: (١٨٥) مرّة، والتّفاوت بينهما (٦)، وهو قليل، وهذان يُدْرِكان المحسوسات. ويليهما القلب، فيتنازل العدد إلى (١٣٢)، ثمّ الفؤاد، وهو

سويداء القلب، وحظّه ضئيل جدًّا: (٥) مرّات وهما يُدرِكان المعقولات، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أنّ الإنسان يبصر أكثر ممّا يسمع، ويعقل أقلّ ممّا يُبصِر ويسمع، أي بنسبة $\frac{١٣٢}{١٩١}$ في البصر و$\frac{١٣٢}{١٨٥}$ في السّمع، وقلّما تصل المدرِكات إلى الفؤاد عبر القلب بنسبة $\frac{٥}{١٣٢}$، والله أعلم، لاحظ «ق ل ب» و«ف أ د».




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب ص ل

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مدنيّة

النُّصوص اللُّغويّة والتّفسيريّة

الخَليل: البصَل: معروف، والبصَلة: بيضةُ الرّأس من حديد، وهي المحدّدة الوسط، شُبّهت بالبصَلة. [ثمّ استشهد بشعر] (٧: ١٢٩)

مثله الأزهَريّ. (١٢: ١٩٥)

ابن شُمَيّل: البصَلة إنّما هي سقيفة واحدة، وهي أكبر من التّرْك. وقِشْر مُتَبصّل: كثيف كثير القُشور.

(الأزهَريّ ١٢: ١٩٥)

الطَّبَريّ: والبقل والقثّاء والعدس والبصَل هو ماقد عرفه النّاس بينهم، من نبات الأرض وحبّها.

(١: ٣١٠)

ابن دُرَيْد: البصَل: عربيّ معروف، وقد جاء في التّنزيل والشّعر الفصيح. (١: ٢٩٨)

الصّاحِب: البصَل من النّبات: معروف، وفي المثل: «أكسى من بصَل».

والبصَلة: البَيضَة من الحديد المُحدّدة الوسط.

وبصّلتُه من ثيابه، أي قشّرتُه. وقِشْر متبَصّل، أي كثيف. (٨: ١٥٠)

الجَوهَريّ: البصَل: معروف، الواحدة: بصَلة، وتشبّه به بيضةُ الحديد. (٤: ١٦٣٥)

ابن فارِس: الباء والصّاد واللّام أصل واحد. البصَل: معروف، وبه شبّه «لبيد» البَيْضَ، فقال:

فَخْمَةٌ ذَفْراءَ تُرْتَى بالعُرى

قُرْدُمانيًّا وتَرْكًا كالبصَل

(١: ٢٥٣)

ابن سيدة: البصَل: معروف، واحدته بصَلة. والبصَلة: بَيْضَة السّلاح المحدودة الوسط، على التّشبيه. (٨: ٣٣٥)

البصَل: نبات من الفصيلة الزّنبقيّة، مستدير أو قريب للبيضيّ، مركّب من أغشية متراكبة سميكة لحميّة، متميّز بعضها عن بعض، مغطًّى من الخارج بأغشية جافّة رقيقة صفراء أو بيضاء. ينمو تحت الثّرى، وله جذور

دقيقة تُضرب تحتها، وأغصان ترتفع قليلًا فوق سطح الأرض. (الإفصاح ١: ٤٣٢)

الرّاغِب: البصَل: معروف، في قوله عزّوجلّ: ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾: البقرة: ٦١.

وبيضة الحديد: بصَلٌ تشبيهًا به، لقول الشّاعر: «وتَرْ كالبَصَل». (٥٠)

الزَّمَخْشَريّ: جئتَ أعرى من المِغْزَل، ورجعتَ أكسى من البصَل. وقد تبصّل الشّيء، إذا تضاعف تضاعُف قِشْر البصَلة، وبَصَّلتُ الرّجل من ثيابه: جرّدتُه.

ومن المجاز: خرجوا كأنّهم الأصَل، وعلى رؤوسهم البصَل، أي البَيْض. والأصَل: جمع أصَلَة، وهي حيّة خبيثة. (أساس البلاغة: ٢٣)

الفَيُّوميّ: البصَل: معروف، الواحدة: بصَلة، مثل قصَب وقصَبة. (١: ٥٠)

الفيروزاباديّ: البصَل محرّكة: معروف، واحدته بهاء، وبَيْضة الحديد.

والبصليّة: محلّة ببغداد، وإقليم البصَل: بإشبيليّة.

وقِشر مُتبصِّل: كثير القشور كثيف.

وبُصْلَة بالضّمّ: علَم، والتّبصيل والتّبصُّل: التّجريد، وتبصّلوه: أكثروا سؤاله حتّى نَفِد ماعنده. (٣: ٣٤٥)

البُرُوسَويّ: (وَبَصَلِهَا) بَقْلٌ معروف تُطيَّب به القدور. (١: ١٥٠)

مَجْمَعُ اللُّغة: البصَل: هو النّبات المعروف الّذي رأسه تحت سطح الأرض، تخرج منه أوراق أنبوبيّة جوفاء كثيرة، ويؤكل نيًّا ومطبوخًا، واحدته: بَصَلة. (١: ١٠٤)

المُصْطَفَويّ: «إحياء التّذكرة» بَصَل، الزّنبقيّة[1]: وله جملة أنواع: بُحَيريّ: يُزرع في الوجه البَحْريّ، وهو أصغر حجمًا. وصَعيديّ: وهو مايزرع في الوجه القِبْليّ، وبصلته كبيرة وأكثر عصارةً. وروميّ: وهو البصَل الأحمر، وهو أحلى طعمًا وأكثر عصارة. وشاميّ: وبصلته أطول.

ويحوي البصَل زيتًا طيّارًا وكبريتًا، ومقدارًا من مادّة سُكريّة وحمض فسفوريّ وفيتامين وكلسيوم، وكان يستعمل عصيره قديمًا في الرّمد بقطرة.

وقد ذكر المؤرّخ هيرودوت: أنّ الفراعنة عرفوا البصَل منذ أقدم الأزمنة، وكان يُعطَى مع العدس لبُناة الأهرام.

وقد أثبت العلم الحديث أنّ رائحة البصَل أو عصارته أو أوراقه تَقتُل المكروبات السّبحيّة، ومكروب الدّفتريا والدّوسنتاريا. (١: ٢٦٧)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: البَصَل، وهو النّبات المعروف، واحدته: بَصَلة.

وبه شبّهت بيضة الحديد، أي الخوذة الّتي توضع على الرّأس، فيقال لها: بَصَلة، لكثافتها، كما شُبّه به القشر الكثيف، يقال: قِشْرٌ مُتبصِّل، لأنّ البَصَل كثيف الأوراق، وفي المثل: «أكسى من بَصَل».

---

(١) نبات من الفصيلة الزّنبقيّة.

ويقال: بصّلته من ثيابه، أي جرّدته منها، كما يقال: قشّرت الشّيء، أي نزعت عنه قشره، إذ من معاني «فعّل» السّلب.

٢ـ وجاء لفظ «البَصَل» في بعض اللّغات السّاميّة باختلاف يسير لما في العربيّة، ففي العبريّة «باصال»، وفي السّريانيّة «بِصْلا»، وفي الآراميّة «بُصْلا».

إلّا أنّ لفظه في العبريّة الحديثة يُضارع اللّفظ العربيّ تقريبًا، فهم يقولون اليوم: «بِصِل»، بكسر الباء والصّاد. (لاحظ ب ق ل).

الاستعمال القرآنيّ

جاءت منها آية واحدة ﴿وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسٰى لَنْ نَصْبِرَ عَلٰى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْاَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ اَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذٖى هُوَ اَدْنٰى بِالَّذٖى هُوَ خَيْرٌ...﴾ البقرة: ٦١

يلاحظ أوّلًا: أنّ الآية من جملة آيات كثيرة نزلت في شأن بني إسرائيل في سورة البقرة، وهي حاكية قلّة صبرهم وعدم رشدهم، حتّى سألوا نبيّهم بمثل هذه الأسئلة المتدنّية، ومنها أنّهم طلبوا منه أن يدعو الله ليخرج لهم هذه النّباتات الّتي وصفها الله بأنّها أدنى ممّا رزقهم من المنّ والسّلوى، ناسين ماأنعم الله عليهم من الدّين والخلاص من سلطة الجائرين.

ثانيًا: أنّ ماجاء في الآية من النّباتات لم يتكرّر شيء منها في موضع آخر من القرآن، فهذه الآية وحيدة بألفاظها، فما هو الوجه في ذلك؟

لعلّ هذه النّباتات كانت غير ذي بال عند العرب ـ حسب مانعلمه ـ أو تأكيد من الله لدناءتها، بحيث لايليق ذكرها إلّا حكاية عن بني إسرائيل.

ثالثًا: هناك جناس لفظيّ بين الكلمتين، وتناسب لحنيّ بين حرفي السّين والصّاد في (عَدَسِهَا وَبَصَلِهَا)، فجاءتا ممّا في ذيل تلك النّباتات، وقدّم عليها ماليس فيه ذلك.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب ض ع

٤ ألفاظ ، ٧ مرّات مكّيّة، في سورتين مكّيّتين

بِضاعة ٢ : ٢	بِضاعَتُنا ١ : ١
بِضاعتهم ٢ : ٢	بِضْع ٢ : ٢

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل : بَضَعْتُ اللّحم أبضَعُه بَضْعًا، وبَضَّعْتُه تبضيعًا، أي جعلته قِطَعًا. والبَضْعَة : القِطْعَة، وهي الهَبْرَة.

وفلانٌ شديد البَضْع والبَضْعَة، أي حَسَنها إذا كان ذاجسم وسِمَن. [ثمّ استشهد بشعر]

وبضَعْتُ من صاحبي بُضوعًا، إذا أمرته بشيء فلم يفعله، فدخلك منه شيء.

وبضَعْتُ من الماء بُضوعًا، أي رويت.

والبُضْع : اسم باضَعْتها، أي باشرتها. وبضَعْتها بَضْعًا، أو بُضْعًا، وهو الجماع.

والبِضاعة : ماأبضعت للبيع كائنًا ماكان، ومنه الإبضاع والابتضاع.

والباضعة : شجّة تقطع اللّحم.

والباضعة : قطعة من الغنم، انقطعت عن الغنم.

يقال : فِرَقٌ بواضعُ.

والبَضيع : البحر. [ثمّ استشهد بشعر]

والبِضْع من العدد، مابين الثّلاثة إلى العشرة، ويقال : هو سبعةٌ. قال عَرّام : مازاد على عَقْد فهو بِضع، تقول : بضعةَ عشَر، وبِضعٌ وعشرون، وثلاثون ونحوه.

وأبضَعْته بالكلام إبضاعًا، وهو أن تُبيِّن له ماتُنازعه حتّى تشتفي منه، كائنًا ماكان.

وبَضَعْتُه فانبضع، أي قَطَعْتُه فانقطع.

وبُضِع الشّيء، أي فُهِم. (١ : ٢٨٥)

أبوعمرو الشّيبانيّ : الباضع : الّذي يَجلِب بَضائعَ الحيّ. (ابن فارس ١ : ٢٥٦)

بَضَع بُضوعًا، كما يقال : نَقَع. (ابن فارس ١ : ٢٥٧)

الفَرّاء : بَضْعَة وبَضْع مثل تَمْرَةٍ، وتَمْرٍ، وبَضَعَة وبَضَعات مثل تَمَرةٍ وتَمَراتٍ، وبَضْعَة وبِضَع مثل بَدرَة

وبِدَر، وبَضْعَة وبِضاع مثل صَحْفَة وصِحاف.

(الأزهَريّ ١: ٤٨٧)

يقال للسّيوف: بَضَعَة، واحدها: باضعٌ، وللسّياط: خضَعَة، واحدها: خاضع.

والباضع في الإبل مثل الدّلّال في الدُّور.

واختلف النّاس في «البُضْع» فقال قوم: هو الفَرْج، وقال قوم: هو الجماع. (الأزهَريّ ١: ٤٨٨)

أبوعُبَيْدَة: البِضع: مالم يبلغ العَقدَ ولانصفه، يريد: مابين الواحد إلى أربعة.

بَضَعْتُه بالكلام وأبضَعْتُه، وهو أن تُبيّن له ماتُنازعه حتّى يشتفي، كائنًا من كان. (الأزهَريّ ١: ٤٨٨)

أبوزَيْد: بضَعْتُ به ومنه بُضوعًا.

(الأزهَريّ ١: ٤٨٧)

أقمت عنده بِضْع سنين. وقال بعضهم: بَضْع سنين.

يقال: له بِضْعَة وعشرون رجلًا، وله بِضْعُ وعشرون امرأة. (الأزهَريّ ١: ٤٨٨)

إذا شرب حتّى يَرْوَى قال: بضَعْت أبضَع، وقد أبضَعَني.

مثله الأصمَعيّ. (الأزهَريّ ١: ٤٨٧)

الأصمَعيّ: أعطيته بَضْعَةً من اللّحم، وجمعها: بِضَع، إذا أعطاه قطعةً مجتمعةً، ومثلها الهَبْرَة.

البَضيع: الجزيرة في البحر، والبَضيع: اللّحْم. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقال: جَبْهتُه تتبضّع، أي تسيل عرقًا. وقال أبوذؤيب:

إلّا الحميم فإنّه يتبضّع

يتبضّع: يتفتّح بالعرق ويسيل متقطّعًا. والبَضيع: اسم موضع. [ثمّ استشهد بشعر] (الأزهَريّ ١: ٤٨٧)

الباضعة: من الشّجاج الّتي تشجّ اللّحم، تَبضَعه بعد الجلد وبعد المتلاحمة. (الأزهَريّ ١: ٤٨٨)

يقال: مَلَك فلانٌ بُضعَ فلانة، إذا مَلَك عُقدَة نكاحها، وهو كناية عن موضع الغِشيان. (الأزهَريّ ١: ٤٨٨)

سيفٌ باضِع، إذا مرّ بشيءٍ بَضَعَه، أي قطع منه بَضْعَةً. (الجَوهَريّ ٣: ١١٨٦)

البَضْعَة: قطعة من اللّحم مجتمعة، وجمعها: بِضَع، كما تقول: بَدْرَة وبِدَر، وتُجمع على: بَضْع أيضًا. [ثمّ استشهد بشعر]

باضَعَ الرّجل امرأته، إذا جامعها، بِضاعًا. وفي المثل: «كمعلّمةِ أُمّها البِضاع» يُضرب للرّجل يُعلّم من هو أعلم منه.

ويقال: فلان مالك بُضعِها، أي تزويجها. [ثمّ استشهد بشعر] (ابن فارِس ١: ٢٥٥)

أبضَعَ الرّجل بِضاعة، ومنه قولهم: «كمُستبْضِع التّمر إلى هَجَر» يُضرب مثلًا لمن ينقل الشّيء إلى من هو أعرَف به وأقدر عليه.

وجمع البِضاعة: بضاعات وبضائع. يقال: اتّخذ عِرضَه بِضاعةً، أي جعله كالشّيء يُشترى ويُباع.

[الشّجّة الباضعة] هي الّتي تشقّ اللّحم شقًّا خفيفًا، ومنه حديث عمر: «أنّه ضرب الّذي أقسم على أُمّ سلَمة أن تُعطيه، فضرَبه أدبًا له ثلاثين سوطًا كلّها تَبضَع وتَحْدُر» أي تشقّ الجِلْد وتَحدُر الدّم.

(ابن فارِس ١: ٢٥٦)

شربَ فلانٌ فما بضَعَ، أي ماروي، والبَضْع: الرّيّ.

(ابن فارس ١: ٢٥٧)

اللّحيانيّ: ومَرّ بِضْع من اللّيل، أي وقت.

(ابن سيدة ١: ٢٥٩)

ابن الأعرابيّ: البُضع: النّكاح، والبِضاع: الجِماع.

البضائع: كالعلائق، وهي الجَنائب تُجنَب مع الإبل.

[ثمّ استشهد بشعر] (ابن فارس ١: ٢٥٦)

ابن السِّكّيت: ومنها [أي الشّجاج] الباضِعة، وهي الّتي قد جَرَحَت الجلد وأخذَتْ في اللّحم. (٩٧)

شَرِبتُ ماءً مارَويت منه، ومانَقَعْتُ به نُقوعًا، ومابضَعْتُ بالماء بُضوعًا. (٦٧٤)

الوَذْرَة: القِطعَة الصّغيرة [من اللّحم] فإذاكانت أكبر من ذلك فهي بَضْعَة. (٦٠٥)

البَضِيع من اللّحم: جمع بَضْع، كقولك: عَبْد وعبيد.

فأمّا الباضعة فهي القطعة من الغنم، يقال: فِرْق بَواضِع.

(ابن فارس ١: ٢٥٥)

والبَضْع: جمع بَضْعَة. والبُضْع: النّكاح، يقال: مَلَك فلانٌ بُضْع فلانة. (إصلاح المنطق: ١٢٨)

أبوسَعيدالبغداديّ: هو شريكي وبَضيعي، وهم بُضعائي وشركائي. [ثمّ استشهد بشعر]

(الأزهَريّ ١: ٤٨٩)

شَمِر: البِضْع: لايكون أقلّ من ثلاث ولاأكثر من عشرة. (الأزهَريّ ١: ٤٨٨)

المُبرّد: الشِّجاج مختلفة الأحكام، فإذا كانت الشّجّة شُقيْقًا يَدْمَى فهي الدّامية، وإذا أخذت من اللّحم شيئًا فهي الباضعة. (١: ٢٨٥)

البِضاعة: جزء من أجزاء المال. والبِضْع: من أربع إلى تسع. (الأزهَريّ ١: ٤٨٨)

ثَعْلَب: استعمال البِضْع من الأربعة إلى التّسعة، يستوي فيه المذكّر والمؤنّث. (الفَيّوميّ ١: ٥٠)

الزّجّاج: تقول: بَضَعَه بالكلام يبضَعه بَضْعًا، وكذلك أبضَعه بالكلام إبضاعًا، وذلك أن يبيّن له مايُنازعه فيه حتّى يستغني، كائنًا ماكان، وكذلك أبضَعْتُه من الشّراب حتّى بضَعَ، أي حتّى شفى غليلَه.

(فعلت وأفعلت: ٤)

ابن دُرَيْد: البَضْعَة: القطعة من اللّحم. وفلان بَضْعَة من فلان، إذا أشبهه. والبِضاعة: القطعة من المال في التّجارة. والبَضيع: اللّحم. [ثمّ استشهد بشعر]

والبَضيع: الجزيرة في البحر، وتنقطع من الأرض. [ثمّ استشهد بشعر]

والباضعة: الشّجّة الّتي تَبضَع اللّحم، أي تشقّه.

وباضع: موضع بساحل البحر.

ومَلَك فلان بُضْع فلانة، وهو النّكاح.

والمِبْضَع: الحديدة الّتي يُبضَع بها اللّحم، يستعملها البيطار.

والبِضْع من الثّلاث إلى العشر، فإذا جاوزت العشر: ذهب البِضْع.

والبضَعَة: السّيوف، ويقال: الخَضَعَة والبضَعَة، فالخَضَعة: السّياط، والبضَعَة: السّيوف، هكذا يقول بعض أهل اللّغة.

وقال آخرون: بل الخَضَعَة: السّيوف، والبضَعَة: السّياط. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٣٠١)

الأزهَريّ: ابتضع فلانٌ وبضَعَ، إذا تزوّج.

والمباضَعة: المباشرة، يقال: باضعَها مباضَعَةً، إذا جامعها، والاسم: البُضْع.

ويقال: أبضَعْتُ بضاعةً للبيع، كائنة ماكانت.

(١: ٤٨٩)

الصّاحِب: بضَعَ اللّحم بَضْعًا، وبَضّعَه: جعَله قِطَعًا. والقِطعَة: بَضْعَةٌ.

وهو شديد البَضْع والبَضْعَة: أي ذو جِسْمٍ ولَحْم.

وقيل: خاظي البَضيع: جَمْعُ بَضْع، كعَبْد وعَبِيْد.

وبضَعْتُ منه بُضوعًا: أمَرْتَه بشيءٍ فلم يَفعله فدخلك منه ماسَئِمْتَ معه أن تأمُرَه بشيءٍ آخر.

وبضَعَ من الماء والجِماع: رَوِي. وبضَعَها بَضْعًا. والاسم: البُضْعُ، وأصله مِلْكُ العُقْدَة ثمّ صُيِّرَ للجِماع.

وأبضَعْتُها: زوّجتها. وابتَضَعَ منها في لَيْلَة وابتَضَعْتُ منه: أخَذَ كلّ واحد بُضْعَ صاحبه.

وكان تأبّط شرًّا مُبتَضَعًا: أي ابنَ بِكْرَيْن.

ورجل أبضَعُ: مَهْزولٌ.

ورأيتُهم أجمَعين أبضَعين، ويُوحَّدُ فيقال: أجْمَعَ أبْضَعَ.

والباضِع: الّذي يَحْمل بضائع الحيّ ويجَلُبُها، وهي العلائق، والواحدة: بَضيعَة.

والبَضيع: الجَزيرة في البَحْر.

وماءٌ بَضيع وبَضاعٌ: نَمِيرٌ.

وأبضَعْتُ البضاعة للبَيْع، وابتَضَعْتُها أيضًا.

وابتَضَعْتُه بالكلام: بيّنْتُ له ما تنازَعْناه حتّى اشتفى.

والباضِعَة: القِطعَة من الغنَم انقطَعَتْ عنها.

والبِضْعُ من العدد: مابين الثّلاثة إلى العشرة، وقيل في قوله: ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾ يوسف: ٤٢، أنّها سَبْعَة، وحُكي البَضْعُ بفتح الباء أيضًا.

وتبَضّعَتْ جِلْدَتُه: عَرِقَتْ.

وبِئْرُ بُضَاعَة: بالمدينة.

وأبضَعَةُ: مَلِكٌ من كِنْدَة. (١: ٣١٨)

الجَوْهَريّ: البِضاعة: طائفة من مالِك تبعثها للتّجارة. تقول: أبضَعْتُ الشّيء واستَبْضَعْته، أي جعلته بِضاعةً.

وفي المثل: «كمُستَبْضِع تَمْرٍ إلى هَجَر» وذلك أنّ هَجَرَ معدنُ التّمر.

والباضِعَة: الشّجّة الّتي تقطع الجلد وتشُقّ اللّحم وتُدمي، إلّا أنّه لايَسيل الدّم، فإن سال فهي الدّامية.

والباضِعَة أيضًا: الفِرْق من الغنم.

وبِضْعٌ: في العدد بكسر الباء، وبعض العرب يفتحها، وهو مابين الثّلاث إلى التّسع، تقول: بِضْع سنين، وبِضْعَة عشرَ رجلًا، وبِضْعَ عشرة امرأةً. فإذا جاوزت لفظ العَشْر: ذهب البِضع. لاتقول: بِضْعٌ وعشرون.

والبَضْعَة: القِطْعَة من اللّحم، هذه بالفتح، وأخواتها بالكسر، مثل: القِطْعَة، والفِلْذَة، والفِدْرَة، والكِسْفَة، والخِرْقَة، والجِذْوَة، ومالايُحصى. والجمع: بَضْعٌ، مثل تَمْرَة وتَمْر. [ثمّ استشهد بشعر]

وبعضهم يقول: جمعها بِضَعٌ، كبَدْرَة وبِدَر.

وبَضَعْتُ اللّحم بَضْعًا بالفتح: قطَعته، وبَضَعْتُ الجُرْح: شقَقْته.

والمِبْضَع: مايُبضَع به العِرْق والأديم.

وبَضَعْتُ من الماء بَضْعًا: رَوِيتُ، وفي المثل: «حتّى متى تَكرع ولاتَبضَع».

وربّما قالوا: بَضَعْتُ من فلان، إذا سَئِمت منه، وهو على التّشبيه.

وأبضَعَني الماء: أرواني. وربّما قالوا: سألني فلان عن مسألة فأبضَعْتُه، إذا شفَيته.

والمباضَعَة: الجامعة، وهي البِضاع، وفي المثل: «كمُعَلِّمةٍ أُمّها البِضاع».

والبَضيع: اللّحم، يقال: دابّةٌ كثيرة البَضيع. ورجلٌ خاظِي البَضيع.

والبَضيع: العَرَق.

والبُضَيْع: مُصغّرًا: اسم موضع.

و«بئرُ بُضاعَة» الّتي في الحديث، تُكسر وتُضمّ.

(٢: ١١٨٦)

ابن فارِس: الباء والضّاد والعين أُصول ثلاثة: الأوّل: الطّائفة من الشّيء عضوًا أو غيره، والثّاني: بُقعَة، والثّالث: أن يشفى شيء بكلام أو غيره. [ثمّ نقل قول الخليل وابن السّكّيت والأصمعيّ إلى أن قال:]

البَضْعَة بمعنى القِطْعَة.

ومن هذا قولهم: بَضَعْتُ الغُصن أبضَعُه، أي قطعته. [ثمّ استشهد بشعر]

فأمّا المباضَعَة الّتي هي المباشرة فإنّها من ذلك، لأنّها مُفاعَلة من البُضْع، وهو من حسَن الكنايات.

وممّا هو محمول على القياس الأوّل: بِضاعة التّاجر من ماله: طائفة منه.

قال الأصمعيّ: يقال: «اتّخذ عِرضه بِضاعة» أي جعله كالشّيء يُشتَرى ويُباع. وقد أفصح الأصمعيّ بما قلناه، فإنّ في نصّ قوله: إنّما سمّيت البِضاعة بِضاعةً، لأنّها قطعة من المال تُجعل في التّجارة.

ومن باب الأعضاء الّتي هي طوائف من البدَن قولهم: الشّجّة الباضعة، وهي الّتي تشُقّ اللّحم، ولاتُوضِح عن العَظْم.

ومن أمثالهم: «تُشْرط البِضاعَة». يقول: إذا احتاج بذَلَ بِضاعته وماعنده.

وأمّا البُقعَة فالبُضَيع بلد. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال الدُّريديّ: البَضيع: جزيرة تُقطَع من الأرض في البحر.

فإن كان ماقاله ابن دُرَيْد صحيحًا فقد عاد إلى القياس الأوّل.

وأمّا الأصل الثّالث فقولهم: بَضَعْتُ من الماء: رَويت منه. وماءٌ بَضيعٌ، أي نَمير.

(١: ٢٥٤)

الهَرَويّ: وفي حديث عمر: «أنّه ضرب رجلًا ثلاثين سوطًا كلّها يَبضَع ويَحْدُر» أي يشُقّ الجلد ويَقطَع. ويَحْدُر، أي يَرِم.

ويقال: بضَعَه وبَضّعَه، مخفّف ومشدّد.

وفي الشّجاج: «الباضِعَة» وهي الّتي تأخذ في اللّحم.

وفي الحديث: «أنّه أمر بلالًا يوم صبّح خيبر، فقال: ألا من أصاب حُبلى فلايَقْرَبَنّها، فإنّ البُضْع يزيد في السّمع والبصر» قال الأزهَريّ: هذا كقوله: «لايَسْقِ ماءه زَرع غيره».

والبُضْع: الجماع، وقال بعضهم: البُضْع: الفَرْج.

ومنه قول عائشة: «وله حصّنني ربّي ـ تعني

النبي ﷺ - من كلّ بُضع» أي من كلّ نكاح. وكان تزوّجها بكرًا من بين نسائه.

وفي الحديث: «تُستأمَر النساء في إبضاعهنّ» يقال: أبضَعْتُ المرأة، إذا زوّجتها، كما تقول: أنكحتُها.

والاستبضاع: نوع من نكاح أهل الجاهليّة، ومنه الحديث: «أنّ عبد الله بن عبد المطّلب مرّ بامرأة فدعته أن يَستَبضِع منها».

وفي الحديث: «فلمّا تزوّج رسول الله ﷺ خديجة دخل عليها عمرو بن أسد، فلمّا رآه قال: هذا البُضع لايُقرَع أنفه» يريد: هذا الكُفء الّذي لايُرَدّ. وأصل ذلك في الإبل، وذلك أنّ الفحل الهجين إذا أراد أن يضرب كرائم الإبل ضربوا أنفه بعصًا أو غيرها، ليرتدّ عنها ويتركها، ولايتعرّض لها. (١: ١٧٧)

الثّعالبيّ: البِضع بين الثّلاث والعشر. (٩٦)

البَضع والهَبْر واللّحب: قَطعُ اللّحم. (٢٣٢)

أبوسَهْل الهَرَويّ: تقول: هي بضعَة من لحم بالفتح، أي قِطعَة واحدة منه. وهم بِضعَة عشر رجلًا بالكسر، لما بين اثني عشر إلى تسعةَ عشَر. (٥٨)

ابن سيدة: بضَع اللّحم يَبضَعه بَضعًا، وبَضّعه: قَطّعه، والبَضعَة: القطعة منه. والجمع: بَضع، وبِضَع، وبَضيع، وهو نادر. ونظيره الرّهين: جمع الرّهْن.

والبَضيع أيضًا: اللّحم. والبَضيع: ماانماز من لحم الفَخِذ، الواحدة: بضيعة. [ثمّ استشهد بشعر]

وفلانٌ بَضعَة من فلان، يُذهب به إلى الشّبه.

وبضَع الشّيء يَبضَعه: شقّه، وفي حديث عمر في ذكر السّياط: «كلّها يَبضَع ويَحدُر» أي يَحدُر الدّم، وقيل: يَحدُر: يُورِّم.

والبَضعة: السّياط، وقيل: السّيوف.

والباضعة من الشّجاج: الّتي تشقّ اللّحم. والمِبضَع: المِشرَط.

وبضَع من الماء، وبه يَبضَع بُضوعًا وبَضعًا: رَوِيَ وامتلأ. وأبضعني: أرواني. وماءٌ باضِع وبَضيعٌ: نَمير.

وأبضَعه الكلام، وبضَعه به: بَيّنَه له. وبضَع هو يَبضَع بُضوعًا: فَهِم، وبضَع الكلام فابتَضَع: بيّنَه فتبيّن.

وبضَع من صاحبه يَبضَع بُضوعًا، إذا لم يأتمِر له، فسئِم أن يأمُره.

وبضَع المرأة بَضعًا، وباضَعها مباضَعة وبِضاعًا: جامعها، والاسم: البُضع، وجمعه: بُضوع. [ثمّ استشهد بشعر]

والبُضع: مِلْك الوليّ للمرأة.

والبِضاعة: القِطعَة من المال، وقيل: اليسير منه. والبِضاعة: ماحَمَلْتَ آخَر بَيْعِه وإدارته.

وأبضَعه البِضاعة: أعطاه إيّاها.

وابتَضَع منه: أخذَ، والاسم: البِضاع، كالقِراض.

واستبضَع الشّيء: جعَله بضاعته، وفي مثل: «كمُستَبْضِع التمر إلى هَجَر».

قال حسّان:

* كمستبضِع تمرًا إلى أهل خيبرا *

والبِضع والبَضع: مابين الثّلاث إلى العشر، وبالهاء: من الثّلاثة إلى العشرة، يضاف إلى ماتضاف إليه الآحاد، كقوله تعالى: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ الرّوم: ٤، وقوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ يوسف: ٤٢.

ويُبنى مع العشرة، كما يُبنى سائر الآحاد، وذلك ثلاثة إلى تسعة، فيقال: بِضْعَة عشَر رجلًا، وبِضع عشرة امرأة، ولم تُسْمَع بَضْعَة عشَر، ولابَضْعَ عَشْرَة، ولايمتنع ذلك.

وقيل: البِضع: من الثّلاث إلى التّسع، وقيل: هو مابين الواحد إلى الأربعة.

والباضعة: قِطْعَة من الغنم.

وتبضّع الشّيء: سال.

والبَضيع: البحر، والبَضيع: الجزيرة في البحر، وقد غلَب على بعضها. [ثمّ استشهد بشعر]

والبُضَيْع، والبَضيع، وباضع: مواضع. (١: ٤١٨)

البُضع: عقد الزّواج، والتّزويج. وأبضَع المرأة: زوّجها. والبُضع: التّزوّج، وقد بضَع يبضَع بَضْعًا. (الإفصاح ١: ٣٢٧)

البُضع: المَهر. (الإفصاح ١: ٣٤٢)

البَضْعة: أكبر من الوَذْرَة، الجمع: بَضْع وبِضَع وبِضاع وبضَعات.

بَضَع كمنَع: قطَع. (الإفصاح ١: ٤٠١)

البَضْع: بضَع الجُرْحَ يَبضَعه بَضْعًا: شقّه، والمِبضَع: مايُبضَع به العِرْق والأديم. (الإفصاح ١: ٥٣٨)

البَضْع: بضَع العود يَبضَعه بَضْعًا وبَضْعه: قطَعه فانبضع. (الإفصاح ٢: ١١٨٧)

البِضع: هو في العدد من الثّلاثة أو من الأربعة إلى التّسعة، أو من الواحد إلى الأربعة. وقيل: هو مابين العِقْدين: من واحد إلى عشرة، ومن أحد عشَر إلى عشرين، أو من ثلاثة عشَر إلى تسعة عشَر. وهو مع المذكّر بهاء، ومعها بغير هاء.

ولايُستعمل فيما زاد على العشرين. وقيل: يجوز، فيقال: بِضعَة وعشرون رجلًا، وبِضع وعشرون امرأة.

وقيل: يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، فيقال: بِضع رجال وبِضع نساء.

وقيل: «لايُذكر البِضع إلّا مع العشرة والعشرين إلى التّسعين، ولايقال: فيما بعد ذلك، يعني أنّه يقال: مائة ونَيِّف، ولايقال: بِضع ومائة، ولابِضع وألف. (الإفصاح ٢: ١٢٥٥)

وبَضَعه: شقّه، والمِبضَع: المِشرَط، الجمع: مَباضع. (الإفصاح ٢: ١٣٥٨)

الزَّمَخْشَريّ: بضَع من الشّاة بَضْعةً، إذا قطَع قِطْعَة، وبضَع الخشبة. [ثمّ استشهد بشعر]

وفلان جيّد البَضْعة، إذا كان لحيمًا، كقولك: جيّد الكُدْنَة[1]. وهو خاظي البَضيع، أي سمينٌ.

وعندي بِضْعَة عشَر من الرّجال وبِضع عَشْرَة من النّساء، الذّكور بالتّاء والإناث بطَرْحها، على سَنَن حُكم العدد. وأقمت عنده بِضع سنين، وهو مابين الثّلاث والعَشر.

وشجّة باضعة، وهي الّتي تبلغ اللّحم. وسَمِعْتُ للسّيوف بَضْعَة، وللسّياط خَضْعَة، أي صوت قَطْع وصوت وَقْع.

وهذه بِضاعة مُزجاة. وتقول: قد نَفَسْت ضبائِعَنا، ونَفَقَت بِضائِعُنا. [ثمّ استشهد بشعر]

وأبضَعته كذا، إذا جعَلْته بضاعةً له. واستَبضَعْتُ

---

(١) الكُدْنَة: كثرة اللّحم والشّحم.

كذا، إذا جعلتَه بضاعةً لك. [ثمّ استشهد بشعر]

ويقولون: هو باضِع الحيّ: لمن يحمل بَضائِعهم.

ومن المجاز: من رضع معك رِضْعَه، فهو منك بَضْعَه، أي هو بعضك.

ومن الكناية: بضَع المرأة بَضعًا، وباضَعها بِضاعًا وملّك بُضعَها، إذا عقَد عليها.

وبَضَعْتُ من الماء: رَوِيت، لأنّك تقطع الشّرب عند الرّيّ، يقال: حتّى متى تكرَع ولاتَبضَع.

وبضَعْتُ من فلان، إذا سَئِمْت من تكرير النُّصْح عليه فقطَعْته. (أساس البلاغة: ٢٤)

وروي: أنّه لمّا خطَب خديجة استأذنَتْ أباها وهو ثَمِل، فقال: هو الفَحْل لايُقرَع أنفُه، فنَحَرتْ بعيرًا وخلّقَتْ أباها بالعبير.

البُضْع: مصدر بَضَع المرأة، إذا جامَعها. ومثله فيما حكاه سِيبَويه: قَرَعها قُرْعًا، وذقَطها[1] دُقطًا. و«فُعْل» في المصادر غير غريب، منه الشُّغل والشُّكر والكُفر، وأخوات لها.

ويقال لعقد النّكاح: بُضْع أيضًا، كما استعمل النّكاح في المعنيين، وأرادها هنا صاحب البُضْع، فحذف.

(الفائق ١: ١١٥)

الرّاغِب: البِضاعة: قِطْعَة وافِرة من المال تُقتنى للتّجارة، يقال: أبضَع بِضاعة وابتَضَعها، قال تعالى: ﴿هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ يوسف: ٦٥، وقال تعالى: ﴿بِبِضَاعَةٍ مُزْجَيةٍ﴾ يوسف: ٨٨

والأصل في هذه الكلمة: البَضْع، وهو جملة من اللّحم تُبضَع، أي تُقطَع، يقال: بَضَعْته وبَضَّعْته فابتَضَع وتبضّع، كقولك: قَطَعْتُه وقطّعْته فانقطَع وتقطّع.

والمِبْضَع: مايُبضَع به، نحو المِقْطَع.

وكُنّي بالبُضْع عن الفَرْج، فقيل: مَلَكْتَ بُضْعَها، أي تزوّجتَها، وباضَعها بِضاعًا، أي باشرها.

وفلان حسن البَضْع والبَضيع والبَضْعَة والبِضاعة: عبارة عن السِّمَن.

وقيل للجزيرة المنقطعة عن البَرّ: بَضيعٌ.

وفلان بَضْعَة منّي، أي جارٍ مجرى بعض جسدي لقربه منّي.

والباضعة: الشّجّة الّتي تُبضِع اللّحم.

والبِضْع بالكسر: المنقطع من العشرة، ويقال ذلك لما بين الثّلاث إلى العشرة، وقيل: بل هو فوق الخمس ودون العشرة، قال تعالى: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ الرّوم: ٤. (٥٠)

ابن الأثير: فيه «تُستأمَر النّساء في أبضاعِهنّ»، يقال: أبضَعْتُ المرأة إبضاعًا إذا زوّجتها.

والاستبضاع: نوع من نكاح الجاهليّة، وهو «استفعال» من البُضْع: الجماع؛ وذلك أن تطلب المرأةُ جماع الرّجل لتنال منه الولد فقط. كان الرّجل منهم يقول لأمته أو امرأته: أرسلي إلى فلان فاستَبْضِعي منه. ويعتزِلها فلا يمسّها حتّى يتبيّن حملها من ذلك الرّجل، وإنّما يُفعَل ذلك رغبةً في نجابة الولد.

ومنه الحديث: «وبُضْعُه أهله صَدَقة» أي مباشرته.

ومنه حديث أبي ذرّ: «وبَضيعَته أهله صدقة».

ومنه الحديث: «عتَق بُضْعُكِ فاختاري» أي صار

---

(١) دَقَط الطّائر أنثاه: سفدها.

فَرجُك بالعِتق حرًّا، فاختاري الثّبات على زوجك، أو مفارقته.

وفي الحديث: «فاطمة بَضْعَة منّي» البَضْعَة بالفتح: القِطْعَة من اللّحم، وقد تُكسَر، أي أنّها جزءٌ منّي، كما أنّ القِطْعَة من اللّحم جزءٌ من اللّحم.

ومنه الحديث: «صلاة الجماعة تَفْضُل صلاة الواحد بِضْع وعشرين درجة». البِضْع في العدد بالكسر، وقد يُفتح، مابين الثّلاث إلى التّسع، وقيل: مابين الواحد إلى العشرة، لأنّه قِطْعَة من العدد.

وفيه: «المدينة كالكِير تَنْفي خَبَثها وتُبْضِع طيبها» كذا ذكره الزّمَخْشَريّ، وقال: هو من أبضَعْته بضاعة، إذا دفعتها إليه. يعني أنّ المدينة تُعطي طيبها ساكنها. والمشهور بالنّون والصّاد المهملة، وقد رُوي بالضّاد والخاء المعجمتين، وبالحاء المهملة من النّضح والنّضخ، وهو رَشّ الماء.

وفيه: «أنّه سُئل عن بئر بُضَاعة» هي بئر معروفة بالمدينة، والمحفوظ ضمّ الباء، وأجاز بعضهم كسرها، وحكي بعضهم بالصّاد المهملة.

وفيه ذِكر «أبضَعَة» هو مَلِك من كِنْدة، بوزن أرنَبة، وقيل: هو بالصّاد المهملة. (١: ١٣٢)

الصّغانيّ: بضَع، وابتَضَع، إذا تزوّج. وأبضَع، إذا زوّج.

ويقال: بضَعْته فابتَضَع وبضَع، أي بيّنته فتبيّن.

ويقال: هو شريكي وبضيعي، وهم شُركائي وبُضعائي.

والبَضيع: البَحر نَفْسه، والبَضيع أيضًا: مَرْسًى دون جُدّة، ممّا يلي اليَمن.

والبُضع، بالضّمّ: الفَرج نفسه، والبُضع أيضًا: الكُفْء.

وباضِعٌ: موضع بساحل الحجاز.

وبَضْعَة اللّحم: تُجمَع على بِضاع أيضًا، مثل صَحْفَة وصِحاف، وجَفْنَة وجِفان، وعلى بَضَعات مثل تَمْرَة وتَمَرات.

وقال الجَوهَريّ: «فإذا جاوَزْتَ لفظ العَشر ذهَب البِضع، لاتقول: بِضْعٌ وعشرون»، وهذا غلط، بل يقال ذلك.

والبِضع من العدد في الأصل غير محدودٍ، وإنّما صار مبهمًا، لأنّه بمعنى القِطْعَة، والقِطْعَة غير محدودة.

الباضِع: الّذي يَحمل بضائع الحيّ ويجلبُها، وابتَضَعْتُ البِضاعة.

وأبضَعَة: مَلِك من مُلوك كِندَة. (٤: ٢١٥)

الفَيّوميّ: البَضْعَة: القِطْعَة من اللّحم، والجمع: بَضْعٌ وبَضَعاتٌ وبِضَعٌ وبِضاعٌ، مثل تَمْرَة وتَمْر وسجَدات، وبِدَر وصِحاف.

وبِضع: في العدد بالكسر، وبعض العرب يفتح، واستعماله من الثّلاثة إلى التّسعة، وعن ثَعْلب من الأربعة إلى التّسعة. يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، فيقال: بِضع رجال وبِضع نِسْوَة.

ويستعمل أيضًا من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر، لكن تَثْبُت الهاء في بِضع مع المذكّر وتُحذَف مع المؤنّث كالنّيّف، ولايستعمل فيما زاد على العشرين. وأجازه بعض المشايخ فيقول: بِضْعَة وعشرون رجلًا، وبِضعٌ

وعشرون امرأةً، وهكذا قاله أبوزَيْد. وقالوا: على هذا معنى البِضْع والبِضْعَة في العدد: قطعة مُبهمة غير محدودة.

والبُضْع بالضّمّ: جمعه أبضاعٌ، مثل قُفْل وأقفال، يطلق على الفرج والجِماع، ويطلق على التّزويج أيضًا كالنّكاح يطلق على العقد والجماع.

وقيل: البُضْع مصدر أيضًا، مثل الشُّكر والكفر.

وأبضَعْتُ المرأة إبضاعًا: زوّجتها.

«وتُستأمر النّساء في أبضاعهنّ» يُروى بفتح الهمزة وكسرها، وهما بمعنًى، أي في تزويجهنّ، فالمفتوح جمع، والمكسور مصدر، من أبضَعْتُ.

ويقال: بضَعَها يبضَعها بفتحتين، إذا جامعها، ومنه يقال: مَلَك بُضْعها، أي جماعها. والبِضاع: الجِماع وزنًا ومعنًى، وهو اسم من باضَعها مُباضَعة.

والبِضاعة بالكسر: قطعة من المال تُعَدّ للتّجارة.

وبئر بُضاعة: بئرٌ قديمة بالمدينة بكسر الباء وضمّها، والضّمّ أكثر.

واستَبْضَعْتُ الشّيء: جعلته بِضاعة لنفسي، وأبضَعْته غيري بالألف: جعلته له بِضاعة، وجمعها: بضائع.

وبَضَعْت اللّحم بَضْعًا، من باب نفَع: شققته، ومنه الباضعة، وهي الشّجّة الّتي تشُقّ اللّحم ولاتبلغ العَظْم ولايسيل منها دمٌ، فإن سال فهي الدّامية.

وبضَعَه بَضْعًا: قَطَعه، وبضّعه تَبْضيعًا مبالغة وتكثير.

(١: ٥٠)

الفيروز اباديّ: البَضْع كالمَنْع: القَطْع، كالتَّبضيع، والشَّقّ، وتقطيع اللّحم، والتّزوّج.

والمجامعة كالمباضعة والبِضاع.

والتّبيين كالإبضاع والتبيّن، بضَعَه الكلام وأبضعه الكلام: بيّنه له، فبَضَع هو بُضوعًا: فَهِمَ.

وفي الدّمع: أن يصير في الشُّفْر ولايَفيض.

وبالضّمّ: الجِماع أو الفرج نفسه، والمَهْر، والطّلاق، وعقد النّكاح ضِدٌّ، وموضع.

وبالكسر ويُفتح: الطّائفة من اللّيل، ومابين الثّلاث إلى التّسع أو إلى الخَمس، أو مابين الواحد إلى الأربعة، أو من أربع إلى تسع، أو هو سَبْعٌ. وإذا جاوَزْتَ لفظ العشر: ذهَبَ البِضْع، لايقال: بِضْع وعشرون أو يقال ذلك.

الفرّاء: لايذكر مع العشَرة والعشرين إلى التّسعين ولايقال: بِضْع ومائة، ولاألف.

مُبْرَمان[1]: البِضْع: مابين العَقْدين: من واحد إلى عشرة، ومن أحد عشر إلى عشرين.

ومع المذكّر بهاء ومعها بغير هاء: بِضْعَة وعشرون رجلًا وبِضْع وعشرون امرأة، ولايُعكس، أو البِضْع غير معدود، لأنّه بمعنى القِطْعَة.

والبَضْعَة وقد تُكسر: القِطْعَة من اللّحم، جمعه: بَضْع بالفتح، وكعِنَب وصحاف وتَمَرات.

وكمِنْبَر: مايُبْضَع به العِرْق.

والباضِعَة: الشّجّة الّتي تَقْطَع الجِلد وتشُقّ اللّحم شقًّا خفيفًا وتَدْمَى إلّا أنّها لاتَسيل، والفِرْق من الغنم أو القِطعَة الّتي انقَطَعتْ عن الغنم.

والباضع في الإبل كالدّلّال في الدُّور، أو من يَحمِل

(١) هو لقب محمّد بن عليّ بن إسماعيل اللّغويّ.

بضائعَ الحيّ ويجلبُها. والسّيف القطّاع، جمعه: بضَعَة محرّكة. وباضِع: موضع بساحل بحر اليمن، أو جزيرة فيه.

وبَضَعْتُ به كمنَع بُضوعًا، إذا أمرته بشيء فلم يفعله فدخلك منه.

ومن الماء بَضْعًا وبُضوعًا وبَضاعًا: رَويت.

والبَضيع كأمير: الجزيرة في البحر، ومَرْسًى دون جُدّة ممّا يلي اليمن، والعرَق، وجبل، والبَحْر، والماء النّمير كالباضع، والشّريك، جمعه: بُضْع.

وكسفينة: الجَنيبة تُجنَبُ مع الإبل.

وكزُبير: موضع أو جبل بالشّام، وموضع عن يسار الجار.

وبئر بُضاعة بالضّمّ وقد تُكسر بالمدينة؛ قُطر رأسها ستّة أذرُع.

وأبضَعَة: مَلِك من ملوك كِنْدَة أخو مِخْوَس، وتقدّم في السّين.

والأبضَع: المهزول.

وأبضَعَها: زوّجها، والشّيء جعَله بِضاعةً كاستبضَعَه، والماء فلانًا: أرواه، وعن المسألة: شفاهُ، والكلامَ: بيّنه بيانًا شافيًا.

وتبضّع العَرَق: تبصّع، وبالمعجمة أصحّ، وانبضع: انقطَع، وابتَضَع: تبيّن. (٣: ٥)

الطُّرَيحيّ: وقوله: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ الرّوم: ٤، البِضْع بالكسر وقد يفتح: يقال لما بين الثّلاثة إلى التّسع، وقيل: مابين الثّلاثة إلى العشرة. وهو قطعة من العدد يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، تقول: بِضْع سنين وبِضعَ عشر رجلًا وبِضعَ عشرة امرأة.

وفي الخبر: «أُهدي إلى رسول الله ﷺ هريسةٌ من هَرائس الجنّة، فزادت في قوّته ﷺ بِضْع وأربعين رجلًا».

وفيه: «صلاة الجماعة تَفْضُل صلاة الواحد ببِضْعٍ وعشرين درجة».

والبُضْع بالضّمّ: يطلق على عقد النّكاح وعلى الجماع وعلى الفرج، والجمع: أبضاع، مثل قُفْل وأقفال.

والمُباضَعَة: الجامعة، ومنه «الكُحل يزيد في المُباضعة».

وفي الحديث المشهور: «فاطمة بَضْعَة منّي» بفتح الباء، أي أنّها جزء منّي كما أنّ القطعة من اللّحم جزء من اللّحم.

والباضعة: من الشّجاج، وهي الّتي تشُقّ اللّحم وتَبْضَعه بعد الجلد وتَدْمَى إلّا أنّها لاتسيل الدّم. ومنه الحديث: «وفي الباضعة بعيران».

و«أبضَعة» وزان أرنَبة: مَلِك من كِنْدَة، وقيل: أبصَعَة بالمهملة، ومنه الحديث: «لعن الله الملوك الأربعة» وذكر منهم أبضعة.

وبئر بُضاعة: بئر بالمدينة لقوم من خزرج.

و«بِضاعة»: اسم رجل أو امرأة، وأهل اللّغة يفتحون الباء ويكسرونها، والمحفوظ من الحديث الضّمّ، وقد حكي عن بعضهم بالصّاد المهملة، وليس بمحفوظ.

والإبضاع: هو أن يدفع الإنسان إلى غيره مالًا ليَبْتاع به متاعًا، ولاحِصّة له في ربحه، بخلاف المضاربة. (٤: ٣٠٠)

الجَزائريّ: البِضْع والنّيف:

النَّيِّف: من واحد إلى ثلاثة، والبِضْع: من أربعة إلى تسعة.

ولايقال: نيّف، إلّا بعد عقد، نحو عشرة ونيّف ومائة نيّفة، بخلاف «البِضْع» فإنّه يستعمل مستقلًا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ يوسف: ٤٢. (٧٢)

العَدْنانيّ: بَضْع وثلاثون غُرْفة، ويُخطّئون من يقول: في المدرسة بِضْعٌ وثلاثون غُرْفةً، معتمدين على قول الصّحاح: «بِضْعٌ في العدد بكسر الباء، وبعض العرب يفتحها، وهو مابين الثّلاث إلى التّسع، تقول: بِضْع سنين، وبِضْعَة عشر رجلًا، وبِضْعَ عشرة امرأة، فإذا جاوزْتَ لفظ العشر: ذهب البِضْع، فلاتقول: بِضْعٌ وعشرون».

وكان اللّيث بن سَعْد وشَمِر بن حمدويه قد قالا: «البِضْع لايكون أقلّ من ثلاث ولا أكثر من عشرة».

ولكن:

كان الكَرْمانيّ قد أجاز ذلك في «الجامع» وقال: «إنّ أفصَح الفُصحاء الّذي هو النّبيّ ﷺ تكلّم به».

وجاء في الحديث: «صلاة الجماعة تَفْضُل صلاة الواحد ببضْع وعشرين درجةً».

وجاء في حديث آخر: «بِضْعًا وثلاثين مَلِكًا».

وقال الفَرّاء: «إنّ البِضْع لايُذكَر إلّا مع العشرة والعشرين إلى التّسعين، ولايقال فيما بعد ذلك» يعني أنّه يقال: مئةٌ ونيّفٌ، ولايقال: بِضْعٌ ومئةٌ، ولابِضعٌ وألفٌ.

ونقل «التّهذيب» عن أبي زيد الأنصاريّ أنّه قال: «يقال: له بِضْعَة وعشرون رجلًا، وله بِضْع وعشرون امرأة». [ثمّ استشهد بشعر]

وخطّأ الصّاغانيّ ماقاله الجوهَريّ في الصّحاح، وأيّدَ الخفاجيّ الكَرْمانيّ في رأيه، وذكر التّاج: أنّ فتح الباء في «بضع وبضعة» أفصح.

وأنا أرى أنّ كسرها «بِضْع» أفصح، لأنّها وردت في القرآن الكريم مرّتين مكسورة الباء، إحداهما في الآية (٤٢) من سورة يوسف: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.

وأورد الرّاغب الأصفهانيّ في مفرداته، والمُغرب، والوسيط، الباء مكسورة.

وروى اللّسان عن رسول الله ﷺ، والفَرّاء، وأبي عُبَيْدَة، وأبي زيد الأنصاريّ، وأبي تمّام كلمة «بِضع» مكسورة الباء.

وقال الصّحاح، والمختار، والمصباح: تُكسر الباء، وبعض العرب يفتحها، وهذا يعني أنّ كسر باء «بضع» أعلى من فتحها. (٦٤)

المُصْطَفَويّ: فظهر أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو القطع والإبانة، فيقال: بَضْعَة، أي قطعة.

والبِضْع من العدد: قِطْعَة منه، ويطلق على الحدّ القليل منه، وهو مادون العشرة.

والبُضْع، يطلق على قطعة مخصوصة من البدن، ويكنّى عن الفرج، ويشتقّ منه الفعل بالاشتقاق الانتزاعيّ، فيقال: باضعتها.

والبَضْع: الرّيّ، وهو قطع مقدار من الماء، وتناوله بالشّرب. (١: ٢٦٩)

النّصوص التّفسيريّة

بِضَاعة

١ــ...قَالَ يَابُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ. يوسف: ١٩

ابن عبّاس: يعني إخوة يوسف أسرّوا شأنه، وكتموا أن يكون أخاهم، فكتم يوسف شأنه مخافة أن تقتله إخوته، واختار البيع، فذكره إخوته لوارد القوم، فنادي أصحابه. (الطّبريّ ١٢: ١٦٩)

مُجاهِد: صاحب الدّلو ومن معه قالوا لأصحابهم: إنّما استبضعناه، خيفة أن يَشركوهم فيه إن علموا بثمنه، وتبعهم إخوته يقولون للمُدلي وأصحابه: استوثِق منه لايأبق، حتّى وقفوه بمصر، فقال: من يبتاعني ويبشَّر، فاشتراه المَلِك، والمَلِك مسلم. (الطّبريّ ١٢: ١٦٩)

أسرّه التّجّار بعضهم من بعض. (الطّبريّ ١٢: ١٦٩)

قالوا لأهل الماء: إنّما هو بضاعة. (الطّبريّ ١٢: ١٦٨)

أسرّه المُدلي، ومن معه من باقي التّجّار، لئلّا يسألوهم الشّركة فيه. (الطّوسيّ ٦: ١١٤)

قَتادَة: أسرّوا بيعه. (الطّبريّ ١٢: ١٦٩)

السُّدّيّ: لمّا اشتراه الرّجلان فَرِقا من الرُّفقة أن يقولوا: اشتريناه، فيسألوهم الشّركة، فقالا: إن سألونا ماهذا؟ قلنا: بضاعة استبضعناه أهل الماء، فذلك قوله: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ بينهم. (الطّبريّ ١٢: ١٦٩)

ابن قُتَيْبَة: أي أسرّوا في أنفسهم أنّه بضاعةٌ وتجارة. (٢١٤)

الطّبَريّ: وأمّا قوله: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ فإنّ أهل التّأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: وأسرّه الوارد المُستقي وأصحابه من التّجّار الّذين كانوا معهم، وقالوا لهم: هو بضاعة استبضعناها بعض أهل مصر، لأنّهم خافوا إن علموا أنّهم اشتروه بما اشتروه به أن يطلبوا منهم فيه الشّركة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأسرّه التّجّار بعضهم من بعض.

وقال آخرون: معنى ذلك: وأسرّوا بيعه.

وقال آخرون: إنّما عنى بقوله: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ إخوة يوسف، أنّهم أسرّوا شأن يوسف أن يكون أخاهم، قالوا: هو عبد لنا.

وأولى الأقوال بالصّواب، قول من قال: وأسرّ وارد القوم المُدْلي دلوه، ومن معه من أصحابه ــ من رُفقته السّيّارة أمر يوسف ــ أنّهم اشتروه خيفة منهم أن يستشركوهم، وقالوا لهم: هو بضاعة أبضعَها معنا أهل الماء، وذلك أنّه عقيب الخبر عنه، فلأن يكون ماوليه من الخبر خبرًا عنه، أشبه من أن يكون خبرًا عمّن هو بالخبر عنه غير متّصل. (١٢: ١٦٩)

الزّجّاج: لمّا وجدوه وأحبّوا أن لايُعلم بأنّه موجود، وأن يوهموا أنّه بضاعة دفعها إليهم أهل الماء (وبضاعة) منصوب على الحال، كأنّه قال: وأسرّوه جاعليه بضاعة. (٣: ٩٨)

نحوه الطّوسيّ. (٦: ١١٤)

البَغَويّ: قيل: أراد أنّ إخوة يوسف أسرّوا شأن يوسف، وقالوا: هذا عبدٌ لنا، أبَق منّا. (٢: ٤٨١)

المَيْبُديّ: (بِضَاعَةً) منصوب على الحال، يعني أسرّه مالك بن ذعر وأصحابه، فقالوا للسّيّارة: هو بِضاعةٌ أبضعناها أهل الماء لنبيعه بمصر، لئلّا يستشركهم فيه النّاس. (٥: ٣١)

الزّمَخْشَريّ: (بِضَاعَةً) نصبٌ على الحال، أي أخفوه متاعًا للتّجارة. والبضاعة: ما بُضع من المال للتّجارة، أي قُطِع. (٢: ٣٠٩)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٤٩٠)، وأبوحَيّان (٥: ٢٩٠).

ابن عَطيّة: و(بِضَاعَةً) حال، والبضاعة: القطعة من المال يتّجر فيها بغير نصيب من الرّبح، مأخوذة من قولهم: بَضَعت، أي قَطَعت.

وقيل: إنّهم أسرّوا في أنفسهم يتّخذونه بضاعة لأنفسهم، أي متّجرًا، ولم يخافوا من أهل الرّفقة شيئًا. ثمّ يكون الضّمير في قوله: (وَشَرَوْهُ) لهم أيضًا، أي باعوه، بثمن قليل؛ إذ لم يعرفوا حقّه ولاقدره، بل كانوا زاهدين فيه. ورُوي على هذا أنّهم باعوه من تاجر.

وقال مُجاهد: الضّمير في (أَسَرُّوهُ) لأصحاب الدّلو، وفي (شَرَوْهُ) لإخوة يوسف الأحدَ عشَر. وقال ابن عبّاس: بل الضّمير في (أَسَرُّوهُ) و(شَرَوْهُ) لإخوة يوسف.

وذلك أنّه رُوي أنّ إخوته لمّا رجعوا إلى أبيهم وأعلموه رجع بعضهم إلى الجُبّ ليتحقّقوا أمر يوسف، ويقفوا على الحقيقة من فقده، فلمّا علموا أنّ الورّاد قد أخذوه، جاؤوهم فقالوا: هذا عبدٌ أبَق لأمّنا ووهبتْه لنا ونحن نبيعه منكم. فقارّهم يوسف على هذه المقالة خوفًا منهم، وليُنفذ الله أمره، فحينئذٍ أسرّه إخوته إذ جحدوا اخوته فأسرّوها، واتّخذوه (بِضَاعَةً) أي متّجرًا ومكسبًا. (٣: ٢٢٩)

أبوالفُتُوح: يعني عدّوه (بِضَاعَةً)، ونُصب على المفعول له. ويجوز أن يكون حالًا على تقدير: وأعدّوه بضاعةً. (٣: ١١٧)

الفَخْرالرّازيّ: الضّمير في (وَأَسَرُّوهُ) إلى من يعود؟ ففيه قولان:

الأوّل: أنّه عائدٌ إلى الوارد وأصحابه أخفَوا من الرّفقة أنّهم وجدوه في الجُبّ، وذلك لأنّهم قالوا: إن قلنا للسّيّارة: التقطْناه شاركونا فيه، وإن قلنا: اشتريناه: سألونا الشّركة. فالأصوب أن نقول: إنّ أهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على أن نبيعه لهم بمصر.

والثّاني: نُقل عن ابن عبّاس أنّه قال: (وَأَسَرُّوهُ) يعني إخوة يوسف أسرّوا شأنه، والمعنى: أنّهم أخفوا كونه أخًا لهم، بل قالوا: إنّه عبدٌ لنا أبَقَ منّا، وتابعهم على ذلك يوسف، لأنّهم توعّدوه بالقتل بلسان العبرانيّة.

والأوّل أولى لأنّ قوله: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ يدلّ على أنّ المراد أسرّوه حال ماحكموا بأنّه بضاعة، وذلك إنّما يليق بالوارد لابإخوة يوسف. (١٨: ١٠٦)

الآلوسيّ: نصب قوله سبحانه: (بِضَاعَةً) على الحال، أي أخفَوه حال كونه متاعًا للتّجارة.

وفي «الفرائد» أنّه ضمّن (أَسَرُّوهُ) معنى جعلوه، أي جعلوه بضاعة مُسرّين إيّاه، فهو مفعول به.

وقال ابن الحاجب: يحتمل أن يكون مفعولًا له، أي

لأجل التّجارة. وليس شرطه مفقودًا لاتّحاد فاعله وفاعل الفعل المعلّل به؛ إذ المعنى كتموه لأجل تحصيل المال به، ولايجوز أن يكون تمييزًا. (١٢: ٢٠٤)

مثله القاسميّ. (٩: ٣٥٢٢)

٢ـ ...وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَيةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ. يوسف: ٨٨

راجع «زجو ـ مزجاة».

بِضع

١ـ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسٰيهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ. يوسف: ٤٢

ابن عبّاس: دون العشرة. (الطّبريّ ١٢: ٢٢٥)

مُجاهِد: مابين الثّلاث إلى التّسع.

مثله قَتادَة. (الطّبريّ ١٢: ٢٢٤)

ومثله الأصمعيّ. (الزّجّاج ٣: ١١٢)

من الثّلاثة إلى السّبعة. (ابن عطيّة ٣: ٢٤٧)

الضّحّاك: البِضعُ: أربعَ عشرةَ سنة.

مثله طاووس. (الآلوسيّ ١٢: ٢٤٨)

قَتادَة: لبث يوسف في السّجن سبع سنين.

مثله ابن جُرَيْج. (الطّبريّ ١٢: ٢٢٤)

وهذا المعنى مرويّ عن الإمام الصّادق عليه السلام.

(الكاشانيّ ٣: ٢٢)

قُطْرُب: البِضع: مابين الثّلاث إلى التّسع.

(الزّجّاج ٣: ١١٢)

الفَرّاء: ذكروا أنّه لبث سبعًا بعد خمس. والبِضع: مادون العشرة. (٢: ٤٦)

أبوعُبَيْدَة: البِضع: لايبلغ العقد ولانصف العقد، وإنّما هو من الواحد إلى الأربعة. (ابن عطيّة ٣: ٢٤٧)

الأخفَش: البِضع: من الواحد إلى العشرة.

(ابن عطيّة ٣: ٢٤٧)

الطّبَريّ: واختلف أهل التّأويل في قدر البِضع الّذي لبث يوسف في السّجن، فقال بعضهم: سبع سنين.

وقال آخرون: البِضع: مابين الثّلاث إلى التّسع.

وقال آخرون: بل هو مادون العشر.

وزعم الفرّاء أنّ البِضع لايُذكَر إلّا مع عشر، ومع العشرين إلى التّسعين، وهو نيّف مابين الثّلاثة إلى التّسعة، وقال: كذلك رأيت العرب تفعل، ولايقولون: بِضع ومئة، ولابِضع وألف، وإذا كانت للذّكر، قيل: بِضع.

والصّواب في البِضع: من الثّلاث إلى التّسع إلى العشر، ولايكون دون الثّلاث، وكذلك مازاد على العقد إلى المائة، ومازاد على المائة فلايكون فيه بِضع.

(١٢: ٢٢٤)

الزّجّاج: اختلفوا في البِضع فقال بعضهم: البِضع مابين الثّلاث إلى الخمس.

واشتقاق البُضع والبَضعة من: قَطَعْتَ الشّيء، فمعناه القِطعَة من العدد؛ فجعل لما دون العشرة: من الثّلاث إلى التّسع. (٣: ١١٢)

الطّوسيّ: والبِضع: قِطعَة من الدّهر. (٦: ١٤٥)

المَيْبُديّ: أي سبع سنين، وقيل: سبع سنين بعد

الرّؤيا، وكان فيه خمس سنين قبل ذلك، وهو ماجاء في الخبر. وقيل: البِضع: مابين الثّلاث إلى التّسع. (٥: ٧٠)

نحوه الفَخْرالرّازيّ. (١٨: ١٤٦)

الزّمَخْشَريّ: البِضع: مابين الثّلاث إلى التّسع، وأكثر الأقاويل على أنّه لبث فيه سبع سنين. (٢: ٣٢٢)

ابن عَطيّة: و«بِضع» في كلام العرب اختُلف فيه، فالأكثر على أنّه من الثّلاثة إلى العشرة، قاله ابن عبّاس؛ وعلى هذا هو فقه مذهب مالك رحمه الله في الدّعاوي والأيمان.

[وبعد نقل قول أبي عُبَيْدَة والأخفش وقَتادَة قال:]

ويقوّي هذا ماروي من أنّ النّبيّ ﷺ قال لأبي بكر الصّدّيق، في قصّة خطره مع قريش في غلبة الرّوم لفارس: «أما علمت أنّ البِضع من الثّلاث إلى التّسع».

وقال مُجاهِد: من الثّلاثة إلى السّبعة.

قال الفرّاء: ولايُذكَر البِضع إلّا مع العشرات، لايُذكَر مع مائة ولامع ألف.

والّذي روي في هذه الآية أنّ يوسف ﷺ سجن خمس سنين، ثمّ نزلت له قصّة الفتيين. (٣: ٢٤٧)

القُرطُبيّ: قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ البِضع: قطعة من الدّهر مختلف فيها، قال يعقوب عن أبي زيد: يقال: بَضع وبِضع بفتح الباء وكسرها، قال أكثرهم: ولايقال: بضع ومائة، وإنّما هو إلى التّسعين.

وقال الهَرَويّ: العرب تستعمل «البِضع» فيما بين الثّلاث إلى التّسع. والبِضع والبِضعة واحد، ومعناها القِطعة من العدد.

وحكى أبوعُبَيْدَة أنّه قال: البِضع مادون نصف العَقْد، يريد مابين الواحد إلى أربعة، وهذا ليس بشيء.

وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه: «وكم البِضع»؟ فقال: مابين الثّلاث إلى السّبع، فقال: «اذهب فزائد في الخطَر». وعلى هذا أكثر المفسّرين، أنّ البِضع سبع، حكاه الثّعلبيّ. قال الماوَرْديّ: وهو قول أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه وقُطْرُب.

وقال مُجاهِد: من ثلاث إلى تسع، وقاله الأصمعيّ.

ابن عبّاس: من ثلاث إلى عشرة. وحكى الزّجّاج أنّه مابين الثّلاث إلى الخمس.

قال الفرّاء: والبِضع لايُذكَر إلّا مع العشرة والعشرين إلى التّسعين، ولايُذكَر بعد المائة.

وفي المدّة الّتي لبث فيها يوسف مسجونًا ثلاثة أقاويل: أحدها: سبع سنين، قاله ابن جُرَيْج وقَتادَة ووَهْب بن مُنَبِّه، قال وَهْب: أقام أيّوب في البلاء سبع سنين، وأقام يوسف في السّجن سبع سنين. الثّاني: اثنتا عشرة سنة، قاله ابن عبّاس. الثّالث: أربع سنين، قاله الضّحّاك.

وقال مُقاتِل عن مُجاهِد عن ابن عبّاس قال: مكث يوسف في السّجن خمسًا وبِضعًا. واشتقاقه من بضعت الشّيء، أي قطّعته، فهو قِطعة من العدد، فعاقب الله يوسف بأن حُبِس سبع سنين أو تسع سنين بعد الخمس الّتي مضت، فالبِضع: مدّة العقوبة لامدّة الحبس كلّه.

قال وَهْب بن مُنَبِّه: حبس يوسف في السّجن سبع سنين، ومكث أيّوب في البلاء سبع سنين، وعُذّب

بُخْتُنَصَّر بالمسخ سبع سنين.

وقال عبد الله بن راشد البصريّ عن سعيد بن أبي عَرُوبة: إنّ البِضع مابين الخمس إلى الاثنتي عشرة سنة. (٩: ١٩٧)

أبوحَيّان: (وَبِضْعَ سِنِينَ) مجملٌ، فقيل: سبعٌ، وقيل: اثنا عشر. والظّاهر أنّ قوله: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ﴾ إخبار عن مدّة مقامه في السّجن منذ سُجن إلى أن أُخرج.

وقيل: هذا اللّبث هو مابعد خروج الفتيين وذلك سبعٌ، وقيل: سنتان. (٥: ٣١١)

الآلوسيّ: البِضع: مابين الثّلاث إلى التّسع، كما روي عن قَتادَة. وعن مُجاهِد أنّه من الثّلاث إلى السّبع.

وقال أبوعُبَيْدَة: من الواحد إلى العشرة.

ولايُذكَر على ماقال الفرّاء: إلّا مع العشرات دون المائة والألف، وهو مأخوذٌ من «البَضْع» بمعنى القطع.

والمراد به هنا في أكثر الأقاويل سبع سنين، وهي مدّة لبثه كلّها فيما صحّحه البعض، وستّان منها كانت مدّة لبثه بعد ذلك القول، ولايأبى ذلك فاء السّببيّة، لأنّ لبث هذا المجموع مسبّبٌ عمّا ذُكر.

وقيل: إنّ هذه السّبع مدّة لبثه بعد ذلك القول، وقد لبث قبلها خمسًا، فجميع المدّة اثنتا عشرة سنة، ويدلّ عليه خبر «رحم الله تعالى أخي يوسف لو لم يقل: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ لما لبث في السّجن سبعًا بعد خمس».

وتعقّب بأنّ الخبر لم يثبت بهذا اللّفظ، وإنّما الثّابت في عدّة روايات «مالبث في السّجن طول مالبث» وهو لايدلّ على المدّعَى.

وروى ابن حاتِم عن طاووس والضّحّاك تفسير «البِضع» هاهنا بأربعَ عشرَة سنة، وهو خلاف المعروف في تفسيره. والأولى أن لايُجزَم بمقدار معيّن، كما قدّمنا. (١٢: ٢٤٧)

رشيد رضا: وقد اختلف المفسّرون في مدّة لبث يوسف في السّجن، بناء على الاختلاف في تفسير «البِضع» واختلاف الرّواة؛ فالتّحقيق أنّ «البِضع» من ثلاث إلى التّسع، وأكثر مايطلق على السّبع. وعليه الأكثرون في مدّة سجن يوسف من أوّلها إلى آخرها.

وماقالوه: من أنّ السّبع كانت بعد وصيّته للسّاقي، وأنّه لبث قبلها خمس سنين، فلادليل عليه. (١٢: ٣١٥)

٢- ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾. الرّوم: ٤

النّبيّ ﷺ: إنّما البِضع مابين الثّلاث إلى التّسع. (الطّبَريّ ٢١: ٢٠)

ابن عَبّاس: عند رأس سبع سنين. (تنوير المقباس: ٣٣٨)

أبوعُبَيْدَة: من الثّلاث إلى الخمس. (ابن عَطيّة ٤: ٣٢٨)

المُبَرّد: البِضع: مابين العقدين في جميع الأعداد. (الطُّوسيّ ٨: ٢٢٩)

الطُّوسيّ: البِضع: القِطعة من العدد مابين الثّلاث إلى العشر. (٨: ٢٢٩)

البغويّ: والبِضع: مابين الثّلاث إلى السّبع، وقيل: مابين الثّلاث إلى التّسع، وقيل: مادون العشرة. (٣: ٥٧١)

مثله الخازن. (٥: ١٦٨)

المَيْبُديّ: والبِضع: اسم للثّلاث والخمس والسّبع والتّسع. (٧: ٤٢٥)

ابن عَطيّة: أي من الثّلاثة إلى التّسعة، على مشهور قول اللّغويّين، كأنّه تبضيع العشرة، أي تقطيعها. وقال أبوعُبَيْدَة: من الثّلاث إلى الخمس، وقوله مردودٌ. (٤: ٣٢٨)

الفَخْرالرّازيّ: قيل: هي مابين الثّلاثة والعشرة. (٢٥: ٩٦)

مثله النّسفيّ. (٣: ٢٦٥)

البُرُوسَويّ: البَضع بالفتح: قطع اللّحم، وبالكسر المُنْقَطع عن العشرة، ويقال ذلك لما بين الثّلاث إلى العشر، وقيل: بل هو فوق الخمس دون العشر. (٧: ٥)

القاسميّ: البِضع: وهو مابين الثّلاث إلى التّسع. (١٣: ٤٧٦٥)

نحوه الطّباطَبائيّ. (١٦: ١٥٥)

الوُجوه والنّظائر

الدّامغانيّ: البضاعة على أربعة أوجه: البضاعة: الدّراهم، متاع الأكراد، البضاعة من كلّ شيء، بِضع سنين.

فوجه منها: بضاعة الدّراهم، قوله: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ يوسف: ٦٥، يعني دراهمهم، كقوله: ﴿مَا نَبْغِي هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ يوسف: ٦٥.

والوجه الثّاني: البضاعة يعني متاع الأكراد الجبن والسّجن، قوله: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَيةٍ﴾ يوسف: ٨٨.

والوجه الثّالث: البضاعة: المال المنتفع، قوله عزّوجلّ حكاية عن أهل القافلة: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ يوسف: ١٩.

والوجه الرّابع: بضع سنين، قوله: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ يوسف: ٤٢. (١٥٩)

الفيروزاباديّ: وورد في التّنزيل من هذه المادّة على وجوه:

الأوّل: اسم لمال التّجارة ﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ يوسف: ٦٥، ﴿هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ يوسف: ٦٥.

الثّاني: اسم للمأكولات، وأسباب المعيشة: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَيةٍ﴾.

الثّالث: اسم لحقيقة البضاعة ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ يوسف: ١٩.

الرّابع: لمدّة من الزّمان ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ يوسف: ٤٢. (٢: ٢٥٠)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: البَضْعة، أي القِطْعة من اللّحم خاصّة، يقال: أعطيته بَضْعَةً من اللّحم، إذا أعطيته قِطْعة مجتمعة. وبضَعتُ اللّحم أبضَعُهُ بَضْعًا فانبضع، وبضّعتُه تبضيعًا: جعلته قِطَعًا. وفلان شديد البَضْع والبَضْعَة، أي ذوجسم وسِمَن. والمِبْضع: الحديدة الّتي يُبضَع بها اللّحم، والبَضيع: اللّحم، يقال: دابّة كثيرة

البَضيع، وساعد خاظي البضيع: ممتلئ اللّحم.

وتُجمع البَضْعَة على بَضْع مثل: تَمْرَة وتَمْر، وبَضَعات مثل: تَمْر وتَمَرات، وبِضَع مثل: بَدْرَة وبِدَر، وبِضاع مثل: صَحْفَة وصِحاف.

ثمّ تُوسّع في هذا المعنى، فقيل لجزء المال: بِضاعة ـ وهي عند الرّاغِب قِطعة وافرة من المال تُقتنى للتّجارة ـ يقال: أبضَعتُ الشّيء واستبضعتُه، أي جلعته بِضاعة، وأبضَعه البضاعة: أعطاه إيّاها، وابتضع منه: أخذ، والاسم: البِضاع، وفي المثل «كمستبضع التّمر إلى هَجَر»، والباضع: من يجلب بضائع الحيّ.

ومن المجاز: اتّخذ عِرْضَه بِضاعةً، أي جعله كالشّيء يُشرى ويباع. وقيل لقطعة الغنم المقطوعة عنها: باضعة، والباضعة أيضًا: شجّة تقطّع اللّحم. وقيل للجزيرة في البحر: البضيع، لانقطاعها من الأرض.

ومنه: البَضْع والبِضع، وهو من العدد مابين الثّلاثة إلى العشرة، وقيل: مابين الأربعة إلى التّسعة، أو مابين الواحد إلى الأربعة، إلّا أنّ المشهور فيه مالايكون أقلّ من ثلاثة ولاأكثر من عشرة، يقال: بضَع عشرة امرأة، وبضعة عشر رجلًا.

ومنه أيضًا: البَضْع والبُضْع: أي المباشرة والجماع؛ إذ الرّجل يَبْضَع المرأة حينما يفضّ بكارتها، ثمّ أُطلق على مباشرة الثّيّب وعلى الفَرْج وعقد النّكاح توسّعًا، يقال: مَلّكَ فلانٌ بُضْعَ فلانة، أي ملّك عقدة نكاحها، فبَضَعَها بَضْعًا وبُضْعًا وباضعها بِضاعًا، وفي المثل: «كمعلّمةٍ أُمّها البِضاع»، يضرب للرّجل يعلّم من هو أعلم منه.

وبَضَع فلانٌ وابتضَع: تزوّج، والاستبضاع: نوع من نكاح أهل الجاهليّة، وهو أن تطلب المرأة جماع الرّجل لتنال منه الولد فقط، ومنه ماورد أنّ عبد الله أباالنّبيّ مرّ بامرأة، فدعته أن يستبضع منها.

وقالوا على التّشبيه: فلان بَضْعَة من فلان، ومنه قول رسول الله ﷺ: «فاطمةُ بَضْعَةٌ منّي»، وقوله في الإمام عليّ بن موسى الرّضا ؑ المدفون في مدينة مشهد مركز محافظة خراسان: «ستُدفَنُ بَضْعَةٌ مِنّي بأرض خُراسان».

وماء باضِع وبَضيع: نمير، أي عَذْب يقطع العطش، كقولهم: سيف باضع، إذا مرّ بشيء بضَعَه، يقال: بضَعتُ من الماء بُضوعًا، أي رويتُ، وقد أبضعني، وشَرِبَ فلانٌ فما بضَع: ماروي، وفي المثل «حتّى متى تكرع ولاتبضع»، أي تشرب ولاتروى.

٢ـ وقد جاء البضع ـ كما تقدّم ـ مفتوحًا ومضمومًا ومكسورًا، وتدلّ كلّ حركة من هذه الحركات الثّلاث على معنى يُحاكيها.

فالبَضْع المفتوح يعني القَطْع والشّقّ، وهذا يدلّ على فتح الشّيء المقطوع وكشفه.

والبُضْع المضموم يعني الفَرْج والنّكاح ومايتعلّق بالمرأة، وهذا يدلّ على الضّمّ والتّغطية وعدم الكشف كالأوّل.

والبِضْع المكسور يعني العدد الّذي يكون مابين الثّلاثة إلى العشرة، وهذا يدلّ على كسر العقد واختزامه.

٣ـ وأغلب نظائر البَضْعَة مكسورة الفاء في اللّغة، مثل: القِطْعَة والفِلْذَة والقِدْرَة والكِسْفَة والخِرْقَة والجِزْلَة والجِذْيَة والقِسْمَة والحِصّة والصِّرْمَة والبِتْكَة. كما جاءت

مفتوحة ومضمومة، وهي قليلة مثل: الوَذْرَة والهَبْرَة، والحُزّة والنُّتْفَة والخُبْرَة.

٤ـ وأمّا قولهم: مرّ بِضْعٌ من اللّيل، فلعلّه قِطْعَة منه، أو هو مقلوب عن «بعض»، أي جزء. وقولهم: جبهته تبضّع ـ أي تسيل عرقًا ـ تصحيف «تبصّع» بالصّاد، من البصيع، أي العرق الرّاشح.

٥ ـ وهناك اشتقاق أكبر بين(ب ض ع) و(ب ع ض)، فبعض الشّيء: جزء وقِطعة منه كالبِضْعة.

الاستعمال القرآنيّ

جاء لفظان من هذه المادّة في سورتين مكّيّتين (٧) مرّات، ستّ منها في سورة يوسف:

أ ـ بِضْع (مرّتين):

١ـ ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ يوسف: ٤٢.

٢ـ ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ الرّوم: ٢ ـ ٤

ب ـ بِضاعة (خمس مرّات):

١ـ ﴿قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ يوسف: ١٩

٢ـ ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ يوسف: ٨٨

٣ـ ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ يوسف: ٦٥

٤ـ ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ يوسف: ٦٢

٥ ـ ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ يوسف: ٦٥

يلاحظ أوّلًا: أنّ مكث يوسف في السّجن، وفترة توقّف الحرب بعد انتصار الفُرس على الرّوم كان سبع سنين، إن قلنا بأنّ «البِضع» مابين ثلاث إلى عشر، كما ذهب إليه أغلب اللّغويّين والمفسّرين، فتُخرج الثّلاث من العدد، كقولك: جلست بين زيد وعمرو، فإنّك خارج منهما، وتدخل العشر فيه، كقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ الإسراء: ١، حيث دخل المسجدان في الإسراء.

ثانيًا: لقد أُبهمت المدّة في القرآن مع لفظ (سِنِينَ) بثلاثة أنماط:

الأوّل: القلّة: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ طٰهٰ: ٤٠.

الثّاني: الكثرة: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ المؤمنون: ١١٢.

الثّالث: الحصر: وهو استعمال «بِضع» كما في الآيتين، لاحظ «س ن و».

ثالثًا: أنّ «البِضاعة» في القرآن انحصرت في سورة يوسف، وهي نفسها بضاعة رائجة. وكيف لاتكون كذلك وقد كانت «البضاعة» في الآية الأُولى يوسف نفسه، وفي سائر الآيات مال أبيه يعقوب من الذّهب أو الفضّة. فبارك الله في يوسف حتّى أصبح إليه حلّ الأُمور وعقدها، وبسطها وقبضها، وأصبحت خيرات مصر في قبضته وحوزته. كما بارك الله أيضًا في مال يعقوب رغم قلّته، فدرّ عليه رزقًا وفيرًا من الميرة أي الطّعام، وعاد إليه دون أن ينقص منه شيئًا.

رابعًا: أنّ إخوة يوسف استبضعوا أخاهم، فباعوه بثمن بخس، وأبضعهم ميرة ـ (نَمِيرُ أَهْلَنَا) ـ بدون ثمن، إظهارًا لكرامته، وإشارة إلى هوان ماصبوا إليه، إذ باعوه بمال حقير، وشراهم بقوت يسير، فكانت صَفْقَةً رابحة، نُفّست بها الكروب، وبَرِئ النّبيّ يعقوب وأخصب جنابهم، والتأم شملهم.

خامسًا: اختلفوا في إعراب (بِضَاعَة) في (وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَة) في (١)، هل هي حال ـ كما عليه الأكثر ـ أي أخفوا يوسف حال كونه بِضاعة لهم ومتاعًا للتّجارة. أو مفعول له، أي أسرُّوه ليكون بضاعة لهم. أو مفعول لفعل مقدّر، أي أسرُّوه واتّخذوه بضاعة؟

واختلفوا كذلك اختلافًا كثيرًا في ضمير الجمع في (أَسَرُّوهُ) وفي ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ يوسف: ٢٠، إلى من يرجعان؟ إلى إخوة يوسف، أي أنّهم أسرُّوا أنّه أخاهم ـ وقالوا: إنّه عبد لنا قد أَبَقَ ـ ليتّخذوه بضاعة، ثمّ شروه بثمن بخس من السّيّارة بعد ماخرج من البئر. وهذا يوافق كون (بِضَاعَة) مفعولًا له أو مفعولًا به.

أو إلى الوارد ومَن معه من التّجار، أي هؤلاء أخفوا أمر يوسف عن رفقتهم السّيّارة بأنّهم أخرجوه من البئر. أو اشتروه بثمن بخس من إخوة يوسف، لو فرضنا أنّهم هم الّذين شروه بثمن بخس، لئلّا يسألوهم الشّركة فيه، وأسرُّوا في أنفسهم أنّه بضاعة، أو ليبق لهم بضاعة.

أو ادّعوا أنّهم استبضعوه من صاحب المال بضاعة يبيعوها لهم في مصر، فجعلوها بضاعة وأمانة، ثمّ شروه هؤلاء بمصر بثمن بخس. وهذا يوافق أيضًا كونها مفعولًا له أو مفعولًا به، واختاره الطّبَريّ والطّوسيّ وغيرهما بتفاوت قليل، بحجّة أنّ ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ جاء عقيب ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾، فلأن يكون ماوليه خبرًا له أولى من أن يكون خبرًا لإخوة يوسف المنفصلين عنه.

وعندنا أنّ هذا أوفق بالسّياق، لأنّ الأوّل يستدعي تكلّف أنّ الإخوة ـ بعد أن خلص يوسف من الجُبّ على يد الوارد ـ ادّعوا أنّه عبد لهم أَبَقَ، ليتيسّر لهم بيعه للسّيّارة . والوجه الثّاني خال عن هذا التّكلّف. وعليه فالّذين شروه بثمن بخس هم السّيّارة دون إخوة يوسف، والمشتري هو الّذي جاء فيه بعدها ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَيهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ...﴾.

ففي القصّة شراء واشتراء واحد ليس مرّتين؛ أحدهما: شراء الإخوة للسّيّارة، وثانيهما: شراء السّيّارة للّذي اشتراه من مصر.

وكأنّ الّذين اختاروا الوجه الأوّل عمدوا إلى الرّوايات والقصص الّتي هي أشبه بالأساطير في قصّة يوسف خاصّة، وفي سائر القصص القرآنيّة عامّة، وأكثرها إسرائيليّات سرت إلى تفاسير المسلمين في الصّدر الأوّل فما بعده، يلتذّ بسردها ويستمتّع بنقلها القاصّون ومن ينسج على منوالهم، من الوعّاظ والمتصوّفة والشّعراء.

سادسًا: من شدّة حلاوة قصّة يوسف ومافيها من نكات بلاغيّة لطيفة ـ ولاسيّما بشأن يوسف حين أُلقي في البئر وحين خلص منها ـ صارت (بِضَاعَة) في آيتين منها مثلًا سائرًا: ﴿بِبِضَاعَةٍ مُزْجِيَةٍ﴾، ﴿هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ

إِلَيْنَا﴾.

وليست (بِضَاعَة) وحيدة بهذه المزيّة، بل في سورة يوسف جملة من الأمثال السّائرة لفظًا أو معنًى، فـي صدرها: حُسن يوسف وعفّته وصبره، وسماحته أمـام إخوته، وأمـانته تجاه الملك، ونجـاته مـن ضـيق الجُبّ وتسنّمه عرش الملك، ونحوها.

أمّا سوى ذلك من الأمثال فكلّها لها علاقة بيوسف، مثل: إخوة يوسف وحسدهم وكيدهم له، ذئب يوسف، قميص يوسف وشهادته على كذب أكـل الذّئب إيّـاه، وبراءته من تهمة الفاحشة بشقّه من دبره، وردّ بصر أبيه من أجله، عشق امرأة العـزيز ليـوسف، قـطع النّسـوة أيديهنّ إعجابًا بيوسف، سجن يوسف، تعبيره الرّؤيا، قول امرأة العزيز: ﴿اَلْـٰـنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ يوسف: ٥١، في شأن بـراءة يـوسف وقـولها: ﴿إِنَّ النَّـفْسَ لَاَمّـارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ يـوسف: ٥٣، قـول يـعقوب والد يـوسف: ﴿وَلَاتَـايْـئَسُوا مِـنْ رَوْحِ اللهِ﴾ يـوسف: ٨٧، قـوله لإخوته: ﴿لَاتَـثْرِيبَ عَـلَيْكُمُ الْـيَوْمَ﴾ يـوسف: ٩٢، سجودهم جـميعًا ليـوسف، اسـتغفار يـعقوب لإخـوة يوسف، لفظة «البشير» وغيرها قد أثّرت تأثيرًا بالغًا في الأدب الإسلاميّ عمومًا وفي الأدب الفارسيّ خصوصًا. فلو جمعت تلك الآثار الّتي تأثّرت بسورة يوسف وقصّته لكوّنت موسوعة أدبيّة كبيرة، لاحظ «يوسف».

ب ط أ

لفظ واحد، مرّة واحدة، في سورة مدنيّة

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: البُطْء: الإبطاء، بَطُؤ في مشيه يَبْطُؤ بُطْءً وبِطاءً، فهو بَطيءٌ.

ويقال: ماأبطأ بك عنّا. وقوم بِطاءٌ. وفلان بَطُوءٌ، مثل بَطُوع.

وباطيةٌ: اسم، مجهول أصله. (٧: ٤٦٢)

اللّيث: ماأبطأ بك يافلان عنّا، وبطّأ فلان بفلان، إذا ثبّطه عن أمر عزم عليه. (الأزهَريّ ١٤: ٣٨)

أبوزَيْد: أبطأ القوم، إذا كانت دوابّهم بِطاءً.

(الجوهَريّ ١: ٣٧)

ابن السِّكّيت: قد استبطأتك وقد أبطأت علينا، ولاتقل: أبطيْت. وقد بَطُؤ مجيئُك.

ويقال: بُطْآن ذاخروجًا، وبَطْآن ذاخروجًا.

(إصلاح المنطق: ١٤٨)

الزّجّاج: أبطأ القوم: صارت إبلهم بِطاءً.

(فعلت وأفعلت: ٤٥)

ابن دُرَيْد: أبطأ يُبطئ إبطاءً، والاسم: البُطْء ياهذا، وتباطأ في مِشيته تباطُؤًا، إذا تثاقل فيها، وفرس بطيءٌ من خيل بِطاء. (٣: ٢٠٨)

عبد الرّحمان الهمذانيّ: وتقول في ضدّه [الإسراع]: تباطأ الرّجل في سَيْره، وتَلَبّث، وتمكّث في مكان، وتصرّع في طريقه، وتأرّض بمكان كذا، وتريّث في مَسيره، وتلوّم، وغضّ من سَيْره، وتمهّل في سَيْره، ويقال: سار متمكّثًا، ومُتباطئًا، ومُتلوّمًا، ومُتريّثًا، ومُترَبّثًا، ومتمهّلًا. (٨٣)

الأزهَريّ: الباطية: النّاجودُ الّذي يُجعل فيه الشّراب، وجمعه: البَواطي، وقد جاء في أشعارهم.

(١٤: ٣٨)

الصّاحِب: البُطْء: الإبطاء، هو بطيءٌ وهم بُطآء، وبَطُؤ يَبْطُؤ بُطْءً، والتّباطُؤ: منه.

ولم أفعله بُطْءَ ياهذا وبُطّأى، أي لم أفعله الدّهر، في لغة بني يربوع.

وباطية: اسم، مجهول أصله. (٩: ٢٢٧)

الجَوهَريّ: البُطْءُ: نقيض السُّرعة، تقول منه: بَطُؤ مجيئك، وأبطأت فأنت بطيء؛ ولاتقل: أبطيت. وقد استبطأتك.

ويقال: ماأبطأ بك، ومابَطّأ بك، بمعنًى. وتباطأ الرّجل في مسيره.

ويقال: بُطّآن ذاخروجًا، وبَطّآن ذاخروجًا، أي بَطُؤ ذاخروجًا. فجُعلت الفتحة الّتي في بَطُؤ على نون بُطّآن، حين أدّت عنه، لتكون علَمًا لها، ونُقلت ضمّة الطّاء إلى الباء. وإنّما صحّ فيه النّقل، لأنّ معناه التّعجّب، أي ماأبطأه! (١: ٣٦، ٣٧)

نحوه الرّازي (مختار الصّحاح: ٦٨)

ابن فارِس: الباء والطّاء والهمزة أصل واحد، وهو البُطْء في الأمر؛ أبطأ إبطاءً وبُطْءً، ورجل بَطيءٌ، وقوم بِطاءٌ. [ثمّ استشهد بشعر] (١: ٢٦٠)

ابن سيدة: البُطْءُ: نقيض الإسراع، بَطُؤ بُطأً وبِطاءً، وأبطأ وتباطأ وهو بطيءٌ والجمع: بِطاءٌ. [ثمّ استشهد بشعر]

وأبطأ الرّجل: إذا كان دوابّه بِطاءً.

وأبطاء عليه الأمرُ: تأخّر.

وبطّأ عليه بالأمر، وأبطأ به، كلاهما: أخّره.

ومابطّأ بك عنّا؟ أي ماأبطأ. [ثمّ استشهد بشعر]

وبَطآن مايكون ذلك، وبُطآن أي بَطُؤ، جعلوه اسمًا للفعل، كسرعان. (٩: ٢٠٨)

بَطُؤ بُطْءً وبِطاءً، وأبطأ وتباطأ: توانى وتأخّر، ضدّ أسرَع، فهو بَطيء ومُبطئٌ ومُتباطئٌ.

وبطّأه: ثبّطه عن أمر عزم عليه، وأبطأ به: أخّره، وأبطأ عليه: تأخّر، واستبطأه: طلب منه أن يُبطِئ وعدّه بطيئًا. (الإفصاح ١: ٢٨١)

الطُّوسيّ: الإبطاء: إطالة مدّة العمل لقلّة الانبعاث، وضدّه الإسراع، وهو قصر مدّة العمل، للتّدبير فيه. والأناة: إطالة الإحكام الّذي لاسبيل إليه إلّا بالتّثبّت فيه، وضدّها العجلة وهي قصر المدّة من غير إحكام الصّنعة.

تقول: بَطُؤ في مشيه يَبْطُؤ بُطْءً، إذا ثقُل، وتباطأ تباطُؤًا، وبطّأه تبطيئًا، واستبطأ استبطاءً، وأبطأ إبطاءً: إذا تأخّر. (٣: ٢٥٥)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٣: ٧٤)

الرّاغِب: البُطْءُ: تأخُّر الانبعاث في السّير، يقال: بَطُؤ وتباطأ واستبطأ وأبطأ فبَطُؤ، إذا تخصّص بالبُطْء. وتباطأ: تحرّى وتكلّف ذلك، واستبطأ طلبه، وأبطأ: صار ذابُطْءٍ.

ويقال: بَطّأه وأبطأه. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ النّساء: ٧٢، أي يُثبّط غيره.

وقيل: يُكثر هو التّثبّط في نفسه، والمقصد من ذلك أنّ منكم من يتأخّر ويؤخّر غيره. (٥٢)

الزّمَخشَريّ: أبطأ عليّ فلان، وبَطُؤ في مشيته، وتباطأ في أمره، وتباطأ عنّي، وفيه بُطْءٌ، وماكنت بَطيئًا ولقد بَطُؤتُ، وفرَسٌ بَطيءٌ من خَيْل بِطاءٍ، وماأبطأ بك عنّا؟ ومابطّأ بك، ومابطّأك؟ [ثمّ استشهد بشعر]

واستبطأته، واستبطأتُ عطاءه، وكتب إليّ كتاب استزادة واستبطاء، وكتب إليّ يستزيدني

ويستبطئني . (أساس البلاغة : ٢٤)

المَديني : بطّأ تعدية لبَطُؤ، ومبالغة فيه، يقال: بَطُؤ عن الأمر وبطّأ، إذا بالغَ فيه، ثمّ يُعدّى بالباء، فيقال: بَطّأ به وبَطّأتُه أنا. (١ : ١٦٧)

ابن الأثير : «من بَطّأ به عمله لم ينفعه نسبه» أي من أخّره عمله السّيّء وتفريطه في العمل الصّالح لم ينفعه في الآخرة شرف النّسب، يقال: بَطّأ به وأبطأ به، بمعنًى. (١ : ١٣٤)

الفَيّوميّ : أبطأ الرّجل: تأخّر مجيئه، وبَطُؤ مجيئُه بُطْءً، من باب قرُب، وبِطاءً بالفتح والمدّ، فهو بطيءٌ، على «فعيل». (١ : ٥٢)

الفيروز اباديّ : بَطُؤ ككرُم بُطْءً بالضّمّ وبِطاءً ككِتاب، وأبطأ: ضدّ أسرَع.

والبَطيءُ كأمير: لقب.

وابْطَوّوا، إذاكانت دوابّهم بِطاءً. ولم أفعله بُطْأَى ياهذا.

وكبُشْرى، أي الدّهر.

وبُطّآن ذاخروجًا ويُفتح، أي بَطُؤ.

وبَطّأ عليه بالأمر تَبطيئًا، وأبطأ به: أخّرَهُ. (١ : ٨)

الزّبيديّ : تَبطّأ الرّجل في مسيره، ومـاأبطأ بك ومابطّأك؟ واستبطأته، وكتب إليّ يستبطِئني.

وبيطاء: اسم سفينة. (١ : ٤٦)

مَجْمَعُ اللُّغة : بَطُؤ يَبْطُؤ بُطْءً، من بـاب قَـرُب: تثاقل ولم يسرع، وكذلك: أبطأ.

وبطّأ بالأمر تبطيئًا: أبطأ، وبطّأ فلان بفلان تبطيئًا: ثبّطه عن أمر عزَم عليه. (١ : ١٠٤)

النُّصوص التّفسيريّة

لَيُبَطِّئَنَّ

وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ اَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ اَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا. النّساء : ٧٢

الفَرّاء : اللّام الّتي في (مَنْ) دخلت لمكان (إنّ) كما تقول: إنّ فيها لأخاك. ودخلت اللّام في (لَيُبَطِّئَنَّ) وهي صلة لـ(مَنْ) على إضمار شبيه باليمين، كما تقول في الكلام: هذا الّذي ليقومَنّ، وأرى رجلًا ليفعلَنّ مايريد.

واللّام في النّكرات إذا وصِلت أسهل دخولًا منها في «مَنْ وما والّذي» لأنّ الوقوف عليهنّ لايمكن. والمذهب في «الرّجل والّذي» واحد إذا احتاجا إلى صلةٍ. وقوله: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ هود: ١١١، من ذلك، دخلت اللّام في «ما» لمكان (إنّ) ودخلت في الصّلة كما دخلت في (لَيُبَطِّئَنَّ).

ولايجوز ذلك في عبدالله، وزيد أن تقول: إنّ أخاك ليقومَنّ، لأنّ الأخ وزيدًا لايحتاجان إلى صلة، ولاتصلح اللّام أن تدخل في خبرهما وهو متأخّر، لأنّ اليمين إذا وقعت بين الاسم والخبر بطل جوابها، كما تقول: زيد والله يُكرمك، ولاتقول: زيد والله لَيُكرمك. (١ : ٢٧٥)

الزّجّاج : أي ممّن أظهر الإيمان لمن يُبطئ عن القتال، يقال: قد أبطأ الرّجل وبَطُؤ بمعنًى.

أبطأ: تأخّر، ومعنى بَطُؤ: ثقُل إبطاءً، وبُطْءً.

واللّام الأُولى الّتي في (لَمَنْ) لام (إنّ) واللّام الّتي في (لَيُبَطِّئَنَّ) لام القسم، ومَنْ موصولة بـالجالب للـقسم،

كأنّ هذا لو كان كلامًا لقلت: إنّ منكم لَمَن أحلفُ: والله لَيُبطِّئَنّ.

والنّحويّون يُجمعون على أنّ «من وما والّذي» لايوصلنّ بالأمر والنّهي إلّا بما يُضمَر معها من ذكر الخبر، وأنّ لام القسم إذا جاءت مع هذه الحروف فلفظ القسم وماأشبه لفظه مُضمَر معها. (٢: ٧٥)

الطُّوسيّ: قال الحسَن ومُجاهِد وقَتادَة وابن جُرَيْج وابن زَيْد: نزلت هذه الآية في المنافقين الّذين كانوا يثبّطون النّاس عن الجهاد، فإذا أصابتهم مصيبة فيه من قتل أو هزيمة، قالوا قول الشّامت بهم في تلك الحال: قد انعم الله علينا إذ لم نكن معهم شهداء، أي حضورًا. وقال أبوجعفر عليه السلام: «من يتمنّى التّأخّر عن جماعة المسلمين، لايكون إلّا كافرًا».

فقوله: ﴿وَاِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ...﴾ خطاب للمؤمنين، وإنّما أضاف المنافقين إليه لأمرين:

أحدهما: إنّ من عدادكم ودُخلائكم.

الثّاني: أي منكم في الحال الظّاهرة، أو حكم الشّريعة من حَقن الدّم، ونحو ذلك من الموارثة، والمناكحة.

واللّام الأُولى لام الابتداء بدلالة دخولها على الاسم، والثّانية لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نونُ التّأكيد، وتقديره: إنّ منكم لَمَن حلفَ بالله لَيُبطِّئَنّ.

وإنّما جاز صلة «مَن» بالقسم، ولم يجز بالأمر والنّهي، لأنّ القسم خبر يوضح الموصول، كما يوضح الموصوف في قولك: مررت برجل لَتُكرِمَنّه، لأنّه خصّصه بوقوع الإكرام به في المستقبل من كلّ رجل غيره، وليس كذلك الأمر في قولك: مررت برجل أضربه، لأنّه لايتخصّص بالضّرب في الأمر كما تخصّص في الخبر.

قال الفَرّاء: تدخل اللّام في النّكرات وفي «مَنْ وما والّذي» فإذا جئت بالمعرفة الموقّتة لم يجز إدخال اللّام فيها، لاتقول: إنّ عبدالله ليقومَنّ وإنّ زيدًا ليذهبَنّ، لأنّ زيدًا، وعبد الله، لايحتاجان إلى صلة. (٣: ٢٥٤)

الزّمَخْشَريّ: معنى (لَيُبَطِّئَنَّ) ليتثاقلنّ وليتخلّفنّ عن الجهاد.

وبطّأ بمعنى أبطأ، كعَتَّمَ بمعنى أعتَمَ، إذا أبطأ. وقُرئ (لَيُبْطِئَنَّ) بالتّخفيف، يقال: بطّأ عليّ فلان وأبطأ عليّ، وبَطُؤ نحو ثقُل، ويقال: مابطأ بك؟ فيُعدّى بالباء.

ويجوز أن يكون منقولاً من «بَطُؤ» نحو ثَقّل من «ثَقُل» فيراد: ليُبطِّئَنّ غيره وليثبّطنّه عن الغزو.

كان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أُبيّ وهو الّذي ثبّط النّاس يوم أحد. (١: ٥٤١)

نحوه النّيسابوريّ. (٥: ٨٢)

ابن عَطيّة: اللّام الدّاخلة على (يُبَطِّئَنَّ) لام قسم عند الجمهور، تقديره: (وَاِنَّ مِنْكُمْ لَمَن) واللهِ (لَيُبَطِّئَنَّ).

وقيل: هي لام تأكيد، و(يُبَطِّئَنَّ) معناه يُبطِّئُ غيره، أي يُثبّطه ويحمله على التّخلّف عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقرأ مُجاهِد (لَيُبْطِئَنَّ) بالتّخفيف في الطّاء. (٢: ٧٧)

الطَّبْرِسيّ: يُبَطِّئ ويُبطِئ بالتّشديد والتّخفيف معناهما واحد، أي مَن يتأخّر عن الخروج مع النّبيّ صلى الله عليه وآله. (٢: ٧٤)

الفَخرُ الرّازيّ: فيه مسائل:

المسألة الأُولى: اعلم أنّ قوله: (وَإِنَّ مِنكُمْ) يجب أن يكون راجعًا إلى المؤمنين الّذين ذكرهم الله بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ النّساء: ٧١، واختلفوا على قولين:

الأوّل: المراد منه المنافقون، كانوا يُثبّطون النّاس عن رسول الله ﷺ.

فإن قيل: قوله: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ تقديره: ياأيّها الّذين آمنوا إنّ منكم لَمَن ليُبطّئنّ، فإذا كان هذا المبطّئ منافقًا فكيف جعل المنافق قسمًا من المؤمن في قوله: (وَإِنَّ مِنكُمْ)؟

والجواب من وجوه:

الأوّل: أنّه تعالى جعل المنافق من المؤمنين من حيث الجنس والنّسب والاختلاط.

الثّاني: أنّه تعالى جعلهم من المؤمنين بحسب الظّاهر، لأنّهم كانوا في الظّاهر متشبّهين بأهل الإيمان.

الثّالث: كأنّه قيل: ياأيّها الّذين آمنوا في زعمكم ودعواكم، كقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ الحجر: ٦.

القول الثّاني: إنّ هؤلاء المُبطِّئين كانوا ضَعَفَة المؤمنين، وهو اختيار جماعة من المفسّرين قالوا: والتّبطئة بمعنى الإبطاء أيضًا، وفائدة هذا التّشديد تكرّر الفعل منه، وحكى أهل اللّغة أنّ العرب تقول: ماأبطأ بك يافلان عنّا؟ وإدخالهم الباء يدلّ على أنّه في نفسه غير متعدّ.

فعلى هذا معنى الآية أنّ فيهم من يُبطئ عن هذا الغرض ويتثاقل عن هذا الجهاد، فإذا ظفر المسلمون تمنّوا أن يكونوا معهم ليأخذوا الغنيمة، وإن أصابتهم مصيبة سرّهم أن كانوا متخلّفين.

قال: وهؤلاء هم الّذين أرادهم الله بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ التّوبة: ٣٨، قال: والّذي يدلّ على أنّ المراد بقوله: (لَيُبَطِّئَنَّ) الإبطاء منهم، لاتثبيط غيرهم، ماحكاه تعالى من قولهم: ﴿يَالَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ﴾ النّساء: ٧٣، عند الغنيمة، ولو كان المراد منه تثبيط الغير لم يكن لهذا الكلام معنًى.

وطعن القاضي في هذا القول، وقال: إنّه تعالى حكى عن هؤلاء المُبطّئين أنّهم يقولون عند مصيبة المؤمنين: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ النّساء: ٧٢، فيعدّ قعوده عن القتال نعمةً من الله تعالى.

ومثل هذا الكلام إنّما يليق بالمنافقين لابالمؤمنين، وأيضًا لايليق بالمؤمنين أن يقال لهم: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ﴾ النّساء: ٧٣، يعني الرّسول (مَوَدَّةٌ) فثبت أنّه لايمكن حمله على المؤمنين، وإنّما يمكن حمله على المنافقين.

ثمّ قال: فإن حُمل على أنّه من الإبطاء والتّثاقل صحّ في المنافقين، لأنّهم كانوا يتأخّرون عن الجهاد ويتثاقلون ولايسرعون إليه، وإن حُمل على تثبيط الغير صحّ أيضًا فيهم، فقد كانوا يثبّطون كثيرًا من المؤمنين بما يوردون عليهم من أنواع التّلبيس، فكلا الوصفين موجود في المنافقين.

وأكثر المفسّرين حمله على تثبيط الغير، فكأنّهم

فصّلوا بين أبطأ وبطّأ، فجعلوا الأوّل لازمًا، والثّاني متعدّيًا، كما يقال: في أحبّ وحبّ، فإنّ الأوّل لازم والثّاني متعدّ.

المسألة الثّانية: قال الزّجّاج: (مَنْ) في قوله: (لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ) موصولة بالحال للقسم، كأنّ هذا لو كان كلامًا لك لقلت: إنّ منكم لَمَن حلف بالله ليُبطّئنّ. (١٠: ١٧٨)

القُرطُبيّ: يعني المنافقين. والتّبطئة والإبطاء: التّأخّر، تقول: ماأبطأك عنّا؟ فهو لازم، ويجوز: بطأت فلانًا عن كذا، أي أخّرته، فهو متعدّ.

والمعنيان مراد في الآية، فكانوا يَقعدون عن الخروج ويُـقعِدون غـيرهم. والمـعنى: إنّ مـن دخـلائكم وجنسكم[١] وممّن أظهر إيمانه لكم. فالمنافقون في ظاهر الحال من أعداد المسلمين بإجراء أحكام المسلمين عليهم.

واللّام في قوله: (لَـمَنْ) لام تـوكيد، والثّـانية لام قسم، و(مَنْ) في موضع نصب، وصلتها (لَـيُبَطِّئَنَّ) لأنّ فيه معنى اليمين، والخبر (مِنكُمْ).

وقرأ مُجاهِد والنّخعيّ والكَلْبيّ (وإنّ منكم لَمَن لَيُبْطِئَنّ) بالتّخفيف، والمعنى واحد.

وقيل: المراد بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ بعض المؤمنين، لأنّ الله خاطبهم بقوله: (وَإِنَّ مِنكُمْ) وقد فرّق الله تعالى بين المؤمنين والمنافقين بقوله: ﴿وَمَاهُمْ مِنكُمْ﴾.

وهذا يأباه سياق الكلام وظاهره. وإنّما جمع بينهم في الخطاب من جهة الجنس والنّسب كما بيّنّا، لامن جهة الإيمان. هذا قول الجمهور، وهو الصّحيح إن شاء الله تعالى، والله أعلم. (٥: ٢٧٥)

البَيضاويّ: الخطاب لعسكر رسول الله ﷺ المؤمنين منهم والمنافقين.

والمبطّئون: منافقوهم، تثاقلوا وتخلّفوا عن الجهاد، مِن بطّأ بمعنى أبطأ، وهو لازم، أوثبّطوا غيرهم كما ثبّط ابن أُبيّ ناسًا يوم أحد، من بَطأ منقولاً مِنْ «بَطُؤ» كثقّل من «ثقُل».

واللّام الأُولى للابتداء، دخلت اسم (إنّ) للفصل بالخبر، والثّانية جواب قسم محذوف، والقسم بجوابه صلة (مَنْ)، والرّاجع إليه مااستكن في (لَيُبَطِّئَنَّ)، والتّقدير: وإنّ منكم لَمَن أقسم بالله ليُبطّئنّ. (١: ٢٢٩)

نحوه أبوالسُّعود (٢: ١٦٢)، والبُرُوسَويّ (٢: ٢٢٥)، والطّنطاويّ (٣: ٦٥).

أبوحَيّان: البُطء: التّثبّط عن الشّيء، يقال: أبطأ وبَطُؤ مثل أسرع وسرع مقابله. وبطآن: اسم فعل بمعنى بَطُؤ. (٣: ٢٨٢)

قال ابن عَطيّة: اللّام في (لَيُبَطِّئَنَّ) لام قسم عند الجمهور، وقيل: هي لام تأكيد بعد تأكيد، انتهى. وهذا القول الثّاني خطأ.

وقرأ الجمهور (لَيُبَطِّئَنَّ) بالتّشديد، وقرأ مُجاهِد (لَيُبْطِئَنّ) بالتّخفيف.

والقراءتان يحتمل أن يكون الفعل فيهما لازمًا، لأنّهم يقولون: أبطأ وبطّأ، في معنى بَطُؤ. ويُحتمل أن يكون متعدّيًا بالهمزة أو التّضعيف من «بَطُؤ».

فعلى اللّزوم: المعنى أنّه يتثاقل ويثبّط عن الخروج

(١) في ج: جيشكم.

للجهاد. وعلى التّعدّي يكون قد ثبّط غيره وأشار له بالقعود؛ وعلى التّعدّي أكثر المفسّرين. (٣: ٢٩١)

الآلوسيّ: أي ليتثاقلنّ وليتأخّرنّ عن الجهاد، من بطّأ بمعنى أبطأ، كعتّم بمعنى أعتم، إذا أبطأ. والخطاب لعسكر رسول الله ﷺ مؤمنيهم ومنافقيهم، والمبطّئون هم المنافقون منهم.

وجوّز أن يكون منقولًا لفظًا ومعنًى من «بطؤ» نحو ثقل، من «ثقل» فيراد (ليبطّئنّ) غيره وليثبّطنّه عن الجهاد، كما ثبّط ابن أُبيّ ناسًا يوم أُحد، والأنسب بما بعده. (٥: ٨٠)

نحوه القاسميّ (٥: ١٣٩٢)، والمراغيّ (٥: ٨٦).

رشيد رضا: الخطاب لمجموع المؤمنين في الظّاهر، وفيهم المنافقون وضعاف الإيمان والجبناء، وهم الأقلّ. فالمنافقون يرغبون عن الحرب، لأنّهم لايحبّون بقاء الإسلام وأهله فيدافعوا عنه ويحموا بيضته، فكان هؤلاء يُبطئون عن القتال، ويُبطّئون غيرهم عن النّفر إليه، والآخرون يُبطئون بأنفسهم فقط.

والتّبطّؤ يُطلق على الإبطاء وعلى الحمل على البطء معًا، والبطء: التّأخّر عن الانبعاث في السّير.

قال الأُستاذ: أي يُبطّئ هو عن السّير لضعف في إيمانه. والإتيان بصيغة التّشديد للمبالغة في الفعل وتكراره. وليس معناه أن يحمل غيره على البطء.

فإنّ الخطاب للمؤمنين، وهذا لايصدر عن مؤمن، ويقال في اللّغة: بطّأ، بالتّشديد لازم، بمعنى أبطأ. وقد شرح الله حال هذا القسم من الضّعفاء توبيخًا لهم، وإزعاجًا إلى تطهير نفوسهم وتزكيتها. (٥: ٢٥٤)

سيّد قُطب: لفظة (لَيُبَطِّئَنَّ) مختارة هنا بكلّ مافيها من ثقل وتعثّر، وإنّ اللّسان ليتعثّر في حروفها وجرسها، حتّى يأتي على آخرها، وهو يشدّها شدًّا، وإنّها لتصوّر الحركة النّفسيّة المصاحبة لها تصويرًا كاملًا بهذا التّعثّر والتّثاقل في جرسها؛ وذلك من بدائع التّصوير الفنّيّ في القرآن الّذي يرسم حالة كاملة بلفظة واحدة.

وكذلك يشي تركيب الجملة كلّها: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ بأنّ هؤلاء المُبطّئين ـ وهم معدودون من المسلمين ـ منكم يزاولون عمليّة التّبطئة كاملة، ويُصرّون عليها إصرارًا، ويجتهدون فيها اجتهادًا، وذلك بأسلوب التّوكيد بشتّى المؤكّدات في الجملة. ممّا يوحي بشدّة إصرار هذه المجموعة على التّبطئة، وشدّة أثرها في الصّفّ المسلم، وشدّة مايلقاه منها.

ومن ثمّ يسلّط السّياق الأضواء الكاشفة عليهم، وعلى دخيلة نفوسهم، ويرسم حقيقتهم المنفرة، على طريقة القرآن التّصويريّة العجيبة... (٢: ٧٠٥)

الطّباطبائيّ: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ قيل: إنّ اللّام الأُولى لام الابتداء لدخولها على اسم (إنّ) واللّام الثّانية لام القسم لدخولها على الخبر، وهي جملة فعليّة مؤكّدة بنون التّأكيد الثّقيلة. والتّبطئة والإبطاء بمعنًى، وهو التّأخير في العمل.

وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ﴾ يدلّ على أنّ هؤلاء من المؤمنين المخاطبين في صدر الآية، بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على ماهو ظاهر كلمة (مِنْكُمْ)، كما يدلّ عليه ماسيأتي من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا

أَيْدِيَكُمْ﴾ النّساء: ٧٧.

فإنّ الظّاهر أنّ هؤلاء أيضًا كانوا من المؤمنين، مع قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾ النّساء: ٧٧، وقوله: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ...﴾ النّساء: ٧٨، إلخ. وكذا قوله: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ...﴾ النّساء: ٧٤، وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ...﴾ النّساء: ٧٥، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ...﴾ النّساء: ٧٦، كلّ ذلك تحريض واستنهاض للمؤمنين، وفيهم هؤلاء المبطّؤون، على مايلوح إليه اتّصال الآيات.

على أنّه ليس في الآيات مايدلّ بظاهره على أنّ هؤلاء المبطّئين من المنافقين الّذين لم يؤمنوا إلّا بظاهر من القول، مع أنّ في بعض ماحكى الله عنهم دلالة ما على إيمانهم في الجملة، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ﴾ النّساء: ٧٢، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ...﴾ النّساء: ٧٧، نعم ذكر المفسّرون أنّ المراد بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ﴾ المنافقون، وأنّ معنى كونهم منهم دخولهم في عددهم، أو اشتراكهم في النّسب فهم منهم نسبًا، أو اشتراكهم مع المؤمنين في ظاهر حكم الشّريعة بحقن الدّماء والإرث ونحو ذلك لتظاهرهم بالشّهادتين، وقد عرفت أنّ ذلك تصرّف في ظاهر القرآن من غير وجه.

وإنّما دعاهم إلى هذا التّفسير حُسن الظّنّ بالمسلمين في صدر الإسلام كلّ من لقي النّبيّ ﷺ وآمن به. والبحث التّحليليّ فيما ضبطه التّاريخ من سيرتهم وحياتهم مع النّبيّ وبعده يُضعّف هذا الظّنّ، والخطابات القرآنيّة الحادّة في خصوصهم تُوهِن هذا التّقدير.

ولم تسمح الدّنيا حتّى اليوم بأُمّة أو عصابة طاهرة تألّفت من أفرادٍ طاهرة من غير استثناء، مؤمنة واقفة على قدم صِدقٍ من غير عثرة قطّ، إلّا مانُقِل في حديث الطّفّ. بل مؤمنوا صدر الإسلام كسائر الجماعات البشريّة، فيهم: المنافق، والمريض قلبه، والمتّبع هواه، والطّاهر سرّه.

والّذي يمتاز به الصّدر الأوّل من المسلمين هو أنّ مجتمعهم كان مجتمعًا فاضلًا يُقدّمهم رسول الله ﷺ، ويغشاهم نور الإيمان، ويحكم فيهم سيطرة الدّين.

هذا حال مجتمعهم من حيث إنّه مجتمع، وإن كان يوجد بينهم من الأفراد الصّالح والطّالح جميعًا، وفي صفاتهم الرّوحيّة الفضيلة والرّذيلة معًا، وكلّ لون من ألوان الأخلاق والملكات.

وهذا هو الّذي يذكره القرآن من حالهم، ويبيّنه من صفاتهم، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ـ إلى أن قال ـ : وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح: ٢٩، فقد بدأ تعالى بذكر صفاتهم وفضائلهم الاجتماعيّة مطلقة، وختم بذكر المغفرة والأجر لأفرادهم مشروطة.

(٤: ٤١٧، ٤١٨)

المُصطَفَويّ: (لَيُبَطِّئَنَّ) أي لَيُؤخِّرَنّ، أخذ الحذر والنّفر إلى الجهاد المأمور بها في السّابقة ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا...﴾ النّساء: ٧١. (١: ٢٧٠)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: البُطء، أي التأخّر والتّواني، يقال: بَطُؤَ في مشيه يَبْطُؤُ بُطْءً وبِطاءً، وأبطأ وتباطأ، فهو بَطيءٌ وهم بِطاءٌ. وماأبطاك وبطّأك عنّا؟

وأبطأ عليه الأمرُ: تأخّر، وأبطأ الرّجل: صار ذابُطء، وأبطأ به وبطّأ عليه بالأمر: أخّره، وبطّأ به: ثبّطه عن أمر عزم عليه.

وأبطأ الرّجل واستبطأ: كانت دوابُّه بِطاءً، وتباطأ الرّجل في مسيره تباطُؤًا: تثاقل فيه، وقد استبطأته، وفي الحديث «من بطّأ به عمله لم ينفعه نسبه».

٢ـ والباطنة أو الباطية: إناءٌ تُصفّ فيه الخمر، قال الخليل: اسم مجهول أصله. وقال الأزهريّ في «التّهذيب»: جمعه: البواطي، وقد جاء في أشعارهم. وزاد صاحب «اللّسان» نقلًا عنه: ولاأدري أمعرّب أم عربيّ؟

والحقّ أنّه يونانيّ، استُعمل في السّريانيّة بلفظ «بُطِيتا» و«بدِيا»، ثمّ أخذ العرب اللّفظ الأوّل وعرّبوه بلفظ «باطية»، وأخذ الفُرس القدماء اللّفظ الثّاني، واستعملوه بلفظ «باديا»[1].

الاستعمال القرآنيّ

جاء لفظ واحد من هذه المادّة (لَيُبَطِّئَنَّ):

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ اَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ اِذْ لَمْ اَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ النّساء: ٧٢

يلاحظ أوّلًا: أنّ لفظ (لَيُبَطِّئَنَّ) وحيد الجذر في القرآن، مثل: ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ النّساء: ١١٩، وقد جاء على غراره وزنًا وصياغة في سورة واحدة مدنيّة، ولاثالث لهما على هذا النّمط، وتقدّم الكلام حولها في «ب ت ك».

ثانيًا: عدّ سيّد قُطب (لَيُبَطِّئَنَّ) بما لها من الجرس الصّوتيّ الثّقيل على اللّسان، وتصويرها الحركة النّسبيّة الحرجة المصاحبة لها، من بدائع التّصوير الفنّيّ في القرآن، فلاحظ.

ثالثًا: هل هؤلاء المُبطّئون كانوا مؤمنين، استنادًا إلى صدر الآية والآيات قبلها، فإنّها خطاب للمؤمنين، ولكنّهم كانوا من ضعافهم إيمانًا؟ أو كانوا منافقين بحجّة أنّهم قالوا: ﴿اِذْ لَمْ اَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾، وعُدّوا من المؤمنين لكونهم في زمرتهم ظاهرًا؟ وقد أيّد الطّباطبائيّ هذا القول راميًا القائلين بالأوّل إلى حسن ظنّهم بالمسلمين في الصّدر الأوّل، فناقشهم طويلًا.

وعندنا أنّ ضعفة الإيمان ربّما عُدّوا من المنافقين، فإنّ النّفاق كالإيمان له درجات، فيتداخلان في بعض الدّرجات، وله نظائر وشواهد في القرآن.

رابعًا: هل المراد بها تثاقلهم عن القتال، مثل: ﴿مَالَكُمْ اِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ اِلَى الْاَرْضِ﴾ التّوبة: ٣٨، وهذا يناسب كونهم مؤمنين؟ أو تثبيطهم الآخرين، وهو شاهد على نفاقهم، لأنّ عملًا كهذا لايصدر عن مؤمن ولو كان ضعيف الإيمان، وهذا ألصق بالسّياق، لاحظ كلام الفخر الرّازيّ في النّصوص.

---

(١) المعجم المقارن ١: ٧٤.

خامسًا: للمفسّرين كلام طويل في لام (لَيُبَطِّئَنَّ)، هل هي للقسم أو للتأكيد، جوابًا للام الابتداء في ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ﴾؟ ولكلّ وجه، إلّا أنّ القسم شاهدًا على كونهم منافقين أقوى من التأكيد. والحقّ أنّ هذه الأُمور الثّلاثة ـ أي كونهم منافقين، مثبّطين للآخرين، مقسمًا عليهم ـ متناسقة مع بعضها بعضًا ومع السّياق أيضًا. والله أعلم.

سادسًا وهناك نظائر أُخرى للبُطْء في القرآن، جاءت في أُمور شتّى:

١ـ التّواني (مرّة واحدة): ﴿اِذْهَبْ اَنْتَ وَاَخُوكَ بِاٰيَاتِي وَلَاتَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ طٰه: ٤٢

٢ـ المهلة (ثلاث مرّات): ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ اَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ الطّارق: ١٧

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ اُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ المزّمّل: ١١

٣ـ التّأجيل (ثلاث مرّات): ﴿وَبَلَغْنَا اَجَلَنَا الَّذِي اَجَّلْتَ لَنَا﴾ الأنعام: ١٢٨

﴿لِاَيِّ يَوْمٍ اُجِّلَتْ﴾ المرسلات: ١٢

﴿وَمَاكَانَ لِنَفْسٍ اَنْ تَمُوتَ اِلَّا بِاِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ آل عمران: ١٤٥

٤ـ الإملاء (ستّ مرّات) ومنه: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَاَمْلٰى لَهُمْ﴾ محمّد: ٢٥

﴿فَاَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الرّعد: ٣٢

٥ ـ النّظر (عشرين مرّة) ومنه: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ الحديد: ١٣

﴿قَالَ اَنْظِرْنِي اِلٰى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ اِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ الأعراف: ١٤، ١٥

﴿وَاِنْ كَانَ ذُوعُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ اِلٰى مَيْسَرَةٍ﴾ البقرة: ٢٨٠

لاحظ «و ن ي» و«م هـ ل».

ب ط ر

لفظان، مرّتان: ١ مكّيّة، ١ مدنيّة

في سورتين: ١مكّيّة، ١ مدنيّة

بَطِرَتْ ١: ١ بَطَرًا ١: - ١

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل: البَطَرُ في معنًى: كالحَيرة والدَّهَش، يقال: لايُبطِرَنّ جهل فلان حِلْمَك، أي لايُدهِشك.

وفي معنًى: كالأشَر وغَمْط النّعمة، يقال: بَطِر فلانٌ نعمة الله، أي كأنّه مَرِحَ حتّى جاوز الشّكر، فتركه وراءه.

والبَيْطَرَة: معالجة البَيْطار الدّوابّ من الدّاء. [ثمّ استشهد بشعر]

وهو يُبَيْطِر الدّوابّ، أي يعالجها.

ورجل بِطْرِيرٌ، وامرأة بِطْرِيرةٌ، وأكثر مايقال للمرأة. قال أبوالدُّقَيْش: هي الّتي قد بَطِرت حتّى تمادت في الغيّ. (٧: ٤٢٢)

الكِسائيّ: يقال: رَشِدْتَ أمرَك، وبَطِرْتَ عيشك، وغَبَنْتَ رأيك.

أوقعت العرب هذه الأفعال على هذه المعارف الّتي خرجت مفسّرةً لتحويل الفعل عنها، وهولها.

(الأزهَريّ ١٣: ٣٣٦)

ذهب دمه خَضِرًا مَضِرًا، وذهب بِطْرًا، أي هدَرًا.

ذهب دمُه بِطْرًا، إذا ذهب باطلًا، وعلى هذا المعنى: بَطَرُ الحقّ: أن يراه باطلًا. (الأزهَريّ ١٣: ٣٣٧)

الأصمَعيّ: بَطِر الرّجل وبَهِت، بمعنًى واحد.

(الأزهَريّ ١٣: ٣٣٦)

البَطَرُ: الحَيرَة: ومعناه أن يتحيّر عند الحقّ، فلايراه حقًّا. (الهَرَويّ ١: ١٨٠)

ابن الأعرابيّ: البَطَرُ: سوءُ احتمال الغنيّ.

(الهَرَويّ ١: ١٨٠)

أبْطَره: قطع عليه معاشه، وأبْلى بَدَنه.

(ابن منظور ٤: ٦٩)

ابن السِّكِّيت: قد بَطِر بَطَرًا، والبَطَرُ أيضًا أن يبق الإنسان مُتحيِّرًا. [ثمّ استشهد بشعر] (٥٠٥)

شَمِر: يقال للبَيْطار: مُبَيْطِر وبِيَطر. [ثمّ استشهد بشعر]

وقال سلمة بن عاصم: البِيَطْرُ: الخيّاط، في قول الرّاجز:

باتَتْ تَجيبُ أدْعَجَ الظّلام جَيْبَ البِيَطْرِ مِدْرَعَ الهُمام

صيّر البيطار خيّاطًا، كما صيّروا الرّجل الحاذق إسكافًا. (الأزهَريّ ١٣: ٣٣٧)

الحَربيّ: أبطَرتَ ناقتك ذرعَها، إذا حمَلْتَ عليها أكثر ممّا عندها. (١: ٢٧٨)

الزّجّاج: البَطَرُ: أن يطغى، أي يتكبّر عند الحقّ، فلايقبله. (الهَرَويّ ١: ١٨٠)

ابن دُرَيْد: البَطْرُ: الشّقّ في جلد أو غيره، بَطَرْتُ الجرحَ أبطُرُه وأبطِرُه بَطْرًا، وهو أصل بناء البيطار.

وقالوا: رجل بَيْطَر وبِيَطْر ومُبَيْطِر، وكلّه راجع إلى ذلك، وكلّ مشقوق فهو مَبْطُور وبَطير.

والبَطَر: إفراط الأشَر، بَطِرَ بَطَرًا. (١: ٢٦٢)

أبوسعيدالبغداديّ: [بعد نقل كلام الكِسائيّ قال:] أصله أن يكون طُلّابه حُرّاصًا باقتدار وبَطَر، فيَحرِموا إدراك الثّأر. (الأزهَريّ ١٣: ٣٣٧)

الأزهَريّ: يقال للبعير القَطُوف إذا جارى بعيرًا وساعَ الخَطْوَ فقصُرت خُطاه عن مباراته: قد أبْطَرَه ذرعَه، أي حمَلَه على أكثر من طَوْقه. والهُبَعُ، إذا ماشى الرُّبَعَ أبْطَرَه ذَرْعَه فهَبَع، أي استعان بعُنُقه ليَلْحَقه.

ويقال لكلّ من أرْهَق إنسانًا فحمّله مالايطيقه: قد أبْطَرَه ذَرْعَه.

البَطْرُ: الشّقّ وبه سمّي البَيْطار بَيْطارًا.

وفي حديث النّبيّ ﷺ قال: «الكِبْرُ بَطَرُ الحقّ وغمْص النّاس» وبَطَرُ الحقّ: ألّا يراه حقًّا، ويتكبّر عن قبوله، من قولهم: بَطِر فلانٌ هِديَةَ أمره، إذا لم يهتد له، وجهله ولم يقبله. والبَطَرُ: الطّغيان عند النّعمة، وعلى هذا بَطَرُ الحقّ: أن يطغى عند الحقّ، أي يتكبّر عند قبوله.

ويقال: بَطِرَ فلان، إذا تحيّر ودَهِش، وعلى هذا المعنى أن يتحيّر في الحقّ فلايراه حقًّا. (١٣: ٣٣٧)

الصّاحِب: البَطَرُ: الحَيْرة والدَّهَش، وهو الأشَر وغَمْط النّعمة، من قولهم: بَطِرَ نعمة الله.

وامرأة بِطْرِيرَةٌ: قد بَطِرَت حتّى تمادَتْ في الغيّ.

وأبْطَرْتَني ذَرْعي، أي جَهَدْتَني حتّى ضاق ذَرْعي، وكلّفتني أكثر من طوقي.

والبَيْطار: الّذي يعالج الدّوابّ وهو البَيْطَر أيضًا.

والبِيَطْرُ: الخيّاط، وهو البَيْطار أيضًا.

والبَطْرُ: الشّقّ، بَطَرْتُ الجُرْحَ بَطْرًا.

وذهبَ دمُه بِطْرًا، أي باطلًا. (٩: ١٦٨)

الجَوهَريّ: البَطَرُ: الأشَرُ، وهو شدّة المَرح، وقد بَطِرَ بالكسر يَبْطَر، وأبْطَرَهُ المال.

يقال: بَطِرْتَ عيشَتك، كما قالوا: رَشِدْتَ أمْرَك، وقد فسّرناه.

والبَطَرُ أيضًا: الحَيرة والدّهَش، وأبْطَرَه، أي أدْهشَه.

وأبْطَرْتُ فلانًا ذرعَه، إذا كلّفته أكثر من طَوْقه.

وبَطَرْتُ الشّيء أبطِرُه بَطْرًا: شَقَقْتُه، ومنه سمّي

البَيْطار، وهو المُبَيْطِر. [ثمّ استشهد بشعر]

وربّما قالوا: بِيَطْرٌ، مثال هِزَبْر. [ثمّ استشهد بشعر]

ومعالجته البَيْطَرة.

وذهبَ دَمُه بِطْرًا بالكسر، أي هَدَرًا. (٢: ٥٩٢)

ابن فارس: الباء والطّاء والرّاء أصل واحد وهو الشّقّ. [إلى أن قال:]

وأمّا قولهم: ذهب دمُه بِطْرًا، فقد يجوز أن يكون شاذًّا عن الأصل، ويمكن أن يقال: إنّه شقّ مجراه شقًّا فذهب، وذلك إذا أُهْدِر. (١: ٢٦٢)

أبو هِلال: الفرق بين قولك: كفَر النّعمة، وقولك: بَطِر النّعمة، أنّ قولك: بَطِرها يفيد أنّه غمطها وبغى فيها، وكفرها يفيد أنّه غمطها فقط.

وأصل البَطَر: الشّقّ، ومنه قيل للبيطار: بيطار، وقد بَطَرتُ الشّيء، أي شققته.

وأهل اللّغة يقولون: البَطَر: سوء استعمال النّعمة، وكذلك جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا...﴾ القصص: ٥٨، ﴿وَلَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ الأنفال: ٤٧ . (١٩١)

ابن سيدة: البَطَرُ: النّشاط، وقيل: التّحيّر، وقيل: قلّة احتمال النّعمة، وقيل: الدَّهَش، وقيل: البَطَر: الطُّغيان بالنّعمة، بَطِرَ بَطَرًا، فهو بَطِرٌ.

وقوله عزّوجلّ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ القصص: ٥٨، أراد بَطِرَتْ في معيشتها، فحذف وأوصَل.

وبَطِرَ بالأمر: ثَقُل به ودَهِش، فلم يَدْرِ مايُقدِّم، ولاما يُؤخِّر.

وأبطَرَه حِلْمَه: أدْهَشَه، وبهَته عنه.

وأبطَرَه ذَرْعَه: حمّله فَوْقَ ما يُطيق، وقيل: قطَع عليه معاشه، وأبلى بدنه، وهكذا فسّره ابن الأعرابيّ، وزعم أنّ الذّرع: البَدَن.

وبَطِرَ النّعمة بَطَرًا، فهو بَطِر: لم يشكُرها وأشِرَ. وفي التّنزيل: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ القصص: ٥٨.

وقال بعضهم: بَطِرْتَ عَيْشَك ليس على التّعدّي، ولكن على قولهم: أَلِمْتَ بَطْنَك، ورَشِدْتَ أمْرَك، وسَفِهْتَ نَفْسَك، ونحوها ممّا لَفظُه لَفظُ الفاعل، ومعناه معنى المفعول.

وذهَب دَمُه بِطْرًا، أي: هَدَرًا.

وبطَر الشّيء يَبطِرُه، ويَبطُرُه بَطْرًا، فهو مَبطُورٌ، وبَطِيرٌ: شَقّه.

والبَطِير والبَيْطَر، والبَيْطار والبِيَطْر، والمُبَيْطِر: مُعالج الدّوابّ، من ذلك. [ثمّ استشهد بشعر]

ويروى: «البطير» [ثمّ استشهد بشعر]

والبِيَطْر: الخيّاط. [ثمّ استشهد بشعر]

ورَجلٌ بِطْرير: مُتَمادٍ في غيّه، والأُنثى بِطْريرة، وأكثر مايُستعمل في النّساء. (٩: ١٦٠)

البَطَر: الأشَرُ والمرَح، والبَطَر: قلّة احتمال النّعمة، وقيل: هو الطّغيان بالنّعمة أو عند النّعمة، والبَطَر: كراهية الشّيء من غير أن يستحقّ الكراهية. وفعل الكلّ: بَطِرَ يبطَرُ بَطَرًا.

وبَطَرُ الحقّ: أن يتكبّر عنه فلايقبله.

(الإفصاح ٢: ١٣٠٠)

الطُّوسيّ: والبَطَر: الخروج عن موجب النّعمة ـ من شكرها، والقيام بحقّها ـ إلى خلافه.

وأصله: الشّقّ، فمنه البيطار: الّذي يَشقّ اللّحم بالمِبضَع. وبَطِرَ الإنسان بَطَرًا، وأبطَرَه كثرة النّعمة عليه إبطارًا وبَطَّره تبطيرًا. (٥: ١٥٥)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٢: ٥٤٨)

البَطَرُ والأشَرُ واحدٌ، وهو شقّ العصا بتضييع حقّ نعم الله، والطّغيان فيها بجحدها، والكفر بها. (٨: ١٦٥)

الرّاغِب: البَطَرُ: دَهَشٌ يعتري الإنسان من سوء احتمال النّعمة، وقلّة القيام بحقّها، وصرفها إلى غير وجهها، قال عزّوجلّ: ﴿وَلَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ الأنفال: ٤٧، وقال: ﴿وَكَمْ اَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ القصص: ٥٨، أصله: بَطِرَت معيشته، فصرف عنه الفعل ونصب.

ويقارب البَطَرَ الطَّرب، وهو خِفّة أكثر مايَعْتري من الفرح، وقد يقال ذلك في التّرح.

والبَيْطَرَة: معالجة الدّابّة. (٥٠)

الزَّمَخْشَريّ: فيه طَرَبٌ وبَطَرٌ، وهو مجاوزة الحدّ في المَرَح، وخفّة النّشاط والزّعَل، ورجل أشِرٌ بَطِر، أبطَرَه الغنى. وفقرٌ مُخطِر خيرٌ من غنًى مُبْطِر. وماأمطَرَتْ حتّى أبطَرَتْ، يعني السّماء. وإن الخِصب يُبطِرُ النّاس. [ثمّ استشهد بشعر]

وامرأةٌ بَطِرَة: شديدة البَطَر. وبَيْطَرَ الدّابّة بَيطَرَةً. «وأشهَرُ من راية البَيْطار». والدّنيا قَحْبَة: يومًا عند عطّار، ويومًا عند بَيْطار، وعهدي به وهو لدوابّنا مُبَيْطِر، فهو اليوم علينا مُسَيْطِر.

ومن المجاز: لايُبطِرَنّ جهل فلانٍ حِلْمَك، أي لايجعله بَطِرًا خفيفًا. ولاتُبطِرَنّ صاحبَك ذَرْعَه، أي لاتُقلِقْ إمكانه ولاتستفزّه بأن تكلّفه غير المطاق؛ و«ذَرْعَه» بدل الاشتمال.

وبَطِر فلان نعمة الله: استخفّها فكفَرها، ولم يَستَرجِحها فيشكرُها، ومنه ﴿وَكَمْ اَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ القصص: ٥٨، وذهَبَ دَمُه بِطْرًا، أي مَبطُورًا مُستَخفًّا حيث لم يُقتَصّ به، وهو بهذا الأمر عالمٌ بَيْطارٌ. [ثمّ استشهد بشعر] (أساس البلاغة: ٢٤)

ابن الأثير: «لاينظُر الله يوم القيامة إلى مَن جرّ إزاره بَطَرًا» البَطَر: الطّغيان عند النّعمة وطول الغنى.

ومنه الحديث: «الكِبْرُ بَطَرُ الحقّ» هو أن يجعل ماجعله الله حقًّا من توحيده وعبادته باطلاً.

وقيل: هو أن يتجبّر عند الحقّ فلايراه حقًّا، وقيل: هو أن يتكبّر عن الحقّ فلايقبله. (١: ١٣٥)

الصّاغانيّ: رجل بِطْرير: صخّابٌ طويل اللّسان، وامرأة بطريرة، «فِعليل» و«فعليلة» من البَطَر. (٢: ٤٢١)

الفَيُّوميّ: بَطِرَ بطَرًا فهو بَطِرٌ، من باب «تَعِبَ» بمعنى أشِرَ أشَرًا، وتقدّم في الألف.

والبَطْرُ: الشّقّ وزنًا ومعنًى، وسمّي البَيْطار من ذلك، وفعله: بَيطَرَ بَيطَرَةً. (٥١)

الفيروز اباديّ: البَطَرُ محرّكةً: النّشاط، والأشَر، وقلّة احتمال النّعمة، والدّهَشُ والحَيرة أو الطّغيان

بالنّعمة، وكراهية الشّيء من غير أن يستحقّ الكراهة؛ فِعْل الكلّ كفَرِح.

وبَطَرُ الحقّ: أن يتكبّر عنه فلايقبله.

وبَطَرَه كنَصَرَه وضَرَبه: شَقَّه، والبطير: المشقوقُ.

ومعالج الدّوابّ كالبَيطَر والبَيطار والبِيطَرِ كهِزَبْر والمُبَيْطِر، وصَنعَتُه: البَيْطَرَة.

وكهِزَبْرٍ: الخيّاط، وبهاءٍ: ثلاثة مواضع بالمغرب.

والبِطْرِيرُ كخنزير: الصّخّابُ الطّويل اللّسان، والمتَمادي في الغيّ، وهي بهاءٍ.

وأبطَرَه أدهَشَه، وجعله بَطِرًا.

وأبطَرَهُ ذَرْعَه: حَمَّلَهُ فوق طاقته، أو قطَع عليه معاشَه، وأبْلى بَدَنه.

وذهب دَمُهُ بِطْرًا بالكسر: هَدَرًا. (١: ٣٨٨)

الطُّرَيحيّ: وقد تكرّرت في الحديث ذكر «البَطَر» وهو ـ كما قيل ـ سوء احتمال الغنى، والطّغيان عند النّعمة.

ويقال: هو التّجبّر وشدّة النّشاط، وقد بَطِر بالكسر، يَبْطَر بالفتح وأبْطَرَهُ المال.

والبَيْطار بفتح الباء: هو الّذي يُعالج الدّوابّ، ومنه حديث أحمد بن الحرث القزوينيّ: «وكان أبي يتعاطى البَيْطَرة».

والبَطْر: الشّقّ، ومنه سمّي البيطار.

وغيث صوته مُسْتَبطِر: أي ممتدّ، ومثله سحابٌ مُسْتَبْطِر. (٣: ٢٢٦)

الزّبيديّ: وممّا يستدرك عليه [بطر] قولهم: وما أمطرت حتّى أبطَرت، يعني السّماء، والخِصب يَبْطر النّاس. وفَقْرٌ مخطِرٌ خير من غِنًى مُبطِر. وامرأة بطيرة: شديدة البَطَر.

ومن المجاز: لايُبطِرنّ جَهْل فلان حلمَك، أي لايجعله بَطِرًا خفيفًا. وهو بهذا عالم بيطار. (٣: ٥٣)

مَجْمَعُ اللُّغة: بَطِرَ فلان ـ من باب تَعِب ـ يَبْطَرُ بَطَرًا: جاوز الحدّ في الزّهو.

وبَطِر النّعمة يبطَر بَطَرًا: كفرها ولم يشكرها، أو طغى بها. (١: ١٠٤)

المُصْطَفَويّ: قد سبق في «أشِر» أنّه حقيقة في الحدّة والشّدّة في البَطَر، فهو أبلغ من البَطَر. والبَطَر: عبارة عن تجاوز الحدّ والاعتدال في الطّرَب، فهو أبلغ من الطّرَب؛ وبينهما اشتقاق أكبر.

والدّهشة باعتبار الخروج عن الاعتدال والتّجاوز عن الحدّ الممدوح.

وبهذا اللّحاظ أيضًا يستعمل بمعنى «الشّقّ» فكأنّ الإنسان بسبب الطّرَب والمَرَح الشّديد والتّجاوز عن حالة الاعتدال يطغى عن الحقّ ويشقّه.

وأمّا البيطار فهو في مقابل الطّبيب والحكيم والعالم، وكان شغل البَيْطَرة في السّابق مخصوصًا لأفراد خارجين عن محيط العلم والحكمة. والبيطار هو المعالج للدّوابّ بتجربيّاته العمليّة. ولامناسبة بينه وبين الشّقّ، نعم قد يحتاج العِلاج إلى العمل والشّقّ كالجرّاح. (١: ٢٧١)

النُّصوص التّفسيريّة

بَطِرَت

وَكَمْ اَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ

مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ. القصص: ٥٨

عطاء: عاشوا في البَطَر، فأكلوا رزق الله وعبَدوا الأصنام. (البغويّ ٣: ٥٤٠)

ابن زَيْد: البَطَر: أشَرُ أهل الغفلة وأهل الباطل، والرّكوب لمعاصي الله، وذلك البطر في النّعمة.

(الطّبَريّ ٢٠: ٩٥)

سَفِهَتْ وأشِرَتْ وطغَتْ. (ابن عَطيّة ٤: ٢٩٣)

مثله البَغَويّ. (٣: ٥٤٠)

الفَرّاء: بَطِرَتْها: كفرتْها وخسرتها، ونَصَبك «المعيشة» من جهة قوله: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ البقرة: ١٣٠.

إنّما المعنى ـ والله أعلم ـ أبْطَرَتْها معيشتها، كما تقول: أبْطَرَك مالُكَ وبَطِرْتَه، وأسْفَهَك رأيُك فسفِهْتَه. فذُكرت «المعيشة» لأنّ الفعل كان لها في الأصل، فحوّل إلى ما أُضيفت إليه، وكأنّ نصبه كنصب قوله: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ النساء: ٤.

ألاترى أنّ الطّيب كان للنّفس، فلمّا حوّلته إلى صاحب النّفس خرجت النّفس منصوبة لتفسّر معنى الطّيب. وكذلك «ضِقْنا به ذَرْعًا» إنّما المعنى ضاق به ذرعُنا. (٢: ٣٠٨)

ابن قُتَيْبَة: أي أشِرَت، وكأنّ المعنى أبطَرَتْها معيشتها، كما تقول: أبْطَرَك مالُك فبَطِرْتَ. (٣٣٤)

الطّبَريّ: وكم أهلكنا من قرية أبْطَرَتْها معيشتها، فبَطِرت وأشِرت وطغَت، فكفرت ربّها.

وقيل: بَطِرَتْ معيشتها، فجعل الفعل للقرية، وهو في الأصل للمعيشة، كما يقال: أسفَهَك رأيك فسفِهْتَه، وأبطَرَك مالُك فبَطِرْتَه. (٢٠: ٩٥)

الزّجّاج: ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ منصوبة بإسقاط «في» وعمل الفعل، وتأويله بَطِرَتْ في معيشتها، والبَطَر: الطّغيان بالنّعمة. (٤: ١٥٠)

نحوه المازنيّ. (القُرطُبيّ ١٣: ٣٠١)

القَيْسيّ: نُصِبت «المعيشة» عند المازنيّ على تقدير حرف جرّ محذوف، معناه بَطِرَت في معيشتها.

وقال الفَرّاء: هي نصب على التّفسير. وهو بعيد، لأنّها معرفة، والتّفسير لايكون إلّا نكرةً لتوقّع المخاطب مالم يعرفه.

وقيل: هي نصب بـ(بَطِرت) وبَطِرَت بمعنى جَهِلت، أي جَهِلت القرية ـ أي أهل القرية ـ شُكر معيشتها، ثمّ حذف المضاف. (٢: ١٦٣)

نحوه القُرطُبيّ. (١٣: ٣٠٠، ٣٠١)

الزّمَخْشَريّ: هذا تخويف لأهل مكّة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم، من إنعام الله عليهم بالرُّقود، في ظلال الأمن وخَفْض العيش، فغَمَطوا النّعمة وقابلوها بالأشَر والبَطَر، فدمّرهم الله وخرّب ديارهم.

وانتصبت ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ إمّا بحذف الجارّ وإيصال الفعل كقوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ الأعراف: ١٥٥.

وإمّا على الظّرف بنفسها، كقوله: زيد ظنّي مقيم، أو بتقدير حذف الزّمان المضاف، أصله: بَطِرَت أيّام معيشتها، كخفوق[1] النّجم، ومُقام الحاجّ.

---

(١) كقولك: جئت خفوقَ النّجم. ذكره أبوحيّان (٧: ١٢٦).

وإمّا بتضمين بَطِرَت معنى كفَرَتْ وغَمَطَتْ.

وقيل: البَطَر: سوء احتمال الغنى، وهو أن لايَحفَظ حقّ الله فيه. (٣: ١٨٦)

نحوه النّيسابوريّ (١٧: ٥٦)، والنّسفيّ (٣: ٢٤٠)، وأبوحَيّان (٧: ١٢٦).

الطَّبْرِسيّ: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي في معيشتها بأن أعرَضَت عن الشّكر وتكبّرت، والمعنى أعطيناهم المعيشة الواسعة فلم يعرفوا حقّ النّعمة وكفروا، فأهلكناهم. (٤: ٢٦٠)

البَيْضاويّ: أي وكم من أهل قرية كانت حالهم كحالكم في الأمن وخفض العيش حتّى أشِرُوا، فدمّر الله عليهم وخرّب ديارهم. (٢: ١٩٧)

مثله أبوالسُّعود (٥: ١٣٠)، والآلوسيّ (٢٠: ٩٨).

البُرُوسَويّ: البَطَر: الطّغيان في النّعمة.

قال بعضهم: البَطَر والأشَر واحد، وهو دَهَش يعتري الإنسان من سوء احتمال النّعمة، وقلّة القيام بحقّها، وصرفها إلى غير وجهها. ويقاربه الطّرَب، وهو خفّة أكثر مايعتري من الفرَح.

وانتصاب (مَعيشَتَها) بنزع الخافض، أي في معيشتها، كما في «الوسيط».

والمعنى وكم من أهل قرية كانت حالهم كحال أهل مكّة في الأمن وسعة العيش، حتّى أطغتهم النّعمة وعاشوا في الكفران؛ فدمّرنا عليهم وخرّبنا ديارهم. (٦: ٤١٨)

بَطَرًا

وَلَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ... الأنفال: ٤٧

ابن عَبّاس: هم قريش، لمّا خرجت لتحمي العِير، فلمّا نجا أبوسفيان أرسل إليهم أن ارجعوا، فقد سَلِمَت عِيركم، وهم بالجُحفة، فقال أبوجهل: والله لانرجع حتّى نَرِد بدرًا، وننحر جزَرًا، ونشرب خمرًا، وتعزف علينا القِيان، ويرانا من غشينا من أهل الحجاز.

مثله مُجاهِد، وعروة بن الزّبير، وابن إسحاق. (الطُّوسيّ ٥: ١٥٥)

مثله الزّمَخْشَريّ (٢: ١٦٢)، ونحوه أبوحَيّان (٤: ٥٠٤)، والبَيْضاويّ (١: ٣٩٧)، والكاشانيّ (٢: ٣٠٧).

القَيْسيّ: مصدر في موضع الحال، والبَطَر: أن يتقوّى بنعم الله على المعاصي. (١: ٣٤٨)

الطَّبْرِسيّ: أي بَطِرين، يعني قريشًا خرجوا من مكّة ليحموا عِيرهم، فخرجوا معهم بالقِيان والمعازف، يشربون الخمور، ويعزف عليهم القِيان. (٢: ٥٤٨)

ابن عَطيّة: البَطَر: الأشَر وغَمْط النّعمة، والشّغل بالمرَح فيها عن شكرها. (٢: ٥٣٧)

الفَخْر الرّازيّ: قال الزّجّاج: البَطَر: الطّغيان في النّعمة.

والتّحقيق: أنّ النّعم إذا كثرت من الله على العبد، فإن صرفها إلى مرضاته وعرف أنّها من الله تعالى، فذاك هو الشّكر. وأمّا إن توسّل بها إلى المفاخرة على الأقران، والمكاثرة على أهل الزّمان، فذاك هو البَطَر. (١٥: ١٧٣)

نحوه الخازن. (٣: ٣٢)

القُرطُبيّ: البَطَر: التّقوية بنعم الله عزّوجلّ

وماألبسه من العافية على المعاصي، وهو مصدر في موضع الحال، أي خرجوا بَطرين مُرائين صادّين، وصدّهم إضلال النّاس. (٨: ٢٥)

البُرُوسَويّ: مفعول له، أي افتخارًا بمآثر الأُصول من الآباء والأُمّهات، وأشرًا وهو مقابلة النّعمة بالتّكبّر والخُيَلاء. (٣: ٣٥٤)

المَراغيّ: البَطَر: إظهار الفخر والاستعلاء بنعمة القوّة، أو الغنى أو الرّئاسة، ويعرف ذلك في الحركات المتكلّفة، والكلام الشّاذّ. (١٠: ١١)

الطَّباطَبائيّ: الآية نهيٌ عن اتّخاذ طريقة هؤلاء البَطرين المُرائين الصّادّين عن سبيل الله، وهم على مايفيده سياق الكلام في الآيات: كفّار قريش، وما ذكره من أوصافهم، أعني البَطَر ورئاء النّاس والصّدّ عن سبيل الله، هو الّذي أوجب النّهي عن التّشبّه بهم، واتّخاذ طريقتهم بدلالة السّياق.

وقوله: ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ الأنفال: ٤٧، يُنبئ عن إحاطته تعالى بأعمالهم وسلطنته عليها وملكه لها، ومن المعلوم أنّ لازم ذلك كون أعمالهم داخلة في قضائه، متمشّية بإذنه ومشيئته، وماهذا شأنه لايكون ممّا يعجز الله سبحانه. فالجملة كالكناية عمّا يصرّح به بعد عدّة آيات، بقوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَايُعْجِزُونَ﴾ الأنفال: ٥٩.

وظاهر أنّ أخذ هذه القيود، أعني قوله: ﴿بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ...﴾ الأنفال: ٤٧، يوجب تعلّق النّهي بها، والتّقدير: ولاتخرجوا من دياركم إلى قتال أعداء الدّين بَطرين ومرائين بالتّجمّلات الدّنيويّة، وصدّ النّاس عن سبيل الله بدعوتهم بأقوالكم وأفعالكم إلى ترك تقوى الله، والتّوغّل في معاصيه والانخلاع عن طاعة أوامره ودساتيره، فإنّ ذلك يحبط أعمالكم ويُطفئ نور الإيمان، ويبطل أثره عن جمعكم.

فلاطريق إلى نجاح السّعي والفوز بالمقاصد الهامّة إلّا سويّ الصّراط الّذي يمهّده الدّين القويم، وتسهّله الملّة الفطريّة، والله لايهدي القوم الفاسقين إلى مقاصدهم الفاسدة. (٩: ٩٦)

المُصْطَفَويّ: أي بحالة الطّرب والهوى، خارجين عن الحقّ وصراط العدل مرائين. (١: ٢٧٢)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: البَطَر، وهو الحيرة والدّهش، يقال: بَطِرَ الرّجل يَبطَرُ بَطَرًا فهو بَطِرٌ، وأبطره غيره، يقال: لايُبطِرنّ جهل فلان حلمَك.

والبَطَر أيضًا: الأشَر وغَمط النّعمة، فكأنّ البَطِر يتحيّر في الحقّ فلايراه حقًّا ولايقبله، فيطغى ويَمْرَح، يقال: بَطِرَ فلان نعمة الله.

وأبطره المال وبَطِرَ بالأمر: ثَقُلَ به ودَهِشَ فلم يدر مايقدّم ولامايؤخّر، وأبطره ذرعَه: حمله فوق مالايُطيق.

٢ـ وأمّا البَيْطار ـ معالج الدّوابّ من الدّاء ـ فهو لفظ يونانيّ، انتقل إلى العربيّة بواسطة اللُّغة السّريانيّة، وجاء فيها بلفظ «بَيطورا» و«بَيطرا» ويضارع الأخير لفظ «البَيْطَرة»، أي صنعة البيطار، و«البِيَطْر» و«البَيطَر»، أي البَيطار، ويقال له أيضًا: مُبَيطِر. ثمّ اشتقّ منه فعلًا، يقال: بَيْطَر الدّوابّ يُبيطرها بَيْطَرةً.

وقد زعم ابن دُرَيْد أنّ البَيْطار مشتقّ من البَطْر، فقال: «البَطْر: الشّقّ في جلد أو غيره. بَطَرْتُ الجُرحَ أبطُره وأبطِره بَطْرًا، وهو أصل البِيطار». ونسجَ على منواله من تلاه فجعله أصلًا، حتّى حدا ذلك ابن فارِس على القول: «الباء والطّاء والرّاء أصل واحد وهو الشّقّ»، وهو مولّد كما رأيت.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت هذه المادّة مرّتين مصدرًا وفعلًا ماضيًا، في سورة مكّيّة وأُخرى مدنيّة:

١ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ القصص:٥٨

٢ـ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ الأنفال: ٤٧

يلاحظ أوّلًا: أنّ سياق الآيتين ذمّ لأقوام أفرطوا في الأشَر والغفلة، وانحرفوا عن جادّة الحقّ وتجاوزوا الحقّ، ولم يؤدّوا حقّ النّعمة. ولم يأت البَطَر في القرآن إلّا ذمًّا، وهو في الأصل صفة ذمّ كما سبق.

ثانيًا: جاء الإخبار عن تلك الأقوام عبرةً في سورة القَصَص كنتيجة لأعمالهم، كأنّه بيّن تعالى قانونًا في المجتمع الإنسانيّ بدون أمر أو نهي؛ إذ لم تكن حينئذٍ في مكّة أرضيّة للأمر والنّهي، إلّا أنّه جاء في سورة الأنفال المدنيّة ـ والمدينة موطن التّشريع ـ بسياق النّهي.

ثالثًا: جاء في الأُولى ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ بنصب ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ والضّمير يرجع إلى القرية، إمّا مفعولًا للفعل، لأنّه بمعنى «أبطرت» أو ظرف منصوب بنزع الخافض، أي في معيشتها، أو ذكرت المعيشة تفسيرًا للفاعل، لأنّها الفاعل في الأصل، فهو كقوله: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، إلى غيرها ممّا قيل فيها، لاحظ النّصوص.

رابعًا: أنّ (بَطَرًا) في الثّانية مصدر في موضع الحال، أو مفعول لأجله، وهو الأقرب، وعطف عليه ﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾، والمعنى خرجوا مفرطين في الطّرب ومفتخرين على النّاس، صادّين عن سبيل الله. وليس فيه معنى كفران النّعمة، وإن استلزمه.

وأمّا البَطَر في الأُولى فقد فُسّر بكفران النّعمة من أجل ذكر ﴿مَعِيشَتَهَا﴾، وإلّا فالإفراط في الطّرب محتمل فيه أيضًا.

خامسًا: هناك من فسّر البَطَر بالأشَر، ولاريب في وجود العلاقة بينهما، كوجودها بينهما وبين الطّرب، وقد بيّنّا ذلك في «أ ش ر» فلاحظ.

والعجيب أنّ «الأشر» جاء مرّتين في القرآن كالبطَر.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب ط ش

٨ ألفاظ، ١٠ مرّات مكّيّة في ٨ سور مكّيّة

بَطَشتُم ٢ : ٢	بَطَشَ ١ : ١
يَبطِش ١ : ١	بَطْشًا ٢ : ٢
يَبطِشون ١ : ١	البَطْشَة ١ : ١
نَبطِش ١ : ١	بَطْشَتَنا ١ : ١

النّصوص اللّغويّة

الخَليل: البَطْش: التّناول عند الصّولة، والأخذ الشّديد في كلّ شيء: بَطَشَ به.

والله ذوالبَطْش الشّديد، أي ذوالبأس والأخذ لأعدائه. (٦: ٢٤٠)

ابن دُرَيْد: بَطَشَ يَبطُش بَطْشًا، وهو الأخذ الشّديد، وفي التّنزيل: ﴿وَلَقَدْ اَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ القمر: ٣٦، ورجل شديد البطش، وقد سمّت العرب بِطاشًا ومُباطِشًا. (١: ٢٩١)

تقول العرب يَفسِقون ويَفسُقون... ويَبطِشون ويَبطُشون. (٣: ٤٤٩)

نحوه أبوعُبَيْدَة. (الحَرْبيّ ٥: ١١٦٣)

أبومالك: يقال: بطَش فلان من الحمّى، إذا أفاق منها، وهو ضعيف. وبطَش يَبطُش بَطْشًا. (الأزهَريّ ١١: ٣١٨)

الصّاحِب: البَطْش: التّناول عند الصّولة والأخذ الشّديد وبَطَش من الحمّى: أفاق منها. والرّكاب تَبطُش بأحمالها، أي تَزحَفُ بها، لاتكادُ تَحرّكُ[1]. (٧: ٢٩٧)

الجَوهَريّ: البَطْشَةُ: السَّطْوَة، والأخذ بالعنف. وقد بطَش به يَبطِش ويبطُش بَطْشًا، وباطَشَه مُباطَشَةً. (٣: ٩٩٦)

مثله القُرطُبيّ. (١٣: ١٢٤)

ابن فارِس: الباء والطّاء والشّين أصل واحد، وهو أخذ الشّيء بقَهْر وغَلَبة وقوّة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البروج: ١٢، ويدٌ باطشة. (١: ٢٦٢)

---

(١) الظّاهر إسقاط (تاء المضارع) من: تَبطُش، تَزحَفُ، تحرّكُ، والأصل: تتبطَّش، تتزحّفُ، تتحرّكُ، وهو جائز.

الهَرَويّ : وفي الحديث: «فإذا أنا بموسى باطِشٌ بجانب العَرْش» أي متعلّق به بقوّة. (١ : ١٨٠)

ابن سيدة : البَطْشُ: التّناول بشدّة. بطَشَ يبطُش ويبطِش بَطْشًا. وفي التّنزيل: ﴿وَاِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ الشّعراء: ١٣٠. وباطَشَ كبطَش، [ثمّ استشهد بشعر]

ليست «به» من قولنا «باطَشنا به» ك «به» من «سَطَوْنا به» إذا أردت ب«سطَوْنا» معنى قوله تعالى: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ﴾ الحجّ: ٧٢، وإنّما هي مثل به من قولك: استعَنّا به وتعاونّا به، فافهم.

وبَطَش به يبطِش بَطْشًا: سطا عليه في سرعةٍ، وفي التّنزيل: ﴿فَلَمَّا اَنْ اَرَادَ اَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ القصص: ١٩.

وبِطاش، ومُباطِش: اسمان. (٨ : ٢٢)

الطُّوسيّ : البَطْش: الأخذ بشدّة وقع الألم، بطَش به يَبطِشُ بَطْشًا ـ ومثله: عَرَش يعرِش ويعرُش ـ وهو باطش.

وأكثر مايكون بوقوع الضّرب المتتابع، فأُجري إفراغ الألم المتتابع مجراه. (٩ : ٢٢٨)

الرّاغِب : البَطْش: تناول الشّيء بصَوْلة، يقال: يدٌ باطشة. (٥٠)

الزّمَخْشَريّ : بطَش به بَطْشةً شديدةً، وأصابته يدٌ باطشة.

ومن المجاز: فلان يبطِش في العلم بباعٍ بسيط. وبطَشتْ بهم أهوال الدّنيا. وسلَكوا أرضًا بعيدة المسالك، قريبة المهالك، وُقِذُوا بمَباطِشها، وماأُنقِذوا من مَعاطِشها. وجاءت الرّكاب تَبطُش بالأحمال، أي تَرجُف بها. وبطَش من الحُمّى: أفاق منها.

(أساس البلاغة: ٢٤)

القُرطُبيّ : يقال: بطَش يَبطُش ويَبطِش، والضّمّ أقيس، لأنّه فعل لايتعدّى. (١٣ : ٢٦٥)

الفَيُّوميّ : بطَش به بَطْشًا، من باب «ضرب» وفي لغة من باب «قتَل»، والبَطْش هو الأخذ بعُنف. وبطَشت اليد، إذا عملت، فهي باطشة. (٥١)

الفيروز اباديّ : بطَش به يَبطِش ويبطُش: أخذه بالعُنف والسّطوة كأبْطَشه. أو البَطْش: الأخذ الشّديد في كلّ شيء، والبأس.

والبطيش: الشّديد البَطْش.

وبطَش من الحُمّى: أفاق منها، وهو ضعيف.

وبِطاش ومُباطِش: اسمان.

والمُباطَشة: المعالجة، وأن يَمُدّ كلّ منهما يده إلى صاحبه ليَبطِش به.

والرّكاب تَبَطَّشُ[1] بأحمالها تبطُّشًا: تَزحَف بها لاتكاد تتحرّك. (٢ : ٢٧٣)

الطُّرَيحيّ : [نحو الفَيُّوميّ ثمّ أضاف:]

وفي الحديث القُدسيّ: «كنتُ يده الّذي يبطش بها» هو بالكسر والضّمّ، أي يأخذ بها.

وفي حديث الصّادق عليه السلام لأبان بن تغلب: «كيف أنت إذا وقعت البَطْشة بين المسجدين».

قال بعض شرّاح الحديث: «كأنّه إشارة إلى وقعة عسكر السّفيانيّ بين المسجدين، وإلى الفتنة الّتي من

---

(١) على إسقاط (تاء المضارع) أي تتَبطّش.

عسكره في عراق العرب.

وظهور رجل مُتَرفِّع من الشّيعة في العراق دلالة عسكر السّفيانيّ على الشّيعة، والمراد من الحديث كلّه ظهور المهديّ عليه السلام. (٤: ١٣٠)

مَجْمَعُ اللُّغة: بطَش به ـ من بابي ضرَب وقتَل ـ يَبطِش بَطْشًا: أخذه بعُنف وشدّة.

والبَطْشَة: اسم مرّة من بَطْش. (١: ١٠٥)

محمود شيت: ١ـ أـ بطَش به بَطْشًا: أخذه بالعنف، وبطَش بالشّيء: أمسكه بقوّة، وبطَش عليه: سَطا بسرعة؛ فهو باطِش، وبَطّاش وبَطيش.

ب ـ باطَش فلانٌ فلانًا مُباطَشة، وبِطاشًا: مدّ كلّ منهما يده إلى صاحبه ليبطِش به.

٢ـ بطَش الجيش بالأعداء: أخذهم بالعنف، وكبّدهم خسائر فادحة. (١: ٨٨)

المُصْطَفَويّ: البَطْش هو العمل بالقهر والصّولة والشّدّة، ومفهومه أعمّ من الأخذ. (١: ٢٧٢)

النُّصوص التّفسيريّة

بَطَشْتُمْ

وَاِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ. الشّعراء: ١٣٠

ابن عَبّاس: البَطْش: العَسْف، قتلًا بالسّيف وضربًا بالسّوط. (الطّوسيّ ٨: ٤٥)

مثله مُجاهِد. (القُرطُبيّ ١٣: ١٢٤)

الحسَن: بَطْش الجبريّة هو المبارزة من غير تثبّت ولاتوقّف. (الطّوسيّ ٨: ٤٥)

الكَلْبيّ: معناه تقتلون عند الغضب. (الأزهَريّ ١١: ٣١٨)

ابن جُرَيْج: البطش: القتل بالسّيف والسّياط. (الطّبَريّ ١٩: ٩٦)

الطّبَريّ: إذا سطوتم سطوتم قتلًا بالسّيوف، وضربًا بالسّياط. (١٩: ٩٦)

الزّجّاج: جاء في التّفسير أنّ بطشهم كان بالسّوط والسّيف، وإنّما أُنكر ذلك عليهم، لأنّه ظُلم. فأمّا في الحقّ فالبطش بالسّوط والسّيف جائز. (٤: ٩٦)

نحوه الزّمَخشَريّ (٣: ١٢٢)، وابن الجَوزيّ (٦: ١٣٦).

القُمّيّ: تقتلون بالغضب من غير استحقاق. (٢: ١٢٣)

البغَويّ: ﴿وَاِذَا بَطَشْتُمْ﴾: أخذتم وسطوتم، ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ أي قتلًا بالسّيف وضربًا بالسّوط. (٣: ٤٧٥)

نحوه الخازن (٥: ١٠١)، والنّسَفيّ (٣: ١٩١).

ابن العَرَبيّ: قال مالك بن أنس: قال نافع: قال ابن عمر في قوله: ﴿وَاِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ قال: يعني به السّوط، وقال غيره بالقتل. ويؤيّد ماقال مالك قول الله تعالى ذكره عن موسى: ﴿فَلَمَّا اَنْ اَرَادَ اَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَامُوسَى اَتُرِيدُ اَنْ تَقْتُلَنِى...﴾ القصص: ١٩.

وذلك أنّ موسى لم يَسُلّ عليه سَيفًا، ولاطعنه برُمْح، وإنّما وَكَزَه؛ فكانت ميتته في وَكْزَته. والبطش يكون باليد، وأقلّه الوكز والدّفع، ويليه السّوط والعصا، ويليه

الحديد، والكلّ مذموم إلّا بحقّ. (٣: ١٤٣٧)

الطَّبْرِسيّ: البَطْش: الأخذ باليد، أي إذا بطشتم بأحد تريدون إنزال عقوبة به، عاقبتموه عقوبة من يريد التّجبّر بارتكاب العظائم، كما قال: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ القصص: ١٩. (٤: ١٩٨)

الفَخْرالرّازيّ: بيّن أنّهم مع ذلك السّرف والحرص فإنّ معاملتهم مع غيرهم معاملة الجبّارين.

وقد بيّنّا في غير هذا الموضع أنّ هذا الوصف في العباد ذمّ، وإن كان في وصف الله تعالى مدحًا. فكان من يُقدِم على الغير لاعلى طريق الحقّ، ولكن على طريق الاستعلاء يوصف بأنّ بَطْشه بَطْش جبّار. (٢٤: ١٥٧)

القُرطُبيّ: قال ابن عبّاس ومُجاهِد: البَطْش: العَسْف قتلًا بالسّيف وضربًا بالسّوط، ومعنى ذلك: فعلتم ذلك ظلمًا. [وبعد ذكر قول الكَلْبيّ والحسَن وغيرهما أضاف:]

وكلّه يرجع إلى قول ابن عبّاس.

وقيل: إنّه المؤاخذة على العَمْد والخطأ من غير عفو ولاإبقاء. (١٣: ١٢٤)

أبوحَيّان: أي أردتم البَطْش، وحُمل على الإرادة لئلّا يتّحد الشّرط وجوابه، كقوله:

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة

أي متى أردتم بعثها.

وقيل: المعنى إنّكم كفّار الغضب، لكم السّطوات المفرطة والبوادر. (٧: ٣٣)

الشِّربينيّ: أي أردتم البَطْش بأحد بضرب أو قتل ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ أي من غير رأفة. (٣: ٢٥)

أبوالسُّعود: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ بسوط أو سيف ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ متسلّطين غاشمين بلارأفة ولاقصدِ تأديب، ولانظر في العاقبة. (٥: ٥٤)

مثله الكاشانيّ (٤: ٤٥)، والبُرُوسَويّ (٦: ٢٩٦)، وشُبَّر (٤: ٣٩٧).

الآلوسيّ: أي أردتم البَطْش. [أدام مثل أبي السُّعود ثمّ قال:]

وأوّل الشّرط بما ذُكر ليصحّ التّسبّب، وتقييد الجزاء بالحال لايصحّحه، لأنّ المطلق ليس سببًا للمقيّد.

وقيل: لايضرّ الاتّحاد لقصد المبالغة، وقيل: الجزائيّة باعتبار الإعلام والإخبار، وهو كماترى. ونظير الآية قوله:

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة

ودلّ توبيخه عليه السّلام إيّاهم بما ذكر على استيلاء حبّ الدّنيا، والكِبر على قلوبهم حتّى أخرجهم ذلك عن حدّ العبوديّة. (١٩: ١١٠)

سيِّد قُطْب: فهم عُتاة غلاظ، يتجبّرون حين يَبطشون، ولايتحرّجون من القسوة في البطش، شأن المتجبّرين المعتزّين بالقوّة المادّيّة الّتي يملكون. (٥: ٢٦١٠)

الطَّباطَبائيّ: المعنى وإذا أظهرتم شدّة في العمل وبأسًا، بالغتم في ذلك كما يبالغ الجبابرة في الشّدّة. (١٥: ٣٠١)

المُصْطَفَويّ: أي إذا عملتم بالقهر والشّدّة. (١: ٢٧٢)

نَبْطِشُ ـ البَطْشَةَ الْكُبْرَى

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى. الدّخان: ١٦

راجع «ي و م»

يَبْطِشُونَ

...اَمْ لَهُمْ اَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا... الأعراف: ١٩٥

الطَّبْرِسيّ: قرأ أبوجعفر وحده (يَبْطُشُونَ) هاهنا، وفي القصص والدّخان بضمّ الطّاء، والباقون بكسرها.

بطَش يَبطِش ويَبطُش، والكسر أفصح، أي يأخذون بها في الدّفع عنكم. ومعنى البَطْش التّناول والأخذ بشدّة. (٢: ٥١١)

أبوالسُّعود: البَطْش: الأخذ بقوّة. وقُرِئَ (يَبْطُشُونَ) بضمّ الطّاء، وهي لغة فيه. والمعنى بل ألهم أيدٍ يأخذون بها مايريدون أخذه. (٣: ٦٩)

راجع أيضًا «ر ج ل».

بَطْشَ

اِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ. البروج: ١٢

ابن عبّاس: إنّ أخذه بالعذاب إذا أخذ الظّلمة لشديد. (البغويّ ٥: ٢٣٧)

الطُّوسيّ: البَطْش: الأخذ بالعُنف، وإذا وُصف بالشّدّة فقد تضاعف مكروهه، وتزايد إيلامه. (١٠: ٣٢٠)

نحوه الزَّمَخْشَريّ (٤: ٢٣٩)، والطَّبْرِسيّ (٥: ٤٦٨)، والفَخْرالرّازيّ (٣١: ١٢٣)، والنَّسَفيّ (٤: ٣٤٦).

أبوالسُّعود: ﴿اِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ استئناف خوطب به النّبيّ ﷺ إيذانًا بأنّ لكفّار قومه نصيبًا موفورًا من مضمونه، كما يُنبئ عنه التّعرّض لعنوان الرّبوبيّة مع الإضافة إلى ضميره عليه الصّلاة والسّلام.

وهو بطشه بالجبابرة والظّلمة، وأخذه إيّاهم بالعذاب والانتقام، كقوله تعالى: ﴿وَ كَذٰلِكَ اَخْذُ رَبِّكَ اِذَا اَخَذَ الْقُرٰى وَهِيَ ظَالِمَةٌ اِنَّ اَخْذَهُ اَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود: ١٠٢. (٦: ٤٠٧)

نحوه البُرُوسَويّ (١٠: ٣٩١)، والآلوسيّ (٣٠: ٩١).

الطّنطاويّ: [نحو الزَّمَخْشَريّ إلّا أنّه أضاف في شرح كيفيّة بَطْش الرّبّ تعالى بالأُمم الماضية وغيرها، فقال:]

قد ذكرت لك أنّ الغلبة والإنعام هما الصّفتان اللّتان لايقوم العرش ولايليق إلّا بهما، وقلت لك: إنّ العزّة والحمد هما الصّفتان المذكورتان، وأنّ ماجاء بعد ذلك إنّما هو شرح للعزّة والحمد.

ألاترى أنّ البَطْش الشّديد الّذي أكّده بالقُدرة على البدء والإعادة هو معنى العزيز، ألاترى أنّ الغفران والودّ يرجعان لمعنى الحمد لأنّه لاحمد إلّا على نعمة، والغفران والودّ يستوجبان النّعم من الغفور الودود، ألاترى أنّ ذكر العرش يُذكّر بالمُلك، أو لاترى أنّ قوله: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ هود: ١٠٧، شامل للنّوعين الإنعام والانتقام؛ إذن يتجلّى لك في هذه الأوصاف أُبّهة الملك الإلهيّ من عرش و إنعام وانتقام، فإذا كان لصاحب العروش الأرضيّة جيوش جرّارة فالله يبدئ ويعيد، وإذا كانوا يعطون فجميع النّعم من الله، فهو يستر عيوب المخلوقين، ويفعل معهم من الإحسان مايفوق الوصف، كما يأتي

شرحه.

وإذا كان هذا شأنه فمن فرعون وجنوده وثمود وجنودهم، ألم يهلكهم الله يبطشه، هذا ملخّص هذه الآيات، إذن فلنشرع في ذكر جمال هذا القول فنقول ومن الله التوفيق:

اعلم أنّ النّاس يعيشون على الأرض غارقين في النّعم، مغمورين في الخير تحيط بهم الأنوار الكوكبيّة والهواء الجوّيّ. ولاحياة للنّاس إلّا بالأضواء ولابقاء لهم دقائق إلّا بالهواء، ولاترى أحدًا من النّاس يفكّر في نعمة الهواء، ولافي نعمة الأضواء الشّمسيّة والقمريّة والكوكبيّة. ولاحياة أيضًا للنّاس إلّا بماء وبنبات وحيوان.

فالنّاس غارقون في النّعم الهوائيّة والمائيّة والضّوئيّة والغذائيّة والدّوائيّة، ونعم الملابس، ونعم الدّول والممالك، ونعم العلوم والدّيانات. لكن كثرة النّعم توجب إنكارها، لأنّها لشدّة ظهورها زادت خفاء كثرة النّعم على النّاس حتّى صارت منكورة لأنّهم غرقوا فيها.

هذا هو قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾ وقوله: ﴿الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ فانظر ماذا فعل لتعرف إحسانه بالنّقم كما عرفت إحسانه بالنّعم. انظر ألست ترى أنّ الإنسان له روح وجسم، فهذه النّعم لحياة الجسم وحياته قصيرة. فانظر كيف أراد الله أن يرينا ذلك، فماذا فعل؟ سلّط الحرّ والقرّ والقحط والمرض والوباء والجدريّ والتّيفوس والتّيفود والموت والفراق والقتل والخنق والضّرب والحرب والمدافع والطّيّارات والغازات الخانقة وعداوات الأمم لأجل الغذاء والملك.

فهذه هي النّقم المذكورة في قوله: «العزيز» وفي قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، فبينا ينظر الإنسان في السّماء ذات البروج فيرى جمالًا وإشراقًا وحسنًا وبهجةً تأخذ بالألباب؛ إذا به قد فجع بموت عظيم أو قريب أو حبيب، أو فوجئ بخطب جسيم كأنّه يقال له: أنت لم تخلق للبقاء هنا، فاذهب إلى ذلك الجمال.

هذه النّقم هي الموقظات للأمم والأفراد فتجعلهم يفكّرون فيما حولهم، وينظرون في أمرهم، فالمريض يعرف نعمة الصّحّة. والجائع يعرف قيمة نعمة الغذاء. والّذي عطش يعرف نعمة الماء، والأمم الّتي وقعت في حرب تعرف نعمة الاجتماع.

فالنّاس يعيشون مذهولين من كثرة النّعم حتّى يحسد بعضهم بعضًا على الصّحّة والقوّة والغنى والثّروة. فإذا جاءت الحرب عرفوا أنّ هؤلاء نعمة عليهم لانقمة. وهناك تأخذ تلك المصائب تفتّح العقول المقفلة، والأبواب الموصدة، والأفهام الخامدة. والنّفوس الجامدة، وتطلق الأرواح المسجونة، ويقول العلماء: «لايظهر الفلاسفة في أمّة إلّا أيّام محنتها» فالمحن تظهر مواهب هؤلاء الفلاسفة.

شذرة عامّة من التّاريخ

لقد قدّمت لك في هذا التّفسير ماخاطب به أرسطاطاليس الفيلسوف اليونانيّ تلميذه الإسكندر قائلًا: «إيّاك أن تنيم الشّعب على فراش الرّاحة الوثير فإنّ النّاس لايتحمّلون النّعم كما يتحمّلون النّقم». ونصحه أن يشغل النّاس بأعمال وإلّا ذهبت منهم النّخوة وبطروا وشرهوا، فاستولى عليهم الذّلّ والهوان وقهر

الأمم المحيطة بهم. وضرب له مثلًا بالأُمم الّتي هلكت بالنّعيم.

وقد أذاع فلاسفة الألمان في عصرنا كتبًا نشروها قبيل الحرب الكبرى: إنّ الدّولة إذا لم تُصب بحروب مُهلكة فإنّها تغرق في النّعيم وتنسى كمالها وعظمتها، فمن أراد أن يوقظ دولة فليبتدع لها حربًا تنشطها وتلمّ شعثها. ثمّ إنّنا نرى الله عزّوجلّ جعل هذا قاعدة عامّة.

فالأُمم البدويّة الّتي ترحل من مكان إلى مكان في تتبّع مساقط المطر تكون أقوى أبدانًا وأصحّ نفوسًا وأقرب إلى الشّجاعة، والأُمم الّتي أتاها الخير والنّعيم من كلّ جانب فهم يزرعُون ويأكلون ويشربون لايخافون الفقر والقحط. فهؤلاء يكثر نسلهم كما قلّ نسل من قبلهم.

ولكن انظر ماذا ترى، ترى الأوّلين أعزّاء أقوياء لايتغلّب عليهم مُتغلّب إلّا قليلًا. وإن تغلّب لايقدر على كسر شكيمتهم، وترى الآخرين قد رخصت الأسعار عندهم، وكثر الّذين يُعطونهم بالرّبا الفاحش ورخصت أُجورهم في العمل لكثرة عددهم. وفوق ذلك يأتي لهم العدوّ بالمدافع والجيوش فيتسلّط عليهم ليشاركهم في رزقهم.

فانظر كيف أيقظ الله النّاس على الأرض. قوم خلقهم في أرض قفراء فعلّمهم الشّجاعة والهمّة، وقوم منحهم سعة الرّزق وسلّط عليهم الذّلّ.

انظر إلى أُمّتنا الإسلاميّة، جاء الإسلام لعرب في بادية الحجاز وحَضَره، فلمّ شعثهم وكانوا متفرّقين، إنّما كانت بلادهم قد علّمتهم الجَلَد والصّبر وشَظَف العيش.

وهذه آثار صفات العِزّة وصفات البَطْش الشّديد؛ فتعلّموا قبل النّبوّة تعلّمًا طبيعيًّا مَرّنَهُم على الصّبر ومكارم الأخلاق، كما تراه في أشعارهم.

جاء الإسلام وأُمروا بالفتح، ولكن صاحب الشّريعة ﷺ ـ كما جاء في الصّحيح وذكرته في هذا التّفسير سابقًا ـ قال لهم مامعناه: إنّ أخوف ماأخاف عليكم مايُفتَح عليكم من زينة الدّنياوزخرفها، فقال له أعرابيّ: أوَ يأتي الشّرّ من الخير؟ فأجابه ﷺ ضاربًا المثل بالمطر والنّبات، فالمطر خَير ولكن الشّرّ عارض.

فهو ﷺ لمّا انتصر الإسلام لم تَفُتْه هذه، فأفْهَمَهم أنّ كثرة النّعم أخافته ﷺ على المسلمين. وقد تمّ ذلك بعد وفاته، فإنّهم فتحوا البلاد شرقًا وغربًا، فاتّسعت دائرة الحسد والعداوة بينهم وكان ماكان، حتّى عظم المُلك وتداخل فيه الفُرس والتُّرك، وذهبت الدّولة بسبب البِطْنة والنّعيم، كما أخبر ﷺ في «البخاريّ» أنّه يخاف ذلك. وكما قال تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ الأحقاف: ٢٠.

هنالك جاء التّتار والمغول في القرن السّادس والسّابع ومابعدهما وضربوا دولة الإسلام من جهة الشّرق، ولم يكن عند قطب أرسلان الّذي هجم عليه جنكيز خان هو ولا علماء الإسلام علم بقوّة المغول والتّتار، كما تقدّم في سورة الكهف عند ذكر يأجوج ومأجوج، هذا في جهة الشّرق، وترى نظيره في بلاد الأندلس فذهبت الدّولة الأُمويّة هناك، ثمّ تفرّقت

المملكة إلى ممالك صغيرة.

ولمّا سُلّطت عليهم البِطْنة والإسراف تفرّقت القلوب وصار كلّ منهم يتقرّب إلى ملوك الأسبان وهم في خمرهم ولهوهم ولعبهم وتفرنجهم وشعرهم الغزليّ وخيالهم مغمورون، قد تركوا العلوم العقليّة وفرحوا بالغزل. وأضحى كتاب «الأغاني» هو دائرة معارفهم ومافيه من الخمر والغزل والشّهوات، وحكايات أبناء الملوك الفاسقين، حتّى خرّ عليهم السّقف من فوقهم، وطرد الأسبان المفكّرون هؤلاء الخياليّين التّائهين في أوائل القرن العاشر الهجريّ، وهم نحو خمسة عشر مليونًا غرق منهم قوم في البحر، وقتل آخرون، وتنصّر بعض، ونزح إلى مراكش وتونس والجزائر جماعة.

فماذا حصل، هاهم أُولاء الآن يحاربون الأسبان الّذين لحقوهم هم والفرنسيّون، ودخلوا بلادهم في هذا القرن، وماذا حصَل، رأينا أيّام كتابة هذه السّطور أنّ النّار المُحرِقة وشَظَف العيش في نحو أربعة قرون ربّى هؤلاء المطرودين من أسبانيا، فهاهم أُولاء الآن يطردونهم من بلادهم ويأسرونهم.

فأمّا الأسبان فإنّ الدّرس الّذي أُعطي لأبناء العرب درسٌ لهم بنفسه، فإنّهم ورثوا أرض الأندلس فوقعوا في النّعيم، وهاهم أولاء اليوم يفرّون من وجه من كانوا أخرجوهم بالأمس، وقد أسر الأمير عبد الكريم منهم مليونًا وبضعة آلاف، وشركات الأسبان أنفسها تبيع له الذّخيرة والآلات الحربيّة.

هذا هو تفسير «بَطْش ربّك» بَطْش بأُمّتنا الإسلاميّة في الشّرق وفي الأندلس، وسيبطش بجميع الأمم الظّالمة في الشّرق والغرب. وهذه مصر وسوريا والعراق وبلاد جاوه، كلّ هذه رازحة تحت سيطرة الأُمم الغربيّة، وإنّ بطش ربّك لابدّ منه، وسينقذ هؤلاء كما أنقذ الرّوس من حكم القياصرة، وجعل التّرك وإيران والأفغان مستقلّات وهذا أمر قريب الحصول.

أقسم الله بالسّماء ذات النّجوم العظيمة، ولاجرم أنّ السّماء هي العوالم جميعها، إنّ الإنسان ينظر وهو فوق الكرة الأرضيّة فيرى قُبّة زرقاء فيها جميع العوالم الكونيّة، ومعلوم أنّ في السّماء أسباب رزقنا من مطر ونور وحرارة بأشعّة الكواكب والشّمس، فإن لم تكن هذه فلا رزق في الدّنيا، وهذه العوالم مدبّرة بملائكة طبقًا عن طبق، وتحت هؤلاء كلّهم نفوسنا الأرضيّة، ومعلوم أنّ المقصود من هذا كلّه النّفوس وترقّيها، وذلك يظهر في اليوم الموعود حين يحضر هناك الشّاهد والمشهود، وهما جميع الأمم كما عرفت.

أقسم الله بهذا كلّه: أنّ الظّالمين يُلعَنون قديمًا وحديثًا، وقد شرحت ذلك تفصيلًا قبل هذا.

(٢٥: ١٠٨)

الطَّباطَبائيّ: الآية إلى تمام سبع آيات تحقيق وتأكيد لما تقدّم من الوعيد والوعد.

وفي إضافة «البَطْش» إلى «الرّبّ» وإضافة «الرّبّ» إلى الكاف تطييب لنفس النّبيّ ﷺ بالتّأييد والنّصر، وإشارة إلى أنّ لجبابرة أُمّته نصيبًا من الوعيد المتقدّم.

(٢٠: ٢٥٢)

المُصْطَفَويّ: أي بطشه في صورة المقتضي له.

(١: ٢٧٢)

بَطْشًا

وَكَمْ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ اَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا.. .
ق: ٣٦

الطُّوسيّ: أشدّ قوّة من هؤلاء، وأكثر عدّة كقوم عاد وغيرهم، فلم يتعذّر علينا ذلك. (٩: ٣٧٣)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٥: ١٤٩)، وأبوالسُّعود (٦: ١٣٠)، والبُرُوسَويّ (٨: ١٣٣).

الشِّربينيّ: أي قوّة وأخذًا لما يريدونه بالعُنف والسّطوة والشّدّة. (٤: ٩٠)

بَطْشَتَنَا

وَلَقَدْ اَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ. القمر: ٣٦

الهَرَويّ: حذّرهم إيقاعنا بهم. (١: ١٨٠)

الزَّمَخْشَريّ: أخذتنا بالعذاب. (٤: ٤٠)

نحوه الطَّبْرِسيّ (٥: ١٩٢)، وأبوحيّان (٨: ١٨٢)، وأبوالسُّعود (٦: ١٧٠)، والبُرُوسَويّ (٩: ٢٨٠)، والطَّباطَبائيّ (١٩: ٨١).

الفَخْرالرّازيّ: وفي قوله: (بَطْشَتَنا) وجهان:

أحدهما: المراد البطشة الّتي وقعت وكان يخوّفهم بها، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿اِنَّا اَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ القمر: ٣٤، فكأنّه قال: إنّا أرسلنا عليهم ماسبق، ذكرها للإنذار بها والتّخويف.

وثانيهما: المراد بها مافي الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرٰى﴾ الدّخان: ١٦، وذلك لأنّ الرّسل كلّهم كانوا يُنذرون قومهم بعذاب الآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَاَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظّٰى﴾ اللّيل: ١٤، وقال: ﴿وَاَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْاٰزِفَةِ﴾ المؤمن: ١٨، وقال تعالى: ﴿اِنَّا اَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ النّبأ: ٤٠، إلى غير ذلك.

وعلى ذلك ففيه لطيفة وهي أنّ الله تعالى قال: ﴿اِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البروج: ١٢، وقال هاهنا: (بَطْشَتَنا) ولم يقل: «بَطْشَنا» وذلك لأنّ قوله تعالى: ﴿اِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ بيان لجنس بطشه، فإذا كان جنسه شديدًا فكيف الكبرى منه.

وأمّا لوط عليه السلام فذكر لهم ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرٰى﴾ لئلّا يكون مقصّرًا في التّبليغ. (٢٩: ٥٩)

الشِّربينيّ: أي أخذتنا المقرونة من الشّدّة بما لنا من العظمة، وهي العذاب الّذي نزل بهم.

وقيل: هي عذاب الآخرة، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرٰى﴾ الدّخان: ١٦. (٤: ١٥١)

الآلوسيّ: أخذتنا الشّديدة بالعذاب؛ فجوّز أن يراد بها نفس العذاب. (٢٧: ٩٠)

الوُجوه والنّظائر

مُقاتل: تفسير: «البَطْش» على وجهين:

فوجه منها: البَطْش يعني العقوبة، وذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ اَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ القمر: ٣٦، يعني عقوبتنا، كقوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرٰى﴾ الدّخان: ١٦، يعني نعاقب العقوبة الكبرى، وقال: ﴿اِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البروج: ١٢: يعني إنّ عقاب ربّك لشديد.

والوجه الثّاني: البَطْش يعني قوّة، فذلك قوله: ﴿وَكَمْ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ اَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ ق:

٣٦. يعني قوّة، وقال: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ الزّخرف: ٨، يعني قوّة. (٣٢٥)

مثله هارون الأعور (٣٧٠)، والدّامغانيّ (١٦٩).

الأُصول اللّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة: البَطْش، وهو الأخذ بالقوّة والشّدّة والعُنف، يقال: بَطَشَ يَبْطُشُ ويَبطِشُ بَطْشًا، وبَطَش به بَطْشًا: سطا عليه في سرعة، وباطَشَهُ مباطشةً. والله ذوالبطش الشّديد، ورجل شديد البَطْش. وفي الحديث: «فإذا موسى باطش بجانب العرش» أي متعلّق به بقوّة، ويقال أيضًا: بَطَشَ فلانٌ من الحمّى، إذا أفاق منها وهو ضعيف، أي خلص من البَطْش، ففيه معنى النّفي، مثل: القسط، فهو العدل، وقد يأتي بمعنى نفيه، مثل: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ الجنّ: ١٥، أي الظّالمون.

٢ـ وقد نُسب البَطْش إلى اليد كما نُسب إليها القوّة والقُدرة والسّلطان، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾، وقولهم: يد باطشة، إذ بها يتمّ الأخذ الشّديد والتّناول عند الصّولة. وهو مذموم شرعًا، لما ورد في «مسند ابن حنبل» عن النّبيّ ﷺ: «واليد زناها البَطْش»، إلّا مانُسب إليه تعالى، كقوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البروج: ١٢، وقوله في السّنّة النّبويّة كما نقله البرقيّ في «المحاسن» والبخاريّ في «صحيحه»: «فإذا أحببته (أي المؤمن) كنت سمعه الّذي يسمع به، وبصره الّذي يبصر به، ولسانه الّذي ينطق به، ويده الّتي يبطش بها، ورجله الّتي يمشي بها». وقول عليّ ﵇ في «النّهج»: «فلاتستبطئوا وعيده جهلًا بأخذه، وتهاونًا ببطشه».

٣ـ ومن المجاز قولهم: فلان يبطش في العلم بباع بسيط، أي يتناوله ويحوزه إليه، وبَطَشَتْ بهم أهوال الدّنيا، أي أخذتهم بشدّة وعُنف، وجاءت الرّكاب تبطش بالأحمال، أي ترجف بها.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها في القرآن عشر مرّات: فعل ماضٍ مرّتين، وفعل مضارع ثلاث مرّات، ومصدر أو اسم مصدر خمس مرّات، في ثماني آيات:

أ ـ بطش الله:

١ـ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ الدّخان: ١٦

٢ـ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البروج: ١٢

٣ـ ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ القمر: ٣٦

ب ـ بطش العباد:

٤ـ ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ الشّعراء: ١٣٠

٥ـ ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي﴾ القصص: ١٩

٦ـ ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ الأعراف: ١٩٥

٧ـ ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ الزّخرف: ٨

٨ - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ ق: ٣٦

يلاحظ أوّلًا: أنّ بَطْشَ الله هو مؤاخذته ومجازاته للمستحقّين لها إمّا في الآخرة: (١) و(٢)، أو في الدّنيا: (٣)، لأنّ ماقبلها في قوم نوح: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾، فليس فيها تجاوز وظلم، بل كلّها عدل. بخلاف بَطْش النّاس، فإنّه في الدّنيا وباليد غالبًا، وقد صرّح به في (٦): ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾، أو مايعمّ اليد، كما هو ظاهر سائر الآيات، وليس فيه مجازاة، بل كلّها تجاوز وظلم ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾، وسياقها ذمّ.

ثانيًا: سياق الآيات إضافة إلى لفظ «البطش» تجسيم وتصوير للشّدّة في الموردين: ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾، ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾، ﴿أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾.

ثالثًا: جاء في الله «البطشة» اسم مصدر مرّتين: (١) و(٣)، والمراد بها ماعاقبهم الله به، و«بَطْش» مصدرًا مرّة في (٢)، وفي النّاس مصدرًا مرّتين بسياق واحد: ﴿أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾.

رابعًا: جاء لله فعلًا مضارعًا مرّة: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾، وللنّاس فعلًا ماضيًا مرّتين: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ﴾، ومضارعًا مرّتين: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ﴾، ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾، فنسب البَطْش إلى الله فعلًا ومصدرًا واسم مصدر أربعًا، وإلى النّاس فعلًا ومصدرًا ستًّا، مع البون الشّاسع بينهما، فإنّ بَطْش الرّبّ - كما سبق - مجازاة وعَدل، وهو مجاز، وبطش النّاس تجاوز وظلم، وهو حقيقة.

خامسًا: جاء «الأخذ» في القرآن مكان «البَطْش» منسوبًا إلى الله بكثرة في الدّنيا، مثل: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ هود: ١٠٢، أو إلى «العذاب» مثل ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ هود: ٩٤، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ الأعراف: ٧٨. وفي الدّنيا والآخرة، مثل: ﴿فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ النّازعات: ٢٥.

وكذلك «المؤاخذة» في الدّنيا، مثل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ النّحل: ٦١، وفي الآخرة، مثل: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ البقرة: ٢٨٦. ولم يرد «الأخذ» في القرآن بهذا المعنى منسوبًا إلى النّاس، فهذا فارق بين «البَطْش» و«الأخذ» في عرف القرآن.

وهناك فرق آخر، وهو أنّ «البَطْش» أخذ فيه القوّة والشّدّة كما سبق، أمّا «الأخذ» و«المؤاخذة» فطلق غير محدّد بهما، اللّهمّ إلّا أن يدلّ عليه السّياق، مثل: ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود: ١٠٢.

وقد اجتمع «الأخذ» منسوبًا إلى الله، مع «القوّة» منسوبة إلى النّاس في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ﴾ المؤمن: ٢١، لاحظ «أ خ ذ» والآيات في «المعجم المفهرس».


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ب ط ل

٨ ألفاظ ، ٣٦ مرّة : ٢١ مكّيّة ، ١٥ مدنيّة

في ٢٣ سورة : ١٥ مكّيّة ، ٨ مدنيّة

بَطَل ١ : ١ — باطل ٢ : ٢

يبطل ١ : ١ـ — الباطل ٢٢ : ١١ ـ ١١

سيُبطله ١ : ١ — باطلًا ٢ : ١ ـ ١

تبطلوا ٢ : ـ ٢ — المبطلون ٥ : ٥

النُّصوص اللُّغويّة

الخَليل : بَطَل الشّيء يَبْطُل بُطْلًا ، أي ذهَب باطلًا .

والباطِل : نقيض الحقّ . [ثمّ استشهد بشعر]

وأبْطَلْته : جعلتهُ باطلًا ، وأبطلتُ : جِئت بكَـذِب ، وادّعيت غيرَ الحقّ .

والتَّبطّل : فعل البَطالة ، وهو اتّباع اللّهو والجهالة .

والبَطَل : الشُّجاع الّذي يُبطِل جراحتَه ولايكترِث لها ، ولاتكفّه عن نَجْدته ، وإنّه لَبَطَلٌ بَيّنُ البُطُولة .

وبطّلني فلان : منعني عملي .

وتقول : البَطَل الرّجل هذا ، أي إنّه بَطَلٌ . والبَطَلُ الشّيء هذا ، أي إنّه باطل .

وجمع البَطَل : أبطال . (٧ : ٤٣٠)

سِيبَوَيه : الباطِل : نقيض الحقّ ، والجمع : أباطيل ، على غير قياس ، كأنّه جمَع إبطال أو إبطيل .

(ابن منظور ١١ : ٥٦)

الأحمر : بَطَلٌ بَيّن البَطالة والبُطُولة . وبَطّال بَيّن البِطالة . (الأزهَريّ ١٣ : ٣٥٤)

نحوه الهَمَذانيّ . (٦٤)

الفَرّاء : [في مراتب الشّجاعة]

رجل شجاع ، ثمّ بَطَل ، ثمّ صِمّة ، ثمّ بُهْمة ، ثمّ ذِمْر ، ثمّ حَلِس وحَلْبَس ، ثمّ أهْيَسُ ألْيَسُ ، ثمّ نَكَل ، ثمّ نَهيك ومِحْرَبُ ، ثمّ غَشَمْشَم وأليَم .

مثله ابن الأعرابيّ . (الثّعالبيّ : ٨٧)

أبوزَيْد : يقال : رجل بَطَل ، ولايقال : امرأة بَطَلة .

(ابن دُرَيْد ١ : ٣٠٨)

اللِّحيانيّ: وتَبطَّلوا بينهم: تداولوا الباطل وبينهم أُبطُولة يتبطَّلون بها، أي يقولونها ويتداولونها.

(ابن سيدة ٩: ١٧٨)

ابن الأعرابيّ: بَطّال بَيِّن البَطالة، بالفتح، يعني به البَطَل. وامرأة بَطَلة، والجمع بالألف والتّاء، ولايكسَّر على «فعال» لأنّ مذكّرها لم يكسَّر عليه.

(ابن منظور ١١: ٥٧)

أبوحاتِم: واحدة الأباطيل: أُبطولة.

(ابن منظور ١١: ٥٦)

شَمِر: بطّال بَيِّن البَطالة والبِطالة وبَطُلَ البَطالةَ. وبَطَلَ الأجيرُ يَبطُل بِطالة، وفي الباطل أيضًا: بَطَلَ الشّيء يَبطُل بَطالةً. (الأزهَريّ ١٣: ٣٥٤)

ابن دُرَيْد: بَطَل الشّيء يَبطُل بُطولاً، إذا تَلِف، وأبطَلته إبطالاً، والبُطل والباطل واحد.

وبَطُل الرّجل بُطولةً، إذا صار بَطَلًا.

وبَطَل بَطالةً، إذا هَزَل وكان بَطّالاً.

والبُطْلان: مصدر بَطَل الشّيء بُطلانًا أيضًا.

والأباطيل: جمع إبطالة وأُبطولة، ويقال: جاء فلان بالأباطيل. (١: ٣٠٨)

الصّاحِب: البُطل: مصدر الشّيء الباطل، بطَل يبطُل بُطلًا وباطلًا.

وأبطَلته: جعلته باطلًا، وأبطَلَ: جاء بباطلٍ، وهو مُبطِل.

وبينهم أُبطولة، أي يتبطّلون. وجاءنا بالبُطّلات، نحو التُّرَّهات. والتّبطيل: فعل البَطالة والجَهالة.

والبَطَل: الشّجاع الّذي تَبطُل جراحتُه، بَطَلٌ بيِّنُ البُطُولة والبَطالة، وامرأة بَطَلة من نساء بَطَلات، والجمع: الأبطال. (٩: ١٨١)

الأزهَريّ: قال أبوخَيْرَة: إنّما سمّي البَطَل بَطَلًا، لأنّه يُبطِل العظائم بسيفه فيُبَهرِجها.

وقال غيره: سمّي بَطَلًا، لأنّ الأشدّاء يَبطُلون عنده.

ويقال: الدِّماء تَبطُل عنده، فلايُدرك عنده ثأر.

وقال: البَطَلة: السَّحَرة، وجاء في الحديث: «لاتستطيعه البَطَلة». (١٣: ٣٥٤)

الجَوهَريّ: الباطل: ضدّ الحقّ، والجمع: أباطيل على غير قياس، كأنّهم جمعوا إبطيلًا.

وقد بَطَل الشّيء يَبطُل بُطْلًا وبُطُولاً وبُطْلانًا، وأبطَلَهُ غيره.

ويقال: ذهب دمه بُطْلًا، أي هَدَرًا.

والبَطَلُ: الشّجاع، والمرأة بَطَلَة، وقد بَطُلَ الرّجل بالضّمّ يَبطُل بُطُولةً وبَطالةً، أي صار شجاعًا.

وبَطَلَ الأجيرُ بالفتح بَطَالَةً، أي تعطّل فهو بَطّالٌ.

(٤: ١٦٣٥)

نحوه مختار الصّحاح. (٥٦)

أبوهِلال: الفرق بين قولك: أبطَلَ، وبين قولك: أدْحَضَ: أنّ أصل الإبطال: الإهلاك، ومنه سمّي الشّجاع بطَلًا لإهلاكه قِرْنه، وأصل الإدحاض: الإذلال، فقولك: أبطَلَه يفيد أنّه أهلكه، وقولك: أدْحَضَه يفيد أنّه أزاله[1].

ومنه: مكان دَحِض، إذا لم يَثبُت عليه الأقدام، وقد دَحِضَ، إذازلّ[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ

---

(١) كذا، والظّاهر، أذلّه.

(٢) كذا و الظّاهر، ذلّ، أو زال.

عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الشّورى: ١٦. (١٩٦)

ابن فارِس: الباء والطّاء واللّام أصل واحد، وهو ذَهاب الشّيء، وقِلّة مكثه ولُبثه، يقال: بَطَلَ الشّيء يَبطُل بُطْلًا وبُطُولًا.

وسمّي الشّيطان الباطلَ، لأنّه لاحقيقة لأفعاله، وكلّ شيء منه فلامرجُوع له ولامُعوَّلَ عليه.

والبَطَل: الشّجاع، قال أصحاب هذا القياس: سمّي بذلك لأنّه يُعرّض نفسه للمَتالف. وهو صحيح، يقال: بَطَلٌ بَيّن البُطُولة والبَطالة، وقد قالوا: امرأةٌ بَطَلَـةٌ.

فأمّا قولهم في المَثَل: «مُكرَهٌ أخُـوك لابَـطَل» فـقد اختُلف فيه. (١: ٢٥٨)

الهَرَويّ: في الحديث: «لايستطيعه البَطَلَةُ» يـعني السَّحَرة، يقال: أَبطَلَ، إذا جاء بالباطل. (١٨١)

الثّعالبيّ: لايقال للشّجاع: كَـمِيّ، إلّا إذا كـان شاكِيَ السّلاح، وإلّا فهو بَطَل. (٥١)

إذا كان [الإنسان] يُبطِل الأشدّاء والدّماء فلايُدرك عنده ثأر، فهو بَطَل. (٨٦)

أبوسَهْل الهَرَويّ: تقول: رجل بَطّال بَيّن البِطالة، أي فارغ لاعمل له، وقد بَطَل بفتح الطّاء.

ورجل بَطَل، أي شجاع بَيّن البُطُولة، وقد بَطُل بضمّ الطّاء، أي صار شجاعًا، أي شديد القـلب ثـابتًا عـند القتال والحرب.

وبَطَل الشّيء بفتح الطّاء يَبطُل بضمّها بُطْلًا بسكونها وضمّ الباء وبُطُولًا إذا ذَهب وزال وفَسد ولم يَثبُت. (٣٤)

ابن سيدة: بطَل الشّيء يَبطُل بُطْلًا وبُطُولًا وبُطلانًا: ذهبَ ضياعًا وخسرانًا، وأبطله هو.

وبَطَل في حديثه بَطالةً، وأبطَل: هزَل.

والاسم: البُطْل.

والباطل: نقيض الحقّ، والجمع: أباطيل، على غير قياسٍ، كأنّه جَمعُ إبطال أو إبْطيل، هذا مَذْهَبُ سيبَويه.

وقال أبوحاتِم: واحدةُ الأباطيل أُبطُولَة، وقال ابن دُرَيْد: واحدتها إبطالَة.

ودعوى باطِلٌ، وباطِلَـةٌ، عن الزّجّاج.

وأبطَل: جاء بالباطل.

ورجُلٌ بَطّال: ذوباطل.

وقالوا: باطلٌ بَيّن البُطُول.

وقوله عزّوجلّ: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ سبأ: ٤٩، قيل: الباطل هنا: إبـليس، أراد: ذوالباطل، أي: صاحب الباطل، وهو إبليس.

ورجلٌ بَطَلٌ، بَيّن البَطالة والبُطُولة: شُجاعٌ تَـبطُل جِراحتُه فلايكترِث لها، ولاتَبطُل نَجادَتُه، وقـيل: هـو الّذي تَبطُل عنده دماءُ الأقران، من قوم أبطال.

وبَطّال بَيّن البَطالة، وقد بَطُل وتَبَطّل، قال أبو كبير الهُذَليّ:

ذَهَبَ الشّبابُ وفات منه ما مضى
ونَـضا زُهَـيرٌ كَـريهَتي وتَـبطُّلي

وجَعلَه أبوعُبَيْد من المصادر الّتي لاأفعال له.

وحكَى ابن الأعرابيّ: بَطّالٌ بَيّن البَطالة، بـالفتح، يعني به البَطَل. وامرأةٌ بَطَلَة، والجمع بالألف والتّاء، ولا تُكسَّر على فِعال؛ لأنّ مذكّرها لم يُكسّر عليه. (٩: ١٧٧)

البُطولة: الشّجاعة، بَطُل بُطُولة وبَطالة فهو بَطَل، والجمع: أبطال.

والبَطَل: الّذي يُبطِل الأشدّاء والدّماء فلايُدرك عنده ثأر لشجاعته، وتَبطّل: تشجّع. (الإفصاح ١: ١٤٢)

البُطلان: بَطَل الشّيء يَبطُل بُطْلًا وبُطُولًا وبُطلانًا: ذهب ضياعًا وخُسرًا، وأبطلته أنا.

وذهب دمُه بُطْلًا: قُتِل ولم يؤخذ له ثأر ولادِيَة.

(الإفصاح ٢: ١٣٥٣)

الطُّوسيّ: البُطلان والفساد والكذب والزّور والبُهتان، نظائر. وضدّ الحقّ: الباطل، يقال: بطَل بُطُولًا وبُطْلًا وبُطلانًا، إذا تلف، وأبطلته إبطالًا، إذا أتلفته.

والبُطْل والباطل، واحد.

وبَطُل الرّجل بُطُولة، إذا صار بَطَلًا. ويقال: رجل بَطَل، ولايقال: امرأة بَطَلة.

وبَطَل، بَطالة، إذا هَزَل، وكان بطّالًا. والأباطيل: جمع إبطالة وأُبطولة. والباطل: ضدّ الحقّ.

وأبطلته: جعلته باطلًا. وأبطل فلان، إذا جاء بباطل.

والبَطَل: الشّجاع الّذي يُبطِل جراحاته، لايكترث لها، ولاتكفّه عن نجدته.

وأصل الباطل: الخبر الكذب، ثمّ كثُر حتّى قيل لكلّ فاسد.

ويقال: فعل باطل، أي قبيح، وبناء باطل، أي مُنتقِض، وزرع باطل، أي مُحترقٌ تالف. (١: ١٩٠)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (١: ٩٥)

الرّاغِب: الباطل: نقيض الحقّ، وهو مالاثبات له عند الفحص عنه، قال تعالى: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَاَنَّ مَايَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ لقمان: ٣٠.

وقد يقال ذلك في الاعتبار إلى المَقال والفِعال، يقال: بَطَل بُطُولًا وبُطْلًا وبُطلانًا وأبْطَلَهُ غيره، قال عزّوجلّ: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ١١٨، وقال تعالى: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ آل‌عمران: ٧١.

ويقال للمستقِلّ عمّا يعود بنفعٍ دنيويّ أو أُخرويّ: بَطّال: وهو ذوبِطالةٍ بالكسر.

وبَطُلَ دَمُه، إذا قُتِل ولم يحصل له ثأرٌ ولادية.

وقيل للشّجاع المتعرّض للموت: بَطَلٌ، تصوّرًا لبُطلان دمه، كما قال الشّاعر:

فقلتُ لها لاتنكحيهِ فإنّه

لأوّل بُطْلٍ أن يُلاقيَ مَجمَعًا

فيكون «فَعَلًا» بمعنى «مفعول» أو لأنّه يُبطِل دم المتعرّض له بسوء، والأوّل أقرب.

وقد بَطُل الرّجل بُطُولةً: صار بَطَلًا وبَطّالًا نُسب إلى البَطالة. ويقال: ذهب دمه بُطْلًا، أي هَدَرًا.

والإبطال يقال في إفساد الشّيء وإزالته، حقًّا كان ذلك الشّيء أو باطلًا، قال الله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ الأنفال: ٨.

وقد يقال فيمن يقول شيئًا لاحقيقة له، نحو: ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِاٰيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ الرّوم: ٥٨، وقوله تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ المؤمن: ٧٨، أي الّذين يُبطلون الحقّ.

(٥٠)

الزَّمَخْشَريّ: هو باطلٌ بَيِّن البُطلان، وبَطّال بَيِّن

البِطالة بالكسر، وقد بَطَل بالفتح.

وبَطَلٌ بَيِّن البطالة بالفتح، وقد بَطُل بالضمّ.

ويقال: لَبَطُلَ الرّجل، هذا في التّعجّب من البَطَل، ولَبَطُلَ القول، هذا في التّعجّب من الباطل.

وقال فلان قولاً بُطْلًا، وساق كلمات خطَلًا من الخَطَل.

وأعوذ بالله من البَطَلة: وهم الشّياطين.

وأبطَل فلانٌ: جاء بالباطل، وجاء بالأضاليل والأباطيل، ولقد تبطّل ولدُك.

وشرّ الفِتيان المتبطِّل المتعطِّل، وبَطّله فلان.

وكانت فلانة شجاعة بَطَلَة.

وذهب دمه بُطْلًا. (أساس البلاغة: ٢٥)

ابن الشّجَريّ: البَطَل: الشّجاع، وألزموه في الجمع مثال «أفعال» كما قالوا في الاسم: أرسان وأقلاب وأقلام وأقتاب، فلم يجاوزوا ذلك.

ومصدره: البُطُولة والبَطالة. وفعله بَطُل، مثل ظَرُف. واشتقاقه ـ فيما زعموا ـ من البُطْلان، قالوا: لأنّه الّذي تَبطُل عنده الدّماء. (١: ١٩٥)

الطَّبْرِسيّ: الباطل: الذّاهب الزّائل، يقال: بَطَل، إذا ذهب.

وقيل: الباطل هو ماتعلّق بالشّيء على خلاف ماهو به، خبرًا كان أو اعتقادًا أو ظنًّا أو تخيُّلًا. (١: ٢٨٢)

الباطل: الكائن بحيث يؤدّي إلى الهلاك، وهو نقيض الحقّ، فإنّ الحقّ كون الشّيء بحيث يؤدّي إلى النّجاة. (٢: ٤٦٢)

ابن الأثير: في حديث الأسود بن سريع: «كنت أنشد النّبيّ ﷺ، فلمّا دخل عمر قال: اسكتْ إنّ عمر لايحبّ الباطل» أراد بالباطل: صناعة الشّعر واتّخاذه كسبًا بالمدح والذّمّ.

فأمّا ماكان يُنشده النّبيّ ﷺ فليس من ذلك، ولكنّه خاف أن لايَفرِق الأسود بينه وبين سائره، فأعْلَمَه ذلك.

وفيه: «شاكي السّلاح بَطَلٌ مُجَرَّبٌ» البَطَل: الشّجاع، وقد بَطُلَ بالضمّ بَطالةً وبُطُولةً. (١: ١٣٦)

الفَخْرالرّازيّ: الباطل في اللّغة: الزّائل الذّاهب، يقال: بَطَل الشّيء بُطُولًا فهو باطل، وجمع الباطل: بواطل. وأباطيل: جمع أُبطولة.

ويقال: بَطَلَ الأجيرُ يَبطُل بَطالة، إذا تعطّل واتّبع اللّهو. (٥: ١٢٩)

الفَيّوميّ: بَطَلَ الشّيء يَبطُل بُطْلًا وبُطُولًا وبُطْلانًا بضمّ الأوائل: فسَد أو سقط حكمُه فهو باطل، وجمعه: بواطل.

وقيل: يُجمع أباطيل، على غير قياس.

ورجل بَطَلٌ، أي شجاع، والجمع: أبْطال، مثل سبب وأسباب. والفعل منه بَطُلَ بالضّمّ وِزانُ حَسُنَ، فهو حَسَنٌ.

وفي لغة: بَطَلَ يَبطُل من باب «قَتَل» فهو بَطَلٌ بَيِّن البَطالة بالفتح والكسر، سمّي بذلك لبُطْلان الحياة عند ملاقاته، أو لبُطْلان العظائم به.

قال بعض شارحي الحماسة: يقال: رجل بَطَلٌ وامرأة بَطَلَة، كما يقال: شجاعة. (١: ٥٢)

الفيروزآباديّ: بَطَلَ بُطْلًا وبُطولًا وبُطلانًا بضمّهنّ: ذهب ضياعًا وخُسْرًا، وأبْطَلَه، وفي حديثه

بَطالةً: هَزَل كأبطَلَ، والأجير: تَعطّل.

والباطل: ضدّ الحقّ، جمعه: أباطيل، وأبطَل: جاء به[1]، وإبليس، ومنه ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ سبأ: ٤٩.

ورجل بَطّال: ذوباطل بيّن البُطول.

وتبطّلوا بينهم: تداولوا الباطل.

ورجل بَطَلٌ محرّكةً، وكشدّاد بيّنُ البَطالة والبُطولة: شجاعٌ، تَبطُل جِراحتُه فلا يكترث لها، أو تَبطُل عنده دماءُ الأقران، جمعه: أبطال، وهي بهاءٍ، وقد بَطُل ككرُم، وتَبطّل.

والبُطّلاتُ كسكّرٍ: التُّرّهات، وبينهم أُبطُولة بالضمّ وإبطالّة بالكسر: باطل.

والبَطَلَة: السَّحَرة. (٣: ٣٤٥)

الطُّرَيحيّ: الباطل: خلاف الحقّ، والجمع: أباطيل، على خلاف القياس.

والباطل: الشرك أيضًا.

وأبطَلَ الرّجل، إذا جاء بالباطل.

وبَطَلَ من العمل بَطالة بالفتح، وحكي الكسر، وهو أفصح.

وربّما قيل: بِطالةً حملًا على العِمالة.

وبَطَل الشّيء يَبطُل بُطْلًا وبُطُولًا وبُطلانًا، وقول الشّاعر: *ألا كلّ شيء ماخلا الله باطل*

أي فانٍ، أو غير ثابتٍ أو خارجٌ عن حدّ الانتفاع، أي ماخلا الله وصفاته، وماكان له من الصّالحات كالإيمان والثّواب.

وذهب دمه بُطْلًا، أي هَدَرًا.

وبَطَلَ الأجير بَطالةً، أي تعطّل. (٥: ٣٢٢)

الجَزائريّ: الباطل والفاسد.

الأوّل: مالم يشرع بالكلّيّة، كبيع مافي بطون الأُمّهات.

والثّاني: مايشرع أصله، ولكن امتنع لاشتماله على وصف كالرّبا، كذا قاله الشّهيد في «تمهيد القواعد». (٦٦)

مَجْمَعُ اللُّغة: بَطَل الشّيء كنصر، يَبطُل بُطْلًا وبُطُولًا وبُطلانًا: ذهب ضياعًا.

وأبطَلَ الشّيء يُبطِلُه: جعله يذهب ضياعًا.

الباطل: هو العبث الّذي لافائدة فيه، كما يُطلق الباطل على نقيض الحقّ، وهو مالاثبات له عند الفحص.

ويقال: أبطَل فلان، إذا دعا باطلًا، فهو مُبطِل، وهم مبطلون. (١: ١٠٦)

نحوه محمّد إسماعيل إبراهيم. (١: ٧١)

محمود شيت: ١ ـ أ ـ بَطَل الشّيء بُطْلًا وبُطُولًا وبُطلانًا: ذهب ضياعًا، يقال: بَطَل دم القتيل، وذهب دمه بُطْلًا، إذا قُتِل ولم يؤخذ له ثأر، ولادية.

وبَطَل: فسد وسقط حكمه، يقال: بَطَل البيع، وبَطَل الدّليل، فهو باطل.

وبَطَل العامل بَطالة: تعطّل، فهو بَطّال.

ب ـ بَطِل في حديثه بَطالةً: هَزَل، فهو بَطِل.

ج ـ بَطُل الشّيء بُطُولةً: شَجُعَ، فهو بَطَل، جمعه: أبطال.

د ـ الباطل: ماوقع غير صحيح من أصله.

---

(١) يعني: بالباطل.

٢ـ البَطَل: الشّجاع المقدام، جمعه: أبطال. يقال: أظهر بطولة في المعركة. (١: ٨٨)

العَدْنانيّ: البَطالة، البِطالة، البُطالة.

يقول الشّيخ عبد القادر المغربيّ في كتابه «عثرات الأقلام في اللّغة»: صاحب بِطالة، أي عاطل من العمل، ويخطّئون فيفتحون الباء.

والحقيقة هي أنّنا نستطيع أن نقول:

أـ البَطالة: الصّحاح، ومعجم مقاييس اللّغة، والأساس، والمختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والمدّ، ومعجم كنز اللّغة لابن معروف (عربيّ فارسيّ) ودوزيّ، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

ب ـ والبِطالة: اللّسان، والمصباح (أفصح) ومستدرك التّاج، والمدّ، وأقرب الموارد، والمتن، والمغربيّ، والوسيط.

ج ـ والبُطالة: المصباح، والمدّ، والمتن، والوسيط.

وفعله: بَطَل من العمل يَبطُل بِطالةً، أو بَطالةً، أو بُطالةً، فهو بَطّالٌ. (٦٥)

المُصْطَفَويّ: الباطل: مقابل الحقّ، أي ما لاثبات له ولاواقعيّة. ولامحالة إنّه يزول ويمحو ولايَلبث وجوده.

والبُطلان إمّا في الوجود، أو في العمل، أو في القول، أو في الرّأي والنّظر.

والتّعريف الصّحيح للباطل هو مايقال: إنّ الباطل مايقابل الحقّ، فما ليس بحقّ فهو باطل.

والإبطال في مقابل الإحقاق، أي إزالة مايزول ومحوه.

وإطلاق البَطَل على الشّجاع باعتبار أنّ عنوانه وقدرته وقوّته وجميع تظاهراته غير ثابتة، لايُعتمد عليها، وليس لها ثبات وبقاء وحقيقة. (١: ٢٧٢)

النُّصوص التّفسيريّة

الباطل

لبس الحقّ بالباطل

١ـ وَلَاتَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. البقرة: ٤٢

ابن عَبّاس: لاتخلطوا الصّدق بالكذب.

(الطّبَريّ ١: ٢٥٤)

لاتخلطوا ماعندكم من الحقّ في الكتاب بالباطل، وهو التّغيير والتّبديل. (القُرطُبيّ ١: ٣٤٢)

أبو العالية: لاتخلطوا الحقّ بالباطل، وأدّوا النّصيحة لعباد الله في أمر محمّد عليه الصّلاة والسّلام.

(الطّبَريّ ١: ٢٥٥)

مثله سعيد بن جُبَيْر، والرّبيع. (ابن كثير ١: ١٤٦)

قالت اليهود: محمّد مبعوث ولكن إلى غيرنا، فإقرارهم ببعثه حقّ، وجحدهم أنّه بُعث إليهم باطل.

(القُرطُبيّ ١: ٣٤٢)

مُجاهِد: ﴿وَلَاتَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [لاتخلطوا] اليهوديّة والنّصرانيّة بالإسلام.

(الطّبَريّ ١: ٢٥٥)

الحسَن: كتموا صفة محمّد ﷺ ودينه، وهو الحقّ، وأظهروا دين اليهوديّة والنّصرانيّة. (الطُّوسيّ ١: ١٩١)

قَتادَة: ولاتلبسوا اليهوديّة والنّصرانيّة بالإسلام، وأنتم تعلمون أنّ دين الله الإسلام، وأنّ اليهوديّة والنّصرانيّة بِدعة ليست من الله. (ابن كثير ١: ١٤٦)

ابن زَيْد: (الحَقّ): التّوراة الّذي أنزل الله على موسى، و(الباطِل): الّذي كتبوه بأيديهم.

(الطَّبَريّ ١: ٢٥٥)

المراد بـ(الحَقّ): التّوراة، و(الباطل): مابدّلوا فيها من ذكر محمّد ﷺ وغيره. (القُرطُبيّ ١: ٣٤٢)

الطَّبَريّ: إن قال لنا قائل: وكيف كانوا يلبسون الحقّ بالباطل وهم كفّار، وأيّ حقّ كانوا عليه مع كفرهم بالله؟

قيل: إنّه كان فيهم منافقون، منهم يُظهرون التّصديق بمحمّد ﷺ، ويستبطنون الكفر به، وكان أعظمهم يقولون: محمّد نبيّ مبعوث إلّا أنّه مبعوث إلى غيرنا.

فكان لبس المنافق منهم الحقّ بالباطل إظهاره الحقّ بلسانه وإقراره لمحمّد ﷺ، وبما جاء به جهارًا، وخلطه ذلك الظّاهر من الحقّ بالباطل الّذي يستبطنه.

وكان لبس المُقِرّ منهم بأنّه مبعوث إلى غيرهم الجاحد، أنّه مبعوث إليهم، إقراره بأنّه مبعوث إلى غيرهم وهو الحقّ، وجحوده أنّه مبعوث إليهم وهو الباطل. وقد بعثه الله إلى الخلق كافّة؛ فذلك خلطهم الحقّ بالباطل، ولبسهم إيّاه به. (١: ٢٥٤)

الطُّوسيّ: معنى لبسهم الحقّ بالباطل: أنّهم آمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض، فخلطوا الحقّ بالباطل، لأنّهم جحدوا صفة محمّد ﷺ؛ فذلك الباطل، وأقرّوه بغيره ممّا في الكتاب على ماهو به؛ وذلك حقّ.

وقال بعضهم: (الحَقّ): إقرارهم بأنّ محمّدًا ﷺ مبعوث إلى غيرهم، و(الْباطِل): إنكارهم أن يكون بُعث إليهم.

وهذا ضعيف، لأنّه إن جاز ذلك على نفر يسير، لم يجز على الخلق الكثير، مع إظهار النّبيّ ﷺ وتكذيبهم فيه، وإقامة الحجّة عليهم. (١: ١٩١)

الزَّمَخْشَريّ: الباء الّتي في (بِالْباطِلِ) ان كانت صلة، مثلها في قولك: لبست الشّيء بالشّيء خلطته به، كان المعنى ولاتكتبوا في التّوراة ماليس منها، فيختلط الحقّ المنزل بالباطل الّذي كتبتم، حتّى لاتميّز بين حقّها وباطلكم.

وإن كانت باء الاستعانة كالّتي في قولك: كتبت بالقلم، كان المعنى ولاتجعلوا الحقّ ملتبسًا مشتبهًا بباطلكم الّذي تكتبونه. (١: ٢٧٦)

الطَّبْرِسيّ: [مثل الطُّوسيّ ثمّ أضاف:]

وقيل: معناه لاتحرّفوا الكلم عن مواضعه، فالتّحريف هو الباطل، وتركهم مافي الكتاب على ماهو به وهو الحقّ. (١: ٩٦)

الفَخْرالرّازيّ: اعلم أنّ قوله سبحانه: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ البقرة: ٤١، أمر بترك الكفر والضّلال، وقوله: ﴿وَلَاتَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ أمر بترك الإغواء والإضلال.

واعلم أنّ إضلال الغير لايحصل إلّا بطريقين؛ وذلك لأنّ ذلك «الغير» إن كان قد سمع دلائل الحقّ فإضلاله لايمكن إلّا بتشويش تلك الدّلائل عليه. وإن كان

ماسمعها. فإضلاله إنّما يمكن بإخفاء تلك الدّلائل عنه، ومنعه من الوصول إليها.

فقوله: ﴿وَلَاتَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ إشارة إلى القسم الأوّل وهو تشويش الدّلائل عليه، وقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ إشارة إلى القسم الثّاني وهو منعه من الوصول إلى الدّلائل.

واعلم أنّ الأظهر في «الباء» الّتي في قوله: (بِالْبَاطِلِ) أنّها باء الاستعانة، كالّتي في قولك: كتبت بالقلم، والمعنى ولاتلبسوا الحقّ بسبب الشّبهات الّتي توردونها على السّامعين؛ وذلك لأنّ النّصوص الواردة في التّوراة والإنجيل في أمر محمّد عليكم كانت نصوصًا خفيّة، يحتاج في معرفتها إلى الاستدلال.

ثمّ إنّهم كانوا يجادلون فيها ويشوّشون وجه الدّلالة على المتأمّلين فيها بسبب إلقاء الشّبهات، فهذا هو المراد بقوله: ﴿وَلَاتَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ فهو المذكور في قوله: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ المؤمن: ٥. (٣: ٤٣)

القُرطُبيّ: الباطل في كلام العرب: خلاف الحقّ، ومعناه الزّائل. [إلى أن قال:]

واختلف أهل التّأويل في المراد بقوله: ﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ فروي عن ابن عبّاس وغيره: لاتخلطوا ماعندكم من الحقّ في الكتاب بالباطل، وهو التّغيير والتّبديل.

وقال أبوالعالية: قالت اليهود: محمّد مبعوث ولكن إلى غيرنا، فإقرارهم ببعثه حقّ، وجحدهم أنّه بُعث إليهم باطل.

وقال ابن زَيْد: المراد بـ(الحقّ): التّوراة، و(الْبَاطِل): مابدّلوا فيها من ذكر محمّد عليه الصّلاة والسّلام وغيره.

وقال مُجاهِد: لاتخلطوا اليهوديّة والنّصرانيّة بالإسلام، وقاله قَتادَة، وقد تقدّم.

قلت: وقول ابن عبّاس أصوب، لأنّه عامّ فيدخل فيه جميع الأقوال، والله المستعان. (١: ٣٤١)

أبوحَيّان: [بعد نقل أقوال ابن عبّاس، ومُجاهِد، وابن زَيْد، وأبوالعالية، قال:]

أو إيمان منافقي اليهود بإبطان كفرهم، أو صفة النّبيّ ﷺ بصفة الدّجّال.

وظاهر هذا التّركيب أنّ «الباء» في قوله: (بِالْبَاطِلِ) للإلصاق كقولك: خلطت الماء باللّبن، فكأنّهم نهوا عن أن يخلطوا الحقّ بالباطل، فلايتميّز الحقّ من الباطل.

وجوّز الزّمَخْشَريّ أن تكون «الباء» للاستعانة كهي في: كتبت بالقلم، قال: كان المعنى ولاتجعلوا الحقّ ملتبسًا مشتبهًا بباطلكم. وهذا فيه بُعْدٌ عن هذا التّركيب، وصرف عن الظّاهر بغير ضرورة تدعوا إلى ذلك. (١: ١٧٩)

٢ـ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. آل‌عمران: ٧١

ابن عبّاس: بإظهار الإسلام، وإبطان النّفاق، وفي قلوبهم من اليهوديّة والنّصرانيّة مأمنًا، لأنّهم يدعون إلى إظهار الإسلام في صدر النّهار والرّجوع عنه في آخره، لتشكيك النّاس فيه.

مثله قَتادَة. (الطُّوسيّ ٢: ٤٩٧)

(الحقّ): إقرارهم ببعض أمر النّبيّ ﷺ و(البَاطِل): كتمانهم لبعض أمره. (أبوحيّان ٢: ٤٩١)

(الحقّ): إسلامهم بُكرةً و(البَاطِل): كفرهم عشيّةً. (ابن عطيّة ١: ٤٥٣)

الحسَن: بتحريف التّوراة والإنجيل.

مثله ابن زَيْد. (الطّوسيّ ٢: ٤٩٧)

قَتَادَة: لِمَ تلبسون اليهوديّة والنّصرانيّة بالإسلام، وقد علمتم أنّ دين الله ـ الّذي لايقبل غيره ـ الإسلام، ولايُجزى إلّابه.

مثله ابن جُرَيْج. (الطّبَريّ ٣: ٣١٠)

الرّبيع: [مثل قَتَادَة إلّا أنّه أضاف:]

الّذي لايُقبل من أحد غيره الإسلام، ولم يُقبل ولايُجزى إلّا به. (الطّبَريّ ٣: ٣١٠)

ابن زَيْد: (الحقّ): التّوراة الّتي أنزل الله على موسى، و(البَاطِل): الّذي كتبوه بأيديهم.

(الطّبَريّ ٣: ٣١٠)

الجُبّائيّ: أنّ المراد: مايعلمونه في قلوبهم من أنّ محمّدًا أحقّ، بما يُظهرونه من تكذيبه.

مثله أبومسلم. (الطّبْرِسيّ ١: ٤٥٩)

يتأوّلون الآيات الّتي فيها الدّلالة على نبوّة محمّد ﷺ على خلاف تأويلها، ليظهر منها للعوامّ خلاف ماهي عليه. (أبوحيّان ٢: ٤٩١)

الطّبَريّ: يعني بذلك جلّ ثناؤه: ياأهل التّوارة والإنجيل، (لِمَ تَلْبِسُونَ) يقول: لِمَ تخلطون الحقّ بالباطل، وكان خلطهم الحقّ بالباطل: إظهارهم بألسنتهم من التّصديق بمحمّد ﷺ، وماجاء به من عند الله، غير الّذي في قلوبهم من اليهوديّة والنّصرانيّة.

(٣: ٣١٠)

الماوَرْديّ: فيه ثلاثة تأويلات:

[نقل قول الحسن و ابن عبّاس ثمّ قال:]

والثّالث: الإيمان بموسى وعيسى، والكفر بمحمّد ﷺ. (١: ٤٠٠)

مثله الطّوسيّ (٢: ٤٩٧)، ونحوه الطّبْرِسيّ (١: ٤٥٩).

الفَخْرالرّازيّ: هاهنا وجوهًا: [وبعد نقل قول الحسَن وابن زَيْد وابن عبّاس وقَتَادَة قال:]

وثالثها: أن يكون في التّوراة مايدلّ على نبوّته ﷺ، من البشارة والنّعت والصّفة، ويكون في التّوراة أيضًا مايوهم خلاف ذلك، فيكون كالمحكم والمتشابه، فيلبسون على الضّعفاء أحد الأمرين بالآخر، كما يفعله كثير من المشبّهة، وهذا قول القاضي.

ورابعها: أنّهم كانوا يقولون: إنّ محمّدًا معترف بأنّ موسى عليه السلام حقّ، ثمّ إنّ التّوراة دالّة على أنّ شرع موسى عليه السلام لاينسخ، وكلّ ذلك إلقاء للشّبهات.

(٨: ٩٨)

أبوحيّان: وقيل: (الحقّ): إقرارهم بنبوّته ورسالته و(الباطل): قول أحبارهم: ليس رسولًا إلينا بل شريعتنا مؤبّدة. (٢: ٤٩١)

البُرُوسَويّ: المراد بـ(الحقّ): كتاب الله الّذي أنزله على موسى وعيسى عليهما السلام، و(بِالْبَاطِل): ماحرّفوه وكتبوه بأيديهم، ويخلط أحدهما بالآخر إبراز باطلهم في صورة الحقّ، بأن يقولوا: الكلّ من عند الله تعالى. (٢: ٤٩)

رشيد رضا: أي تخلطون الحقّ الّذي جاء به الأنبياء ونزلت به الكتب، وهو عبادة الله وحده، وعمل البرّ والخير، والبشارة بنبيّ من بني إسماعيل يعلّم النّاس الكتاب والحكمة، لِمَ تخلطون هذا بالباطل الّذي ألحقه به أحباركم ورهبانكم من التّأويلات والآراء، وتجعلون كلّ ذلك دينًا يجب اتّباعه، ويُحسَب أنّه من عند الله، كما قال الله تعالى في آية أُخرى تأتي: ﴿وَيَقُولُونَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَاهُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ آل‌عمران: ٧٨، فلَبْس (الحقّ بالباطل) عامّ يشمل كلّ ماذكر.

وقيل: هو خاصّ بالعقائد والأحكام. (٣: ٣٣٢)

أكْلُ المالِ بالباطِلِ

١ـ ﴿وَلَاتَأْكُلُوا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا اِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ اَمْوَالِ النَّاسِ بِالْاِثْمِ وَاَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. البقرة: ١٨٨

قَتَادَة: كان يقال: مَن مشى مع خصمه وهو له ظالم فهو آثم، حتّى يرجع إلى الحقّ. واعلم يابن آدم أنّ قضاء القاضي لايحلّ لك حرامًا، ولايحقّ لك باطلًا، وإنّما يقضي القاضي بنحو مايرى ويشهد به الشّهود، والقاضي بشر يخطأ ويُصيب. (الطَّبَريّ ٢: ١٨٤)

السُّدّيّ: أمّا (الْبَاطِل) يقول: يظلم الرّجل منكم صاحبه، ثمّ يخاصمه ليقطع ماله، وهو يعلم أنّه ظالم؛ فذلك قوله: ﴿وَتُدْلُوا بِهَا اِلَى الْحُكَّامِ﴾.

(الطَّبَريّ ٢: ١٨٤)

الكَلْبيّ: أنّه مايؤخذ بشهادة الزّور.

(الطَّبْرِسيّ ١: ٢٨٢)

ابن زَيْد: يكون أجدل منه، وأعرف بالحجّة، فيخاصمه في ماله بالباطل، ليأكل ماله بالباطل، وقرأ: ﴿يَاۤاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَاتَأْكُلُوا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ اِلَّا اَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ النّساء: ٢٩.

هذا القمار الّذي كان يعمل به أهل الجاهليّة.

(الطَّبَريّ ٢: ١٨٤)

الزّجّاج: معنى (بِالْبَاطِلِ) أي بالظّلم.

(١: ٢٥٨)

الماوَرْديّ: فيه تأويلان:

أحدهما: بالغصب والظّلم.

والثّاني: بالقمار والملاهي. (١: ٢٤٨)

الزَّمَخْشَريّ: بالوجه الّذي لم يبحه الله ولم يشرعه.

(١: ٣٤٠)

ابن عَطيّة: أي في الملاهي والقيان والشّراب والبطالة، فتجيء على هذا إضافة المال إلى ضمير المالكين. (١: ٢٦٠)

الفَخْرالرّازيّ: اعلم أنّهم مثّلوا قوله تعالى: ﴿وَلَاتَأْكُلُوا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ بقوله: ﴿وَلَاتَلْمِزُوا اَنْفُسَكُمْ...﴾ الحجرات: ١١، وهذا مخالف لها، لأنّ أكله لمال نفسه بالباطل يصحّ كما يصحّ أكله مال غيره.

قال الشّيخ أبوحامد الغزاليّ في كتاب «الإحياء»: المال إنّما يحرم لمعنى في عينه، أو لخلل في جهة اكتسابه؛ والقسم الأوّل: الحرام لصفة في عينه.

واعلم أنّ الأموال إمّا أن تكون من المعادن أو من النّبات، أو من الحيوانات.

أمّا المعادن وهي أجزاء الأرض، فلايحرم شيء منها

إلّا من حيث يضرّ بالأكل، وهو مايجري مجرى السّمّ.

وأمّا النّبات فلايحرم منه إلّا مايزيل الحياة والصّحّة أو العقل، فمزيل الحياة السّموم، ومزيل الصّحّة الأدوية في غير وقتها، ومزيل العقل الخمر والبنج وسائر المسكرات.

وأمّا الحيوانات فتنقسم إلى مايؤكل وإلى مالايؤكل، ومايحلّ، إنّما يحلّ إذا ذُبح ذبحًا شرعيًّا. ثمّ إذا ذُبحت فلاتحلّ بجميع أجزائها بل يحرم منها الفرث والدّم، وكلّ ذلك مذكور في كتب الفقه.

القسم الثّاني: مايحرم لخلل من جهة إثبات اليد عليه، فنقول: أخذ المال إمّا يكون باختيار المتملّك، أو بغير اختياره كالإرث.

والّذي باختياره إمّا أن لايكون مأخوذًا من المالك كأخذ المعادن، وإمّا أن يكون مأخوذًا من مالك؛ وذلك إمّا أن يؤخذ قهرًا أو بالتّراضي.

والمأخوذ قهرًا إمّا أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم، أو لاستحقاق الآخذ كزكوات الممتنعين والنّفقات الواجبة عليهم.

والمأخوذ تراضيًا إمّا أن يؤخذ بعوضٍ كالبيع والصّداق والأُجرة، وإمّا أن يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصيّة؛ فيحصل من هذا التّقسيم أقسام ستّة:

الأوّل: مايؤخذ من غير مالك كنيل المعادن، وإحياء الموات، والاصطياد، والاحتطاب، والاستقاء من الأنهار، والاحتشاش؛ فهذا حلال بشرط أن لايكون المأخوذ مختصًّا بذي حرمة من الآدميّين.

الثّاني: المأخوذ قهرًا ممّن لاحرمة له، وهو الفيء، والغنيمة، وسائر أموال الكفّار المحاربين؛ وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا منه الخُمس، وقسّموه بين المستحقّين بالعدل، ولم يأخذوه من كافر له حرمة وأمان وعهد.

الثّالث: مايؤخذ قهرًا بالاستحقاق عند امتناع من عليه فيؤخذ دون رضاه؛ وذلك حلال إذا تمّ سبب الاستحقاق، وتمّ وصف المستحقّ، واقتصر على القدر المستحقّ.

الرّابع: مايؤخذ تراضيًا بمعاوضة؛ وذلك حلال إذا روعي شرط العوضين، وشرط العاقدين، وشرط اللّفظين، أعني الإيجاب والقبول، ممّا يعتدّ الشّرع به من اجتناب الشّرط المفسد.

الخامس: مايؤخذ بالرّضا من غير عوض، كما في الهبة والوصيّة والصّدقة إذا روعي شرط المعقود عليه، وشرط العاقدين، وشرط العقد، ولم يؤدّ إلى ضرر بوارث أو غيره.

السّادس: مايحصل بغير اختياره كالميراث، وهو حلال إذا كان الموروث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال، ثمّ كان ذلك بعد قضاء الدّين، وتنفيذ الوصايا، وتعديل القسمة بين الورثة، وإخراج الزّكاة والحجّ والكفّارة إن كانت واجبة.

فهذا مجامع مداخل الحلال، وكتب الفقه مشتملة على تفاصيلها، فكلّ ماكان كذلك كان مالًا حلالًا، وكلّ ماكان بخلافه كان حرامًا. إذا عرفت هذا فنقول:

المال إمّا أن يكون لغيره أو له، فإن كان لغيره كانت حرمته لأجل الوجوه السّتّة المذكورة، وإن كان له،

فأكله بالحرام أن يصرف إلى شرب الخمر والزّنى واللّواط والقمار، أو إلى السّرف المحرّم، وكلّ هذه الأقسام داخلة تحت قوله: ﴿وَلَاتَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾.
(٥: ١٢٨)

القُرطُبيّ: فيه مسائل:

الأولى: الخطاب بهذه الآية يتضمّن جميع أمّة محمّد ﷺ

والمعنى لايأكل بعضكم مال بعض بغير حقّ، فيدخل في هذا: القمار والخداع والغصوب، وجحد الحقوق، ومالاتطيب به نفس مالكه، أو حرّمته الشّريعة وإن طابت به نفس مالكه، كمهر البغيّ، وحلوان الكاهن، وأثمان الخمور والخنازير، وغير ذلك.

ولايدخل فيه الغَبْن في البيع مع معرفة البائع بحقيقة ماباع، لأنّ الغَبْن كأنّه هبة، على مايأتي بيانه في سورة النّساء.

وأضيفت الأموال إلى ضمير المنهيّ لما كان كلّ واحد منها منهيًّا ومنهيًّا عنه، كما قال: ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ...﴾ البقرة: ٨٥، وقال قوم: المراد بالآية ﴿وَلَاتَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ أي في الملاهي والقيان والشّرب، والبطالة، فيجيء على هذا إضافة المال إلى ضمير المالكين.

الثّانية: مَن أخذ مال غيره لاعلى وجه إذن الشّرع فقد أكله بالباطل، ومن الأكل بالباطل أن يقضي القاضي لك وأنت تعلم أنّك مُبطل، فالحرام لايصير حلالاً بقضاء القاضي، لأنّه إنّما يقضي بالظّاهر، وهذا إجماع في الأموال. [إلى أن قال:]

الثّالثة: وهذه الآية متمسّك كلّ مؤالف ومخالف في كلّ حكم يدعونه لأنفسهم بأنّه لايجوز، فيستدلّ عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَاتَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾، فجوابه أن يقال له: لانسلّم أنّه باطل حتّى تبيّنه بالدّليل، وحينئذ يدخل في هذا العموم، فهي دليل على أنّ الباطل في المعاملات لايجوز، وليس فيها تعيين الباطل.
(٢: ٣٣٧ ـ ٣٣٩)

أبوحَيّان: مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، وذلك أنّ من يعبد الله تعالى بالصّيام فحبس نفسه عمّا تعوّده من الأكل والشّرب والمباشرة بالنّهار، ثمّ حبس نفسه بالتّقييد في مكان تعبّد الله تعالى صائمًا له ممنوعًا من اللّذّة الكبرى باللّيل والنّهار، وجدير أن لايكون مطعمه ومشربه إلّا من الحلال الخالص الّذي ينوّر القلب ويزيده بصيرة، ويفضي به إلى الاجتهاد في العبادة، فلذلك نهى عن أكل الحرام المفضي به إلى عدم قبول عبادته من صيامه واعتكافه.

وتخلّل أيضًا بين آيات الصّيام آية إجابة سؤال الدّاعي وسؤال العباد الله تعالى، وقد جاء في الحديث: أنّ من كان مَطعمه حرامًا ومَلبسه حرامًا ومَشربه حرامًا، ثمّ سأل الله، أنّى يستجاب له. فناسب أيضًا النّهي عن أكل المال الحرام.

ويجوز أن تكون المناسبة أنّه لمّا أوجب عليهم الصّوم كما أوجبه على من كان قبلهم، ثمّ خالف بين أهل الكتاب وبينهم، فأحلّ لهم الأكل والشّرب والجماع في ليالي الصّوم، أمرهم أن لايوافقوهم في أكل الرّشاء من ملوكهم وسفلتهم، ومايتعاطونه من الرّبا،

ومايستبيحونه من الأموال بالباطل، كما قال تعالى: ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ البقرة: ١٧٤، ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ آل‌عمران: ٧٥، ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ المائدة: ٤٢.

وأن يكونوا مخالفيهم قولًا وفعلًا وصومًا وفطرًا وكسبًا واعتقادًا، ولذلك ورد: لما ندب إلى السّحور خالفوا اليهود.

وكذلك أمرهم في المحيض مخالفتهم؛ إذ عزم الصّحابة على اعتزال الحيض إذ نزل ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ البقرة: ٢٢٢، لاعتزال اليهود بأن لايؤاكلوهنّ ولايناموا معهنّ في بيت، فقال النّبيّ ﷺ: افعلوا كلّ شيء إلّا النّكاح.

فقالت اليهود: مايريد هذا الرّجل أن يترك من أمرنا شيئًا إلّا خالفنا فيه. (٢: ٥٥)

البُرُوسَويّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بهوى النّفس والحرص والشّهوة والإسراف على الغفلة، وكلوا بالحقّ والقناعة والتّقوية على الطّاعة والقيام بالعبوديّة. (١: ٣٠٢)

الآلوسيّ: المراد من (الْبَاطِلِ) الحرام كالسّرقة والغصب، وكلّ مالم يأذن بأخذه الشّرع. (٢: ٧٠)

رشيد رضا: (الْبَاطِل) هو مالم يكن في مقابلة شيء حقيقيّ، وهو من البُطْل والبُطْلان، أي الضّياع والخسار، فقد حرّمت الشّريعة أخذ المال بدون مقابلة حقيقيّة يعتدّ بها، ورضاء من يؤخذ منه، وكذلك إنفاقه في غير وجه حقيقيّ نافع.

قال الأُستاذ الإمام: ومن ذلك تحريم الصّدقة على القادر على كسب يكفيه، وإن تركه حتّى نزل به الفقر اعتمادًا على السّؤال.

ونقول: إنّها كما حُرّمت إعطاءه حُرّمت عليه الأخذ إذا هو أعطاه معط، فلايحلّ لمسلم أن يقبل صدقة وهو غير مضطرّ إليها، ولاللمضطرّ إلّا إذا كان عاجزًا عن إزالة اضطراره بسعيه وكسبه.

أقول: وأبلغ من هذا وذاك ماذكره الفقهاء من أنّه لايجب على العاري الّذي لايجد مايستر عورته في الصّلاة أن يستعير ثوبًا يُصلّي فيه أو يقبله صدقة ممّن يبذله له، لما في ذلك من المنّة الّتي لايكلّفه الإسلام احتمالها، وله أن يصلّي عاريًا.

قال: ومنه تحريم الرّبا، لأنّه أكل لأموال النّاس بدون مقابل من صاحب المال المعطي، ومثّل لذلك بما يقع في النّاس كثيرًا من أكل الرّبا أضعافًا مضاعفة، وفرق بينه وبين السّلم.

وقال: إنّ روح الشّريعة تعلّمنا بمثل هذه الآية أنّه يطلب من الإنسان أن يكتسب المال من الطّرق الصّحيحة المشروعة الّتي لاتضرّ أحدًا، وإنّما أجمل وأوجز القرآن في الباطل، لأنّه من الأُمور المعروفة للنّاس بوجوهه الكثيرة، وحسب المسلم أن يكفّ عن كلّ مايعتقد أنّه باطل.

على أنّه بيّن هذا الإجمال في أُمور قد تخفى على النّاس كالإدلاء إلى الحكّام الآتي، وكتحريم الرّبا، أي ربا الفضل المنهيّ عنه في الحديث دون ربا النّسيئة المحرّم بنصّ القرآن، فهو لاخفاء في بطلانه، لأنّه زيادة في المال لأجل التّأخير، في أجل الدّين الّذي استهلك لالمنفعة

جديدة.

ويدخل في هذا الباب التعدّي على النّاس بغصب المنفعة، بأن يسخّر بعضهم بعضًا في عمل لايعطيه عليه أجرًا، أو ينقصه من الأجر المسمّى أو أجر المِثل، ويدخل فيه سائر ضروب التعدّي والغشّ والاحتيال.

كما يقع من السّماسرة فيما يذهبون فيه من مذاهب التّلبيس والتّدليس؛ إذ يزيّنون للنّاس السّلع الرّديئة، والبضائع المزجاة، ويسوّلون لهم فيورّطونهم. وكلّ من باع أو اشترى مستعينًا بإيهام الآخر مالاحقيقة له ولاصحّة؛ بحيث لو عرف الخفايا وانقلب وهمه علمًا لما باع أو لما اشترى، فهو آكل لماله بالباطل.

ومن هؤلاء المُوهمين باعة التّولات والتّماجيس والتّمائم[1]، وكذا العزائم[2] وختمات القرآن والعدد المعلوم من سورة (يس) أو بعض الأذكار.

وقد بلغ من هزؤ هؤلاء بالدّين أن كان بعض المشهورين منهم يبيع سورة (يس) لقضاء الحاجات أو لرحمة الأموات، يقرؤها مرّات كثيرة، ويعقد لكلّ مرّة عُقْدة في خيط يحمله حتّى إذا ماجاءه طالب ابتياع القراءة وأخذ منه الثّمن بعد المساومة، يحلّ له من تلك العُقد، بقدر مايطلب من العدد.

ذكر هذه الواقعة الأُستاذ الإمام في الدّرس، وقد كنّا نسمع عن رؤساء بعض النّصارى نحو هذا في بيع العبادة الّتي يسمّونها القداديس فنسخر منهم، حتّى علمنا أنّنا قد اتّبعنا سنّتهم شِبرًا بشبر، حتّى دخلنا في جُحر الضّبّ الّذي دخلوه.

قال الأُستاذ: إن كلّ أجر يؤخذ على عبادة فهو أكل لأموال النّاس بالباطل، وقد مضى الصّدر الأوّل[3] ولم يكن أخذ الأجر على عبادة مامعروفًا، ولايوجد في كلام أهل القرن الأوّل والثّاني كلمةٌ تشعر بذلك، ثمّ لايعقل أن تُحقّق العبادة وتُحصل بالأُجرة، لأنّ تحقّقها إنّما يكون بالنّيّة وإرادة وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته بامتثال أمره، ومتى شابَ هذه النّيّة شائبة من حظّ الدّنيا خرج العمل عن كونه عبادة خالصة لله، والله تعالى لايقبل إلّا ماكان خالصًا من الحظوظ والشّوائب.

أقول: وقد ورد على لسان الشّارع تسمية مثل هذا العمل «شِركًا» ففي حديث مسلم وغيره، قال الله تعالى: أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك، مَن عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشِركه، إذا كان يوم القيامة أُتي بصحف مُختمة، فتُنْصَبُ بين يدَي الله تعالى، فيقول الله لملائكته: اقبلوا هذا وألقوا هذا، فتقول الملائكة: وعزّتك مارأينا إلّا خيرًا، فيقول: نعم، لكن كان لغيري، ولاأقبل اليوم إلّا ماابتغي به وجهي. وفي رواية يقولون: ماكتبنا إلّا ماعمل ...إلخ.

وفي حديث أحمد والتّرمذيّ وابن ماجة: إذا جمع الله الأوّلين والآخرين ليوم لاريب فيه، نادى منادٍ: مَن كان أشرك في عمل عمله لله أحدًا فليطلب ثوابه من عنده، فإنّ الله أغنى الشّركاء عن الشّرك.

وإنّما يظهر تأويل مثل هذا فيمن قصد العبادة والأجر معًا؛ بحيث لو لم يستأجر للقراءة مثلًا لقرأ. وأمّا

(١) كلّها السّحر أو خرز السّحر ومآأشبهها.

(٢) مفردها: العزيمة وهي الرُّقية.

(٣) يعني عصر صدر الإسلام.

من لايقصد إلّا الأُجرة، فإذا لم تكن لايقرأ تلك الختمة أو العدد من السّورة أو الذّكر فأمره أقبح، وذنبه أكبر، وعمله باطل لايعتدّ به شرعًا، فدافع الأجر عليه خاسر لماله، وآخذه منه خاسر لمآله. ومثل قصد الأُجرة الماليّة الرّياء، فإنّه منفعة معنويّة.

وقد فرّق بعض الفقهاء بين قراءة القرآن وتعليمه، فأجاز أخذ الأُجرة على تعليمه كتعليم العلم، لأنّ الاشتغال بالتّعليم يصدّ عن التّفرّغ للكسب من الوجوه الأُخرى، فإذا لم نجز المعلّم يتعسّر علينا أن نجد من يتصدّى لتعليم الأولاد، وليس زمننا كزمان السّلف يتفرّغ فيه النّاس لنشر العلم وإفادته، تعبّدًا لله وتقرّبًا إليه.

قال الأُستاذ الإمام: مَن علّم العلم والدّين بالأُجرة فهو كسائر الصُّنّاع والأُجراء، لاثواب له على أصل العلم بل على إتقانه والإخلاص فيه والنّصح لمن يُعلّمهم.

وأذكر أنّي سمعته في وقت آخر يقول: ينبغي للمعلّم الّذي يُعطي راتبًا من الأوقاف الخيريّة أن يأخذ إذا كان محتاجًا لأجل سدّ الحاجة، لايقصد الأُجرة على التّعليم، وبذلك يكون عابدًا لله تعالى بالتّعليم نفسه، وعلامته أن يستعفف إذا هو استغنى، فلايأخذ من الوقف شيئًا. وقالوا في المؤذّن مثل ماقالوا في معلّم القرآن، ويأتي فيه من القصد والنّيّة ماذكر في المعلّم.

ولاخلاف في عدم جواز أخذ الأُجرة على جواب السّائل عن مسألة دينيّة تعرض له؛ إذ الإجابة فريضة على العارفين، وكتمان العلم محرّم عليهم، ولبسط هذه الأحكام موضع آخر.

وجملة القول: إنّ أكل أموال النّاس بالباطل يتحقّق في كلّ أخذ للمال بغير رضًى من المأخوذ منه، لاشائبة للجهل أو الوهم أو الغشّ أو الضّرر فيه. وممّا تعرض فيه هذه الشّوائب كلّها أو أكثرها قراءة القرآن بالأُجرة لأجل الموتى، أو دفع ضرر الجنّ، أو غيره عن الأحياء.

والّذي يعطي الأُجرة عليها يجهل ذلك، ويتوهّم أنّها تكون سببًا لنفع الميّت أو الحيّ، أو دفع ضرر العذاب في الآخرة، أو الجنّ في الدّنيا مثلًا، والجاهل بالشّرع في المسألة عرضة لقبول الإيهام والغشّ من الدّجّالين والمحتالين.

وليس كذلك إقراء القرآن في البيوت لأجل اتّعاظ أهلها وتقوية شعور الإيمان بسماعه، بل هذا كتعليم العلم الّذي بسطناه آنفًا، وينبغي أن يكون كرام القرّاء بغير صفة الأُجرة.

ذكر «الأكل» مجملًا عامًّا ثمّ بيّن نوعًا منه خصّه بالنّهي عنه مع دخوله في العامّ، لما يقع من الشّبهة فيه لبعض النّاس، إذ يعتقد بعضهم أنّ الحاكم الّذي هو نائب الشّارع في بيان الحقّ ومنفّذ الشّرع إذا حكم للإنسان بشيء ولو بغير حقّ، فإنّه يحلّ له ولايكون من الباطل. (٢: ١٩٥ـ ١٩٩)

الطَّباطَبائيّ: (الْبَاطِل): يقابل الحقّ الّذي هو الأمر الثّابت بنحو من الثّبوت. (٢: ٥٢)

محمّد حسنين مخلوف: (الْبَاطِل): الذّاهب الزّائل. والمراد هنا: كلّ مالم يُبح الشّرع أخذه من المال وإن طابت به النّفس، كالرّبا والميسر، وثمن الخمر والرّشوة، وشهادة الزّور، واليمين الكاذبة، والغشّ

والخيانة والسّرقة والغصب، ونحو ذلك.

والباء للسّببيّة، والجارّ والمجرور متعلّق بالفعل قبله، أي لا يأخذ بعضكم مال بعض بالسّبب الباطل. (٦٢)

لاحظ «أ ك ل».

٢- ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَاتَاْكُلُوا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ اِلَّا اَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾.. النّساء: ٢٩

ابن عبّاس: العقود الفاسدة. (الماوَرْديّ ١: ٤٧٤)

الحسَن: إنّه نهى أن يأكل الرّجل طعام قِرًى وأمَرَ أن يأكله شِرًى، ثمّ نُسخ ذلك بقوله تعالى في سورة النّور: ﴿وَلَا عَلٰى اَنْفُسِكُمْ اَنْ تَاْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿اَوْ اَشْتَاتًا﴾ النّور: ٦١.

ومثله عكرمة. (الماوَرْديّ ١: ٤٧٤)

مثله السُّدّيّ. (الطّبَريّ ٥: ٣٠)

إنّه القِمار والسّحت والرّبا والأيمان.

الإمام الباقر عليه السّلام: إنّه الرّبا والقِمار والبخس والظّلم. (الطّبْرِسيّ ٢: ٣٧)

مثله الإمام الصّادق عليه السّلام. (البَحْرانيّ ١: ٣٦٤)

الإمام الصّادق عليه السّلام: عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: الرّجل منّا يكون عنده الشّيء يتبلّغ به وعليه دين، أيطعمه عياله حتّى يأتي الله جلّ وعزّ بميسرة فيقضي دينه، أو يستقرض على ظهره في خُبث الزّمان وشدّة المكاسب، أو يقبل الصّدقة؟

قال: «يقضي بما عنده دينه، ولا يأكل أموال النّاس إلّا وعنده ما يؤدّي إليهم حقوقهم، إنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿لَاتَاْكُلُوا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ اِلَّا اَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾، ولا يستقرض على ظهره إلّا وعنده وفاء، ولو طاف على أبواب النّاس فردّوه باللّقمة واللّقمتين والتّمرة والتّمرتين إلّا أن يكون له وليّ يقضي دينه من بعده، ليس منّا من ميّت إلّا جعل الله له وليًّا يقوم في عِدته ودينه، فيقضي عِدته ودينه».

(العَرُوسيّ ١: ٤٧١)

عن أسباط بن سالم: قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السّلام فجاءه رجل، فقال له: أخبرني عن قول الله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَاتَاْكُلُوا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ قال: عنى بذلك القِمار، وأمّا قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ...﴾ النّساء: ٢٩، عنى بذلك الرّجل من المسلمين، يشدّ على المشركين وحده، يجيء في منازلهم فيقتل، فنهاهم الله عن ذلك. (العيّاشيّ ١: ٢٣٥)

الطُّوسيّ: فيه قولان:

[و ذكر قول السّدّيّ و الحسن ثمّ قال:]

والأوّل أقوى، لأنّ ما أُكل على وجه مكارم الأخلاق فليس هو أكل بالباطل.

وقيل: معناه التّخاون، ولذلك قال: (بَيْنَكُمْ).

(٣: ١٧٨)

القُشَيريّ: كلّ نفقة كانت لغير الله فهي أكل مال بالباطل.

ويقال: القبض إذا كان عن غفلة، والبذل إذا لم يكن بشهد الحقيقة، فكلّ ذلك باطل. (٢: ٢٢)

المَيْبُديّ: أي بالحرام، كالرّبا، والقِمار والقطع، والغصب، والسّرقة والخيانة.

وقيل: وهو الرّجل يجحد حقّ أخيه المسلم أو يقتطعه بيمينه. (٢: ٤٨٠)

الزَّمَخْشَريّ: بما لم تُبحه الشّريعة من نحو السّرقة والخيانة والغصب والقِمار وعقود الرّبا. (١: ٥٢١)

أبوحَيّان: تقدّم شرح نظير هذه الجملة في قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا...﴾ البقرة: ١٨٨، ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنّه تعالى لمّا بيّن كيفيّة التّصرّف في النّفوس بالنّكاح، بيّن كيفيّة التّصرّف في الأموال الموصلة إلى النّكاح وإلى ملك اليمين، وأنّ المهور والأثمان المبذولة في ذلك لاتكون ممّا مُلكت بالباطل.

والباطل هو كلّ طريق لم تُبحْه الشّريعة، فيدخل فيه السّرقة والخيانة والغصب والقِمار وعقود الرّبا، وأثمان البياعات الفاسدة؛ فيدخل فيه بيع العُرْبان وهو أن يأخذ منك السّلعة ويكري الدّابّة ويُعطي درهمًا مثلًا عُربانًا، فإن اشترى أو ركب فالدّرهم من ثمن السّلعة أو الكراء، وإلّا فهو للبائع.

فهذا لايصحّ ولايجوز عند جماهير الفقهاء، لأنّه من باب أكل المال بالباطل. وأجاز قوم منهم ابن سيرين ومُجاهد ونافع بن عبيد وزيد بن أسلم بيع العُربان على ماوصفناه، والحجج في كتب الفقه.

وقد اختلف السّلف في تفسير قوله: (بِالْبَاطِلِ) فقال ابن عبّاس والحسن: هو أن يأكله بغير عوض. وعلى هذا التّفسير قال ابن عبّاس: هي منسوخة؛ إذ يجوز أكل المال بغير عوض إذا كان هبة أو صدقة أو تمليكًا أو إرثًا أو نحو ذلك، ممّا أباحت الشّريعة أخذه بغير عوض.

وقال السُّدّيّ: هو أن يأكل بالرّبا والقِمار والبَخْس والظّلم وغير ذلك، ممّا لم يبح الله تعالى أكل المال به؛ وعلى هذا تكون الآية محكمة، وهو قول ابن مسعود والجمهور.

وقال بعضهم: الآية مجملة، لأنّ معنى قوله: (بالبَاطِل) بطريق غير مشروع، ولمّا لم تكن هذه الطّريق المشروعة مذكورة هنا على التّفصيل صارت الآية مجملة.

وإضافة الأموال إلى المخاطبين معناه أموال بعضكم، كما قال تعالى: ﴿مَامَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ﴾ النّساء: ٣، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ...﴾ النّساء: ٢٩، وقيل: يشمل قوله (اَمْوَالَكُمْ) مال الغير ومال نفسه، فنهى أن يأكل مال غيره إلّا بطريق مشروع، ونهى أن يأكل مال نفسه بالباطل، وهو إنفاقه في معاصي الله تعالى.

وعبّر هنا عن أخذ المال بالأكل، لأنّ الأكل من أغلب مقاصده، وألزمها. (٣: ٢٣٠)

أبوالسُّعود: والمراد (بِالْبَاطِلِ) مايخالف الشّرع كالغصب والسّرقة والخيانة والقِمار وعقود الرّبا وغير ذلك، ممّا لم يُبحه الشّرع، أي لايأكل بعضكم أموال بعض بغير طريق شرعيّ. (٢: ١٢٨)

البُرُوسَويّ: أي بوجه غير شرعيّ كالغصب والسّرقة والخيانة والقِمار وعقود الرّبا والرُّشوة واليمين الكاذبة وشهادة الزّور والعقود الفاسدة، ونحوها.

(٢: ١٩٤)

رشيد رضا: أمّا (الْبَاطِل) فقد قلنا هنالك: إنّه مالم يكن في مقابلة شيء حقيقيّ، وهو من البُطْل والبُطْلان،

أي الضّياع والخَسار، فقد حرّمت الشّريعة أخذ المال بدون مقابلة حقيقيّة يُعتدّ بها ورضى مَن يؤخذ منه، وكذا إنفاقه في غير وجه حقيقيّ نافع.

قال الأُستاذ الإمام هنا: فسّر «الجلال» وغيره (الْبَاطِلِ) بالمحرّم، وهو إحالة للشّيء على نفسه، فإنّ الله حرّم الباطل بهذه الآية، فقولهم: إنّ الباطل هو المحرّم يجعل حاصل معنى الآية إنّني جعلت المال المحرّم محرّمًا.

والصّواب: أنّ الباطل هو مايقابل الحقّ ويضادّه، والكتاب يُطلق الألفاظ كالحقّ والمعروف والحسنات أو الصّالحات، وما يقابلها وهو الباطل والمنكر والسّيّئات، ويكل فهمها إلى أهل الفطرة السّليمة من العارفين باللّغة، ومن ذلك قوله في اليهود: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ البقرة: ٦١.

فحقّ فلان في المال هو الثّابت له في العُرف، وهو ماإذا عرض على العقلاء المنصفين أصحاب الفطرة السّليمة يقولون: إنّه له، فيدخل في الباطل: الغصب والغشّ والخداع والرّبا والغبن والتّغرير.

وقوله: (بَيْنَكُمْ) للإشعار بأنّ المال المحرّم ـ لأنّه باطل ـ هو ماكان موضع التّنازع في التّعامل بين المتعاملين، كأنّه واقع بين الآكل والمأكول منه، كلّ منهما يريد جذبه لنفسه، فيجب أن يكون المرجّح للمال بين اثنين يتنازعان فيه هو الحقّ، فلايجوز لأحد أن يأخذه بالباطل. (٥: ٤٠)

المَراغيّ: الباطل: من البُطل والبُطلان، وهو الضّياع والخَسار، وفي الشّرع: أخذ المال بدون عوض حقيقيّ يُعتدّ به، ولارضا ممّن يؤخذ منه، أو إنفاقه في غير وجه حقيقيّ نافع، فيدخل في ذلك: الغَصْب والغِشّ والخِداع والرّبا والغَبن، وإنفاق المال في الوجوه المحرّمة، والإسراف بوضع المال فيما لايرضى به العقلاء. (٥: ١٦)

وهناك نصوص أُخرى تقدّمت في «أكل» فراجع.

٣ـ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ... التّوبة: ٣٤

الزّمَخشَريّ: معنى أكلهم بالباطل أنّهم كانوا يأخذون الرُّشى في الأحكام، والتّخفيف والمسامحة في الشّرائع. (٢: ١٨٦)

ابن عَطيّة: صورة هذا «الأكل» هي بأنّهم يأخذون من أموال أتباعهم ضرائب وفروضًا باسم الكنائس، والبِيَع، وغير ذلك ممّا يُوهمونهم، أنّ النّفقة فيه، من الشّرع والتّزلّف إلى الله، وهم خلال ذلك يحتجنون تلك الأموال كالّذي ذكره سلمان في كتاب «السِّيَر» عن الرّاهب الّذي استخرج كنزه.

وقيل: كانوا يأخذون منهم من غلّاتهم وأموالهم ضرائب باسم حماية الدّين والقيام بالشّرع.

وقيل: كانوا يرتشون في الأحكام، ونحو ذلك.

وقوله تعالى: (بِالْبَاطِلِ) يعمّ هذا كلّه. (٣: ٢٧)

نحوه القُرطُبيّ. (٨: ١٢٢)

أبوحَيّان: لمّا ذكر أنّهم اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، ذكر ماهو كثير منهم تنقيصًا من شأنهم وتحقيرًا لهم، وأنّ مثل هؤلاء لاينبغي تعظيمهم

فضلًا عن اتّخاذهم أربابًا، لما اشتملوا عليه من أكل المال بالباطل، وصدّهم عن سبيل الله.

واندرجوا في عموم الّذين يكنزون الذّهب والفضّة، فجمعوا بين الخصلتين المذمومتين، أكل المال بالباطل، ...ز المال أن ضنّوا أن ينفقوها في سبيل الله.

وأكلهم المال بالباطل: هو أخذهم من أموال أتباعهم ضرائب باسم الكنائس والبِيَع وغير ذلك، ممّا يُوهمونهم به أنّ النّفقة فيه من الشّرع والتّقرّب إلى الله، وهم يحجبون تلك الأموال، كالرّاهب الّذي استخرج سلمان كنزه، وكما يأخذونه من الرُّشى في الأحكام كإيهام حماية دينهم. (٥: ٣٥)

البُرُوسَويّ: يأخذونها بطريق الرّشوة لتغيير الأحكام والشّرائع والتّخفيف والمسامحة فيها، ويُوهمون النّاس أنّهم حُذّاق مَهَرة في تأويل الآية، وبيان مراد الله تعالى منها.

وهكذا يفعل المُفتون الماجنون والقضاة الجائرون في هذا الزّمان، يفتون على مراد المستفتي طمعًا لماله، ويقضون برجوح الأقوال بل على خلاف الشّرع، ويرون أنّ لهم في ذلك سندًا قويًّا، قاتلهم الله.

وإنّما عبّر عن الأخذ بـ«الأكل» مع أنّ المذموم منهم مجرّد أخذها بالباطل، أي بطريق الإرتشاء سواء أكلوا ماأخذوه أو لم يأكلوا، بناء على أنّ «الأكل» معظم الغرض من الأخذ. (٣: ٤١٧)

رشيد رضا: المعنى العامّ لأكل أموال النّاس بالباطل هو أخذها بغير وجه شرعيّ، من الوجوه الّتي يبذل النّاس فيها هذه الأموال بحقّ يرضاه الله عزّوجلّ، وهو أنواع:

منها: مايبذله كثير من النّاس لمن يعتقدون أنّه عابد قانت لله زاهد في الدّنيا، ليدعو لهم ويشفع لهم عند الله، في قضاء حاجاتهم وشفاء مرضاهم، لاعتقادهم أنّ الله يستجيب دعاءه ولايردّ شفاعته. والدّعاء مشروع دون أخذ المال به أو عليه، والرّجاء باستجابته حسن، واعتقاده بالجزم جهل.

أو لظنّهم أنّ الله تعالى أعطاه سلطانًا وتصرّفًا في الكون، فهو يقضي الحاجات من دفع الضّرّ عمّن يشاء، وجلب الخير لمن شاء، متى شاء، كما هو المعهود من الوثنيّين في الأصل، وممّن طرأت عليهم العقائد الوثنيّة من أتباع الأنبياء عليهم السلام.

وتأوّلها لهم الرُّؤساء الدّينيّون المضلّون بأنّها لاتنافي التّوحيد الّذي جاء به الرّسل، وقد بيّنّا فساد هذه النّزعات الشّركيّة في مواضع كثيرة من هذا التّفسير، ومنه أنّ غير أتباع الرّسل من المشركين يقولون بمثل هذه الأقوال.

ومنها: مايأخذ سَدَنَة قبور الأنبياء والصّالحين والمعابد الّتي بنيت بأسمائهم، من الهدايا والنّذور الّتي يحملها إلى تلك المواضع، أمثال مَن ذكرنا ممّن لايعقلون معنى التّوحيد المجرّد.

والنّصارى يبنون الكنائس والأديار بأسماء القدّيسين والقدّيسات، فتُحبس عليها الأراضي والعقارات، وتُقدّم لها النّذور والهدايا، تقرّبًا إلى تلك الأسماء أو المسمّيات. وهذا وما قبله ممّا اتّبع المسلمون فيه سننهم شِبرًا بشبر وذراعًا بذراع، مصداقًا للحديث

النبويّ الصّحيح.

والوقف على الدّير أو الكنيسة عندهم كالوقف على المسجد عندنا قربةٌ حقيقيّة، فأخذ المال وإعطاؤه في بناء المعابد حقّ في أصل كلّ دين سماويّ.

وإنّما البِدَع الوثنيّة في المعابد هي المتعلّقة بعبادة من يُنسب إليه المعبد ويوضع له فيه قبر أو صورة أو تمثال فيدعى فيه مع الله تارة ومن دونه تارة، وينذر له وحده آونة ومع الله آونة، فهذه بِدَع تتبرّأ منها أديان الأنبياء الموحاة إليهم من الله عزّوجلّ. والنّفقة فيها كلّها من الباطل، وآكلوها من رؤساء الدّين وسدَنة المعابد من الّذين يأكلون أموال النّاس بالباطل.

ومنها: ماهو خاصّ بالنّصارى بل ببعض فرقهم كالأرثوذكُس والكاثوليك، وهو مايأخذونه جُعْلًا على مغفرة الذّنوب، أو ثمنًا لها، ويتوسّلون إليها بما يسمّونه سرّ الاعتراف.

وهو أن يأتي الرّجل أو المرأة القسّيسَ أو الرّاهبَ المأذون له من الرّئيس الأكبر بسماع أسرار الاعتراف ومغفرة الذّنوب، فيخلو به أو بها، فيقصّ عليه الخاطئ ماعمل من الفواحش والمنكرات بأنواعها، لأجل أن يغفرها له، لأنّ من عقائد الكنيسة أنّ مايغفره هؤلاء يغفره الله تعالى.

وقد كان لبيعِ البابوات للغفران نظام متّبع في القرون الوسطى للنّصرانيّة ـ أعني الوسطى في الزّمن لافي الاعتدال ـ وكان الثّمن يتفاوت بقدر ثروة المشترين من الملوك والأمراء والنّبلاء وكبّار الأغنياء فمن دونهم، وكانوا يُعطون بالمغفرة صكوكًا يحملونها ليلقوا الله تعالى بها.

وكان هذا الخَطْب الكبير من غُلوّ الكاثوليك في استغلال سلطتهم الدّينيّة أعظم أسباب الخروج عليهم، والانقلاب الكبير الّذي يُسمّونه الإصلاح البروتستانت، إذا ترتّب عليه فساد كبير في استباحة الفواحش وكبائر المعاصي.

والاعتراف في الأصل لم يوضع له ثمن، ولكن سوء استعمال بعض رجال الدّين له أغراضهم بجعله وسيلة لسلب المال. وفي القوانين السّرّيّة لبعض الرّهبنات الكاثوليكيّة موادّ صريحة في ذلك.

ومنها: مايؤخذ على فتاوي تحليل الحرام وتحريم الحلال، فأولو المطامع والأهواء يفتون الملوك والأمراء وكبار الأغنياء بما يساعدهم على إرضاء شهواتهم، والانتقام من أعدائهم، أو ظلم رعاياهم ومعامليهم، بضروب من الحيل والتّأويل، يصوّرون به النّوازل بغير صورها، ويلبسون به المسائل أثوابًا من الزّور تلتبس بحقيقتها.

وفي المادّة الثّانية من الفصل الثّاني من التّعاليم السّرّيّة للرّهبنة ـ المشار إليها آنفًا ـ وجوب التّساهل مع الملوك وعشائرهم في الزّواج غير الشّرعيّ، وغفران أمثال هذه الخطيئة وغيرها لهم، واستخراج براءة من البابا لهم بالمغفرة، بل في تلك المادّة نصّ في وجوب التّساهل في الاعتراف والمغفرة حتّى لخدم الملوك والأمراء.

ومن هذا النّوع ماخاطب الله تعالى به أحبار اليهود خطاب الاحتجاج والتّوبيخ، بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ

أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ...﴾ الأنعام: ٩١.

ومنها: ماتيسّر لهم سلبه من أموال المخالفين لهم في جنسهم أو دينهم من خيانة وسرقة وغيرها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران: ٧٥، يعنون أنّ الله حرّم عليهم أكل أموال إخوانهم الإسرائيليّين بالباطل دون الأُمّيّين، وهم العرب، وكذا سائر الطّوائف، وقد سبق تفسيره من سورة آل عمران[1].

وفي هؤلاء يقول البوصيريّ في سرد ماخالف اليهود فيه الحقّ، وادّعوا أنّه مشروع لهم:

وبان أموال الطّوائف حلّلت

لهم ربًا وخيانة وغلولا

ومنها: الرّشوة، وهو مايأخذه صاحب السّلطة الدّينيّة أو المدنيّة، رسميّة أو غير رسميّة من المال وغيره، لأجل الحكم أو المساعدة على إبطال حقّ أو إحقاق باطل، وهو في معنى «الأخذ» على الفتوى، وهما ممّا اتّبع فيه بعض فقهاء المسلمين وحكّامهم سُنَن أهل الكتاب أيضًا.

ومنها: الرّبا حتّى الفاحش منه، وهو فاش عند اليهود والنّصارى. ولكن منه مايحلّه لهم رجال الدّين، ومنه مايحرّمونه في الفتوى وكتب الشّرع.

واليهود أساتذة المرابين في العالم كلّه، وأحبارهم يفتونهم بأكل الرّبا من غير إخوتهم الإسرائيليّين، ويأكلونه معهم مستحلّين له بنصّ في توراتهم المحرّفة، بدلًا من نهيهم عنه. وقد تكرّر في التّوراة النّهي عن أخذ الرّبا والمرابحة وإقراض النّقد والطّعام بالرّبا مطلقًا.

وذكر «الأخ» في نصوص النّهي سببه أنّه نصّ في المعاملة مع الخاضعين لشريعتهم، وهم لايكونون إلّا منهم، لأنّها خاصّة بهم، وفي سفر تثنية الاشتراع: «٢٣: ١٩، لاتقرض أخاك بربا فضّة أو ربا طعام أو ربا شيء ممّا يُقرض بربا، ٢٠، للأجنبيّ تقرض بربا، ولكن لأخيك لاتقرض بربا. لكي يباركك الرّبّ إلهك في كلّ ماتمتدّ إليه يدك في الأرض الّتي أنت داخل إليها لتمتلكها».

فالمراد بالأجنبيّ هنا إن كان من الأصل: هو العدوّ الحربيّ الّذي كانوا مأذونين في شريعتهم بقتاله لامتلاك بلاده، وهذا قد مضى ولايصدق على كلّ من كان غير إسرائيليّ في أيّ بلدٍ من بلاد الله تعالى خلافًا لما يجرون عليه إلى اليوم.

والظّاهر أنّهم يُعدّون عرب فلسطين المالكين لمعظم أرضها أعداء حربيّين كالّذين كانوا فيها عند مقاتلة يوشع لهم، ويستحلّون سلب أموالهم وسفك دمائهم إن استطاعوا، لأنّهم يزعمون أنّ أنبياءهم وعدُوهم بأنّ هذه البلاد كلّها ومافيها من موضع هيكل سليمان، ستعود إليهم كما وعد الرّبّ أجدادهم من قبل بجعلها لهم.

---

(١) راجع ص ٣٨ ج ٣ تفسير ففيه فوائد في استحلال اليهود أموال النّاس.

ولكن وَعْد أنبيائهم مقيّد بإتيان المسيح، وقد أتى وكذّبه أكثرهم، فإن كانوا ينتظرون غيره فليصبروا إلى أن يأتي ويصدّق بشارات الأنبياء.

وأمّا التعدّي على أهل البلاد ومحاولة سلب أرضيهم وعقارهم منهم، بتسخير بعض الدّول ـ الّتي تعبد المال ـ بما لهم لمساعدتهم على هذا الظّلم، فليس له شبهة في تلك البشارات. ولكن عند المسلمين بشارة أصحّ وأصرح من بشاراتهم وهو إخباره ﷺ لهم بأنّ اليهود يقاتلونهم، فيُظهرهم الله تعالى عليهم: ﴿اَنْتَظِرُوا اِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ الأنعام: ١٥٨.

على أنّ اليهود لم يقفوا في الرّبا عند حدّ، فقد صاروا يأكلون الرّبا من إخوتهم الفقراء، وهم منهيّون في التّوراة عنه بلفظ «شعبي الفقير» كما يُرى في سفر الخروج ٢٢: ٢٥.

وقد وبّخهم على ذلك نحميا الّذي كان صاحب السّعي الأوّل لإطلاقهم من السّبي، والمعيد لبناء أُورشليم بعد خرابها، والحاكم فيها، والمقيم للسّبت وسائر الشّرائع الّتي كتبها لهم رفيقه العُزَيْر (عزرا) كما تقدّم في تفسير: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ﴾ التّوبة: ٣٠، من أوّل هذا السّياق، فراجع الفصل الخامس من سفر نحميا.

وفي نبوّة حزقيال نهيٌ لهم عن الرّبا تارةً بالإطلاق، وتارةً بتخصيص الفقير، كما ترى في الإصحاح ١٨ منه، وكذلك داود ﷺ أطلق القول في ذمّ الرّبا والرّشوة في آخر المزمور الخامس عشر.

وأمّا النّصارى فقد وضع لهم الأساقفة أحكامًا للرّبا والقروض فيما يسمّونه «اللّاهوت الأدبي» يُبيحون فيها بعض الرّبا دون بعض، وهم كاليهود في المعاملات الرّبويّة الرّسميّة. وليس من موضوعنا بيان هذا بالتّفصيل، وإنّما موضوعنا أنّ الرّبا المحرّم عند الله تعالى على ألسنة أنبيائه، لضرره ممّا يأكله رُهبانهم أفرادًا وجماعات.

وأنّ لبعض رهبانهم جمعيّات غنيّة، معظم ثروتها من الرّبا، منها جمعيّة كانت قد أسّست بأرض فرنسة مصرفًا ماليًّا بَنكًا، جمعوا فيه من الأمانات أُلوف الأُلوف، ثمّ ادّعوا إفلاسه، فضاعت تلك الأمانات الكثيرة على مُودعيها في مصرفهم، فهاج عليهم النّاس هَيْجة شؤميّ، فكانوا يهجمون عليهم في أديارهم ويقتلونهم تقتيلًا، ثمّ طردتهم فرنسة من بلادها، وإنّما تساعدهم في مستعمراتها وغيرها من بلاد الشّرق، لترويجهم لسياستها.

وقد اطّلعتُ على نظام في الطّرق الخفيّة الّتي يجمعون بها الأموال من أهل دينهم ومذهبهم، ومن أهمّها حمل الأغنياء ولاسيّما المثريات من النّساء على الوصيّة لجمعيّتهم أو بعض أديارهم وكنائسهم أو الوقف عليها، ممّا لاحاجة في هذا التّفسير إلى تفصيله.

وحسبنا ماذكرناه في بيان صدق كتاب الله تعالى، وهو ماحضر في الذّهن وخطر في البال عند الكتابة، ممّا علمناه من التّاريخ، وكلّه حقّ وإن فات أكثره جميع مَن عرفنا كتبهم من المفسّرين، لأنّهم لايستمدّون مثل هذا إلّا من الرّوايات والإسرائيليّات، فعلى القارئ أن يعتبر به، ويعجب من وقاحة أمثال هؤلاء الرّؤساء، كيف لايخجلون من بثّ الدّعاة في البلاد الإسلاميّة لدعوة

المسلمين إلى دينهم.

ومن أراد التّفصيل في الرّدّ عليهم فليرجع إلى كتب أحرار أُوربّة والكتب الّتي يردّ بها بعضهم على بعض، وكلّ هذا الفساد الّذي طرأ على دين المسيح الحقّ فهو من غلوّ أهل أُوربّة في الدّين، ثمّ في الكفر والتّعطيل، فهم غُلاة مسرفون في كلّ شيء، وصاحب هذا الخلق يتقن كلّ مايأخذ به من خير وشرّ، لأنّه لايرضى منه بما دون غايته.

ومن ثمّ أتقنت رهباتهم جمع المال ثمّ أتقنت الانتفاع به في دينها التّقليديّ ودنياها، وأخذت رهبنات الشّرق النّظام عنها، وماذا فعل المسلمون في أوقافهم وخدمة دينهم؟ (١٠: ٣٩٦ـ٤٠١)

الطّباطَبائيّ: إيضاح قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ...﴾ التّوبة: ٢٩، بقوله: ﴿اِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْاَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَاْكُلُونَ اَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ...﴾ التّوبه ٣٤، فهو إيضاح بأوضح المصاديق وأهمّها تأثيرًا في إفساد المجتمع الإنسانيّ الصّالح، وإبطال غرض الدّين.

فالقرآن الكريم يعدّ لأهل الكتاب وخاصّة لليهود جرائم وآثامًا كثيرة مفصّلة في سورة البقرة والنّساء والمائدة وغيرها، لكنّ الجرائم والتّعدّيات الماليّة شأنها غير شأن غيرها، وخاصّة في هذا المقام الّذي تعلّق الغرض بإفساد أهل الكتاب المجتمع الإنسانيّ الصّالح لو كانوا مبسوطي اليد، واستقلالهم الحيويّ قائمًا على ساق، ولامفسد للمجتمع مثل التّعدّي الماليّ.

فإنّ أهمّ مايقوم به المجتمع الإنسانيّ على أساسه هو الجهة الماليّة الّتي جعل الله لهم قيامًا، فجلّ المآثم والمساوئ والجنايات والتّعدّيات والمظالم تنتهي بالتّحليل إمّا إلى فقر مفرط، يدعو إلى اختلاس أموال النّاس، بالسّرقة وقطع الطّرق وقتل النّفوس، والبخس في الكيل والوزن والغصب، وسائر التّعدّيات الماليّة.

وإمّا إلى غنًى مفرط، يدعو إلى الإتراف والإسراف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمسكن، والاسترسال في الشّهوات وهتك الحرمات، وبسط التّسلّط على أموال النّاس وأعراضهم ونفوسهم.

وتنتهي جميع المفاسد النّاشئة من الطّريقين كليهما بالتّحليل إلى مايعرض من الاختلال على النّظام الحاكم في حيازة الأموال واقتناء الثّروة، والأحكام المُشرّعة لتعديل الجهات المُمَلّكة المميّزة لأكل المال بالحقّ من أكله بالباطل.

فإذا اختلّ ذلك وأذعنت النّفوس بإمكان القبض على ماتحتها من المال، وتتوق إليه من الثّروة بأيّ طريق ممكن، لقّن ذلك إيّاها أن يظفر بالمال ويقبض على الثّروة بأيّ طريق ممكن حقٍّ أو باطلٍ، وأن يسعى إلى كلّ مشتهًى من مشتهيات النّفس مشروعٍ أو غير مشروعٍ أدّى إلى ماأدّى.

وعند ذلك تقوم البلوى بفشوّ الفساد وشيوع الانحطاط الأخلاقيّ في المجتمع، وانقلاب المحيط الإنسانيّ إلى محيط حيوانيّ رديء لاهمّ فيه إلّا البطن ومادونه، ولايملك فيه إرادة أحد بسياسة أو تربية، ولاتفقّه فيه لحكمة، ولا إصغاء إلى موعظة.

ولعلّ هذا هو السّبب الموجب لاختصاص أكل المال

بالباطل بالذّكر، وخاصّة من الأحبار والرّهبان الّذين إليهم تربية الأُمّة وإصلاح المجتمع.

وقد عدّ بعضهم من أكلهم أموال النّاس بالباطل مايُقدّمه النّاس إليهم من المال حبًّا لهم، لتظاهرهم بالزّهد والتّنسّك، وأكل الرّبا والسّحت، وضبطهم أموال مخالفيهم، وأخذهم الرُّشى على الحكم، وإعطاء أوراق المغفرة وبيعها، ونحو ذلك.

والظّاهر أنّ المراد بها أمثال أخذ الرّشوة على الحكم، كما تقدّم من قصّتهم في تفسير قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَايَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ...﴾ المائدة: ٤١، في الجزء الخامس من الكتاب.

ولو لم يكن من ذلك إلّا ماكانت تأتي به الكنيسة من بيع أوراق المغفرة، لكفى به مَقتًا ولومًا.

وأمّا ماذكره من تقديم الأموال إليهم لتزهّدهم، وكذا تخصيصهم بأوقاف ووصايا ومَبرّات عامّة، فليس بمعدود من أكل المال بالباطل، وكذا ماذكره من أكل الرّبا والسّحت فقد نسبه تعالى في كلامه إلى عامّة قومهم، كقوله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبٰوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ...﴾ النّساء: ١٦١، وقوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ...﴾ المائدة: ٤٢، وإنّما كلامه تعالى في الآية الّتي نحن فيها فيما يخصّ أحبارهم ورهبانهم من أكل المال بالباطل، لامايعمّهم وعامّتهم.

إلّا أنّ الحقّ أنّ زعماء الأُمّة الدّينيّة ومربّيهم في سلوك طريق العبوديّة الممتنين بإصلاح قلوبهم وأعمالهم إذا انحرفوا عن طريق الحقّ إلى سبيل الباطل كان جميع ماأكلوه لهذا الشّأن واستدرّوه من منافعه سُحتًا مُحرّمًا لايُبيحه لهم شرع ولاعقل. (٩: ٢٤٨)

وهناك نصوص أُخرى تقدّم في «أكل» فراجع.

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ النّساء: ١٦١.

الحقّ والباطل

١ـ ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾. الأنفال: ٨

الطُّوسيّ: أي يُبطل ماجاء به المشركون. (٥: ٩٦)

الطَّبْرِسيّ: أي الكفر بإهلاك أهله. (٢: ٥٢١)

ابن الجَوْزيّ: أمّا الباطل فهو الشّرك والمجرمون هاهنا: المشركون. (٣: ٣٢٤)

الفَخْرالرّازيّ: الحقّ حقّ لذاته والباطل باطل لذاته، وماثبت للشّيء فإنّه يمتنع تحصيله بجعل جاعلٍ وفعل فاعلٍ، فما المراد من تحقيق الحقّ وإبطال الباطل؟

والجواب: المراد من تحقيق الحقّ وإبطال الباطل، بإظهار كون ذلك الحقّ حقًّا، وإظهار كون ذلك الباطل باطلًا، وذلك تارةً يكون بإظهار الدّلائل والبيّنات، وتارةً بتقوية رؤساء الحقّ وقهر رؤساء الباطل. (١٥: ١٢٨)

٢ـ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾. الإسراء: ٨١

ابن مَسعود: دخل رسول الله ﷺ مكّة، وحول البيت ثلاثمئة وستّون صنمًا، فجعل يطعنها ويقول: ﴿جَاءَ

الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

(الطَّبَرِيّ ١٥: ١٥٢)

نحوه الكَلْبِيّ. (الطَّبْرِسيّ ٣: ٤٣٥)

مُجاهِد: الشّيطان. (القُرطُبِيّ ١٠: ٣١٥)

مثله قَتادَة. (الطَّبَرِيّ ١٥: ١٥٢)

السُّدِّيّ: هو الشّرك. (الطَّبْرِسيّ ٣: ٤٣٥)

الإمام الباقر عليه السلام: إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل. (العَرُوسيّ ٣: ٢١٢)

مُقاتِل: عبادة الأصنام. (الماوَرْديّ ٣: ٢٦٧)

ابن جُرَيْج: الشّرك وماهم فيه.

(الطَّبَرِيّ ١٥: ١٥٢)

الطَّبَرِيّ: اختلف أهل التّأويل في معنى (الْحَقّ) الّذي أمر الله نبيّه ﷺ أن يُعلم المشركين أنّه قد جاء، و(الْبَاطِلُ) الّذي أمره أن يُعْلِمهم أنّه قد زهق، فقال بعضهم: (الْحَقُّ) هو القرآن في هذا الموضع و(الْبَاطِلُ) هو الشّيطان.

قال آخرون: بل عنى بـ(الْحَقّ) جهاد المشركين، وبـ(الْبَاطِل) الشّرك.

وأولى الأقوال في ذلك بالصّواب أن يقال: أمر الله تبارك وتعالى نبيّه عليه الصّلاة والسّلام أن يُخبر المشركين أنّ (الْحَقّ) قد جاء، وهو كلّ ماكان لله فيه رضًا وطاعة، وأنّ (الْبَاطِل) قد زهق.

يقول: وذهب كلّ ماكان لارضًا لله فيه ولاطاعة، ممّا هو له معصية، وللشّيطان طاعة.

وذلك أنّ (الْحَقّ) هو كلّ ماخالف طاعة إبليس، وأنّ (الْبَاطِل) هو كلّ ماوافق طاعته، ولم يخصّص الله عزّ ذكره بالخبر عن بعض طاعاته ولاذهاب بعض معاصيه، بل عمّ الخبر عن مجيء جميع الحقّ وذهاب جميع الباطل.

وبذلك جاء القرآن والتّنزيل، وعلى ذلك قاتل رسول الله ﷺ أهل الشّرك بالله، أعني على إقامة جميع الحقّ، وإبطال جميع الباطل. (١٥: ١٥٢)

الطُّوسيّ: باطلًا هالكًا لاثبات له، وإنّه يضمحلّ ويتلاشى. (٦: ٥١٢)

الزَّمَخْشَريّ: لمّا نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ: خذ مِخْصَرَتك ثمّ ألقها، فجعل يأتي صنمًا صنمًا وهو ينكت بالمِخْصرة[1] في عينه، ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ...﴾ فيَنكبّ الصّنم لوجهه حتّى ألقاها جميعًا.

وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة، وكان من قوارير صُفر، فقال: ياعليّ إرم به، فحمله رسول الله ﷺ حتّى صعد فرمى به فكسره، وجعل أهل مكّة يتعجّبون، ويقولون: مارأينا رجلًا أسحر من محمّد ﷺ.

والباطل: الشّرك. (٢: ٤٦٣)

ابن عَطيّة: قال قَتادَة: (الْبَاطِل): الشّيطان، وقالت فرقة: الكفر، وقال ابن جُرَيْج: الشّرك، وقيل غير ذلك.

والصّواب تعميم اللّفظ بالغاية الممكنة، فيكون التّفسير: جاء الشّرع بجميع ماانطوى فيه، والباطل: كلّ مالاتنال به غاية نافعة. (٣: ٤٨٠)

مثله القُرطُبِيّ. (١٠: ٣١٥)

الفَخْرالرّازيّ: هو كلّ ماسواه من الأديان

(١) المِخْصَرَة: مايُتوكّأ عليها كالعصا.

والشّرائع. (٢١: ٣٣)

الطّباطَبائيّ: في الآية دلالة على أنّ (الباطِلَ) لادوام له، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ إبراهيم: ٢٦. (١٣: ١٧٧)

٣ـ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ. الأنبياء: ١٨

مُجاهِد: (الباطل): الشّيطان، وكلّ ما في القرآن من الباطل فهو الشّيطان. (القُرطُبيّ ١١: ٢٧٧)

قَتادَة: (الحقّ): كتاب الله، و(الباطِل): إبليس. (الطّبَريّ ١٧: ١٠)

الطّبَريّ: لكن نُنزّل الحقّ من عندنا، وهو كتاب الله، وتنزيله على الكفر به وأهله. (١٧: ١٠)

البغَويّ: (بِالْحَقِّ): بالإيمان (عَلَى الْبَاطِلِ): على الكفر.

وقيل: (الْحَقّ): قول الله، فإنّه لاولد له، و(الْبَاطِل) قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا...﴾ البقرة: ١١٦. (٣: ٢٨٥)

المَيْبُديّ: يعني بالإسلام على الشّرك، وبالحجّة على الشّبهة، وبالوعظ على المعاصي.

وقيل: (الحقّ): القرآن، و(الباطل): إبليس، والتّقدير في اللّغة: على ذي الباطل. (٦: ٢١٧)

نحوه القُرطُبيّ. (١١: ٢٧٧)

الطّبْرِسيّ: بل نورد الأدلّة القاهرة على الباطل، وقيل: نرمي بالحجّة على الشّبهة، وقيل: بالإيمان على الكفر. (٤: ٤٢)

ابن الجَوْزيّ: أي نسلّط الحقّ وهو القرآن، (عَلَى الْبَاطِلِ) وهو كذبهم. (٥: ٣٤٤)

البُرُوسَويّ: أن نغلب (الْحَقّ) الّذي من جملته: الجد والإيمان والقرآن ونحوها، على (الْبَاطِل) الّذي من جملته: اللّهو والكفر والأباطيل الأُخر. (٥: ٤٦١)

نحوه الآلوسيّ. (١٧: ٢٠)

الطّباطَبائيّ: «الحقّ والباطل» مفهومان متقابلان، فـ(الحقّ) هو الثّابت العين، و(الباطل): ماليس له عين ثابتة، لكنّه يتشبّه بالحقّ تشبّهًا، فيُظنّ أنّه هو، حتّى إذا تعارضا بقي الحقّ وزهق الباطل، كالماء الّذي هو حقيقة من الحقائق، والسّراب الّذي ليس بالماء حقيقةً، لكنّه يتشبّه به في نظر النّاظر، فيحسبه الظّمآن ماءً، حتّى إذا جاءه لم يجده شيئًا.

وقد عدّ سبحانه في كلامه أمثلة كثيرة من «الحقّ والباطل» فعدّ الاعتقادات المطابقة للواقع من الحقّ، وماليس كذلك من الباطل، وعدّ الحياة الآخرة حقًّا، والحياة الدّنيا ـ بجميع مايراه الإنسان لنفسه فيها ويسعى له سعيه من ملك ومال، وجاهٍ وأولاد وأعوان ونحو ذلك ـ باطلًا، وعدّ ذاته المتعالية حقًّا، وسائر الأسباب الّتي يغترّ بها الإنسان ويركن إليها من دون الله باطلًا، والآيات في ذلك كثيرة، لا مجال لنقلها في المقام.

والّذي يستند إليه تعالى بالأصالة هو الحقّ دون الباطل، كما قال: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ آل‌عمران: ٦٠، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ ص: ٢٧، وأمّا الباطل من حيث إنّه باطل فليس يُنتسب إليه بالاستقامة، وإنّما هو لازم نقص

بعض الأشياء إذا قيس النّاقص منها إلى الكامل، فالعقائد الباطلة لوازم نقص الإدراك، وسائر الأُمور الباطلة لوازم الأُمور إذا قيس إلى ماهو أكمل منها، وهي تنتسب إليه تعالى بالإذن بمعنى أنّ خلقه تعالى الأرض السّبخة الصّيقليّة بحيث يتراءى للنّاظر في لون الماء وصفائه إذنٌ منه تعالى في أن يتخيّل عنده ماء، وهو تحقّق السّراب تحقّقًا تخيّليًّا باطلًا.

ومن هنا يظهر أن لاشيء في الوجود إلّا وفيه شوب بُطلان إلّا الله سبحانه، فهو الحقّ الّذي لايُخالطه بُطلان ولا سبيل له إليه، قال: ﴿أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ النّور: ٢٥.

ويظهر أيضًا أنّ الخلقة على مافيها من النّظام بامتزاج من الحقّ والباطل، قال تعالى يمثّل أمر الخلقة: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ الرّعد: ١٧، وتحت هذا معارف جمّة.

وقد جرت سنّة الله تعالى أن يُمهل الباطل، حتّى إذا اعترض الحقّ ليُبطله ويحلّ محلّه قذفه بالحقّ فإذا هو زاهق، فالاعتقاد الحقّ لايُقطع دابره وإن قلّت حملته أحيانًا أو ضعفوا، والكمال الحقّ لايهلك من أصله وإن تكاثرت أضداده، والنّصر الإلهيّ لايتخطّأ رُسُله، وإن كانوا ربّما بلغ بهم الأمر إلى أن استيأسوا وظنّوا أنّهم قد كذّبوا.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ فإنّه إضراب عن عدم خلق العالم لعبًا، أو عن عدم إرادة اتّخاذ اللّهو المدلول عليه بقوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ إلخ.

وفي قوله: (نَقْذِفُ) المفيد للاستمرار، دلالة على كونه سنّة جارية، وفي قوله: (نَقْذِفُ...فَيَدْمَغُهُ) دلالة على علوّ الحقّ على الباطل، وفي قوله: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ دلالة على مفاجأة القذف ومباغتته، في حين لايُرجى للحقّ غلب ولا للباطل انهزام. والآية مطلقة غير مقيّدة بالحقّ والباطل في الحجّة، أو في السّيرة والسّنّة، أو في الخلقة، فلا دليل على تقييدها بشيء من ذلك.

والمعنى ماخلقنا العالم لعبًا أو لم نرد اتّخاذ اللّهو بل سنّتنا أن نرمي بالحقّ على الباطل رميًا بعيدًا فيهلكه، فيفاجئه الذّهاب والتّلف، فإن كان الباطل حجّة أو عقيدة فحجّة الحقّ تبطلها، وإن كان عملًا وسُنّة كما في القرى المسرفة الظّالمة، فالعذاب المستأصل يستأصله، ويبطله، وإن كان غير ذلك فغير ذلك. (١٤: ٢٦٢)

٤ـ ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. الحجّ: ٦٢

ابن جُرَيْج: الشّيطان. (الطّبَريّ ١٧: ١٩٦)

الطّبَريّ: إنّ الّذي يدعوه هؤلاء المشركون إلهًا من دونه هو الباطل الّذي لايقدر على صنعة شيء بل هو المصنوع. (١٧: ١٩٦)

الطّوسيّ: مايدعونه من دون الله من الأصنام والأوثان هو الباطل على الحقيقة. (٧: ٣٣٥)

ابن عَطيّة: الإشارة بما يدعى من دونه، قالت

فرقة: هي إلى الشّيطان، وقالت فرقة: هي إلى الأصنام، والعموم هنا حسن. (٤: ١٣١)

الطّبْرِسيّ: لأنّه ليس عنده نفع ولاضرّ.

(٤: ٩٤)

البَيْضاويّ: المعدوم في حدّ ذاته، أو باطل الأُلوهيّة. (٢: ٩٨)

مثله أبوالسُّعود. (٤: ٣٩٤)

الآلوسيّ: أي المعدوم في حدّ ذاته أو باطل الإلهيّة.

والحصر يحتمل أن يكون غير مرادٍ وإنّما جيء به للمشاكلة، ويحتمل أن يكون مراداً على معنى أنّ جميع مايدعون من دونه (هُوَ الْبَاطِلُ) لابعضه دون بعض

وقيل: هو باعتبار كمال بطلانه.

وزيادة (هُوَ) هنا دون (مَا) في سورة لقمان من نظير هذه الآية، لأنّ (ما) هنا وقع بين عشر آيات كلّ آية مؤكّدة مرّة أو مرّتين، ولهذا أيضًا زيدت اللّام في قوله تعالى الآتي: ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ الحجّ: ٦٤، دون نظيره في تلك السّورة.

ويمكن أن يقال: تقدّم في هذه السّورة ذكر الشّيطان، فلهذا ذكرت هذه المؤكّدات بخلاف سورة لقمان، فإنّه لم يتقدّم ذكر الشّيطان هناك، بنحو ماذكر هاهنا.

ويجوز أن يكون زيادة (هُوَ) في هذا الموضع، لأنّ المعلّل فيه أزيد منه في ذلك الموضع. (١٧: ١٩١)

الطّباطَبائيّ: والحصران في قوله: ﴿بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ وقوله: (وَأَنَّ مَايَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ) إمّا بمعنى أنّه تعالى حقّ لايشوبه باطل ﴿وَأَنَّ مَايَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ وهي الأصنام باطل لايشوبه حقّ، فهو قادرٌ على أن يتصرّف في تكوين الأشياء، وأن يحكم لها وعليها بما شاء.

وإمّا بمعنى أنّه تعالى حقّ بحقيقة معنى الكلمة مستقلًّا بذلك، لاحقّ غيره إلّا ماحقّقه هو، وأنّ مايدعون من دونه وهي الأصنام بل كلّ مايركن إليه ويُدعى للحاجة من دون الله ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ لاغيره، إذ مصداق غيره هو الله سبحانه ـ فافهم ذلك ـ وإنّما كان باطلًا إذ كان لاحقّيّة له باستقلاله. (١٤: ٤٠٢)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَايَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ لقمان: ٣٠.

٥ ـ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَايُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَايُعِيدُ﴾.

سبأ: ٤٩

ابن مسعود: دخل رسول الله ﷺ مكّة، وحول البيت ثلاثمئةوستّون صنمًا، فجعل يطعنها بعودٍ في يده، ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء: ٨١، ﴿وَمَايُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَايُعِيدُ﴾.

(الطّبْرِسيّ ٤: ٣٩٧)

وهذا المعنى مرويّ عن الإمام الرّضا عليه السلام.

(الكاشانيّ ٤: ٢٢٦)

الضّحّاك: أنّه الأصنام لاتُبدئ خلقًا ولاتُحيي.

(ابن الجَوْزيّ ٦: ٤٦٦)

الحسَن: مايبدئ الباطل لأهله خيرًا في الدّنيا، ولايُعيد خيرًا في الآخرة. (الطّبْرِسيّ ٤: ٣٩٦)

قَتادَة: (الباطِل): إبليس، أي مايخلق إبليس أحدًا، ولايبعثه. (الطّبَريّ ٢٢: ١٠٦)

مثله الكلبيّ ومُقاتِل. (البغويّ ٣: ٦٨٦)

أبوسليمان الدّمشقيّ: لايبتدئ الصّنم من عنده كلامًا فيُجاب، ولايَردّ ماجاء من الحقّ بحُجّة.

(ابن الجوزيّ ٦: ٤٦٦)

الطَّبَريّ: يقول: ومايُنشئ الباطل خلقًا. و(الْبَاطِلُ) هو فيما فسّره أهل التّأويل: إبليس، (وَمَا يُعِيدُ) يقول: ولايعيده حيًّا بعد فنائه. (٢٢: ١٠٦)

الزّجّاج: أي قل جاء أمر الله الّذي هو الحقّ ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾، (ما) في موضع نصب على معنى وأيّ شيء يُبْدِئ الباطل، وأيّ شيء يعيد.

والأجود أن يكون (ما) نفيًا، على معنى مايُبدئ الباطل ومايعيد، و(الْبَاطِلُ) هاهنا: إبليس.

والمعنى ومايعيد إبليس ومايفيد، أي لايخلق ولايبعث، والله عزّوجلّ الخالق والباعث.

ويجوز أن يكون (الْبَاطِلُ): صاحب الباطل وهو إبليس. (٤: ٢٥٨)

الطّوسيّ: لأنّ الحقّ إذا جاء أذهب الباطل، فلم يبق له بقيّة يُبْدئ بها ولايُعيد.

وقيل: إنّ المراد به كلّ معبود من دون الله بهذه الصّفة. (٨: ٤٠٧)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (٤: ٣٩٦)

القُشَيريّ: (الْبَاطِلُ) على مرّ الأيّام لايزيد إلّا زهوقًا، و(الحقّ) على مرّ الأيّام لايزداد إلّا قوّةً وظهورًا. (٥: ١٨٨)

البغَويّ: أي ذهب الباطل وزهق، فلم يبق منه بقيّة يُبْدِئ شيئًا أو يعيد، كما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ الأنبياء: ١٨. (٣: ٦٨٥)

الزَّمَخْشَريّ: قيل: (الْبَاطِلُ) إبليس لعنه الله، أي ماينشئ خلقًا ولايعيده. المنشئ والباعث هو الله تعالى.

وقيل للشّيطان: الباطل، لأنّه صاحب الباطل، أو لأنّه هالك، كما قيل له: الشّيطان؛ من شاطَ، إذا هَلَك. (٣: ٢٩٥)

ابن عَطيّة: قالت فرقة: (الْبَاطِلُ) هو غير الحقّ من الكذب والكفر ونحوه، استعار له الإبداء والإعادة ونفاهما عنه، كأنّه قال: ومايصنع الباطل شيئًا.

وقالت فرقة: (الْبَاطِلُ) الشّيطان، والمعنى مايفعل الشّيطان شيئًا مفيدًا، أي ليس يخلق ولايرزق.

وقالت فرقة: (ما) استفهام، كأنّه قال: وأيّ شيء يصنع الباطل؟ (٤: ٤٢٦)

ابن الجَوزيّ: إنّه الباطل الّذي يضادّ الحقّ، فالمعنى ذهب الباطل بمجيء الحقّ، فلم يبق منه بقيّة يُقبل بها أو يُدبر، أو يُبْدِئ أو يعيد، ذكره جماعة من المفسّرين. (٦: ٤٦٦)

الفَخْر الرّازيّ: أي الباطل لايفيد شيئًا في الأُولى ولافي الآخرة، فلاإمكان لوجوده أصلًا، والحقّ المأتيّ به لاعدم له أصلًا. وقيل: المراد لايُبْدئ الشّيطان ولايُعيده.

وفيه معنى لطيف، وهو أنّ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ سبأ: ٤٨، لمّا كان فيه معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ الأنبياء: ١٨، كان يقع لمتوهّم أنّ الباطل كان، فورد عليه الحقّ فأبطله ودمغه، فقال هاهنا: ليس للباطل تحقّق أوّلًا وآخرًا،

وإنّما المراد من قوله: ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي فيُظهر بطلانه الّذي لم يزل كذلك.

وإليه الإشارة بقوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ يعني ليس أمرًا متجدّدًا زهوق الباطل.

فقوله: ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ أي لايثبت في الأوّل شيئًا خلاف الحقّ، (وَلَا يُعِيدُ) أي لايعيد في الآخرة شيئًا خلاف الحقّ. (٢٥: ٢٧٠)

أبوحَيّان: وقيل: (الْبَاطِلُ) الّذي يضادّ الحقّ، فالمعنى ذهب الباطل بمجيء الحقّ، فلم يبق منه بقيّة، وذلك أنّ الجاني إذا هَلك لم يبق له إبداء ولاإعادة، فصار قولهم: «لايُبدئ ولايعيد» مثلًا في الهلاك. [ثمّ استشهد بشعر]

والظّاهر أنّ (ما) نفيٌ، وقيل: استفهام، ومآله إلى النّفي، كأنّه قال: أيّ شيء يُبْدئ الباطل، أي إبليس، ويعيده، قاله الزّجّاج وفرقة معه. (٧: ٢٩٢)

نحوه الشّربينيّ (٣: ٢٠٦)، وأبوالسُّعود (٥: ٢٦٦)، والبُرُوسَويّ (٧: ٣٠٨).

الآلوسيّ: أي ذهب واضمحلّ بحيث لم يبق له أثر مأخوذ من هلاك الحيّ، فإنّه إذا هلك لم يبق له إبداء أيّ فعل أمرٍ ابتداء ولاإعادة، أي فعله ثانيًا، كما يقال: لايأكل ولايشرب، أي ميّت.

فالكلام كناية عمّا ذُكر، أو مجاز متفرّع على الكناية.

[ثمّ استشهد بشعر]

وقال جماعة: (الْبَاطِل): إبليس، وإطلاقه عليه لأنّه مبدؤه ومنشؤه، ولاكناية في الكلام عليه.

والمعنى لايُنشيء خلقًا ولايعيد، أو لايُبدئ خيرًا لأهله ولايعيد، أي لاينفعهم في الدّنيا والآخرة. وقيل: هو الصّنم، والمعنى ماسمعت.

وعن أبي سليمان: أنّ المعنى إنّ الصّنم لايبتدئ من عنده كلامًا فيجاب، ولايردّ ماجاء من الحقّ بحُجّة.

و(ما) على جميع ذلك نافية. وقيل: هي على ماعدا قول الأوّل للاستفهام الإنكاريّ منتصبة بما بعدها، أي أيّ شيء يُبْدئ الباطل، وأيّ شيء يُعيد، ومآله النّفي.

والكلام جُوّز أن يكون تكميلًا لما تقدّم، وأن يكون من باب العكس والطّرد، وأن يكون تذييلًا مقرّرًا لذلك فتأمّل. (٢٢: ١٥٦)

الطَّباطَبائيّ: أي مايظهر أمرًا ابتدائيًّا جديدًا بعد مجيء الحقّ، ومايعيد أمرًا كان قد أظهره من قبل إظهارًا ثانيًا بنحو الإعادة، فهو كناية عن بُطلان الباطل وسقوطه عن الأثر من أصله بالحقّ الّذي هو القرآن. (١٦: ٣٨٩)

عبد الكريم الخطيب: إشارة إلى أنّ الباطل قد أُصيب في مُقاتِله[1]، وأنّه لن تقوم له بعد اليوم قائمة، ولن يكون له بعد اليوم صوت يُسمع. فالمراد بنفي البدء، والإعادة لازمها وهو عدم التأثير، أي أنّه الباطل يفقد كلّ آثاره وأفعاله بعد أن يقذف بالحقّ، كما يقول سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ الأنبياء: ١٨. (١١: ٨٤٤)

٦ـ ...وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ. المؤمن: ٥

(١) كذا، و الظّاهر: مقاتله.

يحيى بن سلّام: جادلوا الأنبياء بالشّرك ليُبطلوا به الإيمان. (القُرطُبيّ ١٥: ٢٩٣)

الطَّبْرِسيّ: أي خاصموا رسلهم بأن قالوا: ماأنتم إلّا بشر مثلنا وهلّا أرسل الله إلينا ملائكة! وبأمثال هذا من القول. (٤: ٥١٤)

أبوحَيّان: أي بما هو مضمحِلّ ذاهب لاثبات له.

وقيل: (البَاطِل): الكفر، وقيل: الشّيطان، وقيل: بقولهم ﴿مَاأَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ يس: ١٥. (٧: ٤٤٩)

أبوالسُّعود: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾ الّذي لاأصل له ولاحقيقة له أصلًا. (٥: ٤٠٨)

البُرُوسَويّ: الّذي لاأصل له ولاحقيقة له أصلًا.

قال في «فتح الرّحمان»: (البَاطِل): ماكان فائت المعنى من كلّ وجهٍ مع وجود الصّورة، إمّا لانعدام الأهليّة أو لانعدام المحلّيّة، كبيع الخمر وبيع الصّبيّ. (٨: ١٥٤)

الآلوسيّ: بما لاحقيقة له، قيل: هو قولهم: ﴿مَاأَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ يس: ١٥.

والأولى أن يقال: هو كلّ مايذكرونه لنفي الرّسالة وتحسين ماهم عليه. وتفسيره بالشّيطان ليس بشيء.
(٢٤: ٤٤)

٧ـ ذٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ. محمّد: ٣

مُجاهِد: (الباطل): الشّيطان. (الطَّبَريّ ٢٦: ٤٠)

الزّجّاج: أي الأمر ذلك بأنّ الّذين كفروا اتّبعوا الباطل، وجائز أن يكون ذلك الإضلال لاتّباعهم الباطل، وتلك الهداية والكفّارات باتّباع المؤمنين الحقّ. (٥: ٥)

الطُّوسيّ: فعلنا ذلك بهم وحكمنا بإبطال أعمالهم جزاء على أنّهم اتّبعوا الباطل والمعاصي، وفعلنا بالمؤمنين من تكفير سيّئاتهم، لأنّهم اتّبعوا الحقّ الّذي أمر الله باتّباعه.

وقيل: الباطل هو الشّيطان هاهنا، والحقّ هو القرآن. (٩: ٢٩٠)

المَيْبُديّ: (الباطل) هو الشّرك. (٩: ١٧٧)

الزَّمَخْشَريّ: مالايُنتفع به، وعن مُجاهِد: الشّيطان. وهذا الكلام يسمّيه علماء البيان: التّفسير. (٣: ٥٣٠)

الطَّبْرِسيّ: أي ذلك الإضلال والإصلاح: باتّباع الكافرين الشّرك وعبادة الشّيطان، واتّباع المؤمنين التّوحيد والقرآن، ومأأمر الله سبحانه باتّباعه. (٥: ٩٧)

نحوه القُرطُبيّ (١٦: ٢٢٥)، والآلوسيّ (٢٦: ٣٨).

الفَخْرالرّازيّ: في (البَاطِل) وجوه:

الأوّل: مالايجوز وجوده، وذلك لأنّهم اتّبعوا إلهًا غير الله، وإله غير الله محال الوجود، وهو الباطل وغاية الباطل، لأنّ الباطل هو المعدوم، يقال: بطل كذا، أي عدم.

والمعدوم الّذي لايجوز وجوده ولايمكن أن يوجد، ولايجوز أن يصير حقًّا موجودًا، فهو في غاية البُطلان؛ فعلى هذا فـ(الحَقّ) هو الّذي لايمكن عدمه وهو الله تعالى؛ وذلك لأنّ الحقّ هو الموجود، يقال: تحقّق الأمر، أي وجد وثبت، والموجود الّذي لايجوز عدمه، هو في

غاية الثّبوت.

الثّاني: (البـاطِل): الشّيطان بـدليل قـوله تـعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الأعراف: ١٨، فبيّن أنّ الشّيطان متبوع وأتباعه هم الكفّار والفجّار، وعلى هذا فـ(الحقّ) هو الله، لأنّه تعالى جـعل في مـقابلة حـزب الشّيطان: حزب الله.

الثّالث: (البّاطِل): هو قول كُبَرائهم ودين آبـائهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ الزّخـرف: ٢٢، ومـقتدون، فعلى هذا (الحقّ) ماقاله النّبيّ ﷺ عن الله.

الرّابع: (البّاطِل): كلّ ماسوى الله تعالى، لأنّ الباطل والهالك بمعنًى واحـد ﴿كُـلُّ شَيْءٍ هَـالِكٌ إِلَّا وَجْـهَهُ﴾ القصص: ٨٨، وعلى هذا فـ(الحقّ) هو الله تعالى أيضًا.

(٢٨: ٤٧)

أبوالسّعود: أي ذلك كـائن بسبب أنّ الأوّلين اتّبعوا الشّيطان ـ كما قاله مُجاهِد ـ ففعلوا مافعلوا من الكفر والصّدّ. فبيان سببيّة اتّباعه للإضلال المذكور، متضمّن لبيان سببيّتها له، لكونه أصلًا مستتبعًا لها قطعًا، وبسبب أنّ الآخرين اتّبعوا الحقّ الّذي لاحيد عنه كائنًا من ربّهم، ففعلوا مافعلوا من الإيمان بـه وبكـتابه ومـن الأعـمال الصّالحة.

فبيان سببيّة اتّباعه لما ذكر من التّكفير والإصلاح بعد الإشعار بسببيّة الإيمان والعمل الصّالح له، مـتضمّن لبيان سببيّتها له، لكونه مبدأً أو منشأً لها حتمًا. فلاتدافع بين الإشعار والتّصريح في شيء من الموضعين.

ويجوز أن يُحمل (البّاطِل) على مايقابل (الحقّ) وهو الزّائل الذّاهب الّذي لاأصل له أصلًا. فالتّصريح بسببيّة اتّباعه لإضلال أعمالهم وإبطالها، لبيان أنّ إبطالها لبُطلان مبناها وزواله.

وأمّا حمله على مالاينتفع به فليس كما ينبغي لما أنّ الكفر والصّدّ أفحش منه، فلاوجه للتّصريح بسببيّته لما ذكر من إضلال أعمالهم بـطريق القـصر بـعد الإشـعار بسببيّتها له، فتدبّر.

ويجوز أن يراد بـ(البـاطِل) نـفس الكـفر والصّـدّ، وبـ(الحقّ) نفس الإيمان والأعمال الصّـالحة، فـيكون التّنصيص على سببيّتها لما ذكـر مـن الإضـلال ومـن التّكفير والإصلاح تـصريحًا بـالسّببيّة المشـعر بهـا في الموقعين. (٦: ٨٣)

نحوه البُرُوسَويّ. (٩: ٤٩٧)

الطَّباطَبائيّ: تعليل لما في الآيتين السّابقتين من إضلال أعمال الكفّار وإصلاح حال المؤمنين مع تكـفير سيّئاتهم.

وفي الآية إشارة إلى أنّ الملاك كلّ الملاك في سعادة الإنسان وشقائه: اتّباع الحقّ واتّباع الباطل، والسّبب في ذلك انتساب الحقّ إليه تعالى دون الباطل. (١٨: ٢٢٤)

بَاطِل

١ـ إِنَّ هٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَـا هُمْ فِـيهِ وَبَـاطِلٌ مَـا كَـانُوا يَعْمَلُونَ. الأعراف: ١٣٩

الطُّوسيّ: البطلان انـتفاء المـعنى بـعدمه، وبأنّـه لايصحّ في عدم ولاوجود. والمعنى في بطلان عملهم أنّه لايعود عـليهم بـنفع ولايـدفع ضررًا، فكأنّـه بمـنزلة

مالم يكن من هذا الوجه. (٤: ٥٦٢)

الزَّمَخْشَريّ: أي ماعملوا شيئًا من عبادتها فيما سلف إلّا وهو باطل مضمحلّ لاينتفعون به، وإن كان في زعمهم تقرّبًا إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا اِلَى مَاعَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ الفرقان: ٢٣.

(٢: ١١٠)

ابن عَطيّة: معناه فاسدٌ ذاهبٌ مضمحلّ.

(٢: ٤٤٨)

نحوه القُرطُبيّ (٧: ٢٧٤)، والبُرُوسَويّ (٣: ٢٢٥).

الطَّبْرِسيّ: أي باطل عملهم، لايُجدي عليهم نفعًا ولايدفع عنهم ضرًّا، فكأنّه بمنزلة من لم يكن من هذا الوجه.

فالبطلان انتفاء المعنى بعدمه أو بأنّه لايصحّ معتقده.

فالأوّل كبطلان البناء بالهدم، والثّاني كبطلان إله آخر مع الله، لأنّه لايصحّ في عدم ولاوجود. (٢: ٤٧٢)

الفَخْرالرّازيّ: قيل: البُطلان: عدم الشّيء، إمّا بعدم ذاته أو بعدم فائدته ومقصوده، فالمراد من بطلان عملهم: أنّه لايعود عليهم من ذلك العمل نفع ولادفع ضرر.

وتحقيق القول في هذا الباب: أنّ المقصود من العبادة أن تصير المواظبة على تلك الأعمال سببًا لاستحكام ذكر الله تعالى في القلب، حتّى تصير تلك الرّوح سعيدة بحصول تلك المعرفة فيها، فإذا اشتغل الإنسان بعبادة غير الله تعالى، تعلّق قلبه بغير الله، ويصير ذلك التّعلّق سببًا لإعراض القلب عن ذكر الله تعالى.

وإذا ظهر هذا التّحقيق ظهر أنّ الاشتغال بعبادة غير الله مُتَبَّرٌ وباطل، وضائع، وسعي في تحصيل ضدّ هذا الشّيء ونقيضه، لأنّا بيّنّا أنّ المقصود من العبادة: رسوخ معرفة الله تعالى في القلب، والاشتغال بعبادة غير الله يزيل معرفة الله عن القلب، فكان هذا ضدًّا للغرض ونقيضًا للمطلوب، والله أعلم. (١٤: ٢٢٤)

نحوه الخازن. (٢: ٢٣٠)

الآلوسيّ: أي مضمحلّ بالكلّيّة، وهو أبلغ من حمله على خلاف الحقّ. (٩: ٤١)

المَراغيّ: أي هالكٌ وزائل، لابقاء له. (٩: ٥٠)

زائل ماكانوا يعملون من عبادة غير الله ذي الجلال، فإنّما بقاء الباطل: في ترك الحقّ له، وبُعده عنه.

(٩: ٥٣)

٢ـ أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ اِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَاصَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ. هود: ١٦

الطَّبَريّ: كانوا يعملون لغير الله، فأبطله الله، وأحبط عامله أجره. (١٢: ١٤)

الطُّوسيّ: قوله: ﴿وَبَاطِلٌ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بعد قوله: ﴿وَحَبِطَ مَاصَنَعُوا فِيهَا﴾ يحقّق مانقوله: إنّ نفس الأعمال تبطل بأن توقع على خلاف الوجه الّذي يُستحقّ به الثّواب. (٥: ٥٢٧)

مثله الطَّبْرِسيّ. (٣: ١٤٨)

الزَّمَخْشَريّ: أي كان عملهم في نفسه باطلًا لأنّه لم يُعمل لوجه صحيح، والعمل الباطل لاثواب له. وقُرئ (وبطَلَ) على الفعل.

وعن عاصم: (وبَاطِلًا) بالنّصب، وفيه وجهان:

أن تكون (ما) إبهاميّة، وينتصب بـ(يَعْمَلُونَ) ومعناه وباطلًا، أي باطلٌ كانوا يعملون.

وأن تكون بمعنى المصدر على: وبطل بُطلانًا ماكانوا يعملون. (٢: ٢٦٢)

ابن عَطيّة: قرأ جمهور النّاس (وبَاطِلٌ) بالرّفع على الابتداء والخبر.

وقرأ أُبيّ وابن مَسعود (وبَاطِلًا) بالنّصب؛ قال أبوحاتم: ثبتت في أربعة مصاحف، والعامل فيه (يَعْمَلُونَ) و(مَا) زائدة، التّقدير: وباطلًا كانوا يعملون.

والباطل: كلّ ماتقتضي ذاته أن لاتنال به غاية في ثواب ونحوه، وبالله التّوفيق. (٣: ١٥٧)

القُرطُبيّ: ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ابتداء وخبر. قال أبوحاتم: وحُذف الهاء. قال النّحّاس: هذا لايحتاج إلى حذف، لأنّه بمعنى المصدر، أي وباطل عمله.

وفي حرف أُبيّ وعبد الله ﴿وَبَاطِلًا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وتكون (مَا) زائدة، أي وكانوا يعملون باطلًا. (٩: ١٥)

أبوحَيّان: (بَاطِل) ومابعده توكيد لقوله: ﴿وَحَبِطَ مَاصَنَعُوا﴾ (وَبَاطِلٌ) خبر مقدّم إن كان من عطف الجمل، و(مَاكَانُوا) هو المبتدأ. وإن كان خبرًا بعد خبر ارتفع (ما) بـ(باطل) على الفاعليّة.

وقرأ زيد بن عليّ (وَبَطَلَ) جعله فعلًا ماضيًا.

وقرأ أُبيّ وابن مسعود (وبَاطِلًا) بالنّصب، وخرّجه صاحب «اللّوامح» على أنّه مفعول لـ(يَعْمَلُونَ) فهو معمول خبر كان متقدّمًا، و(ما) زائدة، أي وكانوا يعملون باطلًا.

وفي جواز هذا التّركيب خلاف بين النّحويّين، وهو أن يتقدّم معمول الخبر على الجملة بأسرها من كان اسمها وخبرها، ويشهد للجواب قوله تعالى ﴿أَهٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ سبأ: ٤٠، ومن منع تأوّل.

وأجاز الزّمَخْشَريّ أن ينتصب (بَاطِلًا) على معنى المصدر على بَطَل بُطلانًا ماكانوا يعملون، فتكون (مَا) فاعلة، وتكون من إعمال المصدر الّذي هو بدل من الفعل في غير الاستفهام والأمر. وحقّ أن يبطُل أعمالهم، لأنّها لم تُعمل لوجه صحيح، والعمل الباطل لاثواب له. (٥: ٢١٠)

أبوالسُّعود: (وَبَاطِلٌ) أي في نفسه ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في أثناء تحصيل المطالب الدّنيويّة، ولأجل أنّ الأوّل من شأنه استتباع الثّواب والأجر، وأنّ عدمه لعدم مقارنته للإيمان والنّيّة الصّحيحة، وأنّ الثّاني ليس له جهة صالحة قطّ، عُلّق بالأوّل الحُبوط المؤذِن بسقوط أجره، بصيغة الفعل المُنبئ عن الحدوث، وبالثّاني البُطلان المُفصِح عن كونه، بحيث لاطائل تحته أصلًا بالاسميّة الدّالّة على كون ذلك وصفًا لازمًا له، ثابتًا فيه.

وفي زيادة «كان» في الثّاني دون الأوّل إيماء إلى أنّ صدور البرّ منهم وإن كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدّوام، كصدور الأعمال الّتي هي من مقدّمات مطالبهم الدّنيئة.

وقرئ (وبَطَلَ) على الفعل، أي ظهر بُطلانه، حيث علم هناك أنّ ذلك ومايستتبعه من الحظوظ الدّنيويّة ممّا لاطائل تحته، أو انقطع أثره الدّنيويّ فبطَل مطلقًا.

وقرئ (وَبَاطِلًا مَاكَانُوا يَعْمَلُون) على أنّ (ما) إبهاميّة

أو في معنى المصدر كقوله:

عليَّ حلفة لا أشتمُ الدّهرَ مسلمًا

ولا خارجًا مِنْ فِيَّ زورُ كلام

(٣: ٢٩٥)

البُرُوسَويّ: ﴿وَبَاطِلٌ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال وإن كانت حقًّا، لأنّهم عملوها لغير وجه الله وهو باطل، وبه يشير إلى أنّ كلّ من يعمل عملًا يطلب به غير الله فإنّ عمله ومطلوبه باطل، كما قال ﷺ: إنّ أصْدَق كلمةٍ قالتْها العرب:

ألا كلّ شيء ماخلا الله باطل

قال حضرة الشّيخ الأكبر قدّسنا الله بسرّه الأطهر: اعلم أنّ الموجودات كلّها وإن وُصفت بالباطل فهي حقّ من حيث الوجود، ولكنّ سلطان المقام إذا غلب على صاحبه يرى ماسوى الله تعالى باطلًا، من حيث إنّه ليس له وجود من ذاته، فحكمه حكم العدم، وهذا معنى قولهم: قوله باطل، أي كالباطل، لأنّ العالم قائم بالله لابنفسه، فهو من هذا الوجه باطل.

والعارف إذا وصل إلى مقامات القرب في بداية عرفانه ربّما تلاشت هذه الكائنات، وحجب عن شهودها بشهود الخلق، لأنّها زالت من الوجود بالكلّيّة، ثمّ إذا كمُل عرفانه شهد الحقّ تعالى والخلق معًا في آنٍ واحد.

وماكلّ أحد يصل إلى هذا المقام، فإنّ غالب النّاس إن شهد الخلق لم يشهد الحقّ، وإن شهد الحقّ لم يشهد الخلق، ولايُدرك الوحدة إلّا من أدرك اجتماع الضّدّين.

ولعلّ من المشهد الأوّل قول الأُستاذ الشّيخ أبي الحسن البكريّ قُدّس سرّه: أستغفر الله ممّا سوى الله تعالى، لأنّ الباطل يستغفر من إثبات وجوده لذاته. [ثمّ استشهد بشعر]

نسأل الله سبحانه أن يكشف القناع عن وجه المقصود، ويتجلّى لنا بجماله في وجه كلّ مُظهر وموجود، وهو الرّحيم الودود ذوالفضل والفيض الجود.

(٤: ١٠٩)

الآلوسيّ: قال أبوحَيّان: هو تأكيد لقوله سبحانه: (حَبِطَ) إلخ، والظّاهر أنّه حَمل ﴿مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ على معنى (مَاصَنَعُوا) والبطلان على عدم النّفع، وهو راجع إلى معنى الحبوط.

ولمّا رأى بعضهم أنّ التّأسيس أولى من التّأكيد أبقى (مَايَعْمَلُونَ) على ذلك المعنى، وحَمل بطلان ذلك على فساده في نفسه، لعدم شرط الصّحّة. وقال: كأنّ كلًّا من الجملتين علّة لما قبلها، على معنى ليس لهم في الآخرة إلّا النّار، لحبوط أعمالهم وعدم ترتّب الثّواب عليها لبطلانها، وكونها ليست على ماينبغي.

والأولى ماصنعه المولى أبوالسُّعود عليه الرّحمة، حيث حمل البطلان على الفساد في نفسه، ﴿مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ على أعمالهم في أثناء تحصيل المطالب الدّنيويّة.

[ثمّ نقل كلام أبي السُّعود وأضاف:]

ويحتمل عندي ـ على بُعد ـ أن يُراد بـ(مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ) هو مااستمرّوا عليه من إرادة الحياة الدّنيا، وهو غير ماصنعوه من الأعمال الّتي نسب إليها الحبوط. وإطلاق مثل ذلك على الإرادة ممّا لابأس به، لأنّها من أعمال القلب، ووجه الإتيان بـ«كان» فيه موافقته لما

أشار هو إليه، وفي الجملة تصريح باستمرار بطلان تلك الإرادة، وشرح حالها بعد شرح حال المريد وشرح أعماله. أراد بها الحياة الدّنيا وزينتها.

وأمّا مَاكَان فالظّاهر أنّ (بَاطِل) خبر مقدّم، و(مَاكَانُوا) هو المبتدأ. وجوّز في «البحر» كون (بَاطِلٌ) خبرًا بعد خبر، و(مَا) مرتفعة به على الفاعليّة.

وقرئ (وبَطَلَ) بصيغة الفعل، أي ظهر بطلانه حيث علم هناك أنّ ذاك ومايستتبعه من الحظوظ الدّنيويّة ممّا لاطائل تحته، أو انقطع أثره الدّنيويّ فبطل مطلقًا.

وقرأ أُبيّ، وابن مسعود (وَبَاطِلًا) بالنّصب، ونسب ذلك إلى عاصم، وخرّجه صاحب «اللّوامح» على أنّ (مَا) سيف خطيب، (وبَاطِل) مفعول لـ(يَعْمَلُونَ) وفيه تقديم معمول (كانَ)، وفيه ـ كتقديم الخبر ـ خلاف. والأصحّ الجواز لظاهر قوله تعالى: ﴿أَهٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ سبأ: ٤٠، ومَن منع تأوّل.

وجوّز أن يكون منصوبًا بـ(يَعْمَلُونَ) و (مَا) إبهاميّة صفة له، أي باطلًا أيّ باطلٍ، ونظير ذلك حديث «ما» على قصره: ولأمر ماجدع قصير أنفه.

وأن يكون مصدرًا بوزن «فاعل» وهو منصوب بفعل مقدّر، و(ما) اسم موصول فاعله، أي بَطَل بطلانًا الّذي كانوا يعملونه، ونظيره «خارجًا» في قول الفرزدق:

ألم ترني عاهدت ربّي وأنّني
لبين رتاج قائمًا ومقام
عليّ حلفة لاأشتم الدّهر مسلمًا
ولاخارجًا من فيّ زور كلام

فإنّه أراد: ولايخرج من فيّ زور كلام خروجًا، وفي ذلك على مافي «البحر» إعمال المصدر الّذي هو بدلٌ من الفعل في غير الاستفهام والأمر.

هذا، والظّاهر أنّ الآية في مطلق الكفرة الّذين يعملون البرّ، لاعلى الوجه الّذي ينبغي.

وأخرج ابن جرير وابن حاتم وغيرهما عن أنس رضي الله تعالى عنه أنّها نزلت في اليهود والنّصارى. ولعلّ المراد ـ كما قال ابن عَطيّة ـ أنّهم سبب النّزول، فيدخلون فيها، لاأنّها خاصّة بهم ولايدخل فيها غيرهم.

وقال الجُبّائيّ: هي في الّذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، جعل الله تعالى حظّهم من ذلك سهمهم في الغنائم، وفيه أنّ ذلك إنّما كان بعد الهجرة، والآية مكّيّة.

وقيل: في أهل الرّياء، يقال لقارئ القرآن منهم: أردت أن يقال: فلان قارئ، فقد قيل: اذهب فليس لك عندنا شيء، وهكذا لغيره من المُتصدّق، والمقتول في الجهاد، وغيرهما ممّن عمل من أعمال البرّ لالوجه الله تعالى.

وربّما يؤيّد ذلك ماروي عن معاوية حين حدّثه أبوهريرة بما تضمّن ذلك فبكى، وقال: صدق الله ورسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا...﴾ هود: ١٥، إلى قوله سبحانه: ﴿وَبَاطِلٌ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وعليه فلابدّ من تقييد قوله عزّوجلّ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ إِلَّا النَّارُ...﴾ هود: ١٦، بأن ليس لهم بسبب أعمالهم الرّيائيّة إلّا ذلك.

وهو خلاف الظّاهر، والسّياق يقتضي أنّها في الكفرة مطلقًا وبرّهم كما قلنا، ومن هنا اشتهر أنّ الكافر يعجل له ثواب أعماله في الدّنيا بتوسعة الرّزق وصحّة البدن وكثرة الولد ونحو ذلك، وليس لهم في الآخرة من نصيب.

لكن ذهب جماعة إلى أنّه يخفّف بها عنه عذاب الآخرة، ويشهد له قصّة أبي طالب.

وذهب آخرون إلى أنّ مايتوقّف على النّيّة من الأعمال لاينتفع الكافر به في الآخرة أصلًا لفقدان شرطه؛ إذ لم يكن من أهل النّيّة لكفره، ومالاينتفع به ويخفّف به عذابه، وبذلك يجمع بين الظّواهر المقتضي بعضها للانتفاع في الجملة وبعضها لعدمه أصلًا فتدبّر.

(١٢: ٢٤ ـ ٢٦)

رشيد رضا: أي وباطلٌ في نفسه ماكانوا يعملونه في الدّنيا، لأنّه لاثمرة له ولاأجر في الآخرة، وإنّما الأعمال بمقاصدها، والنّتائج تابعة لمقدّماتها، فإن كان في عملهم خير ونيّة حسنة يجازون عليه في الدّنيا.

قال تعالى في تفصيل هذا الإجمال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ الإسراء: ١٨، ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ الإسراء: ١٩، ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ الإسراء: ٢٠، ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ الإسراء: ٢١.

وقال معلّم الخير الأعظم ﷺ «إنّما الأعمال بالنّيّات، وإنّما لكلّ امرئ مانوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأة يتزوّجها فهجرته إلى ماهاجر إليه». رواه البخاريّ في سبعة مواضع من صحيحه مختلفة الألفاظ، ومسلم وغيرهما، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الدّين يُبيح الطّيّبات من المآكل والمشارب غير الضّارّة، ويُبيح الزّينة في غير إسراف ولاخيلاء، وإنّما يذمّ من يحتقر المواهب الإنسانيّة من عقليّة وروحانيّة، فيجعل كلّ همّه وحظّه من وجوده في الشّهوات الحيوانيّة الّتي تفضله بها الأنعام والحشرات، فيفضله الثّور في كثرة الأكل، والبعير في كثرة الشّرب، والعصفور في كثرة السّفاد، والطّاووس في زينة الألوان ولمعان اللّباس.

ومن اختبر أهل أمصارنا في هذا العصر علم من إسرافهم في هذه الشّهوات والزّينة، ماهو مفسد لصحّتهم وأخلاقهم وبيوتهم، حتّى نسائهم وأطفالهم، وماحقٌ لثروتهم، ومُضعِف لأُمّتهم ودولتهم، ومابعد ذلك إلّا إضاعة آخرتهم.

وترى مع هذا أنّ حكومتهم ومدارسهم لاتقيم للتّربية الدّينيّة وزنًا، وتجعل الصّلاة الّتي هي عماد الدّين اختياريّة، لايلزمها أحد من معلّميها، ولامن تلاميذها.

ومن العجيب أن تختلف الرّوايات في الآيتين، هل نزلتا في المشركين أم في كفّار أهل الكتاب أم في المنافقين؟ ومانزلتا منفردتين في طائفة خاصّة، بل في ضمن سورة مكّيّة؛ حيث لامنافقون ولاأهل كتاب،

وموضوعها عامّ، فيمن لايؤمن بالآخرة ولايعملون لأجلها. (١٢: ٤٩، ٥٠)

٣ـ ...أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ. النّحل: ٧٢

ابن عبّاس: الأصنام. (ابن الجوزيّ ٤: ٤٧٠)

مثله المَيْبُديّ. (٥: ٤١٦)

عطاء: الشّريك والصّاحبة والولد. (ابن الجوزيّ ٤: ٤٧٠)

الكَلْبيّ: طاعة الشّيطان في الحلال والحرام. (أبوحيّان ٥: ٥١٥)

مُقاتِل: (الباطِل): الشّيطان، (ونعمة الله): محمّد ﷺ. (أبوحيّان ٥: ٥١٥)

الطَّبَريّ: يقول تعالى ذكره: يحرّم عليهم أولياء الشّيطان من البحائر والسّوائب والوصائل، فيصدّق هؤلاء المشركون بالله. (١٤: ١٤٧)

الطُّوسيّ: (أَفَبِالْبَاطِلِ): يعني عبادة الأوثان والأصنام، وماحرّم عليهم الشّيطان من البحائر والسّائبة والوصيلة يصدّقون. (٦: ٤٠٧)

نحوه البَغَويّ (٣: ٨٨)، والطَّبْرِسيّ (٣: ٣٧٤).

القُشَيريّ: هو حِسبان حصول شيء من الأغيار، وتعلّق القلب بهم استكفاءً منهم أو استدفاعًا لمحذور، أو استجلابًا لمحبوب. (٣: ٣٠٩)

الزَّمَخْشَريّ: وهو مايعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها، وماهو إلّا وهمٌ باطل، لم يتوصّلوا إليه بدليل ولاأمارة، فليس لهم إيمان إلّا به، كأنّه شيء معلوم مُستيقَن. (٢: ٤١٩)

نحوه البَيْضاويّ (١: ٥٦٣)، والنَّسَفيّ (٢: ٢٩٣)، والنَّيسابوريّ (١٤: ٩٨)، والآلوسيّ (١٤: ١٩١).

ابن الجَوْزيّ: فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّه الأصنام، قاله ابن عبّاس.

والثّاني: أنّه الشّريك والصّاحبة والولد، فالمعنى يصدّقون أنّ لله ذلك، قاله عطاء.

والثّالث: أنّه الشّيطان، أمرهم بتحريم البحيرة والسّائبة، فصدّقوا. (٤: ٤٧٠)

أبوحيّان: قيل: مايُرجى من شفاعة الأصنام وبركتها. (٥: ٥١٥)

البُرُوسَويّ: وهو أنّ الأصنام تنفعهم، وأنّ البحائر ونحوها حرام، ﴿وَبِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ حيث يضيفونها إلى الأصنام، أو المراد (بِالْبَاطِلِ): الأصنام ومايُفضي إلى الشّرك، (وَبِنِعْمَةِ اللهِ): الإسلام والقرآن ومافيه من التّوحيد والأحكام.

و(الْبَاطِلِ) عند أهل الحقيقة قسمان:

باطلٌ حقيقيّ، وهو مالاتحقّق ولاوجود ولاثبوت له، بأن لم يقع التّجلّي الإلهيّ في عالمه أصلًا.

وقسم باطل مجازيّ، وهو التّعيّنات الموجودة كلّها.

أمّا بطلانه فلكونه عدمًا في نفسه.

ألاكلّ شيء ماخلا الله باطل

وأمّا مجازيّته فلكونه مجلى ومرآة للوجود الإضافيّ والحقّ المجازيّ، والمؤمن بالباطل مطلقًا كافر بالله تعالى. (٥: ٥٨)

الطَّباطَبائيّ: وهي الأصنام والأوثان، ومن ذلك

القول بالبنات لله، والأحكام الّتي يشرّعها لهم أئمّة الضّلال. (١٢: ٢٩٧)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ العنكبوت: ٦٧.

٤ـ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. العنكبوت: ٥٢

ابن عبّاس: أي صدّقوا بغير الله. (الطّبرسيّ ٤: ٢٨٩)

قتادة: الشّرك. (الطّبريّ ٢١: ٧)

مُقاتِل: بعبادة الشّيطان. (الطّبرسيّ ٤: ٢٨٩)

يحيى بن سَلّام: بإبليس. (الماورديّ ٤: ٢٨٩)

الطّبريّ: صدّقوا بالشّرك، فأقرّوا به. (٢١: ٧)

الماوَرْديّ: فيه وجهان:

أحدهما: بإبليس، قاله يحيى بن سلّام.

الثّاني: بعبادة الأوثان والأصنام، قاله ابن شجرة. (٤: ٢٨٩)

الطّوسيّ: إنّما وصفهم بالإيمان مقيّدًا بالباطل، كما يقال: فلان كافر بالطّاغوت مقيّدًا، وإنّما الإطلاق لايجوز فيها. (٨: ٢١٩)

الزّمَخْشَريّ: هو ماتعبدون من دون الله. (٣: ٢٠٩)

مثله الكاشانيّ. (٤: ١٢٠)

ابن عَطيّة: يريد بالأصنام والأوثان ومايتبع أمرها من المعتقدات. والباطل هو أن يفعل فعل يراد به أمرها، وذلك الأمر لايكون عن ذلك الفعل.

والأصنام أُريد بأمرها الأكمل والأنجح في زعم عبّادها، وليس الأكمل والأنجح إلّا رفضها، فهي إذًا باطل. (٤: ٣٢٣)

الفَخْرالرّازيّ: إنّ الله تعالى لمّا بيّن الطّريقين في إرشاد الفريقين المشركين وأهل الكتاب، عاد إلى الكلام الشّامل لهما والإنذار العامّ، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي الّذين آمنوا بما سوى الله، لأنّ ماسوى الله باطل، لأنّه هالك بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص: ٨٨، وكلّ ماهلك فقد بطل، فكلّ هالك باطل، وكلّ ماسوى الله باطل، فن آمن بما سوى الله فقد آمن بالباطل، وفيه مسائل:

الأولى: قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يقتضي الحصر، أي مَن أتى بالإيمان بالباطل والكفر بالله فهو خاسر، فن يأتي بأحدهما دون الآخر ينبغي أن لايكون خاسرًا.

فنقول: يستحيل أن يكون الآتي بأحدهما لايكون آتيًا بالآخر. أمّا الآتي بالإيمان بما سوى الله فلأنّه أشرك بالله، فجعل غير الله مثل غيره، لكن غيره عاجز جاهل ممكن باطل، فيكون الله كذلك، فيكون إنكارًا لله وكفرًا به.

وأمّا من كفر به وأنكره فيكون قائلًا: بأنّ العالم ليس له إله موجِد، فوجود العالم من نفسه، فيكون قائلًا: بأنّ العالم واجب، والواجب إله، فيكون قائلًا: بأنّ غير الله إله، فيكون إثباتًا لغير الله وإيمانًا به.

المسألة الثّانية: إذا كان الإيمان بما سوى الله كفرًا به، فيكون كلّ من آمن (بِالْبَاطِلِ) فقد كفر بالله، فهل لهذا العطف فائدة غير التّأكيد الّذي هو في قول القائل: قم ولاتقعد واقرب منّي ولاتبعُد؟

نقول: نعم، فيه فائدة غيرها، وهو أنّه ذكر الثّاني لبيان قُبح الأوّل، كقول القائل: أتقول بالباطل وتترك الحقّ، لبيان أنّ القول باطل قبيح.

المسألة الثّالثة: هل يتناول هذا أهل الكتاب، أي هل هم آمنوا بالباطل وكفروا بالله؟

نقول: نعم، لأنّهم لمّا صحّ عندهم أنّ معجزة النّبيّ من عند الله وقطعوا بها، وعاندوا وقالوا: إنّها من عند غير الله، يكون كمن رأى شخصًا يرمي حجارةً، فقال: إنّ رامي الحجارة زيد، يقطع بأنّه قائل: بأنّ هذا الشّخص زيد حتّى لو سئل عن عين ذلك الشّخص، وقيل له: من هذا الرّجل؟ يقول: زيد، فكذلك هم لمّا قطعوا بأنّ مُظهر المعجزة هو الله، وقالوا: بأنّ محمّدًا مُظهر هذا، يلزمهم أن يقولوا: محمّد هو الله تعالى، فيكون إيمانًا بالباطل.

وإذا قالوا: بأنّ مَن أظهر المعجزة ليس بإله مع أنّهم قطعوا بخصوص مُظهر المعجزة، يكونون قائلين: بأنّ ذلك الخصوص الّذي هو الله ليس بإله، فيكون كفرًا به.

وهذا لايرد علينا فيمن يقول: فعلّ العبد مخلوق الله تعالى أو مخلوق العبد، فإنّه أيضًا ينسب فعل الله إلى الغير، كما أنّ المعجزة فعل الله وهم نسبوها إلى غيره، لأنّ هذا القائل جهل النّسبة.

كمن يرى حجارة رُميت ولم ير عين راميها، فيظنّ أنّ راميها زيد، فيقول: زيد هو رامي هذه الحجارة، ثمّ إذا رأى راميها بعينه ويكون غير زيد، لايقطع بأن يقول: هو زيد.

وأمّا إذا رأى عينه ورميه للحجارة، وقال: رامي الحجارة زيد، يقطع بأنّه يقول: هذا الرّجل زيد، فظهر الفرق من حيث إنّهم كانوا معاندين، عالمين بأنّ الله مُظهر تلك المعجزة، ويقولون: بأنّها من عند غير الله.

(٢٥: ٨٠)

ابن كثير: أي يوم القيامة سيجزيهم على مافعلوا، ويقابلهم على ماصنعوا في تكذيبهم بالحقّ واتّباعهم الباطل، كذّبوا برُسُل الله مع قيام الأدلّة على صدقهم، وآمنوا بالطّواغيت والأوثان بلادليل، فسيجزيهم على ذلك إنّه حكيم عليم. (٥: ٣٣٣)

البُرُوسَويّ: الّذي لايجوز الإيمان به كالصّنم والشّيطان وغيرهما، وفيه إشارة إلى أنّ من أبصر بعين النّفس لايرى إلّا الباطل فيؤمن به. (٦: ٤٨٣)

٥ ـ لَايَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ. فصّلت: ٤٢

ابن عبّاس: معناه لايأتيه الباطل من أوّل تنزيله ولامن آخره. (الطّوسيّ ٩: ١٣١)

مثله الحسن. (الطّبْرِسيّ ٥: ١٥)

أنّه لايأتيه مايُبطله ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي من الكتب الّتي قبله، ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي لايجيء من بعده كتاب يُبطله، أي ينسخه.

مثله الكلبيّ ومُقاتِل. (الطّبْرِسيّ ٥: ١٥)

﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ من الله تعالى، ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ يريد من جبريل، ولا من محمّد ﷺ.

(القُرطُبيّ ١٥: ٣٦٧)

سعيد بن جُبَيْر: التّكير ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾. (الطّبَريّ ٢٤: ١٢٥)

التّكذيب. (ابن الجَوزيّ ٧: ٢٦٢)

التّعذيب. (الماوَرْديّ ٥: ١٨٥)

مُجاهِد: التّبديل. (الماوَرْديّ ٥: ١٨٥)

لايدخل فيه ماليس منه. (ابن الجَوزيّ ٧: ٢٦٢)

الشّيطان. (ابن الجَوزيّ ٧: ٢٦٢)

الضّحّاك: لايأتيه كتاب من بين يديه يُبطله، ولا من خلفه، أي ولاحديث من بعده يكذّبه.

(الطّوسيّ ٩: ١٣١)

الإمام الباقر ﷺ: معناه أنّه ليس في إخباره عمّا مضى باطل ولا في إخباره عمّا يكون في المستقبل باطل، بل أخباره كلّها موافقة لمخبراتها.

مثله الإمام الصّادق ﷺ. (الطّبْرِسيّ ٥: ١٥)

قَتادَة: معناه لايقدر الشّيطان أن ينقص منه حقًّا ولايزيد فيه باطلًا.

مثله السُّدّيّ. (الطّوسيّ ٩: ١٣١)

الكَلْبيّ: أي لايُكذبه شيء ممّا أنزل الله من قبل، ولايَنزل من بعده كتاب يُبطله وينسخه.

(القُرطُبيّ ١٥: ٣٦٧)

مُقاتِل: لايأتيه التّكذيب من الكتب الّتي قبله، ولايجيء من بعده كتاب فيُبطله. (المَيْبُديّ ٨: ٥٣٨)

ابن جُرَيْج: لايأتيه الباطل فيما أخبر عمّا مضى، ولافيما أخبر عمّا يكون. (القُرطُبيّ ١٥: ٣٦٧)

الطّبَريّ: اختلف أهل التّأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه لايأتيه التّكير من بين يديه ولا من خلفه.

وقال آخرون: معنى ذلك لايستطيع الشّيطان أن ينقص منه حقًّا، ولايزيد فيه باطلًا، قالوا: و(الْبَاطِل) هو الشّيطان.

وقال آخرون: معناه أنّ الباطل لايُطيق أن يزيد فيه شيئًا من الحروف، ولاينقص منه شيئًا منها.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصّواب، أن يقال: معناه لايستطيع ذوباطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عمّا هو به؛ وذلك هو الإتيان ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ ولا إلحاق ماليس منه فيه، وذلك إتيانه (مِنْ خَلْفِهِ). (٢٤: ١٢٥)

الزّجّاج: فيه وجهان:

أحدهما: أنّ الكتب الّتي تقدّمت لاتُبطله، ولايأتي بعده كتاب يبطله.

والوجه الثّاني: أنّه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، والدّليل على هذا قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩. (٤: ٣٨٨)

المَاوَرْديّ: هنا أربعة أقاويل:

أحدها: أنّه إبليس، قاله قَتادَة.

الثّاني: أنّه الشّيطان، قاله ابن جُرَيْج.

الثّالث: التّبديل، قاله مُجاهِد.

الرّابع: التّعذيب، قاله سعيد.

ويحتمل خامسًا: أنّ (الباطل) التّناقض

والاختلاف.

﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لايأتيه الباطل من كتاب قبله، ولايأتيه من كتاب بعده، قاله قَتادَة.

الثّاني: لايأتيه الباطل من أوّل التّنزيل ولامن آخره.

الثّالث: لايأتيه الباطل في إخباره عمّا تقدّم ولافي إخباره عمّا تأخّر، قاله ابن جُرَيْج.

ويحتمل رابعًا: مابين يديه: لفظه، وماخلفه: تأويله، فلايأتيه الباطل في لفظ ولاتأويل. (٥: ١٨٥)

الطُّوسيّ: قيل: في معناه أقوال خمسة:

أحدها: أنّه لاتعلّق به الشّبهة من طريق المشاكلة، ولا الحقيقة من جهة المناقضة وهو الحقّ المخلص، والّذي لايليق به الدّنس.

الثّاني: [وهو قول قَتادَة وقد تقدّم]

الثّالث: أنّ معناه لايأتي بشيء يوجب بطلانه ممّا وجد قبله ولامعه، ولاممّا يوجد بعده.

الرّابع: [قول ابن عبّاس وقد تقدّم]

الخامس: إنّ معناه لايأتيه الباطل في إخباره عمّا تقدّم، ولامن خلفه ولاعمّا تأخّر. (٩: ١٣١)

القُشَيريّ: أي لاينقضه كتاب آخر لاممّا تقدّمه من الكتب، ولاممّا يأتي من بعده، أي لاكتاب بعده، ولانسخ له.

ويقال: لايدفع معناه لفظه، ولايخالف لفظه معناه.

ويقال: لايقدر أحد أن يأتي بمثله. (٥: ٣٣٥)

الزَّمَخْشَريّ: مثل كأنّ الباطل لايتطرّق إليه، ولايجد إليه سبيلًا من جهة من الجهات، حتّى يصل إليه ويتعلّق به.

فإن قلت: أما طعن فيه الطّاعنون وتأوّله المبطلون؟

قلت: بلى، ولكنّ الله قد تقدّم في حمايته عن تعلّق الباطل به، بأن قيّض قومًا عارضوهم بإبطال تأويلهم وإفساد أقاويلهم، فلم يخلو طعن طاعن إلّا ممحوقًا، ولاقول مبطل إلّا مضمحلًّا، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩. (٣: ٤٥٥)

ابن عَطيّة: قال قَتادَة والسُّدّيّ: يريد الشّيطان، وظاهر اللّفظ يعمّ الشّيطان، وأن يجيء أمرٌ يُبطل منه شيئًا.

وقوله: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ معناه ليس فيما تقدّمه من الكتب مايطل شيئًا منه.

وقوله: ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي ليس يأتي بعده من نظر ناظر وفكرة عاقل مايُبطل أشياء منه. والمراد باللّفظ على الجملة: لايأتيه الباطل من جهة من الجهات. (٥: ١٩)

الطَّبْرِسيّ: [نقل الأقوال الأربعة المتقدّمة وأضاف:]

خامسها: لايأتيه الباطل من جهة من الجهات، فلاتناقض في ألفاظه، ولاكذب في أخباره، ولايُعارَض ولايُزاد فيه، ولايغيّر بل هو محفوظ حجّة على المكلّفين إلى يوم القيامة، ويؤيّده قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩. (٥: ١٥)

الفَخْرالرّازيّ: وفيه وجوه:

الأوّل: لاتكذّبه الكتب المتقدّمة عليه كالتّوراة

والإنجيل والزّبور، ولايجيء كتاب من بعده يكذّبه.

الثّاني: ماحكم القرآن بكونه حقًّا لايصير باطلًا، وماحكم بكونه باطلًا لايصير حقًّا.

الثّالث: معناه أنّه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، والدّليل عليه قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فعلى هذا (اَلْبَاطِل) هو الزّيادة والنّقصان.

الرّابع: يحتمل أن يكون المراد أنّه لايوجد في المستقبل كتاب يمكن جعله معارضًا له، ولم يوجد فيما تقدّم كتاب يصلح جعله معارضًا له.

واعلم أنّ لأبي مسلم الأصفهانيّ أن يحتجّ بهذه الآية على أنّه لم يوجد النّسخ فيه، لأنّ النّسخ إبطال، فلو دخل النّسخ فيه لكان قد أتاه الباطل من خلفه، وإنّه على خلاف هذه الآية. (٢٧: ١٣١)

أبوحَيّان: والمعنى أنّ (اَلْبَاطِل) لايتطرّق إليه ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ تمثيل، أي لايجد الطّعن سبيلًا إليه من جهة من الجهات، فيتعلّق به.

وأمّا ماظهر من بعض الحَمْق من الطّعن فيه على زعمهم، ومن تأويل بعضهم له كالباطنيّة، فقد ردّ عليهم ذلك علماء الإسلام وأظهروا حماقاتهم.

وقال قَتادَة: (اَلْبَاطِل): الشّيطان، واللّفظ لايخصّ الشّيطان.

وقال ابن جُبَيْر والضّحّاك: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي كتاب من قبله فيُبطله ولامن بعده؛ فيكون على هذا (اَلْبَاطِل) في معنى المبطِل، نحو: أورَسَ النّبات فهو وارس، أي مورِس. أو يكون (اَلْبَاطِل) بمعنى المبطِل مصدرًا، فيكون كالعافية.

وقيل: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي قبل أن يتمّ نزوله، ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ من بعد نزوله، وقيل: عكس هذا.

وقيل: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ قبل أن ينزل، لأنّ الأنبياء بُشّرت به، فلم يقدر الشّيطان أن يدحض ذلك ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ بعد أن أُنزل. (٧: ٥٠١)

الشّربينيّ: لأنّه يمتنع منه بمتانة وصفة وجزالة نظمه وحلاوة معانيه، فلايلحقه تغيير ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي لايتطرّق إليه الباطل من جهة من الجهات، لأنّ قُدّام أوضح مايكون وخلف أخفى مايكون، فما بين ذلك من باب أولى.

فالعبارة كناية عن ذلك، لأنّ صفة الله تعالى لاوراء لها ولا أمام لها على الحقيقة، ومثل ذلك ليس وراء الله تعالى مرمى ولادونه منتهى. (٣: ٥٢١)

البُرُوسَويّ: صفة أُخرى لـ(كتاب) أي لايتطرّق إليه الباطل ولايجد إليه سبيلًا من جهة من الجهات، حتّى يصل إليه ويتعلّق به.

أي متى راموا فيه أن يكون ليس حقًّا ثابتًا من عند الله وإبطالًا له لم يصلوا إليه، ذكر أظهر الجهات وأكثرها في الاعتبار، وهو جهة القُدّام والخلف، وأُريد الجهات بأسرها، فيكون قوله: ﴿لَايَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ﴾ إلخ استعارة تمثيليّة، شبّه «الكتاب» في عدم تطرّق الباطل إليه بوجه من الوجوه، بمن هو محميّ بحماية غالب قاهر، يمنع جاره من أن يتعرّض له العدوّ من جهة من جهاته.

ثمّ أخرجه مخرج الاستعارة بأن عبّر عن المشبّه بما عبّر به عن المشبّه به، فقال: (لَايَأْتِيه) إلخ أو لايأتيه

الباطل فيما أخبر عمّا مضى، ولافيما أخبر عن الأُمور الآتية. أو (البَاطِل) هو الشّيطان لايستطيع أن يغيّره بأن يزيد فيه أو ينقص منه، أو لايأتيه التّكذيب من الكتب الّتي قبله، ولايجيء بعده كتاب يُبطله أو ينسخه.

(٨: ٢٧٠)

الآلوسيّ: صفة أُخرى لـ(كتاب)، ومابين يديه وماخلفه كناية عن جميع الجهات، كالصّباح والمساء كناية عن الزّمان كلّه، أي لايتطرّق إليه الباطل من جميع جهاته.

وفيه تمثيل لتشبيه بشخص حميّ من جميع جهاته، فلايمكن أعداؤه الوصول إليه لأنّه في حصن حصين من حماية الحقّ المبين.

وجُوّز أن يكون المعنى لايأتيه الباطل من جهة ماأخبر به من الأخبار الماضية والأُمور الآتية.

قيل: (البَاطِل) بمعنى المبطِل كوارس بمعنى مورس، أو هو مصدر كالعافية، بمعنى مبطِل أيضًا. (٢٤: ١٢٧)

سيّد قُطْب: وأنّى للباطل أن يدخل على هذا الكتاب، وهو صادر من الله الحقّ، يصدع بالحقّ ويتّصل بالحقّ الّذي تقوم عليه السّماوات والأرض.

وأنّى يأتيه الباطل وهو عزيز محفوظ بأمر الله الّذي تكفّل بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩.

والمتدبّر لهذا القرآن يجد فيه ذلك الحقّ الّذي نزل به، والّذي نزل ليقرّه، يجده في روحه ويجده في نصّه، يجد في بساطة ويسر حقًّا مطمئنًّا فطريًّا يخاطب أعماق الفطرة، ويطبعها ويؤثّر فيها التّأثير العجيب.

(٥: ٣١٢٧)

محمّد عزّة دَرْوَزة: والتّقرير الّذي احتوته جملة ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ هو في صدد كون القرآن في محكماته وأحكامه وأهدافه ومبادئه وتلقيناته متساوق كلّ التّساوق، كلّه حقّ ليس فيه أي تناقض ولااختلاف، فضلًا عن أنّه مبرأ من كلّ باطل أو شبهة باطل.

وكلّ من أمعن النّظر في فصوله بأناة وتدبّر ومقارنة ومقابلة، وربط بعض فصوله ببعض، وتفسير بعض فصوله ببعض، وكان منصفًا بعيدًا عن الهوى والمكابرة، يظهر على هذه المعجزة العُظمى الّتي تُقرّرها هذه الجملة.

(٥: ١٥٣)

الطّباطَبائيّ: إتيان الباطل إليه: وروده فيه، وصيرورة بعض أجزائه أو جميعها باطلًا، بأن يصير مافيه من المعارف الحقّة أو بعضها غير حقّة، أو مافيه من الأحكام والشّرائع، ومايلحقها من الأخلاق أو بعضها، لغًى لاينبغي العمل به.

وعليه فالمراد بقوله: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ زمانا الحال والاستقبال، أي زمان النّزول ومابعده إلى يوم القيامة.

وقيل: المراد بما بين يديه ومن خلفه: جميع الجهات كالصّباح والمساء، كناية عن الزّمان كلّه، فهو مصون من البطلان من جميع الجهات، وهذا العموم على الوجه الأوّل مستفاد من إطلاق النّفي في قوله: (لَايَأْتِيهِ).

والمدلول على أيّ حال أنّه لاتناقض في بياناته، ولاكذب في أخباره، ولابطلان يتطرّق إلى معارفه

وحِكَمه وشرائعه، ولايُعارَض ولايُغيَّر بإدخال ماليس منه فيه، أو بتحريف آية من وجه إلى وجه، فالآية تجري مجرى قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩. (١٧: ٣٩٨)

بَاطِلًا

١ـ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّٰهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آل‌عمران: ١٩١

الطَّبَريّ: يقول: لم تخلق هذا الخلق عبثًا ولالعبًا، ولم تخلقه إلّا لأمر عظيم، من ثواب وعقاب، ومحاسبة ومجازاة. (٤: ٢١٠)

الطُّوسيّ: في الآية دلالة على أنّ الكفر والضّلال وجميع القبائح ليست خَلقًا لله، لأنّ هذه الأشياء كلّها باطلة بلاخلاف. وقد نفى الله تعالى بحكايته عن أولي الألباب الّذين رضي أقوالهم بأنّه لاباطل فيما خلقه، فيجب بذلك القطع على أنّ القبائح كلّها من فعل غيره، وأنّه لايجوز إضافتها إليه تعالى. (٣: ٨٢)

الزَّمَخْشَريّ: على إرادة القول، أي يقولون ذلك وهو في محلّ الحال، بمعنى يتفكّرون قائلين.

والمعنى ماخلقته خلقًا باطلًا بغير حكمة، بل خلقته لداعي حكمة عظيمة، وهو أن تجعلها مساكن للمكلّفين وأدلّة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك، واجتناب معصيتك. (١: ٤٨٨)

نحوه الطَّبْرِسيّ. (١: ٥٥٦)

الفَخْرالرّازيّ: في نصب قوله: (بَاطِلًا) وجوه:

الأوّل: أنّه نعت لمصدر محذوف، أي خلقًا باطلًا.

الثّاني: أنّه بنزع الخافض، تقديره: بالباطل أو للباطل.

الثّالث: قال صاحب «الكشّاف»: يجوز أن يكون (بَاطِلًا) حالًا من (هٰذَا).

وقالت المعتزلة: إنّ كلّ مايفعله الله تعالى فهو إنّما يفعله لغرض الإحسان إلى العبيد ولأجل الحكمة، والمراد منها رعاية مصالح العباد.

واحتجّوا عليه بهذه الآية، لأنّه تعالى لو لم يخلق السّماوات والأرض لغرض، لكان قد خلقها باطلًا، وذلك ضدّ هذه الآية.

قالوا: وظهر بهذه الآية أنّ الّذي تقوله الجبرة: إنّ الله تعالى أراد بخلق السّماوات والأرض صدور الظّلم والباطل من أكثر عباده وليكفروا بخالقها، وذلك ردّ لهذه الآية. قالوا: وقوله: (سُبْحَانَكَ) تنزيه له عن خلقه لهما باطلًا، وعن كلّ قبيح.

وذكر الواحديّ كلامًا يصلح أن يكون جوابًا عن هذه الشّبهة، فقال: (الْبَاطِل) عباره عن الزّائل الذّاهب الّذي لايكون له قوّة ولاصلابة ولابقاء، وخلق السّماوات والأرض خلق متقن محكم، ألاترى إلى قوله: ﴿مَاتَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾ الملك: ٣، وقال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ النّبأ: ١٢، فكان المراد من قوله: ﴿رَبَّنَا مَاخَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا﴾ هذا المعنى، لاما ذكره المعتزلة.

فان قيل: هذا الوجه مدفوع بوجوه:

الأوّل: لو كان المراد بالباطل الرّخو المتلاشي لكان

قوله: (سُبْحَانَكَ) تنزيهًا له عن أن يخلق مثل هذا الخلق، ومعلوم أنّ ذلك باطل.

الثّاني: أنّه إنّما يحسن وصل قوله: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ به إذا حملناه على المعنى الّذي ذكرناه، لأنّ التّقدير: ماخلقته باطلًا بغير حكمة بل خلقته بحكمة عظيمة، وهي أن تجعلها مساكن للمكلّفين الّذين اشتغلوا بطاعتك وتحرّزوا عن معصيتك، ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ لأنّه جزاء من عصى ولم يُطع؛ فثبت إنّا إذا فسّرنا قوله: ﴿مَاخَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا﴾ بما ذكرنا، حسن هذا النّظم. أمّا إذا فسّرناه بأنّك خلقته مُحكمًا شديد التّركيب، لم يحسن هذا النّظم.

الثّالث: أنّه تعالى ذكر هذا في آية أُخرى، فقال: ﴿وَمَاخَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ص: ٢٧، وقال في آية أُخرى: ﴿وَمَاخَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ* مَاخَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ الدّخان: ٣٨، ٣٩، وقال في آية أُخرى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ إلى قوله: ﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ المؤمنون: ١١٥، ١١٦، أي فتعالى الملك الحقّ عن أن يكون فعله عبثًا، وإذا امتنع أن يكون عبثًا، فبأن يمتنع كونه باطلًا أولى.

والجواب: اعلم أنّ بديهة العقل شاهدة بأنّ الموجود إمّا واجب لذاته، وإمّا ممكن لذاته، وشاهده أنّ كلّ ممكن لذاته فإنّه لابدّ وأن ينتهي في رجحانه إلى الواجب لذاته، وليس في هذه القضيّة تخصيص بكون ذلك الممكن مغايرًا لأفعال العباد، بل هذه القضيّة على عمومها قضيّة يشهد العقل بصحّتها.

وإذا كان كذلك وجب أن يكون الخير والشّرّ بقضاء الله، وإذا كان كذلك امتنع أن يكون المراد من هذه الآية تعليل أفعال الله تعالى بالمصالح.

إذا عرفت هذا فنقول: لِمَ لايجوز أن يكون تأويل الآية ماحكيناه عن الواحديّ قوله: ولو كان كذلك لكان قوله: (سُبْحَانَكَ) تنزيهًا له عن فعل مالاشدّة فيه ولاصلابة، وذلك باطل؟

قلنا: لِمَ لايجوز أن يكون المراد: ربّنا ماخلقت هذا رَخوًا فاسد التّركيب بل خلقته صلبًا محكمًا، وقوله: (سُبْحَانَكَ) معناه أنّك وإن خلقت السّماوات والأرض صلبة شديدة باقية فأنت منزّه عن الاحتياج إليه والانتفاع به، فيكون قوله: (سُبْحَانَكَ) معناه هذا.

قوله ثانيًا: إنّما حسن وصل قوله: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ به إذا فسّرناه بقولنا.

قلنا: لانسلّم بل وجه النّظم، إنّه لمّا قال: (سُبْحَانَكَ) اعترف بكونه غنيًّا عن كلّ ماسواه، فعندما وصفه بالغنى أقرّ لنفسه بالعجز والحاجة إليه في الدّنيا والآخرة، فقال: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ وهذا الوجه في حسن النّظم إن لم يكن أحسن ممّا ذكرتم، لم يكن أقلّ منه.

وأمّا سائر الآيات الّتي ذكرتموها فهي دالّة على أنّ أفعاله منزّهة عن أن تكون موصوفة بكونها عبثًا ولعبًا وباطلًا.

ونحن نقول بموجبه: وإنّ أفعال الله كلّها حكمة وصواب، لأنّه تعالى لايتصرّف إلّا في ملكه ومُلكه، فكان حكمُه صوابًا على الإطلاق. فهذا مافي هذه المناظرة، والله أعلم.

واحتجّ حكماء الإسلام بهذه الآية، على أنّه سبحانه خلق هذه الأفلاك والكواكب، وأودع في كلّ واحد منها قوى مخصوصة، وجعلها بحيث يحصل من حركاتها واتّصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع سكّان هذه البقعة الأرضيّة، قالوا: لأنّها لو لم تكن كذلك لكانت باطلة، وذلك ردّ الآية.

قالوا: وليس لقائل أن يقول: الفائدة فيها الاستدلال بها على وجود الصّانع المختار، وذلك لأنّ كلّ واحد من كُرات الهواء والماء يشارك الأفلاك والكواكب في هذا المعنى، فحينئذ لايبقى لخصوص كونه فلكًا وشمسًا وقمرًا فائدة، فيكون باطلًا، وهو خلاف هذا النّصّ.

وأجاب المتكلّمون عنه، بأن قالوا: لِمَ لايكفي في هذا المعنى كونها أسبابًا على مجرى العادة، لا على سبيل الحقيقة؟ (٩: ١٣٩)

القُرطُبيّ: أي يقولون: ماخلقته عبثًا وهزلًا، بل خلقته دليلًا على قدرتك وحكمتك، والباطل: الزّائل الذّاهب. [ثمّ استشهد بشعر]

و(بَاطِلًا) نصب، لأنّه نعت مصدر محذوف، أي خلقًا باطلًا، وقيل: انتصب على نزع الخافض، أي ماخلقتها للباطل، وقيل: على المفعول الثّاني. (٤: ٣١٥)

أبوحَيّان: قيل: المعنى خلقًا باطلًا، أي لغير غاية، بل خلقته وخلقت البشر لينظر فيه، فيوحّد ويعبد. فمن فعل ذلك نعّمته، ومن ضلّ عن ذلك عذّبته.

وقال الزّمَخشَريّ: المعنى ماخلقته خلقًا باطلًا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة، وهو أن تجعلها مساكن للمكلّفين وأدلّة لهم، على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك، ولذلك وصل به قوله: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ لأنّه جزاء من عصى ولم يُطع، انتهى.

وفيه إشارات المعتزلة من قوله: «بل خلقته لداعي حكمة عظيمة» وعلى هذا فيكون انتصاب (بَاطِلًا) على أنّه نعت لمصدر محذوف.

وقيل: انتصب باطلًا على الحال من المفعول.

وقيل: انتصب على إسقاط الباء، أي بباطل بل خلقته بقدرتك الّتي هي حقّ.

وقيل: على إسقاط اللّام وهو مفعول من أجله، وفاعل بمعنى المصدر، أي بطولًا.

وقيل: على أنّه مفعول ثان لـ(خَلَق) وهي بمعنى «جعَل» الّتي تتعدّى إلى اثنين، وهذا عكس المنقول في النّحو، وهو أنّ «جعَل» يكون بمعنى (خَلَق) فيتعدّى لواحد، أمّا أنّ (خلَق) يكون بمعنى «جعَل» فيتعدّى لاثنين، فلاأعلم أحدًا ممّن له معرفة ذهب إلى ذلك.

والباطل: الزّائل الذّاهب، ومنه:

ألا كلّ شيء ماخلا الله باطل

والأحسن من أعاريبه انتصابه على الحال من (هٰذَا) وهي حال من (هٰذَا) وهي حال لايُستغنى عنها، نحو قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ الدّخان: ٣٨، لايجوز في هذه الحال أن تُحذف، لئلّا يكون المعنى على النّفي وهو لايجوز.

ولمّا تضمّنت هذه الجملة الإقرار بأنّ هذا الخلق البديع لم يكن باطلًا، والتّنبيه على أنّ هذا كلام أُولي

الألباب الذّاكرين الله على جميع أحوالهم والمتفكّرين في الخلق، دلّ على أنّ غيرهم من أهل الغفلة والجهالة يذهبون إلى خلاف هذه المقالة، فنزّهوه تعالى عمّا يقول أولئك المبطلون، ممّا أشار إليه تعالى في قوله: (لَاعِبِينَ) وفي قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ المؤمنون: ١١٥.

واعترض بهذا التّنزيه المتضمّن براءة الله من جميع النّقائص وأفعال المُحدثين بين ذلك الإقرار وبين رغبتهم إلى ربّهم بأن يقيهم عذاب النّار، ولم يكن لهم همّ في شيء من أحوال الدّنيا ولا اكتراث بها، إنّما تضرّعوا في سؤال وقايتهم العذاب يوم القيامة، وهذا السّؤال هو نتيجة الذّكر والفكر والإقرار والتّنزيه. (٣: ١٣٩)

البُرُوسَويّ: أي خلقًا باطلًا عبثًا ضائعًا عن الحكمة، خاليًا عن المصلحة، كما يُنبئ عنه أوضاع الغافلين عن ذلك المُعرضين عن التّفكّر فيه، بل منتظمًا لحِكَم جليلة ومصالح عظيمة، من جملتها: أن يكون مدارًا لمعايش العباد، ومنارًا يُرشدهم إلى معرفة أحوال المبدإ والمعاد، حسبما أفصحت عنه الرّسل والكتب الإلهيّة. (٢: ١٤٥)

نحوه الآلوسيّ. (٤: ١٦٠)

محمّد عَبْدُه: هذا حكاية لقول هؤلاء الّذين يجمعون بين تفكّرهم وذكر الله عزّوجلّ، ويستنبطون من اقترانها الدّلائل على حكمة الله وإحاطة علمه سبحانه بدقائق الأكوان الّتي تربط الإنسان بربّه حقّ الرّبط، وقد اكتفى بحكاية مناجاتهم لربّهم عن بيان نتائج ذكرهم وفكرهم.

فطيّ هذه وذكر تلك من إيجاز القرآن البديع، وفيه تعليم المؤمنين كيف يخاطبون الله تعالى عندما يهتدون إلى شيء من معاني إحسانه وكرمه وبدائع خلقه، كأنّه يقول: هذا هو شأن المؤمن الذّاكر المتفكّر يتوجّه إلى الله في هذه الأحوال، بمثل هذا الثّناء والدّعاء والابتهال.

وكون هذا ضربًا من ضروب التّعليم والإرشاد، لايمنع أنّ بعض المؤمنين قد نظروا وذكروا وفكّروا ثمّ قالوا هذا أو مايؤدّي معناه، فذكر الله حالهم وابتهالهم، ولم يذكر قصّتهم وأسماءهم، لأجل أن يكونوا قُدوة لنا في عملهم، وأُسوة في سيرتهم، أي لافي ذواتهم وأشخاصهم؛ إذ لافرق في هذا بيننا وبينهم.

أمّا معنى كون هذا الخلق لايكون باطلًا، فهو أنّ هذا الإبداع في الخلق والإتقان للصّنع، لايمكن أن يكون من العبث والباطل، ولايمكن أن يفعله الحكيم العليم لهذه الحياة الفانية فقط.

كما أنّ الإنسان الّذي أُوتي العقل الّذي يفهم هذه الحِكَم، ودقائق هذا الصّنع، وكلّما ازداد تفكّرًا، ازداد علمًا، حتّى أنّه لاحدّ يُعرف لفهمه وعلمه، لايمكن أن يكون وُجد ليعيش قليلًا ثمّ يذهب سدى، ويتلاشى ويكون باطلًا، بل لابدّ أن يكون باستعداده الّذي لانهاية له قد خُلق ليحيا حياة لانهاية لها، وهي الحياة الآخرة الّتي يرى كلّ عامل فيها جزاء عمله، ولهذا وصل الثّناء بهذا الدّعاء، ومعناه: اجتنبنا السّيّئات، ووفّقنا للأعمال الصّالحات، حتّى يكون ذلك وقاية لنا من عذاب النّار، وهذه هي نتيجة فكر المؤمن.

ثمّ إنّهم بعد أن يصلوا مع الذّكر إلى بقاء العالم واستمراره ـ لأنّ نظامه البديع لايمكن أن يجعله العليم الحكيم باطلًا، «أي لافي الحال ولافي الاستقبال» ـ وبعد أن يدعوا ربّهم أن يقيهم دخول النّار في الحياة الثّانية، يتوجّهون إليه قائلين: ﴿رَبَّنَا اِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ اَخْزَيْتَهُ ...﴾ آل‌عمران: ١٩٢.

(رشيد رضا ٤: ٣٠٠)

رَشيد رضا: أي يقول الّذين يجمعون بين التّذكّر والتّفكّر، معبّرين عن نتيجة جمع الأمرين والتّأليف بين المقدّمتين: ربّنا ماخلقت هذا الّذي نراه من العوالم السّماويّة والأرضيّة باطلًا، ولا أبدعته وأتقنته عبثًا، سبحانك وتنزيهًا لك عن الباطل والعبث، بل كلّ خلقك حقّ مؤيّد بالحكم، فهو لايبطل ولايزول، وإن عرض له التّحوّل والتّحليل والأُفول، ونحن بعض خلقك لم نُخلَق عبثًا، ولايكون وجودنا من كلّ وجه باطلًا، فإن فنيت أجسادنا، وتفرّقت أجزاؤنا، بعد مفارقة أرواحنا لأبداننا، فإنّما يهلك منّا كوننا الفاسد، ووجهنا الممكن الحادث، ويبقى وجهك الكريم، ومتعلّق علمك القديم، يعود بقدرتك في نشأة أُخرى، كما بدأته في النّشأة الأُولى، فريق ثبتت لهم الهداية، وفريق حقّت عليهم كلمة الضّلالة، فأُولئك في الجنّة بعملهم وفضلك، وهؤلاء في النّار بعملهم وعدلك. (٤: ٣٠٠)

الطّباطَبائيّ: الباطل: ماليس له غاية يتعلّق به الغرض، قال تعالى: ﴿فَاَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَاَمَّا مَايَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْاَرْضِ﴾ الرّعد: ١٧، ولذلك لمّا نفوا البطلان عن الخلق لاح لهم أنّ الله سيحشر النّاس للجزاء، وأنّه تعالى سيجزي هناك الظّالمين جزاء خزي وهو النّار، ولا رادّ يردّ مصلحة العقاب وإلّا لبطل الخلقة، وهذا معنى قولهم: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا اِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ اَخْزَيْتَهُ وَمَالِلظَّالِمِينَ مِنْ اَنْصَارٍ﴾ آل‌عمران: ١٩١، ١٩٢. (٤: ٨٧)

٢ـ وَمَاخَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْاَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

ص: ٢٧

الطّبَريّ: يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَاخَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْاَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا﴾، عبثًا ولهوًا، ماخلقناهما إلّا ليعمل فيهما بطاعتنا، وينتهي إلى أمرنا ونهينا. (٢٣: ١٥٢)

الطّوسيّ: أخبر تعالى أنّه لم يخلق السّماء والأرض ومابينهما باطلًا، بل خلقهما ومابينهما بالحقّ لغرض حِكَميّ، وهو مافي ذلك من إظهار الحكمة، وتعريض أنواع الحيوان للمنافع الجليلة، وتعريض العقلاء لمنافع الثّواب، وذلك يفسد قول المُجبِّرة الّذين قالوا: إنّ كلّ باطل وضلال من فعل الله. (٨: ٥٥٧)

مثله الطّبْرِسيّ. (٤: ٤٧٣)

الزّمَخشَريّ: خلقًا باطلًا لالغرضٍ صحيح وحكمة بالغة، أو مبطلين عابثين، كقوله تعالى: ﴿وَمَاخَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَاخَلَقْنَاهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الدّخان: ٣٨، ٣٩، وتقديره: ذوي باطل، أو عبثًا. فوضع (باطِلًا) موضعه، كما وضعوا «هنيئًا» موضع المصدر، وهو صفة.

أي ماخلقناها ومابينهما للعبث واللّعب ولكن للحقّ المبين، وهو أن خلقناها نفوسًا أودعناها العقل والتّمييز، ومنحناها التّمكين وأزحنا عللها، ثمّ عرضناها للمنافع العظيمة بالتّكليف، وأعددنا لها عاقبةً وجزاءً على حسب أعمالهم. (٣: ٣٧٢)

نحوه أبوالسُّعود. (٥: ٣٩٥)

الفَخْرالرّازيّ: نظيره قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَاخَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آل‌عمران: ١٩١، وقوله تعالى: ﴿مَاخَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الرّوم: ٨، وفيه مسائل:

المسألة الأُولى: احتجّ الجُبّائيّ بهذه الآية على أنّه تعالى لايجوز أن يكون خالقًا لأعمال العباد، قال: لأنّها مشتملة على الكفر والفسق، وكلّها أباطيل: فلمّا بيّن تعالى أنّه: ﴿وَمَاخَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾، دلّ هذا على أنّه تعالى لم يخلق أعمال العباد، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَاخَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الأحقاف: ٣.

وعند الجبْرة أنّه خلق الكافر لأجل أن يكفر، والكفر باطل، وقد خلق الباطل، ثمّ أكّد تعالى ذلك بأن قال: ﴿ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي كلّ من قال بهذا القول فهو كافر، فهذا تصريح بأنّ مذهب الجبْرة عين الكفر.

واحتجّ أصحابنا رحمهم الله بأنّ هذه الآية تدلّ على كونه تعالى خالقًا لأعمال العباد، فقالوا: هذه الآية تدلّ على كونه تعالى خالقًا لكلّ مابين السّماوات والأرض، وأعمال العباد حاصلة بين السّماء والأرض، فوجب أن يكون الله تعالى خالقًا لها.

المسألة الثّانية: هذه الآية دالّة على صحّة القول بالحشر والنّشر والقيامة؛ وذلك لأنّه تعالى خلق الخلق في هذا العالم، فإمّا أن يقال: إنّه خلقهم للإضرار أو للإنفاع أو لاللإنفاع ولا للإضرار.

والأوّل باطل، لأنّ ذلك لايليق بالرّحيم الكريم، والثّالث أيضًا باطل، لأنّ هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين، فلم يبق إلّا أن يقال: إنّه خلقهم للإنفاع.

فنقول: وذلك الإنفاع، إمّا أن يكون في حياة الدّنيا أو في حياة الآخرة، والأوّل باطل لأنّ منافع الدّنيا قليلة ومضارّها كثيرة، وتحمّل المضارّ الكثيرة للمنفعة القليلة لايليق بالحكمة، ولمّا بطل هذا القسم ثبت القول بوجود حياة أُخرى بعد هذه الحياة الدّنيويّة، وذلك هو القول بالحشر والنّشر والقيامة.

واعلم أنّ هذا الدّليل يمكن تقريره من وجوه كثيرة، وقد لخّصناها في أوّل سورة يونس بالاستقصاء، فلاسبيل إلى التّكرير، فثبت بما ذكرنا أنّه تعالى: ماخلق السّماء والأرض ومابينهما باطلًا.

وإذا لم يكن خلقها باطلًا كان القول بالحشر والنّشر لازمًا، وأنّ كلّ من أنكر القول بالحشر والنّشر كان شاكًّا في حكمة الله في خلق السّماء والأرض، وهذا هو المراد من قوله: ﴿ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ص: ٢٧.

ولمّا بيّن الله تعالى على سبيل الإجمال أنّ إنكار الحشر والنّشر يوجب الشّكّ في حكمة الله تعالى، بيّن ذلك على سبيل التّفصيل، فقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ص: ٢٨.

وتقريره: أنّا نرى في الدّنيا من أطاع الله واحترز عن معصيته في الفقر والزّمانة وأنواع البلاء، ونرى الكفرة والفسّاق في الرّاحة والغبطة، فلو لم يكن حشر ونشر ومعاد فحينئذ يكون حال المطيع أدون من حال العاصي، وذلك لايليق بحكمة الحكيم الرّحيم، وإذا كان ذلك قادحًا في الحكمة، ثبت أنّ إنكار الحشر والنّشر يوجب إنكار حكمة الله. (٢٦: ٢٠٠)

القُرطُبيّ: أي هَزلًا ولعبًا، أي ماخلقناهما إلّا لأمر صحيح، وهو الدّلالة على قدرتنا. (١٥: ١٩١)

نحوه أبوحيّان. (٧: ٣٩٥)

البُرُوسَويّ: أي خلقًا باطلًا لاحكمة فيه، بل ليكون مدارًا للعلم والعمل، ومُذكّرًا للآخرة، ومافيها من الحساب والجزاء، فإنّ الدّنيا لاتخلو عن الصّفو والكدر، وكلّ منهما يفصح عمّا في الآخرة من الرّاحة والخطر، وأيضًا ليكون مرآة يشاهد فيها المؤمنون الّذين ينظرون بنور الله شواهد صفات الجمال والجلال. (٨: ٢٤)

الآلوسيّ: أي خلقًا باطلًا، فهو منصوب على النّيابة عن المفعول المطلق، نحو: كُلْ هنيئًا، أي أكلًا هنيئًا، والباطل: ما لاحكمة فيه.

وجُوّز كونه حالًا من فاعل (خَلَقْنَا) بتقدير مضاف، أي ذوي باطل ـ والباطل اللّعب والعبث ـ أي ماخلقنا ذلك مبطلين لاعبين، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ الدّخان: ٣٨، وجُوّز كونه حالًا من المفعول أيضًا بنحو هذا التّأويل.

وأيّاما كان فالكلام مُستأنف مقرّر لما قبله من أمر المعاد والحساب، فإنّ خلق السّماء والأرض ومابينهما من المخلوقات مشتملًا على الحِكم الباهرة والأسرار البالغة والفوائد الجمّة أقوى دليل على عظم القدرة، وأنّه لايتعاصاها أمر المعاد والحساب، فإنّ خلق ذلك كذلك مُؤذن بأنّه عزّوجلّ لايترك النّاس إذا ماتوا سُدًى بل يعيدهم ويحاسبهم، ولعلّه الأولى.

وجُوّز كون الجملة في موضع الحال في فاعل (نَسُوا) جيء بها لتفظيع أمر النّسيان، كأنّه قيل: بما نسوا يوم الحساب، مع وجود مايُؤذِن به، وهو كما ترى.

وجوّز كون (بَاطِلًا) مفعولًا له، ويُفسّر بخلاف الحقّ، ويراد به متابعة الهوى، كأنّه قيل: ماخلقنا هذا العالم للباطل الّذي هو متابعة الهوى بل للحقّ الّذي هو مقتضى الدّليل من التّوحيد والتّدرّع بالشّرع، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذّاريات: ٥٦، ولايخفى بُعده.

وعليه تكون الجملة مستأنفة لتقرير أمر النّهي عن اتّباع الهوى، وقيل: تكون عطفًا على ماقبلها بحسب المعنى، كأنّه قيل: لاتتّبع الهوى، لأنّه يكون سببًا لضلالك، ولأنّه تعالى لم يخلق العالم لأجل متابعة الهوى بل خلقه للتّوحيد والتّمسّك بالشّرع، فلاتغفل. (٢٣: ١٨٧)

الطَّباطَبائيّ: لمّا انتهى الكلام إلى ذكر يوم الحساب، عطف عنان البيان عليه، فاحتجّ عليه بحجّتين:

إحداهما: ماساقه في هذه الآية بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا

السَّمَاءَ﴾ إلخ، وهو احتجاج من طريق الغايات؛ إذ لو لم يكن خلق السّماء والأرض ومابينهما ـ وهي أمور مخلوقة مؤجّلة توجد وتفنى ـ مؤدّيًا إلى غاية ثابتة باقية غير مؤجّلة كان باطلًا، والباطل: بمعنى مالاغاية له ممتنع التّحقّق في الأعيان، على أنّه مستحيل من الحكيم، ولاريب في حكمته تعالى.

وربّما أُطلق الباطل وأُريد به اللّعب، ولو كان المراد ذلك كانت الآية في معنى قوله: ﴿وَمَاخَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ* مَاخَلَقْنَاهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الدّخان: ٣٨، ٣٩.

وقيل: الآية عطف على ماقبلها بحسب المعنى، كأنّه قيل: ولاتتّبع الهوى، لأنّه يكون سببًا لضلالك، ولأنّه تعالى لم يخلق العالم لأجل اتّباع الهوى وهو الباطل، بل خلقه للتّوحيد ومتابعة الشّرع.

وفيه أنّ الآية التّالية: ﴿اَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْاَرْضِ﴾ إلخ، ص: ٢٨، لاتلائم هذا المعنى. (١٧: ١٩٦)

يُبْطِلُهُ

فَلَمَّا اَلْقَوْا قَالَ مُوسٰى مَاجِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ اِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ اِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ. يونس: ٨١

الطَّبَريّ: يقول: سيذهب به؛ فذهب به تعالى ذكره، بأن سلّط عليه عصا موسى، قد حوّلها ثعبانًا يتلقّفه، حتّى لم يبق منه شيء. (١١: ١٤٨)

الزَّمَخْشَريّ: سيمحقه أو يُظهر بطلانه، بإظهار المعجزة على الشّعوذة. (٢: ٢٤٨)

مثله أبوحَيّان (٥: ١٨٣)، والبَيْضاويّ (١: ٤٥٥).

الطَّبْرِسيّ: أي سيُبطل هذا السّحر الّذي فعلتموه. (٣: ١٢٦)

الفَخْرالرّازيّ: أي سيُهلكه ويظهر فضيحة صاحبه. (١٧: ١٤٣)

البُرُوسَويّ: أي سيمحقه بالكلّيّة بما يُظهره على يديّ من المعجزة، فلايبق له أثر أصلًا أو سيظهر بطلانه للنّاس. والسّين للتّأكيد.

إذا جاء موسى وألقى العصا

فقد بطل السّحر والسّاحر

(٤: ٧٠)

مثله الآلوسيّ. (١١: ١٦٧)

رشيد رضا: أي سيظهر بطلانه للنّاس، وأنّه صناعة خادعة، لا آية خارقة صادعة، فالجملة استئنافيّة لبيان مايوقن به موسى من مآل هذا السّحر.

ويجوز أن تكون خبرًا لما قبلها، ويكون التّقدير: ماجئتم به الّذي هو السّحر، إنّ الله سيبطله بما جئت به من الحقّ. (١١: ٤٦٨)

الطَّباطَبائيّ: الحقيقة الّتي بيّنها لهم: أنّ الّذي جاءوا به سحر، والسّحر شأنه إظهار ماليس بحقّ واقع في صورة الحقّ الواقع لحواسّ النّاس وأنظارهم؛ وإذ كان باطلًا في نفسه فإنّ الله سيبطله، لأنّ السّنّة الإلهيّة جارية على إقرار الحقّ وإحقاقه في التّكوين، وإزهاق الباطل وإبطاله، فالدّولة للحقّ وإن كانت للباطل جولة أحيانًا.

ولذا علّل قوله: ﴿اِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ بقوله: ﴿اِنَّ اللهَ لَايُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ فإنّ الصّلاح والفساد

شأنان متقابلان، وقد جرت السّنّة الإلهيّة أن يُصلح ماهو صالح ويُفسد ماهو فاسد، أي أن يرتّب على كلّ منهما أثره المناسب له، المختصّ به.

وأثر العمل الصّالح أن يناسب ويلائم سائر الحقائق الكونيّة في نظامها الّذي تجري هي عليه، ويمتزج بها ويخالطها، فيصلحه الله سبحانه ويجريه على ماكان من طباعه.

وأثر العمل الفاسد أن لايناسب ولايلائم سائر الحقائق الكونيّة فيما تقتضيه بطباعها وتجري عليه بجبلّتها، فهو أمر استثنائيّ في نفسه، ولو أصلحه الله في فساده، كان ذلك إفسادًا للنّظام الكونيّ.

فيعارضه سائر الأسباب الكونيّة بمالها من القوى والوسائل المؤثّرة، وتعيده إلى السّيرة الصّالحة إن أمكن، وإلّا أبطلته وأفنته ومحته عن صحيفة الوجود البتّة.

وهذه الحقيقة تستلزم أن السّحر وكلّ باطل غيره لايدوم في الوجود، وقد قرّرها الله سبحانه في كلامه في مواضع مختلفة، كقوله: ﴿وَاللهُ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٢٥٨، وقوله: ﴿وَاللهُ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة: ١٠٨، وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَايَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ المؤمن: ٢٨، ومنها قوله في هذه الآية: ﴿إِنَّ اللهَ لَايُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ يونس: ٨١.

(١٠: ١١٠)

لَاتُبْطِلُوا

١ـ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَاتُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْاَذٰى كَالَّذِى يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ... البقرة: ٢٦٤

الماوَرْديّ: يريد إبطال الفضل دون الثّواب. ويحتمل وجهًا ثانيًا: إبطال موقعها في نفس المُعطى.

(١: ٣٣٨)

ابن عَطيّة: العقيدة: أنّ السّيّئات لاتُبطل الحسنات، فقال جمهور العلماء في هذه الآية: إنّ الصّدقة الّتي يعلم الله في صاحبها أنّه يمنّ أو يؤذي فإنّها لاتتقبّل صدقة. وقيل: بل جعل الله للمَلَك عليها أمارة فلايكتبها.

وهذا حسن، لأنّ ماتتلقّ نحن عن المعقول من بني آدم فهو أنّ المنّ المؤذي ينصّ على نفسه أنّ نيّته لم تكن لله عزّوجلّ ـ على ماذكرناه قبل ـ فلم تترتّب له صدقة، فهذا هو بُطلان الصّدقة بالمنّ والأذى. والمنّ والأذى في صدقة لايبطل صدقة غيرها، إذ لم يكشف ذلك على النّيّة في السّليمة ولاقدم فيها.

(١: ٣٥٧)

عبد الجبّار: وربّما قيل في قوله تعالى: ﴿لَاتُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْاَذٰى﴾ كيف يبطل ذلك؟

وجوابنا: أنّ المراد بطلان ثوابها، بما يقع من المتصدّق من المنّ عليهم، وأذيّة قُلوبهم، نحو أن يقول المتصدّق للفقير: ماأشدّ إبرامك وخلّصنا منكم الله، إلى مايجري هذا المجرى، فأدّب الله تعالى المتصدّق بأن لايكسر قلب الفقير، فكما أحسن في الفعل يُحسن في القول، ولذلك مثّله: بـ﴿صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ البقرة: ٢٦٤.

وأدّب أيضًا بقوله: ﴿وَلَاتَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِاٰخِذِيهِ اِلَّا اَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ البقرة: ٢٦٧، لأنّ ماينفق لله، وطلبًا للثّواب يجب أن لاتكون منزلته دون

منزلة ما يتلذّذ به في الدّنيا، وهذا تأديب حسن.

وأدّب أيضًا بقوله: ﴿اَلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ البقرة: ٢٦٨، فيبعث على البخل وترك الصّدقة ﴿وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ البقرة: ٢٦٨، فيبعثكم على الصّدقة وعلى خلاف الفحشاء والمعاصي.

وبعث الله تعالى أيضًا على إخفاء الصّدقة بقوله: ﴿اِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَاِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ البقرة: ٢٧١، والعلماء يقولون: إنّ الأولى في الواجب أن يُظهر وفيما عداه أن يُكتم، فيكون أقرب إلى أن يكون مفعولًا لذات الله تعالى.

(٥٣)

الطَّبْرِسيّ: ضرب تعالى مثلًا لعمل المنّان وعمل المنافق جميعًا، فإنّهما إذا فعلا الفعل على غير الوجه المأمور به فإنّهما لايستحقّان عليه ثوابًا، وهذا هو معنى «الإبطال» وهو إيقاع العمل على غير الوجه الّذي يستحقّ عليه الثّواب، فقال: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ هذا يدخل فيه المؤمن والكافر إذا أخرجا المال للرّئاء. [إلى أن قال:]

فقد تضمّنت الآية والآي الّتي قبلها الحثّ على الصّدقة وإنفاق المال في سبيل الخير وأبواب البرّ، ابتغاء مرضاة الله، والنّهي عن المنّ والأذى والرّياء والسّمعة والنّفاق.

والخبر عن بطلان العمل بها وممّا جاء في معناه من الحديث مارواه ابن عبّاس عن النّبيّ ﷺ، قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد يُسمع أهل الجمع: أين الّذين كانوا يعبدون النّاس! قوموا خذوا أجوركم ممّن عملتم له، فإنّي لاأقبل عملًا خالطه شيء من الدّنيا وأهلها».

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله: «من أسدى إلى مؤمن معروفًا ثمّ آذاه بالكلام أو منّ عليه، فقد أبطل الله صدقته، ثمّ ضرب فيه مثلًا، فقال: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ - إلى قوله - الْكَافِرِينَ﴾».

وقال أبوعبدالله عليه السلام: «مامن شيء أحبّ إليّ من رجل سلفت منّي إليه يد أتبعته أُختها وأحسنت ربّها له، لأنّي رأيت منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل». (١: ٣٧٦)

الفَخْرالرّازيّ: قال القاضي: إنّه تعالى أكّد النّهي عن إبطال الصّدقة بالمنّ والأذى، وأزال كلّ شبهة للمُرجئة بأن بيّن أنّ المراد: أنّ المنّ والأذى يبطلان الصّدقة. ومعلوم أنّ الصّدقة قد وقعت وتقدّمت، فلايصحّ أن تبطل، فالمراد إبطال أجرها وثوابها، لأنّ الأجر لم يحصل بعد وهو مستقبل، فيصحّ إبطاله بما يأتيه من المنّ والأذى.

واعلم أنّه تعالى ذكر لكيفيّة إبطال أجر الصّدقة بالمنّ والأذى مثلين، فمثّله أوّلًا: بمن ينفق ماله رئاء النّاس، وهو مع ذلك كافر لايؤمن بالله واليوم الآخر، لأنّ بطلان أجر نفقة هذا المرائي الكافر أظهر من بطلان أجر صدقة من يتبعها المنّ والأذى.

ثمّ مثّله ثانيًا: بالصّفوان الّذي وقع عليه تراب وغبار، ثمّ أصابه المطر القويّ، فيزيل ذلك الغبار عنه حتّى يصير كأنّه ماكان عليه غبار ولاتراب أصلًا. فالكافر كالصّفوان، والتّراب مثل ذلك الإنفاق، والوابل

كالكفر الّذي يحبط عمل الكافر، وكالمنّ والأذى اللّذين يحبطان عمل هذا المنفق.

قال: فكما أنّ الوابل أزال التّراب الّذي وقع على الصّفوان، فكذا المنّ والأذى يوجب أن يكونا مُبطِلَين لأجر الإنفاق بعد حصوله، وذلك صريح في القول بالإحباط والتّكفير.

قال الجُبّائيّ: وكما دلّ هذا النّصّ على صحّة قولنا، فالعقل دلّ عليه أيضًا، وذلك أنّ مَن أطاع وعصى فلو استحقّ ثواب طاعته وعقاب معصيته لوجب أن يستحقّ النّقيضين، لأنّ شرط الثّواب أن يكون منفعة خالصة دائمة مقرونة بالإجلال، وشرط العقاب أن يكون مضرّة خالصة دائمة مقرونة بالإذلال، فلو لم تقع المحابطة لحصل استحقاق النّقيضين، وذلك محال.

ولأنّه حين يعاقبه فقد منعه الإثابة، ومَنْع الإثابة ظلم، وهذا العقاب عدل؛ فيلزم أن يكون هذا العقاب عَدلًا من حيث إنّه حقّه، وأن يكون ظلمًا من حيث إنّه منع الإثابة، فيكون ظالمًا بنفس الفعل الّذي هو عادل فيه، وذلك محال، فصحّ بهذا قولنا في الإحباط والتّكفير بهذا النّصّ، وبدلالة العقل، هذا كلام المعتزلة.

وأمّا أصحابنا فإنّهم قالوا: ليس المراد بقوله: (لَاتُبْطِلُوا) النّهي عن إزالة هذا الثّواب بعد ثبوته، بل المراد به أن يأتي بهذا العمل باطلًا؛ وذلك لأنّه إذا قصد به غير وجه الله تعالى فقد أتى به من الابتداء على نعت البطلان.

واحتجّ أصحابنا على بطلان قول المعتزلة بوجوه من الدّلائل. [ثمّ ذكر عشرة دلائل عقليّة إلى أن قال:]

فهذه جملة الدّلائل العقليّة على فساد القول بالمحابطة، بقي تمسّك المعتزلة بهذه الآية، فنقول: قوله تعالى: ﴿لَاتُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذٰى﴾ يحتمل أمرين:

أحدهما: لاتأتوا به باطلًا، وذلك أن ينوي بالصّدقة الرّئاء والسُّمعة، فتكون هذه الصّدقة حين وجدت حصلت باطلة، وهذا التّأويل لايضرّنا ألبتّة.

الوجه الثّاني: أن يكون المراد بالإبطال أن يؤتى بها على وجه يوجب الثّواب ثمّ بعد ذلك إذا أُتبِعَت بالمنّ والأذى صار عقاب المنّ والأذى مُزيلًا لثواب تلك الصّدقة، وعلى هذا الوجه ينفعهم التّمسّك بالآية.

فَلِمَ كان حمل اللّفظ على هذا الوجه الثّاني أولى من حمله على الوجه الأوّل؟ (٧: ٥٣ ـ ٥٦)

القُرطُبيّ: عبّر تعالى عن عدم القبول وحرمان الثّواب بالإبطال، والمراد الصّدقة الّتي يمنّ بها ويُؤذي، لاغيرها. والعقيدة، أنّ السّيّئات لاتبطل الحسنات ولاتُحبطها، فالمنّ والأذى في صدقة لايُبطل صدقة غيرها. (٣: ٣١١)

البَيْضاويّ: لاتحبطوا أجرها بكلّ واحد منهما. (١: ١٣٨)

مثله أبوالسُّعود. (١: ٣٠٨)

البُرُوسَويّ: والمراد بإبطال الصّدقة: إحباط أجرها، لأنّ الصّدقة لمّا وقعت وتقدّمت لم يمكن أن يراد بإبطالها نفسها بل المراد إحباط أجرها وثوابها، لأنّ الأجر لم يحصل بعدُ، فيصحّ إبطاله بما يأتيه من المنّ والأذى. (١: ٤٢٢)

الآلوسيّ: أي بكلّ واحد منها، لأنّ النّفي أحقّ بالعموم وأدلّ عليه. [إلى أن قال:]

واستشكل ابن عطيّة هذه الآية بأنّ ظاهرها يستدعي أنّ أجر الصّدقة يُبطَل بأحد هذين الأمرين، ولايمكن توجّه الإبطال بذلك إلى نفس الصّدقة، لأنّها قد ثبتت في الواقع، فلايعقل إبطالها، ومن العقيدة أنّ السّيّئات لاتُبطِل الحسنات، خلافًا للمعتزلة، والآية أحد متمسّكاتهم.

وأُجيب بأنّ الصّدقة الّتي يعلم الله تعالى من صاحبها أنّه يمنّ ويؤذي لاتُقبل حتّى قيل: إنّه سبحانه يجعل للمَلَك علامة فلايكتبها، والإبطال المتنازع فيه إنّما هو في عمل صحيح وقع عند الله تعالى في حيّز القبول، وماهنا ليس كذلك، فمعنى (لَاتُبْطِلُوا) حينئذ لاتأتوا بهذا العمل باطلًا، كذا قالوا.

ولايخفى أنّه خلاف الظّاهر، إلّا أنّ قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ فيه نوع تأييد له، بناءً على أنّ (كَالَّذِى) في محلّ نصب، إمّا على أنّه نعت لمصدر محذوف، أي لاتُبطلوها إبطالًا كإبطال الّذي إلخ، وإمّا على أنّه حال من فاعل (لَاتُبْطِلُوا) أي لاتبطلوها مشابهين الّذي ينفق، أي الّذي يُبطل إنفاقه بالرّئاء.

ووجه التّأييد أنّ المُرائي بالإجماع لم يأت بالعمل مقبولًا صحيحًا، وإنّما أتى به باطلًا مردودًا، وقد وقع التّشبيه في البين، فتدبّر. (٣: ٣٤)

رشيد رضا: بيّن سبحانه وتعالى في الآيتين السّابقتين أنّ ترك المنّ والأذى شرط لحصول الأجر على الإنفاق في سبيله، وأنّ العدول عن الصّدقة الّتي يتبعها الأذى إلى قول وعمل آخر يُكرَم به الفقير أو تؤيّد به المصلحة العامّة خير من نفس تلك الصّدقة في الغاية الّتي شرعت لها.

ثمّ أقبل تعالى على خطاب المؤمنين، ونهاهم نهيًا صريحًا أن يبطلوا صدقاتهم بالمنّ والأذى، وفي ذلك من المبالغة في التّنفير عن هاتين الرّذيلتين مايقتضيه ولوع النّاس بهما.

قال الأُستاذ الإمام رحمه الله تعالى: واستدلّت المعتزلة بالآية على إحباط الكبائر للأعمال الصّالحة، حتّى كأنّها لم تُعمل.

وأُجيب عن الآية: بأنّ المراد بها لاتبطلوا ثواب صدقاتكم، وبغير ذلك من التّكلّف الّذي لايحتاج إليه، لأنّ الكلام في إحباط المنّ والأذى للفائدة المقصودة من الصّدقة، وهي تخفيف بؤس المحتاجين وكشف أذى الفقر عنهم إذا كانت الصّدقة على الأفراد، وتنشيط القائمين بخدمة الأُمّة ومساعدتهم إذا كانت الصّدقة في مصلحة عامّة.

فإذا أُتبعت الصّدقة بالمنّ والأذى كان ذلك هدمًا لما بنته وإبطالًا لما عملته، وكلّ عمل لايؤدّي إلى الغاية المقصودة منه فقد حبط وبطُل، كأنّه لم يكن، فكيف إذا أُتبع بضدّ الغاية ونقيضها!

كذلك تكون صلاة المرائي باطلة، لأنّ الغرض منها لم يحصل، وهو توجّه القلب إلى الله تعالى، واستشعار سلطانه، والإذعان لعظمته والشّكر لإحسانه، وقلب المرائي إنّما يتوجّه إلى من يرائيه.

هذا هو معنى إبطال المنّ والأذى للصّدقة، والّذي

يزعمه المعتزلة هو أنّ ارتكاب أيّ كبيرة من الكبائر يُبطل جميع الأعمال الصّالحة السّابقة، ويوجب الخلود في النّار. فاستدلالهم بالآية على هذا إنّما يدلّ على أنّهم لم يفهموا هدى الله تعالى في كتابه، ولم يعرفوا فطرة البشر الّتي جاء الدّين لتأديبها، وقد رأيت كلام من أيّد مذهبه بهدم مذهبهم.

هكذا يتجاذب القرآن أهل المذاهب كلّ يجذبه إلى مذهبه الّذي رضيه لنفسه، فتراهم عندما يشاغب بعضهم بعضًا يتعلّقون بالكلمة المفردة إذا كانت تحتمل ماقالوا، ويجعلونها حجّة للمذهب، ويؤوّلون ماعداها ولو بالتّمحّل. وأهل الخلاف ليسوا من أهل القرآن، فلايُعوّل على أقوالهم في بيان معانيه. (٣: ٦٤، ٦٥)

الطّباطبائيّ: تدلّ الآية على حبط الصّدقة بلحوق المنّ والأذى، وربّما يستدلّ بها على حبط كلّ معصية ـ أو الكبيرة خاصّة ـ لما يسبقها من الطّاعات، ولادلالة في الآية على غير المنّ والأذى بالنّسبة إلى الصّدقة، وقد تقدّم إشباع الكلام في «الحبط».

(٢: ٣٨٩)

٢ـ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اَطِيعُوا اللهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَاتُبْطِلُوا اَعْمَالَكُمْ. محمّد: ٣٣

النّبيّ ﷺ: من قال: سبحان الله، غرس الله له بها شجرة في الجنّة، ومن قال: الحمد لله، غرس الله له بها شجرة في الجنّة، ومن قال: لاإله إلّا الله، غرس الله له بها شجرة في الجنّة، ومن قال: الله أكبر، غرس الله له بها شجرة في الجنّة. فقال رجل من قريش: يارسول الله إنّ شجرنا في الجنّة لكثير؟ قال: نعم، ولكن إيّاكم أن تُرسلوا عليها نيرانًا فتحرقوها، وذلك أنّ الله تعالى يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اَطِيعُوا اللهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَاتُبْطِلُوا اَعْمَالَكُمْ﴾ محمّد: ٣٣. (الكاشانيّ ٥: ٣٠)

ابن عبّاس: بالرّياء والسّمعة. (أبوحيّان ٨: ٨٥)

مثله الكلبيّ (المَيْبُديّ ٩: ١٩٦)، وابن جُرَيْج (القُرطُبيّ ١٦: ٢٥٤).

بالشّرك والنّفاق. (أبوحيّان ٨: ٨٥)

أبوالعالية: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنّه لايضرّ مع الإخلاص بقول: لاإله إلّا الله ذنب، كما لاينفع مع الشّرك عملٌ، فخافوا الكبائر بعده أن تُحبط الأعمال، قال الله تعالى: ﴿لَاتُبْطِلُوا اَعْمَالَكُمْ﴾ فإنّ الشّرّ يُبطل الخير، والخير يُبطل الشّرّ، وملاك العمل خواتمه. (المَيْبُديّ ٩: ١٩٦)

الحسن: بالمعاصي والكبائر. (البغويّ ٥: ٢١٨)

نحوه الزّهريّ. (القُرطُبيّ ١٦: ٢٥٤)

قَتادَة: من استطاع أن لايُبطل عملًا صالحًا عمله بعمل سيّء فليفعل ولاقوّة إلّا بالله، فإنّ الخير ينسخ الشّرّ، وإنّ الشّرّ ينسخ الخير، وإنّ ملاك الأعمال خواتيمها. (الطّبَريّ ٢٦: ٦٢)

عطاء: الشّكّ والنّفاق. (ابن الجَوزيّ ٧: ٤١٢)

مثله المَيْبُديّ. (٩: ١٩٦)

مُقاتِل: لاتمنّوا على رسول الله بالإسلام، نزلت في بني أسد بن خزيمة، كانوا يمنّون على رسول الله إذ أسلموا.

(المَيْبُديّ ٩: ١٩٦)

نحوه أبو حمزة الثّماليّ. (القُرطُبيّ ١٦: ٢٥٥)

بعصيانكم للرّسول. (أبوحيّان ٨: ٨٥)

الطَّبَريّ : لاتبطلوا بمعصيتكم إيّاها، وكفركم بربّكم ثواب أعمالكم، فإنّ الكفر بالله يحبط السّالف من العمل الصّالح. (٢٦: ٦٢)

الطُّوسيّ : بأن تُوقعوها على خلاف الوجه المأمور به، فيبطُل ثوابكم عليها، وتستحقّون العقاب. (٩: ٨-٣٠٨)

القُشَيريّ : ﴿لَاتُبْطِلُوا اَعْمَالَكُمْ﴾ بالرّياء والإعجاب والملاحظة.

﴿لَاتُبْطِلُوا اَعْمَالَكُمْ﴾ بالمساكنة إليها.

﴿لَاتُبْطِلُوا اَعْمَالَكُمْ﴾ بطلب الأعواض عليها.

﴿لَاتُبْطِلُوا اَعْمَالَكُمْ﴾ بتوهّمكم أنّه يجب بها شيء دون فضل الله. (٥: ٤١٥)

المَيْبُديّ : قيل: معناه لاترجعوا بعد الإيمان كفّارًا، ولابعد الطّاعة عُصاة. (٩: ١٩٦)

الزَّمَخشَريّ : أي لاتحبطوا الطّاعات بالكبائر، كقوله تعالى: ﴿لَاتَرْفَعُوا اَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ـ إلى أن قال ـ : ﴿اَنْ تَحْبَطَ اَعْمَالُكُمْ﴾ الحجرات: ٢.

وعن أبي العالية كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنّه لايضرّ مع الإيمان ذنب كما لاينفع مع الشّرك عمل حتّى نزلت: ﴿وَلَاتُبْطِلُوا اَعْمَالَكُمْ﴾ فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم.

وعن حذيفة: فخافوا أن تُحبط الكبائر أعمالهم.

وعن ابن عمر: كنّا نرى أنّه ليس شيء من حسناتنا إلّا مقبولًا حتّى نزل: ﴿وَلَاتُبْطِلُوا اَعْمَالَكُمْ﴾ فقلنا: ماهذا الّذي يُبطل أعمالنا؟

فقلنا: الكبائر الموجبات والفواحش، حتّى نزل: ﴿اِنَّ اللهَ لَايَغْفِرُ اَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النّساء: ٤٨، فكففنا عن القول في ذلك، فكنّا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجوا لمن لم يصبها.

وعن قَتادَة رحمه الله: رحم الله عبدًا لم يُحبط عمله الصّالح بعمله السّيّء.

وقيل: لاتُبطلوها بمعصيتها. وقيل: بالعُجب فإنّ العُجب يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب. وقيل: ولاتبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى. (٣: ٥٣٨)

نحوه النّيسابوريّ (٢٦: ٣٣)، والشّربينيّ (٤: ٣٤).

ابن عَطيّة : روي أنّ هذه الآية نزلت في بني أسد من العرب، وذلك أنّهم أسلموا وقالوا لرسول الله ﷺ: «نحن قد آثرناك على كلّ شيء وجئنا بنفوسنا وأهلنا». كأنّهم منّوا بذلك فنزل فيهم ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ اَنْ اَسْلَمُوا﴾ الحجرات: ١٧، فإن كان هذا فالإبطال الّذي نُهوا عنه ليس بمعنى الإفساد التّامّ، لأنّ الإفساد التّامّ لايكون إلّا بالكفر، وإلّا فالحسنات لاتبطلها المعاصي، وإن كانت الآية عامّة على ظاهرها نهي النّاس عن إبطال أعمالهم بالكفر، والإبطال هو الإفساد التّامّ. (٥: ١٢٢)

الفَخرالرّازيّ : يحتمل وجوهًا:

أحدها: دُوموا على ماأنتم عليه، ولاتشركوا فتبطُل أعمالكم، قال تعالى: ﴿لَئِنْ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الزّمر: ٦٥.

الوجه الثّاني: لاتبطلوا أعمالكم بترك طاعة الرّسول، كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب الرّسول وعصيانه، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿يَاۤاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا

لَاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ـ إلى أن قال ـ : أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَاتَشْعُرُونَ﴾ الحجرات: ٢.

الثّالث: ﴿لَاتُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾، كما قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَاتَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾ الحجرات: ١٧، وذلك أنّ من يمنّ بالطّاعة على الرّسول كأنّه يقول: هذا فعلته لأجل قلبك، ولولا رضاك به لما فعلت، وهو مناف للإخلاص، والله لايقبل إلّا العمل الخالص. (٢٨: ٧٢)

القُرطُبيّ: [بعد نقل أقوال بعض المفسّرين قال:]

وكلّه متقارب، وقول الحسن يجمعه، وفيه إشارة إلى أنّ الكبائر تُحبط الطّاعات، والمعاصي تُخرج عن الإيمان. (١٦: ٢٥٥)

البَيْضاويّ: بما أبطل به هؤلاء كالكفر والنّفاق، والعُجب والرّياء، والمنّ والأذى، ونحوها. وليس فيه دليل على إحباط الطّاعات بالكبائر. (٢: ٣٩٨)

مثله أبوالسُّعود. (٦: ٩٤)

الخازِن: [قال نحو الفخرالرّازيّ وأضاف:]

واستدلّ بهذه الآية من يرى إحباط الطّاعات بالمعاصي، ولاحجّة لهم فيها، وذلك لأنّ الله تعالى يقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزّلزال: ٧، ٨، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النّساء: ٤٠.

فالله تعالى أعدل وأكرم من أن يُبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة. [ثمّ استدلّ بقول ابن عمر المتقدّم في قول الزّمخشريّ] (٦: ١٥٤)

نحوه البُرُوسَويّ. (٨: ٥٢٣)

الآلوسيّ: [قال نحو الزّمخشريّ وأضاف:]

واستدلّ المعتزلة بالآية على أنّ الكبائر تُحبط الطّاعات، بل الكبيرة الواحدة تُبطل مع الإصرار الأعمال، ولو كانت بعدد نجوم السّماء، وذكروا في ذلك من الأخبار ماذكروا.

وفي «الكشف»: لابدّ في هذا المقام من تحرير البحث، بأن يقال: إن أراد المعتزلة أنّ نحو الزّنى إذا عقب الصّلاة يُبطل ثوابها مثلًا، فهذا لادليل عليه نقلًا وعقلًا، بل هما متعادلان على مادلّ عليه صحاح الأحاديث، وكفى بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزّلزال: ٧، ٨، حجّة بالغة.

وإن أرادوا أنّ عقابه قد يكبر حتّى لايعادله صغار الحسنات، فهذا صحيح، والكلام حينئذٍ في تسميته إحباطًا، ولابأس به. لكن عندنا أنّ هذا الإحباط غير لازم وعندهم لازم، وهو مبنيّ على جواز العفو، وهي مسألة أُخرى.

وأمّا الكبيرة الّتي تختصّ بذلك العمل كالعُجب ونحو المنّ والأذى بعد التّصدّق فهي محبطة لامحالة اتّفاقًا، وعليه يُحمل مانقل من الآثار، ومن لايسمّيه إحباطًا، لأنّه يجعله شرطًا للقبول، والإحباط أن يصير الثّواب زائلًا. وهذا لايتأتّى إذا لم يثبت له ثواب، فله ذلك، وهو أمر يرجع إلى الاصطلاح، انتهى، وهو من الحسن بمكان. (٢٦: ٧٩)

الطَّباطَبائيّ: قيل: المراد بإبطال الأعمال:

إحباطها بمنّهم على الله ورسوله بإيمانهم، كما في قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الحجرات: ١٧.

وقيل: إبطالها بالرّياء والسّمعة، وقيل: بالعُجب، وقيل: بالكفر والنّفاق، وقيل: المراد إبطال الصّدقات بالمنّ والأذى، كما قال: ﴿لَاتُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ البقرة: ٢٦٤، وقيل: إبطالها بالمعاصي، وقيل: بخصوص الكبائر.

ويَرِدُ على هذه الأقوال جميعًا: أنّ كلّ واحد منها على تقدير صحّته وتسليمه، مصداقٌ من مصاديق الآية، مع الغضّ من وقوعها في السّياق الّذي تقدّمت الإشارة إليه. وأمّا من حيث وقوعها في السّياق فلاتشمل إلّا القتال كما مرّ. (١٨: ٢٤٧)

المُبْطِلُون

١ـ ...أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ. الأعراف: ١٧٣

الطَّبَريّ: بما فعل الّذين أبطلوا في دعواهم إلهًا غير الله. (٩: ١١٩)

الزّمَخْشَريّ: أي كانوا السّبب في شركنا لتأسيسهم الشّرك، وتقدّمهم فيه، وتركه سُنّة لنا. (٢: ١٣٠)

الطَّبْرِسيّ: ومعناه: ولأن لاتقولوا: أفتُهلكنا بما فعل آباؤنا من الشّرك. (٢: ٤٩٨)

البُرُوسَويّ: من آبائنا المضلّين بعد ظهور أنّهم المجرمون، ونحن عاجزون عن التّدبّر والاستبداد بالرّأي، فإنّ ماذُكر من استعدادهم الكامل يسدّ عليهم باب الاعتذار بهذا أيضًا، فإنّ التّقليد بعد قيام الدّلائل والقدرة على الاستدلال بها ممّا لامساغ له أصلًا. (٣: ٢٧٣)

٢ـ وَمَاكُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ. العنكبوت: ٤٨

مُجاهِد: قريش. (الطَّبَريّ ٢١: ٥)

قَتادَة: إذن لقالوا: إنّما هذا شيء تعلّمه محمّد ﷺ وكتبه. (الطَّبَريّ ٢٠: ٥)

السُّدّيّ: أنّهم المكذّبون من اليهود. (الماوَرْديّ ٤: ٢٨٧)

الطَّبَريّ: القائلون إنّه سجعٌ وكهانةٌ، وإنّه أساطير الأوّلين. (٢٠: ٤)

الزّمَخْشَريّ: ﴿لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ من أهل الكتاب، وقالوا: الّذي نجده في كتبنا أُمّيّ لايكتب ولايقرأ وليس به، أو لارتاب مشركو مكّة وقالوا: لعلّه تعلّمه أو كتبه بيده.

فإن قلت: لم سمّاهم مبطلين ولو لم يكن أُمّيًّا، وقالوا: ليس بالّذي نجده في كتبنا، لكانوا صادقين محقّين، ولكان أهل مكّة أيضًا على حقّ في قولهم: لعلّه تعلّمه أو كتبه، فإنّه رجل قارئ كاتب؟

قلت: سمّاهم مبطلين، لأنّهم كفروا به وهو أُمّيّ بعيد من الرّيب، فكأنّه قال: هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن أُمّيًّا لارتابوا أشدّ الرّيب، فحين ليس بقارئ كاتب فلاوجه لارتيابهم.

وشيء آخر وهو أنّ سائر الأنبياء ﷺ لم يكونوا

أُمّيّين ووجب الإيمان بهم وبما جاءوا به، لكونهم مصدّقين من جهة الحكيم بالمعجزات. فَهبْ أنّه قارئٌ كاتبٌ فمالهم لم يؤمنوا به من الوجه الّذي آمنوا منه بموسى وعيسى عليهما السلام، على أنّ المُنزَلَيْن ليسا بمُعجِزَين وهذا المُنزَل معجِزٌ، فإذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أُمّيّ، ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أُمّيّ.

(٣: ٢٠٨)

الفَخْرالرّازيّ: فيه معنى لطيف، وهو أنّ النّبيّ إذا كان قارئًا كاتبًا ماكان يوجب كون هذا الكلام كلامه، فإنّ جميع كتبة الأرض وقرّائها لايقدرون عليه، لكن على ذلك التّقدير يكون للمبطل وجه ارتياب، وعلى ماهو عليه لاوجه لارتيابه، فهو أدخل في الإبطال، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ البقرة: ٢٣، أي من مثل محمّد صلّى الله عليه وآله، وكقوله: ﴿الم * ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾ البقرة: ١، ٢. (٢٥: ٧٧)

البُرُوسَويّ: والمبطِل من يأتي بالباطل، وهو نقيض الحقّ وهو من يأتي بالحقّ لما أنّ الباطل نقيض الحقّ. [ثمّ نقل كلام الرّاغب إلى أن قال:]

والمعنى لارتابوا وقالوا: لعلّه تعلّمه أو التقطه من كتب الأوائل. وحيث لم تكن كذلك، لم يبق في شأنك منشأ ريب أصلًا. (٦: ٤٨٠)

الآلوسيّ: ووصف مشركي مكّة بالإبطال باعتبار ارتيابهم وكفرهم، وهو عليه الصّلاة والسّلام أُمّيّ، فكأنّه قيل: إذن لارتاب هؤلاء المبطلون الآن، وكان إذ ذاك لارتيابهم وجه.

وقيل: وصفهم بذلك باعتبار ارتيابهم، وهو صلّى الله تعالى عليه وسلّم أُمّيّ، وباعتبار ارتيابهم وهو عليه الصّلاة والسّلام ليس بأُمّيّ.

أمّا كونهم مبطلين بالاعتبار الأوّل فظاهر، وأمّا كونهم كذلك بالاعتبار الثّاني فلأنّ غاية مايلزم من عدم أُمّيّته صلّى الله عليه وآله انتفاء أحد وجوه الإعجاز، ويكفي الباقي في الغرض، فيكون المرتاب مُبطلًا كالمرتاب في نبوّة الأنبياء الّذين لم يكونوا أُمّيّين، وصحّة ماجاءوا به.

والأوّل أظهر، وكون المراد بالمبطلين مشركي مكّة، هو المرويّ عن مُجاهِد.

وقال قَتادَة: هم أهل الكتاب، أي لو كنت تتلو من قبلُ أو تخطّ لارتاب أهل الكتاب، لأنّ نعتك في كتابهم أُمّيّ.

ووَصْفهم بالإبطال قيل: باعتبار ارتيابهم، وهو عليه الصّلاة والسّلام أُمّيّ كما هو الواقع، وإلّا فهم ليسوا بمبطلين في ارتيابهم على فرض عدم كونه صلّى الله تعالى عليه وسلّم أُمّيًّا.

وفي «الكشف» هذا فرض وتمثيل دلالة على أنّ مدار الأمر على المعجز، وأنّ كونه عليه الصّلاة والسّلام أُمّيًّا لايخطّ ليس ممّا لايتمّ دعواه به، وتلك الدّلالة لاتختلف، والمنكر مبطل اهـ، فتأمّل. (٢١: ٤)

الطَّباطَبائيّ: (المُبْطِلُونَ): جمع مبطِل وهو الّذي يأتي بالباطل من القول، ويقال أيضًا للّذي يُبطل الحقّ، أي يدّعي بطلانه. والأنسب في الآية المعنى الثّاني وإن جاز أن يراد المعنى الأوّل. (١٦: ١٣٩)

٣ـ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ. الرّوم: ٥٨

الطُّوسيّ: في دعواكم البعث والنّشور، عنادًا وجحدًا للأمور الظّاهرة. (٨: ٢٦٧)

المَيْبُديّ: ماأنتم إلّا على باطل، يعني أنّهم لايهتدون بتلك الآية أيضًا، ولم يعرفوا بها صحّة دينك وحقيقة أمرك، كما لم يهتدوا بهذا القرآن، ولم يعلموا به شيئًا من ذلك. (٧: ٤٧٢)

الطَّبْرِسيّ: أي أصحاب أباطيل، وهذا إخبار عن عناد القوم، وتكذيبهم بالآيات. (٤: ٣١١)

القُرطُبيّ: أي تتّبعون الباطل والسّحر. (١٤: ٤٩)

أبوحَيّان: أي تبطلون في دعواكم الحشر والجزاء. (٧: ١٨١)

أبوالسُّعود: أي مزوّرون. (٥: ١٨٢)

مثله الآلوسيّ. (٢١: ٦٢)

الطَّباطَبائيّ: أي جاءوا بالباطل، وهذا القول منهم، لأنّهم مصرفون عن الحقّ، يرون كلّ حقّ باطلًا. ووضع الموصول والصّلة موضع الضّمير، للدّلالة على سبب القول. (١٦: ٢٠٧)

٤ـ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ. المؤمن: ٧٨

الطَّبَريّ: يقول: وهلك هنالك الّذين أبطلوا في قيلهم الكذب، وافترائهم على الله وادّعائهم له شريكًا. (٢٤: ٨٧)

الزَّمَخْشَريّ: هم المعاندون الّذين اقترحوا الآيات، وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسمّوها سحرًا. (٣: ٤٣٨)

مثله الفَخْرالرّازيّ (٢٧: ٨٩)، وأبوحَيّان (٧: ٤٧٨).

الطَّبْرِسيّ: المبطل: صاحب الباطل. (٤: ٥٣٤)

الكَرْمانيّ: قوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ وختم السّورة بقوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ المؤمن: ٨٥، لأنّ الأوّل متّصل بقوله: ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ ونقيض الحقّ: الباطل، والثّاني متّصل بإيمانٍ غير مُجد، ونقيض الإيمان: الكفر. (١٧٥)

القُرطُبيّ: أي الّذين يتّبعون الباطل والشّرك. (١٥: ٣٣٤)

٥ـ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ. الجاثية: ٢٧

الطُّوسيّ: المبطل هو مَن فعل الباطل وعدل عن الحقّ. (٩: ٢٦١)

ابن عَطيّة: الدّاخلون في الباطل. (٥: ٨٨)

ابن كثير: هم الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رُسله من الآيات البيّنات، والدّلائل الواضحات. (٦: ٢٧٠)

الآلوسيّ: الدّاخلون في الباطل، ولعلّ المراد به أعظم أنواعه وهو الكفر. (٢٥: ١٥٥)

الوُجوه والنّظائر

مُقاتِل: تفسير الباطل على أربعة وجوه:

فوجه منها: الباطل يعني الكذب، فذلك قوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ المؤمن: ٧٨، يعني المكذّبين بالبعث، وقال: ﴿إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ العنكبوت: ٤٨، يعني المكذّبين، وهم اليهود عليهم لعنة الله، وقال: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فصّلت: ٤٢، يعني لايأتي القرآن التّكذيب من الكتب قبله ولايجيء من بعده كتاب يكذّبه.

والوجه الثّاني: الإبطال، يعني الإحباط، فذلك قوله: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ يعني لاتحبطوها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ البقرة: ٢٦٤، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ محمّد: ٣٣، يعني لاتحبطوا أعمالكم.

والوجه الثّالث: الباطل يعني الشّرك الّذي ليس له أصل ثابت، فذلك قوله: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ يعني ذهب الشّرك: عبادة الشّياطين ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ﴾ يعني الشّرك ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء: ٨١، لأنّ الشّرك ليس له أصل في الأرض ولافرع في السّماء، فلذلك كان زهوقًا.

وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ يعني بعبادة الشّيطان: الشّرك ﴿وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ العنكبوت: ٥٢.

وقال: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ النّحل: ٧٢، يعني بعبادة الشّيطان: الشّرك يصدّقون.

والوجه الرّابع: الباطل يعني الظّلم، فذلك قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ يعني الظّلم ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ البقرة: ١٨٨، نظيرها في النّساء. (٢٧٨)

مثله هارون الأعور (٢٩٨)، والدّامغانيّ (١٦٧)، والمَيْبُديّ (٥: ٦١١).

الفيروزاباديّ: الإبطال: يقال في إفساد الشّيء وإزالته، حقًّا كان ذلك الشّيء أو باطلًا، قال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ الأنفال: ٨.

وقد جاء بمعنى الكذب ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فصّلت: ٤٢، ﴿إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ العنكبوت: ٤٨.

وبمعنى الإحباط ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ البقرة: ٢٦٤، ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ محمّد: ٣٣.

وبمعنى الكفر والشّرك ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء: ٨١.

وبمعنى الصّنم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ﴾ العنكبوت: ٥٢، أي بالصّنم، أو بإبليس.

وبمعنى الظّلم والتّعدّي ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ أي بالظّلم. (بصائر ذوي التّمييز ٢: ٢٥٢)

الأُصول اللُّغويّة

١ـ الأصل في هذه المادّة التّلف والهلاك، وكذا جاء في السّريانيّة والعبريّة، يقال: بَطَلَ الشّيء يَبطُل بُطلًا وبُطولًا وبُطلانًا، أي ذهب ضياعًا وهدرًا، كبُطلان الدّم والحديث وغيرهما. وأبطلَ الشّيء: جعله باطلًا، وأبطل

فلانٌ: جاء بالباطل، والباطل: نقيض الحقّ.

وتبطّل الرّجل: اتّبع اللّهو والجهالة، يقال: بينهم أُبطولة يتبطّلون بها، أي يقولونها ويتداولونها.

٢ـ والبَطَل: الشّجاع، يقال: بَطُلَ الرّجل يَبطُل بُطولةً وبَطالةً، أي صار شجاعًا، وهذا المعنى غير معروف في سائر اللّغات السّاميّة، وهو من هذا الباب، لأنّه يُبطِل الظّالم بسيفه فيُبهرجها، أو لأنّ الأشدّاء يَبطلون عنده، أو تبطل عنده دماء الأقران، أو يُبطِل جراحَه ولايكترث لها، ولاتكفّه عن نجدته، أو يعرّض نفسه للتّلف والهلاك.

٣ـ وقيل في جمع الباطل: أباطيل، وقيل: بواطل، وكلاهما مخالف للقياس، لأنّ الأوّل جمع إبطال أو إبطالة أو أُبطولة على القياس، والثّاني جمع ماجاء على «فاعِل» إذا كان اسمًا، مثل: كاهِل وكواهِل، أو وصفًا لمؤنّث عاقل، مثل: حائِض وحوائض، أو لمذكّر غير عاقل، مثل: صاهِل وصواهِل. وشذّ فارِس وفوارس، وسابِق وسوابِق، لأنّه وصف لمذكّر عاقل.

وقياس «باطِل» أن يجمع على «فُعّل» لأنّه وصف صحيح اللّام، مثل: ضارِب وضُرّب. وصائِم وصُوّم. وقد جاء «بُطّل» في النّثر والشّعر معًا، ومنه قول العجّاج، وهو من شواهد الكتاب في باب التّرخيم:

فقد رأى الرّاءون غير البُطّل

٤ـ وقد يُعبّر مسامحة عن الباطل بالفاسد وبالعكس، مع افتراقهما في شيء، وهو أنّ الباطل من العقود مثلًا مالم يُشرّع أصلًا كبيع الطّير في الهواء، والفاسد منها ما شُرّع أصله وافتقد شرطه، كالبيع الفضوليّ مع عدم إذن المالك.

الاستعمال القرآنيّ

جاءت هذه المادّة من المجرّد فعلًا ماضيًا مرّة واحدة، واسم فاعل (٢٤) مرّة، ومن باب الإفعال مضارعًا (٤) مرّات، ووصفًا (٥) مرّات:

١ـ ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ١١٨

٢ـ ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ الأنفال: ٨

٣ـ ﴿قَالَ مُوسَى مَاجِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ يونس: ٨١

٤ـ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ البقرة: ٢٦٤

٥ ـ ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَاتُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ محمّد: ٣٣

٦ـ ﴿وَلَاتَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٤٢

٧ـ ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ آل‌عمران: ٧١

٨ ـ ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ الرّعد: ١٧

٩ـ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء: ٨١

١٠ـ ﴿وَمَانُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا

آياتي وَما أُنذِروا هُزُوًا﴾ الكهف: ٥٦

١١ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

المؤمن: ٥

١٢ـ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الأنبياء: ١٨

١٣ـ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ الحجّ: ٦٢

١٤ـ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ لقمان: ٣٠

١٥ـ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾

سبأ: ٤٩

١٦ـ ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾

الشورى: ٢٤

١٧ـ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ محمّد: ٣

١٨ـ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٨٨

١٩ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء: ٢٩

٢٠ـ ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ النساء: ١٦١

٢١ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة: ٣٤

٢٢ـ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ١٣٩

٢٣ـ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

هود: ١٦

٢٤ـ ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ النحل: ٧٢

٢٥ـ ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾

العنكبوت: ٦٧

٢٦ـ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ العنكبوت: ٥٢

٢٧ـ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصّلت: ٤٢

٢٨ـ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

آل‌عمران: ١٩١

٢٩ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ص: ٢٧

٣٠ـ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا

مُبْطِلُونَ﴾ الرّوم: ٥٨

٣١ـ ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ العنكبوت: ٤٨

٣٢ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ المؤمن: ٧٨

٣٣ـ ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ الجاثية: ٢٧

٣٤ـ ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الأعراف: ١٧٣

يلاحظ أوّلًا: أنّ (وَقَعَ الْحَقُّ) في (١) جاء مقابلًا لـ(بَطَلَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ)، ولـ(يُحِقَّ الْحَقَّ) في (٢) جاء مقابلًا لـ(يُبْطِلَ الْبَاطِلَ)، لأنّ الفعلين في (١) لازمان وفي (٢) متعدّيان، فلايقال: بطّل الباطل، وإنّما هذا السّياق خاصّ بالفعل المتعدّي من «بطَل»، وهو من قبيل شِعْر شاعر، ومات الميّت ومثله كثير، يشعر بنوع من المبالغة والتّأكيد.

وبهذا يندفع ماأشكله الفَخْرالرّازيّ بقوله: «الحقّ حقّ لذاته، والباطل باطل لذاته، وماثبت لشيء فإنّه يمتنع تحصيله بجعل جاعل وفعل فاعل، فالمراد من تحقيق الحقّ وإبطال الباطل؟ وأجاب: بأنّ المراد إظهار كون ذلك الحقّ حقًّا وإظهار كون ذلك الباطل باطلًا...».

وماذكرناه أمسّ وأنسب ببلاغة القرآن، وجاء نظيره في (١٦): ﴿وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ الشّورى: ٢٤، مع تبديل (يبطل الباطل) بـ(يمح الباطل)، وهو شاهد لمعنى الآية (٢). ومعنى الجملتين في (١) وُجد الحقّ وانعدم الباطل، وفي (٢) أُوجد الحقّ وأُعدم الباطل.

ثانيًا: جاء (يُبْطله) و(تُبْطِلُوا) في (٣) و(٤) و(٥) بمعنى أعدمه مع تفاوت، فإبطال السّحر في (٣) إفشاؤه وإبانته بأنّه ليس أمرًا حقيقيًّا، بل تمويه ومكر، مثل ماجاء به السّحرة لموسى عليه السلام. أو إبطال أثره الّذي أُريد به مثل ماجاء السّحرة ببابل.

وأمّا إبطال الصّدقات بالمنّ والأذى في (٤) وإبطال الأعمال في (٥)، فمعناه نفي صحّتها ورفع أجرها، وإلّا فالصّدقات والأعمال قد وقعت ولم تنعدم رأسًا، بل ينعدم أثرها كما ينعدم أثر السّحر. وبقاء أثر الصّدقات بالاجتناب عن المنّ والأذى، وأثر الأعمال بإطاعة الله ورسوله حسب نصّ الآيتين.

ثالثًا: جاء الحقّ والباطل معًا في (١٣) آية: (٢) و(٦) إلى (١٧)، وقد بحثنا حول (٢) و(١٦)، وأمّا سائر الآيات: ١ـ فقد جاء في (٦) و(٧) خطابًا لبني إسرائيل، أي اليهود والنّصارى حول لبس الحقّ بالباطل وكتمان الحقّ، فقال المفسّرون: المراد باللّبس: خلط الحقّ بالباطل، وبكتمان الحقّ إخفاؤه، بوجوه أحسنها ماذكره الفَخْرالرّازيّ حول الآية (٧)، مشيرًا إلى قوله تعالى قبلها: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ آل‌عمران: ٦٩.

إنّ إضلال الغير لايحصل إلّا بطريقين، لأنّ الغير إن سمع دلائل الحقّ فإضلاله لايمكن إلّا بالتّهويش بين تلك

الدّلائل، وإن كان لم يسمعها فبإضلاله بإخفائها عنه ومنعه من الوصول إليها. فقوله: ﴿وَلَاتَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ إشارة إلى الأوّل، وهو التّمويش بينها. وقوله: ﴿وَلَاتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ إشارة إلى الثّاني، وهو إخفاؤها عنه.

ونقول: قد جاءت الآية (٧) في سياق آيات من آل‌عمران تخاطب أهل الكتاب، ابتداء من قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ آل‌عمران: ٦٤، وانتهاء بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ آل‌عمران: ٧٨، والمراد بـ(أهل الكتاب) في (٦) اليهود من بني إسرائيل، لقوله قبلها: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ...﴾ البقرة: ٤٠، وفي (٧) اليهود والنّصارى معًا، كما يظهر من قوله قبلها: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ آل‌عمران: ٦٥.

وفي الآيات الّتي قبلها وبعدها إشارة إلى أنواع من الخلط والتّمويه لأهل الكتاب، منها ادّعاؤهم أنّ إبراهيم كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، فردّ عليهم بأنّه كان حنيفًا مسلمًا، وأنّ اليهوديّة والنّصرانيّة وُجدتا من بعده. ومنها إضلال المسلمين والكفر بآيات الله والإيمان بما أنزل الله وجه النّهار والكفر به آخره، وغير ذلك ممّا جاء في النّصوص، فلاحظ.

فلايبعد ـ إذًا ـ أنّ الله جمع تلك التّمويهات في لبس الحقّ بالباطل وكتمان الحقّ، وليست الآية (٦) عن هذه الآية ببعيدة، فإنّ قوله قبلها: ﴿وَلَاتَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَاتَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ البقرة: ٤١، إشارة إلى تلك التّمويهات، وقد بيّنها الله في آيات بعدها نزلت بشأن بني إسرائيل، فلاحظ.

وتعني الآيات من (٨) إلى (١٧) ذهاب الباطل بالحقّ بصور شتّى:

الأُولى: ضرب المثل بماء السّماء ومايتبعه من السّيل والزّبد فيذهب جفاء ويبقى ماينفع النّاس في (٨): ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَايَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ﴾ الرّعد: ١٧، لاحظ «م ث ل».

الثّانية: ضرب المثل بإضلال أعمال الكفّار وإصلاح أعمال المؤمنين في (١٧): ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ محمّد: ١ ـ ٣.

الثّالثة: تشبيه الحقّ والباطل بإيلاج اللّيل في النّهار وإيلاج النّهار في اللّيل في (١٣) و(١٤): ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَايَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ الحجّ: ٦١، ٦٢، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ لقمان: ٢٩، ٣٠.

الرّابعة: إذهاب الباطل ومحوه بالحقّ في (١) و(٢) و(٨) و(٩) و(١٠) و(١١) و(١٥) و(١٦).

الخامسة: قذف الحقّ على الباطل ودمغه به، أي رمي الحقّ على الباطل ودفع الباطل به في (١٢).

السّادسة: جدال الكفّار بالباطل ليدحضوا به الحقّ في (١٠) و(١١)، أي ليردّوا الحقّ بالباطل، وجدال الكفّار في الآيتين إنّما هو في آيات الله، فقد جاء في آخر (١٠): ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾، وقبل (١١): ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ المؤمن: ٤.

رابعًا: جاء «الباطل» وحده في (١٨) إلى (٢٩) بأسلوبين:

الأوّل: أكل المال بالباطل في (١٨) إلى (٢١)، وذلك إمّا بالرّشوة للحكّام (١٨)، أو بأخذ الرّبا (٢٠)، أو بالتّمويه وإغفال النّاس وأخذ أموالهم بوجه حرام، دون أن تكون تجارة عن تراضٍ منهم (١٩) إلى (٢١).

وينبغي التّنبيه على أمور:

١ـ هناك بحث طويل عند الفقهاء والمفسّرين في المراد بـ«الباطل» في هذه الآيات، فعند كثير منهم أنّه المال الحرام، فردّ عليهم الإمام عبدُه بأنّه إحالة للشّيء على نفسه، ويصير المعنى حينئذٍ: إنّي جعلت المال الحرام محرّمًا. وقد سبقه إلى ذلك الفخرالرّازيّ. ثمّ حوّل عبده مفاهيم ألفاظ مثل: الحقّ والباطل والمعروف والمنكر، ونحوها إلى مايفهمه العقلاء بفطرتهم السّليمة.

وقال رشيد رضا: «الباطل هو مالم يكن في مقابله شيء حقيقيّ، وهو من البطْل والبُطلان، أي الضّياع والخسارة...». وقال العلّامة الطّباطبائيّ: «الباطل مالايشتمل على غرض صحيح». وقال أيضًا: «الباطل يقابل الحقّ الّذي هو الأمر الثّابت بنحو من الثّبوت».

٢ـ مثّلوا لأكل المال بالباطل بمثل الرّبا والقمار والرّشوة وثمن الخمر وشهادة الزّور واليمين الكاذبة والغشّ والخيانة والسّرقة والنّصب، ونحوها ممّا شاع حينذاك عند الرّهبان والقسّيسين من اليهود والنّصارى. وألحق بعضهم بها أخذ الأُجرة على العبادات وقراءة القرآن وبيع القُربان، وقد فسّرها بعضهم بالعقود الفاسدة. وحمله بعضهم على أكل طعام الغير، وأنّه قد نُسخ بآية أُخرى، وهو بعيد جدًّا.

٣ـ كلمة (بَيْنَكُمْ) تشير إلى تبادل الأموال بين النّاس، وأخذ بعضهم مال غيره، وحمله بعضهم على موضوع التّنازع في التّقابل بين المتعاملين، كأنّه واقع بين الآكل والمأكول منه، فكلّ منها يريد جذبه لنفسه، وهو بعيد أيضًا. وقال الطّباطبائيّ: «التّقييد بقوله: (بَيْنَكُمْ) الدّالّ على نوع تجمّع منهم على المال ووقوعه في وسطهم إشعارًا أو دلالة بكون الأكل بالباطل المنهيّ عنه بنحو إدارته فيما بينهم ونقله من واحد إلى آخر بالتّعاون والتّداول...».

ونقول: كلمة (بَيْنَكُمْ) هي الفارقة بين الآيتين (١٨) و(١٩) والآيتين (٢٠) و(٢١)، فالأُوليان تحكيان حكم

تعامل الأموال بين النّاس، والأُخريان حكم أكل مال الغير في غير تعامل، وقد ذكروا أنحاءً من ذلك عند الرّهبان، فلاحظ.

وبذلك يبطل قول الفخرالرّازيّ بأنّ الآية شاملة لأكل أموالهم وأموال غيرهم بقوله: (اَمْوَالَكُمْ)، فعندنا أنّ قوله: (بَيْنَكُمْ) يصرفه عن أموالهم إلى الأموال المتبادلة بينهم.

٤ـ للفقهاء مجال واسع مستدلّين بآية التّراضي في الحكم بصحّة كثير من المعاملات الّتي شاعت في العصر الحاضر، ممّا لانصّ للشّرع على فسادها، ولاتدخل تحت إحدى المحذورات كالرّبا والميسر والغبن والغرور ونحوها، إذا وقعت بالتّراضي.

٥ ـ الباء في (بِالْبَاطِلِ) متعلّقة بـ (لَاتَأْكُلُوا)، وهي سببيّة، أي لاتأكلوها بسبب باطل، أو هي للإلصاق، متعلّقة بمفعول محذوف، أي أكلها متلبّسًا بالباطل، والنّتيجة واحدة. قال أبوحيّان (٢: ٥٥): «وجوّزوا أن تكون (بِالْبَاطِلِ) حالًا من الأموال، وأن تكون حالًا من الفاعل».

الثّاني: أنّ خلق السّماوات والأرض ليس باطلًا في (٢٨) و(٢٩)، أي بلاغرض ولاهدف، وقد بيّن الله في الآيتين موقف المؤمنين والكافرين في هذا الأمر، ففي (٢٨) تبيان لموقف المؤمنين بأوضح بيان؛ حيث إنّهم يذكرون الله في جميع الأحوال، ويتفكّرون في خلق السّماوات والأرض، ثمّ يعترفون عن يقين أمام الله مخاطبين له ومسبّحين بأنّه ماخلقها باطلًا، وسائليه أن يقيهم عذاب النّار.

وفي (٢٩) تبيان لموقف الكفّار بأنّ ذلك ظنّ منهم بلايقين، وقد كرّر ذكرهم بـ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مرّتين، ثمّ جعل الويل لهم من النّار، فشتّان مابين الموقفين. ومع ذلك فقد خُتمت الآيتان بكلمة (النّار) تنبيهًا على أنّ مآل الفريقين إليها، فالمؤمنون يمرّون عليها فائزين، والكافرون يدخلونها خاسرين. هذا بالإضافة إلى رعاية الفواصل.

خامسًا: جاء (الْمُبْطِلُونَ) في خمس آيات هي (٣٠) إلى (٣٤).

١ـ منها آيتان جاءتا بشأن القرآن (٣١) و(٣٢)، ولقد عبّر القرآن عن الّذين كفروا به أو ارتابوا فيه بالمبطلين، إذ القرآن كلّه حقّ، فالكفر به وكذلك الارتياب فيه باطل، والحقّ والباطل لايجتمعان، بل هما ضدّان متقابلان، قد قابل بينهما القرآن في (١٢) آية كما سبق.

٢ـ وليست الآية (٣٢) بعيدة عنها، فإنّها بشهادة سياقها ابتداء من قوله تعالى: ﴿اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى اٰيَاتِ اللهِ اَنّٰى يُصْرَفُونَ * اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا اَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا...﴾ المؤمن: ٦٩، ٧٠، وانتهاء بهذه الآية ترتبط بالكفر بآيات الله الّتي أُنزلت على الرّسل، وتلاها بعد آياتٍ قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَاكَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ المؤمن: ٨٣.

٣ـ وكذلك الآية (٣٣) لها مساس بالقرآن، فقد جاء قبلها ﴿وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَاكَانَ حُجَّتَهُمْ اِلَّا اَنْ قَالُوا ائْتُوا بِاٰبَائِنَا اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلِ اللهُ

يُحْيِيكُمْ...﴾ الجاثية: ٢٥، ٢٦.

٤ـ أمّا الآية الأخيرة ـ أي (٣٤) ـ فقد جاءت عقيب قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف: ١٧٢، وقبلها آيات في الّذين ورثوا الكتاب فتخلّفوا عنه، وآية في الّذين يمسّكون بالكتاب، فسياق هذه الآية رفض آيات الكتاب أيضًا.

فتحصّل أنّ المبطلين في عرف القرآن تعبير عن الّذين يكفرون بآيات الله ـ وهو حقّ ـ فيُبطلونها بكفرهم بها وارتيابهم فيها أو تخلّفهم عنها.

وهذا هو سرّ التّعبير عنهم بالمبطلين دون الباطلين، وكذلك الإتيان بلفظ الجمع، لأنّهم جماعة يخلف بعضهم بعضًا في جميع الأُمم، يقفون أمام الرّسل وآيات الله فيُبطلونها بكفرهم بها قلبًا، والجدال فيها والاستهزاء بها لسانًا، والسّعي في إبطالها عملًا.

سادسًا: في هذه الآيات تعادل عدديّ مبنيّ على الاثنين، فقد جاء الحقّ في (٧) مرّتين، والباطل في (٩) مرّتين، وجاء ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ في (٢) و(١٦) مرّتين، و(يُبْطِلَ الْبَاطِلَ) في (٢) و(٣) مرّتين، و(لَاتُبْطِلُوا) في (٤) و(٥) مرّتين، و(تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) في (٦) و(٧) مرّتين، وضرب المثل للحقّ والباطل في (٨) و(١٧) مرّتين، وتشبيه الحقّ والباطل بإيلاج اللّيل والنّهار في (١٣) و(١٤) مرّتين، والجدال بالباطل في (١٠) و(١١) مرّتين، و﴿أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ في (١٣) و(١٤) مرّتين، و(قُلْ جَاءَ الْحَقُّ) في (٩) و(١٥) مرّتين، وزهوق الباطل في (٩) و(١٢) مرّتين، و﴿لَاتَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ في (١٨) و(١٩) مرّتين، و﴿بَاطِلٌ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في (٢٢) و(٢٣) مرّتين، و﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾ في (٢٤) و(٢٥) مرّتين، ونفي خلق السّماء والأرض باطلًا في (٢٨) و(٢٩) مرّتين.

وهناك ألفاظ جاءت مرّة واحدة وفي قبالها ألفاظ أُخرى بهذا العدد كذلك، فيؤول ويتبدّل إلى مرّتين، مثل: قذف الباطل بالحقّ (١٢)، ومحو الباطل بالحقّ (١٦)، وزهق الباطل (٩)، و(مايبدئ الباطل ومايعيد) في (١٥)، و(وقع الحقّ) و(بطل الباطل) في (١)، و(اتّبعوا الحقّ) و(اتّبعوا الباطل) في (١٧)، ويجادل وجادلوا (١٠) و(١١)، و﴿أَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ في (٢٠)، و﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ في (٢١)، و﴿إِنَّ هٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَاهُمْ فِيهِ﴾ في (٢٢)، و﴿حَبِطَ مَاصَنَعُوا فِيهَا﴾ في (٢٣)، و﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ و﴿كَفَرُوا بِاللهِ﴾ في (٢٦)، و(مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) و(مِنْ خَلْفِهِ) في (٢٧).

ثمّ إنّ كثيرًا من هذه الآيات مزدوجة من جملتين، مثل: ﴿تَلْبِسُوا الْحَقَّ وَتَكْتُمُوا الْبَاطِلَ﴾، و﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَايَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾، ﴿وَلَاتَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...وَلَاتَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبٰوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾، ﴿وَمَاكُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾، و﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾، و﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ وَيَتَفَكَّرُوا﴾.

وكذلك فيها جملة من الثّنائيّات، مثل: الإثم والعدوان (١٨)، والمنّ والأذى (٤)، و﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ في (٥)، و﴿مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ في (١٥)، والذّهب والفضّة (٢١)، والأحبار والرّهبان (٢١)، والسّماء والأرض (٢٩)، والسّماوات والأرض (٢٨)، وقيامًا وقعودًا (٢٨)، و﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في (٢٩).

وجاء الباطل مقدّمًا على الحقّ في أربع آيات: (١٠) و(١١) و(١٦) و(١٧)، وجاء الحقّ مقدّمًا على الباطل في ثماني آيات: (٩) إلى (١٦) و(١٢) إلى (١٥)، أي ضعف الباطل.

وجاء الحقّ والباطل معًا (١٣) مرّة: (١) و(٢) و(٦) إلى (١٧)، وجاء الباطل وحده (١٣) مرّة أيضًا: (١٨) إلى (١٩).

أمّا النّسبة بين أعداد الحقّ والباطل فتبدو أنّ الحقّ نحو عشرة أضعاف الباطل، فإنّ الباطل جاء في القرآن نحو (٢٩) مرّة، والحقّ نحو (٢٤٧) مرّة، لاحظ «ح ق ق».

سابعًا: ويخطر بالبال ـ والله أعلم ـ أنّ الله أراد في هذه الآيات المبنيّة على التّقابل والتّعادل مرّتين مرّتين، التّركيز على البون الشّاسع بين الحقّ والباطل، وأنّهما لايتداخلان ولايختلطان ولايتّحدان، وأنّ الحقّ حقّ أبدًا، والباطل باطل أبدًا، وهما مفترقان مثل اللّيل والنّهار والبياض والسّواد والنّور والظّلمات، وأنّهما يسعان كلّ شيء أبد الآباد، فما من شيء إلّا وفيه حقّ وباطل، وعلى البصير اليقظان التّمييز بينهما.

ثامنًا: أنّ كثيرًا من نصوص الأكل بالباطل قد سبق ذكر نظائرها في «أ ك ل» فليلاحظ.

فهرس الأعلام والمصادر المنقول عنهم بلا واسطة

الآلوسيّ: محمود (١٢٧٠)[١]

روح المعاني، ط: دار إحياء التّراث، بيروت.

ابن أبي الحديد: عبدالحميد (٦٦٥)

شرح نهج البلاغة، ط: إحياء الكتب، بيروت.

ابن أبي اليمان: يمان (٢٨٤)

التّقفية، ط: بغداد.

ابن الأثير: مبارك (٦٠٦)

النّهاية، ط: إسماعيليان، قم.

ابن الأثير: عليّ (٦٣٠)

الكامل، ط: دار صادر، بيروت.

ابن الأنباريّ: محمّد (٣٢٨)

غريب اللّغة، ط: دار الفردوس، بيروت.

ابن باديس: عبدالحميد (١٣٥٩)

تفسير القرآن، ط: دار الفكر، بيروت.

ابن الجوزيّ: عبدالرّحمان (٥٩٧)

زاد المسير، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.

ابن خالَوَيه: حسين (٣٧٠)

إعراب ثلاثين سورة، ط: حيدرآباد دكّن.

ابن خلدون: عبدالرّحمان (٨٠٨)

المقدّمة، ط: دار القلم، بيروت.

ابن دُرَيْد: محمّد (٣٢١)

الجمهرة، ط: حيدرآباد دكّن.

ابن السّكّيت: يعقوب (٢٤٤)

١ـ تهذيب الألفاظ، ط: الآستانة الرّضويّة، مشهد.

٢ـ إصلاح المنطق، ط: دار المعارف بمصر.

٣ـ الإبدال، ط: القاهرة.

٤ـ الأضداد، ط: دار الكتب العلميّة، بيروت.

ابن سيدة: عليّ (٤٥٨)

المحكم، ط: دار الكتب العلميّة، بيروت.

ابن الشّجريّ: هبة الله (٥٤٢)

الأماليّ، ط: دار المعرفة، بيروت.

ابن شهرآشوب: محمّد (٥٨٨)

متشابه القرآن، ط: طهران.

ابن العربيّ: عبدالله (٥٤٣)

أحكام القرآن، ط: دار المعرفة، بيروت.

ابن عربيّ: مُحيي الدّين (٦٢٨)

تفسير القرآن، ط: دار اليقظة، بيروت.

ابن عطيّة: عبدالحقّ (٥٤٦)

المحرّر الوجيز، ط: دار الكتب العلميّة، بيروت.

ابن فارس: أحمد (٣٩٥)

١ـ المقاييس، ط: طهران.

٢ـ الصّاحبيّ، ط: مكتبة اللّغويّة، بيروت.

ابن قُتَيْبَة: عبدالله (٢٧٦)

١ـ غريب القرآن، ط: دار إحياء الكتب، القاهرة

٢ـ تأويل مشكل القرآن، ط: المكتبة العلميّة، القاهرة.

ابن قيّم: محمّد (٧٥١)

التّفسير القيّم، ط: لجنة التراث العربي، لبنان.

ابن كثير: إسماعيل (٧٧٤)

١ـ تفسير القرآن، ط: دار الفكر، بيروت.

٢ـ البداية والنّهاية، ط: المعارف، بيروت.

ابن منظور: محمّد (٧١١)

لسان العرب، ط، دار صادر، بيروت.

ابن ناقيا: عبدالله (٤٨٥)

الجمان، ط: المعارف،

---

(١) هذه الأرقام تاريخ الوفيات بالهجريّة القمريّة.

الاسكندريّة.
ابن هشام: عبدالله (٧٦١)
مغني اللّبيب، ط: المدنيّ، القاهرة.
أبو البركات: عبدالرّحمان (٥٧٧)
البيان، ط: الهجرة، قم.
أبو حاتِم: سهل (٢٤٨)
الأضداد، ط: دار الكتب، بيروت.
أبو حَيّان: محمّد (٧٤٥)
البحر المحيط، ط: دار الفكر، بيروت.
أبو رزق:... (معاصر)
معجم القرآن، ط: الحجازيّ، القاهرة.
أبو زُرعة: عبدالرّحمان (٤٠٣)
حجّة القراءات، ط: الرّسالة، بيروت.
أبو زُهرة: محمّد (١٣٩٥)
المعجزة الكبرى، ط: دار الفكر، بيروت.
أبو زيد: سعيد (٢١٥)
النّوادر، ط: الكاثوليكيّة، بيروت.
أبو السّعود: محمّد (٩٨٢)
إرشاد العقل السّليم، ط: دار الكتب العلميّة، بيروت.
أبو سهل الهَرَويّ: محمّد (٤٣٣)
التّلويح، ط: التّوحيد، مصر.
أبو عُبَيد: قاسم (٢٤٤)
غريب الحديث، ط: دار الكتب، بيروت.
أبو عُبَيدة: مَعْمَر (٢٠٩)
مجاز القرآن، ط: دار الفكر، مصر.
أبو الفتوح: حسين (٥٥٤)
روض الجنان، ط: الآستانة الرّضويّة، مشهد.
أبو الفداء: إسماعيل (٧٣٢)
المختصر، ط: دار المعرفة، بيروت.
أبو هلال: حسن (٣٩٥)
الفروق اللّغويّة، ط: بصيرتي، قم.
أحمد بدويّ: (معاصر)
من بلاغة القرآن، ط: دار النّهضة، مصر.
الأخفش: سعيد (٢١٥)
معاني القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.
الأزهَريّ: محمّد (٣٧٠)
تهذيب اللّغة، ط: دار المصر.
الإسكافيّ: محمّد (٤٢٠)
دُرّة التّنزيل، ط: دار الآفاق، بيروت.
الأصمعيّ: عبدالملك (٢١٦)
الأضداد، ط: دار الكتب، بيروت.
ايزوتسو: توشيهيكو (١٣٧١)
خدا و انسان در قرآن، ط: انتشار، طهران.
البحرانيّ: هاشم (١١٠٧)
البرهان، ط: مؤسّسة البعثة، بيروت.
البُرُوسَويّ: إسماعيل (١١٢٧)
روح البيان، ط: جعفريّ، طهران.
البُستانيّ: بُطرس (١٣٠٠)
دائرة المعارف، ط: دار المعرفة، بيروت.
البغويّ: حسين (٥١٦)
معالم التّنزيل، ط: دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت.
بنت الشّاطئ: عائشة (١٣٧٨)
١ـ التّفسير البيانيّ، ط: دار المعارف، مصر.
٢ـ الإعجاز البيانيّ، ط: دار المعارف، مصر.
بهاء الدّين العامليّ: محمّد (١٠٣١)
العروة الوثقى، ط: مهر، قم.
بيان الحقّ: محمود (نحو ٥٥٥)
وَضح البرهان، ط: دار القلم، بيروت.
البيضاويّ: عبدالله (٦٨٥)
أنوار التّنزيل، ط: مصر.
التُّستريّ: محمّد تقيّ (١٤١٥)
نهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة، ط: اميركبير، طهران.
التفتازانيّ: مسعود (٧٩٣)
المطوّل، ط: مكتبة الدّاوريّ، قم.
الثّعالبيّ: عبدالملك (٤٢٩)
فقه اللّغة، ط: مصر.
ثعلب: أحمد (٢٩١)
الفصيح، ط: التّوحيد، مصر.
الجرجانيّ: عليّ (٨١٦)
التّعريفات، ط: ناصر خسرو، طهران.
الجزائريّ: نور الدّين (١١٥٨)
فروق اللّغات، ط: فرهنگ اسلامى، طهران.
الجَصّاص: أحمد (٣٧٠)
أحكام القرآن، ط: دار الكتاب، بيروت.
جمال الدّين عَيّاد (معاصر)
بحوث في تفسير القرآن، ط:

المعرفة، القاهرة.
الجواليقيّ: مَوهُوب (٥٤٠)
المعرّب، ط: دار الكتب: مصر.
الجَوهريّ: إسماعيل (٣٩٣)
صحاح اللّغة، ط: دار العلم، بيروت.
الحائريّ: سيّد علي (١٣٤٠)
مقتنيات الدّرر، ط: الحيدريّة، طهران.
الحجازيّ: محمّد محمود (معاصر)
التّفسير الواضح، ط: دار الكتاب، مصر.
الحَرْبيّ: إبراهيم (٢٨٥)
غريب الحديث، ط: دار المدنيّ، جدّة.
الحريريّ: قاسم (٥١٦)
دُرّة الغوّاص، ط: المثنّى، بغداد.
حسنين مخلوف (معاصر)
صفوة البيان، ط: دار الكتاب، مصر.
حِفنيّ: محمّد شرف (معاصر)
إعجاز القرآن البيانيّ، ط: الأهرام، مصر.
الحَمَويّ: ياقوت (٦٢٦)
معجم البلدان، ط: دار صادر، بيروت.
الخازن: عليّ (٧٤١)
لباب التّأويل، ط: التّجاريّة، مصر.
الخَطّابيّ: حَمْد (٣٨٨)
غريب الحديث، ط: دار الفكر، دمشق.
الخليل: بن أحمد (١٧٥)
العين، ط: دار الهجرة، قم.

خليل ياسين (معاصر)
الأضواء، ط: الأديب الجديدة، بيروت.
الدّامغانيّ: حسين (٤٧٨)
الوجوه والنّظائر، ط: جامعة تبريز.
الرّازيّ: محمّد (٦٦٦)
مختار الصّحاح، ط: دار الكتاب، بيروت.
الرّاغب: حسين (٥٠٢)
المفردات، ط: دار المعرفة، بيروت.
الرّاونديّ: سعيد (٥٧٣)
فقه القرآن، ط: الخيّام، قم.
رشيد رضا: محمّد (١٣٥٤)
المنار، ط: دار المعرفة، بيروت.
الزّبيديّ: محمّد (١٢٠٥)
تاج العروس، ط: الخيريّة، مصر.
الزّجّاج: ابراهيم (٣١١)
١ـ معاني القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.
٢ـ وفعلت وأفعلت، ط: التّوحيد، مصر.
٣ـ إعراب القرآن، ط: دار الكتاب، بيروت.
الزّركشيّ: محمّد (٧٩٤)
البرهان، ط: دار إحياء الكُتب، القاهرة.
الزّركليّ: خيرالدّين (معاصر)
الأعلام، ط: بيروت.
الزّمَخْشَريّ: محمود (٥٣٨)
١ـ الكشّاف، ط: دار المعرفة، بيروت.
٢ـ الفائق، ط: دار المعرفة،

بيروت.
٣ـ أساس البلاغة، ط: دار صادر، بيروت.
السِّجستانيّ: محمّد (٣٣٠)
غريب القرآن، ط: الفنّيّة المتّحدة، مصر.
السَّكّاكيّ: يوسف (٦٢٦)
مفتاح العلوم، ط: دار الكتب، بيروت.
سليمان حييم (معاصر)
فرهنگ عبريّ ، فارسي ، ط : إسرائيل.
السُّهَيليّ: عبدالرّحمان (٥٨١)
روض الأنف، ط: الكلّيّات،القاهرة.
سيبَوَيْه: عمرو
الكتاب، ط: عالم الكتب، بيروت.
السُّيُوطيّ: عبدالرّحمان (٩١١)
١ـ الإتقان، ط: رضي، طهران.
٢ـ الدّرّ المنثور، ط: بيروت، ٣ـ تفسير الجلالين، ط: مصطفى البابي، مصر (مع أنوار التّنزيل).
سيّد قطب (١٣٨٧)
في ظلال القرآن، ط: دار الشّروق، بيروت.
الشُّبَّر: عبدالله (١٣٤٢)
الجوهر الثّمين، ط: الألفين، الكويت.
الشّربينيّ: محمّد (٩٧٧)
السّراج المنير، ط: دار المعرفة، بيروت.
الشّريف الرّضيّ: محمّد (٤٠٦)
١ـ تلخيص البيان، ط: بصيرتي،

قم.
٢ـ حقائق التأويل، ط: البعثة، طهران.
الشّريف العامليّ: محمّد (١١٣٨)
مرآة الأنوار، ط: آفتاب، طهران.
الشّريف المرتضى: عليّ (٤٣٦)
الأمالي، ط: دار الكتب، بيروت.
شريعتي: محمّد تقي (١٤٠٧)
تفسير نوين، ط: فرهنگ اسلامي، طهران.
شوقي ضَيف (معاصر)
تفسير سورة الرّحمان، ط: دار المعارف بمصر.
الصّابونيّ: محمّد عليّ (معاصر)
روائع البيان، ط: الغزاليّ، دمشق.
الصّاحب: إسماعيل (٣٨٥)
المحيط في اللّغة، ط: عالم الكتب، بيروت.
الصّغانيّ: حسن (٦٥٠)
١ـ التّكملة، ط: دار الكتب، القاهرة.
٢ـ الأضداد، ط: دار الكتب، بيروت.
صدر المتألّهين: محمّد (١٠٥٩)
تفسير القرآن، ط: بيدار، قم.
الصّدوق: محمّد (٣٨١)
التّوحيد، ط: النّشر الإسلاميّ، قم.
طه الدّرة: محمّد علي (معاصر)
تفسير القرآن الكريم و إعرابه وبيانه، ط: دار الحكمة، دمشق.
الطّباطبائيّ: محمّد حسين (١٤٠٢)
الميزان، ط: إسماعيليان، قم.
الطّبْرِسيّ: فضل (٥٤٨)
مجمع البيان، ط: الإسلاميّة، طهران.
الطّبَريّ: محمّد (٣١٠)
١ـ جامع البيان، ط: المصطفى البابي، مصر.
٢ـ أخبار الأُمم والمُلوك، ط: الاستقامة، القاهرة.
الطُّريحيّ: فخر الدّين (١٠٨٥)
١ـ مجمع البحرين، ط: المرتضويّة، طهران.
٢ـ غريب القرآن، ط: النّجف.
الطّنطاويّ: جوهريّ (١٣٥٨)
الجواهر، ط: مصطفى البابيّ، مصر.
الطُّوسيّ: محمّد (٤٦٠)
التّبيان، ط: النّعمان، النّجف.
عبدالجبّار: أحمد (٤١٥)
١ـ تنزيه القرآن، ط: دار النّهضة، بيروت.
٢ـ متشابه القرآن، ط: دار التّراث، القاهرة.
عبدالرّحمان الهمذانيّ (٣٢٩)
الألفاظ الكتابيّة، ط: دار الكتب، بيروت.
عبدالرّزّاق نَوفَل (معاصر)
الإعجاز العدديّ، ط: دار الشّعب، القاهرة.
عبدالفتّاح طبّارة (معاصر)
مع الأنبياء، ط: دار العلم، بيروت.
عبدالكريم الخطيب (معاصر)
التّفسير القرآنيّ، ط: دار الفكر، بيروت.
عبداللّطيف بغداديّ (٦٢٩)
ذيل الفصيح، ط: التّوحيد، القاهرة.
عبدالمنعم الجمّال: محمّد (معاصر)
التّفسير الفريد، ط :... بإذن مجمع البحوث الإسلامي، الأزهر.
العَدْنانيّ: محمّد (١٣٦٠)
معجم الأغلاط، ط: مكتبة لبنان، بيروت.
العروسيّ: عبدعليّ (١١١٢)
نور الثّقلين، ط: إسماعيليان، قم.
عزّة دَرْوَزة: محمّد (١٤٠٠)
تفسير الحديث، ط: دار إحياء الكتب القاهرة.
العُكْبَريّ: عبدالله (٦١٦)
التّبيان، ط: دار الجيل، بيروت.
علي اصغر حكمت (معاصر)
نه گفتار در تاريخ أديان، ط: ادبيّات، شيراز.
العَيّاشيّ: محمّد (نحو ٣٢٠)
التّفسير، ط: مؤسّسة البعثة، قم.
الفارسيّ: حسن (٣٧٧)
الحجّة، ط: دار المأمون، بيروت.
الفاضل المقداد: بن عبدالله (٨٢٦)
كنز العرفان، ط: المرتضويّة، طهران.
الفَخر الرّازيّ: محمّد (٦٠٦)
التّفسير الكبير، ط: عبدالرّحمان، القاهرة.
فرات الكوفيّ: ابن إبراهيم
تفسير فرات الكوفيّ، ط: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران.
الفرّاء: يحيى (٢٠٧)
معاني القرآن، ط: ناصر خسرو، طهران.

فريد وجدي: محمّد (١٢٧٣)
المصحف المفسّر، ط: دار مطابع الشّعب، بيروت.
الفيروزآبادي: محمّد (٨١٧)
١ـ القاموس المحيط، ط: دار الجيل، بيروت.
٢ـ بصائر ذوي التّمييز، ط: دار التّحرير، القاهرة.
الفيّومي: أحمد (٧٧٠)
مصباح المنير، ط: المكتبة العلميّة، بيروت.
القاسمي: جمال الدّين (١٣٣٢)
محاسن التّأويل، ط: دار إحياء الكتب، القاهرة.
القالي: إسماعيل (٣٥٦)
الأمالي، ط: دار الكتب، بيروت.
القرطبي: محمّد (٦٧١)
الجامع لأحكام القرآن، ط: دار إحياء التّراث، بيروت.
القشيري: عبدالكريم (٤٦٥)
لطائف الإشارات، ط: دار الكتاب، القاهرة.
القمّي: عليّ (٣٢٨)
تفسير القرآن، ط: دار الكتاب، قم.
القيسي: مكّيّ (٤٣٧)
مشكل إعراب القرآن، ط: مجمع اللّغة، دمشق.
الكاشاني: مُحسن (١٠٩١)
الصّافي، ط: الأعلميّ، بيروت.
الكرخي: عبيدالله (٣٠٠)
المسالك والممالك، ط: مكتبة المثنّى، بغداد.
الكرماني: محمود (٥٠٥)
أسرار التّكرار، ط: المحمّديّة، القاهرة.
الكُليني: محمّد (٣٢٩)
الكافي: ط: دار الكتب الإسلاميّة، طهران.
لويس كوستاز (معاصر)
قاموس سريانيّ، عربيّ، ط: الكاثوليكيّة، بيروت.
لويس معلوف (١٣٦٦)
المنجد في اللّغة، ط: دار المشرق، بيروت.
الماوردي: عليّ (٤٥٠)
النُّكت والعيون، ط: دار الكتب، بيروت.
المبرّد: محمّد (٢٨٦)
الكامل، ط: مكتبة المعارف، بيروت.
المجلسي: محمّد باقر (١١١١)
بحار الأنوار، ط: دار إحياء التّراث، بيروت.
مجمع اللّغة: جماعة (معاصرون)
معجم الألفاظ، ط: آرمان، طهران.
محمّد إسماعيل (معاصر)
معجم الألفاظ والأعلام، ط: دار الفكر، القاهرة.
محمّد جواد مغنية (١٤٠٠)
التّفسير الكاشف، ط: دار العلم للملايين، بيروت.
محمود شيت خطّاب (معاصر)
المصطلحات العسكريّة، ط: دار الفتح، بيروت.
المَدَني: عليّ (١١٢٠)
أنوار الرّبيع، ط: النّعمان، نجف.
المَراغي: محمّد مصطفى (١٣٦٤)
١ـ تفسير سورة الحجرات، ط: الأزهر، مصر.
٢ـ تفسير سورة الحديد، ط: الأزهر، مصر.
المراغي: أحمد مصطفى (١٣٧١)
تفسير القرآن، ط: دار إحياء التّراث، بيروت.
مشكور: محمّدجواد (معاصر)
فرهنگ تطبيقى، ط: كاويان، طهران.
المُصطَفَوي: حسن (معاصر)
التّحقيق، ط: دار التّرجمة، طهران.
معرفه: محمّدهادى (معاصر)
التّفسير و المفسرون، ط: الجامعة الرّضوية، مشهد.
مُقاتِل: ابن سليمان (١٥٠)
الأشباه والنّظائر، ط: المكتبة العربيّة، مصر.
المَقْدِسي: مُطهّر (٣٥٥)
البدء والتّاريخ، ط: مكتبة المثنّى، بغداد.
مكارم الشّيرازيّ (معاصر)
الأمثل، ط: مؤسّسة البعثة، بيروت.
المَيْبُدي: أحمد (٥٢٠)
كشف الأسرار، ط: أمير كبير، طهران.
الميلاني: محمّد هادي (١٣٨٤)
تفسير سورتي الجمعة والتّغابن، ط: مشهد.
النّحّاس: أحمد (٣٣٨)
معاني القرآن، ط: مكّة المكرّمة.

النَّسَفيّ: أحمد (٧١٠)
مدارك التّنزيل، ط: دار الكتاب، بيروت.
النّهاونديّ: محمّد (١٣٧٠)
نفحات الرّحمان، ط: سنگى، علمى [طهران].
النّيسابوريّ: حسن (٧٢٨)
غرائب القرآن، ط: مصطفى البابي، مصر.
هارون الأعور: ابن موسى (٢٤٩)
الوجوه والنّظائر، ط: دار الحرّيّة، بغداد.
هاكْس: الإمريكيّ (معاصر)
قاموس كتاب مقدّس، ط: مطبعة الإميركيّ، بيروت.
الهَرَويّ: أحمد (٤٠١)
الغريبين، ط: دار إحياء التّراث.
هُوتِسْما: مارتِن تِيُودُر (١٣٦٢)
دائرة المعارف الإسلاميّة، ط: جهان، طهران.
الواحديّ: عليّ (٤٦٨)
الوسيط، ط: دارالكتب العلميّة، بيروت.
اليزيديّ: يحيى (٢٠٢)
غريب القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.
اليعقوبيّ: أحمد (٢٩٢)
التّاريخ، ط: دار صادر، بيروت.
يوسف خيّاط (؟)
الملحق بلسان العرب، ط: أدب الحوزة، قم.



فهرس الأعلام المنقول عنهم بالواسطة

أبو بكر الإخشيد: أحمد. (٣٦٦)
أبو بكر الأصمّ:.... (٢٠١)
أبوالجزال الأعرابي. (؟)
أبو جعفر القارئ: يزيد. (١٣٢)
أبو الحسن الصّائغ. (؟)
أبو حمزة الثّماليّ: ثابت. (١٥٠)
أبو حنيفة: نُعمان. (١٥٠)
أبو حَيْوَة: شُرَيح. (٢٠٣)
أبو داود: سليمان. (٢٧٥)
أبو الدّرداء: عُوَيْمر. (٣٢)
أبو دُقَيش:.... (؟)
أبوذَرّ: جُنْدَب. (٣٢)
أبو روق: عطيّة. (؟)
أبو زياد: عبداللّه. (؟)
أبو سعيد الخُدريّ: سعد. (٧٤)
أبو سعيد البغداديّ: أحمد. (٢٨٥)
أبو سعيد الخرّاز: أحمد. (٢٨٥)
أبو سليمان الدّمشقيّ:
عبدالرّحمان. (٢١٥)
أبو السّمال: قَعْنَب. (؟)
أبو شريح الخزاعيّ. (؟)
أبو صالح. (؟)
أبو الطّيّب اللّغويّ. (؟)
أبو العالية: رُفَيع. (٩٠)
أبو عبدالرّحمان: عبداللّه. (٧٤)
أبو عبداللّه: محمّد. (؟)
أبو عثمان الحِيريّ: سعيد. (٢٨٩)
أبو العلاء المعرّيّ: أحمد. (٤٤٩)
أبو عليّ الأهوازيّ: حسن. (٤٤٦)
أبو عليّ مِشكَوَيه: أحمد. (٤٢١)

أبو عمران الجُونيّ: عبدالملك. (؟)
أبو عمرو ابن العلاء: زبّان. (١٥٤)
أبو عمرو الجَرْميّ: صالح. (٢٢٥)
أبو عمرو الشّيبانيّ: إسحاق. (٢٠٦)
أبو الفضل الرّازيّ. (؟)
أبو قِلابة:.... (١٠٤)
أبو مالك: عمرو. (؟)
أبو المتوكّل: عليّ. (؟)
أبو مِجْلَز: لاحِق. (؟)
أبو مُحَلّم: محمّد. (٢٤٥)
أبو مسلم الأصفهانيّ:
محمّد. (٣٢٢)
أبو مُنذِر السّلّام:.... (؟)
أبو موسى الأشعريّ: عبداللّه. (٤٤)
أبو نصر الباهليّ: أحمد. (٢٣١)
أبو هُرَيرة: عبدالرّحمان. (٥٩)
أبو الهيثم:.... (٢٧٦)
أبو يزيد المدنيّ:.... (؟)
أبو يعلى: أحمد. (٣٠٧)
أبو يوسف: يعقوب. (١٨٢)
أُبَيّ بن كعب. (٢١)
أحمد بن حنبل. (٢٤)
الأحمر: عليّ. (١٩٤)
الأخفش الأكبر: عبدالحميد. (١٧٧)
إسحاق بن بشير. (٢٠٦)
الأسديّ. (؟)
إسماعيل بن قاضي. (؟)
الأصمّ: محمّد. (٣٤٦)
الأعشى: ميمون. (١٤٨)
الأعمش: سليمان. (١٤٨)

إلياس:.... (؟)
أنس بن مالك. (٩٣)
الأُمويّ: سعيد. (٢٠٠)
الأوزاعيّ: عبدالرّحمن. (١٥٧)
الأهوازيّ: حسن. (٤٤٦)
الباقِلّانيّ: محمّد. (٤٠٣)
البخاريّ: محمّد. (٢٥٦)
بَراء بن عازب. (٧١)
البَرجيّ: عليّ. (؟)
البَرجميّ: ضابئ. (؟)
البَقْليّ. (؟)
البلخيّ: عبداللّه. (٣١٩)
البَلّوطيّ: منذر. (٣٥٥)
بوست: جورج إدوَرْد. (١٣٢٧)
التّرمذيّ: محمّد. (٢٧٩)
ثابت البنانيّ. (١٢٧)
الثّعلبيّ: أحمد. (٤٢٧)
الثّوريّ: سفيان. (١٦١)
جابر بن زيد. (٩٣)
الجُبّائيّ: محمّد. (٣٠٣)
الجَحْدريّ: كامل. (٢٣١)
جمال الدّين الأفغانيّ. (١٣١٥)
الجُنَيد البغداديّ: ابن محمّد. (٢٩٧)
جهم بن صفوان. (١٢٨)
الحارث بن ظالم. (٢٢ق)
الحَدّاديّ:.... (؟)
الحَرّانيّ: محمّد. (٥٦٠)
الحسن: بن يسار. (١١٠)
حسن بن حيّ. (؟)
حسن بن زياد. (٢٠٤)